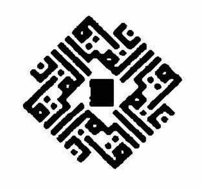
المواعظ والاعتبار
في ذكر الخطط والآثار

لتقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي

٧٦٦ - ٨٤٥هـ
١٣٦٥ - ١٤٤١م

حققها وكتب مقدمتها ووضع فهارسها
الدكتور أيمن فؤاد سيد



مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
لندن ١٤١٦/١٩٩٥

فهرست الموضوعات

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

ذِكْرُ الحَمّـامات ٢٦١-٢٨٥

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

ذِكرُ قَلْعَـة الجَبَل

صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

رب زدني علمًا

ذِكْرُ حارات القاهِرة وظَواهِرها[1]

قال ابنُ سِيدَه : والحارَةُ كلُّ مَحَلَّةٍ دَنَت منازِلُهم[a]. قال : والمَحَلَّةُ مَنْزِلُ القَوْم[2].
وبالقاهِرَة وظَواهِرِها عِدَّةُ حاراتٍ ، وهي :

حارةُ بَهاءِ الدِّين

هذه الحارَةُ كانت قَديمًا خارجَ باب الفُتُوح الذي وَضَعَه القائِدُ جَوْهَرُ عندما اخْتَطَّ أَساسَ القاهِرَة من الطُّوب النِّيء ؛ وقد بقي من هذا الباب عَقْدُة برأْس حارَة بَهاء الدِّين . وصارَت هذه الحارَةُ اليوم من داخِل باب الفُتُوح الذي وَضَعَه أميرُ الجُيُوش بَدْرٌ الجَمالي ، وهو الموجود الآن .
وحَدُّ هذه الحارَةِ عَرْضًا من خُطِّ باب الفُتُوح الآن إلى خُطِّ خان[b] الوِراقَة بسُوق المُرَحِّلين ،

---

a) بولاق : منازلها .   b) بولاق : حارة .

---

[1] سَمَّى المقريزي هذا الفصل في مسودة المواعظ : «ذِكْرُ الحارات والخِطَط بالقاهرة وظواهرها» ، وبدأه بعَرْضٍ شاملٍ لحارات القاهرة وأخطاطِها (٣٣١-٣٣٤) ، ثم فَصْلٍ بعنوان : «المسالك والشَّوارع بالقاهرة» (٣٣٥-٣٤٨) . وفي المُبَيَّضَة نَقَلَ المقريزي هذا الفَصْل إلى بداية الجزء الرابع من تجزئته ، الذي سَمَّاه : «ذِكْرُ قاهِرَة المُعِزّ» (فيما تقدم ٢ : ٢٤٤-٢٥٣) . وفي رأْيي أنَّ موضع هذا الفَصْل كما وَرَدَ في المُسَوَّدة كان أليَق من نقله إلى «ذِكْر قاهرة المُعِزّ» ، فمن طريقه يستطيع القارئ أن يستوضح أماكن الحارات من القاهرة وعلاقتها ببعضها البعض بُعْدًا وقُرْبًا .

[2] ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ٣ : ٣٨٨ .

وحَدُّها طُولًا فيما وَرَاء ذلك إلى خُطِّ باب القَنْطَرَة. وكانت هذه الحارَةُ تُعْرَف بحارَة الرَّيْحانِيَّة والوَزِيرية ـ وهما طائِفتان من طَوائِف عَسْكَر الخُلَفَاء الفاطِميين ـ فإنَّ بها كانت مَساكِنُهم، وكان فيها لهاتين الطَّائِفتين دُورٌ عَظيمَةٌ وحَوانيتُ عِدَّة [a]. وقيل لها أيضًا «بَيْنَ الحارَتَيْن»، واتَّصَلَت العِمارَةُ إلى السُّور، «[b]ثم عُرِفَت في الدَّوْلة الأيُّوبِيَّة بحارَة بَهاء الدِّين، وهو الأمير بَهاء الدِّين قَرَاقُوش[b]» [1].

٥ ولم تَزَل الرَّيْحانِيَّةُ والوَزِيريةُ بهذه الحارَة إلى أن كانت واقِعَةُ السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب بالعَبيد.

ذِكْرُ وَاقِعَةِ العَبِيد ـ وسَبَبُها أنَّ مُؤْتَمَنَ الخِلافَة جَوْهَرًا ـ أَحَدَ الأُسْتاذين المُحَنَّكين بالقَصْر ـ تحدَّث في إزالَة صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب من وَزارَة الخَليفَة العاضِد لدين الله عندما ضايَقَ أَهْلَ القَصْر وشدَّد عليهم، واسْتَبَدَّ بأمْرِ[c] الدَّوْلَة وأَضْعَفَ جانِبَ الخِلافَة، وقَبَضَ على أكابِر أهل الدَّوْلَة.

١٠ فصارَ مع جَوْهَرٍ عِدَّةٌ من الأُمَرَاءِ المصريين والجُنْدِ، واتَّفَقَ رأيُهم أن يَبْعَثُوا إلى الفِرِنْج ببلاد السَّاحِل يستدعونهم إلى القاهِرَة، حتى إذا خَرَجَ صَلاحُ الدِّين لقِتالِهم[d] بعَسْكَره، ثارُوا هم في القاهِرَة[e]، واجْتَمَعُوا مع الفِرِنْج على إخْراجِه من مصر.

فسَيَّروا رَجُلًا إلى الفِرِنْج، وجَعَلُوا كُتُبَهم التي معه في نَعْل، وحُفِظَت بالجِلْد مَخافَة أن يُفْطَن بها. فسارَ الرَّجُلُ إلى بِئْر[f] البَيْضَاء[2] قريبًا من بِلْبِيس، فإذا بعضُ أصحابِ صَلاح الدِّين هناك،

١٥ فأنْكَر أَمْرَ الرَّجُل من أجْل أنَّه جَعَلَ النَّعْلَيْن في يده، ورآهُما وليس فيهما أثَرُ المشي والرَّجُلُ رَثُّ الهَيْئَة، فارْتابَ وأَخَذَ منه[g] النَّعْلَيْن وشَقَّهما فوَجَدَ الكُتُبَ في باطِنِهما[h]. فحَمَلَ الرَّجُلَ والكُتُبَ إلى صَلاح الدِّين، فتَتَبَّعَ خُطُوطَ الكُتُب حتى عُرِفَت، فإذا الذي كَتَبَها من اليَهود الكُتَّاب، فأَمَرَ بقَتْله، فاعْتَصَم بالإسْلام وأَسْلَم، وحَدَّثَه الخَبَر.

---

a) بولاق: عديدة. b-b) إضافة من مسودة المواعظ. c) بولاق: أمور. d) بولاق: إلى قتالهم. e) بولاق: ثاروا وهم بالقاهرة. f) بولاق: البير. g) ساقطة من بولاق. h) بولاق: بيطنهما.

---

[1] المقريزي: مسودة المواعظ ٣٦٣-٣٦٤.
ويُحَدَّد موضع حارة بهاء الدِّين الآن المنطقة التي تُحَدُّ من الشرق بشارع المعز لدين الله عند الحدّ الجنوبي الغربي لجامع الحاكم، ومن الغرب بشارع الجيش شمال ميدان باب الشعرية، ويتوسَّطها شارع بين السَّيارج من الشرق إلى الغرب. (راجع، ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٦٥؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣٥٢:٣).

[2] البِئْرُ البَيْضَاء. أحد مراكز البريد القديمة، كانت تقع بين بلدتي الخانكة وبِلْبِيس، ويَدُلُّ على مكانها اليوم عزبة أبي حبيب الواقعة في حوض البيضاء بأراضي ناحية الزَّوامِل بمركز بِلْبِيس بمحافظة الشرقية. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤٤:٨هـ[2]، ٢٧٩:١١هـ[3]).

فبَلَغَ ذلك مُؤْتَمَنَ الخِلافَة ، فاستَشْعَرَ الشرَّ وخافَ على نفسه ولَزِمَ القَصْر ، وامْتَنَعَ من الخُروج عنه[a]. فأَعْرَضَ صَلاحُ الدِّين/ عن ذلك جملةً . وطالَ الأمَدُ ، فظنَّ الخَصِيُّ أنّه قد أُهْمِلَ أمْرُه ، وشَرَعَ يخرج من القَصْر ، وكانت له مَنْظَرَةٌ بناها بناحِية الخَرْقانية[1] في بُسْتانٍ ، فخَرَجَ إليها في جماعَةٍ . وبَلَغَ ذلك صَلاحَ الدِّين ، فأَنْهَضَ إليه عِدَّةً هَدَمُوا عليه وقَتَلوه في يوم الأربعاء لخمسٍ بقِين من ذي القِعْدَة سنة أربعٍ وستين وخمس مائة ، واحتَزُّوا رأسَه وأتَوْا بها إلى صَلاح الدِّين .

فاشْتُهِرَ ذلك بالقاهِرَة وأُشيع ، فغَضِبَ العَسْكَرُ المصري وثاروا بأجمعهم في سادس عشرينه ، وقد انضمَّ إليهم عالَمٌ عَظيمٌ من الأُمَرَاء والعامَّة حتى صارُوا ما ينيف على خمسين ألفًا ، وسارُوا إلى دار الوَزارَة ، وفيها يومئذٍ سَاكِنًا بها صَلاحُ الدِّين ، وقد استعدُّوا بالأسْلِحَة . فبَدَرَ[b] شَمْسُ الدَّوْلَة فخْرُ الدِّين تُوران شَاه أخو صَلاح الدِّين ، وصَرَخَ في عَساكِر الغُزّ ، ورَكِبَ صَلاحُ الدِّين وقد اجتمع إليه طَوائِفُ من أهله وأقاربه وجَميعُ الغُزّ ، ورَتَّبهم . ووَقَفَت الطَّائِفَةُ الرَّيْحانية والطَّائِفَةُ الجُيُوشية والطَّائِفَةُ الفَرَجِيَّة[c]، وغيرهم من الطَّوائف السُّودان[d]، ومن انْضَمَّ إليهم بَيْنَ القَصْرَيْن .

فدارَت الحَرْبُ[e] بينهم وبين صَلاح الدِّين ، واشْتَدَّ الأمْرُ وعَظُمَ الخَطْبُ حتى لم يبق إلَّا هَزيمَة صَلاح الدِّين وأصْحابِه . [f]فلمَّا عايَن الغُلْب[f] أَمَرَ تُوران شَاه بالحَمْلَة على السُّودان ، فقُتِلَ فيها أَحَدُ مُقَدَّميهم ، فانْكَفَّ بأسُهم قَليلًا ، وعَظُمَت حَمْلَةُ الغُزّ عليهم ، فانكسروا إلى باب الذَّهَب ثم إلى باب الزُّهُومَة ، وقُتِلَ حينئذٍ عِدَّةٌ من الأُمَرَاء المصريين وكثيرٌ مِمَّن عَداهم .

وكان العاضِدُ في هذه الوَقْعَة يُشْرِفُ من المَنْظَرَة ، فلمَّا رأى أهلُ القصر كَسْرَةَ[g] السُّودان وعَساكِر مصر ، رَمَوا على الغُزّ من أعْلى القصر بالنُّشَّاب والحِجارَة حتى أنْكَوْا فيهم ، وكَفُّوهم عن القِتال وكادوا ينهزمون . فأَمَرَ حينئذٍ صَلاحُ الدِّين النَّفَّاطين بإحْراق المَنْظَرَة ، فأَحْضَرَ شَمْسُ الدَّوْلَة النَّفَّاطين ، وأخذوا في تَطْييب قارُورَة النِّفْط وصَوَّبوا بها على المَنْظَرَة التي فيها العاضِدُ . فخافَ العاضِدُ على نفسه ، وفَتَحَ بابَ المَنْظَرَة زَعيمُ الخِلافَة أَحَدُ الأُسْتاذين ، وقال بصَوْتٍ عالٍ : «أميرُ المؤمنين يُسَلِّم على شَمْس الدَّوْلَة ، ويقول دونكم والعَبيد الكِلاب ، أَخْرِجُوهم من

---

a) بولاق : منه . b) بولاق : فبادر . c) بولاق : الفرنجية . d) بولاق : السودانية . e) بولاق وليدن : فثارت الحروب . f-f) بولاق وليدن : فعند ذلك . g) بولاق : كسرت .

---

[1] عن الخرقانية (الخاقانية) ، انظر فيما تقدم ٢: ٥٨٧ - ٥٨٨ .

بلادِكم». فلمّا سَمِعَ السُّودانُ ذلك ضَعُفَت قُلوبُهم وتَخاذَلوا، فحَمَلَ عليهم الغُزُّ فانكسروا، ورَكِبَ القَوْمُ أقْفِيَتَهم إلى أن وَصَلوا إلى السُّيوفِيين، فقُتِلَ منهم كثيرٌ وأُسِرَ منهم كثيرٌ، وامتنعوا هناك على الغُزِّ بمكانٍ فأُحْرِقَ عليهم.

وكان في دار الأَرْمَن[١] التي كانت قَريبًا من بَيْـن القَصْرَيْن خَلْقٌ عَظيمٌ من الأَرْمَن كلُّهم رُماةٌ، ولهم جارٍ في الدَّوْلَة يجري عليهم، فعندما قَرُبَ منهم الغُزُّ رَمَوْهُم عن يَدٍ واحدة، حتى امتنعوا عن أن يَسيروا إلى العَبيد، فأَحْرَقَ شَمْسُ الدَّوْلَة دارَهم حتى هَلَكُوا حَرْقًا وقَتْلًا، ومَرُّوا إلى العَبيد. فصاروا كلَّما دَخَلوا مَكانًا أُحْرِقَ عليهم وقُتِلُوا فيه، إلى أن وَصَلُوا إلى باب زَوِيلَة فإذا هو مَغْلوقٌ، فحُصِرُوا هناك، واسْتَحَرَّ[a] فيهم القَتْلُ مدَّة يومين، ثم بَلَغَهم أنَّ صَلاحَ الدِّين أحْرَقَ المَنْصُورَة التي كانت أعظم حاراتِهم[٢]. وأُخِذَت عليهم أَفْواهُ السِّكَك، فأيْقَنُوا أنَّهم قد أُخِذوا لا مَحالَة، فصاحُوا: الأَمَان، فأُمِّنُوا، وذلك يوم السَّبْت لليلتين بقيتا من ذي القعدة؛ وفُتِحَ لهم بابُ زَوِيلَة فخَرَجوا إلى الجِيزَة. فعَدَّى عليهم شَمْسُ الدَّوْلَة في العَسْكَر ـ وقد قَووا بأمْوَال المهزومين وأسْلَحتهم ـ وحَكَّموا فيهم السَّيْف حتى لم يَبْقَ منهم إلَّا الشَّريد، وتلاشَى من هذه الواقِعَة أمْرُ العاضِد[٣].

وكان من غَرائِب الاتِّفاقات أنَّ الدَّوْلَةَ الفاطِمية كان الذي افْتَتَحَ لها بِلادَ مصر وبَنَى القاهِرَة جَوْهَرٌ القائِد، والذي كان سَبَبًا في إزالة الدَّوْلَة وخَراب القاهِرَة جَوْهَرٌ المنعوت بمُؤْتَمَن الخِلافَة هذا.

ثم لمَّا اسْتَبَدَّ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بسَلْطَنَة الدِّيار المصرية، بعد مَوْت الخَليفَة العاضِد لدين الله، سَكَنَ هذه الحارَة الأميرُ الطَّواشيُّ الخَصِيّ بَهَاءُ الدِّين قَراقُوش بن عبد الله الأَسَدِي فعُرِفَت به.

---

a) بولاق: واستمر.

---

[١] لم يُخَصِّص المقريزي أي مَدْخَل للحديث عن هذه الدَّار في كتابه.

[٢] فيما يلي ٥٣.

[٣] عن واقعة العبيد انظر كذلك، ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٣/٢:٦٥ - ٦٦؛ ابن الأثير: الكامل ١١: ٣٤٥ - ٣٤٧؛ أبا شامة: الروضتين ١: ٤٥٠ - ٤٥٢؛ ابن واصل: مفرج الكروب ١: ١٧٤ - ١٧٧، ٢٠٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤: ٩١، ٧: ١٥٧؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٣٦٠ - ٣٦١؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٧: ٤٤؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٤/١: ٦٧ - ٧١، ١٣١؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٣١١ - ٣١٣، وفيما يلي ٥٣؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ٣٥٤، ٦: ٢٠؛ ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية ١٨٣ - ١٨٥؛ Lev, Y., *Saladin in Egypt*, pp. 81-84.

حَـارَةُ بَـرْجَوان

منسوبَةٌ إلى الأُسْتَاذ أبي الفُتُوح بَرْجَـوان الخـادِم، كان خَصِيًّا أبيض تام الخِلْقَة، رُبِّيَ في دار الخَلِيفَة العَزِيز بالله، وولَّاه أَمْرَ القُصُور، فلمَّا حَضَرَته الوَفاةُ وَصَّاهُ على ابنه الأمير أبي عليّ مَنْصور[1]. فلمَّا ماتَ العَزيزُ بالله، أُقيم ابنه مَنْصور في الخِلافَة من بعده، وقامَ بتَدْبير الدَّوْلَة أبو محمد الحَسَن بن عَمَّار الكُتامي[2]، فدبَّرَ الأُمُورَ وبَرْجَوان يُناكِده فيما يَصْدُر منه[a]، ويختصُّ بطَوائِفَ من العَسْكَر دونه، إلى أن فَسَدَ[b] أَمْرُ ابن عَمَّار. فنَظَرَ بَرْجَوان في تَدْبير الأُمُور يوم الجُمُعَة لثلاثٍ بقِينَ من رَمَضَان سنة سبعٍ وثمانين وثلاث مائة، وصارَ الواسِطَةَ بين الحاكِم وبين النَّاس، فأَمَرَ بجَمْع الغِلْمان ونَهاهُم عن التعرُّض لأحَدٍ من الكُتامِيين والمغاربة.

ووَجَّهَ إلى دار ابن عَمَّار، فمَنَعَ النَّاسَ من التَّعَرُّض إليها[c] بعد أن كانوا قد أحاطوا بها وانْتَهَبُوا منها، وأَمَرَ أن يجري لأصحاب الرُّسُوم والرَّواتِب جميع ما كان ابنُ عَمَّار قَطَعَه، وأجرى لابن عَمَّار ما كان يَجْري له في أيَّام العَزيز بالله من الجِرايات لنفسه ولأَهْله وحَرَمِه. ومبلغُ ذلك من اللَّحْم والتَّوابِل خمس مائة دينار في كلِّ شهر، تزيد عن ذلك أو تَنْقُص عنه على قَدْر الأَسْعَار، مع ما كان له من الفاكِهَة وهو في كلِّ يوم سَلَّة بدينار، وعشرة أَرْطال شَمْع بدينار ونصف، وحَمْل ثَلْج[d].

وجَعَلَ كاتِبَه أبا العَلاء/ فَهْد بن إبراهيم النَّصْراني يوقِّع عنه[3]، وينظر في قِصَص الرَّافعين وظَلاماتهم. فجَلَسَ لذلك في القَصْر، وصارَ يُطالِعه بجَميع ما يَحْتاج إليه. ورَتَّبَ الغِلْمان في

---

a) بولاق: عنه. b) بولاق: أفسد. c) بولاق: فمنع الناس عنها. d) بولاق: بلج.

---

[1] راجع أخبار بَرْجَوان عند، ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة ٥٧- ٥٨؛ ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة ٦٠؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ١: ٢٧٠- ٢٧١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠: ١١٠؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ١٧١- ١٧٥؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٥٧٢- ٥٧٥؛ Lewis, B., *EI*[2] art. *Bardjawân* I, pp. 1073-74.

[2] أمين الدَّوْلة الحَسَن بن محمد بن عَمَّار، أوَّل من تَلَقَّب في الدَّولة الفاطمية، زعيم المغاربة في زمن الحاكم بأمر الله. أُقصي عن الوَساطَة عام ٣٨٧هـ/٩٩٧م وحَلَّ محلّه بَرْجَوان مِمَّا أدَّى إلى تَفَوُّق المشارقة على المغاربة. (ابن ميسر: أخبار مصر ١٧٩؛ ابن الصيرفي: الإشارة ٥٦؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ١٦٨؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٥- ٦، المقفى الكبير ٣: ٣٤٥؛ وفيما يلي ١٠٥-١٠٧).

[3] أبو العَلاء فَهْد بن إبراهيم النَّصْراني، لُقِّبَ بـ=

القَصْر ، وأَمَرَهُم بمُلازَمَةَ الخِدْمَة وتفقُّد أحوالَهم ، وأزاحَ[a] عِلَل أوْلياء الدَّوْلَة ، وتَفَقُّد أمورَ النَّاس وأزالَ ضَروراتهم ، ومَنَعَ النَّاسَ كافَّةً من التَّرَجُّل له . وكان[b] النَّاسُ يَلْقَوْنَه في دارِه ، فإذا تكامَل لِقاؤهم رَكِبُوا بين يَدَيْه إلى القَصْر ، ما عَدا الحُسَيْن بن جَوْهَر والقاضي ابن النُّعْمان فقط ، فإنَّهما كانا يتقدَّمانه من دُورهما إلى القَصْر أو يَلْحَقانِه ، ويكون سَلامُهما عليه بالقَصْر[c]، ثم[d] أنَّه لَقَّبَ كاتِبَه فَهْدًا بالرَّئيس ، فصارَ يُخاطَب بذلك ويُكاتَب به .

وكان بَرْجَوانُ يجلس في دَهاليز القَصْر ، ويجلس الرَّئيسُ فَهْد في الدِّهْليز[e] الأوَّل يُوَقِّع وينظر ، ويُطالِع بَرْجَوان بما يحتاج إليه ممَّا يُطالع به الحاكِم ، فيَخْرُجُ الأَمْرُ بما يكون العَمَلُ به .

وتَرَقَّت أحوالُ بَرْجَوان إلى أن بَلَغَ النِّهاية ، فقَصَّر عن الخِدْمَة ، وتَشاغَل بَلذَّاته ، وأقبل على سَماعِ الغِناء ، وأكثر من الطَّرَب . وكان شَديدَ المحبَّة في الغِنَاء ، فكان المغنُّون من الرِّجال والنِّساء يَحْضُرون دارَه ، فيكون معهم كأحَدِهم . ثم يَجْلِسُ في دارِه حتى يَمْضي صَدْرُ النَّهار ، ويتكامَل جَميعُ أهل الدَّوْلَة وأرْبابُ الأشْغال على بابِه . فيخرج راكِبًا ، ويمضي إلى القَصْر فيُمْشي من الأمُور ما يَخْتَار بغير مُشاوَرَة .

فلمَّا تَزايَدَ الأَمْرُ وكَثُرَ اسْتِبْدادُه ، تَجَرَّد له الحاكِمُ ، ونَقَمَ عليه أشياءَ من تَجَرُّيه عليه ومُعامَلَته له بالإذْلال وعَدَم الامْتِثال ، منها أنَّه اسْتَدْعاه يومًا وهو راكِبٌ معه ، فصارَ إليه وقد ثَنَى رجلَه على عُنُقِ فَرَسِه ، وصارَ باطِنُ قَدَمِه وفيه الخُفُّ قُبالَة وَجْه الحاكِم ، ونحو ذلك من سُوءِ الأَدَب .

فلمَّا كان يومُ الخميس سادس عشرين رَبيع الآخَر سنة تسعين وثلاث مائة ، أَنْفَذَ إليه الحاكِمُ عَشِيَّةً للرُّكوب معه إلى المَقْس[f]، فجاءَ بعدما تباطأ وقد ضاقَ الوَقْتُ [g]فَدَخَل إلى القَصْر والمَوْكِب راكِبٌ بالباب[g]، فلم يكن بأَسْرَع من خُروج عَقِيق الخادِم باكِيًا يصيح : قُتِلَ مَوْلاي - وكان هذا الخادِمُ عَيْنًا لبَرْجَوان في القَصْر - فاضطَرَب النَّاسُ ، وأَشْرَفَ عليهم الحاكِمُ ، وقامَ رَيْدانُ[h] - صاحِبُ المِظَلَّة - فصاحَ بهم : «مَنْ كان في الطَّاعَة فلينصرف إلى منزله ، ويُبَكِّر إلى القَصْر المعمور» ، فانْصَرَفَ الجَميعُ .

---

a) بولاق وليدن : وأزال . b) بولاق : فكان . c) بولاق : في القصر . d) بولاق : حتى . e) بولاق : بالدهليز . f) بولاق : المقياس . g-g) ساقطة من بولاق . h) بولاق : زيدان .

= «الرئيس» في جمادى الأولى سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م . (ابن ٢/٢ : ١٢٣؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ١٤؛ أيمن فؤاد : الصيرفي : الإشارة ١٥٧؛ ساويرس بن المقفع : تاريخ البطاركة الدولة الفاطمية في مصر ١٦٢) .

وكان[a] من خَبَرِ قَتْلِ بَرْجَوان أنَّه لمَّا دَخَلَ إلى القَصْر ، كان الحاكِمُ في بُستانٍ يُعْرَف بدُوَيْرَة التِّين والعُنَّاب ومعه رَيْدان[b]، فوافاه بَرْجَوان بها وهو قائِمٌ فسَلَّمَ ووَقَفَ ، فسارَ الحاكِمُ إلى أن خَرَجَ من باب الدُّوَيْرَة ، فوَثَبَ رَيْدانُ[b] على بَرْجَوان وضَرَبَه بسكِّينٍ كانت معه في خُفِّه[c]، وابْتَدَرَه قَوْمٌ كانوا قد أُعِدّوا للفَتْك به ، فأَثْخَنُوا جِراحَه[d] بالخَناجِر ، واحتَزُّوا رأسَه ودَفَنُوه هناك . ثم إنَّ الحاكِمَ أَحْضَرَ إليه الرَّئيس فَهْدًا بعد عشاء الآخِرَة ، وقال له : أنت كاتِبي ، وطَمَّنَه وأَمَّنَه[e] [1].

فكانت مُدَّةُ نَظَر بَرْجَوان في الوَساطَة سنتين وثمانية أشهر تنقص يومًا واحِدًا .

ووَجَدَ الحاكِمُ في تَرِكَته مائة مِنْديل ـ يعني عِمامَة ـ كلها شُرُوب مُلَوَّنة معمَّمة على مائة شاشِيَّة ، وألف سَراويل دَبيقية بألف تِكَّة حَرير أرْمَنِيّ ، ومن الثِّياب المَخيطة والصِّحاح والحُلِيّ والمَصاغ والطِّيب والفَرْش والصِّياغات الذَّهَب والفِضَّة ما لا يُحْصَى كثرةً ، ومن العَيْن ثلاثة وثلاثين ألف دينار ، ومن الخَيْل لرِكابِه[f] مائة وخمسين فَرَسًا وخمسين بَغْلَة ، ومن بِغال النَّقْل ودَواب الغِلْمان نحو ثلاث مائة رأس ، ومائة وخمسين سَرْجًا منها عشرون ذَهَبًا ، ومن الكُتُب شيءٌ كثيرٌ [2]. وحُمِلَ لجاريته من مصر إلى القاهِرَة رَحْلٌ على ثمانين حِمارًا .

قال ابنُ خَلِّكان : وبَرْجَوانُ بفَتْح الباء المُوَحَّدَة وسكون الرَّاء وفَتْح الجيم والواو وبعد الألف نون [3]؛ هكذا وَجدته مُقَيَّدًا بخَطِّ بعض الفُضَلاء .

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر : ويُسَمَّى الوَزَغ ، سَمَّاه به الحاكِم [4].

---

a) بولاق : فكان . b) بولاق : زيدان . c) بولاق : عنقه . d) بولاق : فأثخنوه جراحة . e) بولاق : وأمنه وطمنه . f) بولاق : الركابية .

---

[1] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢:٢٥- ٣٠.

[2] المقريزي : مسودة المواعظ ٣٦١- ٣٦٣، اتعاظ الحنفا ٢:٢٥- ٣٠.

[3] ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ : ٢٧١.

[4] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٦٣؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٦٠.

ولم يُحَدِّد المقريزي مكان حارة بَرْجوان وقَصَرَ حديثَه فقط على بَرْجَوان الذي تُنْسَب إليه الحارَة، عِلْمًا بأنّها مَسْقَط رأسه وبها داره (فيما تقدّم ١:٣٧*-٣٩*). وإن كان أشار (فيما تقدم ٢:٢١٩) إلى أنّها كانت تشتمل على المواضع الثلاثة المعروفة بـ : دار برجوان العزيزي ورَحْبَة الأفْيال ودار الضِّيافَة القديمة .

ويَدُلُّ على مَوْضِع هذه الحارة اليوم المنطقة الواقعة تجاه الجامع الأقمر والتي يحدُّها شمالًا جامع سليمان أغا السِّلِحْدار، ويتوسَّطها اليوم شارع بَرْجوان وعَطْفَة بَرْجوان وما يَتَفَرَّع منهما من العُطَف والأزِقَّة. (راجع، ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٦٣- ٦٥؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٦ : ١٤٢؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣ : ٣٥٢؛=

حَارَةُ زَوِيلَة

قال ابنُ عبد الظَّاهِر: لمَّا نَزَلَ القائِدُ جَوْهَرٌ بالقاهِرَة، اختطَّت كلُّ قَبيلَةٍ خِطَّةً عُرِفَت بها. فزَوِيلَة بَنَت الحارَة المعروفة بها، والبِئْر التي تُعْرَف بِئْر زَوِيلَة في المكان الذي تُعمل فيه الرَّوايا الآن[a]، وهي التي اختطَّت البابَيْن المعروفين ببابَيْ زَوِيلَة[b] [١].

٥ وقال ياقُوت: زَوِيلَة ـ بفَتْح الزَّاي وكَسْر الواو وياء ساكنة وفَتْح اللام ـ أربعة مَواضِع:

الأوَّل: زَوِيلَة السُّودان، وهي قَصَبَة من أعْمال فَزَّان في جَنوب إفْريقِيَّة، مَدينَة كثيرة النَّخْل والزَّرْع.

الثَّاني: زَوِيلَة المَهْدِيَّة، بَلَدٌ كالرَّبَضِ للمَهْدِيَّة، اختطَّه عُبَيْد الله الملقَّب بالمَهْدي، وأسكنه الرَّعِيَّة، وسَكَنَ هو بالمَهْدِيَّة التي استَحْدَثَها[c]، فكانت دَكاكِينُ الرَّعِيَّة وأمْتِعَتُهم بالمَهْدِيَّة،

١٠ ومَنازِلُهم وحُرَمُهم بزَوِيلَة، فكانوا يَظَلُّون بالنَّهار في المَهْدِيَّة، ويَبيتون ليلًا بزَوِيلَة. وزَعَمَ المَهْديُّ أنَّه فَعَلَ بهم ذلك ليأمَن غائلَتَهم، قال: أحُولُ بينهم وبين أمْوالِهم لَيْلًا، وبينهم وبين نِسائِهم نَهارًا.

الثَّالِث: بابُ زَوِيلَة بالقاهِرَة من جِهَة الفُسْطاط.

الرَّابع: حارَة زَوِيلَة، مَحَلَّة كبيرة بالقاهِرَة بينها وبين باب زَوِيلَة عِدَّةُ مَحالّ، سُمِّيَت بذلك

١٥ لأنَّ جَوْهَرًا غُلام المُعِزّ لمَّا اختطَّ القاهِرَة[d]، أنْزَل أهْلَ زَوِيلَة بهذا المكان فسُمِّي[e] بهم [٢].

---

a) بولاق: الآن الروايا. b) العبارة في بولاق والمسودة والبابان المعروفان بيابي زويلة، والتصويب من ابن عبد الظاهر. c) بولاق: استجلسها. d) بولاق: اختط محلة بالقاهرة. e) بولاق: فتسمى.

= المقريزي: مسودة المواعظ ٣٦٠-٣٦١؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٤٨:٤). وكلُّ هذه المصادر لم تُحَدِّد أيضًا موضع هذه الحارة.

[١] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٥٨؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٥٧؛ وفيما يلي ٣٣.

[٢] ياقوت: معجم البلدان ١٥٩:٣-١٦٠. ويختلف نَصُّ ياقوت عن ما نقله عنه المقريزي، مما يدلُّ على أنَّه وقف على نسخةٍ أتم أو مخالفة للنسخة التي وصلت إلينا.

ويَدُلُّ على موضع حارة زويله الآن المنطقة التي تُحَدُّ من الشمال بشارع الخُرُنْفُش، ومن الغرب بشارع زَوِيلَة ودَرْب الكُتَّاب، ومن الجنوب بشارع الصَّقالِبَة، ومن الشرق بحارَة اليهود القرائين وحارَة خَميس العَدْس بحي الجمالية. وهذه الحارَة كانت تعرف إلى وقتٍ قريب بحارَة اليهود لأن أغلب سكانها كانوا من اليهود. (راجع، ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٥٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٥٣؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٥٧؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٥٢:٤).

حارَةُ المَحْمُودِيَّة[a]

الصَّوابُ في هذه الحارَة أن يُقال حارَة المَحْمُودِيَّة على الإضافَة ، فإنَّها عُرِفَت بطائِفَةٍ من طَوائِف عَساكِر[b] الدَّوْلَة الفاطِمية كان يُقال لها الطائِفَة المَحْمُودِيَّة . وقد ذَكَرَها المُسَبِّحيُّ/ في تاريخِه مِرارًا ، قال في سنة [c] : وفيها اقْتَتَلَت[d] الطائِفَةُ المَحْمُودِيَّة واليانِسِيَّة .

٥ واشْتَبَه أَمْرُ هذه الحارَة على ابن عبد الظَّاهِر فلم يَعْرِف نِسْبَتَها لمن ، وقال : لا أَعْلَم في الدَّوْلَة المصرية من اسْمُه محمود إلَّا رُكْن الإسْلام محمود بن أُخْت الصَّالِح بن رُزِّيك صاحِب التُّرْبَة بالقَرافَة ، اللَّهم إلَّا أن يكون محمود بن مَصال اللُّكِّي[e] الوَزير ، فقد ذَكَرَ ابنُ القِفْطي أنَّ اسمه محمود ، ومحمود صاحِب المسجِد بالقَرافَة ، وكان في زَمَن السَّرِيّ بن الحَكَم قبل ذلك [1] .

وهذا وَهْمٌ آخَر ، فإنَّ ابن مَصالَ الوَزير اسمه سُلَيْمان[f] ويُنْعَت بنَجْم الدِّين [2] .

١٠ ووَقَعَت في هذه الحارَة نُكْتَةٌ ، قال القاضي الفاضِلُ في «مُتَجَدِّدات» سنة أربعٍ وتسعين وخمس مائة ، والسُّلْطانُ يومئذٍ بمصر الملكُ العَزيزُ عُثْمان بن صَلاح الدِّين : وكان في شَعْبان قد تَتابَعَ أهلُ مصر والقاهِرَة في إظْهار المُنْكَرات وتَرْك الإنْكار لها ، وإباحَة أَهْل الأَمْر والنَّهْي فِعْلَها ، وتَفاحَشَ الأَمْرُ فيها إلى أن غَلا سِعْرُ العِنَب لكثرة من يَعْصِره .

وأُقِيمَت طاحُونٌ بالمَحْمودِيَّة لطَحْن حَشيشَة المِزْر وأُفْرِدَت برَسْمه ، وحُمِيَت بيوت المِزْر وأُقيمَت ١٥ عليها الضَّرائِبُ الثَّقيلة ، فمنها ما انتهى أمْرُه في كلِّ يومٍ إلى ستة عشر دينارًا ، ومُنِعَ المِزْر البَيْتوتي ليتوفَّر الشِّراءُ من مَواضِع الحَمْي ، وحُمِلَت أواني الخَمْر على رُءوس الأَشْهاد وفي الأسْواق من غير مُنْكِرٍ ، وظَهَرَ من عاجِل عُقوبَة الله وُقُوف زِيادَة النِّيل عن مُعتادها ، وزيادَة سِعْر الغَلَّة في وَقْت مَيْسورها [3] .

---

a) بولاق : الحارة المحمودة . b) بولاق : عسكر . c) بياض في النسخ ، وأثبتت بولاق تاريخا خاطئا : أربع وتسعين وخمس مائة ! d) بولاق : اتصلت . e) بولاق : الملكى . f) المسودة : سليم .

---

[1] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٥٢؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٣٥١- ٣٥٢؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٥٣.

ويَدُلّ على موقع الحارة المحمودية الآن المنطقة الواقعة شمال جامع المؤيَّد على يسار الداخل من باب زويلة ويخترقها من الشرق إلى الغرب شارع الإشراقية وعطفة أحمد المحروقي وعطفة أمين بك .

[2] انظر ، ابن ميسر : أخبار مصر ١٤١، Canard, M., *EI*[2] art. *Ibn Maṣāl* I, p. 892.

[3] المقريزي : السلوك ١ : ١٤٢.

حارة الجَوْذَرِيّة

هذه الحارَةُ أيضًا عُرِفَت بالطَّائِفَة الجَوْذَرِيّة ، إحدى طَوائِف العَسْكَر في أيّام الحاكِم بأَمْر الله ، على ما ذَكَرَه المُسَبِّحيّ .

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر : الجَوْذَرِيّة[a] منسوبَةٌ إلى جَماعَةٍ تُعْرَف[b] بالجَوْذَرِيّة[a] اختَطُّوها ، وكانوا أربع مائة [رَجُل][c]، منهم أبو علي مَنْصور الجَوْذَري[a][1] الذي كان في أيّام العَزيز بالله [على الأَحْبَاس][c]، وزادَت مكانَتُه في الأيّام الحاكِمية ، فأُضيفَت إليه مع الأَحْبَاس الحِسْبَةُ وسُوقُ الرَّقيق والسَّواحِل وغير ذلك ؛ [d]وكان يجلس في الصَّاغَة يَحُطُّ المُكُوس[d].

ولها حِكايَةٌ سَمِعْتُ جَماعَةً يحكونها ، وهي أنّها كانت سَكَنَ اليَهود المعروفة بهم ، فبَلَغَ الخَليفَةُ الحاكِمُ أنّهم يجتمعون بها في أوْقات خَلَواتهم ويُغَنُّون :

[مجزوء الرجز]

وأُمَّةٌ قد ضَلُّوا ودينُهم مُعْتَلٌّ
قال لهم نَبِيُّهم نِعْمَ الأِدامُ الخَلُّ

ويَسْخَرون من هذا القَوْل ، ويتعرَّضون إلى ما لا ينبغي سَمَاعَه[e]، فأتى إلى أبوابِها وسَدَّها عليهم ليْلًا وأَحْرَقَها ؛ فإلى هذا الوَقْت لا يَبيتُ بها يَهوديّ ولا يَسْكُنها أبدًا .

وقد كان في الأيّام العَزيزية جَوْذَرُ الصَّقْلَبي أيضًا ، ضُرِبَ عُنُقُه ، ونُهِبَ مالُه في سنة ستٍّ[f] وثمانين وثلاث مائة[2].

---

a) بولاق : جـودر والجودرية وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه. b) الروضة : يعرفون . c) إضافة من الروضة . d-d) إضافة من المسودة والروضة . e) بولاق : ساعة . f) الروضة : سبع .

---

[1] أبو عليّ منصور العزيزي الجَوْذَري صاحب كتاب «سيرة الأستاذ جَوْذَر» (Sezgin, F., *GAS* I, pp. 358-59)، ونشر هذا الكتاب محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة ، القاهرة - دار الفكر العربي ١٩٥٤، ونقله إلى الفرنسية ماريوس كانار Canard, M., *Vie de l'Ustadh Jawdhar (contenant sermons, lettres et rescrits des premiers califes fatimides)*, Algiers 1958. وجَوْذَر خادم المهدي هو الذي تُنْسَب إليه الجَوْذَرِيّة (المقريزي : مسودة المواعظ ٣٥٢) .

[2] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٥٤- ٥٥؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٣٥٢- ٣٥٣؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٣٥٣؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤: ٥١؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٣:١٧٨- ١٧٩.

ويَدُلّ على موقع هذه الحارة المنطقة التي يخترقها اليوم شارع الجودرية وفروعه خَلْف مبنى محكمة باب الخلق .

حـــارةُ الوَزيرِيّة

هي أيضًا تُنسَب إلى طائِفَةٍ يُقالُ لها الوَزيرِيَّة من جملة طَوائِف العَسْكَر. وكانت أوَّلًا تُعْرَف بحارَة بُسْتان المَصْمودي، وعُرِفَت أيضًا بحارَة الأكْراد [١].

قال ابنُ عبد الظَّاهِر: الوَزيرِيَّةُ منسوبةٌ إلى الوَزير يَعْقُوب بن كِلِّس [٢].

وقال ابنُ الصَّيْرَفي: والطَّائِفَةُ المنعوتة بالوَزيرِيَّة إلى الآن منسوبة إليه - يعني الوَزير يَعْقُوب بن يوسُف بن كِلِّس أبو الفَرَج - كان يَهوديًا من أهل بَغْداد، فخَرَجَ منها إلى بلاد الشَّام، ونَزَلَ بمَدينَة الرَّمْلَة وأقامَ بها، فصارَ فيها وَكيلًا للتجَّار بها، واجتمع في قِبَلِه مالٌ عَجَزَ عن أدائِه. ففَرَّ إلى مصر في أيَّام كافُور الإخْشيديّ، فتَعَلَّق بخِدْمَتِه، ومَتَّ[a] إليه بالمَتْجَر، فباعَ إليه أمتعةً أُحيل بثمنها على ضِياع مصر، فكَثُرَ لذلك تَرَدُّده إلى[b] الرِّيف، وعَرَفَ أخبار القُرَى. وكان صاحِبَ حِيَلٍ ودَهاءٍ ومَكْرٍ ومعرفةٍ، مع ذَكاءٍ مُفْرِطٍ وفِطْنَة، فمَهَرَ في معرفة الضِّياع حتى كان إذا سُئِل عن أمْر غِلالِها

---

a) بولاق: ووثب. b) بولاق: على.

---

[١] كانت الحارة الوزيرية تقع جنوب غرب القاهرة الفاطمية، تحتلُّ المنطقة التي تُحَدُّ اليوم من الشمال بسكة اللبودية وشارع الوزير الصاحب، ومن الغرب شارع درب سعادة، ومن الجنوب بالجزء الغربي من سكة النبوية والشمالي من حارة الجودرية ومن الشرق بشارع بيبرس.

[٢] ابن عبد الظاهر: الروضة ٥٢؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٦: ١٤١؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٥٣؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٦٦؛ أبو المحاسن: النجوم ٤: ٥١. وراجع أخبار الوزير ابن كِلِّس عند: ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة ٤٧ - ٥٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٧: ٢٧-٣٥؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ١٦٥- ١٦٧؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٦: ١٤١، ٢٢٦- ٢٢٧؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ١: ٢٦٨- ٢٦٩؛ ومسودة المواعظ ٣٦٧- ٣٧٣؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ١٥٨؛ عماد الدين إدريس: عيون الأخبار ٦: ٢٢٨- ٢٣٣، ٢٤١- ٢٤٢؛ المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ٢٤١؛ فاروق عمر فوزي: «يعقوب بن كِلِّس اليهودي أول وزير للفاطميين في مصر»، مجلة الدراسات الفلسطينية (بغداد ١٩٧٢)؛ أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر ٣٢٠- ٣٢١، ٥٨٤، ٥٩٦؛ Mann, J., *The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid Caliphs*, Oxford 1920, I. pp. 17-19; Fischel, J. W., *Jews in the Economic and Political Life of Mediaeval Islam*, N.Y. 1969, pp. 45-68; Canard, M., *EI*[2] art. *Ibn Killis* III, pp. 864-65; Lev, Y., «The Fatimid vizier Ya'qûb ibn Killis and the Beginning of the Fatimid Administration in Egypt», *Der Islam* 58 (1981), pp. 237-49; al-'Imâd, L. S., *The Fatimid Vizierate 969-1172*, Berlin, Klaus Schwartz, 1990; Bianquis, Th., *Damas et la Syrie sous la domination fatimide*, pp. 157-71.

ومبلغ ارْتِفاعها وسائِر أحْوالِها الظاهِرَة والباطِنَة، أتى من ذلك بالغَرَض. فكَثُرَت أمْوالُه، واتَّسَعَت أحوالُه، وأُعْجِبَ به كافُور لِما خَبَرَ فيه من الفِطْنَة وحُسْن السِّياسَة، فقال: لو كان هذا مُسْلِمًا لصَلُحَ أن يكون وَزيرًا. فلمَّا بَلَغَه هذا عن كافُور، تاقَت نفسُه إلى الوِلايَة، وأَحْضَرَ من عَلَّمَه شَرائِعَ الإسلام سِرًّا [1].

[a]قال ابنُ زولاق[a]: فلمَّا كان في شَعْبان من[b] سنة ستٍّ وخمسين وثلاث مائة [2]، دَخَلَ إلى الجامِع بمصر وصَلَّى صَلاةَ الصُّبْح، ورَكِبَ إلى كافُور ومعه محمد بن عبد الله بن الخازِن في خَلْقٍ كثيرٍ. فخَلَعَ عليه كافُور، ونَزَلَ إلى دارِه ومعه جَمْعٌ كبيرٌ، ورَكِبَ إليه أَهْلُ الدَّوْلَة يُهَنُّونه، ولم يتأخَّر عن الحُضُور إليه أحَدٌ. فغُصَّ بمكانِه الوَزيرُ أبو الفَضْل جَعْفَر بن الفُرات وقَلِقَ بسببه، وأَخَذَ في التَّدْبير عليه ونَصْب الحَبائِل له حتَّى خافَه يعقوب، فخَرَجَ من مصر فارًّا منه يُريد بلاد المغرب في شَوَّال سنة سبعٍ وخمسين، وقد ماتَ كافُور. فلَحِقَ بالمُعِزّ لدين الله أبي تَميم مَعَدّ، فوَقَعَ منه مَوْقِعًا حَسَنًا، وشاهَدَ منه معرفةً وتَدْبيرًا.

فلم يزل في خِدْمَتِه حتى قَدِمَ من المغرب إلى القاهِرَة في شَهر رَمَضان سنة اثْنتين وستين وثلاث مائة، فقلَّدَه في رابع عشر المحرَّم سنة ثلاثٍ وستين الخَراج وجَميع وُجُوه الأمْوال والحِسْبَة والسَّواحِل والأعْشار والجَوالي والأحْباس والمَواريث والشُّرْطَتَيْن، وجَميع ما يَنْضاف[c] إلى ذلك وما يَطْرأ في مصر، وسائِر الأعْمال. وأَشْرَكَ معه في ذلك كلِّه عُسْلوج بن الحَسَن، وكَتَبَ لهما سِجِلًّا قُرِئَ في يوم الجُمُعَة على مِنْبَر جامِع أحمد بن طُولون، فقُبِضَت أيْدي سائِر العُمَّال والمُتَضَمِّنين [3].

وجَلَسَ يَعْقوب وعُسْلوج في دار الإمارَة في جامِع أحمد بن طُولون للنِّداء على الضِّياع وسائِر وُجوه الأمْوال، وحَضَرَ النَّاسُ/ للقَبالات [4]، وطالَبا بالبَقايا من الأمْوال ممَّا على النَّاس من المالكين

a-a) إضافة من مسودة المواعظ. b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: يضاف.

[1] ابن الصيرفي: الإشارة ٤٨، ٥١، ٥٢؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٦٧.

[2] مصدر كل الخبر التالي كما في المسودة: ابن زولاق وانظر فيما تقدم ١: ٤٣٠ وأيضًا اتعاظ الحنفا ١: ١٤٥-١٤٦ حيث حدد المقريزي أنه من كتابه «سيرة المعز لدين الله».

[3] عن نظام الضُّمان انظر أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية ٥١٤-٥١٦.

[4] عن نظام القَبالَة انظر أيمن فؤاد: المرجع السابق ٥١٨-٥٢١، وفيما تقدم ١: ٢١٨- ٢٣٠.

والمُتَقَبِّلين والعُمَّال ، واسْتَقْصَيا في الطَّلَب ، ونَظَرا في المَظالِم [1]. فتَوَفَّرَت الأمْوالُ ، وزِيد في الضِّياع ، وتَزايدَ النَّاسُ وتكاشَفوا ، وامتنعا أن يأْخُذا إلَّا دينارًا مُعِزِّيًّا ، فاتَّضَعَ الدِّينارُ الرَّاضي وانْحَطَّ [إلى نحو ثُلُثي دينار][a] ونَقَص من صَرْفه أكثر من رُبْع دينار ، فخَسِرَ النَّاسُ كثيرًا من أموالهم في الدِّينار الأبيض والدِّينار الرَّاضي . وكان صَرْفُ المُعِزِّي خمسة عشر دِرْهَمًا ونصفًا .

واشتدَّ الاسْتِخْراجُ ، فكان يُسْتَخْرج في اليوم نَيِّف وخمسون ألف دينار مُعِزِّيَّة ، واسْتُخْرِجَ في يومٍ واحد مائة وعشرون ألف دينار مُعِزِّيَّة ، وحَصَلَ في يومٍ واحِدٍ من مال تِنِّيس ودِمْياط والأُشْمُونَيْن أكثر من مائتي ألف دينار وعشرين ألف دينار ، وهذا شيءٌ لم يُسْمَع قَطُّ بمثله في بَلَدٍ [2].

فاستمرَّ الأَمْرُ على ذلك إلى المحرَّم سنة خمسٍ وستين وثلاث مائة ، فتَثَاقَل[b] يَعْقُوبُ عن حُضُور ديوان الخَراج ، وانفردَ بالنَّظَر في أُمُور المُعِزِّ لدين الله في قَصْره وفي الدُّور والموافقة[c] عليها .

وبعد ذلك بقَليل ماتَ المُعِزُّ لدين الله في شهر رَبيع الآخَر منها ، وقامَ من بعده في الخِلافَة ابنُه العَزيزُ بالله أبو مَنْصور نِزار ، ففَوَّضَ ليَعْقُوب النَّظَر في سائِر أُمُوره ، وجَعَلَه وَزيرًا له في أوَّل المحرَّم سنة سبعٍ وستين وثلاث مائة .

وفي شهر رَمَضان سنة ثمانٍ وستين لَقَّبَه بـ«الوَزير الأَجَلّ» ، وأَمَرَ ألَّا يُخاطِبَه أحَدٌ ولا يُكاتِبَه إلَّا به ، وخَلَعَ عليه وحُمِل [3]. ورَسَمَ له في المحرَّم سنة ثلاثٍ وسبعين وثلاث مائة أن يبدأَ في مُكاتَباتِه باسمه على عُنْوانات الكُتُب النافِذَة عنه ، وخَرَجَ تَوْقيعُ العَزيز بذلك [4].

وفي هذه السَّنَة اعْتُقِلَ في القَصْر ، ورُدَّ الأَمْرُ إلى جَبْرِ بن القاسِم [5]، فأقامَ معتقلًا عِدَّةَ شهور ، ثم أُطْلِقَ في سنة أربعٍ وسبعين ، وحُمِلَ على عِدَّة خُيُول ، وقُرِئَ سِجِلٌّ بردِّه إلى [ما كان له من][d]

---

a) زيادة من ابن ميسر . b) بولاق : تشاغل ، المسودة : تنازل . c) بولاق : الموافق . d) زيادة من الإشارة لابن الصيرفي مصدر هذه المعلومات .

---

[1] ابن ميسر : أخبار مصر ١٦٣؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٣٦٩ واتعاظ الحنفا ١: ١٤٤–١٤٥ وفيما تقدم ١: ٢١٨ ، وفيما يلي ٢: ٢٦٩؛ ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ١٢٧.

[2] ابن ميسر : أخبار مصر ١٦٤؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ١: ١٤٦–١٤٧ ومسودة المواعظ ٣٧٠؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ١٤٦– ١٤٨.

[3] ابن الصيرفي : الإشارة ٤٩؛ أيمن فؤاد : المرجع السابق ٣٢٠.

[4] نفسه ٤٩.

[5] انظر عنه ، ابن الصيرفي : الإشارة ٥٣.

تَدْبير الدَّوْلَة، ووَهَبَه خمس مائة غُلام من الناشِئة وألف غُلام من المغاربة مَلَّكه العَزيز رِقابَهم.

فكان يَعْقُوبُ أوَّلَ وُزَرَاء الخُلَفَاء الفاطِميين بديار مصر، فدَبَّر أمُورَ مصر والشَّامات والحَرَمَيْن وبلاد المغرب، وأعْمَال هذه الأقاليم كلّها من الرِّجال والأمْوال والقَضَاء والتَّدْبير، وعَمِلَ له إقْطاعًا في كلِّ سنةٍ بمصر والشَّام مبلغها ثلاث مائة ألف دينار، واتَّسعَت دائِرَتُه، وعَظُمَت مكانَتُه حتى كَتَبَ اسمه على الطُّرز وفي الكُتُب.

وكان يجلس كلَّ يوم في داره يَأْمُر وينْهى، فلا يُرْفَع إليه رُقْعَة إلا وَقَّع فيها، ولا يُسْأَل في حاجةٍ إلَّا قَضَاها. ورَتَّبَ في داره الحُجَّاب نُوَبًا على مَراتِب[a]، وألْبَسَهُم الدِّيباج وقلَّدهم السُّيوف، وجَعَلَ لهم المَناطِق، ورَتَّب في دارِهِ فَرَسَيْن للنَّوْبَة لا تَبْرَح واقِفَةً بسُروجها ولُجُمها لُمِهمٍّ يَرِد[b].

ونَصَبَ في داره الدَّواوين: فجَعَلَ ديوانًا للعَزيزية فيه عِدَّةُ كُتَّاب، ودِيوانًا للجَيْش فيه عِدَّةُ كُتَّاب، ودِيوانًا للأمْوال فيه عِدَّةُ كُتَّاب، [c]وديوانًا للسّجِلَّات والإنْشَاء وديوانًا للعَجَم وديوانًا للعُلوفات فيه عِدَّةُ كُتَّاب[c] وعِدَّةُ جَهابِذَة، وديوانًا للخَراج، وديوانًا للمُسْتَغَلَّات، وأقامَ على هذه الدَّواوين زِمامًا. وجَعَلَ في دارِه خِزانَةً للكُسْوَة، وخِزانَةً للمال، وخِزانَةً للدَّفاتِر، وخِزانَةً للأَشْرِبَة، وعَمِلَ على كلِّ خِزانَةٍ ناظِرًا.

وكان يَجْلِسُ عنده في كلِّ يوم الأطِبَّاءُ لينظروا في حالِ الغِلْمان، ومن يحتاج منهم إلى عِلاج أو إعْطاء دَوَاء، ورَتَّب في داره الكُتَّاب والأطِبَّاء يقفون بين يديه، وجَعَلَ فيها العُلَماء والأُدَبَاء والشُّعَراء والفُقَهَاء والمتكلِّمين وأرْباب الصَّنائع، لكلِّ طائِفَة مكان مفرد، وأجرى على كلٍّ منهم الأرْزَاق.

وألَّفَ كُتُبًا في الفِقْه والقِراءَات، ونَصَبَ له مَجْلِسًا في دارِه يحضره في كلِّ يوم ثلاثاء، ويحضر إليه الفُقَهاءُ والمتكلِّمون وأهلُ الجَدَلِ يتناظَرون بين يَدَيْه. فمن تآليفه كِتابٌ في القرآن[d]، وكِتابٌ في الأدْيان ـ وهو كِتابُ الفِقْه واخْتَصَرَه ـ وكِتابٌ في آداب رَسُول الله ﷺ، وكِتابٌ في عِلْم الأبْدان وصَلاحِها في ألف وَرَقَة، وكِتابٌ في الفِقْه مِمَّا سمعه من الإمام المُعِزّ لدين الله والإمام العَزيز بالله.

وكان يَجْلِسُ في يوم الجُمُعَة أيضًا، ويَقْرأ مصنَّفاتِه على النَّاس بنفسه، وفي حَضْرَته القُضَاةُ والفُقَهاءُ والقُرَّاءُ وأصْحابُ الحَديث والنُّحاةُ والشُّهُود. فإذا فَرَغَ من قِراءَة ما يقرأ من مُصَنَّفاتِه، قامَ الشُّعراءُ يُنْشِدون مَدائِحَهُم فيه.

---

a) بولاق: وأجلسهم على مراتب. b) بولاق: لهم برد. c-c) ساقطة من بولاق. d) بولاق: القراءات.

وكان في دارِه عِدَّةُ كُتَّاب يَنْسَخون القُرْآن الكريم والفِقْه والطِّبّ وكُتُب الأدَب وغيرها من العُلُوم، فإذا فَرَغوا من نَسْخِها قُوبِلَت وضُبِطَت. وجَعَلَ في دارِه قُرَّاءَ وأَئِمَّةً يُصَلُّون في مَسْجد دارِه، وأقامَ بدارِه عِدَّةَ مَطابِخ لنفسه ولجُلَسائِه ولغِلْمانِه وحَواشِيه.

وكان يَنْصُبُ مائِدَةً لخاصَّتِه يأكل هو وخَواصُّه من أهل العِلْم ووجُوهُ كُتَّابه وخَواصُّ غِلْمانه ومن يَسْتَدْعيه عليها، ويَنْصُب عِدَّة مَوائِد لبقيَّة الحُجَّاب والكُتَّاب والحَواشي. ٥

وكان إذا جَلَسَ لقِراءَة كِتابِه[a] في الفِقْه الذي سمعه من المُعِزّ والعَزيز، لا يُمْنَع أحَدٌ من مَجْلسه، فيجتمع عنده الخاصُّ والعامُّ. ورَتَّب عند العَزيز بالله جَماعَةً لا يُخاطَبون إلّا بالقائِد، وأنشأ عِدَّةَ مَساجِد ومَساكِن بمصر والقاهِرَة.

وكان يُقيمُ في شهر رَمَضان الأطْعِمَة للفُقَهَاء ووُجُوه النَّاس وأهْل السَّتْر والتَّعَفُّف، ولجَماعَةٍ كثيرةٍ من الفُقَراء. وكان إذا فَرَغَ الفُقَهاءُ والوُجُوهُ من الأكْل معه يُطافُ عليهم بالطِّيب. ١٠

ومَرِضَ مَرَّةً من عِلَّةٍ أصابَت يَدَه، فقال فيه عبد الله بن محمَّد بن أبي الجُوع[b] [1]:

[البسيط]

/يَدُ الوَزير هي الدُّنْيا فإن أَلِمَت	رأيتَ في كلِّ شيءٍ ذلك الأَلَما
تأمَّل المُلْك وانْظُر فَرْطَ عِلَّتِه	من أَجْلِه، واسألِ القِرْطاسَ والقَلَما
وشاهِد البِيضَ في الأغْمادِ حائِمَةً	إلى العِدا، وكثيرًا ما رَوَيْن دَمَا ١٥
وأَنْفُس النَّاسِ بالشَّكْوى قد اتَّصَلَت	كأنَّما أُشْعِرَت من أجْلِه سِقَما
هل ينهضُ المَجْدُ إلَّا أن يُؤَيِّده	ساقٌ يُقَدِّم في إنْهاضِه قَدَما؟
لولا العَزيزُ وآراءُ الوَزير معًا	تَحَيَّفَتْنا خُطوبٌ تَشْعَب الأُمَما
فقُلْ لهذا وهذا أنْتُما شَرَفٌ	لا أَوْهَنَ الله رُكْنَيْه ولا انْهَدَما
كِلاكُما لم تَزَل في الصَّالِحات يَدًا	مَبْسُوطَةً ولِسانًا ناطِقًا وفَمَا ٢٠
ولا أصابَكُما أحْداثُ دَهْرِكُما	ولا طُوِيَ لكما ما عِشْتُما عَلَما
ولا انْمَحَت عنك يا مَوْلاي عافِيَةٌ	فقد مَحَوْتَ بما أوْلَيْتني العَدَما

a) بولاق: يقرأ كتابه. b) بولاق: ابن أبي الجرع.

[1] أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي الجُوع الأديب الوَرَّاق. كان مَليح الخطّ جَيِّد الضَّبط وخطُّه مرغوبٌ فيه، أدْرَك المُتَنَبّي وأيام كافور ووَصَلَ إليه من العزيز بالله وابنه الحاكم بأمر الله جملةٌ كبيرةٌ على الوِراقَة، وكان له تَحَقُّق باللغة والنحو والبلاغة وقول الشِّعر، وتوفي بمصر سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م. (ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤: ٣٧٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٧:٥٢٧).

وكان النَّاسُ يُفْتون بكِتابِه في الفِقْه، ودَرَسَ فيه الفُقَهاءُ بجامِع مصر، وأجرى العَزيزُ بالله لجَماعَةِ فُقَهاءَ يحضرون مَجْلس الوَزير أرْزاقًا في كلِّ شهر تَكْفيهم.

وكان للوَزير مَجْلِسٌ في دارِه للنَّظَر في رِقاعِ المُرافِعِين والمتظلِّمين، ويُوقِّع بيده في الرِّقاع، ويُخاطِب الخُصُوم بنفسه.

وأرادَ العَزيزُ بالله أن يُسافِر إلى الشَّام في زَمَن ابتداء الفاكِهة، فأَمَرَ الوَزيرَ أن يأخُذ الأُهْبَة لذلك، فقال: يا مَوْلاي لكلِّ سَفَرٍ أُهْبة على مِقْدارِه، فما الغَرَضُ من السَّفَر؟ فقال: إنِّي أُريدُ التَّفَرُّج بدِمَشْق لأكْل القَراصْيا. فقال: السَّمْع والطَّاعَة.

وخَرَجَ فاستدعى جَميعَ أرْباب الحَمَام، وسألهم عَمَّا بدِمَشْق من طُيور مصر وأسماء من هي عنده - وكانت مائة ونيِّفًا وعشرين طائِرًا - ثم الْتَمَسَ من طُيور دِمَشْق التي هي في مصر عِدَّة، فأحضرها، وكَتَبَ إلى نائِبه بدِمَشْق يقول: إنَّ بدِمَشْق كذا وكذا طائِرًا، وعرَّفه أسماء من هي عنده، وأَمَرَه بإحْضارِها إليه جَميعها، وأن يَصُرّ[a] من القَراصْيا في كلِّ كاغَدَة، ويشدّها على كلِّ طائِر منها، ويُسَرِّحها في يومٍ واحد.

فلم يَمْض إلَّا ثلاثة أيام أو أربعة حتى وَصَلَت الحَمائِم كلُّها، ولم يتأخَّر منها إلَّا نحو عَشْر، وعلى جَناحِها القَراصْيا. فاستخرجها من الكَواغِد، وعَمِلَها في طَبَقٍ من ذَهَب وغَطَّاها، وبَعَثَ بها إلى العَزيز بالله مع خادِم، ورَكِبَ إليه وقَدَّم ذلك، وقال: يا أمير المؤمنين قد حَضَرنا قُبالك القَراصْيا ههنا، فإن أغْناكَ هذا القَدْر وإلَّا اسْتَدْعَيْنا شيئًا آخر. فعَجِبَ العَزيزُ بالوَزير، وقال: مِثْلُك يَخْدم الملوكَ يا وَزير.

واتَّفَقَ أنَّه سابَقَ العَزيز بين الطُّيُور، فسَبَقَ طائِرُ الوَزير يَعْقُوب طائِر العَزيز. فشَقَّ ذلك على العَزيز، ووَجَد أعْداءُ الوَزير سَبيلًا إلى الطَّعْن فيه، فكَتَبُوا إلى العَزيز «أنَّه قد اخْتار من كلِّ صِنْفٍ أعْلاه، ولم يترك لأمير المؤمنين إلا أدْناه حتَّى الحَمَام». فبَلَغَ ذلك الوَزيرُ، فكَتَبَ إلى العَزيز:

[السريع]

قُلْ لأميرِ المؤمنين الذي	له العُلَى والمَثَلُ الثَّاقِب
طائِرُك السَّابِقُ لكنَّه	لم يأتِ إلَّا وله حاجِب

فأَعْجَبَ العَزيزَ ذلك، وأَعْرَض عمَّا وُشِيَ به.

---

a) بولاق: يصيب.

ولم[1] يَزَلْ على حال رَفِيعَةٍ وكَلِمَةٍ نافِذَةٍ إلى أن ابتدأت به عِلَّتُه يوم الأحد الحادي والعشرين من ذي القعدة[a] سنة ثَمانين وثلاث مائة ، ونَزَلَ إليه العَزيزُ بالله يَعودُه ، وقال له : وَدِدْتُ أنَّك تُباع فأبْتاعَك بمالي ، أو تُفْدَى فأفْديك بوَلَدي ، فهل من حاجَةٍ تُوصي بها يا يعقوب؟ فبكى وَقَبَّلَ يده ، وقال : أمَّا فيما يَخُصُّني فأنت أرْعَى بحَقِّي من أن أسْتَرْعيك إيَّاه ، وأرْأفُ عليَّ من أن أُوَصِيك به . ولكنّي أنْصَحُ لك فيما يتعلَّق بك وبدَوْلَتِك : سالِم الرُّوم ما سالَموك ، واقْنَع من الحَمْدانِيَّة بالدَّعْوَة والسِّكَّة ، ولا تُبْقِ على مُفَرِّج بن دَغْفِل إن عَرَضَت لك فيه فُرْصَة . وانْصَرَفَ العَزيزُ ، فأَخَذَتْه السَّكْتَة . وكان في سِياق الموت يقول : «لا يَغْلِبُ الله غالِبٌ» .

ثم قَضَى نَحْبَه ليلة الأحد لخَمْسٍ خَلَوْن من ذي الحِجَّة ، فأَرْسَلَ العَزيزُ بالله إلى داره الكَفَن والحَنُوط ، وتولَّى غُسْله القاضي محمد بن النُّعْمان ، وقال : كنت والله أَغْسِل لِحْيَتَه وأنا أَرْفُق به خَوْفًا أن يَفْتَح عينه في وَجْهي . وكُفِّنَ في خمسين ثَوْبًا بَيْنَ مُثْقَلٍ[b] - يعني مَنْسوجًا بالذَّهَب - ووَشْيٍ مُذَهَّب وشَرْبٍ دَبيقي مذهَّبًا وحُقَّة كافُور وقارورتَيْ مِسْك ، وخمسين مَنًّا ماءَ وَرْد ؛ وبَلَغَت قيمةُ الكَفَن والحَنُوط عشرة آلاف دينار .

وخَرَجَ مُخْتَارُ الصَّقْلَبي[c] وعليُّ بن عُمَر العَدَّاس والرجالُ بين أيديهم يُنادون : لا يتكلَّم أحَدٌ ولا يَنْطِق . وقد اجْتَمَعَ النَّاسُ فيما بين القَصْر ودار الوَزير التي عُرِفَت بدار الدِّيباج . ثم خَرَجَ العَزيزُ من القَصْر على بَغْلَة ، والنَّاسُ يَمْشون بين يَدَيْه وخَلْفَه بغير مِظَلَّة والحُزْن ظاهِرٌ عليه ، حتى وَصَلَ إلى داره ، فنَزَلَ وصَلَّى عليه وقد طُرِحَ على تابُوته ثَوْبٌ مُثْقَل ، ووَقَفَ حتى دُفِنَ بالقُبَّة التي كان بناها وهو يبكي ، ثم انْصَرَف . وسُمِعَ العَزيزُ وهو يقول : واطولَ/ أَسَفي عليك يا وَزير ، والله لو قَدَرْتُ أفْديكَ بجَميع ما أمْلِك لفَعَلْت .

وأَمَرَ بإجراء غِلْمانِه على عادَتهم ، وعَتَقَ جَميعَ مماليكه ، وأقامَ ثلاثًا لا يأْكُل على مائِدَتِه ، ولا يَحْضُرُها مَنْ عادته الحُضُور .

وعُمِلَ على قَبْره ثَوْبان مُثْقلان ، وأقامَ النَّاسُ عند قَبْره شَهْرًا ، وغَدا الشُّعَراءُ إلى قَبْره ، فرَثاهُ مائة شاعِرٍ أُجيزوا كُلّهم .

---

a) بولاق والنسخ : شوال والتصويب من المسودة . b) بولاق : ثلاثين مثقلا وهو تصحيف والتصويب من المسودة . c) المسودة : العزيزي .

---

[1] مصدر المعلومات التالية كما في المسودة هو المؤرخ المُسَبِّحي .

وبَلَغَ العَزيزَ أنَّ عليه ستة عشر ألف دينار دَيْنًا، فأَرْسَلَ بها إلى قَبْره، فوُضِعَت عليه، وفُرِّقَت على أرْبابِ الدُّيون، وألزم القُرَّاء بالمُقام على قَبْره، وأَجْرَى عليهم الطَّعام. وكانت المَوائِدُ تُحْضَر إلى قَبْرِه كلَّ يوم مُدَّة شهر، وتحضر[a] نِساءُ الخاصَّة كلّ يوم ومعهن نِساءُ العامَّة، فتقوم الجَواري بأَقْداح الفِضَّة والبِلَّوْر ومَلاعِق الفِضَّة، فتَسقي[b] النِّساء الأشربة والسَّوِيق بالسكر، ولم تتأخَّر نائِحَةٌ ولا لاعِبَةٌ عن حُضُور القَبْر مُدَّة الشهر. ٥

وخَلَّفَ أمْلاكًا وضِياعًا [c]ما بين[c] قياسِرَ ورِباع، وعَيْنًا ووَرِقًا، وأواني ذَهَبًا وفِضَّة وجَوْهَرًا وعَنْبَرًا وطِيبًا وثيابًا، وفَرْشًا ومَصاحِفَ وكُتُبًا، وجَواري وعَبيدًا، وخَيْلًا وبِغالًا ونُوقًا وحُمُرًا وإبِلًا وغِلالًا، وخَزائِنَ ما بين أَشْرِبَة وأطعمة قُوِّمَت بأربعة آلاف ألف دينار، سوى ما جَهَّزَ به ابنته وهو ما قيمته مائتا ألف دينار. وخَلَّف ثمان مائة حَظِيَّة سوى جَواري الخِدْمَة. فلم يتعرَّض العَزيزُ لشيءٍ ممَّا يملكه أهْلُه وجَواريه وغِلمانُه، وأَمَرَ بحِفْظ جِهاز ابنته إلى أن زَوَّجَها [1]، وأجرى لمن في ١٠ دارِه كلَّ شهر ستّ مائة دينار للنَّفَقَة، سوى الكُسْوَة والجِرايات وما يُحْمَل إليهم من الأَطْعِمَة من القَصْر، وأَمَرَ بنَقْل ما خَلَّفه إلى القَصْر. فلمَّا تَمَّ له من يوم وَفاتِه شهرٌ أَقْطَعَ الأميرَ مَنْصور بن العَزيز جَميعَ مستغلَّاته [2].

وأَقَرَّ العَزيزُ جَميعَ ما فَعَلَه الوَزيرُ وما وَلَّاه من العُمَّال على حالِه، وأجرى الرُّسُومَ التي كان يُجْريها، وأَقَرَّ غِلْمانَه على حالِهم وقال: هؤلاء صَنائِعي ـ وكانت عِدَّةُ غِلْمان الوَزير أربعة آلاف ١٥ غلام عُرِفوا بالطَّائِفَة الوَزيريَّة ـ وزادَ العَزيزُ أرزاقَهم عمَّا كانت عليه وأدْناهم. وإليهم تُنْسَب الوَزِيريَّة، فإنَّها كانت مَساكِنَهم.

واتَّفَقَ أنَّ الوَزيرَ عَمَّرَ قُبَّةً أَنْفَقَ عليها خمسة عشر ألف دينار. وآخر ما قال: لقد طالَ أمْرُ هذه القُبَّة ما هذه قُبَّة، هذه تُرْبَة! فكانت كذلك، ودُفِنَ تحتها. ومَوْضِعُ قَبْرِه اليوم المَدْرَسَة الصَّاحِبِيَّة [3]. ٢٠

---

a) بولاق: يحضر. b) بولاق: فيسقين. c-c) ساقطة من بولاق.

---

[1] في مسودة المواعظ ٣٧٢: «إلى أن تزوَّجت بياروخ التركي ـ أحد مماليك العزيز ـ على صَداقٍ مبلغه عشرة آلاف دينار وعَقَدَ عليه في القصر».

[2] المقريزي: مسودة المواعظ ٣٧٠-٣٧٢ ومصدره فيها: المُسَبِّحي.

[3] انظر فيما يلي ٢: ٣٧١.

واتَّفَقَ أنّه وُجِدَ في دارِه رُقْعَةٌ مَكْتوبٌ فيها :

[الرمل]

احْذَروا من حَوادِثِ الأزْمانِ وتَـوَقَّـوا طَـوارِقَ الحَدَثـانْ
قد أَمِنتُم رِيَبَ الزَّمانِ ونِمْتُم رُبَّ خَوْفٍ مُكَمَّنٍ في الأمانْ

فلمَّا قرأها قال : لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا بالله العَليّ العَظيم . ولم يَلْبَث بعدها إلّا أيّامًا يَسيرَةً ٥ ومَرِضَ فمات .

حَـارَةُ البَاطِليّـة

عُرِفَت بطَائِفَةٍ يُقالُ لهم الباطِليّة ، قال ابنُ عبد الظَّاهِر : وكان المُعِزُّ لمَّا قَسَم العَطَاءَ في النَّاس ، جاءَت طائِفَةٌ فسأَلَت عَطاءً ، فقيل لها فَرُغَ ما كان حاضِرًا ولم يبق شيءٌ ، فقالوا : رُحْنا نحن باطِل[a] فسُمُّوا الباطِليّة ، وعُرِفَت هذه الحارَةُ بهم[1] . ١٠

وفي سنة ثلاثٍ وستين وستّ مائة احْتَرَقَت حارَةُ الباطِليّة ، عندما كَثُرَ الحَريقُ في القاهِرَة ومصر ، واتُّهِم النَّصَارَىٰ بفعل ذلك[2] . فجَمَعَهم الملكُ الظَّاهِرُ بَيْبَرْس ، وحُمِلَت لهم الأحْطابُ الكثيرة والحَلْفاء ، وقُدِّموا ليُحْرَقوا بالنَّار . فتَشَفَّع لهم الأميرُ فارِس الدِّين أَقْطاي أتابِك العَساكِر ، على أن يلتزموا بالأموال التي احْتَرَقَت ، وأن يَحْمِلوا إلى بَيْت المال خمسين ألف دينار ، فتُرِكُوا .

وجَرَى في ذلك ما يُسْتَحْسَن حكايته ، وهو أنّه قد جُمِعَ مع النَّصارى سائِرُ اليَهود ، ورَكِبَ ١٥ السُّلْطانُ ليَحْرِقَهم بظاهِر القاهِرَة ، وقد اجتمع النَّاسُ من كلّ مَكانٍ للتشفّي بحَريقِهم لما نالَهم من البَلاء فيما دُهُوا به من حَريق الأماكِن ، لاسيما الباطِليّة فإنّها أَتَت النَّارُ عليها حتى خَرِبَت[b]

a) بولاق : رحنا نحن في الباطل ، ابن أيبك وابن دقماق : الحق باطل . b) بولاق : حرقت .

[1] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٤٢؛ وانظر كذلك ابن أيبك : كنز الدرر ٦: ١٤٠–١٤١؛ ابن دقماق : الانتصار ٥: ٣٧؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٣٥١؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٣٤٩؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٤: ٤٦.

ويَدُلُّ على موضع هذه الحارة اليوم شارع الباطنية وحارة الباطنية شرقي الجامع الأزهر.

[2] انظر تفصيل خبر هذا الحريق عند مفضل بن أبي الفضائل : النهج السديد *Patr. Or.* XII (1919) pp. 475-77؛ النويري : نهاية الأرب ٣٠: ١١٤؛ المقريزي : السلوك ١: ٥٣٥.

ولم يذكر المقريزي خَبَرَ حَريق الباطِليّة في مُسَوَّدَة المواعظ ، واكتفى بقوله : قال كاتِبُه : واحترقت الباطِليّة ، وتَرَك بعد ذلك بياضًا استدركه في المُبَيَّضَة .

بأسْرِها. فلمَّا حَضَرَ السُّلْطانُ، وقُدِّمَ اليَهودُ والنَّصارَىٰ ليُحْرَقوا، بَرَزَ ابنُ الكازَرُوني اليَهودي - وكان صَيْرَفيًا - وقال للسُّلْطان: سألْتُك بالله لا تَحْرِقْنا مع هؤلاء الكِلاب الملاعين أعْدائِنا وأعْدائِكم، أَحْرِقْنا ناحيةً وَحْدَنا. فضَحِكَ السُّلْطانُ والأُمَراء، وحينئذٍ تَقَرَّر الأمْرُ على ما ذُكِرَ، فنُدِبَ لاستخراج المال منهم الأميرُ سَيْفُ الدِّين بَلَبان المَهْراني، فاسْتَخْلَص بعض ذلك في عِدَّة سنين. وتطاوَل الحالُ فدَخَلَ كُتَّابُ الأُمَراء مع مَخادِيمِهم، وتحيَّلوا في إبطال ما بقي، فبَطَل في أيام السَّعيد بن الظَّاهِر.

وكان سَبَبُ فِعْل النَّصارىٰ لهذا الحَريق حِنقَهم لمَّا أخَذَ الظَّاهِرُ من الفِرنْج أَرْسُوف وقَيْسارِيَّة وطَرابُلُس ويافا وأنْطاكية [1].

وما زالَت الباطِلِيَّةُ خَرابًا، والنَّاسُ تَضْرب بحريقها المَثَل لمن يَشْرَبُ الماءَ كثيرًا فيقولون: كأنَّ في باطِنِه حَريقَ الباطِلِيَّة.

ولمَّا عَمَّرَ الطَّواشيُّ بَهادُر المُقَدَّم دارَه بالباطِلِيَّة، عَمَّر فيها مَواضِعَ بعد سنة خمسٍ وثمانين وسبع مائة [2].

حَــارةُ الــرُّوم

قال ابنُ عبد الظَّاهِر: واختطَّت الرُّومُ حارَتين: حارَة الرُّوم الآن [المشهورة][a]، وحارَةُ الرُّوم الجُوَّانِيَّة [b]وهي التي تَقْرُب من باب النَّصْر على يسار الدَّاخل منه[b]. فلمَّا [b]صارَ النَّاسُ يقولون حارَة الرُّوم البَرَّانِيَّة وحارَة الرُّوم الجُوَّانِيَّة[b]، ثَقُلَ ذلك عليهم فقالوا: «الجُوَّانِيَّة» لا غير. والوَرَّاقون إلى هذا الوَقْت يكتُبون حارَة الرُّوم السُّفْلى وحارَة الرُّوم العُلْيا المعروفة بالجُوَّانِيَّة [3].

---

a) زيادة من ابن عبد الظاهر. b-b) ساقطة من بولاق.

---

[1] انظر ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٢٣٥- ٢٣٩.

[2] فيما يلي ٢٤٤.

[3] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٢١؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٥٠؛ وانظر كذلك، ابن أيبك: كنز الدرر ٦: ١٤١؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٥٥؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٤٢؛ وفيما يلي ٣٧. وما تزال حارة الرُّوم البَرَّانِيَّة معروفة إلى الآن بحارة الرُّوم داخل باب زَوِيلَة على يمين الدَّاخِل منه خَلْف السُّكَّرِيَّة، وبها دَيْرُ الأمير تادرس. أمَّا الحارَةُ الجُوَّانِيَّة فمازالت أيضًا تحمل نفس الاسم وهي خلف باب النَّصْر بشارع الجمالية على يسار الداخل منه (فيما يلي ٣٧-٣٨).

وفي سابع عشر ذي الحِجَّة سنة تسعٍ وتسعين وثلاث مائة ، أَمَرَ الخَليفَةُ الحاكِمُ بأَمْر الله بهَدْم حارَة الرُّوم ، فهُدِمَت ونُهِبَت .

حَـارَةُ الدَّيْـلَم

عُرِفَت بذلك لنُزول الدَّيْلَم الواصِلين مع أَفْتكين[a] الشَّرابِي [1] ، حين قَدِمَ ومعه أَوْلاد/ مَوْلاه مُعِزّ الدَّوْلَة البُوَيْهي وجَماعَة من الدَّيْلَم والأتراك ، في سنة ثمانٍ وستين وثلاث مائة ، فسَكَنوا بها فعُرِفَت بهم [2] .

وأَفْـتَكين هذا يُقالُ له أَفْتَكين أبو مَنْصور التركي الشَّرابي [3] ، غُلامُ مُعِزّ الدَّوْلَة أحمد بن بُوَيْه ، ترقَّى في الخِدَم حتى غَلَبَ في بَغْداد على عِزّ الدَّوْلَة بَخْتَيار[b] بن مُعِزّ الدَّوْلَة ، وكان فيه شَجاعَةٌ وثَباتٌ في الحَرْب .

فلمَّا سارَت الأَتْراكُ من بَغْداد لحَرْب الدَّيْلَم ، جَرَى بينهم قِتالٌ عَظيمٌ اشتهر فيه أَفْتَكين ، إلَّا أنَّ أصحابَه انْهَزَمَوا عنه وصارَ في طائِفَةٍ قَليلة ، فوَلَّى بمن معه من الأَتْراك وهم نحو الأربع مائة ، فسارَ

---

a) بولاق والنسخ : هفتكين والتصويب من المسودة وتكرر التصحيف في كل مرة يذكر فيها اسم أفتكين فيما يلي . b) بولاق : مختار .

---

[1] حاشية بخط المؤلِّف : «الدَّيْلَمُ الجماعة من كلِّ شيء ، قال عَنْتَرة :

خلَّت بأرض الزَّائرين فأَصْبَحَت زَوْراءَ تَنْفي عن حِياضِ الدَّيْلَم

أي عَداوة كعَداوة الدَّيْلَم ، والدَّيْلَم : الجماعة» .

[2] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٢٢؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٣٥٣؛ وانظر كذلك ، ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ١٤١؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٥٤؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٤٣.

ويَشْغَل موقع هذه الحارة الآن : حارةُ الكحكيين ودَرْب الأتراك وحارة الحمَّام وعَطْفَة السّباعي ودَرْب لوليَّة وحارَة خُوش قَدَم جنوب غرب الجامع الأزهر في الجهة البحرية لجامع الفاكهين ، ويوجد داخل حارة خوش قدم زُقَاق يعرف بحَبْس الدَّيْلَم .

وراجع عن الدَّيْلَم واستعانة الخليفة الفاطمي العزيز بالله بهم Lev, Y., «Army, Regime, and Society in Fatimid Egypt, 358-487/ 968-1094», *IJMES* 19 (1987), pp. 343-45؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٦٦٤-٦٦٧.

[3] عن أَفْتكين أو أَلْبتكين التركي الذي يرد كذلك هَفْتكين - كما عند الذهبي في سير أعلام النبلاء وفي بعض نُسَخ الخِطَط - راجع ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ١١-٢١؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤ : ٥٣-٥٤ في ترجمة عضد الدولة؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٦ : ٣٠٧-٣٠٨؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ١ : ٢١٨-٢٢٢، ٢٣٨-٢٥٠؛ Bianquis, Th., *Damas et la Syrie sous la domination fatimide*, pp. 90-127.

إلى الرُّحْبَة ، وأَخَذَ منها على البَرّ إلى أن قَرُبَ من جُوسِيَة[a][1] ـ إحدى قُرَى الشَّام ـ وقد وَقَعَ في قُلُوب الغُرْبان منه مَهابَة .

فخَرَجَ إليه ظالِمُ بن مَوْهُوب العُقَيْلي من بَعْلَبَك ، وبَعَثَ إلى أبي محمود إبراهيم بن جَعْفَر ، أمير دِمَشْق من قِبَل الخَلِيفَة المُعِزّ لدين الله ، يُعْلمه بقدوم أَفْتَكِين من بَغْداد لإقامَة الخُطْبَة العبَّاسية وخَوَّفَه منه . فأَنْفَذَ إليه عَسْكرًا وسارَ إلى ناحية جُوسِيَة[a] يريد أَفْتَكِين ، وسار بشارَة الخادم من قِبَل أبي المعالي بن حَمْدان عَوْنًا لأَفْتَكِين ، فردَّ ظالِم إلى بَعْلَبَك من غير حَرْب ، وسارَ بَشارَة بأَفْتَكِين إلى حِمْص ، فحَمَلَ إليه أبو المعالي ، وتلقَّاه وأكرمه .

وكان قد ثارَ بدِمَشْق جَماعَةٌ من أَهْل الزَّعارة والفَساد[2] ، وحارَبوا عُمَّال السُّلْطان ، واشْتَدَّ أَمْرُهم ، وكان كبيرُهم يُعْرف بابن الماوَرْد . فلمَّا بَلَغَهم خَبَرُ أَفْتَكِين بَعَثُوا إليه من دِمَشْق إلى حِمْص يستدعونه ، ووَعَدوه بالقِيام معه على عَساكِر المُعِزّ وإخراجِهم من دِمَشْق لِيَلِيَ عليهم . فوَقَعَ ذلك منه بالموافَقَة ، وصارَ حتى نَزَلَ بثَنِيَّة العُقاب[3] لأيَّامٍ بقيت من شَعْبان سنة أربعٍ وستين وثلاث مائة .

فبَلَغَ عَسْكَرَ المُعِزّ خَبَرُ الفِرِنْج ، وأنَّهم قد قَصَدَوا طَرابُلُس ، فسارُوا بأجمعهم إلى لقاءِ العَدُوّ . ونَزَلَ أَفْتَكِين على دِمَشْق من غير حَرْبٍ فأقامَ أيامًا ، ثم سارَ يُرِيدُ مُحارَبَة ظالِم ففرَّ منه . ودَخَلَ أَفْتَكِين بَعْلَبَك ، فطَرَقَه العَدُوُّ من الرُّوم والفِرِنْج ، وانتهبوا بَعْلَبَك وأَحْرَقوا ، وذلك في شهر رَمَضان ، وانتشروا في أَعْمال بَعْلَبَك والبِقاع يقتلون ويأْسِرون ويَحْرِقون ، وقَصَدُوا دِمَشْق وقد الْتَحَقَ بها أَفْتَكِين ، فخَرَجَ إليهم أَهْلُ دِمَشْق ، وسألوهم الكَفَّ عن البَلَد والْتَزَمُوا بمالٍ .

فخَرَجَ إليهم أَفْتَكِين وأَهْدَى إليهم ، وتكلَّم معهم في أنَّه لا يستطيع جِبايَة المال لقُوَّة ابن الماوَرْد وأَصْحابه ، وأغرى[b] ملك الرُّوم به فقَبَضَ عليه وقَيَّدَه ، وعادَ فجبَى المالَ من دِمَشْق بالعُنْف ،

---

a) بولاق : جوشيه . b) بولاق : أمر .

---

[1] جوسية . قرية من قرى حمص من جهة دمشق (ياقوت : معجم البلدان ٢ : ١٥٤) .

[2] عن الدُّعَّار والأحداث بدمشق في هذه الفترة ، راجع Lev, Y., «The Fatimids and the Ahdâth of Damascus 386/996-411/1021», *Die Welt des Orients* XIII (982), pp. 97-106.

[3] ثَنِيَّةُ العُقاب . الثَّنِيَّة في الأصل كلُّ عَقَبَة في الجبل مسلوكة ، وثَنِيَّةُ العُقاب ثَنِيَّةٌ مشرفة على غُوطَة دِمَشْق يطؤها القاصِد من دِمَشْق إلى حِمْص . (ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٨٥) .

وحَمَلَ إلى ملك الرُّوم ثلاثين ألف دينار، ورَحَلَ إلى بَيْرُوت، ثم إلى طَرابُلُس. فتمكَّن أَفْتَكين من دِمَشْق، وأقامَ بها الدَّعْوَة لأبي بكر عبد الكَريم الطَّائِع بن المُطيع العَبَّاسي، وسَيَّرَ إلى العَرَب السَّرايا فظَفِرَت، وعادَت إليه بعِدَّة ممن أَسَرَته من رجال العَرَب فقَتَلَهُم صَبْرًا.

وكان قد تَخَوَّف من المُعِزّ، فكاتَبَ القَرامِطَة يستدعيهم من الأَحْسَاء للقُدُوم عليه لمحارَبَة عَساكِر المُعِزّ، ومازالَ بهم حتَّى وافَوْا دِمَشْق في سنة خمسٍ وستين، ونَزَلُوا على ظاهِرِها ومعهم كَثيرٌ من أَصْحَاب أَفْتكين الذين كانوا قد تشتَّتوا في البِلاد؛ فقَوِيَ بهم، ولقَى القَرامِطَة وحَمَلَ إليهم وسُرَّ بهم، فأقاموا على دِمَشْق أيامًا، ثم رَحَلُوا نحو الرَّمْلَة وبها أبو محمود فلَحِقَ بيافَا، ونَزَلَ القَرامِطَة الرَّمْلَة، ونَصَبوا القِتالَ على يافا حتى كَلَّ الفريقان، وسَئِموا جميعًا من طُول الحَرْب.

وسارَ أَفْتكين على السَّاحِل، ونزل صَيْدا وبها ظَالِمُ بن مَوْهوب العُقَيْلي وابن الشَّيْخ من قِبَل المُعِزّ، فقاتَلَهم قِتالًا شَديدًا انْهَزَم منه ظَالِم إلى صُور، وقُتِلَ بين الفريقين نحو أربعة آلاف رَجُل، فقَطَعَ أيدِي القَتْلى من عَساكِر المعِزّ، وسَيَّرَها إلى دِمَشْق فطيفَ بها، ثم سارَ عن صَيْدا يُريد عَكَّا وبها عَسْكَر المُعِزّ. وكان قد مات المُعِزّ في شهر رَبيع الآخر، وقامَ من بعده ابنُه العَزيزُ بالله، وسَيَّرَ جَوْهَرًا القائِد في عَسْكَرٍ عَظيمٍ إلى قِتال أَفْتكين والقَرامِطَة.

فبَلَغَ ذلك القَرامِطَةَ وهم على الرَّمْلَة، ووَصَلَ الخَبَرُ بمسيره إلى أَفْتكين وهو على عَكَّا، فخافَ القَرامِطَةُ وفَرُّوا عنها، فنَزَلَها جَوْهَر. وسارَ من القَرامِطَة إلى الأَحْسَاء ـ التي هي بلادهم ـ جَماعَةٌ، وتأخَّر عِدَّةٌ، وسارَ أَفْتكين من عَكَّا إلى طَبَرِيَّة، وقد عَلِمَ بمسير القَرامِطَة وتأخُّر بعضهم، فاجتمع بهم في طَبَرِيَّة واستعد لِلِقَاء جَوْهَر وجَمَعَ الأَقْوات من بلاد حَوْران والبَثَنِيَّة[1] وأدْخَلَها إلى دِمَشْق، وسارَ إليها فتحصَّن بها. ونَزَلَ جَوْهَرٌ على ظاهِر دِمَشْق لثمانٍ بقين من ذي القعدة، فبَنَى على معسكره سُورًا، وحَفَرَ خَنْدَقًا عَظيمًا وجَعَلَ له أبوابًا. وجَمَعَ أَفْتكين النَّاسَ للقِتال، وكان قد بَقِيَ بعد ابن الماوَرْد رَجُلٌ يعرف بقَسَّام التُّراب، وصارَ في عِدَّة وافرةٍ من الدُّعَّار، فأعانَهُ أَفْتكين وقَوَّاه وأمَدَّه بالسِّلاح وغيره. ووَقَعَت بينهم وبين جَوْهَر حُروبٌ عَظيمَة طَويلَة إلى يوم الحادي عشر من رَبيع الأوَّل سنة ستٍّ وستين وثلاث مائة، فاخْتَلَّ أمْرُ أَفْتكين وهَمَّ بالفِرار، ثم إنَّه استَظْهَر.

---

[1] حَوْرَانُ. كورة واسعة من أعْمال دِمَشْق من جهة القِبْلَة. (ياقوت: معجم البلدان ٢: ٣١٨)؛ والبَثَنِيَّة أو البَثَنَة: قرية بين دِمَشْق وأذْرِعات (نفسه ١: ٣٣٨).

ووَرَدَت الأخبارُ بقُدوم الحَسَن بن أحمد القَرْمَطي إلى دِمَشْق، فطَلَبَ جَوْهَرٌ الصُّلْحَ على أن يرحل عن دِمَشْق من غير أن يَتْبَعَه أَحَدٌ. وذلك أنّه رأى أمواله قد قلّت، وهَلَكَ كثيرٌ ممّا كان في عَسْكَره حتى صارَ أكثر عَسْكَره رَجّالَة وأَعْوَزَهُم العَلَف، وخَشي قُدوم القَرامِطَة. فأجابَه أَفْتَكين وقد عَظُمَ فَرَحُه واشتدَّ سُرورُه. فرَحَلَ في ثالث جُمادَى الأولى، وجَدَّ في المسير وقد قَرُبَ القَرْمَطي[a] فأناخ بطَبَرِيَّة.

فبَلَغَ ذلك القَرْمَطي /، فَقَصَدَه وقد سارَ عنها إلى الرَّمْلَة، فبَعَثَ إليه بِسَرِيَّة كانت لها مع جَوْهَر وَقْعَةٌ قُتِلَ فيها جَماعَةٌ من العَرَب، وأَدْرَكَه القَرْمَطيُّ وسارَ في أَثَره أَفْتَكين. فماتَ الحَسَن ابن أحمد القَرْمَطي بالرَّمْلَة، وقام من بعده بأمْرِ القَرامِطَة ابن عمّه جعفر، ففَسَدَ ما بينه وبين أَفْتَكين، ورَجَعَ عن الرَّمْلَة إلى الأَحْساء، وناصَبَ أَفْتَكين القِتال وأَلَحَّ فيه على جَوْهَر حتى انْهَزَم عنه وسارَ إلى عَسْقَلان، وقد غَنِم أَفْتَكين ممّا كان معه شيئًا يجلّ عن الوَصْف، ونَزَلَ على البَلَدِ مُحاصِرًا لها. وبَلَغَ ذلك العَزيز فاستعدَّ للمَسير إلى بلادِ الشّام.

فلمّا طالَ الأَمْرُ على جَوْهَر، راسَلَ أَفْتَكين حتى يُقَرِّر الصُّلْحَ على مالٍ يحمله إليه، وأن يَخْرُج من تَحت سَيْف أَفْتَكين، فعَلَّق سَيْفَه على باب عَسْقَلان، وخَرَجَ جَوْهَرٌ ومَنْ معه من تحته، وساروا إلى القاهِرَة، فوَجَدَ العَزيزَ قد بَرَزَ يُريد المسير فسارَ معه. وكان مُدَّةُ قِتالِ أَفْتَكين لجَوْهَر على ظاهِر الرَّمْلَة وفي عَسْقلان سبعة عشر شهرًا.

وسارَ العَزيزُ بالله حتى نَزَلَ الرَّمْلَة، وكان أَفْتَكين بطَبَرِيَّة، فسارَ إلى لِقاء العَزيز ومعه أبو إسْحاق وأبو طاهِر أخو عِزّ الدَّوْلَة بن بَخْتَيار بن أحمد بن بُوَيْه، وأبو كاليجار[b] مَرْزُبان ابن عِزّ الدَّوْلَة بَخْتيار بن مُعِزّ[c] الدَّوْلَة بن بُوَيْه، فحارَبوه فلم يكن غير ساعَة حتى هَزَمَت عَساكِرُ العَزيز عَسْكَر أَفْتَكين، ومَلَكُوه في يوم الخميس لسَبْعٍ بقين من المحرّم سنة ثمانٍ وستين وثلاث مائة.

واستأمَن أبو إسحاق ومَرْزُبان بن بَخْتيار، وقُتِلَ أبو طاهِر أخو عِزّ الدولة بن بَخْتيار، وأُخِذَ أكثر أصْحابِه أسْرى، وطُلِبَ أَفْتَكين في القَتْلى فلم يُوجَد، وكان قد فَرَّ وقت الهَزيمَة على فَرَس بمفرده، فأَخَذَه بَعْضُ العَرَب أسيرًا وقَدِمَ[d] به على مُفَرِّج بن دَغْفَل بن الجَرّاح الطّائي وعِمامَته في عُنُقِه، فبَعَثَ به إلى العَزيز، فأَمَرَ به فشُهِرَ في العَسْكر، وطِيفَ به على

---

a) بولاق: القرامطة. b) بولاق: أبو اللحاد. c) بولاق: عز. d) بولاق: فقدم.

جَمَل، فأخَذَ النَّاسُ يَلْطِمونه ويهزُّون لِحْيَته حتى رأَى في نفسه العِبَر[١].

ثم سارَ العَزيزُ بأَفْتَكين والأَسْرَى إلى القاهِرَة، فاصْطَنَعَه ومن معه، وأَحْسَنَ إليه غاية الإحْسَان، وأَنْزَلَهُ في دارٍ وواصَلَه بالعَطَاء والخِلَع، حتى قال: لقد احْتَشَمْتُ من رُكوبي مع مَوْلانا العَزيز بالله ونَظَري[a] إليه، بما غَمَرَني من فَضْله وإحسانه.

فلمَّا بَلَغَ ذلك العَزيزَ قال لعَمِّه حَيْدَرَة: يا عمّ، والله إنِّي أُحِبُّ أن أرَى النِّعَمَ عند النَّاس ظاهِرَة، وأَرَى عليهم الذَّهَبَ والفِضَّة والجَوْهَر ولهم الخَيْل واللِّبَاس والضِّياع والعَقار، وأن يكون ذلك كلُّه من عندي.

وبَلَغَ العَزيزَ أنَّ النَّاسَ من العامَّة يقولون: ما هذا التُّرْكي؟ فأَمَرَ به فشُهِرَ في أجمل حال. ولما رَجَعَ من تَطْوافه[b]، وَهَبَ له مالاً جَزيلاً، وخَلَعَ عليه، وأَمَرَ سائرَ الأَوْلياء بأن يُدْعوه إلى دُورِهم. فما منهم إلَّا من عَمِلَ له دَعْوَةً، وقَدِمَ إليه، وقادَ بين يديه الخُيُول. ثم إنَّ العَزيزَ قال له بعد ذلك: كيف رأيت دَعَوات أصْحابنا؟ فقال: يا مَوْلانا حَسَنَة في الغايَة، وما فيهم إلَّا من أَنْعَم وأَكْرَم[٢].

فصارَ يركب للصَّيْد والتفرُّج، وجَمَعَ إليه العَزيزُ بالله أصحابَه من الأَتْراك والدَّيْلَم، واسْتَحْجَبَه واخْتَصّ به. وما زال على ذلك إلى أن توفِّيَ في سنة اثنتين وسبعين وثلاث مائة. فاتَّهَمَ العَزيزُ وَزيرَه يعقوب بن كِلِّس أنَّه سَمَّه، لأنَّ أَفْتَكين كان يترفَّع عليه، فاعْتَقَلَه مدَّةً ثم أَخْرَجه[٣].

حـارَةُ الأتْراك

هذه الحارَةُ تِجاه الجامِع الأَزْهَر، وتُعْرَف اليوم بدَرْب الأَتْراك، وكان نافِذًا إلى حارَة الدَّيْلَم. والوَرَّاقون القُدَماءُ تارَةً يُفْرِدُونَها من حارَة الدَّيْلَم، وتارَةً يُضيفونَها إليها ويجعلونها من حُقُوقِها، فيقولون تارَةً: حارَة الدَّيْلَم والأَتْراك، وتارَةً يقولون: حارَتَي الدَّيْلَم والأَتْراك.

وقيل لها حارَةُ الأَتْراك لأنَّ أَفْتَكين لمَّا غُلِبَ بِبَغْداد، سارَ معه من جِنْسِه أربع مائة من الأَتْراك،

a) بولاق: تطوفي. b) بولاق: تطوفه.

[١] المقريزي: اتعاظ الحنفا ١: ٢٣٨– ٢٤٢؛ وانظر كذلك، النويري: نهاية الأرب ٢٨: ١٥٤– ١٥٨؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٥٤– ٣٥٥.

[٢] المقريزي: اتعاظ الحنفا ١: ٢٤٤– ٢٤٥.

[٣] نفسه ١: ٢٦٢، وقارن مع مسودة المواعظ ٣٥٤ فهناك خلافٌ كبيرٌ في النّصّ.

وتلاحَقَ به عند وُرود القَرامِطَة عليه بدِمَشْق عِدَّةٌ من أصْحابِه ، فلمَّا جَمَعَ لحَرْب العَزيز بالله كان أصْحابُه ما بين تُرْك ودَيْلَم . فلمَّا قَبَضَ عليه العَزيزُ ودَخَلَ به إلى القاهِرَة في الثّاني والعشرين من شهر رَبيع الأوَّل سنة ثمانٍ وستين وثلاث مائة كما تقدَّم ، نَزَلَ الدَّيْلَمُ مع أصحابِهم في مَوْضِع حارَة الدَّيْلَم ، ونَزَلَ أَفْتَكين بأتْراكِه في هذا المكان فصارَ يُعْرَف بحارَة الأتْراك . وكانت مختلطةً بحارَة الدَّيْلَم لأنَّهما أهلُ دَعْوَةٍ واحِدَة ، إلَّا أنَّ كلَّ جِنْسٍ على حِدَة لتخالفهما في الجنسية ، ثم قيل بعد ذلك دَرْبُ الأتْراك[1] .

حارة كتامة

هذه الحارَةُ مُجاوِرَةٌ لحارَة الباطِلِيَّة ، وقد صارَت الآن من جملتها ؛ كانت مَنازِلَ كُتامَة بها عندما قَدِمُوا من المغرب مع القائِد جَوْهَر ثم مع المُعِزّ[a] . وموضِعُ هذه الحارَة اليوم حَمَّام كَراي[b] وما جاوَرَها ممَّا وَرَاء مَدْرَسَة ابن الغَنَّام[2] - حيث الموضع المعروف بدَرْب ابن الأَعْسَر إلى رأس الباطِلِيَّة - وكانت كُتامَةُ هي أصْل دَوْلَة الخُلَفَاء الفاطِميين .

ذِكْرُ أبي عبد الله الشِّيعي[3] - هو الحُسَيْنُ[c] بن أحمد بن محمد بن زَكَرِيَّا الشِّيعي ، من أهْل صَنْعَاء اليَمَن ، وَلِيَ الحِسْبَة في بعض أعْمَال بَغْداد ، ثم سارَ إلى ابن حَوْشَب باليَمَن ، وصارَ من كِبار أصْحابِه ، وكان له عِلْمٌ وفَهْمٌ ، وعنده دَهاءٌ ومَكْرٌ . فوَرَدَ على ابن حَوْشَب مَوْتُ الحَلْواني داعي المَغْرب ورَفيقه ، فقال لأبي عبد الله الشِّيعي : إنَّ أَرْضَ كُتامَةَ من بِلاد المغرب قد حَرَثَها[d] الحَلْواني وأبو سُفْيان وقد ماتا ، وليس لها غيرك ، فبادِر فإنَّها مُوَطَّأَةٌ مُمَهَّدَةٌ لك . فخَرَجَ من اليَمَن

a) بولاق : العزيز . b) بولاق : كواي . c) بولاق : الحسن . d) بولاق : خربها .

[1] المقريزي : مسودة المواعظ ٥٢ ، ٣٣١ ، وفيما يلي ١٠٨ .
وكان دَرْبُ الأتْراك يُواجِه باب الجامع الأزهر المعروف اليوم بباب المغاربة . (ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٣٧ : ٤١٢ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ١٠٣) .

[2] فيما يلي ١١٩ .
ومَوْضِعُ حارَة كُتامَة المنطقة التي يتوسَّطها الآن حارة الأزْهَري وعَطْفَة الدّوداري وما يتفرّع منهما من العُطَف والدُّروب الكائنة في الجنوب الشرقي من الجامع الأزهر . (راجع ، ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٤٢ ؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ١٤٠ ؛ ابن دقماق : الانتصار ٥ : ٣٧ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٥٤ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٤٦) .

[3] أوْرَد المقريزي خَبَرَ أبي عبد الله الشيعي أيضًا فيما تقدم ٢ : ١٧٥ - ١٨٠ ، راجع المصادر والمراجع المذكورة هناك .

١١ إلى مَكَّة ، وقد زَوَّدَه ابنُ حَوْشَب بمالٍ /، فسأل عن حُجَّاج كُتامَة فأُرْشِدَ إليهم ، واجتمعَ بهم وأخفى عنهم قَصْدَه . وذلك أنَّه جَلَسَ قَرِيبًا منهم فسَمِعَهم يتحدَّثون بفَضائِل آل البيت ، فحَدَّثهم في ذلك وأطال ، ثم نَهَضَ ليقوم ، فسألوه أن يأذَن لهم في زِيارَته فأذِن لهم ، فصارُوا يتردَّدون إليه لما رأوا من عِلْمِه وعَقْلِه . ثم إنَّهم سألوه : أين يَقْصِد ؟ فقال : أُرِيدُ مصر . فسُرُّوا بصُحْبَته ورَحَلوا من مَكَّة ، وهو لا يُخْبِرهم شيئًا من خَبَرِه وما هو عليه من القَصْد ، وشاهَدوا منه عِبادَةً ووَرَعًا ٥ وتَحَرُّجًا وزَهادَة . فقَوِيَت رَغْبَتُهم فيه ، واشتملوا على مَحَبَّته ، واجْتَمَعُوا على اعْتِقادِه ، وسارُوا بأسْرهم خَدَمًا له . وهو في أثناء ذلك يَسْتَخْبِرهم عن بلادِهم ، ويَعْلَم أحْوالَهم ، ويَفْحَص عن قَبائِلهم ، وكيف طاعَتُهم للسُّلْطان بإفريقيَّة . فقالوا له : ليس له علينا طاعَةٌ ، وبيننا وبينه عشرة أيام . قال : أفَتَحْمِلون السِّلاح ؟ قالوا : هو شُغْلُنا . وما بَرِحَ حتى عَرَفَ جَميعَ ما هم عليه .

١٠ فلمَّا وَصَلوا إلى مصر أَخَذَ يودِّعهم ، فشَقَّ عليهم فِراقُه ، وسألوه عن حاجَتِه بمصر ، فقال : ما لي بها من حاجَة إلَّا أنِّي أَطْلُب التَّعْليم بها . قالوا : فأمَّا إذا كنت تَقْصِد هذا ، فإنَّ بلادَنا أَنْفَعُ لك وأَطْوَعُ لأَمْرِك ، ونحن أَعْرَف بحَقِّك . وما زالوا به حتى أَجابَهم إلى المسير معهم . فساروا به إلى أن قارَبوا بِلادَهم ، وخَرَجَ إلى لِقائِهم أصْحابُهم ـ وكان عندهم حِسٌّ كبيرٌ من التَّشَيُّع ، واعْتِقادٌ عَظيمٌ في مَحَبَّة أهْل البيت كما قَرَّرَه الحَلْواني ـ فعرَّفَهم القَوْمُ خَبَرَ أبي عبد الله ، فقامُوا بحَقِّ تَعْظِيمِه وإجْلالِه ، ورَغِبوا في نُزُولِه عندهم ، واقْتَرَعوا فيمن يُضَيِّفُه . ١٥

. ثم ارْتَحَلوا إلى أرض كُتامَة ، فوَصَلوا إليها منتصف رَبيع[a] الأوَّل سنة ثمانٍ وثمانين ومائتين ، فما منهم إلَّا من سألَه أن يكون منزله عنده ، فلم يُوافِق أحَدًا منهم وقال : أين يكون فَجُّ الأَخْيار ؟ فعَجِبُوا من ذلك ، ولم يكونوا قد ذَكَروه له منذ صَحِبُوه ، فدَلُّوه عليه فقَصَدَه وقال : إذا حَلَلْنا به صِرْنا نأتي كلَّ قَوْم منكم في ديارِهم ، ونَزورُهم في بُيوتِهم . فرَضَوْا جَميعًا بذلك[1] .

٢٠ وسار إلى جَبَلِ إيكْجان[b][2] وفيه فَجُّ الأَخْيار ، فقال : هذا فَجُّ الأخْيار وما سُمِّي إلَّا بكم ، ولقد جاءَ في الآثار للمَهْدي هِجْرَة يَنْبو بها عن الأوْطان يَنْصُره فيها الأَخْيارُ من أَهْل ذلك الزَّمان ، قَوْمٌ اسمهم مُشْتَقٌّ من الكِتْمان ، ولخُروجِكم في هذا الفَجّ سُمِّي فَجَّ الأخْيار .

---

a) بولاق : الربيع . b) بولاق : إيلجان تصحيف .

---

[1] عماد الدين إدريس . تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ٨٤- ٨٩.

[2] إيكجان . مدينة في المغرب الأوسط (الجزائر الحالية) تقع بين مُدُن قسنطينة جنوبًا وميلة شمالًا وسطيف غربًا .

فتسامَعَت به القَبائِلُ، وأَتَتْه البَرْبَرُ من كلِّ مَكان، وعَظُمَ أَمْرُه حتى أنَّ كُتامَة اقْتَتَلَت عليه مع قَبائِل البَرْبَر، وهو لا يَذْكُر اسْم المَهْدي ولا يُعَرِّج عليه. فبَلَغَ خَبَرُه إبراهيمَ بن الأَغْلَب أمير إفْريقيَّة، فقال أبو عبد الله لكُتامَة: أنا صاحِبُ البَذْر الذي قال لكم أبو سُفْيان والحَلْواني. فازْدادَت مَحَبَّتهم له، وعَظُمَ أَمْرُه فيهم، وأَتَتْه القَبائِلُ من كلِّ مَكان. وسارَ إلى مَدينَة ٥ تازروت[a] [1]، وجَمَعَ الخَيْل، وصَيَّر أَمْرَها للحَسَن بن هارون كبير كُتامَة، وخَرَجَ للحَرْب فظَفِرَ وغَنِمَ، وعَمِلَ على تازروت[a] خَنْدَقًا. فرَجَعَت إليه قَبائِل من البَرْبَر وحارَبوه، فظَفِرَ بهم وصارَت إليه أَمْوالُهم، ووالى الغَزْو فيهم حتى اسْتقامَ له أمرُهُم، فسارَ وأَخَذَ مَدائِن عِدَّة.

فبَعَثَ إليه ابنُ الأَغْلَب بعَساكِرَ كانت له معهم حُروبٌ عَظيمَةٌ وخُطُوبٌ عَديدَة، وأَنْباءٌ كثيرةٌ آلَت إلى غُلْب أبي عبد الله وانْتِشار أَصْحابِه من كُتامَة في البلاد، فصارَ يقول: «المَهْدي يَخْرُج في ١٠ هذه الأيَّام ويَمْلِك الأَرْضَ، فياطُوبَى لمن هاجَرَ إليَّ وأَطاعَني». وأَخَذَ يُغْري النَّاسَ بابن الأَغْلَب، ويَذْكُر كَرامات المَهْدي وما يَفْتَحُ الله له، ويَعِدُهم بأنَّهم يَمْلِكون الأَرْض كلَّها.

وسَيَّرَ إلى عُبَيْد الله بن محمد رِجالًا من كُتامَة ليُخْبِروه بما فَتَحَ الله له، وأنَّه ينتظره. فوافَوْا عُبَيْد الله بسَلَمِيَّة من أَرض حِمْص، وكان قد اشْتُهِر بها، وطَلَبَه الخَليفَةُ المُكْتَفِي، ففَرَّ منه بابنه أبي القاسِم وسارَ إلى مصر، وكان لهما قِصَصٌ مع النُّوشَري عامِل مصر حتى خَلَصَا منه، ولَحِقا ١٥ ببلاد المغرب.

وبَلَغَ ابنَ الأَغْلَب زِيادَةَ الله خَبَرُ مَسير عُبَيْد الله، فأَزْكى له العُيُون، وأقامَ له الأَعْوَانَ حتى قَبَضَ عليه بسِجِلْماسَة - وكان عليها اليَسَع بن مِدْرار - وحُبِسَ بها هو وابنه أبو القاسِم.

وبَلَغَ ذلك أبا عبد الله، وقد عَظُمَ أَمْرُه، فسارَ وضايَقَ زِيادَةَ الله بن الأَغْلَب، وأَخَذَ مَدائِنَه شيئًا بعد شيءٍ، وصارَ فيما ينيف على مائتي ألف، وأَلَحَّ على القَيْرَوان حتى فَرَّ زِيادَةُ الله إلى ٢٠ مصر، ومَلَكَها أبو عبد الله، ثم سارَ إلى رَقَّادَة فدَخَلَها أوَّل رَجَب سنة ستٍّ وتسعين ومائتين، وفَرَّقَ الدُّورَ على كُتامَة، وبَعَثَ العُمَّالَ إلى البِلاد، وجَمَعَ الأَمْوالَ، ولم يَخْطُب باسم أَحَدٍ.

فلمَّا دَخَلَ شهرُ رَمَضَان سارَ من رَقَّادَة، فاهْتَزَّ لرَحيله المغربُ بأَسْره، وخافَتْه زَناتَة وغيرها

---

a) بولاق: تاصروف.

---

[1] تازروت. اسم لهضبة تُنْسب إليها المدينة تقع بين مدينتي إيكجان وميلَة.

وبَعَثُوا إليه بطاعَتهم ، وسارَ إلى سِجِلْماسَة ، ففَرَّ منه اليَسَعُ بن مِدْرار واليها ، ودَخَلَ البَلَد فأَخْرَجَ عبيد الله وابنه من السِّجْن ، وقال : «هذا المَهْدي الذي كنت أدْعُوا له»[a]. وأَرْكَبَه هو وابنه ، ومَشَى بسائِرِ رُؤَساء القَبائِل بين أيديهما وهو يقول : «هذا مَوْلاكم» ، ويبكي من شِدَّة الفَرَح حتى وَصَلَ إلى فُسْطاطٍ ضُرِبَ له فأنزل فيه ، وبَعَثَ في طَلَب اليَسَع ، فأُدرِك[b] وحُمِلَ إليه فضَرَبَه بالسِّياط وقَتَلَه .

ثم سارَ المَهْدي إلى رَقَّادَة ، فصارَ بها في آخر رَبيع الآخَر سنة سبعٍ وتسعين ومائتين . ولمَّا تَمَكَّن قَتَلَ أبا عبد الله وأخاه في يوم الاثنين للنصف من جُمادَى الآخرة سنة ثَمانٍ وتسعين ومائتين ، فكان هذا ابْتِدَاءُ أَمْرِ الخُلَفَاء الفاطميين[1].

/وما زالَت كُتامَةُ هي أهْل الدَّوْلَة مُدَّة خِلافَة المَهْدي عُبَيْد الله ، وخِلافَة ابنه أبي[c] القاسِم القائِم بأَمْر الله ، وخِلافَة المَنْصُور بنَصْر الله إسماعيل بن القائِم[d] ، وخِلافَة مَعَدّ المعِزّ لدين الله بن المَنْصور ؛ وبهم أخَذَ ديار مصر لمَّا سَيَّرَهم إليها مع القائِد جَوْهَر في سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائة ، وهم أيضًا كانوا أكابِر من قَدِمَ معه من المغرب في سنة اثنتين وستين وثلاث مائة .

فلمَّا كان في أيَّام وَلَده العَزيز بالله نِزار ، اصْطَنَعَ الدَّيْلَم والأَتْراك[2] وقَدَّمَهم وجَعَلَهم خاصَّته ، فتنافَسُوا وصارَ بينهم وبين كُتامَة تَحاسُدٌ ، إلى أن ماتَ العَزيزُ بالله وقامَ من بعده أبو عليّ المَنْصور الملقَّب بالحاكِم بأمْر الله ، فقَدَّم ابنَ عَمَّار الكُتامي ووَلَّاه الوَساطَة ـ وهي في معنى رُتْبَة الوَزارَة ـ فاستبدَّ بأمُور الدَّوْلَة ، وقَدَّم كُتامَة وأعْطاهُم ، وحَطَّ من الغِلْمان الأَتْراك والدَّيْلَم الذين اصْطَنَعَهُم العَزيز . فاجتمعوا إلى بَرْجَوان ـ وكان صَقْلَبِيًّا وقد تاقَت نفسُه إلى الوِلاية ـ فأَغْرَى المُصْطَنِعَة بابن عَمَّار حتى وَضَعُوا منه واعْتَزَلَ عن الأمْر ، وتقلَّد بَرْجَوان الوَساطة ، فاستخدَم الغِلْمان المُصْطَنِعين في القَصْر ، وزادَ في عَطاياهُم وقَوَّاهُم . ثم قَتَلَ الحاكِمُ ابن عَمَّار وكثيرًا من رِجال دَوْلَة أبيه وجَدِّه ، فضَعُفَت كُتامَة ، وقَوِيَت الغِلْمان .

---

a) بولاق : أدعوكم إليه .   b) بولاق : فأدركه .   c) ساقطة من بولاق .   d) بولاق : القاسم .

---

[1] انظر فيما تقدم ٢ : ١٧٥ – ١٨٠ ، حيث أوْرَد المقريزي نصَّ هذا الخبر والإحالات المذكورة هناك .

[2] فيما تقدم ٢٣ .

فَلمَّا ماتَ الحاكِمُ وقامَ من بعده ابنُه الظَّاهِرُ لإعْزاز دين الله عليّ ، أكثر من اللَّهْو ومالَ إلى الأتْراك والمَشارِقَة ، فانْحَطَّ جانِبُ كُتامَة ، ومازال يَنْقُص قَدْرُهُم ويَتَلاشَى أَمْرُهُم حتى مَلَكَ المُسْتَنْصِرُ بعد أبيه الظَّاهِر ، فاسْتَكْثَرَت أُمُّه من العَبيد حتى يُقال إنَّهم بَلَغوا نحوًا من خمسين ألف أسود ، واسْتَكْثَر هو من الأَتْراك ، وتنافَسَ كلٌّ منهما مع الآخر ، فكانت الحَرْبُ التي آلت إلى خَرابِ مصر وزَوال بَهْجَتِها [١]. إلى أن قَدِمَ أميرُ الجُيُوش بَدْرٌ الجَمالي من عَكَّا ، وقَتَلَ رِجالَ الدَّوْلَة ، وأقامَ له جُنْدًا وعَسْكَرًا من الأَرْمَن ، فصارَ من حينئذٍ مُعْظَمُ الجَيْش الأَرْمَن ، وذَهَبَت كُتامَة وصارُوا من جملة الرَّعِيَّة ، بعدما كانوا وُجُوهَ الدَّوْلَة وأكابِرَ أهْلِها .

حَارَةُ الصَّالِحِيَّة

عُرِفَت بغِلْمان الصَّالِح طَلائع بن رُزِّيك ، وهي موضعان : الصَّالِحِيَّة الكُبْرى ، والصَّالِحِيَّة الصُّغْرى . وموضعهما فيما بين المَشْهَد الحُسَيْني ورَحْبَة الأَيْدَمُري وبين البَرْقِيَّة . وكانت من الحارات[a] العَظيمَة ، وقد خَرِبَت الآن ، وباقيها مُتداعٍ إلى الخَراب [٢].

قال ابنُ عبد الظَّاهِر : الحارَةُ الصَّالِحِيَّة مَنْسوبَةٌ إلى الصَّالِح طَلائع بن رُزِّيك ، لأنَّ غِلْمانِه كانوا يَسْكُنُونها ، وهي مكانان . وللصَّالِح دارٌ بحارَة الدَّيْلَم كانت سَكَنَه قبل الوَزارَة وهي باقية إلى الآن ، وبها بعض ذرِّيته . والمكانُ المعروف بخُوخَة الصَّالِح نِسْبَةً إليه [٣].

حَارَةُ البَرْقِيَّة

هذه الحارَةُ عُرِفَت بطائِفَة من طَوائِف العَسْكَر في الدَّوْلَة الفاطِمية يُقالُ لها الطَّائِفَةُ البَرْقِيَّة[٤] ذَكَرَها المُسَبِّحيّ .

---

a) في مسودة المواعظ : الأخطاط .

---

[١] فيما تقدم ٢: ١٣٥-١٤٢.

[٢] المقريزي : مسودة المواعظ ٣٧٧.

والحارة الصَّالِحِيَّة كانت تقع في المنطقة التي تُحَدُّ اليوم من الغرب بشارع أُمّ الغُلام ، ومن الشمال بشارع الجِعادِيَّة ، ومن الشرق بشارع البِلْوَة ، ومن الجنوب بشارع الشيخ خَمُودَة . (أبو المحاسن : النجوم ٤: ٥٣هـ[٦]) .

[٣] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٣٤؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٣٧٦.

[٤] حارَةُ البَرْقِيَّة . يدُلُّ على موضعها الآن المنطقة التي =

قال ابنُ عبد الظَّاهِر : ولمَّا نَزَلَ بالقاهِرَة ـ يعني المُعِزّ لدين الله[a] ـ اخْتَطَّت كلُّ طَائِفَةٍ خِطَّةً عُرِفَت بها . قال : واخْتَطَّت جماعَةٌ من أهْل بَرْقَة الحارَة المعروفة بالبَرْقِيّة [1]. انتهى .

وإلى هذه الحارَة تُنْسَب الأُمَراءُ البَرْقِيّة .

ذِكْرُ الأُمَراءِ البَرْقِيّة ووَزارَة ضِرْغام ـ وذلك أنَّ الصَّالِحَ طَلائِعَ بن رُزِّيك كان قد أنشأ في وَزارَته أُمَراءَ يُقال لهم «البَرْقِيّة» ، وجَعَلَ ضِرْغامًا مُقَدَّمهم ، فترقَّى حتى صارَ صاحِبَ الباب [2]، وطَمِعَ في شاوَر السَّعْدي لمَّا وَلِيَ الوَزارَة بعد رُزِّيك بن الصَّالِح طَلائِع بن رُزِّيك ، فجَمَعَ رُفْقَته ، وتَخَوَّف شاوَر منه ، وصارَ العَسْكرُ فرقتين : فِرْقَةٌ مع ضِرْغام ، وفِرْقَةٌ مع شاوَر . فلمَّا كان بعد تسعة أشهر من وَزارَة شاوَر ، ثارَ ضِرْغامٌ في رَمَضَان سنة ثمانٍ وخمسين وخمس مائة ، وصاحَ على شاوَر فأخْرَجَه من القاهِرَة ، وقَتَلَ وَلَدَه الأكبر المسمَّى بطَيّ ، وبَقِيَ شُجاعٌ المنعوت بالكامِل . وخَرَجَ شاوَرُ من القاهِرَة يُريد الشَّام كما فَعَلَ الوَزير رِضْوان بن وَلَخْشي ، فإنَّه كان رَفيقًا له في تلك الكَرَّة .

واستقرَّ ضِرْغامٌ في وَزارَة الخَليفَة العاضِد لدين الله بعد شاوَر ، وتلقَّب بـ«الملك المَنْصور» . فشَكَرَ النَّاسُ سيرَته ، فإنَّه كان فارِسَ عَصْره ، وكان كاتِبًا جَميلَ الصُّورَة فَكِهَ المحاضرة عاقِلًا كَريمًا ، لا يضع كَرَمَه إلَّا في سُمْعَةٍ تَرْفَعه أو مُداراةٍ تَنْفَعه ؛ إلَّا أنَّه كان أذِنًا مستحيلًا على أصْحابِه ، وإذا ظَنَّ بأحدٍ[b] شَرًّا جَعَلَ الشَّكُّ يَقينًا وعَجَّلَ له العُقوبَة .

وغَلَب عليه مع ذلك في وَزارَته أخَواه ناصِرُ الدِّين هَمَّام وفَخْرُ الدِّين حُسَام ، وأخَذَ يَتَنكَّر لرُفْقَته البَرْقِيّة الذين قاموا بنُصْرته وأعانُوه على إخْراج شاوَر وتَقْليده للوَزارَة ، من أجْل أنَّه بَلَغَه عنهم أنَّهم يَحْسُدونه ويضْعُون منه ، وأنَّ منهم من كاتَبَ شاوَر وحَثَّه على القُدُوم إلى القاهِرَة

a) الروضة : يعني جوهر ، وهو الأصَحّ . b) بولاق : في أحد .

- يخترقها الجزء الشرقي من شارع الأزهر ، ويحدُّها من الشَّرق شارع المنصورية وشارع قرافة المجاورين ، ومن الشَّمال سِكَّة كَفْر الطَّمَّاعين وعَطْفَة بير العِلْوَه ، ومن الغرب شارع العِلْوَة وشارع الكَفْر ، ومن الجنوب شارع الغريب ومسجد عبد الرحمن كتخدا الموجود أثره داخل حرم الجامعة الأزهرية .

[1] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٤٢؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٣٦٥؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٥٤؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٤٧؛ وفيما تقدم ١٠ .

[2] عن صاحِب الباب ، وهي رتبة تلي رُتْبَة الوزارة وصاحبها من الأمراء المُطَوَّقين ، ويقال لها : الوَزَارَة الصُّغْرَى . (انظر فيما تقدم ٢ : ٣٣٩) .

ووَعَدَه بالمعاوَنَة له. فأَظْلَمَ الجَوُّ بينه وبينهم، وتَجَرَّدَ للإيقاع بهم على عادَته في التَّسَرُّع للعُقُوبَة[a]، وأَحْضَرَهُم إليه في دار الوَزارَة ليلًا، وقَتَلَهم بالسَّيْف صَبْرًا، وهم: صُبْح بن شاهِنْشاه، والظُّهير[b] مُرْتَفِع المعروف بالجَلْواص، وعَيْن الزَّمان، وعليّ بن الزَّبْد، وأَسَد الغَاوي[c]، وأقاربهم وهم نحو من سبعين أميرًا سوى أَتْباعهم، فذَهَبَت لذلك رِجالُ الدَّوْلَة، واخْتَلَّت أَحْوالُها وضَعُفَت بذَهاب أكابِرِها وفَقْد أَصْحاب الرَّأْي والتَّدْبير.

وقَصَدَ الفِرِنْجُ دِيارَ مصر، فخَرَجَ إليهم هَمَّامُ أخو ضِرْغام وانْهَزَم منهم، وقُتِلَ بينهم[d] عِدَّةٌ، ونَزَلوا/ على حِصْن بِلْبِيْس، ومَلَكوا بعض السُّور ثم سارُوا. وعادَ هَمَّامٌ عَوْدًا رَديًّا، فبَعَثَ به ضِرْغامٌ إلى الإسْكَنْدَرية وبها الأمير مُرْتَفِع الجَلْواص، فأَخَذَه العَرَبُ، وقادَه هَمَّامٌ إلى أخيه فضَرَب عُنُقَه وصَلَبَه على باب زَوِيلَة.

فما هو إلَّا أن قَدِمَ رُسُلُ الفِرِنْج على ضِرْغام في طَلَبِ مالِ الهَدْنَة المقرَّر في كلِّ سَنَة، وهو ثلاثة وثلاثون ألف دينار، وإذا بالخَبَر قد وَرَدَ بقُدُوم شاوَر من الشَّام ومعه أَسَد الدِّين شِيركوه في كثير من الغُزّ، فأَزْعَجَه ذلك؛ وأَصْبَحَ النَّاسُ يوم التاسع والعشرين من جُمادَى الأولى سنة تسع وخمسين وخمس مائة خائِفين على أنفسهم وأَمْوالِهم، فجَمَعُوا الأَقْواتَ والماءَ وتحوَّلوا من مَساكِنهم.

وخَرَجَ هَمَّامٌ بالعَسْكَر أوَّل يومٍ من جُمادَى الآخرة، فسارَ إلى بِلْبِيْس، وكانت له وَقْعَةٌ مع شاوَر انْهَزَم فيها، وصارَ إلى شاوَر وأصحابه جَميعُ ما كان مع عَسْكَر هَمَّام وأَسَروا عِدَّةً. ونَزَلَ شاوَرُ بمَن معه إلى التَّاج ظاهِر القاهِرَة[1]، في يوم الخميس سادِس جُمادَى الآخِرَة، فجَمع ضِرْغامٌ النَّاسَ، وضَمَّ إليه الطائِفَةَ[e] الرَّيْحانية والطائِفَة الجُيُوشِيَّة بداخِل القاهِرَة، وشاوَر مُقيمٌ بالتَّاج مدَّة أيَّام وطَوالِعُه من العُرْبان، تُطارِدُ[f] عَسْكَر ضِرْغام بأَرْض الطَّبَّالَة[2] خارِج القاهِرَة.

ثم سارَ شاوَرُ ونَزَلَ بالمَقْس، فخَرَجَ إليه عَسْكَرُ ضِرْغام وحارَبوه فانْهَزَمَ هَزيمَةً قَبيحَةً، وسارَ إلى بِرْكَة الحَبَش، ونَزَلَ بالشَّرَف الذي يُعْرَف اليوم بالرَّصْد، ومَلَكَ مَدينَة مصر، وأقامَ بها أيامًا.

---

a) بولاق: أسرع العقوبة. b) بولاق: الطهر. c) بولاق: الفازي. d) بولاق: منهم. e) بولاق: طائفة. f) بولاق: فطارد.

---

[1] انظر عن التَّاج، فيما تقدم ٢: ٥٦٧؛ وفيما يلي ٤٢٥.
[2] انظر عن أرض الطَّبَّالَة فيما يلي ٤١٥–٤١٨.

فأَخَذَ ضِرْغامٌ مالَ الأَيْتام الذي كان بمُوْدَع الحُكْم ، فكَرِهَه النَّاسُ واسْتَعْجَزوه ، ومالوا مع شاوَر . فتنكَّرَ منهم ضِرْغام ، وتَحَدَّث بإيقاع العُقوبَة بهم ، فزادَ بُغْضُهم له .

ونَزَلَ شاوَر في أرْض اللُّوق خارج باب زَوِيلَة ، وطارَدَ رِجالَ ضِرْغام . وقد خَلَت المَنْصورَةُ والهِلاليةُ ، وبَيَّتَ[a] أهلُ اليانِسِيَّة بها ، وزَحفَ إلى باب سَعادَة وباب القَنْطَرَة ، وطَرَحَ النَّارَ في اللُّؤْلؤة وما حولها من الدُّور . وعَظُمَتِ الحُروبُ بينه وبين أصْحاب ضِرْغام ، وفَنِيَ كثيرٌ من الطائِفة الرَّيْحانيَّة ، فبَعَثُوا إلى شاوَر ووَعَدُوه بأنَّهم عَوْنٌ له ، فانْحَلَّ أمْرُ ضِرْغام ، فأرْسَلَ العاضِدُ إلى الرُّماة يأمرهم بالكَفِّ عن الرَّمْي ، فخَرَجَ الرِّجالُ إلى شاوَر ، وصاروا من جملته .

وفَتَرَت هِمَّةُ أهْل القاهِرَة وأَخَذَ كلٌّ منهم يُعْمِل الحِيلَة في الخُروج إلى شاوَر ، فأَمَرَ ضِرغامٌ بضَرْب الأبْواق لتجتمع النَّاس ، فضُرِبَت الأبْواقُ والطُّبولُ ما شاءَ الله من فَوْق الأسْوار ، فلم يخرج إليه أحَدٌ ، وانفكَّ عنه النَّاسُ ، فسارَ إلى باب الذَّهَب من أبْواب القَصْر ومعه خمس مائة فارِس فوَقَفَ وطَلَبَ من الخَليفة أن يُشْرِف عليه من الطَّاق ، وتَضَرَّعَ إليه وأَقْسَمَ عليه بآبائه ، فلم يُجِبْه أَحَدٌ . واستمرَّ واقِفًا إلى العَصْر ، والنَّاسُ تنحلّ عنه حتى بقي في نحو ثلاثين فارِسًا ، فوَرَدَت عليه رُقْعَةٌ فيها «خُذْ نَفْسَك وانْجُ بها» .

وإذا بالأبْواق والطُّبول قد دَخَلَت من باب القَنْطَرَة ومعها عَساكِرُ شاوَر ، فمَرَّ ضِرْغامٌ إلى باب زَوِيلَة ، فصاحَ النَّاسُ عليه ولَعَنُوه وتَخَطَّفوا من معه ، وأَدْرَكَه القَوْمُ فأَرْدوه عن فَرَسِه قَريبًا من الجِسْر الأَعْظَم ـ فيما بين القاهِرَة ومصر ـ واحْتَزُّوا رأسَه في سَلْخ جُمادَى الآخرة ، وفَرَّ منهم أخُوه إلى جِهَة المَطَرِيَّة ، فأدْرَكَه الطَّلَبُ ، وقُتِلَ عند مَسْجِدِ تِبْر خارج القاهِرَة ، وقُتِلَ أخوه الآخَر عند بِرْكَة الفيل ، فصار جَسَدُ[b] ضِرْغامٍ مُلْقًى يومين ، ثم حُمِلَ إلى القَرافَة ودُفِن بها .

وكانت وَزارَتُه تِسعة أشهر ، وكان من أجلّ أعْيان الأُمَرَاء ، وأشْجَع فُرْسانِهم وأَجْوَدهم لَعِبًا بالكُرَة ، وأشدِّهم رَمْيًا بالسِّهام ، ويكتب مع ذلك كِتابَةَ ابن مُقْلَة ، ويَنْظُم المُوَشَّحات الجَيِّدَة [1] .

---

a) بولاق : وثبت . b) بولاق : حينئذ .

---

[1] مصدر هذه المعلومات عند المقريزي هنا وفي اتعاظ الحنفا ٣ : ٢٦٤-٢٧١ هو جزءٌ لطيفٌ مجهولُ المؤلِّف سمَّاه مؤلِّفُه «أخبار الدَّوْلَة المصرية وما جرى بين الملوك والخلفاء من الفِتَن والحروب من أيَّام الآمر إلى أيَّام شيركوه» . وهو نصٌّ أورده ابنُ الفُرات في «تاريخه» واعتمد عليه المقريزي ـ سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ـ وأثبته هنا في المواعظ بطريقةٍ ملخَّصة . ونشر هذا الجزء من تاريخ ابن الفرات كلود كاهن في مقالٍ هام عنوانه : Cahen, Cl., «Un récit inédit du

ولمَّا جيء برأسِه إلى شاوَر، رُفِعَ على قَناةٍ وطِيفَ به، فقال الفَقيهُ عُمارَة [١]:

[الوافـر]

أرَى حَنَك[a] الوَزارَة صارَ سَيْفًا ... يُحَزُّ بحَدِّه صِيدُ[b] الرِّقابِ

كأنَّك رائِدُ البَلْوى وإلَّا ... بَشيرٌ بالمَنِيَّةِ والمُصابِ

فكان كما قال عُمارَة، فإنَّ البَلايا والمَنايا من حينئذٍ تتابَعَت على دَوْلَة الخُلَفاء الفاطِميين حتَّى لم يَبْق منهم عَيْنٌ تَطْرُف، ولله عاقِبَةُ الأُمور.

حارَةُ العُطُوفِيَّة

هذه الحارَةُ تُنْسَب إلى طائِفَةٍ من طَوائِف العَسْكَر يُقال لها العُطُوفِيَّة [٢].

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر: العُطُوفِيَّةُ منسوبةٌ لعُطوفٍ، أحَدُ خُدَّام القَصْر[c]، وهو عُطُوف غُلام الطُّويلَة، وكان قد خَدَم سِتّ المُلْك أُخت الحاكِم. [d]ذَكَره ابن أبي المنصور في كتاب «السِّياسَة»[d] [٣]. قال: وسَكَنَت - يعني الطائِفَة الجُيُوشِيَّة - بحارَة العُطوفِيَّة بالقاهِرَة [٤].

ولله دَرُّ الأديب إبراهيم المِعْمار إذ يقول مُوالِيًا يَشتمل على ذِكْر حاراتٍ بالقاهِرَة، وفيهما[e] تَوْرِيَة:

a) بولاق: جنك. b) بولاق: صيد. c) مسودة المواعظ: الدولة المصرية. d-d) إضافة من مسودة المواعظ. e) بولاق: القاهرة، وفيها.

vizirat de Dirghâm», *An. Isl.* VIII (1969), pp. 27-46; Canard, M., *EI*[2] art. Dirghâm II, pp. 327-28 وفيما تقدم ٢: ٢٠٣-٢٠٤.

[١] عمارة اليمني: النكت العصرية ٧٧، وفيه: «ولمَّا جازوا برأسه على الخليج، وكنت أسكن صَفَّ الخليج بالقاهرة، قلت ارتجالًا»؛ أبو شامة: الروضتين ١: ٣٣٣؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٢٧٢.

[٢] العُطُوفية. يَدُلُّ على موقعها المنطقة التي يتوسَّطها الآن حارة العُطُوف وسِكَّة العُطُوف بالقُرْب من باب النَّصْر على يَسار الداخل منه.

[٣] ابن أبي المنصور هو علي بن ظافِر الأزدي، المتوفى سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م، وكتاب «أساس السياسة» أحد مصادر ابن عبد الظاهر في «الروضة البهية». (الروضة البهية ٥، ٦٦).

[٤] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٤٨-٤٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٥٥؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٥٠؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٥٠.

في الجَوْدَرِيَّة رأيتُ صُورَةً هِلاليَّةً ••• للباطِلِيَّة تَميلُ لا للعُطوفيَّة
لها من اللُّؤلُؤة ثَغرٌ بمن منشية ••• إن حرّكوا وَجْهَها بَتَت الحُسَيْنِيَّة

وكانت العُطُوفيَّة من أَجَلِّ مَساكِن القاهِرَة [a]، وفيها من الدُّور العَظيمَة والحَمّامات والأَسْواق والمساجِد ما لا يَدْخُل تحت حَصْر، وقد خَرِبَت كُلُّها، وبيعت أَنْقاضُها وبيوتُها ومَنازِلُها، وأَضْحَت أَوْحَش من وَتَدٍ في قاع.

وعُطُوفُ هذا كان خادِمًا أسْوَد، قَتَلَه الحاكِمُ بجَماعَةٍ من الأَتْراك وَقَفُوا له في دِهْليز القَصْر، واحْتَزُّوا رأسَه في يوم الأَحد لإحدى/ عشرة خَلَت من صَفَر سنة إحدى وأربع مائة، قاله المُسَبِّحيّ [1].

حـارةُ الجوّانيّـة

كان يُقالُ لهذه الحارَة أوّلًا حارَةُ الرُّوم الجُوَّانِيَّة، ثم ثَقُلَ على الأَلْسِنَة ذلك، فقال النّاسُ: الجُوَّانِيَّة. وكان أيضًا يُقال لها حارَة الرُّوم العُلْيا المعروفة بالجُوَّانِيَّة [2].

وقال المُسَبِّحيّ، وقد ذَكَرَ ما كَتَبَه أميرُ المؤمنين الحاكِم بأمْر الله من الأَمانات في سنة خمسٍ وتسعين وثلاث مائة: وذَكَرَ أنّه كَتَبَ أمانًا للعَرّافَة الجَوّانِيَّة، فَدَلَّ أنّه كان من جملة الطَّوائِف قَوْمٌ يُعْرَفُون بالجَوّانِيَّة [3].

قال ابنُ عبد الظّاهِر: قال لي [b] القاضي زَيْن الدِّين، وفَّقَهُ الله: إنَّ الجَوّانِيَّة منسوبةٌ للأشراف الجَوّانيين، منهم الشَّريف النَّسّابة الجَوّاني [4].

---

a) العبارة في مسودة المواعظ: قال كاتبه: هذه الحارة بجوار الجوانية، وكان بها من الدور والمساجد. b) بولاق: قال لي مؤلفه!

---

[1] المسبحي: نصوص ضائعة ٣٠.

[2] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٢١؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٥٠؛ وفيما تقدم ٢٢.

[3] المسبحي: نصوصٌ ضائعة ٢٢؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٥٦.

[4] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٢١، المقريزي: مسودة المواعظ ٣٦٦؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٦: ٤١؛ ١٤١ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ١٤٣؛ والشَّريف النَّسّابة الجَوّاني، هو محمد بن أسْعَد بن علي الجَوّاني صاحب كتاب «النُّقَط لعجم ما أُشْكِل من الخطط» أحد أهم مصادر المقريزي في الكتاب. (انظر مقدمة المجلد الثاني ٤٠*).

قال كاتِبُه[a]: فعلى هذا يكون بفَتْح الجيم ، فإن الجَوَّاني ـ بفَتْح الجيم وتَشْديد الواو وفَتْحها وبعد الواو ألف ساكِنَة ثم نون ـ نِسْبَة إلى جَوَّان على وَزْن حَرَّان ، وهي قَرْيَةٌ من عَمَلِ مَدينَة طِيبَة على صاحِبها أفضل الصَّلاة والسَّلام .

وعلى القَوْل الأَوَّل تكون الجَوَّانِيَّة بفَتْحِ الجيم أيضًا مع فَتْح الواو وتشديدها ، فإنَّ أهل مصر

٥ يقولون لِما خَرَجَ عن المَدينَة أو الدَّار «بَرَّا» ولِما دَخَلَ «جُوَّا» بضم الجيم ، وهو خَطأ . ولهذا كان الوَرَّاقون يكتبون حارَة الرُّوم البَرَّانِيَّة لأنَّها من خارج القَصْر ، ويكتبون حارَة الرُّوم الجُوَّانية لأنَّها من داخِل القاهِرَة ، ولا يُصار إليها إلَّا بعد المرور على القَصْر . وكان موضِعُها إذ ذاك من وَرَاء القَصْر خَلْف دار الوَزارَة والحُجَر ، فكأنَّها في داخِل البَلَد .

ولذلك أصْلٌ ، قال ابنُ سِيدَه في مادَّة «ج و و» من كِتاب «المُحْكَم» : «وجَوّ[b] البَيْت داخِله ،

١٠ لَفْظَة شامِيَّة»[1] فتعيَّن فَتْح الجيم من الجَوَّانية ، ولا عِبْرَة بما تقوله العامَّةُ من ضَمِّها .

وقال الشَّريفُ محمد بن أسْعَد الجَوَّاني ، الحَسَن بن محمد الجَوَّاني بن عبيد الله الجَوَّاني ابن حُسَيْن بن عليّ بن الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالب : وقيل لمحمد بن عُبَيْد الله[c] «الجَوَّانيّ» بسَبَب ضَيْعَةٍ من ضِياع المَدينَة ـ على ساكِنها أَفْضَلُ الصَّلاة والسَّلام ـ يُقال لها الجَوَّانِيَّة . وكانت تُسَمَّى البَصْرَة الصُّغْرَى لخَيْراتِها وغِلالِها ، لا يُطْلَبُ شيءٌ إلَّا وُجِدَ بها ، وهي قَرِيبَةٌ من «صَرْيا»[d] ضَيْعَة

١٥ الإمام أبي جَعْفَر محمد بن عليّ الرِّضَا .

وكانت الجَوَّانِيَّةُ ضَيْعَةً لعبيد الله فتوفي عنها ، فوَرِثَها بعده وَلَدُه وأزواجُه ، فاشْتَرَى محمد الجَوَّانيّ ولده ـ بما حَصَلَ له بالميراث ـ الباقي من الوَرَثَة ، فحَصَلَت له كاملة فعُرِفَ بها ، فقيل الجَوَّانِيّ .

قال : ولم تَزَل أجْدادُ مؤلِّفه ببَغْداد إلى حين قُدُوم وَلَدِه أسْعَد النَّحْوي مع أبيه من بَغْداد إلى

٢٠ مصر ، ومولده بالمَوْصِل في سنة اثنتين وتسعين وأربع مائة[2] .

---

a) بولاق : مؤلفه . b) بولاق : جوا . c) بولاق : عبد الله . d) بولاق : صرار .

---

[1] ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ٧: ٣٣٢.

[2] الشُّريف القاضي سَنَاء الملك أبو البركات أسْعَد بن عليّ بن معمر بن عمر الحسيني الجَوَّاني النحوي، المتوفى نحو سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م. (العماد الكاتب: خريدة القصر (قسم مصر) ١:١١٩-١٢٠؛ القفطي: إنباه الرواة ١:٢٣٠-٢٣١؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢:٨٠-٨١).

حارَةُ البُسْتان

ويُقالُ لها حارَة بُسْتان المَصْمُودي ، وحارَةُ الأكْراد أيضًا ، وهي الآن من جملة الوَزِيرِيَّة التي تقدَّم ذكرُها [١].

حارَةُ المِرْتاحِيَّة

هذه الحارَةُ عُرِفَت بالطَّائِفَة المِرْتاحِيَّة إحدى طَوائِف العَسْكَر . قال ابنُ عبد الظَّاهِر : خُطُّ باب القَنْطَرَة يُعْرَف في كُتُب الأمْلاك القَديمَة بالمِرْتاحِيَّة [٢].

حارَةُ الفَرْحِيَّة
بالحاء المهملة

كانت سَكَنَ الطَّائِفة الفَرْحِيَّة ، وهي بجوار حارَة المِرْتاحية ؛ فإلي يَوْمِنا هذا ، فيما بين سُوَيْقَة أمير الجُيُوش وبابِ القَنْطَرة ، زُقاقٌ يُعْرَف بدَرْب الفَرْحِيَّة .

والفَرْحِيَّةُ كانت طائِفَةً من جملة عَبيد الشِّراء ، وكانت عَبيدُ الشِّراء عِدَّةَ طَوائِف ، وهم : الفَرْحِيَّة ، والحُسَيْنيَّة ، والمَيْمُونِيَّة ، يُنْسبون إلى مَيْمون دَبَّه[a] أحد الخُدَّام [٣].

حارَةُ فَرَج
بالجيم

كانت تُعْرَف قَديمًا بدَرْب النُّمَيْري ، ثم عُرِفَت بالأمير جَمال الدِّين فَرَج من أُمَرَاء بني أيُّوب ، وهي الآن داخلة في دَرْب الطِّفْل من خُطُّ قصر الشَّوْك[b].

حارَةُ قائِدُ القُوَّاد

هذه الحارَةُ تُعْرَف الآن بدَرْب مُلُوخْيا ، وكانت أوَّلًا تُعْرَف بحارَة قائِد القُوَّاد لأنَّ

---

a) بولاق : وهو. b) هنا في هامش آياصوفيا : بياض سطر.

---

[١] فيما تقدم ١٣.

[٢] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١١١؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٥٧؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٣٧٨؛ وفيما يلي ٦٩.

[٣] انظر عن مَيْمُون دَبَّه فيما يلي ١٤٠.

حُسَيْن بن جَوْهَر ـ الملقَّب قائِد القُوَّاد ـ كان يَسْكُن بها فعُرِفَت به [١].

حُسَيْن بن القائِد جَوْهَر أبو عبد الله الملقَّب بقائِد القُوَّاد، لمَّا ماتَ أبوه جَوْهَر القائِد خَلَعَ العَزيزُ بالله عليه، وجَعَلَه في رُتْبَة أبيه، ولَقَّبه بالقائِد ابن القائِد، ولم يتعرَّض لشيءٍ ممَّا تَرَكَه جَوْهَر [٢].

فلمَّا ماتَ العَزيزُ وقامَ من بعده ابنُه الحاكِمُ، اسْتَدْناه، ثم إنَّه قَلَّدَه البَريد والإنْشَاء في شَوَّال سنة ستٍّ وثمانين وثلاث مائة، وخَلَعَ عليه وحَمَلَه على فَرَسٍ بمَوْكِبٍ، وقادَ بين يديه عِدَّةَ أفْراس، وحَمَلَ معه ثيابًا كثيرة. فاسْتَخْلَفَ أبا منصور بِشْر بن عبيد الله بن سَورين الكاتِب النَّصْراني على كِتابَة الإنْشَاء، واسْتَخْلَفَ على أَخْذ رِقاع النَّاس وتَوْقيعاتهم أميرَ الدَّوْلَة المَوْصِليّ.

ولمَّا تَقَلَّدَ بَرْجَوانُ النَّظَر في تَدْبير الأُمُور، وجَلَسَ للوَساطَة بعد ابن عَمَّار، كان الكافَّةُ يَلْقَوْنه في دارِه، ويركبون جَميعًا بين يديه من داره إلى القَصْر، ما خَلا القائِد حُسَيْنٌ ومحمد بن النُّعْمان القاضي، فإنَّهما كانا يُسَلِّمان عليه بالقَصْر فقط.

فلمَّا قَتَلَ الحاكِمُ الأُستاذَ بَرْجَوان ـ كما تقدَّم [٣] ـ خَلَعَ على القائِد حُسَيْن لثلاث عشرة ليلة خَلَت من جُمادَى الأولى سنة تسعين وثلاث مائة ثَوْبًا أحمر وعِمامَة زَرْقاء مُذْهَبَة، وقَلَّدَه سَيْفًا مُحَلًّى بذَهَب، وحَمَلَه على فَرَسٍ بسَرْجٍ ولِجام من ذَهَب، وقادَ بين يديه ثلاثة أفْراس بمَراكِبها، وحَمَلَ معه خمسين ثَوْبًا صِحاحًا من كلِّ نوع، ورَدَّ إليه التَّوْقيعات والنَّظَر في أُمُورِ النَّاس وتَدْبير المملكة كما كان بَرْجَوان، ولم يُطْلِق عليه اسم وَزير.

فكان يُبَكِّر إلى القَصْر، ومعه خَليفَتُه الرَّئيس أبو العَلاء فَهْد بن إبراهيم النَّصْراني كاتِب بَرْجَوان/، فينظران في الأُمُور، ثم يَدْخُلان ويُنْهِيان الحالَ إلى الخَليفَة، فيكون القائِدُ جالِسًا، وفَهْدٌ من خَلْفِه قائِمًا.

ومَنَعَ القائِدُ النَّاسَ أن يَلْقَوه في الطَّريق، أو يركبوا إليه في دارِه، وأنَّ من كان له حاجَة فليبلغه إيَّاها بالقَصْر، ومَنَعَ النَّاسَ من مُخاطَبَتِه في الرِّقاع بسَيِّدِنا، وأَمَرَ ألَّا يُخاطَب ولا يُكاتَب إلَّا بالقائِد

---

[١] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٤٤٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٥٥؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٣٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٤٩، وفيما يلي ١١١. ويدلُّ عليها الآن حارَةُ قَصْر الشَّوْك أحد فروع شارع قصر الشَّوْك بقسم الجمالية.

[٢] راجع ترجمة قائد القُوَّاد الحسين بن جوهر، المتوفى مقتولًا سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م، عند، المقريزي: المقفى الكبير ٣: ٤٩٥-٤٩٧ وهي ترجمة مبتورة من آخرها؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ١: ٣٨٠ في ذيل ترجمة والده؛ وكذلك اتعاظ الحنفا (الجزء الثاني).

[٣] فيما تقدم ٧-٨.

فقط ، وتَشَدَّدَ في ذلك لخَوْفِه من غَيْرَة الحاكِم ؛ حتى إنَّه رأى جَماعَةً من القُوَّاد الأَتْراك قِيامًا على الطَّرِيق يَنْتَظرونه ، فأَمْسَكَ عِنانَ فَرَسِه ، ووَقَفَ وقال لهم : كُلُّنا عَبيدُ مَوْلانا ـ صَلوات الله عليه ـ ومَماليكُه ، ولَسْتُ والله أَبْرَح من مَوْضِعي أو تَنْصَرِفوا عنّي ، ولا يَلْقاني أَحَدٌ إلَّا في القَصْر ، فانْصَرَفوا .

وأقامَ بعد ذلك خَدَمًا من الصَّقالِبَة الطَّرَّادين على الطَّريق بالنَّوْبَة ، لمَنْع النَّاس المَجيء إلى دَارِه ومن لِقائِه إلَّا في القصر ، وأَمَرَ أبا الفُتوح مَسْعود الصَّقْلَبي ، صاحِب السِّتْر ، أن يُوَصِّل النَّاسَ بأَسْرهم إلى الحاكِم ، وأَلَّا يَمْنَع أَحَدًا عنه [1] .

فلمَّا كان في سابع عشر جُمادَى الآخرة ، قُرِئَ سِجِلٌّ على سائِر المنابِر بتَلْقيب القائِد حُسَيْن بـ«قائِد القُوَّاد» ، وخُلِعَ عليه .

وما زَالَ إلى يوم الجُمُعَة سابع شَعْبان سنة ثمانٍ وتسعين وثلاث مائة ، فاجْتَمَعَ سائِرُ أَهْلِ الدَّوْلَة في القَصْر بعدما طُلِبوا ، وخَرَجَ الأَمْرُ إليهم أَلَّا يُقام لأَحَدٍ ، وخَرَجَ خادِمٌ من عند الخَليفَة فأَسَرَّ إلى صاحِب السِّتْر كلامًا فصاحَ : صالِحُ بن عليّ ؛ فقامَ صالِحُ بن عليّ الرَّوْذَباري ـ متقلِّد ديوان الشَّام ـ فأَخَذَ صاحِبُ السِّتْر بيده وهو لا يَعْلَم هو ولا أَحَد ما يُراد به ، فأُدْخِلَ إلى بَيْت المال ، وأُخْرِجَ وعليه دُرَّاعة مُصْمَتَة وعِمامَة مُذْهَبَة ومعه مَسْعود ، فأجلسه بحَضْرَة قائِد القُوَّاد ، وأَخْرَجَ سِجِلًّا قرأه ابنُ عبد السَّميع الخَطيب [2] ، فإذا فيه «رَدُّ سائِر الأُمُور التي يَنْظُر فيها قائِدُ القُوَّاد حُسَيْن بن جَوْهَر إليه» ، فعندما سَمِعَ في[a] السِّجِلّ ذِكْره قام وقَبَّلَ الأرض ، فلمَّا انتهت قِراءَةُ السِّجِلّ قامَ قائِدُ القُوَّاد ، وقَبَّلَ خَدَّ صالِح وهَنَّأه وانْصَرَف [3] .

فكان يركب إلى القَصْر ، ويحضر الأَسْمِطَة إلى اليوم الثَّالِث من شَوَّال ، أَمَرَهُ الحاكِمُ أن يَلْزَم دارَه هو وصِهْرُه قاضي القُضَاة عبد العَزيز بن النُّعمان ، وأَلَّا يركبا هما وسائِر أَوْلادهما . فلَبِسَا الصُّوف ، ومُنِعَ النَّاسُ من الاجْتِماع بهما ، وصاروا يجلسون على حُصْر [4] .

---

a) بولاق : من .

---

[1] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٩ – ٣٠ .

[2] هو أبو طالب عليّ بن عبد السميع العبّاسي الخطيب ، كان يتولّى قِراءَة السِّجِلّات في عهدي الحاكم بأمر الله والظاهر لإعزاز دين الله (المسبحي : أخبار مصر ٤ ، ٦ ، ١٠ ، ٤١) .

[3] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٧٢ .

[4] نفسه ٢ : ٧٣ .

فلمَّا كان في تاسع عشر ذي القعدة ، عَفَا عنهما الحاكِمُ ، وأذِن لهما في الرُّكوب ، فرَكِبَا إلى القَصْر بزيِّهما من غير حَلْق شَعْرٍ ولا تَغْيير حالِ الحُزْن [1].

فلمَّا كان في حادي عشر جُمادَى الآخرة سنة تسعٍ وتسعين وثلاث مائة ، قُبِضَ على عبد العزيز بن النُّعْمان ، وطُلِبَ حُسَيْن بن جَوْهَر ففَرَّ هو وابنه في جَماعَةٍ ، وكَثُرَ الصِّياحُ بدار عبد العَزيز ، وغُلِّقَت حَوانيتُ القاهِرَة وأسْواقُها ، فأُفْرِجَ عنه ونُودي : ألا يُغْلِق أحَدٌ . فرُدَّ حُسَيْن بعد ثلاثة أيام بابنَيْه ، وتَمَثَّلوا بحَضْرَة الحاكِم ، فعَفَا عنهم ، وأَمَرَهم بالمسير إلى دُورِهم بعد أن خَلَعَ على حُسَيْنٍ وعلى صِهْره عبد العَزيز وعلى أولادِهما ، وكَتَبَ لهما أمانان . ثم أُعيدَ عبدُ العزيز في شهر رَمَضان إلى ما كان يتقلَّده من النَّظَر في المظالِم [2].

ثم رَدَّ الحاكِمُ ، في شهر رَبيع الأوَّل سنة أربع مائة ، على حُسين بن جَوْهَر وأوْلاده وصِهْرِه عبد العَزيز ما كان لهم من الإقْطاعات ، وقُرِئَ لهم سِجِلٌّ بذلك [3].

فلمَّا كان ليلةُ التاسع من ذي القعدة ، فَرَّ حُسَيْن بأوْلادِه وصِهْرِه وجَميع أمْوالِهم وسِلاحِهم ، فسَيَّر الحاكِمُ الخَيْلَ في طَلَبِهم نحو دِجْوَة فلم يدركهم ، وأَوْقَعَ الحَوْطَة على سائِر دورهم ، وجُعِلَت للدِّيوان المُفْرَد ـ وهو ديوانٌ أَحْدَثَه الحاكِمُ يتعلَّق بما يُقْبَض من أمْوال من يَسْخَط عليه ـ وحُمِلَ سائِر ما وُجِدَ لهم بعدما ضُبِطَ [4].

وخَرَجَت العَساكِرُ في طَلَبِ حُسَيْن ومن معه ، وأُشيعَ أنَّه قد صارَ إلى بَني قُرَّة بالبُحَيْرَة [5] ، فأُنْفِذَت إليه الكُتُب بتأمينه واستدعائه إلى الحُضُور ، فأعادَ الجَواب : بأنَّه لا يَدْخُل ما دام أبو نَصْر ابن عَبْدون النَّصْراني الملقَّب بالكافي ، ينظر في الوَساطَة ، ويوقِّع عن الخَليفَة ، فإنِّي أَحْسَنْتُ إليه أيَّام نَظَري ، فسَعَى بي إلى أمير المؤمنين ، ونالَ مِنِّي كلَّ مَنالٍ ، ولا أعُود أبدًا وهو وَزير [6].

فصُرِفَ ابن عَبْدون في رابع المحرَّم سنة إحدى وأربع مائة ، وقَدِمَ حُسَيْن بن جَوْهَر ومعه عبد العزيز بن النُّعْمان وسائِر من خَرَجَ معهما . فَخَرَجَ جَميعُ أهل الدَّوْلَة إلى لِقائِه ، وتلقَّته الخِلَعُ فأُفيضَت عليه وعلى أوْلاده وصِهْرِه ، وقُيِّدَ بين أيْديهم الدَّواب . فلمَّا وَصَلُوا إلى باب القاهِرَة

[1] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٧٤.
[2] نفسه ٢ : ٧٧، ٧٨.
[3] نفسه ٢ : ٨١.
[4] نفسه ٢ : ٨٢، وانظر عن الديوان المفرد كذلك القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٥٣، وفيما يلي ٢ : ٢٨٧.
[5] نفسه ٢ : ٨٣.
[6] نفسه ٢ : ٨٤.

تَرَجَّلوا ومَشَوْا ، ومَشَى النَّاسُ بأَسْرِهم إلى القَصْر فصاروا بحَضْرَة الحاكِم . ثم خَرَجُوا وقد عَفَا عنهم ، وأَذِنَ لحُسَيْنٌ أن يُكاتَب بقائِد القُوَّاد ، ويكون اسمه تاليًا للَقَبه ، وأن يُخَاطَب بذلك . وانْصَرَفَ إلى دارِه ، فكان يَوْمًا عَظيمًا ، وحُمِلَ إليه جَميعُ ما قُبِضَ له من مالٍ وعَقارٍ وغيره ، وأُنْعِمَ عليه ، وواصَل الرُّكُوب هو وعبد العَزيز بن النُّعْمان إلى القَصْر[١] .

٥ ثم قُبِضَ عليه وعلى عبد العَزيز ، واعْتُقِلا ثلاثة أيام ؛ ثم حَلَفَا أنَّهما لا يَغيبان عن الحَضْرَة ، وأَشْهَدا على أنْفُسهما بذلك ، وأُفْرِجَ عنهما ، وحَلَفَ لهما الحاكِمُ في أمانٍ كَتَبَه لهما[٢] .

فلمَّا كان في ثاني عشر جُمادَى الآخرة سنة إحدى وأربع مائة ، رَكِبَ حُسَيْنٌ وعبد العزيز على رَسْمهما إلى القَصْر . فلمَّا خَرَجَ السَّلامُ[a] على النَّاس قيل للحُسَيْنٌ وعبد العَزيز وأبي عليّ أخي الفَضْل : اجْلِسُوا لأَمْرٍ تُريدُه الحَضْرَةُ منكم . فجَلَسَ الثَّلاثَةُ ، وانْصَرَف النَّاسُ/، فقُبِضَ ١٠ عليهم وقُتِلُوا في وَقْتٍ واحِد ، وأُحيطَ بأمْوالِهم وضِياعِهم ودُورِهم ، وأُخِذَتِ الأماناتُ والسِّجلاّتُ التي كُتِبَت لهم ، واستدعى أوْلاد عبد العَزيز بن النُّعْمان وأوْلاد حُسَيْنٌ بن جَوْهَر ، ووُعِدوا بالجَميل وخُلِعَ عليهم وحُمِلوا[٣] .

حارَةُ الأُمَراء

وبُقالُ لها أيضًا حارَةُ الأُمَراء الأشْراف الأقارِب ، ومَوْضِعُها يُعْرَف بدَرْب شَمْس الدَّوْلة ، ١٥ وسيأتي ذكره إن شاءَ الله[٤] .

حارَةُ الطَّوارِق

ويُقالُ لها أيضًا حارَة صِبْيان الطَّوارِق ، وهم من جملة طَوائِف العَسْكَر ، كانوا مُعَدِّين لحَمْل الطَّوارِق . ومَوْضِعُ هذه الحارَة في طَريقٍ من سَلَكَ من الزُّقَيْق سُوق الخُلَعِيين داخِل باب زَوِيلَة طالبًا الباطِلِيَّة ، بالزُّقاق الطَّويل الضَّيِّق الذي يُقالُ له اليوم حَلْق الجَمَل ، السَّالِك إلى دَرْب أرْقطاي[٥] .

a) بولاق : للسلام ، اتعاظ : المتسلم .

[١] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ٨٤.
[٢] نفسه ٢: ٨٥.
[٣] نفسه ٢: ٨٦–٨٧.
[٤] المقريزي : مسودة المواعظ ٣٥٥ وفيما يلي ١٠٨.
[٥] فيما يلي ١٢١.

حارةُ الشَّرابيَّة

عُرِفَت بذلك لأنَّها كانت مَوْضِعَ سَكَنِ الغِلْمان الشُّرابِيَّة إحْدى طَوائِف العَسْكَر، وكانت فيما بينَ الباطِلِيَّة وحارَة الطُّوارِق[١] .

حارةُ الدَّميري

٥ هي من جملة العُطُوفِيَّة[a] .

حارةُ الشَّاميين

من جملة العُطُوفِيَّة[a] .

حارةُ المُهاجِرين

ومَوْضِعها الآن من جُمْلَة المكان الذي يُعْرَف بالزُّقَيْق المعدّ لسُوق الخُلَعِيين بجوار باب زَوِيلَة، ١٠ وكان بعد ذلك سُوق الخَشَّابين، ثم هو الآن سُوق الخُـلَعِيِّين[٢] .

وموضِعُ هذه الحارَة بجوار الخُوخَة التي كانت تُعْرَف بالشَّيْخ السَّعيد بن نَسْبُوه[b] النَّصْراني الكاتِب، وهي الخُوخَة التي يُسْلَك إليها من الزُّقاق المُقابِل لحَمَّام الفاضِل المعدّ لدُخُول النِّساء، ويُتَوَصَّلُ منها إلى دَرْب كُوز الزِّير بحارَة الرُّوم . وقد صارَت هذه الحارَةُ تُعْرَف بدَرْب ابن المحَفَّدار، وسيأتي ذكره إن شاءَ الله[٣] .

١٥ حارةُ العَدَوِيَّة

قال ابنُ عبد الظَّاهِر: العَدَوِيَّة هي من باب الخُشَيْبَة إلى أوَّل حارَة زَوِيلَة، عند حَمَّام[c] الحُسَام الجـلْدَكي الآن، منسوبة لجماعَةٍ عَدَوِيين نَزَلُوا هناك[٤]، وهذا المكانُ اليوم هو عبارة عن المَوْضِع

a) بعد ذلك في آياصوفيا: بياض قدر نصف سطر. b) بولاق: فشيره. c) الروضة الزاهرة: دار.

[١] ويدُلُّ على موقع الحارتين: حارة الطُّوارق وحارة الشَّرابِيَّة، المنطقةُ الواقعة بين عَطْفَة الرُّوم جنوبًا وشارع الباطنية الواقع شرق الجامع الأزهر شمالاً.

[٢] فيما يلي ٣٤٤.

[٣] لم يذكره المقريزي في الدُّروب.

[٤] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٥٧؛ المقريزي:=

الذي تَلْقاه عند خُروجِك من زُقاق حَمَّام خُشَيْبَة ، الذي يُتَوَصَّل إليه من سُوق باب الزُّهومَة ، فإذا انتهيت إلى آخِر هذا الزُّقاق وأَخَذْت على يَمينك ، صِرْتَ في حارَة العَدَوِيَّة . وموضعها الآن من فُنْدق بِلال المُغيثي إلى باب سِرِّ المارِسْتان[1] .

ويَدْخُل في العَدَوِيَّة رَحْبَةُ بَيْبَرْس التي فيها الآن فُنْدُق الزِّمام[a] وما عن يمينك إذا خَرَجْت في الرَّحْبَة المذكورة - التي صارَت الآن دَرْبًا - إلى باب سِرِّ المارِسْتان ، وما عن يَسارك إلى حَمَّام الكُوَيْك وحَمَّام الجُوَيْني - الذي تَقُولُه[b] العامَّةُ الجُهَيْني - وإلى سُوق الزُّجَّاجِين ؛ وكلُّ هذه المواضِع هي من حُقُوق العَدَوِيَّة .

وكانت العَدَوِيَّةُ قَديمًا واقِعَةً فيما بين المَيْدان الذي يُعْرَف اليوم بالخُرُنْشُف وحارَة زَوِيلَة ، وبين سَقيفَة العَدَّاس والصَّاغَة القَديمَة ، التي صارَ في[c] موضعهما الآن سُوقُ الحَريريين الشَّرابِيشِيّين[d] برأس الوَرَّاقين وسُوق الزُّجَّاجِين .

حَـارَةُ العبيدانيّة

حَـارَةُ الحَبَّانِيَّة[e]

كانت تُعْرَف أوَّلًا بحارَة البَديعيين ، ثم قيل لها بعد ذلك الحَبَّانِيَّة[2] ، من أَجْل البُسْتان الذي يُعْرَف بالحَبَّانِيَّة الجاري في وَقْف الخانْقاه الصَّلاحية سَعيد السُّعَداء . ويُتَوَصَّل إلى هذه الحارَة من تِجاه قَنْطَرة آقْ سُنْقُر ، وبعض دُورها الآن تُشْرف على بُسْتان الحَبَّانية ، وبعضها يُطِلُّ على بِرْكَة الفيل .

---

a) بولاق : الرعام . b) بولاق : تقول له . c) ساقطة من بولاق . d) بولاق : الشرابشيين .

=مسودة المواعظ ٣٧٥.

[1] فيما يلي ٣٠٥.

ويَدُلُّ على موقعها اليوم المنطقة الواقعة بين حارة الصاغة جنوبًا وامتداد شارع خان أبي طاقية غربًا ، خلف مجموعة قلاوون بشارع المعز لدين الله .

[2] حاشية بخَطِّ المُؤَلِّف : «الحبّانيّة قَرْيَة تقرب من الكوفة قُتِل بها زيادُ بن خَراش العِجْلي أحد الخوارج من أهْل الكوفة أيَّام زيادِ بن أبيه» .

ويَدُلّ على موقع حارة الحَبَّانِيَّة الآن المنطقة الواقعة بين شارع القَلْعَة (محمد علي) شرقًا وشارع بورسعيد غربًا ويتوسطها السكة المعروفة بسِكَّة الحَبَّانِيَّة . وانظر كذلك ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٣٦.

حارة الحمزيين

كانت تُعْرَف أوّلًا بالحَبّانِيّة ، ثم قيل لها حارَة الحَمْزِيين من أجْل أنَّ جماعةً من الحَمْزِيين نَزَلوا بها : منهم الحاج يُوسُف بن فاتِن الحَمْزِي[١] /، وأخُوه ضِرْغام بن فاتِن بن ساعِد الحَمْزِي ، والحاج عَوْني الطَّحّان ، ابن يونُس بن فاتِن الحَمْزِي ، ورِضْوان بن يُوسُف بن فاتِن الحَمْزِي الحَمّامي ، ٥ وأخوه سالِم بن يُوسُف بن فاتِن الحَمْزِي ، وكان هؤلاء بعد سنة ستّ مائة .

وهذه الحارَةُ خارِج باب زَوِيلَة .

ومن بلاد إفريقيّة قَرْيَةٌ يقال لها حَمْزِي ، نُسِبَ[a] إليها محمد بن أحْمد[b] بن خَلَف القَيْسي الحَمْزِي من أهل المَرِيّة[c] وقاضِيها ، توفي سنة تسع وثلاثين وخمس مائة ، ولا يبعُد أن تكون هذه الحارَة نُسِبَت إلى أهْل قَرْيَة حَمْزَة هذه لنُزُولهم بها ، كنُزُول بني سُوس وكُتامَة وغيرهم في ١٠ المواضِع التي نُسِبَت إليهم .

حارة بني سوس

عُرِفَت بطائِفَةٍ من المَصامِدَة يُقال لهم بنو سُوس كانوا يسكنون بها[d] .

حارة اليانسية

تُعْرَف بطائِفَةٍ من طَوائِف العَسْكَر يُقالُ لها اليانِسِيَّة ، مَنْسوبَةٍ لخادِم خَصِيّ من خُدّام العَزيز ١٥ بالله يُقال له أبو الحَسَن يانِس الصَّقْلبيّ[e]، خَلَّفَه على القاهِرَة ، فلمّا ماتَ العزيزُ أقرّه ابنُه الحاكِم

---

a) بولاق : ينسب . b) بولاق : حمد . c) بولاق : القرية . d) في هامش آياصوفيا هنا بياض نحو عشرة أسطر . e) بولاق : الصقلي .

---

[١] حاشية بخطّ المُؤَلِّف : «والحَمْزِيين أيضًا يَنْتسِبون إلى حَمْزَة بن أدْرَك الشّاري ، خرَج بخُراسان في أيّام هارون بن محمد الرّشيد فعاثَ وأفْسَدَ وفَضّ جُموعَ عيسىٰ بن علي عامل خراسان وقَتَلَ منهم خَلقًا وانْهَزَم عيسىٰ إلى كابل ثم غرِق حَمْزَة بوادٍ في كِرْمان ، فعُرِفت طائفته بالحَمْزِية» . وهذه الحاشية مقحمة في النّصّ في النُّسَخ المعتمدة عليها نَشْرَة بولاق .

ويَدُلُّ على موقع حارَة الحَمْزِيين الآن المنطقة الواقعة خارج باب زويلة ويتوسّطها حارة الحَمْزِيّة ، ويحدّها من الشرق حارة القِرَبِيّة ومن الغرب سِكّة حُوش الشَّرقاوي ومن الجنوب شارع الداودية .

بأمْر الله على خِلافَة القُصُور ، وخَلَع عليه وحَمَلَه على فَرَسَيْن . فلمَّا كان في المحرَّم سنة ثماني وثمانين وثلاث مائة سارَ لولاية بَرْقَة بعدما خُلِعَ عليه ، وأُعْطِي خمسة آلاف دينار وعِدَّة من الخَيْل والثِّياب .

قال ابنُ عبد الظَّاهِر : اليانِسِيَّة خارِج باب زَوِيلَة [1] ، أظنها منسوبةً ليانِس وَزِير الحافِظ لدين الله ، الملقَّب بأمير الجُيُوش سَيْف الإسْلام ، ويُعْرَف بيَانِس الفَاصِد ، وكان أرْمنيّ الجنس ، وسُمِّيَ الفاصِد لأنَّه فَصَدَ الأمير حَسَن بن الحافِظ ، وتَرَكَه مَحْلولًا فَصادُه حتى ماتَ .

وله خَبَرٌ غَريبٌ في وَفاته ، كان الحافِظُ/ قد نَقَمَ عليه أشياءَ طَلَبَ قَتْله بها باطِنًا ، فقال لطَبيبه : اكْفِني أَمْرَه بمأْكَلٍ أو مَشْرَب . فأبَى الطَّبيبُ ذلك خَوْفًا أن يصير عند الحافِظ بهذه العَيْن وربَّما قَتَلَه بها ، والحافِظُ يَحُثُّه على ذلك . فاتَّفَق ليانِس الوَزِير المذكور أنَّه مَرِضَ بزحير ، وأنَّ الحافِظَ خاطَب الطَّبيب بذلك ، فقال : يا مَوْلاي قد أمْكَنَتْكَ الفُرْصَة ، وبَلَغْتَ مَقْصُودك ، ولو أنَّ مَوْلانا عاده في هذه المَرْضَة اكتسب حُسْن أحدوثَة . وهذه المَرْضَةُ ليس دَواؤه منها إلَّا التَّوَدُّع[a] والسُّكون ، ولا شيء أضَرُّ عليه من الانْزِعاج والحَرَكَة . فمُجَرَّد ما يَسْمَعُ[b] بقَصْده مَوْلانا له تَحَرَّك ، واهْتَمّ بلِقاء مَوْلانا وانْزَعَج ، وفي ذلك تَلَف[c] نفسه . ففَعَلَ الخَلِيفَةُ ذلك ، وأطالَ الجُلُوسَ عنده ، فمات[2] .

وهذا الخَبَرُ فيه أوْهامٌ : منها أنَّه جَعَلَ اليانِسِيَّة مَنْسوبَة ليانِس الوَزِير ، وقد كانت اليانِسِيَّة قبل يانِس هذا بمُدَّةٍ طويلةٍ . ومنها أنَّه ادَّعى أنَّ حَسَنَ بن الحافِظ ماتَ من فِصادِه ، وليس كذلك ، وإنَّما ماتَ مَسْمُومًا . ومنها أنَّه زَعَم أنَّ يانِس تَوَلَّى فَصْدَه ، وليس كذلك ، بل الذي تولَّى قَتْله بالسُّمّ أبو سَعيد بن قِرْقَة . ومنها أنَّ الذي نَقَمَ عليه الحافِظُ من الأُمَرَاء فخانَه في ابنه حَسَن ، إنَّما هو الأمير المُعَظَّم جَلال الدِّين محمد المعروف بجَلَب راغِب . وهذا نَصُّ الخَبَر ، فعِزه[d] بالَك .

a) بولاق : الدعة . b) بولاق : فبمجرد ما سمع . c) النسخ : تلاف . d) بولاق : فنزه .

[1] الحارَةُ اليانسية . يدُلُّ على موقعها الآن مجموعة المساكن الواقعة خارج باب زويلة ، على يسار الخارج منه ، التي يخترقها حارَة اليانسية ودَرْب الأُنْسية ـ المحرَّف عن اليانسية . ومدخلُها من شارِع الدَّرْب الأحمر تجاه جامع قِجْماس الإسحاقي المعروف بجامع أبي حريبة ، ولها مدخل آخر بشارع المِغْربلين بجوار زاوية سيدي علي الفَيُّومي .

[2] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٣٥-١٣٦؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٣٥٩؛ المقريزي : مسودة الخطط ٤٢ظ-٤٣و .

ذِكْرُ وزارة أبي الفَتْح ناصِر الجُيُوش يانِس الأَرْمَني – وكان من خَبَرِ ذلك أنَّ الخَليفَةَ الآمِر بأحْكام الله أبا عليّ مَنْصورًا لمَّا قَتَلَه النِّزارِيَّة، في ذي القِعْدَة سنة أربعٍ وعشرين وخمس مائة، أقامَ هِزَبْرُ الملوك جَوامَرْد و[a]العادِلُ بَرْغَش الأميرَ أبا الميمون عبد المجيد في الخِلافَة كَفيلًا للحَمْل الذي تَرَكَه الآمِر، ولُقِّب بـ«الحافِظ لدين الله»، ولَبِسَ هِزَبْر الملوك خِلَع الوَزارَة[1]. فثارَ الجُنْدُ، وأقامُوا أبا عليّ أحمد المُلَقَّب بكُتَيْفات – وَلَدَ الأَفْضَل بن أمير الجُيُوش – في الوَزارَة. وقُتِلَ هِزَبْر الملوك، واسْتَوْلى كُتَيْفات على الأَمْر، وقَبَضَ على الحافِظ، وسَجَنَه بالقَصْر مُقَيَّدًا إلى أن قُتِلَ كُتَيْفات في المحرَّم سنة ستٍّ وعشرين وخمس مائة[2].

وبادَر صِبْيانُ الخاصّ الذين تولَّوا قَتْله إلى القَصْر، ودَخَلوا ومعهم الأمير يانِس مُتَوَلِّي الباب إلى الخِزانَة التي فيها الحافِظ، وأخْرَجوه إلى الشُّبَّاك وأجْلَسُوه في مَنْصِب الخِلافَة وقالوا له: والله ما حَرَّكَنا على هذا إلَّا الأمير يانِس. فجازاه الحافِظُ بأن فَوَّضَ إليه الوَزارَة في الحال وخَلَعَ عليه، فباشَرَها مُباشَرَةً جَيِّدَةً[3]. وكان عاقِلًا مُهابًا متماسِكًا مُحافِظًا[b] لقَوانين الدَّوْلَة. فلم يُحْدِث شَيْئًا، ولا خَرَجَ عمَّا يُعَيِّنه الخَليفَة له، إلَّا أنَّه بَلَغَه عن أستاذٍ من خَواصّ الخَليفَة شيءٌ يكرهه، فقَبَضَ عليه من القَصْر من غير مُشاوَرَة الخَليفَة، وضَرَبَ عُنُقَه بخِزانَة البُنُود. فاسْتَوْحَشَ منه الخَليفَة وخَشي من زِيادَة مَعْناه، وكانت هذه الفَعْلَة غَلْطَةً منه.

ثم إنَّه خافَ من صِبْيان الخاصّ أن يَفْتِكوا به كما فَتَكوا بكُتَيْفات، فتَنَكَّر لهم، وتخوَّفوه أيضًا. فرَكِبَ في خاصَّتِه وأرْكَبَ العَسْكَر، ورَكِبَ صِبْيانُ الخاصّ، فكانت بينهما وَقْعَةٌ قُبالَةَ باب التَّبَّانين بَيْنَ القَصْرَيْن، قَوِيَ فيها يانِس وقَتَلَ من صِبْيان الخاصّ ما يَزيد على ثلاث مائة رَجُل من أعْيانِهم فيهم قَتَلَة أبي عليّ كُتَيْفات، وكانوا نحو الخمس مائة فارِس، فانْكَسَرت شَوْكَتُهم،

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: متمسكا متحفظا.

[1] لم يُقِم هَزَّار [هِزَبْر] الملوك جَوامَرْد والعادل بَرْغَش، الأمير عبد المجيد خَليفَةً وإنَّما بايعوه بولاية العهد وتدبير المملكة «كفيلًا لحَمْلٍ منتظرٍ في بَطْن أمّه». (ابن ميسر: أخبار مصر ١١٣؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٩٦؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٢٤٢–٢٤٣).

[2] انظر تفصيل هذه الأحداث التي تمَّت بطريقة مخالفة لما ذكره المقريزي هنا وفيما تقدم ٢: ٣٤٩–٣٥٠ وفي اتعاظ الحنفا ٣: ١٣٧، عند أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية ٢٤٢–٢٥٣؛ Stern, S. M., «The Succession of the Fatimid Imam al-Amir», *Oriens* IV (1951), pp. 119-243.

[3] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ١٤٣–١٤٤.

وضَعُفَ جانِبُهم . واشتدَّ بأْسُ يانِس وعَظُمَ شأْنُه ، فثَقُل على الخَليفَة وتَخَيَّل منه ، فأَحَسَّ بذلك ، فأَخَذَ كلٌّ منهما في التَّدْبير على الآخَر ، فأَعْجَلَ يانِس وقَبَض على حاشِيَة الخَليفَة ومنهم قاضي القُضَاة وداعي الدُّعاة أبو الفَخْر وأبو الفَتْح بن قادوس ، وقتَلَهما [1]. فاشْتَدَّ ذلك على الحافِظ ، ودَعا طبيبَه وقال : اكْفِني أَمْرَ يانِس . فيُقال إنَّه سَمَّه في ماءِ المُسْتراح ، فانْفَتَحَ دُبُرُه ، واتَّسع حتى ما بقِي يقدر على الجُلوس . فقال الطَّبيبُ : يا أميرَ المؤمنين قد أَمْكَنَتْك الفُرْصَة وبَلَغْتَ مقصودَك . فلو أنَّ مَوْلانا عادَه في هذه المَرْضَة اكتسب حُسْن الأُحْدوثَة ، فإنَّ هذا المَرَض ليس له دَواءٌ إلَّا الدَّعَة والسُّكُون ، ولا شيءَ عليه أَضَرّ من الحرَكَة والانْزِعاج ؛ وهو إذا سَمِعَ بقَصْد مَوْلانا له تَحَرَّك ، واهْتَمّ للُّقاء وانْزَعَجَ ، وفي ذلك تَلافُ نفسه ، فنَهَضَ لعِيادَتِه .

وعندما بَلَغَ ذلك يانِس قامَ ليلْقاه ، ونَزَلَ عن الفِراش وجَلَسَ بين يدي الخَليفَة ؛ فأَطال الخَليفَةُ جُلوسَه عنده وهو يُحادِثُه ، فلم يَقُم حتى سَقَطَت أمْعاءُ يانِس وماتَ من ليلته في سادس عَشَر ذي الحِجَّة سنة ستٍّ وعشرين وخمس مائة [2].

وكانت وَزارَتُه تسعة أشهر وأيَّامًا ، وتَرَكَ وَلَدَيْن كَفَلَهما الحافِظُ وأَحْسَن إليهما .

وكان يانِسُ هذا مَوْلَى أَرْمَنِيًّا لباديس جَدّ عبَّاس الوَزير ، فأَهْداه إلى الأَفْضَل بن أمير الجُيُوش ، وتَرَقَّى في خِدْمَتِه إلى أن تأمَّر ، ثم وَلِيَ الباب ـ وهي أعْظَم رُتَب الأُمَراء ـ وكُنِّيَ بأبي الفَتْح ولُقِّب بالأمير السَّعيد . ثم لمَّا وَلِيَ الوَزارَة نُعِتَ بـ«ناصِر الجُيُوش سَيْف الإسْلام» ، وكان عَظيمَ الهِمَّة ، بعيدَ الغَوْر ، كَثيرَ الشَّرِّ ، شَديدَ الهَيْبَة [3].

ذِكْرُ الأمير حَسَن بن الخَليفَة الحافِظ ـ ولمَّا ماتَ الوزيرُ يانِس ، تولَّى الخَليفَةُ الحافِظُ الأمور بنفسه ولم يَسْتَوْزِر أحَدًا ، وأَحْسَنَ السِّيرَة . فلمَّا كان في سنة ثمانٍ وعشرين وخمس مائة عَهِدَ إلى وَلَدِه سُلَيْمان ـ وكان أَسَنَّ أوْلادِه وأَحَبَّهم إليه ـ وأقامَه مُقامَ الوَزير [4]، فماتَ بعد/ شهرين من وِلايَة

---

[1] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣:١٤٤– ١٤٥؛ ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة ٣/١: ٢٨.

[2] راجع ، ابن ميسر : أخبار مصر ١١٧– ١١٨؛ ابن ظافر : أخبار الدول ٩٨ (وفيه أن وفاته لليلتين خلتا من ذي القعدة) وكذلك ابن أيبك : كنز الدرر ٦: ٥٠٦؛ ابن الأثير : الكامل ١٠: ٦٧٣؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨: ٢٩٩؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك – خ ٣:٤٢و–٤٣و؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣:١٤٤– ١٤٥؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٥: ٢٤٠.

[3] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ١٤٥.

[4] ابن ميسر : أخبار ١٢١؛ ابن الطوير : نزهة المقلتين ٣٧؛ المقريزي : اتعاظ ٣: ١٤٩؛ أبو المحاسن : النجوم ٥: ٢٤١. ويوجد في سوهاج بصعيد مصر نقشٌ أثري من ثمانية أسطر على لَوْحٍ من الرُّخام يحمل اسم «وليّ عَهْد =

العَهْد، فجَعَلَ مَكانَه أخاه حَيْدَرَة في وِلاية العَهْد، ونَصَّبه للنَّظَر في المظالِم [١]. فشَقَّ ذلك على أخيه الأمير حَسَن ـ وكان كثير المال مُتَّسع الحال، له عِدَّةُ بِلادٍ ومَواشٍ وحاشِيَةٌ وديوانٌ مُفْرَد ـ فسَعَى في نَقْض ذلك بأن أَوْقَع الفِتْنَة بين الطَّائِفَة الجُيوشِيَّة والطَّائِفَة الرَّيْحانِيَّة، وكانت الرَّيْحانِيَّةُ قويَّة الشَّوْكة مُهابَةً مَخوفَةَ الجانِب. فاشْتَعَلَت نيرانُ الحَرْب بين الفريقين؛ وصاحَ الجُنْدُ: «يا حَسَن يا مَنْصور يا للحَسَنِيَّة». والْتَقَى الفَريقان فقُتِلَ بينهما ما يَزيد على خمسة آلاف نَفْس، فكانت هذه الوَقْعَةُ أَوَّل مَصائِب الدَّوْلَة الفاطِمية من فَقْد رجالها ونَقْص عَساكِرِها، فلم يَبْق من الطَّائِفَة الرَّيْحانِيَّة إلَّا من نَجا بنفسه من ناحية المَقْس وألقى نفسه في بحر النِّيل.

واستظهر الأميرُ حَسَن وقامَ بالأَمْر، وانضمَّ إليه أَوْباشُ النَّاس وذُعَّارُهم، ففَرَّق فيهم الزَّرَد، وسمَّاهم «صِبْيان الزَّرَد»، وجعلهم خاصَّته. فاحْتَفَوا به وصاروا لا يُفارِقُونه، فإن رَكِب أحاطوا به، وإن نَزَلَ لازَموا دارَه، فقامَت قِيامَةُ النَّاس منهم [٢].

وشَرَعَ في تَتَبُّع الأَكابِر، فقَبَضَ على ابن العَسَّاف وقَتَلَه، وقَصَدَ أباه الخَليفَة الحافِظ وأخاه حَيْدَرَة بالضَّرَر حتى خافا منه وتَغَيَّبا، فجَدَّ في طَلَب أخيه حَيْدَرَة، وهَتَكَ بأَوْباشِه الذين اخْتارَهم حُرْمَة القَصْر وخَرَقَ ناموسَه، وسَلَّطهم يُفَتِّشون القَصْر في طَلَب الخَليفَة الحافِظ وابنه حَيْدَرَة، واشْتَدَّ بأسُهم، وحَسَّنوا له كلَّ رَذيلَةٍ، وجَرَّوه على الأَذَى.

فلم يَجد الحافِظُ بُدًّا من مُدارَاة حَسَن وتلافِي أَمْرِه عَسَاه يَنْصَلِح، وكَتَبَ سِجِلًّا بوِلايته العَهْد، وأَرْسَلَه إليه فقُرِئ على النَّاس [٣]. فما زادَه ذلك إلَّا جَراءَةً عليه وإفْسادًا له، وشَدَّدَ في التَّضْييق على أبيه وأَخَذَ بأنْفاسِه. فبَعَثَ حينئذٍ الخَليفَةُ بالأُسْتاذ إسْعاف[a] إلى بِلاد الصَّعيد ليَجْمَع

---

a) بولاق: ابن إسعاف.

= أمير المؤمنين ... سليمان بن الإمام الحافِظ لدين الله»، مؤرَّخ في المحرم سنة تسع وعشرين وخمس مائة! (Wiet, G., *RCEA* VIII, p. 193 n° 3071).

[١] انظر نَصّ سجل تولية حَيْدَرَة عند القلقشندي: صبح الأعشى ٩: ٣٧٧-٣٧٩ ونقله جمال الدين الشيال في مجموعة الوثائق الفاطمية ٢٦١-٢٦٥، مع دراسة تحليلية في الصفحات ١٠٣-١٠٧ ورَجَّح فيها أن الحافظ عهد إلى ابنه حيدرة في أوائل رمضان سنة ٥٢٨هـ/١١٣٤م، وأمر الحافظ ابنه حيدرة أن يتخيَّر من رجال دولته ووجوه أجناده وشيعته طائفةً تنتمي إليه تسمى بـ «الطائفة العهدية» تظل موقوفةً على خدمة وليّ العهد حيدرة؛ وهي أول مرة يقابلنا فيها إنشاء طائفة مماثلة في العصر الفاطمي.

[٢] ابن الطوير: نزهة ٥٩؛ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٣/١: ٢٨؛ المقريزي: المقفى ٣: ٤١٦.

[٣] في ٢٦ رمضان سنة ٥٢٨هـ/٢٠ يولية سنة ١١٣٤م=

من يَقْدر عليه من الرَّيْحانِيَّة ، فمَضَى واسْتَصْرَخَ النَّاسَ لنُصْرَة الخَليفَة على وَلَدِه حَسَن ، وجَمَعَ أُمَمًا لا يُحْصيها إلَّا الله وسارَ بهم .

فبَلَغَ ذلك حَسَنًا ، فرَجَّ عَسْكرًا لِلقاء إسْعاف فالْتَقَيا ، وكانت بينهما وَقْعَةٌ هَبَّت فيها ريحٌ سَوْداءِ على عَسْكَر إسْعاف حتى هَزَمَتْهم ، ورَكِبَهم عَسْكَرُ حَسَن فلم يَنْجِ منهم إلَّا القليل ، وغَرِقَ أكثرهم في البَحْر ، وأُخِذ إسْعافُ أسيرًا فحُمِلَ إلى القاهِرَة على جَمَلٍ وفي رأسه طَرْطور لَبْد أحمر ، فلمَّا وَصَلَ بَيْنَ القَصْرَيْن رُشِقَ بالنُّشَّاب حتى هَلَكَ ، ورُمِي من القَصْر الغَرْبي بأسْتاذ آخر فقُتِل ، وقُتِل الأمير شَرَفُ الأُمَرَاء[a]. فاشتدَّ ذلك على الحافِظ وخافَ على نفسه فكَتَبَ وَرَقَةً ، وكادَ ابنه بأنْ أَلْقَى إليه تلك الوَرَقَة وفيها : «يا وَلَدي أنت على كلِّ حالٍ وَلَدي ، ولو عَمِلَ كلٌّ مِنَّا لصَاحِبِه ما يَكْره الآخَر ما أرادَ أن يُصيبَه مَكْروه ، ولا يَحْمِلني قَلْبي ، وقد انتهى الأمْرُ إلى أُمَرَاء الدَّوْلَة ـ وهم فُلان وفُلان ـ وقد شَدَدْت وطأتَكَ عليهم وخافُوك ، وهم مُعَوِّلون على قَتْلِك ، فخُذ حِذْرَك يا وَلَدي» .

فعندما وَقَفَ حَسَنُ على الوَرَقَة ، غَضِبَ ولم يتأنَّ وبَعَثَ إلى أولئِك ، فلمَّا صاروا إليه أَمَرَ صِبْيان الزَّرَد بقَتْلهم ، فقُتِلُوا عن آخِرهم ـ وكانوا عِدَّةً من أعْيان الأُمَرَاء ـ وأحاطَ بدُورهم وأخَذَ سائِر ما فيها . فاشْتَدَّت المُصيبَةُ وعَظُمَت الرَّزِيَّةُ ، وتَخَوَّف من بقيَ من الجُنْد ونَفَروا منه ؛ فإنَّه كان جريئًا مُفْسدًا شَديدَ الفَحْص عن أحْوال النَّاس والاسْتِقْصَاء لأخْبارِهم ، يُريد إقْلاب الدَّوْلَة وتَغْييرها ليُقَدِّم أوْباشَه ، وأَكْثَرَ من مُصادَرَة النَّاس ، وقَتَلَ قاضي القُضَاة أبا الثُّرَيَّا نَجْم لأنَّه كان من خَواصِّ أبيه ، وقَتَلَ جَماعَةً من الأعْيان ، ورَدَّ القَضَاء لابن مُيَسَّر[1] .

وتفاقَم أَمْرُه وعَظُم خَطْبُه ، واشْتَدَّت الوَحْشَة بينه وبين الأُمَرَاء والأجْناد ، وهَمُّوا بخَلْع الحافِظ ومُحارَبَة ابنه حَسَن ، وصارُوا يدًا واحِدَةً ، واجتمعوا بَيْنَ القَصْرَيْن وهم عشرة آلاف ما بين فارِسٍ وراجلٍ ، وسَيَّروا إلى الحافِظ يشكون ما هم فيه من البَلاء مع ابنه حَسَن ، ويَطْلُبون منه أن يُزيله من

---

a) بولاق : شرف الدين .

= (المقريزي : المقفى ٣ : ٤١٦ واتعاظ ٣ : ١٥٠) .

[1] هما القاضي أبو الثُّرَيَّا نَجْم بن جَعْفَر والقاضي أبو عبد الله محمد بن هبة الله بن مُيَسَّر القَيْسَراني . (ابن ميسر : أخبار ١١٨ ، ١٢٠ ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣ : ١٤٦ والمقفى الكبير ٧ : ٣٩٨ - ٤٠١ ؛ ابن حجر : رفع الإصر ٤٢٦ - ٤٢٩ ، ٤٤٣) .

وِلاية العَهْد. فعَجَزَ حَسَنٌ عن مُقاوَمَتِهم، فإنَّه لم يَبْق معه سوى الرَّاجِل من الطَّائِفَة الجُيوشِيَّة، ومن يَقُول بقَوْلهم من الغُزِّ الغُرَباء، فتحيَّر وخافَ على نَفْسه، فالتجأ إلى القَصْر، وصارَ إلى أبيه الحافِظ. فما هو إلَّا أن تَمَكَّن منه أبوه فقَبَضَ عليه وقَيَّدَه، وبَعَثَ إلى الأُمَرَاء يُخْبرهم بذلك، فأَجْمَعُوا على قَتْله، فرَدَّ عليهم أنَّه قد صَرَفَه عنهم، ولا يُمَكِّنه أبدًا من التَّصَرُّف ووَعَدَهُم بالزِّيادَة في الأَرْزاق والإقْطاعات، وأن يَكُفُّوا عن طَلَب قَتْلِه. فأَلَحُّوا في قَتْلِه، وقالوا: إمَّا نحن وإمَّا هو. واشْتَدَّ[a] طَلَبُهم إيَّاه حتى أحْضَروا الأَحْطاب والنِّيران ليَحْرِقوا القَصْر، وبالَغُوا في التجرِّي على الخَلِيفَة، فلم يَجِد بُدًّا من إجابَتِهم إلى قَتْلِه، وسألهم أن يُمْهِلوه ثَلاثًا، فأناخُوا بَيْنَ القَصْرَيْن، وأقامُوا على حالِهم حتى تَنْقَضي الثَّلاث. فما وَسِعَ الحافِظُ إلَّا أن اسْتَدْعى طَبِيبَيْه ـ وهما أبو مَنْصور اليهودي، وابن قِرْقَة النَّصْراني ـ وبدأ بأبي مَنْصُور وفاوَضَه في عَمَلِه سُقْيَة قاتِلَة، فامْتَنَعَ من ذلك وحَلَفَ بالتَّوْراة أنَّه لا يعرف عَمَل شيءٍ من ذلك. فتَرَكَه وأَحْضَرَ ابن قِرْقَة، وكلَّمه في هذا، فقال: السَّاعة، ولا يَتَقَطَّع منها جَسَدُه، بل تَفيض النَّفْسُ لا غير. فأَحْضَرَ السُّقْيَة من يومه، فبَعَثَها إلى حَسَن مع عِدَّةٍ من الصَّقالِبَة، وما زالوا يُكْرِهُونَه على شُرْبها حتى فَعَل، وماتَ في العشرين من جُمادَى الآخرة سنة تسعٍ وعشرين وخمس مائة.

فبَعَثَ الحافِظُ إلى القَوْم سِرًّا يقول: قد كان ما أَرَدْتُم، فامْضُوا إلى دُورِكم. فقالوا: لابد أن يُشاهِده مِنَّا من نَثِقُ به. /ونَدَبُوا منهم أميرًا معروفا بالجَراءَة والشَّرِّ يُقال له المُعظَّم جَلال الدِّين محمد ـ ويُعْرَف بجَلَب راغِب الآمِري ـ فدَخَلَ إلى القَصْر، وسارَ جَنْب حَسَن، فإذا به قد سُجِّيَ بثَوْبٍ، فكَشَفَ عن وَجْهه، وأَخْرَجَ من وَسَطِه آلةً من حَديد، وغَرَزَه بها في عِدَّة مَواضِع من بَدَنِه إلى أن تَيَقَّن أنَّه قد مات، وعادَ إلى القَوْم وأخبرهم، فتفرَّقوا[1].

---

a) بولاق: اشتد.

---

[1] راجع تفصيل الصراع بين الحافظ وابنه الحسن عند: ابن ميسر: أخبار مصر ١١٩- ١٢١؛ ابن ظافر: أخبار الدول ٩٦- ٩٧؛ ساويرس بن المقفع: تاريخ البطاركة ٣/ ٢٨:١- ٣٠؛ ابن الأثير: الكامل ٦٧٣/١٠ و١١: ٢٢؛ النويري: نهاية الأرب ٢٩٩:٢٨- ٣٠٠؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٥١٤:٦- ٥١٥؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٢: ٩٤؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ١٤٩:٣-١٥٥ والمقفى الكبير ٤١٦:٣- ٤١٨؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٢٤١:٥- ٢٤٢؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية ٢٥٥- ٢٥٨.

وعندما سَكَنَت الدَّهْمَاء ، حَقَدَ الحافِظ لابن قِرْقَة وقَتَلَه بخِزانَة البُنود ، وأَنْعَمَ بجميع ما كان له على أبي مَنْصور اليَهودي ، وجَعَلَه رَئِيسَ الأَطِبَّاء . فهذا ما كان من خَبَر يانِس وكيفية مَوْتِه ، وخَبَرِ حَسَن والخَيْر عن قَتْله .

حَـارَةُ المُنتَجِبِيَّة[a]

قال ابنُ عبد الظَّاهِر : بَلَغَني أنَّ رَجُلًا كان يَتَحَجَّب لشَمْس الدِّين قاضي زادَة ، كان يقول : إنَّ هذه الخِطَّة منسوبة لجَدِّه مُنْتَجَب الدَّوْلَة[1] . ٥

الحَـارَةُ المَنصورَة[b]

هذه الحارَةُ [خارج باب زَوِيلَة][c] كانت كبيرةً مُتَّسِعةً جِدًّا فيها عِدَّة مَساكِن السُّودان ؛ فلمَّا كانت واقِعَتُهم في ذي القعدة سنة أربعٍ وستين وخمس مائة ، كما تقدَّم في ذِكْر حارَة بَهاء الدِّين[2] ، أَمَرَ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب بتَخْرِيب المَنْصورَة هذه وتعفيَة أَثَرِها ، فخرَّبها خُطْلُبا ابن مُوسَى الملقَّب صارِم الدِّين ، وعملها بُسْتانًا[3] . ١٠

وكان للسُّودان بديار مصر شَوْكَةٌ وقُوَّةٌ ، فتبعهم صَلاحُ الدِّين ببلاد الصَّعيد حتى أفْناهُم ، بعد أن كان لهم بديار مصر في كلِّ قَرْيةٍ ومَحَلَّةٍ وضَيْعَةٍ مَكانٌ مُفْرَد لا يدخله والٍ ولا غيره احترامًا لهم . وقد كانوا يَزيدون على خمسين ألفًا ، وإذا ثارُوا على وَزيرٍ قَتَلوه ، وكان الضَّرَرُ بهم عَظيمًا

---

a) في مسودة الخطط والنسخ : المنجبية وسياق الخبر يقتضي أن تكون المنتجبية فهي نسبة إلى من يدعى منتجب الدولة لا منجب الدولة! b) بولاق : المنصورية . c) زيادة من الروضة البهية .

---

[1] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٣٥؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٥٩؛ المقريزي : مسودة الخطط ٤٣و .

وكانت حارَةُ المُنْتَجَبِيَّة تقع على يمين السالك بالشارع خارج باب زَوِيلَة مُتَّجهًا إلى الجنوب ، وفي أوَّل هذه الحارَة من جهتها البحرية اليوم الدَّرْب المعروف بدَرْب الأغاوات . وكانت الحارَةُ الهلالية تقع تجاهها على يسار السالك بالشارع خارج باب زَوِيلَة ، وفي أوَّل هذه الحارة من جهتها البحرية اليوم الدَّرْب المعروف بدَرْب الدالي حسين . (أبو المحاسن : النجوم ٥ : ١٤٠هـ[3] تعليق لمحمد رمزي) .

[2] فيما تقدم ٦ .

[3] أبو شامة : الروضتين ١ : ٤٥٢؛ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٣٧؛ وفيما يلي ٣٩٩- ٤٠٠ .

والحارَةُ المَنْصورَة تقع خارج باب زَوِيلَة على يمين الخارج منه جنوب حارَة المُنْتَجَبِيَّة ، تطل من جانبٍ على بركة الفيل ومن جانبٍ آخر على صَليبة ابن طُولون .

لامْتِداد أيديهم إلى أمْوال النَّاس وأهاليهم. فلمَّا كَثُرَ بَغْيُهم، وزادَ تَعَدِّيهم، أهْلَكَهُم الله بذُنُوبِهم[1].

وفي واقِعَةِ السُّودان وتَخْريب المَنْصورَة، وقَتْل مُؤْتَمَن الخِلافَة ـ الذي تقدَّم ذكره[2] ـ يقول العِمادُ الأصْفَهانيُّ الكاتِب يُخاطِبُ بها الملك النَّاصِر صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب[3]:

[المنسرح]

بالمَلِكِ النَّاصِر استنارَتْ ... في عَصْرِنا أوْجُه الفَضَائِلْ

يُوسُف مصرَ الذي إليه ... تُشَدُّ آمالُنا الرَّواحِلْ

رَأيك في الدَّهْر عن رَزايا ... تُجَلِّي مُهِمَّاتِه الجَلائِلْ

أجْرَيت نيلَيْنِ في ثَراها: ... نِيلٌ نَجِيعٌ ونِيلٌ نائِلْ

كَمْ كَرَمٍ من نَداك جارٍ ... وكم دَمٍ من عِداك سَائِلْ

وكَمْ معادٍ بلا معادٍ ... ومُسْتَطِيل بغَيْر طائِلْ

وحاسِدٍ كاسِد المساعي ... وسائِدٍ نافِقِ الوَسائِلْ

أقْرَرْتَ عَيْنَ الإسْلام حتَّى ... لم يَبْقَ فيها قَذًى لباطِلْ

وكيف يزهى بمُلْك مِصْر ... من يَسْتَقِلّ الدُّنْيا لنائِلْ

وما نَفَيْتَ السُّودان حتَّى ... حَكَّمْتَ البِيضَ في المقاتِلْ

ضَيَّرْتَ رَحْبَ الفَضاء ضيقًا ... عليهم كَفُّه لحابِلْ

وكُلُّ رَأى منهم كَراءٍ ... وأرْضُ مصر كلام واصِلْ

وقد خَلَتْ منهم المَغاني ... وأقْفَرَت منهم المنازِلْ

وما أُصيبُوا إلَّا بطَلٍّ ... فكيف لو أُمْطِرُوا بوَابِلْ

وقد تَجَلَّى الحَقُّ ما بالْـ ... ـباطِل في مصر كان عاجِلْ

---

[1] ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٣/ ٢: ٦٥- ٦٦؛ ابن الأثير: الكامل ١١: ٣٤٥- ٣٤٧؛ أبو شامة: الروضتين ١: ٤٥٠- ٤٥٢؛ ابن واصل: مفرج الكروب ١: ١٧٤- ١٧٩؛ ابن خلكان: وفيات ٤: ٧١، ٧: ١٥٧؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٣٦٠- ٣٦١؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٧: ٤٤؛ ابن الفرات: تاريخ ٤/ ١: ٦٧- ٧١، ١٣١؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٣١١- ٣١٣ وفيما تقدم ٤- ٦؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ٣٥٤، ٦: ٢٠؛ ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية ١٨٣- ١٨٥ وانظر كذلك أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية ٣٠١- ٣٠٢؛ Lev, Y., *Saladin in Egypt*, pp. 81-84.

[2] فيما تقدم ٤- ٥.

[3] وردت الأبياتُ مع اختلافٍ في عددها عند أبي شامة: الروضتين ١: ٤٥٢- ٤٥٣؛ ابن واصل: مفرج الكروب ١: ١٧٧- ١٧٨.

والسُّودُ بالبِيض قد تنحوا فهي بواديهم نَوازِلْ
مُؤْتَمَنُ القَوْمِ خانَ حتَّى غالَتْه من شَرِّه الغَوائِلْ
عامَلَكم بالخَنَا فأضْحَى ورَأْسُه فوق رَأس عامِلْ
وحالَف الذُّلّ بعد عِزٍّ والدَّهْرُ أحْوالُه حَوائِلْ
يا مُخْجِل البَحْر بالأيادي قد آنَ أن تُفْتَح السَّواحِلْ
فقَدِّس القُدْسَ من خَباث أرْجاس كُفْر غُتْم أراذِلْ

وكان مَوْضِعُ المَنْصورَة على يَمْنَة من سَلَكَ في الشَّارِع خارِج باب زَوِيلَة .

قال ابنُ عبد الظَّاهِر : كانت للسُّودان حارَةٌ تُعْرَف بهم تُسَمَّى المَنْصُورَة ، خَرَّبَها صَلاحُ الدِّين ، وأَخَذَها خَطْلُبا فعمَّرها بُسْتانًا وحَوْضًا . وهي إلى جانِب الباب الجَديد[١] - يعني الذي يُعْرَف اليوم بالقَوْس - عند رأس المُنْتَجَبِيَّة[a] فيما بينها وبين الهِلالِيَّة ؛ وقد حُكِرَ هذا البُسْتانُ في الأيَّام الظَّاهِرِيَّة . وبعضُها - يعني المَنْصُورَة - من جِهَة بِرْكَة الفيل إلى جانِب بُسْتان سَيْف الإسْلام ، ويسمَّى الآن بحِكْر/ الغَتْمي ، لأنَّ الغَتْمي هذا كان سَوَّغ[b] بسْتان سَيْف الإسْلام ، فحَكَّرَ في هذه الجِهَة ، وهي الآن أحْكار الدِّيوان السُّلْطاني [٢].

وحِكْرُ الغَتْمي ، الذي كان بُسْتان سَيْف الإسْلام ، يُعْرَف اليوم بدَرْب ابن البابا بحارَة[c] البُنْدُقْدارية بجوار حَمَّام الفارِقاني ، قَريب من صَلِيبَة جامِع ابن طُولون [٣].

حَارَةُ المَصَامِدَة

هذه الحارَةُ عُرِفَت بطَائِفَة المَصامِدَة ، إحدى طَوائِف عَساكِر الخُلَفَاء الفاطِمِيين ، اخْتُطَّت في وَزارَة المَأْمُون البَطائِحي وخِلافَة الآمِر بأحْكام الله بعد سنة خمس عشرة وخمس مائة .

قال ابنُ عبد الظَّاهِر : حارَةُ المَصامِدَة ، مقدَّمُهم عبد الله المَصْمودي . وكان المأمُونُ البَطائِحي ، وَزيرُ الخَلِيفَة الآمِر بأحْكام الله، قدَّمه ونَوَّه بذِكْره ، وسَلَّم له أبْوابَه للمَبيت عليها ،

a) بولاق : المنجبية . b) بولاق : شرع . c) بولاق : تجاه .

[١] الباب الجديد انظر فيما يلي ٣٣٣هـ [١] .
[٢] قارن مع ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٣٧؛ المقريزي : مسودة الخطط ٤٣و .
[٣] فيما يلي ٤٤٧ ، ٢ : ٣٩٩ .

وأضافَ إليه جَماعَةً من أصْحابِه. فلمَّا اسْتَخْلَص المَصامِدَةَ وقَرَّبَهم، سَيَّر أبا بكر المَصْمودي ليختار لهم حارَةً. فتوجَّه بالجَماعَة إلى اليانِسِيَّة بالشَّارع، فلم يجد بها مَكانًا، ووَجَدَها تَضِيق عنهم. فسَيَّرَ المهندسين لاخْتِيار حارَةٍ لهم، فاتَّفَقوا على بِناء حارَةٍ ظاهِرَ الباب الجَديد، على يَمْنَة الخارِج على شاطِئ بِرْكَة الفيل، فقال: بل تكون على يَسْرَة الخارِج والفَسْح قُدَّامها إلى بِرْكَة الفيل. فبُنِيَتِ الحارَةُ على يَسْرَة الخارِج من الباب المذكور، وبُنِيَ بجانبها مَسْجِدٌ على زَلَّاقة الباب المذكور، وبَنَى أبو بكر المَصْمودي مَسْجِدًا أيضًا - وهذه فيما أعتقد هي الهِلالِيَّة - وحَذَّرَ من بِناء شيءٍ قُبالَتَها، في الفَضاء الذي بينها وبين بِرْكَة الفيل، لانْتِفاع النَّاس بها.

وصارَ ساحِلُ بِرْكَة الفِيل من المسجد قُبالَة هذه الحارَة إلى آخِر حِصْن دُوَيْرَة مَسْعود إلى الباب الجَديد. ولم يَزَلْ ذلك إلى بعض أيَّام الخَليفَة الحافِظ لدين الله.

قال: وبُنِيَ في صَفِّ هذه الحارَة من قِبْلِيِّها عِدَّةُ دُورٍ بحوانيت تحتها، إلى أن اتَّصَل البناءُ بالمساجِد الثَّلاثَة الحاكِمِية المُعَلَّقة [1]، والقَنْطَرَة المعروفة بدار ابن طُولون، وبعدها بُسْتان ذُكِرَ أنَّه كان في جملة قاعات الدَّار المذكورة. قال: وأَظُنُّ المساجِد هي التي قُبالَة حَوْض الجاوْلي [a]المعروف أحَدُهُم بالشَّيْخ عبد الله الرُّومي[a].

قال: وبَنَى المأمون ظاهِره حَوْضًا، وأَجْرَى الماءَ له، وذلك قُبالَة مَشْهَد محمد الأَصْغَر والسَّيِّدَة سُكَيْنَة، [a]ومَشْهَد سُكَيْنَة أنشأه أبو علي الأَفْضَل[a]. قال: وأَظُنُّ هذا البُسْتان، هو الذي بَنَتْه شَجَرُ الدُّرّ بُسْتانًا ودارًا وحَمَّامات قَريب من مَشْهَد السَّيِّدَة نَفِيسَة [2].

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط.

---

[1] المساجِدُ الثلاثة الحاكمية المعلَّقة، بناها الحاكم بأمر الله نحو سنة ٤٠٢هـ (أبو المحاسن: النجوم ٤: ٥٤) وتقع في خط ابن طولون ومنها مشهد محمد الأصغر والمشهد المعروف بعبد الرحمٰن الطولوني (السخاوي: تحفة الأحباب ١١٤؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ١٥٣؛ Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 356-61.

وجاء على هامش آياصوفيا هنا: «المساجد الثلاثة ودار ابن طولون في الخراب الذي قِبْلي جامع ابن طُولون مُرورًا ببركة قارون فيما بين حَدَرَة بن قميحة والمَشْهَد المعروف بزَيْن العابدين».

[2] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣٣-١٣٤، ١٣٧؛ القلقشندي: صبح ٣: ٣٥٩؛ السخاوي: تحفة الأحباب ١١٨ وفيه أنَّ الدَّار تعرف في وقته بـ«دار الخلافة» لأنَّها كانت سكن الخلفاء العبَّاسيين بالقاهرة (وفيما يلي ٤٤٧) والمدرسة معروفة باسمها والحمَّام بحمَّام السِّتّ.

وهنا حاشية بخط المُؤلِّف: «دارُ شَجَر الدُّرّ من جملتها الدَّار التي هي اليوم سَكَن الخُلَفاء العبَّاسيين بجوار المَدْرَسَة الأَشْرَفِيَّة بالقُرب من المَشْهد النَّفيسي».
=

قالَ : وأَمَرَ المَـأْمُون بالنِّداء في القاهِرَة مع مصر[a] ثَلاثَة أيام ، بأنَّ مَنْ كانت له دَارٌ في الخَراب أو مَكانٌ يُعَمِّره ، ومن عَجَزَ عن أن يُعَمِّرَه فليُؤَجِّره من غير نَقْل شيءٍ من أَنْقاضِه ، ومن تأخَّر بعد ذلك فلا حَقَّ له في شيءٍ منه ولا حِكْرَ يلزمه ؛ وأباحَ تَعْمير ذلك جَميعَه بغير طَلَبِ بحَقٍّ فيه . فطَلَبَ النَّاسُ كافَّةً ما هو جارٍ في الدِّيوان السُّلْطاني وغيره ، وعَمَّروه حتى صارَ البَلَدان لا يتخلَّلهما دائِرٌ ولا دَارِسٌ . وبنى في الشَّارِع ـ يعني خارج باب زَوِيلَة ـ من الباب الجَديد إلى الجَبَل عَرْضًا ، وهو القَلْعَة الآن . ٥

قالَ : وكان الخَرابُ استَوْلى على تلك الأماكِن في زَمَن المُسْتَنْصِر[1] في أيام وَزارَة اليازوري ، حتى إنَّه كان بَنَى حائِطًا يَسْتُر الخَرابَ عن نَظَر الخَليفَة إذا تَوَجَّه من القاهِرَة إلى مصر ، وبَنَى حائِطًا آخر عند جامِع ابن طُولون .

قالَ : وعَمَّرَ ذلك حتى صارَ المُتَعَيِّشون بالقاهِرَة والمُسْتَخْدَمون يُصَلُّون العِشَاءَ الآخِرَة بالقاهِرَة ، ويتوجَّهون إلى سَكَنِهم[b] في مصر لا يَزالون في ضَوْءٍ وسَرْجٍ وسُوقٍ مَوْقودٍ إلى باب الصَّفا ـ وهو المَعاصِر الآن ـ[2] وذلك أنَّه يخرج من الباب الجَديد الحاكِمِي[3] على يَمْنَة بِرْكَة الفيل [c]لعند دُوَيْرة مَسْعُود وبعدها البُسْتان ، أظُنُّه بُسْتانُ سَيْف الإسلام وكان يشتمل على عِدَّة أنهار وله دَهاليز[c] ١٠

---

a) الروضة : في القاهرة ومصر . b) بولاق : مساكنهم . c-c) إضافة من مسودة الخطط .

= ومازالت بقايا مَدْرَسَة ومَشْهَد شَجَر الدُّرّ قائمةً في شارع الخَليفَة إلى الجنوب من مَشْهَد السيدة سُكَيْنَة وفي مواجهة مَشْهَد السيدة رُقَيَّة وهي مسجلة بالآثار برقم ١٦٩. (راجع، ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٢٥؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٢ : ١٨٧، ٥ : ٧٨- ٧٩، وفيما يلي ٤٤٧؛ Behrens - Abouseif, D., «The Lost Minaret of Shajarat ad-Durr at her Complex in the Cemetery of Sayyida Nafisa», *MDAIK* 39 (1983), pp. 1-16.

[1] حاشية بخَطِّ المؤلِّف : «هذا الخرابُ هو في موضع القَطائع وفي موضع العَسْكَر وفي موضع السَّاحِل القديم؛ فالقَطائِع من موضع قَلْعَة الجَبَل إلى جامع ابن طُولون، والعسكر هو من قناطِر السِّباع إلى ما دار بجامع ابن طُولون، والسَّاحِلُ هو من تجاه قَنْطَرَة السَّدّ إلى المعاريج بمصر» .

[2] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٣٤- ١٣٥؛ وفيما يلي ٣٣٣ ، ٢ : ٢٦٥. وهنا حاشية بخَطِّ المؤلِّف نصُّها : «باب الصَّفا موضعه الآن بقرب كوم الجارح خارج مصر» ؛ وانظر فيما تقدم ٢ : ١٦٨- ١٦٩.

[3] حاشية بخَطِّ المؤلِّف : «الباب الجديد يعرف اليوم بباب القَوْس خارج باب زَوِيلَة» .

وكان هذا الباب يقع في عَرْض الطَّريق الممتد خارج باب زَوِيلَة والمعروفة بشارع المِغَرْبلِين تجاه زاوية السِّتّ عائشة اليونسية على رأس شارع الدَّاوُدِيَّة من الجهة القبلية ؛ وانظر فيما يلي ٣٣٣.

(a)كِبارٌ عليها جَواسِقُ فيها ثلاث طَبَقات كلٌّ منها يَنْظُر إلى أرْبَعِ جِهات وكان يُعْرَف بأبي الحسين مُرْشِد الطَّائي ثم انتقل منه إلى يانِس، وبعده بُسْتانُ الوَزير المغربي، أظُنُّه بُسْتانُ جَوْهَر الذي فيه المساجِد الثلاثة قُبالَة هذا البُسْتان، وكانت فيه حَمّامٌ مليحة، وبعده بُسْتانُ الشّامِيين - الظّاهِر أنَّه دَثَر - وبعده بُسْتانُ مُخْتار المعروف بدكوجة أظُنُّه دَثَر a)؛ وقُبالَة جَميع ذلك حوانيتُ مسكونة عامِرَة بالمُتَعَيِّشين إلى (aمَسْجِد النفيق (كذا)، وهو على يَسْرَة السَّالِك إلى مصر وقد تَهَدَّم وبقيت آثارُه وكانت الصَّلواتُ فيه جامِعَة وحوانيتُه كلُّها مَسْكونَةa) والمعاشُ مستمرٌّ اللَّيْل والنَّهار؛ (aهذا كلُّه كلامُ ابن عبد الظَّاهِر، وقد جُهِلَت هذه المعالِمُ التي ذَكَرَها وسأتتبَّعها وأُثْبِت عنها ما أعْلَمه إن شاءَ الله تعالى a).

حارَةُ الهِلاليَّة

(aكانت حارَةً للسُّودان في الأيَّام الفاطِمية، فلمَّا كانت واقعَةُ السُّودان في سنة أربعٍ وستين وخمس مائة أحْرَق السُّلْطانُ صلاحُ الدِّين الحارَة المذكورة - وكانت تسمَّى المَنْصُورَة - وحَدُّها من باب الهِلاليَّة وإلى السُّور الحجر عَرْضًا a). ذَكَرَ ابنُ عبد الظَّاهِر أنَّها على يَسْرَة الخارج من الباب الجَديد الحاكِمي b) [١].

حارَةُ البَيازِرَة

هذه الحارَةُ خارج باب القَنْطَرَة على شاطئ الخَليج من شرقيه، فيما بين زُقاق الكَحْل وباب القَنْطَرَة، حيث المواضِع التي تُعْرَف اليوم ببِرْكَة جَناق والكَدَّاشين، وإلى قريبٍ من حارَة بَهاء الدِّين [٢].

واختُطَّت هذه الحارَة في الأيَّام الآمِريَّة، وذلك أنَّ زِمامَ البيازِرَة شَكَا ضِيق دار الطُّيور بمصر وسأل أن يُفْسَح للبيازِرَة في عِمارَة حارَة على شاطئ الخَليج بظاهِر القاهِرَة لحاجَة الطُّيور والوُحُوش

a-a) إضافة من مسودة الخطط. b) هنا في هامش آياصوفيا: بياض نحو عشرة أسطر.

[١] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣٣.
وكانت الحارَةُ الهِلاليَّة تقع تجاه حارَة المُنْتَجَبِيَّة على يسار السَّالِك في الشَّارِع خارج باب زُوَيلَة متَّجهًا إلى الجنوب، وفي أوَّلها اليوم من الجهة البحرية الدَّرْب المعروف بدَرْب الدالي حسين. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ١٤هـ [٣] تعليق لمحمد رمزي).

[٢] انظر فيما يلي ١٠٥.

إلى الماء، فأُذِنَ له في ذلك. فاختَطُّوا هذه الحارَة، وجعَلُوا مَنازلهم مَناظِرَ على الخَليج، وفي كلِّ دارٍ باب سِرّ يُنْزَلَ منه إلى الخَليج.

واتَّصَل بِناءُ هذه الحارَة بزُقاق الكَحْل [1]، فعُرِفَت بهم وسُمِّيَت بحارَة البيازِرَة (واحِدُهُم بازْيار). ثم إنَّ المُخْتارَ الصَّقْلَبي زِمام القَصْر أنشأ بجوارها بُسْتانًا وبَنَى فيه مَنْظَرَةً عَظيمَةً. وهذا البُسْتانُ يُعْرَف اليوم موضعه بِبُسْتان ابن صَيْرَم خارج باب الفُتُوح. ٥

فلمَّا كَثُرَت العَمائِرُ في حارَة البَيازِرَة، أمَرَ الوَزيرُ المأمونُ بعمل الأَقْمِنَة لشَيِّ الطُّوب على شاطئ الخَليج الكبير، إلى حيث كان البُسْتان الكبير الجُيُوشي الذي تَقَدَّم ذكره في ذِكْر مَناظِر الخُلَفاء ومتنزَّهاتهم [2].

حـارَةُ الحُسَـيْنِيَّة

عُرِفَت بطائِفَةٍ من عَبيد الشِّراء يُقالُ لهم الحُسَيْنِيَّة. قال المُسَبِّحيّ في حوادِث سنة خمسٍ وتسعين وثلاث مائة: وأُمِرَ بعَمَل شُونَة ممَّا يلي الجَبَل مُلِئَت بالسَّنْط والبُوص والحَـلْفا، فابتدئ بعملها في ذي الحجَّة سنة أربعٍ وتسعين وثلاث مائة، إلى شهر رَبيع الأوَّل سنة خمسٍ وتسعين، فخامَرَ قُلوبَ النَّاس من ذلك جَزَعٌ شَديدٌ، وظَنَّ كلُّ/ من يتعلَّق بخِدْمَة أمير المؤمنين الحاكِم بأمْر الله أنَّ هذه الشُّونَة عُمِلَت لهم. ثم قَوِيَتِ الإشاعاتُ، وتَحَدَّثَ العَوامُّ في الطُّرُقات أنَّها للكُتَّاب وأصْحابِ الدَّواوين وأسْبابِهم. ١٠ ١٥

فاجْتَمَعَ سائِرُ الكُتَّاب، وخَرَجوا بأجمعهم في خامِس رَبيع الأوَّل، ومعهم سائِرُ المتصرِّفين في الدَّواوين من المسلمين والنَّصارَىٰ، إلى الرَّمَّاحين [a]داخِل باب القَنْطَرَة[a] بالقاهِرة، ولم يَزالوا يُقَبِّلون الأرض حتى وَصَلُوا إلى القَصْر، فوَقَفُوا على بابِه يَدْعون ويتضرَّعون ويَضِجُّون ويسألون العَفْو عنهم ـ ومعهم رُقْعَةٌ قد كُتِبَت عن جَميعهم ـ إلى أن دَخَلُوا باب القَصْر الكبير، وسألوا أن يُعْفَى عنهم، ولا يُسْمَع فيهم قَوْلُ ساعٍ يسعى بهم. وسَلَّموا رُقْعَتهم إلى قائِد القُوَّاد الحُسَيْن ابن جَوْهَر، فأَوْصَلَها إلى أمير المؤمنين الحاكِم بأمْر الله، فأُجيبوا إلى ما سَأَلُوا. ٢٠

---

a-a) ساقطة من بولاق.

---

[1] انظر عن زُقاق الكَحْل فيما تقدم ٢: ٢٢١ - ٢٢٢؛ وفيما يلي ١٣٩.

[2] المقريزي: مسودة المواعظ ٣٨٤؛ وفيما تقدم ٢: ٥٨٣ - ٥٨٤.

وخَرَجَ إليهم قائِدُ القُوّاد فأَمَرَهُم بالانْصِراف والبُكور لقِراءَة سِجِلٍّ بالعَفْو عنهم ، فانْصَرَفُوا بعد العَصْر . وقُرِئَ مِن الغَد سِجِلٌّ كُتِبَ منه نُسْخَةٌ للمسلمين ، ونُسْخَةٌ للنَصارَىٰ ، ونُسْخَةٌ لليَهود ، بأمانٍ لهم والعَفْو عنهم [١].

وقال في رَبيع الآخَرِ : واشْتَدَّ خَوْفُ النَّاس من أمير المؤمنين الحاكِم بأمْر الله ، فكَتَبَ ما شاءَ الله

٥ من الأمانات للغِلْمان الأتْراك الخاصَّة وزِمامِهِم [a]ومن يَحْمَدهم[a] من الحَمْدانية والبَكْجورية والغِلْمان العُرَفاء ، والمماليك وصِبْيان الدَّار ، وأصْحابِ الإقْطاعات والمرتزقة ، والغِلْمان الحاكِمِيَّة القُدُم على اخْتِلاف أصْنافِهم .

وكُتِبَ أمانٌ لجَماعَةٍ من خَدَم القَصْر المَوْسُومين بخِدْمَة الحَضْرَة ، بعدما تجمَّعوا ، وصارُوا إلى تُرْبَة العَزيز بالله ، وضَجُّوا بالبُكاء ، وكَشَفُوا رُءوسَهم . وكُتِبَت سِجِلَّاتٌ عِدَّة بأماناتٍ للدَّيْلَم

١٠ والجِيل والغِلْمان الشَّرابِيَّة والغِلْمان المَرْتاحِيَّة[b] والغِلْمان البِشارية والغِلْمان المُفَرَّقة العَجَم وغيرهم ، والنُّقَباء والرُّوم المُرْتَزِقَة . وكُتِبَت عِدَّةُ أمانات للزُّوَيْليين والبَتَّادين والطَّبَّالين والبُوقِيين والعُطُوفيين ، وللعَرَّافَة الجَوَّانِيَّة ، والجَوْذَرِيَّة ، وللمُظَفَّرِيَّة ، وللصَّنْهاجِيين ، ولعَبيد الشِّراء الحُسَيْنِيَّة ، وللمَيمونية ، وللفَرَحِيَّة ، وأمانٌ لمؤذِّني أبْواب القَصْر ، وأماناتٌ لسائِر البَيازِرَة والفَهَّادين والحَجَّالين ، وأماناتٌ أُخَر لعِدَّة أقْوام ؛ كلُّ ذلك بعد سُؤَالهم وتَضَرُّعِهم [٢].

١٥ وقال في جُمادَى الآخرة : وخَرَجَ أهْلُ الأسْواق على طَبقاتِهم : كلٌّ يَلْتَمِس كَتْب أمانٍ يكون لهم . فكُتِبَ فَوْق المائة سِجِلٍّ بأمانٍ لأهْل الأسْواق على نُسْخَةٍ واحدة ، وكان يَقْرأ جَميعَها في القَصْر أبو عليّ أحمد بن عبد السَّميع العَبَّاسي ، وتَسَلَّم أهْلُ كلِّ سُوقٍ ما كُتِبَ لهم .

وهذه نُسْخَةُ إحْداها بعد البَسْمَلَة :

«هذا كِتابٌ من عبد الله ووَلِيّه المَنْصور أبي عليّ الإمام الحاكِم بأمْر الله

٢٠ أمير المؤمنين ، لأهْل مَسْجِد عبد الله [٣]: أنَّكم من الآمِنين بأمَانِ الله الملك الحَقّ المبين ، وأمَان جَدِّنا محمَّد خاتَم النَّبيين ، وأبينا عليّ خَيْر الوَصِيِّين ،

---

a-a) بولاق : وأمرائهم. b) بولاق : الريحانية.

---

[١] المسبحي : نصوص ضائعة ٢٠؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢:٥٤- ٥٥.

[٢] نفسه ٢١؛ نفسه ٢:٥٥- ٥٦.

[٣] انظر عن مسجد عبد الله فيما تقدم ٢:١٢٥هـ ٥.

وآبائِنا الذُّرِّيَّة النَّبوِيَّة المَهْدِيين، صَلّى الله على الرَّسُول ووَصِيِّه وعليهم أجْمَعين. وأَمَانُ أمير المؤمنين على النَّفْس والحال والدَّم والمال: لا خَوْفٌ عليكم، ولا تَمتدُّ يدٌ بسُوءٍ إليكم، إلّا في حَدٍّ يُقامُ بواجِبه، وحَقٍّ يُؤْخَذ لمستوجبه. فليُوثَق بذلك، وليُعَوَّل عليه إن شاءَ الله.

٥ وكُتِبَ في جُمادَى الآخِرَة سنة خَمْسٍ وتسعين وثلاث مائة، والحَمْدُ لله، وصلَّى الله على مُحَمَّد سيِّد المُرْسلين، وعليٍّ خَيْر الوَصِيِّين، وعلى الأئمة المَهْدِيين ذُرِّيَّة النُّبُوَّة، وسلَّم تَسْليمًا كثيرًا»[١].

وقال ابنُ عبد الظّاهِر: فأمَّا الحارَاتُ التي من باب الفُتُوح مَيْمَنَةً ومَيْسَرَةً للخارِج منه. فالمَيْمَنَة إلى الهِليلْجَة والمَيْسَرَة إلى بِرْكَة الأَرْمَن[٢] برَسْم الرَّيْحانية - وهي الحُسَيْنِيَّة الآن - وكانت برَسْم الرَّيْحانية القَراوية[a] والمُوَلَّدة والعُجْمان وعَبيد الشِّراء، وكانت ثَمانِ حارَات وهي: حارَة حامِد، ١٠ بَيْنُ الحارَتَيْن، المَنْشِيَّة الكبيرة، [والمَنْشِيَّة الصَّغيرة][b]، الحارَة الكبيرة، [حارة عبيد الشِّرَاء][b]، الحارَة الوُسْطَى، حارَة السُّوق الكبير، الوَزيريَّة[٣]. وللأَجْناد بظاهِر القاهِرَة حارَاتٌ، وهي: حارَةُ البَيازِرَة، والحُسَيْنِيَّة، جَميعُ ذلك سَكَن الرَّيْحانِيَّة[٤].

وسَكَنُ الجُيوشِيَّة والعُطوفيَّة بالقاهِرَة المَحْروسَة[c] وبظاهِرها الهِلاليَّة والشَّوْبك وحَلَب[٥] والحَبّانِيَّة ١٥ والمأمونية وحارَةُ الرُّوم وحارَةُ المَصامِدَة والحارَة الكبيرة والمَنْصورة الصغيرة واليانِسِيَّة وحارَة أبي بكر والمَقْس وبَرّ ابن التَّبّان[d] والشّارِع. ولم يكن للأَجْنَاد في هذا الوَجْه غير حارَة عَنْتَر للمؤمنين المترجلة.

---

a) بولاق: الغزاوية، والروضة البهية: الفزارية. b) زيادة من ابن عبد الظاهر. c) ساقطة من بولاق. d) بولاق: رأس التبان.

---

[١] المسبحي: نصوص ضائعة ٢١؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٥٧-٥٨.

[٢] حاشية بخَطّ المؤلِّف: «بِرْكَة الأَرْمَن تُعْرَف ببركة قراجا قريب الخَنْدَق»، وانظر فيما يلي ٤٥٣، ٥٤٩، وترك المقريزي بعدها فراغًا في مسودة المواعظ ٣٨٦.

[٣] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٢٢-١٢٣.

[٤] المقريزي: مسودة المواعظ ٣٨٥.

[٥] حاشية بخَطّ المؤلِّف: «تُعْرَف حَلَب اليوم بزُقاق حَلَب قريبًا من بِرْكَة الفيل بجوار حَوْض ابن هَنَس»، وفيما يلي ٦٨.

وكانت كلُّ حارَةٍ من هذه بَلَدَةً كبيرةً بالبَزّازين والعَطّارين والجَزّارين وغيرهم ، والوُلاة لا يَحْكُمون عليها ، ولا يَحْكم فيها إلَّا الأَزِمَّة ونُوّابهم . وأعْظَمُ الجَميع الحارَة الحُسَيْنِيَّة التي هي آخِر صَفِّ المَيْمَنَةِ إلى الهليلْجة ـ وهي الحُسَيْنِيَّة الآن ـ لأنَّها كانت سَكَنَ الأَرْمَن فارِسُهم وراجلُهم ، وكان يجتمع بها قَرِيبٌ من سبعة آلاف نَفْس وأكثر من ذلك ، وبها أسْواقٌ عِدَّة [١] .

وقال في موضِع آخر : الحُسَيْنِيَّةُ مَنْسوبةٌ لجَماعَةٍ من الأشْراف الحُسَيْنيين كانوا في الأيام الكامِلِيَّة . قَدِموا من الحِجاز ، فنَزَلوا خارج باب النَّصْر بهذه الأمْكِنَة واسْتَوْطَنُوها ، وبنوا بها مَدابغ صَنَعوا بها الأديم المُشَبَّه بالطَّائِفي ، فسُمِّيَت بالحُسَيْنِيَّة . ثم سَكَنَها الأجْنادُ بعد ذلك ، وابتنوا بها هذه الأبْنِيَة العَظيمَة [٢] .

وهذا وَهْمٌ ، فإنَّه تَقَدَّم أنَّ من جملة الطَّوائِف في الأيَّام الحاكِمية الطائِفةُ الحُسَيْنِيَّة ، وتَقَدَّم ـ فيما نَقَله ابن عبد الظَّاهِر أيضًا ـ أنَّ الحُسَيْنِيَّة كانت عِدَّة حارات ، والأيَّام الكامِلِيَّة إنَّما كانت بعد الستّ مائة ، وقد كانت الحُسَيْنِيَّةُ قبل ذلك بما يُنيف عن مائتي سنة ، فتدَبَّره .

واعْلَم أنَّ الحُسَيْنِيَّة شُقَّتان : إحْداهُما/ ما خَرَجَ عن باب الفُتُوح ، وطُولُها من خارِج باب الفُتُوح إلى الخَنْدق ، وهذه الشُّقَّة هي التي كانت مَساكِن الجُنْد في أيام الخُلَفَاء الفاطِميين ، وبها كانت الحاراتُ المذكورة . والشُّقَّةُ الأخرى ما خَرَجَ عن باب النَّصْر وامتدَّ في الطُّول إلى الرَّيْدانِيَّة ، وهذه الشُّقَّة لم يكُن بها في أيام الخُلَفَاء الفاطِميين سوى مُصَلَّىٰ العيد تجاه باب النَّصْر ، وما بين المُصَلَّىٰ إلى الرَّيْدانِيَّة فَضَاءٌ لا بِناءَ فيه ، وكانت القَوافِلُ إذا بَرَزَت تُريد الحَجَّ تنزل هناك [٣] .

---

[١] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٢٢-١٢٣؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٣٨٥.

[٢] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٢٢؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٣٨٣؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٥٥؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٤٥.

ويَدُلُّ على موضع الحارَة الحُسَيْنِيَّة المنطقة الواقعة تجاه باب الفُتُوح والتي يتوسَّطها من الجنوب إلى الشمال شارع الحُسَيْنِيَّة وشارع البَيُّومي حتى مَيْدان الجَيْش ، وانظر Behrens - Abouseif, D., «The North-Eastern Extension of Cairo under the Mamluks», *An.Isl.* XVII (1981), pp. 160-65؛ ولأمل محمد المصري : حي الحُسَيْنِيَّة في العصرين المملوكي والعثماني ، رسالة ماجستير بآثار القاهرة ١٩٩٠. أمَّا صَحْراء الهليلج فتقع بين الرَّيْدانية والخَنْدَق ، أي ما يعادل الآن منطقتي العَبّاسية والدِّمِرْداش .

[٣] المقريزي : مسودة المواعظ ٣٨٣، وتوجد هنا حاشية بخطِّ المؤلِّف نصّها : «الرَّيْدانية تُنْسَب إلى رَيْدان الصَّقْلَبي أحد خُدَّام الخليفة العزيز بالله ، ولا أدري هذا الاسم عربيًّا أو عجميًّا ، فإن كان عربيًّا فإنه من مادَّة : ري ، ويقال : ريح رَيْدَه وراده ورايْدانية ـ أي لَيِّنَة الهبوب ـ ، وقيل : ريحٌ رَيْدة كثيرة الهبوب ؛ فلعلَّه أُريد بريْدان اللَّيِّن ، والله أعْلَم» . =

فلمَّا كان بعد الخمسين وأربع مائة ، وقَدِمَ أميرُ الجُيُوش بَدْرُ الجَمالي ، وقامَ بتَدْبير أَمْر دولة الخَلِيفَة المُسْتَنْصر بالله[a]، أنشأ بَحْري مُصَلَّى العِيد ، خارج باب النَّصْر ، تُرْبَةً عَظِيمَةً وفيها قَبْرُه هو ووَلَدُه الأَفْضَلُ بن أمير الجُيُوش وأبو عليّ كُتَيفات بن الأَفْضَل وغيره ، وهي باقية إلى يَوْمِنا هذا ، ثم تَتَابَعَ النَّاسُ في إنْشَاء التُّرَب هناك حتى كَثُرَت . ولم تَزَلْ هذه الشُّقَّةُ مَواضِعَ للتُّرَب ومَقابِرِ أَهْل الحُسَيْنِيَّة والقاهِرَة إلى بعد السبع مائة [١]. ٥

ولقد حُدِّثْت عن المَشْيَخة ممَّن أَدْرَك ، بأنَّ ما بين مُصَلَّى الأَمْوات التي خارج باب النَّصْر وبين دار كَهَرْداش التي تُعْرَف اليوم بدار الحاجِب ، مَكانًا يُعْرَف بالمَرَاغَة مُعَدًّا لتَمْريغ الدَّواب به ، وأنَّ ما في صَفِّ المُصَلَّى من بَحْريها التُّرَب فقط .

ولم تَعْمُر هذه الشُّقَّةُ إلَّا في الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة لاسيَّما لمَّا تغلَّب التَّتَرُ على مَمَالِك المَشْرِق[b] والعِراق ، وجَفَلَ النَّاسُ إلى مصر ، فنَزَلوا بهذه الشُّقَّة وبالشُّقَّة الأخرى ، وعَمَّروا بهما المساكِن ، ونَزَلَ بها أيضًا أُمَرَاءُ الدَّوْلَة . فصارَت من أعْظَم عَمَائِر مصر والقاهِرَة ، واتَّخَذَ الأُمَرَاءُ بها ـ من بَحْريها فيما بين الرَّيْدانِيَّة إلى الخَنْدَق ـ مُناخات الجِمال وإسْطَبْلات الخَيْل ، ومن وَرائِها الأَسْواق والمساكِن العَظيمَة في الكثرة ، وصارَ أَهْلُها يُوصَفُون بالحُسْن خُصُوصًا لمَّا قَدِمَت الأُوَيْراتية [٢]. ١٠

ذِكْـرُ قُـدُوم الأُوَيْراتِيَّة[٣] ـ وكان من خَبَرِ هذه الطَّائِفة أنَّ بَيْدَرا بن طُرْغاي بن هُولاكو لمَّا قُتِلَ في ذي الحِجَّة سنة أربعٍ وتسعين وستّ مائة[c]، وقامَ في المُلْك من بعده على المُغُل الملك غازان ١٥

---

a) بولاق : الدولة الخليفة المنتصر بالله .   b) بولاق : الشرق .   c) النسخ : وسبع مائة .

= وانظر فيما تقدم ٢: ٢١٠، وفيما يلي ٤٦٤، ومقال دوريس أبو سيف السابق .Behrens - Abouseif, D؛ *op.cit.*, pp. 165-71 ومسودة المواعظ ٣٨٣.

[١] انظر فيما يلي ٣٦٨، ٤٦٢ وأيضًا علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ٢١٤؛ Pauty, Ed., «Le mausolée présumé de Badr adj-Djamali», *CR du comité* ex. (1933-35), pp. 162-63; Ragib, Y., «Le mausolée de Yûnus al-Saʿdî est-il celui de Badr al-Gamâlî?», *Arabica* XX (1973), pp. 305-7; Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 451-52؛ وفيما يلي ٤٦٢.

[٢] المقريزي : مسودة المواعظ ٣٨٦ تحت عنوان : صحراء الهليلج .

[٣] الأويراتية . نسبة إلى لَفْظ أُوَيْرات ويُقالُ أيضًا عُوَيْرات ، وهو اسم جنسٍ يُطْلَق على عِدَّة قبائل مُغُولية كانت تسكن الجزء الأعلى من نهر ينسي Yenssei بأواسط آسيا . (المقريزي : السلوك ١: ٨٠٧هـ[٣]؛ وانظر أيضًا فيما يلي ٦٥هـ[١]) .

محمود بن خَرَبَنْده بن إيغاني ، تَخَوَّف منه عِدَّةٌ من المُغُل يُعْرَفون بالأُوَيْراتِيَّة ، وفَرُّوا عن بِلادِه إلى نَواحي بَغْداد ، فنَزَلوا هناك مع كبيرهم طُرْغاي . وجَرَت لهم خُطُوبٌ آلَت بهم إلى اللَّحاق بالفُرات ، فأقامُوا بها هنالِك ، وبَعَثُوا إلى نائِب حَلَب يستأذنونه في قَطْع الفُرات ليعبروا إلى ممالِك الشَّام ، فأذِنَ لهم ، وعَدُّوا الفُرات إلى مَدينَة بَهَسْنا[a] [1] ، فأكرمهم نائِبُها ، وقامَ لهم بما يَنْبَغي من العُلُوفات والضِّيافات .

وطُولِعَ المَلِكُ العادِلُ زَيْن الدِّين كَتْبُغا ـ وهو يومئذٍ سُلْطان مصر والشَّام ـ بأَمْرِهم ؛ فاسْتَشار الأُمَرَاءَ فيما يَعْمل بهم ، فاتَّفَق الرأيُ على اسْتِدْعاء أكابِرهم إلى الدِّيار المصرية ، وتَفْريق باقيهم في البلاد السَّاحلية وغيرها من بلاد الشَّام . وخَرَجَ إليهم الأميرُ عَلَمُ الدِّين سِنْجِر الدُّواداري والأميرُ شَمْسُ الدِّين سُنْقُر الأَعْسَر إلى دِمَشْق ، فجَهَّزا من أكابِر الأُوَيْراتية نحو الثلاث مائة للقُدوم على السُّلْطان ، وفَرَّقا من بقي منهم بالبِقاع العَزيزَة وبِلاد السَّاحِل .

ولمَّا قَرُبَ الجَماعَةُ من القاهِرَة ، خَرَجَ الأُمَرَاءَ بالعَسْكَر إلى لِقائِهم ، واجتمع النَّاسُ من كُلِّ مَكانٍ حتى امتلأ الفَضَاءُ للنَّظَر إليهم . فكان لدُخولهم يومٌ عَظيمٌ ، صاروا إلى قَلْعَة الجَبَل ، فأَنْعَمَ السُّلْطانُ على طُرْغاى مقدَّمهم بإمْرَة طَبَلَخاناه[b] ، وعلى اللُّوص بإمْرَة عَشَرَة ، وأعطى البقيَّة تَقَادُم في الحَلْقَة وإقْطاعات ، وأجْرَى عليهم الرَّواتِب ، وأُنْزِلوا بالحُسَيْنِيَّة . وكانوا على غير المِلَّة الإسْلامية ، فشَقَّ ذلك على النَّاس ، وبُلُوا منهم[c] مع ذلك بأنْواعٍ من البَلاء لسُوءِ أخْلاقِهم ، وكُفْر[d] نُفوسهم ، وشِدَّة جَبروتهم .

وكان إذ ذاك بالقَاهِرَة ومصر غَلاءٌ كبيرٌ وفَناءٌ عَظيمٌ ، فتضاعَفَتِ المَضَرَّةُ ، واشْتَدَّ الأمْرُ على النَّاس [2] ، وقال في ذلك الأديبُ شَمْسُ الدِّين محمد بن دَانْيال :

---

a) بولاق : بهنسا . b) بولاق : طبلخانة . c) ساقطة من بولاق . d) بولاق : نفرة .

---

[1] بَهَسْنا . قلعة حصينة بقرب مَرْعَش وسميساط من أعمال حَلَب (ياقوت : معجم البلدان ١ : ٥١٦) ، تُعْرَف الآن باسم بسني Besni في شرق تركيا (Cahen, Cl., *EI*[2] art. *Besni* I, pp. 1225-26; Eddé, A. M., *La principauté ayyoubide d'Alep (579/1183-658/1260)*, Stuttgart 1999, pp. 49-50, 695.

[2] راجع عن غلاء سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م ، بيبرس المنصوري : زبدة الفكرة ٣٠٩ ؛ النويري : نهاية الأرب ٣١ : ٢٩٣ - ٢٩٤ ؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٨ : ٣٦٣ - ٣٦٥ ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ١ : ١٨٤ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٨ : ٢٠٨ - ٢١٠ ؛ المقريزي : السلوك ١ : ٨١٢ - ٨١٣ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٨ : ٦٠ ، ٧٩ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١ : ٣٨٩ - ٣٩١ .

[الخفيف]

رَبَّنا اكْشِف عَنَّا العَذابَ فإنَّا قد تَلِفْنا في الدَّوْلَة المُغْلِيَّة
جاءَنا المُغْلُ والغَلا فانْصَلَقْنا وانْطَبَخْنا في الدَّوْلَة المُغْلِيَّة

ولمَّا دَخَلَ شهرُ رَمَضان من سنة خمسٍ وتسعين وستّ مائة ، لم يَصُم أحَدٌ من الأُوَيْراتية . وقيل للسُّلْطان ذلك ، فأبَى أن يُكْرِهَهُم على الإسْلام ، ومَنَعَ من مُعارَضَتهم ، ونَهَى أن يُشَوّش أحَدٌ عليهم ، وأظهر العناية بهم . وكان مُرادُه أن يجعلهم عَوْنًا يَتَقَوَّى بهم ، فبالَغ في إكْرامِهم حتى أثر في قُلوب أُمَرَاء الدَّوْلَة منه إحَنًا ، وخَشَوْا إيقاعه بهم .

فإنَّ الأُوَيْراتية كانوا أهْل جِنْس كَتْبُغا ، وكانوا مع ذلك صُوَرًا جميلة ، فافْتُتِنَ بهم الأُمَرَاءُ ، وتَنافَسُوا في أوْلادهم من الذُّكور والإناث ، وأَخَذوا[a] منهم عِدَّةً صَيَّروهم من جُمْلة جُنْدهم وتَعَشَّقوهم ، فكان بعضُهم يَسْتَفْسِد[b] من صاحِبه من اخْتَصَّ به وجَعَلَه مَحَلّ شَهْوَتِه .

ثم ما قَنَعَ الأُمَرَاءُ ما كان بمصر منهم حتى أرْسَلوا إلى البلاد الشَّامية ، واسْتَدْعوا منهم طائِفَةً كبيرةً . فتَكاثَر نَسْلُهم في القاهِرَة ، واشْتَدَّت الرَّغْبَةُ من الكافَّة في أوْلادهم ، على اخْتِلاف الآرَاء في الإناث والذُّكران[c] ، فوَقَعَ/ التَّحاسُد والتَّشاجُر بين أهل الدَّوْلَة ، إلى أن آلَ الأَمْرُ بسببهم ، وبأسبابٍ أُخَر ، إلى خَلْع السُّلْطان الملك العادِل كَتْبُغا من المُلْك في صَفَر سنة ستٍّ وتسعين وستّ مائة .

فلمَّا قامَ في السَّلْطَنَة من بعده الملكُ المنصور حُسامُ الدِّين لاجين ، قَبَضَ على طُرُغاي مقدَّم الأُوَيْراتِيَّة وعلى جَماعَةٍ من أكابِرهم ، وبَعَثَ بهم إلى الإسْكَنْدَرية فسَجَنَهم بها وقَتَلَهم ، وفَرَّق جَميعَ الأُوَيْراتية على الأُمَرَاء ، فاسْتَخْدَموهم وجَعَلُوهم من جُنْدهم ، فصارَ أهْلُ الحُسَيْنِيَّة لذلك يُوصَفون بالحُسْن والجَمال البارِع . وأدْرَكْنا من ذلك طَرَفًا جَيِّدًا ، وكان للنَّاس في نِكاح نِسائِهم رَغْبَةٌ ، ولآخرين شَغَفٌ بأوْلادِهم[1] .

ولله دَرُّ الشَّيْخ تقيّ الدِّين السّروجي إذْ يقول من أبْياتٍ :

a) بولاق : واتخذوا . b) بولاق : يستنشد . c) بولاق : الذكور .

[1] راجع خبر الأويراتية عند ، المقريزي : المسودة ٣٨٦-٣٨٨ وقارن مع مجهول : تاريخ سلاطين المماليك ٣٨-٣٩؛ بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ٣٠٩-٣١٠؛ النويري : نهاية الأرب ٣١: ٢٩٦-٢٩٩؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٨: ٣٦١-٣٦٢؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ١: ١٨٥؛ ابن الفرات : تاريخ ٨: ٢٠٣-٢٠٥؛ المقريزي : السلوك ١: ٨١٢-٨١٣؛

[السريع]

يا ساعِيَ الشَّوْق الذي مُذْ جَرَى	جَرَت دُموعي فهي أَعْوانُه
خُذْ لي جَوابًا عن كِتابي الذي	إلى الحُسَيْنِيَّة عُنْوانُه
فهي كما قَدْ قِيل وادي الحِمَى	وأهلُها في الحُسْن غِزْلانُه
امْشِ قَليلًا وانْعَطِف يَسْرَةً	يَلْقاك دَرْبٌ طالَ بُنْيانُه
واقْصِد بصَدْرِ الدَّرْب ذاكَ الذي	بحُسْنِه تَحْسُن جِيرانُه
سَلِّم وقُلْ يَخْشى من أيّ من	أفْش حَديثًا طالَ كِتْمانُه
وسَلْ لي الوَصْل فإن قال بَقِّ	فقل أَوَت قد طال هِجْرَانُه

وما بَرِحوا يُوصَفون بالزَّعارة والشَّجاعَة، وكان يُقالُ لهم البُدُورَة: فيُقالُ البَدْر فُلان، والبَدْر فُلان، ويُعانون لِباس الفُتُوَّة وحَمْل السِّلاح، ويُؤْثَر عنهم حِكاياتٌ كثيرةٌ وأخبارٌ جَمَّة.

[1]وكانت الحُسَيْنِيَّة قد أَرْبت في عِمارَتها على سائِر أَخْطاط مصر والقاهِرَة، حتى لقد قال لي ثِقَةٌ مِمَّن أدركت من المَشْيَخة: إنَّه يعرف الحُسَيْنِيَّة عامِرَةً بالأسْواق والدُّور، وسائِر شَوارِعها كاظَّةً بازْدِحام النَّاس من الباعَة والمارَّة وأرْباب المَعايش، وأصْحابِ اللَّهْو والمَلْعوب. فيما بين الرَّيْدانِيَّة - محطة المَحْمَل يوم خُروج الحاجّ من القاهِرَة - وإلى باب الفُتُوح، لا يستطيع الإنْسانُ أن يَمُرّ في هذا الشَّارِع الطَّويل العَريض، طُول هذه المسافَة الكبيرة، إلَّا بمَشَقَّة من الزِّحام، كما كُنَّا نعرف شارِع بَيْن القَصْرَيْن فيما أدْرَكْنا.

وما زالَ أَمْرُ الحُسَيْنِيَّة مُتَماسِكًا إلى أن كانت الحَوادِثُ والمِحَنُ منذ سنة ستّ وثَمان مائة وما بعدها، فخَرِبت حاراتُها، ونُقِضَت مَبانِيها، وبِيع ما فيها من الأخْشاب وغيرها، وبادَ أهلُها[2].

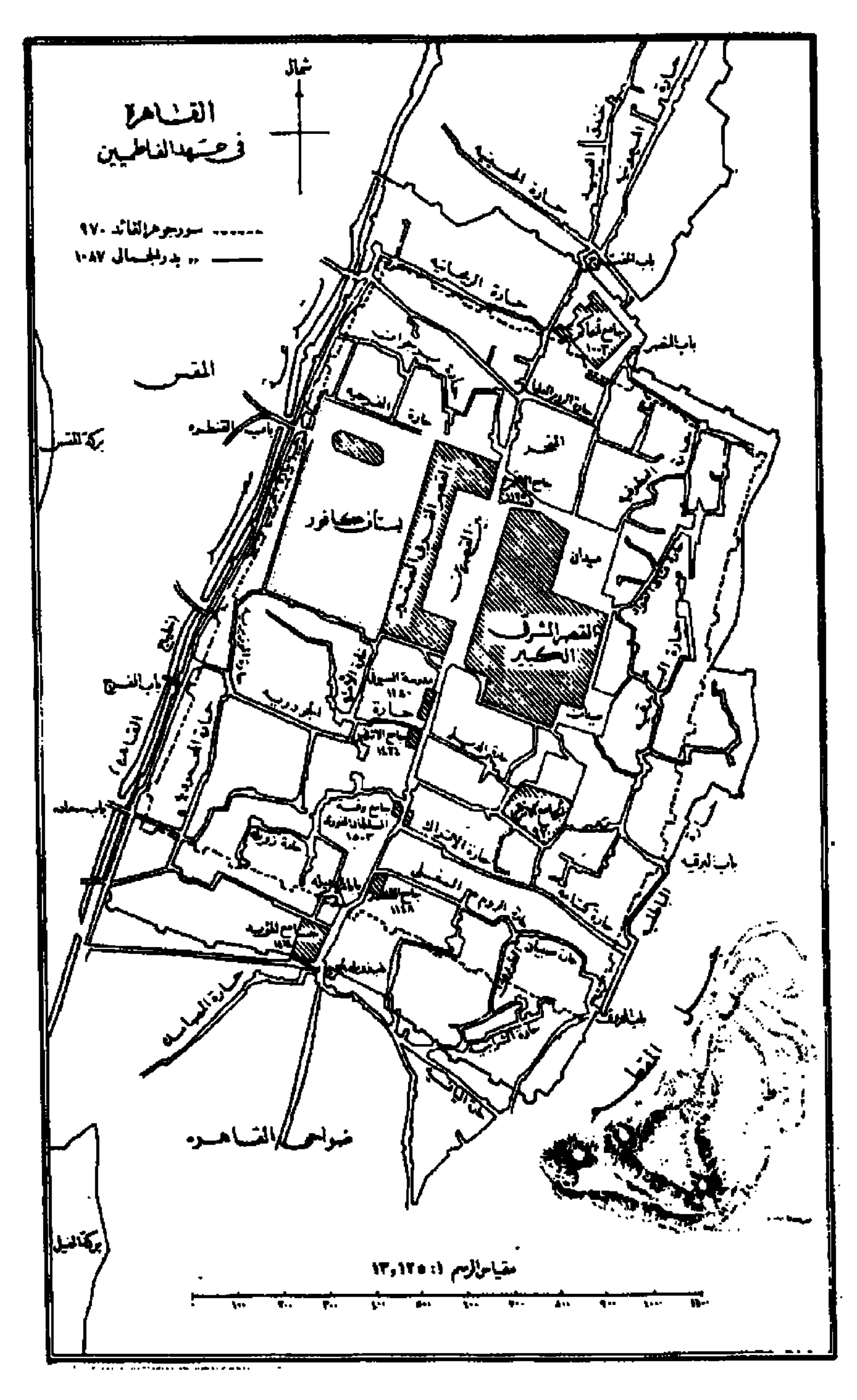
ثم حَدَثَ بها، بعد سنة عشرين وثمان مائة، آفَةٌ[a] من آيات الله تعالى؛ وذلك أنَّ في أعوام بِضع وتسعين[b] وسبع مائة، بدأ بناحية مَرْج[c] الزَّيَّات - فيما بين المَطَرِيَّة وسِرْياقوس - فَسادُ الأَرَضَة التي من شأنها العَبَث في الكُتُب والثِّياب، فأكَلَت لشَخْصٍ نحو ألف وخمس مائة قَتَّة دَريس.

a) بولاق: آية. b) بولاق: ستين. c) بولاق: بمرج.

[1] ابتداءً من هنا وحتى صفحة ٦٨ نقله ريمون وفييت إلى الفرنسية في كتابيهما Raymond, A. & Wiet, G., *Les Marchés du Caire*, p. 222.

[2] المقريزي: مسودة المواعظ ٣٨٦-٣٨٨.

=العيني: عقد الجمان - عصر سلاطين المماليك ٣: ٣٠٤-٣٠٧؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٦٠. وانظر أيضًا تعليق نوريس Norris, H.T., *BSOAS* LX (1997), pp. 356-57.



حارات القاهرة في العصر الفاطمي

فكُنَّا لا نَزال نَتَعَجَّب من ذلك . ثم فَشَت هناك ، وشَنُع عَبَثُها في سُقُوف الدُّور ، وسَرَت حتَّى عاثَت في أخْشَابِ سُقُوف الحُسَيْنِيَّة وغَلَّات أهْلها وسائِر أمْتِعَتِهم ، حتى أتْلَفَت شيئًا كثيرًا ، وقَوِيت حتى صارَت تأكُل الجُدْران . فبادَرَ أهْلُ تلك الجِهَة إلى هَدْم ما بقي من الدُّور خَوْفًا عليها من الأَرَضَة ، شيئًا بعد شيءٍ حتى قارَبوا بابَ الفُتُوح وبابَ النَّصْر [1] .

٥ وقد بقي منها اليوم قَليلٌ من كثير يُخاف إن استمرَّت أحْوالُ الإقليم على ما هي عليه من الفَساد أن تُدْثُر وتُمْحَى آثارُها ، كما دَثَرَ سِواها ، ولله دَرُّ القائِل :

[البسيط]

والله إن لم يُداركها وقد وَجِلَت[a] بلَمْحَةٍ أو بلُطْفٍ من لديه خَفِيّ

ولم يَجِد بتَلافيها على عَجَل ما أمْرُها صائِرٌ إلَّا إلى تَلَفِ

١٠

حارة حَلَب

هذه الحارَةُ خارج باب زَوِيلَة ، تُعْرَف اليوم بزُقاق حَلَب ، وكانت قَديمًا من جملة مَساكِن الأجْنَاد [٢] .

قال ياقُوتُ في باب «حَلَب» : الأَوَّلُ حَلَب المَدِينَة المشهورة بالشَّام ، وهي قَصَبَة نَواحي قِنَّسرِين والعَواصِم اليوم . الثَّاني حَلَبُ السَّاجور[b] من نَواحي حَلَب أيضًا . الثَّالثُ كَفْرُ حَلَب من قُراها أيضًا . الرَّابِعَ مَحَلَّة بظاهِر القاهِرَة بالشَّارِع من جِهَة الفُسْطاط [٣] .

١٥

a) بولاق : رحلت . b) بولاق : الساجود .

[١] نهاية ما نقله ريمون وفييت .

[٢] كانت تقع شرقي بركة الفيل بين دَرْب ابن البابا جنوبًا وحَوْض بن هَنَس شمالًا . ويدل على موقعها الآن المنطقة الواقعة بين شارع السيوفية وشارع ألْماس الحاجب .

[٣] ياقوت : معجم البلدان ٢: ٢٩٠.

ذِكرُ أخطاطِ القاهِرة وظواهِرها[١]

قد تقدَّم ذِكْرُ ما يُطْلَق عليه حارَة من الأَخطاط . ونُريد أن نَذْكُر من الخِطَط ما لا يُطْلَق عليه اسْم حارَة ولا دَرْب ، وهي كثيرة ، وكلٌّ قَليلٍ تتغيَّر أسماؤها ، ولا بد من إيراد ما تَيسَّر منها .

خُطُّ خَان الوِرَاقَة

هذا الخُطُّ فيما بين حارَة بَهاء الدِّين وسُوَيْقَة أمير الجُيُوش ، وفي شرقيه سُوق المُرَحِّلين ، وهو يشتمل على عِدَّة مَساكِن وبه طاحُون ، وكان موضعه قَديمًا إسْطَبْلُ الصِّبيان الحُجَرِيَّة لمَوْقِف خُيُولهم كما تقدَّم . فلمَّا زالت الدَّوْلَةُ الفاطِمية اخْتُطَّ مَواضِعَ للسُّكْنَى ، وقد شَمِلَه الخَرابُ[٢] . ٥

ا/ خُطُّ باب القَنْطَرة

هذا الخُطُّ كان يُعْرَف قَديمًا بحارَة المِرْتاحية وحارَة الفَرْحية والرَّمَّاحين . وكان ما بين باب[a] الرَّمَّاحين ـ الذي يُعْرَف اليوم بباب القَوْس داخل باب القَنْطَرة ـ وبين الخَليج فَضَاءٌ لا عِمارَة فيه بطول ما بين باب الرَّمَّاحين إلى باب الخُوخَة وإلى باب سَعادَة وإلى باب الفَرَج . ولم يكن إذ ذاك على حافَّة الخَليج عَمائِرُ ألبتَّة ، وإنَّما العَمائِرُ من جانِب الكافُوري ـ وهي مَناظِر اللُّؤْلُؤَة وما جاوَرَها من قِبْليها إلى باب الفَرَج ، وتَخْرُج العامَّةُ عَصْريات كلَّ يوم إلى شاطئ الخَليج الشَّرْقي تحت المَناظِر للتفرُّج ، فإنَّ بَرَّ الخَليج الغَرْبي كان فَضَاءً ما بين بَساتين وبِرَك ، كما سيأتي ذكره إن شاءَ الله . ١٠ ١٥

قال القاضي الفاضِلُ في «مُتَجَدِّدات» سنة سبعٍ وثمانين وخمس مائة : في شوَّالٍ قَطَعَ النِّيلُ الجُسور ، واقْتَلَعَ الشَّجر ، وغَرَّق النَّواحي ، وهَدَمَ المساكِن ، وأتْلَفَ كثيرًا من النِّساء والأطفال . وكَثُرَ الرَّخاءُ بمصر : فالقَمْحُ كلُّ مائة أردبّ بثلاثين دينارًا ، والخُبْزُ البايت ستة أرطال برُبْع دِرْهَم ،

---

a) ساقطة من بولاق .

---

[١] من هنا تبدأ نسخة قُطْب الدِّين القَسْطَلَّاني المحفوظة في باريس برقم 1759.

[٢] فيما تقدم ٢: ٥١٠.

والرُّطَبُ الأُمْهات ستة أرْطال بدِرْهَم ، والمَوْزُ ستة أرْطال بدرهم ، والرُّمَّانُ الجَيِّد مائة حَبَّة بدرهم ، والحَمْلُ الخيار بدرهمين ، والتِّينُ ثمانية أرْطال بدِرْهَم ، والعِنَبُ ستة أرطال بدِرْهَم في شهر بابَة بعد انْقِضَاء مَوْسِمِه المَعْهُود بشهرين ، والياسَمينُ خمسة أرْطالَ بدِرْهَم [١]. وآل أمْرُ أصْحَاب البَساتين إلى أن لا يَجْمَعوا الزَّهْر لنَقْص ثَمَنِه عن أُجْرَة جَمْعه ، وَثَمَرُ الحِنَّاء عشرة أرْطالٍ بدِرْهَم ، والبُسْرُ عشرة أرْطال بدِرْهَم من جَيِّده ، والمتوسِّط خمسة عشر رطلًا بدِرْهَم . وما في مصر إلّا مُتَسَخِّطٌ بهذه النِّعْمَة [٢].

قالَ : ولقد كنت في خَليج القاهِرَة من جِهَة المَقْس لانْقِطاع الطُّرُق بالمياه ، فرأيتُ الماءَ مَمْلوءًا سَمَكًا والزِّيادَة قد طَبَّقَت الدُّنْيا ، والنَّخْلَ مَمْلوءًا تَمْرًا ، والمكشوف من الأرض مَمْلوءًا رَيْحانًا وبُقُولًا . ثم نَزَلْتُ فَوَصَلْت إلى المَقْس ، فوَجَدْتُ من القَلْعَة التي بالمَقْس إلى مُنْيَة السِّيرج غِلالًا قد مَلأت صُبَرُها الأرض ، فلا يَدْري الماشي أين يَضَع رجله متَّصِلًا عَرْضُ ذلك إلى باب القَنْطَرَة ، وعلى الخَليج عند باب القَنْطَرَة من مَراكِب الغَلَّة ما قد سَتَرَ سَواحِلَه وأرْضَه .

قالَ : ودَخَلْتُ البَلَدَ فرأيتُ في السُّوق من الأخْبَاز واللُّحوم والألْبان والفَواكِه ما قد مَلأها ، وهَجَمَت منه العَيْنُ على مَنْظَرٍ ما رأيت قبله مثله .

قالَ : وفي البَلَدِ من البَغْي ومن المعاصي ومن الجَهْر بها ، ومن الفاسِقِين[a] بالزِّنا واللِّواط ، ومن شَهادَات[b] الزُّور ، ومن مَظالِم الأُمَرَاء والفُقَهاء ، ومن اسْتِحْلال الفِطْر في نَهار رَمَضان وشُرْب الخَمْر في لَيْلِه مِمَّن يقع عليه اسم الإسْلام ، ومن عَدَم النَّكير على ذلك جَميعه ما لم يُسْمَع ولم يُعْهَد مثله ، فلا حَوْلَ ولا قُوَّة إلّا بالله العَليّ العَظيم . وظُفِرَ بجماعَةٍ مجتمعين في حارَة الرُّوم يتغدَّون في قاعَة في نَهار رَمَضان فما كُلِّموا ، وبقَوْمٍ مسلمين ونَصارَىٰ اجتمعوا على شُرْب خَمْرٍ في لَيْل رَمَضان فما أُقيم فيهم حَدٌّ .

وخُطُّ باب القَنْطَرَة فيما بين حارَة بَهاء الدِّين وسُوَيْقَة أمير الجُيُوش ، وينتهي من قِبْليه إلى خُطِّ بَيْن السُّورَيْن [٣].

---

a) بولاق : الفسق . b) بولاق : شهادة .

---

[١] المقريزي : السلوك ١ : ١٠٨ .

[٢] نفسه ١ : ١٠٨ .

[٣] يَدُلُّ على موقعه الآن المنطقة التي تُحَدُّ شمالًا بشارع بين الشيارج ، وغربًا بشارع الجيش وميدان=

خُطُّ بَيْنِ السُّورَيْن

هذا الخُطُّ من حَدِّ باب الكافُوري في الغَرْب إلى باب سَعادَة ، وبه الآن صَفَّان من الأملاك : أحَدُهُما مُشْرِفٌ على الخَليج ، والآخَر مُشْرِفٌ على الشَّارِع المسلوك فيه من باب القَنْطَرَة إلى باب سَعادَة . ويُقالُ لهذا الشَّارِع «بَيْنَ السُّورَيْن» : تَسْمِيَةٌ سَمَّته العامَّةُ بها[a]، فاشْتُهِرَ بذلك [1].

وكان في القَديم بهذا الخُطِّ البُسْتانُ الكافُوري ، مُشْرِفٌ[b] عليه بحَدِّه الغربي ، ثُمَّ[c] مَناظِر اللُّؤْلُؤة ، وقد بقيت منها عُقُودٌ مبنيةٌ بالآجُرّ يَمُرُّ السالِكُ في هذا الشَّارِع من تحتها ، ثم مَناظِرُ دار الذَّهَب ، ومَوْضعها الآن دارٌ تُعْرَف بدار بَهادُر الأَعْسَر ، وعلى بابِها بئرٌ يُسْتَقي منها الماءُ في حَوْضٍ يَشْرَب منه الدَّوابُّ ، ويُجاورها قَبْوٌ معقودٌ يُعْرَف بقَبْو الذَّهَب هو من بقيَّة مَناظِر دار الذَّهَب [2].

وبحذاء[d] دار الذَّهَب مَنْظَرَةُ الغَزالَة ، وهي بجوار قَنْطَرَة المُوسْكي ، وقد بُني في مَكانِها رَبْعٌ يُعْرَف إلى اليوم برَبْع غَزالَة ؛ ودارُ ابن قِرْقَة ـ وقد صارَ موضعها جامِع ابن المَغْرِبي ـ وحَمَّام ابن قِرْقَة ، وبقي منها البِئرُ التي يُسْتَقي منها إلى اليوم بحَمَّام السُّلْطان ، وعِدَّةُ دُور كلُّها فيما يلي شُقَّة القاهِرَة من صَفّ باب الخُوخَة [3].

وكان ما بين المَناظِر والخَليج بَراحًا ، ولم يكن شيءٌ من هذه العَمائِر التي بحافَّة الخَليج اليوم ألبتَّة . وكان الحاكِمُ بأمْر الله ، في سنة إحدى وأربع مائة ، مَنَعَ من الرُّكوب في المراكِب بالخَليج ، وسَدَّ أبوابَ القاهِرَة التي تلي الخَليج ، وأبوابَ الدُّور التي هناك والطَّاقات المُطِلَّة عليه ، على ما حَكَاه المُسَبِّحي [4].

---

a) بولاق : تسميه العامة بها . b) بولاق : يشرف . c) بولاق : ثمة . d) بولاق : وبحد . e) بولاق : شهادة .

= باب الشعرية ، وجنوبًا شارع الخرنفش.

[1] فيما يلي ٣٦٤؛ وانظر المقريزي : السلوك ٤: ٣٩٤، ٤٢٣؛ Fu'âd Sâyyid, A., *op.cit.*, p. 394.

[2] فيما يلي ٢٤٦.

[3] فيما تقدم ٢:٥٣٣ وفيما يلي ٢٠٤، ٢٦٦.

[4] المسبحي : نصوص ضائعة ٢٩؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ٨٥؛ وفيما يلي ٤٧٥- ٤٧٦.

وقال ابنُ المأمُون في حَوادِث سنة ستّ عشرة وخمس مائة : ولمَّا وَقَعَ الاهْتِمامُ بسَكَن اللُّؤْلُؤة ، والمُقام بها مُدَّة النّيل على الحُكْم الأوّل - يعني قبل أيّام أمير الجيُوش بَدْر وابنه الأفْضَل - وإزالة ما لم تكن العادَةُ جارية عليه من مُضايَقَة اللُّؤْلُؤة بالبِناء ، وأنّها صارَت حارات تُعْرَف بالفَرْجِيَّة والسُّودان وغيرهما ، أَمَرَ حُسَامُ المُلْك - مُتَوَلّي بابه - بإحْضَار عُرَفَاء الفَرْجِيَّة والإنكار عليهم في تَجاسُرِهم على ما استَجَدُّوه وأقْدَمُوا عليه . فاعْتَذَرُوا بكَثْرَة الرِّجال وضِيق الأمْكِنَة عليهم ، فبَنُوا لهم قِبابًا يسيرة . فتقدَّم - يعني أَمْرُ الوَزير المأمُون - إلى مُتَوَلّي الباب بالإنْعام عليهم ، وعلى جَميع من بَنَى في هذه الحارَة بثلاثة آلاف درهم ، وأن يُقَسَم بينهم بالسَّوِيَّة ويأمُرَهم بنَقْل قَشِّهم[a]، وأن يَبْنوا لهم حارَةً قُبالَة بُسْتان الوَزير[1] - يعني/ ابن المغربي - خارج الباب الجَديد من الشَّارِع خارج باب زَوِيلَة .

قال : وتَحَوَّل الخَليفَةُ إلى اللُّؤْلُؤة بحاشِيَته ، وأُطْلِقت التَّوْسِعَة في كلّ يوم لما يَخُصّ الخاصّ والجِهات والأُسْتاذين من جَميع الأصْناف ، وانْضافَ إليها ما يُطْلَق كلّ ليلة عَيْنًا ووَرِقًا وأطْعِمَةً للبائِتين بالنَّوْبَة - برَسْم الحَرَس بالنَّهار والسَّهَر في طُول اللَّيْل ، من باب قَنْطَرَة بَهادُر إلى مَسْجِد اللَّيْمونَة من البَرَّيْن - من صِبْيان الخاصّ والرِّكاب والزُّهَجِيَّة[2] والسُّودان والحُجَّاب كلّ طائِفَةٍ بنَقيبِها . والعَرْضُ من مُتَوَلّي الباب واقِعٌ بالعِدَّة في طرفيْ كلّ ليلة ، ولا يُمَكِّن بعضُهم بعضًا من المَنام . والزُّهَجِيَّة تَخْدُم على الدَّوام[3].

خُطّ الكافُوري

هذا الخُطُّ كان بُسْتانًا من قَبْل بِناء القاهِرَة وتَمَلُّك الدَّوْلَة الفاطِمية لديار مصر ، أنشأه الأميرُ أبو بكر محمد بن طُغْج بن جَفّ الملقَّب بالإخْشيد ، وكان بجانِبه مَيْدانٌ فيه الخُيُول ، وله أبْوابٌ من حَديد . فلمَّا قَدِمَ جَوْهَرٌ القائِدُ إلى مصر ، جَعَلَ هذا البُسْتان من داخِل القاهِرَة ،

---

a) بولاق : قسمهم .

---

[1] حاشية بخطّ المؤلّف : «هذه الحارة التي استجدَّت قُبالَة بُسْتان الوَزير الذي من جملة موضعه البندُقْدارية وما في صَفِّها إلى الصَّليبَة هي من جملة المَنْصورَة» .

[2] انظر عن الزُّهَجِيَّة فيما تقدم ٢: ٣٠٤.

[3] ابن المأمون : أخبار مصر ٥٧، وقارن المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ٨١.

وعُرِفَ ببُسْتان كافُور، وقيل له في الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة «البُسْتانُ الكافُوري»، ثم اخْتُطَّ مَساكِنَ بعد ذلك.

قال ابنُ زُولاق في كِتاب «سِيرَة الإخْشيد»: ولستٍّ خَلَوْن من شَوَّال سنة ثلاثين وثلاث مائة، سارَ الإخْشيدُ إلى الشَّام في عَساكِره، واسْتَخْلَف أخاه أبا المُظَفَّر بن طُغْج [1]. قال: وكان يَكْرَه سَفْكَ الدِّماء، ولقد شَرَعَ في الخُرُوج إلى الشَّام في آخر سَفَراته وسارَ العَسْكَرُ - وكان نازِلًا في بُسْتانِه في مَوْضِع القاهِرَة اليوم - فرَكِبَ للمَسير. فساعَةَ خَرَجَ من باب البُسْتان اعترضه شَيْخٌ يُعرف بمَسْعود الصَّابوني يَتَظَلَّم إليه، فنَظَرَ له فتَطَيَّر به وقال: خُذُوه ابْطَحُوه؛ فبُطِحَ، وضُرِبَ خَمْس عشرة مِقْرَعَة وهو ساكِتٌ، فقال الإخْشيدُ: هو ذا يَتَشاطَر! فقال له كافُور: قد مات؛ فانْزَعَجَ واسْتَقَل[a] سَفْرَته وعادَ لبُسْتانه، وأحْضَر أهل الرَّجُل واسْتَحَلَّهم، وأَطْلَقَ لهم ثلاث مائة دينار، وحُمِلَ الرَّجُلُ إلى منزله مَيِّتًا، وكانت جَنازَتُه عَظِيمَة [2]. وسافَر الإخْشيدُ فلم يَرْجع إلى مصر، وماتَ بدِمَشْق.

وقال في كِتاب «تَتِمَّة كِتاب أُمَراء مصر للكِنْدي»: وكان كافُورُ الإخْشيدي أميرُ مصر يُواصِل الرُّكوب إلى المَيْدان وإلى بُسْتانِه في يوم الجُمُعَة ويوم الأحَد ويوم الثُّلاثاء.

قال: وفي غَدِ هذا اليوم - يعني يوم الثُّلاثاء - لعشرٍ بقين من جُمادَى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاث مائة، يَوْم مَوْت الأستاذ كافُور الإخْشيدي، خَرَجَ الغِلْمانُ والجُنْدُ إلى المَنْظَر[b]، وخَرَّبوا بُسْتانَ كافُور، ونَهَبُوا دَوابَّه، وطَلَبُوا مالَ البَيْعَة.

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر: البُسْتانُ الكافُوري هو هو الذي كان بُسْتانًا لكافُور الإخْشيدي، وكان كَثيرًا ما يتنزَّه به، وبُنِيَت القاهِرَةُ عنده، ولم يَزَل إلى سنة إحدى وخمسين وستّ مائة، فاختَطَّته البَحْرِيَّةُ والعَزيزيَّةُ إسْطَبْلات، وأُزيلَت أشجارُه. قال: ولعَمْري إنَّ خَرابَه كان بحَقٍّ، فإنَّه كان عُرِفَ بالحَشيشَة التي يَتَناوَلُها الفُقَراءُ [c]والتي تَطَّلع به[c] يُضْرَبُ بها المثلُ في الحُسْن.

a) بولاق: استقال. b) بولاق: المنظرة. c-c) جاء عند ابن عبد الظاهر عوضًا عن هذه العبارة: والسفلة وكانت تزرع به ولا ينكر ذلك أحدٌ.

[1] ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب ١٨٠. [2] ابن سعيد: المغرب ١٨٢.

وقال الحافِظُ جَمالُ الدِّين يُوسُف بن أحمد بن محمود بن أحمد بن محمد الأَسَدي الدِّمَشْقي المعروف باليَغْموري[١] : أَنْشَدَني الإمامُ العالِمُ ، المعروف بجُمُوع الفَضائِل ، زَيْنُ الدِّين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القَادِر الحَنَفي[٢] لنفسه ، وهو أوَّل من عَمِلَ فيها :

[الطويل]

٥ وخَضْرَاءُ كافُورية باتَ فِعْلُها ... بألْبابِنا فِعْلَ الرَّحيق المُعَتَّق

إذا نَفَحَتْنا من شَذَاها بنَفْحَةٍ ... تَدِبُّ لنا في كلِّ عُضْو ومَنْطِقِ

غَنيتُ بها عن شُرْب خَمْر مُعَتَّق ... وبالدُّلْق عن لُبْس الجَديد المُزَوَّق

وأَنْشَدَني الحافِظُ جَلالُ الدِّين أبو العِزّ[a] بن أبي الحَسَن بن أحمد بن الصَّائِغ المَقَرِّمي لنفسه :

[الرمل]

١٠ عاطِني خَضْراء كافُورية ... تكتب الخمر لها من جندها

أَسْكَرَتْنا فَوْق ما تُسْكِرِنا ... ورَبِحْنا أَنْفُسا من حَدِّها

وأَنْشَدَني لنَفْسِه :

[الكامل]

قُمْ عاطِني خَضْرَاءَ كافُورِيَّة ... قامَتْ مَقام سُلافَةِ الصَّهْبَاءِ

١٥ يَغْدو الفَقيرُ إذا تَناوَلَ دِرْهَمًا ... منها له تِيهٌ على الأُمَرَاءِ

/وتَراهُ من أَقْوَى الوَرَى فإذا خَلا ... منها عَدَدْناه من الضُّعَفَاءِ

وأَنْشَدَني من لَفْظِه لنَفْسه أيضًا :

[السريع]

عَاطَيْتُ مَنْ أَهْوَى وقد زَارَني ... كالبَدْر وافَى لَيْلَةَ البَدْرِ

٢٠ والبَحْرُ قد مَدَّ على مَتْنِه ... شُعاعَه جِسْرًا من التِّبْر

خَضْرَاءُ كافُورِيَّة رَنَّحَت ... أعْطافَه من شِدَّة السُّكْرِ

يَفْعَلُ منها دِرْهَمٌ فَوْقَ ما ... تَفْعَلُ أرْطالٌ من الخَمْرِ

فَراحَ نَشْوانًا بها غَافِلًا ... لا يَعْرِفُ الحُلْوَ من المُرِّ

---

a) بولاق : المعز .

---

[١] فيما تقدم ١ : ١٦ . [٢] انظر ترجمته عند المقريزي : المقفى الكبير ٥ : ٤٤٠ - ٤٤١ .

قَـالَ وقـد نـالَ بـهـا أَمْرَه ... فَبَاتَ مَزدودًا إلى أَمْري
قَتَلَتْني قُلْتُ نَعَم سَيِّدي ... قَتْلَيْنِ بالسُّكْرِ وبالبَحْرِ

قال شاعِرُهم نُورُ الدِّين أبو الحَسَن عليّ بن عبد الله بن محمد بن عليّ اليَنْبُعي لنفسه :

[الخفيف]

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعْتَه ونَديمي ... شاهِدي وهو مُسْعِي وسَميري ٥
مَجْلِسي مَسْجِدٌ وشُرْبي من خَضْـ ... ـراء تَزْهو بحُسْن لَوْنٍ نَضير
قال لي صَاحبي وقد فَاحَ منها ... نَشْرُها مُزْرِيًا بنَشْر العَبير :
أَينَ المِسْكُ ؟ قُلْتُ ليست من المِسْـ ... ـكِ ، ولكنَّها من الكافُوري[١]

قالَ : وأَمَرَ السُّلْطانُ الملكُ الصَّالِحُ ـ يعني نَجْم الدِّين أيُّوب ـ الأَميرَ جَمال الدِّين أبا الفَتْح مُوسَىٰ بن يَغْمور ، أن يَمْنَعَ من يَزْرَع في الكافُوري من الحَشيشة شيئًا . فدَخَلَ ذاتَ يوم ، فرأى فيه ١٠ منها شيئًا كثيرًا ، فأَمَرَ بأن يُجْمَع فجُمِعَ وأُحْرِقَ . فأنْشَدني في الواقِعَة الشَّيْخُ الأديبُ الفاضِلُ شَرَفُ الدِّين أبو العَبَّاس أحمد بن يُوسُف لنفسه ، وذلك في رَبيع الأوَّل سنة ثلاثٍ وأربعين وستّ مائة :

[الكامل]

صَرْفُ الزَّمان وحادِثُ المَقْدور ... تَرَكَا نَكيرَ الخَطْب غير نَكيرِ ١٥
يا سالمًا حَيًّا ولا مَيِّتًا ولا ... طَوْدًا سَمَا بل دَكْدَكا بالطُّورِ
لَهْفي وهَلْ يُجْدي التَّلَهُّفُ في رَدَى ... طرب الغنى وأُنس كلِّ فَقيرِ
أخت المَذَلَّة لارْتِكاب مُحَرَّم ... قُطْب السُّرور بأَيْسَر المَيْسُورِ
جَمَعَت مَحاسِن ما اجْتَمَعْنَ لغيرها ... من كلِّ شيءٍ كان في المَعْمُورِ
منها طَعامٌ والشَّرابُ كلاهما ... والبَقْلُ والرَّيْحانُ وَقْت حُضُورِ ٢٠
هي رَوْضَةٌ إنْ شِئْتَها ورياضَةٌ ... يُغْنَى بها عن رَوْضَةٍ وخُمُورِ
ما في المُدامَة كلُّها منها سِوَى ... إثْم المُدام وصُحْبَة المَخْمُورِ
كلا ونكهة خمرة هي شاهِدٌ ... عَدْلٍ على حَدٍّ وجَلَدِ ظُهُورِ
أسَفًا لدَهْرٍ غالَها، ولرُبَّما ... ظُلَّ الكريمُ بذِلَّة المأسُورِ
جمعت له الأشهاد كَرْمًا أخضرًا ... كعَروسَة تُجْلَى بخضر حَريرِ

---

[١] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٦٢–٦٣؛ المواعظ ٣٥٩–٣٦٠؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٤٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٥٢؛ المقريزي: مسودة

زَفُّوا لـهـا نـارًا فـخِـلْـنـا جَـنَّـةً ... بَـرَزَت لـنـا قـد زُوِّجَـت بـالـنُّـورِ
ثم اكْتَسَت منها غلالَةَ صُفْرة ... في خُـضْـرَةٍ مَـقْـرونَـةٍ بـزَفِـيرِ
فكأنَّها لَهَبُ اللَّظَى في خُضْرةٍ ... مـنـهـا وطَـرْفُ رَمادِهـا المَنْـثُـورِ
جارى النضار على مذابِ زمرذ ... تركا فتيت المِسْك في الكافوري
لله دَرّك حَـيَّـةً أو مَـيْـتَـةً ... من مَـنْـظَـرٍ بَـهِـجٍ بغير نَـظِـيرِ
أوذيت غير ذميمة فسقى الحيا ... تربا تضمن منك ذوب عبير
عندي لذكرك ما بقيت مخلَّدا ... سَحُّ الـدُّمُـوع ونَـفْـثَـةُ المَصْـدورِ

كَـــافُورُ الإخْشِـيدي ـ كان عَبْدًا أسْوَدَ خَصِيًّا [1]، مَثْقُوب الشَّفَةِ السُّفْلى، بَطِينًا قَبيحَ القَدَمَيْن ثَقيل البَدَن؛ جُلِبَ إلى مصر وعمره عشر سنين فما فَوْقَها في سنة عشر وثلاث مائة. فلمَّا دَخَلَ إلى مصر تمنَّى أن يكون أميرَها، فباعَه الذي جَلَبَه لمحمد بن هاشِم، أحَد المُتَقَبِّلِين للضِّياع، فباعَه لابن عَبَّاس الكاتِب. فمَرَّ يومًا بمصر على مُنَجِّم، فنَظَرَ له في نُجُومِه وقال له: أنت تَصير إلى رَجُلٍ جَليل القَدْر، وتَبْلُغ معه مَبلَغًا عَظيمًا. فدَفَعَ إليه درهمين لم يكن معه سِواهما، فرَمَى بهما إليه وقال: أُبَشِّرك بهذه البِشارَة وتُعْطيني درهمين. ثم قال له: وأَزيدك، أنت تَمْلِك هذه البَلَدَ وأكثر منه، فاذْكُرْني.

واتَّفَقَ أنَّ ابن عَبَّاس الكاتِب أرْسَلَهُ بهَدِيَّةٍ يومًا إلى الأمير أبي بكر محمد بن طُغْج الإخْشيد ـ وهو يومئذٍ أحَدُ قوَّاد تَكين أمير مصر ـ فأخَذَ كافورًا ورَدَّ الهَدِيَّة، فترَقَّى عنده في الخِدَم حتى صارَ من أخَصِّ خَدَمِه.

ولمَّا مات الإخْشيدُ بدمَشْق ضَبَطَ كافُور/ الأُمور، ودارَى النَّاسَ ووَعَدَهم، إلى أن سَكَنَت الدَّهْماءُ بعد أن اضْطَرَبَ النَّاسُ، وجَهَّزَ أستاذَه وحَمَلَه إلى بَيْت المَقْدِس، وسارَ إلى مصر فدَخَلَها.

وقد انْعَقَدَ الأَمْرُ بعدَ الإخْشيد لابنه أبي القاسِم أُونُوجُور، فلم يكن بأَسْرَع من وُرُود الخَبَرِ من دِمَشْق بأنَّ سَيْفَ الدَّوْلَة عليّ بن حَمْدان أَخَذَها وسارَ إلى الرَّمْلَة. فخَرَجَ كافُورُ بالعَساكِر،

---

[1] انظر ترجمة كافور عند، ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب ١٩٩– ٢٠١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤:٩٩– ١٠٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٦:١٩٠– ١٩٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٤:٣٠٥– ٣١٠؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٤:١– ١١٠؛ حسن إبراهيم حسن: «كافور الإخشيد»، مجلة كلية الآداب ـ جامعة فؤاد الأول ٦ (مايو ١٩٤٢)، ٢٣– ٤٥؛ سيدة كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، القاهرة ١٩٧٠، ١٣٤– ١٥٨؛ Ehernkreutz, A.S., *EI* [2] art. *Kâfûr* IV, pp. 436-37.

وضُرِبَتِ الدَّبادبُ[a] - وهي الطُّبُول - على بابِ مَضْرِبه في وَقْت كلِّ صَلاة، وسارَ فظَفِرَ وغَنِمَ. ثم قَدِمَ إلى مصر وقد عَظُمَ، فقامَ بخِلافَة أونوجور، فخاطَبَه القُوَّادُ بـ«الأُسْتاذ»، وصارَ القُوَّادُ يجتمعون عنده في دارِه، فيَخْلَع عليهم ويحملهم ويُعْطيهم، حتى إنَّه وَقَّعَ لجانَك - أحد القُوَّاد الإخْشيدية - في يومٍ بأربعة عشر ألف دينار، فما زالَ عَبْدًا له حتى مات.

وانْبَسَطَت يَدُه في الدَّوْلَة، فعَزَلَ ووَلَّى وأَعْطَى وحَرَم، ودُعِيَ له على المَنابِر كلِّها إلَّا مِنْبَر مصر والرَّمْلَة وطَبَرِيَّة، ثم دُعِيَ له بها في سنة أربعين وثلاث مائة، وصارَ يجلس للمَظالِم في كلِّ سَبْت، ويَحْضُر مَجْلِسَه [b]الوُزَرَاءُ و[b] القُضَاةُ والشُّهُودُ ووُجُوه البَلَد. فوَقَعَ بينه وبين الأمير أونُوجور، وتَحَرَّز كلٌّ منهما من الآخَر، وقويتِ الوَحْشَةُ بينهما، وافْتَرَقَ الجُنْدُ فصارَ مع كلِّ واحِدٍ طائِفَة.

واتَّفَقَ مَوْتُ أونُوجور في ذي القعدة سنة تسعٍ وأربعين وثلاث مائة - ويُقالُ إنه سَمَّه - فأقامَ أخاه أبا الحَسَن عليّ بن الإخْشيد من بعده، واسْتَبَدَّ بالأَمْر دونه، وأَطْلَقَ له في كلِّ سنة أربع مائة ألف دينار، واسْتَقَلَّ بسائِر أحْوال مصر والشَّام. ففَسَدَ ما بينه وبين الأمير أبي الحَسَن عليّ، فضَيَّق عليه كافُور، ومَنَعَ أن يَدْخُلَ عليه أحَدٌ، فاعْتَلَّ بعِلَّة أَخيه ومات - وقد طالَت به - في محرَّم سنة خمسٍ وخمسين وثلاث مائة فبقيت مصرُ بغير أميرٍ أيَّامًا لا يُدْعى فيها سِوَى للخَليفَة المُطيع فقط، وكافُورٌ يُدَبِّر أَمْرَ مصر والشَّام في الخَراج والرِّجال.

فلمَّا كان لأربعٍ بقِين من المحرَّم المذكور، أَخْرَجَ كافورٌ كِتابًا من الخَليفَة المُطيع بتَقْليده بعد عليّ ابن الإخْشيد. فلم يُغَيِّر لَقَبَه بـ «الأُسْتَاذ»، ودُعِيَ له على المِنْبَر بعد الخَليفَة.

وكانت له في أيَّامِه قِصَصٌ عِظامٌ، وقَدِمَ عَسْكَرٌ من المُعِزّ لدين الله أبي تَميم مَعَدّ من المغرب إلى الواحات، فجَهَّز إليه جَيْشًا أَخْرَجُوا العَسْكَر وقَتَلُوا منهم، وصارَت الطُّبولُ تُضْرَب على بابِه خمس مرَّات في اليوم والليلة، وعِدَّتها مائة طَبْلَة من نُحَاس.

وقَدِمَت عليه دُعاةُ المُعِزّ لدين الله من بِلاد المغرب يَدْعونَه إلى طاعَتِه فلاطَفَهم، وكان أكثرُ الإخْشيديَّة والكافُوريَّة وسائِرُ الأَوْلِياء والكُتَّاب قد أُخِذَت عليهم البَيْعَة للمُعِزّ[1].

---

a) بولاق: وضرب الدباديب. b-b) ساقطة من بولاق.

---

[1] وَصَلَت إلينا ثَلاثَةُ دنانير فاطمية تحمل مكان الضَّرْب (مصر)، مؤرَّخة في السنوات ٣٤١هـ/٩٥٢م،=

وقَصُرَ مَدُّ النِّيل في أيّامِه، فلم يَبْلُغ تلك السَّنَة سوى اثني عشر ذِراعًا وأصابع. فاشْتَدَّ الغَلاءُ، وفَحُشَ المَوْتُ في النَّاسِ حتى عَجِزوا عن تَكْفينهم ومُواراتِهم [1].

وأُرْجِف بمَسير القَرامِطَة إلى الشَّام، وبَدَت غِلْمانُه تتنكَّر له، وكانوا ألفًا وسبعين غُلامًا تركيًّا سوى الرُّوم والمولَّدين، فماتَ لعشرٍ بقين من جُمادَى الأولى سنة سبعٍ وخمسين وثلاث مائة عن ستين سنة؛ فوُجِدَ له من العَيْنِ سبع مائة ألف دينار، ومن الوَرِق والحُلِيّ والجَوْهَر والعَنْبَر والطِّيب والثِّياب والآلات والفَرْش والخِيام والعَبيد والجَواري والدَّواب ما قُوِّمَ بستّ مائة ألف ألف دينار.

وكانت مُدَّةُ تَدْبيره أَمْر مصر والشَّام والحَرَمَيْنِ إحدى وعشرين سنة وشهرين وعشرين يومًا، منها مُنْفَرِدًا بالوِلاية بعد أوْلاد أُسْتاذِه سنتان وأربعة أشهر وتسعة أيام. وماتَ عن غير وَصِيَّة ولا صَدَقَة ولا مأثرة يُذْكر بها، ودُعِيَ له على المنابِر بالكُنْيَة التي كَنَّاه بها الخَلِيفَة، وهي «أبو المِسْك»، أربع عشرة جُمْعَة. وبعده اخْتَلَّت مصرُ، وكادَت تُدَمَّر، حتى قَدِمَت جُيُوشُ المُعِزّ على يد القَائِد جَوْهَر، فصارَت مصرُ دارَ خِلافَة [2].

ووُجِدَ على قَبْرِه مَكْتُوبٌ:

[البسيط]

ما بالُ قَبْرِك يا كافُور مُنْفَرِدًا ... بالصَّحْصَح المَرْت[a] بعد العَسْكَر اللَّجِب

يَدُوسُ قَبْرَك أَدْنى الرِّجال وقد ... كانت أُسُودُ الشَّرى تَخْشاك في الكُتُب [3]

ووُجِدَ أيضًا:

---

a) بولاق: بصائح الموت.

= ٣٤٣هـ/٩٥٤م، ٣٥٣هـ/٩٦٤م ضُرِبَت - كما هو واضح - قبل وصول الفاطميين إلى مصر تَدُلُّ على فعالية الدَّعاية الفاطمية في مصر في عهد كافور، وكان الغرضُ منها ترويجها بواسطة الدُّعاة على الأفراد الذين يتوسَّمون فيهم الاستجابة للدَّعْوَة، يؤكِّد ذلك ما ذكره أبو المحاسن من أنَّ أمورَ الديار المصرية قد اضطربت في أواخر عهد الإخشيديين «بسبب المغاربة أعْوان الخُلَفاء الفاطِميين الواردين إليها من المغرب» (النجوم الزاهرة ٣٢٦:٣ وانظر محمد أبو الفرج العش: «مصر، القاهرة على النقود العربية الإسلامية»، أبحاث الندوة الدولية لألفية القاهرة ٩١١، ٩١٢، ٩٤٧، ٩٤٨؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ١٢٩-١٣٠).

[1] المقريزي: إغاثة الأمة ١٢، ١٣.

[2] انظر عن ملابسات هذه الفترة، المقريزي: المقفى الكبير ٥٣٦:١-٥٤١، ٣٤٣:٣-٣٤٦؛ Bianquis, Th., «L'acte de succession de Kafûr d'après Maqrîzî», *An.Isl.* XII (1974), pp. 263-69.

[3] على هامش آياصوفيا: «الصَّحْصاح ما انْجَرَد من =

[البسيط]

انْظُر إلى عِبَرٍ[a] الأيّام ما صَنَعَت أفْنَتْ أُناسًا بها كانوا وما فَنِيَتْ
دُنْياهُمُ ضَحِكَتْ[b] أيّام دَوْلَتهم حتى إذا فَنِيَتْ ناحَت لهم وبَكَت

خُطُّ الخُرُنْشُف[c]

هذا الخُطُّ فيما بين حارَة بَرْجَوان والكافُوري، ويُتوصَّل إليه من بَيْنَ القَصْرَيْن، فيُدْخَل له من قَبْوٍ يُعْرَف بقَبْو الخُرُنْشُف[c] ـ وهو الذي كان يُعْرَف قَديمًا بباب التَّبّانين ـ ويُسْلَك من الخُرُنْشُف[c] إلى خُطُّ باب سِرّ المارِسْتان، وإلى حارَة زَوِيلَة. ٥

وكان مَوْضِعُ الخُرُنْشُف[c]، في أيام الخُلَفَاء الفاطميين، مَيْدانًا بجوار القَصْر الغَرْبي والبُسْتان الكافُوري. فلمَّا زالَت الدَّوْلَةُ اختُطَّ، وصارَ فيه عِدَّةُ مَساكِن، وبه أيضًا سُوق.

وإنَّما سُمِّيَ بالخُرُنْشُف[c] لأنَّ الغُزَّ[d] أوَّل من بَنَى فيه الإسْطَبْلات بالخُرُنْشُف[c]، وهو ما يَتَحَجَّر ممَّا يُوقَد به على مِياه الحَمَّامات من الأزْبال وغيرها. ١٠

قال ابنُ عبد الظّاهِر: الحارَةُ المعروفة بالخُرُنْشُف[c] كانت قَديمًا مَيْدانًا للخُلَفَاء، فلمَّا وَرَدَ الغُزُّ[d] بنوا به إسْطَبْلات، وكذلك القَصْر الغَرْبي. وقد كان النِّساءُ اللاتي أُخْرِجْن من القَصْر سُكَّنٌ[e] بالقَصْر النَّافِعِيّ[1]، فامْتَدَّت الأيْدي إلى طُوبِه/ وأخْشابِه وبِيعت، وتلاشَى حالُه، وبُنِيَ به وبالمَيْدان إسْطَبْلات ودُوَيْرات بالخُرُنْشُف[c] فسُمِّي بذلك، ثم بُنِيَ به الآدُرّ والطَّواحين وغيرها، وذلك بعد السِتّ مائة. وأكثرُ أراضي المَيْدان حِكْرٌ للآدُرّ القُطْبِيَّة[2]. ١٥

---

a) بولاق: غير. b) بولاق: أضحكت. c) بولاق: الخرشتف. d) بولاق: المعز. e) بولاق: يسكن.

= الأرض واستوى، وأرض مَرْت ومكان مَرْت قصرٌ لا نبات فيه، قاله ابنُ سيده. والكتب بالثاء المثلثة القرب، والكتب جمع كتاب؛ وانظر فيما تقدم ٢: ٥٣٨.

[1] انظر عن القصر النّافِعي فيما تقدم ٢: ٣٥٤.

[2] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٦٢؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٥٢؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٥٧-٣٥٨؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٤٧-٤٨ وهو فيها: حارة الخرنشف.

ويدلُّ على موضع هذا الخُطّ الآن المنطقة التي تُحَدّ من الشمال بالجزء الشرقي من شارع الخرنفش، ومن الغرب حارة خميس العدس وحارة اليهود القرائين، ومن الجنوب عَطْفَة الذَّهَبي، ومن الشرق حارة البرقوقية ومدخل شارع الخرنفش.

وتُعِدُّ الآن الباحثة آمال المصري رسالة دكتوراه عن حيّ الخرنفش بكلية الآثار - جامعة القاهرة.

خُطُّ إسْطَبْل القُطْبِيَّة

هذا الخُطُّ أيضًا من جملة أراضي المَيْدان. ولمَّا انتقلت القاعَةُ التي كانت سَكَنَ أُخْت الحاكِم بأمْر الله بعد زوال الدَّوْلَة الفاطِميَّة [٤]، صارت إلى الملك المُفَضَّل قُطْب الدِّين أحمد ابن الملك العادِل أبي بكر بن أيُّوب، فاستقرَّ بها هو وذُرِّيته فصارَ يُقالُ لها الدَّار القُطْبِيَّة. واتَّخَذَ هذا المكان إسْطَبْلًا لهذه القاعَةِ، فعُرِفَ بإسْطَبْل القُطْبِيَّة.

ثم لمَّا أَخَذَ الملكُ المنصورُ قَلاوون القاعَة القُطْبِيَّة من مُؤْنِسَة خاتُون، المعروفة بدار إقْبال، ابنة الملك العادِل أبي بكر بن أيُّوب، أخْت المُفَضَّل قُطْب الدِّين أحمد المعروفة بخاتُون القُطْبِيَّة، وعَمِلَها المارِسْتان المَنْصوري، بَنَى في هذا الإسْطَبْل المساكِنَ، وصارَ من جملة الأَخْطاط[a] المشهورة، ويُتَوَصَّل إليه من وَسَط سُوق الخُرُنْشُف[b]، ويُسْلَك فيه من آخره إلى المَدْرَسة النَّاصِريَّة والمَدْرَسَة الظَّاهِرِيَّة المستجدَّة، وعَمِلَ على أوَّله دَرْبًا يُغْلَق، وهو خُطٌّ عامِر.

خُطُّ باب سِرِّ المارِسْتان

هذا الخُطُّ يُسْلَك إليه من الخُرُنْشُف[b]، ويَصيرُ السَّالِكُ فيه إلى البُنْدُقانيين. وبعضُ هذا الخُطِّ، وهو جلُّه ومعظُمه، من جملة إسْطَبْل الجُمَّيْزَة الذي كان فيه خُيولُ الدَّولة الفاطِميَّة، وقد تقدَّم ذكره [٢]. ومَوْضِعُ باب سِرِّ المارِسْتان المَنْصوري هو باب السَّاباط [٣]. فلمَّا زالَت الدَّوْلَةُ واختُطَّ الكافُوري والخُرُنْشُف وإسْطَبْل القُطْبِيَّة، صارَ هذا الخُطُّ واقِعًا بين هذه الأخْطاط، ونُسِبَ إلى باب سِرِّ المارِسْتان لأنَّه من هنالك. وأدْرَكْتُ بعض هذه الخِطَّة وهي خَراب.

ثم أنْشَأَ فيه القاضي جَمالُ الدِّين محمود القَيْصري، مُحْتَسِب القاهِرَة [٤]، في أيَّام وِلايته نَظَرَ المارِسْتان في سنة إحدى وثمانين وسبع مائة، الطاحُون العَظيمَة ذات

a) النسخ: الخطط. b) بولاق: الخرشنف.

[١] انظر فيما تقدم ٢: ٤٩٩ - ٥٠٠.

[٢] فيما تقدم ٢: ٥١٨.

[٣] فيما تقدم ٢: ٥٠١.

[٤] القاضي جمال الدِّين محمود بن محمد بن عبد الله القَيْصَري، المتوفى سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م. (راجع عنه، ابن حجر: رفع الإصر ٤٢٣، إنباء الغمر=

الأحْجَار والفُرْن والرَّبْع عُلُوَّه في المكان الخَراب ، وجَعَلَ ذلك جاريًا في جملة أوْقافِ المارِسْتان المَنْصوري .

خُطُّ بَيْنَ القَصْـرَيْن

هذا الخَطُّ أَعْمَرُ أَخْطَاط القاهِرَة وأَنْزَهُها . وقد كان في الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة فَضَاءً كبيرًا ومَراحًا واسِعًا يقف فيه عشرةُ آلافٍ من العَسْكر ما بين فارسٍ وراجلٍ ويكون به طرادهم ووقُوفُهم للخِدْمَة كما هو الحالُ اليوم في الرُّمَيْلَة تحت قَلْعَة الجبَل .

فلمَّا انْقَضَت أيَّامُ الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة ، وخَلَت القُصُورُ من أهاليها ، ونَزَلَ بها أُمَرَاءُ الدَّوْلَة الأيُّوبِيَّة وغَيَّروا مَعالِمها ، صارَ هذا الموضِعُ سُوقًا مُبْتَذَلًا بعدما كان مَلاذًا مُبَجَّلًا ، وقَعَدَ فيه الباعَةُ بأصْنافِ المأكولات من اللُّحمان المتنوِّعة والحَلاوات المصنَّعة والفاكِهَة وغيرها . فصارَ مُتَنَزَّهًا تَمُرُّ فيه أعْيانُ النَّاس وأماثِلُهم في اللَّيْل مُشاةً لرؤية ما هناك من السُّرُج والقَناديل الخارِجَة عن الحَدِّ في الكثرة ، ولرؤية ما تَشْتَهي الأنْفُس وتَلَذُّ الأَعْيُنُ ممَّا فيه لَذَّةٌ للحَواس الخَمْس .

وكانت تُعْقَد فيه عِدَّةُ حِلَق لقِراءَة السِّيَرِ والأخْبَار وإنْشَاد الأشْعَار والتَّفَنُّن في أنْواع اللَّعِب واللَّهْو ، فيصير مَجْمَعًا لا يُقَدَّر قدرُه ، ولا يمكن حِكايَة وَصْفِه [٢] . وسأتلو عليك من أنْباء ذلك ما لا تجده مَجْموعًا في كِتاب .

قال المُسَبِّحيُّ في حَوادِث جُمادَى الآخِرة سنة خمسٍ وتسعين وثلاث مائة : وفيه مُنِعَ كلُّ أحَدٍ ممَّن يركب مع المكاريين أن يدخل من باب القاهِرَة راكِبًا ، ولا المكاريين أيضًا بحَميرهم ، ولا يجلس أحَدٌ على باب الزُّهُومَة من التُّجَّار وغيرهم ، ولا يَمْشي أحَدٌ مُلاصِقَ القَصْر من باب الزُّهُومَة إلى أقصى باب الزُّمُرُّد . ثم عُفِيَ عن المكاريين بعد ذلك ، وكُتِبَ لهم أمانٌ قُرِئَ [٣] .

وقال ابنُ الطُّوَيْر : ويبيتُ خارج باب القَصْر كلَّ ليلةٍ خمسون فارِسًا ، فإذا أُذِّن بالعِشَاء الآخِرة داخِل القاعَة ، وصَلَّى الإمامُ الرَّاتِبُ بها بالمقيمين فيها من الأُسْتاذين وغيرهم ، وَقَفَ على باب

= ٣٦٢:٣ ح أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٢ : ١٥٨) .

[١] أبو حامد المقدسي : الفوائد النفيسة الباهرة في بيان حكم شوارع القاهرة ١٣.

[٢] المسبحي : نصوص ضائعة ٢٢؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٥٧.

القَصْر أميرٌ يُقال له «سِنانُ الدَّوْلَة بن الكَرْكَنْدي»، فإذا عَلِمَ بفَراغ الصَّلاة أَمَرَ بضَرْب النَّوْبات من الطَّبْل والبُوق وتَوابِعهما من عِدَّةٍ وافرةٍ بطَريقٍ مُسْتَحْسَنةٍ مُدَّةَ[a] ساعَةٍ زمانية .

ثم يَخْرُج بعد ذلك أُسْتاذٌ برَسْم هذه الخِدْمَة فيقول : «أميرُ المؤمنين يَرُدُّ على سِنان الدَّوْلَة السَّلام» ، فيَصْقَع ويَغْرِس حَرْبَةً على الباب ، ثم يرفعها بيده ، فإذا رَفَعَها أُغْلِقَ الباب ، وسارَ إلى ٥ حواليّ القصر سَبْع دَوْرات . فإذا انتهى ذلك جَعَلَ على الباب البَيّاتين والفَرّاشين المقدَّم ذكرهم ، وانْضَوَى[b] المؤذِّنون إلى خِزانَتِهم هناك ، وتُرْمَى[c] السِّلْسِلة عند المضيق آخِر بَيْنَ القَصْرَيْن من جانِب السُّيوفيين ، فيَنْقَطِع المارُّ من ذلك المكان إلى أن تَضْرِب النَّوْبَة سَحَرًا قريب الفَجْر ، فتَنْصَرف النّاسُ من هناك بارتفاع السِّلْسِلَة [1]. انتهى .

وأَخْبَرَني المَشْيَخَةُ أنّه ما زال الرَّسْمُ إلى قَريبٍ : أنّه لا يَمُرّ بشارِع بَيْنَ القَصْرَيْن حَمْلُ تِبْنٍ ولا ١٠ حَمْلُ حَطَبٍ ، ولا يستطيع أحَدٌ أن يسُوق فَرَسًا فيه ، فإن ساقَ أحَدٌ أُنْكِرَ عليه وخُرِقَ به .

وقال ابنُ سعيد في كِتاب «المُغْرِب» : والمكانُ الذي يُعْرَفُ في القاهِرَة «بَيْنَ القَصْرَيْن» هو من التَّرْتيب السُّلْطاني ، لأنَّ هناك ساحَةً مُتَّسعةً للعَسْكَر والمتفرِّجين ما بَيْنَ القَصْرَيْن . ولو كانت القاهِرَةُ كلُّها كذلك ، كانت عَظيمَةَ القَدْر ، كامِلَةَ الهِمَّة السُّلْطانية [2].

وقال ياقُوت : وبَيْنُ القَصْرَيْن كان ببَغْداد بباب الطّاق ، يُرادُ به قَصْر أسْماء بنت المَنْصور ١٥ وقَصْر عبد الله بن المَهْدي ، وكان يُقالُ لهما بَيْنَ القَصْرَيْن . وبَيْن/ القَصْرَيْن أيضًا بمصر والقاهِرَة ، وهما قَصْران مُتقابِلان بينهما طَريقُ العامَّة والسُّوق ، عمَّرهما مُلوكُ مصر المُتَغَلِّبَة الذين ادَّعوا أنَّهم عَلَوِيَّة [3].

وحَدَّثني القاضي[d] الرَّئيسُ تَقِيُّ الدِّين عبد الوَهّاب ، ناظِرُ الخَواصّ الشَّريفَة ، ابن الوَزير الصّاحِب فَخْر الدِّين عبد الله بن أبي شاكِر ، أنّه كان يَشْتَري في كلِّ لَيْلَةٍ من بَيْنَ القَصْرَيْن بعد ٢٠ العِشاء الآخرة ـ برَسْم الوَزير الصّاحِب فَخْر الدِّين عبد الله بن خَصيب ـ من الدَّجاج المُطَجَّن

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : وأفضى . c) بولاق : رميت . d) بولاق : الفاضل .

---

[1] ابن الطوير : نزهة المقلتين ٢١٠ - ٢١١؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٧٥-٧٦ ، وفيما تقدم ٢ : ٥١١؛ وقارن القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٥١٨-٥١٩ ، وانظر وصف حراسة القصر سنة ٤٤٠ عند ناصر خسرو : سفرنامه ٨٩.

[2] ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٢٤.

[3] ياقوت الحموي : معجم البلدان ١ : ٥٣٤.

والقَطا وفِراخ الحَمَام والعَصافير المُقْلاة بمبلغ مائتي دِرْهَم وخمسين دِرْهَمًا فِضَّة ، يكون عنها يومئذٍ نحو من اثني عشر مِثْقالًا من الذَّهَب ، وأنَّ هذا كان دَأْبه في كلِّ ليلة [١]. ولا يَكادُ مثل هذا مع كَثْرَتِه لرَخاء الأسعار ، يُؤثِّر نقصه فيما كان هنالِك من هذا الصِّنْف ، لعِظَم ما كان يُوضَع في بَيْنَ القَصْرَيْن من هذا النَّوْع وغيره .

٥ ولقد أدْرَكْنا ، في كلِّ لَيْلَةٍ من بعد العَصْر ، يجلس الباعَةُ بصِنْف لحمان الطُّيُور التي تُقْلَى صَفًّا من باب المَدْرَسَة الكامِلِيَّة إلى باب المَدْرَسَة النَّاصِرِيَّة ، وذلك قبل بناء المَدْرَسَة الظَّاهِرِيَّة المستجدَّة [٢]، فيُباعُ لَحْمُ الدَّجاج المُطَجَّن ولَحْم الإوَزّ المُطَجَّن كلُّ رطل بدِرْهَم ، وتارةً بدِرْهَم ورُبْع ، وتُباع العَصافيرُ المَقْلُوَّة كلُّ عُصْفور بفِلْس ، حِسابًا عن كلِّ أربعة وعشرين بدرهم . والمَشْيَخَةُ تقول : إنَّا حينئذٍ في غَلَاءٍ لكثرة ما تَصِف من سَعَة الأرْزَاق ورُخَاء الأسْعَار في الزَّمَن ١٠ الذي أدْرَكوه قبل الفَنَاءِ الكبير [٣].

ومع ذلك فلقد وَقَعَ في سنة ستٍّ وثمانين [وسبع مائة][a] شيءٌ لا يَكادُ يصدِّقه اليوم من لم يُدْرِك ذلك الزَّمان ؛ وهو أنَّه كان لنا من بَعْض[b] جيرانِنا بحارَة بَرْجَوان ، شَخْصٌ يُعاني الجُنْدِيَّة ويَرْكَب الخَيْل . فبَلَغَني عن غُلامِه أنَّه خَرَجَ في ليلةٍ من ليالي رَمَضَان ـ وكان رَمَضَانُ إذ ذاك في فَصْل الصَّيْف ـ ومعه رَفيقٌ له من غِلْمان الخَيْل ، وأنَّهما سَرَقا من شارع بَيْنَ القَصْرَيْن وما قَرُبَ منه ١٥ بضعًا وعشرين بِطِّيخَة خضراء ، وبضعًا وثلاثين شَقْفَة جُبْن ، والشَّقْفَة أبدًا من نصف رِطْل إلى رِطْل . فما مِنَّا إلَّا من تَعَجَّب من ذلك ، وكيف تَهَيَّأ لاثنين فِعْل هذا وحَمْلُ هذا القَدْر يَحْتاجُ إلى دابَّتين ، إلى أن قَدَّرَ الله تعالى لي بعد ذلك أنِ اجتمعت بأحَد الغلامين المذكورين وسألْته عن ذلك فاعْتَرَفَ لي به . قُلْتُ : صِفْ لي كيف عَمِلْتُما . فذَكَرَ أنَّهما كان يَقِفان على حانُوت الجَبَّان أو مَقْعَد البِطِّيخي ـ وكان إذ ذاك يُعْمَل من البِطِّيخ في بَيْن القَصْرَيْن مَرَصَّات كثيرة جدًّا ، في كلِّ ٢٠ مَرَصٍّ ما شاءَ الله من البِطِّيخ ـ قال : فإذا وَقَفْنا قَلَّب أحَدُنا بِطِّيخة ، وقلَّب الآخر أخرى ، فلشِدَّة ازْدِحام النَّاس يتناول أحَدُنا بِطِّيخته بخِفَّة يد وصِناعَة ، ويقوم فلا يُفْطَن به ، أو يُقَلِّب أحَدُنا

---

a) زيادة لتوضيح المقصود. b) ساقطة من بولاق.

---

[١] أبو حامد المقدسي : الفوائد النفيسة الباهرة ١٣- ١٤.

[٢] بنيت المدرسةُ الظاهرية المستجدة سنة ٧٨٦-٧٨٨هـ/ ١٣٨٤-١٣٨٦م.

[٣] وقع الفناء الكبير حول سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٩م (انظر فيما تقدم ٢:٢٢٤).

ورَفيقه قائِم من وَرائِه ، والبيّاع مَشْغولُ البالُ لكثرة ما عليه من المُشْترين وما في ذلك الشّارع من غَزير النّاس ، فيَحْذفها من تَحْته وهو جالِسٌ القُرْفُصاء ، فإذا أحَسَّ بها رَفيقُه تناوَلَها ومَرَّ ، وكذلك كان فعلهم مع الجَبّانين وكانوا كثيرًا . فانظر ـ أعزَّك الله ـ إلى بِضاعَة يُسْرَق منها مِثْل هذا القَدْر ، ولا يُفْطَن به من كَثْرَة ما هنالِك من البَضائِع ولِعِظَم الخَلْق .

٥ ولقد حَدَّثني غيرُ واحِدٍ ، ممَّن قَدِمَ مع قاضي القُضَاة عِماد الدِّين أحمد الكَرَكِي ، أنَّه لمَّا قَدِمُوا من الكَرَك في سنة اثنتين وتسعين وسبع مائة ، كادوا يُذْهَلون عند مُشاهَدَة بَيْنُ القَصْرَيْن . وقال لي ابنُه محبُّ الدِّين محمد : أوَّل ما شاهَدْت بَيْنُ القَصْرَيْن حسبت أنَّ زَفَّةً أو جَنازَةً كبيرة تمرُّ من هناك [a]، فلمَّا لم يَنْقَطِع المارَّةُ سأَلْتُ : ما بالُ النَّاس مجتمعين للمُرور من ههنا ؟ فقيل لي : هذا دَأَبُ البَلَد دائِمًا [1] .

١٠ ولقد كُنَّا نَسْمَعُ أنَّ من النَّاس من يقوم خَلْف الشّاب أو المرأة ، عند التَّمَشِّي بعد العِشَاء بَيْنُ القَصْرَيْن ، ويُجامِعُ حَتَّى يَقْضي وَطَرَه وهما ماشِيان من غير أن يُدْركهما أَحَدٌ ، لشِدَّة الزِّحام واشْتِغال كلِّ أَحَدٍ بلَهْوِه .

وما بَرِحْتُ أَجِدُ من الازْدِحام مَشَقَّةً ، حتَّى أفادَني بعضُ من أدركت أنَّ من الرَّأْي في المَشْي أن يأخُذ الإنسانُ في مَشْيه نحو شِمالِه ، فإنَّه لا يجد من المَشَقَّة كما يجد غيره من الزِّحام : فاعْتَبَرْتُ ١٥ ذلك آلاف مَرَّات في عِدَّة سنين فما أخطأ معي ، ولقد كنت أُكْثِرُ من تأمُّل المارَّة بَيْنُ القَصْرَيْن ، فإذا هم صَفَّان كلُّ صفٍّ يمر من صَوْب شِماله كالسَّيْل إذا انْدَفَع . وعَلَّلَ هذا الذي أفادَني أنَّ القَلْبَ من يَسار كلِّ أَحَدٍ ، والنَّاسُ تَميل إلى جِهَة قُلوبهم ، فلذلك صارَ مَشْيُهم من صَوْب شَمائِلهم ، وكذا صَحَّ لي مع طُول الاعْتِياد [2] .

ولمَّا حَدَثَت هذه المِحَنُ بعد سنة ستٍّ وثمان مائة [b]، تلاشَى أَمْرُ بَيْنُ القَصْرَيْن ، وذَهَبَ ما ٢٠ هناك . وما أَخْوَفَني أن يكون أَمْرُ القاهِرَة كما قيل :

---

a) بولاق : هنالك . b) بولاق : سنة ست وثمانين وثمان مائة وهو خطأ .

---

[1] اختَصَر هذه الفقرة أبو حامد المقدسي : الفوائد النفيسة الباهرة ١٤.

[2] نقل جاستون ڤييت وأندريه ريمون الفصل الخاص بين القصرين من أوّله إلى هنا ، إلى الفرنسية في كتابهما ، Raymond, A. & Wiet, G., *Les Marchés du Caire*, pp. 217-21.

[الخفيف]

هذه بَلْدَةٌ قَضَى الله يا صَا ح عليها كما تَرَى بالخَرَابِ
فقِف العِيسَ وَقْفَةً وابْكِ من كا ن بها من شُيوخِها والشَّبابِ
واعْتَبِر إن دَخَلْتَ يومًا إليها فهي كانت مَنازِلَ الأحْبابِ

٥

خُطُّ الخُشَيْبَة

هذا الخُطُّ يُتَوَصَّل إليه من وَسَط سُوق باب الزُّهُومَة، ويُسْلَك فيه إلى الحارَة العَدَوِيَّة، حيث فُنْدُق الزِّمام[a] برَحْبَة بَيْبَرْس، وإلى دَرْب شَمْس الدَّوْلَة.

وقيل له خُطُّ الخُشَيْبَة من أجل أنَّ الخَلِيفَة الظَّافِر لمَّا قَتَلَه نَصْرُ بن عَبَّاس،/ وبَنَى على مَكانِه الذي دَفَنه فيه المَسْجِدَ الذي يُعْرَف اليوم بمَسْجِد الخَلِيِّين[b]، ويُعْرَف أيضًا بمَسْجِد الخُلَفَاء[1]، نُصِبَت هناك خُشَيْبَةٌ حتى لا يمرّ أَحَدٌ من هذا الموضِع راكِبًا، فعُرِفَ بخُشَيْبَة تصغير خَشَبَة. ١٠

وما زالَت هناك حتى زالَت الدَّوْلَةُ وقامَ السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين بسَلْطَنَة مصر، فأزالَ الخُشَيْبَة، وعُرِفَ هذا الخُطُّ بها إلى اليوم. ويُقالُ له خُطُّ حَمَّام خُشَيْبَة من أجل الحَمَّام التي هناك[2].

ولمَقْتَل الظَّافِر خَبَرٌ يَحْسُن ذكره هنا.

ذِكْرُ مَقْتَل الخَلِيفَة الظَّافِر ـ وكان من خَبَرِ الظَّافِر أنَّه لمَّا ماتَ الخَلِيفَةُ الحافِظُ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسِم محمد بن المُسْتَنْصِر، في ليلة الخَمِيس لخمسٍ خَلَوْن من جُمادَى الآخرة سنة أربعٍ وأربعين وخمس مائة، بُويِعَ ابنُه أبو المَنْصور إسماعيل، ونُعِتَ[c] بـ«الظَّافِر بأَمْر الله» بوَصِيَّةٍ من أبيه له بالخِلافَة، وقامَ بتَدْبير الوَزارَة الأمير نَجْم الدِّين سُلَيْمان بن محمد بن مَصال. فلم يرض الأميرُ المُظَفَّر عليُّ بن السَّلار ـ والي الإسْكَنْدَرية والبُحَيْرَة يومئذٍ ـ بوَزارَة ابن مَصال، وحَشَدَ وسارَ إلى القاهِرَة؛ ففَرَّ ابنُ مَصال، واستقرَّ ابنُ السَّلار في الوَزارَة، وتلقَّب بالعَادِل. فجَهَّزَ العَساكِرَ لمحارَبَة ابن مَصال فحارَبَتْه وقُتِلَ. فقَوِي واسْتَوْحَشَ منه الظَّافِر، وخافَ منه ابنُ السَّلار واحْتَرَزَ منه على نفسه، وجَعَلَ له رِجالًا يمشون في رِكابِه بالزَّرَد والخُوَذ ـ ١٥ ٢٠

a) بولاق: الرخام. b) بولاق: مسجد الخلعيين. c) بولاق: لقب.

[1] انظر فيما يلي ٢: ٤١٠.
[2] انظر فيما يلي ٢٧٥.

وعَدَدُهم ـ ستّ مائة رَجُل بالنَّوْبَة ـ ونَقَلَ جُلُوسَ الظَّافِر من القاعَة إلى الإيوان في البَراح والسَّعَة، حتى إذا دَخَلَ للخِدْمَة يكون أصْحابُ الزَّرَد معه.

ثم تأكَّدَت النَّفْرَةُ بينهما، فقَبَضَ على صِبْيان الخاصّ وقَتَلَ أكثرهم، وفَرَّقَ باقيهم وكانوا خمس مائة رَجُل. وما زال الأمْرُ على ذلك إلى أن قَتَلَه رَبيبُه عَبَّاسُ بن تَميم بيد وَلَدِه نَصْر، واسْتَقَرَّ بعده في وَزارَة الظَّافِر.

وكان بين ناصِر الدِّين نَصْر بن عَبَّاس الوَزير وبين الظَّافِر مَوَدَّةٌ أكيدةٌ ومُخالَطَةٌ، بحيث كان الظَّافِرُ يشتغل به عن كلِّ أحَدٍ، ويخرج من قَصْره إلى دار نَصْرِ بن عَبَّاس التي هي اليوم المَدْرَسَة السُّيوفِيَّة. فخافَ عَبَّاسُ من جَراءَة ابنه، وخَشي أن يحمله الظَّافِرُ على قَتْله، فيَقْتُله كما قَتَلَ الوَزير عليّ بن السَّلارِ زَوْج جَدَّته أمّ عَبَّاس. فنَهاه عن ذلك، وألْحَفَ في تأْنيبه وأفْرَط في لَوْمه، لأنَّ الأُمَراءَ كانوا مُسْتَوْحِشين من عَبَّاس، وكارهين منه تَقْريبه أُسامَة بن مُنْقِذ لِما عَلِمُوه من أنَّه هو الذي حَسَّنَ لعَبَّاسٍ قَتْل ابن السَّلار كما هو مذكورٌ في خَبَره، وهَمُّوا بقَتْله، وتحدَّثوا مع الخَليفَة الظَّافِر في ذلك[1].

فبَلَغَ أُسامَة ما هم عليه ـ وكان غَريبًا من الدَّوْلَة ـ فأخَذَ يُغْري الوَزير عَبَّاس بن تَميم بابنه نَصْر، ويُبالِغُ في تَقْبيح مُخالَطَته للظَّافِر، إلى أن قال له مَرَّةً: كيف تَصْبِر على ما يقولُ النَّاسُ في حَقّ وَلَدك من أنَّ الخَليفَة يَفْعَل به ما يَفْعَل بالنِّساء؟ فأثَّرَ ذلك في قَلْب عَبَّاس.

واتَّفَقَ أنَّ الظَّافِرَ أنْعَمَ بمَدينَة قَلْيوب على نَصْرِ بن عَبَّاس، فلمَّا حَضَرَ إلى أبيه وأعْلَمَه بذلك، وأُسامَة حاضِرٌ فقال له: يا ناصِر الدِّين ما هي بمَهْرِك غالية، يُعَرِّض له بالفُحْش. فأخَذَ عَبَّاسُ من ذلك ما أخَذَه، وتَحَدَّث مع أُسامَة لثِقَتِه به في كيفيَّة الخَلاص من هذا، فأشارَ عليه بقَتْل الظَّافِر إذا جاءَ إلى دار نَصْرٍ على عادَته في اللَّيْل، فأمَرَه بمُفاوَضَة ابنه نَصْر في ذلك. فاغْتَنَمها أُسامَةُ، وما زال بنَصْرٍ يُشَنِّع عليه، ويُجَرِّئه على قَتْل الظَّافِر حتى وَعَدَه بذلك.

فلمَّا كان ليلةُ الخميس آخر المحرَّم من سنة تسعٍ وأربعين وخمس مائة، خَرَجَ الظَّافِرُ من قَصْره مُتَنَكِّرًا ومعه خادِمان كما هي عادَته، ومَشَى إلى دارِ نَصْرِ بن عَبَّاس، فإذا به قد أعَدَّ له قَوْمًا، فعندما صارَ في داخِل دارِه وَثَبُوا عليه وقَتَلوه هو وأحَد الخادِمَيْن، وتَوارَى عنهم الخادِمُ الآخَر ولَحِقَ بعد ذلك بالقَصْر، ثم دَفَنوا الظَّافِرَ والخادِمَ تحت الأرض في المَوْضِع الذي فيه الآن المَسْجِد[2].

---

[1] انظر فيما يلي ١٨٤.

[2] راجع، أسامة بن منقذ: الاعتبار ٤٣- ٤٤=

وكان سِنُّه يوم قُتِلَ إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر ونصف، منها في الخِلافَة بعد أبيه أربع سنين وثمانية أشهر تَنْقُص خمسة أيام، وكان مَحْكومًا عليه في خِلافَته. وفي أيَّامه مَلَكَ الفِرِنْجُ مَدينَة عَسْقَلان، وظَهَرَ الوَهَنُ في الدَّوْلَة، وكان كثيرَ اللَّهْو واللَّعِب، وهو الذي أنشأ الجامِع المعروف بجامِع الفَكَّاهين[a] [1].

٥ وبَلَغَ أَهْلَ القَصْر ما عَمِلَه نَصْرُ بن عَبَّاس من قَتْل الظَّافِر، فكاتَبُوا طَلائِعَ بن رُزِّيك - وكان على الأُشْمُونَيْن - وبَعَثُوا إليه بشُعُور النِّساء يَسْتَصْرِخُون به على عَبَّاس وابنه. فَقَدِمَ بالجُمُوع، وفَرَّ عَبَّاسٌ وأُسامَةُ ونَصْر. ودَخَلَ طَلائِعُ وعليه ثِيابٌ سُودٌ، وأعْلامُه وبُنودُه كلُّها سُود، وشُعُورُ النِّساء التي أُرْسِلَت إليه من القَصْر على الرِّماح؛ فكان فَأْلًا عَجيبًا، فإنَّه بعد خَمْس عشرة سنة دَخَلَت أعْلامُ بني العَبَّاس السُّود من بَغْداد إلى القاهِرَة لمَّا مات العاضِدُ واستبدَّ صَلاحُ الدِّين بمُلْك ديار مصر. ١٠

وكان أوَّلُ ما بدأ به طَلائِعُ أن مَضَى ماشِيًا إلى دار نَصْر، وأَخْرَجَ الظَّافِرَ والخادِمَ وغَسَّلَهما وكَفَّنَهما، وحَمَلَ الظَّافِرَ في تابُوتٍ مُغَشًّى، ومَشَى طَلائِعُ حافِيًا والنَّاسُ كلُّهم حتى وَصَلوا إلى القَصْر، فصَلَّى عليه ابنُه الخَليفَةُ الفائِز، ودُفِنَ في تُرْبَة القَصْر [2].

خُطُّ سَقِيفَة العَدَّاس

١٥ هذا الخُطُّ فيما بين دَرْب شَمْس الدَّوْلَة والبُنْدُقانيين، كان يُقالُ له أوَّلًا سَقِيفَةُ العَدَّاس، ثم عُرِفَ بالصَّاغَة القَديمَة/، ثم عُرِفَ بالأساكِفَة، ثم هو الآن يُعْرَف بالحَريريين الشَّرابيين، وبسُوق الزُّجَّاجين، وفيه يُباع الزُّجاج، وهو خُطٌّ عامِرٌ [3].

---

a) بولاق: الفاكهيين.

= أبا شامة: الروضتين ١: ٣٤٣- ٣٤٥؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ١: ٢٣٧، ٣: ٤١٩؛ ابن ميسر: أخبار مصر ١٤٧؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٣١٦؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٦: ٥٥٧، ٥٦٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٩: ١٥١- ١٥٢؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٢٠٨ والمقفى ٢: ٤٢- ٤٣، ١٢٢ وفيما يلي ١٨٣- ١٨٤.

[1] فيما يلي ٢: ٢٩٣.

[2] ابن ميسر: أخبار ١٤٩- ١٥٠؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٣١٩- ٣٢٠؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٢١٥- ٢١٧.

[3] يَدُلُّ على مَوْقع خُطِّ سَقيفَة العَدَّاسين الآن المنطقة الواقعة خلف جامع الشيخ مُطَهَّر وجامع الأشْرَف بَرْسباي، =

وهذا العَدَّاس هو عليّ بن عُمَر بن العَدَّاس أبو الحَسَن، ضَمِنَ في أيام المُعِزّ لدين الله كُورَة بوصير، فخَلَعَ عليه وحَمَّلَه، وسارَ خَلْفَه[a] بالبُنود والطُّبول في جُمادَى الأولى سنة أربعٍ وستين وثلاث مائة [1]. فلمَّا كان في أوَّل خِلافَة العَزيز بالله بن المُعِزّ لدين الله، وَلَّاه الوَساطَة ـ وهي رُتْبَة الوَزارَة ـ بعد مَوْت الوَزير يَعْقُوب بن كِلِّس، ولم يُلَقِّبه بالوَزير. فجَلَسَ في القَصْر لتسع عشرة خَلَت من ذي الحجَّة سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة، وأَمَرَ ونَهَى، ونَظَرَ في الأموال، ورَتَّب العُمَّال، وأَمَرَ ألَّا يُطْلَق شيءٌ إلَّا بتَوْقِيعه، ولا ينفذ إلَّا ما قَرَّرَه وأَمَرَ به. وأَمَرَه العَزيزُ بالله أن لا يَرْتَفِق ـ أي يَرْتَشي ـ ولا يَرْتَزِق ـ يعني أنَّه لا يَقْبَل هَدِيَّة ـ ولا يُضيع دِينارًا ولا دِرْهَمًا [2]، فأقامَ سَنَةً، وصُرِفَ في أوَّل المحرَّم من سنة ثلاثٍ وثمانين، فقُرِّرَ في دِيوان الاسْتيفاء. إلى أن كان جُمادَى الآخرة سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاث مائة، حسَّن لأبي طاهِر محمود النَّحْوي الكاتِب ـ وكان مُنْقَطِعًا إليه ـ أن يَلْقَى الحاكِم بأمْر الله ويُبَلِّغه ما تَشْكوه النَّاسُ من تظافُر النَّصارَى وغَلَبَتِهم على المملكة وتَوازُرهم، وأنَّ فَهْدَ بن إبراهيم هو الذي يُقَوِّي نُفوسَهم، ويُفَوِّض أمْر الأموال والدَّواوين إليهم، وأنَّه آفَةٌ على المسلمين وعُدَّةٌ للنَّصارَى.

فوَقَفَ أبو طاهِر للحاكِم ليلًا في وقت طَوافِه في اللَّيْل وبَلَّغَه ذلك، ثم قال: يا مَوْلانا إنْ كنت تُؤْثِر جَمْع الأموال وإعْزاز الإسْلام، فَأَرِني رَأْسَ فَهْد بن إبراهيم في طَسْت، وإلَّا لم يتمّ من هذا شيءٌ! فقال له الحاكِمُ: وَيْحَك، ومَنْ يقوم بهذا الأَمْر الذي تَبْذُلُه[b] ويَضْمَنُه؟ فقال: عَبْدُك عليّ ابن عُمَر بن العَدَّاس. فقال: وَيْحَك، أَوَ يَفْعَل هذا؟! قال: نَعَم يا أمير المؤمنين. قال: قُلْ له يَلْقاني هَاهُنا في غَدٍ.

ومَضَى الحاكِمُ، فجاءَ أبو طاهِر إلى ابن العَدَّاس وأَعْلَمَه بما جَرَى، فقال: وَيْحَك قَتَلْتَني وقَتَلْت نفسك. فقال: مَعاذَ الله! أَنَصْبِر لهذا الكَلْب الكافِر على ما يَفْعَلُ بالإسْلام والمسلمين، ويَتَحَكَّم فيهم من اللَّعِب بالأموال؟ والله إن لم تَسْعَ في قَتْلِه ليسعينّ في قَتْلِنا[c].

---

a) بولاق: خليفته. b) بولاق: تذكره. c) النسخ: قتلك والمثبت من المسودة.

= ويخترقها شارعُ السِّكَّة الجديدة (جَوْهَر القائد) من الشرق إلى الغرب، وشارعي سوق السَّمَك والشَّبْع قاعات البحرية من الجنوب إلى الشمال.

أمَّا سُوَيْقَةُ العَدَّاسين فيحدَّد موضعها الآن الجزء الغربي من شارع الخَرْنْفَش الصغير بين حارة شمس الدَّوْلة وشارع الأزهر. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٥٢هـ[1]).

[1] المقريزي: اتعاظ الحنفا ١: ٢١٧.

[2] نفسه ١: ٢٧٣، ٢٩٣.

فلمَّا كان في الليلة القابِلَة ، وَقَفَ عليُّ بن عُمَر العَدَّاس للحاكِم ووافَقَه على ما يحتاج إليه . فوَعَدَه بإنْجاز ما اتَّفَقا عليه ، وأَمَرَه بالكِتْمان ، وانْصَرَف الحاكِمُ . فلمَّا أَصْبَحَ رَكِبَ العَدَّاس إلى دار قائِد القُوَّاد حُسَين بن جَوْهَر القائِد ، فلقي عنده فَهْد بن إبراهيم ، فقال له فَهْد : يا هذا ، كم تُؤذيني وتَقْدَحُ فيَّ عند سُلْطاني ؟ فقال العَدَّاسُ : والله ما يَقْدَح ولا يُؤْذيني عند سُلْطاني ويَسْعَى عليَّ غيرُك . فقال فَهْدٌ : سَلَّطَ الله على من يُؤْذي صاحِبَه فينا ويَسْعَى به سَيْفَ هذا الإمام الحاكِم بأمْر الله . ٥

فقال العَدَّاسُ : آمين ، وعَجَّل ذلك ولا تُمْهِله .

فقُتِلَ فَهْد في ثامِن جُمادَى الآخرة وضُرِبَت عُنُقُه ، وكان له منذ نَظَرَ في الرِّئاسة خَمْس سنين وتسعة أشهر واثنى عشر يومًا [1] ، وقُتِلَ العَدَّاسُ بعده بتسعة وعشرين يومًا . واسْتُجيب دُعاءُ كلٍّ منهما في الآخر ، وذَهَبا جَميعًا ، ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أحَدًا . وذلك أنَّ الحاكِمَ خَلَعَ على العَدَّاس في رابِع عشره وجَعَلَه مكان فَهْد ، وخَلَعَ على ابنه محمد بن عليّ . فهَنَّأه النَّاسُ ، واستمرَّ إلى خامِس عشرين رَجَب منها . فضُرِبَت رَقَبَةُ أبي طاهِر محمود بن النَّحْوي [2] ـ وكان ينظر في أعْمال الشَّام ـ لكثرة ما رُفِعَ عليه من التَّجَبُّر والعَسْف . ثم قُتِلَ العَدَّاس في سادِس شَعْبان سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاث مائة ، وأُحْرِق بالنَّار [3] . ١٠

خُطُّ البُنْدُقانيين ١٥

هذا الخُطُّ كان قَديمًا إسْطَبْلَ الجِمِّيزَة ـ أحَد إسْطَبْلات الخُلَفَاء الفاطِميين [4] ـ فلمَّا زالَتِ الدَّوْلَةُ اختُطَّ وصارَت فيه مَساكِنُ وسُوقٌ من جملته عِدَّةُ دَكاكين لعَمَلِ قِسِيّ البُنْدُق ، فعُرِفَ الخُطُّ بالبُنْدُقانيين لذلك .

ثم إنَّه احْتَرَقَ يوم الجُمُعَة للنصف من صَفَر سنة إحدى وخمسين وسبع مائة ، والنَّاسُ في صَلاة الجُمُعَة ، فما قَضَى النَّاسُ الصَّلاة إلَّا وقد عَظُمَ أمرُه . فرَكِبَ إليه والي القاهِرَة والنِّيران قد ارْتَفَعَ ٢٠

---

[1] وذلك في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة (ابن الصيرفي : الإشارة ٥٨؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٤٤).

[2] وذلك في خامس عشر شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة (المقريزي : اتعاظ ٢ : ٤٥) ؛ وراجع عن أبي الطاهر محمود بن محمد النحوي ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ٥٨).

[3] المقريزي : مسودة المواعظ ٣٨٠- ٣٨٢؛ وقارن : اتعاظ الحنفا ٢ : ٤٦.

[4] فيما تقدم ٢ : ٥١٨- ٥١٩.

لَهَبُها، واجْتَمَعَ النَّاسُ فلم يُعْرَف من أين كان ابتداءُ الحَرِيق. واتَّفَق هُبوبُ رِياحٍ عاصِفَةٍ، فحَمَلَت شَرَرَ النَّار إلى أَمَدٍ بعيد، ووَصَلَت أَشِعَّتُها إلى أن رُئيتْ من القَلْعَة. فرَكِبَ الوزيرُ مَنْجَك بمَماليك الأُمَرَاء، وجُمِعَت السَّقَّاؤون لطَفْي النَّار، فعَجَزوا عن إطْفائِها.

واشتدَّ الأمْرُ فرَكِبَ الأميرُ شَيْخو والأمير طَاز والأمير مُغْلطاي أميرا خور، وترجَّلوا عن خُيولِهم، ومَنَعوا النَّهَّابَة من التعرُّض إلى نَهْب البيوت التي احْتَرَقَت. وعَمَّ الحَرِيقُ دَكاكِينَ البُنْدُقانيين ودكاكِينَ الرَّسَّامين وحَوانيتَ الفُقَّاعِيين والفُنْدق المجاور لها والرَّبْع علوّه، وعملت إلى الجانب الذي يلي بَيْت بَيْبَرْس رُكْن الدِّين الملقَّب بالملك المُظَفَّر، والرَّبْع المجاور له إلى زُقَاق الكَنيسَة. فما زالَ الأميرُ شَيْخو واقِفًا بنفسه ومَماليكه ومعه الأُمَرَاءُ إلى أن هُدِمَ ما هُنالك؛ والنَّارُ تأكُل ما تَمُرُّ به إلى أن وَصَلَت إلى بِئْر الدِّلاء - التي كانت تُعْرَف قَديمًا ببئر زَوِيلَة، ومنها كان يُسْتَقَى لإسْطَبْل الجُمَّيزَة - فأَحْرَقَت ما جاوَرَ البِئْر من الأماكِن إلى حَوانيت الفَكّاه والطَّبَّاخ وما يجاورهما من الحَوانيت والرَّبْع المجاور لدار الجُوكَنْدار، وكادَت أن تَصل إلى دار القاضي عَلاء الدِّين عليّ بن فَضْل الله كاتِب السِّرّ، المجاورة لحَمَّام الشَّيْخ نَجْم الدِّين بن عَبُّود [1].

ولم يَبْقَ أحَدٌ في ذلك الخُطِّ حتى حَوَّل مَتاعَه خَوْفًا من الحَريق. فكان أَهْلُ البيت/ بينما هم في نَقْل ثِيابِهِم، وإذا بالنَّار قد أحاطَت بهم، فيتركون ما في الدَّار ويَنْجون بأنفسهم، والأَمْرُ يَعْظُم والهَدْمُ واقِعٌ في الدُّور المجاوِرَة لأماكِن الحَريق خَشْيَةً من تَعَلُّق النَّار بها، فسَرَى إلى جميع البَلَدِ إلى أن أتى الهَدْمُ على سائِر ما كان هُنالك. فأقامَ الأمْرُ كذلك يومين وليلتين والأُمَرَاءُ وُقوفٌ. فلمَّا خَفَّ انصرف الأُمَرَاءُ، ووَقَفَ والي القاهِرَة ومعه عِدَّةٌ من الأُمَرَاء لطَفْي ما بقي، فاستمرُّوا في طَفْئِه ثلاثة أيام أخر.

وكان المُصَابُ بهذا الحَريق عَظيمًا تَلِفَ فيه للنَّاس من المال والثِّياب والمَصَاغ وغيره بالحَريق والنَّهْب ما لا يَعْلَم قدرَه إلَّا الله. هذا مع ما كان فيه الأُمَرَاءُ من مَنْع النَّهَّابة، وكَفِّهم عن أمْوال النَّاس، إلَّا أنَّ الأمْرَ كان قد تَجاوَزَ الحَدّ، وعَطِبَ بالنَّار جَماعَةٌ كثيرة، ووَصَلَ حَريقُ النَّار إلى قَيْسارية طَشْتَمُر ورَبْع بَكْتَمُر السَّاقي.

فلمَّا كَفَى الله أَمْرَ هذا الحَريق، وأعانَ على طَفْئِه، بعد أن هُدِمَت عِدَّةُ أماكِن جَليلَة ما بين رِباع وحَوانيت، وَقَعَ الحَريقُ في أماكِن من داخِل القاهِرَة وخارج باب زَوِيلَة. ووُجِدَ في بعض

---

[1] واسمه علاء الدِّين علي بن الكوراني (فيما يلي ٩١:٩).

المواضِع التي بها الحَريق كَعْكات بزَيْتٍ وقَطْران ، فعُلِمَ أنَّ هذا من فِعْل النَّصارَىٰ ، كما وَقَعَ في الحَريق الذي كان في أيام الملك النَّاصِر ، وقد ذُكِرَ في خَبَرِ البِرْكَة[a] النَّاصِرِية [١] .

فنُودِيَ في النَّاس أن يَحْتَرِسُوا على مَساكِنهم . فلم يَبْقَ أَحَدٌ من النَّاس ، أَعْلاهُم وأدْناهُم ، حتى أَعَدَّ في دارِه أَوْعِيةً ملآنَةً بالماء ما بين أَحْواضٍ وأَزْيارٍ ، وصارُوا يتناوَبون السَّهَر في اللَّيْل ، ومع ذلك فلا يَدْري أَهْلُ البَيْت إلَّا والنَّار قد وَقَعَت في بَيْتِهم ، فيتداركون طَفْأها لئلّا تَشْتَعل ويَصْعُب أَمْرُها . ٥

وتَرَكَ جَماعَةٌ من النَّاس الطَّبْخ في الدُّور ، وتَمادَى ذلك في النَّاس من نصف صَفَرَ إلى عاشِر رَبيع الأوَّل . فأَحْضَرَ الأميرُ سَيْفُ الدِّين قُشْتَمُر[b] شادّ الدَّواوين نُشَّابَةً في وَسَطِها نِفْطٌ قد وَجَدَها في سَطْح دارِه ، فأراها للأُمَرَاء وهي محروقة النَّصْل . فصَدَرَ أمْرُ الوَزير مَنْجَك للأمير عَلاء الدِّين عليّ بن الكُوراني والي القاهِرَة بالقَبْض على الحَرَافِيش [٢] ، وتقييدهم وسَجْنهم خَوْفًا من غائِلَتهم ونَهْبهم النَّاس عند وُقوع الحَريق . فتَتَبَّعهم وقَبَضَ عليهم في اللَّيْل من بُيوتِهم ومن الحَوانيت حتى خَلَت السِّكَكُ منهم . ثم إنَّ الأُمَرَاء كَلَّموا الوَزير في أَمْرهم ، فأَمَرَ بإطْلاقِهم ، ونُودي في البَلَد ألَّا يُقيم فيها غَريبٌ ، وطَلَبوا الخُفَرَاء ووُلاة المراكِز وأُمِرُوا بالاحْتِفاظ وتَتَبُّع النَّاس ، وأَخْذ من يُتَوَهَّم فيه رِيبةً أو يُنْكَر شيءٌ من أمْره . هذا وأَمْرُ[c] الحَريقِ في تَزايُد ، وصارَ والي القاهِرَة من ذلك في تَعَب كبير ، لا يَنام هو ولا أعْوانُه في اللَّيْل ألبتَّة لكثرة الصَّيْحات[d] في اللَّيْل . ١٠

---

a) بولاق : السيرة . b) بولاق : تشتمر . c) ساقطة من بولاق . d) بولاق : الضجات .

---

[١] فيما يلي ٥٥٠ ، ٢:٥١٢– ٥١٣ .

[٢] الحَرْفُوش ج. الحَرافيش . مُصْطَلَح يدُل على الفِئة الدُّنْيا من طبقات المجتمع في العصر المملوكي ، مثل : المُتَشَرِّدين أو السُّوقَة أو الأوْغاد ... وهو مصطلح يُقابلنا في الحَوْليات والمُؤَلَّفات الأخرى التي كُتِبَت في العصر المملوكي اعْتِبارًا من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وحتى منتصف القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي في مصر والشَّام ، وآخر المُؤَلِّفين الذين استخدموا هذا المصطلح بهذا المعنى ابنُ إياس .

ويُمَثِّل الحَرافيشُ جماعات انتشرت في المراكِز العُمْرانية ، على الأخَصّ في القاهِرَة ودِمَشْق ، تتألَّف من المُتَسَوِّلين المحترفين وذوي العاهات والمُتَعَطِّلين والعاهِرات . ويَبْدو أنَّ الحَرافيشَ قد شَكَّلوا نَوْعًا من الطَّائِفَة كان يرأسها شَيْخٌ يُطْلَق عليه «سُلْطانُ الحَرافيش» ، كما شَكَّلوا جماعةً خَطيرةً كانت تُساهم في الفِتَن الشعبية وفي عمليات النَّهْب . ولضَبْط هذه العناصِر المتمرِّدَة والمنظَّمة في الوقت نفسه ، كان السَّلاطينُ وكِبارُ الأُمَرَاء يَتَصَدَّقون عليهم ، كما كان يتولَّى النَّفَقة عليهم في فترات المجاعات الأُمَرَاءُ وكِبارُ التُّجار . (راجع ، Brinner, W. M., «The Significance of the *Harâfîsh* and their 'Sultan'», *JESHO* VI (1963), pp. 190-215, id., *EI*[2] art. *Harfûsh* III, p. 211-12 ؛ وفيما يلي ٥٠٠:٧ ، ١٨:٥٥٣) .

ووَقَعَ حَريقٌ في شُونَة حَلْفَاء بمصر مُجاورةٌ لمطابخ السُّكَّر السُّلْطانية. فرَكِبَ القاضي عَلَم الدِّين بن زُنْبور ناظِر الخاصّ في جَماعَةٍ، وخَرَجَ عامَّةُ أهل مصر وتكاثَروا على الشُّونَة حتى طُفِئَت. ووَقَعَ الحَرِيقُ في عِدَّةِ أماكِن بمصر، واستمرَّ الحَرِيقُ بمصر والقاهِرَة مدَّة شهر من ابْتِدائِه بالبُنْدُقانيين ولم يُعْلَم له سَبَبٌ [1].

٥ واستمرَّ أكثرُ خُطّ البُنْدُقانيين خَرابًا إلى أن عَمَّر الأمير يُونُس النَّوروزي، دَوادار الملك الظَّاهِر بَرْقوق، الرَّبْع فوق بِئْر الدِّلاء التي كانت تُعْرَف بِبِئْر زَوِيلَة، وأنشأ بجوار دَرْب الأَنْجَب الحَوانيت والرِّباع والقَيْسارِيَّة في سنة تسع وثمانين وسبع مائة.

ثم أنْشَأ الأميرُ شِهابُ الدِّين أحمد الحاجِب، ابن أخت الأمير جَمال الدِّين يوسفُ الأُسْتادَّار، دارَه بجوار حَمَّام ابن عَبُّود، فاتَّصَل ظَهْرُها بدَكاكين البُنْدُقانيين، فصارَ فيها ما كان من خَراب ١٠ الحَريق هناك حيث الحَوْض الذي أنشأه تجاه دار بَيْبَرْس.

ولقد أدْرَكْنا في خُطّ البُنْدُقانيين عِدَّةً كثيرةً من الحَوانيت التي يُباعُ فيها الفُقّاع تبلغ نحو العشرين حانُوتًا. وكانت من أنْزَه ما يُرَى، فإنَّها كانت كلُّها مُرَخَّمَة بأنْواع الرُّخام الملوَّن، وبها مَصانِع من ماءٍ تجري إلى فَوّارات تَقْذف بالماء على ذلك الرُّخام حيث كيزان الفُقّاع مَرْصُوصَة، فيَسْتَحْسَن منظرُها إلى الغاية، لأنَّها من الجانبين والنَّاسُ يمرُّون بينهما.

١٥ وكان بهذا الخُطّ عِدَّةُ حَوانيتَ لعَمَل[a] قِسِيّ البُنْدُق، وعِدَّةُ حَوانيتَ لرَسْم أشْكال ما يُطَرَّز بالذَّهَب والحَرير، وقد بقيت من هذه الحَوانيت بقايا يَسيرَة. وهو من أخطاط القاهِرَة الحَشِمَة[b].

خُطّ دار الدِّيباج

هذا الخُطُّ هو فيما بين خُطّ البُنْدُقانيين والوَزيرية، وكان أوَّلًا يُعْرَف بخُطّ دار الدِّيباج، لأنَّ دارَ الوَزير يَعْقُوب بن كِلِّس - التي من جملتها اليوم المَدْرَسَة الصَّاحِبِيَّة ودَرْب الحَريري والمَدْرَسَة ٢٠ السَّيْفِيَّة - عُمِلَت دارًا يُنْسَج فيها الدِّيباج والحَرير برَسْم الخُلَفَاء الفاطِميين، وصارَت تُعْرَف بدار

a) بولاق: تعمل. b) بولاق: الجسيمة.

[1] انظر كذلك خبَر هذا الحريق عند المقريزي: السلوك ٢: ٨١٦-٨١٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/ ١: ٥٣٥-٥٣٦.

الدِّيباج فنُسِبَ إليها الخُطُّ [١]، إلى أن سَكَنَ هناك الوَزيرُ صَفِيّ الدِّين عبد الله بن عليّ بن شُكْر، في أيام العادِل أبي بكر بن أيُّوب، فصارَ يُعْرَف بخُطِّ سُوَيْقَة الصَّاحِب. وهو خُطٌّ حَشِم[a] به مَساكِنُ جَليلَة وسُوقٌ ومَدْرَسَة.

خُطُّ المِلْحيين

هذا الخُطُّ فيما بين الوَزيرية والبُنْدُقانيين من وَراء دَار الدِّيباج، وتُسَمِّيه العامَّةُ خُطَّ طَواحين المِلُوحيين - بواو بعد اللام وقبل الحاء المهملة - وهو تَحْريفٌ، وإنَّما هو خُطُّ المِلْحيين، عُرِفَ بطائِفَة من طَوائِف العَسْكَر في أيام الخَليفَة المُسْتَنْصِر بالله يُقال لها المِلْحِيَّة؛ وهم الذين قامُوا بالفِتْنَة في أيَّام المُسْتَنْصِر إلى أن كان من الغَلاء ما أَوْجَبَ خَرابَ البلاد، ونَهْب خَزائِن الخَليفَة المُسْتَنْصِر [٢].

فلمَّا قَدِمَ أميرُ/ الجُيُوش بَدْرٌ الجَمالي إلى القاهِرَة، وتقلَّد وَزارَة المُسْتَنْصِر، وتَجرَّد لإصْلاح إقْليم مصر، وتَتَبَّع المُفْسدين وقَتَلَهم، سارَ في سنة سبع وستين وأربع مائة إلى الوَجْه البَحْري، وقَتَلَ لَواتَة وقَتَلَ مقدَّمهم سُلَيْمان اللَّواتي ووَلَدَه، واسْتَصْفَى أمْوالَه[b]، ثم توَجَّه إلى دِمْياط وقَتَلَ فيها عِدَّةً من المُفْسدين. فلمَّا أَصْلَحَ جَميعَ البَرّ الشرقي، عَدَّى إلى البَرّ الغربي، وقَتَلَ جماعَةً من المِلْحِيَّة وأتْباعهم بثَغْر الإسْكَنْدَرية بعدما أقامَ أيَّامًا يُحاصِر[c] البَلَدَ وهم يَمْتَنعون عليه ويُقاتلونَه إلى أن أَخَذَها عَنْوَةً، فقَتَلَ منهم عِدَّةً كثيرة [٣].

وكان بهذا الخُطِّ عِدَّةٌ من الطَّواحين، فسُمِّي بخُطِّ طَواحِين المِلْحيين، وبه إلى الآن يَسيرٌ من الطَّواحين.

---

a) بولاق: جسيم. b) بولاق: أموالهم. c) بولاق: محاصر.

---

[١] فيما تقدم ٢: ٥١٩- ٥٢٠.

[٢] فيما تقدم ٢: ١٣٥-١٤٢، ٣٧٠- ٣٧٩.

[٣] راجع، السجلات المستنصرية سجل ٥٦ و٥٧؛ ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة ٩٦؛ ساويرس بن المقفع: تاريخ البطاركة ٢/٣: ٢٠٣- ٢٠٤؛ ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة ٧٦؛ ابن ميسر: أخبار مصر ٤١؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٣٦- ٢٣٨؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٣١٤؛ المقفى الكبير ٢: ٣٩٦؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ٢١- ٢٢؛ وفيما تقدم ٢: ٢٧٧- ٢٧٨.

المِشطاحُ[a]

هذا الخُطُّ فيما بين خُطِّ المِلْحيين وخُطِّ سُوَيْقة الصَّاحِب، وفيه اليوم سُوق الرَّقيق - الذي يُعْرَف بسُوق الجَوار[1] - والمَدْرَسَة الحُسَامِيَّة[2]، وما دار به ويُعْرف بالمِشطاح. وبخارِج باب القَنْطَرة، قَريبٌ من باب الشَّعْرِيَّة أيضًا[3]، خُطٌّ يُعْرَف بالمِشطاح[4].

خُطُّ قَصْر أمير سِلاح

هذا الخُطُّ تِجاه حَمَّام البَيْسَري بَيْنَ القَصْرَيْن، يُسْلَك فيه إلى مَدْرَسَة الطَّواشي سابِق الدِّين المعروفة بالسَّابِقِيَّة[5]، وكان يُخْرَج منه إلى رَحْبَة باب العيد من باب القصر إلى أن هَدَمَه الأميرُ جَمالُ الدِّين يوسُف الأسْتادار، وبَنَى في مَكانِه القَيْساريَّة المستجدَّة بجوار مَدْرَسَته من رَحْبَة باب العيد، فصارَ هذا الخُطُّ غير نافِذ. وكان شارِعًا مَسْلوكًا يمرُّ فيه النَّاسُ والدَّوابُّ بالأحمال؛ فرَكَّب عليه جَمالُ الدِّين المذكور دُروبًا لحِفْظ أمواله.

---

a) بولاق: خط المسطاح.

---

[1] نُقِل سوق الرَّقيق من موضعه بخُطِّ المِشطاح - فيما بين الوزيرية وخُطِّ المِلْحيين - في ربيع الأوَّل سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م، إلى قُنْدُق تِجاه المَشْهَد الحسيني ثم أعيد إلى موضعه بعد قليل. (المقريزي: السلوك ٤:٤٤٢).

[2] انظر المدرسة الحُسامية فيما يلي ٢: ٣٨٦.

[3] فاتني أن أُحَدِّد موضع بابي القَنْطَرة والشَّعْرِيَّة عند ذكر المَقْريزي لأبواب القاهرة (فيما تقدم ٢:٢٧٩). فبابُ القَنْطَرة الأوَّل الذي أقامه جَوْهَر القائِد كان موضعه عند مدخل شارع أمير الجيوش الجُوَّاني تجاه مدرسة باب الشَّعْرِيَّة، ثم أقام صلاحُ الدِّين وبهاء الدِّين قراقوش باب القَنْطَرة الجديد على حافَة الخليج إلى الغرب من الباب القديم وعلى بعد ٢٥ مترًا منه، وهذا الباب كان موجودًا حتى عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م عندما أمر بهدمه الأمير قاسم باشا محافظ مصر، وكان الداخل من هذا الباب يصير في حارة المرتاحية. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٣:١٢٨). وتُسمّي العامّة باب القَنْطَرة خطأً باسم باب الشَّعْرِيَّة. أمّا بابُ الشَّعْرِيَّة فهو أحد أبواب القاهرة الخارجية في سورها البحري الذي أنشأه صلاحُ الدِّين غربي الخليج في المسافة الواقعة بين الخليج وباب البحر (انظر فيما يلي ٣١٥هـ[3]). وكان قائمًا كذلك في القرن التاسع عشر حيث يوجد على خريطة Grand bey التي رسمها سنة ١٨٧٤ على رأس سكة باب الشعرية ثم هدم في سنة ١٨٨٤م بمعرفة الضَّبْطية لخَلَلٍ في مبناه، وبذلك فإن موضعه كان على يسار الداخل الآن في شارع بورسعيد قادمًا من ميدان باب الشعرية بالقرب من جامع ومقام سيدي العدوي على رأس سِكَّة الفَجّالَة (من تعليقات محمد رمزي على النجوم الزاهرة ٤:٣٩هـ[3]، ١١:٢٣٠هـ[3]).

[4] المقريزي: مسودة المواعظ ٣٨٢.

[5] فيما يلي ٢: ٢٩٣.

وكان هذا الخُطُّ من أخَصِّ أماكِن القَصْر الكبير الشَّرْقي ، فلمَّا زالَت الدَّوْلَةُ الفاطِمِيَّةُ ، وتفرَّق أُمَرَاءُ صَلاح الدِّين يُوسُف القَصْر ، عُرِفَ هذا المكان بقَصْر شَيْخ الشُّيُوخ ابن حَمَوَيْه الوَزير لسَكَنِه فيه [1] ، ثم عُرِفَ بعد ذلك بقَصْر أمير سِلاح وبقَصْر سَابِق الدِّين ، وهو إلى الآن يُعْرَف بذلك . وسَبَبُ شُهْرَتِه بأمير سِلاح أنَّه اتَّخَذَ به عَمائِرَ جَليلَة هي بيد وَرَثَتِه إلى الآن .

وأَمِيرُ سِلاح هذا هو [a] بَكْتاش الفَخْري الأميرُ بَدْر الدِّين أميرُ سِلاح الصَّالِحِي النَّجْمِي [2] ، كان أوَّلًا مَمْلُوكًا لفَخْر الدِّين ابن الشَّيْخ ، فصارَ إلى الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب ، وتقدَّم عنده من جملة من قَدَّمه من المماليك البَحْرية الذين مَلَكوا الدِّيار المصرية من بعد انْقِضَاء الدَّوْلَة الأيُّوبِيَّة . وتأمَّرَ في أيَّام الملك الصَّالِح ، وتقدَّم في أيَّام الملك الظَّاهِر رُكْن الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري ، واستمرَّ أميرًا ما يُنيف على السِّتين سنة لم يُنْكَب فيها قَطّ . وعَظُمَ في أيَّام الملك المَنْصُور قَلاوون الألْفي بحيث أنَّ الأميرَ حُسامَ الدِّين طُرُنْطاي ، نائِب السَّلْطَنَة بديار مصر في أيَّام قَلاوونَ ، تَجارَى مرَّةً مع السُّلْطان في حَديثِ الأُمَرَاء . فقال له السُّلْطانُ المَنْصور : أمَّا اليوم فما بقِيَ في الأُمَرَاء غير أمير سِلاح . إذا قُلْت فارس خيْلٍ شُجَاع ما يردّ وَجْهَه عن[b] عدوِّه ، وإذا حَلَفَ ما يَخُون ، وإذا قال صَدَق . فقال طُرُنْطاي : والله يا خُوَنْد له إقْطاعٌ عَظيمٌ ما كان يَصْلُح إلَّا لي . فاحْمَرَّ وَجْهُ السُّلْطان وغَضِبَ ، وقال له : وَيْلَك ! إيَّاكَ أن تتكلَّم بهذا ؛ والله مَكانَ يصل فيه سَيْفُ أَمير سِلاح ما يَصِلُ نُشَّابُك ولا نُشَّابُ غيرك .

a) بياض في آياصوفيا . b) بولاق : من .

[1] فيما تقدم ٢: ٣٤٤.

[2] الأميرُ بَدْرُ الدِّين أمير سِلاح بَكْتاش الفَخْري الصَّالحي النَّجْمي ، المتوفى سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م . (راجع ، الصفدي : أعيان العصر ١: ٧٠٠- ٧٠١، الوافي بالوفيات ١٠: ١٨٨- ١٨٩؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ١: ٢٠٢، ٢٧٧؛ المقريزي : المقفى الكبير ٢: ٤٥١- ٤٥٧؛ السلوك ٢: ٣٠؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢: ١٤- ١٥؛ العيني : عقد الجمان ٤: ٤٤٥؛ أبا المحاسن : المنهل الصافي ٣: ٣٨٥- ٣٨٦؛ النجوم الزاهرة ٨: ٢٢٤) .

وأمير سلاح لَقَبٌ على الذى يتولَّى أمر سلاح السُّلْطان أو الأمير ، وتختلف صيغة هذا المصطلح من حيث التركيب اللغوي عن الوظائف المملوكية التي يدخل في تكوينها لفظة «أمير» مثل : أمير دوادار ، وأمير خازندار . ففي الحالة الأولى أضيفت لفظة «أمير» إلى اسم الآلة «سلاح» ، في حين أضيفت في الحالة الثانية إلى اسم الوظيفة «دوادار - خازندار» . (ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٥٨؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤: ١٨، ٥: ٤٥٦؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١: ٣٢٣؛ حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ٢٢٥- ٢٢٧؛ Ayalon, D., *EI*² art. *Amīr*؛ *Silāḥ* I, p. 458؛ وفيما يلي ٧٢٠) .

وكان كريمًا شُجاعًا، يُسافِر كلَّ سنة مجرِّدًا بالعَسْكَر، فيصل إلى حَلَب للغارَة ومُحاصَرَة قِلاع العَدُوّ، فاشتهر بذلك في بِلاد العَدُوّ، وعَظُم صيتُه، واشتدَّت مَهابتُه. وكانت له رَغْبَةٌ في شِراء المماليك والخُيول بأغلى القِيَم، وكان يَبْعَثُ للأُمَراء المُجَرَّدين معه النَّفَقَة، ويقُومُ لهم بالشَّعير والأغْنام. وبَلَغَت مَماليكه الغايَة في الحِشْمَة، وكان إقْطاعُ كلٍّ منهم في السنة عشرين ألف درهم فِضَّة، عنها يومئذٍ ألف مِثْقال من الذَّهَب. ولكلٍّ من جُنْده خُبْزٌ مبلغه في السنة عشرة آلاف دِرْهَم، سوى كُلَفِهم من الشَّعير واللَّحْم. ومع ذلك فكان خَيِّرًا دَيِّنًا، له صَدَقاتٌ ومعروفٌ وإحْسانٌ كثيرٌ. وماتَ بعدما تَرَكَ إمْرَتَه في مَرَضِه الذي ماتَ فيه للنصف من رَبيع الآخر سنة ستٍّ وسبع مائة، رحمه الله.

وبهذا الخُطِّ عِدَّةُ دُورٍ جَليلَة، يأتي ذِكْرُها عند ذِكْر الدُّور من هذا الكتاب إن شاءَ الله تعالى.

أَوْلادُ شَيْخ الشُّيوخ ـ جَماعَةٌ أَصْلُهم الذي ينتسبون إليه حَمَوَيه بن عليّ، يُقال إنَّه من وَلَد رزم بن ثَوْنَان[a] أحد قُوَّاد كِسْرَى أنوشُروان، ووَلِيَ قِيادة جَيْش نَصْر بن نُوح بن سامان ودَبَّر دولته، وهو جَدُّ شَيْخ الإسْلام محمد وأخيه أبي سَعْد بني حَمَوَيْه بن محمد بن حَمَوَيْه[1].

وكان محمد وأبو سَعْد من مُلُوك خُراسان، فتَرَكا الدُّنْيا وأَقْبَلا على طَريق الآخِرَة، وماتَ رُكْن الإسْلام أبو سعد بنَجْراباذ[b] من قرى جُوَيْن[2] في سنة سبعٍ وعشرين وخمس مائة، وماتَ أخُوه شَيْخُ الإسْلام محمد بها في سنة ثلاثين وخمس مائة.

وتَرَكَ أبو سَعْد زَيْنَ الدِّين أحمد وبَنَات، وتَرَكَ شيخُ الإسْلام محمد وَلَدًا واحِدًا وهو أبو الحَسَن عليّ. فتَزَوَّج عليّ بن محمد بابنة عمِّه أبي سَعْد، ورُزِق منها سَعْد الدِّين [c] ومُعين الدِّين حَسَنًا وعِماد الدِّين عُمَر. وتَرَكَ زَيْنُ الدِّين أحمد بن أبي سَعْد رُكْن الدِّين أبا سَعْد وعَزيز الدِّين وزَيْن الدِّين القاسِم. فقَدِمَ عِمادُ الدِّين عُمَر بن

a) بولاق: يونان. b) بولاق: بنجران. c) بياض في آياصوفيا مقدار كلمة.

[1] راجع عن أوْلاد شَيْخ الشُّيوخ، Gattshalk, H. L., «Die Aulad Shaykh ash-Shuyûkh (Banû Hamawiya)», *WZKM* 53 (1950), pp. 57-87; id., *EI²* art. *Awlâd al-Shaykh* I, pp. 788-89؛ حامد زيّان غانم: العلماء بين الحرب والسياسة في العصر الأيوبي (أسرة شيخ الشيوخ)، القاهرة ١٩٧٨.

[2] جُوَيْن. كورة على طريق القوافل من بِسْطام إلى نَيْسابور تتّصل حدودها بحدود بَيْهَق من جهة القِبْلة ويُنْسَب إليها خَلْقٌ كثير. (ياقوت: معجم البلدان ٤: ١٦٤-١٦٥).

عليّ بن محمد بن حَمَوَيْه إلى دِمَشْق، وصارَ شَيْخَ الشُّيوخ بها، وقَدِمَ عليه ابنُه شَيْخُ الشُّيوخ صَدْرُ الدِّين عليّ.

فلمَّا ماتَ عُمَر في رَجَب سنة سبع وسبعين وخمس مائة بدِمَشْق، أقَرَّ السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يوسُف بن أيُّوب وَلَدَه صَدْرَ الدِّين محمدًا مَوْضِعَه. وصارَ شَيْخَ الشُّيوخ بدِمَشْق فتَزَوَّج بابنة القاضي/ شِهاب الدِّين بن أبي عَصْرون، ورُزِقَ منها عشرة بنين: منهم عِمادُ الدِّين عُمَر، وفَخْرُ الدِّين يوسُف، وكمالُ الدِّين أحمد، ومُعينُ الدِّين حَسَن [a]. فأرْضَعَت أُمُّهُم ـ بنت أبي عَصْرون ـ السُّلْطانَ الملك الكامِل محمد بن الملك العادِل أبي بكر بن أيُّوب، فصارَ أخًا لأوْلاد صَدْر الدِّين شَيْخ الشُّيوخ من الرَّضاعَة. وقَدِمَ صَدْرُ الدِّين إلى القاهِرَة، ووَلِيَ تَدْريس الشَّافِعي بالقَرافَة ومَشْيَخَة الخانْقاه الصَّلاحِيَّة سَعيد السُّعَداء، ثم سافَرَ فماتَ بالمَوْصِل في رَابع عشر جُمادَى الأولى سنة سبع عشرة وستّ مائة [1].

واستبدَّ الملكُ الكامِلُ بمملكة مصر بعد أبيه، فرَقَّى أوْلادَ صَدْر الدِّين شَيْخ الشُّيوخ محمد ابن حَمَوَيْه الأربعة، وبَعَثَ عِمادَ الدِّين عُمَر في الرِّسالَة إلى الخَليفَة ببَغْداد، وجَمَعَ له بين رئاسَة العِلْم والقَلَم في سنة ثلاثٍ وثلاثين وستّ مائة، ولم يَجْتَمِع ذلك لأحَدٍ في زَمَانِه. وما زالَ على ذلك إلى أن ماتَ الملكُ الكامِلُ، وقامَ من بعده في سَلْطَنَة مصر ابنُه الملكُ العادِلُ أبو بكر بن الكامِل. فخَرَجَ إلى دِمَشْق ليُحْضِر إليه الملك الجَواد مُظَفَّر الدِّين يُونُس بن مَوْدود بن العادِل أبي بكر ابن أيُّوب نائِب السَّلْطَنَة بدِمَشْق، فدَسَّ عليه مَنْ قَتَلَه على باب الجامِع في سادس عشرين جُمادَى الآخرة سنة ستٍّ وثلاثين وستّ مائة.

وأمَّا فَخْرُ الدِّين يُوسُف ابن شَيْخ الشُّيوخ صَدْر الدِّين، فإنَّ الملك الكامِل جَعَلَه أحَد الأُمَرَاء، وألْبَسَه الشَّرْبوش والقَبَاء ونادَمَه، وبَعَثَه في الرِّسالَة عنه إلى مَلِك الفِرِنْج، ثم إلى أخيه المُعَظَّم بدِمَشْق ثم إلى الخَليفَة ببَغْداد، وأقامَه يتحدَّث بمصر في تَدْبير المملكة وتَحْصيل الأمْوال، ثم بَعَثَه حتى تَسَلَّم حَرَّان والرُّها، وجَهَّزَه إلى مَكَّة على عَسْكَره. فقاتَلَ صاحِبَها الأمير راجِح الدِّين ابن قَتادَة، وأخَذَها بالسَّيْف، وقَتَلَ عَسْكَر اليَمَن.

---

a) بولاق: حسين.

---

[1] المقريزي: المقفى الكبير ٦: ٤٢٠– ٤٢٢.

وما زالَ مُكَرَّمًا مُحْتَرَمًا إلى أن[a] ماتَ الملكُ الكامِلُ، فقَبَضَ عليه العادِلُ ابن الكامِلِ واعْتَقَلَه. فلمَّا خُلِعَ العادِلُ بأخيه الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب، أَطْلَقَه وأمَّرَه وبالَغ في الإحسان إليه، وبَعَثَه على العَساكِر إلى الكَرَك فأَوْقَعَ بالخُوارَزْمية وبَدَّدَ شَمْلَهم، وكانوا قد قَدِمُوا من المشرق إلى غَزَّة، وأقامَ الدَّعْوَة للصَّالِح في بلاد الشَّام وعاد. ثم قَدَّمَه على العَساكِر، فأَخَذَ طَبَرِيَّة من الفِرِنْج وهَدَمَها، وأَخَذَ عَسْقَلان من الفِرِنْج وهَدَمَ حُصونَها، ونازَل[1] حِمْص حتى أَشْرَفَ على أَخْذِها. ثم تَقَدَّم على العَساكِر لِقِتال[b] الفِرِنْج بدِمْياط، فماتَ السُّلْطانُ عند المَنْصورَة وقامَ بتَدْبير الدَّوْلَة بعده خمسة وسبعين يومًا إلى أن اسْتُشْهِد في رابع ذي القِعْدَة سنة سبعٍ وأربعين وستّ مائة، فحُمِلَ من المَنْصُورَة إلى القَرافَة فدُفِنَ بها[2].

وأمَّا كمالُ الدِّين أحمد، فإنَّ الملكَ الكامِلَ اسْتنابَه بحَرَّان والجَزِيرَة، ووَلِيَ تَدْريس المَدْرَسَة النَّاصِرِيَّة بجوار الجامِع العَتيق بمصر، وتَدْريس الشَّافِعِي بالقَرافَة، ومَشْيَخَة الشُّيُوخ بديار مصر، وقَدَّمَه الملكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّين أيُّوب على العَساكِر غير مَرَّة، وماتَ بغَزَّة في صَفَر سنة تسعٍ وثلاثين وستّ مائة.

وأمَّا مُعين الدِّين حَسَن فإنَّه وَلِيَ مَشْيَخَة الشُّيوخ بديار مصر، وبَعَثَه الملكُ الكامِل في الرِّسالَة عنه إلى بَغْداد، ثم أقامَه نائِبَ الوَزارَة إلى أن ماتَ. فاسْتَوْزَرَه الملكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّين أيُّوب في ذي القِعْدَة سنة سبعٍ وثلاثين وستّ مائة، وجَهَّزَه على العَساكِر في هَيْئَة الملوك إلى دِمَشْق، فقاتَل الصَّالِح إسماعيل بن العادِل حتى مَلَكَها، وماتَ بها في ثاني عشرين رَمَضان سنة ثلاثٍ وأربعين وستّ مائة.

وقد ذَكَرتُ أوْلاد شَيْخ الشُّيوخ في كِتاب «تاريخ مِصْر الكَبير»، واسْتَقْصَيْتُ فيه أخبارَهم[3]، والله أَعْلَم.

---

a) بولاق: حتى. b) بولاق: بقتال.

---

[1] راجع، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ٨: ٧٢١- ٧٢٤؛ المنذري: التكملة لوفيات النقلة ٣: ٥٠٦- ٥٠٧، أبا شامة: ذيل الروضتين ١٦٧- ١٦٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٣: ٩٧- ٩٩؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٦: ٣١٣- ٣١٤.

[2] فيما تقدم ١: ٥٩٥- ٦٠٠، وراجع، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ٨: ٧٧٦- ٧٧٨؛ أبا شامة: ذيل الروضتين ٨: ٧٧٦- ٧٧٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٣: ١٠٠- ١٠٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٩: ٣١٧- ٣٢١؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٨: ٣٦٣- ٣٦٤؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٦: ٣٦٣.

[3] المقريزي: المقفى الكبير ٦: ٤٢٠- ٤٢٢، وانظر كذلك المنذري: التكملة لوفيات النقلة ٣: ١٥- ١٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٤: ٢٥٩. ولم يُتَرْجِم المقريزي فيما وَصَلَ إلينا من «المقفى الكبير» لأحَدٍ من أوْلاد الشيخ صَدْر الدِّين بن حمويه.

خُطُّ قَصْر بَشْتاك

هذا الخُطُّ من جملة القَصْر الكَبير، ويُتَوَصَّل إليه من تِجاه المَدْرَسَة الكامِلية، حيث كان بابُ القَصْر المعروف بباب البَحْر، وهَدَمَه الملكُ الظَّاهِرُ بَيْبَرْس كما تقدَّم في ذِكْر أبْواب القَصْر [1]، وصارَ اليومَ في داخل هذا الباب حارَةٌ كبيرةٌ فيها عِدَّةُ دُورٍ جَليلَةٌ منها قَصْر الأمير بَشْتاك، وبه عُرِفَ هذا الخُطّ.

وبَشْتاكُ هذا هو الأميرُ سَيْفُ الدِّين بَشْتاكُ النَّاصِريّ [2]. قَرَّبَه الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون وأعلى مَحَلَّه، وكان يُسمِّيه ـ بعد مَوْت الأمير بَكْتَمُر السَّاقي ـ بالأمير في غَيْبَته. وكان زائِد التِّيه، لا يُكَلِّم أسْتادَّارَه وكاتِبَه إلَّا بتُرْجُمان، ويعرف بالعَرَبي ولا يَتَكَلَّم به، وكان إقْطاعُه سبع[a] عشرة طَبْلَخانَة أكبر من إقْطاع قَوْصُون.

ولمَّا ماتَ بَكْتَمُر السَّاقي [3]، وَرِثَه في جَميع أحْواله وإسْطَبله الذي على بِرْكَة الفيل وفي امْرَأته أمّ أحمد، واشْتَرَى جارِيَتَه خُوبي[4][b] بستة آلاف دينار، ودَخَلَ معها ما قيمته عشرة آلاف دينار، وأخَذَ ابن بَكْتَمُر عنده.

a) بولاق: ست والتصويب من الصفدي والمقفى الكبير.   b) بولاق: جوبي.

[1] فيما تقدم ٢: ٤٢٥.

[2] الأمير سَيْفُ الدِّين بَشْتاك ـ بفتح الباء الموحدة وسكون الشين المعجمة وتاء ثالثة الحروف وبعدها ألف وكاف ـ النَّاصِري، المتوفى سنة ٧٤٢هـ/ ١٢٤٢م، راجع ترجمته عند الصفدي: أعيان العصر ١: ٦٩٠– ٦٩٤، الوافي بالوفيات ١٠: ١٤٢– ١٤٤، المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٤٢٣–٤٢٧ والسلوك ٢: ٦١٣؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ١٠–١٢؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٧٤ والمنهل الصافي ٣: ٣٦٧– ٣٧٢؛ وفيما يلي ٢٢٨– ٢٣٠).

وصَوَّبَ أبو المحاسن رَسْم بَشْتاك بأنَّه بَشْتَك ـ بفتح الباء الموحدة من تحتها وترقيقها وسكون الشين المعجمة وبعدها تاء مثناة من فوق مفتوحة وكاف ـ ومعناه باللغة التركية: خمسة لا غير وصوابه في الكتابة: بش تلك (المنهل الصافي ٣: ٣٧٢).

[3] انظر عن الأمير سَيْف الدين بَكْتَمُر السَّاقي (فيما يلي ٢٢١).

[4] خُوبي العَوَّادة ـ بضم الخاء المعجمة وسكون الواو بعدها موحدة مكسورة ـ كانت مُغَنِّيةً فائقةً في ضَرْب العُود، اشتراها بَكْتَمُر السَّاقي بعشرة آلاف دينار مصرية ويقالُ إنَّه لم يَدْخُل مصر لها نَظير. ولمَّا بَلَغَها وفاة بَكْتَمُر بطريق الحجاز كَسَرَت عُودَها؛ ثم باعَها الملكُ النَّاصِرُ لبَشْتاك بستة آلاف دينار فدَخَلَت عليه ومعها من الأمتعة أضْعاف ذلك فلم تحظ عنده، ويقال إنَّه زَوَّجَها لبعض مماليكه وماتَت بعد الأربعين وسبع مائة (الصفدي: أعيان العصر ٢: ٣٣٧– ٣٣٩؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ١٨٤).

وزادَ أَمْرُه، وعَظُمَ محلُّه، فثَقُلَ على السُّلْطان، وأرادَ الفَتْك به فما تمكَّن. وتَوَجَّه إلى الحِجاز، وأَنْفَقَ في الأُمَرَاء وأَهْل الرَّكْب والفُقَرَاء والمجاورين بمَكَّة والمَدينَة شيئًا كثيرًا إلى الغايَة، وأعطى من الألف دينار إلى المائة دينار إلى الدِّينار بحَسَب مَراتِب النَّاس وطَبقاتِهم. فلمَّا عادَ من الحِجَاز لم يَشْعُر به السُّلْطانُ إلَّا وقد حَضَرَ في نَفَرٍ قَليلٍ من مَماليكه، وقال: إن أردت إمْساكي فها أنا قد جِئْتُ إليك برَقَبَتي. فغالطَه[a] السُّلْطانُ، وطَيَّبَ خاطِرَه. وكان يُرْمَى بأوابِد ودَواهي من أَمْر الزِّنا.

وجَرَّدَه السُّلْطانُ لإمْساك تَنْكِز نائِب الشَّام، فحَضَرَ إلى دِمَشْق بعد إمْساكِه هو وعشرة من الأُمَرَاء، فنَزَلُوا القَصْر الأَبْلَق، وحَلَفَ الأُمَرَاءُ كلُّهم للسُّلْطان ولذُرِّيته، واسْتَخْرَج وَدَائِع تَنْكِز، وعَرَضَ حَواصِلَه ومَماليكَه وجَواريه وخَيْله / وسائِر ما يتعلَّق به، ووَسَّط طُغَاى وجَنْغاي مَملوكيْ تَنْكِز في سُوق الخَيْل، ووسَّط وَزَّان[b] أيضًا بحُضُوره يوم المَوْكِب[c]. وأقامَ بدِمَشْق خمسة عشر يومًا، وعادَ إلى القَلْعَة، وبقي في نفسه من دِمَشْق، وما تَجاسَر يُفاتِح السُّلْطان في ذلك.

فلمَّا مَرِضَ السُّلْطانُ وأَشْفَى[d] على الموت، أَلْبَسَ الأمير قَوْصُون مَماليكه، فدَخَلَ بَشْتاك، فعَرَفَ السُّلْطانُ ذلك، فجَمَعَ بينهما وتَصالَحَا قُدَّامه، ونَصَّ السُّلْطان على أنَّ المُلْكَ بعده لولَدِه أبي بكر. فلم يُوافِق بَشْتَاك، وقال: لا أُريد إلَّا سَيِّدي أحمد.

فلمَّا ماتَ السُّلْطانُ، قامَ قَوْصُون إلى الشُّبَّاك وطلب بَشْتَاك، وقال له: يا أمير أنا ما يجيء مِنِّي سُلْطانٌ، لأنِّي كنت أبيع الطُّشما والبرغالي والكشاتوين، وأنت اشْتَرَيْتَ مِنِّي وأهلُ البلاد يعرفون ذلك. وأنت ما يجيء منك سُلْطانٌ لأنَّك كنت تَبيع البُوزا[e]، وأنا اشْتَرَيْت منك وأَهْلُ البلاد يعرفون ذلك. وهذا أُستاذُنا هو الذي وَصَّى لمن هو أَخْبَرُ به من أوْلادِه، وما يَسَعُنا إلَّا امْتِثال أَمْره حَيًّا وميِّتًا، وأنا ما أُخالِفك إن أَرَدْتَ أحمد أو غيره، ولو أَرَدْتَ أن تعمل كلَّ يوم سُلْطانًا ما خالَفْتُك. فقال بَشْتَاكُ: هذا كلُّه صَحيحٌ، والأَمْرُ أَمْرُك، وأَحْضَرَا المُصْحَف وحَلَفَا عليه وتعانَقَا، ثم قامَا إلى رِجْلي السُّلْطان فقبَّلاهما، ووَضَعا أبا بكر بن السُّلطان على الكرسي، وقَبَّلا له الأَرْضَ وحَلَفَا له، وتلقَّب بالملك المَنْصور.

ثم إن بَشْتاكًا طَلَبَ من السُّلْطان الملك المَنْصور نِيابَة دِمَشْق، فأَمَرَ له بذلك وكَتَبَ تَقْليدَه. وبَرَزَ إلى ظاهِر القاهِرَة وأقامَ يومين. ثم طَلَعَ في اليوم الثَّالث إلى السُّلْطان ليودِّعه. فوَثَبَ عليه

---

a) الصفدي: فكابره. b) بولاق: دران. c) بولاق: المركب. d) بولاق: أشرف. e) بولاق: الكوزا.

الأميرُ قُطْلُوبُغا الفَخْري وأمْسَكَ سَيْفَه، وتكاثَروا عليه فأمْسَكوه، وجَهَّزوه إلى الإسْكَنْدَرية فاعْتُقِلَ بها، ثم قُتِلَ في الخامِس من رَبيع الأوَّل سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة[1] لأوَّل سَلْطَنة الملك الأَشْرف كَجَك.

وكان شابًّا أبيضَ اللَّوْن ظَريفًا، مَديدَ القامَة نَحيفًا، خَفيفَ اللِّحْيَة كأنَّها عَذار، على حَرَكَاتِه رَشاقَة، حَسَن العِمَّة يَتَعَمَّم النَّاسُ على مِثالِها. وكان يُشَبَّه بأبي سَعيد ملك العِراق، إلَّا أنَّه كان غير عَفيف الفَرْج، زائِد الهَرَجَ والمَرَج، لم يَعْف عن مَليحَة ولا قَبيحَة، ولم يَدَع أحَدًا يفوته، حتى يُمْسك نِساءَ الفلَّاحين وزَوْجات المَلَّاحين، واشْتُهِرَ بذلك ورُمِيَ فيه بأَوَابِد.

وكان زائِدَ البَذْخ، مُنْهَمكًا على ما يَقْتَضيه عُنْفوان الشَّبيبَة، كثير الصَّلَف والتِّيه، لا يُظْهِر الرَّأْفَة ولا الرَّحْمَة في تأنِّيه. ولمَّا تَوَجَّه بأولاد السُّلْطان ليُفَرِّجهم في دِمْياط، كان يَذْبَح لسِماطِه في كلِّ يوم خمسين رأسًا من الغَنَم وفَرَسًا لابد منه، خارِجًا عن الإوَزّ والدَّجاج. وكان راتِبُه دائِمًا كلَّ يوم من الفَحْم برَسْم المَشْوي مبلغ عشرين درهمًا عنها مِثْقال ذَهَب، وذلك سوى الطَّوارِئ.

وأَطْلَقَ له السُّلْطانُ كلَّ يوم بُقْجَة قُماش من اللُّفافة إلى الخُفّ إلى القَميص واللِّبَاس والملوطة والبغُلْطاق والقَباء[a] والقَباء الفَوْقاني بوَجْه إسْكَنْدَري على سِنْجاب طري بطَرْز زَرْكَش[b] رَقيق وكَلُّوتَة وشَاش، ولم يَزَلْ يأخُذ ذلك كلَّ يومٍ إلى أن ماتَ السُّلْطان. وأُطْلِقَ له في يومٍ واحِد، عن ثَمَن قرية يُبْنَى[c][2] بسَاحِل الرَّمْلَة، مبلغ ألف ألف درهم فِضَّة، عنها يومئِذٍ خمسون ألف مِثْقال من الذَّهَب. وهو أوَّل من أُمْسِكَ بعد مَوْت الملك النَّاصِر.

وقال الأديبُ المؤرِّخُ صَلاحُ الدِّين خَليل بن أَيْبَك الصَّفَدي، ومن كِتابِه نَقَلْتُ ترجمة بَشْتاك:

[الكامل]

قال الزَّمانُ وما سَمِعْنا قَوْلَه	والنَّـاسُ فيه رَهـائِـنُ الأَشْـراكِ
مَنْ يَنْصُر المَنْصُور من كَيْدي وقد	صادَ الرَّدَى بَشْتاكَ لي بشِراكِ[3]

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: مطرز مزركش. c) بولاق: تبنى.

[1] في المقفى ٢: ٤٢٧ أنه قتل في ليلة الجمعة تاسع عشر ربيع الأول سنة ٧٤٢هـ.

[2] يُبْنَى بالضم ثم السكون ونون وألف مقصور. بُلَيْد قرب الرَّمْلَة فيه قبر صحابي يُقال هو أبو هريرة أو عبد الله بن أبي سَرْح (ياقوت: معجم البلدان ٥: ٤٢٨).

[3] الصفدي: أعيان العصر ١: ٦٩٤؛ الوافي =

خُطّ باب الزُّهُومَة

هذا الخُطُّ عُرِفَ بباب الزُّهُومَة ، أَحَدُ أبواب القَصْر الكَبير الشَّرْقي الذي تَقَدَّمَ ذِكْرُه ، فإنَّه كان هناك [١] . وقد صارَ الآن في هذا الخُطِّ سُوقٌ وفُنْدُقٌ وعِدَّةُ آدرٍ ، يأتي ذكرذلك كلُّه إن شاءَ الله في مَواضِعه .

خُطّ الزَّراكِشَة العَتيق

٥

هذا الخُطُّ فيما بين خُطِّ باب الزُّهُومَة وخُطِّ السَّبْع خُوَخ ، وبعضُه من دار العِلْم الجَديدَة ، وبعضه من جملة القَصْر النَّافعيّ ، وبعضه من تُرْبَة الزَّعْفَران . وفيه اليوم فُنْدُقُ المِهْمَنْدار الذي يُدَقُّ فيه الذَّهَب ، وخانُ الخَلِيلي ، وخانُ مَنْجَك ، ودارُ خَواجا ، ودَرْبُ الحُبَيْشي [a]، وغير ذلك كما ستَقِف عليه إن شاءَ الله .

خُطّ السَّبْع خُوَخ العَتيق

١٠

هذا الخُطُّ فيما بين خَطِّ إسْطَبْل الطَّارِمَة وخُطِّ الزَّراكِشَة العَتيق . كان فيه قَديمًا أيَّامَ الخُلَفاء الفاطِميين سَبْعُ خُوَخ يُتَوَصَّل منها إلى الجامِع الأَزْهَر [٢] . فلمَّا انْقَضَت أيَّامُهُم ، اخْتُطَّ مَساكِنَ وسُوقًا يُباعُ فيه الإبَر التي يُخاطُ بها وغير ذلك ، فعُرِفَ بالأَبَّارين .

خُطّ إسْطَبْل الطَّارِمَة

١٥ هذا الخُطُّ كان إسْطَبْلًا لخاصِّ الخَليفَة يُشْرِف عليه قَصْر الشَّوْك والقَصْر النَّافِعِيّ ، وقد تقدَّم الكَلامُ عليه [٣] . وكانت فيه طارِمَةٌ يجلس الخَليفَةُ تحتها ، فعُرِفَ بذلك ، ثم هو الآن حارَةٌ كبيرةٌ فيها عِدَّةٌ من المساكِن ، وبه سُوقٌ وحَمَّامٌ ومَساجِد . وهذا الخُطُّ فيما بين

---

a) بولاق : الحبش .

= بالوفيات ١٠: ١٤٤؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٣: ٣٧١.

[١] فيما تقدم ٢: ٤٣١.

[٢] فيما يلي ١٤٠.

[٣] فيما تقدم ٢: ٤٥٧- ٤٥٩.

رَحْبَة قَصْر الشَّوْك ورَحْبَة الجامِع الأَزْهَر، كما ستقف عليه إن شاءَ الله في ذِكْر الرِّحاب [١].

خُطُّ الأَكْفانِيين

هذا الخُطُّ كان يُعْرَف بخُطِّ الخروقيين [a]، جَمْع خِرْقَة.

خُطُّ المُناخ

٥

هذا الخُطُّ فيما بين البَرْقِيَّة والعُطوفِيَّة، كان مَواضِعَ طَواحِين القَصْر، وقد تقدَّم ذِكْرُه [٢]. ثم اخْتُطَّ/ بعد ذلك، وصارَ حارَةً كبيرةً، وهو الآن مُتداعٍ للخَراب.

خُطُّ سُوَيْقَة أميرِ الجُيوش

كان حارَةَ الفَرْحِيَّة، وسيأتي ذكره في الأَسْواق إن شاءَ الله [٣]. وهذا الخُطُّ فيما بين حارَة بَرْجَوان وخُطِّ خان الوِراقَة.

١٠

خُطُّ دِرْكَة [b] الحَشَبَة

هذا الخُطُّ يُعْرَف اليوم بمَكْسَر الحَطَب، وفيه سُوق الأبازِرَة، وهو فيما بين البُنْدُقانيين والمَحْمُودِيَّة، وفيه عِدَّةُ أَسْواقٍ ودُور.

خُطُّ الفَهّادِين

١٥

هذا الخُطُّ فيما بين الجُوَّانِيَّة والمُناخ [c].

---

a) بولاق: الخرقيين. b) بولاق: بركة. c) على هامش آياصوفيا: هنا بياض سطرين.

---

[١] فيما يلي ١٥٠.

[٢] فيما تقدم ٢: ٤٥٦.

[٣] فيما يلي ٣٣٤-٣٣٥.

خُطّ خِزانَة البُنُود

هذا الخُطُّ فيما بين رَحْبَة باب العيد ورَحْبَة المَشْهَد الحُسَيْني، وكان موضعه خِزانَةٌ تُعْرَف بخِزانَة البُنُودِ، وكان أوّلاً يُعْمَل فيها السِّلاح، ثم صارَت سِجْنًا لأُمَراء الدَّوْلَة وأعْيانِها، ثم أُسْكِنَ فيها الفِرِنْجُ إلى أن هَدَمَهَا الأميرُ الحاج آل مَلِك، وحُكِرَ مكانُها، فبُني فيه الطَّاحون والمساكِن كما ٥ تقدَّم [1].

خُطّ السَّفِينَة

هذا الخُطُّ فيما بين دَرْب السَّلاَّمي من رَحْبَة باب العيد وبين خِزانَة البُنُود. كان يقف فيه المتظلِّمون للخَليفَة كما تقدَّم ذكره [2]، ثم اخْتُطَّ فصارَ فيه مَساكِنُ، وهو خُطٌّ صَغير [a].

خُطّ خان السَّبيل

١٠ هذا الخُطُّ خارِج باب الفُتُوح، وهو من جُمْلَة أخْطَاط الحُسَيْنِيَّة. قال ابنُ عبد الظَّاهِر: خانُ السَّبيل بَنَاه الأميرُ بَهاءُ الدِّين قَراقُوش، وأرْصَدَه لأبْناء السَّبيل والمسافِرين بغير أُجْرَة، وبه بِئْرٌ ساقِيَة وحَوْض [3]. انتهى.

وأدْرَكْنا هذا الخُطَّ في غايَة العِمارَة يُعْمَلُ فيه عَرْصَة [4] تُباعُ بها الغِلال، وكان فيه سُوقٌ يُباعُ فيه الخَشَب، ويجتمع النَّاسُ هناك بُكْرَةَ كلِّ يوم جُمُعَة، فيُباعُ فيه من الإوَزّ والدَّجاج ١٥ ما لا يُقَدَّر قدره، وكانت فيه أيضًا عِدَّةُ مَساكِن ما بين دُور وحَوانيت وغيرها. وقد اخْتَلَّ هذا الخُطُّ [5].

---

a) على هامش آياصوفيا: هنا بياض نحو ورقة.

---

[1] فيما تقدم ٢: ٣٩٥- ٤٠١؛ وفيما يلي ٥٩٩.

[2] فيما تقدم ٢: ٣٤٥- ٣٤٨.

[3] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٢٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٥٦؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٨٢- ٣٨٣؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٤٦؛ وفيما يلي ٣٠٨

[4] عَرْصَة جـ. عِراص وعَرَصات وأعْراص. كلُّ بُقْعَة بين الدُّور واسعة ليس فيها بناء. (الفيروزأبادي: القاموس المحيط ٨٠٣).

[5] المقريزي: مسودة المواعظ ٣٨٢- ٣٨٣.

خِطُّ بُستان ابن صَيْرَم

هذا الخُطُّ أيضًا خارِج باب الفُتُوح مِمَّا يلي الخَليج. وزُقاق الكَحْل كان من جملة حارَة البيازِرَة [١]، فأنشأه زِمامُ القَصْر المخْتار الصَّقْلَبي بُستانًا، وبَنَى فيه مَنْظَرَةً عَظيمَةً. فلمَّا زالتِ الدَّوْلَةُ الفاطِمِيَّة، اسْتَوْلى عليه الأميرُ جَمالُ الدِّين شُوَيْخ[a] بن صَيْرَم، أَحَدُ أُمَرَاء الملك الكامِل، فعُرِفَ به. ثم اخْتُطَّ وصارَ من أَجَلِّ الأَخْطاط عِمارَةً تسكنه الأُمَرَاءُ والأَعْيانُ من الجُند، ثم هو الآن آيِلٌ ٥
إلى الدُّثُور.

خِطُّ قصر ابن عَمَّار

هذا الخُطُّ من جملة حارَة كُتامَة، وهو اليوم دَرْبٌ يُعْرَف بالقَمَّاحين، وفيه حَمَّامُ كَرای[b] ودار خَوَنْد شُقْرا يُسْلَك إليه من خُطِّ مَدْرَسَة الوَزير كَريم الدِّين بن غَنَّام، ويُسْلَك منه إلى دَرْب المَنْصوري.

١٠ وابنُ عَمَّـارٍ هذا هو أبو محمد الحَسَن بن عَمَّار بن عليّ بن أبي الحَسَن الكَلْبي [٢]، من بني أبي الحَسَن أَحَدِ أُمَرَاء صِقِلِّيَة وأَحَد شُيوخ كُتامَة. وَصَّاه العَزيزُ بالله نِزار بن المُعِزّ لدين الله لمَّا احْتَضَر، هو والقاضي محمد بن النُّعْمان، على وَلَدِه أبي عليّ مَنْصور. فلمَّا ماتَ العَزيزُ بالله، واسْتُخْلِف من بعده ابنُه الحاكِم بأمْر الله، اشْتَرَطَ الكُتامِيُّون ـ وهم يومئذٍ أَهْل الدَّوْلَة ـ أَلَّا يَنْظُرَ في أُمُورِهم غير أبي محمد بن عَمَّار بعدما تَجَمَّعُوا، وخَرَجَ منهم طائِفَةٌ نحو المُصَلَّى، وسألوا صَرْف عيسى بن ١٥ نَسْطورِس، وأن تكون الوَساطَة لابن عَمَّار [٣]. فنُدِبَ لذلك، وخُلِعَ عليه في ثالِث شَوَّال سنة ستٍّ وثمانين وثلاث مائة [٤]، وقُلِّد بسَيْفٍ من سُيوف العَزيز بالله، وحُمِلَ على فَرَسٍ بسَرْجِ ذَهَب،

a) بولاق: سويح. b) بولاق: كرائي.

[١] عن زقاق الكحل انظر فيما تقدم ٢: ٢٢١ وفيما يلي ١٣٩، وعن حارة البيازرة انظر فيما تقدم ٥٨-٥٩.

[٢] راجع ترجمة ابن عَمَّار عند، ابن الصيرفي: الإشارة ٥٦-٥٧؛ ابن ظافر: أخبار الدول ٤٣؛ ابن ميسر: أخبار مصر ١٧٧؛ النويري: نهاية ٢٨: ١٦٨؛ المقريزي: المقفى ٣: ٤٣٣-٤٤١؛ Wiet, G., *EI*² art. *ʿAmmār, Banū* I, p. 461.

[٣] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٤.

[٤] ورد هذا التاريخ في بولاق وسائر النسخ: سنة خمس وسبعين وثلاث مائة، وهو غير صواب، والصواب ما أثبته عن المصادر.

ولُقِّبَ بـ«أمين الدَّوْلَة» ـ وهو أوّلُ من لُقِّبَ في الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة من رجال الدَّوْلَة ـ وقِيْد بين يَدَيْه عِدَّةُ دَواب، وحُمِلَ معه خمسون ثَوْبًا من سائِر البَزِّ الرَّفيع، وانْصَرَف إلى دارِه في مَوْكِبٍ عَظيم.

وقُرِئَ سِجِلُّه، فتولَّى قِراءَتَه القاضي محمد بن النُّعْمان بجُلوسِه للوَساطَة، وتلقيبه بـ«أمين الدَّوْلَة». وأُلْزِم سائِرَ النَّاس بالتَّرَجُّل إليه، فتَرَجَّلَ النَّاسُ بأَسْرِهم له من أهل الدَّوْلَة، وصارَ يدخل القَصْر راكِبًا، ويَشُقّ الدَّواوين، ويَدْخُل من الباب الذي يجلس فيه خَدَمُ الخَلِيفَة الخاصَّة، ثم يعدل إلى باب الحُجْرَة التي فيها أميرُ المؤمنين الحاكِم، فينزل على بابِها ويركب من هناك[1].

وكان النَّاسُ من الشُّيوخ والرُّؤَساء على طَبَقاتهم يُبَكِّرون إلى دارِه، فيجلسون في الدَّهاليز بغير تَرْتيب والباب مُغْلَق، ثم يُفْتَح فيدخل إليه جَماعَةٌ من الوُجوه، ويجلسون في قاعَة الدَّار على حَصيرٍ وهو جالِسٌ في مجلسه، ولا يدخل له أَحَدٌ ساعَةً، ثم يَأْذَنُ لوجوه من حَضَر ـ كالقاضي ووُجُوه شُيُوخ كُتامَة والقُوَّاد ـ فتدخل أَعْيانُهم. ثم يَأْذَن لسائِر النَّاس، فيزدحمون عليه بحيث لا يَقْدر أَحَدٌ أن يصل إليه، فمنهم من يومِئ بتَقْبيل الأرْض، ولا يَرُدّ السَّلامَ على أَحَدٍ. ثم يخرج فلا يَقْدِر أحَدٌ على تَقْبيل يده سوى أُناسٍ بأعْيانِهم، إلَّا أنَّهم يُومِئون إلى تَقْبيل الأرض، وشَرُفَ أكابرُ النَّاس بتَقْبيل رِكابِه، وأَجَلُّ النَّاس من يُقَبِّل رُكْبَتَه.

وقَرَّبَ كُتامَة، وأَنْفَقَ فيهم الأمْوال وأَعْطاهم الخُيُولَ، وباعَ ما كان بالإسْطَبْلات من الخَيْل والبِغال والنُّجُب وغيرها وكانت شيئًا كثيرًا، وقَطَعَ أكثر الرُّسوم التي كانت تُطْلَق لأوْلياء الدَّوْلَة من الأتْراك، وقَطَعَ أكثر ما كان في المَطابِخ، وقَطَعَ أرْزاق جَماعَةٍ، وفَرَّق كثيرًا من جَواري القَصْر ـ وكان به من الجَواري والخَدَم عشرة آلاف جارية وخادِم ـ فباعَ مَنِ اخْتار البَيْع، وأَعْتَق من سأل العِتْق طَلَبًا للتوفير.

واصْطَنَعَ أَحْداثَ المغارِبَة، فكَثُر عَبَثُهم، وامتدَّت أيديهِم إلى الحَرَام في الطُّرُقات، وشَلَّحُوا النَّاسَ ثِيابَهم. فضَجَّ النَّاسُ منهم، واستغاثُوا إليه بشكايتهم، فلم يُبْد منه كبير نَكير. فأَفْرَطَ الأمْرُ حتى تعرَّض جَماعَةٌ منهم للغِلمان الأتْراك وأرادوا/ أَخْذ ثِيابِهم، فثار بسبب ذلك شَرٌّ قُتِلَ فيه غُلامٌ

---

[1] راجع، ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة ٥٦- ٥٧؛ ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة ٣١؛ ابن ميسر: أخبار مصر ١٧٧ - ١٧٩ وفيه أن السِّجلّ من إنشاء أبي منصور بِشْر بن عبيد الله بن سورين؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ١٦٨؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٥- ٦.

من التُّرْك وحَدَثٌ من المغاربة ، فتجمَّع شُيوخُ الفريقين ، واقْتَتَلوا يومين آخرهما يوم الأربعاء تاسِع شَعْبان سنة سبع وثمانين وثلاث مائة .

فلمَّا كان يومُ الخميس رَكِبَ ابنُ عَمَّار لابِسًا آلة الحَرْب وحَوْلَه المغاربة ، فاجْتَمَعَ الأتْراكُ ، واشتدَّت الحَرْبُ ، وقُتِلَ جَماعَةٌ وجُرِحَ كثيرٌ ، فعادَ إلى دارِه ، وقامَ بَرْجَوانُ بنُصْرَة الأتْراك ، فامتدَّت الأيدي إلى دار ابن عَمَّار وإسْطَبْلاتِه ودار رَشا غُلامه ، فنَهَبُوا منها ما لا يُحْصى كثرةً ٥ فصارَ إلى دارِه بمصر في ليلة الجُمُعَة لثلاثٍ بقين من شَعْبان ، واعْتَزَلَ عن الأَمْر . فكانت مُدَّةُ نَظَره أَحَدَ عشر شهرًا إلَّا خمسة أيام ، فأقامَ بدارِه في مصر سبعة وعشرين يومًا .

ثم خَرَجَ إليه الأَمْرُ بعَوْدِه إلى القاهِرَة ، فعادَ إلى قَصْره هذا ليلة الجمعة الخامِس والعشرين من رَمَضان ، فأقامَ به لا يَرْكَب ولا يَدْخُل إليه أَحَدٌ إلَّا أتْباعُه وخَدَمُه . وأُطْلِقَت له رُسُومُه وجِراياتُه التي كانت في أيام العَزيز بالله ، ومبلغها عن اللَّحْم والتَّوابِل والفَواكِه خمس مائة دينار في كلِّ ١٠ شهر ، وفي اليوم سَلَّة فاكِهَة بدينار وعشرة أرْطال شَمْع ونصف حِمْل ثَلْج . فلم يَزَلْ بدارِه إلى يوم السبت الخامِس من شَوَّال سنة تسعين وثلاث مائة ، فأَذِنَ له الحاكِمُ في الرُّكوب إلى القَصْر ، وأن ينزلَ مَوْضِعَ نُزُول النَّاس ، فواصَلَ الرُّكوب إلى يوم الاثنين رابع عشره . فحَضَرَ عَشيَّةً إلى القَصْر وجَلَسَ مع من حَضَر ، فخَرَجَ إليه الأَمْرُ بالانْصِراف ، فلمَّا انْصَرَف ابْتَدَرَه جَماعَةٌ من الأتْراك وَقَفُوا له فقَتَلُوه واحتَزُّوا رأسَه ودَفَنوه مكانَه ، وحُمِلَ الرأسُ إلى الحاكِم ، ثم نُقِلَ إلى تُرْبَتِه بالقَرافَة ١٥ فدُفِنَ فيها .

وكانت مُدَّةُ حياتِه ، بعد عَزْله إلى أن قُتِلَ ، ثلاثَ سنين وشهرًا واحدًا وثمانية وعشرين[a] يومًا[1] . وهو من جُمْلَة وُزَرَاء الدَّوْلَة المصرية . ووَلِيَ بعده بَرْجَوان ، وقد مرَّ ذكره[2] .

خُـطّ[b]

a) في اتعاظ الحنفا : ثمانية عشر . b) من آياصوفيا : وبعدها على الهامش : بياض نحو ورقة وشيء .

[1] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٣٦.
[2] فيما تقدم ٧.

ذِكرُ الدُّروب والأَزِقَّة

قد اشْتَمَلَت القاهِرَةُ وظَواهِرُها من الدُّروب والأَزِقَّة على شيءٍ كثيرٍ. والغَرَضُ ذِكْر ما يَتَيَسَّر لي من ذلك.

دَرْبُ الأَتْراك

٥ هذا الدَّرْبُ أَصْلُه من خُطِّ حارَة الدَّيْلَم، وهو من الدُّروب القَديمَة، وقد تقدَّم ذكره في الحارات [١]، ويُتَوَصَّل إليه من خُطِّ[a] الجامِع الأَزْهَر، وقد كان فيما أدركناه من أَعْمَر الأماكِن.

أَخْبَرَني خادِمُنا محمد بن [b] السُّعودي قال: كنت أَسْكُن في أعْوام بضع وستين وسبع مائة بدَرْب الأَتْراك، وكنت أُعاني صِناعَة الخِياطَة، فجاءَني في مَوْسِم عيد الفِطْر من الجِيران أَطْباقُ الكَعْك والخُشْكَنانَج [٢] - على عادَة أهل مصر في ذلك - فمَلأْتُ زيرًا كبيرًا كان عندي مِمَّا

١٠ جاءَني من الخُشْكَنانَج خاصَّةً لكثرة ما جاءَني من ذلك، إذ كان هذا الخُطّ خاصًّا بكثرة الأكابِر والأَعْيان. وقد خَرِبَ اليومُ عِدَّةُ مَواضِع منه[c].

دَرْبُ الأُسْواني

يُنْسَب إلى القاضي أبي محمد الحَسَن بن هِبَة الله الأُسْواني[d]، المعروف بابن عَتَّاب.

دَرْبُ شَمْس الدَّوْلَة

١٥ هذا الدَّرْبُ كان قَديمًا يُعْرَف بحارَة الأُمَرَاء - كما تقدَّم [٣] - فلمَّا كان مجيءُ الغُزّ[e] إلى مصر، واسْتيلاءُ صَلاح الدِّين يوسُف على مملكة مصر، سَكَنَ في هذا المكان الملكُ المُعَظَّمُ شَمْسُ الدَّوْلَة

---

a) بولاق: خطة. b) بياض مقدار كلمة في آياصوفيا. c) بولاق: منه عدة مواضع. d) آياصوفيا: الإشنائي. e) بولاق: المعز.

---

[١] فيما تقدم ٢٧.
[٢] عن الخُشْكنانج، انظر فيما تقدم ٢: ٤٠١ هـ [٢].
[٣] فيما تقدم ٤٣.

تُوران شَاه ابن أيُّوب فعُرِفَ به، وسُمِّيَ من حينئذٍ دَرْبَ شَمْس الدَّوْلَة، وبه يُعْرَف إلى اليوم [١].

تُــوران شَــاه ـ المُلَقَّب بالملك المُعَظَّم شَمْس الدَّوْلَة بن نَجْم الدِّين أيُّوب بن شاذي بن مَرْوان [٢]. قَدِمَ إلى القاهِرَة مع أَهْلِه من بِلاد الشَّام، في سنة أربعٍ وستين وخمس مائة، عندما تَقَلَّد صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب وَزارَة الخَلِيفَة العاضِد لدين الله، بعد مَوْت عمِّه أسَد الدِّين شيركوه. وكانت له أعْمَالٌ في واقِعَة السُّودان [٣] تولَّاها بنفسه، واقتحم الهَوْل، فكان أعظمَ الأسباب في نُصْرَة أخيه صَلاح الدِّين وهَزيمَة السُّودان، ثم خَرَجَ إليهم بعد انْهِزامِهم إلى الجيزَة، فأفْناهم بالسَّيْف حتى أبادَهم. وأعْطاه صَلاحُ الدين قُوص وأُسْوان وعَيْذاب، وجَعَلَها له إقْطاعًا، فكانت عِبْرَتُها في تلك السنة مائتي ألف وستة وستين ألف دينار. ثم خَرَجَ إلى غَزْو بلاد النُّوبَة في سنة ثمانٍ وستين، وفَتَحَ قَلْعَة إبْرِيم، وسَبَى وغَنِمَ، ثم عادَ بعدما أقْطَع إبْرِيم [٤] بعض أصْحابِه.

وخَرَجَ إلى بلاد اليَمَن في سنة تسعٍ وستين وكان بها عبد النَّبيّ أبو الحَسَن عليّ بن مَهْدي قد مَلَكَ زَبِيد وخَطَبَ لنفسه. وكان الفَقيهُ عُمارَة قد انْقَطَعَ إلى شَمْس الدَّوْلَة، وصارَ يصف له بلاد اليَمَن، ويُرَغِّبه في كَثْرَة أمْوالِها، ويغْريه بأَهْلِها، وقال فيه قَصيدَتَه المشهورة التي أوَّلُها:

[البسيط]

العِلْمُ مُذْ كان مُحْتاجٌ إلى القَلَمِ وشَفْرَةُ السَّيْف تَسْتَغْنى عن القَلَمِ

(a.

---

a) من على هامش أياصوفيا: بياض نحو الصفحة.

---

[١] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٥٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٥٢؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٥٥-٣٥٦.

ومايزال دَرْبُ شَمْس الدَّوْلَة يعرف إلى الآن بحارَة شَمْس الدَّوْلة ويقع بين شارعي جَوْهَر القائد (السكة الجديدة) والحَمْزاوي الصغير خلف جامع الأشرف بَرْسباي. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٥٢هـ[٢]).

[٢] راجع أخبار المُعَظَّم تُورانْشاه عند، ابن خلكان: وفيات الأعيان ١: ٣٠٥- ٣٠٦؛ ابن واصل: مفرج الكروب ١: ٢٣٧- ٢٤٣، ٢: ٩٦، ١٠٢- ١٠٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠: ٤٤١- ٤٤٣؛ المقريزي: السلوك ١: ٥٢- ٥٣، ولم يترجم له في المقفى الكبير؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٦: ٨٧؛ X *EI*[2] art. *Turânshâh*؛ وفيما يلي ٢: ٢٠٣.

[٣] انظر خبر واقعة السودان فيما تقدم ٤- ٦.

[٤] قَلْعَة إبْرِيم، مدينة مشهورة بالنُّوبَة (فيما تقدم ١: ٥١٨).

فبَعَثَه ذلك على المسير إلى بِلاد اليَمَن؛ فسارَ إليها في مستهلّ رَجَب، ودَخَل مَكَّةَ مُعْتَمِرًا، وسارَ منها فنَزَل على زَبِيد في سابع شَوَّال. وفي نَهار الاثنين ثامِن شَوَّال فَتَحَها بالسَّيْف، وقَبَضَ على عليّ بن المَهْدي وإخوته وأقاربه، واسْتَوْلَى على ما كان في خَزائِنِه من مالٍ، وتسلَّم الحُصُون التي كانت بيده [1].

٥ وفي مُسْتَهَلّ ذي القعدة تَوَجَّه قاصِدًا عَدَن، وبَذَلَ لياسِر بن بِلال في كلّ سنة ثلاثين ألف دينار، وسلَّمها إليه، فما رَغِبَ في ذلك، وكان قصدُه أن يُقيم بها نائِبًا عن المجلس/ الفَخْري، فلمَّا أَبَى ذلك نَزَلَ عليها في يوم الجُمُعَة تاسع عشرين ذي القِعْدَة، ومَلَكَها في ساعَةٍ بالسَّيْف، وقَبَضَ على ياسِر وإخوتِه ووَلَدَيِ الدَّاعي، فاحْتَوَى على ما فيها، وقَبَضَ على عبد النَّبِيّ. واستولى أيضًا على تَعِز وتَعْكُر [a] وصَنْعاء وظَفَار وغيرها من مُدُن اليَمَن وحُصُونها، وتلقَّب

١٠ بـ«المَلِك المُعَظَّم»، وخَطَبَ لنفسه بعد الخَلِيفَة العَبَّاسي.

وما زالَ بها إلى سنة إحدى وسبعين، فسَارَ منها إلى لِقاء أخيه صَلاح الدِّين ووَصَلَ إليه، ومَلَّكَه دِمَشْق في شهر رَبيعٍ الأوَّل سنة اثنتين وسبعين، فأقامَ بها إلى أن خَرَجَ السُّلْطانُ صلاحُ الدِّين مَرَّةً من القاهِرَة إلى بلاد الشَّام، فجهَّزَه في ذي القِعْدَة سنة أربعٍ وسبعين إلى مصر، وكان قد عَمِلَه نائِبًا بِبَعْلَبَك، فاسْتَنابَ عنه فيها، ودَخَلَ إلى القاهِرَة، وأنْعَمَ عليه صَلاحُ الدِّين

١٥ بالإسْكَنْدَرية، فسارَ إليها وأقامَ بها إلى أن توفّيَ في مستهلّ صَفَرَ سنة ستٍّ وسبعين وخمس مائة بالإسْكَنْدَرية فدُفِنَ بها.

وكان كَرِيمًا واسِعَ العَطاء، كثير الإنْفَاق. ماتَ وعليه مائتا ألف دينار مصرية دَيْنًا، فقَضَاها عنه أخُوه صَلاحُ الدِّين.

وكان سَبَبُ خُروجِه من اليَمَن أنَّه الْتاثَ بَدَنُه بزَبيد، فارْتَجَلَ له سَيْفُ الدَّوْلَة مُبارَك بن مُنْقِذ [2]:

---

a) بولاق: تفكر.

---

[1] عن فَتْح الأيُّوبيين لليمن بقيادة تُورانشاه راجع، ابن حاتم اليامي: السِّمْط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغُزّ باليمن، تحقيق ركس سميث GMS ١٩٧٤؛ محمد عبد العال أحمد: «الفتح الأيُّوبي لليمن»، مجلة معهد المخطوطات العربية ١٠ (١٩٦٤)، ١٣٧- ١٦٦، «دراسة حول أقوال المؤرخين عن أسباب الفتح الأيُّوبي لليمن»، مجلة معهد المخطوطات ١٣ (١٩٦٧)، ٣١٩- ٣٣٨، الأيُّوبيون في اليمن، الإسكندرية ١٩٨٠.

[2] سيف الدَّوْلَة مجد الدِّين أبو الميمون المبارك بن كامل ابن عليّ بن مُقلَّد بن نصر بن مُنْقِذ الكناني الشَّيْزَري ولد=

[الكامل]

وإذا أرادَ اللهُ سُوءًا بامْرِئٍ وأرادَ أن يُخْيِيه غَيْرَ سَعِيدِ
أغْراهُ بالتَّرْحال من مِصْرَ بلا سَبَبٍ وأسْكَنَه بصَقْع زَبِيدِ

فخَرَجَ من اليَمَن كما تقدَّم .

وحَكَى الأديبُ الفاضِلُ مُهَذَّبُ الدِّين أبو طالب محمد بن عليّ الحِلِّي ، المعروف بابن الخَيَمي [1] ، قال : رأيتُ في النَّوْم المُعَظَّم شَمْس الدولة وقد مَدَحْته وهو في القَبْر مَيِّتٌ ، فلَفَّ كَفَنَه ورَمَاه إليَّ وأنشدني :

[البسيط]

لا تستقلَّنَّ مَعْروفًا سَمَحتُ به مَيتًا ، وأمسيتُ عنه عارِيًا بدَني
ولا تَظُنَّنَّ جُودي شابَه بَخَلٌ من بعدِ بَذْلي مُلْك الشَّام واليَمَنِ
إنِّي خَرَجْتُ عن الدُّنْيا ولَيْسَ معي من كُلِّ ما مَلَكَت كَفِّي سِوَى كَفَني [2]

وهذا الدَّرْبُ من أَعْمَرِ أخْطاط القاهِرَة ، به دَارُ عَبَّاس الوَزِير وجَماعَة ، كما تَراه إن شاءَ الله .

دَرْبُ مُلُوخْيَا [3]

هذا الدَّرْبُ كان يُعْرَف بحارَة قائِد القُوَّاد كما تقدَّم [4] ، وعُرِفَ الآن بدَرْب مُلُوخْيَا ـ ومُلُوخِيَا كان صاحِبَ رِكاب الخَليفَة الحاكِم بأمْر الله ، ويُعْرَف بمُلُوخْيَا الفَرَّاش ، وقَتَلَه الحاكِمُ وباشَرَ قَتْله ـ وفي هذا الدَّرْب مَدْرَسَةُ القاضي الفاضِل [5] ، وقد اتَّصل به الآن الخَراب .

= بقلعة شَيْزَر سنة ٥٢٦هـ ، رَتَّبَه صَلاحُ الدِّين نائِب توران شاه لما توجَّه إلى اليمن في زَبِيد ، وولي بمصر أمْر الدَّواوين مُدَّةً ، وتوفي بالقاهرة سنة ٥٨٩هـ . (ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤ : ١٤٤؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٥:٨٨-٩١؛ المقريزي : السلوك ١: ١٠٥؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٦:٧٩) .

[1] توفي سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م . (انظر الصفدي : الوافي بالوفيات ٤:١٨١-١٨٣؛ المقريزي : المقفى الكبير ٦:٣٢٢-٣٢٤) .

[2] المقريزي : مسودة المواعظ ٣٥٦؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١: ٣٠٩.

[3] درب ملوخْيا (ملوخِيَّة) يدلُّ على مكانه الحارة المعروفة بحارة قصر الشوق أحد فروع شارع قصر الشوق في مواجهة مصلحة تمغ المصوغات .

[4] فيما تقدم ٣٩؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٣٣٢.

[5] فيما يلي ٢: ٣٦٦.

دَرْبُ السِّلْسِلَة

هذا الدَّرْبُ تِجاه باب الزُّهُومَة ، يُعرف بالسِّلْسِلَة التي كانت تُمَدُّ كلّ ليلة بعد العشاء الآخِرَة كما تقدَّم ، وكان يُعرف بدَرْبِ افْتِخار الدَّوْلَةِ الأَسْعَد ، وعُرِفَ ببستان الدَّوْلة بن الكَوْكَنْدي ، وهو الآن دَرْبٌ عامِر[1].

دَرْبُ الشَّمْسِي

هذا الدَّرْبُ بسُوق المَهامِزِيين تِجاه قَيْسارية العُصْفُر ، عُرِفَ بالأمير عَلاء الدِّين كَشْتَغْدى[a] الشَّمْسي ، أَحَدُ الأُمَرَاء في أيام الملك الظَّاهِر رُكْن الدين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري ، وقُتِلَ على عَكَّا في سنة تسعين وستّ مائة بيد الفِرِنْج شَهيدًا[2].

وكان هذا الدَّرْبُ في القَديم موضعَه دارُ الضَّرْب ، ثم صارَ من حُقُوق دَرْب ابن طَلائع بسُوق الفَرَّائين . وقد هَدَمَ بعض هذا الدَّرْب الأميرُ جَمالُ الدِّين يُوسُف الأُسْتادَّار لَمَّا اغْتَصَبَ الحَوانيت التي كانت على يَمْنَة السَّالِك من الخَرَّاطين إلى سُوق الخِيمِيِّين ، وكانت في وَقْف المُعَظَّم خَمُرْتاش[b] الحافِظي ، كما سيأتي ذِكْرُه عند ذِكْر مَدْرَسَتِه[3].

دَرْبُ ابن طَلائع

هذا الدَّرْبُ على يَسْرَة من سَلَكَ من سُوق الفَرَّائين الآن ، الذي كان يُعْرَف قَديمًا بالخِروقيِّين[c]، طالِبًا إلى الجامِع الأَزْهَر . ويُسْلَكُ في هذا الدَّرْب إلى قَيْسارِيَّة الشُّروج وباب سِرِّ حَمَّام الخَرَّاطين ودار الأمير أَلْدَمُر . وعُرِفَ هذا الدَّرْبُ أَوَّلًا بالأمير نُور الدَّوْلَة أبي الحَسَن عليِّ بنِ نَجا بن راجِح بن طَلائع – [d]وفي بعض الكُتُب ابن بنت طَلائع[d]، ثم عُرِفَ بدَرْب الجَاوْلي الكبير – وهو الأميرُ عِزّ

---

a) بولاق : كشتغدي . b) بولاق : تمرتاش . c) بولاق : بالخرقيين . d-d) إضافة من مسودة الخطط .

---

[1] المقريزي : مسودة الخطط حيث تبدأ مسودة الخطط من أثناء الحديث على دَرْب السِّلْسِلَة ؛ وفيما تقدم ٢: ٥١١–٥١٢.

[2] نفسه ١و .

[3] فيما يلي ٢: ٤٠١– ٤٠٢.

الدّين جاوَلي الأَسَدي مملوك أَسَد الدِّين شِيرْكوه بن شاذِي - ثم عُرِفَ بدَرْب العِماد سُنَيْنات ، ثم عُرِفَ بدَرْب أَلْدَمُر ، وبه يُعْرَف إلى الآن[١].

أَلْدَمُر أمير جـاندار سَيْف الدِّين[٢] ـ أَحَدُ أُمَراء الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون ، خَرَجَ إلى الحَجّ في سنة ثلاثين وسبع مائة . وكان أميرَ حاج الرَّكْب العراقي تلك السنة يُقالُ له محمد الحُوَيْج من أَهْل تَوْريز ، بَعَثَه أبو سَعيد مَلك العِراق إلى مصر ، وخَفَّ على قَلْب الملك النَّاصِر ، ثم بَلَغَه عنه ما يَكْرَهَه فأَخْرَجَه من مصر .

ولمَّا بَلَغَه أنَّه خَرَجَ[a] في هذه السَّنَة أمير الرَّكْبِ العراقي ، كَتَبَ إلى الشَّريف عُطَيْفَة أَمير مَكَّة[٣] أن يعمل الحيلَة في قتله بكلِّ ما يمكن ، فَأَطْلع على ذلك ابنه مُبارَكًا وخَواصّ قُوَّاده ، فاستعدُّوا لذلك . فلمَّا وَقَفَ النَّاسُ بعَرَفَة ، وعادوا يوم النَّحْر إلى مَكَّة ، قَصَدَ العَبيدُ إثارةَ فِتْنَة ، وشَرَعُوا في النَّهْب لينالوا غَرَضَهم من قَتْل أمير الرَّكْب العِراقي ، فوَقَع الصَّارِخُ - وليس عند المصريين خَبَرٌ ممَّا كَتَبَ به[b] السُّلْطان - فنَهَضَ أميرُ الرَّكْب الأميرُ سَيْفُ الدِّين خاصّ تُرْك ، والأميرُ أحمد قَريب السُّلْطان ، والأميرُ أَلْدَمُر أمير جانْدَار في مماليكهم .

وأَخَذَ أَلْدَمُر يسبّ الشَّريف رُمَيْثَة[٤] ، وأَمْسَكَ بعض قُوَّاده وأَحْرَقَ[c] به . فقامَ إليه الشَّريفُ

____

a) بولاق : أن حويج . b) بولاق : كتبه . c) بولاق : وأحدق .

____

[١] المقريزي : مسودة الخطط ٢ظ-٣و .

[٢] الأمير سَيْفُ الدِّين أَلْدَمُر بن عبد الله النَّاصِري الجانْدار (وفي بعض المصادر الخازندار) ، المتوفى سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م ، أحد أُمَراء الألوف بالدِّيار المصرية . (الصفدي : أعيان العصر ١: ٥٩٣-٥٩٤ (وفيه أَلْدَمِر بالهمزة واللام الساكنة والدال المهملة المفتوحة والميم المكسورة وبعدها راء ، وهو ضَبْطٌ شاذ خاصَّةً وأنَّ أبا المحاسن ذكر اسمه أَيْدَمُر بدلًا من أَلْدَمُر) ؛ القاسي : العقد الثمين ٣: ٣٢٧- ٣٢٩ ؛ المقريزي : المقفى الكبير ٢: ٢٨٠- ٢٨٢ ، السلوك ٢: ٣٢٣- ٣٢٦ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ١: ٤٣٤- ٤٣٥ ؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٣: ١٨٤- ١٨٦ ، النجوم الزاهرة ٩: ٢٨٢ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ٣: ١٨٩- ١٩٢ ؛ الجزيري : درر الفوائد المنظمة ١: ٦٣١-٦٣٤ (وهو ينقل عن الخطط) .

[٣] الشريف سَيْف الدِّين عُطَيْفَة بن أبي نُمَيّ بن أبي سَعْد حسن بن عليّ بن قَتادَة الحسني المكي ، أمير مكة ولي إمْرَتها نحو خمس عشرة سنة مستقلًا في بعضها وشريكًا لأخيه رُمَيْثَة في بعضها . (الفاسي : العقد الثمين ٦: ٩٥- ١٠٥ ؛ ابن فهد : غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ٢: ١١٣- ١٢٩) .

[٤] الشَّريف رُمَيْثَة بن نُمَي محمد بن أبي سَعْد حسن بن عليّ بن قَتادَة بن إدريس بن مُطاعِن الحسني ، ولي إمْرَة مكة ثلاثين سنة أو أزْيَد مستقلًّا بذلك أربع عشرة سنة ونصفًا ، وشريكًا لأخيه حُمَيْضَة في مرتين مجموعهما نحو عشر سنين وشريكًا لأخيه عُطَيْفَة خمس سنين . (الفاسي : العقد =

عُطَيفَة ولاطَفَه، فلم يرجع. وكان حَديدَ النَّفْس شُجاعًا/، فأُقدِم إليهم – وقد اجتمع قُوَّادُ مَكَّة وأشْرافُها وهم مُلَبَّسون يُريدون الرَّكْب العِراقي – وضَرَبَ مُبارك بن عُطَيْفَة بِدَبُّوس فأخطأه، وضَرَبه مُبارَك بحَرْبَة نفذَت من صَدْره، فسَقَط عن فَرَسِه إلى الأرْض. فأُرْتِجَ النَّاسُ ووَقَعَ القِتالُ، فخَرَجَ أميرُ الرَّكْب العراقي واحْتَرَسَ على نفسه فسَلم[1]. وسَقَطَ في يد أمير مَكَّة إذا فات مَقْصودُه، وحَصَلَ ما لم يكن بإرادته. ثم سَكَنتِ الفِتْنَةُ، ودُفِنَ أَلْدَمُر.

وكان قَتْلُه يوم الجُمُعَة رابع عشر ذي الحجَّة، فكأنَّما نادَى مُنادٍ في القاهِرَة والقَلْعَة، والنَّاسُ في صَلاة العيد، بقَتْلِ أَلْدَمُر ووُقُوعِ الفِتْنَة بمكة، ولم يَبْقَ أحدٌ حتى تَحَدَّث بذلك، وبَلَغَ السُّلْطانُ فلم يَكْتَرِث بالخَبَر، وقال: أين مَكَّة من مصر، ومَنْ أتى بهذا الخَبَر؟

واسْتُفيض هذا الخَبَر بقَتْل أَلْدَمُر حتَّى انتشر في إقليم مصر كلِّه، فما هو إلَّا أن حَضَرَ مُبَشِّر الحاج في يوم الثلاثاء ثاني المحرَّم سنة إحدى وثلاثين وسبع مائة، فأُخْبروا بالخَبَر مثل ما أُشيع. فكان هذا من أَغْرَب ما سُمِعَ به.

ولمَّا بَلَغَ السُّلْطانَ خَبَرُ قَتْل أَلْدَمُر، غَضِبَ غَضَبًا شَديدًا، وصارَ يقوم ويقعد، وبأطل السِّماط. وأَمَرَ فجُرِّد من العَسْكَر ألف فارس، كلٌّ منهم بخَوْذَة وجَوْشَن ومائة فَرْدَة نُشَّاب وفأس برأسين أحدهما للقَطْع والآخر للهَدْم، ومع كلٍّ منهم جَمَلان وفَرَسان وهَجين. ورُسِمَ لأمير هذا العَسْكَر أنَّه إذا وَصَلَ إلى يَنْبُع وعَدَّاه، لا يَرْفَع رأسَه إلى السَّماء بل يَنْظُر إلى الأرض، ويَقْتُل كلَّ من يَلْقاه من العُرْبان، إلَّا من عَلِمَ أنَّه أميرُ عَرَبَ فإنَّه يُقَيِّده ويَسْحَبه معه. وجَرَّدَ من دِمَشْق ستّ مائة فارِس على هذا الحُكْم.

وطُلِبَ الأمير أَيْتَمُش أمير هذا الجَيْش ومن معه من الأُمَراء والمقدَّمين، وقال له بدار العَدْل يوم الخِدْمَة: وإذا وَصَلْت إلى مَكَّة لا تَدَع أحَدًا من الأَشْراف ولا من القُوَّاد ولا من عَبيدهم يسكن مَكَّة، ونادِ فيها: مَنْ أقام بمَكَّة حَلَّ دَمُه، ولا تَدَع شيئًا من النَّخْل حتى تحرقه جَميعه، ولا تترك بالحِجاز دِمْنَه عامِرَة، وخَرِّب المساكِنَ كلَّها، وأَقِم في مَكَّة بمن معك حتى أَبْعَث إليك بعَسْكَرٍ ثانٍ.

= الثمين ٤٠٣:٤–٤٢٤؛ ابن فهد: غاية المرام ٧٨:٢–١١١).

[2] من هنا وحتى رقم ١ في صفحة ١١٦ نقله الجَزيري في «الدُّرر الفرائِد المُنَظَّمَة» ٦٣٦:١–٦٣٨.

[1] قارن مع المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٢٨١.

وكان القُضَاةُ حاضِرين، فقال قاضِي القُضَاة جَلالُ الدِّين القَزْويني : يا مَوْلانا السُّلْطان هذا حَرَمٌ قد أخبر الله عنه أنَّ من دَخَلَه كان آمِنًا وشَرَّفَه، فرَدَّ عليه جَوابًا في غَضَب؛ فقال الأمير أَيْتَمُش : يا خَوَنْد، فإن حَضَرَ رُمَيْثَةُ للطَّاعَة وسأَلَ الأمان؟ فقال : أَمِّنه .

ثم لمَّا سَكَنَ عنه الغَضَب، كَتَبَ باسْتِقْرارِ أَهْلِ مَكَّة وتأمينهم، وكَتَبَ أمانًا نُسْخَتُه : ٥

«هذا أمانُ الله سُبْحانه وتعالى، وأمان رَسُولِه ﷺ وأمانُنا للمَجْلِس العالي الأسَديّ رُمَيْثَة بن الشَّريف نَجْم الدِّين محمّد بن أبي نُمَيّ[a]، بأن يَحْضُر إلى خِدْمَة الصُّنْجَق الشَّريف، صُحْبة الجَناب العالي السَّيْفي أَيْتَمُش النَّاصري، آمِنًا على نفسه وأهلِه ومالِه ووَلَدِه وما يتعلَّق به، ولا يخشى حُلولَ سَطْوَة قاصِمَة، ولا يَخافُ مُؤاخَذَةً حاسِمَة، ولا يتوقَّع خَديعةً ولا مَكْرًا، ولا يَحْذر سُوءًا ولا ضَررًا، ولا يستشعر مَخافَة ولا ضِرارًا، ولا يتوقَّع وَجَلًا، ولا يَرْهب بأسًا . وكيف يَرْهَب مَنْ أحسن عَمَلًا؟ ١٠

بل يحضر إلى خِدْمَة الصُّنْجَق آمِنًا على نفسه ومالِه وآلِه، مطمئنًّا واثِقًا بالله ورَسُولِه، وبهذا الأمانِ الشَّريف المؤكَّد الأسباب، المُبَيِّض الوَجْه، الكريم الأحْساب . وكلَّما يخطِر ببالِه أنَّا نُؤاخِذ به فهو مَغْفُور، ولله عاقِبَةُ الأمور . وله مِنَّا الإقْبالُ والتَّقْديم، وقد صَفَحْنا الصَّفْحَ الجَميل، وإن رَبَّك هو الخَلَّاق العَليم . ١٥

فليَثِقْ بهذا الأمان الشَّريفُ، ولا يُسيء به الظُّنون، ولا يُصْغى إلى قَوْل الذين لا يَعْلَمون، ولا يَسْتَشير في هذا الأَمْر إلَّا نفسه . فيَوْمُه عندنا ناسِخٌ لأمْسِه، وقد قال ﷺ : يَقُولُ الله تعالى : «أنا عند ظَنِّ عَبْدي بي، فَليظنّ بي خَيْرًا» . ٢٠

فتَمَسَّك بعُرْوَة هذا الأمان فإنَّها وُثْقَى، واعْمَل عَمَلَ من لا يَضِلُّ ولا يَشْقَى . ونحن قد أمَّناك فلا تَخَفْ، ورَعَيْنا لك الطَّاعَة والشَّرَف، وعَفَا الله

---

a) بولاق : نمر .

عما سَلَف ، ومن أمَّنَّاه فقد فازَ ، فطِبْ نَفْسًا وَقَرّ عَيْنًا فأنت أمير الحِجَاز .

والحَمْد لله وَحْدَه».[١]

وكان أَلْدَمُر فيه شَهامَة وشَجَاعَة ، وله سَعَادَة طائِلَة ضَخْمَة ، ومَتاجِر وزِراعات اقْتَنَى بها أمْوالًا جَزيلَةً ، وزَوَّجَ ابنه بابنة قاضي القُضَاة جَلال الدِّين القَزْويني .

٥

دَرْبُ قَيْطُون

هذا الدَّرْبُ بين قَيْسارِيَّة جَهارْكَس وقَيْسارية أمير علي ، وهو نافِذٌ إلى خَلْف مُسْتَوْقَد حَمَّام القاضي ، وكان من حُقُوق دَرْب الأُسْواني [a]أو من حُقُوق خُطّ الخُرُوقِيين المعروف الآن بالأكفانيين [a][٢].

دَرْبُ السَّرَّاج

١٠ هذا الدَّرْبُ على يَسْرَة من سَلَكَ من الجامِع الأَزْهَر طالِبًا دَرْب الأُسْواني وخُطّ الأَكْفانيين . وكان من جملة خُطّ دَرْب الأُسْواني ، ثم أُفْرِدَ فصارَ من خُطّ الجَامِع الأَزْهَر[٣]. وكان يُعْرَف أوَّلًا بدَرْب ابن[b] السَّرَّاج ، ثم عُرِفَ بدَرْب الشَّامي ، وهو الآن يُعْرف بدَرْب ابن الصَّدْر عُمَر [c][٤].

دَرْبُ القَاضِي

هذا الدَّرْبُ مُقابِلَ[d] مُسْتَوْقَد حَمَّام القاضي ، على يَمْنَة من سَلَكَ من دَرْب الأُسْواني إلى ١٥ الجامِع الأَزْهَر ، وهو من حُقُوق دَرْب الأُسْواني [a]ومن خُطّه[a]. كان يُعْرف أوَّلًا بزُقاق عَزَّاز غُلام أمير الجُيُوش شاوَر السَّعْدي وَزير العاضِد[٥]، ثم عُرِفَ بالقاضي السَّعيد أبي المعالي هِبَة الله بن

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط . b) ساقطة من بولاق . c) في هامش آياصوفيا : بياض قدر خمسة أسطر . d) بولاق : يقابل .

---

[١] الجزيري : الدرر الفرائد المنظمة ١: ٦٣٦– ٦٣٨.

[٢] المقريزي : مسودة الخطط ١و.

[٣] النص في مسودة الخطط : «ورأيت في بعض الكتب القديمة أنَّه من خُطّ دَرْب الأُسْواني ، وفي أكثرها أنَّه من خُطّ الجامع الأزْهَر وهو عندي أظْهَر» .

[٤] المقريزي : مسودة الخطط ٢و–٢ظ .

[٥] انظر عن عَزّاز غلام شاور السعدي أيضًا فيما يلي ٣٨١.

فارِس، ثم عُرِفَ بزُقاق ابن الإمام، وعُرِفَ أخيرًا بدَرْب ابن لُؤْلُؤ، وهو شَمْسُ الدِّين محمد بن لُؤْلُؤ التاجِر بقَيْسارِيَّة جِهارْكَس[١].

دَرْبُ البَيْضَاء

هو من جملة خُطِّ الأَكْفانيين الآن، المسلوك[a] إليه من الجامع الأَزْهَر وسُوق القَرَّائين؛ وعُرِفَ بذلك لأنَّه كان به دارٌ تُعْرَف/ بالدَّار البَيْضاء[٢]. ٥

دَرْبُ المُنْقِذي

هذا الدَّرْب بين سُوق الخِيَمِيين وسُوق [b]القَشَّاشين المعروف الآن بسُكْنَى[b] الخَرَّاطين، على يُمْنَة من سَلَكَ من الخَرَّاطين إلى الجامِع الأَزْهَر. كان يُعْرَفِ قَديمًا بزُقاق غَزال - وهو صَنيعَةُ الدَّوْلة أبو الطاهِر إسماعيل بن مُفَضَّل بن غَزال - ثم عُرِفَ بدَرْب المُنْقِذي، وهو الآن يُعْرَف بدَرْب الأمير بَكْتَمُر أُسْتادَّار العَلائي[٣]. ١٠

دَرْبُ خَرِبَة[c] صَالِح

هذا الدَّرْبُ على يَسْرة من سَلَكَ من أوَّل الخَرَّاطين إلى الجامِع الأَزْهَر. كان موضعُه في القَديم مارِسْتانًا، ثم صارَ مَساكِن وعُرِف بخَرِبَة[c] صَالِح. وفيه الآن دارُ الأمير طَيْنال التي صارَت بيد ناصِر الدِّين محمد بن[d] البارِزي كاتِب السِّرّ، وفيه أيضًا بابُ سُوق الصَّنادِقيين[٤]. [e]يُعْرَف قديمًا بدَرْب الحَجَّارِين[e]. ١٥

---

a) ص: إلّا أن السلوك. b-b) إضافة من مسودة الخطط. c) بولاق: خرابة. d) ساقطة من بولاق. e-e) إضافة من مسودة الخطط.

---

[١] المقريزي: مسودة الخطط ٢ظ.
[٢] نفسه ٣و.
[٣] المقريزي: مسودة الخطط ٣و.
[٤] نفسه ٢و.

دَرْبُ الحُسَام

هذا الدَّرْبُ على يَمْنَة من سَلَكَ من آخِر سُوَيْقة الباطليَّة إلى الأَزْهَر، عُرِفَ بحُسَام الدِّين لاجين الصَّقْري[a] أُسْتادَار الأمير مَنْجَك[١].

دَرْبُ المَنْصوري

٥ هذا الدَّرْبُ بأوَّل الحارَة الصَّالِحِيَّة تجاه دَرْب أمير حُسَيْن، عُرِفَ أوَّلًا بدَرْب الجَوْهَري – وهو شِهابُ الدِّين أحمد بن مَنْصور الجَوْهَري، كان حَيًّا في سنة ثمانين وستّ مائة – وعُرِفَ أخيرًا بدَرْب المَنْصوري. وهو الأمير قُطْلُوبُغا المَنْصوري حاجِب الحُجَّاب في أيَّام الملك الأَشْرَف شَعْبان ابن حُسَيْن[٢].

دَرْبُ أمير حُسَيْن

١٠ هذا الدَّرْبُ في طَريق من سَلَكَ من خُطّ خان الدِّميري طالِبًا إلى حارَة الصَّالِحِيَّة وحارَة البُرْقِيَّة؛ استجدَّه الأميرُ حُسَيْنُ بن الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون، وماتَ في ليلة السبت رابع شهر ربيع الآخر سَنة أربعٍ وستين وسبع مائة، وكان آخرِ من بقي من أوْلاد الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون. وهو والِدُ الملك الأَشْرَف شَعْبان بن حُسَيْن[٣].

---

a) بولاق: الصفدي.

---

[١] المقريزي: مسودة الخطط ٢و. وورد هنا على هامش نسخة ص: «دَرْبُ الحُسَام هذا أخذه جميعه بما فيه من الدُّور والمساكن الملك الأشرف قايتباي وجَعَلَ مكانَه الصِّهْريج وحَوْض سبيل الدَّواب، وكذلك ما يقابل ذلك من الدُّور والقاعات والحوانيت إلى دَرْب الأتراك، وأنشأ ذلك حوانيت ووَكالَة يعلوها رَبْعٌ جليلٌ تجاه بابي الجامع الأزهر الغربية».

[٢] نفسه ٣ظ؛ والأمير قُطْلوبُغا (قُطْلوبك) المنصوري حاجِب الحُجَّاب المعروف بالكبير، توفي بسجن الكَرَك سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م. (ابن حجر: الدرر الكامنة ٣: ٣٣٧-٣٣٨؛ أبو المحاسن: الدليل الشافي ٢: ٥٤٧).

[٣] ورد هنا على هامش نسخة ص: «عُمِلَ الآن خُوخَة ثم أُعيد دَرْبًا على ما كان عليه مع ما اسْتُجِدَّ بقُرْبه من ثلاثة دُروب في الأيَّام النَّاصِرِيَّة محمد أبو السَّعادات نَجْل السُّلْطان الملك الأشْرَف قايتباي».

دَرْبُ القَمّاحين

هذا الدَّرْبُ بخُطِّ قَصْر ابن عَمّار من جملة حارَة كُتامَة قَريبًا من الحارَة الصَّالِحيّة [a]بالقُرْب من الحَمّام المعروفة الآن بحَمّام كراي، قريبًا من مَدْرَسَة الصَّاحِب كريم الدِّين بن الغَنّام[a] . وفيه اليوم دار خَوَنْد شُقْرا، وحَمّام كراي وَرَاء مَدْرَسَة ابن الغَنّام[١].

دَرْبُ العَسَل

٥

هذا الدَّرْبُ على يَمْنَة من سَلَكَ[b] من خُطِّ السَّبْع خُوَخ يُريد المَشْهَد الحُسَيْني[١]. كان يُعْرَف أوَّلًا بخُوخَة الشَّريف الأمير عَقيل ابن الخَليفَة المُعِزّ لدين الله أبي تَميم مَعَدّ أوَّل خَلائف[c] الفاطِميين بالقاهِرَة، وماتَ في سنة أربعٍ وسبعين وثلاث مائة هو وأخوه الأمير تَميم بن المُعِزّ بالقاهرة، ودُفِنَا بتُرْبَة القَصْر[٢].

دَرْبُ الجَبّاسَة

١٠

هذا الدَّرْبُ تِجاه من يخرج من سُوق الأبّارين إلى المَشْهَد الحُسَيْني . وهو من جُمْلة القَصْر الكَبير، وبه دار جُرْجي[d] التي تُعْرَف اليوم بدار بَهادُر[٣] .

دَرْبُ ابن عبد الظَّاهِر

هذا الدَّرْبُ بجوار فُنْدق الذَّهَب بخُط الزَّراكِشَة العَتيق وفي صَفِّه، وهو من حُقُوق دار العِلْم التي استجدَّت في خِلافَة الآمِر ووَزارة المأمُون البَطائحي . فلمَّا زالَت الدَّوْلَةُ اخْتُطَّ مساكِنَ، وسَكَنَ هناك القاضي مُحْيي الدِّين بن عبد الظَّاهِر [a]بن نَشْوان السَّعْدي الكاتب المُنْشئ الإمام العَلّامة صاحِب كتاب «الرَّوْضَة البَهيَّة الزّاهِرَة في خِطَط المُعِزِّيَّة القاهِرَة»، وهو الكِتابُ المنقول[a]

١٥

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط . b) بولاق : خرج والمسودة : ابتدأ الخروج . c) بولاق : خلفاء . d) بولاق : خوخي .

---

[١] فيما تقدم ٢٨، وفيما يلي ٢٤٥.

[٢] المقريزي : مسودة الخطط ٢و.

[٣] نفسه ٢و.

[a]عنه في هذا الكتاب، وتوفّي في سنة إحدى وتسعين وستّ مائة[a]، فعُرِفَ به[1].

عَبْـد الله [b].

دَرْبُ الخَازِن

هذا الدَّرْبُ مُلاصِق لسُور المَدْرَسَة الصَّالحِيَّة التي للحَنابِلَة، ومُجاور لباب سِرّ قاعَة مَدْرَسَة الحَنابِلَة والسَّبيل الذي على باب فُنْدُق مَسْرور الصَّغير. استجدَّه الأميرُ عَلَمُ الدِّين سِنْجِر الخازِن الأَشْرفي والي القاهِرَة، المنسوب إليه حِكْر الخازِن بخُطّ الصَّلِيبَة.

وسِـــنْجِر[2] هذا كانت فيه حِشْمَةٌ، وله ثَرْوَةٌ زائِدة، ويُحبُّ أهْل العِلْم. تَنَقَّل في المُباشرات إلى أن صارَ والي القاهِرَة، فاشتهر بدِقَّة الفَهْم وصِدْق الحَدْس الذي لا يكادُ يُخْطِئ، مع عَقْلٍ وسياسة وإحسانٍ إلى النَّاس، وعُزِلَ بالأمير قَدادار[c]، وماتَ عن تسعين سنة في ثامن جُمادَى الأولى سنة خمسٍ وثلاثين وسبع مائة.

دَرْبُ الحُبَيْشي

هذا الدَّرْبُ على يَمْنَة من سَلَكَ من خُطِّ الزَّراكِشَة العَتيق طالِبًا سُوق الأبّارين، وهو بجوار دار خَواجا المجاورة لخان مَنْجَك. أصْلُه من جملة القَصْر النَّافِعِي، وكان يُعْرَف بخُطِّ القَصْر النَّافِعي، ثم عُرِفَ بخُطِّ سُوق الوَرَّاقين، وهو الآن يُعْرَف بدَرْب الحُبَيْشي، وهو الأمير سَيْفُ الدِّين بَلَبان الحُبَيْشي، أحَد الأُمَراء الظَّاهِرية بَيْبَرس[3].

دَرْبُ نَقُولا [d] الصَّفَّار بحارَة الرُّوم

كان يُعْرَف بدَرْب الرُّومي الجَزَّار[4].

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط. b) إضافة من المسودة وبعدها بياض. c) بولاق: قديدار. d) بولاق: بقولا.

---

[1] المقريزي: مسودة الخطط ٢و؛ وعن القاضي محيي الدِّين أبي الفَضْل عبد الله بن عبد الظَّاهِر المصري، المتوفى سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٣م، لا كما ذكر المقريزي هنا، ومُؤَلِّف كتاب «الرَّوْضَة البَهِيَّة الزَّاهِرَة»، انظر مقدمة المجلد الثاني ٤٠*-٤٢*.

[2] عن الأمير عَلَم الدِّين سِنْجِر الأشرفي الخازن المتوفى سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٥م. (انظر فيما يلي ٤٤٩).

[3] المقريزي: مسودة الخطط ١ظ-٢و.

[4] نفسه ٣ظ.

دَرْبُ دَغْمُش

هذا الدَّرْبُ يُنْفِذ إلى الخُوخَة التي تُخْرج قُبالَة حَمّام الفاضِل المَرْسُوم لدُخول النِّساء . كان يُعْرف قَديمًا بدَرْب دَغْمُش – ويُقالُ طَغْمُش – ثم عُرِفَ بدَرْب كوز الزِّير – ويُقالُ كُوز الزيت – ويُعْرَف بدَرْب القُضَاة بني عُثْمان[a] من حُقوق حارَة الرُّوم[1].

دَرْبُ أرِقْطاي

هذا الدَّرْبُ بحارَة الرُّوم ، [b]ويُنْفِذ إلى الخُوخَة التي يُخْرَج منها إلى قُبالَة خُوخَة أيْدَغْمُش[b]، كان يُعْرَف بدَرْب الشَّمّاع ، ثم عُرِفَ بدَرْب شَمْخ - وهو تاجُ العَرب شَمْخ الحَلَبي - ثم عُرِفَ بدَرْب المُعَظَّم ؛ وهو الأمير عِزّ المُلْك المُعَظَّم ابن قَوَام الدَّوْلَة جَبْر - بجيم وباء مُوحَّدة - ثم عُرِفَ بدَرْب أرْسَل ، وهو الأمير عِزّ الدِّين أرْسل بن قَرا رَسْلان الكامِلي والدِ الأمير جَاوْلي المُعَظَّمي المعروف بجاوْلي الصغير ، ثم عُرِفَ بدَرْب الباشْقَردي[c]، وهو الأمير عَلَم الدِّين سِنْجِر الباشْقَرْدي[c] أحَد أكابر المماليك البَحْرية الصَّالِحِيَّة النَّجْمية ، ووليَ نِيابَة حَلَب[2].

ثم عُرِفَ الآن بدَرْب أرِقْطاي - والعامَّة تقول رِقْطاي بغير همزٍ - وهو أرِقْطاي الأمير سَيْف الدِّين الحاج أرِقْطاي ، أحَدُ مَماليك الملك الأشْرَف خَليل بن قَلاوون ، وصارَ إلى أخيه الملك النَّاصِر محمد فجَعَلَه جَمَدارًا[3].

---

a) بولاق : غثم . b-b) إضافة من مسودة الخطط . c) بولاق : الباسعردي .

---

[1] المقريزي : مسودة الخطط ٣ظ-٤و .

[2] نفسه ٤و ، ذكره تحت : دَرْب الشماع .

وعن الأمير عَلم الدِّين سِنْجِر الباشْقَرْدي الصَّالحي ، المتوفي سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م ، راجع الصفدي : الوافي بالوفيات ١٥ : ٤٧٣؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٨ : ٥٨؛ العيني : عقد الجمان ٢ : ٣٦٨؛ أبا المحاسن : المنهل الصافي ٦ : ٧٣- ٧٤.

[3] الأمير سَيْف الدِّين أرِقْطاي المعروف بالحاج أرِقْطاي نائب السلطنة وأحد المماليك المنصورية قلاوون ، المتوفى سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م . (الصفدي : أعيان العصر ١ : ٤٧٦- ٤٨٠، الوافي بالوفيات ٨ : ٣٦١- ٣٦٣؛ المقريزي : المقفى الكبير ٢ : ٣٠- ٣٣؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ١ : ٣٧٦؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٢ : ٣٢٨؛ النجوم الزاهرة ١٠ : ٢٤٤).

وكان هو والأمير أَيْتَمُش نائِب الكَرَك بينهما أُخُوَّة، ولهما معرفة بلسان التُّرْك القَبْجاقي، ويُرْجِع إليهما في «اليَاسَة» التي هي شَريعَة جَنْكِزْ خان، / التي تقول العامَّةُ وأهلُ الجَهْل في زَمانِنا: هذا حُكْمُ السِّياسَة، يُريدون حُكْم اليَاسَة[1].

ثم إنَّ الملكَ النَّاصِرَ أخْرَجَه مع الأمير تَنْكِز إلى دِمَشْق، ثم استقرَّ في نِيابَة حِمْص لسَبْع مضين من رَجَب سنة عشر وسبع مائة، فباشرها مُدَّةً. ثم نَقَلَه إلى نِيابَة صَفَد في سنة ثمان عشرة، فأقامَ بها وعَمَرَ فيها أمْلاكًا وتُرْبَةً.

فلمَّا كان في سنة ستٍّ وثلاثين، طُلِبَ إلى مصر، وجُهِّز الأمير أَيْتَمُش أخوه مَكانه، وعَمِلَ أمير مائة بمصر. فلمَّا تَوَجَّه العَسْكرُ إلى إياس خَرَجَ معهم وعاد، فكان يعمل نِيابَة الغَيْبَة[2] إذا خَرَجَ السُّلْطانُ للصَّيْد. ثم أُخْرِجَ إلى نِيابَة طرابُلُس عِوضًا عن طَيْنال، فأقامَ بها إلى أن تَوَجَّه أَلْطُنْبُغا إلى طَشْطَمُر نائِب حَلَب، وكان معه بعسكر طَرابُلُس.

فلمَّا جَرَى من هُروب أَلْطُنْبُغا ما جَرَى كان أَرِقْطاي معه، فأُمْسِكَ واعْتُقِلَ بسكَنْدَرية. ثم أفرج عن أرِقْطاي في أوَّل سَلْطَنَة الملك الصَّالِح إسماعيل بوَساطَة الأمير مَلَكْتَمُر الحِجَازي، وجُعِلَ أميرًا إلى أن ماتَ الصَّالِحُ، وقامَ من بعده الملكُ الكامِلُ شَعْبان ورَسَمَ له بنِيابَة حَلَب عِوَضًا عن الأمير يَلْبُغا اليَحْياوي، فحَضَرَ إليها في جُمادَى الأُولى سنة ستٍّ وأربعين، فأقامَ بها نحو خمسة أشهر.

ثم طُلِبَ إلى مصر فحَضَرَ إليها، فلم يكن غير قَليل حتى خُلِعَ الكامِل وتَسَلْطَن المُظَفَّر حاجِي، ووَلَّاه نِيابَة السَّلْطَنَة بمصر. فباشَرَها إلى أن خُلِعَ المُظَفَّر، وأُقيم في السَّلْطَنَة الملك النَّاصر حَسَن[a]، اسْتَعْفَى من النِّيابَة وسأل نِيابَة حَلَب، فأُجيب ووُلِّيَ نيابَة حَلَب، وخَرَجَ إليها. وما زالَ فيها إلى أن نُقِلَ منها إلى نِيابَة دِمَشْق، ففَرِحَ أهلُها به وساروا إلى حَلَب فَرَحًا به[b]. فنَزَلَ به مَرَضٌ، وسارَ وهو مَريضٌ، فماتَ بعَيْن المُبارَكَة ظاهِر حَلَب يوم الأربعاء خامِس جُمادَى الأولى سنة خمسين وسبع مائة، وقد أنافَ عن السبعين، فعادَ أهلُ دِمَشْق خائبين.

وكان ذَكِيًّا فَطِنًا، مِحْجاجًا لَسِنًا، مع عُجْمَة في لِسانِه، وله تَنْديبٌ[c] مطبوع، ومَيْلٌ إلى الصُّوَر الجَميلَة، ما يكادُ يملك نفسه إذا شاهَدَها، مع كَرَمٍ في المأكول.

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: فرحل عنها. c) بولاق: تبنيت.

---

[1] عن الياسة، انظر فيما يلي ٧١٣-٧١٨.

[2] عن نيابة الغَيْبة، انظر فيما يلي ٦٩٨:.

دَرْبُ البَتّادين
بحارة الروم

يُعْرَف بالبَتّادين من جملة طَوائِف العَساكِر في الدَّوْلَة الفاطِمية ، ثم عُرِفَ بدَرْب أمير جانْدار ، وهو يُنْفِذ إلى حَمَّام الفاضِل المرسوم لدُخُول[a] الرِّجال[١]. وأَميرُ جانْدار هذا هو الأمير عَلَم الدِّين سِنْجر الصَّالِحِي المعروف بأمير جانْدار .

٥

دَرْبُ المُكَرَّم
بحارة الروم

يُعْرَف بالقاضي المُكَرَّم جَلال الدِّين حُسَيْن بن ياقُوت البَزَّار نَسيب ابن سَنَاء المُلْك[٢].

دَرْبُ الضَّيْف
بحارة الديلم

١٠

عُرِفَ بالقاضي ثِقَة المُلْك أبي مَنْصور نَصْر بن القاضي المُوَفَّق أمين[b] المُلْك أبي الطَّاهِر إسماعيل ابن القاضي أمين الدَّوْلَة أبي محمد الحَسَن بن عليّ بن نَصْر بن الضَّيْف . كان مَوْجودًا في سنة ثمانٍ وثمانين وخمس مائة . وبه أيضًا رَحْبَةٌ تُعْرَف برَحْبَة الضَّيْف منسوبةٌ إليه[٣].

دَرْبُ الرَّصّاصي
بحارة الديلم

١٥

هذا الدَّرْبُ كان يُعْرَف بِحِكْر الأمير سَيْف الدِّين حُسَيْن بن أبي الهَيْجَاء صِهْر بني رُزِّيك من وُزَراء الدَّوْلَة الفاطِمية[٤]، ثم عُرِفَ بِحِكْر تاج الملوك[c] بدْران بن الأمير سَيْف الدِّين المذكور ، ثم عُرِفَ بالأمير عِزّ الدِّين أَيْبَك الرَّصاصي[٥].

---

a) بولاق : بدخول . b) بولاق : أمير . c) بولاق : الملك .

---

[١] المقريزي : مسودة الخطط ٤و .

[٢] نفسه ٤و . [٣] نفسه ٤ظ .

[٤] انظر ترجمته فيما يلي ١٤٤- ١٤٥ .

[٥] المقريزي : مسودة الخطط ٤ظ . ويدلُّ على موضع =

دَرْبُ ابنِ المُجَاوِر

هذا الدَّرْبُ على يَسْرَة من دَخَلَ من أوَّل حارَة الدَّيْلَم، كان فيه دارُ الوَزير نَجم الدِّين بن المُجَاوِر، وَزير الملك العَزيز عُثْمان، عُرِفَ به. وهو يُوسُف بن الحُسَيْن بن محمد بن الحُسَيْن أبو الفَتْح نَجْم الدين الفارسي الشِّيرازي المعروف بابن المُجَاوِر[1].

٥ كان والِدُه صُوفِيًّا من أهلِ فارِس ثم مِن شِيراز. قَدِمَ دِمَشْق وأقامَ في دُوَيْرَة الصُّوفية بها، وكان من الزُّهْد والدين بمكان، وأقامَ بمَكَّة وبها ماتَ في شهر[a] رَجَب سنة ستٍّ وثمانين وخمس مائة. وكان أخوه أبو عبد الله قد سَمِعَ الحَديث وحَدَّثَ، وقَدِمَ إلى القاهِرَة، وماتَ بدِمَشْق أوَّل رَمَضان سنة خمسٍ وعشرين وستّ مائة.

دَرْبُ كُرْكَامَة[b]

١٠ هذا الدَّرْبُ فيه المَدْرَسَة الكُهارية[2] بجوار حارَة الجَوْذَرِيَّة المسلوك إليه من الفَحّامين[c] والغضاريين[d]، ويُتَوَصَّل منه إلى المَدْرَسَة الشَّرِيفيَّة[3]، عُرِف [e].

دَرْبُ الصُّفَيْرَة

بتَشْديد الفَاء

هذا الدَّرْبُ بجوارِ باب زَوِيلَة، وهو من حُقُوق حارَة المَحْمودِيَّة، وكان نافِذًا إلى المَحْمُودية، وهو الآن غير نافِذ. وأَصْلُه دَرْب الصُّفَيْراء – تصغير صَفْراء، هكذا يُوجَد في ١٥

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: الكهارية. c) بولاق: الفماحين. d) إضافة من مسودة الخطط. e) ساقط من بولاق، وفي هامش آياصوفيا: بياض نحو سطر.

= الدَّرْب الآن حارة الحمام المتفرعة من حارة خوش قدم شمال جامع الفكهاني.

[1] المقريزي: مسودة الخطط ٤ظ؛ وانظر ترجمة الوزير ابن المُجاوِر المتوفى سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٤م عند، ابن سعيد: الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة، تحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة ١٩٩٠، ١٩– ٢٥؛ المنذري: التكملة لوفيات النقلة ٢: ٣٠– ٣١، وتوفي والده المعروف بابن المُجاور في مكة سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م (نفسه ١: ١٤١)، وانظر كذلك Rentz, G., *EI*[2] art. *Ibn al-Mudjâwir* III, pp. 905-6.

[2] نسبة إلى السيدة كُهار خاتون، انظر عنها فيما يلي ٢: ٥١٤.

[3] المقريزي: مسودة الخطط ١و. والمدرسة الشريفية هي المعروفة الآن بجامع بيرس الخيّاط بشارع الجودرية.

الكُتُب القَديمَة[١] - وقد دَخَلَ بجميع[a] ما كان فيه من الدُّور الجَليلَة بالجامِع المُؤَيَّدي .

دَرْبُ الأَنْجَب

هذا الدَّرْبُ تجاه بِئْر زَوِيلَة التي من فوق فُوَّهتها اليوم رَبْع يونُس من خُطّ البُنْدُقانيين . يُعْرَف بالقاضي الأَنْجَب أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن نَصْر بن عليّ أَحَد الشهود في أيّام قاضي القُضَاة سَنَاء[b] الملك أبي عبد الله محمد بن هِبَة الله بن مُيَسَّر ، وكان حَيًّا في سنة بضع وعشرين وخمس مائة . أو يُنْسَب إلى الحُسَيْن بن الأَنْجَب المَقْدسي أَحَد الشهود المعدَّلين ، وكان موجودًا في سنة ستّ مائة . ثم عُرِفَ هذا الدَّرْبُ بأوْلاد العَميد الدِّمَشْقي فإنَّه كان مسكنهم[٢]. ثم عُرِفَ بالبِسَاطي ، وهو قاضي القُضَاة جمال الدِّين يُوسُف .

دَرْبُ كَنِيسَة جُدَة
بضم الجيم

هذا الدَّرْب بالبُنْدُقانيين . كان يُعْرَف بدَرْب بَيْت[c] جُدَّة ، ثم عُرِفَ بدَرْب الشَّيْخ السَّديد المُوَفق [d)][٣] .

دَرْبُ ابن قُطْز

هذا الدَّرْبُ بجوار مُسْتَوْقَد حَمَّام الصَّاحِب ورِباط الصَّاحِب من خُطّ سُوَيْقَة الصَّاحِب . عُرِفَ بناصِر الدِّين بَلْغاق بن الأمير/ سَيْف الدِّين قُطْز المنصوري ، ومات بعد سنة ثمانٍ وتسعين وستّ مائة[٤] .

دَرْبُ الحَرِيري

هذا الدَّرْبُ من جملة دار الدِّيباج هو ودَرْبُ ابن قُطْز المذكور قبله ، ويُتَوَصَّل إليه من

---

a) بولاق : جميع . b) بولاق : سنان . c) بولاق : بنت . d) بياض سطر في آياصوفيا .

---

[١] في المسودة ١و عوضًا عن ذلك : «ورأيت في كُتُب الأملاك القديمة دَرْب الصُّفَيْراء بالمحمودية بتخفيف الفاء وبعد الراء ألف تصغير صفراء ، والظاهر إنَّه هذا ، وسمعت من يذكر أنَّه كان نافذًا إلى المحمودية ولكنه الآن غير نافذ ولا يُتَوَصَّل إليه إلَّا من حضرة باب زويلة .

[٢] المقريزي : مسودة الخطط ٦و-ظ .

[٣] نفسه ٦و. [٤] نفسه ٦و.

أوَّل سُوَيْقة الصَّاحِب ، وفيه المَدْرَسَة القُطْبِيَّة . عُرِفَ بالقاضي نَجْم الدِّين محمد بن القاضي فَتْح الدِّين عُمَر المعروف بابن الحَريري ، فإنَّه كان ساكِنًا فيه[1] .

دَرْبُ ابن عَرَب

هذا الدَّرْبُ بوَسَط[a] سُوَيْقة الصَّاحِب ، [b]تجاه المَدْرَسَة القَيْسرانيَّة[b] ، كان يُعْرَف بدَرْب بني أُسامَة الكُتَّاب أهْل الإنْشاء في الدَّوْلَة الفاطِمية ، ثم عُرِفَ بدَرْب بني الزُّبَيْر الأكابِر الرُّؤساء في الدَّوْلَة الفاطِمية . ثم سَكَنه القاضي عَلاءُ الدِّين عليّ بن عَرَب ، مُحْتَسِب القاهِرَة في أيَّام الأمير يَلْبُغا[c] ووَكيل بَيْت المال ، فعُرِفَ به إلى اليوم[2] .

وابنُ عَـرَب هذا هو عَلاءُ الدِّين أبو الحَسَن عليّ بن عبد الوَهَّاب بن عُثْمان بن عليّ بن محمد ، عُرِفَ بابن عَرَب ، وَلِيَ الحِسْبة بالقاهِرَة في آخر صَفَر سنة خَمْسٍ وستين وسبع مائة . ووَلِيَ وَكالَةَ بَيْت المال أيضًا . وتوفي [d]بمَكَّة في ثالث عشر ذي الحجَّة سنة ثمانين وسبع مائة بعد قَضَاء الحج[d] [3] .

دَرْبُ ابن مُغَيْطِن[e]

هذا الدَّرْبُ تجاه المَدْرَسَة الصَّاحِبيَّة ، عُرِفَ أخيرًا بتاج الدِّين مُوسَىٰ بن كاتِب السَّعْدي وناظِر الخَواصّ السُّلْطانية[f] في الأيَّام الظاهِريَّة بَرْقوق[4] ، وله به دارٌ مَليحَة . وكان ماجِنًا متهتِّكًا يُرْمَى بالسُّوء ، وأمَّا الدِّيانة فإنَّه قِبْطي ، وعنه أخذ سَعْدُ الدِّين إبراهيم بن غُراب[5] وَظيفَة ناظِر الخاصّ وعاقَبَه بين يديه ، ثم صارَ يتردَّد بعد ذلك إلى مَجْلِسه . وهَلَكَ في واقِعَة تَيْمورلَنْك بدِمَشْق في شَعْبان سنة ثلاثٍ وثمانِ مائة ، بعد ما احْتَرَقَ بالنَّار لمَّا أُحْرِقَت[g] دِمَشْق ، وأَكَلَ الكِلابُ بعضَه .

---

a) بولاق : بخط . b-b) إضافة من مسودة الخطط . c) بولاق : بليغاق . d) بياض بجميع النسخ والمثبت من السلوك للمقريزي . e) بولاق : ابن مَغلش . f) بولاق : ناظر الخاص والمثبت من المُسَوَّدة . g) بولاق : احترقت .

---

[1] المقريزي : مسودة الخطط ٦و .

[2] نفسه ٦و .

[3] انظر ، المقريزي : السلوك ٣ : ٣٥٠ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ : ١٩٥ .

[4] المقريزي : مسودة الخطط ٥ظ-٦و .

[5] الوزير الصَّاحب سَعْد الدِّين إبراهيم بن عبد الرَّزَّاق بن غُراب ، انظر عنه فيما يلي ٢٠٣ .

دَرْبُ مُشْتَرَك

هذا الدَّرْبُ يَقْرُب من دَرْب العَدَّاس، تجاه الخُطِّ الذي كان يُعْرف بالمِشطاح، وفيه الآن سُوق الجَواري. عُرِفَ أوَّلًا بدَرْب الأَخْنائي قاضي القُضاة بُرْهان الدِّين المالِكي فإنَّه كان يَسْكُن فيه، ثم هو الآن يُقالُ له دَرْبُ مُشْتَرَك.

وهذه كلمة تركية أَصْلُها بلسانهم «أُچ تَرَك» ـ بضم الهمزة وإشمامها ثم جيم بين الجيم والشين ـ ومعنى ذلك: «ثلاث، وتَرَك ـ بتاء مثناة من فوق ثم رَاء مهملة وكاف ـ ومعناها النَّخْل». ومعنى هذا الاسم ثلاث نخيل، وعرَّبته العامَّةُ فقالت: مُشْتَرَك. وهو مُشْتَرَك السِّلاح دار الظَّاهري سَيْف الدِّين بَرْقُوق[a]، فإنَّه سَكَنَ به[1] وماتَ في سنة [b].

دَرْبُ العَدَّاس

هذا الدَّرْبُ فيما بين دار الدِّيباج والوَزيرية، عُرِفَ بعليّ بن عُمَر العَدَّاس[2] صاحِب سَقيفَة العَدَّاس.

دَرْبُ كاتِب سيدي

هذا الدَّرْبُ من جملة خُطِّ المِلْحيين[c][3]، كان يُعْرَف بدَرْب تقيّ الدِّين الأَطْرَباني، أحَد مُوَقِّعي الحُكْم عند قاضي القُضاة تقيّ الدِّين الأَخْنائي، ثم عُرِفَ بالوَزير الصَّاحِب عَلَم الدِّين عبد الوَهَّاب القِبْطي الشهير بكاتِب سيدي.

الوَزيرُ كاتِب سيدي ـ تَسَمَّى لمَّا أَسْلَم بعبد الوَهَّاب بن القِسِّيس، وتلقَّب عَلَم الدِّين، وعُرِفَ بين الكُتَّاب الأَقْباط بكاتِب سيدي[4]، وتَرقَّى في الخِدَم الدِّيوانية حتى وَلِيَ ديوان المُرْتَجَع،

a) بولاق: الظاهر برقوق. b) بياض بالأصول. c) مسودة الخطط: بآخر خط طواحين الملحيين.

[1] المقريزي: مسودة الخطط ٥ظ.

[2] نفسه ٥ظ.

[3] نفسه ٥ظ، وهو فيها: بآخر خُطّ طواحين المِلْحيين.

[4] الوزير عَلَم الدِّين عبد الوهَّاب بن القِسِّيس المعروف بكاتب سيدي، استقرّ في الوزارة في شعبان سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م وقُبِضَ عليه في رَمَضان سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م، وتوفي في آخر ذي الحجة من العام نفسه. (المقريزي: السلوك ٣: ٥٦٥، ٥٨٣، ٥٨٧؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة =

وتَخَصَّص بالوَزير الصَّاحِب شَمْس الدِّين إبراهيم كاتِب أَرْلان[١]، فلمَّا أَشْرَفَ من مَرَضِه على الموت عُيِّنَ للوَزارةِ من بعده عَلَمُ الدِّين هذا . فولَّاه الملكُ الظَّاهِر وَظيفَة الوَزارةِ بعد مَوْت الوَزير شَمْس الدِّين ، في سادس عشرين شَعْبان سنة تسعٍ وثمانين وسبع مائة ، فباشَر الوَزارَة إلى يوم السبت رابع عشرين رَمَضان سنة تسعين وسبع مائة . ثم قُبِضَ عليه ، وأُقيم في مَنْصب الوَزارَة بَدَلَه الوَزيرُ الصَّاحِبُ كَريمُ الدِّين بن الغَنَّام وسَلَّمه إليه[٢].

وكان قد أرادَ مُصادَرَة كريم الدِّين ، فاتَّفَقَ اسْتِقْرارُه في الوَزارَة وتمكُّنه منه فألزمه بحَمْل مالٍ قرَّرَه عليه . فيُقال : إنَّه حَمَلَ في هذا اليوم ثلاثَ مائة ألف درهم ، عنها إذ ذاك نحو العشرة آلاف مِثْقال ذَهَبًا ، وماتَ بعد ذلك من هذه السنة . وكان كاتبًا بَليغًا كَتَبَ بيده بِضْعًا وأربعين رِزْمَة من الوَرَق . وكانت أيَّامُه ساكِنَة ، والأحْوال متمشِّيَة ، وفيه لين .

دَرْبُ مُخْلِص

هذا الدَّرْبُ بحارَة زَويلَة ، عُرِفَ بمُخْلِص الدَّوْلَة أبي الحَيَاء مُطَرِّف المُسْتَنْصِري ، ثم عُرِفَ بدَرْب الرائِض ، وهو الأمير طِراز الدَّوْلَة الرائِض بإسْطَبْل الخِلافَة[٣].

دَرْبُ كَوْكَب

هذا الدَّرْبُ هو الآن زُقاقٌ شارعٌ يُسْلَك فيه من حارَة زَويلَة إلى دَرْب الصَّقالِبَة ، عُرِفَ أوَّلًا بالقائِدِ الأعَزّ مَسْعود المُسْتَنْصري ، ثم عُرِفَ بكَوْكَب الدَّوْلَة ابن البَجْناكي [a][٤].

---

a) بولاق : الجناكي .

= ١١ : ٣١٦؛ الصيرفي : نزهة النفوس ١:١٥٦) .

[١] الوزير الصَّاحِب شَمْس الدِّين إبراهيم المعروف بكاتب أَرْلان ـ ويُطْلَق عليه في بعض المصادر كاتب أرنان ـ ، المتوفى سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١:٣١٢) .

[٢] الصيرفي : نزهة النفوس ١ : ١٥٦ .

[٣] المقريزي : مسودة الخطط ٥و، وهو فيها : دَرْبُ مُخْلِص الدَّوْلَة .

[٤] نفسه ٥و، وهو فيها : دَرْبُ الجنان .

دَرْبُ الوُشاقي
بحارة زويلة

عُرِفَ بالأمير حُسام الدِّين سُنْقُر الوُشاقي ، المعروف بالأعْسَر السِّلاح دار ، أحَدُ أُمَرَاء السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب[١] .

٥

دَرْبُ الصَّقالِبَة
بحارة زويلة

عُرِفَ بطائِفَة الصَّقالِبَة ، إحدى طَوائِف العَساكِر في أيَّام الخُلَفَاء الفاطِميين ، وهم جَماعَة [a]منهم نَصْر الصَّقْلَبِي غُلام المُعِزّ الذي سَيَّرَه إلى الشَّام في جيشٍ قاله ابنُ عبد الظَّاهِر [a][٢] .

دَرْبُ الكَنْجي
بحارة زويلة

١٠

كان يُعْرَف بدَرْب خَليلَة[b]، ثم عُرِفَ بالأمير شَمْس الدِّين سُنْقُر شاه الكَنْجِي الحاجِب الظَّاهِرِي الدُّكْني[c]، قَتَلَه [a]الملك المنصور[a] قلاوون أوَّلَ سَلْطَنته[٣] .

دَرْبُ رُومِيَّة

هذا الدَّرْبُ كان في القَديم فيما بين زُقاق القابِلَة ودَرْب الزَّرَّاق[٤] . فزُقاق القابِلَة فيه اليوم كَنيسَة اليَهُود بحارَة زَوِيلَة ، ويُتَوَصَّل منه إلى السَّبْع قاعات[d] ودار بَيْبَرْس التي عُرِفَت بدار كاتِب السِّرّ ابن فَضْل الله تِجاه حَمَّام ابن عَبُّود . ودَرْبُ الزَّرَّاق هو اليوم من جملة خُطّ سُوَيْقَة الصَّاحِب ، وبينهما الآن دُورٌ لا يُوصَل إليه إلَّا بعد قَطْع مَسافَة .

١٥

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط . b) بولاق : حليلة . c) إضافة من مسودة الخطط . d) بولاق : السقايات .

---

[١] المقريزي : مسودة الخطط ٥و ، وهو فيها : دَرْبُ سُنْقُر الوشاقي .

[٢] نفسه ٧ظ . [٣] نفسه ٥و .

[٤] في المسودة ٥و : «وَجَدْتُ في بعض الكتب القديمة ما يَدُلُّ على أنَّه يُجاوِر زُقاق القابلة من الجهة البَحْرية ، وفي بعضها ما يَدُلُّ على أنَّه يُجاوِر دَرْب الزَّرَّاق» .

ودَرْب رُومِيَّة كان يُعْرَف أوَّلًا بزُقاقِ حُسَيْن بن إدريس العَزيزي، أحَدُ أتباع الخَليفَة العَزيز بالله/ نِزار بن المُعِزّ لدين الله، ثم عُرِفَ بدَرْب رُومِيَّة. وهو بجوار زُقاق القابِلَة الذي عُرِفَ بزُقاق العَسَل، ثم عُرِفَ بزُقاق المَعْصَرَة، وعُرِفَ اليوم بزُقاق الكَنِيسَة[1].

دَرْبُ الخُضَيْرِي

هذا الدَّرْبُ يُقابِل باب الجامِع الأَقْمَر البَحْري، وهو من جملة حُقُوق القَصْر الصغير الغَرْبي؛ عُرِفَ بالأمير عِزّ الدِّين أَيْدَمُر الخُضَيْري، أحَدُ أُمَرَاء الملك المَنْصور قَلاوون، وبه [a]دارُ الملك المَسْعُود نَجْم الدِّين خِضْر بن الملك الظَّاهر بَيْبَرْس، ثم عُرِفَت بدار الأمير صلاح الدِّين يحيى بن الأمير خِضْر، وهي دار بَكْتُوتُ الحِمْصي الصغير الظَّاهري، وتُعرف في زمننا هذا بدار الخُضَيْري ولها بابٌ من تحت قَبْو الخُرُنْشُف وباب من داخل دَرْب الخُضَيْري[a][2].

دَرْبُ شُعْلة

هو الشَّارِع المسلوك فيه من باب دَرْب مُلُوخِيّا إلى خُطّ الفَهَّادين والعُطُوفِيَّة، وقد خَرِب[3].

دَرْبُ نَادِر[b]

هذا الدَّرْبُ بجوار المَدْرَسَة الجَمالِيَّة[4]، فيما بين دَرْبِ راشِد ودَرْب مُلُوخيا. عُرِفَ بسَيْف الدَّوْلَة نادِر الصَّقْلَبي، وتوفِّي لاثنتي عشرة خَلَت من صَفَر سنة اثنتين وثمانين وثلاثِ مائة. فبَعَثَ إليه الخَليفَة العَزيزُ بالله لكَفَنِه خمسين قِطْعَة من ديباج ومُثْقَل[c]. وخَلَّفَ ثلاث مائة ألف دينار عَيْنًا وآنيةً من فِضَّة وذَهَب وعَبِيدًا وخَيْلًا، وغير ذلك ممَّا بَلَغَت قيمتُه نحو ثمانين ألف دينار. وكان أحَدَ الخُدَّام، ذَكَره المُسَبِّحِيّ في تاريخِه[5].

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط b) مسودة الخطط: درب سيف الدولة نادر. c) بولاق: ديباج مثقل.

---

[1] المقريزي: مسودة الخطط ٥و – ظ. [2] نفسه ١و. [3] نفسه ١و – ظ. [4] انظر عن المدرسة الجمالية فيما يلي ٢: ٣٩٢. [5] المقريزي: مسودة الخطط ١ظ.

وقد ذَكَرَ ابنُ عبد الظَّاهِر أنَّ بالسُّوَيْقَة التي دون باب القَنْطَرَة دَرْبًا يُعْرَف بدَرْب نادِر، فلعلَّه نُسِبَ إليه دَرْبٌ كان هناك في القديم أيضًا. [a]قال كاتِبُه: الذي أعْرِفه فيما حفظته قديمًا أنَّ الدَّرْبَ الكبير الذي قِبَل باب القَنْطَرَة يُعْرَف بدَرْب الرَّمَّاحين، ولا يحضرني في أي الكُتُب رأيت ذلك[a][1].

دَرْبُ راشِد

هذا الدَّرْبُ تجاه خِزانَة البُنُود، عُرِفَ بيمين الدَّوْلَة راشِد العَزِيزي، ذَكَرَه المُسَبِّحي[b][2].

دَرْبُ النُّمَيْرِي

عُرِفَ بالأمير سَيْف المجاهدين محمد بن النُّمَيْري، أحد أُمراء الخَليفَة الحافظ لدين الله، ووَلِيَ عَسْقَلان في سنة ستٍّ وثلاثين وخمس مائة، وكانت وِلايتُها أكبر من وِلاية دِمَشْق.

وهذا الدَّرْبُ كان يَنْفُذ إلى دَرْب راشِد، وهو الآن غير نافِذ، وفي داخله دَرْبٌ يُعْرَف بأوْلاد الدَّاية طاهِر وقاسِم الأفْضَلِيَّيْن، أحد أتْباع الأفْضَل بن أمير الجُيوش، وعُرِفَ الآن [c]دَرْبُ النُّمَيْري[c] بدَرْب الطُّفَيْل[3]. وهو من جملة خِطَّة قَصْر الشَّوْك، فإنَّه قُبالَة باب قَصْر الشَّوْك، وبينهما سُوَيْقَة رَحْبَة الأيْدَمُري.

دَرْبُ قَرَاصْيا

هذا الدَّرْبُ من جملة الدُّروب القَديمَة، وكان تِجاه باب قَصْر الزُّمُرُّد الذي في مَكانِه اليوم المَدْرَسَة الحِجازِيَّة[4].

وهذا الدَّرْبُ اليوم من جملة خِطَّة رَحْبَة باب العيد بجوار سِجْن الرَّحْبَة. وقد هَدَمَه الأميرُ جَمالُ الدِّين يُوسُف الأسْتادَّار، وهَدَمَ كثيرًا من دُوره وعملها وَكالَة، فمات ولم تكمل، وهي إلى الآن بغير تكملة. ثم كَمَّلَه الملكُ المُؤَيَّدُ شَيْخ، وجَعَلَه وَقْفًا على جامِعه، وهو إلى الآن خانٌ عامِرٌ[5].

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط. b) إضافة من مسودة الخطط. c-c) ساقطة من بولاق.

---

[1] المقريزي: مسودة الخطط ٨و.

[2] نفسه ٦ظ.

[3] نفسه ٧و.

[4] نفسه ٦و، واكتفى في المسودة فقط بمدخلٍ أوَّله: «دَرْبُ قراصيا من رَحْبَة العيد»؛ وفيما يلي ٢: ٣٨٢.

[5] استخدم المقريزي في هاتين الفقرتين مصطلحين=

وقَرَاضــيا هذا ....[a].

دَرْبُ السَّلَّامِي

هذا الدَّرْبُ من جملة خُطِّ رَحْبَة باب العيد ، وفيه إلى اليوم أحَد أبْواب القَصْر المسمَّى بباب العيد ، والعامَّة تسمِّيه القاهِرَة . وهذا الدَّرْبُ يُسْلَك منه إلى خُطِّ قصر الشَّوْك ، وإلى المارِسْتان العَتيق الصَّلاحي ، وإلى دار الضَّرْب وغير ذلك[1]. عُرِفَ بخَواجا «مَجْد الدِّين السَّلَّامِي» إسماعيل ابن محمد بن ياقوت الخواجا مَجْد الدين السَّلَّامِي[2]، تاجِر الخاصّ في أيام الملك النَّاصِر محمد ابن قَلاوون ، وكان يدخل إلى باب الطَّطَر[b]، ويَتَّجِر ويعود بالرَّقيق وغيره ، واجتهد مع جُوبان إلى أن اتَّفَق الصُّلْح بين الملك النَّاصِر وبين القان أبي سَعيد[3]، فانتظم ذلك بسفارَته وحُسْن سَعْيه ، فازدادَت وَجاهَتُه عند الملكين .

a) ساقطة من بولاق ، وبعدها بياض في آياصوفيا . b) المقفى الكبير : التتر .

=عُمْرانيين مختلفين، حيث استخدم مصطلحًا خاصًّا بالتخطيط المبكِّر للفُسْطاط هو: «خِطَّة» ، ومصطلح خاصّ بالقاهرة بعد العصر الفاطمي هو: «خُطّ» . وأظن أن المقصود في الحالتين هو المصطلح الثاني: «خُطّ» .

[1] قارن مع مسودة الخطط ٦ظ .

وانظرعن المارستان الصَّلاحي ، ابن جبير : الرحلة ٢٦ ، وفيما تقدم ٢: ٣٥٠- ٣٥١ .

[2] الخَوَاجا نَجْم الدِّين إسماعيل بن محمد بن ياقوت السَّلَّامي ـ نسبةً إلى بَلْدَةٍ يقال لها السَّلَّامِيَّة ببلاد المشرق (ياقوت : معجم البلدان ٣: ٢٣٤) ـ أحد أشهر تُجَّار الرَّقيق من المماليك والجواري في عهد السلطان النَّاصِر محمد بن قلاوون ، توفي في داره بالقاهرة سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٣م . (الصفدي : أعيان العصر ١: ٥٢٣- ٥٢٤، الوافي بالوفيات ٩: ٢٢٠- ٢٢١؛ المقريزي : المقفى الكبير ٢: ١٨١- ١٨٢؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ١: ٤١٣؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ١٩) .

[3] القان بوسعيد بن محمد خَرْبَنْدا بن القان أرْغُون بن القان أبْغَا بن هُولاكو ، آخر ملوك التتار المتوفى سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م . (الصفدي : أعيان العصر ٢: ٦٨- ٧٠ وفيه : والنَّاس يقولون فيه أبو سعيد على أنَّه كُنْيَة ، والصحيح أنَّه عَلَم ، هكذا رأيت كُتُبَه التي كانت ترد على السُّلْطان الملك النَّاصر محمد يكتب على ألقابه اللذهبية «بو سعيد» باللازَوَرْد الفائق ، و«يزَمَّك بالذهب» ، الوافي بالوفيات ١٠: ٣٢٢- ٣٢٣؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ٢: ١٠١؛ المقريزي : السلوك ٢: ٤٠٤؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢: ٣٤- ٣٥؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٢٣٨، ٣٠٩، المنهل الصافي ٣: ٤٤٢- ٤٤٣) . وتوفي نائبه سيف الدِّين جوبان بن تُلُك ابن ندوان سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م . (الصفدي : أعيان العصر ٢: ١٦٩- ١٧١، الوافي بالوفيات ١١: ٢٢٠- ٢٢٢؛ الفاسي : العقد الثمين ٣: ٤٤٦- ٤٤٨؛ المقريزي : السلوك ٢: ٣٠٢؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢: ٧٨- ٧٩؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٢٧٢- ٢٧٣، المنهل الصافي ٥: ٣٣- ٣٤) .

وكان الملكُ النَّاصِرُ يُسَفِّره ويُقَرِّر معه أُمورًا، فيتوجَّه ويقضيها على وَفْق مُراده بزيادات . فأَحَبَّه وقَرَّبه، ورَتَّبَ له الرَّواتِب الوافِرَة في كلّ يوم من الدراهم واللَّحْم والعَليق والسُّكَّر والحَلْوى[a] والكُمَاج[1] والرُّقاق، ممّا يَبْلُغ في اليوم مائة وخمسين درهمًا، عنها يومئذٍ ثمانيةَ مثاقيل من الذَّهَب، وأَعْطاه قَرْيَة أَرَاك ببَعْلَبَك، وأَعْطَى مَماليكه إقْطاعاتٍ في الحَلْقَة .

وكان يَتَوَجَّه إلى الأُرْدُو[b]، ويُقيم فيه الثلاث سنين والأربع والبَريد لا ينقطع عنه، وتُجَهَّز إليه التُّحَف والأقمشة ليفرِّقها على من يَراه من خَواصّ أبي سعيد وأعْيان الأُرْدُو[b] ثِقَةً بمعرفته ودِرايَته . وكان النَّشْوُ ناظِر الخاصّ[2] لا يُفارقه، ولا يَصْبِر عنه . ومن أمْلاكِه ببلاد الشَّرْق[c]: السَّلاميَّة، والماحوذة[d]، والمراوزة، والمناصِف . ولمَّا ماتَ الملكُ النَّاصِرُ، تغيَّر عليه الأمير قَوْصُون، وأَخَذَ منه مبلغًا يسيرًا .

وكان ذا عَقْلٍ وافِرٍ وفِكْرٍ مُصيب، وخِبْرَةٍ بأخلاق الملوك وما يَليق بخَواطِرِها، ودُرْبَة[e] بما يُتحفها به من الرَّقيق والجَواهِر، ونُطْق سَعيد، وخُلُقٍ رَضيّ، وشكالة حَسَنَة، وطَلْعَة بَهِيَّة . وماتَ في دارِه من دَرْب السَّلَّامي هذا يوم الأربعاء سابع جُمادَى الآخرة سنة ثلاثٍ وأربعين وسبع مائة، ودُفِنَ بتُرْبَته خارِج باب النَّصْر .

ومَوْلِدُه في سنة إحدى وسبعين وست مائة بالسَّلاميَّة ـ بَلْدَة من أعمال المَوْصِل على يوم منها بالجانِب الشَّرْقي ـ وهي بفَتْح السين المهملة وتشديد اللام وبعد الميم ياء مثناة من تحت مشدَّدة ثم تاء التأنيث .

دَرْبُ خاص تُرْك

هذا الدَّرْبُ برَحْبَة باب العيد، عُرِفَ بالأمير الكبير رُكْن الدِّين بَيْبَرْس ـ المعروف بخاصّ التُّرْك الكبير ـ أَحَدِ الأُمَرَاء الصَّالحيَّة النَّجْمية، أو بالأمير عِزّ الدِّين أَيْبَك المعروف بخاصّ التُّرْك الصغير،

a) بولاق : الحلواء. b) بولاق : الأردن. c) بولاق : المشرق. d) بولاق : المأخوذة. e) بولاق : دراية.

[1] الكُمَاج . فارسي، وهو نوع من الخبز الأبيض يصنع بدون خميرة، ويكون أسمك من الخبز العادي . (Dozy, R., *Suppl. Dict. Ar.* II, p. 495).

[2] القاضي شَرَف الدِّين عبد الوَهَّاب بن فَضْل الله المعروف بالنَّشْو ناظِر الخاصّ، المتوفى سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م . (الصفدي : أعيان العصر ٣:٢٠٠- ٢٠٤، الوافي بالوفيات ١٩:٣٢٤- ٣٢٦؛ المقريزي : السلوك ٢:٥٠٥- ٥٠٦؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٣:٤٢- ٤٤؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٧:٣٩٠- ٣٩٣، النجوم الزاهرة ٩:٣٢٣).

سِلاح دار الملك الظَّاهِر رُكْن الدين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري[١].

دَرْبُ شَاطِي

هذا الدَّرْبُ يُتَوَصَّل منه إلى قَصْر الشَّوْك [a]الذي هَدَمه الأميرُ جَمالُ الدِّين الأَسْتادَّار، وإلى الآن لم يُعْمَّر وكان بالقُرب من دار الضَّرْب[a]، عُرِفَ بالأمير شَرَف الدِّين شِاطي السِّلاح دار في أيَّام الملك المَنْصور قَلاوون. وكان أميرًا كبيرًا مُقَدَّمًا بالدِّيار المصرية، وأَخْرَجَه الملكُ النَّاصِرُ محمد ٥ ابن قلاوون إلى الشام فأقامَ بدِمَشْق، وكانت له حُرْمَةٌ وافِرَةٌ وديانةٌ وفيه خَيْر، وماتَ بها في الحادي والعشرين/ من شَعْبان سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائة[٢].

دَرْبُ الرَّشِيدي

هذا الدَّرْبُ مُقابِل باب الجُوَّانِيَّة، عُرِفَ بالأمير عِزِّ الدين أَيْدَمُر الرَّشيدي، مَمْلوك الأمير بَلَبَان ١٠ الرَّشيدي خُوشْداش الملك الظَّاهِر رُكْن الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري.

ووَلِيَ الأمير أَيْدَمُرُ هذا أَسْتادَّارًا لأُسْتاذِه بَلَبان، ثم وَلِيَ أُسْتادَّارًا للأمير سَلار، وماتَ في تاسع عشر شَوَّال سنة ثمانٍ وسبع مائة[٣]. وكان سَكَنُه في هذا الدَّرْب، وكان عاقِلًا ذا ثَرْوَةٍ وجاه. وكان في القَديم مَوْضِعُ هذا الدَّرْب بَراحًا قُدَّام الحُجَر.

دَرْبُ الفَرَنْجِيَّة[b]

١٥ هذا الدَّرْبُ على يَمْنَة من خَرَجَ من الجَمَلون الصَّغير طالِبًا دَرْب الرَّشيدي المذكور، وهو من الدُّروب التي كانت في أيَّام الخُلَفاء[٤].

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط. b) بولاق: الفريحية.

---

[١] المقريزي: مسودة الخطط ٦ظ.

[٢] نفسه ٦ظ.

المقفى الكبير ٢: ٣٥٣-٣٥٤، السلوك ١: ٩٥١؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤٥٨.

[٣] نفسه ١ظ؛ وانظر ترجمة الأمير عِزّ الدِّين أَيْدَمُر الرَّشيدي، المتوفى سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م عند، المقريزي:

[٤] نفسه ١ظ.

الدَّرْبُ الأَصْفَر

هذا الدَّرْبُ تِجاهِ خانْقاه الملك المُظَفَّر رُكْن الدِّين بَيْبَرْس الجاشَنْكير، ومَوْضِعُ هذا الدَّرْب هو المَنْحَر الذي تقدَّم ذكره[١].

دَرْبُ الطَّاوُوس

هذا الدَّرْبُ في الحَدْرَة التي عند باب سِرّ المارِستان المَنْصوري، على يَمْنَة من ابتدأ الخروج منه، وكان مَوْضِعُه بجوار باب السَّاباط أَحَدِ أبْواب القَصْر الصَّغير، وقد تقدَّم ذكره[٢].

ودَرْبُ الطَّاوُوس أيضًا بالقُرْب من دَرْب العَدَّاس فيما بين باب الخُوخَة والوَزِيريَّة[٣].

دَرْبُ بايْنجار

هذا الدَّرْبُ بجوار جامِع أمير حُسَيْن من حِكْر جَوْهَر النُّوبي خارج القاهرة، عُرِفَ بالأمير بايْنجار الرُّومي الوافِد في[a] أيَّامِ الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس. وقد خَرِبَت تلك الدِّيار في سَلْطَنَة الملك المُؤَيَّد شَيْخ[٤].

دَرْبُ كُوسا

هو الآن يُسْلَك فيه على شاطئ الخليج الكبير من قَنْطَرة الأمير حُسَيْن إلى قَنْطَرَة الموشكي، عُرِفَ بحُسَام الدِّين كوسا، أَحَد مُقَدَّمي الحَـلْقَة[b] في أيَّام الملك المَنْصور قَلاوون، ماتَ بعد سنة ثلاثٍ وثمانين وستّ مائة.

وهذا المَوْضِعُ تِجاه دار الذَّهَب التي تُعْرَف اليوم بدار الأمير حُسَين التَّتري، السِّلاح دار النَّاصِريّ، وقد خَرِبَت أيضًا[٥].

a) بولاق: الوافدي. b) بولاق: الخلفاء.

[١] المقريزي: مسودة الخطط ١ظ، وفيما تقدم ٢: ٤٣١.
[٢] فيما تقدم ٢: ٥٠١.
[٣] المقريزي: مسودة الخطط ١ظ.
[٤] نفسه ٧و؛ وانظر المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٣٨٦، ٣٨٧.
[٥] نفسه ٧و - ظ.

دَرْبُ الجاكي

هذا الدَّرْبُ بالحِكْر، عُرِفَ بالأمير شَرَف الدِّين إبراهِيم بنُ حسَيْن[a] بن عليّ بن الجُنَيْد الجاكي المِهْمَنْدار المَنْصوري[١]. وقد دَثَرَ في أيام المُؤَيَّد على يد الأمير فَخْر الدِّين عبد الغني بن أبي الفَرَج الأُسْتادّار لمَّا خَرَّبَ ما هناك[٢].

٥

دَرْبُ الحَرامي بالحِكْر

عُرِفَ بسَعْد الدِّين حُسَيْن بن عُمَر بن محمَّد الحَرامِي وابنه مُجير الدِّين يُوسُف، وكانا من أجْناد الحَـلْقَة[b] في أيَّام c)[٣].

دَرْبُ الزَّرَّاق بالحِكْر

عُرِفَ بالأمير عِزّ الدِّين أيْدَمُر الزَّرَّاق أَحد الأُمَراء، d)وأُمير جانْدار في أيّام الملك النَّاصِر محمد ابن قَلاوون في سنة ثلاثٍ وثلاثين وسبع مائة d)[٤]. وَلَّاه الملكُ الصَّالِحُ إسماعيل بن محمد ابن

١٠

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: الخلفاء. c-c) ساقطة من بولاق والمثبت من المسودة. d-d) إضافة من مسودة الخطط.

---

[١] حاشية بخطّ المؤلّف: «الجاكية قومٌ من طائفة الأكراد الحسنانية يسكنون بلاد الكمركار من شَهْرَزور».

[٢] المقريزي: مسودة الخطط ٧ظ.

والأمير فَخْر الدِّين هو الأمير الفَخْري فَخْر الدِّين عبد الغني بن الأمير الوزير الأُستادّار تاج الدِّين عبد الرَّزَّاق بن أبي الفرج، المتوفى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م (الفاسي: العقد الثمين ٥: ٤٦٩؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٣: ١٨٧؛ ذيل الدرر الكامنة ٢٦٣–٢٦٤؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٧: ٣١٤–٣١٨؛ السخاوي: الضوء اللامع ٤: ٢٤٨–٢٥١). ويستفاد مما ذكره أبو المحاسن والسخاوي أنّ المَقريزي ترجم ترجمةً مُطَوَّلةً للأمير فخر الدِّين عبد الغني في كتابه «دُرَر العقود الفريدة» قال فيها: «كان جَبَّارًا قاسيًا شديدًا جلدًا عَبوسًا بعيدًا عن التَّرَف، قَتَلَ من عباد الله ما لا يُحصى وخَرَّبَ إقليم مصر بكماله وأفْقَرَ أهلَه ظُلْمًا وعُتُوًّا وفسادًا في الأرض ليُرْضي سُلْطانَه، فأخَذَه الله أخْذًا وبِيلًا».

[٣] نفسه ٧ظ.

[٤] نفسه ٧ظ؛ وترجم المقريزي في المقفى الكبير لاثنين من الأمراء المتعاصرين يعرفان بالأمير عز الدِّين أيْدَمُر الزَّرَّاق وهما ترجمتان متداخلتان، الأوّل (٢: ٣٦٥) استقرّ في ولاية القاهرة، ثم خلع عليه أمير جانْدار سنة ٧٣١هـ/١٣٣١م عِوَضًا عن الأمير أَلْدَمُر المقتول بمكة (فيما تقدم ١١٣) وذكر وفاته في حدود الستين وسبع مائة. والثاني (٢: ٣٦٩) تولى نيابة غَزَّة سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م وأُعيد بعد مُدَّة إلى القاهرة، وتنقَّلَ بين القاهرة ودمشق وحلب ولم يذكر تاريخ وفاته، وأظن أنّهما شخص واحد. راجع ترجمته عند: =

قَلاوون نِيابَة غَزَّة في سنة خمسٍ وأربعين وسبع مائة ، فأقامَ بها مُدَّةً ، ثم استعفى بعد مَوْت الملك الصَّالِح وعادَ إلى القاهِرَة ، ثم تَوَجَّه إلى دِمَشْق للحَوْطَة على مَوْجود الخاصَّكية يَلْبُغا اليَحْياوي في الأيَّام المُظَفَّرِيَّة وعاد .

فلمَّا رَكِبَ العَسْكَرُ على الملك المُظَفَّر ، لم يَكُن معه سوى الزَّرَّاق وآقْ سُنْقُر وأَيْدَمُر الشَّمْسي . فنقم الخاصَّكية عليهم ذلك ، وأخرجوهم إلى الشَّام ، فوَصَلوا إليها في أوَّل شَوَّال سنة ثمانٍ وأربعين ، فأقامَ الزَّرَّاق بدِمَشْق . ثم وَرَدَ مَرْسُومُ السُّلطان حَسَن بتَوَجُّههم إلى حَلَب ، فتوجَّه إليها على إقْطاع وبها مات ، وكان دَيِّنًا لَيِّنًا فيه خير .

وكان هذا الدَّرْبُ عامِرًا ، وفيه دار الزَّرَّاق الدَّار العَظيمَة[1] ، وقد خَرِبَ هذا الدَّرب وما حَوْله منذ كانت الحَوادِثُ في سنة ستٍّ وثمان مائة ، ثم نُقِضَت الدَّارُ في أيَّام المُؤَيَّد شَيْخ ، على يد ابن أبي الفَرَج .

زُقاق طَريف
بالطاء المهملة

هذا الزُّقاق من أَزِقَّة البَرْقِيَّة ، عُرِفَ بالأمير فَخْر الدِّين طَريف بن بَكْتوت ، وكان يُعْرَف بزُقاق مُنَاد[a] بن مَيْمون بن مُناد[a]، توفِّي في ذي الحجَّة سنة اثنتين وثمانين وخمس مائة[2].

زُقاق مُنْعِم
بحارة الدَّيْلَم

كان يُعْرَف بمَساطِب الدَّيْلَم والأتْراك ، ثم عُرِفَ بالأمير مُنْعِم الدَّوْلَة باتْكين البُوشحاقي ، ثم عُرِفَ بزُقاق جَمال الدَّوْلَة ، ثم بزُقاق الخَلاطي[b]، ثم بزُقاقِ الصُّهَرَجْتي ، وهو القاضي المنتخب ثِقَةُ الدَّوْلة أبو الفَضْل محمد بن الحُسَيْن بن هِبَة الله بن وُهَيْب الصُّهَرَجْتي ، وكان حَيًّا في سنة ستين وخمس مائة[3].

---

a) بولاق : منار . b) بولاق : الجلاطي .

= الصفدي : أعيان العصر ١:٦٦٢- ٦٦٦، الوافي بالوفيات ١٠:١٨- ١٢٢؛ أبي المحاسن : المنهل الصافي ٣:١٨٢- ١٨٣) .

[1] فيما يلي ٤٠١.

[2] المقريزي : مسودة الخطط ٣ظ .

[3] نفسه ٤و، وفيه : «وهو الزُّقاق الغير نافِذ الملاصق=

زُقاق الحَمّام
بحارة الدَّيْلَم

عُرِفَ قَديمًا بخُوخة المُنْقِذي ، ثم عُرِفَ بخُوخَة سَيْف الدِّين حُسَيْن بن أبي الهَيْجاء صِهْر بني رُزِّيك ، ثم عُرِفَ بزُقاق حَمَّام الرَّصاص ، ثم عُرِفَ بزُقاق المَزار[١].

٥

زُقاق الحَزُّون
بحارة الدَّيْلَم

عُرِفَ بالأَمير الأَوْحَد سُلْطان الجُيوش دُرِّي[a] الحَزُّون رَفيق العادِل بن السَّلار ، وَزير مصر في أيَّام الخَليفَة الظَّافِر بأمْر الله ، ثم عُرِفَ بدَرْب مُسافِر عِزّ[b] القُضَاة ، ثم عُرِفَ بزُقاق القُبَّة[٢].

زُقاق الغُراب
بالجَوْدَرِيَّة

١٠

كان يُعْرَف بزُقاق أبي العِزّ[c]، ثم عُرِفَ بزُقاق ابن أبي الحَسَن العُقَيْلي ، ثم قيل له زُقاق الغُراب نِسْبَة إلى أبي عبد الله محمد بن رِضْوان الملقَّب بغُراب[٣].

زُقاق عامِر
بالوَزِيرِيَّة

١٥ عُرِفَ بعَامِر القَمَّاح في حارَة الأَقافِصَة[d][٤].

---

a) بولاق : زري. b) بولاق : عين. c) بولاق : أبي المعز. d) بولاق : الأقانصة.

= لمساطب الديلم والأتراك ، كذا وجدته في كتب الأملاك القديمة.

[١] المقريزي : مسودة الخطط ٥و، وفيما يلي ١٤٤.

[٢] نفسه ٤ظ.

[٣] نفسه ٥ظ.

[٤] نفسه ٥ظ.

زُقاقُ فَرَج
بالجيم

من جُمْلَة أَزِقَّة دَرْب مُلُوخِيًا، عُرِفَ بفَرَج مِهْتار الطُّشْتَخاناه للملك المَنْصور قَلاوون؛ كان حَيًّا في سنة ثلاثٍ وثمانين وستّ مائة[١].

٥

زُقاقُ حَذَرَة الزَّاهِدي
بحاء مهملة

عُرِفَت بالأمير رُكْن الدِّين بَيْبَرْس الزَّاهِدي الرَّمَّاح الأَحْدَب أَحَد الأُمَرَاء، وممَّن له عِدَّةُ غَزوات في الفِرِنْج. ولمَّا تمالأ الأُمَرَاءُ على الملك السَّعيد ابن الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس وسَبَقَهم إلى القَلْعَة، كان قُدَّامَه بَيْبَرْس الزَّاهِدِي هذا، فسَقَطَ عن فَرَسِه، وخَرَجَت له حَدَبَة في ظَهْره، وماتَ في سنة ثلاثٍ وتسعين وستّ مائة. ١٠

/وكان مَكانُ هذه الحَذَرَة أَخْصَاصًا، وهي الآن مَساكِنُ بينها زُقاقٌ يُسْلَكُ فيه من رأْس الحارَة إلى رَحْبَة الأَفْيال[٢].

(a زُقاقُ الكَحْل

قال كاتِبُه: زُقاقُ الكَحْل ممَّا يُعَدُّ في زَمَنِنا من جملة شُقَّة الحُسَينِيَة التي ممَّا يلي خارج باب الفُتُوح a)[٣]. ١٥

---

a-a) إضافة من مسودة المواعظ.

---

[١] المقريزي: مسودة الخطط ٧و.

[٢] نفسه ٧ظ، وفيه: «وهي الآن سكن القرازين وغيرهم، وهي بجوار رحبة الأفيال».

[٣] المقريزي: مسودة المواعظ ٣٨٤، وفيما يلي ٢: ٤٣٠، حيث ذكر في معرض حديثه عن زاوية الشيخ خِضْر شيخ السلطان الظاهر بيبرس، وأنَّها خارج باب الفتوح من القاهرة بخط زُقاق الكَحْل تُشْرِف على الخليج. ويَدُل على موقع زقاق الكَحْل الآن الطريق المسمّى سِكَّة الظَّاهر أو شارع المُنَسّي في مواجهة المدخل الجنوبي لجامع الظاهر بيبرس. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ١٦١هـ[١]، وفيما تقدم ٢: ٢٢٢-٢٢٣هـ[٢]).

ذِكْرُ الخُوخ

والقَصْدُ إيراد ما هو مَشْهُورٌ من الخُوَخ أو لذكره فائِدةٌ ، وإلَّا فالخُوَخُ والدُّروبُ والأزِقَّةُ كثيرةٌ جِدًّا .

الخُوَخُ السَّبْع

٥ (a)هذا الخَطُّ مَشْهُورٌ بالقاهِرَة ، وهو فيما بين إسْطَبْل الطَّارِمَة والجامِع الأزْهَر . ولم أر ذِكْرَ هذا الاسْم إلَّا في الكُتُب التي كتبت من استقبال دَوْلَة بني أيُّوب وإلى اليوم ، وسَمِعْتُ من يَذْكُر أنَّها كانت سَبْع خُوَخ مُتَّصِلَة بإسْطَبْل الطَّارِمَة وأنَّ الخُلَفاءَ الفاطِميين كانوا يتوَصَّلون منها حين يخرجون من القَصْر من باب الدَّيْلَم ـ الذي هو باب المَشْهَد الحُسَيْني الآن ـ إلى الجامِع الأزْهَر [١] ، وأنَّها لم تكن مسلوكةً للنَّاس . وكذا سمَّى هذا الخَطّ القاضي المُرْتَضَى ابن الطُّوَيْر في كتابه «نُزْهَة المُقْلَتَيْن في أخْبار الدَّوْلَتَيْن» [٢] وذَكَرَ أنَّ هذا الخَطّ يُعْرَف بخُوخَة الشَّريف الأمير عَقيل ؛ وأظُنُّه الأمير عَقيل بن الخَليفَة المُعِزّ لدين الله باني القاهِرَة وأخو الخَليفَة العَزيز بالله نِزار بن المُعِزّ وأخو الأمير تَميم الشَّاعِر المشهور ؛ وتوفي الأميرُ عَقيل في سنة أربع وسبعين وثلاث مائة ، وفيها توفي الأمير تَميم أيضًا ودُفِنا بتُرْبَة القَصْر (a). ثم عُرِفَ بعد انْقِضَاء دَوْلَة الفاطِميين بخُطِّ الخُوَخ السَّبْع ، وليس لهذه الخُوَخ اليوم أثَرٌ ألبتَّة ، ويُعْرَف اليوم بالأبَّارين [٣].

باب الخُوخَة

هو أحَدُ أبْواب القاهِرَة ممَّا يلي الخَليج [٤] ، في حَدِّ القاهِرَة البَحْري ، يُسْلَك إليه من سُوَيْقَة الصَّاحِب ومن سُوَيْقَة المَسْعودي . (b)وَجَدْتُ في كُتُب الأملاك الفاطِمِيَّة أنَّ(b) هذا الباب يُعْرَف أوَّلًا بخُوخَة مَيْمون دَبَه ، ويُخْرَج منه إلى الخَليج الكبير (b)المعروف الآن بخَليج اللُّؤْلُؤة(b).

a-a) هذا النص من مسودة الخطط عوضًا عن النص الموجود في المبيضة . b-b) إضافة من مسودة المواعظ .

[١] فيما تقدم ١٠٢.

[٢] قارن مع ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٨٨؛ وفيما تقدم ٢: ٣٠١: ١٣.

[٣] المقريزي : مسودة الخطط ٩و.

[٤] باب الخوخة . عندما تكلَّم المقريزي على مسجد باب الخُوخَة الذي أنشأه الوزيرُ المأمون بن البطائحي سنة =

ومَيْمون دَبّه يكنّى بأبي سَعيد ، أَحَدُ خُدَّام العَزيز بالله كان خَصِيًّا [١].

خُوخَةُ أَيْدَغْمُش

هذه الخُوخَة في حُكْم أبْواب القاهِرَة ، يُخْرَج منها إلى ظاهِر القاهِرَة عند غَلْق الأبْواب في اللَّيْل وأوْقات الفِتَن إذا غُلِّقَت الأبْواب ، فينتهي الخارِجُ منها إلى الدَّرْب الأَحْمَر واليانِسِيَّة ، ويَسْلُك من هناك إلى باب زَوِيلَة ، ويُصار إليها من داخِل القاهِرَة إمَّا من سُوق الرُّقَيْق أو من حارَة الرُّوم ومن دَرْب أَرِقْطاي [a]ومن حارَة الباطِلِيَّة في الزُّقاق الطَّويل الضَّيِّق المعروف في زَماننا بحَلْق الجَمَل ويُعْرَف هذا الزُّقاق قَديمًا بحارَة الطَّوارق[a]. وهذه الخُوخَة بجوار حَمَّام أَيْدُغْمُش [٢].

وهو أَيْدَغْمُش النّاصِري الأَميرُ عَلاءُ الدِّين [٣]، أَصْلُه من مَماليك الأمير سَيْف الدَّوْلَة بَلْبان الطَّبّاخِي[b]، ثم صارَ إلى الملك النّاصر محمد بن قَلاوون . فلمَّا قَدِمَ من الكَرَك جَعَلَه أميرا خُور

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط . b) بولاق : الصالحي .

= ٥١٦هـ ، ذكر أنّه كان تجاه باب الخوخة بجوار مدرسة أبي غالب (فيما يلي ٢ : ٤١٢) ، ومسجد باب الخوخة مكانه اليوم المدرسة الزينية التي تعرف اليوم بجامع القاضي يحيى زَيْن الدِّين الواقع عند تقاطع شارعي الأزهر وبورسعيد ومسجل بالآثار برقم ٣٤٤، فيكون موقع باب الخوخة في الزاوية الواقعة تجاه جامع القاضي زَيْن الدين على يمين المتجه إلى ميدان باب الشعرية . (وراجع ، أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ : ١٤٢هـ[١]) . وجاء على وَقْفية الجزء الثالث من كتاب «كنز الدرر وجامع الغُرَر» لابن أَيْبَك الدَّواداري المحفوظ في مكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم ٢٩٣٢ أن الأمير يحيى ابن عبد الرازق الزيني الظاهري وَقَف هذا الجزء على الجامع المعروف به الكائن خارج باب الخوخة بالقرب من سكنه ، وسكنه كما يذكر السخاوي (الضوء اللامع ١٠ : ٢٣٣) كان بالقُرْب من المَدْرَسَة الفَخْرية بَيْن السُّورين المعروفة الآن بجامع البَنَات المطلَّة على شارع بورسعيد ومسجلة بالآثار برقم ١٨٤.

[١] المقريزي : مسودة المواعظ ٩و .

[٢] المقريزي : مسودة الخطط ٩و ، وهنا في هامش نسخة : ص : «هُدِمَت هذه الخُوخَة وصار مكانها زُقاقٌ نافِذٌ إلى حيث يراد» .

وكانت هذه الخُوخَة تقع في مَدْخَل حارَة الرُّوم في جهة شارع الدَّرْب الأحمر وعلى بُعْد نحو ١٧٠ مترًا شرقي باب زَوِيلَة في شارع الدّرب الأحمر . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ : ٢٧١هـ[٣]) .

وحَمَّامُ أَيْدَغْمُش هو بذاته الحَمَّامُ المعروف الآن بحَمَّام الدَّرْب الأحمر على رأس حارة الرُّوم .

[٣] الأمير عَلاء الدِّين أَيْدَغْمُش (بفتح الهمزة وسكون الياء آخر الحروف وضم الدال المهملة وسكون العين المعجمة وبعد الميم شين معجمة) أميرا خور النّاصري ، المتوفى سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م . (الصفدي : أعيان العصر ١ : ٦٥٢- ٦٥٤، الوافي بالوفيات ٩ : ٤٨٨- ٤٨٩؛ المقريزي : المقفى الكبير ٢ : ٣٤٥- ٣٤٧، السلوك : ٢ : ٦٣٧؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ١ : ٤٥٥- ٤٥٧؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٣ : ١٦٥- ١٦٨، النجوم الزاهرة ١٠ : ٩٩- ١٠٠) .

عِوَضًا عن الأمير بَيْبَرْس الحاجِب، ولم يَزَل حتى ماتَ الملكُ النَّاصِر، فقامَ مع قَوْصُون، ووافَقَه على خَلْع الملك المنصور أبي بَكْر ابن الملك النَّاصِر. ثم لمَّا هَرَبَ أَلْطُنْبُغا الفَخْري، اتَّفَقَ الأُمَرَاءُ مع أَيْدُغْمُش على الأمير قَوْصون، فوافَقَهم على مُحارَبَته، وقَبَضَ على قَوْصون وجَماعَته، وجهَّزهم إلى الإسْكَنْدَرية، وجَهَّزَ مَنْ أَمْسَكَ أَلْطُنْبُغا ومَنْ معه، وأرسَلَهم أيضًا ٥ إلى الإسْكَنْدَرية.

وصارَ أَيْدَغْمُش في هذه النَّوْبَة هو المشار إليه في الحَلِّ والعَقْد، فأرْسَلَ ابنه في جَماعَةٍ من الأُمَرَاء والمَشَايخ إلى الكَرَك بسبب إحضار أحمد ابن الملك النَّاصِر محمد. فلمَّا حَضَرَ أحمد من الكَرَك، وتلقَّب بالملك النَّاصِر، واستقرَّ أَمْرُه بمصر، أَخْرَجَ أَيْدَغْمُش نائِبًا بحَلَب. فسارَ إلى عَيْنُ جالوت، وإذا بالفَخْري قد صارَ إليه مُستجيرًا به، فأمَّنه وأنزله في خَيْمَة. فلمَّا أَلْقَى عنه ١٠ سِلاحَه واطمأن، قَبَضَ عليه وجَهَّزَه إلى الملك النَّاصِر أحمد، وتوجَّه إلى حَلَب فأقامَ بها إلى أنِ استقرَّ الملكُ الصَّالِحُ إسماعيل بن محمد في السَّلْطَنَة فنَقَلَه عن نِيابَة حَلَب إلى نِيابَة دِمَشْق، فدَخَلَها في يوم العشرين من صَفَرَ سنة ثلاثٍ وأربعين وسبع مائة، ومازالَ بها إلى يوم الثلاثاء ثالِث جُمادَى الآخِرَة منها. فعادَ من مَطْعَم طيوره، وجَلَسَ بدار السَّعادَة حتى انْقَضَت الخِدْمَةُ، وأكَلَ الطاري وتحَدَّث، ثم دَخَلَ إلى دارِه فإذا جَواريه يَخْتَصِمْن[a]، فضَرَبَ واحِدَةً ١٥ منهن ضَرْبَتَيْن، وشَرَعَ في الضَّرْبَة الثالثة فسَقَطَ مَيْتًا، ودُفِنَ من الغَد في تُرْبَتِه خارِج مَيْدان الحَصَا ظاهِر دِمَشْق.

وكان جَوادًا كَرِيمًا، وله مَكانَةٌ عند الملك النَّاصِر الكبير بحيث أنه أَمَّرَ أَوْلادَه الثَّلاثَة [1]. وكان قد بَعَثَ الملك الصَّالِح بالقَبْض عليه، فبلَغَ القاصِد في قَطْيا مَوْتُه فعاد.

[b)]وكان لأَيْدَغْمُش وَلَدٌ يقالُ له ناصِرُ الدِّين محمد بن أَيْدَغْمُش عاشَ أميرًا إلى خامس عشر ٢٠ من شهر رَبيع الأوَّل سنة ثلاث وتسعين وسبع مائة فمات وهو آخر من بقي من الأمراء النَّاصِرية وقد شاخ، قال مؤلِّفه: رأيته غير مرَّة[b)].

---

a) أعيان العصر مصدر المقريزي: يتخاصمن. b-b) إضافة من نسخة: ص.

---

[1] هم: أمير علي وأمير حاج وأمير أحمد (الصفدي: أعيان العصر ١: ٦٥٤، الوافي بالوفيات ٩: ٤٨٩؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٣٤٦).

خُوخَة الأُزْقي[a] بآخِر حارَة الباطِلِيّة

يُخْرَج منها إلى سُوق الغَنَم وغيره، وهي بجوار دار [b]الأمير عِزّ الدين الأُزْقي[b] [١].

[b] خُوخَة رَسْلان

بحارَة كُتامَة بالقُرْب من حَمّامي كراي ومَدْرَسَة الصّاحِب كريم الدِّين بن غَنّام، يُسْلَك فيها إلى الحارَة الصّالحِيّة والبَرْقِيّة والجامِع الأَزْهَر، وتُعْرَف الآن بدَرب ابن الأَعْسَر[b]. ٥

خُوخَة عُسَيْلَة

هذه الخُوخَة من الخُوَخ القَديمَة الفاطِمية، وهي بحارة الباطِلِيّة مِمّا يلي حارَة الدَّيْلَم، في ظَهْر الزُّقاق المعروف بخَرابَة العجيل، بجوار دار السِّتّ حَدَق [١]، [b]وهي من الخُوَخ القديمة الفاطمية، وتُعْرَف بعُسَيْلَة[b].

خُوخَة الصّالح ١٠

هذه الخُوخَة بجوار حَبْس الدَّيْلَم، قَريبَة من دار الملك الصّالِح طَلائِع بن رُزِّيك [b]بحارة الدَّيْلَم[b] التي هَدَمَها ابن قايماز وعَمَّرَها. كانت تُعْرَف هذه الخُوخَة [b]قديمًا في زَمَن الخُلَفاء الفاطميين[b] بخُوخَة بَجْتكين - وهو الأمير جَمالُ الدَّوْلَة بَجْتكين الظّاهِري - ثم عُرِفَت بخُوخَة الصّالِح طَلائِع بن رُزِّيك [٢]، لأنَّ دارَه كانت هناك، وبها كان سَكَنُه قبل أن يلِيَ وَزارَة الظّافِر. ١٥

خُوخَة المُطَوَّع

هذه الخُوخَة بحارَة كُتامَة، في أوّلها مِمّا يلي الجامِع الأَزْهَر، عند إسْطَبْل الحُسام الصَّفْري[c]،

---

a) بولاق: الأرقي. b-b) إضافة من مسودة الخطط. c) بولاق: الصفدي.

---

[١] المقريزي: مسودة الخطط ١١و. [٢] نفسه ١١و.

عُرِفَت بالمُطَوَّع الشَّيْزَرِي[a] [١].

خُوخَة حُسَيْن

هذه الخُوخَة في الزُّقاق الضَّيِّق المقابِل لمن يخرج من دَرْب الأُسْواني ، ويَسْلُك فيه إلى حِكْر الرَّصاصي بحارَة الدَّيْلَم . ويُعْرَف هذا الزُّقاق بزُقاق المَزَار ، لأنَّ فيه قَبْرًا تَزْعُم العامَّة ومن لا عِلْمَ عنده أنَّه قَبْرُ يحيىٰ بن عَقِب ، وأنَّه كان مُؤَدِّبًا للحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالب ـ عليهم السَّلام ـ وهو كَذِبٌ مختلقٌ وإفْكٌ مُفْتَرى ، كقَوْلِهم في القَبْر الذي بحارَة بَرْجَوان أنَّه قَبْرُ جَعْفَر الصَّادِق ، وفي القَبْر الآخر أنَّه قَبْرُ أبي تُراب النَّخْشَبي ، وفي القَبْر/ الذي على يَسْرَة من خَرَجَ من الباب الجَديد[b] ظاهِر باب[c] زَوِيلَة أنَّه قَبْرُ زَرْع[d] النَّوَى وأنَّه صَحابي ، وغير ذلك من أكاذيبهم التي اتَّخَذَها لهم شَيَّاطِينُهم أنصابًا ليكونوا لهم عِزًّا [٢].

وسيأتي الكلامُ على هذه المَزارات في مَواضِعِها من هذا الكِتاب إن شاءَ الله [٣].

وحُسَيْن هذا هو الأميرُ سَيْفُ الدِّين حُسَين بن أبي الهَيْجاء [e]الكُرْدي المَرْواني حامِل السَّيْف المَنْصور و[e] صِهْر بني رُزِّيك وزَوْج ابنة الصَّالِح بن رُزِّيك ، وكان كُرْدِيًّا قَدَّمَه الصَّالِحُ ابن رُزِّيك بن الصَّالِح لمَّا وَلِيَ الوَزارة ونَوَّه به [٤]. فلمَّا مات وقامَ من بعده رُزِّيك بن الصَّالِح في الوَزارَة ، كان حُسَيْن هذا هو مُدَبِّر أَمْرِه بوَصِيَّة الصَّالِح . واستشار حُسَيْنًا في صَرْف شاوَر عن وِلاية قُوص ، فأشارَ عليه بإبْقائِه ، فأبى ووَلَّى الأمير أبي الرِّفْعَة مكانَه .

وبَلَغَ ذلك شاوَر ، فخَرَج من قُوص إلى طَريق الوَاحات ، فلمَّا سَمِعَ رُزِّيك بمسيره ، رأى في النَّوم مَنامًا عَجيبًا ، فأخبر حُسَيْنًا بأنَّه رأى مَنامًا ؛ فقال : إنَّ بمصر رَجُلًا يُقال له أبو الحَسَن عليّ ابن نَصْر الأَرْتاجي ، وهو حاذِقٌ في التَّعْبير . فأَحْضَرَه وقال : رأيت كأنَّ القَمَرَ قد أحاطَ به حَنَشٌ ، وكأنَّني رَوَّاسٌ في حانُوت . فغالَطَه الأَرْتاجي في تَعْبير الرُّؤْيا ، وظَهَرَ ذلك لحُسَيْن ، فأَمْسَك حتى

---

a) بولاق : الشيرازي. b) بولاق : باب الحديد . c) ساقطة من بولاق . d) بولاق : زارع . e-e) إضافة من مسودة الخطط .

---

[١] المقريزي : مسودة الخطط ٩ظ .

[٢] نفسه ٩ظ .

[٣] فيما يلي ١٥٥-١٥٦ ، ١٥٩- ١٦١.

[٤] النويري : نهاية الأرب ٢٨: ٣٢٨؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ٢٥٤.

خَرَجَ وقال له : ما أعجبني كلامُكَ ، والله لابد أن تَصْدُقني ولا بأس عليك . فقال : يا مَوْلاي ، القَمَرُ عندنا هو الوَزير ، كما أنَّ الشَّمْسَ الخَلِيفَة ، والحَنَشُ المستدير عليه حَنَش مُصَحَّف ، وكونه رَوَّاس اقلبها تجدها شاوَر مُصَحَّفا ، وما وَقَعَ لي غير هذا . فقال حُسَيْن : اكْتُم هذا عن النَّاس .

وأَخَذَ حُسَيْن في الاهْتِمام بأَمْرِه ، ووَطَّأ أنَّه يُريد التَّوَجُّه إلى مَدينَة الرَّسول ﷺ ، وكان قد أَحْسَنَ إلى أَهْلِها ، وحَمَلَ إليها مالًا وقُماشًا وأَوْدَعَه عند من يَثِق به . ٥

هذا وأَمْرُ شاوَر يَقْوَى ويَتزايَد ، ويصل الإرْجافُ به إلى أن قَرُبَ من القاهِرَة ؛ فصاحَ الصَّائِحُ في بني رُزِّيك ـ وكانوا أكثر من ثلاثة آلاف فارِس ـ فأوَّل من نَجا بنفسه حُسَيْن وسار .

فسأل عنه رُزِّيك ، فقالوا : خَرَجَ . فانْقَطَعَ قلبُه لأنَّ حُسَيْنًا كان مذكورًا بالشَّجاعة مشهورًا بها ، وله تَقَدُّم في الدَّوْلَة ومكانَة ومُمارسَة للحُروب وخِبْرَة بها . ولم يَثْبُتْ بعد خُروج حُسَيْن ، بل انهزم إلى ظاهِر إطْفيح . فقَبَضَ عليه ابن المَيِّض[a] مقدَّم العَرَب ، وأحضره إلى شاوَر فحَبَسَه ، وصَدَقَت رُؤْياه . ١٠

ومات حُسَيْن في [b].

خُوخَة الحَلَبِي

هذه الخُوخَة في آخر إسْطَبْل الطَّارِمَة بجَوار حَمَّامي[c] الأمير عَلَم الدِّين سِنْجِر الحَلَبِي [1] ، وفي ظَهْرْ دارِه [2] . ١٥

سِنْجِر الحَلَبِي[3] ـ أحَدُ المماليك الصَّالِحِيَّة ، ترقَّى في الخِدَم إلى أن ولَّاه الملكُ المُظَفَّر سَيْف الدِّين قُطُز نِيابَة دِمَشْق ؛ فلمَّا قُتِلَ قُطُز على عَيْنِ جالوت وقامَ من بعده في السَّلْطَنَة بالدِّيار المصرية الملكُ الظَّاهِرُ بَيْبَرْس ، ثارَ سِنْجِرُ بدِمَشْق في سنة ثمانٍ وخمسين وستّ مائة ، ودعا إلى نفسه ، وتلَقَّب بالملك المُجاهِد . وبقي أشْهُرًا والملكُ الظَّاهِرُ يُكاتِبُ أُمَرَاءَ دِمَشْق إلى أن خامَروا على

a) بولاق : النيض . b) بياض في جميع النسخ . c) بولاق : حمام .

[1] لم يذكر المقريزي حَمَّامي علم الدِّين سِنْجِر الحَلَبي عند ذكره للحمامات .

[2] المقريزي : مسودة الخطط ٩و-ظ .

[3] الأمير الكبير عَلَم الدِّين سِنْجِر الحلبي ، المتوفى سنة ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م . (الصفدي : الوافي بالوفيات ١٥:٤٧٣- ٤٧٤؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٨:٦٣- ٦٤، ٦٧، ١٦٣، ٣٤٤) .

سِنْجِر، وحاصَروه بقَلْعة دِمَشْق أيّامًا. فلمَّا خَشِيَ أن يُقْبَض عليه، فَرَّ من القَلْعَة إلى بَعْلَبَك، فجهَّز إليه الظَّاهِرُ الأميرَ عَلاءَ الدين طَيْبَرْس الوَزيري، وما زال يُحاصِرُه حتى أَخَذَه أسيرًا، وبَعَثَ به إلى الدِّيار المصرية، فاعْتَقَلَه الظَّاهِرُ. وما زالَ في الاعْتِقال من سنة تسع وخمسين إلى سنة تسع وثمانين وستّ مائة[a]، مُدَّةً تنيف على ثلاثين سنةً، مُدَّة أيَّام الملك الظَّاهِر ووَلَدَيْه وأيام الملك المَنْصور قَلاوون. فلمَّا وَلِيَ الملكُ الأَشْرَف خَليلُ بن قَلاوون، أَخْرَجَه من السِّجْن، وخَلَعَ عليه، وجَعَلَه أَحَدَ الأُمَرَاء الأكابِر على عادَتِه. فلم يَزَل أميرًا بمصر إلى أن ماتَ على فِراشِه في سنة اثنتين وتسعين وستّ مائة[a]، وقد جاوَزَ تسعين سنة، وانحنى ظَهْرُه وتَقَوَّس.

خُوخَة الجَوْهَرة

هذه الخُوخَة بآخِر حارَة زَوِيلَة، عُرِفَت اليوم بخُوخَة الوالي لقُرْبِها من دَار الأمير عَلاء الدِّين الكُوراني[1] والِي القاهِرَة، وكان من خَيْر الوُلاة يَحْفَظ كتاب «الحَـاوي» في الفِقْه على مَذْهَب الإمام الشَّافِعِي - رضي الله عنه - وأقامَ في وِلايَة القاهِرَة من محرَّم سنةَ تَسعٍ وأربعين وسبعِ مائة بعدَ أَسَنْدَمُر القَلَنْجَقي[b] والي القاهِرَة إلى [c].

خُوخَة مُصْطَفَى

هذه الخُوخَة بآخِر زُقاق الكَنيسَة من حارَة زَوِيلَة، يُخْرَج منها إلى القَبْو الذي عند حَمَّام طاب الزَّمان، المسلوك منه إلى قَبْو مَنْظَرَة اللُّؤْلُؤة على الخَليج. عُرِفَت بالأمير فارِس المسلمين[d] مُصْطَفَى أَحَدِ أُمَرَاء بني أيُّوب الملوك، وهو أيضًا صاحِب هذا الحَمَّام[2].

---

a) بولاق: سبع مائة. b) بولاق: القليجي. c) بياض في النسخ. d) بولاق: المكين.

---

[1] المقريزي: مسودة الخطط ٨ظ، وتوجد هنا في آياصوفيا حاشية بخطِّ المؤلِّف نَصُّها: «الكورانية طائفة من الأكراد بجبال هَمَذان وشَهْرَزور بينهم الجُنْدُ ورَعِيَّة وكلهم أهل بأس وشِدَّة». هكذا بخط المؤلف. وبعد ذلك «علي بن [بياض] الكوراني الكردي وَلِيَ الغربية وانتقل إليها من ولاية الأشْمونَيْن في جُمادَى الآخرة سنة سبع وثلاثين وست مائة»، فأقام إلى ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين، ونُقل من الأُشْمونَيْن إلى الكَشْف بالوَجْه القِبْلي، ثم صُرِفَ في سنة إحدى وأربعين بأَزْدَمُر الأعمى ونُقِلَ إلى الغربية عِوَضًا عن أَسَنْدَمُر القَلَنْجقي ثم أُضيفَ إليه الكَشْف بالوَجْه البَحْري عِوضًا عن ابن صبح مع ولاية الغربية في ثامن عشرين ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين».

وانظر عن كاشفية الوَجْه البَحْري والوَجْه القِبْلي، القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٢٤- ٢٥.

[2] المقريزي: مسودة الخطط ٨ظ - ٩و.

خُوخَة ابن المأمون

هذه الخُوخَة في حارَة زَوِيلَة، بالدَّرْب الذي بقُرْب حَمَّام عَبَّاس المعروف الآن بحمَّام الكُوَيْك [١]، ويُقَالُ لهذه الخُوخَة اليوم باب حارَة زَوِيلَة، وأصْلُها خُوخَة في دَرْب ابن المأمون البَطَائِحي.

خُوخَة آق سُنقُر كرتيه [a]

هذه الخُوخَة في الزُّقاق الذي بظَهْر المَدْرَسَة الفَخْرِيَّة بآخِر سُوَيْقَة الصَّاحِب [٢]، كان يُسْلَك منها إلى الخَليج من جِوار باب دار [b] الذَّهَب، ومَوْضِعُها بحِذاء بَيْت القاضي أمين الدِّين سَيْف [c] ناظِر الدَّوْلة. ولم تَزَل إلى أن بَنَى المِهْتار عبد الرَّحْمَن البابا دارَه بجوارها في سني بضعٍ وتسعين وسبع مائة، فسَدَّها.

وعُرِفَت هذه الخُوخَة أخيرًا بخُوخَة المَسيري، وهو فَخْرُ الدِّين [d] بن السَّعيد المَسيري [٣].

خُوخَة أمير حُسَيْن

هذه الخُوخَة من جُمْلَة الوَزِيرِيَّة، يُخْرَج منها إلى تِجاه قَنْطَرَة أمير حُسَيْن، فَتَحَهَا الأميرُ شَرَفُ الدِّين/ حُسَيْنُ بن أبي بكر بن إسماعيل بن جَنْدَر بك [e] الرُّومي [٤]، حين بَنَى القَنْطَرَة على الخَليج الكبير، وأنشأ الجامِع بحِكْر جَوْهَر النُّوبي [٥].

---

a) بولاق: كوتيه. b) ساقطة من بولاق. c) زيادة من مسودة الخطط. d) بولاق: قمر الدين. e) بولاق: حيدرة بك.

---

[١] المقريزي: مسودة الخطط ١١و.

[٢] انظر عن المدرسة الفخرية فيما يلي ٢: ٣٦٧.

[٣] المقريزي: مسودة الخطط ١١و.

[٤] الأمير شَرَف الدِّين حسين بن أبي بكر بن جَنْدَر بك المعروف بأمير حسين الرُّومي، المتوفى سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٩م وصاحب الجامع المعروف به (فيما يلي ٢: ٣٢٧). (الصفدي: أعيان العصر ٢: ٢٥٩-٢٦٤، الوافي بالوفيات ١٢: ٣٤٧-٣٥٠؛ المقريزي: المقفى الكبير ٣: ٦٤٩-٦٥١، السلوك ٢: ٣١٣؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ١٣٧-١٣٨؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٥: ١٥٢-١٥٦، النجوم الزاهرة ٩: ٢٧٦).

[٥] فيما يلي ٣٩٧، ٤٩٣، ٢: ٣٠٦.

وجَرَى في فَتْح هذه الخُوخَة[a)][1] أَمْرٌ لا بأس بإيراده، وهو أنَّ الأمير حُسَيْنٌ قَصَدَ أن يَفْتَحَ في السُّورِ خُوخَة لتمُرّ النَّاس من داخِل[b)] القاهِرَة فيها إلى شارِع بَيْنَ السُّورَيْن ليُعَمِّر جامِعَه، فمَنَعَه الأميرُ عَلَمُ الدِّين سِنْجر الخازِن[٢] والي القاهِرَة من ذلك، إلَّا بمُشاوَرَة السُّلْطان الملك النَّاصِر محمد ابن قَلاوون. وكان للأمير حُسَيْنٌ إقْدامٌ على السُّلْطان، وله به مُؤانَسَة؛ فعرَّفه أنَّه أنشأ جامِعًا، وسأله أن يُفْسِح له في فَتْح مكانٍ من السُّور ليصير طَريقًا نافِذًا يمُرّ فيه النَّاسُ من القاهِرَة ويَخْرُجون إليه. فأذِنَ له في ذلك وسَمَحَ به، فنَزَلَ إلى السُّور وخَرَقَ منه قَدْر بابٍ كبير، ودَهَنَ عليه رَنْكَه[٣] بعدما رَكَّبَ هناك بابًا، ومَرَّ النَّاسُ منه.

واتَّفَقَ أنَّه اجتمع بالخازِن والي القاهِرَة، وقال له على سَبيل المُداعَبَة: كم كنت تقول ما أُخَلِّيك تَفْتَح في السُّور بابًا حتى تُشاوِر السُّلْطان. ها أنا قد شاوَرْتُه، وفَتَحْت بابًا على رَغْم أنْفِك. فحَنِق الخازِنُ من هذا القَوْل، وصَعِدَ إلى القَلْعَة، ودَخَلَ على السُّلْطان وقال: يا خَوَنْد، أنت رَسَمْت للأمير شَرَف الدِّين أن يَفْتَح في السُّور بابًا، وهو سُورٌ حَصينٌ على البلد؟ فقال السُّلْطانُ: إنَّما شاوَرَني أن يفتح خُوخَةً لأَجْل حُضُور النَّاس للصَّلاة في جامِعِه. فقال الخازِنُ: يا خَوَنْد، ما فَتَحَ إلَّا بابًا يُعادِل باب زَوِيلَة، وعَمِلَ عليه رَنْكَه، وقَصَدَ يعمل سُلْطانًا على البارد، وما جَرَت عادَةُ أحَدٍ بفَتْح سُور البَلَد.

فأثَّرَ هذا الكلامُ من الخازِن في نَفْس السُّلْطان أَثَرًا قَبيحًا، وغَضِبَ غَضَبًا شَديدًا، وبَعَثَ إلى النَّائِب ـ وقد اشتدَّ حَنَقُه ـ بأن يُسَفِّر حُسَيْنُ بن جَنْدَر[c)] إلى دِمَشْق بحيث لا يبيت في المَدينَة؛ فخَرَجَ من يومِه من البَلَد بسبب ما تقدَّم ذكره.

a) آخر الموجود في مسودة الخطط. b) بولاق: أهل. c) ساقطة من بولاق

[١] المقريزي: مسودة الخطط ١١و.

كانت خُوخَة أمير حسين تقع مكان مَدْخَل شارع الاسْتِئناف الآن في الزاوية البحرية الغربية لمبنى محكمة باب الخَلْق، ويقع تجاهها مكان قَنْطَرَة الأمير حسين وحارةُ الأمير حسين التي بها جامعه الموجود إلى الآن. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٦٣هـ[٢]).

[٢] الأمير عَلَم الدِّين سِنْجِر الخازن الأشْرَفي، المتوفى سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٥م. (الصفدي: أعيان العصر ٢: ٤٧٠-٤٧١؛ المقريزي: السلوك ٢: ٢١٥؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٣٠٥؛ وفيما يلي ٢: ١٣٥).

[٣] عن الرَّنْك جـ. الرُّنوك، انظر فيما يلي ٤٨٨هـ[٢].

ذِكْرُ الرِّحاب

الرَّحْبَةُ ـ بإسْكان الحَـاء وفَتْحِها ـ المَوضِعُ الواسِعُ ، وجَمْعُها رِحاب .

اعْلَم أنَّ الرِّحابَ كثيرًا ما[a] تتغيَّر إمَّا بأن يُبْنَى فيها فتَذْهَب ويَبْقَى اسْمُها ، أو يُبْنَى فيها ويذهب اسْمُها ويُجْهَل ، وربَّما انْهَدَم بُنْيانٌ وصارَ موضِعُه رَحْبَةً أو دارًا أو مَسْجِدًا . والغَرَضُ ذكر ما فيه فائِدَة .

رَحْبَةُ باب العِيد

هذه الرَّحْبَةُ كان أوَّلُها من باب الرِّيح ـ أحَدُ أبْواب القَصْر ، الذي أدْرَكْنا هَدْمَه على يد الأمير جَمال الدِّين الأسْتادَّار في سنة إحدى عشرة وثمان مائة ـ [b]وفي مَكانِه الآن القَيْسارِيَّة المستجدَّة برَحْبَة باب العيد[b] وإلى خِزانَة البُنُود .

وكانت رَحْبَةً عَظيمَةً في الطُّول والعَرْض ، غايَة في الاتِّساع ، يقف فيها العَساكِرُ ، فارِسُها وراجِلُها في أيَّام مَواكِب الأعْياد ينتظرون رُكوب الخَليفَة وخُروجه من باب العِيد ، ويَذْهَبُون في خِدْمَته لصَلاة العيد بالمُصَلَّى خارِج باب النَّصْر ، ثم يَعُودون إلى أن يَدْخُل من الباب المذكور إلى القَصْر . وقد تَقَدَّم ذكر ذلك[1] .

ولم تَزَلْ هذه الرَّحْبَةُ خالِيَةً من البِنَاء إلى ما بعد السِتّ مائة من الهجرة ، فاخْتَطَّ فيها النَّاسُ وعَمَّروا فيها الدُّور والمساجِد وغيرها ، فصارَت خِطَّةً كبيرةً من أجَلِّ أخْطاط القاهِرَة ، وبقي اسْمُ رَحْبَة باب العيد باقِيًا عليها لا تُعْرَف إلَّا به[2] .

رَحْبَةُ قَصْر الشَّوْك

هذه الرَّحْبَةُ كانت قِبْليّ القَصْر الكَبير الشَّرْقي ، في غايَة الاتِّساع كبيرة المِقْدار . ومَوْضِعُها من حيث دار الأمير الحاج آل مَلِك بجوار المَشْهَد الحُسَيْني والمَدْرَسَة المَـلِكية إلى باب قَصْر الشَّوْك

---

a) بولاق : كثيرة لا . b-b) إضافة من مسودة الخطط .

---

[1] فيما تقدم ٢ : ٤٧٨ – ٤٩٤ .

[2] المقريزي : مسودة الخطط ١٢و–ظ . وكانت تَقَع في المنطقة التي تُحَدّ الآن من الغرب بشارع حَبْس الرَّحْبَة وشارع بيت المال ، ومن الجنوب بشارع قصر الشوق ، ومن الشرق =

عند خِزانَة البُنُود . وبينها وبين رَحْبَة باب العيد خِزانَةُ البُنُود والسَّقِيفَة[a] [١] .

وكان السَّالِكُ من باب الدَّيْلَم - الذي هو اليوم المَشْهَد الحُسَيْني - إلى خِزانَة البُنُود يَمُرُّ في هذه الرَّحْبَة ، ويَصير سُورُ القصر على يَسارِه ، والمُنَاخ ودار أفْتَكِين على يَمينه ، ولا يَتَّصِل بالقَصْر بُنيانٌ ألبتَّة .

وما زالَت هذه الرَّحْبَةُ باقيةً إلى أن خَرِبَ القَصْرُ بفَناء أهْله ، فاختَطَّ النَّاسُ فيها شيئًا بعد شيءٍ ، ٥ حتى لم يَبْقَ منها سوى قِطْعَةٍ صغيرةٍ تُعْرَف برَحْبَة الأيْدَمُري [٢] .

رَحْبَةُ الجامع الأزْهَر

هذه الرَّحْبَةُ كانت أمامَ الجامِع الأَزْهَر ، وكانت كبيرةً جدًا تبتدئ من خُطِّ إسْطَبْل الطَّارِمَة إلى المَوْضِع الذي فيه مَقْعَد الأكْفانِيين اليوم[b] ، ومن باب الجامِع البَحْريّ إلى حيث الخَرَّاطِين ، ليس بين هذه الرَّحْبَة ورَحْبَة قصر الشَّوْك سوى إسْطَبْل الطَّارِمَة . فكان الخُلَفاءُ حين يُصَلُّون بالنَّاس ١٠ بالجَامِع الأَزْهَر ، تترجَّلُ العَساكِرُ كلُّها ، وتقف في هذه الرَّحْبَة حتى يَدْخُل الخَليفَةُ إلى الجامِع . وسيأتي ذكر ذلك إن شاءَ الله عند ذِكْر الجَوامِع [٣] .

ولم تَزَل هذه الرَّحْبَةُ باقية إلى أثناء الدَّوْلَة الأَيُّوبية ، فشَرَعَ النَّاسُ في العِمارَة بها إلى أن بَقِيَ منها ، قُدَّام باب الجامِع البَحْري ، هذا القَدْرُ اليَسير [٤] .

رَحْبَةُ الحِلِّي

١٥ هذه الرَّحْبَةُ الآن من خُطِّ الجَامِع الأَزْهَر ، ومن بقيَّة رَحْبَة الجَامِع التي تَقَدَّم ذكرُها . عُرِفَت بالقاضي نَجْم الدِّين أبي العَبَّاس أحمد بن شَمْس الدِّين عليّ بن نَصْر الله بن مُظَفَّر الحِلِّي التَّاجِر العَدْل[c] لأنَّها تِجاه داره ، وتوفي[d] [٥] .

---

a) بولاق : السقيفة . b) النص في المسودة : وإلى أن تعطف إلى جهة المكان المعروف الآن بدَرْب الصُّدْر والأكْفانيين . c) بولاق : العادل . d) زيادة من المسودة وبعدها بياض .

= حارة قصر الشوق ، ومن الشمال حارة الزاوية وحارة المبيضة . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٥٠هـ [٢]) .

[١] فيما تقدم ٢ : ٣٤٥ - ٣٤٨ ، ٣٩٥ - ٤٠١ .

[٢] المقريزي : مسودة الخطط ١٢و .

[٣] فيما يلي ٢ : ٢٨٠ - ٢٨٢ .

[٤] المقريزي : مسودة الخطط ١٢و .

[٥] نفسه ١٢ظ .

رَحبة البانياسي

هذه الرَّحْبَةُ [a]من جملة[a] دَرْب الأَتْراك [a]بخُطِّ الجامِع الأَزْهَر[a]، تِجاه دار الأمير طَيْدَمُر الجَمْدار النَّاصِرِيّ، وعُرِفَت بالأمير نَجْم الدِّين محمود بن مُوسَىٰ البانْيَاسي لأنَّ دارَه كانت فيها، ومَسْجِدَه المُعَلَّق هناك. ومات بعد سنة خمس مائة [١].

٥

رَحبة الأيدمري

هذه الرَّحْبَة [b]فيما بين المَشْهَد الحُسَيني/ وبين خِزانَة البُنُود، وهي مشهورة هناك، نُسِبَت إلى الأمير بَدْر الدِّين بَيْلَبك الأَيْدَمُري [٢] لأنَّ دارَه عندها وهي باقية إلى اليوم، وكان من أُمَرَاء الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس وعَلَت منزلته في أيَّام الملك المنصور قَلاوون وتقدَّم عنده وتوفي في سنة سبع وثمانين وستّ مائة ودُفِن بتُرْبته من القَرافَة بجوار قَبْر الشَّافِعِي - رضي الله عنه - وهي مشهورة هناك. وأظُنُّه مملوك الأمير عِزّ الدِّين أَيْدَمُر الحِلِّي نائِب السَّلْطَنَة في أيَّام الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس [٣]. وهذه الرَّحْبَةُ من جملة الرَّحْبَة الكبيرة التي كانت قِبْلي القصر الكبير المعروفة بقَصْر الشَّوْك[b] [٤].

١٠

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط. b-b) هذه الفقرة من مسودة الخطط عوضًا عن ما جاء في سائر النسخ وبولاق، حيث يبدو النص فيها مبتورًا غير واضح.

---

[١] المقريزي: مسودة الخطط ١٣و.

[٢] الأمير بَدْر الدِّين بيلبك الأيْدَمُري أحد الأمراء الصَّالحية، ثم تَنَقَّل في الخِدَم حتى صار من أعيان الأمراء في الدولة الظاهرية والمنصورية، توفي سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨م. (المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٥٨٢-٥٨٣، السلوك ١: ٤٤٧، ٦٦٦؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٣: ٥١٥).

[٣] الأميرُ عِزُّ الدين أيْدَمُر الحِلِّي الصَّالحي النَّجْمي، من أكابر أمراء الدولة الظاهرية بيبرس ونائب الغَيْبَة، توفي بقلعة دمشق سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٩م ودفن بتربته بجوار مسجد الأمير جمال الدِّين موسىٰ بن يَغْمور. (الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠: ٥؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٣٥٢، السلوك ١: ٥٧٤؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٣: ١٧٠-١٧١، النجوم الزاهرة ٧: ٢٢٧).

[٤] المقريزي: مسودة الخطط ١٣و.

ويَدُلُّ على موضعها الآن المنطقة الواقعة غرب المشهد الحسيني ويخترقها شارع أم الغلام وحارة الجعادِيَّة بقسم الجمالية.

رَحْبَةُ البَدْري

هذه الرَّحْبَةُ يُدْخَل إليها من رَحْبَة الأَيْدَمُري ومن باب قَصْر الشَّوْك ومن جِهَة المارِسْتان العَتيق، وهي من جملة القَصْر الكبير. عُرِفَت بالأمير بَيْدَمُر البَدْري صاحِب المَدْرَسَة البَدْرِيَّة [a]، فإنَّ دارَه هناك [1].

رَحْبَةُ ضَرُّوط

[b]بأوَّل الزُّقاق الذي في صَفِّ دار الحاج آل مَلِك على يَمْنَة السَّالِك من دار آل مَلِك إلى رَحْبَة الأَيْدَمُري، وهي من جملة رَحْبَة قَصْر الشَّوْك، عُرِفَت بالأمير ضَرُّوط الحاجِب، فإنَّه كان يَسْكُن هناك[b] [2].

رَحْبَةُ آقْبُغا

هذه الرَّحْبَةُ هي الآن سُوق الخِيَمِيين، وهي من جملة رَحْبَة الجامِع الأَزْهَر التي مَرَّ ذِكْرُها. عُرِفَت بالأمير آقْبُغا عبد الواحِد أُسْتادّار الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون وصاحِب المَدْرَسَة الآقْبُغاوية [c]بجوار الجامع الأَزْهَر[c] [3].

رَحْبَةُ مُقْبِل

هذه الرَّحْبَةُ كانت تُعْرَف بخُطِّ بَيْنَ المسجدَيْن، لأنَّ هناك مَسْجِدَيْن أَحَدُهُما يُقابِل الآخر، ويُسْلَك من هذه الرَّحْبَة إلى سُوَيْقَة الباطِلِيَّة وإلى رِواق تُريده [d]. وعُرِفَت أخيرًا بالأمير زَيْن الدِّين مُقْبِل الرُّومي [4] أمير جانْدار الملك الظَّاهِر بَرْقوق [5].

---

a) مسودة الخطط: البديرية. b-b) النص المثبت من مسودة الخطط. c-c) إضافة من مسودة الخطط. d) بولاق: زقاق: تريده.

---

[1] المقريزي: مسودة الخطط ١٤ظ.

[2] نفسه ١٤ظ-١٥و.

[3] انظر عنه فيما يلي ٢: ٣٨٤- ٣٨٥.

[4] الأمير زَيْنُ الدِّين مُقْبِل الرُّومي الظاهري بَرْقوق، أحد مُقَدَّمي الألوف في دولة ابن أستاذه الملك النَّاصر فرج وزوج أخته خَوَنْد سارة، قتل بأمر الأمير نَوْروز الحافظي بعد كسرة النَّاصر فرج في سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م. (المقريزي: السلوك ٤: ٢٠٧؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ١١٩، الدليل الشافي ٢: ٧٣٩- ٧٤٠؛ الصيرفي: نزهة النفوس ٢: ٣٢١).

[5] المقريزي: مسودة الخطط ١٤و.

رَحْبَةُ أَلْدَمُر

هذه الرَّحْبَةُ في الدَّرْب أوَّل سُوق الفَرَّائين مِمَّا يلي الأكْفانِيين، (aوفي هذا الدَّرْب باب سِرّ حَمَّام الخَرَّاطين(a . عُرِفَت بالأمير سَيْف الدِّين أَلْدَمُر النَّاصِرِيّ أمير جانْدار(b المقتول بمَكَّة [١].

رَحْبَةُ قُرُدِيَة

هذه الرَّحْبَةُ بخُطِّ الأكْفانيين تِجاه دار الأمير قُرُدية الجَمَدار النَّاصِري . وكانت هذه الدَّارُ تُعْرَف قَديمًا بالأمير سِنْجر الشُّكاري، وله أيضًا مَسْجِدٌ مُعَلَّقٌ يُدْخَلُ من تحته إلى الرَّحْبَة المذكورة . وهناك اليوم قاعَة الذَّهب التي فيها الذَّهب الشَّريط لعمل المُزَرْكَش [٢].

رَحْبَةُ المَنْصُوري

(cقُبالَة باب دار الأمير قُطْلوبُغا المَنْصُوري [٣] بجوار حَمَّام طُغْلُق في دَرْب المَنصوري المقدَّم ذكره(c [٤].

رَحْبَةُ المَشْهَد

(cهذه الرَّحْبَةُ تِجاه المَشْهَد الحُسَيْني وبجوارها دار الأمير جُرْجي المعروفة الآن بدار الأمير بَهادُر، ويُنْزَل اليوم إلى هذه الرَّحْبَة بدَرَج . كانت رَحْبَةً فيما بين باب الدَّيْلم ـ أحَد أبواب القَصْر ـ الذي هو الآن المَشْهَد الحُسَيْني وبين إسْطَبْل الطَّارِمَة(c [٥].

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط . b) إضافة من مسودة الخطط . c-c) النص المثبت من مسودة الخطط .

---

[١] المقريزي : مسودة الخطط ١٤ظ ؛ وعن الأمير سَيْف الدِّين أَلْدَمُر النَّاصري انظر فيما تقدم ١١٣.

[٢] نفسه ١٤ظ ، وانظر كذلك عن قاعة الذهب المخصصة لعمل الزركش ، ابن إياس: بدائع الزهور ٣: ١١٠: ١٦.

[٣] انظر عنه فيما تقدم ١١٨.

[٤] المقريزي : مسودة الخطط ١٧و .

[٥] نفسه ١٧و .

رَحْبَةُ أبي البَقَاء

هذه الرَّحْبَةُ من جملة رَحْبَة باب العيد تجاه باب قاعَة ابن كُتَيْلَة بخُطّ السَّقِيفَة[a]، عُرِفَت بقاضِي القُضَاة بَهاء الدِّين أبي البَقَاء محمد بن عبد البَرّ بن يحيى بن عليّ بن تَمَّام السُّبْكي الشَّافِعِي[١]، ومولده في سنة سبعٍ وسبع مائة، أحَدُ العُلَماء الأكابِر. تقلَّد قَضاءَ القُضَاة بديار مصر والشَّام، ومات في [ثالث عشر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وسبع مائة[b]][٢]. ٥

رَحْبَةُ الحِجَازِيَّة[c]

هذه الرَّحْبَةُ تجاه المَدْرَسَة الحِجَازِيَّة، وهي من جملة رَحْبَة باب العيد، [d]عُرِفَت برَحْبَة الحجارَة ثم[d] عُرِفَت برَحْبَة الحِجَازِيَّة[٣].

رَحْبَةُ قَصْر بَشْتاك

١٠ هذه الرَّحْبَةُ تجاه قَصْر بَشْتاك [d]وقُبالَة المَدْرَسَة الكاملية[d]، وهي من جملة القَضَاء الذي بين القَصْرَيْن[٤].

رَحْبَةُ سَلَّار

تجاه حَمَّام البَيْسَري ودار الأمير سَلار الصَّالِحِي[e] نائِب السَّلْطَنَة[٥]، هي أيضًا من

---

a) بولاق: السقيفة. b) بياض في سائر النسخ والمثبت من المصادر. c) ورد العنوان في المُسَوَّدَة وبعض النُّسَخ، رحبة الحِجارَة. d-d) إضافة من مسودة الخطط. e) إضافة من مسودة الخطط.

---

[١] قاضي القضاة بهاءُ الدِّين أبو البقاء محمد بن عبد البَرّ ابن يحيى بن علي بن تَمَّام السُّبْكي الشَّافعي، المتوفى سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م. (الصفدي: الوافي بالوفيات ٣: ٢١٠–٢١٤؛ المقريزي: السلوك ٣: ٢٥٩؛ ابن حجر: رفع الإصر ٣٦٠–٣٦٤، الدرر الكامنة ٣: ٤٩٠؛ محمد عبد الصادق حسين: البيت السبكي ٧١–٧٢).

[٢] المقريزي: مسودة الخطط ١٧ظ.

[٣] نفسه ١٧ظ.

[٤] نفسه ١٣ظ.

[٥] الأميرُ سَيْفُ الدِّين سَلار التَّتري الصَّالِحِي المنصوري نائب السَّلْطَنَة بالدِّيار المصرية، المتوفى سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م. كان أوَّلًا من مماليك الصَّالح عَلاء الدِّين علي بن المنصور قَلاوون، فلمَّا مات الصَّالح صارَ من خاصَّة المنصور وهو من التَّتر الأويراتية تُنْسَب إليه أشياء في اللُّبْس والمناديل. (الصفدي: الوافي بالوفيات ١٦: ٥٥–٥٩؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه =

جملة الفَضَاء الذي كان بَيْنَ القَصْرَيْن [١].

رَحْبَةُ قُطْلُوبُغا [a] الفَخْري

هذه الرَّحْبَةُ بخُطِّ الكافُوري تجاه باب دار الأمير سَيْف الدِّين قُطْلُوبُغا الطَّويل الفَخْري السِّلاح دار الأَشْرَفي [٢]، أَحَد أُمَرَاء (bالطَّبْلَخاناه في أيّامb) الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون [٣].

رَحْبَةُ الأكُز
بخط الكافوري

هذه الرَّحْبَةُ تجاه دار الأمير سَيْف الدِّين الأَكُز النَّاصِري الوَزير [٤]، وتُعْرَف أيضًا برَحْبَة الأَبُوبَكْري لأنَّها تجاهَ دار الأمير سَيْف الدِّين الأَبُوبَكْري السِّلاح دار النَّاصِري. وهي شارعة في الطَّـريق، يُسْلَك إليها من دار الأمير تَنْكِز، ويُتَوَصَّل منها إلى دار الأمير مَسْعود وبَقِيَّة الكافُوري (bوإلى باب القَنْطَرَة وبين السُّورَيْنb) [٥].

رَحْبَةُ جَعْفَر

هذه الرَّحْبَةُ بحارَة بَرْجوان، ويُشْرِف عليها شُبَّاكُ مَسْجِد تَزْعُم العَوَامُّ أَنَّ فيه قَبْرَ جَعْفَر

---

a) إضافة من مسودة الخطط. b-b) إضافة من مسودة الخطط.

= ١: ٢١٣، ٢٢١، ٢٩٠؛ المقريزي: السلوك ٢: ٩٧؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٢٧٦- ٢٧٧؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٦- ٢٠، المنهل الصافي ٦: ٥- ١٣؛ ومحمد عبد الغني الأشقر: سلار الأمير التتري المسلم، القاهرة - مكتبة مدبولي ٢٠٠٠.

[١] المقريزي: مسودة الخطط ١٣ظ.

[٢] الأميرُ سَيْفُ الدِّين قُطْلوبُغا الشَّاقي النَّاصري المعروف بالفَخْري، المتوفى مقتولاً سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م. (الصفدي: أعيان العصر ٤: ١١٢- ١٢٠، الوافي بالوفيات ٢٤: ٢٥٥- ٢٥٩؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٣: ٣٣٥؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٠٣، الدليل الشافي ٢: ٥٤٦- ٥٤٧.

[٣] المقريزي: مسودة الخطط ١٣و.

[٤] الأميرُ سَيْفُ الدِّين الأَكُز النَّاصري (بضم الكاف وإشباعها لتنشئ واوًا، ثم زاي) شادّ الدَّواوين، المتوفى سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٨م. (الصفدي: أعيان العصر ١: ٥٨٦- ٥٨٨، الوافي بالوفيات ٩: ٣٤٨- ٣٤٩؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤٣١- ٤٣٢؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٣: ٣٥- ٣٦).

[٥] المقريزي: مسودة الخطط ١٣ظ.

الصَّادِق . وهو كَذِبٌ مُخْتَلَق وإفْكٌ مُفْتَرى ، ما اخْتَلَفَ أَحَدٌ من أَهْل العِلْم بالحَديث والآثار والتَّاريخ والسِّيَرِ أنَّ جَعْفَر بن محمد الصَّادِق ـ عليه السَّلام ـ ماتَ قبل بِناء القاهِرَة بدَهْرٍ ، وذلك أنَّه ماتَ سنة ثمانٍ وأربعين ومائة ، والقاهِرَةُ بلا خِلافٍ اخْتُطَّت في سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائة بعد مَوْت جَعْفَر الصَّادِق بنحو مائتي سنة وعشر سنين .

٥ والذي أَظُنُّه أنَّ هذا مَوْضِع قَبْر جَعْفَر بن أمير الجُيُوش بَدْر الجَمالي ، المكنَّى بأبي محمد الملقَّب بالمُظَفَّر [a]المنسوب إليه دار المُظَفَّر بحارَة بَرْجَوان التي موضِع بابها الآن دار قاضي القُضَاة شمس الدِّين محمد بن الطَّرابُلُسي الحَنَفي ، وهي على يَمْنَة من دَخَلَ من باب حارَة بَرْجَوان ، فإذا سَلَكَ تلك الطَّريق يُريد قَبْر جَعْفَر المذكور صارَت على يسرته[a] . ولمَّا وَلِيَ أخوه الأَفْضَل بن أمير الجُيُوش الوَزارَة من بعد أبيه ، جَعَلَ أخاه المُظَفَّر جَعْفرًا يلي «العَلامَة»[1] عنه . ونُعِت بـ«الأَجَلّ المُظَفَّر ، سَيْف

١٠ الإمام ، جَلال الإسْلام ، شَرَفَ الأَنام ، ناصِر الدِّين ، خَليل أمير المؤمنين أبي محمد جَعْفَر بن أمير الجُيُوش بَدْر الجَمالي» . وتوفي ليلة الخميس لسبع خَلَوْن من جُمادَى الأولى سنة أربع عشرة وخمس مائة مَقْتولًا[2] يُقال قَتَلَه خادِمَهُ جَوْهَر بمُباطَنَة من القائِد أبي عبد الله محمد بن فاتِك البَطائحِي . ويُقالُ بل كان يَخْرُج في اللَّيْل يَشْرَب ، فجاءَ لَيْلَةً وهو سَكْرانٌ ، فمازَحَه دَرَّاب حارَة بَرْجَوان وترامَيا بالحِجارَة ، فوَقَعَت ضَرْبَةٌ في جَنْبِه آلَت به إلى المَوْت[3] .

١٥ والذي نُقِلَ أنَّه دُفِنَ بتُرْبَة أبيه أمير الجُيُوش[4] . فإمَّا أن يكون دُفِنَ هنا أوَّلًا ثم نُقِلَ ، أو لم يُدْفَن هنا ولكنَّه من جملة ما يُنْسَب إليه . فإنَّه بجِوار دار المُظَفَّر التي من جُمْلَتها دار قاضي القُضَاة شَمْس الدِّين محمد الطَّرابُلْسي وما دار بها ، كما ستقف عليه إن شاءَ الله عند ذِكْر دار المُظَفَّر[5] .

(a-a) إضافة من مسودة الخطط .

---

[1] عن العلامة ، انظر فيما تقدم ٢: ٣٣٨.

[2] عند ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٦٤، والمقريزي : مسودة المواعظ ١٣٣، أنّه توفي في جمادى الأولى (الآخرة) سنة ٥١٥هـ(؟)

[3] المقريزي : مسودة الخطط ١٥و، المقفى الكبير ٣: ١٥- ١٦، وقارن مسودة المواعظ ١٣٣- ١٣٤، وابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٦٤- ٦٥.

[4] انظر فيما تقدم ٦٣، وفيما يلي ٤٦٢.

[5] فيما يلي ١٧٣.

رَحْبَةُ الأفْيَال

هذه/ الرَّحْبَةُ من جملة حارَة بَرْجَوان ، يُتَوَصَّل إليها من رأس الحارَة ، ويُسْلَك في حَدْرَة الزَّاهِدي إليها . وأَدْرَكْتُها ساحَةً كبيرةً والمَشْيَخَةُ (aمِمَّن عاصَرْناa) تُسَمِّيها رَحْبَة الأَفْيال ، وكذا يُوجَد في مَكاتيب الدُّور القَديمَة . ويُقالُ إنَّ الفِيلَة في أيَّام الخُلَفَاء كانت تُربَط بهذه الرَّحْبَة أمامَ دار الضِّيافَة . ٥

ولم تَزَل خَرِبَةً إلى ما بعد سنة سبعين وسبع مائة ، فعُمِّر بها دُوَيْرات ، ووُجِدَ فيها بِئْرٌ متَّسِعَة ذات وجهين تُشْبه أن تكونَ البِئْر التي كانت سُوَّاس الفِيلَة يَسْتَقون منها ، ثم طُمَّت هذه البِئْر بالتُّراب [١] .

رَحْبَةُ مَازان b)

هذه الرَّحْبَة (aتِجاه حمَّام الرُّوميa) بحارَة بَرْجَوان ، تِجاه باب دار الأمير b) مازانc) التي خَرِبَت ، ١٠ وفيها المَسْجِدُ المعروف بمَسْجِد بني الكُوَيْك [٢] .

رَحْبَةُ آقوش

هذه الرَّحْبَةُ بحارَة بَرْجَوان تِجاه قاعَة الأمير جَمال الدِّين آقُوش الرُّومي السِّلاح دار النَّاصِري ، التي حَلَّ وَقْفَهَا بَهاءُ الدِّين محمد بن البُرْجي ، ثم بيعت من بعده . وماتَ آقُوش سنة خمسٍ وسبع مائة [٣] . ١٥

رَحْبَةُ بَزلَغي

هذه الرَّحْبَةُ عند باب سِرِّ المَدْرَسَة القَراسُنْقُرية تِجاه دار الأمير سَيْف الدِّين بَزلَغي الصَّغير ، صِهْر الملك المُظَفَّر رُكْن الدِّين بَيْبَرْس الجاشَنْكير . وهذه الرَّحْبَةُ من جملة خُطِّ دار الوَزارَة [٤] .

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط b) ساقطة من بولاق .. c) بولاق : مازن .

---

[١] المقريزي : مسودة الخطط ١٥و .
[٢] نفسه ١٥ظ .
[٣] نفسه ١٥ظ ، وسماها : رحبة الرُّومي .
[٤] نفسه ١٥ظ .

رَحْبَةُ لُؤلُؤ

هذه الرَّحْبَةُ بحارَة الدَّيْلَم في الدَّرْب الذي بخُطِّ طَواحين[a] ابن الزَّلابي. وهي تِجاه دار الأمير بَدْر الدِّين لُؤلُؤ الزَّرْدَكاش النَّاصِري. وهو من جملة من فَرَّ مع الأمير قَراسُنْقر وآقُوش الأَفْرَم إلى مَلِك التَّتَر بُوسَعيد[1].

رَحْبَةُ كوكاي

هذه الرَّحْبَةُ بحارَة زَويلَة، عُرِفَت بالأمير سَيْف الدِّين كوكاي السِّلاح دار النَّاصِري[2]، وفيها المَدْرَسَةُ القُطْبِيَّة الجَديدَة، [b]ويُسْلَك إليها من الخُرُنْشف وغيره. وتوفي كوكاي [b].

رَحْبَةُ ابن أبي ذِكْري

هذه الرَّحْبَةُ بحارَة زَويلَة، وهي التي فيها البِئْرُ الشابلة بالقُرْب من المَدْرَسَة العاشُورية. عُرِفَت بالأمير [c] ابن أبي زِكْري، وهي من الرِّحاب القَديمَة التي كانت أيَّام الخُلَفاء، وبها الآن سُوقُ حارَة اليَهود القَرَّائين[d][4].

رَحْبَةُ بِيْبَرْس

هذه الرَّحْبَةُ يُتَوَصَّل إليها من سُوَيْقَة المَسْعودي ومن جِهَة[e] حَمَّام ابن عَبُّود، عُرِفَت بالملك المُظَفَّر رُكْن الدِّين بَيْبَرس الجاشْنَكير، فإنَّ بصَدْرِها دارَه التي كانت سَكَنَه قبل أن يتقلَّد سَلْطَنَة ديار مصر، وقد حُلَّ وَقْفُها وبيعَت[5].

---

a) ساقطة من بولاق. b-b) إضافة من مسودة الخطط. c) بياض في آياصوفيا. d) في مسودة الخطط: وهي التي بوسط سويقة القرائين. e) إضافة من مسودة الخطط.

---

[1] المقريزي: مسودة الخطط ١٥ظ.

[2] الأميرُ سَيْفُ الدِّين كوكاي السِّلاح دار النَّاصري، أحد أعيان الأمراء الألوف، توفي في جمادى الأولى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٩م. (الصفدي: أعيان العصر ٤: ١٦٢-١٦٣؛ الوافي بالوفيات ٢٤: ٣٧٦؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٣: ٣٥٦؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٤١).

[3] المقريزي: مسودة الخطط ١٥ظ.

[4] نفسه ١٥ظ-١٦و.

[5] نفسه ١٦و.

رَحْبَةُ بَيْبَرْس الحاجِب

هذه الرَّحْبَةُ بخُطِّ حارَة العَدَوية عندَ باب سِرِّ الصَّاغَةِ. عُرِفَت بالأمير بَيْبَرْس الحاجِب النَّاصِري[a] لأنَّ دارَه بها. وبَيْبَرْس هذا هو الذي يُنْسَب إليه غيط الحاجِب بجوار قَنْطَرَة الحاجِب [b]ظاهر أرض الطَّبَّالَة[b].

٥ وبهذه الرَّحْبَة الآن فُنْدُقُ الأمير الطَّواشِيّ، زِمام الدُّور السُّلْطَانية [b]في أيَّام الظَّاهِر بَرْقُوق[b]، زَيْن الدِّين مُقْبل، [b]اتَّخَذَه النَّاسُ حاصِلًا للأمْوال، وهو فُنْدُقٌ حصينٌ[b]؛ وبه صارَ الآن هذا الخُطّ يُعْرَف بخُطِّ فُنْدُق الزِّمام بعد ما كُنَّا نعرفه بخُطّ رَحْبَة بَيْبَرْس الحاجِب[١].

رَحْبَةُ المُوَفَّق

تُعْرف هذه الرَّحْبَة بحارَة زَوِيلَة، تِجاه دار الصَّاحِب الوَزير مُوَفَّق الدِّين أبي البَقاء هِبَة الله بن ١٠ إبراهيم المعروف بالمُوَفَّق الكبير، وهي بالقُرْب من خُوخَة المُوَفَّق المتوصَّل منها إلى الكافوري من حارة زَوِيلَة.

رَحْبَةُ أبي تُراب

هذه الرَّحْبَةُ فيما بين الخُرُنْشُف وحارَة بَرْجَوان يُشْبه أن تكون من جملة المَيْدان [c]، أدركتها رَحْبَةً بها كيمان تُراب. وسَبَبُ نِسْبتِها إلى أبي تُراب: أنَّ هناك مَسْجِدًا من مَساجِدِ الخُلَفَاء ١٥ الفاطِميين تَزْعُم العامَّة ومن لا خَلاقَ له، أنَّ به قَبْرَ أبي تُراب النَّخْشَبي[٢]. وهذا القَوْلُ من أَبْطَلِ الباطِل وأَقْبَح شيء في الكَذِب. فإنَّ أبا تُراب النَّخْشَبي هو أبو تُراب عَسْكَر بن حُصَيْن النَّخْشَبيّ صاحب حاتِمًا الأصَمّ وغيره، وهو من مَشايخ الرِّسالَة، وماتَ بالبادية نَهَشَتْه السِّباع سنة خمسٍ وأربعين ومائتين قبل بِنَاء القاهِرَة بنحو مائةٍ وثلاث سنين[٣].

---

a) إضافة من مسودة الخطط. b-b) إضافة من مسودة الخطط. c) نص المسودة: «وهذه الرحبة بآخر حارة برجوان يُسْلَك منها إلى الخرنشف».

---

[١] المقريزي: مسودة الخطط ١٦و.

[٢] انظر ترجمته عند أبي نعيم: حلية الأولياء ١٠: ٤٥–٥١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٢: ٣١٥–٣١٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١١: ٥٤٥–٥٤٦؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٢: ٣٠٦–٣٤٤.

[٣] المقريزي: مسودة الخطط ١٦ظ.

وقد أخبرني القاضي الرَّئيس تاجُ الدِّين أبو الفِداء إسماعيل بن أحمد بن عبد الوهَّاب بن الخَطْبا المَخْزومي[1] خال أُمِّي[a]– رحمه الله– قبل أن يَخْتَلِط، قال: أخبرني مؤدِّبي الذي قرأتُ عليه القُرآن، أنَّ هذا المكان كان كُومًا، وأن شَخْصًا حَفَرَ فيه ليبني عليه دارًا فَظَهرت له شَرَّافات، فما زالَ يتبع الحفْر حتى ظَهَرَ هذا المَسْجد، فقال النَّاسُ: هذا أبو تُراب من حينئذٍ.

ويؤيِّد ما قال أنِّي أدْرَكْتُ هذا المَسْجِدَ مَحْفوفًا بالكيمان من جِهاتِه، وهو نازِلٌ في الأرض يُنْزَل إليه بنحو عشر دَرَج. وما بَرِحَ كذلك إلى ما بعد سنة ثمانين وسبعمائة، فنُقِلَتِ الكيمانُ التُّراب التي كانت هناك حَوْلَه، وعُمِّرَ مكانَها ما هنالك من دُور، وعُمِلَ عليها دَرْبٌ من بعد سنة تسعين وسبعمائة، وزالَتِ الرَّحْبَةُ والمَسْجِدُ على حالِه. وأنا قرأت على بابه في رُخامَةٍ قد نُقِشَ عليها بالقَلَم الكوفي عِدَّةُ أَسْطُر تتضمَّن أنَّ هذا قَبْرُ أبي تُراب حَيْدَرَة بن المُسْتَنْصِر بالله أحَدِ الخُلَفاء الفاطِميين. وتاريخ ذلك– فيما أظن– بعد الأربعمائة.

ثم لمَّا كان في سنة ثلاث عشر وثمان مائة، سَوَّلَت نَفْسُ بعض السُّفَهاء من العامَّة له أن يتقرَّب– بزَعْمِه– إلى الله تعالى بهَدْم هذا المَسْجِد ويُعيدَ بناءَه. فجَبَى من النَّاس مالاً شَحَذَه منهم، وهَدَمَ المَسْجِد– وكان بِناءً حَسَنًا– ورَدَمَه بالتُّراب نحو سبعة أذرع حتى ساوَى الأرض التي تَسْلُك المارَّة منها وبَناهُ هذا البِناء الموجود الآن. وبَلَغَني أنَّ الرُّخامَةالتي كانت على الباب نَصَبوها على شكل قَبْرٍ أحْدَثوه في هذا المَسْجد.

وبالله أنَّ الفِتْنَةَ بهذا المكان، وبالمكان الآخر من حارَة بَرْجَوان الذي يُعْرَف بجَعْفَر الصَّادِق لعَظيمَة[2]. فإنَّهما/ صارا كالأنصاب التي كان تَتَّخذها مُشْرِكو العَرَب يلجأ إليهما سُفَهاء العامَّة والنِّساء في أوْقات الشَّدائِد، ويُنْزِلون بهذين الموضِعين كُرَبهم وشَدائِدَهم التي لا يتنزَّلها العَبْد إلَّا بالله رَبِّه، ويسألون في هذين الموضعين ما لا يَقْدِر عليه إلَّا الله تعالى وَحْدَه من وَفاءِ الدَّيْن من غير

---

a) بولاق: خال أبي.

---

[1] القاضي الرئيس تاج الدِّين أبو الفِدا إسماعيل بن أحمد ابن عبد الوهَّاب بن الخَطْبا المخزومي الحنفي خال أم المقريزي. قال السخاوي: ذكره في «عُقُوده» مُطَوَّلاً، وقال إنَّه ولد بالقاهرة في حدود بضع وعشرين وسبع مائة، ومات في ربيع الآخر سنة ثلاث وثمان مائة بعد أن اختلط وأتلف ماله وساءت حاله. (الضوء اللامع ٢: ٢٩٠ ولا توجد ترجمة خال أم المقريزي فيما نُشِرَ من دُرَر العقود الفريدة، وانظر فيما يلي ٢٧١، ٣٢٦، ٤٢٣).

[2] فيما تقدم ١٥٥–١٥٦.

جهة معيَّنة وطَلَب الوَلَد ونَحْو ذلك، ويحملون النُّذور من الزَّيْت وغيره إليهما ظَنًّا أنَّ ذلك يُنْجيهم من المكارِه ويَجْلِب إليهم المنافِع. ولعَمْري إن هي إلَّا كَرَّة خاسِرَة، ولله الحَمْد على السَّلامَة.

رَحْبَةُ أرقطاي

هذه الرَّحْبَةُ بحارَة الرُّوم، قُدَّام دار الأمير الحاج أرِقْطاي نائِب السَّلْطَنَة بالدِّيار المصرية [a]في الدَّرْب المعروف بدَرْب أرِقْطاي [a] [1]. ٥

رَحْبَةُ ابن الضُّنَيف

هذه الرَّحْبَةُ بحارَة الدَّيْلَم، وهي من الرِّحاب القَديمَة، عُرِفَت بالقاضي أمين المُلْك إسْماعيل بنِ أمين الدَّوْلَة الحَسَن بن عليّ بن نصْر بن الضُّنَيْف، وفي هذه الرَّحْبَة الدَّارُ المعروفة بأوْلاد الأمير طَيْبُغا[b] الطَّويل بجوار حِكْر الرَّصاصي. وتُعْرَف هذه الرَّحْبَة بحَمْدان البَزَّاز، وبابن المَخْزومي. ١٠

رَحْبَةُ وَزِير بَغْداد

هذه الرَّحْبَةُ بدَرْب مُلُوخِيَّا. عُرِفَت بالأمير الوَزير نَجْم الدِّين محمود بن عليّ بن شِرْوين[c] المعروف بوَزير بَغْداد [2]، قَدِمَ إلى مصر يوم الجمعة ثامن صَفَر سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مائة، هو وحُسام الدِّين حَسَن بن محمد بن محمد الغَوْري الحَنَفي قادمين[d] من العِراق بعد قَتْل مُوسىٰ ملك التَّتَر. فأنْعَمَ عليه السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون بإقْطاع إمْرَة تَقْدِمَة ألف مكان الأمير طَازْبُغا[e] عند وَفاته في ليلة السبت ثامِن عشرين جُمادَى الأولى من السنة المذكورة [3]. ١٥

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط. b) بولاق: طنبغا. c) بولاق: شردين. d) بولاق: فارين. e) السلوك: طايربغا.

---

[1] فيما تقدم ١٢١.

[2] وزير بغداد، نجم الدِّين محمود بن علي بن شِرْوين المتوفى مقتولًا بغزَّة في جمادى الآخرة سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٨م. (ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ٩٩؛ المقريزي: السلوك ٢: ٧٥٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٥: ٩٩؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٨٣). وإلى وزير بغداد ينسب باب الوزير (فيما تقدم ٢: ٢٦٦هـ[1]).

[3] المقريزي: السلوك ٢: ٤٣٧-٤٣٨؛ أبو المحاسن:=

فلمَّا ماتَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون ، وقامَ في المُلْك من بَعْده ابنه الملك المَنْصور أبو بكر ابن محمد ، قَلَّدَ الوَزارَة بالدِّيار المصرية للأمير نَجْم الدِّين محمود وَزير بَغْداد في يوم الاثنين ثالث عشر المحرَّم سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة ، وبَنَى له دارَ الوَزارَة بقَلْعَة الجَبَل - وأدْرَكْناها دار النِّيابَة - وعُمِلَ له فيها شُبَّاكٌ يجلس فيه . وكان هذا قد أَبْطَلَه الملكُ النَّاصِرُ محمد ، وخَرِبَت قاعَةُ الصَّاحِب [1] . فلم يَزَل إلى أن صُرِفَ في أيَّام الملك الصَّالِح إسماعيل بن محمد بن قَلاوون عن الوَزارَة بالأمير مَلِكْتَمُر السَّرْجُواني في مستهلِّ رَجَب سنة ثلاث وأربعين وسبع مائة ، ثم أُعيد في آخر ذي الحجَّة بعد تَمَنُّعٍ منه ، واشْتَرَطَ أن يكون جَمالُ الكُفاة ناظِر الخاصّ معه صِفَة مُشير ، فأُجيب إلى ذلك .

فلمَّا قُبِضَ على جَمال الكُفاة ، صُرِفَ وَزيرُ بغداد ، ووَلِيَ بعده الوَزارَة الأميرُ سَيْفُ الدِّين أَيْتَمُش النَّاصِريّ في يوم الأربعاء ثاني عشرين رَبيع الآخر سنة خمس وأربعين ، بحُكْم اسْتِعْفَائِه منها . فباشَرَها أَيْتَمُش قليلًا ، وسأل أن يُعْفَى من المباشَرَة ، فأُعْفِيَ وذلك لقِلَّة المُتَحصَّل وكَثْرَة المصروف في الإنْعَام على الجَواري والخُدَّام وحَواشيهم . وكانت الكُلَفُ في كلِّ سنة ثلاثين ألف ألف دينار ، والمتحصَّلُ خمسة عشر ألف ألف بحَقِّ[a] النِّصْف . ومرتَّب السُّكَّر في شهر رَمَضان كان ألف قِنْطار ، فبَلَغَ ثلاثة آلاف قِنْطار .

رَحَبَةُ الجَامِع الحَاكِمِي

هذه الرَّحْبَةُ من غير قاهِرَة المُعِزّ التي وَضَعَها القائِدُ جَوْهَر ، وكانت من جملة الفَضَاء الذي كان بين باب النَّصْر والمُصَلَّى ، فلمَّا زاد أميرُ الجُيُوش بَدْرٌ الجَمالي في مِقْدار السُّور ، صارَت من داخِل باب النَّصْر الآن .

وكانت كبيرةً فيما بين الحُجَر والجامِع الحاكِمي ، وفيما بين باب النَّصْر القَديم وباب النَّصْر الموجود الآن ، ثم بُنِيَ فيها المَدْرَسَة القاصِدِيَّة التي هي تِجاه الجامِع وما في صَفِّها إلى حَمَّام

---

a) بولاق : نحو .

= النجوم الزاهرة ١٠ : ١٨٣.

[1] فيما يلي ٦٩٥ ، ٧٢٤.

الجاوْلي [1]. وبَنَى فيها الشَّيْخُ قُطْبُ الدِّين الهِرْماس- (a)إمام الجامع الحاكمي-(a) دارًا مُلاصِقَةً لجِدار الجامِع، ثم هُدِمَت كما سيأتي خَبَرُها إن شاءَ الله عند ذِكْر الدُّور [2].

وفي مَوْضِعِها الآن الرَّبْعُ والحَوانيت سِفْلَه، والقاعَة الجاري ذلك في أَمْلاك ابن الحاجِب، وأدركت إنشاءَها فيما بعد سنة ثمانين (b). وهذه الرَّحْبَةُ تُؤْخَذ أُجْرَتُها لجِهَة وَقْف الجامِع [3].

رَحْبَةُ كَتْبُغا

٥

هذه الرَّحْبَةُ من جملة إسْطَبْل الجِمّيزَة، وهي الآن من خُطّ الصَّيارِف، يُسْلَكُ إليها من الجَمَلُون الكبير بسُوق الشَّرابِشِيين ومن خُطّ طواحِين المِلْحيين وغيره (c). عُرِفَت بالملك العادِل زَيْن الدِّين كَتْبُغا، فإنَّها تجاه دارِه التي كان يسكُنُها وهو أمير قَبْل أن يستقرّ في السَّلْطَنَة، وسَكَنَها بنوه من بعده فعُرِفَت به، ثم حُلَّ وَقْفُها في زَمَننا وبيعَت [4].

رَحْبَةُ خَوَنْد

١٠

هذه الرَّحْبَةُ بآخر حارَة زَوِيلَة، فيما بينها وبين سُوَيْقَة المَسْعُودي، يُتَوَصَّل إليها من دَرْب الصَّقالِبَة ومن سُوَيْقَة المَسْعُودي، وهي من الرِّحاب القَديمَة. كانت تُعْرَف في أيّام الخُلَفَاء برَحْبَة ياقُوت، وهو الأمير ناصِر الدَّوْلَة ياقُوت والي قُوص، أَحَدُ أَجِلّاء الأُمَراء.

ولمّا قامَ طَلائِعُ بن زُرِّيك بالوَزارَة في سنة تسع وأربعين وخمس مائة، هَمَّ ناصِرُ الدَّوْلَة ياقُوت بالقِيام عليه، فبَلَغَ طَلائِعَ الملقَّب بالصَّالِح بن زُرِّيك ذلك، فقَبَضَ عليه وعلى أَوْلادِه واعْتَقَلَهم في يوم الثلاثاء تاسِع عشرين ذي الحجَّة سنة اثنتين وخمسين وخمس مائة. فلم يَزَل في الاعْتِقال إلى

١٥

a-a) إضافة من مسودة الخطط. b) بولاق: ثلاثين. c) بعد ذلك في مسودة الخطط: هي أيام دار الست خوند طغاي المعروفة بأم أنوك جهة الملك الناصر محمد بن قلاوون.

[1] المقريزي: مسودة الخطط ١٧ظ.

[2] فيما يلي ٢٥٢.

[3] هنا على هامش نُسْخَة ص: «عَمَّر الملك الأشْرَف قايتْباي ـ سُلْطان زَمانِنا هذا ـ حوانيتَ ووَكالَةً يَعْلوها ربع مستطيل من حَدّ باب الجامع القبلي وإلى الزُّقاق الذي به بَيْت رِضْوان المقري عمارةً حَسَنَةً متقنة». أقول: ما زالت هذه الوكالة قائمةً داخِل باب النَّصْر ومسجلة بالآثار برقم ٩ وتم تشييدها في سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م.

[4] المقريزي: مسودة الخطط ١٧ظ.

أن ماتَ فيه يوم السَّبْت سابع عَشَر رَجَب سنة ثلاثٍ وخمسين، فأخرج الصَّالِحُ أوْلادَه من الاعْتِقال، وأمَّرَهم وأحْسَنَ إليهم [١].

ثم عُرِفَت هذه الرَّحْبَةُ من بعده بوَلَده الأمير رَبيع الإسْلام محمد بن ياقُوت، ثم عُرِفَت في الدَّوْلَة/ الأيُّوبية برَحْبَة ابن مُنْقِذ، وهو الأميرُ سَيْف الدَّوْلَة مُبارَك بن كامِل بن مُنْقِذ [a]، ثم عُرِفَت برَحْبَة الفَلَك المسيري، وهو الوَزير فَلَك الدِّين عبد الرَّحْمَن المسيري وَزير الملك العادِل أبي بكر بن الكامِل بن العادل بن أبي بكر بن أيُّوب [b].

ثم عُرِفَت الآن برَحْبَة خَوَنْد، وهي السِّتّ الجَليلَة أَرْدُوتْكِين ابنة نوغية السِّلاح دار [٢]، زَوْج الملك الأشْرف خَليل بن قَلاوون، وامرأة أخيه من بعده الملك النَّاصِر محمد، وهي صاحِبة التُّرْبَة خارِج باب القَرافة [c]عند جامِع الضَّرَّاب المعروفة بتُرْبَة السِّت[c] وكانت خَيِّرَةً [c]لها بِرٌّ وصَدَقاتٌ وصِلاتٌ وطَلَّقَها المَلِكُ النَّاصِرُ[c]، وماتَت أيِّمًا في سنة أربع وعشرين وسبع مائة [٣].

رَحْبَة قَراسُنْقُر

هذه الرَّحْبَةُ برَأْس حارَة بَهَاء الدِّين تِجاه دار الأمير قَراسُنْقُر [٤]، وبها الآن حَوْضٌ تَشْرَبُ منه الدَّوابُّ [٥].

---

a) بياض بالأصل المنقول عنه نحو سطر ونصف. b) بولاق: الملك العادل بن أيوب. c-c) إضافة من مسودة الخطط.

---

[١] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٢٣١.

[٢] أردوتكين أو أَرْدُوكين أو أرْدُكين (هكذا ورد رسم اسمها في المصادر) ابنة نوغية (نوكية ـ نوكاي) بن قَطْغان، مغولية الأصل تزوَّجها السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون (وهي أخت زوجة أخيه الملك الصالح علي) إلى أن قُتِلَ؛ ثم تزوَّجها أخوه الملك النَّاصِر محمد سنة ٧٠٠هـ فولدت له ولدًا ذكرًا مات وهو صغير سنة ٧١٠هـ، ثم طلَّقها النَّاصِر محمد سنة ٧١٧هـ وأُنْزِلَت من القلعة إلى القاهرة ورتَّب لها ما يكفيها إلى أن ماتت في المحرم سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م، ودفنت بتربتها خارج باب القرافة (ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٣٧٠؛ المقريزي: السلوك ١: ٧١٧، ٩١٧، ٩٥٢؛ ٢: ١٧٧ وفيما يلي ٢٠٥، ٣٩٨).

[٣] المقريزي: مسودة الخطط ١٨و-ظ.

[٤] فيما يلي ١٧١؛ ٢: ٣٨٨-٣٩٠.

[٥] المقريزي: مسودة الخطط ١٨ظ.

رَحْبَةُ بَيْغَرا بدَرْب مُلوخيَا

عُرِفَت بالأمير سَيْف الدِّين بَيْغَرا[١] لأنَّها تِجاه دارِه .

رَحْبَةُ الفَخْري بدَرْب مُلوخيا

عُرِفَت بالأمير مَنْكَلي بُغَا الفَخْري[٢] صاحِب التُّرْبَة بظاهِر باب النَّصْر ، لأنَّها تِجاه داره[٣].

رَحْبَةُ سِنْجِر

هذه الرَّحْبَةُ بحارَة الصَّالحِيَّة في آخر دَرْب المنصوري ، عُرِفَت بالأمير سِنْجِر الجَمَقْدار عَلَم الدِّين النَّاصِريّ لأنَّها تِجاه دَاره[٤]. ثم عُرِفَت برَحْبَة ابن طُرْغاي وهو الأميرُ ناصِر الدِّين محمد ابن الأمير سَيْف الدِّين طُرْغاى الجاشَنْكير[٥]، نائِب طَرابُلُس[٦].

رَحْبَةُ ابن عَلْكان

هذه الرَّحْبَةُ بالجَوْذَريَّة في الدَّرْب المجاوِر للمَدْرَسَة الشَّريفيَّة ، عُرِفَت بالأمير شُجَاع الدِّين

---

[١] الأمير سَيْفُ الدِّين بَيْغَرا النَّاصري ، المتوفى سنة ٧٥٤هـ/١٣٥٣م . (الصفدي : أعيان العصر ٢: ١٠٠؛ الوافي بالوفيات ١٠: ٣٦٤؛ المقريزي : المقفى الكبير ٢: ٥٨١، السلوك ٢: ٩٠٥؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢: ٤٤٨؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ٢٩٤).

[٢] الأمير سَيْف الدِّين مَنْكَلي بُغا الفخري النَّاصري ، المتوفى سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م . (الصفدي : أعيان العصر ٥: ٤٥٣-٤٥٤؛ المقريزي : السلوك ٢: ٨٨٦ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٥: ١٣٦ ، أبو المحاسن : الدليل الشافي ٢: ٧٤٥).

[٣] المقريزي : مسودة الخطط ١٣ظ .

[٤] الأمير عَلَم الدِّين سِنْجِر الجَمَقْدار ، أحد مُقَدَّمي الألوف أُمَراء المئين ، وكان من جملة المشايخ أُمَراء المَشُورَة الذين يجلسون بحضرة السُّلْطان ، توفي سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م . (الصفدي : أعيان العصر ٢: ٤٦٥؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢: ٢٧٠).
والجَمَقْدار ، (ويقال أيضًا بَجْمَقْدار أو بَشْمَقْدار) لفظٌ يُطْلَق على من يقوم بحمل نَعْل السُّلْطان أو الأمير عند خلعه للصلاة . (القلقشندي : صبح الأعشى ٥: ٤٥٩؛ حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ٣٠٤-٣٠٥).

[٥] الأمير سَيْفُ الدِّين طُرْغاي الجاشَنْكير النَّاصري ، المتوفى سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٤م . (الصفدي : أعيان العصر ٢: ٥٧٨- ٥٧٩، الوافي بالوفيات ١٦: ٤٢٥- ٤٢٦؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ٣: ٥٦؛ الشجاعي : سيرة الملك الناصر محمد بن قلاوون ٤١، ٢٦٥؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢: ٣١٧؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٦: ٣٧٩، النجوم الزاهرة ١٠: ١٠٧) . وطُرْغاي اسم طَيْرٍ باللغة التركية .

[٦] المقريزي : مسودة الخطط ١٤و .

عُثْمان بن عَلْكان الكُرْدي زَوْج ابنة الأمير يازْكوج الأسَدي، وبابنه منها الأمير أبو عبد الله سَيْف الدِّين محمد بن عُثْمان، وكان خَيِّرًا اسْتُشْهِد على عَزَّة بيد الفِرِنْج في غُرَّة شهر رَبيع الأوَّل سنة سبع وثلاثين وستّ مائة، وكانت دارُه ودارُ أبيه بهذه الرَّحْبَة[١].

ثم عُرِفَت بعد ذلك بِرَحْبَة الأمير عَلَم الدِّين سِنْجِر الصَّيْرَفي الصَّالِحي[٢].

رَحْبَةُ أَزْدَمُر بالجَوْدَرِيَّة

هذه الرَّحْبَةُ بالدَّرْبِ المذكور أعلاه، عُرِفَت بالأمير عِزّ الدِّين أَزْدَمُر الأَعْمَى الكاشِف[٣] [a]والي الوُلاة بالوَجْه البَحْري[a] لأنّها كانت أمام داره[٤].

رَحْبَةُ الأخْنائي[b]

هذه الرَّحْبَةُ فيما بين دار الدِّيباج والوَزِيرية بالقُرْب من خُوخَة أمير حُسَيْن، عُرِفَت بقاضِي القُضَاة بُرْهان الدِّين إبراهيم بن قاضي القُضاة عَلَم الدِّين محمد بن أبي بَكْر بن عيسَىٰ بن بَدْران الأخْنائي[b] المالِكي[٥] لأنّها تِجاه دارِه. وقد عُمِّرَ عليها دَرْبٌ في أعْوام بضع وتسعين وسبع مائة[٦].

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط. b) بولاق: الإخناي.

---

[١] المقريزي: مسودة الخطط ١٤و.

[٢] الأمير عَلَم الدِّين سِنْجِر الصَّالحي الدَّوَادار، المتوفى سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م. (أبو المحاسن: المنهل الصافي ٦: ٧٣).

[٣] الأمير عِزّ الدِّين أزْدَمُر الأعمى الكاشف، مملوك الأمير ألْماس، عمي سنة ٧٤٢هـ/١٣٤٢م وتوفي سنة ٧٥٤هـ/١٣٥٣م. (المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٣٦-٣٧؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٣٧٨؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٢٤-٢٢٨).

[٤] المقريزي: مسودة الخطط ١٤و.

[٥] القاضي بُرْهان الدِّين إبراهيم بن محمد الأخْنائي المالكي، ولي القضاء في صفر سنة ٧٦٧هـ/١٣٦١م، واستمر إلى أن توفي في الثامن من رجب سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٦م. (ابن حجر: رفع الإصر ٣٤-٣٥، الدرر الكامنة ١: ٦٠-٦١).

[٦] المقريزي: مسودة الخطط ١٤ظ، وسماها في المسودة: رحبة المالكي.

رَحْبَةُ باب اللُّوق

رحابُ باب اللُّوق خَمْسُ رحاب يُطْلَق عليها كلّها الآن رَحْبةُ باب اللُّوق ، وبها تجتمع أصْحَابُ الحِلَق وأرْبابُ الملاعيب[a][1] والحرَاف ، كالمشعبذين والمُخَايلين والحُواة والمُثاقِفين[b] والمُصارِعين[c] وغير ذلك ، فيُحشَر هنالك من الخَلائِق للفُرْجة ولعَمَل الفَسَاد ما لا يَنْحَصِر كثرةً .

وكان قبل ذلك ، في حُدود ما قبل الثمانين وسبع مائة من سِنِي الهجرة[d]، إنَّما تجتمع النَّاسُ[e] لذلك في الطَّـريق الشَّارِع المسلوك من جامِع الطَّبَّاخ بالخُطّ المذكور إلى قَنْطَرَة قَدادار [f][2] .

رَحْبَةُ التِّبْن

هذه الرَّحْبَةُ قَرِيبَةٌ من رَحْبَة باب اللُّوق ، في بَحْري مُنْشَاة الجُوَّانية ، شارِعَة في الطَّريق العُظْمَى المسلوك فيها من رَحْبَة باب اللُّوق إلى قَنْطَرَة الدِّكَّة ، ويَتَوصَّل إليها السَّالِكُ من عِدَّة جِهات .

وكانت هذه الرَّحْبَةُ قَدِيمًا تقف فيها الجِمالُ بأحْمَال التِّبْن لتُبَاع هناك ، ثم اخْتُطَّت وعُمِّرَت ، وصارَت بها سُوَيْقَة كبيرة عامِرة بأصْناف المأكولات . والخُطُّ إنَّما يُعْرَف برَحْبَة التِّبْن ، [g]وأدْرَكنا هذا الخُطّ في غاية العِمارَة[g] وقد خَرِبَ [g]أكثره في المِحَن الكائنة من[g] سنة ستٍّ وثمان مائة[3] .

---

a) بولاق : الملاعب . b) بولاق : المتأقفين . c) إضافة من مسودة الخطط . d) العبارة في مسودة الخطط : وكان قبل زمننا هذا بنحو ثلاثين سنة في حدود الثمانين وسبع مائة وما قبلها . e) مسودة الخطط : الخلق . f) هنا في هامش آياصوفيا : بياض اثنا عشر سطرًا . g-g) إضافة من مسودة الخطط .

---

[1] عن الملاعيب وأنواعها ، انظر دراسة نبيل محمد عبد العزيز: الملاعيب في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٢.

[2] المقريزي : مسودة الخطط ١٨ظ .

[3] نفسه ١٩و .

رَحْبَةُ النّاصِرِيّة

هذه الرَّحْبَةُ كانت فيما بين المَيْدان السُّلْطاني والبِرْكَة النّاصِرِيّة أيّام كانت تلك الخِطَّة عامِرَة. وكان يَتَّفِقُ في ليالي أيّام رُكوب السُّلْطان إلى المَيْدان في كلِّ سنةٍ من الاجتماع والأُنْس ما سَتَقِف على بعض وَصْفِه عند ذِكْر المتنزَّهات إن شاءَ الله فيما يلي. وقد خَرِبَت الأماكِنُ التي كانت ٥ هناك، وجُهِلَت هذه الرَّحْبَةُ إلّا عند القَليل من النّاس [١].

رَحْبَةُ أَرْغُون أَزْكَه

والعامَّةُ تقول رَحْبَة أَزْكي بياء. وهي رَحْبَةٌ كبيرةٌ [a]أمام دار الأمير أَرْغُون أزكه[a] بالقُرْب من البِرْكَة النّاصِرِيّة [a]بجوار جامع الإسْماعيلي شارعةً على طَريق من سَلَكَ من قَناطِر السِّباع ومَيْدان المهارىٰ إلى المَيْدان الكبير، وكان خُطًّا عامِرًا به بسُوَيْقَة كبيرة وقد خَرِب فيما خَرِب بعد ستٍّ ١٠ وثمان مائة[a]. وهذه الرَّحْبَةُ وما حَوْلَها من جملة بُسْتان الزُّهْرِي الآتي ذكره إن شاءَ الله في الأَحْكار [٢]، وعُرِفَت بالأمير أَرْغون أزْكه [٣].

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط.

---

[١] المقريزي: مسودة الخطط ١٩و؛ وفيما يلي ٥٤٩، ٦٣٥.

[٢] فيما يلي ٣٧٨-٣٨١.

[٣] المقريزي: مسودة الخطط ١٩و-ظ.

ذِكْـرُ الـدُّور

قال ابنُ سِيدَه : الدَّارُ المَحَلُّ يَجْمَعِ البِناءَ ، والعَرْصَةَ أُنْثَى [قال ابنُ جِنِّي][a] : هي من دارَ يَدُورُ لكثرة حَرَكات النَّاس فيها ، والجَمْعُ أَدْوُرٌ وأَدْؤُرٌ ، ودِيارٌ ودِيارَةٌ ودِيارَةٌ ودِيارات ودِيرانٌ ودُورٌ ودُوراتٌ ؛ والدَّارَةُ لغةٌ في الدَّار ، والدَّارُ البَلَد [١].

٥ والبَيْتُ من الشَّعَر ما زادَ على طريقةٍ واحِدةٍ ، وهو مُذَكَّرٌ يقعُ على الصَّغير والكبير ، وقد يُقال للمَبْنى من غير الأبْنِيَة التي هي الأَخْبِيَة بَيْتٌ . وجَمْعُ البَيْتِ أبْياتٌ وأَبابِيتٌ وبُيوتٌ وبُيوتاتٌ [٢]. والبَيْتُ أَخَصُّ من الدَّار ، فكلُّ دارٍ بَيْتٌ ولا ينعكس.

ولم تكنِ العَرَبُ تَعْرِفُ البَيْتَ إلَّا الخِباء . ثم لمَّا سَكَنُوا القُرَى والأَمْصَار وبنوا بالمَدَر واللَّبِن ، سَمَّوا مَنازِلَهم التي سَكَنُوها دُورًا وبُيوتًا .

١٠ وكانت الفُرْسُ لا تُبيحُ شَرِيفَ البُنْيان ، كما لا تُبيحُ شَرِيفَ الأَسْمَاء ، إلَّا لأَهْل البُيوتات ، كصَنيعهم في النَّواويس والحَمَّامات والقِباب الخُضْر والشُّرَف على حيطان الدَّار ، وكالعَقْد على الدِّهْليز[b] [٣].

---

a) زيادة من ابن سيدة . b) هنا في هامش آياصوفيا : بياض نحو خمسة عشر سطرًا .

---

[١] ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ١٢١ - ١٢٢ .

[٢] نفسه ١٠ : ٢٠٩ ، ٢١٠ .

[٣] عن دُور مصر أو بُيوت القاهرة وقُصُورها وتَخْطيطها وهَنْدَسَتها في العصر الإسلامي ، راجع الدِّراسات الآتية : Gabriel, A., *Les fouilles d'al-Foustat et les origines de la maison arabe en Egypte*, Paris 1921; Pauty, Ed., *Les Palais et les Maisons d'époque musulmane au Caire*, MIFAO Le Caire 1932؛ عبَّاس حلمي : تَطَوُّر المسكن المصري الإسلامي من الفتح العربي إلى الفتح العثماني ، رسالة دكتوراه بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة ١٩٦٨؛ Lézine, A., «Les salles nobles des Palais mamlouks», *An. Isl.* XI (1972), pp. 1-22; Revault, J. & Maury, B., *Palais et Maisons du Caire du XIV^e - XVIII^e siècles*, I-IV, IFAO - Le Caire 1975-82; Revault, J., «L'architecture domestique du Caire à l'époque mamelouke (XIII^e - XVI^e siècles)», dans *Palais et Maisons du Caire* I. Époque mamelouke CNRS-Paris 1982, pp. 19-142; Ibrahim, L. ʿA., «Residential Architecture in Mamluk Cairo», *Muqarnas* II (1984), pp. 47-59; Shams al-Dîn, H. A., *Maqrîzî and Khitat. A Verisication of the Section on Dârs*, Ph. D. Thesis AUC 2001.

دَارُ الأَحْمَدي

هذه الدَّارُ من جملة حارَة بَهَاء الدِّين، وبها مُشْتَرَفٌ عالٍ فوق بَدَنَةٍ من بَدَنات سُور القاهِرَة، يُنْظَرُ منه أرض الطَّبَّالَة/ وخارج باب الفُتُوح، وهي إحدى الدُّور الشهيرة، عُرِفَت بالأمير بِيْبَرْس الأَحْمَدي[١].

٥ **بِيْبَرْس الأَحْمَدي** ـ رُكْنُ الدِّين أمير جانْدار[٢]: تنقَّل في الخِدَم أيَّام الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون إلى أن صارَ أمير جانْدار أحد المُقَدَّمين. فلمَّا ماتَ الملكُ النَّاصِرُ، قوي عَزْمُ قَوْصُون على إقامَة الملك المَنْصور أبي بكر بعد أبيه وخالَف بَشْتاك. فلمَّا نُسِب المَنْصور إلى اللَّعِب، حَضَر إلى بابِ القصر بقَلْعَة الجَبَل وقال: إيش[a] هذا اللَّعِب[٣]!

فلمَّا وَلِيَ النَّاصِرُ أحمد أخرجه لنيابَة صَفَد، فَأقامَ بها مُدَّةً. ثم أَحَسَّ من النَّاصِر أحمد بسُوءٍ، ١٠ فخَرَجَ من صَفَد بعسكره إلى دِمَشْق وليس بها نائِب، فهَمَّ الأُمَراءُ بإمْساكِه، ثم أخَّروا ذلك وأرْسَلوا إليه الإقامَة، فقَدِمَ البَرِيدُ من الغَد بإمْساكِه. فكَتَبَ الأُمَراءُ من دِمَشْق إلى السُّلْطان يَشْفَعون فيه، فعادَ الجَوابُ بأنَّه لابد من القَبْض عليه ونَهْب مالِه وقَطْع رأسِه وإرْسالِه، فأَبَوْا من ذلك، وخَلَعُوا الطَّاعَة، وشَقُّوا عليه[b] جَميعًا فلم يكن بأَسْرَع من وُرُود الخَبَر من مصر بخَلْعِ النَّاصِر أحمد، وإقامَة الصَّالِح إسماعيل في المُلْك بَدَلَه، والأَحْمَديُّ مُقيمٌ بقَصْر تَنْكِز من دِمَشْق. ١٥ فوَرَدَ عليه مَرْسُومٌ بنيابَة طرابُلُس فتوجَّه إليها وأقامَ بها نحو الشهرين، ثم طُلِبَ إلى مصر فسارَ إليها، وأُخْرِج لمحاصَرَة أحمد بالكَرَك، فحَصَرَه مدَّةً ولم يَنَل منه شيئًا، ثم عادَ إلى القاهِرَة، فأقامَ بها حتى ماتَ في يوم الثلاثاء ثالِث عشر المحرَّم سنة ستٍّ وأربعين وسبع مائة وله من العُمْر نحو الثمانين سنة.

---

a) بولاق: أي شيء. b) بولاق: وشقوا العصا جميعًا.

---

[١] هنا على هامش نسخة ص: «خَرِبَت الآن».

[٢] الأميرُ رُكْنُ الدِّين بِيْبَرْس الأَحْمَدي، المتوفى سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م. (الصفدي: أعيان العصر ٢: ٨١- ٨٣، الوافي بالوفيات ١٠: ٣٥٣- ٣٥٤؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٥٥٥- ٥٥٧، السلوك ٢: ٦٩٨؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣٥- ٣٦؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٣: ٤٧٩- ٤٨١، النجوم الزاهرة ١٠: ١٤٣).

[٣] انظر فيما تقدم ١٠٠.

وكان أحَدَ الأبْطال المَوْصوفين بقُوَّة النَّفْس، وشِدَّة العَزْم، ومَحَبَّة الفُقَراء، وإيثار الصَّالحين، وله مماليك قد عُرِفوا بالشَّجاعَة والنَّجْدَة، وكان ممَّن يُقْتَدى برأيه، وتَتَّبع آثارُه لمعرفته بالأيَّام والوَقائِع. وما بَرِحت ذُرِّيتُه بهذه الدَّار إلى الآن، وأظنُّها موقوفةً عليهم.

دارُ قَراسُنْقُر

هذه الدَّارُ برأس حارَة بَهاء الدِّين، أنشأها الأميرُ شَمْسُ الدِّين قَراسُنْقُر[1] وبها كان سَكَنُه، وهي إحدى الدُّور الجليلَة، ووُجِدَ بها في سنة اثنتي عشرة وسبع مائة لمَّا أُحيطَ بها اثنان وثلاثون ألف ألف دينار، ومائة ألف وخمسون ألف درهم فِضَّة، وسُروج مُذَهَّبَة وغير ذلك. فحُمِلَ الجَميعُ إلى بَيْت المال.

ولم تَزَل جاريةً في أوْقافِ المَدْرَسَةِ القَراسُنْقُرية إلى أن اغْتَصَبَها الأميرُ جَمالُ الدِّين يُوسُف الأُسْتادَّار فيما اغْتَصَبَ من الأوْقاف، وجَعَلَها وَقْفًا على مَدْرَسَتِه التي أنشأها برَحْبَة باب العيد. فلمَّا قَتَلَه الملكُ النَّاصِرُ فَرَج بن بَرْقوق، ارْتَجَعَ جَميعَ ما خَلَّفَه وصارَ في جملة الأمْوال السُّلْطانية. ثم أفْرَد من الأوْقاف التي جَعَلَها جَمالُ الدِّين على مَدْرَسَته شيئًا، وجَعَلَ باقيها لأوْلاده وعلى تُرْبَته التي أنشأها على قَبْر أبيه الملك الظَّاهِر بَرْقوق بالصَّحْراء تحت الجَبَل خارِج باب النَّصْر[2]. فلمَّا قُتِلَ الملكُ النَّاصِرُ فَرَج، صارَت هذه الدَّارُ بيد الأمير طُوغَان الدَّاودار[3]؛ وكانوا كسَارِقٍ من سارِق[4].

وما من قتيل يُقْتَل إلَّا وعلى ابن آدَم الأوَّل كِفْلٌ منه؛ لأنَّه أوَّلُ من سَنَّ القَتْل.

---

[1] الأميرُ شمسُ الدِّين قَراسُنْقُر الجوكَنْدار المَنْصوري، المتوفى سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م. (انظر ترجمته فيما يلي ٢: ٣٨٨-٣٩٠).

[2] انظر فيما يلي ٢: ٤٦٤.

[3] الأميرُ سَيْفُ الدِّين طُوغان الحَسَني الظَّاهِري الدَّوادار الكبير المعروف بالمجنون، المتوفى سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م. (ابن حجر: إنباء الغمر ٣: ٨١؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٧: ١٨-٢١ وفيه: «وهو صاحب المدرسة برأس حارة بَرْجوان بالشارع، والدَّار بحارة بهاء الدِّين»؛ الصيرفي: نزهة النفوس ٢: ٣٥٩-٣٦٠؛ السخاوي: الضوء اللامع ٤: ١١).

[4] انظر كذلك تعليق المقريزي على بناء المارستان المنصوري فيما يلي ٢: ٤٠٨.

دار البُلْقيني

هذه الدَّارُ تِجاه مَدْرَسَة شَيْخ الإسلام سِراج الدِّين البُلْقيني من حارَة بَهاء الدِّين [١]، أنشأها قاضي قُضاة العَسْكَر[a] بَدْرُ الدِّين محمد بن شَيْخ الإسْلام سِراج الدِّين عُمَر بن رَسْلان البُلْقيني الشَّافِعي، وماتَ في يوم الخميس لستٍّ بقِين من شهر رَبيع الآخر سنة إحدى وتسعين وسبع مائة ولم تَكْمُل. فاشْتَراها أخُوه قاضي القُضَاة جَلالُ الدِّين عبد الرَّحْمَن بن شَيْخ السلام وكَمَّلَها، وبها الآن سَكَنُه، وهي من أجَلِّ دُور القاهِرَة صُورَةً ومعنًى.

وقد ذَكَرْتُ الأَخَوين وأباهُما في كِتابي المَنْعُوت بـ «دُرَر العُقُود الفَريدَة في تَراجِم الأَعْيان المُفيدَة» فانظر هناك أخبارَهم [٢].

دار مَنْكُوتَمُر

هذه الدَّارُ بحارَة بَهاء الدِّين بجوار المَدْرَسَة المَنْكُوتَمُرية. أنشأها الأمير مَنْكُوتَمُر نائِب السَّلْطَنَة بجوار مَدْرَسَته الآتي ذِكْرها عند ذِكْر المدارِس إن شاءَ الله تعالى [٣]، وهي من الدُّور الجَليلَة، وبها إلى اليوم بعض ذُرِّيته، وهي وَقْفٌ.

---

a) بولاق: العساكر.

---

[١] ذكر المقريزي في مسودة الخطط ٩٨ظ المدرسة البلقينية فقال: «بناها شيخنا شيخ الإسلام أبو حفص عمر بن رسلان سراج الدين البلقيني مجتهد العصر في ....» ولم يُزد على ذلك.

[٢] لم ترد تراجم الأَخَوَيْن محمد بن عمر وعبد الرحمن ابن عمر وأبيهما عمر بن رَسْلان البُلْقيني فيما وَصَل إلينا من «دُرَر العُقُود الفريدة».

وانظر ترجمة القاضي جلال الدِّين أبي الفضل عبد الرحمن بن عمر بن رَسْلان البُلْقيني، المتوفى سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م عند ابن حجر: ذيل الدرر الكامنة ٢٨٥-٢٨٦؛ رفع الإصر ٢٢٦-٢٢٩ وفيه ذَكَرَه الشيخ تقي الدِّين المقريزي في «[دُرَر العقود الفريدة في] تراجم [الأعيان] المفيدة» فلم يُبسط ترجمته كما بَسَط ترجمة غيره، وإنَّما اقتصر على ما يتعلَّق بولاياته مع إجحاف كثير، إنباء الغمر ٣: ٢٥٩-٢٦٠؛ السخاوي: الضوء اللامع ٤: ١٠٦-١١٣؛ السيوطي: حسن المحاضرة ١: ٤٣٨-٤٣٩، ٢: ١٧٢-١٧٤، وانظر كذلك أبا المحاسن: المنهل الصافي ٨: ٢٨٧.

[٣] فيما يلي ٢: ٣٨٧.

دَارُ المُظَفَّر

هذه الدَّارُ كانت بحارَة بَرْجَوان ، أنشأها أميرُ الجُيُوش بَدْرٌ الجَمالي وسَكَنَها(a) إلى أن مات . فلمَّا وَلِيَ الوَزارَةَ من بعده ابنُه الأفْضَل بن أمير الجُيوش وسَكَنَ دارَ القِباب التي عُرفت بدار الوَزارَة ـ وقد تَقَدَّم ذكرها ـ صارَ أخُوه المُظَفَّر أبو محمد جَعْفَر بن أمير الجُيُوش بهذه الدَّار فعُرِفَت به ، وقيل لها دَارُ المُظَفَّر ، وصارَت من بعده دارَ الضِّيافَة كما مَرَّ في هذا الكِتاب [1] . ٥

وآخر ما أعرفه أنَّها كانت رَبْعًا وحَمَّامًا وخَرائِب ، فسَقَط الرَّبْعُ بعد سنة سبعين وسبع مائة ، وكانت الحَمَّامُ قد خَرِبَت قبلِ ذلك ، فلم تَزَل خَرابًا إلى سنة ثمانٍ وثمانين وسبع مائة . فشَرَع قاضي القُضَاة شَمْسُ الدِّين محمد بن أحمد بن أبي بكر الطَّرابُلُسي الحَنَفي [2] في عِمارَتِها ، فلمَّا حَفَرَ أساسَ جِدارِه القِبْلي ، ظَهَرَ تحت الرَّدْم عَتَبَةٌ عَظيمَةٌ من حَجَرِ صَوَّان مائِع يُشْبه أن يكون عَتَبَة دار المُظَفَّر . وكان الأميرُ جَهارْكَسُ الخَلِيلي إذ ذاك يتولّى عِمارَة المَدْرَسَة التي أنشأها الملكُ الظَّاهِرُ ١٠ بَرْقوق بخُطِّ بَيْنَ القَصْرَين ، فبَعَثَ بالرِّجال لهذه العَتَبَة وتكاثَرُوا على جَرِّها إلى العِمارَة ، فجَعَلَها في المَزَمَّلَة التي تَشْرَب منها النَّاسُ الماء بدِهْليز المَدْرَسَة الظَّاهِرية [3] .

وكَمَّلَ قاضي القُضَاة شَمْسُ الدِّين بِناءَ دارِه حيث كانت دارَ المُظَفَّر ، فجاءَت من أحسن دُور القاهِرَة ، وتَحَوَّل إليها بأهْله ، وما زالَ فيها حتى ماتَ بها ـ وهو متقلِّد وَظيفَة قَضَاء/ القُضاة الحَنَفِيَّة بالدِّيار المصرية ـ في ليلة السبت الثَّامن عشرمن ذي الحجَّة سنة تسعٍ وتسعين وسبع مائة ، وله من ١٥ العُمْر سبعون سنةً وأشهر .

ومولده بطَرابُلُس الشَّام ، وأَخَذَ الفِقْه على مَذْهَب أبي حَنيفَة ـ رحمه الله ـ عن جَماعَةٍ من أهْل طرابُلُس ، ثم خَرَجَ منها إلى دِمَشْق ، فقرأ على صَدْر الدِّين محمد بن مَنْصور الحَنَفي ، ووَصَلَ إلى القاهِرَة وقاضي الحَنَفِيَّة بها قاضي القُضَاة جَمالُ الدِّين عبد الله التُّرْكُماني ، فلازَمه

---

a) ساقطة من بولاق .

---

[1] فيما تقدم ٢: ٤٣٨- ٤٣٩، ٥٠٨- ٥٠٩؛ المقريزي : مسودة المواعظ ١٣٣، وفيما تقدم ١٥٦.

[2] انظر ترجمته عند ، المقريزي : السلوك ٣: ٨٨٥؛ ابن حجر : رفع الإصر ٣٣٨، إنباء الغمر ١: ٥٣٩؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ١٢: ١٥٧؛ الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ١: ٤٥١.

[3] المقريزي : مسودة المواعظ ١٣٤، ٤٠٠- ٤٠١.

وولّاه العُقُود ، وأَجْلَسَه ببعض حَوانيت الشُّهود ، فتَكَسَّبَ من[a] تَحَمُّل الشَّهادَة مُدَّة ، وقَرَأ على قاضي القُضَاة سِراج الهندي[b] ولازَمه ، فوَلّاه نِيابَة القَضاء بالشَّارع ، فباشَرَها مُباشَرَةً مشكورةً ، وأجازَه العَلّامةُ شَمْسُ الدِّين محمد بن الصَّائِغ الحَنَفي بالإفْتاء والتَّدْريس .

فلمَّا ماتَ صَدْرُ الدِّين بن مَنْصُور ، قَلَّدَه الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقوق قَضاءَ القُضَاة مكانَه في يوم ٥ الاثنين ثاني عشرين شهر رَبيع الآخر سنة ستٍّ وثمانين وسبع مائة . فباشَرَ القَضَاء بعِفَّة وصِيانَة وقُوَّة في الأَحْكام لها النِّهاية ، ومَهابَة وحُرْمَة وصَوْلَة تُذْعِن لها الخاصَّة والعامَّة ، إلى أن صُرِفَ في سابع عشر رَمَضان سنة إحدى وتسعين وسبع مائة بشَيْخنا قاضي القُضَاة مَجْد الدِّين إسماعيل ابن إبراهيم التُّرْكُماني . فلم يَزَل إلى أن عُزِلَ مَجْدُ الدِّين ، ووَلِيَ من بعده قاضي القُضَاة وناظِر الجُيوش جَمال الدِّين محمود القَيْصَري ، وهو مُلازِمٌ دارَه وما بيده من التَّدْريس ، وهو على حال ١٠ حَشِمَة وتَجِلَّة[c] من الكافَّة ، إلى أنِ استدعاه السُّلْطانُ في يوم الثلاثاء تاسع شهر رَبيع الأوَّل سنة تسعٍ وتسعين وسبع مائة ، فقلَّده وَظيفَة القَضَاء عِوَضًا عن محمود القَيْصَري ، فلم يَزَل حتى ماتَ من عامِه ، رحمه الله تعالى .

وهذه الدَّارُ على يَسْرَة من سَلَكَ من باب حارَة بَرْجَوان طالِبًا المَسْجِد المُسَمَّى بجَعْفَر؛ وأمَّا الحَمَّامُ فإنَّها في مَكانِها اليوم سَاحَة بجوار دار قاضي القُضَاة شَمْس الدِّين . ومن جملة ١٥ حُقُوق دار المُظَفَّر رَحْبَةُ الأَفْيال وحَدْرَةُ الزَّاهِداي إلى الدَّار المعروفة بسَكَنى[1] قريبًا من حَمَّام الرُّومِي[2] .

---

a) بولاق : ممن . b) بولاق : سراج الهدى . c) بولاق : حسنة وتجلد .

---

[1] ذكر أبو المحاسن يوسف بن تَغْري بِرْدي ـ تلميذ المقريزي ـ أنَّه سَمِعَ كتاب «فَضْل الخيل» للحافظ شَرَف الدِّين الدِّمْياطي بمَنزل المقريزي بحارَة بَرْجَوان قبل وفاة المقريزي بأقل من شهر ، يقول : «وقد سمعت أنا هذا الكتاب بقراءة الحافظ قُطْب الدِّين [محمد بن محمد بن عبد الله] الخَيْضري في أربع مجالس آخرها في سلخ شعبان سنة خمسٍ وأربعين وثمان مائة بالقاهرة في منزل المُسْمِع بحارَة بَرْجَوان على الشيخ الإمام العلَّامة المحدِّث عمدة المؤرِّخين [مؤرخ الديار المصرية] تقيّ الدين أحمد بن عليّ بن عبد القادر المقريزي الشافعي ، بسماعه جميعه على الشيخ المسند ناصر الدين محمد بن علي بن يوسف بن الطُّبْردار الحَرَّاوي ، بسماعه جميعه من مؤلِّفه الحافظ أبي محمد الدِّمْياطي» (المنهل الصافي ٧: ٢٧٢- ٢٧٣، النجوم الزاهرة ٨: ٢١٩). وعن تحديد موضع دار المقريزي بحارة بَرْجَوان ، انظر فيما تقدم ١: ٣٧* - ٣٩* .

[2] النص في مسودة الخطط ١٣٥: «موضع دار المُظَفَّر=

دارُ ابن عبد العزيز

هذه الدَّارُ بحارةِ بَرْجَوان ، على يَمْنَة من سَلَكَ من باب الحارَة طالِبًا حَمَّام الرُّومي ، وهي أيضًا من جملة دار المُظَفَّر . كانت طاحُونًا ثم خَرِبَت ، فابتدأ عِمارَتَها فَخْرُ الدِّين أبو جَعْفَر محمد ابن عبد اللَّطيف بن الكُوَيْك ناظِرُ الأَحْباس [1]، وماتَ ولم تَكْمُل . فصارَت لامْرَأتِه وابنة عَمّه خَديجَة ، فماتَت في رَجَب سنة اثنتين وستين وسبع مائة ، وقد تزوَّجَت من بعده بالقاضي الرَّئيس بَدْر الدِّين حَسَن بن عبد العَزيز بن عبد الكريم بن أبي طالِب بن عليّ بن عبد الله بن سَيِّدهم اللَّخْمي النَّشْتراوي [a]، فانتقلت إليه ، وماتَ في سنة أربع وسبعين وسبع مائة في العشرين من جُمادَىٰ الأولى [2]. ووَرِثَه من بعد مَوْته كَريمُ الدِّين ابن أخيه ـ وهو عبد الكَريم بن أحمد ابن عبد العَزيز بن عبد الكَريم بن أبي طالِب بن عليّ بن عبد الله بن سَيِّدِهم ، وماتَ آخر رَبيع الأوَّل سنة سبعٍ وثمان مائة عن سبعين سنة [3]، ووَلِي نَظَرَ الجُيوش بديار مصر للظَّاهِر بَرْقوق ـ فباعَها لقَريبِه شَمْس الدِّين محمد بن عبد الله بن عبد العَزيز فكَمَّلها [b] وسَكَنَها مُدَّةً طَويلَةً إلى أن باعَها في سنة خمسٍ وتسعين وسبع مائة بألفي دينار ذَهبًا لخَوَنْد فاطِمَة ابنة الأمير مَنْجَك ، فوَقَفَتْها على عُتقائِها . وهي إلى اليوم بيدهم ، وتُعْرَف ببَيْت ابن عبد العَزيز المذكور لطُول سَكَنه بها . وكان خَيِّرًا عارِفًا يلي كِتابَة ديوان الجَيْش وعِدَّة مُباشَرات ، وماتَ ليلة الثَّاني عشر من صَفَر سنة ثماني وتسعين وسبع مائة [4].

---

a) بولاق : النجمي السيرواني . b) بولاق : وكملها .

=الدَّار المعروفة الآن بدار قاضي القضاة شمس الدِّين الطَّرابُلسي الحنفي وما جاور بناءها يمنة ويسرة . ومن حقوقها الدَّار التي أنا بها وما خلف داري من الدُّور والمساكن التي تُعْرَف برَحْبَة الأَقْيال وحَدْرَة الزَّاهِدي» .

[1] فَخْرُ الدِّين أبو جعفر محمد بن عبد اللطيف بن الكُوَيْك ناظر الأحْباس، المتوفى سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م . (المقريزي : السلوك ٣: ٩٩، ١٦٨) .

[2] ابن حجر : الدرر الكامنة ٢: ١٠١–١٠٢.

[3] ابن حجر : ذيل الدرر الكامنة ١٥٧– ١٥٨، إنباء الغمر ٢: ٣٠٦–٣٠٧؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٧: ٣٣٣– ٣٣٤، السخاوي : الضوء اللامع ٤: ٣٠٧.

[4] ابن حجر : إنباء الغمر ١: ٥٢٠.

دَارُ الجَمَقْدار

هذه الدَّارُ على يَسْرَة من سَلَكَ من باب حارَة بَرْجَوان تحت القَبْو طالِبًا حَمَّام الرُّومي، عُرِفَت بالأمير عَلَم الدِّين سِنْجِر الجَمَقْدار من الأُمَراء البُرْجِيَّة، وقَدَّمَه الملكُ النَّاصِرُ محمد تَقْدِمَة أَلف بعد مَجيئه من الكَرَك إلى مصر، ثم أخرجه إلى الشَّام، فأَقامَ بها إلى أن حَضَرَ قُطْلُوبُغَا الفَخْري في نَوْبَة أحمد بالكَرَك، فحَضَر معهم واستقرَّ عن[a] الأُمَراء بالدِّيار المصرية إلى أن ماتَ يوم الجمعة تاسع رَمَضان سنة خمسٍ وأربعين وسبع مائة، وقد كَبِرَ وارْتَعَش، وكان رُوميًّا أَلْثَغ[1].

ثم صارَت لخالِد بن الزَّرَّاد المُقَدَّم، فلمَّا قُبِضَ عليه وماتَ في ثاني عشرين جُمادَىٰ الآخرة سنة خمسٍ وأربعين وسبع مائة تحت المَقارِع، ارْتُجِعَت عنه لديوان السُّلْطان حَسَن، فصارَتَ في يد وَرَثَتِه إلى أن باعَ بعضُ أَوْلاده أَسْهُمًا منها، فاشْتَراها الأميرُ سُودون الشَّيْخُوني نائِب السَّلْطَنَة[2]. ثم تنقَّلت ـ وبعضها وَقْفٌ بيد أَوْلاد السُّلْطان حَسَن بن محمد ابن قَلاوون ـ إلى أن مَلَكَ ما تَمَلَّك منها بالشِّراء قاضي القُضَاة عِمادُ الدِّين أحمد بن عيسىٰ الكَرَكي[3] وسَكَنَها إلى أن سافَرَ، فصارَت من بعده لوَرَثَته، فباعُوها للشَّيْخ زَيْن الدِّين أَبي بَكْر القِمْني، وهي بيده الآن.

a) بولاق: من.

[1] انظر عن الأمير عَلَم الدِّين سنجر الجَمَقْدار فيما تقدم ١٦٥.

[2] الأميرُ سَيْفُ الدِّين سُودون الشَّيْخوني الفَخْري نائب السَّلْطَنَة بالديار المصرية، المتوفى سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٦م. (ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٩: ٤٤٧؛ المقريزي: السلوك ٣: ٨٦٥؛ ابن حجر: إنباء الغمر ١: ٥١٧؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٦: ١٠٤–١٠٩، النجوم الزاهرة ١٢: ١٥١؛ الصيرفي: نزهة النفوس ١: ٤٣٤).

[3] قاضي القضاة عمادُ الدِّين أبو العَبَّاس أحمد بن عيسىٰ ابن موسىٰ بن عيسىٰ بن سليم العامري الأَزْرَقي المقيري الكَرَكي، المتوفى سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م. (المقريزي: السلوك ٣: ٩٧٤، المقفى الكبير ١: ٥٥٥–٥٥٧؛ ابن حجر: رفع الإصر ٦٦–٦٨، إنباء الغمر ٢: ٦٠–٦٢، ذيل الدرر الكامنة ٦٥–٦٦؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٢: ٥٤–٥٥، النجوم الزاهرة ١٣: ٣؛ السخاوي: الضوء اللامع ٢: ٦٠–٦١).

دَارُ آقُوش الرُّومي
بحارة بَرْجَوان

هذه الدَّارُ من أجَلِّ دُور القاهِرَة، وبابُها من نُحاس بَديع الصَّنْعَة يُشْبِه باب المارِسْتان المَنْصوري، وكان تجاهَها إسْطَبْلٌ كبيرٌ يعلوه رَبْعٌ فيه عِدَّةُ مَساكِن، عُرِفَت بالأميرِ جَمال الدِّين آقُوش الرُّومي السِّلاح دار النَّاصِري[1]، وتوفى سنة خمسٍ[a] وسبع مائة، وهي مِمَّا وَقَفَه على تُرْبته بالقَرافة، وقد خَرِبَ إسْطَبْلُها وعُلُوُّه وبِيع نَقْض ذلك، وتداعَتِ الدَّارُ أيضًا للسُّقوط فأبيعَت أنْقاضًا، وصارَت من جملة الأمْلاك[2].

دَارُ بنت السَّعيدي

هذه / الدَّارُ بحارَة بَرْجَوان، عُرِفَت بقاعَة حَنيفَة بنت السَّعيدي إلى أن اشتراها شِهابُ الدِّين أحمد بن طُوغان دَوادار الأمير سُودون الشَّيْخوني نائِب السُّلْطان في سنة تسعٍ وتسعين وسبع

---

a) بولاق: سبع، وفي المقفى والدرر الكامنة: تسع.

---

[1] الأمير جمال الدِّين آقُوش الرُّومي السِّلاح دار النَّاصِري، المتوفى سنة ٧٠٩هـ (٧٠٥)/١٣٠٩م. (المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٢٣١؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤٢٦).

[2] هنا على هامش نُسْخَة ص: «مَلَكَها وما يُقابِلُها المَقَرُّ الزَّيْني أبو بكر بن مُزْهِر ناظِر ديوان الإنْشاء الشَّريف وعَمَّرَها وجَعَلَ بابَها النُّحاس على مَدْرَسَته التي أنشأها مكان الإسْطَبْل، فجاءَت من أحسن المدارِس صورةً وزَهارَةً وحُسْن رُخام ودِهان، تأنَّق فيها إلى الغاية رحمه الله».

أقول: المقرّ الزَّيني تقيّ الدِّين أبو بكر بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن عثمان المعروف بمُزْهِر الدِّمَشْقي الأنصاري، ولي أوَّلًا نَظَر الإسْطَبْل ثم أضيف إليه الجَوالي المصرية ثم الشَّامية ثم خانقاه سَعيد السُّعداء ووكالة بَيْت المال ثم نَظَر الجيوش، وأخيرًا نَظَر ديوان الإنْشاء حتى وفاته في سادس رمضان سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٨م. (السخاوي: الضوء اللامع ١١: ٨٨-٨٩؛ ابن إياس: بدائع الزُّهور ٣: ٢٥٥).

ومَدْرَسَةُ أبي بكر بن مُزْهِر أنشأها بجوار داره بحارة بَرْجَوان سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م، وهي مسجلة بالآثار برقم ٤٩ وتُعَدُّ من روائع العمارة المملوكية الجركسية (راجع، Devonshire, R.L., «Abu Bekr ibn Muzhir et sa mosquée au Caire», *Mélanges Maspero* III, pp. 27-31؛ عاصم محمد رزق: «مدرسة القاضي أبي بكر بن مُزْهِر بالقاهرة ٨٨٤-٨٨٥هـ/١٤٧٩-١٤٨٠م»، دراسات آثارية إسلامية ٢ (١٩٨٠)، ٦٩-٩١؛=

مائة [1]، فأَخَذَ عِدَّة مَساكِن ممَّا حولَها وهَدَمها وصَيَّرَها ساحَةً بها . فصارَت من أَعْظَم الدُّور اتِّساعًا وزَخْرَفَةً ، وفيها سبعة آبارٍ مُعَيَّنة ، وفَسْقِية يُنْقَل إليها الماءُ بساقية على فُوَّهَة بِئْر . وما زالَ صاحِبُها شِهابُ الدِّين فيها إلى أن سافَرَ إلى الإسْكَنْدَرية في محرَّم سنة ثمانٍ وثمان مائة ، فماتَ ـ رحمه الله ـ وانتقلت من بعده لغير واحدٍ بالبَيْع .

دَارُ الحَاجِب

هذه الدَّارُ فيما بين الخُرُنْشُف وحارَة بَرْجَوانَ ، كان مكانُها من جملة المَيْدان ـ وكان يُسْلَك من حارَة بَرْجَوان في طَريق شارعة إلى باب الكافُوري ، فلمَّا عَمَّرَ الأميرُ بَكْتَمُر هذه الدَّار ، جَعَل إسْطَبْلَها حيث كانت الطَّريق ، ورَكَّبَ بابًا بخُوخَة ممَّا يلي حارَة بَرْجَوان ، واشْتَرَطَ عليه النَّاسُ ألَّا يَمْنَع المارَّة من سُلُوك هذا المكان ، فوَفَّى بما اشْتَرَطَ .

وما بَرِحَ النَّاسُ يمُرُّون من هذا الطَّريق في وَسَط الإسْطَبْل على باب دارِه ، سالِكين من حارَة بَرْجَوان إلى الكافوري والخُرُنْشُف ومنه إلى حارَة بَرْجَوان ؛ وسَلَكْتُ[a] من هذه الطَّريق غير مَرَّة ، وكان يُقالُ لها خُوخَة الحاجِب . ثم لمَّا طالَ الأَمَدُ وذَهَبت المَشْيَخَةُ نُسِيَت هذه الطَّريق ، وقُفِل البابُ وانْقَطَعَ سُلُوكُ النَّاس منه ، وصارَت تلك الطَّريق من جملة حُقُوق الدَّار .

وما بَرِحَت هذه الدَّارُ يُنْصَب على بابها الطَّوارِقُ دائِمًا كما كانت عادَةُ دُور الأُمَرَاء في الزَّمَن القَديم . فلمَّا تغيَّرت الرُّسُومُ وبَطَلَ ذلك ، قُلِعَت الطَّوارِقُ من جانبي الباب وأعلى أُسْكُفَّتِه .

وبابُ هذه الدَّار تِجاه باب الكافُوري ، وعُرِفَت بالأمير سَيْف الدِّين بَكْتَمُر الحاجِب صَاحِب الدَّار خارِج باب النَّصْر والمَدْرَسَة بجواره ، ثم حُلَّ وَقْفُها في[b] سنة ثمانٍ وعشرين وثمان مائة وبيعت كما بيع غيرها من الأوْقاف . وهناك ترى ترجمته [2].

a) بولاق : وأنا سلكت . b) ساقطة من بولاق .

= وكان قد أعدَّ رسالة ماجستير بنفس العنوان بكلية الآداب جامعة القاهرة سنة ١٩٧١.

[1] شهاب الدين أحمد بن طوغان الدُّوَدار المتوفى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م . (المقريزي : درر العقود الفريدة ٢١٣-٢١٤؛ ابن حجر : ذيل الدرر الكامنة ١٦٦؛ إنباء الغمر ٢ : ٣٣١؛ السخاوي : الضوء اللامع ١ : ٣٢٠).

[2] فيما يلي ٢٠٨- ٢١٠.

دارُ تَنْكِز

هذه الدَّارُ بخُطِّ الكافوري كانت للأمير أَيْبَك البَغْدادي، وهي من أَجَلِّ دُور القاهِرَة وأعْظَمِها، أنشأها الأميرُ تَنْكِز نائِب الشَّام، وأظُنُّه أَوْقَفَها في جُمْلَةِ ما أَوْقَف، وكان بها وَلَدُه. وسَكَنَها قاضي القُضَاة بُرْهانُ الدِّين إبراهيم بن جَماعَة، فأنْفَقَ في زَخْرَفَتِها على ما أُشيع سبعة عشر ألف درهم، عنها يومئذٍ ما ينيف عن سبع مائة دينار مصرية. ولم تَزَل هذه الدَّارُ وَقْفًا إلى أن بيعت على أنَّها مِلْكٌ في سنة إحدى وعشرين وثمان مائة بدون الألْف دينار، لزَيْن الدِّين عبد الباسِط بن خَليل، فجَدَّد بناءَها وبَنَى تِجاهَها جامِعَه.

تَنْكِز الأَشْرَفي - سَيْفُ الدِّين أبو سَعيد[1] جَلَبَه إلى مصر وهو صَغير الخَواجا عَلاءُ الدِّين السُّوسي، فنَشَأ بها عند الملك الأَشْرَف خَليل بن قَلاوون. فلمَّا مَلَكَ السُّلْطانُ النَّاصِرُ محمد ابن قَلاوون، أَمَّرَه إمْرَة عشرة قبل توجُّهه إلى الكَرَك، وسافَرَ معه إلى الكَرَك، وترسَّل عنه منها إلى الأَفْرَم، فاتَّهمه أنَّ معه كُتُبًا إلى الأُمَراء بالشَّام [ففَتَّشَه][a] وعَرَضَ عليه العُقُوبَة، فأَرْجَف منه وعادَ إلى النَّاصِر، فقال له: إن عُدْتُ إلى المُلْك فأنت نائِب دِمَشْق. فلمَّا عادَ إلى المُلْك جَهَّزَه إلى دِمَشْق فوَصَلَها في العشرين من رَبيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبع مائة، فباشَر النِّيابَة وتَمَكَّن فيها، وسارَ بالعَساكِر إلى مَلَطْيَة وافتتحها في محرَّم سنة خمس عشرة وعَظُمَ شأنُه، وأَمَّنَ الرَّعايا حتى لم يكن أَحَدٌ من الأُمَراء يَظْلِم ذِمِّيًا فَضْلًا عن مُسْلِم، خَوْفًا من بَطْشِه وشِدَّة عُقُوبته.

وكان السُّلْطانُ لا يفعل شيئًا بمصر إلَّا ويُشاوِرُه فيه وهو بالشَّام، وقَدِمَ غير مرَّة على السُّلْطانِ، فأكْرَمَه وأجَلَّه بحيث أنَّه أنْعَمَ عليه في قُدومه إلى مصر سنة ثلاثٍ وثلاثين بما مبلغه ألف ألف

---

a) إضافة من أعيان العصر.

---

[1] الأمير سَيْف الدِّين أبو سعيد تَنْكِز الحُسَامي نائب السَّلْطَنَة بالشام، المتوفى سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م (الصفدي: أعيان العصر ٢:١١٦-١٣٨، الوافي بالوفيات ١٠:٤٢٠-٤٣٥؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢:٦٠٧-٦٢٢، السلوك ٢:٥٠٦؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢:٥٥-٦٢؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٤:١٥٦-١٦٧، النجوم الزاهرة ٩:٣٢٧-٣٢٨؛ حياة ناصر الحجي: «الأمير تنكز الحسامي نائب الشام في الفترة ٧١٢-٧٤١هـ/١٣١٢-١٣٤٠م»، حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت ١٩٨٠.

دِرْهَم وخمسون ألف دِرْهَم، عها خمسون ألف دينار ونَيِّف، سوى الخَيْل. وزادتْ أمْلاكُه وسَعادَتُه، وأنشأ جامِعًا بدِمَشْق[1] بَديع الوَصْف بَهِج الزِّيّ وعِدَّة مَواضِع.

وكان النَّاسُ في أيَّامه قد أَمِنُوا كلَّ سوء، إلَّا أنَّه كان يتخيَّل خَيالًا، فيحتدّ خُلُقُه ويشتدُّ غَضَبُه، فهَلَكَ بذلك كثيرٌ من النَّاس، ولا يقدر أحَدٌ أن يوضِّح له الصَّوابَ لشِدَّة هَيْبته. وكان إذا غَضِبَ لا يرضى ألبتَّة بوَجْهٍ، وإذا بَطَشَ كان بَطْشُه بَطْشَ الجَبَّارين، ويكون الذَّنْبُ صغيرًا فلا يزال يُكَبِّره حتى يخرج في عُقُوبَة فاعِله عن الحَدّ. ولم يَزَلْ إلى أن أُشيع بدِمَشْق أنَّه يُريد العُبور إلى بلاد الطَّطَر. فبَلَغَ ذلك السُّلْطان، فتنكَّر له، وجَهَّز إليه من قَبَضَ عليه في ثالِث عشرين ذي الحجَّة سنة أربعين، وأُحيط بماله.

وقَدِمَ الأميرُ بَشْتاك إلى دِمَشْق لقَبْضِه، وخَرَجَ إلى القَصْر ومعه من مال تَنْكِز، وهو من الذَّهَب العَيْنِ ثلاثُ مائةِ ألف وستة وثلاثون ألف دينار، ومن الدَّراهم الفِضَّة ألف ألف وخمس مائة ألف درهم، ومن الجَوْهَر واللُّؤْلُؤ والزَّرْكَش والقُماش ثمان مائة حَمْل. ثم اسْتُخْرِج بعد ذلك من بقايا أمواله أربعون ألف دينارًا وألف ألف ومائة ألف درهم. فلمَّا وَصَلَ تَنْكِز إلى قَلْعَة الجَبَل جُهِّزَ إلى الإسْكَنْدَرية، واعْتُقِل فيها نحو الشهر، وقُتِلَ في مَحْبَسه، ودُفِنَ بها في يوم الثلاثاء حادي عشرين المحرَّم سنة إحدى وأربعين وسبع مائة.

ومن الغَريب أنَّه أُمْسِكَ يوم الثُّلاثاء، ودَخَلَ مصر يوم الثُّلاثاء، ودَخَلَ الإسْكَنْدَرية يوم الثُّلاثاء، وقُتِلَ يوم الثُّلاثاء. ثم نُقِلَ إلى دِمَشْق فدَفِنَ بتُرْبَته جِوار/ جامِعِه ليلة الخامِس من رَجَب سنة أربعٍ وأربعين وسبع مائة، بعد ثلاث سنين ونصف، بشَفاعَةِ ابنته.

دَارُ أَمِيرِ مَسْعُود

هذه الدَّارُ بآخِر خُطِّ الكافوري، عُرِفَت بالأمير بَدْر الدِّين مَسْعُود بن خَطير الرُّومي أحَدِ الأُمَرَاء بمصر[2]. أَخْرَجَه الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون في ذي الحجَّة سنة أربعين وسبع مائة إلى

---

[1] انظر عن جامع تَنْكِز بدمشق، النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٢: ٢٣٨- ٢٣٩؛ وموضع الجامع بحكر السُّمّاق بدِمَشْق. ومازال الجامِعُ معروفًا باسمه في شارع النَّصْر الممتد من رأس باب القلعة الغربي حتى محطة الحجاز، وهو من أكبر مساجد دِمَشْق. (الصفدي: أعيان العصر ٢: ١٢٠هـ[2]).

[2] الأميرُ بَدْرُ الدِّين مَسْعُود بن أوْحَد بن مَسْعود بن الخطير الحاجِب، أحد مُقَدَّمي الألوف بالشَّام ومصر، وتولَّى نيابة طرابلس وتوفي سنة ٧٥٤هـ/١٣٥٤م. (الصفدي: أعيان العصر ٥: ٤١٧- ٤٢٧، الوافي ٢٥: ٥٣٢- ٥٣٧؛=

نِيابة غَزّة ، ثم نُقِلَ منها إلى إمْرَة دِمَشْق ، ووَلي نِيَابَة طَرابُلُس ، ثم أُعيد إلى دِمَشْق . وأصْلُه من أَتْباع الأمير تَنْكِزَ ، فشَكَرَه عند الملك النَّاصِر وقَدَّمَه حتى صارَ أميرًا حاجِبًا . فلمَّا قُتِلَ تَنْكِز أخْرَجَه لنِيابَة غَزَّة ، وتنقَّل في نِيابَة طرابُلُس ثلاث مَرّات إلى أن اسْتُعْفِيَ من النِّيابَة ، فأُنْعِمَ عليه بإمْرَة في دِمَشْق ، وعلى وَلَدَيْه بإمْرَة طَبْلَخاناة .

٥ وما زالَ مُقيمًا بها حتى مات في سابع شَوَّال سنة أربعٍ وخمسين وسبع مائة بدِمَشْق . ومولده بها ليلة السبت سابع جُمادَى الأولى سنة ثلاثٍ وثمانين وست مائة .

دَارُ نائِب الكَرَك

هذه الدَّارُ فيما بينَ خُطِّ الخُرُنْشُف وخُطِّ باب سِرّ المارِسْتان المنصوري ، وهي من جملة أرض المَيْدان . عُرِفَت بالأمير آقوش الأشْرَفي ، المعروف بنائِب الكَرَك ، صاحِب الجامِع .

١٠ آقوش الأَشْرَفي جَمالُ الدِّين[١] ـ وَلَّاه الملكُ النَّاصِر محمد بن قَلاوون نِيابَة دِمَشْق بعد مَجيئه من الكَرَك ، وعَزَلَه تَنْكِز بعد قليل ، واعتقله إلى شهر رَجَب سنة خمسٍ عشرة وسبع مائة ، ثم أفْرَج عنه وجَعَلَه رأس الميمنة ، وصارَ يقوم له إذا قَدِمَ مميّزًا له عن غيره من الأُمَراء .

وكان لا يلبس [مُفَرَّكًا ولا][a] مَصْقُولًا ، ويمشي من دَارِه هذه إلى الحَمَّام وهو حامِلُ المِئْزَر والطَّاسَة وَحْدَه ، فيدخل الحَمَّام ويخرج عُرْيانًا . فاتَّفق مرَّةً أنَّ رَجُلًا رآه فعَرَفَه ، وأخذ الحَجَر ١٥ وحَكَّ رجله وغَسَله ، وهو لا يكلِّمه كلمةً واحدة . فلمَّا خَرَجَ وصارَ إلى دارِه ، طَلَبَ الرَّجُلَ وضَرَبَه ، وقال له : أنا ما لِي مَمْلوك ، ما عندي غُلام ، ما لي بابيه[b][٢] حتى تتجرَّأ عليَّ أنت .

---

a) زيادة من أعيان العصر . b) بولاق : طاسة .

=المقريزي : السلوك ٢ : ٩٠٥؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٥ : ١١٧؛ اليوسفي : نزهة الناظر ١٩٧ ، ٢٠٥؛ ابن قاضي شهبة : تاريخ ٢ : ٥٧؛ أبو المحاسن : الدليل الشافي ٢ : ٧٣٣- ٧٣٤؛ النجوم ١٠ : ٢٩٢-٢٩٣) .

[١] الأميرُ جمالُ الدِّين آقوش الأشرفي نائب الكَرَك ، المتوفى سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٦م . ويُلَقَّب البِرْناق لكبر أنفه . (الصفدي : أعيان العصر ١ : ٥٧٨- ٥٨٢، الوافي بالوفيات ٩ : ٣٣٦- ٣٣٩؛ المقريزي : المقفى الكبير ٢ : ٢٤٨- ٢٥٧، السلوك : ٢ : ٤٠٥؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ١ : ٤٢٣- ٤٢٤؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٣ : ٢٧- ٣٠، النجوم الزاهرة ٩ : ٣١٠) .

[٢] بابيه أو بابا . خادم الحَمّام .

وكان يتوجَّه إلى مَعْبَدٍ له في الجَبَل الأَحْمَر، وينفرد فيه وَحْدَه اليومين والثلاثة، ويَدْخُل منه إلى القاهِرَة وهو ماشٍ وذَيْلُه على كَتِفِه حتى يَصِل إلى دارِه. وباشَرَ نَظَر المارِسْتان المَنْصوري مُباشَرَةً شَديدَة[a].

ثم أَخْرَجَه السُّلْطَانُ إلى نِيابَة طرابُلُس في أوَّل سنة أربعٍ وثلاثين وسبع مائة فأقامَ بها، ثم طَلَبَ الإقالة، فأُعْفِيَ وقُبِضَ عليه واعْتُقِل بقَلْعة دِمَشْق، ثم نُقِلَ منها إلى صَفَد فحُبِس بها في بُرْجٍ، ثم أُخْرِجَ منها إلى الإسْكَنْدَرية فماتَ بها مُعْتَقَلًا في سنة ستٍّ وثلاثين وسبع مائة.

وكان عَسُوفًا جَبّارًا في بَطْشه، ماتَ عِدَّةٌ من النَّاس تحت الضَّرْب قدَّامه، وكان كريمًا سَمْحًا إلى الغاية. وعُرِفَ بنائِب الكَرَك لأنَّه أقامَ في نِيابَتِها من سنة تسعين وستّ مائة إلى سنة تسعٍ وسبع مائة.

دَارُ ابن صَغير

هذه الدَّارُ من جملة المَيْدان، وهي اليوم من خِطَّة[b] باب سِرِّ المارِسْتان المَنْصوري. أنشأها عَلاءُ الدِّين عليّ بن نَجْم الدِّين عبد الواحِدِ بن شَرَف الدِّين محمد بن صَغير رَئِيسُ الأطبَّاء، وماتَ بحَلَب عندما تَوَجَّه إليها في خِدْمَة الملك الظَّاهِر بَرْقوق في يوم الجمعة تاسع عشر ذي الحجَّة سنة ستٍّ وتسعين وسبع مائة ودُفِنَ بها، ثم نَقَلَتْه ابنتُه إلى القاهِرَة ودَفَنَتْه بظاهِرِها.

دَارُ بَيْبَرس الحاجِب

هذه الدَّار بخُطِّ حارَةِ العَدَوِيَّة[2]، وهي الآن في خُطِّ باب سِرِّ المارِسْتان، عُرِفَت بالأمير بَيْبَرس الحاجِب صاحِب غيط الحاجِبِ فيما بين جِسْر بِرْكَة الرَّطْلي والجُرْف.

بَيْبَرس الحاجِب الأَميرُ رُكْنُ الدِّين - تَرَقَّى في الخِدَم إلى أن صارَ أمير آخُور، فلمَّا حَضَرَ الملكُ النَّاصِرُ من الكَرَك عَزَلَه بالأمير أَيْدَغْمُش وعمله حاجِبًا، ونابَ في الغَيْبَة عن الأمير تَنْكِز بدِمَشْق لما حَجَّ.

---

a) بولاق: جيدة. b) بولاق: خط.

---

[1] الأمير رُكْنُ الدِّين بَيْبَرس الحاجِب، المتوفى سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٣م. (الصفدي: أعيان العصر ٢: ٧٨- ٧٩، الوافي بالوفيات ١٠: ٣٥١- ٣٥٢؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٥٢٠- ٥٢٦، السلوك ٢: ٢٥٩؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٤١؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٣: ٤٧٤- ٤٧٥، النجوم الزاهرة ١٠: ١٠٠).

[2] فيما تقدم ٤٤-٤٥.

ثم تَجَرَّد إلى اليَمَن وعادَ ، فتنكَّرَ عليه السُّلْطَانُ ، وحَبَسَه في ذي القَعدة سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائة ، وأُفْرِجَ عنه في رَجَب سنة خمسٍ وثلاثين ، وجَهَّزَه من الإسْكَنْدَرية إلى حَلَب ، فصارَ بها أميرًا من أُمَرائِها .

ثم تنقَّل منها إلى إمْرَة بدِمَشْق بعد عَزْل تَنْكِز ، فلم يَزَل بها إلى أن توجَّه الفَخْري وطَشْتَمُر إلى مصر ، فأقرَّه على نِيابَة الغَيْبَة بدِمَشْق ، وكان قد أسَنَّ ، وماتَ في شهر رَجَب سنة ثلاثٍ وأربعين وسبع مائة .

وأدْرَكْنا له حفيدًا يُعْرف بعَلاء الدِّين أمير عليّ بن شِهاب الدِّين أحمد بن بَيْبَرُس الحاجِب . قرأ القِراءَات السَّبْع على والِدِه ، وكان حَسَن الأدَاء للقِراءَة ، مَشْهُورًا بالعلاج يُعالج بمائة وعشرة أرطال . مات وهو شاخٍ في سابع رَبيع الآخَر سنة إحدى وثمان مائة .

دارُ عَبّـاس

هذه الدَّارُ كانت في دَرْب شَمْس الدَّوْلَة ، عُرِفَت بالوَزير عَبّاس بن يحيى بن تَميم بن المُعِزّ ابن باديس . أصْلُه من المغرب ، وتَرَقَّى في الخِدَم حتى وَلِيَ الغَرْبيَّة ، ولُقِّب بالأمير رُكْن الإسْلام [1] .

وكانت أُمُّه تحت الأمير المُظَفَّر عليّ بن السَّلار والي البُحَيْرَة[a] والإسْكَنْدَرية . فلمَّا رَحَلَ عليّ ابن السَّلارِ إلى القاهِرَة وأزال الوَزير نَجْم الدِّين سُلَيمان بن مَصَال من الوَزارَة واستقرَّ مكانَه في وَزارَة الخَلِيفَة الظَّافِر بأمْر الله وتلقَّب بالعادِل ، قدَّمَه لمحارَبَة ابن مَصَال فلم يَنَل غَرَضًا ، فخَرَجَ إليه عَبّاس حتى ظَفِرَ به .

ووَلِيَ ناصِرُ الدِّين نَصْرُ بن عَبّاسٍ وِلايَة مصر بشفاعَة جَدَّته أم عَبّاس ؛ فاخْتَصَّ به الخَلِيفَةُ الظَّافِر واشْتَغَل به عمَّن سِواه ـ وكان جَريئًا مِقْدامًا ـ فخَرَجَ أبوه[b] عَبّاس بالعَسْكر لحِفْظ عَسْقَلان من الفِرنْج ، ومعه من / الأُمَرَاء مُلْهِم والضِّرْغام وأُسامَة بن مُنْقِذ ، وكان أُسامَة خَصيصًا بعَبّاس .

---

a) بولاق : البحيراء . b) بولاق : فخرج إليه أمر .

---

[1] المقريزي : مسودة المواعظ ٤٠١ ، ولخَّص المقريزي في مسودة المواعظ خبر الوزير عَبّاس من «تاريخ» ابن مُيَسَّر .

فلمَّا نَزَلُوا بِلْبَيْس تَذاكَر عبَّاسُ وأُسامَةُ مصر وطِيبها، وما هم خارِجون إليه من مُقاساة السَّفَر ولِقاءِ العَدُوِّ، فتأوَّه عبَّاسٌ أَسَفًا على مُفارقَة لذَّاته بمصر، وأَخَذَ يُثَرِّب على العادِل بن السَّلار، فقالَ له أُسامَة : لو أَرَدْت كنت أنت سُلْطان مصر؛ فقال : كيف لي بذلك؟

قال : هذا وَلَدُك ناصِرُ الدِّين بَيْنه وبَيْنَ الخَلِيفَة مَوَدَّةٌ عَظيمَةٌ، فخاطِبْه على لِسانِه أن تكون سُلْطانَ مصر مَوْضع زَوْج أمِّك، فإنَّه يُحبّك ويَكْرَهه، فإذا أجابَك فاقْتُله وصِرْ في منزلته. فأَعْجَبَ عبَّاس ذلك، وجَهَّزَ ابنه لتَقْرير ما أشارَ به أُسامَة، فسارَ إلى القاهِرَة ودَخَلَها على حين غَفْلَةٍ من العادِل، واجْتَمَعَ بالخَلِيفَة وفاوَضَه فيما تقرَّر، فأجابَه إليه، ونَزَلَ إلى دَار جَدَّته وكان من قَتْله للعادِل عليّ بن سَلار ما كان.

فماجَ النَّاسُ، وسَرَّحَ الطَّائِرُ من القَصْر إلى عباس وهو على بِلْبَيْس في الانتظار، فقامَ من فَوْره ودَخَلَ القاهِرَة سَحَر يوم الأحد ثاني عشر المحرَّم سنة ثمانٍ وأربعين وخمس مائة، فوَجَد عِدَّةً من الأتْراك قد نَفَرُوا وخَرَجُوا يدًا واحِدَةً إلى الشَّام، فصارَ إلى القَصْر، وخَلَعَ عليه خِلَع الوَزارَةِ، فباشَرَ الأُمور، وضَبَطَ الأحْوال، وأَكْرَمَ الأُمَرَاء، وأَحْسَنَ إلى الأجْناد.

وازْدادَت مخالَطَةُ وَلَده للخَلِيفَة، فخافَ أن يقتله ما قَتَل ابن السَّلار، فما زالَ به حتى قَتَلَ الخَلِيفَة الظَّافِر كما تقدَّم ذكره [١]، وصارَ إلى القَصْر على العادَة. فلمَّا جَلَسَ في «مَقْطَع الوَزارَة» [٢] سأل الاجتماع بالخَلِيفَة [a]، فدَخَلَ الزِّمام إلى دور الحُرَم فلم يجد الخَلِيفَة، فلمَّا عادَ إليه أحضر أَخَوَي الظَّافِر واتَّهَمَهُما بقَتْله وقَتَلَهما قُدَّامه، واستدعى بوَلَد الظَّافِر عيسى ولَقَّبَه بالفائِز بنَصْر الله؛ فكَثُرَت [b] النِّياحَةُ على الظَّافِر، وبَحَثَ أَهْلُ القَصْر على كيفية قَتْله، فكَتَبوا إلى طَلائِع ابن رُزِّيك - وهو والي الأُشْمُونَيْن - يَسْتَدْعُونه فحَشَدَ وسارَ. فاضْطَرَب عَبَّاسٌ، وكَثُرَت مُناكَدة أَهْل القاهِرَة له، حتى إنَّه مَرَّ يومًا فرُمِيَ من طاقٍ [c] يُشْرف على شارِع بقِدْرٍ مَمْلوءةٍ طعامًا حارًّا، فعَوَّل على الفِرار، وخَرَجَ ومعه ابنُه وأُسامَة بن مُنْقِذ وجَميعُ ما لهم من أَتْباعٍ ومالٍ وسِلاح.

ودَخَلَ طَلائِعُ إلى القاهِرَة، واستقرَّ في وَزارَة الخَلِيفَة الفائِز، فسَيَّر أَهْلُ القَصْر إلى الفِرِنْج البَريد بطَلَب عبَّاس، فخَرَجوا إليه. وكانت بينهم وبينه وَقْعَةٌ فَرَّ فيها عنه [d] أُسَامَةُ بجَماعَةٍ إلى الشَّام،

---

a) بولاق : على الخليفة. b) بولاق : وكثرت. c) بولاق : طاقة. d) ساقطة من بولاق.

---

[١] فيما تقدم ٨٥- ٨٦.

[٢] انظر عن مَقْطَع الوَزارَة، فيما تقدم ٢: ٢٩٠هـ [٤].

فظَفِرَ به الفِرنْجُ وقَتَلوه، وأَخَذوا ابنه في قَفَصٍ من حَديد، وجهَّزوه إلى القاهِرَة، وذلك في شهر رَبيع الأوَّل سنة تسعٍ وأربعين وخمس مائة، فلمَّا وصَلَ ابنُه إلى القصر قُتِلَ وصُلِبَ على باب زَوِيلَة، وأُحْرِقَ بعد ذلك[1].

ثم عُرِفَت هذه الدَّارُ بعد ذلك بدار تَقيّ الدِّين صاحِب حَمَاة، ثم خَرِبَت وحُكِر مكانُها، فصارَ يُعْرَف بحِكْر صاحِب حَماة، وبُنِي فيه عِدَّة دُور[2]. وموضعُها الآن بداخِل دَرْب شَمْس الدَّوْلة بالقُرْب من حَمّام عَبَّاس، التي تُعْرَف اليوم بحَمَّام الكُوَيْك[3]. ٥

دَارُ ابن فَضل الله

هذه الدَّارُ فيما بين حارَة زَوِيلَة والبُنْدُقانيين، كان مَوضِعُها من جملة إسْطَبْل الجُمَّيزَة، عُرِفَت بابن فَضْل الله.

١٠ وبنو فَضْلُ الله جماعةٌ: أوَّلُهم بمصر شَـرَفُ الدِّين عبد الوهَّاب بن الصَّاحِب جَمال الدِّين أبي المآثِر فَضْل الله بن الأمير عِزّ الدِّين الحِلِّي بن دَعْجَان العُمَري، وَلِيَ كتابة السِّرّ للملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون، ثم صَرَفَه عنها وَولَّاه كِتابَة السِّرّ بدِمَشْق، فلم يَزَل بها حتى ماتَ في ثالِث شهر رَمَضان سنة سبع عشرة وسبع مائة[4]. وقد عُمِّرَ وبَلَغَ أَرْبعًا وتسعين سنةً، وخَلَّف أمْوالًا جَمَّةً، ورَثَاه الشِّهاب محمود وقد ولِيَ بعده، ورَثاه عَلاءُ الدِّين عليّ بن غانم والجَمَالُ بن نُباتَة. وكان فاضِلًا بارِعًا أديبًا، عاقِلًا وَقُورًا ناهِضًا، ثِقَةً أمينًا مَشْكورًا، مَليحَ الخَطّ ١٥

---

[1] انظر تفاصيل هذه الأحداث عند أسامة بن منقذ: الاعتبار ٤١- ٤٤؛ ابن الطوير: نزهة المقلتين ٦١- ٦٧؛ ابن ميسر: أخبار مصر ١٤٦- ١٤٧؛ أبي شامة: الروضتين ٢٢٦:١- ٢٢٧؛ النويري: نهاية ٣١٤:٢٨- ٣١٥؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢٠٤:٣- ٢٠٥، ٢٠٨؛ المقفى ٤١:٢- ٤٣ و ١٢٢؛ أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر ٢٧٦- ٢٧٩.

وانظر عن عبَّاس الصِّنهاجي، ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة ١٠٩؛ ابن ميسر: أخبار مصر ١٥٠؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٩٢:٣- ٤٩٣؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٥٦٧:٦- ٥٦٨؛ المقريزي: المقفى الكبير ٤٢:٤- ٤٥.

[2] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٠٩- ١١٠؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٤٠٣.

[3] المقريزي: مسودة المواعظ ٤٠٤.

[4] انظر ترجمة شَرَف الدِّين عبد الوهَّاب بن فَضْل الله العُمَري، المتوفى سنة ٧١٣هـ/١٣١٧م عند، الصفدي: أعيان العصر ١٩١:٣- ١٩٩، الوافي بالوفيات ٣١٧:١٩- ٣٢٤؛ المقريزي: السلوك ١٧٩:٢؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٤٢:٣؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٣٨٧:٧- ٣٩٠، النجوم الزاهرة ٢٤٠:٩، وانظر سردًا لوظائفه عند القلقشندي: صبح الأعشى ٩٧:١- ٩٨، ٩٣:١٢- ٩٥.

جَيِّد الإنْشَاء، حَدَّث عن الشَّيْخ عِزِّ الدِّين عبد العَزيز بن عبد السَّلام وغيره.

ومنهم **مُحيي الدِّين يحيىٰ** بن الصَّاحِب جَمال الدِّين أبي المَآثِر فَضْل الله بن مُجَلِّي بن دَعْجان ابن خَلفَ بن نَصْر بن مَنْصُور بن عُبَيْد الله بن عليّ بن محمد بن أبي بكر عبد الله بن عبيد الله بن عُمَر بن الخَطَّاب القُرَشي العَدَوي العُمَري[1]، وليَ كِتابَة السِّرّ بالدِّيار المصرية عن الملك النَّاصِر محمد[a]، نُقِلَ إليها من كِتابَة سِرّ دِمَشْق لمَّا مَرِضَ عَلاءُ الدِّين [b]ابن الأثير كاتِب السِّرّ[b] باسْتِدْعائِه إلى مصر، وأُقيم بَدَلَه في كِتابَة سِرّ دِمَشْق شَرَفُ الدِّين أبو بكر بن الشِّهاب محمود. وكان استقرارُه في محرَّم سنة ثلاثين وسبع مائة، فباشَرها إلى ثاني عشر شَعْبان سنة اثنتين وثلاثين، ونُقِلَ منها إلى كِتابَة السِّرّ بدِمَشْق، وطَلَبَ شَرَف الدِّين بن الشِّهاب محمود، فاستقرَّ في كِتابَة السِّرّ بمصر إلى شهر رَبيع الآخَر سنة ثلاثٍ وثلاثين، فطَلَبَ محيي الدِّين من دِمَشْق هو وابنه شِهاب الدِّين أحمد، فوصَلا إلى القاهِرَة غُرّة جُمادَىٰ الأولىٰ، وخَلَعَ عليهما ورَسَمَ لهما بكِتابَة السِّرّ، نَقَلَ[c] ابن الشِّهاب محمود إلى كِتابَة السِّرّ بدِمَشْق. فلم يَزَل مُحيي الدِّين يُباشِر كِتابَة السِّرّ هو وابنه إلى أنْ كان من تَنكُز السُّلْطان لوَلَده شِهاب الدِّين ما كان. وذلك أنَّه كان اسْتُعْفِي من الوَظيفَة لثِقَل سَمْعه وكِبَر سِنِّه، فأُذِن له أنْ يُقيم ابنَه القاضي شِهاب الدِّين يُباشِر عنه؛ فصارَ الاسْم لمحيي الدِّين والمُباشِر ابنه شِهابَ الدِّين، إلى أن حَضَر الأميرُ تَنكِز نائِب الشَّام إلى القَلْعَة، وسأل السُّلْطان في عَلَم الدِّين محمد بن قُطْب الدِّين أحمد بن مُفَضَّل ـ المعروف بابن القُطْب ـ أن يولِّيه / كِتابَة السِّرّ بدِمَشْق.

وكان السُّلْطانُ لا يَمْنَع تَنكِز شيئًا يسأله، فخَلَع عليه، وأقرّه في ذلك عِوضًا عن جَمال الدِّين عبد الله بن الأثير. فأَخَذَ شِهابُ الدِّين يُنقِّصه عند السُّلْطان بأنَّه نَصْراني الأصْل، وليس من أهْل صِناعَة الإنْشاء ونحو ذلك، والسُّلْطانُ مُغْضٍ عنه غير مُلْتَفِت إلى ما يُرْمَى به رِعايَة لتَنكِز. فلمَّا كَتَبَ تَوْقيع ابن القُطْب، أرادَ تكثير الألْقاب والزِّيادة له في المَعْلوم. فامْتَنَعَ شِهابُ الدِّين من كِتابَة ذلك، وكان حادَّ المزاج، قويَّ النَّفْس، شَرِسَ الأخْلاق، ففاجأ السُّلْطان بغِلْظَة ومُخاشَنَة في

a) ساقطة من بولاق. b-b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: طلب.

[1] انظر ترجمة محيي الدِّين يحيى بن فَضْل الله العُمَري، المتوفى سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٨م عند، الصفدي: أعيان العصر ٥: ٥٧١-٥٧٦؛ المقريزي: السلوك ٢: ٤٥٧؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٥: ١٩٩؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٣١٦، الدليل الشافي ٢: ٧٧٩-٧٨٠.

القَوْل . وكان من كلامِه : كيف تَعْمَل قِبْطيًّا أسْلَمِيًّا كاتِب السِّرّ وتَزيد مَعْلومه؟ وبالَغ في الجَراءَة حتى قال : ما يَفْلَح من يَخْدِمك ، وخِدْمَتُك عليَّ حرام . ونَهَض قائمًا لشِدَّة حَنَقه . وكان هذا منه بحَضْرَة الأُمَرَاء ، فغَضِبُوا لذلك وهَمُّوا بضَرْب عُنُقه ، فأغْضَى السُّلْطانُ عنه .

وبَلَغ مُحْيِيَ الدِّين ما كان من ابنه ، فبادَر إلى السُّلْطانَ ، وقَبَّلَ الأرْضَ ، واعْتَرَفَ بخطأ ابنه ، واعْتَذَرَ عن تأخُّره بثِقَل سَمْعه . فرَسَمَ له أن يكون ابنُه عَلاءُ الدِّين عليّ يدخل ويَقْرأ البَريد ، فاعْتَذَر بأنَّه صَغير لا يَقُوم بالوَظيفَة ، فقال السُّلْطانُ : أنا أُرَبِّيه مثل ما أَعْرِف ، فصارَ يَخْلُف أباه كما كان شِهابُ الدِّين .

وانْقَطَعَ شِهابُ الدِّين في منزله مُدَّةَ سنين إلى أن ماتَ أبوه مُحيي الدِّين في يوم الأربعاء تاسِع شهر رَمَضان سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مائة بالقاهِرَة ، عن ثلاثٍ وتسعين سنة ، وهو متمتِّعٌ بحواسِّه ، فدُفِنَ ظاهِر القاهِرَة ، ثم نُقِلَ إلى تُرْبَتِهم من سَفْح قاسِيُون بدِمَشْق . وكان صَدْرًا معظَّمًا ، رَزينًا كامِلَ السُّؤْدَد ، مموَّلًا[a] كاتِبًا بارِعًا ، دَبَّر الأقاليمَ بكفايته وحُسْن سِياسَتِه ووُفُور عَقْله وأمانَته وشِدَّة تحرُّزه ، وله النَّظْمُ والنَّثْرُ البَديعُ الرَّائق ، فمن شِعْره :

[الطويل]

تُضاحِكُني لَيْلَى فأَحْسَبُ ثَغْرَها	سَنَا البَرْقِ لكن أين منه سَنَا البَرْقِ
وأَخْفَتْ نُجومَ الصُّبْح حين تَبَسَّمَت	فقُمْتُ بفَرْعَيْها أشد على الشَّرْقِ
وقُلْتُ سَواء جُنْح لَيْلٍ وشَعْرُها	ولم أدْرِ أنَّ الصُّبْحَ من جِهة الفَرْقِ

عَـلاءُ الدِّين عـليّ بن يحيىٰ بن فَضْل الله العُمَري[1] . اسْتَقَلَّ بوَظيفَة كِتابَة السِّرّ قَبْل مَوْت أبيه مُحْيِي الدِّين ، وخُلِعَ عليه يوم الاثنين رابع شهر رَمَضان سنة ثمانٍ وثلاثين وسبعمائة وله من العُمْر أرْبعٌ وعشرون سنة . فخَرَجَ وفي خِدْمَته الصَّاحِبُ والدَّوادار ، وتقدَّم أَمْرُ السُّلْطان للمُوَقِّعين بامْتِثال ما يأمُرُهم به عن السُّلْطان ، فشَقَّ ذلك على أخيه شِهاب الدِّين وحَسَدَه ، ورُبَّما قيل إنه سَمَّه ، فكان يَعْتَرِيه دَمٌ منه إلى أن مات .

a) بولاق : حركا .

[1] عَلاءُ الدِّين عليّ بن محيي الدين يَحْيى بن فَضْل الله القُرَشي العُمَري ، المتوفى في رمضان سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٨م . (الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٢:٢٢٢- ٣٢٨؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ٣: ٣١٦؛ المقريزي: السلوك ٣: ١٦٦؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٣:٢١٢- ٢١٣؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١: ١٠٢، المنهل الصافي ٨:٢٤٠-٢٤١) .

ثم إنَّه كَتَبَ قِصَّةً يسأل فيها السَّفَر إلى الشَّام ، وشَكا كَثْرَة التَّكْلفَة - وكان قبل ذلك جَرَى ذكرُه في مَجْلِس السُّلْطان ، فذَمَّه وتَهَدَّدَه - فعندما قُرِئَت عليه قِصَّتُه تحرَّك ما كان ساكِنًا من غَضَبه ، ورَسَم بإيقاع الحَوْطَة عليه . فحُمِلَ من دَارِه إلى قاعَة الصَّاحِب من قَلْعَة الجَبَل في رابع عشرين شَعْبان سنة تسع وثلاثين ، وخَرَجَ إليه الأميرُ طَاجَار الدَّوادار ، وأَمَر به فعُرِّيَ من ثِيابِه لِيُضْرَب بالمقَارِع ، فرَفَقَ به ولم يَضْرِبه ، واستَكْتَبَه خَطَّه بحَمْل عشرة آلاف . فأُحيط بدارِه ، وأُخْرِجَ سائِرُ ما وُجِدَ له وبيع عليه ، وأَرْسَلَ مملوكَه إلى بلاد الشَّام ، فباعَ كلَّ ما له فيها ، واقْتَرَضَ خمسين ألف درهم حتى حَمَلَ من ذلك كلّه مائة وأربعين ألف درهم ، عنها سبعة آلاف دينار .

فسَكَنَ أَمْرُه وخَفَّ الطَّلَبُ عنه ، وأقامَ إلى ثالِث عشر رَبيع الآخَر سنة أربعين مُدَّة سبعة أشهر وثمانية عشر يومًا ففَرَّجَ الله عنه بأَمْرٍ عَجيب . وهو أنَّه لمَّا كان يُباشِر عن أبيه ، وَقَّعَ شَخْصٌ من الكُتَّاب بشيءٍ زَوَّرَه [a]، فرَسَم السُّلْطانُ بقَطْع يده ، [b]فلم يَزَل شِهابُ الدِّين يَتَلَطَّف في أمْره حتى عَفَا السُّلْطانُ عنه من قَطْع يدِه[b] وأَمَر به فسُجِنَ طُول هذه السِّنين إلى أن قَدَّر الله سبحانه أنَّه رَفَعَ قِصَّةً يسأل فيها العَفْو عنه . فلمَّا قُرِئَت على السُّلْطان لم يعرفه ، فسأل عن خَبَره وشأنِه ، فقيل له لا يَعْرف خَبَرَ هذا إلَّا شِهابُ الدِّين بن فَضْل الله ، فبَعَثَ إليه بقاعَة الصَّاحِب يَسْتَخْبِره عنه ، فطالَعَه بقِصَّته وما كان منه ، فألان الله له قَلْبَ السُّلْطان ، ورَسَمَ بالإفْراج عن الرَّجُل وعن شِهاب الدِّين وعن مَمْلوكه ، ففَرَّجَ الله عن الثلاثة .

ونَزَلَ شِهابُ الدِّين إلى دَارِه ، وأقامَ إلى أن قَبَضَ السُّلْطانُ على الأمير تَنْكِز نائِب الشَّام ، فاستدعى شِهابَ الدِّين إلى حَضْرَته وحَلَّفه ، ووَلَّاه كِتابَة السِّرِّ بدِمَشْق عِوضًا عن شَرَف الدِّين خالِد بن عِمادِ الدِّين إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن خالد ابن نَصْر المَخْزومي المعروف بابن القَيْسَراني ، فباشَرَها حتى ماتَ بدِمَشْق . وانْفَرَدَ أَخُوه عَلاءُ الدِّين بكِتابَة السِّرِّ إلى أنْ مات ليلة الجُمُعَة التاسع والعشرين من شهر رَمضان ، سنة تسع وستين وسبع مائة ، بمنزله من القاهِرَة عن سبع وخمسين سنة ، وتَرَكَ سِتَّة بنين وأَرْبَع بَنات .

---

a) بولاق : زور . b-b) ساقطة من بولاق .

بَدْرُ الدِّين محمَّد بن عليّ بن يحيى بن فَضْل الله [١]، وَلّاه الملكُ الأَشْرَفُ شَعْبانُ بن حسين كتابةَ السِّرّ، وأبوه في مَرَضِ مَوْتِه، يوم الخميس ثامِن عشرين شهر رَمَضان سنة تسعٍ وستين وسبع مائة، وله من العُمْر تِسعَ عشرة سنة، وجَعَل أخاه عِزّ الدِّين حَمْزَة نائبًا عنه[a] فباشَر إلى شَوّال سنة أربعٍ وثمانين وسبع مائة. فصُرِفَ بأَوْحَد الدِّين عبد الواحِد / بن إسماعيل بن ياسين [٢]، ولَزِمَ دارَه فلم يره أحَدٌ ألبتَّة إلى أن ماتَ أَوْحَد الدِّين، فنَزَلَ إليه الأميرُ يُونُس الدَّوادار واستدعاه، فركب بثياب جُلُوسِه من غير خُفٍّ ولا فَرَجِيَّة ولا شَاش، وصَعِدَ إلى القَلْعَة، فخُلِعَ عليه في اليوم الرَّابِع من ذي الحجَّة سنة ستٍّ وثمانين.

فلمَّا ثارَ الأميرُ يَلْبُغا النَّاصِريّ على الملك الظَّاهِر وخَلَعه من المُلْك، وأقامَ الملك الصَّالِحَ حاجي ابن الأَشْرَف شَعْبان بن حُسَيْن ولقَّبه بالملك المَنْصور، ثم خَرَجَ الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقوق من مَحْبَسِه بالكَرَك، وسَارَ إلى مُحارَبَته[b] الأميرُ تَمُرْبُغا مِنْطاش [٣] ومعه المنصور حاجي، خَرَجَ[c] ابن فَضْل الله. فلمَّا انْهَزَمَ مِنْطاش على شَقْحَب، واسْتَوْلَى بَرْقوق على المَنْصور والخَلِيفَة والقُضَاة والخَزائِن، كان[d] ابنُ فَضْلُ الله وأخوه عِزُّ الدِّين في مَنْ فَرَّ مع مِنْطاش إلى دِمَشْق، فأقامَ بها، واستولى بَرْقوق على تَخْت المُلْك بقَلْعَة الجَبَل، فوَلَّى عَلاءَ الدِّين عليّ بن عيسىٰ الكَرَكِي كِتابَة السِّرّ.

وأَخَذَ ابنُ فَضْلُ الله يَتَحَيَّل في الخُرُوج من دِمَشْق، وسَيَّرَ إلى السُّلطان مُطالَعَةً فيها من شِعْره:

[البسيط]

يُقَبِّلُ الأرْضَ عبدٌ بعد خِدْمَتِكُم	قد مَسَّه ضَرَرٌ ما مثله ضَرَرُ
حَصْرٌ وحَبْسٌ وتَرْسِيم أقامَ به	وفُرْقَة الأهْل والأوْلاد والفِكَرُ

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: محاربة. c) بولاق: فخرج. d) بولاق: وكان.

[١] انظر ترجمته عند المقريزي: المقفى الكبير ٥: ٣٨٩-٣٩٣؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٤: ٢١٥؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١٢: ١٤٠، الدليل الشافي ٢: ٦٥٨؛ الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان ١: ٣٩٤.

[٢] انظر ترجمة أَوْحَد الدِّين عبد الواحِد بن إسماعيل بن ياسين فيما يلي ٢٥٤.

[٣] الأميرُ سَيْفُ الدِّين تَمُرْبُغا الأَفْضَلي الأَشْرَفي شَعْبان الشهير بمِنْطاش، المتوفى مقتولا بقلعة حلب سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٣م. (ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٥٢؛ ٥: ١٢٤؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٢: ١-٤٢، المنهل الصافي ٤: ٩٤-٩٩).

لكنَّه والوَرَى مُسْتَبْشِرون بِكُم ... يَرْجُو بم فَرَجًا يأتي ويَنْتَظِرُ
والشُّغْل يُقْضَى لأنَّ النَّاسَ قد نَدِموا ... إذْ عايَنُوا الجَوْر من مِنْطاش يَنْتَشِرُ
جَوَّزوا كما فَرَّطوا في حَقِّكم ورأوا ... ظُلْمًا عَظيمًا به الأكْبادُ تَنْفَطِرُ
والله إن جاءَهم من بابِكم أَحَدٌ ... قاموا له معكم بالرُّوح وانْتَصَرُوا
٥ الله ينصُركُم طُولَ المَدَى أَبَدًا ... يا مَنْ زَمانُهم من دَهْرِنا غُرَرُ

قَدِمَ إلى القاهِرَة ومعه أَخُوه عِزُّ الدِّين حَمْزة، وجَمال الدِّين محمود القَيْصَري ناظِر الجَيْش، وتاجُ الدّين عبد الرَّحيم بن أبي شاكِر، وشَمْسُ الدِّين محمد بن الصَّاحِب. فما زالَ في دَارِه إلى أن سافَرَ المَلكُ الظَّاهِر إلى بلاد الشَّام في سنة ثلاث وتسعين. فتقدَّم أَمْرُه إليه بالمسير مع العَسْكَر فسارَ بَطَّالًا، وقَدَّرَ الله تعالى ضَعف عَلاء الدِّين الكَرَكي، فوَلَّاه كِتابَة السِّرِّ، وصَرَف الكَرَكي ١٠ في شَوَّال.

وكانت هذه وِلايَةً ثالثةً، فباشَرَ وتمكَّن هذه المرَّة من سُلْطَانِه تمكُّنًا زائِدًا، إلى أن سافَرَ السُّلْطانُ إلى البلاد الشَّامية في سنة ستٍّ وتسعين، فماتَ بدِمَشْق يوم الثلاثاء لعشرين من شَوَّال سنة ستٍّ وتسعين وسبع مائة، ودُفِنَ بتُرْبَتهم بسَفْح قاسِيون، وماتَ أَخُوه حَمْزَة أيضًا بدِمَشْق في أوائِل المحرَّم سنة سبعٍ وتسعين وسبع مائة، ودُفِنَ بها.

١٥ وانْقَطَعَ بمَوْتِهما هذا البَيْتُ، فلم يَبْقَ من بعدهما إلَّا كما قال الله سُبْحانَه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلوة واتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْف يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [الآية ٥٩ سورة مريم].

ومن شِعْر البَدْر محمد بن فَضْل الله ما كَتَبَه عُنْوانًا لِكِتاب المَلك الظَّاهِر بَرْقوق، جَوابًا عن كِتاب تَيْمورلَنْك الوارِد إلى مصر في سنة ستٍّ وتسعين وسبع مائة، وعُنْوانُه:

[الطويل]

٢٠ سَلامٌ وإهْداءُ السَّلام من البُعْدِ ... دَليلٌ على حِفْظِ المَوَدَّةِ والعَهْدِ

فافْتَتَحَ البَدْرُ العُنْوان بقوله:

[الطويل]

طَويلُ حَياة المَرْءِ كاليومِ في العَدِّ ... فخَيِّرْته ألَّا يزيد على العَدِّ
فلا بُدَّ من نَقْصٍ لكلِّ زِيادَةٍ ... لأنَّ شَديدَ البَطْش يقْتَصّ للعَبْد

وكَتَبَ فيه من شِعْره أيضًا جَوابًا عن كَثْرَة تَهْديد تَيْمورلَنْك وافْتِخارِه:

[البسيط]

السَّيْفُ والرُّمْحُ والنُّشَّابُ قد عَلِمَت ... مِنَّا الحروبَ فسَلها فهي تُنْبيكا
إذا التَقَيْنا تَجِد هذا مُشاهَدَةً ... في الحَرْب فاثْبُت فأمْرُ الله آتيكا

بخِدْمَةِ الحَرَمَيْنِ الله شَرَّفَنَا فَضْلًا ومَلَّكَنا الأَمْصارَ تَمْلِيكا
وبالجَميل وحُلْو النَّصْر عَوَّدَنا خُذِ التَّواريخ واقْرأها فتُنْبيكا
والأَنْبياءُ لَنَا الرُّكن الشَّديد وكَمْ بجاهِهم من عَدُوٍّ راحَ مَفْلوكا
ومَنْ يَكُن رَبُّه الفَتَّاح ناصِرَه مِمَّن يَخافُ وهذا القَوْلُ يَكْفيكا

وقال : ٥

[الطويل]

إذا المَرْءُ لم يَعْرِف قَبيحَ خَطيئَته[a] ولا الذَّنْب منه مع عَظيم بَلِيَّتِه
فذَلِكَ عَيْنُ الجَهْلِ مِنْه مع الخَطأ وسَوْف يَرَى عُقْباه عند مَنِيَّتِه
ولَيْسَ يُجازَى المَرْءُ إلَّا بفِعْلِه وما يَرْجِع الصَّيَّادُ إلَّا بنِيَّتِه

/وهذه الدَّارُ كانت مَوْجُودَةً قَبْل بني فَضْل الله ، وتُعْرَف بدار بَيْبَرْس ، فعَمَّر فيها مُحْيي الدِّين ١٠ وابنُه عَلاءُ الدِّين ، وكانت من أَبْهَج دُور القاهِرَة وأعْظَمها . وما زالت بيد أَوْلاد بَدْرِ الدِّين وأخيه عِزّ الدِّين حَمْزَة ، إلى أن تغَلَّب الأميرُ جَمالُ الدِّين على أَمْوَال الخَلْق . فأَخَذَ ابنُ أخيه الأمير شِهابُ الدِّين أحمد الحاجِب ـ المعروف بسيدي أحمد ـ ابن أخت جَمال الدِّين دَار بني فَضْل الله منهم ، كما أَخَذَ خالُه دُور النَّاس وأَوْقافَهم ، وعَوَّضَ أولادَ ابن فَضْل الله عنها ، وغَيَّرَ كثيرًا من مَعالِمها . ١٥

وشَرَطَ[b] في الازْدياد من العِمارَة اقتداءً بخالِه ، فأَخَذَ دُورًا كانت بجوار مُسْتَوْقَد حَمَّام ابن عَبُّود المقابلة لدار ابن فَضْلِ الله ، واغْتَصَبَ لها الرُّخامَ والأَحْجَارَ والأَخْشَاب ، وهَدَمَ عدَّة دُورٍ وكثيرًا من التُّرَب بالقَرافَة ـ منها تُرْبَة الشَّيْخ عِزّ الدين بن عبد السَّلام ، وكانت عَجيبةَ البِناء ـ وأَدْخَل ذلك في عِمارَته المذكورة ، ووَسَّعَ فيها من جِهَة البُنْدُقانيين ما كان خَرابًا منذ الحَريق الذي تَقَدَّم ذكره[1] ، وأَنْشَأَ من هناك حَوْضَ ماءٍ تَشْرَب منه الدَّواب . ٢٠

فلمَّا قارَب إكمالَها ، قَبَضَ الملكُ النَّاصِرُ فَرَج على خالِه جَمال الدِّين يوسُف الأُسْتادَّار[c] وقَتَلَه ، وكان أحمدُ هذا مِمَّن قُبِضَ عليه معه . فوَضَعَ الأمير تَغْري بِرْدي ـ وهو يومئذٍ أَجَلُّ أُمَراء النَّاصِر ـ يدَه على هذه الدَّار ، وما رَضِيَ بأَخْذِها حتى طَلَبَ كتابَها ، فإذا به قد تَضَمَّنَ أَنَّ أحمد

a) بولاق : خطيئة . b) بولاق : وشرع . c) بولاق : أستادا .

[1] فيما تقدم ٨٩- ٩١.

وَقَفَ[a] هذه الدَّار، فما زال[b] بقُضَاة العَصْر حتى حَكَمُوا له بهذه الدَّار، وجَعَلُوها له بطَريقٍ من طُرُقِهم، فأقامَ فيها حتى أخْرَجَه النَّاصِرُ لنيابَة دِمَشْق في سنة ثلاث عشرة وثمان مائة[c]، فنَزَلَ بها الأمير دَمُرْداش[١]. فلمَّا قُتِلَ النَّاصِرُ وقامَ من بعده الملكُ المُؤَيَّدُ شَيْخ وقَبَضَ على الأمير دَمُرْداش، ثارَت ابنةُ جمالِ الدِّين ـ وهي امرأة أحمد المذكور ولها منه أوْلادٌ ـ وأرادَت اسْتِرْجاعَ الدَّار كما فَعَلَت في مَدْرَسَة أبيها، وكان لها ولوَرَثَة تَغْري بِرْدي شُئون[d]، واستقرَّت لبني تَغْري بِرْدي[٢].

دَارُ بَيْبَرْس

هذه الدَّار فيما بين دار ابن فَضْل الله والسَّبْع قاعات، في ظَهْر حارَة زَوِيلَة وقَرِيبَة من سُوَيْقَة المَسْعودي، تُشْبِه أن تكون من جملة إسْطَبْل الجُمَّيْزَة. كانت دَارَ الشَّرِيف بن ثَعْلَب صاحِب المَدْرَسة الشَّرِيفية برأس حارة الجَوْذَرِيَّة. ثم عُرِفَت (e بالأمير رُكْن الدِّين أباجي[٣]، ثم عُرِفَت e) بالأمير رُكْن الدِّين بَيْبَرْس الجَاشَنْكير، فإنَّه كان يَسْكُنها وهو أميرٌ قبل أن يلي السَّلْطَنَة، وجَدَّدَ رُخامَها من الرُّخام الذي دَلَّه عليه الأميرُ ناصِر الدِّين محمد بن الأمير بَدْر الدِّين بَكْتاش الفَخْري أمير سِلاح، بالقَصْر الذي عُرِفَ بقَصْر أمير سِلاح من جملة قَصْر الخُلَفاء كما سيأتي خبر ذلك عند ذِكْر الخانْقاه الرُّكْنية بَيْبَرْس، فإنَّ بَيْبَرْس هذا هو الذي أنشأها[٤].

---

a) بولاق: قد وقف. b) بولاق: فلم يزل. c) بولاق: وسبع مائة. d) بولاق: مخاصمات. e-e) ساقطة من بولاق.

---

[١] الأمير سَيْفُ الدِّين دَمُرْداش المحمَّدي الأتابكي الظَّاهري، نائب حَلَب ثم نائب دِمَشْق، المتوفى سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م. (المقريزي: السلوك ٤: ٣٠١؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٣: ٧٩؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٥: ٣١٦- ٣٢٤، النجوم الزاهرة ١٤: ١٣٨؛ السخاوي: الضوء اللامع ٣: ٢١٩؛ ابن إياس: بدائع الزهور ٢: ١٨).

[٢] ذَكَرها أبو المحاسن بنُ تَغْري بردي في وثيقة وَقْفه المحفوظة بمحكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة تحت رقم ١٤٧ محفظة ٢٣، ووَصَفَها بالعبارة التالية: الدَّارُ الكائنة بخُطّ رأس حارة بُرْجُوان بالقاهرة المحروسة بالقرب من حمَّام الرُّومي بجوار المسجد المعمور بذكر الله المعروف بمسجد الكويك، وتُدْلُق معدّ لطبخ السكر» (عبد اللطيف إبراهيم: «وقفية ابن تَغْري بِرْدي» في كتاب المؤرِّخ ابن تَغْري بِرْدي، القاهرة ١٩٧٤، ٢٠٠، ٢٠٥، وفيما يلي ٢٤٧هـ[١]).

ولم يرد ذكر لمسجد الكويك في كِتاب الخِطَط وإنَّما ورد عَرَضًا ذِكْرُ لحمام الكُوَيْك المعروفة بحمام عبَّاس. (فيما تقدم ١٤٧، ١٨٥) داخل حارة زويلة وقرب شمس الدولة.

[٣] المقريزي: مسودة المواعظ ٤٠٥.

[٤] فيما يلي ٢: ٤١٧.

ولم تَزَل إلى أن هَدَمَها ناصِرُ الدِّين محمد بن البارِزي الحَمَوي كاتِبُ السِّرِّ بعد ما اشْتَراها نَقْضًا، كما اشْتَرى غيرها من الأوْقاف وذلك في سنة إحدى وعشرين وثمان مائة.

السَّبْعُ قاعات

هذه الدَّارُ عُرِفَت بالسَّبْع قاعات، وهي يُتَوصَّل إليها من جِوار دار بَيْبَرْس المذكورة ومن سُوَيْقَة الصَّاحِب، وقد صارَت عِدَّةَ مَساكِن جَليلَة، ومكانُها من جملة إسْطَبْل الجِمِّيزَة. أنشأها الوَزيرُ الصَّاحِبُ عَلَمُ الدِّين بن زُنْبُور، ووَقَفَها من جُمْلَة ما وَقَفَ. فلمَّا قُبِضَ عليه قامَ[a] الأميرُ صَرْغَتْمُش في[a] حَلِّ أوْقافِه، ووَعد بالسَّبْع قاعات خَوَنْد قُطْلومَلك[b] ابنة الأمير تَنْكِز الحُسامي نائِب الشَّام، أمّ السُّلْطان الملك الصَّالِح صَالِح بن النَّاصِر محمد بن قَلاوون.

ولَقَّنَه الشَّريفان شَرَفُ الدِّين عليّ بن حسين بن محمد نَقيب الأشْراف وأبو العَبَّاس الصَّفْراوي: أنَّ النَّاصِرَ لمَّا قَبَضَ على كَريم الدِّين الكبير، بعَثَ إلى كريم الدِّين من شَهِدَ عليه أنَّ جَميعَ ما صارَ بيده من الأمْلاك ـ وَقْفُها وطَلْقُها ـ إنَّما هو من مالِ السُّلْطان دون مالِه، وشَهِدَ بذلك عند قاضي القُضَاة بَدْر الدِّين محمد بن جَماعَة، فأَثْبَتَ بهذه الشَّهادَة أنَّ أمْلاك كَريم الدِّين جارِيَةٌ في أمْلاك السُّلْطان فأقَرَّ السُّلْطانُ ما وَقَفه كَريمُ الدِّين منها على حالِه، وسمَّاه «الوَقْف النَّاصِريّ».

فلمَّا جَلَسَ السُّلْطانُ الملكُ الصَّالِح بدار العَدْل، وحَضَرَ قاضي القُضَاة والأُمَرَاءُ وغيرهم من أهلِ الدَّوْلَة على العادَة، تكلَّم الأميرُ صَرْغَتْمُش مع قاضي القُضَاة عِزّ الدِّين عبد العَزيز بن بَدْر الدِّين محمد بن جَماعَة في حَلِّ أوْقاف ابن زُنْبُور، فإنها مِلْكُ السُّلْطان ومن مالِه اشْتَراها، وذَكَرَ قَضِيَّة كَريم الدِّين. فأجابَه بأنَّ تلكَ القَضِيَّة كانت صِحَّتُها مشهورة، وذلك أنَّ خَزَائِنَ السُّلْطان وحَواصِلَه وأموالَه كلُّها كانت بيد كَريم الدِّين وفي دَارِه يتصرَّف فيها على ما يختار كما[c] جَعلَ له السُّلْطانُ بتَوْكيله والإذْن له في التَّصَرُّف. بخِلاف ابن زُنْبُور فإنَّه كان يتصرَّف في مالِه الذي اكْتَسَبه من المَتْجَر وغيره، فما وَقَفَه وثَبَتَ وَقْفُه وحَكَمَ قُضَاةُ الإسْلام بصِحَّتِه، لا سَبيلَ إلى حَلِّه، وساعَدَه في ذلك قاضي القُضَاة[d] موفَّق الدِّين عبد الله الحَنْبلي. وتَرَدَّد الكَلامُ بينهما في ذلك، فاحتجَّ عليهما الأمير صَرْغَتْمُش بما لَقَّنَه الشَّريفان من مُشاطَرَة أمير المؤمنين عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ عُمَّالَه، وأَخْذِه من كلِّ عامِلٍ نصف مالِه، وأنَّ مالَ الوَزير جَميعَه من مال

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: قطلوبيك. c) بولاق: يختاره، وكما ساقطة. d) بولاق: القاضي.

السُّلْطان . فقال له ابنُ جَماعَة : يا أمير إن كنت تَبْحَث معنا في هذه المسألة بَحَثْنا معك ، وإن كان أَحَدٌ قد ذَكَرَها لك فليَحْضُر حتى نُباحِثه[a] فيها ، فإنَّ الذي ذَكَرَ لك هذه المسألة إنَّما قَصَدَ أن تُصادِرَ النَّاس وتأخُذ أموالَهم ، فوافَقَه رِفْقَتُه الثَّلاث قُضَاة على قَوْله . وأرادَ ابنُ جَماعَة بقَوْله هذا التَّعْريض بالشَّريفَيْن - وكان اخْتِصاصُهما بالأمير صَرْغَتْمُش وقيامُهما على ابن زُنْبور مشهورًا - فشَقَّ هذا على الأمير صَرْغَتْمُش ، وانفضَّ المَجْلِسُ وقد اشْتَدَّ حَنَقُه لما رُدَّ عليه من كلامِه ، وعُورِضَ فيه من مُرادِه .

فبَعَثَتْ خَوَنْد أُمُّ السُّلْطان إلى ابن جَماعَة تُعَرِّفه ما وُعِدَت به من مَصير السَّبْع قاعات إليها ، وأكَّدَت عليه في ألَّا يُعارِضَها في حَلِّ أوْقاف ابن زُنْبور . فأجابَها بتَقْبيح هذا ، وخَوَّفَها سُوءَ عاقِبَته ، فكَفَّت عنه .

ولقُوَّة غَيْظ الأمير صَرْغَتْمُش مَرِضَ مَرَضًا شَديدًا من انْفِتاح صَدْرِه ، ونَفْثِه الدَّم حتى خِيفَ عليه المَوْت ، ثم عُوفِيَ بعد ذلك بأيام ، وذلك كلُّه في سنة أربعٍ وخمسين وسبع مائة .

واستمرَّت السَّبْعُ قاعات وَقْفًا بيد ذُرِّيَّة ابن زُنْبور إلى يَوْمِنا[b]، إلَّا أنَّ الأميرَ صَرْغَتْمُش المذكور أَخَذَ رُخامَها ، ووَجَدَ فيها شيئًا كثيرًا من صيني ونُحاس وقُماش وغير ذلك قد أُخْفِيَ في زَواياها .

عَلَمُ الدِّين عبد الله بن تاج الدِّين أحمد بن إبراهيم المعروف بابن زُنْبور[1] ، أوَّل ما باشَر اسْتيفاء الوَجْه القِبْلي شَريكًا لوَهْبَة بن شَجَرَة[c]، وطَلَعَ صُحْبَته الأميرُ عَلَمُ الدِّين عبد الرَّزَّاق كاشِف الوَجْه القِبْلي[2] ونَهَضَ فيه . فلمَّا كانت مُصادَرَة ابن الجَيْعان كاتِب الإسْطَبْل ، طَلَب السُّلْطانُ سائِر الكُتَّاب - وكان منهم ابن زُنْبور - فعَرَضَهم ليختار منهم ، فشَكَر الفَخْرُ ناظِر الجَيْش فيه[d]، وقال : هو وَلَدُ تاج الدِّين رَفيقه ، وشَكَره الأَكُوز .

---

a) بولاق : نبحث معه . b) بولاق : يومنا هذا . c) بولاق : لوهب بن سنجر . d) بولاق : منه .

---

[1] الوزير الصَّاحِب عَلَم الدِّين عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن تاج الدِّين المعروف بابن زُنْبور القِبْطي المصري ، المتوفى سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م . قال الصَّفَدي : «جُمِعَ له من الوظائف الجليلة ما لم يُجْتَمع لغيره ، فقد كان وزيرًا بالدِّيار المصرية ، ومتولِّيًا لنَظَر الجَيْش ونَظَر الخاص ، ولم تجتمع هذه الوظائف الثلاث معًا لأحَدٍ قبله . (الصفدي : أعيان العصر ٢: ٦٥٢- ٦٥٥، الوافي بالوفيات ١٧: ٦٢- ٦٣؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ٣: ١٧٩؛ المقريزي : المقفى الكبير ٤: ٤٢٦- ٤٣٣، السلوك ٢: ٨٧٧؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢: ٣٤٥؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٧: ٦٩- ٧١، النجوم الزاهرة ١٠: ٢٩٩) .

[2] كاشِف جـ كُشَّاف ، وهو من أمراء الطَّبْلخاناه ،=

فلمَّا انفضَّ المجْلِسُ طَلَبَه السُّلْطانُ[a] وخَلَعَ عليه ، فباشَرَ نَظَرَ الإِسْطَبل في سنة سبعٍ وثلاثين وسبع مائة ، ونالَ فيه سَعادَةً طائلةً ، واستمرَّ إلى أن ماتَ السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ محمد ، وحَكَمَ الأميرُ أَيْدُغْمُش ، فباشَرَ اسْتيفَاء الصُّحْبَة [١] .

فلمَّا قُبِضَ على جَمال الكُفاة ناظِر الخاصّ وناظِر الجَيْش [٢] ، وعلى المُوَفَّق ناظِر الدَّوْلَة ، وعلى الصَّفِيّ ناظِر البُيُوت ـ المعروف بكاتِب قَوْصون ـ في سنة خمس وأربعين وسبع مائة ، وماتَ جَمالُ الكُفاة في العُقُوبَة يوم الأحد سادِس شهر رَبيع الأوَّل ، عُيِّنَ ابنُ زُنْبُور لوَظيفَة ناظِر الخاصّ ، ثم قُرِّرَ فيها القاضي مُوَفَّق الدِّين هِبَة الله إبراهيم ناظِر الدَّوْلَة .

وكان ابن زُنْبور وهو مُسْتَوْفي الصُّحْبَة ، قد سَيَّرَه جَمالُ الكُفَاة قبل القَبْض عليه لكَشْف القِلاع الشَّامِيَّة ، ومعه جَرْكْتَمُر[b] الصَّاحب [٣] إبعادًا له ، وكان الأميرُ أَرْغُون العَلائي يُعنى به . فلمَّا قُبِضَ على جَمال الكُفاة ، تحدَّث له العَلائي مع السُّلْطان الملك الصَّالِح إسماعيل بن محمد ابن قَلاوون في نَظَر الخاصّ ، فبَعَثَ في طَلَبِه ، ثم لم يَحْضُر إلَّا بعد شهر ، فتَحَدَّث الوَزيرُ نَجْمُ الدِّين محمود بن عليّ ـ المعروف بوَزير بَغْداد [٤] ـ مع السُّلْطان في وِلاية المُوَفَّق نَظَر الخاصّ ، فخَلَعَ عليه .

وحَضَرَ ابن زُنْبُور من الشَّام ، فباشَرَ نَظَر الدَّوْلَة عَلَم الدِّين بن سَهْلوك ، وابن زُنْبُور على ما هي عادَته في اسْتيفاء الصُّحْبَة ، ونَهَضَ في المُباشَرَة ، وحَصَّلَ الأَموالَ ، ودَخَلَ هو والوَزير نَجْمُ الدِّين ، وشَكَيا توقُّف الدَّوْلَة من كَثْرَة الإنْعامات والإطْلاقات للخُدَّام[c] والجَواري ومن يَلُوذُ بهم . فتقرَّر

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : جراكتمر . c) بولاق : الخدم .

=وقبل اسْتِحداث وَظيفتي : نيابَة الوَجْه القِبْلي ، ونيابة الوَجْه البَحْري في الدَّوْلَة الظاهرية بَرْقوق ، كان بهما كاشِفان . (القلقشندي : صبح الأعشى ٤:١٥، ٢٤-٢٥) .

[١] استيفاء الصُّحْبَة . أرْفَع دَواوين الأموال ، تُثبت فيه التَّواقيع والمراسيم السُّلْطانية ، وكلٌّ من دَواوين الأموال هو فرعٌ لهذا الدِّيوان . ويتحدَّث صاحِبُ هذا الدِّيوان في جَميع المملكة مصرًا وشامًا ويكتب مَراسيم يُعَلِّم عليها السُّلْطانُ ، تارَةً تكون بما يُعْمَل في البلاد ، وتارَةً بإطْلاقات ، وتارَةً باستخدامات كِبارٍ في صِغَار الأعمال . (القلقشندي : صبح الأعشى ٤:٢٩) .

[٢] جَمالُ الكُفَاة إبراهيم القاضي ناظِر الخاصّ ثم الجَيْش ثم الشَّدّ (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠:٢١١) .

[٣] انظر المقريزي : السلوك ٢: ٦٧٠.

[٤] نَجْم الدِّين محمود بن علي بن شروين وزير بغداد . (فيما تقدم ١٦١) .

الحالُ مع الأُمَراء على كِتابَة أوْراقٍ بكُلَف[a] الدَّوْلَة ، فلمَّا قُرِئَت بمَحْضَر الأُمَراء ، بَلَغَت الكُلَف ثلاثين ألف ألف درهم ، والمُتَحَصِّل خمسة عشر ألف[b] ألف درهم . فأُبْطِل ما اسْتُجِدَّ بعد مَوْتِ الملك النَّاصِر بأَسْره ، فلم يستمرّ غير شهرٍ واحدٍ حتى عادَ الأَمْرُ على ما كان عليه ، بحيث بَلَغَ مَصْروف الحَوائِج خاناه في كلّ يوم اثنين وعشرين ألف درهم ، بعدما كانت في أيَّام النَّاصِر

٥ محمد ثلاثة عشر ألف درهم .

فلمَّا ماتَ الملكُ الصَّالِحُ إسماعيل ، وأُقيمَ في المُلْك من بعده أَخُوه الملكُ الكامِلُ سَيْفُ الدِّين شَعْبان بن محمد ، صُرِفَ المُوَفَّقُ عن نَظَر الخاصّ ، ونُقِلَ ابنُ زُنْبُور إليها[c] من اسْتيفاء الصُّحْبَة ، واستقرَّ فَخْرُ الدِّين السَّعيد في اسْتيفاء الصُّحْبَة ، وذلك في رَبيع الآخَر سنة ستٍّ وأربعين وسبع مائة . فباشَرَ ذلك إلى أُخْريات رَجَب نَيِّفًا وثمانين يومًا . فولَّى الملكُ الكامِلُ نَظَر الخاصّ

١٠ لفَخْر الدِّين ابن السَّعيد مُسْتَوْفي الدَّوْلَة ، وأعادَ ابن زُنْبور من نَظَر الخاصّ إلى اسْتيفَاء الدَّوْلَة .

فلمَّا كان في المحرَّم سنة سبعٍ وأربعين ، أُعيد نَجْمُ الدِّين وَزير بَغْداد إلى الوَزارَة ، وقُرِّر ابن زُنْبُور في نَظَر الدَّوْلَة ، فاستمرَّ إلى أن قُتِلَ الكامِلُ شَعْبان ، وأُقيمَ في المُلْك من بعده أخوه الملك المُظَفَّر حاجي في مستهلّ جُمادَىٰ الآخرة سنة سبعٍ وأربعين ، فطَلَب ابن زُنْبُور ، وأُعيد إلى نَظَر الخاصّ ،

١٥ وقَبَضَ على فَخْر الدِّين بن السَّعيد وطُولِبَ بالحَمْل ، وأُضيفَ إليه نَظَرُ الجَيْش ، فباشَرَ ذلك إلى سنة إحدى وخمسين ، فأُضيفَ إليه الوَزارَة في يوم الخميس سابع عشرين ذي القعدة ، وخُلِعَ عليه ، وكان له يومٌ عَظيمٌ جدًّا .

فلمَّا كان يوم السبت ، جَلَسَ بشُبَّاك قاعَة الصَّاحِب من القَلْعَة في دَسْت الوَزارَة ، واسْتَدْعَى جَميع المُباشِرين ، وطَلَبَ المُقَدَّم ابن يُوسُف ، وشَدَّ وَسَطَه على ما كان عليه ، وطَلَبَ المعاملين

٢٠ وسَلَفَهم على اللَّحم وغيره ، واسْتَكْتَب المُباشِرين أنَّه لم يكن في بَيْت المال ولا الأَهْراء من الدَّراهم والغِلال شيءٌ ألبتَّة ، ودَخَلَ بها وقرأها على السُّلْطان والأُمَراء . وشَرَعَ في عَرْض لأَرْباب[a] الوَظائِف كلّهم ، وطَلَبَ حِساب الأقاليم بأسْرها ، وولّى صِهْرَه فَخْر الدِّين ماجِد قَرْوِينَة[b][1] نَظَر

a) بولاق : كلفة . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : أرباب . d) بولاق : فرويته .

[1] الوزيرُ الصَّاحِبُ فَخْرُ الدِّين ماجِد بن قَرْوِينَة القِبْطي المصري ، توفي تحت العقوبة سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٩م . (ابن حبيب : تذكرة النبيه ٣ : ٢٣٤؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٣ : ٣٦١؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ : ٩٧؛ المنهل=

البيوت، وأَنْفق جامَكِيَّة شهر، وحَمَل الرَّواتِب إلى الدُّور السُّلْطانية، والأَسْمِطَة من السكر والزَّيْت والقُلوبات وغير ذلك، وأقام بَكْتَمُر المؤمني في وَظيفَة شَدّ الدَّواوين، وأَلْزَمَ نفسه في المجْلس السُّلْطاني بحَضْرة الأُمَراء أنَّه يُباشِر الوَزارَة بغير مَعْلوم، وقَرَّر / ابنَه في ديوان المماليك والتزم أنَّه لا يَتناوَل مَعْلومًا بل يُوَفِّر المعلومَيْن للسُّلْطان.

٥ وأَبْطَلَ رَمْي الشَّعير والبَرْسيم من بِلاد مصر ـ وكان يَحْصُل برَمْيهما ضَرَرٌ كبيرٌ، فإنَّ ذلك كان يُجْبَى[a] من سائِر البلاد، فيُغْرَم على كل أردبّ أكثر من ثَمَنه ـ والتزم بتَكْفية بَيْت السُّلْطان[b] من الشَّعير والبَرْسيم بغير ذلك، فبَطَلَ على يديه، وكُتِبَ به مَرْسوم، وكُتِبَ نَقْشًا على حَجَرٍ في جانِب باب القُلَّة من قَلْعَة الجبَل[1]، وأَمَرَ بقياس أراضي الجِيزَة، فجاءَ زيادتها عن الارْتِفاع الذي مَضَى ثلاث مائة ألف درهم، وعنها خمسة عشر ألف دينار.

١٠ فلم يَزَل إلى سابع عشرين شوّال سنة ثلاثٍ وخمسين وسبع مائة، فأُحيط به وقُبِضَ عليه حَسَدًا له على ما صارَ إليه ممَّا لم[c] يجتمع لغيره في الدَّوْلَة التركية. وتولَّى القِيامَ عليه الأَميرُ صَرْغَتْمُش لأنَّه عَلِمَ أنَّه من جِهَة الأمير شَيْخو، ويقوم له بجَميع ما يَخْتاره، وأعانَه عليه الأمير طَاز. وما زال يَدْأَب في ذلك إلى أن عادَ السُّلْطانُ الملكُ الصَّالِحُ من دِمَشْق في يوم الاثنين خامس عشرين شوّال سنة ثلاثٍ وخمسين وسبع مائة إلى قَلْعَة الجبَل، وعَمِلَ يوم الخميس ١٥ سماطًا مهمًّا في القَلْعَة، ولمَّا انْفَضَّ السِّماطُ، خَلَعَ على سائِر أرْباب الوَظائِف من الأُمَراء، وعلى الوَزير وسائِر المباشرين. فاتَّفق ـ لما قَدَّرَه الله تعالى ـ أنَّه حَضَرَ إلى الأمير صَرْغَتْمُش ـ وهو يومئذٍ رَأْس نَوْبَة عشرة ـ تَشْريفٌ غير تَشْريفه ودون رُتْبَته، فأَخَذَه ودَخَلَ إلى الأمير شَيْخو، وألقى البُقْجَة قُدَّامَه، وقال: انْظُر فِعْلَ الوَزير معي، وكَشَفَ الخِلْعَة. فقال شَيْخو: هذا غَلَط.

٢٠ فقام وقد أَخَذَه من الغَضَب شِبْه الجُنُون، وقال: هذا شُغْلُ الوَزير، وأنا ما أَصْبِر على أن أُهان لهذا الحَدّ، ولا بُدَّ لي من القَبْض عليه، ومهما شِئْت أنت افْعَل بي. وخَرَجَ فإذا الوَزيرُ داخِلٌ لشَيْخو وعليه خِلْعَةٌ، فصاحَ في مَماليكه: خُذُوه. فكَشَفُوا الخِلْعَة عنه وسَحَبوه إلى بَيْت

---

a) بولاق: يحصل. b) بولاق: بيت المال. c) بولاق: ولم.

= الصافي ٩: ١٨٥؛ وفيما يلي ٢٤٩).

[1] انظر عن باب القُلَّة فيما يلي ٦٨٥.

صَرْغَتْمُش ، وسَرَّحَ مماليكَه في القَبْض على جَميع حاشية الوزير ، فقُبِضَ على سائِر من يَلُوذ به لأنّهم كانوا قد اجتمعوا بالقَلْعَة .

وخالَطَت العامَّةُ المماليك في القَبْض على الكُتّاب ، وأَخَذوا منهم في ذلك اليوم شيئًا كثيرًا . حتى إنَّ بعض الغِلْمان صارَ إليه في ذلك اليوم ستُّ عشرة دَواة من دَوىٰ الكُتّاب ، فلم يُمكِّن منها أرْبابُها إلَّا بمالٍ يأخذه على كلِّ دَواة ما بين عشرين إلى خمسين درهمًا . وأمَّا ما سَلَبُوه من العَمائِم والثِّياب والمَهامِيز الفِضَّة فشيءٌ كثيرٌ .

وخَرَجَ الأميرُ قَشْتَمُر الحاجب وغيره في جَماعَةٍ إلى دُوره التي بالمَصُّوصَة[a] من مصر ، فأَوْقَعُوا الحَوْطة على حَريمه وأولادِه ، وخَتَموا سائرَ بيوته وبيوت حَواشيه ـ وكانوا قد اجْتَمَعُوا وتزيَّنوا لقُدوم رجالِهم من السَّفَر ـ وأُنْزِل الوَزيرُ في مَكانٍ مُظْلِمٍ من بَيْت صَرْغَتْمُش . فلمَّا أصبح طُلِبَ وَلَدُ الوَزير ، وصارَ به صَرْغَتْمُش إلى بَيْت أبيه ، وأُحضر أمُّه ليُعاقِبَه وهي تَنْظُره حتى يَدُلُّوه على المال . ففَتَحُوا له خِزانَةً وَجَدَ فيها خمسة عشر ألف دينار وخمسين ألف درهم فِضَّة ، وأُخْرِجَ من بِئْرٍ صَنْدوقٌ فيه ستة آلاف دينار وشيء من المصاغ[b]، وحَضَرَت أحمالُه من السَّفَر ، فوُجِدَ فيها ستة آلاف دينار ومائة وخمسون ألف درهم فِضَّة ، وغير ذلك من تُحَف وثِياب وأصْناف .

وأُلْزِمَ والي مصر بإحضار بَناتِه ، فنُودِيَ عليهن في مصر والقاهِرَة ، وهُجِمَت عِدَّة دُور بسببهن . ونالَ النَّاسُ من نِكايَة أَعْدائِهم في هذه الكائِنة كلَّ غَرَضٍ ، فإنَّه كان الرجلُ يتوجَّه إلى أَحَدٍ من جهة صَرْغَتْمُش ، ويرمي عَدُوَّه بأنَّ عنده بعض حَواشي ابن زُنْبور ، فيُؤْخَذ بمجرَّد التُّهْمَة . ولَقِيَ النَّاسُ من ذلك بَلاءً عَظيمًا .

ثم حُمِلَ إلى دارِه وعُرِّيَ ليُضْرَب ؛ فَدَلَّ على مَكانٍ اسْتُخْرِج منه نحو من خمسة وستين ألف دينار ، فضُرِبَ بعد ذلك ، وعُصِرَتْ[c] زَوْجَتُه ، وضُرِبَ وَلَدُه فوُجِدَ له شيءٌ كثيرٌ إلى الغاية .

قال الصَّفَديُّ خَليلُ بن أَيْبَك ، المُلَقَّب صَلاحُ الدِّين ، في كِتاب «أعْيان العَصْر» : وأَمَّا ما أُخِذَ منه في المُصادَرَة في حالِ حَياتِه ، فنَقَلْتُ من خَطِّ الشَّيْخ بَدْر الدِّين الحِمْصي من[d] وَرَقَة بخَطِّه ، على ما أمْلاه القاضي شَمْسُ الدِّين محمد البَهْنَسي :

a) بولاق : الصوصة . b) بولاق : المصالح . c) بولاق : عريت . d) بولاق : في .

«أواني ذَهَب وفضّة ستون قِنطارًا ، جَوْهَر ستون رطلًا ، لُؤلؤ أردبّان ، ذَهَب مَصْكوك مائتا ألف وأربعة آلاف دينار ضمن صندوق ، ستة آلاف حياصَة ضمن صَناديق زَرْكَش ستة آلاف كَلُّوْتَة ، ذَخائِر عدَّة ، قماش بَدَنة ألفان وستّ مائة فَرَجيّة ، بُسُط سِتّة[a] آلاف ، صِنْجَة ، دراهم خمسون ألف درهم ، شاشَات ثلاث مائة شاش ، دَواب عامِلة سبعة آلاف ، حلّابة ستة آلاف ، خيل وبغال ألف ، دراهم ثلاثة أرادبّ ، مَعاصِر سُكّر خمس وعشرون مَعْصَرة ، إقْطاعات سبع مائة كلُّ إقْطاع خمسة وعشرون ألف درهم ، عَبيد مائة ، خُدَّام ستون ، جَواري سبع مائة ، أمْلاك القيمة عنها ثلاث مائة دينار ، مَراكِب سبع مائة ، رُخام القيمة عنه مائتا ألف درهم ، نُحاس قيمته أربعة آلاف دينار ، سُروج وبَدْلات خمس مائة ، مَخازِن ومَتاجِر أربع مائة ألف دينار ، نُطوع سبعة آلاف ، دَواب خمس مائة ، بَساتين مائتان ، سواقي ألف وأربع مائة »[1].

وكان ـ في وَقْت القَبْض عليه ـ أَشَدَّ النّاس قِيامًا في إفْساد صُورَته الشَّريفُ شَرَفُ الدِّين عليّ ابن الحُسَيْن نَقيبُ الأَشْراف ، والشَّريفُ أبو العَبّاس الصَّفْراوي ، وبَدْر الدِّين ناظِر / الخاصّ ، وأمينُ الدِّين الصَّوَّاف أسْتادّار الأمير صَرْغَتْمُش .

فأوّل ما فَتَحوه من أبْواب المكائِد أنْ حَسَّنوا لصَرْغَتْمُش أن يأمره بالإشْهاد عليه ، أنَّ جميعَ ما له من الأمْلاك والبَساتين والأراضي الوَقْف والطِّلْق ، جَميعُها من مالِ السُّلْطان دونَ مالِه ، فصَيَّر إليه ابن الصَّدْر عُمَر وشُهودَ الخِزَانة ، فأَشْهَدَ عليه بذلك .

ثم كَتَبُوا فُتْيا في رَجُلٍ يَدَّعي الإسْلام ويُوجَد في بيته كَنيسَة وصُلْبانَ وشُخُوص من تَصاوير النَّصارَىٰ ولَحْم الخِنْزير ، وزَوْجَتُه نَصْرانية ، وقد رَضِيَ لها بالكُفْر وكذلك بناته وجَواريه ، وأنّه لا يُصَلّي ولا يَصُوم ونحو ذلك . وبالَغوا في تَحْسين قَتْله حتى قالوا لصَرْغَتْمُش : والله لو فَتَحْتَ

a) بياض في بولاق .

[1] الصفدي : أعيان العصر ٢ : ٦٥٥ ، وهي أحد المرّات القليلة التي صَرّح فيها المقريزي بالنقل عن الصفدي ، فواقع الأمر أنّ جميع تراجم أُمَرَاء المماليك ومُعاصريهم الذين عاشوا قبل سنة ٧٦٠هـ نقلها المقريزي من كِتاب «أعْيَان العَصْر» للصَّفَدي .

جَزيرة قُبْرُص، ما كُتِبَ لكَ أَجْرٌ من الله بقَدْرِ ما يُؤْجِرك الله على ما فَعَلْتَه مع هذا.

فأُخْرِجَ في بائنة[a] وزنجير، وضُرِبَ في رَحْبَة قاعَة الصَّاحب من القَلْعَة بالمقارِع، وتَوالَت عُقُوبَته، وأُسْلِمَ لشادِّ الدَّواوين ليُعاقبه حتى يموت. فقامَ الأميرُ شَيْخو في أَمْره، فردَّه صَرْغَتْمُش إلى دارِه وأَكْرَمَه، وأقامَ عنده إلى سابع عشرين المحرَّم سنة أربعٍ وخمسين، فأَخْرَجَه من دارِه، وتسلَّمه شادُّ الدَّواوين، وعاقَبه عُقوبَة الموت في قاعَة الصَّاحِب. فاتَّفَقَ رُكوبُ الأمير شَيْخو من دارِه إلى القَلْعَة وابن زُنْبور يُعاقَب، فغَضِبَ من ذلك ووَقَف ومَنَعَ من ضَرْبه، وبَلَغَ الخَبَرُ صَرْغَتْمُش فصَعِدَ إلى القَلْعَة، وجَرَى له مع شَيْخو عِدَّةُ مُفاوَضات كادَت تُفْضي إلى فِتْنَة، وآلَ الأَمْرُ فيها إلى تَسْفير ابن زُنْبور إلى قُوص، فأُخْرِجَ من ليلته؛ وكانت مُدَّةُ شِدَّتِه ثلاثة أشهر. وأقامَ بمَدينَة قُوص إلى أن عَرَضَ له مَرَضٌ أقامَ به أَحَد عشر يومًا، وماتَ يوم الأحد سابع عشر ذي القعدة سنة أربعٍ وخمسين وسبع مائة. وله بالقاهِرَة السَّبيلُ الذي على يَسْرَة من دَخَلَ من باب زَويلَة بجوار خِزانَة شَمائِل[1]، وقد دَخَلَ في الجامِع المُؤَيَّدي.

دارُ الدَّواداري

هذه الدَّارُ فيما بين حارَة زَوِيلَة وإسْطَبْل الجُمَّيْزَة، وهي اليوم من جملة خُطِّ السَّبع قاعات عُرِفَت ... [b].

دارُ فَتْح الله

هذه الدَّارُ اليوم بخُطِّ سُوَيْقة المَسْعودي، كان مَوْضِعُها زُقاقًا يُعْرَف بزُقاق البَنَّادَة، وفيه بابُ قاعَةٍ أنشأها سَعْدُ الدِّين إبراهيم بن عبد الوهَّاب بن النَّجيبِ أبي الفَضائِل المَيْموني، أَحَدُ مُباشِري ديوان الجَيْش[2]. وهي قاعَةٌ في غاية الملاحَة من جَوْدَة رُخام وكَثْرَة دِهان وحُسْن ترتيب.

---

a) بولاق: باشا. b) بياض بالأصول وفي آياصوفيا: بياض سبعة أسطر.

---

[1] لم يُفْرِد المَقريزي هذا السَّبيل بمَدْخلٍ مستقل، كما أنَّه لم يُشر إليه عند ذكره جامع المُؤَيَّد فيما يلي ٢: ٣٢٨.

[2] انظر عن إبراهيم الميموني، المقريزي: السلوك ٣: ٤٥٦، ٧٩٥؛ أبا المحاسن: المنهل الصافي ١: ١١٨؛ الصيرفي: نزهة النفوس ١: ٣٧١.

وماتَ المَيْموني في ثاني ذي الحجَّة سنة خمسٍ وتسعين وسبع مائة ، فسَكَنَها فَتْحُ الله ابن مُعْتَصم وهو يومئذٍ رئيسُ الأطِبّاء . فلمَّا وَلِيَ كِتابة السِّرّ شَرِه إلى العِمارَة ، فأَخَذَ ما في الزُّقاق المذكور من الدُّور شيئًا بعد شيءٍ ، وأَخْرَج منها سكَّانَها وهَدَمَها ، وابتنى قاعَةً تِجاه قاعَة المَيْموني ، وجَعَلَ فيها بئرًا وفَسقِيَّةَ ماءٍ ، وبَنَى بها حَمَّامًا ، ثم أنشأ إسْطَبْلًا كبيرًا لخُيولِه . ولم يَقْنَع بذلك حتى حَملَ القُضَاةَ على الحُكْم له باسْتِبْدال دار المَيْموني - وكانت وَقْفًا على أوْلاد المَيْموني ، ومن بعدهم على الحَرَمَيْن - فعُمِلَ له طُرُقٌ في جَواز الاسْتِبْدال[1] بها ، على ما صارَ القُضَاةُ يعتمدونه منذ كانت الحَوادِثُ بعد سنة ستّ وثمان مائة . فلمَّا تَمَّ حُكْمُ القُضَاة له بتملُّكها غَيَّرَ بابَها وزَادَ في سَعَتها ، وأضافَ إليها عِدَّة مَواضِع ممَّا كان بجوارها ، وغَرَسَ في جانبها عِدَّةَ أشجارٍ ، وزَرَعَ كثيرًا من الأزْهار التي حُمِلَت إليه من بلاد الشَّام ، وبالَغ في تَحْسين رُخام هذه الدَّار .

وأنشأ دِهِّيشَة[2] كَيِّسَة إلى الغاية بوَسَطِها فَسْقِيَّة ماء يَنْخَرِط إليها من شاذِرْوان[3] عَجيب الصَّنْعَة بَهِج الزِّيّ ، وتُشْرف هذه الدِّهيشَة على الجُنَيْنَة التي أبْدَع فيها كلَّ الإبداع . ورَكَّب عُلُوّ هذه القاعَات(a) الأزِوقَة العظيمة ، وبنى بجوارها عِدَّة مَساكِن لمماليكه ، ومَسْجِدًا مُعَلَّقًا كان يُصَلّي فيه

---

a) بولاق : القاعة .

---

[1] الاسْتِبْدال . أدَّت كَثْرَةُ الأوْقاف وازدهارها في العصر المملوكي ، إضافَةً إلى ضخامَة ريعها وتَنَوُّع مَصارِفها ، إلى جعلها مَطْمَع السَّلاطين والأُمَراء لاسيَّما في وَقْت الأزَمات . ولم يَعْدم سلاطينُ المماليك وأمراؤهم وسيلةً شرعيةً للاستيلاء على ما يَرْغَبون فيه من الأوْقاف وعاوَنَهُم على ذلك بعضُ القُضَاة والفُقَهاء عن طريق «الاسْتِبْدال» ، حيث أجازَ بعضُ الفُقَهاء للواقِف أن يشترط لنفسه ، أو لمن يراه ، الحَقَّ في اسْتِبْدال الموقوف بوَقْفٍ آخَر بنفس الشُّروط على أن يَنُصَّ على ذلك صَراحَةً في كِتاب وَقْفِه ، وإلَّا فليس لأخدٍ الحَقّ في اسْتِبْدال الأوْقاف سوى القاضي إذا رأى المَصْلَحَة في ذلك . (راجع حَوْل هذا الموضوع وأمثلة تطبيقية عليه ، محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م- دراسة تاريخية وثائقية ، القاهرة ١٩٨٠، ٣٤١-٣٥٤؛ Fernandes, L., «*Istibdal* The Game of Exchange and its Impact on the Urbanization of Mamluk Cairo» in Behrens - Abouseif, D., (ed.) *The Cairo Heritage. Essays in Honor of Laila ʿAlī Ibrāhīm*, Cairo AUC 2000, pp. 203-22؛ وانظر فيما يلي ٢:٢٢٢ ، ٥:٢٢٥ ، ٨:٢٣٠ ، ٢:٢٩٦).

[2] الدِّهيشة . لَفْظٌ أُطْلِقَ على بعض المباني المملوكية لما لها من شكل جميل يُدْهِش النَّاظِر إليه مثل : القاعة التي عمَّرها الصَّالحُ إسماعيل بن محمد بن قَلاوون بالقَلْعَة (فيما يلي ٦٨٠) ، ورَبْع الدِّهَيْشَة الذي أنشأه النَّاصِر فَرَج بن بَرْقوق خارج باب زويلة . (محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم : المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ٤٩-٥٠) .

[3] الشَّاذِرْوان جـ. الشَّاذِرْوانات . فارسي مُعَرَّب ، ويقال أيضًا الشَّلْسَبيل ، يعني في الأصل ستر عظيم يُسْدَل على=

وَراءَ إمامٍ راتبٍ قَرَّرَه له بمعلومٍ جارٍ. فجاءَت هذه الدَّارُ من أجَلِّ دُور القاهِرَة وأبْهَجِها.

ووَقَفَ ذلك كلَّه مع أشياءَ غيرِها على تُرْبَتِه التي أنشأها خارج باب البَرْقِيَّة، وعلى عِدَّة جِهات من البِرّ. فلمَّا نُكِبَ أُكْرِه حتى رَجَعَ عن وَقْفِ هذه الدَّار على ما عَيَّنَه في كِتابِ وَقْفِه، وجَعَلَها وَقْفًا على أوْلادِ السُّلْطان الملك المُؤَيَّد شَيْخ، فلمَّا ماتَ المُؤَيَّدُ عادَت[a] إلى وَقْف فَتْح الله[1].

فَتْحُ الله بن مُسْتَعْصِم[b] بن نَفِيس الإسرائيلي الدَّاوُدي العِتابي التَّبْريزي رئيس الأطِبَّاء وكاتِب السِّرّ[2] – وُلِدَ بِتِبْرِيز في سنة تسع وخمسين وسبع مائة. وكان قد قَدِمَ جَدُّه نَفِيسٌ إلى القاهِرَة في سنة أربعٍ وخمسين، فأَسْلم وعَظُمَ بين النَّاس. ثم قَدِمَ فَتْحُ الله مع أبيه، فنَشَأ بالقاهِرَة في كَفالَة عَمِّه، ونَظَرَ في الطِّبّ، وعاشَرَ الفُقَهاء، واتَّصَلَ بصُحْبَة بعض الأُمَراء، فعَرَفَ منه أحَد مَماليكه وكان يسمَّى بشَيْخ، فلمَّا تأمَّرَ شَيْخ قَرَّبَه وأنْكَحَه أمَةً، وفَوَّضَ إليه أمْرَ ديوانه.

---

a) بولاق: عاد ذلك. b) بولاق: معتصم، والتصويب من ذيل الدرر الكامنة بخط ابن حجر.

= سُرادِق السَّلاطين والوزراء وعلى الشُّرْفَة من القَصْر والدَّار. وفي المصادر التاريخية يُقْصَد به عادةً مُصْطلحًا معماريًّا يدلُّ على بَلاطَة من حَجَرٍ صَلْب أو من الرُّخام يُحْفَر في سَطْحها زَخارِف هندسية ونباتية، ينتُج عن حَفْرِها قَنواتٌ غائرة مُتَعَرِّجَة، وتُوضَع في صَدْر الإيوان مائلة على الجدار بزاوية تتراوح بين ١٥° و٣٠°، ويوضع عند حافتها العُلْيا صُنْبورٌ أو أكثر يأتي إليه الماءُ من صِهْريج خَلْف الجِدار فيسيل الماءُ منه على سَطْح البَلاطَة مُتَعَرِّجًا في القَنوات الدقيقة ممَّا يجعله يتمَهَّل في سَيْره فتزيد فرصةُ تَبَخُّره وتَبْريده فيُلَطِّف جوَّ الإيوان فَضْلًا عن خَريره الهادئ. وينتهي عند الطَّرَف الأسفل للبَلاطَة إلى قناةٍ تمتدُّ على سَطْح أرضية المكان تَصُبُّ في حَوْضٍ للماء ذي شكلٍ هندسي، بعضها كان يُزَوَّد بنافورة في وسطه مُزَوَّدةٍ بأنابيب ليندفع منها الماءُ تحت ضَغْط ماء الصِّهْريج العلوي، ويُصَرَّف الماءُ الفائض في أنابيب أخرى حتى المجارير. (فريد شافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية – عصر الولاة ١: ٤٥١–٤٥٣؛ عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية ٢٣٢؛ محمد محمد أمين، ليلى علي إبراهيم: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ٦٨–٦٩؛ Marçais, G., «Salsabîl et Shadîrwân», *Etudes d'Orientalisme dédiées à la mémoire de lévi-Provençal*, Paris 1962, II, 639-48; Rabbat, N., *EI*² art. *Shadhirwân* IX pp. 180-81؛ وفيما يلي ٢: ٤٠٦).

[1] جاء هنا على هامش نسخة ص: «قُلْت: انْتُزِعَت هذه الدَّارُ والقاعَةُ من يد مستحق الوَقْف المذكور، وأضافَ ذلك إلى داره الأمير سَيْف الدِّين قاني بك الجمالي الزَّرْدَكاش وأحد مُقَدَّمي الألوف بالديار المصرية في الأيَّام الأشْرفية قايتْباي. وكما تَدين تُدان ولا يَظْلم ربُّك أحدًا».

[2] انظر أيضًا ابن حجر: ذيل الدرر الكامنة ٢٣١–٢٣٢، إنباء الغمر ٣: ٢٩–٣٠؛ أبا المحاسن: المنهل الصافي ٨: ٣٧٥–٣٧٧، النجوم الزاهرة ٧: ٣٤١؛ الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان ٢: ٣٣٥؛ السخاوي: الضوء اللامع ٦: ١٦٥.

ثم ماتَ عَمُّه بَديع بن نَفيس ، فأقرّه الملكُ الظّاهِرُ بَرقوق مكانَه في رِئاسَة الأطِبّاء ، فباشَرَها مُباشرةً مشكورةً ، واختصَّ بالملك الظّاهِر بَرْقُوق اختِصاصًا كبيرًا ، فلمّا ماتَ بَدْرُ الدِّين محمود الكُلُسْتاني[a][1] قلّدَه وَظيفَةَ كِتابَة السِّرّ ، وخَلَعَ عليه في يوم الاثنين حادي عشر جُمادَىٰ الأولىٰ سنة إحدى وثمان مائة ، وماتَ الظّاهِرُ ، وقد جَعَلَه أَحَدَ أوْصِيائِه . فما زالَ إلى أوائِل رَبيع الأوّل سنة ثمانٍ وثمان مائة ، فقُبِضَ عليه ، واستقرَّ بَدَلَه في كِتابَة السِّرّ سَعْدُ الدِّين إبراهيم [بن عبد الرزّاق][b] ابن غُراب [2] ، وضُرِبَ حتى حَمَل مالًا ، ثم أُفْرِج عنه ، فلَزِمَ دارَه/ إلى شهر رَمَضان ، فحُمِلَ إلى دار الوَزير فَخْر الدِّين ماجد [بن عبد الرزّاق][b] بن غُراب [3] ، وأُلْزِمَ بمالٍ آخر فحمله وأُطْلِق .

فقامَ الأميرُ جَمالُ الدِّين يوسُف الأسْتادّار في أَمْره ، وما زال بالملك النّاصِر فَرَج إلى أن أعادَه إلى كِتابَة السِّرّ في أوائِل ذي الحجّة ؛ فاستقرَّ فيها وتمكَّن من أعْدائِه ، وأراهُ الله مَصارِعَهم ، واتَّسعت أحْوالُه ، وانفرد بسُلْطانِه وأُنيطَ به جُلّ الأُمور . فأَصْبَح عَظيمَ المصر ، نافِذَ الأَمْر ، قائِمًا بتَدْبير الدَّوْلَة ، لا يجد أَحَدٌ من عُظَماء الدَّوْلَة بُدًّا من حُسْن سِفارَته ، وأبْدَى للنّاس دِينًا وخَيْرًا وتواضُعًا وحُسْن وَساطَة بين النّاس وبين السُّلْطان .

فلمّا كان من أَمْر النّاصِر وهَزيمَته على اللَّجُّون [4] ما كان ، وَقَع فَتْحُ الله مع الخَليفَة المُسْتَعين بالله العَبّاسي بن محمد المُتَوَكِّل على الله وعِدَّة من كُتّاب الدَّوْلَة ، في قَبْضَة الأمير ابن شَيْخ ونَوْروز ، وما زال عندها حتى قُتِلَ النّاصِرُ ، وأُقيمَ من بعده أميرُ المؤمنين المُسْتَعين بالله ، وهو على حالِه من نُفُوذ الكلمة وتَدْبير الأُمور .

---

a) بولاق : الكلساني . b) زيادة اقتضاها السياق .

---

[1] ترجمته عند ابن حجر : ذيل الدرر الكامنة ٧٩- ٨٠ .

[2] القاضي الأمير سَعْدُ الدِّين بن عَلَم الدِّين إبراهيم بن عبد الرزّاق الشهير بابن غُراب الإسكندري القِبْطي ، المتوفى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م . (المقريزي : السلوك ٤ : ٢٤ ؛ ابن حجر : إنباء الغمر ٢ : ٣٢٨- ٣٢٩ ؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ١ : ١٠٤- ١١٢ ، النجوم الزاهرة ١٣ : ١٥٦ ؛ الصيرفي : نزهة النفوس ٢ : ٢٢١ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ١ : ٦٥- ٦٧ ؛ وفيما يلي ٢ : ٤١٩) .

[3] الوزيرُ الصّاحِبُ فَخْرُ الدِّين ماجِد بن عبد الرزّاق الإسكندري القِبْطي ، المتوفى سنة ٨١١هـ/١٤٠٨م . (المقريزي : السلوك ٤/١ : ٨٩ ؛ أبو المحاسن : الدليل الشافي ٢ : ٥٦٩ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ٦ : ٢٣٤) .

[4] اللَّجُّون . بَلَدٌ بالأردن بينه وبين طَبَرِيّة عشرون ميلًا ، وبينه وبين الرَّمْلَة بفلسطين أربعون ميلًا . (ياقوت : معجم البلدان ٥ : ١٣- ١٤) .

فلمَّا اسْتَبَدَّ الأميرُ شَيْخ بمملكة الدِّيار المصرية ، واعْتَقَلَ الخَلِيفَة وتلقَّب بالملك المُؤَيَّد شَيْخ في شَعْبان سنة خمس عشرة وثمان مائة ، أَقَرَّ فَتْحَ الله على رُتْبَته . ثم قُبِضَ عليه يوم الخميس تاسع شَوَّال وعُوقِبَ غير مَرَّة ، وأُحِيط بجَميع أموالِه وأسْبابِه وحَواشيه ، وبِيعَ عليه بعض ما وُجِدَ له ، وحُمِلَ ما تَحَصَّلَ منه فبَلَغَ ما ينيف عن أربعين ألف دينار سوى ما أُخِذَ ممَّا لم يُبَع وهو ما يَتَجاوَز[a] ذلك .

وما زال في العُقوبَة إلى أن خُنِقَ في ليلة الأَحَد خامِس عشر شهر رَبيع سنة ستّ عشرة وثمان مائة ، وحُمِلَ من الغد إلى تُرْبَتِه [خارِج باب المَحْرُوق][b] فدُفِنَ بها .

وكان ـ رحمه الله ـ من خَيْرِ أهل زَمانه رياضَةً ودِيانَةً ، وطِيب مَقال وتألُّه وتَنَسُّك ، ومَحَبَّة لسُنَّة رَسُول الله ﷺ ، وحُسْن قِيام مع السُّلْطان في أَمْر النَّاس ، وبه كَفَى الله عن النَّاس من شَرّ النَّاصِر فَرَج شيئًا كثيرًا . وقد ذكرته بأَبْسَط من هذا في كتابي «دُرَر العُقُود الفَرِيدَة في تَراجِم الأعْيان المُفِيدَة» وفي كتابي «خُلاصَة التِّبْر في أَخْبار كُتَّاب السِّرّ»[1] .

دَارُ ابن قِـرْقَـة

هذه الدَّارُ من الدُّور القَديمَة ، وهي بخُطّ سُوَيْقَة المَسْعودي إلى خُطّ بَيْن السُّورَيْن ، وقد تغيَّرت معالمها .

قال ابنُ عبد الظَّاهِر : دَارُ ابن قِرْقَة هي الآن سَكَنُ الأمير صَارِم الدِّين المَسْعوي والي القاهِرَة ، بأوَّل حارَة زَوِيلَة من جِهَة باب الخُوخَة على يَسْرَة السَّالِك إلى داخِل الحارَة ، وهي معروفة الآن[c] ، وإلى جانِبها الحَمَّام المعروفة بابن قِرْقَة أيْضًا . وهذه الدَّارُ والحَمَّامُ أنشأهما أبو سَعيد بن قِرْقَة الحكيم ، وأباعَهما في حالِ مُصادَرَته ممَّا خَرَجَ عليه منه ، فابْتاعَتْها جِهَة[d] عَلَم السُّعَداء ، ثم سَكَنَها الكامِلُ بن شاوَر ، وهما من جِهَة الخَلِيج[e] [2] . انتهى .

a) بولاق : يجاور . b) زيادة من المنهل الصافي . c) بولاق : اليوم . d) ساقطة من بولاق . e) عند ابن عبد الظاهر : في جهة باب الخوخة .

[1] نَقَلَ أبو المحاسن جزءًا من هذه الترجمة في المنهل الصَّافي ٨:٣٧٦–٣٧٧. وما وَصَلَ إلينا من «دُرَر العقود الفريدة» للمَقْريزي لا توجد به هذه الترجمة ؛ أمَّا كتابُه «خُلاصَة التِّبْر في أخْبار كُتَّاب السِّرّ» فهو كِتابٌ مفقودٌ ، وإن وُجِدَت بعضُ المواد التي جمعَها له المَقْريزي في الكرَّاسة المحفوظة بخطِّه في مكتبة Liège ببلجيكا .

[2] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٠٩ ؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٤٠٦ ؛ وقارن مع أبي المحاسن : النجوم =

وهذه الدَّارُ والحَمَّامُ قد هُدِمَتا، وصارَ موضِعُ الدَّار الجامِع المعروف بجامِع ابن المَغْرَبي برأس سُوَيْقَة الصَّاحِب وما يُجاوره من دُور ابن أبي شاكر[1]، وآخِر ما بقيَ منها شيءٌ هَدَمَه الوَزيرُ الصَّاحِبُ تاجُ الدِّين عبد الرَّحيم بن الوَزير الصَّاحِب فَخْر الدِّين عبد الله بن تاج الدِّين مُوسَىٰ بن أبي شاكِر في رَمَضان سنة أربعٍ وتسعين وسبع مائة[2].

وابنُ قِسْرَقَة هذا كان يتولَّى الاسْتِعْمالات بدار الدِّيباج وخَزائِن السِّلاح، وكان ماهِرًا في علم الطِّبِّ والهَنْدَسَة ونَحْو ذلك من عُلُوم الأوائِل. وقَتَلَه الخَليفَةُ الحافِظُ لدين الله من أجْل أنَّه دَبَّرَ السُّمَّ لابنه حَسَن بن الحافِظ، عندما ثارَ الجُنْدُ وطَلَبوا من الخَليفَة قَتْل ابنه حَسَن كما تقدَّم ذكره[3]، فلمَّا سَكَنَتِ الدَّهْماءُ قَبَضَ عليه الخَليفَة، واعْتَقَلَه بخِزانَة البُنُود، وقَتَلَه في سنة تسعٍ وعشرين وخمس مائة.

دَارُ خَوَنْد[4]

هذه الدَّارُ من حُقُوق حارَة زَوِيلَة، عُرِفَت بالسِّتّ الجَليلَة خَوَنْد أرْدوتْكين ابنة نوغية السِّلاح دار التَّتَري[4]. تَزَوَّج بها الملكُ الأشْرَفُ خَليل بن قَلاوون وماتَ عنها، فتزوَّجها من بعده أخوه الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون، ووَلَدَت منه ولدين وماتا، ثم طَلَّقَها ونَزَلَت من القَلْعَة، فسَكَنَت هذه الدَّار، وأنشأت لها تُرْبَةً بالقَرافَة تُعْرَف الآن بتُرْبَة السِّتّ[5]، وجَعَلَت لها عِدَّة أوْقاف.

وكانت من الخَيْر على جانِبٍ عَظيم، لها مَعْرُوفٌ وصَدَقاتٌ وإحْسانٌ عَميم، وماتَت ولها ما يُنيف على الألف ما بين جارِية وخادِم أعتقتهم كلُّهم، وخَلَّفت أمْوالًا تَخْرُج عن الحَدِّ في الكثرة، وكانت وَفاتُها في ليلة السبت ثالِث عشرين المحرَّم سنة أربعٍ وعشرين وسبع مائة، ودُفِنَت بتُرْبَتِها. فتَقَدَّم أمْرُ السُّلْطان للأُمَراء والقُضَاة لشُهود جَنازَتها، وحَمْل ما تَرَكَته من الجَواهِر والأمْوال.

= الزاهرة ٥: ٢٤٣؛ وفيما تقدم ١/٧١: ١٢.

١ فيما يلي ٢: ٣٢٨.

٢ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٩٧، ٤٠٦.

٣ فيما تقدم ٥٢.

٤ عن خَوَنْد أردوكين (أردوتكين، أردكين) انظر فيما تقدم ١٦٤.

٥ مازالت تُرْبَة خَوَنْد أردوكين موجودة إلى الآن في الصحراء خارج باب القرافة ومسجلة بالآثار برقم ٣٠٠. ذكرها ابنُ الزَّيَّات في الكواكب السيارة ٢٨٤ بين تُرْبَة محمود وتُرْبَة القُدُوري، وتعرف اليوم بين العامَّة باسم «قُبَّة وإيوان المنوفي». (راجع، al- Harithy, H., «Turbat al-Sitt : An Identification» in Beherns-Abouseif, D. (ed.), *The Cairo Heritage - Essays in Honor of Laila ʿAlî Ibrâhîm*, Cairo AUC 2000, pp. 102-21؛ وانظر أيضًا فيما يلي ٣٩٨).

وطُلِبَ أخُوها جَمالُ الدِّين خِضْر بن نوغية ، وصُولِحَ على إرْثِه منها بمائة وعشرين ألف درهم ، عنها يومئذٍ سبعة آلاف دينار .

ولم تَزَل هذه الدَّارُ إلى أن تهَدَّمَت [a]، فأَخَذَها الأميرُ صَلاحُ الدِّين محمد ، أُسْتادَّار السُّلْطان ابن الصَّاحِب بدْر الدِّين حَسَن بن نَصْر الله ، في شهر رَجَب سنة أربعٍ وعشرين وثمان مائة ، وأَدْخَلَها في داره التي أنشأها ، فجاءَت من أَجَلِّ دُور القاهِرَة [١]. ٥

دَارُ ابن شَاكِر

هذه الدَّار [b] .

دَارُ الذَّهَب

هذه الدَّارُ خارجة القاهِرَة فيما بين باب الخُوخَة وباب سَعادَة ، بَناها الأَفْضَلُ أبو القاسِم شاهِنْشاه ابن أمير الجُيُوش بَدْر الجَمالي . وكان فيما بين باب القَنْطَرَة وباب الخُوخَة مَنْظَرَةُ اللُّؤلُؤة ـ ١٠ التي تقدَّم ذكرها عند ذِكْر مَناظِر الخُلَفاء [٢] ـ ويُجاورها من حَيِّز باب الخُوخَة دار الفَلَك ، وبناها فَلَكُ المُلْك/ أَحَدُ الأُسْتاذين الحاكِمية ، ويُلاصِقُها دَارُ الذَّهَب هذه ، ويُجاور دَار الذَّهَب دَار الشَّابُورَة ، [c]وسُمِّيَت هذه الدَّار بهذا الاسمِ [٣] لأنَّها أُبِيعت في أيَّام الشِّدَّة بشابُورَة حَلْواء[c].

---

a) بولاق : هدمت . b) هذا المدخل يوجد في آياصوفيا وباريس وليدن ، وأمامه في آياصوفيا على الهامش : بياض سبعة أسطر . c-c) إضافة من المسودة .

---

[١] هنا على هامش نسخة ص : «هذه الدَّارُ الآن بيد الأمير الكبير سَيْف الدِّين أَزْبَك الظَّاهِري أتابك العساكر المنصورة الأشرفية قايتْباي ، وأسْكَنَ بها أمَّهات أولاده وسَراريه ، ولله الأمْرُ من قَبْل ومن بَعْد» .

أقول : أَزْبَكُ الظَّاهِري هو : الأمير سَيْفُ الدِّين أَزْبَك من طُطُخ الظَّاهِري جَقْمَق حاجِب الحُجَّاب وأتابك العسكر في زمن السلطان الأشرف قايتْباي ، وهو الذي أنشأ حيّ الأزبكية الذي ينسب إليه بين سنتي ٨٨٠هـ/١٤٧٦م و٨٨٩هـ/١٤٨٤م ، وتوفي سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٨م . (ابن إياس : بدائع الزهور ٣: ١١٦، ١٣٤، ٢١٩، ٤١١-٤١٣؛ السخاوي : الضوء اللامع ٢: ٢٧٠-٢٧٢؛ Behrens - Abouseif, D., *Azbakiyya and its Environs from Azbak to Ismā'il 1476-1879*, Le Caire - IFAO 1985, pp. 22-25).

[٢] فيما تقدم ٢: ٥٣٦-٥٣٧.

ونصُّ المُسَوَّدَة : «هي الدَّار التي خارج باب الخُوخَة على يَسْرَة الخارج منه ممَّا يلي باب سَعادَة ، مُطِلَّة على الخليج وتُعْرَف في عَصْرنا بقَبْو الذَّهَب» .

[٣] هذا النَّصّ في مُسَوَّدَة المواعِظ نقلًا عن ابن=

ودارُ الذَّهب عُرِفَت أخيرًا بدار الأمير بَهادُر الأَعْسَر شادّ الدَّواوين [١]، ثم الآن عُرِفَت بدار الأمير الوَزير المُشير الأُسْتادّار فَخْر الدِّين عبد الغَني بن الأمير الوَزير الأُسْتادّار تاج الدِّين عبد الرَّزّاق ابن أبي الفَرَج الأَرْمَنيّ الأَصْل، وعُنيَ بها، وهَدَم كثيرًا من الدُّور التي كانت تِجاهِها على بَرّ الخَليج الشرقي، وأنشأ هناك دارًا يُتَطَرَّقُ إليها من هذه الدَّار بساباط، وأنشأ بجوارها جامِعَه الآتي ذكره وحَمّامه [٢]. ٥

ثم هَدَمَ كثيرًا من الدُّور التي كانت على الخَليج، وما وراءَها بتلك الأَحْكار التي في الجانِب الغربي من الخَليج، وغَرَسَ في أراضي تلك الدُّور الأَشْجار، وجَعَلَها بُسْتانًا تِجاه دارِه، فماتَ قبل أن تَكْمُل، وصارَ أكثر مواضِع الدُّور التي خَرَّبَها هناك كيمانًا [a].

دارُ الحاجِب

١٠ خارِج باب النَّصْر تِجاه مُصَلَّى الأمواتَ. هذه الدَّارُ أنشأها الأميرُ سَيْف الدِّين كُهُرْداش المَنْصوري [٣]، أَحَدُ المماليك الزَّرّاقين، وهو الذي فَتَح جَزيرَة أَرْواد [٤] في المراكِب المتوجِّهة إلى بلاد الفِرِنْج، وتولَّى عِمارَة مِئْذَنَة المَدْرَسَة المَنْصورية لمَّا تهدَّمَت في الزَّلْزَلَة، وتقَدَّم وكَثُرَت أموالُه، وماتَ بدِمَشْق في سنة أربع عشرة وسبع مائة.

فاشْتَرَى هذه الدَّار الأميرُ سَيْفُ الدِّين بَكْتَمُر الحاجِب، ولم تَزَل بها ذُرِّيته من بعد الأمير جَمال الدِّين عبد الله بن بَكْتَمُر والأمير ناصِرُ الدِّين محمد بن عبد الله، وبها الآن وَلَدا الأمير ١٥ ناصِر الدِّين، وهما الأمير عليّ وعبد الرَّحْمَن؛ وما بَرِحَ هذا البَيْت فيه الإِمْرَة والسَّعادَة [٥].

---

a) هنا في آياصوفيا: بعد ذلك بياض نحو ورقة وشيء.

= عبد الظاهر. (الروضة البهية ١١٢-١١٣؛ مسودة المواعظ ٢٩٠-٢٩١).

[١] المقريزي: مسودة المواعظ ٢٩٢؛ وفيما يلي ٢٤٦.

[٢] فيما يلي ٢: ٣٢٨.

[٣] سَيْفُ الدِّين كُهُرْداش المَنْصوري الزَّرّاق، المتوفى سنة ٧١٤هـ/١٣١٥م. (الصفدي: أعيان العصر ٤: ١٦١-١٦٢؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٣: ٣٥٥-٣٥٦؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٩: ١٥٣).

[٤] حاشية بخط المؤلِّف: «جزيرة أرواد بالقُرْب من قُسطَنطينية فَتَحَها جُنادَة بن أبي أُمَيَّة في أيّام معاوية».

[٥] المقريزي: مسودة المواعظ ٤٠٨ وأطلق عليها «دار كُهُرداش خارج باب النَّصْر». =

بَكْتَمُر الحاجِب الأميرُ سَيْفُ الدِّين[١] ـ كان أمير آخُور ، ثم وَلِيَ شَدّ الدَّواوين بِدِمَشْق في نِيابَة الأفْرَم ، ولم يكن لأحَدٍ معه كلامٌ في عَزْلٍ ولا وِلايَة ، ثم وَلِي الحُجُوبِيَّة . وتوجَّه إلى صَفَد كاشِفًا على الأمير نَاهِض الدِّين عُمَر بن أبي الخَيْر ، والي الوُلاة وشادّ الدَّواوين بها ، ومعه مُعين الدِّين بن حَشيش ، فحَرَّر الكَشْف ، ودَقَّقَه[a] حتى قال فيه زَيْنُ الدِّين عُمَر بن حَلاوات مُوَقِّع صَفَد :

٥ [الكامل]

يا قاصِدًا صَفَدًا فَعُدْ عن بَلْدة — من جَوْر بَكْتَمُر الأمير خَرابُ
لا شافِعٌ تُغْنِي شَفَاعَتُه ولا — جانٍ لـه مِمَّا جَنـاه مَتَـابُ
حَشْرٌ وميزانٌ ونَشْرُ صَحائِفَ — وجَرائـدٌ مـعروضَـةٌ وحِسـابُ
وبها زَبانِيَةٌ تَحُثُّ على الوَرَى — وسَلاسِـلُ ومَـقامِـعٌ وعِـقابُ
١٠ ما فاتَهم من كلِّ ما وُعِدوا به — في الحَشْـر إلَّا راحِـمٌ وَهَّـابُ[٢]

ولمَّا قَدِمَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون من الكَرَك إلى دِمَشْق وَلَّاه الحُجُوبِيَّة ، ودَخَلَ في خِدْمته إلى مصر وهو حاجِبٌ ، ثم أخْرَجَه ثانِيًا نائِبًا إلى غَزَّة في سنة عشرٍ وسبع مائة فأقامَ بها قليلًا ، وطَلَبه ووَلَّاه الوَزارَة بالدِّيار المصرية ، عِوَضًا عن الصَّاحِب فَخْر الدِّين بن الخَليلي ، في رَمَضان سنة عشر ، فباشَرَ الوَزارَة إلى أن قُبِضَ عليه مستهلّ رَبيع الأوَّل سنة خمس عشرة ، ١٥ واعْتُقِلَ مُدَّةَ سنة ونصف ، وأُخِذَ له[b] كثيرٌ من مالِه . ثم أُفْرِج عنه وأُخْرِج إلى صَفَدَ نائِبًا في سنة ستّ عشرة ، وأُنْعِم عليه بمائة ألف درهم ، عنها يومئذٍ خمسة آلاف دينار ، فأقامَ بها عشرة أشهر ، وطُلِبَ إلى مصر فصارَ من أُمَرَاء المَشُورَة[c] ، وإذا تكلَّم السُّلْطَانُ في المَشُورَة لا يردُّ عليه غيره لما

a) بولاق : رفعه . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : الأمراء المشهورة .

= ويَدُلُّ على موضع دار الحاجِب الآن المقابرُ الواقعة على رأس شارع نجم الدِّين خارج باب النَّصْر من جهة اليسار . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٤٤هـ[٢]) .

[١] انظر ترجمة الأمير بَكْتَمُر الحاجِب الحُسامي ، المتوفى سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٧م عند ، الصفدي : أعيان العصر ١: ٧٠٣ - ٧٠٦؛ الوافي بالوفيات ١٠: ١٩٠ - ١٩٢؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ٢: ١٨٣؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٩: ٣٥٢؛ المقريزي : السلوك ٢: ٣١٤؛ المقفى الكبير ٢: ٤٦٦ - ٤٦٨؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢: ١٧ - ١٨؛ أبي المحاسن : المنهل الصافي ٣: ٣٨٦ - ٣٩٠.

[٢] أضاف الصفدي في الوافي أن هذه الأبيات ليبتط ابن التَّعاويذي (أبو الفَتْح محمد بن عبيد الله بن عبد الله ، المتوفى سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م) معروفة في ديوانه وأوَّلها :

يا قاصِدًا بغداد جز عن بَلْدَةٍ — للجَوْر فيها زُخْـرةٌ وعُبابُ

وهي سبعة عشر بيتًا قالها في الوزير ابن البَلَدي ، فأتى ابن حَلاوات بالبيت الأوَّل وليس للفاء في قوله فَعُدْه محلّ .

عنده من المعرفة والخِبْرَة ، وتزوَّج بابنة الأمير جَمال الدِّين آقُوش المعروف بنائِب الكَرَك وأوْلاده الذين ذَكَرْنا منها .

وسُرِقَ له مالٌ كثيرٌ من خِزانتِه بهذه الدَّار ادَّعى أنَّه مبلغ مائتَي ألف درهم ، وكان في الباطِن - على ما قيل - سبع مائة ألف درهم ، فما جَسَرَ يتفوَّه خَوْفًا من السُّلْطان . وكان إذ ذاك والي القاهِرَة الأميرُ سَيْفُ الدِّين قَدادار ، المنسوب إليه القَنْطَرَة[1] على الخَليج ، فتقدَّم أمْرُ السُّلْطان إليه بتتبُّع من سَرَق المال . فدَسَّ إليه الأميرُ بَكْتَمُر السَّاقِي والوَزير مُغْلِطاي الجَمالي والقاضي فَخر الدِّين ناظر الجَيْش في السِّرّ ، أن يتهاوَن في أمْر السَّرِقَة نِكايَةً لبَكْتَمُر ، وأخَذوا يحتجُّون لكلّ من اتُّهِمَ ، ويقولون للسُّلْطان : لَعَنَ الله ساعَةَ هذه العَمْلَة ، كلّ يوم يموت من النَّاس تحت المقارِع عِدَّةٌ ، وإلى متى يُقْتَل المُتَّهَم الذي لا ذَنْبَ له ؟

فلمَّا طالَ الأمْرُ شَكا بَكْتَمُر إلى السُّلْطان في دار العَدْل ، فأُحْضِر الوالي وسَبَّه السُّلْطانُ ، فقال : «يا خَوَنْد ، اللُّصوص الذين أمسكتهم وعاقَبْتهم أقَرُّوا أنَّ سَيْفَ الدِّين بَخْشي خازِنْداره اتَّفَقَ معهم على أخذ المال وجماعَة من ألْزامه الذين في بابه» . فقال السُّلْطانُ للجَمالي الوَزير : «أحْضِر هؤلاء المذكورين وعاقِبْهم» .

فأخَذَ بَخْشِي وعَصَرَه - وكان عَزيزًا عند بَكْتَمُر ، قد زَوَّجه بابنته ، وهو يَثِق بعقله ودينه وأمانَته - فشَقَّ ذلك عليه ، واغتمَّ غَمًّا شَديدًا ماتَ منه فجأةً فيما بين الظُّهْر إلى العَصْر من يوم [a] سنة ثمانٍ وثلاثين[b] وسبع مائة ؛ وكان خَبيرًا بالأمُور ، بَصيرًا بالحَوادِث ، طَويل الرُّوح في الكلام ، لا يملّ من تَطْويله ولو قَعَدَ في الحُكْم الواحِد بين اليَهودي والأمير ثَلاثَة أيام ، ولا يَلْحَقُه من ذلك سآمَة ألبتَّة ، مع معرفةٍ تامةٍ وخبرة بالسِّياسة لم ير مثله في حَقّ أصْحابه لكثرة تذكُّرهم في غيبتهم ، والفِكْر في مَصالِحِهم/ ، وتفقُّد أحْوالِهم ، ومن جَفاه منهم عَتَب عليه .

وكان سَمْحًا بجاهِه ، بخيلًا بمالِه إلى الغاية ، ساقِط الهِمَّة في ذلك ، وله مَتاجِرُ وأمْلاكٌ وسَعادَةٌ لا تكاد تَنْحصر . ومع ذلك فله قُدور يكريها لصَلَّاقي الفُول و الحِمَّص ، وغير ذلك من العُدَد والآلات ، ويُماحِك على أجْرها مُماحَكةً يُستحى من ذكرها ، وأنشأ عِدَّة دُور ، واقْتَنى كثيرًا من البَساتين .

---

a) بياض في الأصول ، وفي بولاق : من يومه . b) بولاق : وعشرين .

---

[1] انظر عن قَنْطَرَة قَدادار فيما يلي ٤٩٩.

ووَلِيَ من بعده ابنُه الأميرُ جَمالُ الدِّين عبد الله الإِمْرَة، وكان حاجِبًا، ولأبيه في سيرة البُخْل والحِرْص الشَّديد تابِعًا ومقلِّدًا، وتولَّى إمْرَة الحاجِّ غير مَرَّة. وخَرَجَ في سنة ستٍّ وثمانين وسبع مائة من القاهِرَة لولاية كَشْف الجُسُور بالغربية، فوَرَدَ عليه كِتابُ السُّلْطان الملك الظَّاهِر بَرْقوق بالإنْكار وفيه تَهْديدٌ مَهول، فداخَله الخَوْفُ ومَرِضَ، فحُمِلَ في مَحَفَّةٍ إلى القاهِرَة، فدَخَلَها يوم الأربعاء النصف من جُمادَىٰ الأولىٰ من تلك السنة، فماتَ من يومِه، وأَخَذَ إقْطاعه الأمير بوري[a].

وصارَ ابنُه ناصِرُ الدِّين أَحَد الأُمَراء العَشْراوات، سالِكًا طَريقَ أبيه وجدِّه في الإمْساك، إلى أن ماتَ في[b] خامس عشرين ربيع الآخر سنة اثنتين وثمان مائة، ودُفِنَ بتُرْبَتهم خارج باب النَّصْر.

دَارُ الجَاوْلِي

هذه الدَّارُ من جملة الحُجَر التي تَقَدَّم ذكرها[١]، وهي تِجاه الخَان المُجاور لوَكالَة قَوْصون، أنشأها الأميرُ عَلَمُ الدِّين سِنْجِر الجاوْلي، وجعَلَها وَقْفًا على المَدْرَسَة المعروفة بالجَاوْلِيَّة بخُط الكَبْش جِوار الجامِع الطُّولوني[٢]. وعُرِفَت في زَمانِنا بقاعَة البَغادِدَة[c]، لسُكْنى عبد الصَّمَد الجَوْهَري البَغْدادي بها هو وأوْلاده من[d] سنة سبعٍ وأربعين وسبع مائة إلى بعد سنة ستّ عشرة وثمان مائة. وهي من الدُّور الجَليلَة، إلَّا أنَّها قد تشعَّثت لطُول الزَّمَن.

دَارُ أميرِ أحمد

هذه الدَّارُ بجوار دَار الجاوْلِي من غَرْبِيِّها، عُرِفَت بأمير أحمد قَريب الملك النَّاصِر محمد بن قلاوون، وعُرِفَت في زَمانِنا بسَكَن أبو ذَقْن ناظِر المَوَاريث[٣].

---

a) بولاق: بودي. b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: البغاده. d) بولاق: في.

---

[١] فيما تقدم ٢: ٤٥٣–٤٥٥.

[٢] فيما يلي ٢: ٣٩٨.

[٣] حاشية بخط المؤلِّف: «فَتْحُ الدِّين محمد أبو ذَقْن، كان وكيلًا بجامع الصَّالح. ثم دَوْلَب وكالَة قَوْصون وصارَ مُعامِل الحَوائِج خاناه السُّلْطانية، ووَلي نَظَر المواريث فتمكَّنَ فيها ومات في ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وسبع مائة».

وهي من جُمْلَة ما اغْتَصَبه جَمالُ الدِّين يُوسُف الأُسْتادَّار من الدُّور الوَقْف ، وجَعَلَها لأخيه شَمْس الدِّين محمد البِيري قاضي حَلَب وشَيْخ الخانْقاه البَيْبَرسية ، فغَيَّر بابَها وشَرَعَ في عِمارَتها ، فقُبِضَ عليه عند القَبْض على أخيه وهو بها [1].

دَارُ اليُوسُفِي

هذه الدَّارُ بجوار باب الجُوَّانِيَّة فيما بينها وبين الحَوْض المُعَدّ لشُرْب الدَّواب ، أنشأها هي والحَوْض الأميرُ سَيْفُ الدِّين بَهادُر اليُوسُفِي السِّلاح دار النَّاصِريّ [2].

دَارُ ابن البَقَري

هذه الدَّارُ أنشأها الوَزيرُ الصَّاحِبُ سَعْدُ الدِّين سَعْد الله بن البَقَري [3]، ابن أخت القاضِي شَمْس الدِّين شاكِر بن غُزَيْل البَقَري صاحِب المَدْرَسَة البَقَرِيَّة [4]. أَظْهَرَ الإسلامَ ، وباشَرَ في الخِدَم الدِّيوانية إلى أن وَلَّاه الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقوق وَظيفَة نَظَر الدِّيوان المُفْرَد ونَظَر الخَاصّ ، عِوَضًا عن الصَّاحِب كَريم الدِّين عبد الكريم بن مُكانِس [5]، في ثالِث شهر رَمَضان سنة ثلاثٍ وثمانين وسبع مائة . فبَاشَر ذلك إلى تاسِع شهر رَمَضان سنة خمسٍ وثمانين ، فقُبِضَ عليه . ونَزَلَ الأميرُ يُونُس الدَّوادار والأمير قُرْقماس الخازِنْدار إلى دارِه هذه ، وأحاطَا بها وأَخَذَا[b] جَميع ما فيها من المال والثِّياب .

---

a-a) إضافة من هامش آياصوفيا . b) بولاق : وأحاط بها وأخذ .

---

[1] ذكر المقريزي فيما تقدم ٢: ٢٥٢–٢٥٣ عند حديثه عن الشارع المسلوك فيه إلى باب النَّصْر ، أنَّ السَّالك بعد أن يتجاوز حدود دار الوزارة الكبرى «يجد على يمنته دار الأمير شهاب الدِّين أحمد ابن خالة الملك النَّاصر محمد بن قلاوون ، ودار الأمير عَلَم الدِّين سِنْجِر الجاوْلي ـ وهما من حُقوق الحُجَر التي كانت بها مماليك الخلفاء ، وأجنادهم ـ ويجد على يسرته وكالة الأمير قَوْصُون ، ثم يَسْلُك من باب الوكالة ، فيجد مقابل باب قاعة الجاولي خان الجاوْلي وبعدها باب النَّصْر القديم» . وهذا الوصف يدل على ترتيب وجود هذه العمائر في هذه المنطقة .

[2] لم يذكر المقريزي دار اليوسفي عند وصفه للعمائر الواقعة في الشارع المسلوك فيه إلى باب النَّصْر ، ولكنه أشار إلى أن الأماكن التي كانت توجد في الجوانية وخُطّ الفَهَّادين إلى العطوفية قد خربت في وقته .

[3] انظر المقريزي : السلوك ٣: ٧١١، ٧٢٤، ٧٣٢.

[4] فيما يلي ٢: ٣٩١.

[5] الصَّاحِبُ كريمُ الدِّين عبد الكريم بن عبد الرَّزَّاق=

والأواني والحُلِيّ والجَواري وغير ذلك ، وحُمِلَ إلى القَلْعَة ، فبَلَغَ قيمةُ ما وُجِدَ بداره في هذه النَّوْبَة مائتي ألف دينار . وسُلِّم ابن البَقْري لشادّ الدَّواوين بقاعَة الصَّاحِب من القَلْعة ، فضُرِبَ بالمقارِع نَيِّفًا وثلاثين شَيْبًا ، ووَلِيَ مُوَفَّق الدِّين أبو الفَرَج نَظَر الخاصّ .

ثم إنَّ الملكَ الظَّاهِرَ لمَّا عادَ إلى المملكة ـ بعد ثَوْرة الأمير يَلْبُغا النَّاصِريّ والأمير تَمُرْبُغا مِنْطاش عليه ، وخَلْعه من المُلْك وسَجْنه بالكَرَك ، ثم قِيامِه بأهْل الكَرَك ودُخولِه إلى القاهِرَة ، وعَوْده إلى المملكة ـ وَلَّى ابن البَقْري الوَزارَة في يوم الاثنين سابع عشر شهر رَبيع الآخر سنة اثنتين وتسعين وسبع مائة ، عِوَضًا عن مُوَفَّق الدِّين أبي الفَرَج [1] ، ثم صُرِفَ في يوم الخميس العشرين من شهر رَمَضان ، وأُعيد الوَزير أبو الفَرَج ، وأُحيط بدور ابن البَقْري ، وأُسْلِم هو وابنُه تاجُ الدِّين عبد الله إلى الأمير ناصِر الدِّين محمد بن آقْبُغا آص [2] .

فلمَّا اسْتَقَرَّ الأميرُ ناصِرُ الدِّين محمد بن الحُسَام الصَّقْري[a] في الوَزارَة يوم الثلاثاء سابع عشرين ذي الحجَّة منها [3] ، عِوَضًا عن الوَزير أبي الفَرَج ، اشْتَرَطَ على السُّلْطان أُمورًا منها اسْتِخْدام الوُزَراء المعزولين ؛ فجَلَسَ بشُبَّاك قاعَة الصَّاحِب من القَلْعَة ، وبَعَثَ إلى مَنْ بالقاهِرَة من الوُزَراء المعزولين ، وهم : شَمْسُ الدِّين عبد الله المَقْسي ، وعَلَمُ الدِّين عبد الوَهَّاب بن الطُّنْساوي المعروف بسِنّ إبْرَة ، وسَعْدُ الدِّين سَعْد الله بن البَقْري ، ومُوَفَّقُ الدِّين أبو الفَرَج ، وفَخْرُ الدِّين عبد الرَّحْمَن بن عبد الرَّزَّاق بن إبراهيم بن مُكانِس [4] . فأَقَرَّ المَقْسي وسِنّ إبْرَة معًا في نَظَر الدَّوْلَة ، وأَقَرَّ ابن البَقْري ناظِرَ البُيوت ومُسْتَوْفي الدَّوْلَة ، وقَرَّر أبا الفَرَج في اسْتيفاء الصُّحْبَة ، وابنَ مُكانِس في اسْتيفاء

a) بولاق : الصفدي .

=القِبْطي المصري المعروف بابن مُكانِس ، وزير الدِّيار المصرية وناظر خاصّها منذ سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م ، وعزل سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م وتوفي بعد خُطوبٍ قاساها سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م . (راجع ، المقريزي : السلوك ٣ : ١٠٧٢؛ ابن حجر : إنباء الغمر ٢ : ١٦٩؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٣ : ٢٢؛ المنهل الصافي ٧:٣٣٧- ٣٤٠؛ الصيرفي : نزهة النفوس ٢ : ١٢٩؛ السخاوي : الضوء اللامع ٤:٣١٢) .

[1] المقريزي : السلوك ٣ : ٧١١.

[2] الأميرُ ناصِرُ الدِّين محمد بن آقْبُغا آص شاد الدَّواوين ، المتوفى سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٣م . (المقريزي : السلوك ٣ : ٧٩٤؛ ابن حجر : إنباء الغمر ١ : ٤٦٤؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٢ : ١٣٦؛ الصيرفي : نزهة النفوس ١ : ٣٧٠ وأيضًا ٢٩٣، ٢٩٦، ٣١٨) .

[3] المقريزي : السلوك ٣ : ٧٢٧؛ الصيرفي : نزهة النفوس ١ : ٣٤٢.

[4] نفسه ٣:٧٢٧- ٧٢٨.

الدَّوْلَة شَرِيكًا لابن البَقَري . فكانوا يَرْكَبون في خِدْمَته دائِمًا ، ويجلسون بين يَدَيْه ، وربَّما وَقَفَ ابن البَقَري على قَدَمَيْه بحضرته ، بعد أن كان ابنُ الحُسام دَواداره ، لا يزال قائِمًا بين يديه . فعَدَّ النَّاسُ هذا من أعْظَم المِحَن التي لم يُشاهَدْ في الدَّوْلَة التركية مثلها ، وهو أن يَصير الرَّجُل خادِمًا لمن كان في خِدْمَتِه ، نَعُوذُ بالله من المِحَن .

٦٦:٢ ثم إنَّ الوَزيرَ ابن الحُسامِ قَبَضَ على ابن البَقَري ، وألْزَمَه بحَمْل سبعين ألف/ درهم ، ثم أُعيد إلى الوَزارَة بعد القَبْض على الصَّاحِب تاج الدِّين عبد الرَّحيم بن عبد الله بن مُوسى بن أبي بكر ابن أبي شاكرٍ في ذي القعدة سنة خمسٍ وتسعين ، وقُبِضَ عليه وعلى وَلَده في حادي عشرين شهر رَبيع الأوَّل سنة ستٍّ وتسعين ، وسُلِّما مع عِدَّة من الكُتَّاب لشادِّ الدَّواوين ، ثم أَفْرَج عنهما على حَمْل مال . فلمَّا وَلِيَ الأميرُ ناصِرُ الدِّين محمد بن رَجَب بن كَلَفْتَ الوَزارَة ، بعد الوَزير أبي الفَرَج [1] ، قَرَّر ابن البَقَري في نَظَرِ الدَّوْلَة عِوَضًا عن بَدْر الدِّين الأَقْفَهْسي ، واسْتَخْدَمَ بقيَّة الوُزَراء كما فَعَلَ الوزيرُ ابن الحُسَام . فلمَّا خَلَعَ السُّلْطَانُ على الأمير ناصِر الدِّين محمد بن تَنْكِز ، وجَعلَه أُسْتادَّار الأمْلاك في رَجَب سنة سبعٍ وتسعين ، قَرَّرَ ابنَ البَقَري ناظرَ الأمْلاك وخَلَع عليه ، فصارَ يتحدَّث في نَظَر الدَّوْلَة ونَظَر الأمْلاك .

فلمَّا كان يومُ الخميس رابع رَجَب سنة ثمانٍ وتسعين أُعيدَ إلى الوَزارَة ، وصُرِفَ عنها الأمير مُبارَك شاه الظَّاهِري ، واستقرَّ بَدْر الدِّين (a محمد بن a) محمد بن محمد الطُّوخي في نَظَر الدَّوْلَة . ثم قُبِضَ عليه في يوم الخميس رابع رَبيع الأوَّل سنة تسعٍ وتسعين ، وأُحيط بسائِر ما قُدِرَ عليه من مَوْجودِه ، ووَلِيَ الوَزارَة بعده ابنُ الطُّوخي ، وعُوقِب عِقابًا شَديدًا في دار الأمير عَلاء الدِّين عليّ ابن الطَّبلاوي . ثم أُخرِجَ نَهارًا ـ وهو عارٍ مكشوف الرأس ، وبيده حَبْلٌ يُجَرُّ به ، وثيابُه مضمومة (a إلى صَدْره a) بيده الأُخرى ، والنَّاسُ تَراهُ ـ من دَرْب قَراصْيا برَحْبَة باب العيد في الشُّوق إلى دار ابن الطَّبلاوي ، وقد انْهَتَكَ بَدَنُه من شِدَّة الضَّرْب ، فسُجِنَ بدارٍ هناك ، ثم خُنِقَ في ليلة الاثنين رابع جُمادَىٰ الآخرة سنة تسعٍ وتسعين وسبع مائة [2] .

a-a) ساقطة من بولاق .

[1] حاشية بخط المؤلِّف : «مات أبو الفَرَج تحت العُقُوبَة يوم الاثنين حادي عشرين ربيع الآخر سنة ست وتسعين وسبع مائة» .

[2] الصيرفي : نزهة النفوس ١: ٤٤٢، ٤٥٢ .

وكان أَحَدَ كُتّاب الدُّنْيا الذين انتهت إليهم السِّيادَة في كِتابة الدَّيْوَنَة[a]، مع عِفَّة الفَرْج، وجَوْدة الرأي، وحُسْن التَّدْبير، إلَّا أنَّه لم يُؤْتَ سَعْدًا في وَزارَته، وما بَرِحَ يُنْكَب كلَّ قليل، وكان يُظْهِر الإسْلام، ويَكْتُب بخَطِّه كُتُبَ الحَديث وغيرها، ويُتَّهَم في باطِن أمْرِه[b] بالتشدُّد في النَّصْرانية.

٥ ووَلِيَ ابنُه تاجُ الدِّين عبد الله الوَزارَة، ونَظَر الخاصّ، وماتَ قَتيلًا تحت العُقوبَة عند الأمير جَمال الدِّين يوسُف الأُسْتادّار في سنة ثمانٍ وثمان مائة [١].

ودارُ ابن البَقْري هذه من أعْظَم دُور القاهِرَة، وهي من جملة خُطِّ حارَة الجُوَّانِيَّة في أوَّلها.

دارُ طُولُنْبَاي

هذه الدَّارُ بجوار حَمَّام الأَعْسَر برأس باب[c] حارَة الجُوَّانِيَّة تِجاه دَرْب الرَّشيدي. أنشأها ١٠ الأميرُ شَمْسُ الدِّين سُنْقُر الأَعْسَر الوَزير، ثم عُرِفَت بخَوَنْد طُولُنْباي النَّاصِرِيَّة جِهَة الملك النَّاصِر [٢].

طُولُنْبــاي ـ ويُقال دُلُنْبِيَّة، ويُقال طُلُوبِيَّة ابنة طَغاج بن هَنْدو بن بكو بن دُوشَي خان ابن جَنْكِزْخان، ذات السِّتر الرَّفيع الخاتوني [٣]. كان السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون قد جَهَّز الأمير أَيْدُغْدي الخُوارَزْمي [٤] في سنة ستّ عشرة وسبع مائة، يَخْطِبُ إلى أَزْبَكَ ملك التَّتار بِنْتًا من ١٥ الذُّرِّيَّة الجَنْكِزِيَّة. فجَمَع أَزْبَك أُمَراءَ التُّومانات ـ وهم سبعون أميرًا ـ وكلَّمهم الرَّسول في ذلك، فنَفَروا منه. ثم اجتمعوا ثانِيًا بعد ما وَصَلَت اليهم هَداياهم وأجابُوا ثم قالوا: إلَّا أنَّ هذا لا يكون إلَّا بعد أربع سنين: سنَة سَلام، وسنَة خِطْبة، وسَنَة مُهادَاة، وسَنَة زَواج، واشتطُّوا في طَلَب المَهْر، فرَجَعَ السُّلْطانُ عن الخِطْبَة.

---

a) بولاق: الرسوم الديوانية. b) بولاق: الأمر. c) ساقطة من بولاق.

---

[١] المقريزي: السلوك ٣: ١١٠٥، ١١٦٤.

[٢] فيما تقدم ٢: ٢٥٢، وهي من جملة أرض دار الوزارة الكبرى.

[٣] انظر أخبار الخاتون طلنبية عند، النويري: نهاية الأرب ٣٢: ٣٢٣–٣٢٦؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٩: ٣٠٢–٣٠٣؛ المقريزي: السلوك ٢: ٢٠٣–٢٠٥، ٢٩٨.

[٤] قارن المقريزي: السلوك ٢: ١٦٤، المقفى الكبير ٢: ٣٤٣؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤٥٤.

ثم توجَّه سَيْفُ الدِّين طُوجي[a] بهَديَّة وخِلْعَة لأَزْبَك ، فلَبِسَها وقال لطُوجي[a]: قد جَهَّزت لأخي الملك النَّاصِر ما كان طَلَب ، وعَيَّنْت له بنتًا من بيت جَنْكِزْخان من نَسْل الملك ماطوخان[b]. فقال طُوجي[a]: لم يُرْسلني السُّلْطان في هذا . فقال أَزْبَك : أنا أُرْسلُها إليه من جِهَتي .

وأَمَرَ طُوجي[a] بحمل مَهْرها ، فاعتذر بعَدَم المال ، فقال : نحن نَقْتَرِض من التُّجار ؛ فاقْتَرَض عشرين ألف دينار وحَمَلَها . ثم قال : لابد من عَمَل فَرَح تجتمع فيه الخَواتِين [1] . فاقْتَرَض مالًا آخر نحو سبعة آلاف دينار ، وعمل الفَرَح .

وجُهِّزَت الخاتون «طُلُنْباي» ومعها جماعَةٌ من الرُّسُل ، و هم : بايْنْجار من كِبار المُغُل ، وإيتغلي[c] وطَقْبُغا ، ومنعوش ، وطَوْجي ، وعُثْمَان ، وبَكْتَمُر ، وقرطبا ، والشيخ بُرْهان الدِّين إمام الملك أَزْبَك ، وقاضي هراي .

فساروا في زَمَن الخَرِيف ، وأَقْلَعُوا فلم يجدوا ريحًا تسير بهم ، فأقامُوا في بَرّ الرُّوم على ميناء ابن مَنشْا خمسة أشهر ، وقامَ بخدمتهم هو والأَشْكُري ملك قُسْطَنْطينية ، وأنفق عليهم الأَشْكُري ستين ألف دينار ، فوَصلوا إلى الإسْكَنْدَرية في شهر رَبيع الأوَّل سنة عشرين وسبع مائة .

فلمَّا طَلَعَت الخاتُون من المراكب ، حُمِلَت في خَرْكاةٍ من ذَهَبٍ على العَجَل ، وجَرَّها المماليكُ إلى دار السُّلْطان[d] بالإسْكَنْدَرية . وبَعَث السُّلْطانُ إلى خِدْمتها عِدَّةً من الحُجَّاب وثماني عشرة من الحُرَم ونزلت في الحَرَّاقة ، فوَصَلَت إلى القَلْعَة يوم الاثنين خامس عشرين رَبيع الأوَّل المذكور ، وفُرِشَ لها بالمناظِر في المَيْدان دِهْليز أَطْلَس معدني ، ومُدَّ لهم سِماط .

وفي يوم الخميس ثاني عشرين ، أحضر السُّلْطانُ رُسُل أَزْبَكَ ، ووَصَلَ رُسُلُ ملك الكُرْج ورُسُل الأَشْكُري بتقادُمِهم . ثم بعَثَ إلى المَيْدان الأمير سَيْف الدِّين أَرْغون النَّائِب والأمير بَكْتَمُر السَّاقِي والقاضي كريم الدِّين ناظِر الخاصّ ، فمَشَوا في خِدْمَة الخاتُون إلى القَلْعَة وهي في عَرَبَة[e] [2] .

---

a) بولاق : طوخي . b) بولاق : يا طرخان . c) ساقطة من بولاق . d) بولاق : السلطنة . e) بولاق : عز .

---

[1] الخاتون جـ. خواتين وخاتونات . لفظ تركي معناه : السَّيِّدَة ، كان يستخدم في عصر المماليك للتدليل على زَوْجات السلطان أو نساء طبقتهم . (حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ٢٦٤– ٢٦٦؛ Boyl, J.A., *EI*[2] art. *Khâtûn* IV, p. 1164; ʿAbd ar-Râziq, A., *La femme au temps des Mamlouks en Égypte*, pp. 96-97).

[2] ابن أيبك : كنز الدرر ٩: ٣٠٢– ٣٠٣.

ثم عقَدَ عليها يوم الاثنين سادس رَبيع الآخر[1] على ثلاثين ألف دينار حالَّة، المُعَجَّل منها عشرون ألفًا، وعَقَدَ العَقْد قاضي القُضَاة بَدْر الدِّين محمد بن جَماعَة، وقَبلَ عن السُّلْطان/ النَّائِب أرْغون وبَنَى عليها.

وأعادَ الرُّسُل بعد أن شَمِلَهم من الإنْعام ما أرْبى على أمَلِهم، ومعهم هَدِيَّةٌ جَليلَةٌ، فساروا في شَعْبان، وتأخَّر قاضي هراى حتى حَجَّ، وعادَ في سنة إحدى وعشرين.

وماتَت في رابع عشرين رَبيع الآخرَ سنة خمسٍ وستين وسبع مائة، ودُفِنَت بتُرْبَتها خارج باب البَرْقِيَّة بجوار تُرْبَة خَوَنْد طُغاي أم أنُوك[2].

دار حارِس الطَّيْر

هذه الدَّارُ بداخِل دَرْب قَراصْيا بخُطِّ رَحْبَة باب العيد، عُرِفَت بالأمير سَيْف الدِّين أسَنْبُغا حارِس الطَّيْر، ترقَّى في الخِدَم إلى أن صارَ نائِبَ السَّلْطَنَة بديار مصر في أيَّام السُّلْطان حَسَن بن محمد بن قَلاوون بعد بَيْبُغارُوس[a]. ثم عُزِلَ بالأمير قَبْلاي، وجُهِّزَ إلى نِيابَة غَزَّة فأقامَ بها شهرًا، وقُبِضَ عليه وحَضَرَ مُقَيَّدًا إلى الإسْكَنْدَرِية في شَعْبان سنة اثنتين وخمسين وسبع مائة، فسُجِنَ بها مُدَّة. ثم أُخْرِجَ إلى القُدْس، فأقامَ بَطَّالًا مُدَّةً، ثم نُقِلَ إلى نِيابَة غَزَّة في شَعْبان سنة ستٍّ وخمسين وسبع مائة[3].

---

a) بولاق: يلبغا روس.

---

[1] في كنز الدرر: يوم الجمعة سَلْخ ربيع الأوَّل وأنَّ الذي كتب الكتاب الشَّريف السُّلْطاني القاضي عَلاء الدِّين بن الأثير، كتبه في شُقَّة أطْلَس أبيض بالذهب المحلول، وكان مبلغه ثلاثين ألف دينار حَالَّة.

[2] في السلوك ٣: ٩٥ أنَّ التي ماتت في سنة ٧٦٥هـ/ ١٣٦٤م خوند طولباي التركية عتيقة السلطان حسن وامرأة الأمير يَلْبغا الأتابك! ولها ترجمة عند ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣٢٩؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٨٤؛ المنهل الصافي ٧: ٣١؛ وانظر فيما يلي ٢: ٤٢٥، ٤٦٤.

[3] لعل إشارة المقريزي هنا هي الإشارة الوحيدة لتولي الأمير سَيْف الدِّين أسَنْبُغا نيابة السَّلْطَنَة بعد بَيْبُغاروس القاسمي الذي استمرَّ نائبًا للسَّلْطَنَة من ٥ شوال سنة ٧٤٨هـ إلى أن عُزِلَ في أثناء سنة ٧٥١هـ. فالمعروف أنَّ الذي تولَّى بينه وبين الأمير قَبْلاي الناصري الحاجب الذي أصبح نائبًا للسلطنة في رمضان سنة ٧٥٣هـ هما: بَيْبُغا أرس ططر وأرغون بن عبد الله الكاملي. (راجع، محمد عبد الغني الأشْقَر: نائب السلطنة المملوكية في مصر (من ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، القاهرة - تاريخ المصريين ١٥٨، ١٩٩٩، ٣٨٠-٣٨١).

الدَّارُ القُرْدُمِيَّة

هذه الدَّارُ خارِج باب زَوِيلَة بخُطِّ المَوَازِنيين[a] من الشَّارع المسلوك فيه إلى رأس المُنْتَجِبِيَّة[b]، بناها الأميرُ أُلْجاي النَّاصِرِيّ [c]سَيْف الدِّين[c] مملوك السُّلطان الملك النَّاصِر محمد ابن قَلاوون [1].

وكان من أَمْره أنَّه ترقَّى في الخِدَم السُّلْطانية حتى صارَ دَاودار [2] السُّلْطان بغير إمْرَة، رَفيقًا للأمير بَهاء الدِّين أَرْسلان الدَّوادار [3]. فلمَّا ماتَ بهاءُ الدِّين، استقرَّ مكانَه [c]دَاودارًا كبيرًا[c] بإمْرَة عَشْرة مُدَّة ثلاث سنين، ثم أُعْطى إمْرَة طَبْلَخاناة.

وكان فقيهًا حَنَفِيًّا، يَكْتُب الخَطَّ المليح، ونَسَخ بخَطِّه القُرْآن الكَريم في رَبْعَة، وكان عَفيفًا عن الفَواحِش، حَليمًا لا يكاد يَغْضَب، مُكبًّا على الاشْتِغال بالعِلْم، مُحِبًّا لاقْتِناء الكُتُب، مُواظِبًا على مُجالَسَة أَهْل العِلْم.

وبالَغَ في إتْقان عِمارَة هذه الدَّار، بحيث أنَّه أَنْفَقَ على بَوَّابتها خاصَّةً مائة ألف درهم فِضَّة، عنها يومئذ نحو الخمسة آلاف مِثْقال من الذَّهَب. فلمَّا تَمَّ بناؤها لم يُمَتَّع بها غير قليل، ومَرِضَ فماتَ في أوائل شهر رَجَب ـ وقيل في رَمَضان ـ سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائة وهو كَهْل، فدُفِنَ بقَرافَة مصر.

فسَكَنَتْها[d] من بعده خَوَنْد عائِشة خاتُون ـ المعروفة بالقُرْدُمِيَّة ـ ابنة الملك النَّاصِر محمد ابن قَلاوون زَمانًا فعُرِفَت بها. وكانت هذه المرأةُ ممَّن يُضْرَب بغِناها وسَعادَتها المَثَل، إلَّا أنَّها عُمِّرَت طَويلًا، وتصرَّفت في مالِها تصرُّفًا غير مَرْضِي، فتَلِف في اللَّهْو حتى صارَت تُعَدُّ من جملة

a) بولاق: الموازين. b) بولاق والنسخ: المنجبية. c-c) زيادة من مسودة المواعظ. d) بولاق: فسكنها.

[1] الأميرُ سَيْفُ الدِّين أُلْجاي الدَّوادار النَّاصري، المتوفى سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م. (الصفدي: أعيان العصر ١: ٥٩١- ٥٩٢، الوافي بالوفيات ٩: ٣٥٣- ٣٥٤؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٩: ٣٦٧؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٢٧٧- ٢٧٨، السلوك ٢: ٣٥٤؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤٤٣؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٣: ٣٩- ٤٠، النجوم الزاهرة ٩: ٢٩٧).

[2] عن الدَّوَادار انظر فيما يلي ٧٢٠.

[3] الأميرُ بَهاءُ الدِّين أَرْسَلان الدَّوَادار، المتوفى سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م. (الصفدي: أعيان العصر ١: ٤٤٩- ٤٥١، الوافي بالوفيات ٨: ٣٤٦؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢: ١٧- ١٨؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٣٧٢؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٢: ٣٠٠- ٣٠٢، النجوم الزاهرة ٩: ٢٤١).

المساكين. وماتت في الخامس من جُمادَىٰ الأولىٰ سنة ثمانٍ وسبعين وسبع مائة، ومَخَدَّتها حشوها(a) من ليف [١]. ثم سَكَن هذه الدَّار الأميرُ جَمالُ الدِّين مُحَمَّود بن عليّ الأُسْتادَّار مُدَّةً، وأنشأ تِجاهَها مَدْرَسَةً [٢].

دارُ الصّالح

٥ هذه الدَّارُ بحارَة الدَّيْلَم قَرِيبًا من السِّجْن، وكانت دارَ الصَّالِح طَلائِع بن رُزِّيك يَسكنها وهو أمير قَبْل أن يلي الوَزارَة، بَنَاها في سنة سبعٍ وأربعين وخمس مائة. وما زالَت باقيةً إلى أن خَرَّبَها الأميرُ الوَزير رُكْن الدِّين عُمَر بن محمد بن قايماز [٣] في سنة أربعٍ وتسعين وسبع مائة [٤]، وبَنَاهَا على ما هي عليه الآن(b) [٥].

دارُ بَهادُر

١٠ هذه الدَّارُ بالقاهِرَة جِوار المَشْهَد الحُسَيْني، في دَرْب جُرْجِي المقابل للأَبَّارين المَسْلوك منه إلى دار الضَّرْب وغيره. أنشأها الأميرُ بَهادُر رأس نَوْبَة [٦]، أَحَدُ مَماليك الملك المَنْصور قَلاوون، واتَّفق أنَّه كان مِمَّن مالأَ الأمير بَدْر الدِّين بَيْدَرا على قَتْل الملك الأَشْرَف خَليل بن قَلاوون؛ فلمَّا قَدَّرَ الله

---

a) زيادة من مسودة المواعظ. b) هنا في هامش آياصوفيا: بياض سطرين.

---

[١] المقريزي: مسودة المواعظ ٣٩٤- ٣٩٥.

[٢] تُعْرَف بالمدرسة المحمودية بشارع الخِيَمِيّة، انظر فيما يلي ٢: ٣٩٥.

[٣] الأميرُ رُكْنُ الدِّين عمر بن ناصر الدِّين محمد بن قايماز أستادَّار الأمير يَلْبُغا بن أخت السُّلْطان بَرْقوق، عُيِّنَ وزيرًا في ١٤ صفر سنة ٧٩٤هـ. (المقريزي: مسودة المواعظ ٣٩٧).

[٤] نفسه ٣٩٧.

[٥] يرى صديقي الأستاذ محمد أبو العمائم أنَّ جزءًا من هذه الدَّار هو القاعة المعروفة الآن بقاعة الدَّرْدير (أثر رقم ٤٦٦).

[٦] الأميرُ سَيْفُ الدِّين بَهادُر رأس نَوْبَة، من جملة من باشر قَتْل الملك الأشرف خليل بن قلاوون، قُتِلَ هو والأمير آقوش قَتَّال السَّبُع في ١٢ محرم سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٢م. (ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٨: ١٨٨؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٥٠٠- ٥٠١، السلوك ١: ٧٩٥؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٢٢). ورأْسُ نَوْبَة أحد الوظائف التي كان يشغلها أَرْبابُ السيوف بحضرة السُّلْطان المملوكي - وهي خمس وعشرون وظيفة - وترتيبها الثالثة بينها. وموضوعها الحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيْديهم وتنفيذ أمر السُّلْطان فيهم. وجرَت العادة أن يكونوا أربعة أمراء: واحدٌ مُقَدَّم ألف وثلاثة طَبْلخاناه. (القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ١٨، ٥: ٤٥٤؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف ٥٤٥- ٥٤٩).

بانْتِقاض أمْر بَيْدَرا وقَتْله وإقامَة الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون بعد أَخيه الأَشْرَف خَليل ، قَبَضَ على جَماعَةٍ ممَّن وافَقَ على قَتْل الملك الأَشْرَف خَليل . وقد تجمَّعت المماليكُ الأَشْرَفِيَّةُ مع الأمير عَلَم الدِّين سِنْجر الشُّجاعي ـ وهو يومئذٍ وَزير الدِّيار المصرية(a) ـ في دار النِّيابَة من قَلْعَة الجَبَل[١] عند الأمير زَيْن الدِّين كَتْبُغا نائِب السَّلْطَنَة ، وإذا بالأمير بَهادُر المذكور قد حَضَر هو والأميرُ جَمالُ الدِّين آقُوش المَوْصِلي الحاجِب المعروف بنُمَيْلَة ـ وكانا قد اخْتَفَيا فَرَقًا من سَطْوَة الأَشْرَفِيَّة حتى دَبَّرَ أَمْرَهُما النَّائِبُ ، وأذن لهما في طُلُوع القَلْعَة ـ فما هو إلَّا أن أبصرهما الأَشْرَفِيَّة حتى سَلُّوا سيوفَهم ، وضَرَبوا رَقَبَتَيْهما في أَسْرَع وَقْت . فدُهِشَ الحاضِرون ، وما اسْتَطاعُوا أن يتكلَّموا خَوْفًا من الأَشْرَفِيَّة[٢] .

واتَّفَقَ في بناءِ هذه الدَّار ما فيه عِبْرَة لمن اعْتَبَر ، وذلك أنَّ بَهادُر هذا لمَّا حَفَرَ أَساسَها وَجَدَ هناك قُبورًا كثيرة ، فأَخْرَجَ تلك العِظَام ورَماها . فبَلَغ ذلك قاضي القُضَاة تقيَّ الدِّين محمَّد(b) بن دَقيق العِيد ، فبَعَثَ إليه يَنْهاه عن نَبْش القُبُور ورَمْي العِظَام ، ويُخَوِّفه عاقِبَة ذلك ؛ فقال : إذا مُتُّ يَجُرُّوا رِجْلي ويَرْمُوني ؛ فقال القاضي لمَّا أُعيدَ عليه هذا الجَواب : وقد يكون ذلك .

فقَدَّر الله أنَّه لما ضُرِبَت رَقَبَتُه ورَقَبةُ آقُوش ، رُبِطَ في رجليهما حبْلٌ ، وجُرَّا من دار النِّيابَة بالقَلْعَة إلى المجاير والكيمان ، نَعُوذُ بالله من سُوء عاقِبَة القَضَاء[٣] .

(c)قال كاتِبُه : أنا حَضَرْتُ مثل ذلك ، لمَّا عَمَّرَ الأميرُ جَهارْكَس الخَلِيلي الفُنْدُق المعروف به الآن بخُطِّ الزَّراكِشَة العَتيق أخرج منه عِظامَ المقبورين هناك ـ وقد تقدَّم أنَّ مكانَه كان تُرْبَةَ القَصْر المعروفة بتُرْبَة الزَّعْفران[٤] ـ فكانت تُحْمَل تلك العِظَام إلى كيمانِ البَرْقِيَّة خارج باب البَرْقِيَّة وتُرْمَى هناك ، فعاقَبَه الله بمثل ذلك في الدُّنْيا ، وهو أنَّه كان ممَّن خَرَجَ من القاهِرَة في العَسْكَر الذي جهَّزَه الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقوق لحَرْب النَّاصِريّ في سنة إحدى وتسعين وسبع مائة ، فلمَّا انْهَزَمَ هذا العَسْكَرُ بظاهِر دِمَشْق قُتِل الخَلِيلي وسُلِبَ وأقامَ رِمَّةً مَسلوبًا بالعَراء لم يُدْفَن . أخبرنا غير واحِدٍ ممَّن شاهَدَه ، وقد انتفخ وهو مَسْلوب لا يُواريه شيءٌ . ذلك ليعلموا أنَّ الله على كلِّ شيءٍ قَدير(c) .

---

a) بولاق : وزيرًا لديار مصر . b) إضافة من المقفى الكبير . c-c) إضافة من مسودة المواعظ .

---

[١] انظر عن دار النِّيابَة فيما يلي ٦٩٥–٦٩٨.

[٢] ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٨: ١٧٣.

[٣] المقريزي: مسودة المواعظ ٣٩٨– ٣٩٩، المقفى الكبير ٢: ٥٠٠– ٥٠١.

[٤] فيما تقدم ٢: ٣٥١–٣٥٢ .

ثم عُرِفَت هذه الدَّارُ ببيت الأمير جَرَكْتَمُر بن بَهادُر المذكور، وكان خَصيصًا بالأمير قَوْصُون، فبَعَثَه لقَتْل السُّلْطان الملك المنصور أبي بكر بن الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون، لمَّا نفاه إلى مَدينَة قُوص بعد خَلْعِه، فتَوَلَّى قَتْلَه. فلمَّا قُبِضَ على قَوْصُون، قُبِضَ على جَرَكْتَمُر في ثاني شَعْبان سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة، وقُتِلَ بالإسْكَنْدَرية هو وقَوْصون في لَيْلَة الثلاثاء ٥ ثامِن عشر شَوَّال[١] تَوَلَّى قَتْلَهما الأميرُ ابن طَشْتَمُر طُلَلِية وأحمد بن صُبْح. وكان جَرَكْتَمُر هذا فيه أَدَبٌ / وحِشْمَةٌ، وأوَّل أمْره كان من أصْحاب الأمير بَيْبَرْس الجاشْنْكير فقَدَّمَه وأعْطاه إمْرَة عَشْرَة، ثم اتَّصل بالأمير أَرْغون النَّائِب فأعْطَاه إمْرَة طَبْلَخاناة، وكان يلعب الأُكْرة ويُجيد في لعبها إلى الغاية[٢].

ثم عُرِفَت هذه الدَّار بالأمير سَيْف الدِّين بَهادُر المَنْجَكِي أُسْتادَّار الملك الظَّاهِر بَرْقوق، لسَكَنه ١٠ بها وتَجْديد عِمارَتها، وأنْشأ بجوارها حَمَّامًا، وكانت وَفاتُه يوم الاثنين الثاني من جُمادَى الآخرة سنة تسعين وسبع مائة[٣]. وهذه الدَّارُ باقية إلى اليوم يَسْكنها الأُمَراءُ.

دارُ البَقَر

هذه الدَّار خارج القاهِرَة فيما بين قَلْعَة الجَبَل وبِرْكَة الفيل، بالخُطِّ الذي يُقالُ له اليوم حَدْرَة البَقَر، كانت دارًا للأبْقار التي برَسْم السَّواقي السُّلْطانية، ومَنْشرًا للزِّبْل وفيه ساقية[٤]. ثم إنَّ الملكَ

---

[١] الأميرُ سَيْفُ الدِّين جَرَكْتَمُر بن بَهادُر رأس نَوْبَة، المتوفى سنة ٧٤٢هـ/١٤٣٨م. (المقريزي: المقفى الكبير ٣: ٢١- ٢٢، السلوك ٢: ٦٠٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٧٠).

[٢] المقريزي: مسودة المواعظ ٣٩٨- ٤٠٠.

[٣] الأميرُ سَيْفُ الدِّين بَهادُر المَنْجَكي ـ نسبة إلى معتقه الأمير مَنْجَك اليوسفي ـ أستادّار السلطان الظاهر برقوق، المتوفى سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م. (راجع، ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٩: ٤٣؛ المقريزي: السلوك ٣: ٥٨٧؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣٠، إنباء الغمر ١: ٣٥٨؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٣١٦، المنهل الصافي ٣: ٤٣٥- ٤٣٦؛ الصيرفي: نزهة النفوس ١: ١٨٠).

[٤] تُعْرَف دار البَقَر أيضًا في المصادر بدُوَيْرَة طَشْتَمُر السَّاقي حُمُّص أخْضَر أحد آخرمن أقام بها.

ويدلُّ على موضع هذه الدَّار المنطقة التي تُحَدُّ الآن من الغرب بشارع الحلمية، فيما بين زاوية الشيخ عبد الله وبين شارع المُظَفَّر، ومن الجنوب شارع المُظَفَّر (وهو الذي حَلَّ محل الشارع الذي ذكره المقريزي باسم حَدْرَة البَقَر)، ومن الشرق بحارة رفعت، ومن الشمال خَطٌّ تصوُّري يمتد من نهاية حارة رفعت إلى زاوية الشيخ عبد الله السابق ذكرها. وكان يدخل في هذه المنطقة كذلك دار علي باشا مبارك التي زالت آثارها اليوم. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٢٢هـ[١] تعليقات رمزي بك؛ ابن إياس: بدائع الزهور ٣: ٣٠٠، ٤: ٣٤٧، ٤١١؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ٤٤ (١٥٧-١٥٨)).

النَّاصِرُ محمد بن قلاوون أنشأها دارًا وإسْطَبْلًا ، وغَرَسَ بها عِدَّة أشْجار . وتولَّى عِمارَتَها القاضِي كَرِيمِ الدِّين عبد الكَرِيم الكبيرَ[1] [a]ناظِر الخاصّ[a] [2]، فبَلَغ المصروف على عِمارَتها ألف ألف دِرْهَم . وعُرِفَت بالأمير طَقْتَمُر[3] الدِّمَشْقي ، ثم عُرِفَت بدَار الأمير طَشْتَمُر حُمُّص أخضر [4]. وهذه الدَّارُ باقية إلى وقتنا هذا ينزلها أُمَرَاءُ الدَّوْلَة [5].

٥

قَصْرُ بَكْتَمُر السَّاقي

هذا القَصْرُ من أَعْظَم مَساكِن مصر ، وأجَلِّها قَدْرًا وأحسَنها بُنْيانًا ، ومَوْضِعه تِجاهِ الكَبْش على بِرْكَة الفيل. أنشأه الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قلاوون لسَكَن أجَلِّ أُمَرَاء دَوْلَته الأمير بَكْتَمُر السَّاقي [6]، وأدْخَلَ فيه أرْض المَيْدان الذي أنْشَأَهُ الملكُ العادِلُ كَتْبُغا [7].

---

a-a) إضافة من مسودة المواعظ .

---

[1] القاضي كريمُ الدِّين أبو الفَضَائل عبد الكريم بن هِبَة الله ابن السَّدِيد القِبْطي المصري ، المتوفى سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٣م . (الصفدي : أعيان العصر ٣:١٤٢- ١٥٤، الوافي بالوفيات ١٩:٩٧- ١٠٢؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٩:٣١٠- ٣١٢، ٣١٤- ٣١٥؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ٢: ٩٠، ١٣٣؛ المقريزي: السلوك ٢:٢٤٣- ٢٤٨، ٢٥٩؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٣:١٥- ١٨؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٧:٣٤٥- ٣٥٠؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١:٤٤٤) .

[2] ناظِرُ الخاصّ . أحَد الوظائف الدِّيوانية التي كان يشغلها مَدَنيون في عصر المماليك ، نشأت في عَصْر السُّلْطان النَّاصِر محمد بن قَلاوون حين أبْطَلَ الوَزارَة . (فيما يلي ٢:٢٢٧) .

[3] الأميرُ سَيْفُ الدِّين طَقْتَمُر الدِّمَشْقي أحد المماليك النَّاصِرية محمد بن قَلاوون ، المتوفى سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م . (المقريزي : المقفى الكبير ٤:٢٨- ٢٩، السلوك ٢: ١٦٨؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢: ٣٢٥؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:٢٣٧) .

[4] وتُعْرَف أيضًا بيت طَشْتَمُر (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:١٢٢) وهو الأميرُ سَيْفُ الدِّين طَشْتَمُر (طاشْتَمُر) النَّاصري السَّاقي المشهور بحُمُّص أخْضَر ، المتوفى سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م . (الصفدي : أعيان العصر ٢:٥٨٦- ٥٩١، الوافي بالوفيات ١٦:٤٣٧- ٤٤٢؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ٣: ٤٤٦؛ المقريزي : السلوك ٢: ٦٣٧؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢: ٣٢٠؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٦:٣٩٢- ٣٩٤، النجوم الزاهرة ١٠: ١٠١؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١: ٤٩٧؛ وفيما يلي ٣٠٠) .

[5] المقريزي : مسودة المواعظ ٤٠٨- ٤٠٩؛ وأضافَ أبو المحاسن أنَّها أصبحت في وقته ملك الأمير جِرْباش المُحَمَّدي الأتابك . (النجوم ٩:١٢٢) .

[6] الأميرُ سَيْفُ الدِّين بَكْتَمُر السَّاقي المُظَفَّري ، أحد مماليك رُكْن الدِّين بَيْبَرْس الجاشنكير ، المتوفى سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م . (الصفدي : أعيان العصر ١:٧٠٩-٧١٤ (مصدر المقريزي) ، الوافي بالوفيات ١٠:١٩٣- ١٩٧؛ المقريزي : المقفى الكبير ٢:٤٦٨- ٤٧٤، السلوك ٢: ٣٦٤؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢:١٩- ٢١؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٣:٣٩٠- ٣٩٧، النجوم الزاهرة ٩:٣٠٠) .

[7] أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:١٨٨ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١:٤٦٤ ؛ وفيما يلي ٦٣٠ ، ٢: ٤٢٤.

وقَصَدَ أن يَأْخُذ قِطْعَةً من بِرْكَة الفيل ليتَّسع بها الإسْطَبْل الذي للأمير بَكْتَمُر بجوار هذا القصر، فبعَثَ إلى قاضي القُضَاة شَمْس الدِّين الحَرِيري الحَنَفي ليَحْكُم باسْتِبْدالها على قاعدَةِ مَذْهَبه [1]. فامْتَنَعَ من ذلك تنزُّهًا وتوَرُّعًا، واجتمع بالسُّلْطان وحَدَّثه في ذلك. فلمَّا رأى كَثْرة مَيْل السُّلْطان إلى أَخْذ الأرْض، نَهَضَ من المَجْلِس مُغضَبًا، وصارَ إلى منزله.

٥ فأَرْسَلَ القاضي كَرِيمُ الدِّين الكبير، ناظِر الخَاصّ، إلى سِراج الدِّين [a] الحَنَفي عن أمْر السُّلْطان وقَلَّده قَضَاءَ مصر منفردًا عن القاهِرَة، فحَكَمَ باسْتِبْدال الأرض في غُرَّة رَجَب سنة سبع عشرة وسبع مائة، فلم يَلْبَث سوى مُدَّة شهرين وماتَ في أوَّل شهر رَمَضان. فاسْتَدْعَى السُّلْطان قاضي القُضَاة شَمْس الدِّين الحَرِيري، وأعادَه إلى ولايته.

وكَمُلَ القَصْرُ والإسْطَبْل على هَيْئَةٍ قَلَّ ما رَأَت الأَعْيُن مثلها، بَلَغَت النَّفَقَة على العِمارَة في كلّ يوم

١٠ مبلغ ألف وخمس مائة دِرْهَم فِضَّة، مع جاه العمل لأنَّ العَجَلَ التي تحمل الحِجارة من عند السُّلْطان، والحِجارَةَ أيضًا من عند السُّلْطان، والفَعَلَة في العِمارَة أهل السُّجُون المقيَّدون من المحابيس.

وقُدِّرَ لو لم يكن في هذه العِمارَة جاه ولا سُخْرَة، لكان مَصْروفها في كلّ يوم مبلغ ثلاثة آلاف دِرْهَم فِضَّة. وأقاموا في عِمارَته مُدَّة عشرة أشهر، فتجاوَزَت النَّفَقَةُ على عِمارَتِه مبلغ ألف ألف دِرْهَم فِضَّة، عنها زيادة على خمسين ألف دينار، سوى ما حُمِل، وسوى من سُخِّر في العَمَل

١٥ وهو بنحو ذلك.

فلمَّا تَمَّت عِمارَتُه سَكَنَه الأميرُ بَكْتَمُر السَّاقي، وكان له في إسْطَبله هذا مائة سَطْل نُحاس لمائة سائِس، كلُّ سائِس على ستة أرؤس خَيْل، سوى ما كان له في الجُشَارات والنَّواحي من الخَيْل، وكان من المغرب يُغْلَق بابُ إسْطَبْله فلا يصير لأحَدٍ به حِسٌّ.

ولمَّا تزوَّج أَنُوك بن السُّلْطان الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون بابنة الأمير بَكْتَمُر السَّاقي، في

٢٠ سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائة، خَرَجَ شُوارُها من هذا القَصْر [2]؛ فكانت [b] عِدَّةُ الحَمَّالين ثمان مائة

---

a) بياض في آياصوفيا مقدار كلمة. b) بولاق: وكان.

---

[1] انظر عن الاسْتِبْدال فيما تقدم ٢٠١؛ وجاء هنا على هامش نسخة ص: «خالَفَ مَذْهَبَه في صِحَّة الاسْتِبْدال واسْتَنَدَ فيه إلى أقوالٍ ضعيفة ضَمَّنها كراريس لا يُعْبأ بها، ونقم عليه فعله هذا».

[2] أضافَ الصفدي، مصدر هذا الخبر: «كنت أنا بالقاهرة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائة ورأيت الشُّوار الذي حُمِلَ من داره التي على بِرْكَة الفيل إلى القلعة».

حَمَّال : المَسانِد الزَّرْكَش على أربعين حَمَّالًا عِدَّتها عشرة مَسانِد ، والمُدَوَّرات ستة عشر حَمَّالًا ، والكَراسي اثنا عشر حَمَّالًا ، وكراسي لِطاف أربعة حَمَّالين ، وفِضِّيَّات تسعة وعشرون حَمَّالًا ، وسُلَّم الدَّكَك أربعة حَمَّالين ، والدَّكَك والتُّخُوت الأَبَنوس المُفَضَّضَة والمُوَشَّقَة مائة واثنين وستين حَمَّالًا ، والنُّحاس الكَفْت ثمانية وأربعين حَمَّالًا ، والصِّيني ثلاثة وثلاثين حَمَّالًا ، والزُّجاج المُذَهَّب اثني عشرَ حَمّالًا ، والنُّحاس الشَّامي اثنين وعشرينَ حَمَّالًا ، والبَعْلَبَكِّي المدهون اثني عشر حَمَّالًا ، والخونْجات والمَخافي والزُّبادي ، والنُّحاس تسعة وعشرين حَمَّالًا ، وصَناديق الحَوائج خاناه سِتّة حَمَّالين ، وغير ذلك تتمَّة العِدَّة ، والبِغال المُحَمَّلَة الفَرْش واللُّحُف والبُسُط والصَّناديق التي فيها المَصاغ تسعة وتسعين بَغْلًا .

قال العلَّامَةُ صَلاحُ الدِّين خَليل بن أَيْبَك الصَّفَدي : قال لي المُهَذَّب الكاتِب : الزَّرْكَش والمَصَاغ ثمانون قِنْطارًا بالمصري ذَهَب[a] [1] .

ولمَّا مات بَكْتَمُر هذا صارَ هذا الوَقْفُ من بعده من جملة أوْقافِه ، فتولَّى أمْرَه وأمْرَ سائِر أوْقافِه أولادُه حتى انْقَرَض أوْلادُه وأوْلادُ أوْلادِه ، فصارَ أمْرُ الأوْقاف إلى ابن ابنته ، وهو أحمد بن محمَّد ابن قَرَطاي المعروف بأحمد بن بنت بَكْتَمُر .

وهذا القَصْرُ على[b] غاية من الحُسْن ، ولا ينزله إلَّا أعْيانُ الأُمَراء إلى أن كانت سنة سبع عشرة وثمان مائة وكان العَسْكَرُ غائبًا عن مصر مع الملك المُؤَيَّد شَيْخ في مُحارَبَة الأمير نَوْروز الحافِظي بدِمَشْق عَمَدَ هذا المذكور إلى القَصْر ، فأخَذَ رُخامَه وشَبابيكَه وكثيرًا من سُقُوفِه وأبْوابِه وغير ذلك ، وباعَ الجَميع ، وعَمِلَ بَدَلَ ذلك الرُّخام البَلاط ، وبَدَّلَ الشُّبابيك الحَديد بالخَشَب . وفَطِنَ به أعْيانُ النَّاس فقَصَدوه ، وأخَذوا منه أصْنافًا عَظيمَةً بثَمَنٍ وبغير ثَمَن ، وهو الآن/ قائِمُ البِناء يَسْكُنه الأُمَراء [2] .

a) أعيان العصر : ذهب بالمصرى . b) بولاق : في .

[1] الصفدي : أعيان العصر ١:٧١٣-٧١٤.

[2] هنا على هامش نسخة ص : «ثم آل أمْرُ هذا القَصْر والإسْطَبْل من الخَراب إلى أن صارَ إسْطَبْلًا لبغال المكارية السُّلْطانية الأشْرَفِيَّة قايتْباي» .

وظَلَّ قَصْرُ بَكْتَمُر الساقي موجودًا إلى أن بنى الأمير صالح بك القاسمي أمير الحاج في سنة ١١٧٢هـ/١٧٥٨م داره العظيمة المواجهة للكَبْش في مكانه (الجبرتي : عجائب الآثار ١:٤٠٥) ، وأضاف علي مبارك أن هذه الدَّار صارت تتقلَّب مع تقلُّب الحوادث والأيَّام إلى أن جُعِلَت في زمن العائلة المحمدية وَرْشَةً لعمل الأسلحة (الخطط التوفيقية ٢:٣٣) . ثم حَلَّ مكانها سراي الحَوْض المرصود التي شُقَّ في أرضها شارع محمد قدري الذي يربط شارع عبد=

الدّار البَيْسَرِيّة

هذه الدَّارُ بخُط بَيْنَ القَصْرَيْن مِن القاهِرَة ، كانت في آخِر الدَّوْلَة الفاطِمية ، لمَّا قويت شَوْكَةُ الفِرِنْج ، قد أُعِدَّت لمن يجلس فيها من قُصَّاد الفِرِنْج عندما تقرَّر الأَمْرُ معهم على أن يكون نِصْف ما يُتحصَّلُ من مال البلد للفِرنْج ، فصارَ يجلس في هذه الدَّار قاصِدٌ معتبر عند الفِرنْج لقَبْض[a] المال .

٥ فلمَّا زالَت الدَّوْلَةُ بالغُزّ ، ثم زالَت دَوْلةُ بني أيُّوب ، ووَلِيَ سَلْطَنَة مصر الملوكُ من التُّرْك إلى أن كانت أيَّامُ الملك الظَّاهِر رُكْنِ الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري ، شَرَعَ الأميرُ بَدْرُ[b] الدِّين بَيْسَري الشَّمْسي الصَّالِحِي النَّجْمي في عِمارَتها في سنة تسع وخمسين وستّ مائة ، وتأنَّق في عِمارَتها ، وبالَغَ في كَثْرَة المصروف عليها . فأنْكَر الملكُ الظَّاهِرُ ذلك من فِعْله ، وقال له : يا أمير بَدْر الدِّين أيّ شيء خَلَّيْت للغُزاة واليَزَك[c][1] ؟ فقال : صَدَقاتُ السُّلْطان ، والله يا خَوَنْد ما بَنَيْت هذه الدَّار إلَّا

١٠ حتى يَصل خَبَرُها إلى بِلاد العَدُو ، ويُقالُ بعضُ مَماليك السُّلْطان عَمَّرَ دارًا غَرِمَ عليها مالًا عظيمًا . فأَعْجب ذلك من قَوْله السُّلْطان ، وأنْعَم له[d] بألف دينار عَيْنًا . وعُدَّ هذا من أعْظَم إنْعام السُّلْطان[e] .

فجاءَ سَعَةُ هذه الدَّار بإسْطَبلها وبُسْتانها والحَمَّامِ بجانبها نحو فَدَّانين ، ورُخامُها من أبْهَج رُخام عُمِلَ في القاهِرَة وأحسنه صَنْعَةً ، وكثُرَ تعجُّب النَّاس إذ ذاك من عِظَمِها لما كان فيه أُمَراءُ الدَّوْلَة

١٥ ورِجالُها حينئذٍ من الاقتصاد ، حتى إنَّ الواحِدَ منهم إذا صارَ أميرًا لا يتغيَّر عن دارِه التي كان يسكُنها وهو من الأَجْناد .

وعندما كمُلَت عِمارَةُ هذه الدَّار وَقَفَها ، وأَشْهَدَ عليه بوَقْفها اثنين وتسعين عَدْلًا : من جملتهم قاضي القُضَاة تقيّ الدِّين بن دَقيق العِيد ، وقاضِي القُضَاة تقيّ الدِّين ابن بنت الأَعَزّ ، وقاضي القُضَاة تقيّ الدِّين بن رَزِين ، قبل ولايتهم القَضَاء في حالِ تحمُّلهم الشَّهادة .

---

a) بولاق : بقبض . b) بولاق : ركن . c) في المقفى (٢: ٥٨٠) : يا أمير ماذا خليت للبيكار ؟ فقد أنفقت مالك جميعه في عمارة دار . d) بولاق : عليه . e) مسودة المواعظ : ولم يُسْتَمع عن الملك الظاهر بيبرس إنْعامٌ أكثر من هذا .

= الجيد اللَّبَّان (مَرْسينا) بشارع بورسعيد قرب ميدان السيدة زينب . (النجوم الزاهرة ٩: ١٨٨هـ[4]) .

[1] اليَزَك . مجموعة من الحرس المتقدِّم ، يكون من المدينة وبين العَدو ، مانعًا من يَدْخل أو يخرج من العسكر . (Dozy, R., *Suppl. Dict. Ar.* II, p. 859).

وما زالَت بيد وَرَثة بَيْسَري إلى سنة ثلاثٍ وثلاثين وسبع مائة. فشَرِهَت نَفْسُ الأمير قَوْصُون إلى أخذِها، وسأل السُّلْطانَ الملكَ النَّاصِرَ محمد بن قَلاوون في ذلك، فأذِن له في التَّحَدُّث مع وَرَثة بَيْسَري، فأَرْسَلَ إليهم ووَعَدَهم ومَنَّاهم وأَرْضاهُم حتى أذْعَنُوا له. فبَعَثَ السُّلْطانُ إلى قاضي القُضَاة شَرَفَ الدِّين الحَرَّاني [a] الحَنْبَلي يلتمس منه الحُكْم باسْتِبْدالها، كما حَكَم له[b] باسْتِبْدال بَيْت قَتَّال السَّبْع وحَمَّامه[١] الذي أنشأ جامِعه بخُطِّ خارج الباب الجَديد[٢] من الشَّارع[c]، فأَجابَ إلى ذلك. ونَزَلَ إليها عَلاءُ الدِّين [a] بن هِلال الدَّوْلَة شادّ الدَّواوين[٣] ومعه شُهودُ القيمة، فقُوِّمَت بمائة ألف دِرْهَم وتسعين ألف دِرْهَم نُقْرَة، وتكون الغِبْطة للأَيْتام عشرة آلاف دِرْهَم نُقْرَة لتتمّ الجملة مائتي ألف دِرْهَم نُقْرَة. وحَكَمَ قاضي القُضَاة شَرَفُ الدِّين الحَرَّاني ببَيْعها، وكانَ هذا الحُكْمُ مِمَّا شُنِّع عليه ذِكْره[d].

ثم اخْتَلَفَتِ الأَيْدي في الاسْتيلاء على هذه الدَّار، واقْتَدَى القُضَاةُ بعضُهم ببعضٍ في الحُكْم باسْتِبْدالها. وآخِر ما حُكِمَ به من اسْتِبْدالها في أَعْوام بِضع وثمانين وسبع مائة، فصارَت من جملة الأَوْقاف الظَّاهِرِيَّة بَرْقوق، وهي الآن بيد ابنته[e] بَيْرَم[٤].

وكان لها بابٌ بَوَّابته من أَعْظَم ما عُمِلَ من البَوَّابات بالقاهِرَة، ويُتَوَصَّل إلى هذه الدَّار من هذا الباب، وهو بجوار حَمَّام بَيْسَري من شارِع بَيْنَ القَصْرَين، وقد بُنِي تِجاه هذا الباب حَوانيت حتى خَفِيَ، وصارَ يُدْخَل إلى هذه الدَّار من بابٍ آخَر بخُطِّ الخُرُنْشُف.

---

a) بياض في مسودة المواعظ. b) ساقطة من بولاق. c) مسودة المواعظ: التي بنى مكانها الجامع خارج باب زويلة. d) بولاق: فيه. e) بولاق: ابنة.

---

[١] المقريزي: السلوك ٢: ٣٢١.

[٢] عن جامع قَوْصُون انظر فيما يلي ٢: ٣٠٧.

[٣] شاد الدَّواوين ويقال له أيضًا مشد الدَّواوين. هي الوظيفة التاسعة عشرة من الوظائف التي كان يشغلها عسكريون (أرباب السيوف) بحضرة السُّلْطان في العصر المملوكي. وكان شأنه يَعْظم أحيانًا في حالة خلوّ الدولة من وزير فكان يستقل بتدبير أمورها. ومهمته هي استخلاص ما يتقرَّر في الدِّيوان على من يعسر استخلاصه منه، وربَّما لجأ إلى الشِّدَّة في سبيل ذلك. (ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٥٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٢٢؛ حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف ٦١١-٦١٣).

[٤] المقريزي: مسودة المواعظ ٤١١-٤١٣.

وقد انْدَثَرت الدَّارُ البَيْسَريَّة بعد أن هَدَمَها الأَشْرَف برسباي سنة ٨٣٥هـ. (ابن إياس: بدائع الزهور ٢: ١٤٠)، ويَدُلُّ على مكانها الآن مجموعة المباني الواقعة في المنطقة التي تُحَدّ من الشرق بشارع المعز لدين الله، ومن الشمال بشارع الخرنفش، ومن الغرب بحارة البرقوقية، ومن الجنوب دار الحديث الكاملية، في مواجهة قصر بَشْتاك الذي ما زالت بقاياه قائمة حتى الآن ومسجلة بالآثار برقم ٣٤.

بَيْسَـــري ـ الأميرُ شَمْسُ الدِّين الشَّمْسي الصَّالِحِي النَّجْمِي [١]، أحَدُ مَماليك الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب البَحْرِيَّة، تَنَقَّل في الخِدَم حتى صارَ من أجَلِّ الأُمَراء في أيام الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس البُنْدُقْداري، واشتهر بالشَّجاعَة والكَرَم وعُلُوّ الهِمَّة. وكانت له عِدَّةُ مماليك راتِبُ كلِّ واحِدٍ منهم مائة رطل لحم، وفيهم من له عليه في اليوم مبلغ ستين عَليقَة لخيْله، وبَلَغَ عليقُ خَيْله وخَيْل مَماليكه في كلِّ يوم ثلاثة آلاف عليقَة سوى عَلَف الجِمال، وكان يُنْعِم بالألف دينار وبالخمس مائة غير مرَّة.

ولمَّا فَرَّق الملكُ العادِلُ كَتْبُغا المماليك على الأُمَراء، بَعَثَ إليه بستين مَمْلوكًا، فأخْرَجَ إليهم في يومهم لكلِّ واحِدٍ فَرَسَيْنِ وبَغْلًا. وشكا إليه أُسْتادَّارُه كَثْرة خَرْجه، وحَسَّنَ له الاقْتِصادَ في النَّفَقَة، فحَنَق عليه وعَزَلَه وأقامَ غيره، وقال: لا يُرِني وَجْهَه أبدًا. ولم يُعْرَف عنه أنَّه شَرِبَ الماء في كُوزٍ واحِدٍ مَرَّتين، وإنَّما يَشْرَب كلَّ مَرَّةٍ في كُوزٍ جَديد، ثم لا يُعاوِد الشُّرْب منه.

وتَنَكَّرَ عليه الملكُ المَنْصور قَلاوون فسَجَنه في سنة ثمانين وستّ مائة، وما زال في سِجْنِه إلى أن ماتَ الملكُ المَنْصور وقامَ من بعده ابنه الملكُ الأشْرَفُ خَليل، فأفْرَج عنه في سنة اثنتين وتسعين وستّ مائة، بعد عَوْدِه من دِمَشْق بشَفاعَة الأُمير بَيْدَرا والأمير سِنْجِر الشُّجاعي، وأمَرَ أن يُحْمَل إليه تَشْريفٌ كامِل، ويُكْتَب له مَنْشُورٌ بإمْرَة مائة فارس، وأن يَلْبَس التَّشْريف من السُّجْن. فجُهِّزَ التَّشْريفُ، وحُمِلَ إليه المَنْشور في كيس حَريرٍ أَطْلَس، وعُظِّمَ فيه تَعْظِيمًا زائِدًا، وأُثْنِي عليه ثَناءً جَمًّا، وسارَ إليه بَيْدَرا والشُّجاعي والدَّوادار والأفْرَم إلى السَّجن ليمشوا في خِدْمَته إلى أن يقف بين يدي السُّلْطان، فامْتَنَع من لِبْس التَّشْريف، والْتَزَمَ بأَيْمان مغلَّظة أنَّه لا يَدْخُلُ على السُّلْطان إلَّا بقَيْده ولباسِه الذي كان عليه في السِّجْن. وتسامَعَتِ الأُمَراءُ وأَهْلُ القَلْعَة بخُروجه، فهُرِعوا إليه. وكان لخُروجِه نَهارٌ عَظيمٌ.

---

[١] انظر ترجمة الأمير بَيْسري المتوفى سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م عند الصفدي: أعيان العصر ٢: ٩٩ - ١٠٠؛ الوافي بالوفيات ١٠: ٣٦٤؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٥٧٦ - ٥٨١، السلوك ١: ٨٨٠؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٤٨؛ أبي المحاسن: المنهل الصافي ٣: ٥٠٠ - ٥٠٢، النجوم الزاهرة ٨: ١٨٥.

وهنا حاشية بخط المؤلِّف نصُّها: «قال الجاحظ في كتاب «الحيوان»: ورأينا البَيْسَري من النَّاس ـ وهو الذي يُخْلَق من بين البيض والهند ـ لا يَخْرُج ذلك النتاج من مقدارِ ضخم الأبوين وقوتهما، ولكنه يجيء أحْسن وأمْلَح، وهم يسمُّون الماء إذا خالطته الملوحة بَيْسَرًا، قياسًا على هذا التركيب الذي حكينا من البيض والهنديات. وقال ابنُ سيده في «المُحْكَم»: والبياسِرَة قوْمٌ بالسِّنْد يُؤاجرون أنفسهم من أهْل السُّفُن لحرب عَدُوِّهم».

ودَخَلَ على السُّلْطان/ بقَيْده، فأَمَر به ففُكّ بين يديه، وأُفيض عليه التَّشْريف فقَبَّلَ الأرْض وأكرمه السُّلْطانُ وأَمَّرَه. فنَزَلَ إلى داره، وخَرَجَ النَّاسُ إلى رؤيته وسُرُّوا بخَلاصِه.

فبَعَثَ إليه السُّلْطانُ عشرين فَرَسًا وعشرين إكْديشًا[1] وعشرين بَغْلًا، وأَمَرَ جَميع الأُمَرَاء أن يبعثوا إليه، فلم يَبْقَ أَحَدٌ حتى سَيَّرَ إليه ما يَقْدِر عليه من التُّحَف والخَيْل[a] والسِّلاح، وبَعَثَ إليه أميرُ سِلاح أَلْفَيْ دينار عَيْنًا. وكانت مُدَّةُ سَجْنِه إحدى عشرة سنة وأشهرًا، فصارَ يكتب بعد خُروجِه من السِّجْن «بَيْسَرى الأَشْرَفي» بعدما كان يكتب «بَيْسَري الشَّمْسي». ٥

وما زالَ إلى أن تَسَلْطَن الملكُ المَنْصورُ لاجين فأَخَذَ الأميرُ مَنْكُوتَمُر[b] يُغريه بالأمير بَيْسَري ويُخَوِّفه منه، وأنَّه قد تَعَيَّن للسَّلْطَنة. فعمله كاشِفَ الجِيزَة، وأَمَرَه أن يحضر الخِدْمة يومي الاثنين والخميس بالقَلْعَة، ويجلس رأس المَيْمَنة تحت الطَّواشي حُسَام الدِّين بلال المُغيثي لأجل كِبَره وتقَدُّمه. ثم زادَ مَنْكُوتَمُر[b] في الإغْراء به والسُّلْطان يَسْتَمْهِله[c]، إلى أن قَبَضَ عليه وسَجَنَه ١٠ في سنة سبع وتسعين وستّ مائة، وأحاطَ بسائِر مَوْجُودِه، وحَبَسَ عِدَّةً من مَماليكه. فسُرَّ مَنْكُوتَمُر[b] بمَسْكه سُرورًا عَظيمًا. واستمرَّ في السِّجْنَ إلى أن ماتَ في تاسع عشر شَوَّال سنة ثماني وتسعين وستّ مائة وعليه دُيونٌ كثيرةٌ، ودُفِنَ بتُرْبَتِه خارج باب النَّصْر رحمه الله تعالى.

قَصْرُ بَشْتَاك ١٥
[أثر رقم ٣٤]

هذا القَصْرُ هو الآن تِجاه الدَّارِ البَيْسَرِيّة، وهو من جملة القَصْر الكبير الشَّرْقي الذي كان مَسْكنًا للخُلَفَاء الفاطِميين، ويُسْلَكُ إليه من الباب الذي كان يُعْرَف في أيّام عِمارَة القَصْر الكبير في زمَن الخُلَفاء بباب البَحْر، وهو يُعْرف اليوم بباب قَصْر بَشْتاك تِجاه المَدْرَسَة الكامِلية[2].

وما زال إلى أن اشْتَراه الأميرُ بَدْرُ الدِّين بَكْتاش الفَخْري[3] ـ المعروف بأمِير سِلَاح ـ وأنشأ دُورًا وإسْطَبْلات ومَساكِنَ له ولحَواشِيه وصار ينزل إليه هو والأميرُ بَدْر الدِّين بَيْسَري عند انْصِرافهما ٢٠

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: منكرتمر. c) بولاق: والسلطنة تستمهله.

---

[1] الإكديش جـ. أكاديش، كَدْشان. فَرَسٌ من سُلالَة مُخَلَّطة، ويرد أحيانًا كفَرَسٍ خَصي، أو فَرَسٍ صغير ضعيف، كان سلاطينُ المماليك يكثرون من إهدائه إلى أمرائهم. (Dozy, R., *Suppl. Dict. Ar.* II, p. 457).

[2] فيما تقدم ٢: ٤٢٥.

[3] عن أمير السِّلاح بَدْر الدِّين بَكْتاش الفَخْري، انظر=

من الخِدْمَة السُّلْطانية بقَلْعَة الجَبَل في مَوْكِبٍ عَظيمٍ زائِد الحِشْمَة ، ويدخُل كلٌّ منهما إلى دارِه . وكان مَوْضِعَ هذا القَصْر عِدَّةُ مَساجِد ، فلم يتعرَّض لهَدْمها ، وأبْقاها على ما هي عليه .

فلمَّا ماتَ أميرُ سِلاح ، وأَخَذَ الأمير قَوْصُون الدَّار البَيْسَرِيّة كما تقدَّم ذكره أَحَبَّ الأميرُ بَشْتاك أن يكون له أيضًا دارٌ بالقاهِرَة . وذلك أنَّ قَوْصُون وبَشْتاك كانا يتناظران في الأمُور ، ويتضادّان في سائِر الأحْوال ، ويَقْصِد كلٌّ منهما أن يُسامي الآخَر ويَزيد عليه في التَّجَمُّل . فأَخَذَ بَشْتاك[١] يعمل في الاسْتيلاء على قَصْر أمير سِلاح حتى اشْتَرَاه من وَرَثَتِه ، فأخَذَ من السُّلْطان الملك النَّاصِر محمد ابن قَلاوون قِطْعَةَ أرْضٍ كانت داخِل هذا القَصْر من حُقُوق بَيْت المال ، وهَدَمَ دارًا كانت قد أُنْشِئَت هناك عُرِفَت بدار أَقْطُوان[a] السَّاقي ، وهَدَمَ أَحَدَ عشر مَسْجِدًا وأربعة مَعابِد كانت من آثار الخُلَفاء يسكنها جَماعَةُ الفُقَراء ، وأدخل ذلك في البِناء إلَّا مسجدًا منها فإنَّه عمَّره ، ويُعْرَف اليوم بمَسْجِد الفِجْل[b][٢] .

فجاءَ هذا القَصْرُ من أَعْظَم مَباني القاهِرَة ، فإنَّ ارْتِفاعَه في الهَوَاء أربعون ذِراعًا ، ونُزُول أساسِه في الأرْض مثل ذلك ، والماءُ يجري بأعْلاه ، وله شَبابيكُ من حَديد تُشْرِف على شارِع القاهِرَة ، وينظر من أعْلاه عامَّة القاهِرَة والقَلْعَة والنِّيل والبَساتين . وهو مُشْتَرَفٌ[c] جَليلٌ ، مع حُسْن بِنائِه ، وتأنُّق زَخْرَفَتِه ، والمبالغة في تَزْويقه وتَرْخيمه .

وأنشأ أيضًا في أَسْفَله حَوانيتَ كان يُباعُ فيها الحَلْوى وغيرها ، فصارَ الأَمْرُ أخيرًا كما كان أوَّلًا بتَسْمِيَة الشَّارِع «بَيْن القَصْرَيْن» . فإنَّه كان أوَّلًا ـ كما تقدَّم ـ بالقاهِرَة القَصْرُ الكبير الشَّرْقِيّ الذي قَصْرُ بَشْتَاك من جملته ، وتجاهَه القَصْرُ الغَربيّ الذي الخُرُنْشُف من جملته ، فصارَ قَصْرُ بَشْتَاك وقَصْر بَيْسَري وما بينهما من الشَّارِع يُقالُ له «بَيْنَ القَصْرَيْن» . ومن لا عِلْمَ له يظنّ إنَّما قيل لهذا الشَّارع «بَيْنَ القَصْرَيْن» لأجْل قَصْرَ بَيْسَري وقَصْر بَشْتاك ، وليس هذا بصَحيحٍ وإنَّما قيل له بَيْنَ القَصْرين قبل ذلك من حين بُنِيَت القاهِرَة ، فإنَّه كان بَيْن القَصْرَيْن : القَصْرُ الكَبير الشَّرْقِي ، والقَصْرُ الصَّغير الغربيّ ، وقد تقدَّم ذلك مَشْروحًا مُبَيَّنًا[٣] .

---

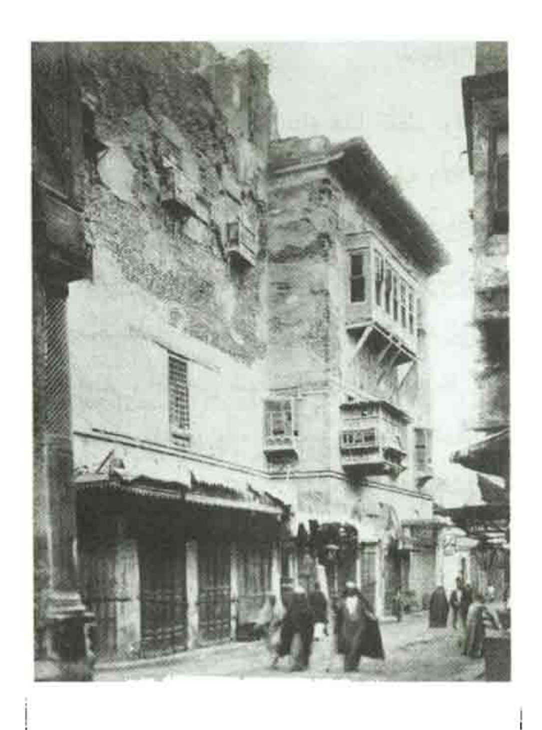
a) بولاق : قطوان . b) بولاق : العجل . c) بولاق : مشرق .

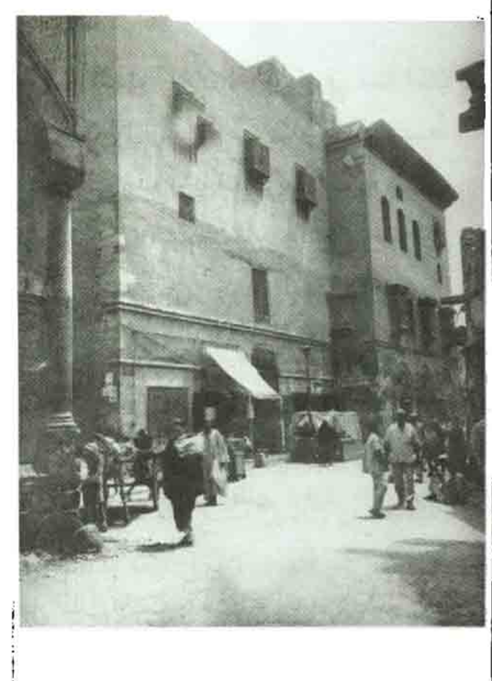
=فيما تقدم ٩٥.

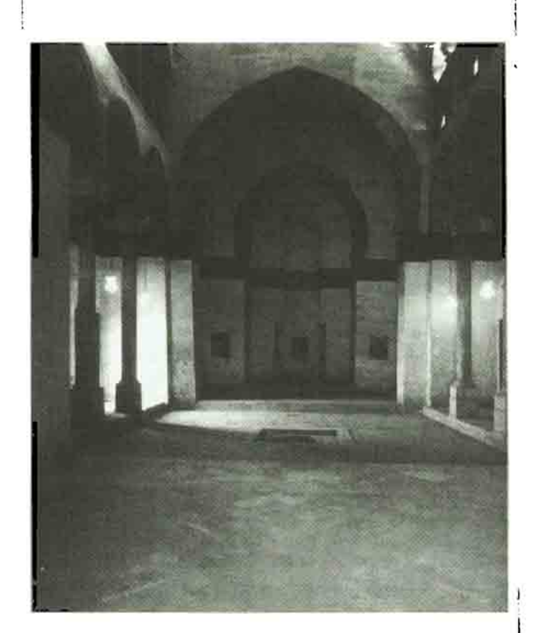
[١] انظر ترجمة الأمير بَشْتَاك صاحب القصر فيما تقدم ٩٩- ١٠١.

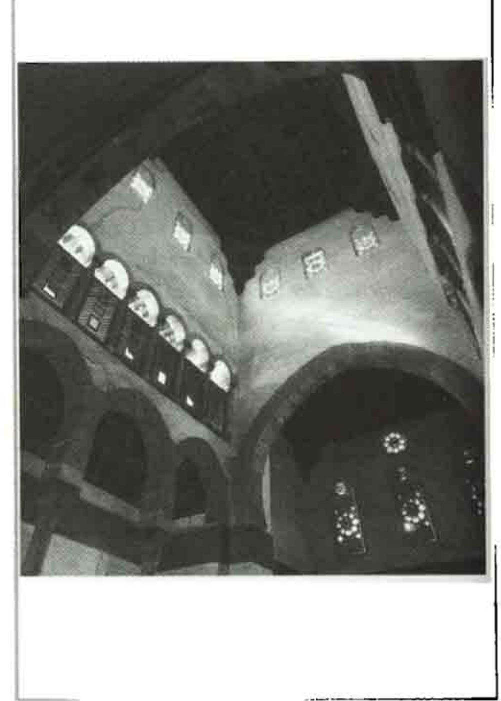
[٢] انظر عن هذا المسجد فيما يلي ٢: ٤١٣.

[٣] انظر فيما تقدم ٢: ٢١٤، ٢٤٤ وهذا المجلد ٨١ .









قصر بشتاك : الواجهة قبل الترميم ، والقاعات الداخلية بعد الترميم

ولمَّا أكمل بَشْتاك بِناءَ هذا القَصْر والحَوانيت التي في أسْفَلِه والخان المجاور له في سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مائة، لم يُبارَك له فيه ولا تمتَّع به، وكان إذا نَزَل إليه يَنْقَبِضُ صَدْرُه، ولا تَنْبسطُ نفسُه ما دامَ فيه حتى يخرج منه فترَكَ المجيءَ إليه، فصارَ يتعاهَدُه أحيانًا فيَعْتَريه ما تقدَّم ذِكْرُه، فكَرِهَه وباعَه لزَوْجَة بَكْتَمُر السَّاقي. وتداوَلَه وَرَثَتُها إلى أن أخَذَه السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ حَسَن ابن محمد بن قَلاوون، فاستقرَّ بيد أوْلادِه إلى أن تحَكَّمَ الأميرُ الوَزيرُ المُشيرُ جَمالُ الدِّين الأُستادَّار في مصر، أقامَ من شَهِدَ عند قاضي القُضَاة كمال الدِّين عُمَر بن العَديم الحَنَفي بأنَّ هذا القَصْر يَضُرُّ بالجار والمارِّ، وأنَّه مُسْتَحِقٌّ للإزالَة والهَدْم كما عَمِلَ ذلك في غير موضعٍ بالقاهِرَة؛ فحُكِمَ له باسْتِبْداله، وصارَ من جملة أمْلاكِه. فلمَّا قَتَله الملكُ النَّاصِرُ فَرَج بن بَرْقوق، استولى على سائِر ما تَرَكَه، وجَعَلَ هذا القَصْر فيما عَيَّنَه للتُّرْبَة التي أنشأها على قَبْر أبيه الملك الظَّاهِر بَرْقوق خارج باب النَّصْر[1].

فاستمرَّ في جملة أوْقاف التُّرْبة المذكورة إلى أن قُتِلَ الملكُ النَّاصِرُ بدِمَشْق في حَرْب الأمير شَيْخ والأمير/ نَوْروز، وقَدِمَ الأميرُ شَيْخ إلى مصر هو والخَليفَة المُسْتَعين بالله العبَّاس بن محمد، وَقَفَ له من بقي من أوْلاد جَمال الدِّين وأقارِبه ـ وكان لأهْل الدَّوْلَة يومئذٍ بهم عناية ـ فحَكَم قاضي القُضَاة صَدْر الدِّين عليّ بن الأدَمي الحَنَفي بارْتِجاع أمْلاك جَمالِ الدِّين التي وَقَفَها على ماكانت عليه، فتسلَّمها أخوه، وصارَ هذا القَصْرُ إليهم، وهو الآن بيدهم[2].

---

[1] المقريزي: مسودة المواعظ ٤١٧-٤١٨ وفيما يلي ٤٠١:٢-٤٠٣ والسلوك ٢:١:٥٠١- ٥٠٢، وانظر كذلك أبا المحاسن: النجوم ١٤٩:٩- ١٥٠؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ١٠٢:٢- ١٠٤.

[2] ما يزال قصر بَشْتاك قائمًا يُشْرف على شارع المعزّ لدين الله في الزاوية التي يلتقي فيها مع دَرْب قِرْمِز في مواجهة سبيل عبد الرحمٰن كتخدا ومدرسة الظَّاهر بَرْقوق ومجموعة قَلاوون ومسجل بالآثار برقم ٣٤، وتم ترميمه سنة ١٩٨٢. (راجع عن تخطيطه وعمارته أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤٩:٩هـ[3]؛ Pauty, Ed., *Les palais et les maisons d'époque musulmane au Caire*, Le Caire 1933, pp. 42-44; Lézine, A., «Les salles nobles des palais mamelouks - La *qā'a* du palais de Bachtak», *An. Isl.* X (1972), pp. 98-104, Revault, J. & Maury, B., *Palais et maisons du Caire du XIVe au XVIIIe siècle*, Le Caire - IFAO 1977, II, pp. 1-20; Meincke, M., *Die Restaurierung der Madrase des Amirs Sâbiq al-Dîn Miṯqâl al-Anûkî und die Sanierung des Darb Qirmiz in Kairo*, Mainz 1980, pp. 81-110; Speiser, Ph., «La restauration du palais Bachtak», *L'Habitat traditionnel dans les pays musulmans autour de la Méditerranée*, Le Caire - IFAO 1991, III, pp. 809-26; Fu'ād Sayyid, A., *op.cit.* pp. 248-49).

وجاء على هامش نُسْخَة ص: «ثم اسْتَبْدَل هذا القَصْر الأمير قطلوبغا المَحْمُودي الأشْرَفي بَرْسْباي ـ أحَد الأُمَراء العَشْرَوات بالدَّوْلَة الظَّاهِرية خُشْقَدَم ـ ورَمَّ ما تَشَعَّث به=

قصر الحجازيّة

هذا القَصْرُ[١] بخُطِّ رَحْبَة باب العيد بجوار المَدْرَسَة الحِجازِيَّة، كان أوَّلًا يُعْرَف بقَصْر الزُّمُرُّد، في أيَّام الخُلَفَاء الفاطِميين، من أجْل أنَّ بابَ القَصْر الذي كان يُعْرَف بباب الزُّمُرُّد كان هناك، كما تقدَّم ذكره في هذا الكِتاب عند ذِكْر القُصُور[٢].

فلمَّا زالَتِ الدولةُ الفاطِميةُ صارَ من جُمْلة ما صارَ بيد مُلُوك بني أيُّوب، واخْتَلَفَت عليه الأيدي إلى أن اشْتَرَاه الأميرُ بَدْرُ الدِّين أمير مَسْعود بن خَطير الحاجِب[٣] من أوْلاد الملوك بني أيُّوب، واستمرَّ بيده إلى أن رُسِمَ بتَسْفيره من مصر إلى مَدينَة غَزَّة، واستقرَّ نائِبَ السَّلْطَنَة بها في سنة إحدى وأربعين وسبع مائة، وكاتَب الأمير سَيْف الدِّين قَوْصُون عليه ومَلَّكه إيَّاه. فشَرَعَ في عِمارَته سَبْع قاعات، لكلِّ قاعَة إسْطَبْل ومنافِع ومَرافِق، وكانت مِساحَةُ ذلك عشرة أفْدِنَة، فماتَ قَوْصون قبل أن يُتِم بِنَاء ما أراد مَن ذلك. فصارَ يُعْرَف بقَصْر قَوْصُون إلى أن اشْتَرَتْه خَوَنْد تَتَر الحِجازِيَّة ابنةُ الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون وزَوْج الأمير مَلَكْتَمُر الحِجازِي[٤]، فعَمَّرَته عِمارَةً مُلوكية، وتأنَّقَت فيه تأنُّقًا زائِدًا، وأجْرَتِ الماءَ إلى أعْلاه، وعَمِلَت تَحْتَه[a] إسْطَبْلًا كبيرًا لخُيول خُدَّامها وساحَةً كبيرةً تُشْرف عليها من شَبابيكَ حَديد، فجاءَ شيئًا عَجَبًا حُسْنُه. وأنشأت بجوارِه مَدْرَسَتَها التي تُعْرف إلى اليوم بالمَدْرَسَة الحِجازِيَّة[٥]، وجَعَلَت هذا القَصْر من جملة ما هو

a) بولاق: تحت القصر.

=وسَكَنَه إلى أن ماتَ في أوَّل دولة الملك الأشْرَف قايتْباي في واقعة شَاه سُوار، فصارَ بيد الأمير عَلاء الدِّين بن خاص بك صِهْر المقام الشَّريف الأشْرَف المشار إليه.

ثم اسْتُبْدِل للأمير ماماي أمير دوادار باني هذا القَصْر وعَمَّره وزَخْرَفَه بالرُّخام المُثَمَّن وتأنَّق فيه إلى الغاية مع ما وَضَعَ يَدَه عليه واغْتَصَبَه من دار الضَّرْب وأماكِن كثيرة؛ وصَرَفَ في ذلك من الأمْوال ما لا يَنْحَصر، فقُتِل قبل أن تَكْمُل عِمارَتُه ولم يتمتَّع به غير مُدَّةٍ يسيرة، وهكذا حَالُ الدَّهْر وتَقَلُّباته».

[١] أطلق عليه المقريزي في المسودة: دار الحجازية.

[٢] فيما تقدم ٢: ٤٢٩.

[٣] فيما تقدم ١٨٠-١٨١.

[٤] الأمير سيف الدِّين مَلَكْتَمُر الحِجازي النَّاصِري أحد المقدَّمين أُمَرَاء الأُلوف، توفي مقتولًا سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٨م (الصفدي: أعيان العصر ٥: ٤٤٤-٤٤٧؛ المقريزي: السلوك ٢: ٧٥٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٥: ١٢٧؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٨٤؛ الدليل الشافي ٢: ٧٤١).

[٥] فيما يلي ٢: ٣٨٢.

مَوْقُوفٌ عليها . فلمَّا ماتَت سَكَنه الأُمَرَاءُ بالأُجْرَة إلى أن عَمَّر الأميرُ جَمالُ الدِّين يوسُف الأُسْتادّار دارَه المجاورة للمَدْرَسَة السَّابِقِيَّة ، وتولَّى أُسْتادّاريَّة الملك النَّاصِر فَرَج ، صارَ يجلس بِرَحْبَة هذا القَصْر والمَقْعَد الذي كان بها ، وعمل القَصْر سِجْنًا يَحْبِس فيه من يُعاقِبه من الوُزَرَاء والأعْيان ، فصارَ مُوحِشًا يُرَوِّع النُّفُوس ذِكْرُه لِمَا قُتِلَ فيه من النَّاس خَنْقًا وتحت العُقُوبَة ، من بعد ما أقامَ دَهْرًا وهو مَغْنَى صَبابات ، ومَلْعَبَ أتْراب ، ومَوْطِنَ أفْراح ، ودار عزٍّ ، ومنزلَ لَهْوٍ ، ومحلَّ أماني النُّفوس ولذّاتها .

ثم لمَّا فَحُش كَلَبُ جَمال الدِّين وشَنُعَ شَرَهُه في اغْتِصاب الأوْقاف ، أخَذَ هذا القَصْر يتشَعَّث شيءٌ من زَخارِفِه ، وحَكَمَ له قاضي القُضَاة كمالُ الدِّين عُمر بن العَديم الحَنَفيّ باسْتِبْداله[١] ـ كما تقدَّم الحُكْم في نَظائِره ـ فقَلَعَ رُخامَه ، فلمَّا قُتِلَ صارَ مُعَطَّلا مُدَّةً ، وهَمَّ الملكُ النَّاصِر فَرَج ببِنائِه رِباطًا ، ثم انثنى عزمُه عن ذلك .

فلمَّا عَزَمَ على المسير إلى مُحارَبَة الأمير شَيْخ والأمير نَوْروز في سنة أربع عشرة وثمان مائة ، نَزَلَ إليه الوَزيرُ الصَّاحِبُ سَعْدُ الدِّين إبراهيم بن البَشيري ، وقَلَع شَبابيكَه الحَديد لتُعْمَل آلات حَرْب . وهو الآن بغَيْر رُخام ولا شَبابيك ، قائِمٌ على أُصُولِه لا يكاد يُنْتَفَع به ، إلَّا أنَّ الأميرَ المُشير بَدْر الدِّين حَسَن بن مُحِبّ الدِّين[a] الأُسْتادّار[٢] ، لمَّا سَكَن في بيت الأمير جَمال الدِّين ، جَعَلَ ساحَةَ هذا القَصْر إسْطَبْلًا لخُيوله ، وصارَ يَحْبس في القَصْر من يُصادِرُه أحيانًا[٣] .

وفي شهر[b] رَمَضان سنة عشرين وثمان مائة ذَكَر الأميرُ فَخْرُ الدِّين عبد الغَني بن أبي الفَرَج الأُسْتادّار ، ما يجده المَسْجُونون في السِّجْن المستجدّ عند باب الفُتُوح بعد هَدْمِ خِزانَة شَمائِلَ ، من شِدَّة الضِّيق وكَرْب[c] الغَمّ ، فعَيَّن هذا القَصْر ليكون سِجْنًا لأرْباب الجَرائِم ، وأنْعَم على جِهَة وَقْف مَدْرَسَة[b] جَمال الدِّين بعشرة آلاف دِرْهم فُلوسًا عن أجرة سنتين ، فشَرَعوا في عَمَلِه سِجْنًا ، وأزالوا كثيرًا من معالمه ، ثم تُرِكَ على ما بَقِيَ فيه ولم يُتَّخَذ سِجْنًا[٤] .

---

a) بولاق : بن محمد . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : كثرة .

---

[١] فيما تقدم ٢٠١ ، ٢٢٢.

[٢] الأميرُ بَدْرُ الدِّين حسن بن عبد الله المعروف بابن مُحِبّ الدِّين الطَّرابُلُسي المشير الوزير الأُستادّار ، المتوفى سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م (المقريزي: السلوك ٤: ٥٩٨؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٥: ٨٥- ٨٨؛ السخاوي : الضوء اللامع ٣: ١٠٢).

[٣] المقريزي: المسودة ٤٢٠- ٤٢١.

[٤] هنا على هامش نسخة ص : «وهذا القصر الآن بيد=

قَصْرُ يَلْبُغا اليَحْياوي[١]

هذا القَصْرُ موضعُه الآن مَدرَسَةُ السُّلْطانُ حَسَن المُطِلَّة على الرُّمَيْلَة تحت قَلْعَة الجَبَل[٢]. وكان قَصْرًا عَظيمًا أَمَرَ السُّلْطانُ الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون، في سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مائة، ببنائه لسُكْنى الأمير يَلْبُغا اليَحْياوي[٣]، وأن يُبْنى أيضًا قَصْرٌ يُقابله برَسْم سُكْنى الأمير أَلْطُنْبُغا المارِديني[٤]، لتزايد رَغْبته فيهما وعَظيم محبَّتِه لهما، حتى يكونا تِجاهَه، وينظُر إليهما من قَلْعَة الجَبَل. فرَكِبَ بنفسه إلى حيث سُوق الخَيْل من الرُّمَيْلَة تحت القَلْعَة، وسارَ إلى حَمَّام الملك السَّعيد[٥]، وعَيَّنَ إسْطَبْل الأمير أَيْدَغْمُش أمير آخور ـ وكان تِجاهها ـ ليعمر[a] هو ما يُقابله قَصْرَين متقابلين، ويُضاف إلى ذلك[b] إسْطَبْلُ الأمير طَشْتَمُر السَّاقي وإسْطَبْلُ الجُوق[٦]، و أمر الأمير ٥

a) بولاق: ليعمره. b) بولاق: إليه.

=الأمير سَيْف الدِّين ماماي الأشْرَفي الدَّوادار، عَمَّرَه ورَخَّمَه وزَخْرَفه وتأنَّق فيه بعد أن كان هَدَمَ غالبه الأمير تمر مَنْ محمود شاه حاجِب الحُجّاب الظّاهِري بجَقْمَق، وعادَ القَصْرُ كما كان بل أحْسَن. ولله الأمْرُ من قَبْل ومن بَعْد».

أقول: وقد زال قَصْرُ الحِجازِيَّة (الدَّارُ الحِجازيَّة) تمامًا، ويمكن تحديد موضعه الآن بالأرض التي تقوم عليها مصلحة الدَّمْغَة والموازين والمكاييل وقسم شُرْطة الجمالية، ويحد هذا الموضع شارع بيت المال وشارع حَبْس الرَّحْبَة من الشرق، وعطفة القَفَّاصين من الشمال وميدان بيت القاضي من الغرب. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٣٨هـ[١]، ١١: ٢٨٣هـ[١]؛ Fu'âd Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, p. 263).

[١] ذكره المقريزي في مسودة المواعظ ٤١٤–٤١٧ تحت عنوان: «العَمائِر بسُوق الخيل تحت القلعة»؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٢١، ١٩٠؛ ابن إياس ١/١: ٥٥٩.

[٢] انظر مَدْرَسَة السُّلْطان حسن فيما يلي ٢: ٣١٦.

[٣] الأمير سَيْفُ الدِّين يَلْبُغا اليحياوي النَّاصِري، أحد أكابر الأمراء الخاصّكية، تولّى نيابة كلٍّ من حماه وحَلَب ودِمَشْق، وتوفي مقتولًا بقاقون في العشر الأواخر من جمادى الأولى سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٨م. (راجع، الصفدي: أعيان العصر ٥: ٥٨٤– ٥٩٢؛ المقريزي: السلوك ٢: ٧٥٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٥: ٢١٢– ٢١٤؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٨٥، الدليل الشافي ٢: ٧٩٣).

[٤] الأميرُ عَلاءُ الدِّين أَلْطُنْبُغا المارديني (المارداني) السَّاقي النَّاصِري المتوفى سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٤م، صاحب الجامع المنسوب إليه خارج باب زويلة في شارع الدرب الأحمر (انظر فيما يلي ٢: ٣٠٨).

وكان قصر يَلْبُغا اليَحْياوي يشغل الجزء الجنوبي من أرض جامع السلطان حسن، بينما كان قصر أَلْطُنْبُغا المارديني يشغل القسم الشمالي الغربي من أرض الجامع.

[٥] حَمَّامُ الملك السعيد بَرَكة خان، كان يقعُ خلف مدرسة السلطان حسن، ولا يوجد له أثرٌ اليوم. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٢٠هـ[٢]).

[٦] انظر فيما يلي ٦٢٩.

قَوْصُون أن يَشْتَري ما يُجاوِر إسْطَبْلَه من الأمْلاك، ويُوَسِّع في إسْطَبْلِه، وجَعَلَ أمْرَ هذه العِمارة إلى الأمير آقْبُغا عبد الواحِد [1]. فوَقَعَ الهَدْمُ فيما كان بجوار بَيْت[a] الأمير قَوْصون، وزيدَ في الإسْطَبْل، وجُعِلَ بابُ هذا الإسْطَبْل من تِجاه باب القَلْعَة المعروف بباب السِّلْسِلَة [2]، وأمَرَ السُّلْطانُ بالنَّفَقَة على العِمارَة من مالِ السُّلْطان على يد النَّشْو [3].

٥ وكان للملك النَّاصِر رَغْبَةٌ كبيرةٌ في العِمارَة بحيث أنَّه أفْرَد لها دِيوانًا، وبَلَغَ مَصْروفها في كلِّ يوم اثني عشر ألف دِرْهَم نُقْرة. وأقلُّ ما كان يُصْرف من ديوان العِمارَة في اليوم، برَسْم العِمارَة، مبلغ ثمانية آلاف دِرْهَم نُقْرَة [4]. فكَثُرَ[b] الاهْتمامُ في بِنَاء القَصْرَيْن المذكورين،/ وعَظُمَ الاجْتِهادُ في عِمارَتهما، و[c]صار السُّلْطان ينزل من القَلْعَة لكَشْف العَمَل، ويستحِثّ على فَراغِهما.

وأوَّلُ ما بُدِئَ به قَصْرُ يَلْبُغا اليَحْياوي، فعُمِلَ أساسُه حَصيرةً واحِدَةً انْصَرَفَ عليها وَحْدَها مبلغ أربع مائة ألف دِرْهَم نُقْرَة، ولم يَبْقَ في القاهِرَة ومصر صَانِعٌ له تَعَلُّق في العِمارَة إلَّا وعمل ١٠ فيها حتى كَمُلَ القَصْر. فجاءَ في غايَة الحُسْن، وبَلَغَتِ النَّفَقَةُ عليه مبلغ أربع مائة ألف ألف وستين ألف دِرْهَم نُقْرَة: منها ثَمَن لازَوَرْد خاصَّةً مائة ألف دِرْهَم.

فلمَّا كَمُلَت العِمارَةُ نَزَلَ السُّلْطانُ لرؤيتها وحضَرَ يومئذٍ من عند الأمير سَيْف الدِّين طُرْغاي نائِب حَلَب [5] تَقْدِمَة، من جملتها عشرة أزْواج بُسُط أحَدُها حرير، وعِدَّة أواني من بلَّوْر ونحوه وخَيْل وبَخَاتي، فأُنْعِم بالجَميع على الأمير يَلْبُغا اليَحْياوي. وأُمِرَ الأمير آقْبُغا عبد الواحِد أن ينزل ١٥ إلى هذا القَصْر، ومعه إخوانُ سَلار برفقته وسائِر أرْباب الوَظائِف، لعَمَل مُهِمّ، فباتَ النَّشْوُ ناظِر الخاصّ هناك لتعبئة ما يُحْتاج إليه من اللُّحوم والتَّوابل ونحوها. فلمَّا تهيَّأ ذلك حَضَر سائِرُ أُمَرَاء الدَّوْلَة من أوَّل النَّهار، وأقامُوا بقَصْر يَلْبُغا اليَحْياوي في أكْلٍ وشُرْب ولَهْوٍ، وفي آخِر النَّهار حَضَرَت إليهم التَّشارِيفُ السُّلْطانية ـ وعِدَّتُها أحَد عشر تَشْريفًا ـ برَسْم أرباب الوَظائِف، وهم

---

a) مسودة المواعظ: دار. b) بولاق: فلما كثر. c) الواو ساقطة من بولاق.

---

[1] انظر عنه فيما يلي ٢: ٣٨٤- ٣٨٦.

[2] عن باب السلسلة، انظر فيما يلي ٦٨٨هـ [2].

[3] النَّشْو هو شَرَفُ الدِّين عبد الوهَّاب بن التَّاج فَضْل الله ناظر الخاص الشريف، المتوفى سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م. (انظر فيما يلي ٧٤٥).

[4] المقريزي: السلوك ٢: ١٣٠، ٥٣٧.

[5] الأميرُ سَيْفُ الدِّين طُرْغاي الجاشْنَكير النَّاصِري نائب حَلَب، المتوفى سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٤م.

الأمير آقْبُغا عبد الواحِد الأُسْتادَّار ، والأمير قَوْصُون السَّاقي ، والأمير بَشْتاك ، والأمير طُقُوزْدَمُر أمير مَجْلِس في آخرين . وأحْضِر[a]لبقيَّة الأُمَرَاء خِلَعٌ وأَقْبِيةٌ على قَدْر مَراتِبِهم ، [b]وعِدَّةُ التَّشاريف أحد عَشَرَ تَشْريفًا[b] فلَبِسَ الجَميعُ التَّشاريف والخِلَع والأَقْبِيَة ، وأُرْكِبُوا الخُيُول المُحْضَرة إليهم من الإسْطَبْل السُّلْطاني بسُرُوجٍ وكَنابِيش ما بين ذَهَبٍ وفِضَّةٍ بحَسَب مَراتِبِهم ، وسارُوا إلى مَنازِلهم .

وذُبِحَ في هذا المُهِمّ ستّ مائة رأس غَنَم وأربعون بَقَرَة وعشرون فرسًا ، وعُمِلَ فيه ثلاث مائة قِنْطار سُكَّر برَسْم المشروب[1] فإنَّ القَوْمَ يومئذٍ لم يكونوا يتظاهَرون بشُرْب الخَمْر ولا شيءٍ من المُسْكِرات ألبتَّة ، ولا يَجْسُر أَحَدٌ على عَمَلِه في مُهِمٍّ ألبتَّة .

وما زالَت هذه الدَّارُ باقية إلى أن هَدَمَها السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِر حَسَن وأنشأ موضِعَها مَدْرَسَته الموجودة الآن .

إسْطَبْلُ قَوْصُون

(ا) تجاه باب القلعة المعروف بباب السلسلة (ا)

[أثر رقم ٢٦٦]

هذا الإسْطَبْلُ[2] بجوار مَدْرَسَة السُّلْطانُ حَسَن ، وله بابان : بابٌ من الشَّارِع بجوار حَدْرَة البَقَر ، وبابُه الآخر تِجاه باب السِّلْسِلَة[3] الذي يُتَوَصَّل منه إلى الإسْطَبْل السُّلْطاني[4] وقَلْعَة الجَبَل . أنشأه الأميرُ عَلَمُ الدِّين سِنْجِر الجَمَقْدار[5] ، فأخَذَه منه الأميرُ سَيْفُ الدِّين قَوْصُون[6] ، وصَرَفَ له

---

a) بولاق : وحضر . b-b) زيادة من مسودة المواعظ .

---

[1] انظر فيما تقدم ٢: ١٢٥١؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٤١٤-٤١٧؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ١٢١.

[2] الإسْطَبْلُ هنا بمعنى مجموعة من مبانٍ كان يقيمها بعض كبار أمراء دولتي المماليك لأجل سكنى الأمير هو وأسرته ومماليكه وخيوله ، بحيث كان الإسْطَبْلُ يشتمل قصر السكنى وبيوت المماليك وإسْطَبْلات الخيول ومخازن لمؤنتها وحفظ سروجها . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ١٠٠ هـ[1]) .

[3] انظر عن باب السِّلْسِلَة ، فيما يلي ٦٨٨ هـ[2] .

[4] الإسْطَبْل السُّلْطاني . مكانه اليوم مجموعة المباني التي تعود إلى عصر محمد علي والواقعة بالقلعة على يمين الدَّاخل من باب العَزَب الذي كان يسمَّى قديمًا باب الإسْطَبْل ، في المساحة الممتدة بين جامع أحمد أغا قبومجي إلى نهاية هذه المباني من جهتها الغربية والقِبلية والشرقية . ويلاحظ أنَّ المكان الحالي للإسْطَبْل المذكور ليس في منسوب أرض قَلْعَة الجَبَل ، بل هو في مستوى أوطأ ممَّا عليه القلعة ويحيط به السُّور الأسفل المشرف على ميدان صلاح الدين . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٢: ٤ هـ[1] تعليقات رمزي بك) .

[5] الأمير عَلَم الدِّين سِنْجِر الجَمَقْدار ، أحد مُقَدَّمي الألوف أُمَرَاء المِئِين . (انظر فيما تقدم ١٦٥) .

[6] انظر ترجمة قَوْصُون فيما يلي ٢: ٣٠٧ .

ثَمَنَه من بيْت المال ، فزادَ فيه قَوصُون إسْطَبْل الأمير سُنْقُر الطَّويل [١] . وأَمَرَه الملكُ النَّاصِرُ محمد ابن قَلاوون بعِمارَة هذا الإسْطَبْل ، فبَنَى فيه كثيرًا ، وأَدْخَلَ فيه عِدَّةَ عَمائِر ما بين دُورٍ وإسْطَبْلات ، فجاءَ قَصْرًا عَظيمًا إلى الغاية ، وسَكَنه الأميرُ قَوْصُون مُدَّةَ حياة الملك النَّاصِر .

فلمَّا ماتَ السُّلْطانُ وقامَ من بعده ابنُه الملكُ المَنْصور أبو بكر ، عَمِلَ عليه قَوْصون وخَلَعَه ، وأقامَ بعده بَدَلَه الملكَ الأشْرَف كُجُك ابن الملك النَّاصِر محمد . فلمَّا كان في سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة ، حَدَثَ في شهر رَجَب منها فِتْنَةٌ بين الأمير قَوْصُون وبين الأُمَرَاء وكبيرهم أيْدَغْمُش أمير آخور ، فنادَى أيْدَغْمُش في العامَّة : يا كَسَّابَة ، عليكم بإسْطَبْل قَوْصُون انْهَبُوه ؛ هذا وقَوْصون مَحْصورٌ بقَلْعَة الجَبَل . فأَقْبَلَت العامَّةُ من السُّؤَّال والغِلْمان والجُنْد إلى إسْطَبْل قَوْصُون ، فمنعهم المماليكُ الذين كانوا فيه ، ورموهم بالنُّشَّاب ، وأتْلَفُوا منهم عِدَّة . فثارَت مَماليكُ الأمير يَلْبُغا اليَحْياوي من أعْلى قَصْر يَلْبُغا ـ وكان بجوار قَصْر قَوْصون حيث مَدْرَسَة السُّلْطانُ حَسَن ـ ورَمَوا مَماليك قَوْصُون بالنُّشَّاب حتى انْكَفُّوا عن رَمْي النَّهَّابة ، فاقْتَحَمَ غَوْغاءُ النَّاس إسْطَبْل قَوْصُون ، وانْتَهَبُوا ما كان بركابِ خاناته وحَواصِلِه ، وكَسَرُوا باب القَصْر بالفُؤُوس ، وصَعِدوا إليه بعد ما تسلَّقوا إلى القَصْر من خارِجِه . فخَرَجَت مَماليكُ قَوْصونٍ من الإسْطَبْل يدًا واحِدَةً بالسِّلاح ، وشَقُّوا القاهِرَة ، وخَرَجُوا إلى ظاهِر باب النَّصْر يُريدون الأُمَرَاء الواصِلين من الشَّام .

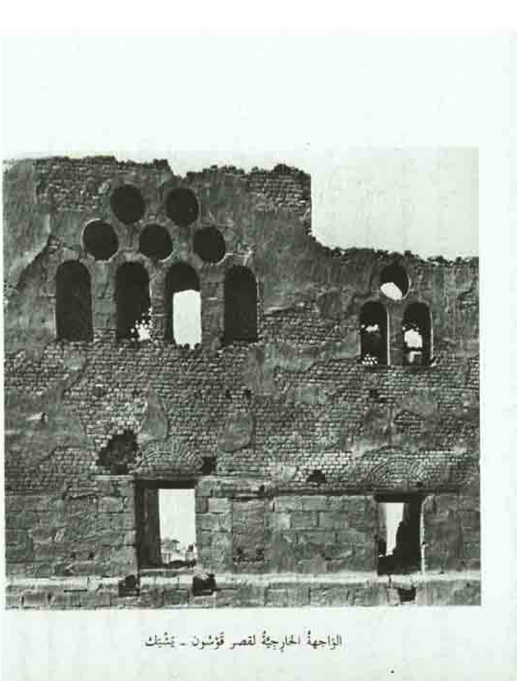
فأتتِ النَّهَّابَةُ على جَميع ما في إسْطَبْل قَوْصُون من الخَيْل والسُّروج وحَواصِل المال التي كانت بالقَصْر ، وكانت تشتمل من أنْواعِ المال والقُماشِ والأواني الذَّهَب والفِضَّة على ما لا يُحَدُّ ولا يُعَدُّ كثرةً . وعندما خَرَجت العامَّةُ بما نَهَبَتْه ، وَجَدَت مَماليكَ الأُمَرَاء والأَجْناد قد وَقَفوا على باب الإسْطَبْل في الرُّمَيْلَة لانتظار من يخرج ، وكان إذا خَرَجَ أحَدٌ بشيءٍ من النَّهْب أخَذَه منه أقْوَى منه ، فإن امْتَنَعَ من إعطائه قُتِلَ .

واحتمل النَّهَّابَةُ أكْياسَ الذَّهَب ، ونَثَروها في الدَّهاليز والطُّرُق ، وظَفِروا بجَواهِر نفيسة وذَخائر ملوكية وأَمْتِعَة جَليلةَ القَدْر وأسْلِحَة عَظيمَة وأقمشة مُثَمَّنَة ، وجَرُّوا البُسُط الرُّومية والآمِدِيَّة وما هو

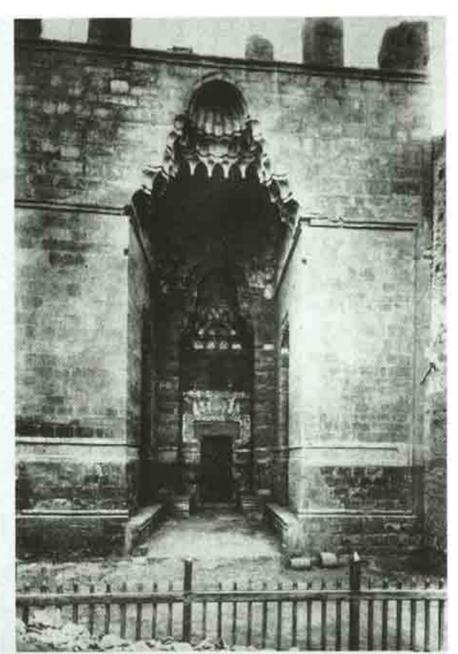
---

[١] في مسودة المواعظ (٤٢٢) : «ثم خَرِبَ في واقعة قَوْصُون بعد مَوْت النَّاصِر محمد بن قلاوون ، فأقام خَرابًا من سنة اثنتين وأربعين إلى أن قتل الملك الأشرف شعبان بن حسين ابن محمد بن قَلاوون في سنة ثمانٍ وسبعين وسبع مائة ، وحكم البلاد الأميران بَرَكَة وبَرْقوق فنزل فيه وجَدَّدَه ، ثم خرَّبته العامَّةُ لمَّا نَهَبَت دار بَرَكَة عند واقعته مع الأمير بَرْقوق» .

وأضاف المقريزي هنا على هامش المسودة : «يُذْكر هنا النَّهْب من كِتاب سيرة النَّاصِر» ، أي كِتاب «نُزْهَة النَّاظِر في سيرة الملك النَّاصِر» لليوسُفي ، وهو غير موجود في القسم الذي وَصَلَ إلينا من الكتاب ؛ وانظر كذلك ، أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠ : ٤٠ - ٤٣ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/ ١ : ٤٩٣ .



الواجهةُ الخارجيةُ لقصر قوْشون ـ يَشْبك



المدْخلُ التّذكاري لقصر قوْشون ـ يَشْبك

من عَمَل الشَّريف ، وتقاتلوا عليها ، وقطعوها قِطَعًا بالسكاكين وتقاسموها ، وكَسَرُوا أواني البِلَّوْر الصِّيني ، وقَطَعُوا سَلاسِل الخَيْل الفِضَّة والسُّروج الذَّهَب والفِضَّة وفَكُّوا اللُّجُم ، وقَطَعوا الخِيَم وكَسَروا الخَرْكاوات ، وأتْلَفُوا سَتْرَها وأغْشِيتَها الأَطْلَس والزَّرْكَفْت .

وذُكِرَ عن كاتِب قَوْصُون أنَّه قال : أمَّا الذَّهَبُ المُكَيَّس والفِضَّة فكان ينيف على أربع مائة ألف دينار ، وأمَّا الزَّرْكَشُ والحَوائِصُ والمُعَصَّباتُ ، ما بينَ خَوَاتِمات وأطْباق فِضَّة وذَهَب ، فإنَّه فوق / المائة ألف دينار ، والبِلَّوْر والمصاغ المعمول برَسْم النِّساء فإنَّه لا يُحْصَر . وكان هناك ثَلاثَة أكياس أَطْلَس فيها جَوْهَر قد جَمَعَه في طُول أيَّامِه لكَثْرَة شَغَفه بالجَوْهَر لم يَجْمَع مثله مَلِك ، كان ثَمَنُه نحو المائة ألف دينار .

وكان في حاصِلِه عِدَّةُ مائة وثمانين زَوْج بُسُطٍ ، منها ما طُولُه من أربعين ذراعًا إلى ثلاثين ذراعًا عَمَل البلاد ، وستة عشر زَوْجًا من عَمَل الشَّريف بمصر ، ثمن كلِّ زَوْجٍ اثنا عشر ألف دِرْهَم نُقْرَة ، منها أربعة أَزْواج بُسُط من حَرير . وكان من جملة الخام نَوْبَة خام جَميعها أَطْلَس معدني قَصَب جَميع ذلك نُهِبَ وكُسِرَ وقُطِعَ . وانْحَطَّ سِعْرُ الذَّهَب بديار مصر عَقِيبَ هذه النَّهْبَة من دار قَوْصُون ، حتى أُبيع المِثْقالُ بأحد عشر دِرْهمًا لكثرته في أيدي النَّاس ، بعدما كان سِعْرُ المِثْقال عشرين دِرْهمًا .

ومن حينئذٍ تلاشَى أَمْرُ هذا القَصْر لزَوال رُخامِه في النَّهْب ، وما بَرِحَ مَسْكنًا لأكابِر الأُمَرَاء ، وقد اشتهر أنَّه من الدُّور المشئومة ، وقد أدْرَكْتُ في عُمْري غيرَ واحِدٍ من الأُمَرَاء سَكَنَه ، وآل أمْرُه إلى ما لا خَيْرَ فيه [1] . وممَّن سَكَنَه الأميرُ بَرَكَة الزَّيْني ، ونُهِبَ نَهْبَةً فاحِشَةً ، وأقامَ عِدَّةَ أعْوامٍ خرابًا لا يَسْكُنُه أحَدٌ ثم أُصْلِح ، وهو الآن من أجَلِّ مَساكِن الأُمَراء[a] [2] .

---

a) بولاق : دور القاهرة .

---

[1] المقريزي : مسودة المواعظ ٤٢١- ٤٢٢؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٢ : ١٥٩ .

[2] وأضاف أبو المحاسن المتوفى سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م أنَّ إسْطَبْل قَوْصُون هو البيت المُعَدُّ لسكن كلِّ من صار أتابك العَساكِر في زمانه (النجوم الزاهرة ٩ : ١٢١) . وفي سنة ٨٨٠هـ أخذ الأمير يَشْبَك من مَهْدي الدَّوادار بَيْت قَوْصُون وزاد عليه ، ثم لمَّا عُيِّن الأمير فَخْرُ الدِّين أقْبَرْدي بن علي باي الدَّوادار أتابِكًا - في سَلْطَنَة الملك الأشْرَف قايْتباي - سَكَنَ في هذه الدَّار كغيره من الأتابِكَة (السخاوي : الضوء اللامع ٢ : ٣١٥) .

وكان يُعْرف أيضًا بالبيت الكبير عند حَدْرَة البَقَر (ابن إياس : بدائع الزهور ٢ : ٣٠٤، ٣٢٦) . وما زالت بقايا هذا القَصْر باقيةً خلف مَدْرَسَة السُّلطان حسن ومسجلة =

دَارُ أَزْغُون الكَامِلي [a]

هذه الدَّار بالجِسْر الأَعْظَم على بِرْكَة الفيل، أنشأها الأميرُ أَزْغون الكامِلي في سنة سبع وأربعين وسبع مائة، وأَدْخَل فيها من أرض بِرْكَة الفيل عشرين ذراعًا [١].

أَزغون الكامِلي ـ الأميرُ سَيْفُ الدِّين نائِب حَلَب ودِمَشْق [٢]، أنشأه[b] الملكُ الصَّالِحُ إسماعيل بن محمد بن قَلاوون، وزَوَّجَه أخته من أمّه، بنت الأمير أَزْغون العَلائي، في سنة خمس وأربعين وسبع مائة، وكان يُعْرَف أوّلًا بأَزْغون الصَّغير؛ فلمَّا ماتَ الملكُ الصَّالِحُ وقامَ من بعده في مملكة مصر أَخُوه الملكُ الكامِلُ شَعْبان بن محمد بن قَلاوون، أعْطَاه إمْرَة مائة وتَقْدِمَة أَلْف، ونَهَى أن يُدْعى أَزْغون الصَّغير، ويُسَمَّى أَزْغون الكامِلي.

فلمَّا ماتَ الأمير قُطْليجا الحَمَوي في نِيابَة حَلَب، رَسَمَ له الملكُ النَّاصِرُ حَسَن بن محمد بن قَلاوون بنيابَة حَلَب، فوَصَلَ إليها يوم الثلاثاء حادي عشر شهر رَجَب سنة خمسين وسبع مائة، وعمل النِّيابَة بها على أَحْسَن ما يكون من الحُرْمَة والمَهابَة، وهابَه التُّرْكُمانُ والعَرَبُ، ومَشَت الأَحْوالُ به.

a) المسودة: بيت أرغون الكاملي بالجسر الأعظم. b) بولاق: تبناه.

= بالآثار برقم ٢٦٦ بين شارعي مناخ الوقف ومحمد كريم (قراقول المنشية سابقًا)، ويُطْلِق عليه العامّة: قَصْر بَرْدَق. (راجع، Pauty, Ed., *Les palais et les maisons de l'époque musulmane au Caire*, p. 77; Lézine, A., «Les salles nobles des palais mamelouks», *An. Isl.* X (1972), pp. 95-98; Revault, J. & Maury, B., *op.cit.*, II, pp. 31-48). وكان يُطْلَق على الأرض الفضاء المحيطة بهذا القصر: حُوش بَرْدَق (أبو المحاسن: النجوم ٩: ١١٠-١١١هـ [٤]، وانظر المقدمة).

[١] المقريزي: مسودة المواعظ ٤٢٢- ٤٢٣؛ أبو المحاسن: النجوم ١٠: ١٢٧؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ٣٢١.

والجِسْرُ الأعْظَم هو الطريق الذي يعرف الآن بشارع عبد المجيد اللبّان (مَرَسينا) الذي يصل بين ميدان السيدة زينب والخانْقاه الجاوْلية حيث يتقابل مع شارع الخُضَيْري، وكانت دارُ أَزْغون الكاملي تقع تجاه الخانْقاه الجاوْلية المسجلة بالآثار برقم ٢٢١ والمطلَّة الآن على شارع عبد المجيد اللبّان (أبو المحاسن: النجوم ١٠: ١٢٧هـ [٣]؛ وفيما يلي ٥٥٢).

وجاء هنا على هامش نُسْخَة ص: «سَكَنَه السُّلْطانُ الملكُ الظَّاهِرُ خُشْقَدَم المُؤَيّدي خال امْرأته وتَسَلْطَن منه، وكذلك الملك الأَشْرَف إينال تَسَلْطَن فيه أيضًا».

[٢] راجع ترجمة أزغون الكاملي المتوفى سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٦م عند الصفدي: أعيان العصر ١: ٤٦٦- ٤٧٦؛ الوافي بالوفيات ٨: ٣٥٦- ٣٥٨؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٢٧؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٣٧٥؛ أبي المحاسن: المنهل الصافي ٢: ٣١٩-٣٢٣ والنجوم ١٠: ٣٢٦.

ثم جَرَت له فِتْنَةٌ مع أُمَرَاء حَلَب ، فخَرَجَ في نَفَر يسير إلى دِمَشْق ، فوَصَلَها لثلاثٍ بقين من ذي الحِجَّة سنة إحدى وخمسين ، فأكرمه الأميرُ أَيْتَمُش النَّاصِريّ نائِب دِمَشْق ، وجَهَّزَه إلى مصر ، فأَنْعَم عليه السُّلْطانُ وأعادَه إلى نِيابَة حَلَب ؛ فأقامَ بها إلى أن عُزِلَ أَيْتَمُش من نِيابَة دِمَشْق في أوَّل سَلْطَنة الملكَ الصَّالِح صالِح بن محمد بن قَلاوون ، فنُقِلَ من نِيابَة حَلَب إلى نِيابَةِ دِمَشْق ، فدَخَلَها في حادي عشرين شَعْبان سنة اثنتين وخمسين وأقامَ بها ، فلم يَصْفُ له بها عَيْشٌ ، فاسْتَعْفَى فلم يُجَب ، وما زالَ بها إلى أن خَرَجَ بَيْبُغاروس[a] وحَضَر إلى دِمَشْق ، فخَرَجَ وسارَ[b] إلى لُدّ ، واستولى بَيْبُغاروس[a] على دِمَشْق .

فلمَّا خَرَجَ الملكُ الصَّالِحُ من مصر وسارَ إلى بلاد الشَّام بسبب حَرَكَة بَيْبُغاروس[a]، تلقَّاه أَرْغون وسارَ بالعَساكِر إلى دِمَشْق ، ودَخَلَ السُّلْطانُ بعده وقد فَرَّ بَيْبُغاروس[a]، فقلَّده نِيابَةَ حَلَب في خامس عشرين شهر رَمَضان ، وعادَ السُّلْطانُ إلى مصر .

فلم يَزَل الأميرُ أَرْغون بحَلَب ، وخَرَجَ مها إلى الأبْلَسْتين في طلب بَلَد[b] ابن يلْغَادِر ، وحَرَقها وحَرَقَ قُراها ، ودَخَلَ إلى قَيْصَرِيَّة ، وعادَ إلى حَلَب في رَجَب سنة أربعٍ وخمسين .

فلمَّا خُلِعَ الملكُ الصَّالِحُ بأخيه الملك النَّاصِر حَسَن في شوَّال سنة خمس وخمسين ، طَلَبَ الأمير أَرْغون من حَلَب في آخر شوَّال . فحَضَرَ إلى مصر ، وعَمِلَ أَمير مائة مُقَدَّم أَلْف إلى تاسع صَفَر سنة ستٍّ وخمسين ، فأُمْسِكَ وحُمِلَ إلى الإسْكَنْدَرية ، واعْتُقِل فيها وعنده زَوْجَته . ثم نُقِلَ من الإسْكَنْدَرية إلى القُدْس ، فأقامَ بها بَطَّالًا ، وبَنَى هناك تُرْبَةً ، وماتَ بها يوم الخميس لخمسٍ بقين من شوَّال سنة ثمانٍ وخمسين وسبع مائة .

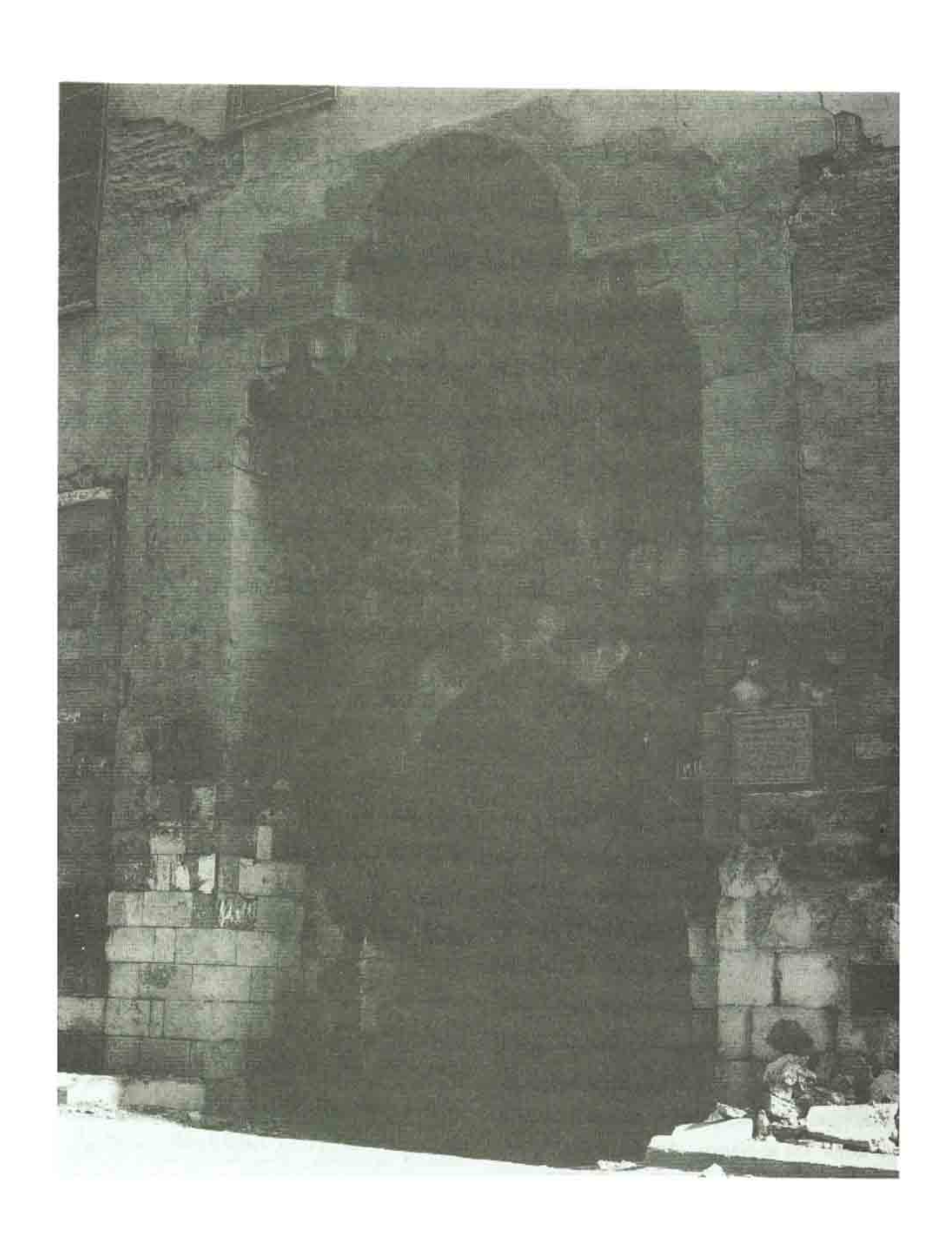
دَارُ طَــاز[c]

[أثر رقم ٢٦٧]

هذه الدَّارُ بجوار مَدْفَن[d] المَدْرَسَة البُنْدُقْدارية تِجاه حَمَّام الفارْقاني[1] على يَمْنَة من سَلَكَ من الصَّلِيبَة يُريد حَدْرَة البَقَر وباب زَوِيلَة . أنشأها الأميرُ سَيْفُ الدِّين طَاز [e]قَصْرًا وإسْطَبْلًا[e] في سنة

a) بولاق : يلبغا روس. b) ساقطة من بولاق. c) مسودة المواعظ : بيت طاز. d) زيادة من مسودة المواعظ. e-e) زيادة من مسودة المواعظ.

[1] لم يُفْرِد المقريزي حَمَّام الفارْقاني بمَدْخَلٍ خاص. وهذا الحمَّام بناه والمدرسة المجاورة له الأمير رُكْن الدِّين بِيْبَرس=



قَصْرُ طــاز ـ المَدْخَلُ الرَّئيس المُطِلّ على شارع السّيوفِيّة

ثلاثٍ وخمسين وسبع مائة، وكان موضعُها عدَّة مساكِن هَدَمَها برضَى أرْبابِها[a] وبغير رِضاهُم، وتولَّى الأميرُ مَنْجَك[1] عِمارَتها، وصارَ يقف عليها بنفسه حتى كَمُلَت[2]، فجاءَت قَصْرًا مشيَّدًا وإسْطَبْلًا كبيرًا، وهي باقية إلى يومنا هذا يسكنها أكابِرُ[b] الأُمَرَاء.

وفي يوم السَّبت سابع عشرين جُمادَى الآخِرَة سنة أربعٍ وخمسين، عَمِلَ الأميرُ طَاز في هذه الدَّار وَليمةً عظيمةً حضَرها السُّلْطانُ الملكُ الصَّالحُ صَالِح وجميعُ الأُمَرَاء. فلمَّا كان وَقْتُ انْصِرافهم قَدَّمَ الأميرُ طاز للسُّلْطان أربعة أفْراس بسُروجٍ ذَهَب وكنابِيش ذَهَب، وقدَّمَ للأمير شَيْخُو[c] فرسَيْن كذلك، وللأمير صَرْغَتْمُش فرسَيْن كذلك[b]، و لكلِّ واحِدٍ من أُمَرَاء الأُلُوف فَرَسًا كذلك. ولم يُعْهَد قبل هذا أنَّ أحَدًا من الملوك الأتْراك نَزَلَ إلى بيت أميرٍ قَبْل الصَّالِح هذا؛ فكان يومًا مذكورًا[3].

طــــاز ـ الأميرُ سيْفُ الدِّين أمير مَجْلِس[4]، اشتهر ذِكْرُه في أيَّام الملك الصَّالِح إسماعيل، ولم يَزَل أميرًا إلى أن خُلِعَ الملكُ الكامِلُ شَعْبان وأُقيم المُظَفَّر حاجِي، وهو أحَدُ الأُمَرَاء السِّتَّة أرْباب

---

a) مسودة المواعظ: ملاكها. b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: سنجر.

= الفارقاني خارج باب زويلة فيما بين حَدْرَة البَقَر (شارع المُظَفَّر الآن) وصَليبة ابن طولون بجوار المدرسة الفارقانية تجاه البندقدارية (فيما يلي ٢: ٣٩٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/ ٤١٥:١ وفيه أنها تجاه مدرسة الأمير علاء الدين أَيْدَكين البُنْدُقَداري، ١/ ٥٤٩:١).

وزال كلُّ أثرٍ لهذا الحَمَّام منذ زمنٍ بعيد، ولكن المدرسة الفارقانية المجاورة له ما تزال باقية إلى الآن وتُعْرَف بجامع عليّ الدِّين أو علي نور الدِّين الفارقاني بشارع السُّيُوفِيَّة. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٦٦هـ[1]؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ١٨١). وانظر عن المدرسة البندقدارية فيما يلي ٢: ٤٢٠.

[1] عن الأمير مَنْجَك، انظر فيما يلي ٢: ٣٢٠- ٣٢٤.

[2] المقريزي: مسودة المواعظ ٤٢٣- ٤٢٤.

[3] مازال بَيْت (دار، قَصْر) طاز باقيًا إلى الآن مُشْرِفًا على شارع السيوفية وشارع محمد كريم (قراقول المنشية سابقًا) بالحلمية الجديدة ومسجل بالآثار برقم ٢٦٧، وأُدْخِلَت عليه إصْلاحاتٌ وتجديداتٌ متتالية في السَّنوات ١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م و١٨٧٢ و١٩٣٤ حيث حُوِّل إلى مَدْرَسَةٍ أُطْلِق عليها مدرسة الحلمية الثانوية للبنين. وفي عام ٢٠٠٢ تَصَدَّعَ قِسمٌ كبيرٌ منه كان يستخدم كمخازن لوزارة التربية والتعليم. (راجع، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٦٥هـ[1]؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ١٦١- ١٦٢؛ Lezine, A., «Les salles nobles des palais mamelouks: La *qâʿa* de l'émir Ṭâẓ al-Nâsiri», *An. Isl.* X (1972), pp. 105-108; Revault, J. & Maury, B., *Palais et Maisons du Caire des XIV° au XVIII° siècles*, II, pp. 49-60).

[4] انظر ترجمة الأمير سَيْف الدِّين طاز بن قطغاج النَّاصِري، المتوفى سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م عند، الصفدي: أعيان العصر ٢: ٥٦٧- ٥٧١؛ الوافي بالوفيات =

الحَلّ والعَقْد. فلمّا خُلِعَ/ المُظَفَّرُ وأُقيم الملكُ النَّاصِرُ حَسَن، زادَت وَجاهَتُه وحُرْمَتُه. وهو الذي أَمْسَكَ الأمير بَيْبُغاروس[a] في طَريق الحِجَاز، وأَمْسَكَ أيضًا الملك المُجاهِد سَيْف الإسلام عليّ بن المُؤَيَّد صاحِب بلادِ اليمن بمَكَّة وأحْضَرَه إلى مصر. وهو الذي قامَ في نَوْبَة السُّلْطان حَسَن لمّا خُلِع وأَجْلَسَ الملكَ الصَّالِح صَالِح على كُرسي المُـلْك.

٥ وكان يَلْبس في دَرْب الحِجَاز عَباءَةً وسَرْقولًا[١] ويُخْفي نفسه ليتجسَّس على أخبار بَيْبُغاروس[a]. ولم يَزَل على حاله إلى ثاني شَوَّال سنة خمسٍ وخمسين وسبع مائة، فخُلِعَ الصَّالِح وأُعيد النَّاصِرُ حَسَن، فأَخْرَج طَاز إلى نِيابَة حَلَب وأقامَ بها.

دار صَرْغَتْمُش

١٠ هذه الدَّار بخُطِّ بِئْر الوَطاويط[٢]، بالقُرْب من المَدْرَسَة الصَّرْغَتْمُشِيَّة المجاوِرة لجامِع أحمد بن طُولون من شارِع الصَّليبَة. كان موضعَها مَساكِنُ، فاشْتَراها الأميرُ صَرْغَتْمُش وبَناها قَصْرًا وإسْطَبْلًا في سنة ثلاثٍ وخمسين وسبع مائة، وحَمَل إليه الوُزَراءُ والكُتَّابُ والأعْيانُ من الرُّخام وغيره شيئًا كثيرًا. وقد ذُكِرَ التَّعْريفُ به عند ذِكْر المَدْرَسَة الصَّرْغَتْمُشِيَّة من هذا الكِتاب في ذِكْر المَدارِس[٣].

---

a) بولاق: يلبغاروس.

= ١٦: ٣٨٣– ٣٨٤؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ٢٥٥؛ المقريزي: السلوك ٣: ٧٨؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣١٤– ٣١٥؛ أبي المحاسن: المنهل الصافي ٦: ٣٦٢– ٣٦٥، النجوم الزاهرة ١١: ١١٥؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/ ١: ٥٣٧– ٥٣٩، ٥٩٠.

[١] حاشية بخطّ المؤلِّف: «سَرْقول» كلمة فارسية معناها رأس الرِّجْل، فإنَّ «سر» معناها رأس و«قول» رِجْل، والنَّاس تقول اليوم «زَرْبُول»، يعنون ما يُلْبَس في الرجلين».

[٢] بِئْرُ الوطاويط. هي في الأصل بِئْرٌ أنشأها الوزير الإخشيدي أبو الفضل جعفر بن الفَضْل بن الفُرات المعروف بابن حِنْزابَة لينقل منها الماء إلى السبع سقايات التي أنشأها بخطَّة الحَمْراء سنة ٣٥٥هـ/٩٦٦م. ولمَّا خَرِبَت السَّبع سقايات بُني فَوْق البِئْر المذكورة وتَوَلَّد بها كثيرٌ من الوطاويط فعُرِفَت بِبِئْر الوطاويط؛ ثم لمَّا كَثُرَ البناء حول المنطقة عُرِفَ الخطّ بخُطّ بِئْر الوطاويط. ويُحَدَّد موضع هذا الخطّ مَيْدان أحمد بن طولون المجاور لجامع أحمد بن طولون من الجهة الشمالية (البحرية). (فيما يلي ٤٥٠– ٤٥١؛ أبو المحاسن: النجوم ١٠: ٢٦٧هـ[٢]؛ Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 71-73).

[٣] المقريزي: مسودة المواعظ ٤٢٤– ٤٢٥؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٥٧١؛ وفيما يلي ٢: ٤٠٤– ٤٠٥.

وهذه الدَّارُ عامِرَةٌ إلى يومِنا هذا، يَسْكُنها الأُمَرَاءُ، ووَقَعَ الهَدْمُ في القَصْر خاصَّةً في شهر رَبيع الآخَر سنة سبع وعشرين وثمان مائة [1].

دَارُ أُلْمَاس

هذه الدَّار بخُطِّ حَوْض ابن هَنَس [2]، فيما بينه وبين حَدْرَة البَقَر، بجوار جامِع أُلْماس [3]. أنشأها الأميرُ أُلْماسُ الحاجِب، واعْتَنَى برُخامها عِنايةً كبيرةً، واستدعى به من البلاد. فلمَّا قُتِلَ في صَفَر سنة أربعٍ وثلاثين وسبع مائة، أَمَرَ السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون بقَلْع ما في هذه الدَّار من الرُّخامِ، فقُلِعَ جَميعُه ونُقِلَ إلى القَلْعَة. وهذه الدَّارُ باقيةٌ إلى يومنا هذا ينزلها الأُمَرَاء.

دَارُ بَهَادُر المُقَدَّم

هذه الدَّارُ بخُطِّ الباطِلِيَّة من القاهِرَة، أنشأها الأميرُ الطُّواشي سَيْفُ الدِّين بَهادُر، مُقَدَّمُ المماليك السُّلْطانية في أيَّام الملك الظَّاهِر بَرْقوق.

وبَهادُر هذا من مَماليك الأمير يَلْبُغا، وأقامَ في تَقْدِمَة المماليك جَميع الأيام الظَّاهِرِيَّة، وكَثُر مالُه، وطالَ عُمْرُه حتى هَرِم، وماتَ في أيَّام الملك النَّاصِر فَرَج، وهو على إمْرَته وفي وَظيفَة[a] تَقْدِمَة المماليك السُّلْطانية، يوم الأحَد سابع عشر رَجَب سنة اثنتين وثمان مائة [4].

---

a) بولاق: وظيفته.

---

[1] كانت هذه الدَّار تُشْرف على شارع الصَّليبة بالقرب من المَدْرَسة الصَّرْغَتْمُشية، وآلت في نهاية عصر دولة المماليك إلى السلطان الملك الأشرف أبي النصر قانصوه الغوري؛ بدليل وجود بقايا في الزاوية البحرية الشرقية من سور الدَّار في مدخل حارة الأربعين من الجهة الغربية عليها اسم الغوري. واندثرت تمامًا هذه الدَّار وحَلَّ محلها الدار التي تحمل رقم ٩ بشارع الصَّليبة. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٦٧هـ [1]؛ عبد اللطيف إبراهيم: الوثائق في خدمة الآثار ٢٤٩-٢٥١).

[2] حوض ابن هَنَس، انظر فيما يلي ٤٤٢.

[3] أي في شارع السّيوفية، بينه وبين شارع المُظَفَّر، وانظر فيما يلي ٢: ٣٠٧.

[4] الأمير سَيْفُ الدِّين بهادُر بن عبد الله الشِّهابي الطُّواشي الرُّومي، المتوفى سنة ٨٠٢هـ/١٤٠٠م (المقريزي: السلوك ٣: ١٠٢٥؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٢: ١١٩؛ أبو المحاسن: المنهل ٣: ٤٣٦، النجوم ١٣: ١٨؛ الصيرفي: نزهة النفوس ٢: ١٦٧؛ السخاوي: الضوء اللامع ٣: ١٩).

ومَوْضِعُ هذه الدَّار من جُمْلِة ما كان احْتَرَقَ من الباطِلِيّة في أيام الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس ، كما تقدَّم في ذِكْر حارَة الباطِلِيّة عند ذِكْر الحارات من هذا الكِتاب [١] . ولمَّا ماتَ المُقَدَّمُ بَهادُر استقرَّت من بعده مَنْزِلًا لأُمَرَاء الدَّوْلَة ، وهي باقية على ذلك إلى يَوْمِنا هذا .

دَارُ السّت شُقْـرا

هذه الدَّارُ من جملة حارَة كُتامَة [a]، وهي اليَوم بالقُرْب من مَدْرَسَة الوَزير الصَّاحِب كَريم الدِّين ابن غَنَّام بجوار حَمّام كَراى ، وهي من الدُّور الجَلِيلَة . عُرِفَت بخَوَنْد السّتّ شُقْرا ابنة السُّلْطانُ الملك النَّاصِر حَسَن بن محمد بن قلاوونَ ، وتزوَّجها الأمير أرُوس ، ثم انحطَّ قدرها واتَّضَعت في نفسها إلى أن ماتَت في يوم الثلاثاء ثامِن عشرين جُمادَىٰ الأُولىٰ سنة إحدى وتسعين وسبع مائة [٢].

دَارُ ابن عِنـان

هذه الدَّارُ بِخُطِّ الجامِع الأَزْهَر ، أنشأها نُورُ الدِّين عليّ بن عِنان التَّاجِر بقَيْسارية جَهارْكَس من القاهِرَة ، وتاجِر الخاصّ الشَّريف السُّلْطاني في أيّام الملك الأَشْرَف شَعْبان بن حُسَيْن بن محمد بن قَلاوون [٣].

كان ذا ثَراءٍ [b] ونِعْمَةٍ كثيرةٍ ومالٍ مُتَّسع ، فلمَّا زالَت دَوْلَةُ الأَشْرَف انْجَمَع [c] وداخَلَه وَهْمٌ ، فأَظهر فاقَةً ، وتذكَّر أنَّه دَفَنَ مَبلَغًا كبيرًا من الألف مِثْقال ذَهَب في هذه الدَّار ، ولم يُعْلِم به أَحَدًا سوى زوجته أم أوْلاده . فاتَّفَقَ أنَّه مَرِضَ وخَرِسَ ، ومَرِضَت زَوْجَتُه أيضًا ، فمَاتَ يوم الجمعة ثامِن عشر شَوَّال سنة تسع وثمانين وسبع مائة ، وماتَت زَوْجَته أيضًا . فأَسِفَ أوْلادُه على فَقْد مالِه ، وحَفَروا مَواضِعَ من هذه الدَّار فلم يَظْفَروا بشيءٍ ألبتَّة ، وأقامَت مُدَّةً بأيْديهم وهي من وَقْف أبيهم ، وماتَ ولَدُه شَمْسُ الدِّين محمدبن عليّ بن عِنان يوم السبت تاسع صَفَر سنة ثلاثٍ وثمان مائة ، ثم باعُوها سنة سبع عشرة وثمان مائةٍ كما بيع غيرها من الأَوْقاف .

---

a) في المسودة : يعرف خطها قديما بقصر ابن عمار من حارة كتامة . b) بولاق : ثروة . c) بولاق : أجمع .

---

[١] فيما تقدم ٢١- ٢٢.

[٢] المقريزي : مسودة المواعظ ٤٣٠ وفيما تقدم ١١٩.

[٣] نفسه ٤٢٩- ٤٣٠.

دَارُ بَهادُر الأَعْسَر

هذه الدَّارُ بخُطِّ بَيْنَ السُّورَيْن، فيما بين سُوَيْقَة المَسْعودي من القاهِرَة وبين الخَليج الكبير الذي يُعْرَف اليوم بخَليج اللُّؤْلُؤَة. كان مكانُها من جملة دَار الذَّهب التي تقدَّم ذِكْرُها في ذِكْر مَناظِر الخُلَفَاء من هذا الكتاب [١]، وإلى يومِنا هذا بجوار هذه الدَّار قَبْوٌ، فيما بينها وبين الخَليج، يُعْرَف بقَبْو الذَّهَب من جملة أقْباء دَار الذَّهَب، وتَمُرُّ النَّاسُ من تَحْت هذا العَقْد [a].

وبهـــادُر هذا ـ هو الأَميرُ سَيْفُ الدِّين بَهادُر الأَعْسَر القَجَاوي [b]، كان مُشْرِفًا بمَطْبَخ الأمير سَيْف الدِّين قَجَا أمير شكار، ثم صارَ زَرْدَكاش الأمير الكبير يَلْبُغا الخاصِّكي، ووَلِيَ بعد ذلك مِهْمَنْدار السُّلْطان بدار الضِّيافَة، ووَلِيَ وَظيفَة شَدِّ الدَّواوين. إلى أن قَدِمَ الأَميرُ يَلْبُغا النَّاصِريّ نائِب حَلَب بعَساكِر الشَّام إلى مصر، وأزالَ دَوْلَة الملك الظَّاهِر بَرْقوق في جُمادَىٰ سنة إحدى وتسعين وسبع مائة، قَبضَ عليه ونَفَاه من القاهِرَة إلى غَزَّة، ثم عادَ بعد ذلك إلى القاهِرَة، وأقامَ بها إلى أن ماتَ بهذه الدَّار في يوم عيد الفِطْر سنة ثمانٍ وتسعين وسبع مائة، وحُصِرَت تَرِكَتُه وكان فيها عِدَّةُ كُتُبٍ في أنْواعٍ من العُلوم [٣].

وهذه الدَّارُ باقية إلى يومنا هذا، وعلى بابِها بِئْرٌ بجانبها حَوْضُ / ماءٍ يُملأُ تَشْرَب [c] الدَّواب منه [٤].

دَارُ ابن رَجَب

هذه الدَّارُ من جُمْلَة أَراضي البُسْتان الذي يُقالُ له اليوم الكافُوري، كان إسْطَبْلًا للأمير عَلاء الدِّين عليّ بن كَلَفْت التُّرْكُماني شادّ الدَّواوين [٥] فيما بين دَارِه ودَار الأمير تَنْكِز نائِب الشَّام. فلمَّا

---

a) بولاق: القبو. b) بولاق: اليحياوي. c) بولاق: حوض يملأ لشرب.

---

[١] فيما تقدم ٢: ٥٣٦.

[٢] المقريزي: مسودة المواعظ ٤٢٩ وفيما تقدم ٢: ٢٤.

[٣] راجع، المقريزي: مسودة المواعظ ٢٩٢–٢٩٣، ٤٢٩، السلوك ٣: ٨٦٤؛ أبا المحاسن: النجوم ١٢: ١٥١؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس ١: ٤٣٤.

[٤] هنا على هامش نسخة ص: «هذه الدَّار أخذَها الأميرُ زَيْنُ الدِّين يحيى الأشْقَر بن عبد الرَّزَّاق الأُسْتادَّار فيما أخَذَ وهَدَمَها وعَمَّرَ مكانَها دورًا ومساكن وأدْخَل ذلك وقفه».

[٥] الأميرُ عَلاءُ الدِّين عليُّ بن كَلَفْت التُّرْكُماني المتوفى سنة ٧٨٠هـ. (المقريزي: السلوك ٣: ١٣٥٠؛ ابن حجر: إنباء=

استقرَّ ناصِرُ الدِّين محمد بن رَجَب في الوَزارَة، أنشأ بهذا الإسْطَبْل قَصْرًا كبيرًا ومَقْعَدًا صارَ يجلس فيه واستولى من بعده على ذلك كلّه أوْلاده.

فلمّا عَمَّر الأميرُ جَمالُ الدِّين يُوسُف الأُسْتادّار مَدْرَسَته بخُطّ رَحْبَة باب العيد، أَخَذَ هذا القَصْر والإسْطَبْل في جملة ما أَخَذَ من أمْلاك النَّاس وأوْقافِهم. فلمّا قَتَلَه الملكُ النّاصِرُ فَرَج واسْتَوْلَى على جَميع ما خَلَّفَه، أَفْرَدَ هذا القَصْر والإسْطَبْل فيما أفرده للمَدْرَسَة المذكورة، فلم يَزَل ٥ من جملة أوْقافِها إلى أن قُتِلَ الملكُ النّاصِرُ فَرَج، وقَدِمَ الأميرُ شَيْخُ نائِب الشّام إلى مصر. فلمّا جَلَسَ على تَخْت المُلْك وتلقَّب بالملك المُؤَيَّد في غُرَّة شَعْبان سنة خمس عشرة وثمان مائة، وَقَفَ إليه من بقي من أوْلاد عَلاء الدِّين عليّ بن كَلَفْت، وهما امْرأتان كانت إحْداهما تحت الملك المُؤَيَّد قبل أن يليَ نِيابَة طَرابُلُس، وهو من جُمْلَة أُمَراء مصر في أيّام الملك الظّاهِر بَرْقوق، وذَكَرتا أنَّ الأميرَ جَمال الدِّين الأُسْتادّار أَخَذَ وَقْفَ أبيهما بغير حَقّ، وأَخْرَجَتا كِتابَ وَقْفِ أبيهما. فَفَوَّضَ ١٠ أمْرَ ذلك لقاضي القُضَاة جَلال الدِّين عبد الرَّحْمَن بن شَيْخ الإسْلام سِراج الدِّين عُمَر بن رَسْلان ابن نَصير البُلْقيني الشّافِعيّ، فلم يجد بيد أوْلاد جَمال الدِّين مُسْتَنَدًا، فقَضَى بهذا المكان لوَرَثَة ابن كَلَفْت، وبَقائِه على ما وَقَفَه حسبما تَضَمَّنه كِتابُ وَقْفِه فتسلَّم مُسْتَحِقّ وَقْف ابن كَلَفْت القَصْر والإسْطَبْل، وهو الآن بأيديهم، وبينهم وبين أوْلاد ابن رَجَب نِزاعٌ في القَصْر فقط [1].

مُحَمَّد بن رَجَب بن محمد بن كَلَفْت[2] ـ الأميرُ الوَزير ناصِر الدِّين. نَشأ بالقاهِرَة على طَريقَةٍ ١٥ مشكورَةٍ، فلمّا استقرَّ ناصِرُ الدِّين محمد بن الحُسَام الصَّقْري[a] شادّ الدَّواوين، بعد انْتِقال الأمير

a) بولاق: الصفدي.

= الغمر ١: ١٨٥؛ أبو المحاسن: النجوم ١١: ١٩٥ وهو فيه عليّ بن كلبك تصحيف).

[1] المقريزي: مسودة المواعظ ٤٣٢-٤٣٣ وقارن علي مبارك: الخطط التوفيقية ٣: ١٣٥-١٣٦ في حديثه على دار الأمير سيف الدين تنكز.

وجاء هنا على هامش نُسْخَة ص: «ثم تداوَلَت الأيْدي على هذا القَصْر والإسْطَبْل إلى أن ملكها كاتبه ـ أي أبو المحاسن بن تَغْري بِرْدي ـ بالابْتياع الشَّرْعي من وَرَثَة القاضي زَيْن الدِّين عبد الباسط، وأَنْشَأْتُ بساحتها مَقْعَدًا وبئرًا ساقية وبالقَصْر مَبيت إلى غير ذلك». (وانظر فيما تقدم ١٩٢هـ [2]).

[2] الأمير ناصِرُ الدِّين محمد بن رَجَب بن محمد بن كَلَفْت التُّركماني وزير مصر في زمن السلطان الظاهر برقوق إلى أن توفي سنة ٧٩٨هـ. (المقريزي: السلوك ٣: ٨٦٥؛ ابن حجر: إنباء الغمر ١: ٥٢٠؛ أبو المحاسن: النجوم ١٢: ١٥٢؛ والدليل الشافي ٢: ٦٢١ (وهو فيهما ابن كلبك)؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس ١: ٤٣٥).

جَمال الدِّين محمود بن عليّ من شَدِّ الدَّواوين إلى أُسْتادّارية السُّلْطان في يوم الثلاثاء ثالِث جُمادَى الآخرة سنة تسعين وسبع مائة ، أقامَ ابن رَجَب هذا أُسْتادَّارًا عند الأمير سُودون باق ، وكانت أوَّل مُباشَراتِه . ثم وَلِيَ شَدَّ الدَّواوين بعد الأمير ناصِر الدِّين محمد بن آقْبُغا آص [a]في ثامن شَهر رَمَضان سنة اثنتين وتسعين ، فباشَر ذلك إلى أن صُرِفَ بابن آقْبُغا آص[a] في سابع عشرين ذي الحجَّة ، وعُوِّض في شَدّ الدواوين بشَدّ دَواليب الخاصّ عِوضًا عن خالِه الأمير ناصِر الدِّين محمد ابن الحُسام عند انتقاله إلى الوَزارَة . فلم يَزَل إلى أن تَوَجَّه الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقوق إلى الشَّام ، وأقامَ الأمير محمود الأُسْتادّار . فقَدِمَ عليه ابنُ رَجَب بكتابِ السُّلْطان وهو مَخْتوم ، فإذا فيه أن يَقْبض على ابن رَجَب ، ويُلْزِمه بحَمْلِ مبلغ مائة وستين ألف دِرْهَم نُقْرَة . فقَبَضَ عليه في رابع شهر رَمَضَان سنة ثلاث وتسعين ، وأَخَذَ منه مَبْلغ سبعين ألف دِرْهَم نُقْرَة .

فلمَّا كان في يوم الاثنين رابع عشر رَبيع الآخر سنة ستٍّ وتسعين ، صَرَفَ السُّلْطانُ عن الوَزارَة الصَّاحِبَ مُوَفَّق الدِّين أبا الفَرَج ، واستقرَّ بابن رَجَب في مَنْصِب الوَزارَة وخَلَعَ عليه ؛ فلم يُغَيِّر زِيّ الأُمَرَاء ، وباشَرَ الوَزارَة على قالَبٍ ضَخْمٍ وناموسٍ مُهاب ، وصارَ أميرًا وَزيرًا مُدَبِّرًا لَمَالك . وسَلَكَ سيرةَ خالِه الوَزير ناصِر الدِّين محمد بن الحُسَام في استخدام كلِّ من باشَر الوَزارَة ، فأقامَ الصَّاحِبَ سَعْدَ الدِّين بن نَصْر الله بن البَقْري ناظِر الدَّوْلَةِ ، والصَّاحِبَ كَريم الدِّين عبد الكَريم بن الغَنّام ناظِر البُيُوت ، والصَّاحِبَ عَلَمَ الدِّين عبد الوهَّاب سن إبْرَة مُسْتَوفى الدَّوْلَة ، والصَّاحِب تاج الدِّين عبد الرَّحيم بن أبي شاكِر رَفيقًا له في اسْتيفاء الدَّوْلَة .

وأُنْعِم عليه بإمْرة عشرين فارِسًا في سادس شهر رَبيع الآخر سنة سبعٍ وتسعين . فلم يَزَل على ذلك ، إلى أن ماتَ من مَرَضٍ طَويلٍ في يوم الجمعة لأربعٍ بقين من صَفَر سنة ثمانٍ وتسعين وسبع مائة وهو وَزير من غير نَكْبَة ، فكانَت جَنازَتُه من الجَنائِز المذكورة . وقد ذكرته في كِتاب «دُرَر العُقُود الفَريدَة في تَراجِم الأَعْيان المُفيدَة» .

دَارُ القَاسِمِي

هذه الدَّارُ من جملة خُطِّ قَصْر بَشْتاك ، كانت أوَّلًا من بعض دُور القَصْر الكبير الشَّرْقي ، الذي تَقَدَّم ذكره عند ذِكْر قُصُور الخُلَفَاء ، ثم عُرِفَت بدار جَمال الكُفَاة .

---

a-a) ساقطة من بولاق .

وهو القاضي جَمالُ الدِّين إبراهيم، المعروف بجَمالُ الكُفاة، ابن خالَة النَّشْو ناظِر الخاصّ[١]. كان أوّلًا من جملة الكُتّاب النَّصارىٰ فأَسْلَم، وخَدَمَ في بُسْتان السُّلْطان[a] الملك النَّاصِر محمد ابن قلاوون ـ الذي كان مَيْدَانًا للملك الظَّاهِر بَيْبَرْس بأرْض اللُّوق ـ ثم خَدَمَ في ديوان الأمير بَيْدَمُر البَدْريّ[٢].

فلمَّا عَرَضَ السُّلْطانُ دَواوين الأُمَرَاء، واخْتار منهم جَماعَةً، كان من جُمْلَة مِن اخْتارَه السُّلطانُ جَمالَ الكُفاة هذا، فجَعَلَه مُسْتَوْفِيًا إلى أن ماتَ المُهَذَّب كاتِب الأمير بَكْتَمُر السَّاقي، فولَّاه السُّلْطان مَكانَه في ديوان الأمير بَكْتَمُر، فخَدَمَه إلى أن ماتَ، فخَدَم بديوان الأمير بَشْتَاك، إلى أن قَبَضَ الملكُ النَّاصِرُ على النَّشْو ناظِر الخاصّ، وَلَّاه وَظيفَة نَظَر الخاصّ بعد النَّشْو، ثم أضافَ إليه وَظيفَة نَظَر الجَيْش بعد المكين بن قَزْوِينَة عند غَضَبه عليه ومُصادَرَته. فباشَرَ الوَظيفَتَيْن إلى أن ماتَ الملكُ النَّاصِرُ، فاستمرَّ في أيام الملك المَنْصور أبي بكر والملك الأَشْرَف كَجَك والملك النَّاصِر أحمد. فلمَّا وَلِيَ / الملكُ الصَّالِح إسماعيل، جَعَله مُشيرَ الدَّوْلَة مع ما بيده من نَظَر الخاصّ والجَيْش ـ وكان الوَزيرُ إذ ذاك الأمير نَجْم الدِّين محمود وزير بغْداد ـ وكُتِبَ له تَوْقيعٌ باسْتِقْراره في وَظيفَة الإشارَة؛ فعَظُم أمرُه، وكَثُر حسَّادُه إلى أن قُبِضَ عليه وضُرِب بالمَقارِع، وخُنِقَ ليلة الأحد سادِس شهر رَبيع الأوّل سنة خمسٍ وأربعين وسبع مائة، ودُفِنَ بجوار زاوية ابنَ عَبُّود من القَرافَة، وكانت مُدَّةُ نَظَره في الخاصّ خمس سنين وشهرين تَنْقُص أيَّامًا. وكان مَليحَ الوَجْه، حَسَن العِبارَة، كثير التصرُّف ذَكيًّا، يعرف باللِّسان التُّرْكي ويَتَكَلَّم به، ويَعْرِف باللِّسان النُّوبي والتَّكْروري[٣].

a) ساقطة من بولاق.

[١] عن جمال الكفاة جمال الدين إبراهيم ابن خالة النَّشْو ناظر الخاص انظر، الصفدي: الوافي بالوفيات ٦: ١٨٠–١٨٢؛ المقريزي: المقفى الكبير ١: ٣٢٨–٣٣١، والسلوك ٢: ٦٧٥–٦٧٦؛ الشجاعي: تاريخ الملك الناصر ٢٧٠، ٢٧٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٨٢؛ أبا المحاسن: المنهل الصافي ١: ١٩٣–١٩٦ والنجوم الزاهرة ١٠: ١١١؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٥٠٢.

[٢] الأمير سَيْفُ الدِّين بَيْدَمُر البَدْري النَّاصِري محمد بن قلاوون، كان أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ثم ولي نيابة طرابلس، ونقل منها إلى نيابة حلب، وتوفي مقتولًا بنيابة غزّة سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م. (الصفدي: أعيان العصر ١: ٩٨–٩٩، الوافي بالوفيات ١٠: ٣٦٣؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٥٦٨–٥٦٩؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٣: ٤٩٧).

[٣] قارن مع المقريزي: مسودة المواعظ ٤٣٠–٤٣١.

ولم تَزَل هذه الدَّارُ بغير تَكْمِلَة إلى أن ترأَّس القاضي شَمْسُ الدِّين محمد بن أحمد القَليجي الحَنَفي ، (aكان أوَّلًا يكتب على مَبْيضةِ الغَزْل وهي يومئذٍ مُضَمَّنَة لديوان السُّلْطان ، ثم اتَّصَل بقاضي القُضَاة سِراج الدِّين عُمَر بن إسْحاق الهِنْدي وخَدَمَه ، فرَفَعَ من شَأْنِه واسْتَنابَه في الحُكْم ؛ فعِيبَ ذلك على الهِنْدي ، وقال فيه شَمْسُ الدِّين محمَّد بن محمد الصَّائغ الحَنَفي :

٥ [الطويل]

ولَمَّا رَأَيْنا كاتِبَ المَكْس قاضِيًا عَلِمْنا بأنَّ الدَّهْرَ عادَ إلى وَرَا

فقُلْتُ لصَحْبي ليس هذا تَعَجُّبًا وهل يَجْلب الهِنْديّ شيئًا سوى الخَرَاa)

ووَلِيَ إفْتَاء دار العَدْلb)، ونابَ عن القُضَاة في الحُكْم بعد مُباشَرة تَوْقيع الحُكْم عِدَّة سنين. فعَظُم ذِكْرُه ، وبَعُدَ صيتُه ، وصارَ يتوسَّط بين القُضَاة والأُمَرَاء في حَوائِجهم ، ويَخْدِم أَهْل الدَّوْلَة ١٠ فيما يَعِنّ لهم من الأمُور الشَّرْعية .

فصارَ كثيرٌ من أُمُور القُضَاة لا يقوم به غيره ، حتى لقد كان شَيْخُنا الأُستاذ قاضي القُضَاة وليُّ الدِّين عبد الرَّحْمَن بن خَلْدون يُسَمِّيه دُرَيْد بن الصِّمَّة ؛ يعني أنَّه صَاحِبُ رأْيِ القُضَاة ، كما أنَّ دُرَيْدَ بن الصِّمَّة كان صاحِبَ رأْي هَوازِن يوم حُنَيْن ، (cيَنْبِزه بذلكc).

فلمَّا فَخُم أمْرُه أَخَذَ هذه الدَّار ، وقد تَمَّ بِناء جُدْرانِها ، فرَخَّمها وزَخْرَفَها وبَيَّضَها ، فجاءَت في ١٥ أعْظَم قالَبٍ وأَحْسَن هِنْدام وأَبْهَج زِيّ ، وسَكَنَها إلى أن مات يوم الثلاثاء العشرين من شهر رَجَب سنة سبع وتسعين وسبع مائة بعدما وَقَفَهَا ، فاستمرَّت في يد أوْلادِه مُدَّةً إلى أن أَخَذَها الأميرُ جَمالُ الدِّين يوسُف الأُسْتادّار كما أَخَذَ غيرها من الدُّور[١].

دَارُ بَهادُر المُعِزِّي

هذه الدَّارُ بدَرْب راشِد المُجاوِر لخِزانَة البُنُود من القاهِرَة ، عَمَّرَها الأميرُ سَيْفُ الدِّين بَهادُر ٢٠ المُعِزِّي[٢]. كان أصْلُه من أوْلاد مَدينَة حَلَب من أبْناء التُّرْكُمان ، فاشْتَراه المَلِكُ المنصور لاجين قبل

---

a-a) هذه الفقرة وردت في هامش نسخة آياصوفيا وكتب أمامها : «هكذا بخط المؤلف بغير تخريج» وختمها بقوله : «هكذا وجدته بخطه» . b) بولاق : العلم . c-c) ساقطة من بولاق .

---

[١] المقريزي : مسودة المواعظ ٤٣١- ٤٣٢.

[٢] الأمير سَيْفُ الدِّين بَهادُر بن عبد الله التركماني =

أن يَلِيَ سَلْطَنة مصر وهو في نِيابَة السَّلْطَنَة بِدِمَشْق، فترقَّى حتى صارَ أحَدَ الأُمَرَاء الألوف إلى أن ماتَ في يوم الجمعة تاسع شَعْبان سنةَ تسعٍ وثلاثين وسبع مائة[1] عن ابنتين: إحْداهُما تحت الأمير أَسَنْدَمُر العُمَري[a] [2]، والأخرى تحت مملوكه أَقْتَمُر [3].

وتَرَكَ مالًا كثيرًا: منه ثلاثة عشر ألف ألف دينار، وستّ مائة ألف دِرْهَم نُقْرَة، وأربع مائة فَرَس، وثلاث مائة جَمَل، ومبلغ خمسين ألف أَرْدب غَلَّة، وثَمان حَوائِص ذَهَب، وثلاث كَلّوتات زَرْكش، واثني عشر طِراز زَرْكَش وعَقارًا كثيرًا، فأَخَذَ السُّلْطانُ المَلِكُ النَّاصِرُ محمد ابن قَلاوون جَميعَ ما خَلَّفه.

وكان جَميلَ الصُّورَة، معروفًا بالفُروسيَّة، ورَمى في القَبَق النُّشَّاب بيَمينه ويَساره، ولعب الرُّمْح لَعِبًا جيِّدًا. وكان لَيِّنَ الجانِب، حُلْو الكلام، جَميل العِشْرة إلّا أنَّه كان مُقْتِرًا على نفسه في مأكله وسائِر أحْوالِه لِكَثْرَة شُحِّه، بحيث أنَّه اعْتُقِلَ مرَّةً فجَمَعَ من راتِبه الذي كان يجري عليه وهو في السِّجْن مبلغ اثني عشر ألف دِرْهَم نُقْرَة، أخْرَجَها معه من الاعْتِقال [4].

a) بولاق: المعزي.

= السَّيفي المعزّي، المتوفى في أوائل سنة ٧٤٠ أو أواخر سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٧، أو ١٣٣٨م. (الصفدي: أعيان العصر ٢: ٥٩-٦٠، الوافي بالوفيات ١٠: ٢٩٨-٢٩٩؛ الشجاعي: تاريخ الملك الناصر ٥٤-٥٥؛ المقريزي: السلوك ٢: ٤٧٠؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٢٩؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٣: ٤٣٠-٤٣١).

[1] أضاف المقريزي في مسودة المواعظ ٤٣٤: وأخذ إمرته بُرْشُبُغا الحاجب، وهو الأمير سَيْف الدين بُرْشُبُغا بن عبد الله الحاجب الذي توفي مقتولًا بالإسكندرية مع الأمير قَوْصون والأمير ألطنبغا العلائي سنة ٧٤٢هـ. (الصفدي: أعيان العصر ١: ٦٨٦-٦٨٨، الوافي ١٠: ١١٤؛ المقريزي: المقفى ٢: ٥٧٠-٥٧١؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٧؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٣: ٢٨٢-٢٨٣).

[2] الأميرُ سَيْفُ الدِّين أَسَنْدَمُر بن عبد الله العُمَري، أحد المماليك النَّاصرية محمد بن قَلاوون، توفي سنة ٧٦١هـ/١٣٦٠م (الصفدي: أعيان العصر ١: ٥٣٧-٥٣٩، الوافي بالوفيات ٩: ٢٤٩؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢: ١٩١-١٩٢؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤١٣؛ أبو المحاسن: المنهل ٢: ٤٤٥).

[3] ربما كان الأمير سَيْف الدين أَقْتَمُر بن عبد الله الصَّاحبي الحنبلي نائب السلطنة بالديار المصرية، المتوفى سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م. (أبو المحاسن: المنهل ٢: ٤٩٢ والنجوم ١١: ١٩١).

[4] المقريزي: مسودة المواعظ ٤٣٣-٤٣٥، وهو آخر الموجود في مسودة المواعظ والاعتبار نسخة مكتبة خزينة، رقم ١٤٧٢.

دارُ طَيْنال

هذه الدَّارُ بخُطِّ الخَرَّاطين ، في داخِل الدَّرْب الذي كان يُعْرف بخَرِبَة صَالِح ، كان موضعُها وما حَوْلَها في الدَّوْلَة الفاطِمية مارِسْتانًا . وأنْشَأَ هذه الدَّار الأميرُ طَيْنال أَحَدُ مَماليك النَّاصِر محمد ابن قَلاوون ، أقامَه ساقِيًا ثم عَمِلَه حاجِبًا صغيرًا ، ثم أعطاه إمْرَة أركتمر[a]، وجَعَلَه أمير مائة مُقَدَّم ألف ، فباشَر ذلك مُدَّةً ؛ ثم أَخْرَجَه لنيابَة طَرابُلُس فأقامَ بها زَمانًا ، ثم نَقَلَه إلى نِيابَة صَفَد ، فماتَ بها في ثالِث شهر رَبيع سنة ثلاثٍ وأربعين وسبع مائة [1].

وكان تَتَرِيَّ الجِنْس ، قَصيرًا إلى الغاية ، مَليحَ الوَجْه ، مشكورًا في أحكامِه ، مُحِبًّا لجَمْع المال شَحِيحًا . وهذه الدَّارُ تشتمل على قاعَتَيْن[b] متجاورتين ، وهي من الدُّور الجَليلَة . ولطَيْنال أيضًا قَيْسارِيةٌ بسُوَيْقَة أَمير الجُيُوش .

دارُ الهِرْماس

هذه الدَّارُ كانت بجوار الجامِع الحاكِمي من قِبْليه ، شارِعَةً في رَحْبَة الجامِع ، على يَسْرَة من يَمُرُّ إلى باب النَّصْر ؛ عَمَّرَها الشَّيْخُ قُطْبُ الدِّين محمد بن [c] المَقْدِسي ، المعروف بالهِرْماس [2]، وسَكَنَها مُدَّةً . وكان أثيرًا عند السُّلْطان الملك النَّاصِر حَسَن بن محمد ابن قَلاوون ، له فيه اعْتِقادٌ كبيرٌ . فعَظُم عند النَّاس قَدْرُه ، واشْتُهِرَ فيما بينهم ذِكْرُه ، إلى أن دَبَّت بينه وبين الشَّيْخ شَمْس الدِّين محمد بن النَّقَّاش عَقارِبُ الحَسَد ، فسَعَى به عند السُّلْطان إلى أن تَغَيَّر عليه وأبعده [3].

---

a) بولاق : دكتمر. b) بولاق : قائمتين. c) بياض في نسخة باريس.

---

[1] الأمير سَيْفُ الدِّين طَيْنال الأشرفي الحاجب ، ذكر المقريزي في المقفى أنه كان من مماليك الأشرف خليل لا من مماليك أخيه الناصر محمد . (راجع ، الصفدي : أعيان العصر ٢:٦٣٠-٦٣٣ ، الوافي ١٦:٥١٦ ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ٣:٤٢ ؛ المقريزي : المقفى ٤:٧-٩ ؛ ابن حجر : الدرر ٢:٣٣٤ ؛ أبا المحاسن : النجوم ١٠:١٠٣) .

[2] الشيخ قُطْبُ الدِّين أبو عبد الله محمد بن محمود بن هِرْماس بن ماضي بن أبي اللَّيث المقدسي الشافعي المعروف بالهِرْماس ، المتوفى سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م . (المقريزي : السلوك ٣:١٦٨ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٥:٢١ ؛ أبو المحاسن : الدليل الشافي ٢:٧٠٥) .

[3] أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١:١٣-١٤ .

ثم رَكِبَ في يوم [a] سنة إحدى وستين وسبع مائة، من قَلْعَةِ الجَبَل بعَساكِره إلى باب زَوِيلَة، فعندما وَصَل إليه تَرجَّل الأُمَرَاءُ كلُّهم عن خُيولهم، ودَخَلوا مُشاةً من باب زَوِيلَة كما هي العادَة، وصارَ السُّلْطانُ راكِبًا بمفرده وابنُ النَّقّاش أيضًا راكِبا بجانبه، وسائِرُ الأُمَرَاء والمماليك مُشاةٌ في رِكابِه على تَرْتيبهم،/ إلى أن وَصَلَ السُّلْطانُ إلى المارِسْتان المَنْصوري بَيْنَ القَصْرَيْن، فنَزَل إليه ودَخَلَ القُبَّة، وزارَ قَبْر أبيه وجَدِّه وإخْوَتِه، وجَلَسَ وقد حضَرَ هناك مَشايخُ العِلْم والقُضَاةُ، فتذاكَروا بين يديه مَسائِل علمية، ثم قامَ إلى النَّظَر في أمُور المَرْضَىٰ بالمارِسْتان، فدارَ عليهم حتى انتهى غَرَضُه من ذلك، وخَرَج فركب وسارَ نحو باب النَّصْر، والنَّاسُ مُشاةٌ في رِكابِه إلَّا ابن النَّقّاش فإنَّه راكِبٌ بجانِبه، إلى أن وَصَلَ إلى رَحْبَة الجامِع الحاكِمي، فوَقَفَ تِجاه دار الهِزْماس وأَمَرَ بهَدْمِها، فهُدِمَت وهو واقِفٌ، وقُبِضَ على الهِزْماس وابنه، وضُرِبَ بالمقارِع عدَّة شِيُوبٍ، ونُفِيَ من القاهِرَة إلى مِصْياف. فقال الإمامُ العَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّين محمد بن عبد الرَّحْمَن ابن الصَّائِغ الحَنَفي في ذلك:

[مجزوء الرمل]

قَد ذَاقَ هِزماسُ الخَسارَه ... مِن بعد عِزٍّ وجَسَارَه

حَسِبَ البُهْتَانَ يَبْقَى ... أَخْـرَبَ الله دِيـارَه

فلمَّا قُتِلَ السُّلْطانُ في سنة اثنتين وستين، عادَ الهِزْماسُ إلى القاهِرَة، وأعادَ بعض دارِه.

فلمَّا كانت سنة ثمانين وسبع مائة، صارت هذه الدَّارُ إلى الأمير جَمال الدِّين بن عبد الله ابن بَكْتَمُر الحاجِب، فأنشأها قاعَةً وعِدَّةَ حَوانيت ورَبْعًا عُلْوَ ذلك، وانتقل من بعده إلى أوْلاده، وهو بأيديهم إلى اليوم.

دارُ أوْحَدِ الدِّين

هذه الدَّارُ بداخِل دَرْب السَّلَّامي من[b] رَحْبة باب العيد مُقابل قَصْر الشَّوْك وإلى جانب المارِسْتان العَتيق الصَّلاحِي. كان مَوْضِعُها من حُقُوق القَصْر الكبير وصار أخيرًا طاحُونًا، فهَدَمَها القاضي أوْحَدُ الدِّين عبد الواحِد أيَّامَ كان يُباشِر تَوْقيع الأمير الكبير بَرْقوق بعد سنة ثمانين وسبع مائة.

---

a) بياض في آياصوفيا بمقدار كلمتين. b) بولاق: في.

فلمَّا حُفِرَ أَسَاسُ هذه الدَّار، وُجِدَ فيه هيئةُ قُبَّة معقودة من لَبِن، وفي داخِلها إنسانٌ مَيِّت قد بَلِيَت أكْفَانُه، وصارَ عَظْما نَخِرًا، وهو في غايَةِ طُول القامَة يكون قَدْر خمسة أذْرُع، وعِظامُ ساقَيْه خِلاف ما عُهِدَ من الكِبَر، ودِماغُه عَظِيمٌ جِدًّا.

فلمَّا كَمُلَت هذه الدَّار سَكَنَها أيَّامَ مُباشَرَته وظَيفَة كِتابَة السِّرِّ إلى أن ماتَ بها، وقد حَبَسَها على أوْلادِه، فاستمرَّت بأيْديهم إلى أن أَخَذَها منهم الأميرُ جَمالُ الدِّين يُوسُف الأُسْتادَّار، كما أَخَذَ غيرها من الأوْقاف، فاستمرَّت في جملة ما بيده إلى أن قَتَلَه الملكُ النَّاصِرُ فَرَج، فقبَضَها فيما قَبَض ممَّا خَلَّفَه جَمالُ الدِّين.

فلمَّا قُتِلَ الملكُ النَّاصِرُ فَرَج، واستقلَّ الملكُ المُؤَيَّدُ شَيْخ بمملكة مصر، اسْتَرْجَع أوْلادُ جَمال الدِّين ما كان أَخَذَه النَّاصِرُ من أمْلاكِ جمالِ الدِّين، وصارَت بأيْديهم إلى أن وَقَفَ له أوْلادُ أَوْحَد الدِّين في طَلَب دار أبيهم، فعُقِدَ لذلك مَجْلِسٌ اجْتَمَعَ فيه القُضَاة، فتبيَّنَ الحَقُّ[a] بيد أوْلاد أَوْحَد الدِّين، فقَضَى بإعادَة الدَّار إلى ما وَقَفَها عليه أَوْحَد الدِّين، فتسلَّمها أوْلادُ أَوْحَد الدِّين من وَرَثَة جَمال الدِّين، وهي الآن بأيْديهم.

عَبْدُ الواحِد بن إسماعيل بن ياسين الحَنَفي، أَوْحَدُ الدِّين كاتِب السِّرّ[1] - وُلِدَ بالقاهِرَة، ونَشَأ بها في كَنَفِ قاضِي القُضَاة جَمال الدِّين عبد الله بن عليّ التُّرْكُماني الحَنَفي لصَهارَةٍ كانت بين أبيه وبين التُّرْكُمانية، وباشَرَ تَوْقيع الحُكْم مُدَّةً.

واتَّفَقَ أنَّ أميرًا من أُمَرَاء الملك الأَشْرَف شَعْبان بن حُسَيْن، يُعْرَف بيُونُس الرَّمَّاح، ماتَ، فادَّعى بَرْقُوق العُثْماني - أَحَدُ المماليك اليلْبُغاوية - أنَّه ابنُ عَمِّ يُونُس هذا، وأنَّه يستحق إرْثَه لمَوْته عن غير وَلَدٍ، وحَضَرَ إلى المَدْرَسة الصَّالِحيَّة بَيْنَ القَصْرَيْن - حيث يجلسُ القُضَاةُ للحُكْم بين النَّاس - حتى يُثْبِت ما ادَّعاه. فلِمَا أرادَه الله[b] من إسْعاد جَدِّ أَوْحَدِ الدِّين، لم يَقِف بَرْقوق على أَحَدٍ من موقِّعي الحُكْم إلَّا عليه، وأَخْبَرَه بما يُريد، فبادَرَ إلى تَوْريق سُؤالٍ باسمِ بَرْقوق، وإنْهائِه أنَّه ابن عَمّ

a) بولاق: أن الحق. b) بولاق: فلما أراد الله.

[1] أَوْحَدُ الدِّين عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين بن أبي فَيْض الإفريقي المصري الحنفي كاتبُ السِّرّ، المتوفى بالقاهرة سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م. (راجع، المقريزي: السلوك ٣: ٥٢٦؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٣: ٣٤ وإنباء الغمر ١: ٢٩٥؛ ابن قاضي شهبة: تاريخ ١: ١٤٦؛ أبا المحاسن: المنهل الصافي ٧: ٣٧٦-٣٧٧ والنجوم الزاهرة ١١: ٢٢٨، ٣٠١؛ الصيرفي: نزهة النفوس ١: ١٠٨).

يُونُس الرَّمَّاح ، وأنَّ عنده بَيِّنَةً تَشْهَدُ بذلِك ، ودَخَلَ بهذا السُّؤال إلى قاضي القُضَاة ، وأنْهَى العَمَل حتى ثَبَتَ أنَّ بَرْقوق ابن عَمِّ يُونُس يستحق إرْثَه .

فلمَّا فَرَغَ من ذلك دَفَعَ بَرْقوق إلى أَوْحَدَ الدِّين مبلغ ذلك[a] أجرة تَوْريقِهِ ، كما هي عادَةُ أَهْلِ مصر في هذا ، فامْتَنَع من أَخْذِها ، وأَلْحَف بَرْقوق في سُؤاله وهو يَمْتَنِع . فتقلَّد له بَرْقوق المِنَّة بذلك ، واعْتَقَدَ أمانَتَه وخَيْرَه ، وصارَ ـ لكثرة رُكونِه إليه ـ إذا قَدِمَ فلَّاحُو إقْطاعِه يبعثهم إليه حتى يُحاسِبهم عمَّا حَمَلوه من الخَراج .

فلمَّا قُتِلَ الملكُ الأَشْرَفُ ، وثارَتِ المماليكُ وكان من أَمْرِهم ما كان إلى أن تَغَلَّب بَرْقُوق ، وصارَ من جملة الأُمَرَاء ، واستولى على الإسْطَبْل السُّلْطاني في شهر رَبيع الآخر سنة تسعٍ وسبعين وسبع مائة ، وصارَ أميرآخُور أقامَ أَوْحَدَ الدِّين مُوَقِّعًا عنده .

وما زالَ أَمْرُ بَرْقوق يَزْدادُ قُوَّةً حتى أُنيطت به أُمُورُ المملكة كلُّها ، فصارَ أَوْحَدُ الدِّين صاحِبَ الحَلِّ والعَقْد ، وكاتِبُ السِّرّ بَدْر الدِّين محمد بن عليّ بن فَضْل الله اسْمًا لا معنى له إلى أن جَلَسَ الأميرُ بَرْقُوق على تَخْت المملكة في شهر رَمَضان سنة أربعٍ وثمانين وسبع مائة ، فقَرَّرَ القاضي أَوْحَد الدِّين في وَظيفَة كِتابَة السِّرّ عوَضًا عن ابن فَضْل الله ، وخَلَعَ عليه في يوم السبت ثاني عشر شَوَّال من السنة المذكورة . فباشَر كِتابَة السِّرّ على القالَب الجاير ، وضَبَطَ الأُمورَ أَحْسَن ضَبْطٍ ، وعَكَفَ سائِرُ النَّاس على بابِه لتمكُّنه من سُلْطانِه .

وكان الأميرُ يُونُسُ الدَّوادار يَرَى أنَّه أكثر النَّاس من الأُمَرَاء تَمْكينًا من السُّلْطان ، وجَرَت العادَةُ/ بانْتِماء كاتِب السِّرّ إلى الدَّوادار . فأَحَبَّ أَوْحَدُ الدِّين الاسْتِبْداد على الأمير يُونُس الدَّوادار ، فقال للسُّلْطان سِرًّا في غَيْبَة يونُس : إنَّ السُّلْطانَ يَرْسم بكِتابَة مُهِمَّات الدَّوْلَة وأَسْرار المملكة إلى البلاد الشَّامية وغيرها ، والأمير الدَّوادار يُريد من المَمْلوك أن يَطَّلِعَ على ذلك ، فلم يَقْدِر المَمْلوكُ على مُخالَفَته ، ولا أَمْكَنَه إعْلامه إلَّا بإذن . فأَنِفَ السُّلْطانُ من ذلك ، وقال : الحَذَرُ أن يَطَّلِعَ على شيءٍ من مُهِمَّات السُّلْطان أو أَسْرارِه ؛ فقال : أَخافُ منه إن سَأَل ولم أُعْلِمه ؛ فقال السُّلْطانُ : ما عليكَ مِنه . فرأى أنَّه قد تمكَّن حينئذٍ فأَمْسَكَ أيَّامًا .

ثم أَراد الازْدِيادَ من الاسْتِبْداد ، فقال للسُّلْطان سِرًّا : قد رَسَم السُّلْطان أَلَّا يَطَّلِع أَحَدٌ على سِرِّ السُّلْطان ، ولا يَعْرف بما يكْتُب من المُهِمَّات وطائِفَة البَريدِيَّة كلُّهم يمشون في خِدْمَة الدَّوادار ،

a) بولاق : دراهم .

فإذا اقْتَضَت آراءُ السُّلْطان تَسْفيرَ أَحَدٍ منهم في مُهِمّ، يحتاج المملوك إلى اسْتِدْعائِه من خِدْمَة الأمير الدَّوادار، فإذا الْتَمَسَ منّي أنّي أخبره بالمعنى الذى توجّه فيه البَريدي لا أَقْدِر على إعْلامِه بذلك ولا آمَن إن كَتَمْتُه، وانْصَرَف.

فلمّا كان من الغَد، وطَلَعَ الأُمَرَاءُ إلى الخِدْمَة على العادَة، قال السُّلْطانُ للأمير يُونُس الدَّوَادار: أَرْسِل البَريديَّة كلَّهم إلى كاتِب السِّرّ ليَمْشوا ويَرْكَبوا معه. فلم يجد بُدًّا من إرْسالِهم، وحَصَل عنده من إرْسالِهم المقيم المُقْعَد [a].

فصارَ البَريديَّة يَرْكَبون نُوَبًا في خِدْمَة أَوْحَد الدِّين، ويتصرَّف في أُمُور الدَّوْلَة وَحْدَه مع سُلْطانِه. فانْفَرَدَ بالكلمَة، وخَضَعَ له الخاصُّ والعامُّ؛ إلّا أنّه نُغِّصَ عليه في نَفْسه، ومَرِضَ مَرَضًا طَويلًا سَقَطَت معه شَهْوَةُ الطَّعام، بحيث أنّه لم يكن يَشْتَهي شيئًا من الغَذَاء، وتُنَوَّع له المآكِل بين يَدَيْه لكي تَميل نفسه إلى شيءٍ منها، ومتى تَنَاوَل غذاءً تَقَيَّأَه في الحال. وما زال على ذلك إلى أن ماتَ عن سَبْعٍ وثلاثين سنة، في يوم السبت ثاني ذي الحجّة سنة ستٍّ وثمانين وسبع مائة، ودُفِنَ خارج باب النَّصْر [1]، فلم يتأَخَّر أَحَدٌ من الأُمَرَاء والأَعْيان عن جَنازَته.

وكان حَسَن السِّياسَة، رَضِيَّ الخُلُق، عاقِلًا، كثير السُّكون، جَيِّد السِّيرَة، جَميل الصُّورَة، حَشِم [b] الهَيْئَة، عارِفًا بأمْر دُنْياه، مُحِبًّا للمُداراة، صاحِب باطِن، قَليل العِلْم، رحمه الله.

رَبْعُ الزَّيتي

هذا الرَّبْعُ كان بجوار قَنْطَرة الحاجِب التي على الخَليج النّاصِريّ [2]، وكان يشتمل على عِدَّة مَساكِن ينزلها أهلُ الخَلاعَة للقَصْف، فإنّه كان يُشْرِف من جِهاتِه الأَرْبَع على رِياضٍ وبَساتين. ففي شرقيه غَيطُ الزَّيْتي وقد خَرِبَ وموضعه اليوم بِرْكَة ماء. وفي غربيه غَيطُ الحاجِب بَيْبَرْس - وأدركته عامِرًا، وهو اليوم مَزارِع بعد ما كان له بابٌ كبيرٌ بجانبه حَوْضُ ماءٍ للسَّبيل، وعليه سِياجٌ من طينٍ دائِرٍ به - ومن قِبْلي هذا الرَّبْع الخَليج وقَنْطَرة الحاجِب والجُنَيْنَة التي بأرض الطَّبّالة، ومن بَحْرية بَساتين تَتَّصل بالبَعْل وكُوم الرِّيش.

---

a) بولاق: المقعد. b) بولاق: حسن.

---

[1] أضاف ابن قاضي شهبة: بتربة جده فخر الدّين بن التركماني (تاريخ ١: ١٤٦). [2] فيما يلي ٥٠٥.

وما زال هذا الرَّبْعُ معمورًا بالمَلَذَّات[a]، آهِلًا بكَثْرة المَسَرَّات إلى أن كانت سَنَةُ الغَرْقَة ـ وهي سنةُ خمسٍ وخمسين وسبع مائة ـ فخَرِبَت دُورُ كُوم الرِّيشِ وغيرها، ووصَلَ ماءُ النِّيل إلى قَنْطَرة الحاجِب، فخَرِبَ رَبْعُ الزَّيْتي وأُهْمِل أمْرُه، حتى صارَ كُومًا عظيمًا، تِجاه قَنْطَرة الحاجِب وغَيط الحاجِب. وسمِعْتُ من أدركته يُخْبر عن هذا الرَّبْع بعَجائِب من الملاذ التي كانت فيه.

٥ وكانت العامَّةُ تقول في هَزْلها: «سِتِّي أَيْن كنتي وأَيْن رُحْتي وأيْن جيتي. قالت: من رَبْع الزَّيْتي»: [الكامل]

ثُمَّ انْقَضَت تِلكَ السُّنون وأهْلُها ... فكأنَّها وكأنَّهم أَحْلامُ[1]

الدَّارُ التي في أوَّل البَرْقِيَّة من القاهِرة التي حِيطانُها حِجارة بِيض مَنْحُوتة

١٠ هذه الدَّارُ بقي منها جِدارٌ على يمين من سَلَكَ من المَشْهَد الحُسَيْني يُريد باب البَرْقيَّة، وبقي منها أيضًا جِدارٌ على يَمين من سَلَك من رَحْبَة الأَيْدَمُري إلى باب البَرْقِيَّة. وهي دارُ الأمير صُبَيْح ابن شاهِنْشاه، أَحَدِ أُمَراء الدَّوْلَة الفاطِمية في أيام الصَّالِح طلائِع بن رُزِّيك، وكانت في غايَة الكِبَر والتَّخْشين. قال بَعْضُ أصْحاب الصَّالِح: يا مَوْلانا أبْقاكَ الله حتى تُتِمَّ دارَ ابن شاهِنْشاه.

وكان الضِّرْغامُ، قبل أن يَلِيَ وَزارَة مصر، قد فَرَّسَ العادِلَ أبا شُجاع رُزِّيك بن الصَّالِح طَلائِع ١٥ ابن رُزِّيكَ، فظَهَر منه فارسًا في غايَة الفُروسية، بحيث أنَّه قد حَضَر في يوم عيد الحَلْقَة، وأَخَذَ رُمْحًا وحَرْبةً وقَوْسًا وسَهْمًا، فأَخَذَ الحَلْقَة بالرُّمْح، ورَمَى بالسَّهْم فأصابَ الغَرَض، وجَدَّف بالحَرْبَة فأثْبتها في المرمى، ولعب بالرُّمْح في غايَة الحُسْن. ثم دَخَلَ صُبَيْح بن شاهِنْشاه، فعَمِل مثل ذلك. فتحرَّكَ الضِّرْغامُ ـ وكان يلبس عِمامَةً بعَذَبَة وأَكْمام واسَعَة على زِيِّ المصريين يومَئِذٍ ـ فتلثَّم بعَذَبَتِه، ولفَّ أكمامَه، وأَخَذَ رُمْحَه، ولعب به في غايَة الحُسْن، وطَرَدَ كذلك، ودَخَلَ في ٢٠ الحَلْقَة وأَخَذَها. فعَجِبَ منه كلُّ من في العَسْكر، فأَخَذَ عند ذلك الأميرُ صُبَيْحُ بن شاهِنْشاه المِبْخَرَة، وأَتَى إليه. وقال: يا مَوْلاي كَفاكَ الله أَمْرَ العَيْن، فإنَّ هذا شيءٌ لا يَقْدِر عليه أحَدٌ. وجَعَلَ يَدُورُ حَوْلَ فَرَسِه ويُبَخِّره، والضِّرْغام يَبْتَسِم ويُعْجِبُه ذلك.

---

a) بولاق: اللذات.

---

[1] المقريزي: مسودة الخطط ١٥٠و.

وبعد هذا كان قَتْلُ ابن شاهِنْشاه على يده في سنة ثمانٍ وخمسين وخمس مائة ، ولم تَكْمُل هذه الدّار .

دار التّمر

هذه الدّارُ بمَدينَة مصر من خارِجها ، فيما انْحَسَر / عنه ماءُ النّيل بعد الخمس مائة من سِني الهجرة ، وتُعْرَف اليومَ بصناعَة التَّمر ، تِجاه الصَّاغَة بخُطّ سُوق المعاريج ، ومن جملتها بَيْت بُرْهان الدّين إبراهيم الحِلِّي ومَدرَسَته ، وهذه الدّارُ وَقفَها القاضي عبد الرَّحيم بن عليّ البَيْساني ، على فِكاك الأَسْرَىٰ من المسلمين ببلاد الفِرِنْج .

قال القاضي مُحْيي الدّين عبد الله بن عبد الظّاهر في كتاب «الدُّرّ النَّظيم في أوْصَاف القاضي الفاضِل عبد الرَّحيم» : ومن جُمْلَة مُبارّه[a] دار التَّمْر بمصر المَحْروسَة ، ولها دَخْلٌ عَظيمٌ يُجْمَع ويُشْتَرى به الأَسْرَىٰ من بلاد الفِرِنْج ، وذلك مستمرٌ إلى هذا الوَقْت . وفي كلِّ وقت يُحْضَر بالأسارَىٰ فيَلْبسون ويَطُوفون ويَدْعون له ، وسمعتهم مِرارًا يقولون : «يا أللّه يا رَحْمن يا رَحيم ، ارْحَم القاضي الفاضِل عبد الرَّحيم» .

وقال القاضي جَمالُ الدّين [b]بن شِيث[1] : كان للقاضي الفاضِل رَبْعٌ عَظيمٌ يُؤَجِّره بمبلغٍ كبيرٍ ، فلمّا عَزَمَ على الحَجّ ركب ومَرّ به وَوَقَفَ عليه ، وقال : «اللَّهُم إنَّك تَعْلَم أنَّ هذا

a) بولاق : مبانيه . b) بياض في نسخة باريس .

[1] القاضي الرئيس جمالُ الدّين عبد الرحيم بن عليّ بن الحسين بن شيث الأموي الإسنائي القُوصي ، وُلِدَ بإسْنَا سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م ونشأ بقُوص ووَلِيَ الدّيوان بها ثم بالإسكندرية ثم بَيْت المَقْدس، وتولّى بعد ذلك كِتابَة الإنشاء للملك المعظَّم شرف الدين عيسى بن أبي بكر بن أيوب في دمشق حيث توفي بها سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٨م ودفن بتربته بقاسِيون . كان تلميذًا للقاضي الفاضِل ومقرَّبًا من الملك المعظم عيسىٰ ، وهو مؤلِّف كِتاب «مَعالِم الكِتابَة ومَغانِم الإصابَة» أحد أوائل كُتُب الإنْشاء التي ترجع إلى العصر الأيوبي . (الصفدي : الوافي بالوفيات ١٨ : ٢٧٩ - ٣٨٣؛ المنذري : التكملة لوفيات النقلة ٣ : ٢١٧ ؛ ابن شاكر : فوات الوفيات ٢ : ٣١٢ - ٣١٥ ؛ الأدفوي : الطالع السعيد ٣٠٥ - ٣٠٨ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٦ : ٣٤٧ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٦ : ٢٧٠) .

وكِتابُه «مَعالِم الكِتابَة» نَشَرَه الخوري قسطنطين إلياس المخَلّص في بيروت سنة ١٩١٣ ، ثم أعاد نشره محمد حسين شمس الدين في بيروت أيضًا ، وصَدَرَ عن دار الكتب العلمية سنة ١٩٨٨ ، ولم أقف على هذا القول في نَشْرَة «معالم الكتابة» .

الخان ليس شيءٌ أحبَّ إليَّ منه (أو قال أَعَزَّ عليّ منه) ، اللَّهم فاشْهَدْ أنّي وَقَفْتُه على فِكاكِ الأَسْرَى [a]من بِلاد الفِرِنْج[a]» .

وقال ابنُ المُتَوَّج : ومن جُمْلَة الأَوْقاف الوَقْف الفاضِلي ، وهو الدَّار المشهورة بصناعَة التَّمْر ، الوَقْف على فِكاك الأَسْرَى من يد العَدُوّ ، المشتملة على مَخازِن وأَخْصَاص وشُوَن ومَنازِل عُلْوية وحَوانيت بمجازِها وظاهِرِها ، وهي اثنا عشر حانُوتًا ، وخمسة مَقاعِد ، وثمانية وخمسون مَخْزَنًا ، وخمسة عشر خُصًّا ، وستُّ قاعات وساحَة ، وستّ شُوَن ، وخمسة وسبعون مَنْزِلًا ، وخمسة مَقاعِد عُلْوية ، الأجرة عن ذلك جَميعه إلى آخر شَعْبان سنة تسع وثمانين وستّ مائة في كلّ شهر ألف ومائةٌ وستة ثلاثون دِرْهمًا نُقْرَة . واستجدَّ بها القاضي جَمال الدِّين [b] الوَجيزي خَليفَة الحُكْم بمصر ، حين كان ينظر في الأَوْقاف ، دارًا من رَبْع الوَقْف فأَكَلَها البحرُ ، فأَمَرَ ببناء زَرِيبَة أمامَها من مالِ الوَقْف .

عِمَارةُ أُمّ السُّلْطان

هذه العِمارَةُ من جملة المَنْحَر ، كانت دارًا تُعْرَف بالأمير جَمال الدِّين أَيْدَغْدي العَزيزي ، ولها بابٌ من الدَّرْب الأَصْفَر الذي هو الآن تُجاه خانْقاه بَيْبَرْس ، وبابٌ من المَحايرين تِجاه الجامِع الأَقْمَر . عُرِفَت هذه الدَّارُ بالأمير مُظَفَّر الدِّين مُوسَى [c]بن الملك[c] الصَّالِح عليّ ابن الملك المنصور سَيْف الدِّين قَلاوون الأَلْفي ، ثم خَرِبَت فأنشأتها خَوَنْد بَرَكَة[d] أم الملك الأَشْرَف شَعْبان بن حُسَيْن بن محمد بن قَلاوون ، وجَعَلَت منها قَيْسارِيَّةً بخُطّ الرُّكْن المُخَلَّق يُباع بها الجُلود ، ويعلوها رَبْعٌ جَليلٌ لسَكَن العامَّة يشتمل على عِدَّة طِباق[1] ، ووَقَفَت ذلك على مَدْرَسَتِها بخُطّ التَّبَّانَة خارج باب زَوِيلَة .

a-a) ساقطة من آياصوفيا . b) بياض في آياصوفيا وباريس قدر كلمة . c-c) ساقطة من بولاق . d) ساقطة من بولاق .

[1] رَبْع جـ. رِباع . هي المساكن الجماعية التي تُؤَجَّر لأكثر من ساكن . ويقابلنا هذا المُصْطَلَح كثيرًا في النُّصوص التاريخية والوثائق الأرشيفية . ويبدو أن هذا النوع من المساكن قد عرف في العاصمة المصرية منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي . وأوّلُ من أشار إلى الرِّباع في العصر الفاطمي ، المَخْزومي في كتاب «المِنْهاج» ، ٤٤ ؛ ولكن ناصِر خُسْرو قبله أشار إلى وجود ثمانية آلاف بَيْت في القاهرة ومصر يؤجرها السُّلْطانُ للنَّاس وتُحَصَّل أُجرَتُها كلَّ شهر =

فلم تَزَل جاريةً في وَقْفِها إلى أن اغْتَصَبَها الوَزيرُ الأميرُ جمالُ الدِّين يُوسُف الأُستادّار فيما أَخَذَ من الأَوْقاف، وجَعَلَها وَقْفًا على مَدْرَسَتِه بخُطِّ رَحْبَة باب العيد من القاهِرَة.

وجعَلَت خَوَنْد بَرَكَة من جملة هذه الدَّار قاعَةً لم يُعَمَّر فيها سوى بَوَّابتها لا غير، وهي أجَلُّ بَوَّابات الدُّور، وقد دخَلَت أيضًا فيما أَخَذَه جَمالُ الدِّين، وصارَت بيد مُباشري مَدْرَسَته إلى أن أَخَذَها السُّلْطانُ الملكُ الأَشْرَفُ أبو النَّصْر[a] بَرْسباي الدُّقْماقِي الظَّاهِري، وابتدأ بعَمَلها وَكالَةً في شَوَّال سنة خمسٍ وعشرين وثمان مائة، فكَمُلَت في رَجَب سنةَ ستٍّ وعشرين، وغَيَّر من الطِّراز المنقوش في الحِجارَة بجانبيْ باب الدُّخول اسم شَعْبان بن حُسَيْن وكَتَب بَرْسباي، فجاءَت من أَحْسَن المباني، ويَعْلوها طِباقٌ للسُّكْنَى.

ولم يُسَخَّر في عِمارَتها أَحَدٌ من النَّاس كما أَحْدَثه وُلاةُ السُّوء في عَمائرهم، بل كان العُمَّالُ من البَنَّائين والفَعَلَة ونحوهم يَوَفُّوْن أُجورَهم من غير عُنْفٍ ولا عَسْفٍ، فإنَّه كان القائِمَ على عِمارَتها القاضي زَيْنُ الدِّين عبد الباسِط بن خَليل ناظِر الجَيْش، وهذه عادَته في أعماله أن لا يُكَلِّف فيها العُمَّال غير طاقَتِهم، ويَدْفَع إليهم أَجْرَهم[b].

a) بولاق: أبو العزيز. b) بولاق: أجورهم، وعلى هامش نسخة آياصوفيا أمام هذا الموضع: بياض عدة أوراق نحو نصف كراسة.

= (سفرنامة ٨٩). وقد استعمل ناصِر خُسْرو لَفْظ «بَيْت» للتدليل على «الرَّبْع». ووَصَفَ سِجِلٌّ حفظه القلقشندي هذه البيوت بـ«الرِّباع السُّلْطانية» (صبح الأعشى ١٠: ٤٥٠). وتُحَصَّل أجرة هذه الرِّباع ـ تَبَعًا لناصر خُسْرو والمخزومي ـ مُشاهَرَةً.

وتعدُّ «الرِّباع» خاصِّيَّةً قاهرية، وهي نَوعٌ من البيوت المجهزة، يمكن أن نجد بها ما بين عشرة وخمس عشرة وِحْدَةً، كلٌّ منها يمكن أن يستوعب نحو عشرة أفراد ويقْطُنُها عَوامُّ النَّاس، وهي بذلك تشبه الـ insula الرومانية. وتوجد الرِّباعُ عادةً في الشوارع الكبيرة وبالقرب من الأسواق، على عكس الدُّور الخاصَّة، ونادرًا ما يكون بها حوش، وتبنى عادةً أعلى صفٍّ من الدَّكاكين أو مخازن البضائع. (راجع، Clerget, M., *Le Caire* I, pp. 316-17; Zakariya, M., «Le *rab*ʿ de Tabbâna», *An. Isl.* XVI (1980), pp. 274-97; Raymond, A., «Le rabʿ, un habitat collectif au Caire à l'époque ottomane», *MUSJ* L/3 (1984), pp. 531-51; Fu'âd ʿSayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, pp. 227-28 أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٣٠٣هـ[٣]).

ذِكْرُ الحَمَّامات

(a)الحَمَّامُ مُذَكَّر مُشْتَقٌّ من الحَميم وهو الماءُ الحار(a)، قال ابنُ سِيدَه : والحَميمُ والحَميمَةُ جَميعًا الماءُ الحار، والحَميمَةُ أيضًا المَحْضُ إذا سُخِّنَ، وقد أَحَمَّه وحَمَّمَه، وكلُّ ما سُخِّنَ فقد حُمِّم. قال ابنُ الأعْرابي : والحَمائِمُ جَمْعُ الحَميم الذي هو الماءُ الحارُّ، وهذا خطأٌ لأنَّ «فَعيلًا» لا يُجْمع على «فَعائِل»، وإنَّما هو جَمْع الحَميمَة الذي هو الماءُ الحارُّ: لغةٌ في الحَميم. [والحَمَّام : الدِّيماسُ مشتقٌّ من الحَميم](b) مُذَكَّرٌ، وهو أَحَدُ ما جاءَ من الأسْماء على «فَعَّال» نحو القَذَّاف والجَبَّان، والجمعُ حَمَّامات. قال سِيبَوَيْه : جَمَعُوه بالألف والتاء وإن كان مذكَّرًا حين لم يُكَسَّر، جَعَلوا ذلك عِوَضًا عن التكسير.

والاسْتِحْمامُ الاغْتِسالُ بالماءِ الحارّ، وقيل هو الاغْتِسالُ بأي ماءٍ كان، والحَميمُ العَرَقُ، واسْتَحَمَّ الرَّجُلُ : عَرِقَ.

وأمَّا قَوْلُهم لداخِل الحَمَّام إذا خَرَجَ : «طابَ حَميمُكَ» فقد يُعْنى به [الاسْتِحمامُ - وهو مَذْهَب أبي عُبَيْد -، وقد يُعْنى به](b) العَرَقُ، أي طابَ عَرَقُكَ. وإذا دُعِيَ له بطيبِ العَرَقِ فقد دُعِيَ له بالصِّحَّة، لأنَّ الصَّحيحَ يطيبُ عَرَقُه[1].

ورُوِي عن سُفْيان الثَّوْري أنَّه قال : ما دِرْهَمٌ يُنْفقه المُؤْمِنُ هو فيه أعْظَمُ أجرًا من دِرْهَم يُعطيه صاحِب حَمَّامٍ ليخلِّيه له. قال محمد بن إسْحاق في كِتاب «المُبْتدأ» : إنَّ أَوَّلَ من اتَّخذ الحَمَّامات والطِّلاء بالنُّوْرَة سُلَيْمان بن داود - عليهما السَّلام - وأنَّه لمَّا دَخَلَه(c) ووَجَدَ غَمَّه(d) قال : «أَوَّاه من عَذاب الله أَوَّاه».

وذَكَرَ المُسَبِّحي في تاريخه أنَّ العَزيزَ/ بالله نِزار بن المُعِزّ لدين الله أَوَّل من بَنَى الحَمَّامات بالقاهِرَة[2].

---

a-a) ساقطة من بولاق. b) إضافة من المحكم لابن سيدة. c) بولاق : دخل. d) بولاق : حميمه.

---

[1] ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ٢: ٣٨٥- ٣٨٦. الزهور ١/١: ١٩٢.

[2] المسبحي : نصوص ضائعة ٤١٧ ابن إياس : بدائع وراجع عن حمامات مصر والقاهرة، عبد اللطيف =

وذَكَرَ الشَّريفُ [محمد بن][a] أسْعَد الجَوّاني، عن القاضي القُضاعيّ، أنَّه كان في مصر الفُسْطاط ألف ومائة وسبعون حَمّامًا[1].

وقال ابنُ المُتَوَّج: إنَّ عِدَّة حَمّامات مصر في زَمَنه بضع وسبعون حَمّامًا.

وذَكَرَ ابنُ عبد الظَّاهِر أنَّ عِدَّة حَمّامات القاهِرَة إلى آخر سنة خمسٍ وثمانين وستّ مائة تَقْرُب من ثمانين حَمّامًا[2]. وأقَلّ ما كانت الحَمّاماتُ ببغداد، في أيام الخَليفَة النَّاصِر أحمد ابن المُسْتَضِيء[b]، نحو الألْفَيْ حَمّام.

حَمّاما السَّيِّدَة العَمَّة

قال ابنُ عبد الظَّاهِر: حَمّاما الكافي[c] يُعْرَفان بحَمّامَي السَّيِّدَة العَمَّة، وانتقلتا إلى الكامِل ابن شاوَر، ثم إلى وَرَثَة الشَّريف بن ثَعْلَب، وهي[d] الآن بأيْديهم، ولا تَدور إلَّا الواحدة[3].

[e]وهذان الحَمّامان ذِكْرُهما في كُتُب الأمْلاك القَديمَة كثيرٌ جدًّا، و[e]كانتا على يَمْنَة من يَدْخُل من أوَّل حارَة الرُّوم، تِجاه رَبْع الحاجِب لُؤلُؤ[f] المعروف الآن برَبْع الزَّيّاتين عُلْوَ الفُنْدُق الذي بابُه بسُوق الشَّوائين. وكانت أحَدُهُما[g] برَسْم الرِّجال، والأخرى برَسْم النِّساء، وقد خَرِبَتا ولم يَبْقَ لهما أثَرٌ ألبتَّة[4].

---

a) إضافة اقتضاها السياق. b) بولاق: المستنصر. c) بولاق: الكامل. d) بولاق: وهما. e-e) من المسودة، في سائر النسخ: وهاتان الحمامان. f) ساقطة من بولاق. g) بولاق: إحداهما.

= البغدادي: الإفادة والاعتبار ٦٩- ٧١؛ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٠١- ١٠٤؛ ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٠٤- ١٠٧، جومار: وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل ٢١٥- ٢٢٣؛ ودراستي إدموند بوتي Pauty, E., *Les Hammams du Caire*, Le Caire - MIFAO LXIV 1933، وأندريه ريمون Raymond, A., «La localisation des bains publics au Caire au quinzième siècle d'après les *Khitat* de Maqrîzî», *BEO* XXX (1978), pp. 347-58؛ سعاد محمد حسن: الحمامات في مصر الإسلامية - دراسة معمارية أثرية، رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة ١٩٨٤.

[1] انظر فيما تقدم ٢: ١٢٥.

[2] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٠٣؛ المقريزي: مسودة الخطط ٢٠ظ.

[3] نفسه ١٠١؛ نفسه ٢٠ظ.

[4] المقريزي: مسودة الخطط ٢٠ظ.

حَمّام السّاباط

قال ابنُ عبد الظّاهِر: كان في القَصْر الصَّغير بابٌ يُعْرَف بباب السّاباط، كان الخَليفَةُ في العيد يَخْرُج منه إلى المَيْدان - وهو الخُرُنْشُف الآن - وإلى المَنْحَر لِيَنْحَر فيه الضَّحايا [1].

قُلْتُ [a]: حَمّامُ السّاباط هذا يُعْرَف في زَمَنِنا بحَمّام المارِسْتان، وهو بِرَسْم دُخُول النِّساء عند باب سِرِّ المارِسْتان المَنْصوري. وهذا الحَمّامُ هو حَمّامُ القَصْر الصَّغير الغربي، ويُعْرف أيضًا بحَمّام الصَّنيمَة. فلمّا زالَت دَوْلَةُ الخُلَفَاء الفاطِميين من القاهِرَة، باعَها القاضي سَديد الدِّين [b] أبو المَنْصور محمد بن المُنْذِر بن محمد العَدْل الأنْصاري الشّافِعِيّ، وَكيلُ بَيْت المال في أيّام الملك العَزيز عُثْمان بن صَلاح الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب، للأمير عِزّ الدِّين أَيْبَك العَزيزي، هي وساحات تُحاذيها، بألف ومائتي دينار في ذي الحجّة سنة تسعين وخمس مائة. ثم باعَها الأميرُ عِزّ الدِّين أَيْبَك للشَّيْخ أمين الدِّين قَايْماز بن عبد الله الحَمَوي التّاجِر بألف وستّ مائة دينار، فوَرِثَها من بعده من استحقّ إرْثَه، ثم اشْتَرى من الوَرَثَة نصفَها الأميرُ الفارِس صَارِمُ الدِّين خَطْلُبا الكامِلِيّ العادِلِيّ في سنة سبع وثلاثين وستّ مائة - [c]وخَطْلُبا هذا هو صاحِب الحِكْر الذي خارج باب الخُوخَة المعروف بحِكْر الفارس خَطْلُبا وقد ذُكر في الأحْكار[2][c] - وانتقلت أيضًا منها حِصَّةٌ إلى مِلْك الأمير عَلاء الدِّين أَيْدَكين البُنْدُقْداري الصّالِحِي النَّجْمي، أُسْتاذّار الملك الظّاهِر بَيْبَرْس [3]، في سنة ثمانٍ وسبعين وستّ مائة.

فلمّا تَمَلَّكَ الملكُ المَنْصور قَلاوون الألْفي، وأنشأ المارِسْتان الكبير المَنْصوري، صارَت فيما هو مَوْقوف عليه، وهي الآن في أَوْقافِه، ولها شُهْرَة في حَمّامات القاهِرَة [4].

---

a) مسودة الخطط: قال المؤلف. b) بولاق: مؤيد الدِّين. c-c) إضافة من مسودة الخطط.

---

[1] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٠٢؛ المقريزي: مسودة الخطط ٢٠ظ؛ وفيما تقدم ٢: ٥٠١.

[2] فيما يلي ٣٩٩-٤٠٠.

[3] انظر عنه فيما يلي ٢: ٤٢٠.

[4] المقريزي: مسودة الخطط ٢٠ظ - ٢١و.

a) حَمَّام ابن حُبَاسَة

بالخَرَّاطِين الآن المعروف قَديمًا بالقَشَّاشين وهي الآن جارية في أَوْقاف الأمير جَمال الدِّين يُوسُف الأُسْتادَّار على مَدْرَسَتِه بِرَحْبَة باب العيد، وفيها نِزاع a) [١].

حَمَّام الصَّنِيعَة

هذه الحَمَّامُ كانت بالقُرْب من خِزانَة البُنُود، على يَسْرَة من سَلَكَ في رَحْبَة باب العيد إلى قَصْر الشَّوْك، وقد خَرِبَت وعُمِلَ في موضعها مَبْيَضَةٌ للغَزْل بالقُرْب من الجَمَالِيَّة [٢].

حَمَّام تُتُر

هذه الحَمَّامُ كانت بخُطِّ دار الوَزارَة الكبرى، وقد خَرِبَت وصارَ مكانُها دارًا عُرِفَت بالأمير الشَّيْخ عليّ، وهي الدَّارُ المجاورة للمَدْرَسَة النابُلُسِيَّة في الزُّقاق المقابِل لباب b) الخانْقاه الصَّلاحِيَّة سَعيد السُّعَداء [٣].

وتَــتَر هذا - بتاءَين مفتوحتين كلٌّ منهما منقوط بنقطتين من فوق - أَحَدُ مَماليك أَسَد الدِّين شيركوه عَمّ السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب، استولى على هذه الحَمَّام، وكانت مُعَدَّة لدار الوَزارَة في مُدَّة الدَّوْلَة الفاطِمية، فعُرِفَت به هي b) وما حَوْلَها. وإلى الآن يُعْرَف ذلك الخُطّ بخُطِّ خَرائِب تَتَر، والعامَّةُ تقول: خَرائِبُ التَّتَر بالتعريف، وهو خَطأٌ [٤].

حَمَّام كُرْجي

هذه الحَمَّامُ كانت بخُطِّ خَرائِب تَتَر أيضًا، في جِوار المَدْرَسَة النابُلُسية تِجاه باب الخانْقاه الصَّلاحية. عُرِفَت بالأمير عَلَم الدِّين كُرْجي الأَسَدي، أَحَدِ الأُمَراء الأَسَدِيَّة في أيَّام السُّلْطان

---

a-a) ساقطة من بولاق، وجاء موضعها: حمام لؤلؤ. وسيرد فيما يلي ٢٨٣. b) ساقطة من بولاق.

---

[١] المقريزي: مسودة الخطط ٢١و.
[٢] نفسه ٢١و.
[٣] نفسه ٢١و.
[٤] نفسه ٢١و.

صَلاحِ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب [١]. وقد خَرِبَت هذه الحَمّامُ، وبُنِيَ في مَكانِها هذا البِناءُ الذي تِجاه باب الخانْقاه بأوَّل الزُّقاق.

حمّامُ كُتَيْلَة

هذه الحَمّامُ كانت داخل باب الخُوخَة برأس سُوَيْقَة الصَّاحِب، عُرِفَت أخيرًا بالأمير صارِم الدِّين ساروج شادّ الدَّواوين في أيَّام [a]، [b]على يَسْرَة من سَلَكَ من سُوَيْقَة الصَّاحِب إلى باب الخُوخَة[b] ثم خَرِبَت. ومَكانُها الآن مَسْمَطٌ تُذْبَح فيه الغَنَم وتُسْمَط [٢].

حمّامُ ابن أبي الدَّم

هذه الحَمّامُ كانت فيما بين سُوَيْقَة المَسْعودي وباب الخُوخَة؛ أنشأها [c] ابن أبي الدَّم اليَهودي، أحَدُ كُتَّاب الإنْشاء في أيَّام الخَليفَة الحاكِم، وتَوَلَّى ابن خَيْران الدِّيوان، ونُقِلَ عنه أنَّه وَسَّع بين السُّطور في كِتابٍ كَتَبَه إلى الخَليفَة عن [c] وهذه مُكاتَبَة الأعْلىٰ إلى الأدْنىٰ، فلمَّا حَضَرَ وأُنْكِرَ عليه، ألْحَقَ بين السَّطْر والسَّطْر سَطْرًا من نِسْبَة اللَّفْظ[d] والمعنى من غير أن يَظْهَر ذلك، فعَفَا عنه.

وقد خَرِبَت، [e]وصارَ مكانُها دَرْبًا فيه دُور يُعْرف بسَكَن القاضي بَدْر الدِّين حسن البُرْديني[e] أحَد خُلَفَاء الحُكْم العَزيز[f] الشَّافِعِي. وأدركت بعض آثار هذه الحَمّام [٣].

حمّامُ الحُصَينيّة

هذه الحَمّامُ كانت في سُوَيْقَة الصَّاحِب من داخِل دَرْب الحُصَينِيَّة، الذي يُعْرَف اليوم بدَرْب ابن عَرَب، وقد خَرِبَت [٤].

---

a) هنا على هامش آياصوفيا: بياض سطر. b-b) إضافة من مسودة الخطط. c) بياض قدر كلمة في آياصوفيا وباريس. d) بولاق: مناسبا للفظ. e-e) عوضًا عن هذه العبارة في مسودة الخطط: وآثار عقود حاصل الماء باقية في الدرب الذي هو سكن صاحبنا القاضي بدر الدين حسن بن البرديني. f) بولاق: العزيزي.

---

[١] المقريزي: مسودة الخطط ٢١و-ظ.
[٢] نفسه ٢١ظ.
[٣] نفسه ٢١ظ.
[٤] نفسه ٢١ظ.

حَمَّامُ الذَّهَب

هذه الحَمَّامُ كانت بدار الذَّهَب ـ إحدى مَناظِر الخُلَفَاء الفاطِميين التي ذُكِرَت في المَناظِر من هذا الكِتاب[١] ـ وقد خَرِبَت هذه الحَمَّامُ ولم يَبْق لها أَثَر[٢].

/ حَمَّامُ ابن قِرْقَة

٥ هذه الحَمَّامُ كانت بِخُطِّ سُوَيْقَة المَسْعودي من حارَة زَوِيلَة. أنشأها أبو سَعيد بن قِرْقَة الحكيم، مُتَوَلِّي الاسْتِعْمالات بدار الدِّيباج وخَزَائِن السِّلاح في الدَّوْلَة الفاطِمية، بجوار دارِه التي تَقَدَّمَت في الدُّور من هذا الكِتاب[٣]. ثم عُرِفَت هذه الحَمَّامُ في الدَّوْلَة الأَيُّوبِيَّة بالأمير صَارِم الدِّين المَسْعودي والي القاهِرَة، المَنْسوب إليه سُوَيْقَة المَسْعودي المذكورة في الأسْواق من هذا الكِتاب[٤].

ثم خَرِبَت هذه الحَمَّامُ، وعُمِلَ في مَوْضِعها فُنْدُقٌ عُرِفَ أخيرًا بِفُنْدُق عِماد[a] الحَمَّامي بجوار جامِع[b] بني المَغْرِبي من جانبه الغَرْبي، وأُخِذَت بِئْرُ هذه الحَمَّام فعُمِلَت للحَمَّام التي تُعْرَف اليوم ١٠ بحَمَّام السُّلْطان[٥].

حَمَّامُ السُّلْطان

هذه الحَمَّامُ يُتَوَصَّل إليها الآن من سُوَيْقَة المَسْعودي ومن قَنْطَرَة الموسكي، وهي من الحَمَّامات القَدِيمَة. عُرِفَت في الدَّوْلَة الفاطِمية بحَمَّام الأَوْحَد وهو [c]، ثم عُرِفَت في الدَّوْلَة الأيُّوبية ١٥ بحَمَّام ابن يَحْيَى، وهو القاضي المُفَضَّل هِبَةُ الله بن يَحْيى العَدْل، ثم عُرِفَت بحَمَّام الطُّيْبَرْس، ثم هي الآن تُعْرَف بحَمَّام السُّلْطان[٦].

---

a) بولاق: عمار. b) في بولاق والنسخ: ابن والتصويب من مسودة الخطط. c) على هامش آياصوفيا هنا: بياض سطر.

---

[١] فيما تقدم ٢: ٥٣٦-٥٣٧، وهذا المجلد ٢٠٦-٢٠٧، وفيما يلي ٢: ٣٢٨.

[٢] المقريزي: مسودة الخطط ٢١ظ.

[٣] فيما تقدم ٢٠٤.

[٤] فيما يلي ٣٤٩.

[٥] المقريزي: مسودة الخطط ٢١ظ، ٢٩و.

[٦] نفسه ٢٤و.

وأضاف ابن أبي السرور البكري: «والآن تُعْرَف =

حمّام خَوَنْد

[a]بحارَة زَوِيلَة[a]

هذه الحَمَّامُ بجوار رَحْبَة خَوَنْد المذكورة في الرّحاب من هذا الكِتاب [١]. وكانت برَسْم الدّار التي تُعْرَف الآن بدار خَوَنْد أَرْدُوتْكين، ثم أُفْرِدَت وصارَت إلى الآن حَمّامًا يدخله عامّةُ الرّجال في أوائِل النّهار، ثم تَعْقُبهم النّساءُ من بعد إلى أن هَدَمَها الأميرُ صَلاحُ الدّين محمد أُسْتادّار السُّلْطان ابن الأمير الوَزير الصّاحِب بَدْر الدّين حَسَن بن نَصْر الله، في شهر رَجَب سنة أربعٍ وعشرين وثمان مائة، وعَمِلَ مَوْضِعَها من جملة دارِه التي هناك [٢]. ٥

حمّام ابن عَبُّود

هذه الحَمّامُ موضعها فيما بين إسْطَبْل الجمَّيزَة، المذكور في إسْطَبْلات الخُلَفاء من هذا الكِتاب، وبين رأْس حارة زَوِيلَة، وهي من الحَمّامات القَديمَة. عُرِفَت بحَمّام الفَلَكِ، وهو القاضي فَلَكُ المُلْك العَدْل [b]؛ ثم عُرِفَت بالأمير عليّ بن أبي الفَوارِس؛ ثم عُرِفَت بابن عَبُّود، وهو الشَّيْخ نَجْم الدّين أبو عليّ الحُسَيْن بن محمد بن إسْماعيل بن عَبُّود القُرَشي الصُّوفي، ماتَ في يوم الجُمُعَة ثالِث عشرين شَوّال سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة، بعد ما عَظُمَ قَدْرُه، ونَفَذَ في أرْباب الدَّوْلَة نَهْيُه وأمْرُه. وهو صَاحِبُ الزّاوية المعروفة بزاوِيَة ابن عَبُّود بلَحْف الجَبَلِ قَريبًا من الدِّينَوَري من القَرافَة الصُّغْرى [c]، فانظرها في الزّوايا من هذا الكِتاب [٣]. ١٠ ١٥

ولم تَزَلْ هذه الحَمّامُ جاريةً في أوْقافِ التُّرْبَة المذكورة إلى أن تَسَلَّط الأميرُ جَمالُ الدّين على أمْوال أَهْل مصر، فاغْتَصَبَ ابنُ أخته الأميرُ شِهابُ الدّين أحمد، المعروف بسيدي أحمد ابن

a-a) إضافة من مسودة الخطط. b) بولاق: العادل. c) إضافة من مسودة الخطط.

= بحمّام قَنْطَرة الموشكي بجوار المدرسة المرادية» (قطف الأزهار ١٦٩ظ).

[١] فيما تقدم ١٦٤.

[٢] ذكرها المقريزي في مسودة الخطط ٢٤و بكلمتين: حمام خَوَنْد بحارة زويلة.

[٣] لم يذكرها في باب الزّوايا!

أُخْت جَمال الدِّين، هذه الحَمَّام [١]، واغْتَصَبَ دارَ ابن فضَل الله التي تِجاه هذه الحَمّام، واغْتَصَبَ آدُرًا أُخَر بجوارها، وعَمَّرَ هناك دارًا عَظيمَةً كما قد ذُكِرَ في الدُّور من هذا الكِتاب [٢].

حَمّام الصّاحِب

هذه الحَمّامُ بسُوَيْقَة الصَّاحِب [٣]، عُرِفَت بالصَّاحِب الوَزير صَفِيّ الدِّين عبد الله بن شُكْر الدَّميري، صاحِب المَدْرَسَة الصَّاحِبِيَّة التي بسُوَيْقَة الصَّاحِب، ثم تَعَطَّلَت مُدَّة سنين. فلمَّا وَلِيَ الأميرُ تاجُ الدِّين الشَّوْبَكي وِلايَة القاهِرَة في أيَّام الملك المُؤَيَّد شَيْخ جَدَّدَها، وأدارَ بها الماء في سنة سبع عشرة وثمان مائة.

حَمّام السُّلْطان

هذه الحَمّامُ كان موضعها قَديمًا من جملة دار الدِّيباج، وهي الآن بخُطِّ بين العَواميد من البُنْدُقانيين، بجوار خُوخَة سُوق الجَوَار ومَدْرَسَة سَيْف الإسْلام. أنشأها الأميرُ فَخْرُ الدِّين عُثْمان ابن قَزَل أُسْتادَّار السُّلْطان الملك الكامِل محمد بن العادِل أبي بكر بن أيُّوب، وتنقَّلت إلى أن صارَت في أوْقافِ الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون [٤].

حَمّامَا طُغْريل [a]

هاتان الحَمَّامان [b]بجوار فُنْدُق فَخْر الدِّين بالقُرْب من سُوَيْقَة حارَة الوَزيرِيَّة[b]. أنشأهما الأميرُ حُسامُ الدِّين طُغْريل[a] المَهْراني أَحَدُ الأُمَراء في الدَّوْلَة[c] الأيُّوبية [٥].

a) بولاق: طغريك. b-b) عوضًا عن ذلك في مسودة الخطط: على يسرة من سَلَكَ من فُنْدُق فَخْر الدِّين طالبًا والي سُوَيْقَة الوزيرية. c) إضافة من مسودة الخطط.

[١] المقريزي: مسودة الخطط ٢٤و.

[٢] فيما تقدم ١٩١.

[٣] لم يذكر المقريزي في مسودة الخطط ٢٤ظ، أكثر من هذه العبارة، وانظر فيما يلي ٣٤٥. وأضاف ابن أبي السُّرور البكري: «والآن تُعْرَف بحمَّام بَيْبَرس صاحب المدرسة البيبرسيَّة، وهو ابن أخت السلطان الغوري، اسْتَبْدلها وصارت من جملة وَقْف المدرسة». (قطف الأزهار ١٧٠و).

[٤] المقريزي: مسودة الخطط ٢٤ظ.

[٥] نفسه ٢٤ظ.

a) حمَّاما الفاضِل

a) [١].

حمّام الشُّوباشي

هذه الحَمَّامُ كانت بدَرْب طَلائع بخُطِّ الخروقيين الذي يُعْرَف اليوم بسُوق القَرّائين، عُرِفَت بالأمير الفارِس هَمَّام الدِّين أبو سعيد بَرْغَش الشُّوباشي، واسمه عَمْرو بن كَجْت بن شَيْرَك العَزيزي، والي القاهِرَة [٢].

حمّام عَجيبَة b)

هذه الحَمَّامُ كانت بخُطِّ الأكْفانيين، أنشأها الأميرُ فَخْرُ الدِّين، أخو الأمير عِزّ الدِّين مَوْسَك، في الدَّوْلَة الأيُّوبية، وتنقَّلت حتى صارَت بيد أولاد الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس البُنْدُقْداري ممَّا أوْقَفَ عليهم، وعُرِفَت أخيرًا بحَمَّام عَجيبَة b)، ثم خَرِبَت بعد سنة أربعين وسبع مائة، ومَوْضِعُها الآن خَرِبَةٌ بجوار الفُنْدُق الكبير المُعَدّ لديوان المَوَارِيث [٣].

حمّام دُرّي

هذه الحَمَّامُ كانت بخُطِّ الأكْفانيين الآن، عُرِفَت بشِهاب الدَّوْلَة دُرّي الصَّغير غُلام المُظَفَّر ابن أمير الجُيُوش.

قال c)الشَّريفُ النَّسَّابة c) محمد بن أسْعَد بن علي الحسيني c)الجَوّاني في كِتاب «النُّقَط لعَجْم ما أشْكِل من الخِطَط» ومنه نَقَلْت c): شِهابُ الدَّوْلَة دُرّي - المعروف بالصَّغير المُظَفَّري - غُلام المُظَفَّر

a-a) إضافة من مسودة الخطط. b) بولاق: عجينة. c) زيادة من مسودة الخطط.

[١] المقريزي: مسودة الخطط ٢٤ظ.
[٢] نفسه ٢٩و.
[٣] نفسه ٢٩و.

ابن[a] أمير الجُيُوش[b]. كان أرْمَنِيًّا وأَسْلَم، وكان من المُتَشَدِّدين[c] في مَذْهَب الإمامية، وقرأ «الجُمَل» في النَّحْو للزَّجَّاجي، وكِتاب «اللُّمَع» لابن جِنِّي. وكانت له خَرائِطُ من القُطْن الأبيض في يديه ورجليه، وكان يتولَّى خَزائِن الكُسْوَة، ولا يَدْخُل على بُسُط السُّلْطان[d] ولا بُسُط الخَليفَة الحافِظ لدين الله، ولا يَدْخُل مَجْلِسَه إلَّا بتلك الخَرائِط في رِجْلَيْه، ولا يأخُذ من أَحَدٍ/ رُقْعَةً إلَّا وفي يَدَيْه خَريطَة: يَظُنّ أنَّ كلَّ من لَمَسَه نَجَّسَه؛ وَسْوَسَةً منه. فإن[e] اتَّفَق أنَّه صافَح أَحَدًا، أو مَسَّ رُقْعَةً بيده من غير خَريطَةٍ، لا يَمَسّ ثَوْبَه بها أبدًا حتى يَغسلها، فإن مَسَّ[f] ثَوْبَه بها غَسَلَ الثَّوْبَ. وكان الأُسْتاذون المُحَنَّكُون يَرْمُون له في بُساط الخَليفَة الحافِظ العِنَب، فإذا مَشَى عليه وانْفَجَر تَوَصَّل[g] ماؤه إلى رجليه سَهَمَ[h] وحَرِدَ، فيَعْجِب الخَليفَةَ ذلك ويُضْحِكه، ولا يُؤَاخِذُه بما يَصْدُر منه. وماتَ بعد سنة ثلاثٍ وثلاثين وخمس مائة [1].

وقد خَرِبَت هذه الحَمَّامُ، ولم يَبْقَ لها أَثَرٌ يُعْرَف.

حَمَّام الرَّصَاصِي

هذه الحَمَّامُ كانت بحارَة الدَّيْلَم، أنشأها الأميرُ سَيْفُ الدِّين حسين بن أبي الهَيْجاء المَرْواني، حامِلُ السَّيْف المَنْصور، وأَوْقَفَها هي وجَميع الآدُرّ المجاورة لها على أَوْلادِه وذُرِّيته. فلمَّا زالَتِ الدَّوْلَةُ الفاطِمِيةُ، عُرِفَت بالأمير عِزّ الدِّين أَيْبَك الرَّصَاصي، ولم تَزَل باقيةً إلى بعد سنة أربعين وسبع مائة ثم خَرِبَت [2].

حَمَّام الجُيُوشِي

هذه الحَمَّامُ كانت بحارَة بَرْجَوان على يَمْنَة من دَخَلَ من رأس الحارَة، وكانت من حُقوق دار المُظَفَّر بن أمير الجُيُوش، ثم صارَت بعد زَوال الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة من جملة ما أَوْقَفَه الملكُ العادِلُ أبو بكر بن أَيُّوب على رِباطِه الذي كان بخُطّ النَّحالِيين[i] من فُسْطاط مصر. ثم وَضَعَ بنو الكُوَيْك،

---

a) ابن: ساقطة من بولاق. b) في مسودة الخطط عوضًا عن ذلك: أخي الأفضل. c) بولاق: المشددين. d) مسودة الخطط: السلاطين. e) بولاق: فإذا. f) بولاق: لمس. g) بولاق: ووصل. والمثبت من المسودة. h) بولاق: سيهم. i) بولاق: النخالين.

---

[1] المقريزي: مسودة الخطط ٢٩و، وفيما يلي ٢: ٤٤٨ - ٤٤٩. [2] نفسه ٢٩و.

أصْهارُ قاضي القُضَاة عِزّ الدّين عبد العَزيز بن جَماعَة ، أيْديهم عليها في جملة ما وَضَعُوا أيْديهم عليه من الأوْقاف بجاه[a] ابن جَماعَة ، وانتفعوا بريعها مُدَّةَ سنين ، ثم خَرَّبوها بعد سنة أربعين وسبع مائة .

ومَوْضِعُها الآن بجوار دار قاضي القُضَاة شَمْس الدّين محمد الطَّرابُلُسي ، وبعضُها داخِلٌ في الدّار المذكورة ، وبِئرُها بجوار القَبْو الذي يُسْلَك من تحته إلى حَمّام الرّومي داخِل حارَة بَرْجَوان ، ٥ ويَعْلو هذا العَقْد حاصِلُ الماء الذي للحَمّام ، ويمرّ على مجراه من حَجَرٍ[b] مُرَكَّبَةٍ على جِدارٍ بجوار القَبْو إلى الحَمّام المذكورة ، وآثارُ هذا الجِدار باقية إلى اليوم [١] .

وكان قد استأْجَر هذه البِئْر والقَبْو بعد تَعَطُّل الحَمّام القاضِي أبو الفِداء تاجُ الدّين إسماعيل ابن أحمد بن الخَطْبا المَخْزومي [٢] ، من مُباشِري أوْقاف رِباط العادِل ، وبَنَى على البِئْر وبجوارها دارًا سَكَنَها مُدَّة أعْوام ، وأنشأ بأعالي[c] حاصِل الماء المُرَكَّب على القَبْو مُشْتَرَفًا[d] عاليًا تأنَّق في تَرْخيمه ١٠ ودِهانِه ، وكَتَبَ بدائِره :

[الخفيف]

مُشْتَرَفٌ كم شَبَّهوه الأُدَبا	لحُسْنِه إذ جاءَ شيئًا عَجَبَا
فَقَالَ قَوْمٌ قَلْعَةٌ مبنيَّةٌ	وآخَرون شَبَّهوه مَرْقَبا
وشَاعِرٌ أعْجَبَه تَرْخيمُه	فقال تلك رَوْضَةٌ فَوْق الرُّبا
وقائِلٌ ماذا تَرَى تَشْبيهَه	فقلت هذا مِنْبَرُ ابن الخَطْبا ١٥

ثم خَرِبَت هذه الدّارُ بعد مَوْت ابن الخَطْبا واحْتَرَقَتْ في سنة تسعٍ وثمان مائة ، وآثارُها باقية . وما زال ابن الخَطْبا يدفع حِكْر هذه البِئر وهذا القَبْو لجهة الرِّباط العادِلي حتى خَرِبَ ، وعَفَى أثره وجُهِلَ مكانُه . وقد رأيتُه في سنة أربعٍ وتسعين وسبع مائة عامِرًا .

حمّام الرّومي

٢٠ هذه الحَمّامُ بجوار حارَة بَرْجَوان ، عُرِفَت بالأميرِ سُنْقُر الرّومي الصّالِحي ، أحَدُ الأُمَرَاء في أيّام الملك الظّاهِر رُكْن الدّين بَيْبَرْس البُنْدُقداري ، [e]كان مَوْجُودًا في سنة اثْنتين وستين وستّ مائة[e] [٣] ،

a) بولاق : بحارة . b) بولاق : حجرة . c) بولاق : بأعلى . d) بولاق : مشرفا . e-e) إضافة من مسودة الخطط .

[١] المقريزي : مسودة الخطط ٢٩و–ظ .
[٢] فيما تقدم ١٦٠ ، وفيما يلي ٣٢٦.
[٣] المقريزي : مسودة الخطط ٢٩ظ .

أنشأها بجوار إسْطَبْله الذي يُعْرَف اليوم بإسْطَبْل ابن الكُوَيْك، وذلك تجاه رَحْبَة دارِه التي عُرِفَت بدار مازان، ووَقَفَ هذه الدَّار والإسْطَبْل والحَمَّام المذكورة في سنة اثنتين وستين وستّ مائة.

فأمَّا الدَّارُ فإنَّها صارَت أخيرًا بيد رَجُلٍ من عامَّة النَّاس يُعْرَف بعيسىٰ البَنَّاء، فباعَها أنْقاضًا بعدما خَرَّبَها في سنة سبعٍ وثمان مائة، لرَجُلٍ من المباشرين، فهدَمها ليعمرها عِمارَةً جَليلَةً، فلم يُمْهَل وعاجَلَه القَضَاءُ فماتَ وصارَت خَرِبَة، فابتاعَها بعضُ النَّاس من وَرَثَةِ المذكور، وشَرَعَ في عِمارة شيء منها.

وأمَّا الإسْطَبْلُ والحَمَّامُ، فوَضَعَ بنو الكُوَيْك أيْديهم عليهما مُدَّةَ أعْوامٍ حتى صارا مِلْكًا لهم يُوَرَّثان، وهما الآن بيد شَرَف الدِّين محمد بن محمد بن الكُوَيْك، وقد جَعَلَ ما يخصُّه من الحَمَّام وَقْفًا على نفسه ثم على أُناسٍ من بعده.

وفي هذه الحَمَّام أيضًا حِصَّةٌ وَقَفَها شيخُنا بُرْهانُ الدِّين إبراهيم الشَّامي الضَّرير على أَمَتِه وهي بيدها.

سُنْقُر الرُّومي الصَّالِحِي النَّجْمي ـ أحَدُ مَماليك الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب البَحْرِيَّة، ترقَّى عنده في الخِدَم حتى صارَ جامْدار، وكان من خُوشْداشِيَّة بَيْبَرْس البُنْدُقْداري وأصْدِقائِه. فلمَّا قُتِلَ الفارِسُ أقْطاي في أيَّام المُعِزِّ أَيْبَك التُّرْكُماني، وخَرَجَت البَحْرِية من القاهِرَة إلى بِلاد الشَّام، كان سُنْقُر مِمَّن خَرَجَ ورافَق بَيْبَرْس، وارْتَفَقَ بصُحْبَته ونالَ منه مالًا وثِيابًا وغير ذلك، وتنقَّل معه في الكَرَك، إلى أن كان من أمْره في الصَّيْد مع صاحِب الكَرَك، فطَلَب سُنْقُر من بَيْبَرْس شيئًا فلم يُجِبْه، وامْتَنَعَ من إعْطائِه، فحَنَقَ وفارَقه إلى مصر فأقامَ بها.

ثم إنَّ بَيْبَرْس قَدِمَ إلى مصر بعد ذلك وقد صارَ أميرًا، فلم يَعْبأ سُنْقُر به، ولا قَدَّم إليه شيئًا كعادَة الخُوشْداشِيَّة. فلمَّا صارَ الأمْرُ إلى بَيْبَرْس، ومَلَكَ بعد قُطز، قَدِمَ سُنْقُر وأعْطاه/ الإقْطاعات الجَلِيلَة ونَوَّه بقَدْرِه فلم يَرْض، فصارَ إذا وَرَد عليه الإنْعامُ السُّلْطاني لا يأخُذُه بقبول، ويخْلو كلَّ وَقْتٍ بجَماعَةٍ بعد جَماعَةٍ، ويفرِّق فيهم المال، فيبلغ ذلك السُّلْطان ويُغْضِي عنه، ورُبَّما بَعَثَ إليه وحَذَّرَه مع الأمير قَلاوون وغيره فلم ينته.

ثم إنَّه قَتَلَ مَمْلُوكَيْن من مماليكه بغير ذَنْبٍ، فعزَّ قَتْلُهما على السُّلْطان، فطَلَبَه في رابع عشرين ذي الحجَّة سنة ثلاثٍ وستين وستّ مائة واعتقله. فقال: أُريدُ أَعْرِف ذَنْبي. فبَعَثَ إليه السُّلْطانُ يُعَدِّد ذُنُوبَه، فتحَسَّر وقال: أوَّاه لو كنتُ حاضِرًا قَتْل الملك المُظَفَّر قُطُز حتى أُعانِد في الذي

جَرَى. وكان كثيرًا ما يقول ذلك، وبَلَغ هذا القَوْلُ منه السُّلْطان في حال إمْرَتِه، فقال: أنت أخي، وتتحسَّر كَوْنَك ما قَدَرت أن تُعينَ عليَّ [a].

حَمَّامُ سُوَيْد

هذه الحَمَّامُ بآخِر سُوَيْقَة أمير الجُيُوش، عُرِفَت[b] بالأمير عِزّ الدِّين مَعالي ابن سُوَيْد [c] و[d]كانت بجانبها حَمَّامٌ أخرى[d] خَرِبَت[١] - ويُقال إنَّها غارَت في الأرض، وهَلَكَ فيها جَماعَةٌ - وبقيت الأخرى، وهي الآن بيد الخَلِيفَة أبي الفَضْل العَبَّاس[e] ابن محمد المُتَوَكِّل.

حَمَّامُ طُغْلُق

هذه[f] الحَمَّامُ بجوار دَرْب المَنْصُوري من خُطّ حارَة الصَّالِحِيَّة. صارَت أخيرًا بيد وَرَثَة الأمير قُطْلُوبُغَا المَنْصوري حاجِب الحُجَّاب في أيَّام الملك الأَشْرَف شَعْبان بن حسين. وكانت مُعَدَّةً لدُخُول الرِّجال، ثم تَعَطَّلَت بعد سنة تسعين وسبع مائة وأُخِذَ حاصِلُها. وعَهْدى بها بعد سنة ثمان مائة أَطْلالًا واهِية[٢].

حَمَّامُ ابن عَلْكان

هذه الحَمَّامُ كانت بحارَة الجَوْذَرِيَّة، أنشأها الأميرُ شُجاعُ الدِّين عُثْمان بن عَلْكان، صِهْر الأمير الكبير فَخْر الدِّين عُثْمان بن قَزَل، ثم انتقلت إلى الأمير عَلَم الدِّين سِنْجِر الصَّيْرَفي الصَّالِحِي النَّجْمي، وما زالَت إلى أن خَرِبَت بعد سنة أربعين وسبع مائة، فعَمَّرَ مكانَها الأميرُ أَزْدَمُر الكاشِف إسْطَبْلًا بعد سنة خمسين وسبع مائة[٣].

---

a) بياض بنسخة باريس. b) في المسودة وسائر النسخ الحديث عن حمام سويد بصيغة المفرد وجاءت في بولاق بالمثنى: حماما، هاتان الحمامان، عرفتا .... c) بياض في آياصوفيا. d-d) إضافة من مسودة الخطط، والعبارة في سائر النسخ: وقد خربت إحداهما. e) بولاق: العباسي. f) بولاق: هذا.

---

[١] المقريزي: مسودة الخطط ٢٥و.

[٢] نفسه ٢٩ظ.

[٣] نفسه ٢٩ظ.

حَمّامُ الصَّاحِب

هذه الحَمَّامُ بخُطِّ طَواجِين المِلْحيين [١].

حَمّامُ كُمُشْبُغا [a] الأَسَدي

هذه الحَمّامُ موضعُها الآن المَدْرَسَةُ النّاصِرِيَّة بخُطِّ بَيْن القَصْرَيْن [٢].

حَمّامُ أَلْتُطْمُش خان

٥

هذه الحَمّامُ كانت بجوار مَيْضَأة الملك رُكْن الدِّين الظّاهِر بَيْبَرْس المجاورة للمَدْرَسة الظّاهِرِيَّة بخُط بَيْنَ القَصْرَيْن . أنشأتها الخاتُون أَلْتُطْمُش خان ، زَوْجَة الملك [b]السَّعيد بن الملك[b] [٣] الظّاهِر رُكْن الدِّين بَيْبَرْس ، ثم خَرِبَت وصارَ مَوْضِعُها زُقاقًا . فلمّا وَلِيَ كمالُ الدِّين عُمَر بن العَديم قَضاءَ القُضَاة الحَنَفِيَّة بالدِّيار المصرية في سَلْطَنَة الملك النّاصِر فَرَج ، شَرَعَ في عِمارَة هذا الزُّقاق فماتَ ولم يُكْمِلُه ، فوَضَع الأميرُ جَمالُ الدِّين يدَه في العِمارَة ، وأنشأها فُنْدُقًا جَعَلَه وَقْفًا فيما وَقَفَ على مَدْرَسَتِه التي أنشأها برَحْبَة باب العيد . فلمّا قَتَلَه الملكُ النّاصِرُ فَرَج ، واسْتَوْلَى على جَميع ما ترَكَه ، جَعَلَ هذا الفُنْدُق من جُمْلَة ما أَرْصَدَه للتُّرْبَة التي أنشأها على قَبْر أبيه الملك الظّاهِر بَرْقوق خارِج باب النَّصْر . [b]فلمّا قُتِل النّاصِرُ فَرَج نازَع وَرَثَتُه في المَدْرَسَة وحَكَمَ لهم باسْتِرْجاعها قاضي القُضَاة صَدْرُ الدِّين بن الأَدَمي الحَنَفي ؛ نازعهم في الفُنْدُق المذكور الأميرُ شاهين الأَفْرَم وكان يلي نَظَر التُّرْبَة المذكورة[a] [١] .

١٠

١٥

حَمّامُ القَاضي

هذه الحَمّامُ من جملة خُطِّ دَرْب الأُسْواني ، وهي من الحَمّامات القَديمَة . كانت تُعْرَف بإنْشاء شِهاب الدَّوْلَة بَدْر الخاصّ أَحَد رجال الدَّوْلَة الفاطِمية . ثم انتقلت إلى مِلْك القاضي رَضِيّ الدِّين

---

a) بولاق : كتبغا . b-b) زيادة من مسودة الخطط .

---

[١] المقريزي : مسودة الخطط ٢٩ظ .
[٢] نفسه ٣٠و .
[٣] نفسه ٣٠و .

عبد النَّاصِر بن تَقِيّ الدِّين فعُرِفَت به ، ثم صارَت إلى مِلْك القاضي السَّعيد أبي المعالي هِبة الله ابن فارِس ، وصارَت بعده إلى مِلْك القاضي كمال الدِّين أبي حامِد محمد ابن قاضِي القُضَاة صَدْر الدِّين عبد الملك بن دِرْباس المارانى ، فعُرِفَت بحَمَّام القاضِي إلى اليوم . ثم باع وَرَثَةُ أبي حامِد منها حِصَّةً للأمير عِزّ الدِّين أَيْدَمُر الحِلّي نائِب السَّلْطَنة في أيام الملك الظَّاهِر رُكْن الدِّين بَيْبَرْس ، وصارَت منها حِصَّةٌ إلى الأمير عَلاء الدِّين طَيْبَرْس الخازِنْداري ، فجَعَلَها وَقْفًا على مَدْرَسَته المجاورة للجامِع الأَزْهَر [١].

حَمَّامُ الخَرّاطِين

هذه الحَمَّامُ أنشأها الأميرُ نُورُ الدِّين أبو الحَسَن عليّ بن نَجَا بن راجِح بن طَلائِع ، فعُرِفَت بحَمَّامِ ابن طَلائِع ، وكان بجوارها ثَمَّ حَمَّامٌ أخرى تُعْرَف بحَمَّام الشُّوباشي فخَرِبَت . ومُسْتَوْقد حَمَّام ابن طَلائِع هذه إلى الآن من دَرْب ابن طَلائِع الشَّارِع بسُوق الفَرّائين الآن ، ولها منه أيضًا بابٌ .

وصارَت أخيرًا في وَقْف الأمير عَلَم الدِّين سِنْجِر المَسْروري[a] المعروف بالخَيَّاط ، والي القاهِرَة وتوفي في سنة ثمانٍ وتسعين وستّ مائة [٢]. فاغْتَصَبَها الأميرُ جمالُ الدِّين يُوسُف الأُسْتاذّار في جملة ما اغْتَصَب من الأوْقاف والأمْلاك وغيرها ، وجَعَلَها وَقْفًا على مَدْرَسَتِه برَحْبَة باب العيد ، وهي الآن مَوْقوفَةٌ عليها [٣].

حَمَّامُ الخُشَيْبَة

هذه الحَمَّامُ بجوار دَرْب السِّلْسِلَة ، كانت تُعْرَف بحَمَّام قَوَام الدَّوْلَة جَبْر بن [b] [c] ثم صارَت حَمَّامًا لدار الوَزِير المَأْمون بن البَطائِحِي . فلمَّا قُتِلَ الخَلِيفَةُ الآمِرُ بأحْكام الله ، وعُمِلَت خُشَيْبَة تَمْنَع الراكِب أن يَمُرّ من تجاه المَشْهَد الذي بُنِيَ هناك ، عُرِفَت هذه الحَمَّام بخُشَيْبَة (تصغير خَشَبَة) ، وقد تقدَّم ذلك مَبْسُوطًا عند ذِكْر الأَخْطاط من هذا الكتاب [٤].

---

a) بولاق : السروري . b) بولاق : خير . c) بياض مقدار كلمة في آياصوفيا .

---

[١] المقريزي : مسودة الخطط ٣٠و-ظ ؛ وتُعْرَف الآن بحَمَّام الأَقْنْدي .

[٢] راجع بعض أخبار الأمير عَلَم الدِّين سِنْجِر المَسْروري المعروف بالخَيَّاط ، والي القاهرة ، ووالي البَهْنَسا ، المتوفى سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م عند ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٨ : ٥٢ ؛ المقريزي : السلوك ١ : ٥٢٩-٥٣٠ ، ٦٧٣ ، ٧٣٦ ، ٧٤٥ ، ٨٨٢.

[٣] نفسه ٣٠ظ . [٤] نفسه ٣٠ظ ، وفيما تقدم ٨٥.

قال ابنُ عبد الظّاهِر : مَدْرَسَةُ السُّيوفيين وَقَفَها الأميرُ عِزُّ الدِّين فَرْخشَاه[a] [قريبُ صَلاح الدِّين][b] على الحَنَفِيَّة . وكانت هذه الدّارُ قَديمًا تُعْرَف بدار المأْمُون بن البَطائِحي وحَمّام الخُشَيْبَة كانت لها فأُبيعت[c] [1] . [d]قال كاتِبُه[d]: وهذه الحَمّامُ هي الآن في أَوْقاف خَوَنْد طُغاي أم أَنُوك زَوْج[e] الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون على تُرْبتِها التي في الصَّحْراء خارج باب البَرْقِيَّة [2] .

حَمّامُ الكُوَيْك

هذه الحَمّامُ فيما بين حارَة زَوِيلَة ودَرْب شَمْس الدَّوْلَة ، أنشأها الوَزيرُ عَبّاس ـ أَحَد / وُزَراء الدَّوْلَة الفاطِمية – لدارِه التي موضعها الآن بدَرْب شَمْس الدَّوْلَة [d]المعروفة بدار تقيّ الدِّين صاحِب حَماه[d]، ثم جَدَّدها شَخْصٌ من التُّجّار يُعْرَف بنُور الدِّين عليّ بن محمد بن أحمد بن محمود بن الكُوَيْك الرَّبَعي التَّكْريتي ، في سنة تسع وأربعين وسبعَ مائة ، فعُرِفَت به إلى اليوم . [d]وهذه الحَمّام لها بابان أَحَدُهما داخِل دَرْب شَمْس الدَّوْلَة المعروفَة ، والآخرَ من رأس حارَة زَوِيلَة[d] [3] .

حَمّامُ الجُوَيْني

هذه الحَمّامُ [d]بحارَة زَوِيلَة[d] بجوار حَمّام ابن الكُوَيْك فيما بينها وبين البُنْدُقانيين ، عُرِفَت بالأمير عِزّ الدِّين إبراهيم بن محمد بن الجُوَيْني ، والي القاهِرَة في أيّام الملك العادِل أبي بكر ابن أيّوب ، توفي سَلْخ جُمادَى الأُولى سنة إحدى وستّ مائة ، فإنَّه أنشأها بجوار دارِه . والعامَّةُ تقول : حَمّامُ الجُهَيْني بهاء ، وهو خطأ . [d]وتوفي الجُوَيْني [d] [4] .

وتَنَقَّلَت إلى أن اشْتَراها القاضي أَوْحَدُ الدِّين عبد الواحِد بن ياسين ، كاتِب السِّرّ الشَّريف في أيّام الملك الظّاهِر بَرْقوق [5] ، بطَريق الوَكالَة عن الملك الظّاهِر ، وجَعلَها وَقْفًا على مَدْرَسَتِه العُظْمَى بخُطّ بَيْنَ القَصْرَيْن ، وهي الآن في جملة الموقوف عليها .

---

a) بولاق : فرج شاه . b) زيادة من ابن عبد الظاهر . c) بولاق : فبيعت . d-d) زيادة من مسودة الخطط . e) بولاق والنسخ : ابن ، والمثبت من مسودة الخطط .

---

[1] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٨٨، وأيضًا ٥٧، ١٠٢.

[2] المقريزي : مسودة الخطط ٣٠ظ .

[3] نفسه ٢٤و؛ وتقع الآن بحارة اليهود .

[4] نفسه ٢٤و .

[5] انظر عنه فيما تقدم ٢٥٤–٢٥٦ .

حَمّامُ القَفّاصِين

هذه الحَمّامُ بالقرب من رأس حارَة الدَّيْلَم [١]، أنشأها نَجْمُ الدِّين يُوسُف بن المُجَاوِر [٢]، وَزيرُ الملك العَزيز عُثْمان بن السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب [a] [٣].

حَمّامُ الصَّغِيرة [b] [٤]

هذه الحَمّامُ على يَمْنَة من سَلَكَ من رأس حارَة بَهاء الدِّين، وهي تِجاه دار قَرَاسُنْقُر، أنشأها الأميرُ فَخْرُ الدِّين [c] بن رَسُول التُّرْكُماني. ورَسُولُ هذا جَدُّ مُلُوك اليَمَن الآن [٥]. وقد تَعَطَّلَت هذه الحَمّامُ منذ كانت الحَوادِثُ بعد سنة ستٍّ وثمان مائة. ٥

حَمّامُ الأعْسَر

هذه الحَمّامُ موضعها من جملة دَار الوَزارَة، وهي الآن بجوار باب الجُوّانِيَّة. أنشأها الأميرُ شَمْسُ الدِّين سُنْقُر الأعْسَر [d] العِزِّي [e] الظّاهِري المَنْصوري [٦]. ١٠

---

a) هنا على هامش آياصوفيا: بياض ثلاثة أسطر. b) بولاق: الصفيرة. c) بياض مقدار كلمة في آياصوفيا. d) ساقطة من بولاق. e) بولاق: المعزي.

---

[١] وتُعْرَف أيضًا بحمام الحلاويين لمجاورتها للزاوية الحلاوية، انظر وَصْفًا لها في وثيقة الغوري عند، عبد اللطيف إبراهيم: الوثائق في خدمة الآثار ٢٧٣ - ٢٧٤.

[٢] انظر عن ابن المجاور فيما تقدم ١٢٤هـ [١].

[٣] المقريزي: مسودة الخطط ٢٤ظ.

[٤] سَمّاها في مسودة الخطط ٢٥و: «حَمّام الأمير فَخْر الدِّين بن رَسُول التُّرْكماني، ويقال لها الحمّام الصفيرة».

[٥] رَسُولٌ ـ الذي تَنْتَسِب إليه الأسرةُ الرَّسُولِيَّة التي حكمت اليمن في الفترة بين سنتي ٦٢٨هـ-٨٥٨هـ/ ١٢٣١-١٤٥٤م ـ هو محمد بن هارون بن أبي الفتح بن يوحى بن رُسْتُم الغَسّاني الجَفْني المَنْجَكي التُّرْكماني، دَخَلَ العراق واتَّصَل بالخليفة العَبّاسي واختصَّه بحمل رسائله إلى الشَّام ومصر وغيرها فأُطلق عليه لقب «رَسُول الخليفة»، ثم أصبح يُعْرَف فقط برَسُول. (محمد عبد العال أحمد: بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، الإسكندرية ١٩٨٠، ٤٤؛ Smith, G. R., *EI* [2] art. *Rasūlides* VII, pp. 470-73).

[٦] المقريزي: مسودة الخطط ٢٥و.

سُنْقُرُ الأَعْسَر ـ كان أحَدَ مَماليك الأمير عِزّ الدِّين أَيْدَمُر الظَّاهِري نائِب الشَّام، وجَعَلَه دَوادَارَه، فباشَر الدَّواداريَّة لأستاذه بدِمَشْق ونفسه تَكْبُرعنها. فلمَّا عُزِلَ أَيْدَمُر من نِيابَة الشَّام في أيَّام الملك المَنْصور قَلاوون وحَضَرَ إلى قَلْعَة الجَبَل، اخْتَار السُّلْطانُ عِدَّةً من مَماليكه منهم سُنْقُر الأَعْسَر هذا، فاشْتَراه ووَلَّاه نِيابَةَ الأُسْتادَّاريَّة ثم سَيَّرَه في سنة ثلاثٍ وثمانين وستّ مائة إلى دِمَشْق وأعْطاه إمْرَة، ووَلَّاه شَدَّ الدَّواوين بها وأُسْتادَّارًا. فصارَت له بالشَّام سُمْعَةٌ زائدَةٌ إلى أن ماتَ قَلاوون، وقامَ من بعده الأَشْرَفُ خَليل، واستَوْزَر الوَزير شَمْس الدِّين السَّلْعُوس، طَلَبَ سُنْقر إلى القاهِرَة وعاقَبَه وصادَرَه. فتَوَصَّل حتى تَزَوَّج بابنة الوَزير على صَداقٍ مبلغه ألف وخمس مائة دينار فأعادَه إلى حالَتِه [1].

ولم يَزَل إلى أن تسلْطَن الملكُ العادِلُ كَتْبُغا، واسْتَوْزَر الصَّاحِبَ فَخْرَ الدِّين بن الخَليلي [a]، وقَبَضَ على سُنْقُر وعلى سَيْف الدِّين أَسَنْدَمُر وصادَرَهما، وأَخَذَ من سُنْقُر خمس مائة ألف دِرْهَم، وعَزَلَه عن شَدّ الدَّواوين، وأحْضَرَهُ إلى القاهِرَة. فلمَّا وَثَبَ الأميرُ حُسامُ الدِّين لاجين على كَتْبُغا وتَسَلْطَن، وَلَّى سُنْقُر الوَزارَة عِوَضًا عن ابن الخَلِيلي [a] في جُمادَى الأولى سنة ستّ وتسعين وستّ مائة [b]، ثم قَبَضَ عليه في ذي الحجَّة منها. وذلك أنَّه تَعاظَم في وَزارَته، وقامَ بحَقّ المنصب يُريدُ أن يتشبَّه بالشُّجاعي، وصارَ لا يَقْبَل شَفاعَةَ أحَدٍ من الأُمَراء ويَخْرق بنُوَّابهم.

وكان في نفسه مُتعاظمًا، وعنده شَمَمٌ إلى الغايَة، مع سُكونٍ في كلامه، بحيث إنَّه إذا فاوَضَ السُّلطانَ في مُهِمَّات الدَّوْلَة - كما هي عادَةُ الوُزَراء - لا يُجيبُ السُّلْطان بجوابٍ شافٍ. وصارَ يتبيَّنُ منه للسُّلْطانَ قِلَّة الاكتراث به، فأَخَذَ في ذَمِّه، وعَيَّبَه بما عنده من الكِبْر، وصادَفَه الغَرَض من الأُمَراء، وشَرَعُوا في الحَطّ عليه حتى صُرِفَ وقُيِّد. فأَرْسَلَ يسأل السُّلْطانَ عن الذَّنْبِ الذي أَوْجَب هذه العقوبة، فقال: ما له عندي ذَنْبٌ غير كِبْره، فإنِّي كنت إذا دَخَلَ إليَّ أحْسَبُ أنَّه هو

---

a) بولاق: خليل. b) في جميع النسخ: سبع مائة، سبق قلم.

---

[1] الأميرُ شَمْسُ الدِّين سُنْقُر الأَعْسَر المَنْصوري، المتوفى سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م. (الصفدي: أعيان العصر ٢: ٤٧٨-٤٨٢، الوافي بالوفيات ١٥: ٤٩٧-٤٩٩؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ٢: ٢٤؛ المقريزي: السلوك ٢: ٨٤؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٢٧٣-٢٧٤؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٢٧٨، المنهل الصافي ٦: ٩٦-٩٨).

السُّلْطان وأنا الأَعْسَر، فصَدْرُه مُنْقام، وحَديثي معه كأنّي أُحَدِّث أُستاذي. وقُرِّر من بعده في الوَزارَة ابنُ الخَليلي.

فلمَّا قُتِلَ لاجين، وأُعِيد الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون إلى المُلْك ثانيًا، أَفْرَجَ عن سُنْقُر الأَعْسَر وعنْ جماعة من الأُمَراء، وأعادَ الأَعْسَرَ إلى الوَزارَة في جُمادى الأولى سنة ثمانٍ وتسعين وستّ مائة [a]. وفي وَزارَتِه هذه كانت هَزيمَةُ الملكِ النَّاصِر بعَساكِره من غَازان [1]. فتولَّى ناصِرُ الدِّين الشَّيْخي، والي القاهِرَة، جِبَايَةَ الأَمْوال من التُّجَّار وأرْبابِ الأَمْوال لأجْلِ النَّفَقَة على العَساكِر.

وقَرَّر في وَزارَته على كلِّ أرْدَبِّ غَلَّة خَرُّوبَة [2] إذا طَلَع إلى الطَّحَّان، وقَرَّر أيضًا «نصف السَّمْسَرَة» – ومعناها أنَّه كان للمُنادي على الثِّياب أُجْرَة دِلالَته على كلِّ ما مبلغه مائة درهم دِرْهَمَيْن، فيُؤْخَذُ منه دِرْهَمٌ منهما ويَفْضُل له دِرْهم – واستخدم على هاتين الجهتين نحو مائتين من الأَجْنَاد البَطَّالين، وتَحَصَّل في بَيْت المال من أمْوالِ المُصادَرات مَبْلَغٌ عظيمٌ.

ثم خَرَجَ الوَزيرُ بمائة من مَماليك السُّلْطان، وتوجَّه إلى بلاد الصَّعيد – وقد وَقَعَت له في النُّفُوس مَهابَةٌ عَظيمَةٌ – فكَبَسَ البلادِ، وأتلف كثيرًا من المفسدين، من أجْل أنَّه لمَّا حَصُلَت وَقْعَةُ غازان كَثُر طَمَعُ العُرْبان في المُغَلِّ، ومَنَعوا كثيرًا من الخَراج، وعَصَوْا الوُلاة، وقَطَعُوا الطَّريق. وما زال يَسير إلى الأَعْمَال القُوصِيَّة، فلم يَدَعْ فَرَسًا لفَلَّاحٍ ولا قاضٍ ولا مُتَعَمِّمٍ حتى أخَذَه، وتتبَّع السِّلاح، ثم حَضَر بألفٍ وستين فَرَسًا وثمان مائة وسبعين جَمَلًا وألف وستّ مائة رُمْح وألف ومائتي سَيْف وتسع مائة دَرَقَة وستة آلاف رأس غَنَم، وقَتَلَ عِدَّةً من / النَّاس، فتمهَّدَتِ البلادُ، وقَبَض النَّاس مغلَّهم بتَمامِه. ٨٥:

a) في جميع النسخ: سبع مائة، سبق قلم.

[1] غازان بن أرْغُون بن أبْغا بن هُولاكو ملك التَّتار، المتوفى سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م، ووَقْعَة غازان المذكورة في هذا الخبر، كانت في بلاد الشَّام سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م. (مجهول: تاريخ سلاطين المماليك ٥٨–٦٢؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ٣٣٠–٣٤٤؛ الصفدي: أعيان العصر ٤: ٥–١٨؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ٢٢٠–٢٢١؛ المقريزي: السلوك ١: ٨٨٢–٩٠٤؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ١٢٠–١٣١).

[2] خَرُّوبة جـ. خَراريب. قطعةٌ صغيرةٌ من النُّقود النُّحاسية تُعادِل ١/١٠ درهم. (Dozy, R., *Suppl. Dict. Ar.* I, p. 357).

واتَّفقَت واقِعَةُ النَّصارىٰ – التي ذُكِرَت عند ذِكْر كنائِس النَّصارىٰ من هذا الكِتَاب[١] – في أيَّامِه. فأَمَر بالتَّاج ابن سَعيد الدَّوْلَة أحَد مَسْتَوفي الدَّوْلَة – وكان فيه زَهْوٌ وحُمْقٌ عَظيمٌ، وله اختِصَاصٌ بالأمير رُكْن الدِّين بَيْبَرْس الجاشَنْكير[a] – فعُرِّي وضُرِبَ بالمقارِع ضَرْبًا مبرحًا، فأَظْهَرَ الإسْلامَ وهو في العُقُوبَة، فأَمْسَكَ عنه وأَلْزَمَه بحَمْل مالٍ، فالتجأَ إلى زاوِيَة الشَّيْخ نَصْر المَنْبِجي وترامى على الشَّيْخ، فقامَ في أمْرِه حتى عُفِيَ عنه. فكَرِهَ الأُمَراءُ الأَعْسَرَ لكَثْرَة شَمَمِه وتعاظُمِه، فكلَّموا الأمير رُكْن الدِّين بَيْبَرْس الجاشَنْكير[a] – وإليه أمْرُ الدَّوْلَة – في ولاية الأمير عِزّ الدِّين أَيْبَك البَغْدادي الوَزارَة، وساعَدَهم على ذلك الأميرُ سَلار. فوَلِيَ الأَعْسَرُ كَشْف القِلاع الشَّامية وإصْلاح أمُورها وتَرْتيب رِجالها وسائرَ ما يُحْتاج إليه، وخَلَعَ على الأمير أَيْبَك خِلَعَ الوَزارَة في آخر سنة سبع مائة.

فلمَّا عادَ استقرَّ أَحَدَ أُمَراء الألوف، وحَجَّ في صُحْبَة الأمير سَلار. وماتَ بالقاهِرَة بعد أمْراضٍ في سنة تسعٍ وسبع مائة. وكان عارِفًا خَيِّرًا مَهيبًا له سَعاداتٌ طائلةٌ ومَكارِمُ مشهورة، ولحاشيته ثَرْوَةٌ متَّسِعة، وغالِبُ مماليكه تأمَّروا بعده، وممَّن مَدَحَه الوَداعي وابن الوَكيل.

حَمَّامُ الحُسَام

هذه الحَمَّامُ بداخِل باب الجُوَّانِيَّة، [b]عُرِفَت [b].[٢]

حَمَّامُ الصُّوفِيَّة

هذه الحَمَّامُ بجوار الخانْقاه الصَّلاحية سَعيد السُّعَداء، أنشأها السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب لصُوفِيَّة الخانْقاه[٣]، وهي إلى الآن جارِيَةٌ في أوْقافِهم، ولا يَدْخُلها يَهُودي ولا نَصْراني[٤].

---

a) بولاق: الجاشنكيري. b-b) إضافة من المسودة، وهنا في هامش آياصوفيا بياض أربعة أسطر.

---

[١] فيما يلي ٢: ٥١٢-٥١٧.

[٢] المقريزي: مسودة الخطط ٢٥و.

[٣] نفسه ٢٤و.

[٤] أضاف ابن أبي السرور البكري: «وهي باقية إلى الآن وتعرف في زَمَننا هذا بحمَّام الصُّوفَة» (قطف الأزهار ١٧٢ظ).

حَمَّامُ بَهادُر

هذه الحَمَّامُ موضعها من جملة القَصْر، وهي بجوار دار جُرجِي تِجَاه الأَبَّارين [a]، أنشأها الأميرُ بَهادُر المَنْجَكي [b] أُسْتادَار الملك الظَّاهِر بَرْقوق، [c]وتوفي في سنة تسعين وسبع مائة[c] وقد تعطَّلت [١].

حَمَّامُ أَلْدُود

٥ هذه الحَمَّامُ خارج باب زَوِيلَة، في الشَّارع تِجَاه زُقَاق حارة [d] حَلَب، بجوار حَوْض سَعْد الدِّين مَسْعُود بن هَنَس. عُرِفَت بالأمير سَيْف الدِّين أَلْدود الجاشَنْكِير [e] أَحَدِ أُمَرَاء الملك المُعِزّ [f]عِزّ الدِّين[f] أَيْبَك التُّرْكُماني، وخال وَلَده الملك المَنْصور نُور الدِّين عليّ [٢]، فلمَّا وَثَبَ الأميرُ سَيْفُ الدِّين قُطُز، نائِب السَّلْطَنَة بديار مصر، على الملك المنصور عليّ بن الملك المُعِزّ أَيْبَك واعْتَقَلَه، وجَلَسَ على سَرير المملكة، قَبَضَ على الأمير أَلْدود في ذي الحجَّة سنة سبع وخمسين وستّ مائة ١٠ واعْتَقَلَه. وهذه الحَمَّامُ إلى اليوم بيد ذُرِّيَّة أَلْدود من قِبَل بَناتِه مَوْقُوفَةً عليهم.

حَمَّامُ ابن أَبي الحَوافِر

هذه الحَمَّامُ خارج مَدينَة مصر بجوار الجامِع الجَدِيد النَّاصِرِيّ. كان مَوْضِعُها وما حَوْلَها عامِرًا بماء النِّيل، ثم انْحَسَرَ عنه الماءُ وصارَ جزيرَةً، فبَنَى النَّاسُ عليها بعد الخمس مائة من

---

a) العبارة في المسودة: .... من جملة القصر، أنشأها .... بجوار داره التي تعرف بدار جرجي تجاه الأبارين. b) ساقطة من بولاق. c-c) إضافة من مسودة الخطط. d) بولاق: خان. e) بولاق: الجاشنكيري. f-f) ساقطة من بولاق.

---

[١] المقريزي: مسودة الخطط ٢٥ظ. وبهادُر هو الأمير سَيْف الدِّين بهادُر الأستادَار المَنْجَكي، نسبةً إلى معتقه الأمير مَنْجَك اليوسفي، المتوفى سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م. (ابن الفرات: تاريخ ٩: ٤٤٣؛ المقريزي: السلوك ٣: ٥٨٧؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣٠-٣١، إنباء الغمر ١: ٣٥٨، أبو المحاسن: المنهل الصافي ٣: ٤٣٥-٤٣٦، النجوم الزاهرة ١١: ٣١٦).

[٢] أضاف ابن أبي السرور البكري: «وهي باقية إلى الآن ويقال لها حَمَّام الدود» (قطف الأزهار ١٧٢ظ).

وما تزال بقايا حَمَّام أَلْدُود قائمةً بشارع محمد علي عند تقابله بشارع السُّروجية. ودَخَل القسم الغربي من الحمَّام بما فيه بابه الأصلي في طريق شارع محمد عليّ الذي فُتِحَ في سنة ١٨٧٣م، وفُتِحَ للحمَّام بابٌ جديد هو بابه الحالي المطلّ على شارع محمد علي. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٣٣١ تعليقات محمد رمزي).

وعن حَوْض ابن هَنَس انظر فيما يلي ٤٤٢-٤٤٤.

سِنِي الهجرة ، كما ذُكِرَ عند ذِكْر ساحِل مصر من هذا الكِتاب [١].

وعُرِفَت هذه الحَمَّامُ بالقاضي فَتْح الدِّين أبي العَبَّاس أحمد بن الشَّيْخ جَمال الدِّين أبي عَمْرو عُثْمان بن هِبَة الله بن أحمد بن عَقيل بن محمد بن أبي الحَوافِر ، رَئيس الأطِبَّاء بديار مصر ، وماتَ ليلة الخَميس الرَّابع عشر من شهر رَمَضان سنة سبع وخمسين وستّ مائة ، ودُفِنَ بالقَرافَة [٢].

٥

حَمَّام قَتَّال السَّبُع

هذه الحَمَّامُ خارج باب القَوْس من ظاهِر القاهِرَة ، في الشَّارع المسلوك فيه من باب زَوِيلَة إلى صَلِيبَة جامِع ابن طُولون ، ومَوْضِعها اليوم بجوارِ جامِع قَوْصُون [٣]. عَمَّرها الأميرُ جَمالُ الدِّين آقُوش المَنْصوري المعروف بقَتَّال السَّبُع المَوْصِلي [٤]، بجانب دارِه التي هي اليوم جامِع قَوْصُون.

فلمَّا أَخَذَ قَوْصُون الدَّار المذكورة ، وهَدَمَها وعَمَّرَ مكانَها هذا الجامِع ، أرادَ أَخْذ الحَمَّام - وكانت وَقْفًا - فبَعَثَ إلى قاضي القُضَاة شَرَف الدِّين الحَنْبلي الحَرَّاني يَلْتَمِس منه حَلّ وَقْفِها ، فأَخْرَب منها جانِبًا ، وأَحْضَرَ شُهودَ القِيمَة ، فكَتَبُوا مَحْضرًا يتضمَّن أنَّ الحَمَّامَ المذكورة خَراب. وكان فيهم شاهِدٌ مُتَدَيِّنٌ[a] فامْتَنَعَ من الكِتابَةِ في المَحْضَر ، وقال : ما يَسَعُني من الله أن أَدْخُلَ بُكْرَةَ النَّهار في هذه الحَمَّام وأَتَطَهَّرَ فيها ، ثم أَخْرُج منها وهي عامِرَة وأَشْهَدَ بعد ضَحْوَةِ نَهار

١٠

a) إضافة من مسودة الخطط.

[١] فيما تقدم ٢ :١٥٨- ١٦٣.

[٢] ينتسب ابن أبي الحوافر إلى أسرة شهيرة من الأطباء ، كانوا جميعًا رؤساء لأطباء مصر ، جدهم الأعلى هو أحمد ابن عثمان بن هبة الله بن أحمد بن عقيل القَيْسي الشَّافعي ، المتوفى سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م. (راجع ، الصفدي : أعيان العصر ٣ : ٢١٤؛ المقريزي : المقفى الكبير ٦ : ١٩٧؛ العيني : عقد الجمان ٤ : ٢٠٢؛ أحمد عيسى : معجم الأطباء ٢٨٨).

[٣] ذهبت آثار هذه الحمام بعد فتح شارع محمد علي سنة ١٨٧٣م الذي أزال قسمًا كبيرًا من جامع قَوْصون المجاور له.

[٤] أضاف ابن حجر بخطه على هامش نسخة المقفى الكبير المحفوظة في ليدن برقم 14533 (ورقة ٢٠٨و) أمام ترجمة آقوش : «وهو صاحب الحمّام بالشارع الشهير الآن بحمام قَوْصون والبيت المجاور له ، كذا مكتوبٌ على طرازه».

والأمير جمال الدِّين آقوش المنصوري المَوْصلي المعروف بقَتَّال السَّبُع أمير عَلَم ، توفي سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م. (ابن أيبك : كنز الدرر ٩ : ٢١٠؛ الصفدي : أعيان العصر ١ : ٥٧٣، الوافي بالوفيات ٩ : ٣٣٥؛ المقريزي : المقفى الكبير ٢ : ٢٣٤- ٢٣٥، السلوك ٢ : ٩٦؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ١ : ٤٢٧؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٣ : ٢٦، النجوم الزاهرة ٩ : ٢١٦).

من ذلك اليوم أنَّها خَرابٌ . فشَهِدَ غيرُه ، وأَثْبَتَ القاضي الحَنْبلي المَحْضَر المذكور ، وحَكَمَ بِبَيْعِها . فاشْتَراها الأميرُ قَوْصُون من وَرَثَة قَتّال السَّبُع ، وهى اليوم عامِرَة بعِمارَة ما حَوْلَها [1] .

حَمّام لُؤْلُؤ

هذه الحَمّامُ برأس رَحْبَة الأَيْدَمُري مُلاصِقَةٌ لدار السَّنَاني من القاهِرَة . أنشأها الأميرُ حُسامُ الدِّين لُؤْلُؤ الحاجِب في أيّام [a] [2] .

لُؤْلُؤ الحاجِب ـ كان أَرْمَنِيَّ الأصل ومن جملة أجْناد مصر في أيّام الخُلَفَاء الفاطِميين ، فلمّا اسْتَوْلَى صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب على مملكة مصر ، خَدَمَ تَقْدِمَة الأُسْطُول ، وكان حيثما تَوَجَّه فَتَحَ وانْتَصَرَ وغَنِمَ . ثم تَرَكَ الجُنْدِية وزَوَّجَ بناته ـ وكُنَّ أربعًا ـ بجهازٍ كافٍ ، وأعْطَى ابْنَيْه ما يكفيهما ، و[b] شَرَعَ يَتَصَدَّق بما بقي معه على الفُقَراء بترتيبٍ لا خَلَلَ فيه ، ودَوامًا لا سآمَة معه .

وكان يُفَرِّقُ في كلِّ يومٍ اثني عشر ألف رَغيف مع قُدُور الطَّعَام ، وإذا دَخلَ شهرُ رَمضَان أضعف ذلك ، وتَبَتَّل للتفرقة من الظُّهْر في كلِّ يوم إلى نحو صَلاة العَشَاء الآخرة ، ويضع ثلاثة مَراكِب طُول كلِّ مركبٍ أَحَد وعشرون ذراعًا مملوءةً طعامًا ، ويَدْخُل الفُقَراءُ أفْواجًا وهو قائِمٌ مَشْدودُ الوَسَط كأنَّه راعي غَنم ، وفي يده مَغْرَفَةٌ وفي الأخرى جَرَّةٌ سَمْن ، وهو يُصْلِح صُفُوفَ الفُقَراء ، ويُقَرِّب إليهم الطَّعامَ والوَدَك ، ويبدأ بالرِّجال ثم بالنِّساء / ثم بالصِّبْيان . وكان الفُقَراءُ مع كثرتهم لا يَزْدَحمون لعلمهم أنَّ المعروف يَعُمُّهم ، فإذا انتهت حاجَةُ الفُقَرَاء بَسَط سِماطًا للأغنياء تَعْجِزُ الملوك عن مثله .

---

a) بياض في آياصوفيا . b) بولاق : ثم .

---

[1] المقريزي : مسودة الخطط ٢٥و-ظ .

وهي المعروفة الآن بحمام الشَّروجية بين عَطْفَتَي المحكمة والحِنّاء .

وجاء هنا على هامش نُسْخَة ص : قد أغْفَلَ الشَّيْخُ ـ رحمه الله ـ عن ذكر حَمّاماتٍ كثيرة أدركها ومنها عامِرَة وغامِرَه بهذا الخَطّ وغيره ، وَرَعًا منه ومحاماة عن من يصل إلى علمه بها يقينًا أو اختصارًا لشهرتها تابعًا غَرَضَه بهذا الكتاب من الاختصار ، والله أعْلَم» .

أقول : مثل حَمّام بشتاك التي ما يَزالُ مدخلها قائمًا في شارع سوق السِّلاح ومسجلة بالآثار برقم ٢٤٤ .

[2] نفسه ٢٥ظ .

وكان له مع ذلك على الإسلام مِنَّةٌ توجِبُ أن يَتَرَحَّمَ عليه المُسْلمون كلُّهم. وهي أنَّ فِرنْجَ الشَّوْبَك والكَرَك تَوَجَّهوا نحو مَدينَة رَسُول اللّه صلى الله عليه وسلم لِيَنْبُشُوا قَبْرَه ﷺ، وينقلوا جَسَدَه الشَّريف المُقَدَّس إلى بلادِهم، ويَدْفِنوه عندهم، ولا يُمَكِّنُوا المسلمين من زيارَته إلا بجُعْلٍ. فأنشأ البِرِنْس أَرْناط - صاحِب الكَرَك - سُفُنًا حَمَلَها على البَرِّ إلى بَحْر القُلْزُم، وأَرْكَبَ فيها الرِّجال، وأوْقَف مركبين على جَزيرَة قَلْعَة القُلْزُم تَمْنَع أهْلَها من اسْتِقاء الماء. فسارَت الفِرنْجُ نحو عَيْذاب، فقَتَلوا وأَسَروا، ومَضَوْا يُريدون المَدينَة النَّبَوِيَّة، على ساكِنها أفْضَل الصَّلاة والتَّسْليم، وذلك في سنة ثمانٍ وسبعين[a] وخمس مائة.

وكان السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب على حَرَّان، فلمَّا بَلَغه ذلك بَعَثَ إلى سيف الدَّوْلَة [b] بن مُنْقِذ - نائِبه على مصر - يأمره بتَجْهيز الحاجِب [حُسامَ الدِّين][c] لُؤْلُؤ خَلْف العَدُوّ. فاستعدَّ لذلك، وأخذَ معه قُيودًا، وسارَ في طَلَبهم إلى القُلْزُم، وعمَّرَ هناك مَراكِبَ، وسارَ إلى أَيْلَة فوَجَدَ مراكِبَ للفِرنْج فحَرَقَها وأَسَرَ مَنْ فيها. وسارَ إلى عَيْذاب، وتَبِعَ الفِرنْجَ حتى أَدْرَكَهُم ولم يَبْقَ بينهم وبين المَدينَة النَّبَوِيَّة، على ساكِنها أفْضَل الصَّلاة والتَّسْليم، إلَّا مَسافَة يَوْم - وكانوا ثلاث مائة ونَيِّفًا، وقد انضمَّ إليهم عِدَّة من العُرْبان المرتدَّة - فعندما لَحِقَهم لُؤْلُؤ، فَرَّت العُرْبانُ فِرقًا من سَطْوَتِه، ورَغْبَةً في عَطِيَّته، فإنَّه كان قد بَذَلَ الأموال، حتى إنَّه عَلَّقَ أكياسَ الفِضَّة على رءوس الرِّماح. فلمَّا فَرَّت العُرْبانُ التجأ الفِرنْجُ إلى رأس جَبَل صَعْب المُرْتقى، فصَعِدَ إليهم في عشرة أنفس وضايَقَهم فيه، فخارَت قُواهُم بعدما كانوا مَعْدودين من الشُّجْعان، واسْتَسْلَموا، فقَبَضَ عليهم وقَيَّدَهم، وحَمَلَهم إلى القاهِرَة. فكان لدُخُولهم يومٌ مشهودٌ، وتولَّى قَتْلَهم الصُّوفيَّةُ والفُقَهاءُ وأرْبابُ الدِّيانة، بعدما ساقَ رَجُلَين من أعْيان الفِرنْج إلى مِنًى، ونَحَرَهُما هناك كما تُنْحَر البُدُن التي تُساق هَدْيًا إلى الكَعْبَة [1].

---

a) بولاق: وتسعين. b) بياض مقدار كلمة في آياصوفيا. c) إضافة من السلوك.

---

[1] استهدف مشروع البرنس أرْناط Renauld de Chatillon، صاحِب الكَرَك، من هذه المغامرة التي لم يُكْتَب لها النجاح، قَطْعَ طَريق الحَجّ على المسلمين وضَرْب العالم الإسلامي في قَلْبه بالاستيلاء على الحَرَمَيْن الشَّريفين، وكذلك الاستيلاء على عَدَن التي تتحكَّم في المَدْخَل الجنوبي للبحر الأحمر، وبذلك يتمكَّن الفِرنْجُ بفَضْل سيطرتهم على أَيْلَة في الشَّمال وعَدَن في الجَنوب، من إغْلاق البحر الأحمر في وجه أعدائهم واحتكار تجارَة الهند، بعد أن كان البحر الأحمر بحرًا =

ولم يَزَل على فِعْل المعروف إلى أن ماتَ - رحمه اللّه - في صَميم الغَلاء[a]، وقد قَرُب مُنْتهاه، في اليوم التاسع من جُمادَى الآخرة سنة ستٍّ وتسعين وخمس مائة، ودُفِنَ بتُرْبَته من القَرافَة، وهي التي حفَرَ فيها البِئْر، ووُجِدَ في قَعْرِها عند الماء أسْطام مَرْكِب.

وهذه الحَمّامُ تُفْتَح تارَةً وتُغْلَق كثيرًا، وهي باقيةٌ إلى يَوْمِنا هذا من جُمْلَة أوْقاف المِلْك[b].

---

a) بولاق: الفلا. b) هنا في هامش آياصوفيا: بياض ورقة وثلث.

= إسلاميًا. (راجع تفاصيل ذلك عند العماد الأصفهاني: البرق الشامي ٥:٦٩- ٧٥؛ ابن الأثير: الكامل ١١:٤٩٠-٤٩١؛ البنداري: سنا البرق الشامي ٢١٢-٢١٣؛ أبو شامة الروضتين ٢/١:١١٣- ١١٩؛ ابن واصل: مفرج الكروب ٢:١٢٧- ١٣١؛ المقريزي: السلوك ١:٧٨- ٧٩؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية ٢:٦١٧- ٦٢٢؛ Leiser, G., «The Crusader Raid in the Red Sea in 578/1182-83», *JARCE* 14 (1977), pp. 87-100).

ذِكْرُ القَيَاسِر[١]

ذَكَرَ ابنُ المُتَوَّج قَيَاسِرَ مصر، وهي: قَيْسارِيَّةُ المحَلّي، وقَيْسارِيَّةُ الصَّبَّانة[a] وَقْف المارِسْتانَ المَنْصوري، وقَيْسارِيَّةُ شِبْل الدَّوْلَة، وقَيْسارِيَّةُ ابن الأَرْسوفي، وقَيْسارِيَّةُ وَرَثَة الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس، وقَيْسارِيَّتا ابن مُيَسَّر. وقد خَرِبَت كلُّها[٢].

قَيْسارِيَّةُ ابن قُرَيْش

٥

هذه القَيْسارِيَّةُ في صَدْر سُوق الجَمَلُون الكبير بجوار باب سُوق الوَرَّاقين، ويُسْلَك إليها من الجَمَلون ومن سُوق الأَخْفافِيين المسلوك إليه من البُنْدُقانيين [b)ومن سُوق الرَّفّائين وخطّ الصَّيارِف b)]. وبعضُها الآن سَكَن الأَدميين[c)]، وبعضها سَكَن البَزَّازين[٣].

قال ابنُ عبد الظَّاهِر: استجدَّها القاضي المُرْتَضَى ابن قُرَيْش في الأَيَّام النَّاصِرية الصَّلاحية وكان مَكانُها إسْطَبْلًا[٤]. انتهى.

١٠

وهو القاضي المُرْتَضَى صَفِيّ الدِّين أبو المجْد عبد الرَّحْمن بن عليّ بن عبد العزيز بن عليّ ابن قُرَيْش المخْزومي، أحدُ كُتَّاب الإنْشاء في أيَّام السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب، قُتِلَ شَهيدًا على عَكّا في يوم الجمعة عاشِر جُمادَى الأولى سنة ستٍّ وثمانينَ وخمس مائة، ودُفِنَ بالقُدْس، ومَوْلده في سنة أربعٍ وعشرين وخمس مائة، وسَمِعَ السِّلَفي وغيره[٥].

---

a) بولاق: الضيافة. b-b) إضافة من مسودة الخطط. c) بولاق: الأرمنيين.

---

[١] نُقِلَ هذا القسم، من هنا وحتى صفحة ٣٥٩ فيما يلي، إلى الفرنسية جاستون ڤييت وأندريه ريمون مع التعليق عليه، انظر Raymond, A. et Wiet, G., *Les Marchés du Caire* - Traduction annotée du texte de Maqrîzî, Le Caire IFAO 1979, pp. 111-216.

[٢] قارن مع ابن دقماق: الانتصار ٤: ٣٧-٣٩ فقد أوْرد ما ذكره ابنُ المُتَوَّج مُفَصَّلًا عن قَيَاسِر مصر.

[٣] المقريزي: مسودة الخطط ٣٥ظ.

[٤] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٥٥.

[٥] انظر أيضًا، الصفدي: الوافي بالوفيات ١٨: ١٩٩، وانظر ترجمة ولده فيما يلي ٣٠٩.

قَيْسارِيَّةُ الشَّرْب

هذه القَيْسارِيَّةُ بشَارِع القاهِرَة تجاه قَيْسارِيَّة جَهارْكَس. قال ابنُ عبد الظَّاهِر: وَقَفَهَا السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب على الجَماعَة الصُّوفِيَّة ـ يعني بخانْقاه سَعيد السُّعَداء ـ وكانت إسْطَبْلًا [١]. انتهى.

وما بَرِحَت هذه القَيْسارِيَّةُ مَرْعِيَّةَ الجانِب إكرامًا للصُّوفِيَّة [a]أن يُرْمى على سُكَّان حَوانِيتها من تُجَّار البَزّ شيءٌ من البضائع السُّلْطانية أو أن تتعرَّض الدَّوْلَة إلى ظُلْم أحدٍ منهم[a]، إلى أن كانت أيامُ الملك النَّاصِر فَرَج وحَدَثَت الفِتَنُ وكَثُرَت مُصادَراتُ التُّجَّار، انْخَرَقَ ذاك السِّياج، وعُومِل سُكانُها بأنْواعٍ من العَسْف، وهي اليومُ من أعْمَر أسْواق القاهِرَة [٢].

قَيْسارِيَّةُ ابن أبي أُسَامَة

هذه القَيْسارِيَّةُ بجوار الجَمَلون الكبير، على يَسْرة من سَلَكَ إلى بَيْنَ القَصْرَيْن، يسكنها الآن الخُرْدُفُوشِيِّين[b]، وَقَفَها الشَّيْخُ الأَجَلُّ أبو الحَسَن عليّ بن أحمد بن الحَسَن بن أبي أُسَامَة، صَاحِب ديوان الإنْشَاء في أيَّام الخَليفَة الآمِر بأحْكام الله. وكانت له رُتْبَةٌ خطيرَةٌ ومنزلةٌ رَفيعَةٌ، ويُنْعَت بـ «الشَّيْخ الأَجَلّ كاتِب الدَّسْت الشَّريف»، ولم يكن أحَدٌ يُشارِكه في هذا النَّعْت بديار مصر في زَمانِه. وكان وَقَفَ هذه القَيْسارِيَّة في سنة ثمان عشرة وخمس مائة. وتوفِّي في شَوَّال سنة اثنتين وعشرين وخمس مائة [٣].

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط b) بولاق وص: الخردفوشية.

---

[١] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٥٥.

[٢] المقريزي: مسودة الخطط ٣٤ظ.

[٣] راجع أخباره عند، ابن الأثير: الكامل ١٠: ٥٨٩؛ ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٥، ١٦؛ ابن ميسر: أخبار مصر ٩٠، ٩٩، ١٠٣، ١٠٤، ١١٢؛ ابن الفرات: تاريخ – خ ٣: ٥و–ظ؛ القلقشندي: صبح الأعشى ١: ٩٦؛ وفيما يلي ٢: ٢٩١؛ المقريزي: مسودة الخطط ٣٦و–ظ.

وأضافَ ابن أبي السُّرور البكري: «وفي زَمَننا الآن يسكنها اليهود الذين يبيعون الجوخ والأَطْلَس» (قطف الأزهار ١٧٣ظ).

قَيْسَارِيَّةُ سُنْقُر الأَشْقَر

هذه القَيْسارِيَّةُ على يَسْرة من يَدْخُل من باب زَوِيلَة ، فيما بين خِزانَة شَمائِل ودَرْب الصُّفَيْرة ، تجاه قَيْسارِيَّة الفاضِل . أنشأها الأميرُ شَمْسُ الدِّين سُنْقُر الأَشْقَر الصَّالِحِي النَّجْمي ، أحَدُ المماليك البَحْرية ، ولم تَزَل إلى أن هُدِمَت وأُدْخِلَت / في الجامِع المُؤَيَّدي لأيَّامٍ من جُمادَى الأولى سنة ٥ ثمانِ عشرة وثمان مائة [١] .

سُنْقُر الأشقر ....[a][٢]

قَيْسارِيَّةُ أَمِير عَلِيّ

هذه القَيْسارِيَّةُ بشَارِع القاهِرَة تجاه الجَمَلون الكبير بجوار قَيْسارية جهارْكَس يَفْصل بينهما دَرْب قَيْطُون . عُرِفَت بالأمير عليّ ابن الملك المَنْصور قَلاوون[b] الذي عَهِدَ له بالمُلْك ولَقَّبَه بالملك ١٠ الصَّالِح ، وماتَ في حياةِ أبيه كما قد ذُكِرَ في فُنْدق الملك الصَّالِح [٣]. [c]وهذه القَيْسارِيَّةُ الآن جارِيَةٌ في أوْقاف الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون[c] [٤] .

قَيْسَارِيَّةُ رَسْلان

هذه القَيْسارِيَّةُ فيما بين دَرْب الصُّفَيْرة والحَجَّارين . أنشأها الأميرُ بَهاءُ الدِّين رَسْلان الدَّوادار ، وجَعَلَها وَقْفًا على خانْقاه له بمُنْشَأة المَهْراني [d]، وكانت من أحْسَن القَيَاسِر . فلمَّا عَزَمَ الملكُ المُؤَيَّدُ

a) هذا المدخل من آياصوفيا ، وفي هامشها هنا : بياض خمس عشرة سطرًا . b) المسودة : والذي يغلب على ظني أن منشئها أمير علي بن الملك المنصور قلاوون . c-c) إضافة من مسودة الخطط . d) في المسودة : قيسارية بهاء الدين=

[١] المقريزي : مسودة الخطط ٣٦ظ .

[٢] انظر ترجمة الأمير شَمْس الدِّين سُنْقُر الأَشْقَر الصَّالحي ، المتوفى سنة ٦٩١هـ/١٢٩٢م عند ، الصفدي : الوافي بالوفيات ١٥ :٤٩٠- ٤٩٥ .

[٣] فيما يلي ٣٠٦- ٣٠٧ .

[٤] المقريزي : مسودة الخطط ٣٦و . ويدلُّ على مكان قيسارية أمير علي الآن ، الأرضُ القائم عليها قُبَّةُ وسَبيلُ وكُتَّاب السُّلْطان الغوري (مسجلة بالآثار برقم ٦٥-٦٧) تجاه جامع الغوري عند تقاطع شارع المعز لدين الله مع شارع الأزهر . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٨ :٢٠٩هـ [١] ؛ وانظر كذلك ، عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق في خدمة الآثار ٢٣٢-٢٣٤) .

شَيْخ على بناء مَدْرَسَتِه ، هَدَمها في جُمادَى الأولى سنة ثَمان عشرة وثمان مائة ، وعَوَّضَ أهلَ الخانْقاه عنها خمس مائة دينار [1] .

قَيْسارِيَّةُ جَهارْكَس

قال ابنُ عبد الظَّاهِر : بَناهَا الأميرُ فَخْرُ الدِّين جَهارْكَس في سنة اثنتين وتسعين وخمس مائة ، وكانت قبل ذلك يُعْرَف مَكانُها بفُنْدُق الفِراخ ، ولم يَزَل في يد وَرَثَته ، [a]وانتقل إلى الأمير عَلَم الدِّين أَيْتَمُش منها جُزءٌ بالميراث عن زَوْجَته وإلى بِنْت شُومان من أهْل دِمَشق[a]، ثم اشْتُرِيَت لوالِدة خَليل ـ المسمَّاة بشَجَر الدُّرّ الصَّالِحِيَّة ـ في سنة خمسٍ وخمسين وستّ مائة . وهى مع حُسْنها وإتْقان بنائِها كلّها ، عَزْدٌ من القَصَب[b] جَميعُ ما فيها .

[c]قال المؤَلِّفُ : وَجَدْت بخَطّ بَعْضِهم قال[c]: ذَكَرَ بعضُ المؤرِّخين أنَّ صاحِبَها جَهارْكس نادَى عليها حين فَرَغَت ، فبَلَغَت خمسة وتسعين ألف دينار على الشَّريف فَخْر الدِّين أبي منصور[d] إسماعيل [c]بن حِصْن الدِّين[c] ثَعْلَب [c]بن يعقوب الجَعْفَري[c]، وقال لصاحِبِها : أنا أَنْقُدُكَ ثَمَنَها أيّ نَقْدٍ شِئْت ، إن شِئْتَ ذَهَبًا ، وإن شِئْتَ فِضَّة ، [c]وإن شِئْتَ وَرِقًا[c] وإن شِئْتَ عُروض تِجارَة [2].

وقَيْسارِيَّةُ جَهارْكَس تَجْري الآن في وَقْف الأمير بَكْتَمُر الجُوكَنْدار [3]، نائِب السَّلْطَنَة بعد سَلار ، على وَرَثَتِه .

= رَسْلان تجاه حمام الفاضل قريب من باب زَوِيلَة أنشأها الأميرُ بَهاءُ الدِّين رَسْلان الدَّوادار ، وهي وَقْفٌ على خانقاه رَسْلان التي أنشأها بِبُستان الخَشَّاب بالقرب من مُنْشَأة المَهْراني وقد تَقَدَّم ذكرها . a-a) ساقطة من المسودة . b) بولاق : تجزُ من القصب . c-c) زيادة من المسودة .

---

[1] المقريزي : مسودة الخطط ٣٦و .

[2] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٢٣- ٢٤.

وتدُلّ على موضع قيسارية جهارْكَس الآن المنطقة الواقعة شمال قُبّة الغوري والتي دخل جزء منها في شارع الأزهر بعد فتحه سنة ١٩٣٠.

[3] الأميرُ سَيْفُ الدِّين بَكْتَمُر الجوكَنْدار المَنْصوري ، أمير جانْدار ، المتوفى سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م . (الصفدي : أعيان العصر ٧٠٦:١- ٧٠٩، الوافي بالوفيات ١٩٨:١٠- ١٩٩؛ المقريزي : المقفى الكبير ٤٥٩:٢- ٤٦١، السلوك ١٠٢:٢؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ١٨:٢- ١٩؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٣٩٨:٣- ٤٠١؛ ابن إياس : بدائع الزهور ٤٤٠:١/١) .

وقال القاضي شَمْسُ الدِّين أحمد بن محمد بن خَلِّكَان : جَهَارْكس بن عبد الله فَخر الدِّين أبو المَنْصور النَّاصِري الصَّلاحِي [a]، كان من أكبر[b] أُمَراء الدَّوْلَة الصَّلاحية ، وكان كريمًا نَبيلَ القَدْر عالي الهِمَّة . بَنَى بالقاهِرَة القَيْسارِيَّة الكبرى المنسوبة إليه ، رأيتُ جَماعَةً من التُّجّار الذين طافُوا البلاد يقولون : لم نَرَ في شيءٍ من البلاد مثلها في حُسْنِها وعِظَمها وإحْكام بِنائِها . وبَنَى بأعْلاها مَسْجِدًا كبيرًا ورَبْعًا مُعَلَّقًا . وتوفِّي في بعض شهور سنة ثمانٍ وستّ مائة بِدِمَشْق ، ودُفِنَ في جبل الصَّالِحيَّة ، وتُرْبَتُه مشهورةٌ هناك ، رحمه الله .

وجَهَارْكَس ، بفَتْح الجيم والهاء[c] وبعد الألف راء ثم كاف مفتوحة ثم سين مهملة ، ومعناه بالعربي : أربعة أَنْفُس ، وهو لَفْظٌ عَجَمي [1].

وقال الحافظ جَمالُ الدِّين يُوسُف بن أحمد بن محمود اليَغْموري : سمعتُ الأمير الكبير الفاضِل شَرَف الدِّين أبا الفَتْح عيسىٰ ابن الأمير بَدْر الدِّين محمد بن أبي القاسم بن محمد ابن أحمد الهَكّاري البُحتري الطائي المَقْدسي بالقاهِرَة ـ ومولده سنة ثلاثٍ وتسعين وخمس مائة بالبَيْت المُقَدَّس ، شَرَّفَه الله تعالى ، وتوفِّي بدِمَشْق في ليلة الأحد تاسع عشرين رَبيع الآخر سنة تسعٍ وستّ مائة ، ودُفِنَ بسَفْح جَبَل قاسِيُون ، رحمه الله ـ قال : حدَّثني الأميرُ صَارِمُ الدِّين خَطْلُبا التِّبْنيني ، صاحِب الأمير فَخْر الدِّين أبي المَنْصور جَهارْكَس بن عبد الله النَّاصِري الصَّلاحيّ رحمه الله ، قال : بَلَغَ الأميرُ فَخْرَ الدِّين أنَّ بعضَ الأجْناد عنده فَرَسٌ قد دُفِعَ له فيه ألف دينار ولم يَسْمح بِبَيْعِه ، وهو في غايَة الحُسْن . فقال لي الأمير : يا خَطْلُبا إذا ركبنا ورأيت في المَوْكِب هذا الفَرَس نَبِّهني عليه حتى أُبْصره . فقلت : السَّمْعُ والطَّاعَة .

فلمَّا رَكِبْنَا في المَوْكِب مع الملك العَزيز عُثْمان بن الملك النَّاصِر ـ رحمه الله ـ رأيت الجُنْدي على فَرَسِه ، فتقدَّمت إلى الأمير فَخْر الدِّين وقلتُ له : هذا الجُنْدي وهذا الفَرَس راكبه . فنَظَرَ إليه وقال : إذا خَرَجْنا من سِماط السُّلْطان ، فانظر أين الفَرَس وعَرِّفْني به . فلمَّا دَخَلا إلى سِماط المَلِك العَزيز ، عَجَّلَ الأميرُ فَخْرُ الدِّين وخَرَجَ قبل النَّاس ، فلمَّا بَلَغَ إلى الباب قال لي : أين الفَرَس؟

---

a) المسودة : أبو المنصور جهاركس بن عبد الله الناصري الصلاحي الملقب فخر الدين. b) عند ابن خلكان : كبراء. c) النص عن ابن خلكان : بكسر الجيم وفتح الهاء!

---

[1] ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ : ٣٨١؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٣٤ظ-٣٥و ؛ وانظر ابن واصل : مفرج الكروب ٣ : ٤٠٤ (الكشافات).

قلت : ها هو مع الرِّكابدار ؛ فقال لي : ادْعه ؛ فدَعَوْته إليه ؛ فلمَّا وَقَف بين يديه والفَرَسُ معه ، أَمَرَه الأميرُ بأَخْذ الغاشِيَة ، ووَضَعَ الأمير رِجلَه في رِكابِه ورَكِبَه ومضَى به إلى دارِه وأَخذَ الفرَس .

فلمَّا خَرَجَ صاحِبُه ، عَرَّفَه الرِّكابدار بما فَعَلَه الأميرُ فَخْرُ الدِّين ، فسَكَتَ ومَضَى إلى بيته ، وبقِي أيَّامًا ولم يَطْلُب الفَرَس . فقال لي الأميرُ فَخْرُ الدِّين : يا خَطْلُبا ما جاءَ صاحِبُ الفَرَس ولا طَلَبَه ، اطْلُب لي صاحِبَه . قال : فاجتمعتُ به وأخبرته بأنَّ الأمير يَطْلُب الاجتماع به ، فسارَع إلى الحُضُور . فلمَّا دَخَلَ عليه ، أكرمه الأميرُ ورَفَع مَكانَه ، وحَدَّثه وآنَسَه وبَسَطَه ، وحَضَرَ سِماطَه فقرَّبه وخَصَّصَه من طَعامِه . فلمَّا فَرَغَ من الأكل ، قال له الأمير : يا فُلان ما بالك ما طَلَبْت فَرَسَك وله عندنا مُدَّة ؟ فقال : يا خَوَنْد وما عَسَى أن يكون من هذا الفَرَس ، وما ركبه الأمير إلَّا وهو قد صَلُحَ له ، وكل ما صَلُحَ للمَوْلَى فهو على العَبْد حَرام . ولقد شَرَّفَنِي مَوْلانا بأن جَعَلَني أهلًا أن يتصرَّف في عبده ، والمملوك يحسب أنَّ هذا الفَرَسَ قد أصابَه مَرَضٌ فمات . وأمَّا الآن فقد وَقَعَ في مَحَلِّه وعند أهله ، ومَوْلانا أحَقُّ به ، وما أَسْعَد المملوك إذا صَلُحَ لمولانا عنده شيء . فقال له الأمير : بَلَغَني أنَّك أُعْطيت فيه ألف دينار ؛ قال : كذلك كان ؛ قال : فلم لم تَبِعْه ؟ فقال : يا مَوْلانا ، هذا الفَرَس / جَعَلْته للجِهاد ، وأَحْسَن ما جَاهَدَ الإنْسانُ على فَرَسٍ يعرفه ويَثِقُ به ، وما مِقْدار هذا الفَرَس له أُسْوَة رأَيتني .

فاسْتَحْسن الأميرُ هِمَّتَه وشَكَرَه ، ثم أشارَ إليَّ ، فتقدَّمت إليه فقال لي في أُذُني : إذا خَرَجَ هذا الرجل ، فاخْلَع عليه الخِلْعَة الفلانية من أَفْخَر مَلْبوس الأمير ، وأَعْطِه ألف دينار وفَرَسَه .

فلمَّا نَهَضَ الرَّجُلُ أَخَذْتُه إلى الفَرَشخاناه ، وخَلَعْتُ عليه الخِلْعَة ، ودَفَعْتُ إليه الكيس وفيه ألف دينار . فخَدَمَ وشَكَرَ وخَرَجَ ، فقدَّمَ إليه فَرَسَه وعليه سَرْجٌ خاصٌّ من سُروج الأمير وعُدَّةٌ في غايَة الجَوْدَة ، فقيل ارْكَب فَرَسَك ، فقال : كيف أركبه وقد أَخَذْتُ ثَمَنه وهذه الخِلْعَةُ زيادَة على ثَمَنِه ؟

ثم رَجَعَ إلى الأمير فقَبَّل الأرض ، وقال : يا خَوَنْد تَشْريفُ مَوْلانا لا يُرَدّ ، وهذا ثَمَنُ الفَرَس قد أَحْضَرَهُ المملوك . فقال له الأميرُ فَخْرُ الدِّين : يا هذا نحن جَرَّبناك فوَجَدْناك رَجُلًا جيِّدًا ولك هِمَّة ، وأنت أَحَقُّ بفَرَسِك ، خُذْ هذا ثَمَنه ولا تَبِعْه لأحدٍ . فخَدَمَه وشَكَرَه ، ودَعا له ، وأَخَذَ الفَرَس الخِلْعَة والألف دينار وانصرف .

وأخبرني أيضًا الأميرُ شَرَفُ الدِّين بن أبي القاسم ، قال : أخبرني صارمُ الدِّين التِّبْنيني أيضًا أنَّ الأميرَ فَخْرَ الدِّين خَدَمَ عنده بعض الأجْنَاد ، فعُرِضَ عليه فأعْجَبَه شَكْلُهُ ، وقال لديوانه : اسْتَخْدِمُوا هذا الرَّجُل . فتكلَّموا معه ، وقدَّروا له في السَّنَة اثني عشر ألف درهم ، فرَضي الرجل ، وانتقل إلى حَلْقَة الأمير قَوْصُون ، وضَرَبَ خَيْمَتَه وأحْضَر بَرَكَهُ .

فلمَّا كان بعض الأيام رَجَعَ الأميرُ من الخِدْمَة ، فعَبَرَ في جَنْب خَيْمَة هذا الرجل ، فرأى خَيْمةً حَسنةً ، وخَيْلًا جِيادًا وجِمالًا وبغالًا وبَرَكًا في غاية الجَوْدَة ، فقال : هذا البَرَكُ لمن ؟ فقيل : هذا بَرَكُ فُلان الذي خَدَمَ عند الأمير في هذه الأيام ؛ فقال : قولوا له : ما لك عندنا شُغْل تمضي في حالِ سَبيلِك .

فلمَّا قيل للرجل ذلك ، أمَرَ بأن تُحَطَّ خَيْمَتُه ، وأتى إليّ وقال : يا مَوْلانا أنا رائِحٌ ، وها أنا قد حملت بَرَكي [1] ، ولكن أشْتَهي منك أن تسأل الأمير : ما ذَنْبي ؟ قال : فدَخَلْت إلى الأمير وأخْبَرْته بما قال الرَّجُل . فقال : والله ما له عندي ذَنْبٌ ، إلَّا أن هذا البَرَك وهذه الهِمَّة يَسْتَحِقّ بها أضْعافَ ما أُعْطِي ، فأنكرت عليه كيف رضي بهذا القَدْر اليَسير ، وهو يستحقُّ أن تكون أربعين ألف دِرْهَم ، وتكون قليلة في حقِّه ، فإذا خَدَمَ بثلاثين ألف دِرْهَم يكون قد تَرَك لنا عشرة آلاف دِرْهَم ؛ فهذا ذَنْبه عندي .

فرَجَعَتُ إلى الرَّجُل فأعْلَمْته بما قال الأَميرُ . فقال : إنَّما خَدَمْتُ عند الأمير ، ورَضيتُ بهذا القَدْرِ لِعِلْمِي أنَّ الأميرَ إذا عَرَفَ حالي فيما بعد لا يَقْنَع لي بهذا الجاري ، فكنت على ثِقَةٍ من إحْسَان الأمير أبْقَاهُ الله ، وأمَّا الآن فلا أرْضَى أن أَخْدِم إلَّا بثلاثين ألف درهم كما قال الأمير .

فرَجَعْتُ إلى الأمير وأَخْبَرْتُه بما قال الرَّجُل ، فقال : يُجْرَى له ما طَلَب ، وخَلَعَ عليه ، وأَحْسَن إليه .

وكان الأميرُ فَخْرُ الدِّين جَهَارْكَس مُقَدَّم النَّاصِرِيَّة ، والحاكِم بديار مصر في أيَّام الملك العَزيز عُثْمان بن صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب إلى أن ماتَ العَزيز . فمالَ الأميرُ فَخْرُ الدِّين جَهارْكس إلى ولاية ابن الملك العَزيز ، وفاوَضَ في ذلك الأمير سَيْف الدِّين يازْكوج الأَسَدي ، وهو يومئذٍ مقدَّم الطَّائِفَة الأَسَدية - وكان الملكُ العَزيزُ قد أوْصَى بالمُلْك لوَلَدِه محمد ، وأن يكون الأمير الطُّواشي بَهاءُ الدِّين قَراقُوش الأَسَدي مدبِّر أمْرِه - فأشارَ يازْكُوج بإقامَة الملك الأَفْضَل عليّ ابن صَلاح الدِّين في تَدْبير أَمْر ابن العزيز . فكَرِهَ ذلك جَهارْكَس .

---

[1] برك : أي الأمتعة .Dozy, R., *Suppl., Dict. Ar.* I, p. 75

ثم إنَّهم أقامُوا ابن العَزيز، ولَقَّبوه بالملك المَنْصور، وعمره نحو تسع سنين، ونَصَبوا قَراقُوش أتابِكًا وهم في الباطِنِ مُخْتَلفون[a] عليه، وما زالوا يَسْعَوْن في إبْطال أمْر قراقُوش حتى اتَّفقوا على مُكاتَبَة الأَفْضَل ـ المتقدِّم ذكره ـ ليَقْدَم[b] إلى مصر، ويعمل أتابِكيَّة المنصور مُدَّة سَبْعِ سنين حتى يتأهَّل بالاسْتِبْداد بالمُلْك، بشَرْط ألَّا يَرْفع فَوْق رأسه سَنْجَق المُلْك، ولا يُذْكَر اسمُه في خُطْبَة ولا سَكَّة. ٥

فلمَّا سارَ القاصِدُ إلى الأَفْضَل بكُتُب الأُمَراء، بعث جَهارْكَس في الباطِن قاصِدًا، على لِسانِه ولِسانِ الطائِفَة الصَّلاحِيَّة، بكُتُبهم إلى الملك العادِل أبي بكر بن أيُّوب، وكَتَبَ إلى الأمير مَيْمون القَصْري صاحِب نابُلُس يأمُره بألَّا يطيع الملك الأَفْضَل، ولا يَحْلف له.

فاتَّفَق خُروجُ الملك الأَفْضَل من صَرْخَد، ولِقاء قاصِد فَخْر الدِّين جَهارْكَس، فأَخَذَ منه الكُتُب وقال له: ارْجَع فقد قَضَيْتَ الحاجَة. وسارَ إلى القاهِرَة ومعه القاصِدُ، فلمَّا خَرَجَ الأُمَراءُ ١٠ من القاهِرَة إلى لقائِه بِبِلْبِيس، فعَمِلَ له فَخْرُ الدِّين سِماطًا احْتَفَلَ فيه احْتِفالًا زائِدًا ليَنزل عنده، فنَزَلَ عند أخيه الملك المؤيَّد نَجْم الدِّين مَسْعود، فشَقَّ ذلك على جَهارْكَس، وجاءَ إلى خِدْمَتِه. فلمَّا فَرَغَ من طَعام أخيه، صارَ إلى خَيْمَة جَهارْكَس وقَعَدَ ليأكل، فرأى جَهارْكَس قاصِدَه الذي سَيَّرَه في خِدْمَة الأَفْضَل، فدُهِشَ وأيْقَنَ بالشَّرّ، فللحال استأذن الأَفْضَل أن يَتَوجَّه إلى العَرَب المختلفين بأرْض مصر ليُصْلح بينهم، فأذِن له. وقامَ من فَوْرِه، واجتمع بالأمير زَيْن الدِّين قَراجا ١٥ والأمير أَسَد الدِّين قراسُنْقُر، وحَسَّنَ لهما مُفارَقَة الأَفْضَل، فساروا معه إلى القُدْس وغَلَبُوا عليه، ووافَقَهم الأميرُ عِزُّ الدِّين أُسامَة، والأميرُ مَيْمون القَصْري، فقَدِمَ عليهم في سبع مائة فارِس. ولمَّا صارُوا كلمةً واحدةً، كَتَبُوا إلى الملك العادِل يَسْتَدْعُونَه للقِيام بأتابِكيَّة المَلِك / المَنْصور محمد بن العَزيز بمصر.

وأمَّا الأَفْضَلُ فإنَّه لمَّا دَخَلَ من بِلْبِيس إلى القاهِرَة، قام بتَدْبير الدَّوْلَة وأَمْر المُلْك، بحيث لم يَبْق ٢٠ للمَنْصور معه سوى مجرَّد الاسْم فقط، وشَرَعَ في القَبْض على الطَّائِفَة الصَّلاحِيَّة أصْحاب جَهارْكَس، ففَرُّوا منه إلى جَهارْكَس بالقُدْس، فقَبَض على من قَدَر عليه منهم ونَهَبَ أمْوالَهُم.

فلمَّا زالَت دَوْلَةُ الأَفْضَل من مصر بقُدومِ الملك العادِل أبي بكر بن أيُّوب، اسْتَوْلَى فَخْرُ الدِّين جَهارْكَس على بانْياس بأمْر العادِل، ثم انْحَرَف عنه، وكانت له أنباءٌ إلى أن ماتَ.

---

a) بولاق: يختلفون. b) بولاق: وحضوره.

فانقضى أمْرُ الطَّائِفَة الصَّلاحِيَّة بمَوْته ومَوْت الأمير قَراجا ومَوْت الأمير أُسامَة ، كما انقضى أَمْرُ غيرهم [1].

قَيْسارِيَّةُ الفَاضِل

هذه القَيْسارِيَّةُ على يُمْنَة من يَدْخُل من باب زَوِيلَة ، عُرِفَت بالقاضي الفاضِل عبد الرَّحيم ابن عليّ البَيْساني ، وهي الآن في أوْقافِ المارِسْتان المَنْصوري .

أَخْبَرَني شهابُ الدِّين أحمد بن محمد بن عبد العَزيز العُذْري البِشْبيشي - رحمه الله - قال : أَخْبَرَني القاضي بَدْرُ الدِّين أبو إسْحاق إبراهيم بن القاضي صَدْر الدِّين أبي البَرَكات أحمد بن فَخْر الدِّين أبي الرُّوح عيسَىٰ بن عُمَر بنِ خالِد بن عبد المحسن المعروف بابن الخَشَّاب ، أنَّ قَيْسارِيَّة الفاضِل وُقِفَت بضع عشرة مَرَّة ، منهما مَرَّتين أو أكثر زُفَّ كِتابُ وَقْفِها بالمغاني[a] في شَارِع القاهِرَة . وهي الآن تشتمل على قَيْسارِيَّة ذات بَحْرَةِ ماءٍ للوُضُوءِ بوَسَطِها ، وأخرى بجانبها يُباعُ فيها جِهازُ النِّساء وشُوارُهن ، ويَعْلُوها رَبْعٌ فيه عِدَّةُ مَساكِن .

قَيْسارِيَّةُ بِيْبَرس

هذه القَيْسارِيَّةُ على رأس باب الجَوْذَرِيَّة من القاهِرَة . كان مَوْضِعُها دارًا تُعْرف بدار الأَنْماط اشتَراها وما حَوْلَها الأميرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس الجَاشَنْكير قبل ولايته السَّلْطَنَة وهَدَمَها ، وعَمَّر مَوْضِعَها هذهٔ القَيْسارِيَّة والرَّبْع فَوْقَها ، وتولَّى عِمارَة ذلك مَجْدُ الدِّين [b] بن سالِم المُوَقِّع . فلمَّا كَمُلَت طَلَبَ سَائِرَ تُجَّار قَيْسارِيَّة جَهارْكس وقَيْسارِيَّة الفاضِل ، وألْزَمَهم بإخْلاء حَوانيتهم من القَيْساريتين وسُكْناهم بهذه القَيْسارِيَّة ، وأكْرَهَهُم على ذلك ، وجَعلَ أُجْرَة كلِّ حانُوت منها مائة وعشرين دِرْهَمًا نُقْرَة . فلم يَسَعِ التُّجَّارُ إلَّا اسْتِئْجار حَوانيتها ، وصارَ كثيرٌ منهم يقوم بأُجْرَة الحانُوت الذي أُلْزِم به في هذه القَيْسارِيَّة من غير أن يَتْرُك حانوتَه الذي هو معه بإحدى القَيْساريتين

a) بولاق : الأغاني . b) بياض في المسودة .

[1] قارن مع ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١٢ : ١٤٠ - ١٤٢ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ٣ : ٨٨ - ٩٣ ؛ المقريزي : السلوك ١ : ١٤٥ - ١٤٩ .

وأضاف ابن أبي السرور البكري : «وهذه القَيْسارِيَّة اغْتَصَبَها أيضًا الغُوري وجعلها من جملة أوْقافه ، وهي إلى الآن من جملة أوْقافه» . (قطف الأزهار ١٧٤ظ) .

المذكورتين. ونَقَل أيضًا صُنّاعَ الأَخْفاف، وأسْكَنَهُم في الحَوانيت التي خارِجها، فعَمُرَت من داخِلها وخارِجها بالنّاس في يومين. وجاءَ إلى مَخْدومِه الأمير بَيْبَرْس ـ وكان قد وَلِيَ السَّلْطَنَة، وتلقَّب بالملك المُظَفَّر ـ وقال: يا خَوَنْد[a] بسعادَة السُّلْطان سَكَنَتَ القَيْسارِيَّةَ في يومٍ واحدٍ. فنَظَرَ إليه طَويلًا، وقال: يا قاضي إن كنت أسْكَنْتها في يومٍ واحِد، فهي تَخْلو في ساعَةٍ واحِدَةٍ.

فجاءَ الأَمْرُ كما قال، وذلك أنّه لمَّا فَرَّ بَيْبَرْس من قَلْعَة الجَبَل، لم يبت في هذه القَيْسارِيَّة لأَحَدٍ من سُكَّانها قِطْعَةُ قُماش، بل نَقَلوا كلَّ ما كان لهم فيها، وخَلَت حَوانيتُها مُدَّةً طويلةً، ثم سَكَنَها صُنّاعُ الأَخْفاف بعشرة دراهم كلّ حانُوت، وفي حَوانيتها ما أُجْرَته ثمانية دَراهِم. وهي الآن جاريةٌ في أَوْقاف الخانْقاه الرُّكْنية بَيْبَرْس، ويَسْكُنها صُنّاعُ الأَخْفاف، وأكثر حَوانيتها غير مَسْكون لخَرابِها ولقِلَّة الأَخْفافيين، ويُعْرَف الخُطُّ الذي هي فيه اليوم بالأَخْفافيين رأس الجَوْذَرِيَّة [1].

القَيْسارِيَّةُ الطُّوِيلَةُ

هذه القَيْسارِيَّةُ في شارِع القاهِرَة بسُوق الخُرْدَفوشيين، فيما بين سُوق المَهامِزيين وسُوق الجُوخيين، ولها بابٌ آخر عند باب سِرّ حَمّام الخَرّاطين. كانت تُعْرَف قَديمًا بقَيْسارِيَّة الشُّروج [2].

بناها [b].

قَيْسارِيَّةُ جاني بك [c]

هذه القَيْسارِيَّةُ تجاه قَيْسارية الشُّروج، المعروفة الآن بالقَيْسارِيَّة الطُّويلة. بعضُها وَقَفَه القاضي الأَشْرَف [d] بن القاضي الفاضِل عبد الرَّحيم بن عليّ البَيْساني على مَلْء الصِّهْريج بدَرْب مُلوخِيًا، وبعضها وَقْفُ الصّالِح طَلائِع بن رُزِّيك الوَزير [3].

---

a) زيادة من المسودة. b) بياض بالأصول. c) بياض بالأصول، وفي المسودة: قيسارية تجاه القيسارية المذكورة، والمثبت من نسخة ص. d) بياض بآياصوفيا.

---

[1] المقريزي: مسودة الخطط ٤١و-ظ.

[2] حاشية بخطّ المؤلِّف: «وأصْلُها وَقْفٌ على خزائن السّلاح، ثم صارت من أوْقاف المارستان المنصوري، ويوجد من وقفه لوَقف خزائن السّلاح مبلغًا في كلّ شهر».

[3] المقريزي: مسودة الخطط ٣٦و.

وقد هُدِمَتِ هذه القَيْساريَّةُ وبَناها الأميرُ جاني بك دَوادار السُّلْطان الملك الأَشْرَف بَرْسباي الدُّقْماقي الظَّاهري [١]، في سنة ثمانٍ وعشرين وثمان مائة، تَرْبيعَةً تَتَّصل بالوَرَّاقين [٢]، ولها بابٌ من الشَّارِع، وجَعَل علوّها طِباقًا وعلى بابها حَوانيت، فجاءَت من أحْسَن المباني.

قَيْسارِيَّةُ العُصْفُر

هذه القَيْساريَّةُ بشارِع القاهِرَة، لها بابٌ من سُوق المَهامِزيين وبابٌ من سُوق الوَرَّاقين، عُرِفَت بذلك من أجْل أنَّ العُصْفُر كان يُدَقُّ بها. أنشأها الأميرُ عَلَمُ الدِّين سِنْجر المَسْروري المعروف بالخَيَّاط [٣]، والي القاهِرَة، ووَقَفَها في سنة اثْنَتين وسَبْعين[a] وستّ مائة [٤]. ولم تَزَل باقيةً بيد وَرَثَته إلى أن وَلِيَ القاضي ناصِرُ الدِّين محمد بن البارزي الحَمَوي كِتابَة السِّرّ في الأيام المُؤَيَّديَّة شَيْخ [٥]، فاستأجرها مُدَّة أعْوامٍ من مستحقيها، ونَقَلَ إليها العَنْبَرنيين فصارَت قَيْسارية عَنْبَر، وذلك في سنة ستّ عشرة وثمان مائة، ثم انتقل منها أهلُ العَنْبَر إلى سُوقِهم في سنة ثمان عشرة وثمان مائة.

قَيْسارِيَّةُ العَنْبَر

قد تقدَّم في ذِكْر الأسْواق أنَّها كانت سِجْنًا (b يُعْرَف بحَبْس المَعُونَة في الدَّوْلَة الفاطِمية ودَوْلَة بني أيُّوب b)، وأنَّ الملكَ المنصور قَلاوون عَمَّرَها في سنة ثمانين وستّ مائة، وجَعَلَها سُوق عَنْبَر (b وبَنَى أعلاها رَبْعًا b) [٦].

---

a) بولاق: تسعين. b-b) إضافة من مسودة الخطط.

---

[١] الأميرُ سَيْفُ الدِّين جاني بك (جانِبك) الأشْرَفي الدَّوادار الثَّاني، صاحب المدرسة المعروفة الآن بجامع الجنابكية خارج باب زويلة (مسجل بالآثار برقم ١١٩)، على ناصية شارع المِغَرْبلين وحارة الجنابكية، المتوفى سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م. (أبو المحاسن: المنهل الصافي ٤: ٢٣٢-٢٣٥، النجوم الزاهرة ١٥: ١٤٨؛ الصيرفي: نزهة النفوس ٣: ١٣٨؛ السخاوي: الضوء اللامع ٣: ٥٤).

[٢] انظر علي مبارك: الخطط التوفيقية ٣: ٣٢، ٣٦؛ عبد اللطيف إبراهيم: الوثائق في خدمة الآثار ٢٣١؛ وفيما يلي ٣٠٠.

[٣] انظر عنه فيما تقدم ٢٧٥هـ [٢].

[٤] المقريزي: مسودة الخطط ٣٦و.

[٥] القاضي ناصر الدِّين أبو المعالي محمد بن عثمان بن محمد البارزي الجُهَني الحَمَوي الشَّافعي، كاتب السِّرّ الشَّريف بمصر، المتوفى سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م. (المقريزي: السلوك ٤: ٥٤٥؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ١٦١؛ الدليل الشافي ٢: ٦٧٧؛ الصيرفي: نزهة النفوس ٢: ٤٨١؛ السخاوي: الضوء اللامع ٩: ١٣٧-١٣٩).

[٦] المقريزي: مسودة الخطط ٣٦و؛ وفيما يلي ٥٩٩.

قَيْسَارِيَّةُ الفَائِزِي

هذه القَيْسارِيَّةُ كانت بأوَّل الخَرَّاطين ممَّا يلي المَهامِزِيين، لها بابٌ من المَهامِزِيين وبابٌ من الخَرَّاطين [1].

أَنْشَأَها الوَزيرُ/ الأسْعدُ شَرَفُ الدِّين أبو القاسِم هِبَة الله بن صاعِد بن وُهَيب الفائزي [a]، كان من جُمْلة نَصَارَى صَعيد مصر، وكَتَبَ على مَصَايد [b] ناحِية سُيوط بدرهم، وثلث في كلِّ يوم، ثم قَدِمَ إلى القاهِرَة وأَسْلَم في أيَّام الملك الكامِل محمد بن العادِل أبي بكر بن أيُّوب، وخَدَم عند الملك الفَائِز إبراهيم بن الملك العادِل فنُسِبَ إليه، وتولَّى نَظَرَ الدِّيوان في أيَّام الملك الصَّالِح نجْم الدِّين أيُّوب مُدَّةً يسيرةً. ثم وَلِيَ بعضَ أعْمال ديار مصر، فنُقِلَ عنه ما أَوْجَب الكَشْفَ عليه، فنُدِبَ مُوَفَّقُ الدِّين الآمِدي لذلك، فاستقرَّ عِوَضَه وسَجَنَه مُدَّةً ثم أُفْرِجَ عنه. وسافرَ إلى دِمَشْق وخَدَمَ بها الأمير جَمال الدِّين يَغْمور نائِب السَّلْطَنَة بدِمَشْق [2].

فلمَّا قَدِمَ الملكُ المُعَظَّمُ تُوران شاه بن الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب من حِصْن كيفا إلى دِمَشْق، بعد مَوْت أبيه ليأخذ مملكة مصر، سارَ معه إلى مصر في شوَّال سنة سبع وأربعين وستّ مائة. فلمَّا قامَت شَجَرُ الدُّرّ بتَدْبير المملكة بعد قَتْل المُعَظَّم، تعلَّق بخِدْمَة الأمير عزّ الدِّين أَيْبَك التُّرْكماني مُقَدَّم العَساكِر، إلى أن تَسَلْطن وتلقَّب بالملك المُعِزّ، فوَلَّاه الوَزارَة في سنة ثمانٍ وأربعين وستّ مائة [3]. فأَحْدَثَ مَظالِمَ كثيرة، وقرَّر على التُّجَّار وذَوِي اليَسَار أَمْوالًا تُجْبَى منهم، وأَحْدَثَ «التَّقْويم والتَّصْقيع» على سائِر الأَمْلاك [4]، وجَبَى منها مالًا جَزيلًا، ورَتَّب مُكوسًا على الدَّوابّ من الخَيْل والجِمال والحَمير وغيرها، وعلى الرَّقيق من العَبيد والجَواري، وعلى سَائِر المبيعات، وضَمَّن

a) بولاق: الفارسي. b) بولاق: مبايض.

[1] المقريزي: مسودة الخطط ٣٦ظ وسمَّاها فيه: قيسارية الشَّاب، وتعرف قديمًا بقيسارية الفائزي!

[2] الوزيرُ الأسْعدُ شَرَفُ الدِّين أبو القاسم هبة الله بن صاعد بن وُهَيْب الفائزي، المتوفى سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م. (الصقاعي: تالي كتاب وفيات الأعيان ١٦٢-١٦٤؛ بيبرس الدَّوادار: زبدة الفكرة ٦، ٢٥؛ النويري: نهاية الأرب ٢٩: ٤٥٨ - ٤٥٩، ٤٦٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٧: ٢٧٦- ٢٧٧؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١: ٨٠- ٨٣؛ المقريزي: السلوك ١: ٤٠٧؛ العيني: عقد الجمان ١: ٦٨، ١٦٣؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٥٨).

[3] انظر فيما يلي ٧٦٧.

[4] انظر عن التقويم والتصقيع فيما تقدم ١: ٢٨٤.

المنكرات من الخَمْر والمِزْر والحَشيش وبُيُوت الزَّواني بأمْوالٍ ، وسَمَّى هذه الجهات بـ «الحُقُوق السُّلْطانية والمُعامَلات الدِّيوانية»[1] .

وتمكَّن من الدَّوْلَة تَمَكُّنًا زائِدًا إلى الغايةِ ، بحيث إنَّه سارَ إلى بِلاد الصَّعيد بعَساكرَ لمحاربة بعض الأُمَراء ، وكان الملكُ المُعِزُّ أَيْبَك يُكاتِبُه بالمملوك ، وكثر مالُه وعَقارُه ، حتى إنَّه لم يبلغ صاحِبُ قَلَمٍ في هذه الدُّولَ ما بَلَغه من ذلك ، واقتنى عِدَّةَ مَماليكٍ منهم مَنْ بَلَغَ ثمنُه ألف دينار مصرية . وكان يَرْكَبُ في سبعين مَمْلوكًا من مَماليكه سوى أَرْباب الأَقْلام والأَتْباع ، وخَرَجَ بنفسه إلى أعْمال مصر واسْتَخْرَج أمْوالَها . وكان يَنوبُ عنه في الوَزارَة زَيْنُ الدِّين يَعْقُوب بن الزُّبَيْر ، وكان فاضِلًا يعرف باللِّسان التُّرْكي ، فصارَ يَضْبِطُ له مَجالِسَ الأُمَراء ويُعَرِّفه ما يدور بينهم من الكلام .

فلم يَزَلْ على تمكُّنه وبَسْط يَدِه وعِظَم شَأْنِه إلى أن قُتِلَ الملكُ المُعِزُّ ، وقامَ من بعده ابنه الملكُ المَنْصُورُ نُور الدِّين عليّ وهو صغير ، فاستقرَّ على عادَته حتى شَهِدَ عليه الأميرُ سابق الدِّين بُوزنا[a] الصَّيْرفي[2] والأميرُ ناصِرُ الدِّين محمد بن الأَطْروش الكُرْدي أمير جانْدار أنَّه قال : المملكةُ لا تَقُوم بالصِّبْيان الصِّغار ، والرأيُ أن يكون الملكُ النَّاصِرُ صاحِبُ الشَّام ملك مصر ، وأنَّه قد عَزَمَ على أن يَسيرَ إليه يَسْتَدْعيه إلى مصر ويُساعِده على أَخْذ المملكة . فخافَت أمُّ السُّلْطان منه ، وقَبَضَت عليه وحَبَسَتْه عندها بقَلْعَة الجَبَل ، ووَكَّلَت بعذابِه الصَّارِم أحمر عينه العِمادي الصَّالِحِي ، فعاقَبَه عُقُوبَةً عَظيمَةً ، ووَقَعَت الحَوْطَةُ على سائِر أموالِه وأسْبابِه وحَواشيه ، وأَخَذَ خَطَّه بمائة ألف دينار ، ثم خُنِقَ لليالٍ مضَت من جُمادَى الأُولى سنة خمسٍ وخمسين وستّ مائة ، ولُفَّ في نَخٍّ ودُفِنَ بالقَرافَة . و اسْتَقَرَّ من بعده في الوَزارَة قاضي القُضَاة بَدْرُ الدِّين السِّنْجاري مع ما بيده من قَضَاء القُضَاة .

ولم تَزَلْ هذه القَيْساريَّةُ باقيةً ـ وكانت تُعْرَف بقَيْساريَّة النُّشَّاب ـ إلى أن أَخَذَها الأميرُ جَمالُ الدِّين يُوسُف الأُسْتادّار[b]، هي والحَوانيت على يَمْنَة من سَلَكَ من الخَرَّاطين يُريدُ الجامِع الأَزْهَر ـ وفيما بينهما كان بابُ هذه القَيْساريَّة ، وكانت هذه الحَوانيتُ تُعْرَف بوَقْف خَمُرتاش[c] ـ وهَدَمَ

a) بولاق : بوزبا . b) مسودة الخطط : اليحاسي . c) بولاق : تمرتاس .

[1] انظر فيما تقدم ١: ٢٨٣؛ فيما يلي ٤٠٩ ، ٥٩٨. عند، أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٧: ٤٣، ١١٧،
[2] انظر بعض أخبار الأمير سابق الدِّين بوزنا الصيرفي ٩: ١٢.

الجَميع وشَرَعَ في بنائِه ، فقُتِلَ قبل أن يَكْمُل ، وأَخَذَه الملكُ النَّاصِرُ فَرَج . فبُنِيتِ الحَوانيت التي هي على الشَّارِع بسُوق المَهامزيين ، وصارَ ما بقِيَ ساحَةً[1] عَمَّرها القاضي زَيْنُ الدِّين عبد الباسِط بن خَليل الدِّمَشْقي ، ناظِر الجَيْشِ قَيْسارِيَّةً يعلوها رَبْع ، وبنَى أيضًا على حَوانيت جَمال الدِّين رَبْعًا ، وذلك في سنة خمسٍ وعشرين وثمان مائة .

٥ وقال الإمامُ عَفيفُ الدِّين أبو الحَسَن عليّ بن عَدْلان يَمْدَح الأَسْعَد الفَائِزي ـ رحمه الله ـ صاعِدًا وابنه المُرْتَضَى هِبة [a]:

[مجزوء الخفيف]

مُـذْ تَـوَلَّـى أمـورَنـا لم أَزَلْ منه ذا هبه
وهــو إن دام أمْــرُه شِدَّةُ العَيْش ذاهِبَه

١٠

قَيْسارِيَّةُ بَكْتَمُر السَّاقي [b]

هذه القَيْسارِيَّةُ بسُوق الحَريريين بالقُرْب من سُوق الوَرَّاقين . كانت تُعْرَف قَديمًا بالصَّاغَة ، ثم صارَت فُنْدُقًا يُقال له فُنْدُق جكو [c]. وأصلُها من جملة الدَّار العُظْمى التي تُعْرَف بدار المأمون بن البَطائِحي ، وبعضها المَدْرَسَة السُّيوفِيَّة . أنشأ هذه القَيْسارِيَّة الأمير بَكْتَمُر السَّاقي في الأيَّام النَّاصِرِيَّة محمد بن قلاوون ، [d]وهي على يَمْنَة السَّالك من الحَريريين إلى الزَّجَّاجين[d] [2].

١٥

قَيْسارِيَّةُ ابن يَحْيَى

هذه القَيْسارِيَّةُ كانت تِجاه باب قَيْسارِيَّة جهارْكَس حيث سُوق الطُّيور وقاعات الحَلْوى . أنشأها القاضي المُفَضَّل هِبَةُ الله بن يحيى التَّميمي المُعَدَّل ، كان وَرَّاقًا [e] كاتِبًا في الشُّروط الحُكْمِية في حُدود سنة أربعين وخمس مائة في الدَّوْلَة الفاطِمية ، ثم صارَ من جملة العُدُول ، وبقي إلى سنة ثمانين .

---

a) ساقطة من بولاق . b) زيادة من مسودة الخطط . c) بولاق : حكم . d-d) زيادة من مسودة الخطط . e) بولاق : موثِّقًا .

---

[1] المقريزي : مسودة الخطط ٣٦ظ .

[2] نفسه ٣١ظ .

وكان سُوقُ الحريريين يقعُ بشارع المعز لدين الله عند تجاه خان الخليلي والمعروف بجامع الشيخ مُطَهَّر. مدرسة الأشرف برسباي ، وموضع دار المأمون البطائحي والمدرسة السيوفية ، هو الجامع الواقع بشارع المعز لدين الله

وله ابنٌ يُقالُ له كمالُ الدِّين عبد المجيد / بن القاضي المُفضَّل. ولكمال الدِّين ابنٌ يُقالُ له جَلالُ الدِّين محمد بن كمال الدِّين عبد المجيد بن القاضي المُفضَّل هبة الله بن يحيى. ماتَ في آخر سنة تسعين وستِّ مائة [a].

وقد خَرِبَت هذه القَيْسارِيَّةُ، ولم يَبْقَ لها أَثَرٌ [١].

٥

قَيْسارِيَّةُ طاشْتَمُر

هذه القَيْسارِيَّةُ بجوار الوَرَّاقين، لها بابٌ كبيرٌ من سُوق الحَريريين على يَسْرَة من سَلَكَ إلى الزَّجَّاجين وباب من الوَرَّاقين [٢].

أنشأها الأميرُ طاشْتَمُرُ [b) ٣] في أعْوام بِضْع وثلاثين وسبع مائة. وسَكَنَها عقَّادو الأَزْرار حتى غُصَّت بهم مع كِبَرِها وكَثْرَة حَوانيتها، وكان لهم مَنْظَرٌ بَهيجٌ فإنَّ أكثرهم من بَياض النَّاس، وتحت يدِ كلِّ مُعَلِّم منهم عِدَّةُ صِبْيان من أوْلاد الأَتْراك وغيرهم، فطالما مَرَرْتُ منها إلى سُوق الوَرَّاقين، وداخَلَني حَياءٌ من كثرة من أَمُرُّ به هناك.

١٠

ثم لمَّا حَدَثَت المِحَنُ في سنة ستٍّ وثمان مائة تلاشَى أَمْرُها، وخَرِبَ الرَّبْعُ الذي كان عُلُوَّها وبيعت أنقاضُه، وبقيت فيها اليوم بقيَّةٌ يسيرةٌ.

قَيْسارِيَّةُ الفُقَراء

١٥

هذه القَيْسارِيَّةُ خارِج باب زَوِيلَة بخُطِّ تَحْت الرَّبْع. أنشأها (c الملك الظَّاهِرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري c) [٤].

---

a) بولاق: ستين وسبع مائة. b) بياض في آياصوفيا. c-c) بياض بالنسخ والمثبت من المسودة.

---

[١] المقريزي: مسودة الخطط ٣١ظ-٣٢و.

[٢] سمَّاها في مسودة الخطط: قيسارية الحرير، وأضاف: سكنها الحريريون بعد سنة ثلاثين وسبع مائة ....

[٣] الأمير طَشْتَمُر (طاشْتَمُر) الساقي النَّاصري المعروف بحُمُّص أخْضَر، أحَدُ مماليك السُّلْطان الملك النَّاصر محمد بن قلاوون وخواصِّه، توفي مقتولًا بالكَرَك بسَيْف الملك النَّاصر أحمد سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م. (الصفدي: أعيان العصر ٢: ٥٨٦-٥٩١، الوافي بالوفيات ١٦: ٤٣٧- ٤٤٢؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ٤٦؛ المقريزي: السلوك ٢: ٦٣٧؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣٢٠- ٣٢٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٠١- ١٠٢، المنهل الصافي ٦: ٣٩٢-٣٩٤).

[٤] المقريزي: مسودة الخطط ٣٣و. =

قَيْسارِيَّةُ بَشْتاك

خارجَ باب زَوِيلَة بخُطِّ تَحْتَ الرَّبْع. أنشأها الأميرُ (a سَيْفُ الدِّين a) بَشْتاكَ النَّاصِري، وهي الآن b)[١].

قَيْسارِيَّةُ ابن b) المُحَسِّني

خارج باب زَوِيلَة بخُطِّ c) تَحْتَ الرَّبْع[٢]، أنشأها الأميرُ بَدْرُ الدِّين بِيلْبَك المُحَسِّني والي الإسْكَنْدَرِية ثم والي القاهِرَة. كان شُجاعًا مِقْدامًا، فأخرجَه الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون إلى الشَّام وبها ماتَ في سنة تسعٍ وثلاثين وسبع مائة. فأخذَ ابنُه الأميرُ ناصِرُ الدِّين محمد بن بِيلْبَك المُحَسِّني إمْرَته.

فلمَّا ماتَ الملكُ النَّاصِرُ قَدِمَ إلى القاهِرَة، وولَّاه الأميرُ قَوْصُون ولاية القاهِرَة في سابع عشر صَفَر سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة.

فلمَّا قُبِضَ على قَوْصُون في يوم الثلاثاء آخِر شهر رَجَب منها، أُمْسِك ابن المُحَسِّني، وأُعيد نَجْمُ الدِّين إلى ولاية القاهِرَة، ثم عُزِلَ من يومِه ووَلِيَ الأميرُ جَمالُ الدِّين يُوسُف والي الجِيزَة، فأقامَ أربعة أيَّام، وعُزِلَ بطَلَبِ العامَّة عَزْله ورَجْمه، فأُعيد نَجْمُ الدِّين[٣].

---

a-a) زيادة من مسودة الخطط. b) بياض بالنسخ. c) ابن: ساقطة من بولاق.

- وكانت قَيْساريةُ الفُقَراء تقع تَحْت رَبْع الظَّاهر الواقع خارج باب زويلة، وكان يشتمل على مائة وعشرين بيتًا (فيما يلي ٢:٥٠٤). وإلى هذا الرَّبْع ينسب شارع تحت الرَّبع على يمين الخارج من باب زويلة (فيما يلي ٢:٣٧٨). وقد وقع حريقٌ بهذا الرَّبْع سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م أثناء واقعة الكنائس. ويُحَدَّد مكانه الآن مجموعةُ المباني الواقعة بشارع تَحْت الرَّبْع خارج باب زويلة تجاه تكيَّة وزاوية الشيخ إبراهيم الكُلْشاني. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٦٦هـ[٤]).

[١] المقريزي: مسودة الخطط ٣٣و.

[٢] نفسه ٣٣و.

[٣] الأمير بَدْر الدِّين بِيلْبك المُحَسِّني الجَزَري، المتوفى سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م. (المقريزي: المقفى الكبير ٢:٥٨٤-٥٨٥، السلوك ٢:٤٧١)، وابنه هو الأمير ناصر الدِّين محمد بن بِيلْبك المحسني الجزري، المتوفى بعد سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٥م. (المقريزي: المقفى الكبير ٥:٤٧٠-٤٧١، السلوك ٢:٥٦٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٣:٤١١-٤١٢).

قَيْسارِيَّةُ الجامِع الطُّولُونِي[a]

هذه القَيْساريَّةُ كان موضعُها في القَديم من جُمْلَة قَصْر الإمارَة الذي بَنَاه الأميرُ أبو العَبَّاس أحمد بن طُولون، وكان يَخْرُج منه إلى الجامِع من باب في جِداره القِبْلي. فلمَّا خَرِبَ صارَ ساحَةَ أرضٍ، فعمَّر فيها القاضي تاجُ الدِّين [b] المُناوي، خَليفَة الحُكْم عن قاضي القُضَاة عِزّ الدِّين عبد العَزيز ابن جَماعَة، قَيْساريَّةً في سنة خمسين وسبع مائة من فائِض مالِ الجامِع الطُّولوني، فعُمِلَ[c] فيها ثلاثون حانُوتًا.

فلمَّا كانت ليلةُ النصف من شهر رَمَضان من هذه السنة، رأى شَخْصٌ من أهل الخَيْر رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم في مَنامِه، وقد وَقَفَ على باب هذه القَيْساريَّة وهو يقول: «بَارَكَ الله لمن يَسْكُن هذه القَيْساريَّة»، وكَرَّرَ هذا القَوْلَ ثَلاث مَرَّات [1]. فلمَّا قَصَّ هذه الرُّؤْيا رَغِبَ النَّاسُ في سُكْناها، وصارَت إلى اليوم هي وجَميع ذلك السُّوق في غايَة العِمارَة.

وفي سنة ثمان عشرة وثمان مائة، أنشأها قاضي القضاة جَلالُ الدِّين عبد الرَّحْمَن بن شَيْخ الإسْلام سِراج الدِّين عُمَر بن نَصير بن رَسْلان البُلْقيني [2]، من مالِ الجامِع المذكور، قَيْساريَّةً أخرى. فرَغِبَ النَّاسُ في سُكْناها لوُفُور العِمارَة بذلك الخُطِّ.

قَيْسارِيَّةُ ابن مُيَسَّر الكُبْرَى

هذه القَيْساريَّةُ أَدركتها بمَدينَة مصر في خُطِّ سُوَيْقَة وَرْدان وهي عامِرَة يُباع بها القُماش الجَديد من الكَتَّان الأبيض والأزرق والطَّرْح، وتمضي تُجَّارُ القاهِرَة إليها في يومي الأحد والأربعاء لِشَرَاء الأصْناف المذكورة.

وذَكَرَ ابنُ المُتَوَّج أنَّ لها خمسة أبْواب وأنَّها وَقْفٌ، ثم وَقَعَت الحَوْطَةُ عليها فجَرَت في الدِّيوان السُّلْطاني، وقَصَدُوا بيعها مِرارًا فلم يَقْدر أحَدٌ على شِرائِها، وكان بها عُمُد رُخام

a) في المسودة: القيسارية بجوار الجامع الطولوني. b) بياض في المسودة وآياصوفيا. c) بولاق: فكمل.

[1] المقريزي: مسودة الخطط ٣٢و.

[2] القاضي جلالُ الدِّين أبو الفَضْل عبد الرحمن بن عمر ابن رَسْلان البُلْقيني، المتوفى سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م. (انظر فيما تقدم ١٧٢هـ[2]).

فأَخَذَها الدِّيوان وعُوِّضَت بعُمُدِ كَذّان، وأنّه شاهَدَها مسكونةً جَميعها عامِرَةً [١]. انتهى.

وقد خَرِبَ ما حَوْلها بعد سنة ستين وسبع مائة، وتزايد الخَرابُ حتى لم يَبْقَ حَوْلَها سوى كيمانٌ، فعمل لها بابٌ واحدٌ، وتردَّد النَّاسُ إليها في اليومين المذكورين لا غير. فلمَّا كانت الحَوادِثُ منذ سنة ستٍّ وثمان مائة، واستولى الخَرابُ على إقْليم مصر، تعطَّلَت هذه القَيْساريَّة، ثم هُدِمَت في سنة ستّ عشرة وثمان مائة. ٥

قَيْسارِيّةُ عبد الباسِط

هذه القَيْساريَّةُ برأس الخَرَّاطين من القاهِرَة، كان موضعُها يُعْرف قَديمًا بعَقبَة الصَّبَّاغين ثم عُرِفَ[a] بالقَشَّاشين، ثم عُرِفَ بالخَرَّاطين.

وكان هُناك مارِستانٌ ووَكالَةٌ في الدَّوْلَة الفاطِميَّة، وأدْرَكْنا بها حَوانيت تُعْرف بوَقْف خَمُرتاش[b] المُعَظَّمي، فأَخَذَها الأميرُ جَمالُ الدِّين الأسْتادَّار فيما أَخَذَ من الأوْقاف. فلمَّا قُتِلَ أَخَذَ النَّاصِرُ فَرَج جانبًا منها وجَدَّدَ عِمارَتها، ووَقَفَها على تُرْبَةِ أبيه الظَّاهِر بَرْقوق. ثم أخذَها زَيْنُ الدِّين عبد الباسِط بن خَليل في الأيَّام المُؤَيَّدية شَيْخ، وعَمِلَ في بعضها هذه القَيْساريَّة [c] وعُلُوّها، ووَقَفَها على مَدْرَسَته وجامِعه [٢]. ثم أَخَذَ السُّلْطانُ الملكُ الأشْرَفُ بَرْسباي بقيَّة الحَوانيت من وَقْف جَمال الدِّين، وجَدَّد عِمارَتَها في سنة سبعٍ وعشرين وثمان مائة [d]. ١٠

---

a) بولاق: عرفت. b) بولاق: تمرتاش. c) بياض في آياصوفيا. d) هنا على هامش آياصوفيا: بياض ورقة.

---

[١] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٣٨.

[٢] هنا على هامش نُسْخَة ص: «وله أيضًا القَيْسارية المعروفة بإنشائه تجاه باب حارَة الرُّوم تشتمل على أربعة أبواب: أحدهم تجاه رَبْع الزَّيَّاتين يقابله باب سوق الأخفافيين وباب ثالث إلى الماطيين يقابله الباب الرَّابع إلى سُوق الفَحَّامين وهو الآن من أجَلّ أسْواق القاهِرَة يسكنه أعْيانُ التُّجَّار ومياضُ النَّاس».

ذِكْرُ الخَانَاتِ والفَنَادِقِ

/ خَانُ مَسْرور

خَانُ مَسْرور مكانان: أحَدُهما كَبيرٌ، والآخر صَغيرٌ. فالكبيرُ على يَسْرَة من سَلَكَ من سُوق باب الزُّهُومَة إلى الحَريريين، كان موضعَه خِزَانَةُ الدَّرَق التي تقدَّم ذكرها في خَزائِن القَصْر[1]. والصَّغيرُ على يَمْنَة من سَلَكَ من سُوق باب الزُّهُومَة إلى الجامِع الأزْهَر، كان سَاحَةً يُباع فيها الرَّقيق بعدما كان موضِعَ المَدْرَسَة الكامِليَّة هو سُوقُ الرَّقيق.

قال ابنُ الطُّوَيْر: خِزَانَةُ الدَّرَق كانت في المكان الذي هو خان مَسْرور، وهي بِرَسْم اسْتِعْمالات الأساطيل من الكَبُورَة الخَرَجية والخُوَذ الجُلودية وغير ذلك[2].

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر: فُنْدُقُ مَسْرور: مَسْرورٌ هذا من خُدَّام القَصْر خَدَم الدَّوْلَة المصرية واختصَّ بالسُّلْطان صَلاح الدِّين ـ رحمه الله ـ وقَدَّمه على حَلْقته. ولم يَزل مُقَدَّمًا في كلِّ وَقْت، وله بِرٌّ وإحْسَانٌ ومَعْروفٌ، ويُقْصَد في كلِّ حسنة وأجْر وبرّ، وبَطَّلَ الخِدْمَة في الأيام الكامِلية، وانْقَطَع إلى الله تعالى ولزم دارَه. ثم بَنَى الفُنْدُق الصَّغير إلى جانِبه، وكان قَبْلَ بنائِه ساحَةً يُباعُ فيها الرَّقيق، اشْتَرى ثُلُثَها من والدي ـ رحمه الله ـ والثُّلُثَيْنِ من وَرَثَة ابن عَنْتَر. وكان قد مَلَّكَ الفُنْدُقَ الكبير لغُلامِه رَيْحان وحَبَسَه عليه، ثم من بعده على الأسْرى والفُقَراء بالحَرَمَيْنِ، وهو مائة بيت إلَّا بيتًا، وبه مَسْجِدٌ تُقامُ فيه الجَماعَة والسَّبْع.

ولمَسْرورٍ المذكور بِرٌّ كثيرٌ بالشَّام وبمصر، وكان قد وصَّى أن تُعْمَل دارُه ـ وهي بخُطّ حارَة الأُمَراء ـ مَدْرسةً، ويُوقف الفُنْدُق الصَّغير عليها. وكانت له ضَيْعَةٌ بالشَّام بيعت للأمير سَيْف الدِّين أبي الحَسَن القَيْمَري بجملةٍ كبيرةٍ، وعُمِّرَتِ المَدْرَسَةُ المذكورة بعد وَفاته[3].

a) بولاق: الجمع.

[1] فيما تقدم ٢: ٣٨١.

[2] ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٣٤.

[3] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٢٤- ٢٥.

انتهى . (a تولَّى ذلك القاضي كمالُ الدِّين خِضْر ودَرَّس بها وهي بيده . ودُفِنَ مَسْرُور بالقَرافَةِ الصُّغْرىٰ إلى جانب مَسْجده وصِهْريجه ، وله رَبْعٌ بالشَّارع الأَعْظَم[١] موقُوفٌ على ذلك وغيره بخُطّ الشَّقْطِيين . ومناقِبُه ــ رحمه الله ــ أكثر من أن تُحْصى ، وصِلاته أعظم من أن تستقصى a).

وقد أَدْرَكْتُ فُنْدُقَ مَسْرور الكبير في غايَة العِمارَة ، تنزله أعْيانُ التُّجّار الشَّاميين بتجاراتهم ، وكان فيه أيضًا مَوْدع الحُكْم الذي فيه أمْوالُ اليَتامَى والغُيَّاب ، وكان من أجلِّ الخانات وأعْظَمِها . فلمَّا كَثُرَتِ المِحَنُ بخَراب بلاد الشَّام منذ سنة تَيْمورلَنْك ، وتلاشَت أحْوالُ إقْليم مصر ، قلَّ التُّجار وبَطَلَ مَوْدِع الحُكْم ، فقَلَّت مَهابَةُ هذا الخان ، وزالَت حُرْمَتُه ، وتَهدَّمت عِدَّةُ أماكِن منه ؛ وهو الآن بيد القُضَاة b).

فُنْدُق بِلال المُغِيثي

هذا الفُنْدُق فيما بين خُطِّ حَمَّام خُشَيْبَة وحارة العَدَوية c). أنشأه الأميرُ الطَّواشي أبوالمناقِب حُسَام الدِّين بِلال المُغيثي[٢] ، أحَد خُدَّام الملك المُغيث صاحِب الكَرَك ، كان حَبَشي الجِنْس حالِك السَّواد ، خَدَم عِدَّةً من الملوك ، واستقرَّ لالا[٣] الملك الصَّالِح عليّ بن الملك المنصور قَلاوون ، وكان مُعَظمًا إلى الغَايَة يجلس فَوْق جَميع أُمَراء الدَّوْلَة . وكان الملكُ المَنْصور قَلاوون إذا رآه يقول : رحِمَ الله أستاذَنا الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب . أنا كنت أحمل سَارْمُوزَة d)[٤] هذا

a-a) إضافة من مسودة المواعظ . b) بولاق : القضاء . c) مسودة المواعظ : بخط الحارة العدوية . d) بولاق : شارموزه .

[١] المقريزي : مسودة المواعظ ٤٠٤–٤٠٥ .

[٢] الأمير الطَّواشي حُسَام الدِّين أبو المناقب بِلال المغيثي الجلالي الجمدار الصَّالحي ، عُرِفَ بالمغيثي لأنَّه كان في خِدْمَة الملك المُغيث فَتْح الدِّين عمر بن الملك العادل محمد بن الملك الكامل محمد صاحب الكَرَك ، وتوفى سنة ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م . (راجع ، الصفدي : أعيان العصر ٢ : ٤٢ ، الوافي بالوفيات ١٠ : ٢٨٠ ؛ المقريزي : المقفى الكبير ٢ : ٤٨١– ٤٨٣ ، السلوك ١ : ٩٠٥ ؛ العيني : عقد الجمان ٤ : ١٢٦) .

والطَّواشي جـ. الطَّواشِيَّة . لفظةٌ تركيةٌ أصْلُها بلغتهم : طابوشي وحرَّفتها العامَّةُ إلى طواشي ، وهو الخَصِيّ . قال المَقْريزي : «وأدْرَكتهم ولهم حُرْمَة وافرة وكلمة نافذة وجانب مَرْعي ، ويعد شيخُهم من أعْيان النَّاس يجلس على مَرْتَبَة . (فيما يلي ٢ : ٣٨٠) . وانظر كذلك معنى الطَّواشي في العصر الأيُّوبي (فيما تقدم ١ : ٢٣٢–٢٣٣) .

[٣] لالا . لَفْظٌ فارسي معناه الشَّخص المكَلَّف بالعناية بالأطفال .

[٤] سارْمُوزة (سَرْموزة) . لفظ فارسي معناه «رأس الخفّ» ، فإن سَرْ : رأس ، وموزه : خُفّ ، وهي تطلق على =

الطَّواشي حُسام الدِّين كُلَّما دَخَلَ إلى السُّلْطان الملك الصَّالِح حتى يخرج من عنده فأُقَدِّمها له.

وكان كثيرَ البِرِّ والصَّدَقات، وله أمْوالٌ جَزيلَة، ومَدَحَه عَدَّةٌ من الشُّعَراء، وأجازَ على المَديح، وتَجاوَزَ عمره ثمانين سنة. فلمَّا خَرَجَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون لِقتال التَّتَر، في سنة تسع وتسعين وستّ مائة، سافَرَ معه فماتَ بالسَّوادة ودُفِنَ بها، ثم نُقِلَ منها بعد وَقْعَة شَقْحَب إلى تُرْبَته بالقَرافَة فدُفِنَ هناك [١].

وما بَرِحَ هذا الفُنْدُق يُودِع فيه التُّجَّارُ وأرْبابُ الأمْوال صَناديق المال. ولقد كُنْتُ أدْخُل فيه فإذا بدائِره صَناديقُ مُصْطَفَّة ما بين صَغيرٍ وكَبير، لا يَفْضُل عنها من الفُنْدق غير ساحَةٍ صغيرةٍ بوسَطِه، وتشتمل هذه الصَّناديق من الذَّهَب والفِضَّة على ما يجلّ وَصْفُه.

فلمَّا أنشأ الأميرُ الطَّواشِي زيْنُ الدِّين مُقْبِلُ الزّمام الفُنْدُق بالقرب منه، وأنشأ الأميرُ قَلْمَطاي الفُنْدُق بالزَّجَّاجين، وأَخَذَ الأميرُ يَلْبُغَا السَّالِمِي أمْوالَ النَّاس في واقِعَة تَيمورلَنْك في سنة ثلاث وثمان مائة، تلاشَى أَمْرُ هذا الفُنْدُق، وفيه إلى الآن بقيَّة.

فُنْدُقُ الصَّالِح [a]

هذا الفُنْدُقُ [b]والرَّبعُ عُلْوَه[b] بجوار باب القَوْس الذي كان أحدَ بابي زَوِيلَة، فمن سَلَكَ اليوم من المَسْجِد المعروف بسَام بن نُوح يُريد باب زَوِيلَة، صارَ هذا الفُنْدُقُ على يَسارِه. وأنشأه، هو وما يَعْلوه من الرَّبْع، الملكُ الصَّالِحُ عَلاءُ الدِّين عليّ بن السُّلْطان الملك المَنْصور قَلاوون [٢]. وكان أبوه لمَّا عَزَمَ على المسير إلى مُحارَبَة التَّتَر ببلاد الشَّام، سَلْطَنَه وأَرْكَبه بشِعَار السَّلْطَنَة من قَلْعَة الجَبَل في شهر رَجَب سنة تسع وسبعين وستّ مائة، وشَقَّ به شارِع القاهِرَة من باب النَّصْر إلى أن عادَ إلى قَلْعَة الجَبَل، وأجْلَسَه على مَرْتَبَتِه وجَلَسَ إلى جانِبه،

a) مسودة المواعظ: فندق الملك الصالح. b-b) إضافة من مسودة المواعظ.

= نِعال النِّساء، أو نوع من الأحذية القصيرة التي تُخْلَع عند دخول المنزل. (فيما يلي ٣٤٦؛ Mayer, L., *Mamluk Costume*, pp. 72, 74).

[١] المقريزي: مسودة المواعظ ٤٠٧.

[٢] يَدُلُّ على موضعه الآن المبنى الواقع خلف مسجد سام ابن نوح على يسار السالك إلى باب زويلة أمام المباني الواقعة شمال جامع المؤيد شيخ.

فمَرِضَ عَقِيبَ ذلك وماتَ ليلة الجمعة الرابع من شَعْبان [سنة سبع وثمانين وستّ مائة][a].

فأظهر السُّلْطانُ لموته جَزَعًا مُفْرِطًا وحُزْنًا زائِدًا، وصَرَخَ بأعلى صَوْته «واوَلَداه»، ورَمى كَلُوْتَته[1] عن رأسِه إلى الأرْض، وبقي مَكْشُوفَ الرَّأس إلى أن دَخَل الأُمَراءُ إليه وهو مَكْشُوفُ الرَّأْس يَصْرُخ «واوَلَداه»، فعندما عايَنُوه كذلك ألقوا كَلُّوتاتهم عن رءوسهم وبكوا ساعةً. ثم أَخَذَ الأمير طُرُنطاي النَّائِب[2] شَاش[3] السُّلْطان من الأرْض، وناوَله للأمير سُنْقُر الأَشْقَر[4]، فأَخَذَه ومَشَى وهو مَكْشُوف الرأس، وباسَ الأرض وناوَل الشَّاس للسُّلْطان، فدَفَعَه وقال: إيش أعمل بالمُلْك بعد وَلَدي؟ وامْتَنع من لبسه. فقَبَّل الأُمَراءُ الأرض يسألون السُّلْطان في لِبْس شاشِه، ويخضعون له في السؤال ساعةً حتى أجابَهم وغَطَّى رأسَه[5].

٩٣:٢ فلمَّا أصبح خَرَجَت جَنازتُه من القَلْعَة، ومَعَهَا الأُمَراءُ من غير حُضور السُّلْطان، / وساروا بها إلى تُرْبة أُمِّه المعروفة بتُرْبة خاتُون[6]، قريبًا من المَشْهَد النَّفيسي، فوارَوْه وانْصَرفُوا[7].

فلمَّا كان يومُ السَّبْت ثانيه، نَزَلَ السُّلْطانُ من القَلْعَة وعليه البَياضُ تَحَزُّنًا على وَلَدِه، وسارَ ومعه الأُمَراءُ بثياب الحُزْن إلى قَبْر ابنه، وأُقيمَ العَزاءُ لمَوْته عِدَّة أيَّام.

---

a) بياض في الأصول والزيادة من المصادر.

---

[1] كَلُوْتَه جـ. كَلُوْتات. غطاء للرأس من الصوف المضرب بالقطن يُلْبَس وحده أو بعمامة. (ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٣٤هـ[6]).

[2] الأميرُ حُسامُ الدِّين أبو سعيد طُرُنْطاي المنصوري نائب السَّلْطَنَة عظيم دولة أستاذه المنصور قلاوون. قَبَضَ عليه الملك الأشْرَف خليل بن قلاوون وقتله تحت العقوبة سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م. (الصفدي: الوافي بالوفيات ١٦: ٤٢٩-٤٣٠؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ١: ٤٩، ١٣٦؛ المقريزي: السلوك ١: ٦٦٥؛ العيني: عقد الجمان ٣: ٢٦-٣٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٣٨٣، المنهل الصافي ٦: ٣٨٦-٣٨٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٣٦٠، ٣٦٥-٣٦٦؛ وفيما يلي ٢: ٣٨٦-٣٨٧).

[3] الشَّاش أو الشَّاشِيَّة: ما يُلَفُّ حول غطاء الرأس من قماش.

[4] الأميرُ شَمْسُ الدِّين سُنْقُر الأشْقَر الصَّالِحِي، نائب السَّلْطَنَة بدمشق، المتوفى مقتولًا سنة ٦٩١هـ/١٢٩٢م. (الصفدي: الوافي بالوفيات ١٥: ٤٩٠-٤٩٥؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ١: ٤٩، ١٥٤؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٨: ١٥١؛ المقريزي: السلوك ١: ٧٨١-٧٨٢؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٦: ٨٧-٩٥، النجوم الزاهرة ٨: ٣٧).

[5] ابن حبيب: تذكرة النبيه ١: ١١٥؛ المقريزي: السلوك ١: ٧٤٤ (وفيه أن الوفاة ناتجة عن دوسنطاريا كبدية)، مسودة المواعظ ٤٢٥-٤٢٦؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٣٥٨.

[6] عن التُّرْبَة الخاتونية أو تُرْبة الملك الصَّالح، انظر فيما يلي ٢: ٣٩٤.

[7] المقريزي: مسودة المواعظ ٤٢٥-٤٢٧.

خانُ السَّبِيل

هذا الخانُ خارِج باب الفُتُوح. قال ابنُ عبد الظَّاهِر: خانُ السَّبيل بَنَاهُ الأميرُ بَهاءُ الدِّين أبو سَعيد قَراقُوش بن عبد الله الأَسَدي، خادِمِ أسَد الدِّين شِيرِكوه وعَتيقه، لأَبْنَاء السَّبِيل والمُسافرين بغير أُجْرة، وبه بِئْرٌ ساقِيَة وحَوْض[١].

وقَراقُوش هذا هو الذي بَنَى السُّور المحيط بالقاهِرَة ومصر وما بينهما، وبَنَى قَلْعَة الجَبَل وبَنَى القناطِرَ التي بالجِيزَة على طَرِيق الأَهْرَام، وعَمَّر بالمَقْس رِباطًا، وأَسَرَه الفِرِنْجُ في عَكَّا وهو واليها، فافتكَّه السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُفُ بن أيُّوب بعشرة آلاف دينار، وتُوفي مستهلّ رَجَب سنة سبعٍ وسبعين وخمس مائة، ودُفِنَ بسَفْح الجَبَل المُقَطَّم من القَرافة[٢].

خانُ مَنْكَوَرِش

هذا الخانُ بخُطِّ سُوق الخِيَمِيِّين بالقُرْب من الجامِع الأَزْهَر. قال ابنُ عبد الظَّاهِر: خَانُ مَنْكَوَرِش بناه الأمير رُكْن الدِّين مَنْكورش زَوْج أمّ[a] الأَوْحَد بن العادِل، ثم انتقل إلى وَرَثَته، ثم انتقل إلى الأمير صَلاح الدِّين أحمد بن شَعْبان الإِرْبلي فوَقَفَه، ثم تحَيَّل ولدُه في إبْطال وَقْفِه، فاشْتَراهُ منه الملك الصَّالِح بعشرة آلاف دينار مصرية، وجَعَلَه مُرصَدًا لوالِدَة خَليل، ثم انْتَقَلَ عنها[٣]. انتهى.

قال كاتِبُه[b]: ومَنْكَوَرِش هذا كان أحَدَ مَماليك السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب، وتقدَّم حتى صارَ أَحَدَ الأُمَراء الصَّالِحِيّة وعُرِفَ بالشَّجاعَة والنَّجْدَة وإصابَة الرأْي وجَوْدَة الرَّمْي

a) الروضة: ابنة. b) بولاق: مؤلفه.

[١] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٢٣؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٨٢؛ وفيما تقدم ١٠٤.

[٢] بهاءُ الدِّين قَراقُوش الأَسَدي باني قلعة الجبل وسور القاهرة للنَّاصر صلاح الدين يوسف بن أيُّوب، ورَدَ ذكره في الكتاب في مناسبات عديدة، وفي كلِّ مَرَّة يضيف المقريزي تفاصيل جديدة عنه. (انظر فيما تقدم ٣-٤، وفيما يلي ٥٠٨؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٦٤؛ وانظر كذلك، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤: ٩١-٩٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٤: ٢٢٣؛ المقريزي: السلوك ١: ١٥٨؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٦: ١٧٦-١٧٨؛ Sobernheim, M., EI² art. Karâkûsh IV, p. 633).

[٣] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٢٦.

وثُبوت[a] الجاشْ. فلمَّا ماتَ في شَوَّال سنة سبع وسبعين وخَمْس مائة، أُخذ إقْطاعَه الأميرُ يازكُوج الأَسَدي.

وهذا الخَانُ اليوم[b] يُعْرَف بخَان النَّشَّارين على يَسْرَة من سَلَكَ من الخَرَّاطين إلى الخيَميِّين، وهو وَقْفٌ على جِهات برٍّ.

فُنْدُقُ ابن قُرَيْش

هذا الفُنْدُقُ [c] قال ابنُ عبد الظَّاهِر: فُنْدُقُ ابن قُرَيْش استجدَّه القاضي شَرَفُ الدِّين إبراهيم بن قُرَيْش كاتِب الإنْشَاء، وانتقل إلى وَرَثَتِه [1]. انتهى.

إبراهيم بن عبد الرَّحْمَن بن عليّ بن عبد العَزيز بن عليّ بن **قُرَيْش**، أبو إسحاق القُرَشي المَخْزومي المصري الكاتب شَرَفُ الدِّين ـ أَحَدُ الكُتَّاب المُجيدين خَطًّا وإنْشَاءً، خَدَمَ في دَوْلَة الملك العادِل أبي بكر بن أيُّوب، وفي دَوْلَة ابنه الملك الكامِل محمد، بديوان الإنْشَاء، وسَمِعَ الحَديث بمكَّة ومصر، وحَدَّث [2].

وكانت وِلادَتُه بالقاهِرَة في أوَّل يوم من ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة، وقَرأ القُرْآن، وحَفِظ كثيرًا من كِتَاب «المُهَذَّب» في الفِقه على مذهب الإمام الشَّافِعيّ، وبَرَعَ في الأَدَب، وكَتَبَ بخطِّه ما يَزيد على أربع مائة مُجَلَّد، وماتَ في الخامِس والعشرين من جُمادَى الأولى سنة ثلاثٍ وأربعين وستّ مائة [2].

وَكالَةُ قَوْصُون

[أثر رقم ١١]

هذه الوَكالَةُ في معنى الفَنادِق والخَانات، ينزلها التُّجَّارُ ببضائِع بلاد الشَّام من الزَّيْت والشَّيْرج والصَّابون والدِّبْس والفُسْتُق والجَوْز واللَّوْز والخَرُّنوب والرب ونحو ذلك. وموضعها فيما بين الجامِع الحاكِمي ودار سَعيد السُّعَداء [3].

---

a) بولاق: ثبات. b) بولاق: الآن. c) بياض في آياصوفيا نصف سطر.

---

[1] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٥٦.

[2] ابن أخت القاضي الفاضل، مَرَّ والده فيما تقدم ٢: ٨٦، وراجع ترجمته عند، المقريزي: المقفى الكبير ١: ٢١٣- ٢١٤.

[3] مازالت بقاياها قائمة في شارع باب النَّصْر عند تلاقيه مع شارع الضبيبة وتُعْرَف أيضًا بوكالة الصَّابون.

كانت أخيرًا دارًا تُعْرَف بدار تَغْرِيل النُّوغاني [a]، فأَخْرَبَها وما جاوَرها الأميرُ قَوْصُون ، وجَعَلَها فُنْدُقًا كبيرًا إلى الغايَة وبدائره عِدَّةُ مَخازِن ، وشَرطَ ألَّا يُؤَجِّر كلُّ مَخْزنٍ إلَّا بخمسة دراهم من غير زِيادَةٍ على ذلك ، ولا يُخْرِج أَحَدٌ من مَخْزَنه ، فصارَت هذه المخازِن تُتَوارَث لقلَّة أُجْرَتها وكثرة فَوائِدها [1].

٥ وقد أدْرَكْنا هذه الوَكالَة ، وإنَّ رُؤْيَتَها من داخِلها وخارِجها لتُدْهِش ، لكثرة ما هنالِك من أصْنافِ البَضائِع ، وازْدِحام النَّاس ، وشِدَّة أصْوات العتَّالين عند حَمْل البضائع ونَقْلِها لمن يَبتاعها . ثم تَلاشَى أمْرُها منذ خَرِبَت الشَّام في سنة ثلاثٍ وثمان مائة على يد تَيْمُورلَنْك ، وفيها إلى الآن بقيَّة .

ويَعْلو هذه الوَكالَة رِباعٌ تشتمل على ثلاث مائة وستين بَيْتًا أدْرَكناها عامِرَةً كلَّها ، ويحزَّر أنَّها ١٠ تحوي نحو أربعة آلاف نَفْس ما بين رَجُل وامْرَأة وصَغير وكبير . فلمَّا كانت هذه المِحَنُ في سنة ستٍّ وثمان مائة ، خَرِبَ كثيرٌ من هذه البُيُوت ، وكثيرٌ منها عامِرٌ آهِل .

دارُ التُّفَّاح [b]

هذه الدَّارُ هي فُنْدُقٌ تِجاه باب زَوِيلَة [c]، تَرِدُ إليه الفَوَاكِهُ على اخْتِلاف أصْنافِها ممَّا يَنْبُت في بَساتين ضَواحِي القاهِرَة ، ومن التُّفَّاح والكُمَّثْرى ، والسَّفَرْجَل الواصِل من البلاد الشَّامية إنَّما يُباعُ ١٥ في وَكالَة قَوْصُون إذا قَدِم ، ومنها يُنقَل إلى سائِر أسْواق القاهِرَة ومصر ونَواحِيهما [2]. وكان مَوضِعُ دار التُّفَّاح هذه في القَدِيم من جملة حارَة السُّودان التي عُمِلَت بُسْتانًا في أيَّام السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب [3].

وأنشأ هذه الدَّار الأميرُ طُقُزْدَمُر [4] بعد سنة أربعين وسبع مائة ، ووَقَفَها على خانْقاه بالقَرافَة . وبظاهِر هذه الدَّار عِدَّةُ حَوانيت تُباع فيها الفاكِهَة ، تُذَكِّر رؤيتها وشَمُّ عُرْفها الجَنَّة ؛ لطيبها

---

a) بولاق : تعويل البوعاني . b) بولاق : فندق دار التفاح . c) مسودة الخطط : خارج باب زويلة .

---

[1] المقريزي : مسودة الخطط ٣٢و .

[2] نفسه ٣٢و .

[3] فيما تقدم ٥٣.

[4] انظر عن الأمير سَيْف الدِّين طُقُزْدَمُر (طُقُزْتُمُر) الحَمَوي النَّاصري الشَّاقي ، المتوفى سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م (فيما يلي ٣٨٨هـ[3]).

وحُسْن منظرها، وتأنُّق الباعَة في تَنْضيضِها، واحْتِفافها بالرَّياحين والأَزْهار. وما بين الحَوانيت مَسْقُوفٌ حتى لا يَصِلَ إلى الفَواكِه حَرُّ الشَّمْس.

ولا يزالُ ذلك المَوْضِعُ غَضًّا طريًّا، إلَّا أنَّه قد اختلَّ منذ سنة ستٍّ وثمان مائة، وفيه بقيَّة ليست بذاك، ولمْ تَزَل إلى أن هُدِمَ عُلُوّ الفُنْدُق وما بظاهِره من الحَوانيت في يوم السبت سادس عشر شَعْبان سنة / إحدى وعشرين وثمان مائة. وذلك أنَّ الجامِعَ المُؤَيَّدي جاءَت[a] شبابيكُه الغربية من جِهَة دار التُّفَّاح، فعُمِلَ فيها كما صارَ يُعْمَل في الأَوْقاف، وحُكِمَ باسْتِبْدالِها، ودُفِعَ في ثَمَن نَقْضِها ألف دينار إفريقيَّة عنها مبلغ ثلاثين ألف مُؤَيَّدي فِضَّة، ويَتَحصَّل من أُجْرَتها إلى أن ابتدئ بهَدْمِها في كلِّ شهر سبعة آلاف درهم فُلوسًا: عنها ألف مُؤَيَّدي. فاسْتُشْنِعَ هذا الفِعْل. وماتَ الملكُ المُؤَيَّد ولم تَكْمل عِمارَةُ الفُنْدُق.

٩٤:٢ ٥

وَكَالَةُ باب الجُوَّانِيَّة[b]

١٠

هذه الوَكالَة تجاه باب حارَة الجُوَّانيَّة من القاهِرَة [c]وبجوار دَرْب الرُّشيدي فيما بينه وبين وَكالَة قَوْصُون يَفْصل بينهما الشَّارع المسلوك فيه إلى جَمَلون ابن صَيْرَم ودَرْب الفَرْحية[c]. كان مَوْضِعُها عِدَّةَ مَساكِن، فابتدأ الأميرُ جَمالُ الدِّين محمود بن علي الأُسْتادّار بهَدْمِها في يوم الأَربعاء ثالِث عشرَ جُمادَىٰ الأُولى سنة ثلاثٍ وتسعين وسبع مائة، وبَناها فُنْدُقًا ورَبْعًا بأعْلاه. فلمَّا كَمُلَت رَسَمَ الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقوق أن تكون دارَ وَكالة يَرد إليها ما يَصِلُ إلى القاهِرَة، وما يَرِدُ من صِنْف مَتْجَر الشَّام في البحر كالزَّيْت والرُّبّ والدِّبْس، ويصير ما يرد في البَرِّ يُدْخَل به على عادَته إلى وَكالة قَوْصُون، وجعَلَها وَقْفًا على المَدْرَسَة الخانْقاه التي أنشأها بخُطِّ بَيْنَ القَصْرَيْن، فاستمرَّ الأَمْرُ على ذلك إلى اليوم[1].

١٥

---

a) بولاق: جاء. b) مسودة الخطط: الوكالة المستجدة. c-c) هذه العبارة من مسودة الخطط، وعوضها في النسخ: فيما بين درب الرشيدي ووكالة قوصون.

---

[1] المقريزي: مسودة الخطط ٣٢ظ.

خَانُ الخَلِيلِيّ

هذا الخَانُ بخُطِّ الزَّراكِشَة العَتيق. كان مَوْضِعه تُرْبَةُ القَصْر التي فيها قُبورُ الخُلَفَاء الفاطِميين، المعروفة بتُرْبة الزَّعْفران، وقد تقدَّم ذكرُها عند ذِكْر القَصْر من هذا الكِتاب[1]؛ فأنشأه الأميرُ جَهَارْكَسُ الخَلِيلي، أمير آخُور الملك الظَّاهِر بَرْقُوق[2] خانًا[a]، وأَخْرَجَ منها عِظامَ الأمْوات في المَزابِل على الحَمير، وألْقَاها بكيمان البَرْقِيَّة هَوانًا بها. فإنَّه كان يَلُوذُ به شَمْسُ الدِّين محمد ابن أحمد القَليجي - الذي تقدَّم ذكره في ذِكْر الدُّور من هذا الكتاب[3] - وقال له: إنَّ هذه عِظَامُ الفاطِميين، وكانوا كُفَّارًا رَفَضَة. فاتَّفَقَ للخَليلي في مَوْتِه أَمْرٌ فيه عِبْرَةٌ لأولي الألْباب، وهو أنَّه لمَّا وَرَدَ الخَبَرُ بخُروج الأمير يَلْبُغا النَّاصِري نائِب حَلَب، ومجيء الأمير مِنْطاش نائِب مَلَطِيَة إليه ومَسيرهما بالعَساكِر إلى دمَشْق، أَخْرَجَ الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقوق خمس مائة من المماليك، وتقدَّم لعِدَّة من الأُمَرَاء بالمسير بهم. فخَرَجَ الأميرُ الكبيرُ أَيْتَمُش النَّاصِري والأميرُ جَهَارْكس الخَليلي هذا والأميرُ يُونُس الدَّوادَار والأميرُ أحمد بن يَلْبُغا الخاصَّكي والأميرُ يَدْكار الحاجِب، وساروا إلى دِمَشْق، فلقيهم النَّاصِري ظاهِرَ دِمَشْق، فانْكَسَر عَسْكَرُ السُّلْطان لمُخامَرَة ابن يَلْبُغا ويَدْكار، وفَرَّ أَيْتَمُش إلى قَلْعَة دِمَشْق. وقُتِلَ الخليلي في يوم الاثنين حادِي عشر شهر رَبيع الآخَر سنة إحدى وتسعين وسبع مائة وتُرِك على الأرْض عارِيًا وسَوْأَتُه مَكْشُوفَة، وقد انْتَفَخ - وكان طَويلًا عريضًا - إلى أن تَمَزَّق وبَلِيَ، عُقُوبةً من الله تعالى بما هَتَك من رِمَم الأئِمَّة وأبنائِهم.

---

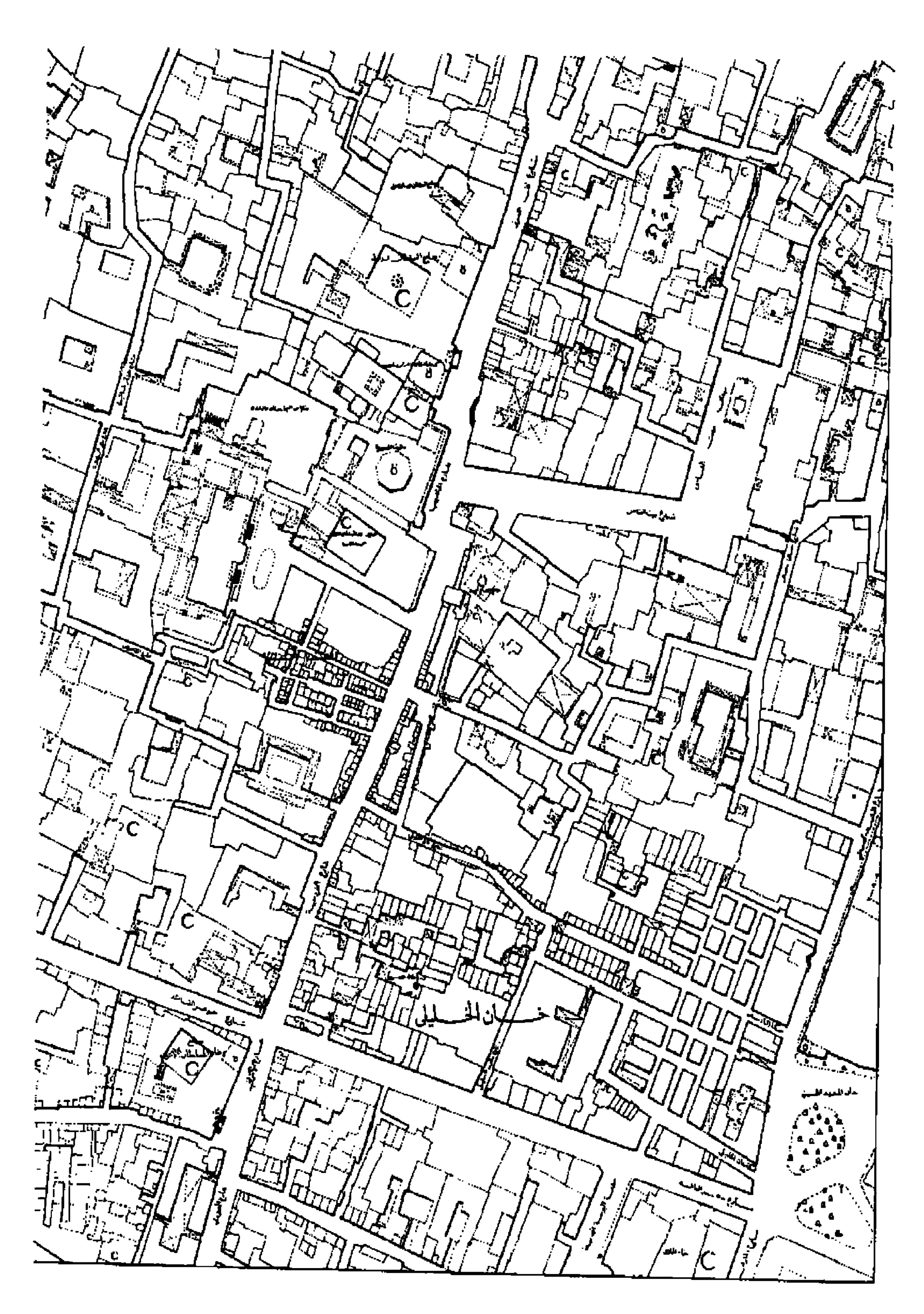
a) إضافة من مسودة الخطط.

---

[1] فيما تقدم ٢: ٣٥١-٣٥٣.

[2] الأمير سَيْفُ الدِّين جَهَارْكس (جاركس) الخَليلي اليَلْبُغاوي، المتوفى سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م. (ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٩: ٦٣-٦٤، ١٧٢؛ المقريزي: السلوك ٣: ٦٨٥؛ ابن حجر: إنباء الغمر ١: ٣٣٣؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٣٨٣، المنهل الصافي ٤: ٢٠٥-٢٠٧)، وعن معنى جهاركس، انظر فيما تقدم ٢٩٠. والأمير آخُور. مصطلح مركبٌ من لفظين أحدهما عربي وهو «أمير»، والآخر فارسي وهو «آخور» ومعناه: المَعْلَف. فيكون معنى المصطلح: «أمير المَعْلَف»، لأنَّه المتولي لأمر الدَّواب؛ وهو أيضًا المتحدِّث عن إسْطَبْل السُّلْطان أو الأمير والمتولي لأمر ما فيه من الخيل والإبل وغيرها ممَّا يدخل في حكم الإسطبلات. (القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٤٦١؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف ١٧٤-١٨١).

[3] فيما تقدم ٢٥٠.



خريطة تُوَضِّح مكان خان الخَليلي من القاهرة الفاطمية

ولقد كان ـ عفَا الله عنه ـ عارِفًا خَبيرًا بأمْر دُنْياه كثيرَ الصَّدَقَة ، ووَقَفَ هذا الخانَ وغيره على عَمَل خُبْزٍ يفرَّق بمَكَّة على كلِّ فقير منه في اليوم رَغيفان ، فعُمِلَ ذلكَ مُدَّة سنين . ثم لمَّا عَظُمَت الأسْعارُ بمصر ، وتغيَّرَت نُقُودُها من سنة ستٍّ وثمان مائة ، صارَ يُحْمَل إلى مكَّة مالٌ ويفرَّق بها على الفُقَراء[١] .

فُنْدُق طُرُنْطَاي

هذا الفُنْدُق كان بخارج باب البَحْر ظاهِر المَقْس ، وكان ينزل فيه تُجَّارُ الزَّيْت الواردون من الشَّام ، وكان فيه ستة عشر عَمُودًا من رُخام ، طُول كلِّ عَمُودٍ ستة أذرع بذراع العَمَل في دور ذراعين ، ويعلوه رَبْعٌ كبير .

فلمَّا كان في واقِعَة هَدْم الكَنائِس وحَريق القاهِرَة ومصر في سنة إحدى وعشرين وسبع مائة ، قَدِمَ تاجِرٌ بعد العَصْر بزَيْتٍ وزن في مَكْسِه عشرين ألف دِرْهَم نُقْرَة ، سوى أصنافٍ أُخَر قيمتها مبلغ تسعين ألف دِرْهَم نُقْرَة ، فلم يتهيّأ له الفَراغُ من نَقْل الزَّيْت إلى داخِل هذا الفُنْدُق إلى بعد عِشَاء[a] الآخرة . فعند[b] نِصْف اللَّيْل ، وَقَعَ الحَرِيقُ بهذا الفُنْدُق في ليلة ثامن[c] شهر رَبيع الآخر منها ، كما كان يَقَع في غير مَوْضِع من فِعْل النَّصارىٰ ، فأَصْبَحَ وقد احْتَرَق جَميعُه حتى الحِجارَة التي كان مَبْنِيًا بها ، وحتى الأعْمِدَة المذكورة ، وصارَت كلُّها جيرًا ، واحْتَرَقَ عُلُوُّه ، وأصبح التاجِرُ يَسْتَعْطي النَّاس . ومَوْضِعُ هذا الفُنْدُق [d][٢] .

a) بولاق : إلّا بعد العشاء . b) بولاق : فلما كان . c) بولاق : من ، وباريس : ليلة من . d) في هامش آياصوفيا : بياض ورقة ونصف .

[١] المقريزي : مسودة الخطط ٣٢ظ .

وأضاف ابن أبي السرور البكري : «وهذا الخان اغْتَصَبَه الغوري وجعله من جملة أوْقافِه ، وهو الآن من جملة أوْقافِه» . (قطف الأزهار ١٧٩ظ) .

ويَدُلُّ على موقع خان الخليلي الآن المنطقة التي تُحَدُّ من الغرب بشارع المعز لدين الله (في مواجهة جامع الشيخ مُطَهَّر والصَّاغة) ، ومن الشمال سِكَّة البادِسْتان وشارع خان الخليلي ، ومن الجنوب شارع جوهر القائد ، ومن الشرق امتداد شارع خان الخليلي عند باب الغوري المعروف بباب البادِسْتان (مسجل بالآثار برقم ٥٤) . وانظر مجموعة الدراسات الصادرة عن المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة بعنوان Denoix, S., Charle Depaule, J. et Tuchscherer, M., *Le Khân al-Khalîlî et ses environs. Un centre commercial et artisanal au Caire du XIII^e au XX^e siècle*, I-II, Le Caire - IFAO 1999.

[٢] المقريزي : السلوك ٢ : ٢٢٦؛ أبو المحاسن : النجوم =

ذِكْرُ الأَسْوَاق[١]

قال ابنُ سِيدَه :والسُّوقُ التي يُتَعاملَ فيها تُذَكَّر وتُؤَنَّث ، والجَمْعُ أَسْواق . وفي التَّنْزيل : ﴿ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى الأَسْوَاقِ ﴾ [الآية ٢٠ سورة الفرقان] . والسُّوقَةُ لغةٌ فيها ، والسُّوقَةُ من النَّاس : مَنْ لم يَكُن ذا سُلْطان ، الذَّكَرُ والأُنْثَى في ذلك سَواء[٢].

٥ وقد كان بمَدينَة مصر والقاهِرَة وظَواهِرها من الأَسْواق شيءٌ كثيرٌ جدًّا قد بادَ أكثرُها ، وكَفاك دَليلًا على كَثْرَة عَدَدِها أنَّ الذي خَرِبَ من الأَسْواقِ ، فيما بين أَراضي اللُّوق إلى بَاب البَحْر بالمَقْس[٣]، اثنان وخمسون سُوقًا أَدْرَكْناها عامِرَةً فيها ما يبلغ حَوانِيته نحو الستين حانُوتًا وهذه الخِطَّةُ من جملة ظاهِر القاهِرَة الغربي ، فكيف ببقيَّة الجِهات الثَّلاث مع القاهِرَة ومصر .

١٠ وسأذكر من أَخْبار الأَسْواق ما أَجِدُ سَبِيلًا إلى ذكره إن شاءَ الله تعالى .

القَصَبَة

قال ابنُ سيدَه : قَصَبَةُ البَلَد مَدينَتُه ،وقيل مُعْظَمُه[٤].

= الزاهرة ٩: ٧٠. ويحدِّد محمد بك رمزي موضع فندق طُرُنطاي في النهاية الغربية لشارع قنطرة الدِّكَّة عند تلاقيه بشارع عرابي ، حيث كان النيل يجري قديمًا قبل ظهور الأرض التي عليها بولاق الآن .

[١] راجع كذلك عن أسواق القاهرة ، وعلى الأخصّ في عصر سلاطين المماليك ، قاسم عبده قاسم : أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٧٨؛ Raymond, A. et Wiet, G., *Les Marchés du Caire* - Traduction annotée du texte de Maqrîzî, Le Caire - IFAO 1979 (وهي ترجمة للفصول التي ذكر فيها المقريزي في الخطط أسواق القاهرة) .

[٢] ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٣٢٦.

[٣] بابُ البَحْر بالمقس . سُمِّي بذلك لأن بَحْر النِّيل كان بظاهره حيث كان يَمُرُّ على جامع المَقْس (موقع جامع الفَتْح بميدان رمسيس الآن) خارج هذا الباب . وعرف هذا الباب في العصر العثماني بباب الحديد بسبب تركيب باب من الحديد مكانه (وهو الاسم الذي كان يطلق على المكان لفترة قريبة) . ويُحَدَّد مكانه الآن مَدْخل شارع فم البحر المتفرع من شارع كلوت بك من جهة ميدان رمسيس . (محمد رمزي : مذكرة في تسمية الشوارع ١٧؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧: ٣٠٩هـ[١] ؛ ومحمد الجهيني : أحياء القاهرة القديمة وآثارها الإسلامية «حيّ باب البَحْر» ، القاهرة - دار نهضة الشرق ٢٠٠٠) .

[٤] ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ٦: ١٣٣.

والقَصبَةُ هي أَعْظَمُ أَسْوَاق مصر . وسمِعْتُ / غَيْرَ واحِدٍ مِمَّن أدركته من المُعَمَّرين يقول : إنَّ القَصَبَةَ تحتوي على اثني عشر ألف حانُوت ، كأنَّهم يَعْنُون ما بين أوَّل الحُسَيْنِيَّة مِمَّا يلي الرَّمْل إلى المَشْهَد النَّفيسي . ومن اعْتَبَر هذه المسافة اعتبارًا جيِّدًا لا يكادُ أن يُنْكِر هذا الخَبَر .

وقد أَدْرَكْتُ هذه المسافَة بأسْرها عامِرَةَ الحَوانيت ، غاصَّةً بأنْواعِ المآكِل والمشارِب والأمْتِعة ، تُبْهِج رؤيتها ويُعْجب النَّاظِر هيئتُها ، ويَعْجِز العادّ عن إحْصاء ما فيها من الأنْواع ، فضْلًا عن الأشْخَاص . وسَمِعْتُ الكافَّة مِمَّن أَدْرَكْتُ يُفاخرون بمصر سائِرَ البلاد ويقولون : يُرْمَى بمصر في كلِّ يومٍ ألف دينار ذَهَبًا على الكِيمان والمَزابل . يَعْنون بذلك ما يستعمله اللَّبَّانون والجَبَّانون والطَّبَّاخون من الشُّقَاف الحُمْر التي يُوضَع فيها اللَّبَن ، والتي يُوضَع فيها الجُبْن ، والتي تأكُل فيها الفُقَراء الطَّعام بحَوانيت الطَّبَّاخين ، وما يستعمله بَيَّاعو الجُبْن من الخَيْط والحُصْر التي تُعْمَل تحت الجُبْن في الشُّقَاف وفَوْقَها[a]، وما يستعمله العَطَّارون من القَراطيس والوَرَق القَوِيّ والخُيوط التي تُشَدّ بها القَراطيس [b]المحمول فيها الأدْوية وما يستعمله الأبازِرَة والفانيون من قراطيس المَوْز والخَيْط التي يُشدّ بها القَراطيس[b] الموضوع فيها حَوائِج الطَّعام من الحُبوب والأفاويه وغيرها . فإنَّ هذه الأصْناف المذكورة إذا حُمِلَت من الأسْواق ، وأُخِذَ ما فيها ، أُلقيت إلى المزابل[1] .

ومن أَدْرَكَ النَّاس قَبْلَ هذه المِحَن وأَمْعَن النَّظَر فيما كانوا عليه من أنْواع الحَضَارة والتَّرف ، لم يستكثر ما ذَكَرْناه . وقد اخْتَلَّ حالُ القَصَبَة وخَرِبَ ، وتعطَّل أكثرُ ما تشتمل عليه من الحَوانيت بعدما كانت مع سَعتِها تَضيق بالباعَة ، فيجلسون على الأرْض في طُول القَصَبة بأطْباقِ الخُبْز وأصْناف المعايش ، ويُقالُ لهم «أصْحَابُ المَقاعِد»[2] ، وكلُّ قَليلٍ يتعرَّض الحُكَّامُ لمنعهم وإقامَتهم من الأسْواق ، لما يَحْصُل بهم من تَضْييق الشَّوارع وقِلَّة بَيْع أرْباب الحَوانيت . وقد ذَهَب والله ما هناك ، ولم يَبْقَ إلَّا القَليل .

وفي القَصَبَة عِدَّةُ أسْواقَ منها ما خَرِبَ ، ومنها ما هو باقٍ . وسأذكر منها ما يتيسَّر إن شاءَ الله .

---

a) ساقطة من بولاق . b-b) ساقطة من بولاق .

---

[1] قارن هذا الوصف بوصف ناصرخسرو لحالة الرخاء في فُسْطاط مصر في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي . (سفرنامه ١٠٥) .

[2] ذكرهم فيما يلي ٣٢٢ باسم «أرْباب المقاعد» .

سُوقُ باب الفُتُوح

هذا السُّوقُ في داخِل باب الفُتُوح، من حَدِّ باب الفُتُوح الآن إلى رأس حارَة بَهاء الدِّين، مَعْمُور الجانبين بحَوانيت اللَّحّامين والخُضَريِّين والفَامِيين والشَّرائِحية وغيرهم، وهو من أجَلِّ أسْواق القاهِرَة وأعْمَرِها؛ يقصده النَّاسُ من أقْطار البلاد لِشراء أنْواع اللُّحمان الضَّأن والبَقَر والمعز، ولِشِراء أصْنَاف الخَضْراوات. وليس هو من الأسْوَاق القَديمَة، وإنَّما حَدَثَ بعد زَوال الدَّوْلَة الفاطِمية عندما سَكَنَ قَراقُوش في مَوْضِعِه المعروف بحارَة بَهَاء الدِّين، وقد تناقَصَ عمَّا كان فيه منذ عَهْد الحَوادِث، وفيه إلى الآن بقيَّةٌ صالِحَةٌ.

سُوقُ المُرَحِّلين

هذا السُّوقُ أدْرَكْتُه من رأس حارَة بَهَاء الدِّين إلى بَحْريِّ المَدْرَسة الصَّيْرَمِيَّة مَعْمُورَ الجانبين بالحَوانيت المملوءَة برِحالات الجِمَال وأقْتابِها وسائِرِ ما تَحْتاجُ إليه، يُقْصَد من سائِر إقْليم مصر خُصُوصًا في مَواسِم الحَجّ. فلو أرادَ الإنسانُ تَجْهيز مائة جَمَل وأكثر في يوم واحِدٍ[a] لما شَقَّ عليه وُجُودُ ما يطلبه من ذلك لكثرة ذلك عند التُّجَّار في الحَوانيت بهذا السُّوق وفي المخازِن.

فلمَّا كانت الحَوادثُ بعد سنة ستٍّ وثمان مائة وكَثُرَ سَفَرُ الملك النَّاصِر فَرَج بن بَرْقوق إلى مُحارَبة الأمير شَيْخ والأُمير نَوْرُوز بالبلاد الشَّامِيَّة، صارَ الوُزَراءُ يستدعون ما تَحْتاجُ إليه الجمالُ من الرِّحال والأقْتاب وغيرها، فإمَّا لا يُدْفَع ثمنُها أو يُدْفَع فيها الشيءُ اليسير من الثَّمَن. فاخْتَلَّ من ذلك حالُ المُرَحِّلين وقَلَّت أمْوَالُهم بعد ما كانوا مُشْتَهرين بالغِنَى[b] الوافر والسَّعادَة الطائلة، وخَرِبَ معظمُ حَوانيت هذا السُّوق وتَعطَّل أكثرُ ما بقي منها ولم يتأخَّر فيه سِوَى القَليل.

سُوقُ خان الرَّوَّاسين

هذا السُّوقُ على رأس سُوَيْقَة أمير الجُيُوش، قيل له ذلك من أجْل أنَّ هناك خانًا تُعْمَل فيه الرُّءوس المغمومة. وكان من أحْسَن أسْوَاقِ القاهِرَة فيه عِدَّةٌ من البيَّاعين، ويشتمل على نحو العشرين حانُوتًا مملوءَةً بأصْنافِ المآكِل. وقد اختلَّ وتلاشَى أمْرُه.

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق والنسخ: بالغناء.

سُوقُ حارَة بَرْجَوان

هذا السُّوقُ من الأَسْواق القَديمَة، وكان يُعْرَف في القَديم أيَّام الخُلَفاء الفاطِميين بسُوق أَمير الجُيُوش. وذلك أنَّ أَمير الجُيُوش بَدْر الجَمالي لمَّا قَدِمَ إلى مصر في زَمَن الخَليفَة المُسْتَنْصِر - وقد كانت الشِّدَّةُ العُظْمَى - بَنَى بحارَة بَرْجَوان الدَّار التي عُرِفَت بدار المُظَفَّر [١]، وأقامَ هذا السُّوق برأس حارَة بَرْجَوان.

قال ابنُ عبد الظَّاهر: والسُّوَيْقَة المعروفة بأَمير الجُيُوش معروفة بأمير الجُيُوش بَدْر الجَمالي وَزير الخَلِيفَة المُسْتَنْصِر، وهي من باب حارَة بَرْجَوان[a] إلى قَريب الجامِع الحاكِمي [٢]. وهكذا تَشْهَدُ مَكاتِيبُ دُور حارَة بَرْجَوان القَديمَة، فإنَّ فيها: «والحَدُّ القِبْلي ينتهي إلى سُوَيْقَة أمير الجُيُوش»، وسُوق حارَة بَرْجَوان هو في الحَدِّ القِبْلي من حارَة بَرْجَوان.

وأَدْرَكْتُ سُوقَ حارَة بَرْجَوان أَعْظَم أَسْواق القاهِرَة، ما بَرِحْنا ونحن شَبَاب نُفاخِرُ بحارَة بَرْجَوان سُكَّان جَميع حارَات القاهِرَة، فنقول: بحارَة بَرْجَوان حَمَّامان (نعني حَمَّامَي الرُّومي وحَمَّام سُوَيْد، فإنَّه كان يُدْخَلُ إليها من داخِل الحارَة) [٣] وبها فُرْنان، ولها السُّوق الذي لا يَحْتاج ساكِنُها إلى غيره.

وكان هذا السُّوقُ من سُوق خان الرَّوَّاسين إلى سُوق الشَّمَّاعين مَعْمُور الجانبين بالعِدَّة الوافِرَة من بَيَّاعي لَحْم الضَّأْن السَّليخ، وبَيَّاعي اللَّحْم / السَّميط، وبَيَّاعي اللَّحْم البَقَري. وبه عِدَّةٌ كثيرةٌ من الزَّيَّاتين، وكثيرٌ من الجَبَّانين والخَبَّازين واللَّبَّانين والطَّبَّاخين والشَّوَّائين والبَوارِدِية [٤] والعَطَّارين

---

a) في النجوم الزاهرة: باب حارة بهاء الدين قراقوش.

---

[١] انظر فيما تقدم ١٧٣- ١٧٤.

[٢] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٦٦؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٤٩ وذكراها كلاهما باسم: قيسارية أمير الجيوش، وأضاف أبو المحاسن: «المعروفة الآن بسُوق مَرْجُوش»، وهو نفس الاسم الذي يطلقه العامَّة الآن على شارع أمير الجيوش. وأضاف ابن عبد الظاهر، وعنه أبو المحاسن، نقلًا عن كتاب «أساس السِّياسَة» لابن أبي منصور علي بن ظافر الأزدي، أنّه كان في موضعها دارٌ تعرف بدار القَبَّاني، ودور قوم يعرفون ببني هَرِيسَة.

وأعادَ المقريزي الحديث عن السوق تحت اسم «سويقة أمير الجيوش فيما يلي ٣٣٤- ٣٣٥، وانظر أيضًا المقريزي: مسودة الخطط ٣٩و.

[٣] فيما تقدم ٢٧١، ٢٧٣.

[٤] أي بائعو الطُّرْشي أو المخلَّلات.

والخُضَريين ، وكثيرٌ من بيّاعي الأَمْتِعَة . حتى إنّه كان به حانُوتٌ لا يُباعُ فيه إلّا حَوائِج المائِدَة ، وهي البَقْل والكُرّاث والشّمار والنّعْناع ، وحانُوتٌ لا يُباعُ فيه إلّا الشَّيْرَج والقُطْن فقط برَسْم تَعْمير القَناديل التي تُسْرَج في اللَّيْل . وسَمِعْتُ من أدْرَكْت أنّه كان يَشْتَري من هذا الحانُوت في كلّ لَيْلَة شَيْرَج ممّا يُوضَع في القَناديل بثلاثين دِرهمًا فضّة ، عنها يومئذٍ دينارٌ ونصف . وكان يُوجَد بهذا الشُوق لحْم الضَأْن النّيء والمطبوخ إلى ثُلُث اللَّيْل الأوّل ومن قَبْلُ طُلوع الفَجْر بساعة . ٥

وقد خَرِبَ أكثرُ حَوانيت هذا الشُوق ولم يَبْق لها أثرٌ ، وتعطَّل بأسْره بعد سنة ستٍّ وثمان مائة ، وصارَ أوْحَش من وَتَدٍ في قاع ، بعد أن كان الإنْسانُ لا يستطيع أن يَمُرّ فيه من ازْدِحام النّاس لَيْلًا ونَهارًا إلّا بمَشَقّة . وكان فيه قَبّاني برَسْم وَزْن الأمْتِعَة والمال والبضائِع لا يتفرّغ من الوَزْن ، ولا يَزالُ مَشْغُولًا به ومعه من يستحثّه ليَزِنَ له .

١٠ فلمّا كان بعد سنة عشر وثمان مائة ، أنشأ الأميرُ طُوغان الدَّوادار بهذا الشُوق مَدْرَسَةً ، وعَمَّر رَبْعًا وحَوانيت [١] ، فتحايى بعض الشيء ، وقُبِضَ على طُوغان في سنة ستّ عشرة وثمان مائة ولم تَكْمُل عِمارَة الشُوق ، وفيه الآن بقيّةٌ يسيرة .

سُوقُ الشَّمَّاعِين

هذا الشُوقُ من الجامِع الأقْمَر إلى سُوق الدَّجّاجين ، كان يُعْرَف في الدَّوْلَة الفاطِمية بسُوق القَمّاحِين ، وعنده بَنَى المأْمُونُ بن البَطائِحي الجامِع الأقْمَر باسم الخَليفَة الآمِر بأحكام الله ، وبَنَى ١٥ تحت الجامِع دَكاكين ومَخازِن من جِهَة باب الفُتُوح [٢] .

وأدْرَكْتُ سُوقَ الشَّمَّاعين من الجانبين مَعْمُورَ الحَوانيت بالشُّموع الموكبية والفانوسية والطَّوّافات ، لا تزال حوانيتُه مفتحة إلى نِصْف اللَّيْل . وكان يجلسُ به في اللَّيْل بَغَايَا يُقال لهن «زُعَيْرات الشَّمّاعين» [٣] لهن سِيمَا يُعْرَفْن بها وزِيّ يتميَّزن به ، وهو لِبْس الملاءات الطُّرَح وفي

---

[١] الأمير سَيْفُ الدّين طُوغان الحَسَني الدَّوادار الكبير ، كان يُعْرف بالمجنون ، المتوفى سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م . (ابن حجر: إنباء الغمر ٣: ٨١؛ الصيرفي: نزهة النفوس ٢: ٣٥٩-٣٦٠؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٧: ١٨-٢١ (وفيه : وهو صاحب المدرسة برأس حارة بَرْجَوان بالشارع ، والرَّبْع والدّار بحارة بهاء الدّين) ؛ السخاوي : الضوء اللامع ٤: ١١).

[٢] فيما يلي ٢: ٢٩٠.

[٣] الزَّعارَة : الشَّراسَة ، والزَّعْرُ : الجِماع . (الفيروزأبادي : القاموس المحيط ٥١٢).

أرجلهن سَرافيل[1] من أَديم حُمْر. وكنَّ يُعانِين الزُّعارَة، ويقفن مع الرِّجال المُشالِقِين في وَقْت لعبهم، وفيهن من تَحْمِل الحديد معها.

وكان يُباعُ بهذا السُّوق في كلِّ ليلةٍ من الشَّمْع بمالٍ جَزيل، وقد خَرِبَ ولم يَبْق به إلَّا نحو الخَمْس حَوانيت، بعدما أدركتها تزيد على عشرين حانُوتًا، وذلك لِقِلَّة تَرَف النَّاس وتَرْكهم استعمال الشَّمْع. وكان يُعَلَّق بهذا السُّوق الفَوانيسُ في مَوْسِم الغِطَاس[2]، فتصير رُؤْيَتُه في اللَّيْل من أَنْزَه الأشياء.

وكان به في شهر رَمَضان مَوسِمٌ عَظيمٌ، لكثرة ما يُشْتَرى ويُكْتَرى من الشُّمُوع المُوَكِبيَّة التي تَزِن الواحدة منهن عشرة أرطال فما دُونها، ومن المُزْهرات العجيبة الزِّيِّ المليحة الصَّنْعَة، ومن الشَّمْع الذي يُحْمَل على العَجَل ويبلغ وَزْن الواحدة منها القِنْطار وما فوقه، كلُّ ذلك بِرَسْم رُكوب الصِّبْيان لصَلاة التَّراويح، فيمرُّ في ليالي شهر رَمَضان من ذلك ما يَعْجِز البَليغُ عن حِكايَة وَصْفِه، وقد تَلاشَى الحالُ في جَميع ما قُلْنا لفَقْر النَّاس وعَجْزهم.

سُوقُ الدَّجَّاجِين

هذا السُّوقُ كان ممَّا يلي سُوق الشَّمَّاعِين إلى سُوق قَبْو الخُرُنْشف. كان يُباعُ فيه من الدَّجَاج والإوَزِ شيءٌ كثيرٌ جَليلٌ إلى الغايَة، وفيه حَانُوتٌ فيه العَصافير التي يَبْتاعُها وُلْدان النَّاس ليعتقوها، فيُبَاعُ منها في كلِّ يومٍ عَدَدٌ كثيرٌ جدًّا، ويُباعُ العُصْفُور منها بِفِلْس، ويخدع الصَّبيّ بأنَّه يسبح فمن أعتقه دَخَل الجَنَّة، ولكلِّ واحِدٍ حينئذٍ رَغْبَةٌ في فِعْل الخَيْر. وكان يُوجَد في كلِّ وقتٍ بهذه الحَوانيت من الأَقْفاص التي بها هذه العَصافير آلاف، ويُباعُ بهذا السُّوق عِدَّةُ أنْواعٍ من الطَّيْر، وفي كلِّ يوم جُمُعَة يُباع فيه بُكْرةً أصْناف القَمارى والهَزَّارات والشُّحارير والبَبْغاء والسُّمَّان[3].

وكُنَّا نَسْمَعُ أنَّ من السُّمَّان ما يَبْلُغ[a] ثمنُه المئات من الدَّراهم، وكذلك بقيَّة طُيور المسموع يَبْلُغ[a] الواحِدُ منها نحو الألف، لتنافُس النَّاس فيها وتوفُّر عَدَد المُعْتَنين بها، وكان يُقالُ لهم غُواة

a) بولاق: مبلغ.

[1] جاء على هامش ص: «سَرْمُول كلمة فارسية مركبة، تعني سر: رأس، وفول: رجل، ثم تلاعب النَّاس به فقالوا: زَرْبول». وانظر فيما تقدم ٢٤٣.

[2] انظر فيما تقدم ١: ٧١٧-٧١٨.

[3] فيما تقدم ٢: ٢٤٩.

طُيور المَشموع سيَّما الطَّواشِيَّة، فإنَّه كان يبلغ بهم التَّرَف أن يقتنوا السُّمَّان ويتأنَّقوا في أقْفاصِه ويتغالَوْا في أثْمانِه، حتى بَلَغَنا أنَّه بِيع طائرٌ من السُّمَّان بألف دِرْهَم فِضَّة، عنها يومئذٍ نحو الخمسين دينارًا من الذَّهَب. كلُّ ذلك لإعْجابهم بصَوْتِه، وكان صَوْتُه على وَزْن قَوْل القائلِ: طُقْطُلَق وَعْوَع، وكلَّما كثر صِياحُه كانت المغالاة في ثمنه. فاعْتَبِر بما قَصَصْته عليك حالَ التَّرَف الذي كان فيه أهلُ مصر، ولا تتَّخذ حكاية ذلك هُزوًا تَسْخَر به، فتكون ممَّن لا تنفعه المواعِظُ بل يمرّ بالآيات مُعْرِضًا غافِلًا، فتُحْرَم الخَيْر.

وكان بهذا السُّوق قَيْساريَّةٌ عُمِلَت مَرَّةً سُوقًا للكُتُبيين ولها بابٌ من وَسَط سُوق الدَّجَّاجين، وبابٌ من الشَّارع الذي يُسْلَك فيه من بَيْنَ القَصْرَيْن إلى الرُّكْن المُخَلَّق[1]. فاتَّفَقَ أنْ وَلِيَ نيابَة النَّظَر في المارِسْتان المَنْصوري، عن الأمير الكبير أيْتَمُش البِجاسي الظَّاهِري، أميرٌ يُعْرَف بالأمير خِضْر ابن التَّنْكِزِيَّة، فهَدِمَ هذا السُّوق والقَيْساريَّة وما يعلوها، وأنشأ هذه الحَوانيت والرِّباع التي فَوْقها تِجاه رَبْع الكامِل، الذي يَعْلو ما بين دَرْب الخُضَيْري وقَبْو الخُرُنْشف، فلمَّا كَمُلَ أَسْكَن في الحَوانيت عدَّةً من الزَّيَّاتين وغيرهم. وبقي من الدَّجَّاجين بهذا السُّوق بقيَّةٌ قليلة.

سُوقُ بَيْنَ القَصْرَيْن

/هذا السُّوقُ أَعْظَمُ أسْواق الدُّنْيا فيما بَلَغَنا، وكان في الدَّوْلَة الفاطِمية مَراحًا واسِعًا يَقِفُ فيه عَشرةُ آلاف ما بين فارِسٍ وراجلٍ، ثم لمَّا زالَت الدَّوْلَةُ ابْتُذِل، وصارَ سُوقًا يَعْجَزُ الوَصْفُ عن حِكايَة ما كان فيه. وقد تقدَّم ذكره في الخِطَط من هذا الكِتاب[2]، وفيه إلى الآن بقيَّةٌ تُحْزِنني رؤيتُها إذا صارَت إلى هذه القِلَّة.

سُوقُ السِّلاح

هذا السُّوقُ فيما بين المَدْرَسَة الظَّاهِريَّة بَيْبَرْس وبين باب قَصْر بَشْتاك، اسْتُجِدَّ فيما بعد الدَّوْلة الفاطِميَّة في خطِّ بَيْنَ القَصْرَيْن، وجُعِلَ لبَيْع القِسِيّ والنُّشَّاب والزَّرْدِيات وغير ذلك من آلات السِّلاح[3]. وكان تِجاهَه خانٌ يُقابِل الخان الذي هو الآن بوَسَط سُوق السِّلاح، وعلى بابه من

---

[1] فيما تقدم ٢: ٢٤٩، وفيما يلي ٣٣٨.

[2] فيما تقدم ٢: ٢٤٧، وهذا المجلد ٨١.

[3] كان تحت الرَّبْع المعروف بوَقْف أمير سعيد يَقَع في مواجهة المدرسة الناصرية محمد بن قلاوون. (فيما تقدم =

الجانبين حَوانيتٌ تجلس فيها الصَّيارفُ طُولَ النَّهار. فإذا كان عَصْرِيَّاتُ كلِّ يوم جَلَس «أرْبابُ المقاعِد»[1] تجاه حَوانيت الصَّيارف لبَيْع أنْواعٍ من المآكِل، ويُقابلهم تجاه حَوانيت سُوق السِّلاح أرْبابُ المقاعِد أيضًا. فإذا أقْبَل اللَّيْلُ أُشْعِلَت السُّرُج من الجانبين، وأَخَذَ النَّاسُ في التَّمَشِّي بينهما على سَبيل الاسْتِرْواح والتنزُّه، فيمرُّ هنالِك من الخَلاعات والمُجُون ما لا يُعَبَّر عنه بوَصْف.

٥ فلمَّا أنشأ الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقوق المَدْرَسَة الظَّاهِريَّة المستجدَّة، صارَت في مَوْضِع الخان وحَوانيت الصَّرْف تجاه سُوق السِّلاح، وقَلَّ ما كان هناك من المقاعِد، وبقي منها شيءٌ يَسير.

سُوقُ القُفَيْصَات

بصيغة الجَمْع والتَّصْغير هكذا يُعْرَف، كأنَّه جَمْعُ قُفَيْص. فإنَّه كلّه مُعَدٌّ لجُلوس أناس على تُخُوتٍ تجاه شبابيك القُبَّة المَنْصُورية (aوالمَدْرَسَة المنصوريةa)، وفَوْق تلك التُّخُوت أقْفاصٌ صِغار من حَديدٍ مُشَبَّك، فيها الطَّرائِف من الخَواتيم والفُصُوص وأساور النِّسْوان ١٠ وخَلاخيلهنَّ وغير ذلك. وهذه الأقْفاصُ يأخُذ أُجْرَة الأرْض التي هي عليها مُباشِرُ المارِسْتان المَنْصوري.

وأصْلُ هذه الأرض كانت من حُقُوق أرضٍ مَوْقُوفَةٍ على جامِع المَقْس، فدَخَل بعضُها في القُبَّة المَنْصورية، وصارَ بعضُها كما ذَكَرْنا، وإلى اليوم يُدْفَع من وَقْفِ المارِسْتان حِكْرُ هذه الأرْض ١٥ لجامِع المَقْس.

ولمَّا وَلِيَ نَظَرَ المارِسْتان الأميرُ جَمالُ الدِّين آقوش، المعروف بنائِب الكَرَك، في سنة ستٍّ وعشرين وسبع مائة، عَمِلَ فيه أشياءَ من مالِه: منها خَيْمَةٌ ذرعها مائة ذراع، نَشَرَها من أوَّل جِدار القُبَّة المَنْصورية بجِذاء المَدْرَسَة النَّاصِريَّة إلى آخر حَدِّ المَدْرَسَة المَنْصورية بجوار الصَّاغَة، فصارَت فوق مَقاعد الأقْفاص تُظِلّهم من حَرِّ الشَّمْس، وعَمِلَ لها حِبالًا تُمَدُّ بها عند الحَرِّ وتُجْمَع بها إذا ٢٠ امتدَّ الظِّلُّ، وجَعَلَها مرتفعةً في الجوِّ حتى ينحرف الهَواءُ. ثم لمَّا كان شَهْرُ جُمادَى الأولى سنة

a-a) ساقطة من بولاق.

= ٢: ٢٤٨)، وحل محله الآن مجموعة المباني الواقعة بشارع المعز لدين الله بين شارع بيت القاضي وقصر بشتاك في مواجهة المدرسة النَّاصرية والمدرسة الظَّاهرية برقوق.

[1] ذكرهم فيما تقدم ١٧:٣١٦ باسم «أصحاب المقاعِد».

ثلاثٍ وثلاثين وثمان مائة، نُقِلَتِ الأقْفاصُ منه إلى القَيْسارِيَّة التي اسْتُجِدَّت تجاه الصَّاغَة [1].

سُوقُ باب الزُّهُومَة

هذا السُّوقُ عُرِفَ بذلك من أجْل أنّه كان هناك في الأيَّام الفاطِميَّة بابٌ من أبْواب القَصْر يُقالُ له باب الزُّهُومَة، تقدَّم ذكره في ذِكْر أبْواب القَصْر من هذا الكِتاب [2].

وكان مَوْضِعَ هذا السُّوق في الدَّوْلَة الفاطِميَّة سُوقُ الصَّيارِف، ويُقابِله سُوقُ السُّيُوفيين من حيث الخُشَيْبَة إلى نحو رأس سُوق الحَريريين اليوم، وسُوق العَنْبَر الذي كان إذ ذاك سِجْنًا يُعْرَف بالمَعُونَة [3]، ويقابِل السُّيُوفيين إذ ذاك سُوقُ الزُّجاجِين، وينتهي إلى سُوق القَشَّاشِين الذي يُعْرَف اليوم بالخَرَّاطين. فلمَّا زالَتِ الدَّوْلَةُ الفاطِميَّة تغَيَّر ذلك كلُّه، فصارَ سُوقُ السُّيُوفيين من جِوار الصَّاغَة إلى دَرْب السِّلْسِلة، وبُنِيَ فيما بين المَدْرَسَة الصَّالِحِيَّة وبين الصَّاغَة سُوقٌ فيه حَوانيتُ - ممَّا يلي المَدْرَسَة الصَّالِحِيَّة - يُباعُ فيها الأمْشَاط بسُوق الأمْشَاطيين، وفيه حَوانيتُ - فيما بين الحَوانيت التي يُباع فيها الأمْشَاط وبين الصَّاغَة - بعضُها سَكَنُ الصَّيارِف، وبعضُها سَكَنُ النُّقْلِيين، وهم الذين يَبيعُون الفُسْتُق واللَّوْز والزَّبيب ونحوه [4].

وفي وَسطِ هذا البِناء سُوقُ الكُتُبيين يُحيط به سُوقُ الأمْشاطيين وسُوق النُّقْليين. وجَميعُ ذلك جارٍ في أوْقاف المارِسْتان المَنْصوري.

وكان سُوقُ باب الزُّهُومَة من أَجَلِّ أسْوَاقِ القاهِرَة وأفْخَرِها، مَوصُوفًا بحُسْن المآكِل وطِيبها.

واتَّفَق في هذا السُّوق أمْرٌ يُسْتَحْسَن ذكره لغَرابته في زَمَننا. وهو أنَّه عَبَرَ مُتَولِّي الحِسْبَة بالقاهِرَة، في يوم السبت سادِسَ عشرَ شهر رَمَضان سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة، على رَجُل بوارِدي بهذا السُّوق، يُقالُ له محمد بن خَلَف، عنده مَخْزَن فيه حَمَام وزَرازير متغيِّرة الرَّائِحَة لها نحو خمسين يومًا، فكَشَفَ عنها فبَلَغَت عدَّتُها أربعة وثلاثين ألفًا ومائة وستة وتسعين طائِرًا: من ذلك حَمَامٌ ألف ومائة وستة وتسعون، وزَرازيرُ ثلاثة وثلاثون ألفًا، كلُّها متغيِّرة اللَّوْن والرِّيح، فأدَّبَه وشَهَّرَه. وفيه إلى الآن بقايا.

[1] هذا التاريخ يَدُلُّ على أنَّ المقريزي أضاف هذه المعلومة في فترة متأخِّرة، وبالتالي فإنَّه لا يشير إلى هذه القيسارِيَّة في الفصل الذي عقده للقياسر.

[2] فيما تقدم ٢: ٤٣١.

[3] فيما تقدم ٢: ٥١٥- ٥١٦، وفيما يلي ٣٤٠، ٥٩٧.

[4] فيما يلي ٣٣٧.

سُوقُ المَهامِزيين

هذا السُّوقُ مِمَّا اسْتُجِدَّ بعد زَوال الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة ، وكان بأوَّله حَبْسُ المَعُونَة الذي عَمِلَه الملكُ المَنْصور قَلاوون سُوقَ العَنْبَر ، ويُقابِله المارِسْتانُ والوَكالَةُ ودارُ الضَّرْب في الموضع الذي يُعْرَف اليوم بدَرْب الشَّمْسي وما بحِذائِه من الحَوانيت إلى حَمَّام الخَرَّاطين وما تِجاه ذلك[١] .

٥ وهذا السُّوقُ مُعَدٌّ لبَيْع المَهامِيز[٢] : وأدْرَكْتُ النَّاسَ وهم يتَّخذون المِهْماز كلّه ، قالَبَهُ وسَقَطَه ، من الذَّهَب الخالِص ومن الفِضَّة الخالِصَة ، ولا يَتْرُك ذلك إلَّا من يَتَوَرَّع ويَتَدَيَّن ، فيتَّخِذ القالِبَ/ من الحَديد ويَطْليه بالذَّهَب أو الفِضَّة ، ويتَّخذ السَّقَط من الفِضَّة . وقد اضْطُرَّ النَّاسُ إلى تَرْك هذا ، فقَلَّ من بقِيَ سقَطُ مِهْمازِه فِضَّة ، ولا يكادُ يُوجَد اليوم مِهْمازٌ من ذَهَب .

وكان يُباعُ بهذا السُّوق البَدْلات الفِضَّة التي كان برَسْم لُجُم الخَيْل ، وتُعْمَل تارَةً من الفِضَّة ١٠ المجراة بالمينا ، وتارَةً بالفِضَّة المطليَّة بالذَّهَب ، فيبلغ زِنَة ما في البَدْلَة من خمس مائة دِرْهَم فِضَّة إلى ما دُونَها . وقد بَطَلَ ذلك .

وكان يُباعُ به أيضًا السَّلاسِلُ الفِضَّة بالمَخاطم الفِضَّة[a] المطليَّة ، تُجْعَل من[b] تحت لُجُم الحُجُورة[c] من الخَيْل خاصَّةً ، فيركب بها أعْيانُ المُوَقِّعين وأكابِرُ الكُتَّاب من القِبْط ورُؤَساء التُّجّار وقد بَطَلَ ذلك أيضًا .

١٥ ويُباعُ فيه أيضًا الدُّوِي ، والطُّرَف التي فيها الفِضَّة والذَّهَب ، كسكاكين الأقْلام ونحوها . وكانت تُجّارُ هذا السُّوق تُعَدُّ من بَياض العامَّة . ويتَّصِل بسُوق المَهامِزيين هذا :

---

a) بولاق : سلاسل الفضة ومخاطم . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : الحجور .

---

[١] فيما تقدم ١١٢ .

[٢] الهَمْزُ . الدَّفْعُ والضَّرْبُ ؛ والمِهْمَز والمِهْماز جـ. مَهامِزُ ومَهامِيز ، حَديدَةٌ في مُؤَخَّر خُفّ الرائض . (الفيروزآبادي : القاموس المحيط ٦٨١) . وذكر القلقشندي في الفصل الذي عقده لذكر آلات الركوب أنَّ المِهْماز : «آلةٌ من حَديد تكون في رجل الفارس فوق كعبه ، فوق الخُفّ وما في معناه ؛ ومُؤَخَّره إصْبَع مُحَدَّد الرأس إذا أصابَ جانب الفَرَس تحرَّكت وأسْرَعَت في المشي أو جدَّت في العَدْو ، وهو تارةً يكون من ذَهَب محض ، وتارةً يكون من فِضَّة ، وتارةً يكون من حَديدٍ مَطْليّ بالذَّهَب أو الفِضَّة ؛ وقد اعْتاد القُضاةُ والعلماء في زماننا [وهو نفس زمان المقريزي] تركَه» . (صبح الأعشى ٢: ١٣٦) .

سُوقُ اللُّجُميين

ويُباع فيه دَوَلات[a] اللُّجُم ونحوها ممّا يُتَّخَذ من الجِلْد. وفي هذا السُّوق أيضًا عِدَّةٌ وافِرَةٌ من الطَّلائيين، وصُنَّاع الكَفْت برَسْم اللُّجُم والركب والمَهامِيز ونحو ذلك، وعِدَّةٌ من صُنَّاع مَياثر[b] السُّروج وقَرابيسها[1].

وأدْرَكْتُ السُّروج تُعْمل مُلَوَّنة ما بين أصْفَر وأزْرَق، ومنها ما يُعْمَل من الدَّبْل، ومنها ما يُعْمَل سُودًا[c] من الجِلْد البَلْغاري الأسْوَد، ويَرْكَب بهذه السُّروج السُّود القُضَاةُ ومَشايخُ العِلْم، اقْتِداءً بعادَة بني العَبَّاس في استعمال السَّوَاد، على ما جَدَّدَه بديار مصر السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف ابن أيُّوب بعد زَوال الدَّوْلَة الفاطِميَّة.

وأدْرَكْتُ الشروجَ التي يَرْكَب بها الأجْنادُ والكُتَّابُ يُعْمَل للسَّرْج في قَرَبوسه ستَّة أطْواق من فِضَّة ثقيلة[d] مَطْليَّة بالذَّهَب ومُعَقْرَبات من فِضَّة، ولا يكادُ أحَدٌ يركب فرَسًا بسَرْجٍ ساذَجٍ إلَّا أن يكون من القُضَاة ومَشايخ العِلْم وأهْل الوَرَع.

فلمَّا تسَلْطَن الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقُوق، اتَّخَذَ سائِرُ الأجْناد السُّروج المُغَرَّق[e]، وهي التي جَميعُ قرابيسِها من ذَهَبٍ أو فِضَّةٍ إمَّا مَطْليَّة أو ساذجة، وكَثُر عَمَلُ ذلك حتى لم يَبْقَ من العَسْكَر فارِسٌ

a) بولاق: آلات. b) بولاق: مياتر. c) بولاق: سيورًا. d) بولاق: مقبلة. e) بولاق: المغرقة.

[1] لم يَرِد شَرْحٌ في المصادر لجميع الآلات المذكورة في هذه الفقرة، وما تعرف شرحه منها هي: الكَفْت (فيما يلي ٣٤٧)، الرَّكب أو الرِّكاب: ما تُجْعَل فيه الرِّجْل عند الرُّكوب، وكانت العربُ تعتاده من الجِلْد أو الخشب، ثم عُدِلَ عن ذلك إلى الحديد، وأوَّلُ من اتَّخذَه من الحديد المُهَلَّب بنُ أبي صُفْرة (صبح الأعشى ٢: ١٣٦)، والمِيْثَرَة جـ. مَيَاثِر، وهي ما يوضع فوق السَّرْج بينه وبين الفارس (أفادني به أخي العارف حَقّ المعرفة بفنون الفروسية الدكتور شهاب الصَّرَّاف)؛ والسَّرْج هو ما يَقْعُد فيه الرَّاكبُ على ظهر الفرس، وأشكالُ قوالبه مختلفة، ومنه ما يكون مُغَشًّى بالذَّهب (وهو ممَّا يَصْلُح للملوك)، ومنها ما يكون مُغَشًّى بالفِضَّة البيضاء، وكلٌّ منها قد يكون منقوشًا وقد يكون غير منقوش، ومنها ما يكون بأطراف فِضَّة، ومنها ما يكون ساذَجًا. واللِّجامُ هو الذي يكون في فَكّ الفَرَس يمنعه من الجِماح، وقوالبه أيضًا مختلفة، منها ما يكون مطليًّا بالذَّهب، ومنها ما يكون مطليًّا بالفضة، ومنها ما يكون ساذَجًا، ومنها ما يكون رأسه وجنباه محلاوين بالفضة، ومنها ما يكون غير محلًّى (صبح الأعشى ٢: ١٣٥)؛ وفيما يلي ١٨:٣٢٧ (السُّروج الأشرفية)؛ والقَرَبوس جـ. قَرابيس: الخَشَبة الصغيرة القائمة في مقدَّم السَّرْج. (Dozy, R., *op.cit.*, II, p. 324).

إلَّا وسَرْجُه كما ذكرنا ، وبَطَلَ السَّرْجُ المُسمَّط . فلمَّا كانتِ الحَوادِثُ بعد سنة ستٍّ وثمان مائة ، غَلَب على النَّاس الفَقْر وكَثُرَتِ الفِتَنُ ، فقلَّت سُروجُ الذَّهَب والفِضَّة ، وبقي منها إلى اليوم بَقايا يَرْكَب بها أعْيانُ الأُمَراء وأماثِلُ المماليك .

سُوقُ الجُوخِيِّين

٥ هذا السُّوقُ يلي سُوق اللُّجميين ، وهو مُعَدٌّ لبَيْع الجُوخ المجْلوب من بلاد الفِرنْج لعَمَل المَقاعِد والسَّتائِر وثياب السُّرُوج وغَواشيها . وأدْرَكْتُ النَّاسَ وقلمَّا تَجِد فيهم من يَلْبَس الجُوخ ، وإنَّما يكون من جملة ثياب الأكابِر جُوخَه[a] لا تُلْبَس إلَّا في يوم المَطَر ، وإنَّما يَلْبس الجُوخ من يَرِد من بلاد المغرب ، والفِرنْج وأَهل الإسْكَنْدَرية وبعضُ عَوامِّ مصر ، فأمَّا الرُّؤساءُ والأكابِرُ والأعْيانُ فلا يكاد يُوجَد فيهم من يلبسه إلَّا في وَقْت المَطَر . فإذا ارْتَفَعَ المَطَرُ نَزَعَ الجُوخَة[a].

١٠ وأخبرني القاضي الرَّئيسُ تاجُ الدِّين أبو الفِدَاء إسماعيل بن أحمد بن عبد الوَّهاب بن الخَطْبا المخْزومي ، خال أُمِّي رحمه الله [1]، قال : كنت أنُوب في حِسْبَة القاهِرَة عن القاضي ضِياء الدِّين المُحْتَسِب ، فدَخَلْتُ عليه يومًا وأنا لابِسٌ جُوخَةً لها وَجْهُ صُوف مُربَّع ، فقال لي : وكيف تَرْضَى أن تَلْبس الجُوخ ؟ وهل الجُوخ إلَّا لأجل البَغْلة ؟ ثم أقسم عليَّ أن أَخْلَعَها . وما زالَ بي حتى عَرَّفْتُه أنِّي اشْتَرَيْتُها من بَعْض تُجَّار قَيْسارِيَّة الفاضِل ، فاسْتَدْعاهُ في الحال ودَفَعَها إليه ، وأَمَرَه بإحْضار ١٥ ثَمَنها ، ثم قال لي : لا تَعُد إلى لِبْس الجُوخ اسْتِهْجانًا له .

فلمَّا كانت هذه الحَوادِثُ ، وغَلَتِ الملابِسُ ، دَعَتِ الضَّرورَةُ أهْلَ مصر إلى تَرْك أشياءِ ممَّا كانوا فيه من الرَّفَهِ[b]، وصارَ مُعْظَمُ النَّاس يَلْبَسون الجُوخ ، فتجد الأمير والوَزير والقاضي ، ومن دُونَهم ممَّن ذَكَرْنا ، لِباسُهم الجُوخ .

ولقد كان الملكُ النَّاصِرُ فَرَج ينزل أحْيانًا إلى الإسْطَبْل وعليه قَمْجُون من جُوخ ، وهو ثَوْبٌ ٢٠ قصيرُ الكُمَّيْنِ والبَدَن يُخاط من الجُوخ بغير بِطانَة من تحته ولا غِشَاء من فَوْقِه ، فتَداوَل النَّاسُ لبسه ، واجْتَلَبَ الفِرنْجُ منه شيئًا كثيرًا لا تُوصَفُ كثرته . ومَحلُّ بَيْعِه بهذا السُّوق .

---

a) بولاق : جوخ ، الجوخ. b) بولاق : الترفه .

---

[1] انظر عنه فيما تقدم ١٦٠.

ويلي سُوق الجُوخِيِّين هذا:

سُوقُ الشَّرابِشِيِّين

وهذا السُّوقُ ممَّا أُحدِثَ بعد الدَّولَة الفاطِميَّة. ويُباعُ فيها الخِلَع التي يَلْبَسها السُّلطانُ للأُمَراء والوُزَراء والقُضَاة وغيرهم. وإنَّما قيل له سُوقُ الشَّرابِشِيِّين[1]؛ لأنَّه كان من الرَّسْم، في الدَّوْلَة التركية، أنَّ السُّلْطانَ والأُمَراء وسائِرَ العَساكِر إنَّما يَلْبَسون على رُؤوسِهم كَلُّوتَة صَفْراء مضَرَّبة تَضْريبًا عريضًا، ولها كَلالِيبُ بغير عِمامَة فوقها، وتكون شُعورُهم مَضْفورَةً مدلَّاة بدَبُّوقَة، وهي في كيس حَرير إمَّا أحْمَر أو أصْفَر، وأوْساطُهم مَشْدودَة بِبُنُود من قُطْن بَعْلَبَكِّي مَصْبوغ عِوضًا عن الحَوائِص، وعليهم أقْبِيَةٌ إمَّا بيض أو مُشَجَّرَة أحمر وأزْرَق، وهي ضَيِّقَةُ الأكمام على هَيْئَة ملابس الفِرِنْج اليوم، وأخْفافُهم من جِلْدٍ بَلْغارِي أسْوَد، وفي أرْجُلهم من فَوْق الخُفّ سَقْمان وهو خُفّ ثانٍ، ومن فَوْق القَبَاء كَمران بحَلَق وأَبْزِيم، وصَوالِق بَلْغاري كِبار يَسَع الواحِدُ منها أكثر من نصف وَيْبَة غَلَّة، مَغْروزٌ فيه مِنْديلٌ طوله ثلاثة أذْرُع.

فلم يَزَل هذا زِيَّهم منذ اسْتَوْلوا بديار مصر على المُلْك من سنة ثمانٍ وأربعين وستّ مائة إلى أن قامَ في المملكة الملكُ المَنْصور قَلاوون، فغَيَّرَ هذا الزِّيّ بأحْسَن منه، ولَبِسُوا الشَّاشات، / وأبْطَلوا لِبْس الكُمّ الضَّيِّق، واقْتَرح كلُّ أحَدٍ من المَنْصوريَّة مَلابِسَ حَسَنَة[2]. فلمَّا مَلَكَ ابنُه الملكُ[a] الأشْرَف خَليل جَمَع خاصَّكيتَه ومَماليكَه، وتخَيَّرَ لهم الملابِس الحَسَنَة، وبَدَّلَ الكَلُّوتات[b] الجُوخ والصُّفْر. ورَسَم لجَميع الأُمَراء أن يركبوا بين مَماليكهم بالكَلُّوتات[b] الزَّرْكَش والطِّرازات الزَّرْكَش والكَنابيش الزَّرْكَش والأقْبِيَة الأطْلَس المَعْدَني حتى يُمَيَّز الأمير بلبسه عن غيره، وكذلك في المَلْبوس الأبيض أن يكون رَفيعًا، واتَّخذَ السُّروج المرصَّعة والأكْوَار المُرَصَّعة فعُرِفَت بالأشْرَفِيَّة. وكانت قبل ذلك سُرُوجُهُم بقَرابِيس كِبار شَنِعَة، ورُكَب كِبار بَشِعَة.

a) ساقطة من بولاق. b) آياصوفيا: الكلفتات.

[1] ذَكَرَ ابنُ إياس أنَّ جامِع السُّلْطان الغُوري أُنْشِئَ في الشَّرابِشيين، وخُطِبَ فيه يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الآخر سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م. (ابن إياس: بدائع الزهور ٤: ٥٨). فعلى ذلك يكون موضع سوق الشَّرابِشيين في المكان الذي أقيم على جزء منه جامع الغوري في المسافة المحصورة بين شارع الأزهر شمالا وعطفة البارودية جنوبًا. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٢٠٩–٢١٠هـ[3]).

[2] انظر فيما يلي ٧٠٣–٧٠٥.

فلمّا ملكَ ديارَ مصر السُّلْطانُ الملكُ النّاصِرُ محمد بن قَلاوون، استجدَّ «العَمائِم النّاصِريّة»[a)]، وهي صِغار.

فلمّا قامَ الأميرُ يَلْبُغا العُمَري الخاصَّكي، عَمَل «الكَلُّوتات[b)] اليَلْبُغاوية»، وكانت كِبارًا. واستجدَّ الأمير سَلار، في أيام الملك النّاصِر محمد، «القَبَاء الذي يُعْرَف بالسَّلاري»، وكان قبل ذلك يُعْرَف بِبَغْلُوطاق[١].

فلمّا تملَّك الملكُ الظّاهِرُ بَرْقُوق، عمل هذه الكَلُّوتات[b)] الجَرْكَسِيّة، وهي أكبر من اليَلْبُغاويّة وفيها عِوَج.

وأمّا الخِلَعُ فإنَّ السُّلْطانَ كان إذا أمَّر أحدًا من الأتراك ألْبَسه «الشَّرْبوش»[٢]، وهو شيءٌ يُشْبه التّاج كأنّه شَكْلٌ مُثَلَّث: يُجْعَل على الرأس بغير عِمامَة، ويُلْبَس معه ـ على قَدْر رُتْبَته ـ إمّا ثَوْبُ نَخّ أو طَرْد وَحْش أو غيره. فعُرِفَ هذا السّوق بالشَّرابشِيّين نِسبةً إلى الشَّرابيش المذكورة. وقد بَطَلَ الشَّرْبُوشُ في الدَّوْلَة الجَرْكَسِيّة.

وكان بهذا السّوق عِدَّةُ تُجّار لشِراء التَّشاريف والخِلَع، وبَيْعها على السُّلْطان في ديوان الخاصّ وعلى الأُمَراء، وينال النّاسُ من ذلك فَوائِدَ جَليلة، ويقتنون بالمَتْجَر في هذا الصِّنْف سعاداتٍ طائِلَة.

فلمّا كانت هذه الحَوادِثُ مُنِعَ النّاسُ من بَيْع هذا الصِّنْف إلّا للسُّلْطان، وصارَ يجلس به قَوْمٌ من عُمّال ناظِر الخاصّ لشِراء سائِر ما يُحْتاجُ إليه، ومنِ اشْتَرى من ذلك شيئًا سوى عُمّال السُّلْطان فله من العِقاب ما قَدَرَ عليه، والأَمْرُ على هذا إلى يومِنا الذي نحن فيه[٣].

---

a) بولاق: المصرية. b) آياصوفيا: الكلفتات.

---

[١] قارن مع ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٥٢؛ المقريزي: السلوك ١: ٥٨٤؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٣٣١؛ Mayer, L., *op.cit.*, pp. 23-24.

[٢] حاشية بخط المؤلِّف: «الشَّرْبُوس لفظٌ فارسي أصله شَرْفُوش، ومعناه غطاء الرأس، فإنّ «شَرْ» معناه الرأس و«فُوش» غِطاء، وهم أبدًا يُقَدِّمون المضاف إليه على المضاف».

أقول: وهو الذي أصبح يعرف بعد ذلك باسم «الطُّرْبُوش»، وأُلغي استخدامه منذ خمسينيات القرن العشرين.

[٣] هنا على هامش نُسْخَة ص: «لمّا تَعَطَّل البَيْع بسُوق الشَّرابشيين عُوِّض عنه بسوقَي الفاضل والقَبْو».

وأوَّلُ من علمته خُلِعَ عليه من أهْل الدُّوَلِ جَعْفَر بن يحيى البَرْمَكي، وذلك أنَّ أميرَ المؤمنين هارون الرَّشيد قال في اليوم الذي انْعَقَدَ له فيه المُلْكُ: يا أخي يا جَعْفَرُ، قد أَمَرْتُ لك بمَقْصُورَة في داري وما يَصْلُح لها من الفِراش، وعَشْر جَوارٍ تكن فيها ليلة مَبيتك عندنا. فقال: يا أمير المؤمنين ما من نِعْمَة مُتواتِرَةٍ ولا فَضْلٍ مُتظاهِرٍ، إلَّا ورأيُ أمير المؤمنين أجمل وأتمُّ.

ثم انْصَرفَ وقد خَلَعَ عليه الرَّشيدُ، وحَمَلَ بين يَدَيْه مائة بَدْرَة دراهم ودَنانير، وأَمَرَ النَّاسَ فركِبوا إليه حتى سلَّموا عليه، وأعْطاه خاتَم المُلْك ليَخْتم به على ما يُريد. فبَلَغَ بذلك صيتُهُ أقطارَ الأرْض، ووَصَل إلى ما لم يصل إليه كاتِبٌ بعده. فاقتدى بالرَّشيد مَنْ بعده، وخَلَعوا على أوْلياء دَوْلَتِهم ووُلاة أعْمالِهم. واستمرَّ ذلك إلى اليوم.

وأوَّل ما عُرِفَ شَدُّ السُّيوف في أوْساط الجُنْد، أنَّ سَيْفَ الدِّين غازي بن عِماد الدِّين أتابَك زَنْكي بن آقْ سُنْقُر صاحِب المَوْصِل، أَمَرَ الأجْنادَ ألَّا يَرْكبوا إلَّا بالسُّيوف في أوْساطِهم والدَّبابيس تحت رُكَبِهم. فلمَّا فَعَلَ ذلك اقتدى به أصْحابُ الأطْرافَ. وهو أيضًا أوَّل من حَمَل على رأسِه الصَّنْجَق في رُكُوبه.

وغـازي[1] هذا هو أَخو الملك العَادِل نُور الدِّين محمود بن زَنْكي، وماتَ في آخر جُمادَى الآخرة سنة أربعٍ وأربعين وخمس مائة، ووَليَ المَوْصل بعده أخُوه قُطْبُ الدِّين مَوْدُود.

سُوقُ الحَوائِصِيِّين

هذا السُّوقُ يَتَّصل بسُوق الشَّرابِشيِّين، وتُباعُ فيه «الحَوائِصُ» - وهي التي كانت تُعْرَفُ بالمِنْطَقَة في القَديم - فكانت حَوائِصُ الأجْنادَ أوَّلًا أربع مائة درهم فِضَّة ونحوها. ثم عَمِلَ المَنْصورُ قَلاوون حَوائِصَ الأُمَراء الكبار ثلاث مائة دينار، وأُمَراء الطَّبْلَخانات مائتي دينار، ومُقَدَّمي الحَلْقَة من مائة وسبعين إلى مائة وخمسين دينارًا.

---

[1] سَيْفُ الدِّين غازي بن عِماد الدِّين زَنْكي بن آقْ سُنْقُر صاحِب المَوْصِل، راجع أخباره عند، ابن الأثير: التاريخ الباهر ٨٦- ٩٣؛ ابن واصل: مفرج الكروب ١: ١١٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤: ٣- ٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠: ١٩٢- ١٩٣. وانظر كذلك أخبار أخيه مَوْدود عند، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥: ٣٠٢، ٣٠٣؛ ابن واصل: مفرج الكروب ١: ١٧٧، ١٨٨- ١٩٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠: ٥٢١- ٥٢٢.

ثم صارَ الأُمَراءُ والخاصِّيكيَّة ، في الأيَّام النَّاصِريَّة وما بعدها ، يتَّخذون الحياصَة من الذَّهَب ، ومنها ما هو مُرَصَّعٌ بالجَوْهَر . ويُفَرِّق السُّلْطان في كلِّ سنة على المماليك من حَوائِص الذَّهَب والفِضَّة شيئًا كثيرًا ، ما زالَ الأمْرُ على ذلك إلى أن وَلِيَ النَّاصِرُ فَرَج . فلمَّا كان في أيَّام الملك المُؤَيَّد شَيْخ المَحْمُودي[a] قَلَّ ذلك .

٥ ووُجِدَ في تَرِكَة الوَزير ، الصَّاحِب عَلَم الدِّين عبد الله بن زُنْبور لمَّا قُبِضَ عليه ستة آلاف حِياصَة ، وستة آلاف كَلُّوتَة جَهازكس[1] .

وما بَرِحَ تُجَّارُ هذا السُّوق من بَياض العامَّة ، وقد قَلَّ تُجَّارُ هذا السُّوق في زَمَننا ، وصارَ أكثرُ حَوانيته يُباع فيها الطَّواقِي التي يَلْبسها الصِّبْيان ، وصارَت الآن من مَلابِس الأجْناد .

سُوقُ الحَلاوِيِّين

١٠ هذا السُّوقُ مُعَدٌّ لبَيْع ما يُتَّخذ من السُّكَّر حَلْوَى ، وإنَّما يُعْرَف اليوم بحَلاوَة مُنَوَّعة . وكان من أبْهَج الأسْواق لما يُشاهَد في الحَوانيت التي به[b] من الأواني وآلات النُّحاس الثِّقْلية الوَزْن البَديعَة الصَّنْعَة ذات القِيَم الكبيرة ، ومن الحَلاوات المُصَنَّفة عِدَّة ألْوان وتُسَمَّى المُجَمَّعة ، وشاهَدت بهذا السُّوق السُّكَّر يُنادَى عليه كلُّ قِنْطارٍ بمائة وسبعين دِرْهمًا .

فلمَّا حَدَثَت المِحَنُ وغَلا السُّكَّر لخَرابِ الدَّواليب التي كانت بالوَجْه القِبْلي ، وخَرابِ مطابخ ١٥ السُّكَّر التي كانت بمَدينَة مصر ؛ قَلَّ عَمَلُ الحَلْوى ، وماتَ أكثر صُنَّاعِها[c] . ولقد رأيتُ مَرَّةً طَبَقًا فيه نُقْل ، وعِدَّة شُقَّاف من خَزَفٍ أحمر في بعضها لَبَن / وفي بعضها أنْواعُ الأجْبان ، وفيما بين الشُّقَّاف الخيار والمَوْز ، وكلُّ ذلك من السُّكَّر المعمول بالصِّناعة . وكانت أيضًا لهم عِدَّةُ أعْمالٍ من هذا النَّوْع يُحَيِّر النَّاظِرَ حُسْنَها .

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : بها . c) بولاق : صناعتها .

[1] الحياصَة (حَوَاصَة) جـ حَوائِص . المِنْطَقَةُ التي تُشَدُّ حَوْل الوَسَط ـ وهي من المِنَح السُّلْطانية ـ وتكون من الذَّهَب أو الفِضَّة بحسب رُتْبَة الأمير . (ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٣٠ ، ٣٥ ، ٧١ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٢ : ١٣٤ ، ٤ : ٤٠ ، ٥٥ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٤٥ وفيما يلي ٧٠٤) .

وكان هذا السُّوقُ في مَوْسِم شهر رَجَب من أحْسَن الأشْياء مَنْظرًا ، فإنَّه كان يُصْنَع فيه من السُّكَّر أمْثال خُيول وسِباع وقِطاط وغيرها تسمَّى «العَلاليق» ـ واحِدُها عَلَّاقَة ـ تُرْفَع بخُيُوط على الحَوانيت ، فمنها ما يَزِن عشرة أرْطال إلى رُبْع رطل ، تُشْتَرى للأطفال . فلا يبقى جَليلٌ ولا حَقيرٌ حتى يَبْتاعَ منها لأهْلِه وأوْلادِه ، وتمتلئ أسْوَاقُ البلدين مصر والقاهِرَة وأرْيافِهما من هذا الصِّنْف ، وكذلك يُعْمَل في مَوْسِم نصف شَعْبان . وقد بقي من ذلك إلى اليوم بقيَّةٌ غير طائِلَة . ٥

وكذلك كانت تَرُوقُ رُؤْيَة هذا السُّوق في مَوْسِم عيد الفِطْر ، لكثرة ما يُوضَع فيه من حَبِّ الخُشْكَنانْج وقِطَع البَسَنْدود والمُشاش . ويُشْرَع في عَمَل ذلك من نصف شهر رَمَضان ، فتُمْلأ منه أسْواق القاهِرَة ومصر والأرْياف ، ولم يُر في مَوْسِم سنة سَبْع عشرة وثمان مائة من ذلك شيءٌ بالأسْوَاق ألبتَّة ، فسبحان مُحيل الأحْوال لا إله إلَّا هو .

سُوقُ الشَّوَّائِين ١٠

هذا السُّوقُ أوَّلُ سُوقٍ وُضِعَ بالقاهِرَة ، وكان يُعْرَف بسُوق السَّرَّاجين[a]، وهو من باب حارَة الرُّوم إلى سُوق الحَلاوِيين[b] [١] . وما زال يُعْرَف بسُوق السَّرَّاجين[a] إلى أن سَكَنَ فيه عِدَّةٌ من بَيَّاعي الشُّواء في حُدود السبع مائة من سني الهجرة ، فزالَت عنه النِّسْبَة إلى السَّرَّاجين[a] وعُرِفَ بالشَّوَّائين ، وهو الآن سَكَن المُتَعيِّشين . وانتقل سُوقُ السَّرَّاجين[a] في زَمانِنا إلى خارج باب زَويلَة [c]بحَضْرَة الدَّرْب الأحمر[c]، وعُرِفَ بالبُسْطِيِّين كما سيأتي ذكره إن شاءَ الله [٢]. ١٥

---

a) بولاق : الشرائحيين . b) نص المسودة : قال المؤلف : الذي يغلب على ظنّي أن أوّل سوق حدث بالقاهرة سوق السراجين هذا ، وهو المعروف في عصرنا بسوق الشَّوَّائين ، وهو على قَصَبَة القاهرة من باب حارة الروم وإلى سوق الحلوانيين على رأس سوق الغزل من قيسارية الشَّرْب . c-c) إضافة من مسودة الخطط .

---

[١] في مسودة الخطط ٣٩و ذكره باسم : سوق السَّرَّاجين المعروف اليوم بالشَّوَّائين . وانظر فيما يلي ٢ : ٢٩٣.

كان هذا السُّوق يقع في المنطقة التي تمتدّ الآن من سبيل العَقَّادين عند مدخل حارة الروم جنوبًا إلى مدخل حارة خُشْقَدَم شمالًا على اليمين ، ومدخل حارة الفَحَّامين على اليسار ، وهو أحد أقسام شارع المعز لدين الله الذي كان يعرف إلى سنة ١٩٣٧ بشارع العَقَّادين . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٦٣-٦٤هـ[٤]) .

[٢] فيما يلي ١٥ : ٣٦٧ ، ٤٥٢.

قال ابنُ زُولاق في كِتاب «سِيرَة المُعِزّ» : وفي شهر صَفَر من سنة خمسٍ وستين وثلاث مائة أُنْشِئَ سُوق السَّرَّاجين[a] بالقاهِرَة. وذَكَر ذلك ابنُ عبد الظَّاهِر في كِتاب «خِطَط القاهِرَة». [b]فتعَيَّن أنّه أوَّل سُوق حَدَث بالقاهِرَة، فإنَّه لم يذكر قبله سُوقًا غيره[b] [1].

وكان في القَديم باب زَوِيلَة الذي وضَعَهُ القائدُ جَوْهَرُ عند رأس حارَة الرُّوم، حيث العَقْد المُجاوِر الآن للمَسْجد الذي عُرِفَ اليوم بسَام بن نُوح، وكان بجوارِه بابٌ آخَر موضعه الآن سُوق الماطِيين. فلمَّا نَقَلَ أميرُ الجُيُوش باب زَوِيلَة إلى حيث هو الآن، اتَّسَعَ ما بين سُوق السَّرَّاجين[a] المذكور وبين باب زَوِيلَة الكبير، وصارَ الآن فيه سُوق الغَرابِليين، وفيه عِدَّةُ حَوانيت تَعْمل مَناخِل الدَّقيق والغَرابيل، ويُقابِلهم عِدَّةُ حَوانيت يُصْنَع فيها الأَغْلاق المعروفة بالضُّبَب، وما بعد ذلك إلى باب زَوِيلَة فيه كثيرٌ من الحَوانيت بجلس ببعضها عِدَّةٌ من الجَبَّانين لبَيْع أنْواعِ الجُبْن المجلوب من البلاد الشَّامِيَّة وأدركنا هناك إلى أن حَدَثَت المِحَنُ من ذلك شيئًا كثيرًا يتجاوَز الحَدّ في الكَثْرَة.

وفي بعض تلك الحَوانيت قَوْمٌ يجلسون لعلاجِ من عَسَاه يَنْصَدِعُ له عظْمٌ أو يَتَكَسرُ أو يُصيبُه جُرْحٌ، يُعْرَفُون بـ «المُجَبِّرين». وهناك منهم بقيَّةٌ إلى يومنا هذا. وبقيَّة الحَوانيتِ ما بين صَيارِفَة وبَيَّاعي طُرف ومُتَعَيِّشين في المآكِل وغيرها.

فهذه قَصَبةُ القاهِرَة، وما في ظَاهِر بابِ زَوِيلَة فإنَّه خارِج القاهرة.

الشَّارِعُ خارِج بابِ زَوِيلَة

هذا الشَّارِعُ هو تِجاه من خَرَجَ من باب زَوِيلَة، ويَمتدُّ فيما بين الطَّريق السَّالِك ذات اليَمين إلى الخَليج، وبين الطَّريق المَسْلُوك فيه ذات اليَسار إلى قَلْعَة الجَبَل [2]. ولم يكن هذا الشَّارِعُ مَوْجُودًا على ما هو عليه الآن عند وَضْعِ القاهِرَة، وإنَّما حَدَثَ بعد وَضْعها بعِدَّة أعْوام على غير هذه الهَيْئَة. فلمَّا كَثُرَت العَمائِرُ خارِج باب زَوِيلَة، بعد سنة سبع مائة من سِنِي الهجرة، صارَ على ما هو عليه الآن.

a) بولاق: الشرائحيين. b-b) إضافة من مسودة الخطط.

[1] المقريزي: مسودة الخطط ٣٩و.

[2] يعرف الآن الطريق السالك ذات اليمين بشارع تحْت الرَّبْع، والطريق المسلوك فيه ذات اليسار بشارع الدَّرْب الأحمر.

فأمّا أوّلُ أمْره فإنَّ الخَلِيفَة الحاكِم بأمْر الله أنشأ «البابَ الجَديد» على يَسْرَة الخارِج من باب زَوِيلَة على شاطئ بِرْكة الفيل، وهذا البابُ أدركت عَقْدَه عند رأس المُنْتَجِبيَّة[a] بجوار سُوق الطُّيور[١]. ثم لمَّا اختُطَّت حارَةُ اليانِسيَّة وحارَةُ الهِلاليَّة[٢]، صارَ ساحِلُ بِرْكَة الفيل قُبالَتها، واتَّصلتِ العَمائرُ من الباب الجَديد إلى الفَضاء الذي هو الآن خارج المَشْهَد النَّفيسي.

فلمَّا كانتِ الشِّدَّةُ العُظْمَىٰ في خِلافَة المُسْتَنْصِر، وخَرِبَتِ القَطائِعُ والعَسْكَرُ، صارَت مواضِعُها خَرابًا إلى خِلافَة الآمِر بأحكام الله. فعَمَّرَ النَّاسُ حتى صارَت مصرُ والقاهِرَةُ لا يتخلَّلهما خَرابٌ، وبنى النَّاسُ في الشَّارِع من الباب الجَديد إلى الجبَل عَرْضًا حيث قَلْعَة الجبَل الآن، وبُنِيَ حائِطٌ يستر خَرابَ القَطائع والعَسْكَر[٣]. فعُمِّر من الباب الجَديدُ طُولًا إلى باب الصَّفَا بمَدينَة مصر، حتى صارَ المُتَعَيِّشون بالقاهِرَة والمُسْتَخْدَمون يُصَلُّون العَشاء الآخرة بالقاهِرَة، ويَتَوَجَّهون إلى سَكَنِهم في مصر، ولا يزالون في ضَوْءٍ وسَرْجٍ وسُوقٍ مَوْقودٍ من الباب الجَديد خارج باب زَوِيلَة إلى باب الصَّفا حيث الآن كُوم الجارِح، والمَعاشُ مستمِرٌّ في اللَّيْل والنَّهار[٤].

ووَقَفَ القاضِي الرَّئيس المُخْتار العَدْل زَكيُّ الدِّين أبو العَبَّاس أحمد بن مُرْتَضَى بن سَيِّد الأَهْل ابن يُوسُف حِصَّةً من البُسْتان الكبير، المعروف يومئذٍ بالمَخاريق الكبرىٰ[٥] الكائِن فيما بين / القاهِرَة ومصر بعَدْوَة الخَليج، على القُرُبات، وشَرَطَ أنَّ النَّاظِرَ يشتري في كلِّ فَصْلٍ من فُصُول الشِّتاء من قُماش الكَتَّان الخام أو القُطْن ما يَراه، ويعمل ذلك جبابًا وبُغالَطيقا مَحْشُوَّة قُطْنًا، وتُفَرَّق على الأيْتام الذُّكور والإناث الفُقَراء غير البالغين بالشَّارع الأعْظَم خارج باب زَوِيلَة، فيدفع لكلِّ واحِدٍ

a) في النسخ: المنجبية.

[١] البابُ الجَديد. أنشأه الخليفةُ الحاكِمُ بأمْر الله على يسار الخارج من باب زويلة على شاطئ بركة الفيل ليحدِّد لطوائف الجيش المختلفة الحدَّ الأقصى من أراضي الأطراف الممنوحة لهم، وكان يقع في عرض الطَّريق الممتد خارج باب زويلة والمعروفة بشارع المِغْربلين تجاه زاوية الشَّيْخَة عائشة اليونسية على رأس شارع الدَّاوُدية من الجهة القبلية. (المسبحي: أخبار مصر ٦٠؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٥٨– ٥٩، وفيما يلي ٣٦٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٥٠؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٤١٥ هـ[٣]؛ Salmon, G., *La Kal'at al-Kabch et la Birkat al-Fîl*, pp. 50-53; Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 352-56، وفيما يلي ٣٦٦).

[٢] فيما تقدم ٢: ٤٦، ٥٨.

[٣] فيما تقدم ٢: ٥٨.

[٤] فيما تقدم ٢: ٥٨، وهذا المجلد ٥٧ وفيما يلي ٢: ٢٦٥؛ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣٤– ١٣٥.

[٥] انظر عن المخاريق الكبرىٰ فيما يلي ٣٨٢.

جُبَّة واحِدَة أو بُغْلُطاقًا ، فإن تعذَّرَ ذلك كان على الأيْتام المُتَّصفين بالصِّفات المذكورة بالقاهِرَة ومصر وقَرافَتَيْهِما . وكان هذا الوَقْفُ في سنة ستين وستّ مائة .

فلمَّا كَثُرَتِ العَمائِرُ خارج باب زَوِيلَة في أيَّام الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون بعد سنة سبع مائة ، صارَ هذا الشَّارِعُ أوَّلُه تِجاه باب زَوِيلَة وآخره في الطُّول الصَّليبَة التي تنتهي إلى جامِع ابن ٥ طُولون وغيره . لكنَّهم لا يُريدون بالشَّارِع سوى إلى باب القَوْس الذي بسُوق الطُّيوريين ، وهو البابُ الجَديد .

وبعد باب القَوْس سُوقُ الطُّيوريين ، ثم سُوقُ جامِع قَوْصُون ، وسُوقُ حَوْض ابن هَنَس ، وسُوق رَبْع طُغْجي [a] . وهذه أسْواقٌ بها عِدَّةُ حَوانيت ، لكنَّها لا تنتهي إلى عِظَم أسْواق القاهِرَة ، بل تكون أبدًا دونها بكثير ؛ فهذا حالُ القَصَبَة والشَّارِع خارج باب زَوِيلَة .

*
* *

١٠ وقد بقِيت عِدَّةُ أسْواقٍ في جانبي القَصَبَة ولها أبْوابٌ شارِعَةٌ ، وفيها أسْواقٌ أُخَر في نَواحي القاهِرَة ومَسالِكِها سيأتي ذكرُها بحَسَب القُدْرَة إن شاءَ الله تعالى .

سُوَيْقَةُ أَمير الجُيُوش

[b]مَنْسوبةٌ إلى أمير الجُيُوش بَدْرٍ الجمالي وَزير المُسْتَنْصِر بالله أبي تَميم مَعَدّ بن الظَّاهر . قال ابنُ عبد الظَّاهِر : وتُوفي بَدْرٌ الجمالي هذا المعروف بأبي النَّجْم في سنة ثمانٍ وثمانين وأرْبع مائة ؛ ثم ١٥ قال : والسُّوَيْقَةُ المعروفة بأمير الجُيُوش معروفةٌ به ، وهي من باب حارَة بَرْجَوان إلى قريب الجامِع الحاكِمي . قال المُؤَلِّفُ : سُوَيْقَةُ أمير الجُيُوش كانت في زمانِه من باب حارَة بَرْجَوان إلى قَريب باب الجامِع الحاكِمي ؛ ورأيتُ في كُتُب الأمْلاك القديمة التي بحارَة بَرْجَوان ما يَدُلُّ على ذلك ، فإنِّي رأيت في حُدود الأدُرّ المذكورة الحَدَّ القِبْلي ينتهي إلى سُوَيْقَة أمير الجُيُوش وهذا مُوافِقٌ لقَوْل ابن عبد الظَّاهِر ، فإنَّه يَدُلُّ على أنَّ سُوَيْقَة أمير الجُيُوش كانت قِبْليَّ حارَة بَرْجوان ، فإنَّ باب حارَة ٢٠ بَرْجَوان في حَدِّها القِبْلي في الشَّارع المسلوك إلى باب الفُتُوح . فأمَّا سُوَيْقَةُ أمير الجُيُوش في زمانِنا فإنَّها شَرْقي حارَة بَرْجَوان في الشَّارِع المسلوك إلى باب القَنْطَرَة وأوَّلها من حَدْرَةِ عند خان[b]

---

a) بولاق : طفجي . b-b) هذا النص إضافة من مسودة الخطط .

(a)الرَّوَّاسين ، ولعلَّ هذه السُّوَيْقَة المُسَمَّاة الآن سُوَيْقَة أمير الجيُوش بعضُ تلك السُّوَيْقَة القَديمَة . وأمَّا الدَّكاكينُ التي من باب حارَة بَرْجَوان الآن إلى قَريب الجامِع الحاكِمي فهي سَكَنُ المُتَعَيِّشين ولا تُعْرَف في زَمانِنا سُوَيْقَة أمير الجيُوش أصْلًا ، بل بعضها سَكَنُ المُتَعَيِّشين إلى خان الرَّوَّاسين والجَمَلون الصَّغير ، ومن الجَمَلون المذكور إلى باب الجامِع الحاكمي سُوق المُرَحِّلين . قال كاتِبُه : رأيتُ في «سيرة» الإمام مُوَفَّق الدِّين عبد اللَّطيف بن يُوسُف البَغْدادي ـ وقد وَقَفْت عليها بخَطِّه وعَلَّقْتُ منها فَوائِد ـ لمَّا ذَكَرَ مَدْرَسَة الأمير يازكوج قال : هي في سُوق الخِرْوقِيِّين ؛ فلم يُسَمّ الشُّوق المعروف في زَمانِنا سُوَيْقَة أمير الجيُوش إلَّا سُوق الخِروقيِّين ، فدَلَّ على أنَّ تسميتها سُوَيْقَة أمير الجيُوش ممَّا أحْدَثَه العامَّةُ كما أحْدَثُوا أسماءَ الخِطَط ومَواضِع ونَسَبوها لغير ما كانت تُنْسبُ إليه أوَّلًا كما يَمُرُّ بك كثيرٌ منه في هذا الكِتاب (a). وفي هذه السُّوق عَمَّرَ الأمير يازْكوج الأسَدي مَدْرَسَتَه المعروفة الآن بالأزْكجية [1] .

وأدْرَكْتُ النَّاسَ إلى هذا الزَّمَن الذي نحن فيه لا يَعْرِفون هذا السُّوق إلَّا بسُوق أمير الجيُوش ، ويُعَبِّرون عنه بصيغة التَّصْغير ، ولا أعْرِف لهم مُسْتَنَدًا في ذلك . والذي تَشْهَدُ به الأخبارُ أنَّ سُوقَ أمير الجيُوش هو الشُّوق الذي برأس حارَة بَرْجَوان ، ويمتدّ إلى رأس سُوَيْقَة أمير الجيُوش الآن .

وهذه السُّوَيْقَة من أكبر أسْواق القاهِرَة ، بها عِدَّةُ حَوانيت فيها الرَّفَّاؤون والحَبَّاكون ، وعِدَّةُ حَوانيت للرَّسَّامين ، وعِدَّةُ حَوانيت للفَرَّائين وعِدَّةُ حَوانيت للخَيَّاطين ، ومعظمها لسَكَن البَزَّازين والخَلَعِيين ، وفيها عِدَّةٌ من بَيَّاعي الأقْباع . ويُباعُ في هذا الشُّوق سائِرُ الثِّياب المَخيطة والأمتعة من الفَرْش ونحوها . وهو شارِعٌ من شَوارِع القاهِرَة يُسْلَك فيه من باب الفُتُوح وبَيْنَ القَصْرَيْن وباب النَّصْر إلى باب القَنْطَرَة وشاطئ النِّيل وغيره .

وكان ما بعد هذا الشُّوق إلى باب القَنْطَرَة مَعْمُورَ الجانبين بالحَوانيت المعدَّة لبَيْع الطَّرائِف والمغازِل والكَتَّان والأنْواع من المآكِل والعِطْر وغيره ، وقد خَرِبَ أكْثرُ هذه الحَوانيت في سِني المِحْنَة وما بعدها وبِسُوَيْقَة أمير الجيُوش عِدَّةُ قَياسِر وفَنادِق [2] .

a-a) هذا النص إضافة من مسودة الخطط .

[1] انظر فيما يلي ٢: ٣٦٧.

[2] انظر فيما تقدم ٣١٨ سوق حارة بَرْجوان .

سُوقُ الجَمَلُون الصَّغير

هذا السُّوقُ يُسْلَك فيه من رأس سُوَيْقَة أَمير الجُيُوش إلى باب الجُوَّانية وباب النَّصْر ورَحْبَة باب العيد . وهو مُجاورٌ لدَرْب الفُرَنجِيَّة ، وفيه المَدْرَسَةُ الصَّيْرَمِيَّة ، وبابُ زِيادَة الجامِع الحاكِمي . وكان أوَّلًا يُعْرَف بالأُمَرَاء القُرَشيين بني البُوري ، ثم عُرِفَ بالجَمَلون الصَّغير ، وبجَمَلُون ابن صَيْرَم . وهو الأَميرُ جَمالُ الدِّين شُوَيْخ ابن صَيْرَم أَحَدُ الأُمَرَاء في أيَّام المَلك الكامِل محمد بن العادل أبي بكر بن أيُّوب ، وإليه تُنْسَبُ المَدْرَسَة الصَّيْرَمِيَّة ، والخُطّ المعروف خارج باب الفُتُوح ببُسْتان ابن صَيْرَم .

وأَدْرَكْتُ هذا الجَمَلون مَعْمُورَ الجانبين من أوَّله إلى آخِره بالحَوانيت : ففي أوَّله كثيرٌ من البَزَّازين الذين يَبيعون ثِياب الكَتَّان من الخام والأزرق وأنواع الطُّرَح وأصناف ثِياب القُطْن ، ويُنادَى فيه على الثِّياب بحَراج حَراج ، وفيه عِدَّةٌ من الخَيَّاطين ، وعِدَّةٌ من البابِيَّة المعدّين لغَسْل الثِّياب وصَقالِها . وبآخره كثيرٌ من الضَّبَّبِين ، بحيث لو أرادَ أحَدٌ أن يشتري منه أَلف ضَبَّة في يوم لما عَسُرَ عليه ذلك .

فلمَّا حَدَثَتِ المِحَنُ خَرِبَ هذا السُّوق بخُلُوِّ حَوانيته ، وصارَ مُقْفِرًا من ساكِنيه ، ثم إنَّه عَمُرَ بعد سنة عشرٍ وثمان مائة ، وفيه الآن نَفَرٌ من البَزَّازين وقَليلٌ ممَّن سِواهم[1] .

سُوقُ المَحَايريين

هذا السُّوقُ فيما بين الجامِع الأَقْمَر وبين جَمَلُون ابن صَيْرَم . يُسْلَك فيه من سُوق حارَة بَرْجَوان ومن سُوق الشَّمَّاعين إلى الرُّكْن المُخَلَّق ورَحْبَة باب العيد ، وهو من شَوارع القاهِرَة المسلوكة ، وفيه عِدَّةُ حَوانيت لعمل المَحَاير التي يُسافَر فيها إلى الحِجَاز وغيره ، وكان فيه تاجِران قد تَوَاصَيَا[a] على ما يَشْتَريانه من المَحَاير المعروضة للبَيْع . ولهذا السُّوق مَوْسِمٌ عَظيمٌ عند سَفَر الحاج ، وعند سَفَر النَّاس إلى القُدْس .

a) بولاق : تراضيا .

[1] أضاف ابن أبي السرور البكري : «وهذا السوق الآن جارٍ في وَقْف السلطان الملك الأشرف الغوري ومن جملة أَوْقافِه» (قطف الأزهار ١٩٠ظ) .

وبَلَغَني عن شَيْخٍ كان بهذا السُّوق أنَّه أوْصَى بعض صِبْيانِه فقال له : يا بنيّ لا تُراعِ أحَدًا في بَيْعٍ فإنَّه لا يحتاج إليك إلَّا مَرَّةً في عمره ، فخُذ عَدْلَكَ في ثَمَنِ المَحارَة فإنَّك لا تَخْشَى من عَوْدِه مرَّةً أخرى إليك ، وسوف إذا عادَ من سَفَره - إمَّا إلى الحِجَاز أو القُدْس - فإنَّه يحتاج إلى بَيْعها ، فتراقَد عليه في ثَمَنِها ، واشْتَرِها بالرَّخيص . وكذلك يَفْعَل أهْلُ هذا السُّوق إلى اليوم ، فإنَّهم لا يُراعون بائِعًا ولا مُشْتريًا . إلَّا أنَّ سُوقَهم لم يَبْق كما أدْرَكْناه ، فإنَّه حَدَثَ سُوقٌ آخر يُباعُ فيه المَحَاير بسُوق الجامِع الطُّولوني ، وصارَ بسُوق الخِيَمِيِّين أيضًا صُنَّاعٌ/ للمَحاير .

وبَلَغَني أنَّ بالمَحَايريين هذه أوْقَف أهلُ مصر امْرَأةً من جَريد مُؤْتَزِرَة ، بيدها وَرَقَةٌ فيها سَبُّ الخَليفَة الحاكِم بأمْر الله ولَعْنه ، عندما مَنَعَ النِّساء من الخُروج في الطُّرُقات . فعندما مَرَّ من هناك حَسَبَها امرأةً تسأله حاجَةً ، فأَمَرَ بأخْذ الوَرَقَة منها ، فإذا فيها من السَّبِّ ما أغْضَبَهُ ، فأَمَرَ بها أن تُؤْخَذ فإذا هي من جَريدٍ قد أُلْبِسَ ثِيابًا وعُمِلَ كهَيْئَة امْرأة . فاشتدَّ عند ذلك غَضَبُه ، وأَمَرَ العَبيدَ بإحْراق مَدينَة مصر ، فأَضْرَموا فيها النَّار .

ولم أقف على هذا الخَبَر مَسْطُورًا . وقد ذَكَرَ المُسَبِّحِيُّ حَريقَ الحاكِم بأمْر الله لمصر ، ولم يذكر قِصَّة المرأة [1] .

الصَّـاغَـةُ

هذا المكانُ تِجاه المَدارِس الصَّالحِيَّة بخُطِّ بَيْنَ القَصْرَيْن .

قال ابنُ عبد الظَّاهِر (a في كتاب «خِطَط القاهِرَة» a) : الصَّاغَةُ بالقاهِرَة كانت مَطْبَخًا للقَصْر يُخْرَج إليه من باب الزُّهُومَة - وهو الباب الذي هُدِمَ وبني مَكانَه قاعَةُ شَيْخ الحَنابِلَة من المَدارِس الصَّالحية - وكان يَخْرج من المَطْبَخ المذكور مُدَّة شهر رَمَضان ألف ومائتا قِدْرٍ من جَميع الألْوان في كلِّ يومٍ تُفَرَّق على أرْباب الرُّسُوم والضُّعَفاء ، وسُمِّيَ باب الزُّهُومَة - أي باب الزُّفَر - لأنَّه(b) لا يُدْخَل باللَّحْم وغيره إلَّا منه فاختصَّ بذلك [2] . انتهى .

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط . b) لأنه : ساقطة من المسودة وآياصوفيا وباريس .

---

[1] راجع حَوْل حَريق الفسطاط في زمن الحاكم بأمر الله Fu'âd Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, pp. 614-16؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ١٧٥-١٧٦.

[2] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٥٨؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٤٦؛ المقريزي : مسودة المواعظ ١٢٠،=

والصَّاغَة الآن وَقْفٌ على المَدارِس الصَّالِحِية وَقَفَها الملكُ السَّعيدُ بَرَكَة خان، المسمَّى بناصِر الدِّين محمد، وَلَدِ الملك الظَّاهِر رُكْن الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري، على الفُقَهَاء والطَّلَبَة[a] المقرَّرين بالمَدارِس الصَّالِحِية النَّجْمِيَّة[a].

[b]وكانت الصَّاغَةُ قَديمًا فيما تقدَّم مكان الأَسَاكِفَة الآن وهو إلى الآن معروفٌ بالصَّاغَة القَديمَة وكان يُعْرَف بسَقيفَة العَدَّاس.

قال المُؤَلِّفُ: الصَّاغَةُ القَديمَةُ هو السُّوق الذي يُعْرَف الآن بسُوق الحَريريين الشَّرابيين من باب قَيْسارِيَّة العَنْبَر وإلى خُطّ البُنْدُقانيين ومن جملته سُوقُ الزُّجَاجِيين الآن، وكان سَكَن الأَسَاكِفَة فيما تَقَدَّم، وقد كان بعضُ سُوق الزُّجاجيين مَسْكَنًا للأَساكِفَة إلى عَصْرنا ثم انتقلتِ الأَساكِفَةُ من هذا الخُطِّ، وكان بعضُ سُوق الحَريريين المذكور سُوقًا للأَخْفافِيين ـ باعَة أَخْفَاف ـ النِّسَاء فلمَّا عَمَّرَ الأميرُ يُونُسُ الدَّوادار في أيَّام الظَّاهِر بَرْقُوق قَيْسارِيَّته التي على بِئْر زَوِيلَة بعضها بخُطّ البُنْدقانِيين نَقَلَ الأَخْفافِيين إلى الحَوَانيت التي بظاهِرِها[b] [1].

سُوقُ الكُتُبِيِّين

هذا السُّوقُ فيما بين الصَّاغَة والمَدْرَسَة الصَّالِحِية. أُحْدِثَ فيما أَظُنُّ بعد سنة سبع مائة، وهو جارٍ في أَوْقافِ المارِسْتان المَنْصوري[2]. وكان سُوقُ الكُتُب قبلَ ذلك بمَدينَة مصر تِجاه الجانِب الشَّرْقي من جامِع عَمْرو بن العَاص، في آوَّل زُقاق القَناديل بجوار دار عَمْرو، وأَدْرَكْتُه وفيه بقيَّة بعد سنة ثمانين وسبع مائة، وقد دَثَرَ الآن فلا يُعْرَف موضِعُه.

وكان قد نُقِلَ سُوقُ الكُتُب[c] من موضِعه الآن بالقاهِرَة إلى قَيْسارِيَّة كانت فيما بين سُوق الدَّجَاجين المُجاوِر للجامِع الأَقْمَر وبين سُوق الحُصْريين المُجاور للرُّكْن المُخَلَّق[3]. وكان يَعْلو هذه القَيْسارِيَّة رَبْعٌ فيه عِدَّةُ مَساكِن، فتضرَّرَتِ الكُتُبُ من نَداوَة أَقْبِيَة البُيُوت وفَسَدَ بَعْضُها، فعادوا

---

a) إضافة من مسودة الخطط. b-b) إضافة من مسودة الخطط. c) بولاق: الكتبيين.

---

[1] المقريزي: مسودة الخطط ٣٤و.

[2] فيما تقدم ٣٢٣.

[3] فيما تقدم ٣٢١.

= ٢٤١؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٣٥٣؛ وفيما تقدم ٢: ٤٣١.

إلى سُوق الكُتُب الأوَّل حيث هو الآن .

وما بَرِحَ هذا السُّوق مَجْمَعًا لأَهْل العِلْم يتردَّدون إليه . وقد أَنْشَدْتُ قَديمًا لبعضهم :

[المتقارب]

مُجالَسَةُ السُّوق مَذْمُومَةٌ ومنها مَجالِسُ قد تُحْتَسَبْ

٥ فلا تَقْرَبنْ غيرَ سُوقِ الجِياد وسُوقِ السِّلاح وسُوقِ الكُتُبْ

فهاتِيك آلَةُ أهْل الوَغَىٰ وهاتِيك آلَةُ أهْل الأَدَبْ

سُوقُ الصَّنادِقيين

هذا السُّوقُ تجاه المَدْرَسَة السُّيُوفِيَّة ، كان موضعُه في القَديم من جملة المارِسْتان ، ثم عُرِفَ بفُنْدُق الدَّبابِليين ، وقيل له الآن سُوقُ الصَّنادقيين . وفيه تُباعُ الصَّناديقُ والخَزائِنُ والأَسِرَّةُ ممَّا يُعْمَل ١٠ من الخَشَب .

وكان ما بظاهِرها قَديمًا يُعْرَف بسَكَن الدَّجّاجيين ، وأَدْرَكْناه يُعْرف بسُوق السُّيُوفِيين ، وكان فيه عِدَّةُ طَبّاخين لا يَزالُ دُخَانُ كوانينهم مُنْعَقِدًا لكثرته حتى قال لي شَيْخُنا قاضي القُضَاة مَجْدُ الدِّين إسماعيل بن إبراهيم الحَنَفي : إنَّ قاضي القُضَاة جَلال الدِّين جَار الله[a] قال له : هذا السُّوق قُطْبُ دائِرَة الدُّخَان .

١٥ وفي سُوق الصَّنادِقيين إلى الآن بَقِيَّةٌ .

سُوقُ الحَريريِّين

هذا السُّوقُ من باب قَيسارية العَنْبَر إلى خُطِّ البُنْدُقانيين ، كان يُعْرَف قَديمًا بسَقِيفَة العَدَّاس ، ثم عُمِلَ صاغَةَ القاهِرَة ، ثم سَكَن هناك الأَساكِفَةُ .

قال ابنُ عبد الظّاهِر : وكانتِ الصّاغَةُ قَديمًا فيما تقدَّم مَكان الأَساكِفَة الآن . وهو إلى الآن معروفٌ ٢٠ بالصّاغَة القَديمَة ، وكان يُعْرَف بسَقِيفَة العَدَّاسين[b]، كذا رأيتُه[c] في كُتُب الأَمْلاك [القَديمَة][d] [1] .

---

a) بولاق : جاد الله . b) بولاق : العداس . c) بولاق : رأيت . d) إضافة من ابن عبد الظاهر .

---

[1] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٥٩.

وعُرِفَ هذا السُّوقُ في زَمَننا بالحَريريِّين الشَّرابِيين، وعُرِفَ بعضه بسُوق الزُّجاجيين، وكان يَسْكُن فيه أيضًا الأساكِفَةُ. فلمَّا أنشأ الأميرُ يُونُسُ الدَّوادار القَيْسارِيَّة على بِئْر زَوِيلَة بخُط البُنْدُقانيين، في أعْوام بضع وثمانين وسبع مائة، نَقَلَ الأساكِفَة من هذا الخُطّ، ونَقَلَ منه أيضًا بيّاعي أخْفَاف النِّسَاء إلى قَيْسَارِيَّته وحَوانيته المذكورة [1].

سُوقُ العَنْبَرِيِّين

٥

هذا السُّوقُ فيما بين سُوق الحَريريين الشَّرابِيِّين وبين قَيْسارية العُصْفُر، وهو تِجاه الخَرَّاطين. كان في الدَّوْلَة الفاطِمية مكانُه سِجْنًا لأرْباب الجَرائم يُعْرَف بحَبْس المَعونَة، وكان شَنيعَ المنظر ضَيِّقًا، لا يَزال من يَجْتازُ عليه يجد منه رائِحةً منكرةً.

فلمَّا كان في الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة، وصارَ قَلاوون من جملة الأُمَرَاء الظَّاهِرِيَّة بَيْبَرْس، صارَ يَمُرُّ من دارِه إلى قَلْعَة الجَبَل على حَبْس المَعونَة هذا، فيَشَمّ منه رائِحةً رَدِيئَةً، ويَسْمَع منه صُراخَ المسجونين وشَكْواهم الجُوع والعُرْي والقَمْل، فجَعَلَ على نفسه إن الله تعالى جَعَلَ له من الأمْر شيئًا أن يبني هذا الحَبْس مَكانًا حَسَنًا. فلمَّا صارَ إليه مُلْكُ ديار مصر والشَّام، هَدَمَ حَبْس المَعُونَة، وبَنَاه سُوقًا أسْكَنَه بيّاعي العَنْبَر.

١٠

وكان للعَنْبَر إذ ذاك بديار مصر نَفَاقٌ، وللنَّاس فيه رَغْبَةٌ زائِدةٌ، لا يكاد يُوجَد بأرض مصر امرأةٌ وإن سَفُلَت/ إلَّا ولها قِلادَة من عَنْبَر، وكان يُتَّخَذ منه المَخادُ والكِلَل والسُّتور وغيرها. وتُجَّارُ العَنْبَر يُعَدُّون من بَيَاض النَّاس، ولهم أموالٌ جَزيلَة، وفيهم رُؤَسَاءُ وأجِلَّاءُ.

١٥ ٣:٢

فلمَّا صارَ المُلْكُ إلى الملك النَّاصِر محمد بن قلاوون، جَعَلَ هذا السُّوق وما فَوْقَه من المساكِن وَقْفًا على الجامِع الذي أنشأه بظاهِر مصر جوار مَوْرَدَة الحَلْفاء، المعروف بالجامِع الجَديد النَّاصِري، وهو جارٍ في أوْقافِه إلى يومِنا هذا [2] إلَّا أنَّ العَنْبَرَ من بعد سنة سبعين وسبع مائة كَثُرَ فيه الغِشُّ حتى صارَ اسْمًا لا معنى له، وقَلَّت رَغْبَةُ النَّاس في استعماله، فتلاشَى أمْرُ هذا السُّوق بالنسبة لما كان.

٢٠

ثم لمَّا حَدَثَتِ المِحَنُ بعد سنة ستٍّ وثمان مائة، قَلَّ تَرَفُّه أهْل مصر عن استِعْمال الكثير من العَنْبَر، فطَرَقَ هذا السُّوق ما طَرَقَ غيره من أسْواق البَلَد، وبقيت فيه بقيَّةٌ يسيرةٌ إلى أن خُلِعَ

---

[1] المقريزي: مسودة الخطط ٣٤و. [2] المقريزي: مسودة الخطط ١٤٢٨، وفيما يلي ٥٩٩.

الخَلِيفَةُ المُسْتَعِين بالله العَبَّاسي بن محمد في سنة خمس عشرة وثمان مائة ـ وكان نَظَرُ الجامِع الجَدِيد بيده وبيد أبيه الخَلِيفَة المتوكِّل على الله محمد ـ فقَصَدَ بعضُ سُفَهَاء العامَّة نِكايَتَه[a] بتَعْطِيل هذا السُّوق ، فاستأجَرَ قَيْسارِيَّة العُصْفُر ، ونَقَلَ سُوقَ العَنْبَر إليها ، وصارَ مُعَطَّلًا نحو سنتين ، ثم عادَ أهلُ العَنْبَر إلى هذا السُّوق على عادَتِهم في سنة ثمان عشرة وثمان مائة .

سُوقُ الخَرَّاطين

٥

هذا السُّوقُ يُسْلَكُ فيه من سُوق المَهامِزِيِّين إلى الجامِع الأَزْهَر وغيره ، وكان قَدِيمًا يُعْرَف بعَقَبَة الصَّبَّاغين ، ثم عُرِفَ بسُوق القَشَّاشِين ، وكان فيما بين دار الضَّرْب والوَكالَة الآمِرِيَّة وبين المارِسْتان ، ثم عُرِفَ الآن بسُوق الخَرَّاطين . وكان سُوقًا كبيرًا معمور الجانبين بالحَوانيت المعدَّة لبَيْع المَهْد الذي يُرَبَّى فيه الأطْفال ، وحَوانيت الخَرَّاطين ، وحَوانيت صُنَّاع السكاكين وصُنَّاع الدُّوِى ، يشتمل على نحو الخمسين حانُوتًا .

١٠

فلمَّا حَدَثَتِ المِحَنُ تَلاشَى هذا السُّوق ، واغْتَصَبَ الأميرُ جَمالُ الدِّين يوسُف الأسْتادَّار منه عِدَّة حَوانيت ، من أوَّله إلى الحَمَّام التي تُعْرَف بحَمَّام الخَرَّاطين ، وشَرَعَ في عِمارَتها . فعُوجِل بالقَتْل قبل إتْمامِها ، وقَبَضَ عليها الملكُ النَّاصِرُ فَرَج فيما أحاطَ به من أمْوالِه ، وأدْخَلَها في الدِّيوان . فقامَ بعمارَة الحَوانيت التي تجاه قَيْسارِيَّة العُصْفُر من دَرْب الشَّمْسي إلى أوَّل الخَرَّاطين ، القاضي الرَّئيسُ تَقِيُّ الدِّين عبد الوهَّاب بن بوشاكِر[b]. فلمَّا كَمُلَت جَعَلَها الملكُ النَّاصِرُ فيما هو مَوْقوفٌ على تُرْبَته التي أنشأها على قَبْر أبيه الملك الظَّاهِر بَرْقُوق خارج باب النَّصْر ، وأَفْرَدَ الحَمَّامَ وبعض الحَوانيت القَدِيمَة للمَدْرَسَة التي أنشأها الأميرُ جَمالُ الدِّين يُوسُف الأُسْتادَّار برَحْبَة باب العيد ، وما يُقابِل هذه الحَوانيت هو وما فَوْقَه وَقْفٌ على المَدْرَسَة القَراسُنْقُرِيَّة وغيرها ، وهو مُتَخَرِّبٌ مُتَهَدِّمٌ .

١٥

سُوقُ الجَمَلُون الكَبير

هذا السُّوقُ بوَسَط سُوق الشَّرابِشِيِّين ، يُتَوَصَّل منه إلى البُنْدُقانِيِّين وإلى حارَة الجَوْذَرِيَّة وغيرها ، أُنشِئ فيه حَوانيتُ سَكَنَها البَزَّازون [1]. وَقَفَه السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِر محمد بن قَلاوون

٢٠

a) بولاق : بكاتبه . b) بولاق : أبي شاكر .

[1] سُوقُ الجَمَلون الكبير : يَدُلُّ على موضعه الآن حارة الجَمَلون الواقعة في الحد البحري لجامع السلطان الغوري تجاه قبة =

على تُرْبَة مَمْلوكه يَلْبُغَا التُّرْكُماني عندما ماتَ في سنة سبعٍ وسبع مائة ، ثم عُمِلَ عليه بابان بطَرَفيه بعد سنة تسعين وسبع مائة ، فصارَت تُغْلَق في اللَّيل .

وكان فيما أدْرَكْنَاه شارِعًا مَسْلوكًا طُول اللَّيْل يجلس تجاهَه صاحِبُ العَسَسَ - الذي عَرِفَته العامَّةُ في زَمانِنا بوالي الطَّوْف - من بعد صَلاة العِشَاء في كلِّ لَيْلَة ، وينْصب قُدَّامه مَشْعَلٌ يُشْعَل بالنَّار طُول اللَّيل ، وحوله عِدَّةٌ من الأعْوان وكثيرٌ من السَّقَّائين والنَّجَّارين والقَصَّارين والهَدَّادين ، بنُوَبٍ[a] مقرَّرة لهم ، خَوْفًا من أن يحدث بالقاهِرَة في اللَّيْل حَريقٌ فيتداركون إطْفاءَه . ومَنْ حَدَث منه في اللَّيْل[b] خُصومَة ، أو وُجِدَ سَكرانًا ، أو قُبِضَ عليه من السُّرَّاق ، تَوَلَّى أمْرَه والي الطَّوْف ، وحَكَمَ فيه بما يَقْتَضيه الحالُ . فلمَّا كانت هذه الحَوادِثُ بَطُلَ هذا الرَّسْم في جملة ما بَطَلَ .

وهذا السُّوق الآن جارٍ في وَقْف [c].

سُوقُ الفَرَّاشين

هذا السُّوقُ يُسْلَك فيه من سُوق الشَّرابِشيِّين إلى الأَكْفانيِّين والجامِع الأَزْهَر وغير ذلك . كان قَديمًا يُعْرَف بسُوق الخَرُوقِيِّين ، ثم سَكَنَ فيه صُنَّاعُ الفِرَاء وتُجَّارُه فعُرِفَ بهم .

وصارَ بهذا السُّوق ، في أيَّام الملك الظَّاهِر بَرْقوق ، من أنْواع الفَرْو[d] ما تَجِلّ أثْمانها وتتضاعَف قِيَمُها ، لكثرة اسْتِعْمال رِجال الدَّوْلَة من الأُمَرَاء والمماليك لِبْس السَّمُّور والوَشْق والقاقُم[e] والسِّنْجاب ، بعدما كان ذلك في الدَّوْلَة التركية من أعَزِّ الأشْياء التي لا يَستطيع أحَدٌ أن يَلْبَسَها .

ولقد أخْبَرَني الطَّواشي الفَقيه الكاتِب الحاسِب الصُّوفي زَيْن الدِّين مُقْبِل الرُّومي الجنس المعروف بالشَّامي ، عَتيق السُّلْطان الملك النَّاصِر حَسَن بن محمد بن قَلاوون : أنَّه وُجد في تَرِكَة بَعْض أُمَرَاء السُّلطان حَسَن قَباءٌ بفَرْو قاقُم ، فاستكثر ذلك عليه وتَعَجَّب منه ، وصار ذلك يُحْكَى مُدَّةً لعِزَّة هذا الصِّنْف واحْتِرامِه ، لكَوْنه من مَلابِس السُّلْطان ومَلابِس نِسائِه .

---

a) بولاق : بنوت . b) بولاق : بالليل . c) في هامش آياصوفيا . بياض سطر . d) بولاق : الفراء . e) بولاق : القماقم .

= الغوري القائمة في مكان قيسارية أمير علي بشارع المعز لدين الله (فيما تقدم ٢٨٨) . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٢٨٧:١١هـ[1]) .

ثم ابْتُذِلَتْ[a] الأصنافُ المذكورة حتى صارَ يلبس السَّمُّور آحادُ الأجْنَاد وآحادُ الكُتَّاب وكثيرٌ من العَوامّ، ولا تَكاد امرأةٌ من نِسَاء بَياض النَّاس تَخْلو من لِبْس السَّمُّور ونحوه، وإلى الآن عند النَّاس من هذا الصِّنْف وغيره من الفَرْو شيءٌ كثيرٌ.

سُوقُ البَخَانِقِيِّينَ[1]

هذا السُّوقُ فيما بين سُوق الجَمَلون الكبير وبين قَيْسارِيَّة الشُّرْب الآتي ذِكْرها إن شاءَ الله/ عند ذِكْر القَيَاسِر. وبابُ هذا السُّوق شارِعٌ من القَصَبَة، ويُعْرَف بسُوق الخُشَيْبَة (تصغير خَشَبَة) فإنَّه عُمِلَ على بابِه المذكور خَشَبَةٌ تَمْنَع الرَّاكِب من التَّوَصُّل إليه.

ويُسْلَك من هذا السُّوق إلى قَيْسارِيَّة الشُّرْب وغيرها، وهو مَعْمُور الجانبين بالحَوانيت المُعَدَّة لبيع الكَوافي والطَّوَاقي التي تلبسها الصِّبْيان والبَنَات. وبظاهِر هذا السُّوق أيضًا في القَصَبَة عِدَّةُ حَوانيت لبَيْع الطَّواقي وعملها.

وقد كَثُرَ لِبْس رِجال الدَّوْلَة، من الأُمَرَاء والمماليك والأَجْنَاد ومن يَتَشَبَّه بهم، للطَّواقي في الدَّوْلَة الجَرْكَسِيَّة، وصارُوا يَلْبَسون الطَّاقِيَّة على رُءوسِهم بغير عِمامَة، ويمرُّون كذلك في الشَّوارع والأسْواق والجَوامِع والمواكِب لا يَرَوْن بذلك بأسًا بعدما كان نَزْع العِمامَة عن الرَّأس عارًا وفَضيحَةً[2]، ونَوَّعُوا هذه الطَّواقي ما بين أخْضَر وأحْمَر وأزْرَق وغيره من الألْوان. وكانت أوَّلًا ترتفع نحو سُدْس ذِراع، ويعمل أعْلاها مُدَوَّرًا مُسَطَّحًا. فحَدَثَ في أيام الملك النَّاصِر فَرَج منها شيءٌ عُرِفَ بالطَّواقي الجَرْكَسِيَّة، يكون ارْتِفاعُ عُصَابَة الطَّاقِيَّة منها نحو ثُلُثَيْ ذِراع، وأعْلاها مُدَوَّر مُقَبَّب. وبالَغوا في تَبْطِين الطَّاقِيَّة بالوَرَق والكَثِيرَة فيما بين البِطانَة المباشِرَة للرأس والوَجْه الظَّاهِر للنَّاس، وجَعَلُوا من أَسْفَل العُصابَة المذكورة زِيقًا من فَرْو القَرْض الأسْوَد يُقالُ له القُنْدُس[3]، في عَرْض نحو ثُمْن ذِراع، يصير دَائِرًا بجَبْهَة الرَّجُل وأعلى عُنُقه. وهم على استعمال هذا الزِّيّ إلى اليوم، وهو من أَسْمَج ما عانَوه.

---

a) بولاق: تبذلت.

---

[1] حاشية بخط المؤلِّف: «البَخْنَق شيءٌ تتَّخذه النِّساءُ يشبه البَراقِع له أزْرارٌ من خَلْف».

[2] قارن ذلك بعادَة لبس الطَّرْبُوش في مصر، قبل إلغائه.

[3] القُنْدُس ويقال كذلك المُقَنْدَس. القُماشُ المنسوج =

وتَشَبُّه بالرِّجال في لِبْس ذلك النِّساءُ[a] لمعنيين: أحَدُهما: أنَّه فَشَا في أهْل الدَّوْلَة محبَّةُ الذُّكْران، فقَصَدَ نِساؤهم التَّشَبُّه بالذُّكْران لِيَسْتَمِلن قُلُوب رِجالهنّ، فاقْتَدَى بفعلهن في ذلك عامَّةُ نِسَاء البَلَد. وثانيهما: ما حَدَث بالنَّاس من الفَقْر، ونَزَلَ بهم من الفاقَة، فاضطرَّ حَالُ نِساء أهْل مصر إلى تَرْك ما أدْرَكنا فيه النِّساء من لِبْس الذَّهَب والفِضَّة والجَواهِر ولِبْس الحَرِير، حتى ٥ لَبِسْنَ هذه الطَّواقِيَ، وبالَغْن في عَمَلِها من الذَّهَب والحَرِير وغيره، وتواصَيْنَ على لِبْسِها.

ومن تأمَّل أحْوالَ الوُجُود، عَرَفَ كيف تَنْشَأُ أُمُورُ النَّاس في عاداتهم وأخْلاقِهم ومَذاهِبِهم.

سُوقُ الخُلَعِيِّين

هذا السُّوقُ فيما بين قَيْسارِيَّة الفاضِل، الآتي ذِكرها إن شاءَ الله، وبين باب زَوِيلَة الكبير. وكان يُعْرَف قَدِيمًا بالخَشَّابين، وعُرِفَ إلى[b] اليوم بالزُّقَيْق ـ تصغير زُقاق ـ وعُرِفَ أيضًا بسُوق ١٠ الخُلَعِيين، كأنَّه جَمْعُ خُلَعي. والخُلَعِيُّ في زَمَنِنا هو الذي يَتَعاطى بَيْع الثِّياب الخَلِيع، وهي التي قد لُبِسَت.

وهذا السُّوقُ اليوم من أَعْمَر أسْواق القاهِرَة لكَثْرَة ما يُباعُ فيه من مَلابِس أهْل الدَّوْلَة وغيرهم، وأكثر ما يُباع فيه الثِّياب المَخِيطَة، وهو مَعْمُور الجَوانِب بالحَوانيت، ويُسْلك فيه من القَصَبَة لَيْلًا ونَهارًا إلى حارَة الباطِلِيَّة وخُوخَة أَيْدَغْمُش وغير ذلك [c]. وفي داخِل القاهِرَة أيضًا عِدَّةُ ١٥ أسْواق، وقد خَرِبَ الآن أكثرُها.

سُوَيْقَةُ الصَّاحِب

هذه السُّوَيْقَةُ يُسْلَك إليها من خُطِّ البُنْدُقانِيِّين ومن باب الخُوخَة وغير ذلك، وهي من الأسْواق القَدِيمَة. كانت في الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة تُعْرَف بسُوَيْقَة الوَزِير ـ يعني أبا الفَرَج يَعْقُوب بن كِلِّس، وَزِير الخَلِيفَة العَزِيز بالله نِزار بن المُعِزّ، الذي تُنْسَبُ إليه حارَة الوَزِيرِيَّة ـ فإنَّها كانت على باب دارِه التي

---

a) بولاق: ويُشَبِّه الرجال في لبس ذلك بالنساء. b) ساقطة من بولاق. c) هنا في هامش آياصوفيا: بياض نصف سطر.

= من فِراء كَلْب البَحْر. (ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٦٩هـ[2]).

عُرِفَت بعده في الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة بدار الدِّيباج. وصارَ موضِعَها الآن المَدْرَسَةُ الصَّاحِبِيَّة [١]، ثم صارَت تُعْرَف بسُوَيْقة دار الدِّيباج - يعني دار طِراز[a] يُنْسَج فيها الدِّيباج الذي هو الحَرير، وقيل لذلك الموضع كلّه خُطّ دار الدِّيباج، ثم عُرِفَ هذا السُّوق بالسُّوق الكبير في أُخْريات الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة.

[b]ولم يَزَل هذا الخَطّ يُعْرَف بخُطّ دار الدِّيباج إلى أنِ انْقَرَضَتِ الدَّوْلَةُ الفاطمية وجاءَت الدَّوْلَةُ الأيُّوبِيَّة، فسَكَنَ هذا الخُطّ الصَّاحِبُ الوَزير[b] صَفِيُّ الدِّين عبدُ الله بن شُكْر الدَّميري لمَّا وَلِيَ وَزارَة الملك العادِل أبي بكر بن أيُّوب، وأنشأ به مَدْرَسَته التي تُعْرَف إلى اليوم بالمَدْرَسَة الصَّاحِبِيَّة، وأنشأ به أيضًا رِباطَه وحمَّامَه المجاورَين للمَدْرَسَة المذكورة، عُرِفَت من حينئذٍ هذه السُّوَيْقَة بسُوَيْقَة الصَّاحِب المذكور، واستمرَّت تُعْرَف بذلك إلى يَوْمِنا هذا [٢].

ولم تَزَلْ من الأسْوَاق المعتبرة، يُوجَد فيها أكثر ما يُحْتاج إليه من المآكِل، لوُفُور نِعَم من يَسْكُن هنالك من الوُزَرَاء وأعْيان الكُتَّاب. فلمَّا حَدَثَتِ المِحَنُ طَرَقَها ما طَرَقَ غيرها من أسْواقِ القاهِرَة، فاختلَّت عمَّا كانت، وفيها بقيَّةٌ.

سُوقُ البُنْدُقانيين

هذا السُّوقُ يُسْلَك إليه من سُوق الزُّجَاجين ومن سُوَيْقَة الصَّاحِب ومن سُوق الأبْزارِيِّين وغيره. وكان يُعْرَف قديمًا بسُوق بِئْر زَوِيلَة.

وكان هناك بِئْرٌ كبيرة[c] تُعْرَف ببِئْر زَوِيلَة، برَسْم إسْطَبْل الجُمَّيزة الذي كان فيه خُيول الخُلَفَاء الفاطِميين، وصارَ موضعَه خُطُّ البُنْدُقانيين بعد ذلك، كما ذُكِرَ عند إسْطَبْلات الخُلَفَاء الفاطِميين من هذا الكِتاب [٣]. ومَوْضِعُ هذه البِئْر اليوم قَيْسارِيَّةُ يُونُس والرَّبْعُ الذي يَعْلوها، وبقي منها مَوْضِعٌ رُكِّبَ عليه حَجَرٌ، وأُعِدَّت لملء السَّقَّائين منها [٤].

---

a) بولاق: دار الطراز. b-b) إضافة من مسودة الخطط عوضًا عن النص الوارد في النسخ. c) بولاق: قديمة.

---

[١] فيما يلي ٢: ٣٧١.

[٢] المقريزي: مسودة الخطط ٣٩و-ظ.

[٣] فيما تقدم ٢: ٥١٩.

[٤] فيما تقدم ٢: ٢١٩، ٥١٩. ولم يُفرد المقريزي قيسارية يونس التي بناها الأمير سَيْف الدِّين يُونُس النَّوْروزي اليَلْبغاوي دَوادار السُّلْطان الظاهر بَرْقوق، المتوفى سنة =

فلمَّا زالت الدَّوْلَة، واخْتُطَّ مَوْضِع إسْطَبْل الجِمِيْزَة الدُّور وغيرها، وعُرِفَ مَوْضِعُ الإسْطَبْل بالبُنْدُقانيين ـ قيل لهذا السُّوق سُوقُ البُنْدُقانيين. وأدركتُه سُوقًا كبيرًا، مَعْمُورَ الجانبين بالحَوانيت التي قد تَهَدَّمَ أغْلَبها منذ كان الحَريقُ بالبُنْدُقانيين في سنة إحْدى وخمسين وسبع مائة، كما ذُكِرَ في خُطِّ البُنْدُقانيين عند ذِكْر الأَخْطَاط من هذا الكِتاب [1].

٥ وفي هذا/ السُّوق كثيرٌ من أرْباب المعايش[a] المعدِّين لبَيْع المأكولات من الشُّواء والطَّعَام المطبوخ وأنْواع الأجْبَان والألْبَان والبَوارِد والخُبْز والفَواكِه، وعِدَّةٌ كثيرةٌ من صُنَّاع قِسِيِّ البُنْدُق، وكثيرٌ من الرَّسَّامين، وكثيرٌ من بَيَّاعي الفُقَّاع. فلمَّا حَدَثَت المِحَنُ بعد سنة ستٍّ وثمان مائة، اخْتَلَّ هذا السُّوق خَلَلًا كبيرًا وتَلاشَى أمْرُه. ٥٥:٢

سُوقُ الأَخْفافِيين

١٠ هذا السُّوقُ بجوار سُوق البُنْدُقانيين، يُباعُ فيه الآن خِفَافُ النِّسْوان ونِعالهن. وهو سُوقٌ مُسْتَجدٌّ أنشأه الأميرُ يُونُس النَّوْروزي، دَوادَار الملك الظَّاهِر بَرْقوق، في سنة [b] وثمانين وسبع مائة، ونَقَلَ إليه الأَخْفافيين بَيَّاعي أخْفَاف النِّساء من خُطِّ الحَرِيريِّين والزُّجاجِيِّين. وكان مكانُه ممَّا خَرِبَ في حَريق البُنْدُقانيِّين فرَكَّب بعضَ القَيْسارِيَّة على بِئْر زَوِيلَة، وجَعَلَ بابَها تِجاه دَرْب الأَنْجَب، وبَنَى بأعلاها رَبْعًا كبيرًا فيه عِدَّةُ مَساكِن، وجَعَلَ الحَوانيت بظاهرها وبظاهِر ١٥ دَرْب الأَنْجَب، وبَنَى فَوْقَها أيضًا عِدَّةَ مَساكِن. فعَمُر ذلك الخُطّ بعمارَة هذه الأماكِن، وبه إلى الآن سَكَنُ بَيَّاعي أخْفَاف النِّساء ونِعالهنّ التي يُقال للنَّعْل منها «سَرْموزَة»، وهو لَفْظٌ فارِسيٌّ معناه «رأس الخُفّ»، فإنَّ «سَرْ» رأس، و«موزة» خُفّ [2].

---

a) بولاق: أرباب المعاش. b) بياض في النسخ، وفي بولاق: بضع.

= ٧٩١هـ/١٣٨٩م. (المقريزي: السلوك ٣: ٦٨٨؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٥: ٢٦٤؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٣٨٤؛ الصيرفي: نزهة النفوس ١: ٢٧٩).

[1] فيما تقدم ٨٩- ٩٢.

[2] فيما تقدم ٣٠٥- ٣٠٦.

سُوقُ الكَفْتِيِّين

هذا السُّوقُ يُسلَكُ إليه من البُنْدُقانيين ومن حارَة الجَوْذَرِيَّة ومن الجَمَلون الكبير وغيره، ويشتمل على عِدَّة حَوانيت لعمل الكَفْت، وهو ما تُطَعَّم به الأواني[a] النُّحَاس من الذَّهَب والفِضَّة. وكان لهذا الصِّنْف من الأعمال بديار مصر رَواجٌ عَظيمٌ، وللنَّاس في النُّحَاس المُكَفَّت رَغْبَةٌ عَظِيمَةٌ أدركنا من ذلك شيئًا لا يبلغ وَصْفُه واصِفٌ لكثرته، فلا تكاد دارٌ بالقاهِرَة ومصر تخلو من عِدَّة قِطَع نَحَاس مُكَفَّت، ولابد أن يكون في شَوْرَة العَروس دِكَّةُ نُحاسٍ مُكَفَّت.

و«الدِّكَّةُ» عِبارَة عن شيءٍ شِبْه السَّرير يُعْمَل من خَشَبٍ مُطَعَّم بالعَاج والأَبَنُوس، أو من خَشَبٍ مَدْهُون. وفوق الدِّكَّة دَسْتُ طاسات من نُحاس أصْفَر مُكَفَّت بالفِضَّة، وعِدَّة الدَّسْت سَبْع قِطَع بعضها أصْغَر من بَعْض، تبلغ كُبْراها ما يَسَع نحو الأردبّ من القَمْح، وطول الأكْفات التي نُقِشَت بظاهِرِها من الفِضَّة نحو الثُّلُث ذراع في عَرْض أُصْبُعين، ومثل ذلك دَسْت أطْباق عِدَّتها سبعة، بعضها في جَوْف بعض، ويُفْتَح أكبرها نحو الذراعين وأكثر، وغير ذلك من المنايِر والسُّرُج وأَحْقاق الأُشْنان والطُّشْت والأبريق والمُبْخَرَة. فتَبْلُغ قيمةُ الدِّكَّة من النُّحَاس المُكَفَّت زِيادَة على مائتي دينار ذَهَبًا.

وكانت العَروسُ من بَنات الأُمَرَاء أو الوُزَرَاء أو أعْيان الكُتَّاب أو أماثِل التُّجَّار، تُجَهَّز في شَوْرَتها، عند بِناء الزَّوْج عليها، سَبْع دِكَك: دِكَّة من فِضَّة، ودِكَّة من كَفْت، ودِكَّة من نُحَاس أبيض، ودِكَّة من خَشَب مَدْهون، ودِكَّة من صِيني، ودِكَّة من بَلُّور، ودِكَّة كلاهي[b] - وهي آلات من وَرِق مَدْهون تُحْمَل من الصِّين أدركنا منها في الدُّور شيئًا كثيرًا. وقد عُدِمَ هذا الصِّنْفُ من مصر إلَّا شيئًا يَسيرًا.

وحَدَّثَني القاضي الفاضِلُ الرَّئِيسُ تاجُ الدِّين أبو الفِداء إسماعيل بن[c] أحمد بن عبد الوهَّاب ابن الخَطْبا المَخْزومي - رحمه الله - قال: تَزَوَّج القاضي عَلاءُ الدِّين [d] بن عَرَب مُحْتَسِب القاهِرَة بامْرَأةٍ من بَنَات التُّجَّار تُعْرَفُ بسِتّ العَمائِم[1]، فلمَّا قارَب البِناءَ عليها والدُّخول بها،

a) بولاق: أواني. b) بولاق: كداهي. c) ساقطة من بولاق. d) بياض في نسخة آياصوفيا.

[1] حاشية بخط المؤلِّف: «سِتُّ العَمائِم ابنة شَمْس الدِّين محمد الخَرْنوبي التاجر ومات عنها فورثته، ولذلك عَظُمَتْ محمد بن اليسير التَّاجِر، تَزَوَّج بها بِكْرًا بَدْر الدِّين أحمد بن سعادَتُها».

حَضَرَ إليه في يومٍ وَكِيلُها وأنا عنده ، فبَلَّغَه سَلامَها عليه وأخبره أنَّها بَعَثَت إليه بمائة ألف دِرْهَم فِضَّة حَجَر[a] خالِصَة لِيُصْلح بها لها ما عَسَاه اخْتَلَّ من الدِّكَّة الفِضَّة . فأجابَه إلى ما سأل وأَمَرَه بإحْضار الفِضَّة . فاستدعى الخَدَم من الباب فدَخَلوا بالفِضَّة في الحال ، وبالوَقْت أَمَرَ المُحْتَسِب بصُنَّاع الفِضَّة وطُلَّائِها ، فأُحْضِروا وشَرَعُوا في إصْلاح ما أرْسَلَته سِتُّ العَمائِم من أواني الفِضَّة وإعادَة طِلائِها بالذَّهَب ، فشاهَدْنا من ذلك مَنْظَرًا بَديعًا . ٥

وأَخْبَرَني من شاهَدَ جِهاز بعض بَنَات السُّلْطان حَسَن بن محمد بن قَلاوون ـ وقد حُمِلَ في القاهِرَة ـ عندما زُفَّت على بعض الأُمَرَاء في دَوْلَة الملك الأَشْرَف شَعْبان بن حُسَيْن بن محمد ابن قَلاوون ، فكان شيئًا عَظيمًا : من جملته دِكَّة من بِلَّوْر تشتمل على عَجائِب ، منها زِير من بِلَّوْر قد نُقِشَ بظاهِرِه صُوَر نابِتَة[b] على شَبَه الوُحُوش والطُّيُور ، وقَدْر هذا الزِّير ما يَسَع قِرْبَة ماء .

١٠ وقد قَلَّ استعمالُ النَّاس في زَمَنِنا هذا للنُّحَاس المُكَفَّت وعَزَّ وُجُودُه ، فإنَّ قَوْمًا لهم عدَّة سنين قد تصَدَّوا لشِراء ما يُبَاع منه ، وتَنْحِيَة الكَفْت عنه طَلَبًا للفائِدَة .

وبقي بهذا السُّوق إلى يَوْمِنا بقيَّةٌ قَليلَةٌ من صُنَّاع الكَفْت .

سُوقُ الأَقْباعِيِّين

بخُط تَحْت الرَّبْع خارج باب زَوِيلَة ممَّا يلي الشَّارع المسلوك فيه إلى قَنْطَرة الخَرْق [1] .

١٥ ما كان منه على يَمْنَة السَّالِك إلى قَنْطَرَة الخَرْق ، فإنَّه جارٍ في وَقْف الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس هو وما فَوْقه على المَدْرَسَة الظَّاهِرِيَّة بخُط بَيْنَ القَصْرَيْن وعلى أوْلادِه ، ولم يَزَل إلى يوم السبت خامِس شهر رَمَضان سنة [c]سِتٍّ و[c] عشرين وثمان مائة ، فوَقَعَ الهَدْمُ فيه ليُضَاف إلى عِمارَة الملك المُؤَيَّد شَيْخ المجاورة لباب زَوِيلَة [2] . وما كان من هذا السُّوق على يَسْرَة من سَلَكَ إلى القَنْطَرَة ، فإنَّه جارٍ في وَقْفِ آقْبُغا عبد/ الواحِد على مَدْرَسَته المجاورة للجامِع الأَزْهَر ، وبعضه ٦:٢

٢٠ وَقْفُ امْرأةٍ تُعْرَف بدُنْيا .

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : نابتة . c-c) ساقطة من بولاق .

---

[1] المقريزي : مسودة الخطط ٣٣و .

[2] أي جامع المؤيد شيخ المحمودي ، فيما يلي ٢ : ٣٢٨ .

سُوقُ الشَقْطيّين

هذا السُّوقُ خارج باب زَوِيلَة بجوار دار التُّفّاح، أنشأه الأميرُ آقْبُغا عبد الواحِد، وهو جارٍ في وَقْفِه [١].

سُوَيْقَةُ خِزانَة البُنُود

هذه السُّوَيْقَةُ على باب دَرْب راشِد وتمتدّ إلى خِزانَة البُنُود، وكانت تُعْرَف أوّلًا بسُوَيْقَة زَيْدان الصَّقْلَبي المنسوب إليه الزَّيْدانية خارج باب النَّصْر [٢].

سُوَيْقَةُ المَسْعُودي

هذه السُّوَيْقَةُ من حُقُوق حارَة زَوِيلَة بالقاهِرَة، تُنْسَب إلى الأمير صارِم الدِّين قَايْماز المَسْعَودي الكامِلي [a]، مملوك الملك المَسْعود أقْسيس ابن الملك الكامِل محمد [a]. ووَلِيَ المَسْعودي هذا ولايةَ القاهِرَة ـ وكان ظالِمًا غاشِمًا جَبّارًا ـ من أجْل أنّه كان في دار ابن قِرْقَة التي من جملتها جامِع بني المَغْرِبي [b] وبَيْت الوَزير ابن أبي شاكِر. ثم إنّ فَتْح الدِّين بن مُعْتَصِم الدّاودي التَّبْريزي كاتِب السِّرّ جَدَّدها في سنة ثلاثَ عشرةَ وثمان مائة، لأنّه كان يَسْكُن هناك [٣].

وماتَ المَسْعوديُّ في يوم الاثنين النِّصْف من ذي الحِجَّة سنة أربعٍ وستين وستّ مائة، ضَرَبَه شَخْصٌ في دار العَدْل بسكينٍ كان يُريدُ أن يَقْتُل بها الأمير عِزّ الدِّين الحِلِّي نائِب السَّلْطَنَة، فوَقَعَت في فُؤاد المَسْعوديّ فماتَ لوَقْته.

سُوَيْقَةُ طَغْلَق

هذه السُّوَيْقَةُ على رأس الحارَة الصَّالِحِية مِمّا يلي الجامِع الأَزْهَر. عُرِفَت بالأمير سَيْف الدِّين

---

a) إضافة من مسودة الخطط. b) بولاق: جامع ابن المغربي.

---

[١] ذكره المقريزي في مسودة الخطط ٣٣و باسم قيسارية الشقْطيين.

[٢] المقريزي: مسودة الخطط ٣٩ظ، وسمّاها: سُوَيْقَة زَيْدان.

[٣] المقريزي: مسودة الخطط ٤٠و.

طَغْلَق السِّلاح دار النَّاصِري[a]، صاحِب حَمَّام طَغْلق التي بالقرب من الجامِع الأَزْهَر على باب دَرْب المَنْصوري، وصاحِب دار طَغْلَق التي عُرِفَت اليوم بدار المَنْصوري في الدَّرْب المذكور[1].

وأوَّلَ ما عُمِّرَت هذه السُّوَيْقَة لم يكن فيها غير أَرْبَع حَوانيت [b]على رأس دَرْب أمير حُسَيْن بالخُطّ المذكور[b]، ثم عُمِّرَت عِمارَةً كبيرةً لمَّا خَرِبَت سُوَيْقَة الصَّالِحِيَة التي كانت ممَّا يلي باب البَرْقِيَّة في حُدود سنة ثمانين وسبع مائة، ثم تلاشَت من سنة ستٍّ وثمان مائة كما تلاشَى غيرُها من الأسْواق، وبقي منها يَسيرٌ جدًّا[2].

سُوَيْقَةُ الصَّوَّابي

هذه السُّوَيْقَةُ خارج باب النَّصْر وباب الفُتُوح بخُطِّ بُسْتَان ابن صَيْرَم، عُرِفَت بالأمير عَلاء الدِّين أبي الحَسَن عليّ بن مَسْعود الصَّوَّابي، مُشِدِّ الدَّواوين في أيَّام الملك الظَّاهِر رُكْن الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري، وقيل بل قَراجَا الصَّوَّابي أَحَد مُقَدَّمي الحَلْقَة في أيَّام الملك المَنْصور قَلاوون، وكان في حُدُود سنة إحدى وثمانين وستِّ مائة مَوْجودًا، وكانت دارُه هناك.

وكان أيضًا في أيَّام الملك المَنْصور قَلاوون الأميرُ زَيْنُ الدِّين أبو المعالي أحمد بن شَرَف الدِّين أبي المَفاخِر محمد الصَّوَّابي، شادّ الدَّواوين، وكان يسكن بمَدينَة مصر. والأميرُ عَلَمُ الدِّين سِنْجِر الصَّوَّابي أَحَدُ الأُمَراء المُقَدَّمين الألوف في أيَّام الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون والملك المُظَفَّر بَيْبَرْس الجاشْنَكير[a]، وهو صاحِب البِئْر التي بالباطِلِيَّة المعروفة ببِئْر الدَّرابْزين، وعِزُّ الدِّين أَيْبَك الصَّوَّابي[3].

سُوَيْقَةُ البَلْشُون

هذه السُّوَيْقَةُ خارج باب الفُتُوح. عُرِفَت بسَابِق الدِّين سُنْقُر البَلْشُون أَحَد مَماليك السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب وسِلاح دَارِيته، وكان له أيضًا بُستانٌ بالمَقْس

---

a) إضافة من مسودة الخطط. b-b) إضافة من مسودة الخطط.

---

[1] فيما تقدم ٢٧٣.

[2] المقريزي: مسودة الخطط، ٤ظ؛ وعلى هامش نسخة ص: «لم يَبْق منها الآن يسيرٌ ولا كثيرٌ».

[3] نفسه ٤٠ظ – ٤١و.

خارِج القاهِرَة من جِوار الدِّكَّة يُعْرَف بِبُسْتان البَلْشُون [١].

سُوَيْقَةُ اللِّفْت

هذهَ السُّوَيْقَةُ كانت خارج باب النَّصْر من ظاهِر القاهِرَة حيث البِئْر التي في شمالي مُصَلَّى الأَمْوَات، المعروف بِبِئْر اللِّفْت، تِجاه دار ابن الحاجِب. كانت تشتمل على عِدَّة حَوانيت يُباعُ فيها اللِّفْت والكُرُنْب، ويُحْمَل منها إلى سائِر أسْواق القاهِرَة، ويُباع اليوم في بعض هذه الحَوانيت الدَّريس لِعَلَف الدَّواب. ٥

سُوَيْقَةُ زاوِيَة الخُدَّام

هذه السُّوَيْقَةُ خارج باب النَّصْر بحْري سُوَيْقَة اللِّفْت. كان فيها عِدَّةُ حَوانيت يُباع فيها أنْوَاعُ المآكِل، فلمَّا كانت سنة ستٍّ وثمان مائة خَرِبَت، ولم يَبْق فيها سوى حَوانيت لا طائِل بها [a].

سُوَيْقَةُ الرَّمْلَة ١٠

هذه السُّوَيْقَةُ كانت فيما بين سُوَيْقَة زاوِيَة الخُدَّام وجامِع آل مَلِك [٢]، حيث مُصَلَّى الأَمْوات التي هناك. كان فيها عِدَّةُ حَوانيت مَمْلوءَة بأصْناف المآكِل قد خَرِبَ سائِرُها، ولم يَبْقَ لها أَثَرٌ أَلبتَّة.

سُوَيْقَة جامِع آل مَلِك

أدرَكْتُها إلى سنة ستٍّ وثمان مائة، وهي من الأَسْوَاق الكِبَار، فيها غالِبُ ما يُحْتاج إليه من الإِدام. وقد خَرِبَت لخَراب ما يُجاوِرُها. ١٥

---

a) بولاق: لها.

---

[١] المقريزي: مسودة الخطط ٤١و. [٢] عن جامع آل مَلِك في الحسينية، انظر فيما يلي ٢: ٣١٠.

سُوَيْقَةُ أبي ظَهِيـر

كانت تَلي سُوَيْقَة جامِع آل مَلِك ، أدْرَكْتها عامِرَة .

سُوَيْقَةُ السَّبابِطَة

كانت هناك ، عُرِفَت بقَوْمٍ من أهْل سُنْباط سَكَنُوا بها وأدْرَكْتُها أيضًا عامِرَة .

سُوَيْقَةُ العَـرَب

هذه السُّوَيْقَةُ كانت تتَّصل بالرَّيْدانية ، خَرِبَت في الغَلاء الكائِن في سنة ستٍّ وسبعين وسبع مائة ، وأدْرَكْتُ حَوانيتَ هذه السُّوَيْقة وهي خالية من السكَّان إلَّا يَسيرًا ، وعُقُودُها من اللَّبِن . ويُقالُ له وما وَراءَه خَرابُ الحُسَيْنِيَّة[1] . وكانت في غاية العِمارَة ، وكان بأوَّلها ممَّا يلي الحُسَيْنِيَّة فُرْنٌ ، أدركته عامِرًا إلى ما بعد سنة تسعين وسبع مائة . بَلَغَني أنَّه كان قبل ذلك في أعْوام ستين وسبع مائة يُخْبَز فيه كلَّ يومٍ نحو سبعة آلاف رَغيف لكثرة من حَوْلَه

[1] هنا على هامش نسخة ص : «أخذَ غالِب هذا الخَطّ وما معه الأميرُ الوزيرُ الصَّاحِبُ سَيْفُ الدِّين يَشْبَك من مَهْدي الدَّوادار الكبير والأُستادَّار وعَمَّرَهُ عِمارَةً يعجز الواصفُ عن وَصْفها من آبارٍ ذات وُجُوهٍ يجري الماءُ منها إلى مَجْراتٍ كبيرة من مجاري مُحْكَمَة ، ورُؤْيتُه تُغْني عن وَصْفه في أيَّام السُّلْطان الملك الأشْرَف قايتْباي سُلْطان زماننا هذا» .

أقولُ : يَشْبَكُ المذكور هو يَشْبَكُ من مَهْدي الظَّاهري جَقْمَق المعروف بالصَّغير ، كان دَوادارًا ثم أصبح في زمن السُّلْطان الظَّاهِر خُشْقَدَم سنة ٨٧١هـ/١٤٦٦م كاشِف الصَّعيد بأمْره ، وعَلا ذِكْرُه في زمن السُّلْطان الأشْرَف قايتْباي حتى «صارَت الأمُورُ كُلُّها لا تَخْرُج عنه ، وارتقى لما لم يصل إليه في وقتنا غيره من أبناء جنسه» ، كما يقول السَّخاوي ، الذي أضاف : «وجَرَف من جامع آل مَلِك إلى الرَّيْدانية طُولًا وعَرْضًا ، وأزال ما هناك من القُبُور فضلًا عن غيرها ... وعمل مُزْدَرَعات هناك وحَفَرَ بِئْرًا عظيمًا يعلوه أربع سواق إلى غيرها من بَحْرَةٍ هائلة للتفرُّج وحوض كبير ... وقُبَّةٍ عظيمة ... وأنشأ قِبْلي هذه القُبَّة تُرْبَةً عظيمةً جِدًّا فيها شيخ وصوفية ، وتجاه التُّرْبَة مَدْرَسَةً وبجانبها سبيلًا للشُّرْب ، وحَوْضًا للبهائم وبَحْرَة عظيمة يجري الماءُ منها إلى مُزْدَرَعات ؛ وبالقُرْب من المَطَرِيَّة قُبَّةً هائلةً وبجانبها مَدْرَسَةً فيها خُطْبَة وأماكِن تفوق الوَصْف ، إلى غيرها ممَّا لا ينحصر ، وصارَ ذلك من أبْهَج المتنزَّهات» . (الضوء اللامع ١٠: ٢٧٣- ٢٧٤ ، وهو ما يتَّفق مع التعليق الوارد في هامش ص) . وتوفي يَشْبَك من مَهْدي مقتولًا في الرُّها سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م . (راجع أيضًا ، ابن إياس : بدائع الزهور ٣: ١٦٥- ١٦٨ ، ١٧٠- ١٧٥ ؛ ولسامي أحمد عبد الحليم إمام : الأمير يَشْبَك من مَهْدي وأعماله المعمارية بالقاهرة ، رسالة ماجستير بكلية الآداب – جامعة القاهرة ١٩٧٠) .

من السُّكَّان. وتلك الأماكِن اليوم لا ساكِنَ فيها إلَّا البُوم، ولا يُسْمَع بها إلَّا الصَّدَى[١].

سُوَيْقَةُ العِزِّي

هذه السُّوَيْقَةُ خارِج باب زَوِيلَة قَرِيبًا من قَلْعَة الجَبَل. كانت من جملة المقابِر التي خارج القاهِرَة فيما بين الباب الجَدِيد والحارات وبِرْكَة الفيل وبين الجَبَل الذي عليه الآن قَلْعَةُ الجَبَل./ فلمَّا اخْتُطَّت هذه الجِهَة، كما تقدَّم ذكره عند ذِكْر ظَواهِر القاهِرَة، عُرِفَت هذه السُّوَيْقَة بالأمير عزّ ٥ الدِّين أَيْبَك العِزِّيّ نَقيب الجُيُوش، واسْتُشْهِدَ على عَكَّا عندما فَتَحها الأَشْرَف خَليل بن قَلاوون في يوم الجمعة سابع عشر جُمادَى الآخرة سنة تسعين وستّ مائة[٢]. وهذه السُّوَيْقَةُ عامِرَةٌ بعِمارَة ما حَوْلَها.

سُوَيْقَةُ العَيَّاطِين

١٠ هذه السُّوَيْقَةُ بخُطّ المَقْس بالقُرْب من باب البَحْر، عُرِفَت بالفَقير المعتقد مَسْعُود بن محمد بن سالِم العَيَّاط لسَكَنه بالقُرْب منها، وله هناك مَسْجِدٌ بَنَاه في سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مائة[٣].

وأخبرني الشَّيْخُ المُعَمَّر حُسامُ الدِّين حَسَن بن عُمَر الشَّهْرَزوري، وَكيل أبي رحمه الله، أنَّ النَّشْوَ ناظِر الخاصّ في أيَّام الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون، طَرَحَ على أهْل هذه السُّوَيْقَة عِدَّة ١٥ أمطار عَسَل قَصَب، وألزمهم في ثَمَن كلّ قِنْطار بعشرين دِرْهَمًا. فوَقَفُوا إلى السُّلْطان وعَيَّطوا حتى أعْفاهُم من ذلك، فقيل لها من حينئذٍ سُوَيْقَة العَيَّاطين[٤].

---

[١] المقريزي: مسودة الخطط ٤١ظ.

[٢] نفسه ٤١ظ، وانظر عن عز الدِّين أيبك العِزِّي، المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٥٢٦، السلوك ١: ٧٦٥؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٢٠٤ وذكره باسم أَيْدَمُر العِزِّي وأنَّ وفاته سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م.

وكانت سُوَيْقَة العِزِّي تَشْغَل قديمًا الجزء الجنوبي من شارع سوق السِّلاح بالدَّرْب الأحمر في المسافة الواقعة عرضًا بين شارع القَلْدُور باليكنيّة الجديدة وشارع القلعة (محمد علي سابقًا)، وطُولًا بين حارة حَلْوات وشارع محمد علي تجاه مدرسة السلطان حسن. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٢٠٤هـ[٣]، وانظر فيما يلي ٢: ٣٩٩ مَدْرَسة أُلْجاي).

[٣] كان مسجدُ الشيخ مسعود قائمًا ويُعْرَف بجامع الشيخ مسعود في عَطْفَة الشيخ مسعود بدَرْب الإقماعية بقسم باب الشعرية. (محمد رمزي: استدراكات النجوم الزاهرة ٩: ٣٣٤). وزال أثره مع توسعة الميدان.

[٤] المقريزي: مسودة الخطط ٣٧و في طَيَّارَة.

ولَفْظَةُ عَيَّاط عند أهْل مصر بمعنى صَيَّاح ، والعِياطُ الصِّياح . وأصْلُ ذلك في اللغة أنَّ العَطْعَطَة تَتَابعُ الأصْوات واخْتِلافُها في الحَرْب ، وهي أيضًا حِكايَةُ أصْوات المُجّان إذا قالوا : عَيْط عَيْط وذلك إذا غَلَبوا قَوْمًا . وقد عَطْعَطوا وعَطْعَط بالذِّئْب إذا قال له عَاطَ عَاطَ . فحرَّف عامَّةُ مصر ذلك ، وجعلوا العِياط الصِّياح ، واشْتَقُّوا منه الفِعْل؛ فاعْرِف ذلك[a] [1].

سُوَيْقَةُ العِراقِيِّين

هذه السُّوَيْقَةُ بمَدينَة مصر الفُسْطاط ، وإنَّما عُرِفَت بذلك لأنَّ قُرَيْبًا الأَزْدي وزَحَّافًا الطَّائي ـ وكانا من الخَوارِج ـ خَرَجا على زِياد بن أبيه[b] بالبَصْرَة ، فاتَّهَم زِيادٌ بهما جَماعَةً من الأَزْد ، وكَتَبَ إلى مُعاوِيَة بن أبي سُفْيان يستأذنه في قَتْلِهم ، فأَمَرَ بتَغْريبهم عن أوْطانِهم [2]. فسيَّرَهم إلى مصر ، وأميرُها مَسْلَمَةُ بن مَخْلَد ، وذلك في سنة ثلاثٍ وخمسين ، وكان عَدَدُهم نحوًا من مائتين وثلاثين ، فأُنْزِلُوا بالظَّاهِر أحَد خِطَط مصر ـ وكان إذ ذاك طُرُقًا ـ أرادَ أن يَسُدَّ بهم ذلك المَوْضِع . فنَزلوا في المَوْضِع المعروف بكُوم سِراج ، وكان فَضَاءً ، فبَنَوْا لهم مَسْجِدًا ، واتَّخَذُوا سُوقًا لأنفسهم ، فسُمِّيَ سُوَيْقَة العِراقِيِّين .

---

a) في هامش آياصوفيا : بياض ورقة وشيءٌ يسير . b) بولاق : أمية .

---

[1] وهو مستخدم إلى الآن عند أهل الشَّام بمعنى المناداة ، وعَيَّط عليه؛ أي نادى عليه .

[2] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٣٤.

ذِكْرُ مَداراتِ الطَّواحِين[a]

اعْلَم أنَّه[b] كان بالقاهِرَة ومِصْر عِدَّةُ مَداراتٍ يُطْحَنُ فيها القَمْحُ دَقيقًا، وآخِرُ ما أَحْصَيْتُه بعد سنة ستّين وسبع مائة في أيّام الأمير يَلْبُغا الخاصّكي المُتحكِّم في أحْوال الدَّوْلَة، فبَلَغَت أربع مائة وخمسين مَدارًا. ولمَّا تقلَّدْتُ حِسْبَةَ القاهِرَة سنة إحدى وثمانِ مائة من الملك الظّاهِر بَرْقوق كانت مائتين وخمسين مَدارًا؛ ثم لمَّا حَدَثَتِ المِحَنُ سنة ستٍّ وثمانِ مائة تَلاشَت حتى إنَّها اليوم لا تَتَجاوَزُ المائة مَدار. وأمْرُ النَّاسِ في القاهِرَة ومصر في الدَّقيق على ثلاثة أقسام

القِسْمُ الأوَّل: «العَــامَّةُ» وأكثر أكلهم الخُبْزُ يُشْرَى[b] من السُّوق عند الغَدَاء والعَشَاء؛ وأنا اعْتَبَرْتُ ما تَحْتاجُ إليه الأخْبازُ التي بأسْواق القاهِرَة وما يتعلَّقُ بها من الدَّقيق في كلِّ يومٍ فبَلَغَ في اليوم ما بين ألف إرْدَبّ قَمْحًا وثمان مائة إرْدَبّ، هذا غير ما يُحْمَل من الأرْياف إلى الأفْران من الدَّقيق المجْلوب وقد تَبْلُغ ثُلُث ما ذكرنا وأزْيَد.

وكانت[c] «الجِـرِاياتُ السُّـلْطانِيَّةُ» تُقامُ لها مَداراتٌ بجوار الصِّناعَة من مَدينَة مصر، أدْرَكْتُها عامِرَةً يُحْمَل إليها القَمْحُ من الأَهْراء بمصر، ولهذه المَدارات ناظِرٌ وديوانٌ وشُهُودٌ وشادّ. فلمَّا كانت المِحَنُ المذكورة وبَطُلَ ذلك وصارَ يُوجَدُ الدَّقيقُ للدَّار السُّلْطانية من الطَّحّانين بثَمَنٍ بَخْسٍ وتاراتٍ بغير ثَمَن، ثم تَلاشَت الجِراياتُ السُّلْطانيةُ وبَقِيَت نَذْرًا يَسيرًا؛ فهذان قِسْمان.

والقِسْمُ الثَّالِث: «بَيَــاضُ النَّــاس» من الأُمَـراء والأجْناد والكُتَّاب والأعْيان من القُضَاة والفُقَهاء والتُّجّار، فأكثرهم يَصْنَعُ الخُبْزَ على يده في داره، وكثيرٌ منهم يأْكُل من السُّوق، إمَّا يَشْتري الدَّقيق ويَعْجِنُه خَدَمُه، وإمَّا يَشْتَري الخُبْزَ مَعْمُولًا[a][1].

---

a-a) فقرة مضافة توجد فقط في نسخة تيمور رقم ١١٠ بلدان. b) نسخة التيمورية: يشرا. c) الأصل: كان.

---

[1] هذه الفقرةُ التي تُقدِّم لنا معلوماتٍ هامَّةً عن تموين القاهرة بالخبز في العصر المملوكي، لا توجد إلّا في نسخة الخِطَط المحفوظة في المكتبة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٠ بلدان تيمور! ودَلَّني عليها العالمُ الجليل والآثاري الكبير الأُستاذ عبد الرحمن عبد التوّاب الذي أُتيحت له فُرْصةُ الاطِّلاع على العديد من مخطوطات الخطط، فالشكر الجزيل له على صادق تعاونه، وتمنياتي له أن يمتّعه الله بموفور الصِّحَّة والعافية. وهي تُوجَد في النُّسْخَة في ورقة ٤٧٣ظ-٤٧٤و بين نهاية «ذِكر السُّجون» وبداية «ذِكر المواضِع المعروفة بالصِّناعَة». وواضِحٌ أنَّها كانت في طَيَّارَة بين أوراق النُّسْخَة المنقول عنها، ووَضَعَها ناسخُ النُّسْخَة في هذا المكان. وقد رأيتُ نقلها إلى نهاية ذِكْر الأسْواق لأنَّها به أَلْيَق.

ذِكْرُ العَوائِدِ التي كانَت بقَصَبَةِ القاهِرَة

اعْلَم أنَّ قَصَبَةَ القاهِرَة ما بَرِحَت مُحْتَرَمَةً ، بحيث إنَّه كان في الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة إذا قَدِمَ رَسُولُ مُتَمَلِّك الرُّوم يَنْزِل من باب الفُتُوح ، ويُقَبِّل الأرْض وهو ماشٍ ، إلى أن يَصِل إلى القَصْر . وكذلك كان يفعلُ كلُّ من غَضِبَ عليه الخَليفَةُ ، فإنَّه يخرج إلى باب الفُتُوح ، ويَكْشِف رأسَه ويستغيث بعَفْو أمير المؤمنين حتى يُؤْذَن له بالمصير إلى القَصْر .

وكانت[a] لها عَوائِدُ : منها أنَّ السُّلْطانَ من مُلُوك بني أَيُّوب ، ومن قامَ بعدهم من مُلُوك التُّرْك ، لا بدَّ إذا استقرَّ في سَلْطَنَة ديار مصر أن يَلْبِس خِلْعَةَ السَّلْطَنَة[b] بظاهِر القاهِرَة ، ويَدْخُل إليها راكِبًا والوَزِيرُ بين يَدَيْه على فَرَسٍ ، وهو حامِلٌ عَهْد السُّلْطان الذي كَتَبه له الخَليفَةُ بسَلْطَنَة مصر على رأسِه وقد أمْسَكَه بيديه ، وجَميعُ الأُمَرَاء ورِجالُ العَساكِر مُشَاةٌ بين يديه ، منذ يَدْخُل إلى القاهِرَة من باب الفُتُوح أو من باب النَّصْر ، إلى أن يَخْرُج من باب زَوِيلَة . فإذا خَرَجَ السُّلْطانُ من باب زَوِيلَة رَكِبَ حينئذٍ الأُمَرَاءُ وبقيَّةُ العَسْكر .

ومنها أنَّه لا يَمُرُّ بقَصَبَةِ القاهِرَة حِمْلُ تِبْنٍ ولا حِمْلُ حَطَبٍ ، ولا يَسُوق أحَدٌ فَرَسًا بها ، ولا يمُرُّ بها سَقَّاءٌ إلَّا راويتُه مُغَطَّاة .

ومن رَسْم أرْباب الحَوانيت أن يُعِدُّوا عند كلِّ حانُوتٍ زيرًا مَمْلوءًا بالماء ، مَخافَة أن يَحْدُث الحَرِيقُ في مَكانٍ فيُطْفَأ بسرعة ، ويُلْزَم صاحِبُ كلِّ حانُوتٍ أن يُعَلِّق على حانُوتِه قِنْديلًا طُول اللَّيْل يَسْرج إلى الصَّباح .

ويُقامُ في القَصَبَةِ قَوْمٌ يَكْنسون الأزْبال والأَتْرِبَة ونحوها ، ويرشُّون كلَّ يومٍ ، ويُجْعَل في القَصَبَة طُولَ اللَّيْل عِدَّةٌ من الخُفَرَاء يَطوفون بها لحِراسَة الحَوانيت وغيرها ، ويُتَعاهَدُ كلَّ قَليلٍ بقَطْع ما عَسَاه تَرَبَّى من الأوْسَاخ في الطُّرُقات حتى لا تَعْلو الشَّوارِع[c].

وأوَّل من رَكِبَ بخِلَع الخَليفَة في القاهِرَة السُّلْطانُ الملكُ الناصِرُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف ابن أَيُّوب . قال القاضي الفاضِلُ في «متجدِّدات» سنة سبعٍ وستين وخمس مائة : تاسِع شهر رَجَب وَصَلَتِ الخِلَعُ التي كانت نَفِذَت إلى السُّلْطان الملك العادِل نُور الدِّين محمود بن زَنْكي من

---

b) بولاق : السلطان . c) في هامش آياصوفيا : بياض ثمانية أسطر .

الخَلِيفَة ببَغْداد ، وهي فَرَجِيَّة[a] سَوْدَاء وطَوْقٌ ذَهَب ، فلَبِسَها نُورُ الدِّين بدِمَشْق إظْهَارًا لشِعارِها ، وسَيَّرَها إلى الملك النَّاصِر صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب ليَلْبَسَها . وكانت أُنفِذَت له خِلْعَةٌ ذكر أنَّه اسْتَقْصَرَها واسْتَزْراها واسْتَصْغَرَها دون قَدْرِه . واستقرَّ السُّلْطانُ صَلاح الدِّين بدارِه ، وباتَت الخِلَعُ مع الوَاصِل بها شاه مَلِك برأس الطَّابِيَّة . فلمَّا كان العاشِرُ منه ، خَرَجَ قاضي القُضَاة والشُّهُود والمُقْرِئون والخُطَبَاء إلى خَيْمَته ، واستقرَّ المسيرُ بالخِلْعَة ـ وهو من الأصْحَاب النَّجْمِيَّة ـ وزُيِّنَت البَلَدُ ابْتِهَاجًا بها .

وفيه ضُرِبَت النُّوَبُ الثَّلاث بالباب النَّاصِرِيّ على الرَّسْم النُّورِيّ في كلِّ يوم . فأمَّا دِمَشْقُ فالنُّوَبُ المضروبة بها خَمْس على رَسْمٍ قَديم ، لأنَّ الأتَابَكِيَّة لها قَوَاعِدُ ورُسُومٌ/ مستقرَّة بينهم في بلادهم .

وفي حادي عشره رَكِبَ السُّلْطانُ بالخِلَع ، وشَقَّ بَيْنَ القَصْرَيْن والقاهِرَة ؛ ولمَّا بَلَغَ باب زَوِيلَة نَزَعَ الخِلَع ، وأعادَها إلى دارِه ، ثم شَمَّرَ للعب الأكرة[b]. ولم يَزَلِ الرَّسْمُ كذلك في مُلوك بني أيُّوب حتى انْقَضَت أيَّامُهم ، وقامَ من بعدهم مَماليكُهم الأتْراك ، فجَرَوا في ذلك على عادَة مُلوك بني أيُّوب ؛ إلى أن قامَ في مَمْلَكَة مصر السُّلْطانُ الملكُ الظَّاهِرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري ، وقَتَلَ هُولاكُو الخَلِيفَةَ المُسْتَعْصِم بالله ـ وهو آخِر خُلفَاء بني العَبَّاس ببَغْداد ـ قَدِمَ على الملك الظَّاهِر ، أبو العَبَّاس أحمد ابن الخَلِيفَة الظَّاهِر بالله ابن الخَلِيفَة النَّاصِر ، في شهر رَجَب سنة تسع وخمسين وستّ مائة ، فتلقَّاه وأكرمه وبايَعَه ، ولقَّبه بـ«الخَلِيفَة المُسْتَنْصِر بالله» ، وخُطِبَ باسْمِه على المنابِر ونَقَشَ السِّكَّة باسْمِه[1].

فلمَّا كان في يوم الاثنين الرَّابع من شَعْبان ، رَكِبَ السُّلْطانُ إلى خَيْمَةٍ ضُرِبَت له بالبُسْتان الكبير من ظَاهِر القاهِرَة ، ولَبِسَ خِلْعَةَ الخَلِيفَة وهي جُبَّةٌ سَوْدَاء وعِمامَةٌ بنفسجية وطَوْقٌ من ذَهَب وسَيْفٌ بَدَّاوي . وجَلَسَ مَجْلِسًا عامًّا ، حَضَرَ فيه الخَلِيفَةُ والوَزِيرُ والقُضَاةُ والأُمَرَاءُ والشُّهُودُ ، وصَعِدَ القاضي فَخْرُ الدِّين إبراهيم بن لُقْمان كاتِب السِّرّ[2] مِنْبَرًا نُصِبَ له ، وقَرَأ تَقْليدَ السُّلْطان

---

a) بولاق : جبة . b) آياصوفيا : وثم يلعب الأكره .

---

[1] ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ١٠٠-١٠١؛ المقريزي: السلوك ١: ٤٥٠؛ وفيما يلي ٢: ٢٤٢.

[2] نفسه ١٠١-١١٠، وعن القاضي فَخْر الدِّين أبو العبَّاس إبراهيم بن لُقْمان بن أحمد بن محمد الشيباني =

الذي عَهِدَ به إليه الخَلِيفَةُ ، وكان بخَطِّ ابن لُقْمان ومن إنْشَائِه . ثم رَكِبَ السُّلْطان بالخِلْعَة والطَّوْق ، ودَخَلَ من باب النَّصْر ، وشَقَّ القاهِرَة وقد زُيِّنَت له ، وحَمَلَ[a] الوَزِيرُ الصَّاحِبُ بَهاءُ الدِّين محمد بن عليّ بن حِنَّا التَّقْليد على رأسِه قُدَّام السُّلْطان والأُمَرَاء ، ومَنْ دونهم مُشَاةٌ بين يَدَيْه ، حتى خَرَجَ من باب زَوِيلَة إلى قَلْعَة الجَبَل . فكان يومًا مَشْهُودًا .

٥ وفي ثالث[b] شَوَّال سنة اثنتين وستين وستّ مائة ، سَلْطَن الملكُ الظَّاهِرُ بَيْبَرْس ابنه الملك السَّعيد ناصِر الدِّين محمد بَرَكَة خان ، وأرْكَبَه بشِعَار السَّلْطَنَةِ ، ومَشَى قُدَّامَه وشَقَّ القاهِرَة كما تَقَدَّم ، وسائِرُ الأُمَرَاء مُشَاةٌ من باب النَّصْر إلى قَلْعَة الجَبَل ، وقد زُيِّنَت القاهِرَة [1].

وآخر من رَكِب بشِعار السَّلْطَنَة وخِلْعَة الخِلافَة والتَّقْليد السُّلْطان النَّاصِر محمد بن قَلاوون ، عند دُخُوله إلى القاهِرَة من البلاد الشَّامية ، بعد قَتْل السُّلْطان الملك المَنْصور حُسَام الدِّين لاجين ، ١٠ واسْتيلائِه على المملكة في ثامِن جُمادَى الأُولى سنة ثمانٍ وتسعين وستّ مائة .

وقال المُسَبِّحِيّ في حَوادِث سنة اثنتين وثمانين وثلاث مائة : نُودِيَ في السَّقَّائين أن يُغَطُّوا رَوايا الجِمال والبِغَال لئلّا تُصيبَ ثِيابَ النَّاس .

وقال في سنة ثلاثٍ وثمانين وثلاث مائة : أَمَرَ العَزيزُ بالله أمير المؤمنين بنَصْب أَزْيارِ الماء مَمْلوءَةً ماءً على الحَوانيت ، ووَقُود المصابيح على الدُّور وفي الأسْواق [2].

١٥ وفي ثالِث ذي الحِجَّة سنة تسعين[c] وثلاث مائة ، أَمَرَ أميرُ المؤمنين الحاكِمُ بأمْر الله النَّاسَ بأن يَقِدُوا القَناديلَ في سائِر البَلَد على جَميع الحَوانيت وأبْواب الدُّور والمَحَال والسِّكَك الشَّارِعَة وغير الشَّارِعَة ، ففُعِلَ ذلك [3].

ولازَم الحاكِمُ بأمْر الله الرُّكُوبَ في اللَّيْل ، وكان ينزلُ كلَّ لَيْلَةٍ إلى مَوْضعٍ مَوْضعٍ وإلى شَارِعٍ شَارِعٍ وإلى زُقاقٍ زُقاق . وأَلْزَمَ[d] النَّاسَ بالوَقيد فتَناظَروا فيه ، واستكثروا منه في الشَّوارع والأزِقَّة ،

---

a) بولاق : وعمل. b) في الروض الزاهر : ثالث عشر. c) النسخ : سنة إحدى وتسعين والتصويب من اتعاظ الحنفا. d) بولاق : وكان قد ألزم.

= الإشيزدي ، المتوفى سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٤م ، راجع ، الصفدي : الوافي بالوفيات ٦ : ٩٧ - ٩٨ ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ١ : ١٧٢ ؛ المقريزي : المقفى الكبير ١ : ٢٦٠ - ٢٦٢ ، السلوك ١ : ٨٠٤ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٨ : ٥٠ ، المنهل الصافي ١ : ١٣٦ - ١٣٨ .

[1] ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ٢٠٤ .

[2] المقريزي : اتعاظ الحنفا ١ : ٢٧٧ .

[3] نفسه ٢ : ٣٧ ، وفيما يلي ٢ : ٢٨٥ .

وزُيِّنتِ القَياسِرُ والأسواقُ بأنْواع الزِّينَة ، وصارَ النَّاسُ في القاهِرَة ومصر طُولَ اللَّيْل في بَيْع وشِراء ، وأكثروا أيضًا من وَقُود الشُّمُوع العَظيمَة ، وأَنْفقوا في ذلك أمْوالًا عَظيمَةً جَليلَةً لأجل التَّلاهي ، وتبسَّطوا في المآكِل والمشارِب وسَمَاع الأغاني . ومَنَعَ الحاكِمُ الرِّجالَ المُشاة بين يَدَيْه من المَشْي بقُرْبه ، وزَجَرَهم وانْتَهَرَهُم ، وقال : لا تَمْنَعوا أحَدًا منِّي . فأحْدَقَ النَّاسُ به ، وأكثروا من الدُّعاء له .

وزُيِّنَت الصَّاغَةُ وخَرَجَ سائِرُ النَّاس باللَّيْل للتفرُّج ، وغَلَبَ النِّساءُ الرجالَ على الخروج باللَّيْل ، وعَظُمَ الازْدِحام في الشَّوارع والطُّرُقات ، وأظْهَرَ النَّاسُ اللَّهْو والغِنَاء وشُرْب المُسْكِرات في الحَوانيت وبالشَّوارِع من أوَّل المحرَّم سنة إحدى وتسعين وثلاث مائة . وكان مُعْظَمُ ذلك من لَيْلَة الأربعاء تاسع عشرة إلى لَيْلَة الاثنين رابع عشرينه .

فلمَّا تَزايدَ الأمْرُ وشَنُعَ ، أمَرَ الحاكِمُ بأمْر الله أن لا تَخْرُجُ امْرَأةٌ من العِشَاء ، ومتى ظَهَرَت امْرَأةٌ بعد العَشَاء نُكِّلَ بها ، ثم مَنَعَ النَّاسَ من الجلُوس في الحَوانيت ، فامتنعوا [١] .

ولم يَزَلِ الحاكِمُ على الرُّكوب في اللَّيْل إلى آخِر شهر رَجَب . ثم نُودِيَ في شهر رَجَب سنة خمسٍ وتسعين وثلاث مائة : ألَّا يَخْرُج أحَدٌ بعد عَشَاء الآخرة ، ولا يظهر لبَيْعٍ ولا شِرَاء ، فامْتَنَعَ النَّاسُ [٢] .

وفي سنة خمسٍ وأربع مائة تَزايَدَ في المحرَّم منها وُوقُوعُ النَّار في البَلَد ، وكَثُرَ الحَريقُ في عِدَّةِ أماكِن . فأمَرَ الحاكِمُ بأمْر الله النَّاسَ باتِّخاذ القَناديل على الحَوانيت وأزْيار الماء مَمْلوءَةً ماءً ، وبطَرْح السَّقائِف التي على أبْوابِ الحَوانيت والرَّواشِن التي تُظِلُّ الباعَة ؛ فأُزيلَ جَميعُ ذلك من مصر والقاهِرَة[a] [٣] .

---

a) هنا في هامش آياصوفيا : بياض ورقة وعشرة أسطر .

---

[١] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٣٨.

[٢] نفسه ٢ : ٥٤.

[٣] نفسه ٢ : ١٠٥.

ذِكْرُ ما كانت ظَواهِرُ القاهِرَة عليه وما صارت الأحوالُ إليه[a]

اعْلَم أنَّه لمَّا نَزَلَ القائِدُ جَوْهَرٌ في مُناخِه الذي أدارَ عليه السُّور وصارَ مَدينةً تُسَمَّى «القاهِرَة» في بحْريّ مَدينَة الفُسْطاط، كان حينئذٍ في غربي القاهرة «الخَليجُ الكبير» الذي كان يُعْرَف في صَدْر الإسلام بخَليج أمير المؤمنين ويُعْرَف الآن بالخليج الحاكمي، وعليه بَنَى القائِدُ جَوْهَر القَنْطَرَة التي عليها «بابُ القَنْطَرَة» من أبواب القاهِرَة، وكان يُتَوَصَّلُ من فَوْق هذه القَنْطَرَة إلى القرية التي كانت تُعْرَف عند الفَتْح بأمّ دُنَيْن وعُرِفَت بعد ذلك بـ«المَقْس». وكان المَقْسُ حينئذٍ على النِّيل. ونَهْرُ النِّيل إلى حيث الجامِع المعروف اليوم بجامِع المَقْس الذي تُسَمِّيه العامَّةُ جامِعَ المَقْسي بشاطئ الخليج النَّاصِري. وكان في قِبْلي المَقْس جِنانُ الزُّهْري على حافَة النِّيل ممتدةً من قَريب المَقْس إلى حيث الموضع الذي كان يُعْرَف بالحَمْراء القُصْوىٰ ويُعرف اليوم بخُطِّ قَناطِر السِّباع حيث قَناطِر السِّباع الآن إلى جَبَل الكَبْش وجَبَل يَشْكُر وما يُقابِل ذلك إلى بِرَكَة الفيل وما دارَ به من بِرْكَة قارُون إلى المَوْضِع الذي كان يُعْرف بالكُوم الأحمر وبُسْتان مَنْظَرَة السُّكَّرَة المعروف الآن بالمَرِيس ومُنْشَأة المَهْراني، فإنَّ ذلك كان بعضُه فَضَاءً في بحْري الفُسْطاط مُطِلًّا على النِّيل وبعضُه عامِرًا على النِّيل. ففي الفَضَاء عِدَّةُ كَنائِس من بِناء الرُّوم قبل المِلَّة الإسلامية، فلمَّا كان الفَتْحُ على يد عَمْرو بن العَاص في سنة عشرين من الهجرة صار هذا الفَضَاءُ يعرف بـ«الحَمْراء القُصْوَىٰ» وفيه خِطَّةُ بني الأَزْرَق وخِطَّةُ بني رَوبيل وخِطَّةُ بني يَشْكُر بن جَزيلَة ولَخْم وبهم عُرِفَ جَبَلُ يَشْكُر الذي عليه الجامع الطُّولوني فإنَّهم كانوا ينزلون هناك في الجَبَل. ثم دَثَرَت هذه الخِطَّةُ وصارَت فَضَاءً، فلمَّا زالَت دَوْلَةُ بني أُمَيَّة ودَخَلَ صالِحُ بن عليّ بن عبد الله بن عَبَّاس وأبوعَوْن عبد الملك ابن يَزيد إلى مصر في طَلَب مَرْوان بن محمد الجَعْدي المُلَقَّب بالحمار في سنة اثنتين وثلاثين ومائة نَزَلَ صالحٌ وأبو عَوْن بهذا الفَضَاء حيث جَبَل يَشْكُر بعسكرهما وأمَرَ أبو عَوْن أصحابَه بالبِناء هناك فسُمِّيَ بـ«العَسْكَر» وصارَ الأُمَرَاءُ من يومئذٍ ينزلون به ويُقالُ له «العَسْكَر»، ورُبَّما أُقيمتِ الجُمُعَة بالعَسْكَر، فكان يُقال: «مَدينَةُ الفُسْطاط والعَسْكَر»، إلى أن كانت دَوْلَةُ بني طُولون وعَمَّر الأميرُ

---

a) من هنا وحتى نهاية القوس صفحة ٣٦٢ إضافة من مسودة الخطط.

أبو العَبَّاس أحمد بن طُولون مَدينَتَه التي عُرِفَت بـ«القَطَـائِع» وأنشأ في غَرْبِها الجامِعَ عند الشُّرطَة العُلْيا على جَبَل يَشْكُر من العَسْكَر المعروف اليوم بجامِع ابن طُولون فعَمُرَت هذه الخِطَّة ـ أعني الحَمْرَاء ـ عمارَةً عَظيمَةً حتى صارَ فيها مكانٌ قَدْر ذِراعٍ يُؤْجر في كلِّ يومٍ بعشرة دراهم ـ وهي يومئذٍ تقرب من مِثْقال ذَهَب ـ وعَمُرَ باقي قِبْلي العَسْكَر فيما بينه وبين مَدينَة الفُسْطاط الدُّور الجليلة منها دارُ الإمارَة وغيرها ، وهي حيث الفَضَاءُ الذي فيما وراء بِرْكَة قارُون . ثم خَرِبَت بعد ذلك هذه المواضِعُ شيئًا بعد شيءٍ إلى أن كانت غَلْوَةُ المُسْتَنْصِر في أعْوام بضعٍ وخمسين وأربع مائة فخرِبَت كلُّها وصارَت فَضَاءً من السَّاحِل القَديم بمصر حيث المكان الذي عُرِفَ بِبُسْتان ابن كَيْسان ويُعْرَف اليوم بِبُسْتان الطَّواشي من بَحْري المَراغَة بطريق مصر تِجاه غَيْط الجُرْف الفاصِل بينه وبين الخليج الطَّريق التي يُقالُ لها بين الزُّقاقَيْن ، فكان من هذا المكان إلى حيث قَناطِر السِّباع فَضَاءً ليس فيه سوى الكنائِس التي هُدِمَت في أعْوام بِضَعٍ وعشرين وسبع مائة . ١٠

وكان مَنْ يَقِفُ عند بِرْكَة قارون فإنَّه يَرَى النِّيل ، وكذلك من يَقِفُ بالكَبْش فإنَّه يَرَى النِّيل قريبًا منه ؛ فيمرُّ النِّيلُ بشاطئ جِنان الزُّهْري إلى المَقْس ، ويَمُرُّ من المَقْس في بَحْريه على شاطئ الأَرض التي تُعْرَف اليوم بأرض الطَّبَّالَة ، فإذا كان في أيَّام زيادَة النِّيل غَمَرَ الماءُ أرْضَ الطَّبَّالَة ومَرَّ على الموضع الذي يُعْرَف اليوم بالبَعْل تِجاه قَناطِر الوزّ إلى التَّاج على مُنْيَة السِّيرج . وكان ما بين المَقْس وبين الحَمْراء حيث الكَبْش على حافَة الخَليج وغربيه جميعُ ذلك بَساتين يُشْرِف على بعضها مَنْظَرَةُ اللُّؤْلُؤَة ودارُ الذَّهَب ودارُ الشَّابورة وغيرها . ١٥

وكانت مَوْرَدَةُ السَّقَّائين تِجاه باب الفَرَج ، وما بين سُور القاهِرَة من باب القَنْطَرَة إلى باب الفَرَج فَضَاءٌ فيما بين ذلك وبين الخليج تخرُج العامَّةُ فيتفرَّجون هنالك أُخْريات كلِّ يومٍ ويكون لهم هناك من الاجْتماع للأُنْس واللَّذَّات ما لا يُمْكن حكايته .

وكان تِجاه باب الفُتُوح مَنْظَرَةٌ من مَناظِر الخُلَفاء يجلس فيها الخَليفَةُ لعَرْض العساكِر عند مَسيرها إلى البلاد الشَّامِيَّة ، وتِجاه هذه المَنْظَرَة في بحْريها وغَرْبيها البساتينُ والمَيْدانُ ممتدَّة على الخَليج من شرقيه إلى مُنْيَة مَطَر التي تُعْرَف اليوم بـ«المَطَرِيَّة» بالقُرْب من عَيْن شَمْس . ٢٠

وكان من مَوْرَدَة السَّقَّائين تجاه باب الفَرَج إلى تِجاه باب زَويلَة الآن : حارَة السُّودان التي تُعْرَف بـ«المَنْصورَة» ، فلمَّا قَتَلَهُم السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين في سنة ستٍّ وستين وخمس مائة ، أَمَرَ بهَدْمِها وعملها بُسْتانًا ، وفيما خَرَج عن الباب الجَديد ـ الذي يُعْرَف بباب القَوْس ـ فصارَ في شرقي الخليج من حَدِّ شَقِّ الثُّعْبان إلى الشَّارع حارَةُ اليانِسِيَّة وحارَةُ الهِلالِيَّة ، وكان الشَّارِعُ فاصِلًا بين ٢٥

البَساتين المذكورة وبين بِرْكَة الفيل ، فكان ما جازَه يمينُك إذا خَرَجْت من باب زَوِيلَة هو البَساتين المذكورة وما وراءَها إلى جامِع ابن طُولون والمَشْهَد النَّفيسي ، وما جازَه يسارُك مَقْبَرَةٌ من حيث الموضِع الذي يُعْرَف اليوم بالدَّرْب الأحْمَر إلى مَسْجِد الذَّخيرَة[1] تحت القَلْعَة تِجاه شَبابيك مَدْرَسة السُّلْطان حَسَن وغَرْبي سُوق الخَيْل .

وكانت الرُّمَيْلَةُ فَضَاءً إلى مَقابِر القَرافَة ، ومن المَقابِر على سَفْح الجَبَل إلى تحت الجَبَل الأحْمَر تِجاه مَسْجِد تِبْر ، جميعُ ذلك فضَاءً ، والشَّرَفُ الذي عليه قَلْعَةُ الجَبَل هو موضِع قُبَّة الهَواء التي بنى تحتها أحمد بن طُولون قَصْرَه ومَيْدانَه وقطائِعَه ، وهي من خَدِّ الصَّوَّة إلى نحو باب الصَّرافَة ومن المَيْدان تحت القَلْعَة وإلى حَدْرَة ابن قَميحَة بجوار الجامِع الطُّولوني ، ثم خَرِبَ ذلك على يد محمد ابن سليمان الكاتِب وبقيت فيه عِدَّةُ مَساكِن حَدَثَت في غَلاء/ المُسْتَنْصِر إلى أن عَمَّر السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين قَلْعَةَ الجَبَل هذه على يد الطُّواشي بَهاء الدِّين قَراقُوش الأسَدي ، فلمَّا سَكَنَها الملكُ الكامِلُ ناصِرُ الدِّين محمد بن الملك العادِل أبي بكر بن أيُّوب ، نظر الأسْواق تحت القَلْعَة بالرُّمَيْلَة طَلبًا للإيسو واتَّخذها الملوكُ من بعده دارَ مُلْكٍ يَسْكنونها بأوْلادهم وحُرَمِهم وعَساكرهم إلى أن كانت سَلْطَنَةُ الملك النَّاصر محمد بن قلاوون الثَّالِثَة واعتنى بِقَلْعَة الجَبَل وأكثر من العَمائِر بها ، اخْتَطَّ النَّاسُ باتِّجاه القَلْعَة من الأمْلاك حيث المكان المعروف بالصَّليبَة إلى قَناطِر السِّباع ومن قَناطِر السِّباع إلى المَقْس ومن قَناطِر السِّباع إلى مصر .

وانْحَسَر ماءُ النِّيل أيضًا عن المَوْضِع المعروف بـ«بُولاق» ، فاخْتَطَّ النَّاسُ من خُطِّ سَاحِل مصر حيث الموضع الذي يُعْرَف بمُنْشَأة المَهْراني والمَريس ومُنْشَأة الكُتَّاب والزَّرْبِيَّة[2] وحِكْر ابن الأثير وبُولاق وجَزيرَة الفيل إلى مُنْيَة السِّيرج وما في شَرْقي هذه المواضِع من الأحْكار إلى باب القَنْطَرَة وأرْض الطُّبَّالَة إلى كوم الرِّيش ومُنْيَة السِّيرج ، وعَمَّرَ النَّاسُ التُّرَب فيما بين قَلْعَة الجَبَل إلى قُبَّة النَّصْر تحت الجَبَل الأحْمَر ، وما بين سَفْح الجَبَل إلى باب النَّصْر ومن باب النَّصْر إلى الرَّيْدانيَّة .

وستقف على ذلك مُفَصَّلًا مُبيِّنًا فيه ابتداءُ حُدوث هذه الأماكِن والتَّعْريف بمن اخْتَطَّها إن شاء الله تعالى[a] [3].

---

a) نهاية النص المنقول من مسودة الخطط والذي بدأ صفحة ٣٦٠ .

---

[1] حَلَّ محلَّه الآن جامع الرِّفاعي المواجه لجامع ومدرسة السلطان حسن ؛ وانظر فيما يلي ٢ : ٤١١ .

[2] انظر عن الزَّرْبية وكيفية عملها فيما يلي ٤٣٥هـ [1] .

[3] المقريزي : مسودة الخطط ٤٧ظ-٤٩ظ .

ذِكْرُ ظَواهِرِ القَاهِرَة المُعِزِّيَة

اعْلَم أنَّ القاهِرَة المُعِزِّيَّة يَحْصُرها أرْبَعُ جِهاتٍ وهي : الجِهَةُ الشَّرْقِيَّة ، والجِهَةُ الغَرْبِيَّة ، والجِهَةُ الشَّمالية التي تُسَمِّيها أهلُ مصر البَحْرِيَّة ، والجِهَة الجَنوبية التي تُعْرَف في أرْض مصر بالقِبْلِيَّة [1] .

فأمَّا «الجِهَةُ الشَّرْقِيَّةُ» فإنَّها من سُور القاهِرَة/ الذي فيه الآن بابُ البَرْقِيَّة والبابُ الجَديد والباب المَحْروق ، وتنتهي هذه الجِهَةُ إلى الجَبَل المُقَطَّم . ٥

وأمَّا «الجِهَةُ الغَرْبِيَّة» فإنَّها من سُور القاهِرَة الذي فيه بابُ القَنْطَرَة وبابُ الخُوخَة وبابُ سَعادَة ، وتنتهي هذه الجِهَة إلى شاطئ النِّيل .

وأمَّا «الجِهَةُ القِبْلِيَّة» فإنَّها من سُور القاهِرَة الذي فيه بابُ زَوِيلَة ، وتنتهي هذه الجِهَة إلى حَدِّ مَدينَة مصر .

١٠ وأمَّا «الجِهَةُ البَحْرِيَّة» فإنَّها من سُور القاهِرَة الذي فيه بابُ النَّصْر وبابُ الفُتُوح ، وتنتهي هذه الجِهَة إلى بِرْكَة الجُبِّ التي تُعْرَف اليوم بِبِرْكَة الحُجَّاج [a].

وقد كانت الجِهَـةُ الشَّـرقِيَّة ، عندما وُضِعَتِ القاهِرَة ، فَضَاءً فيما بين السُّور وبين الجَبَل لا بُنْيان فيه ألبتَّة ، وما زالَ على هذا إلى أن كانت الدَّوْلَةُ التركية ، فقيل لهذا الفَضَاء «المَيْدانُ الأَسْوَد» و«مَيْدانُ القَبَق» ـ وسيرد ذِكْرُ هذا المَيْدان إن شاءَ الله تعالى [2] ـ فلمَّا كانت سَلْطَنَةُ الملك النَّاصِر ١٥ مُحمد بن قَلاوون ، عُمِلَ هذا المَيْدانُ مَقْبَرةً لأمْوَات المسلمين ، وبُنِيَت فيه التُّرَبُ الموجودة الآن كما ذُكِرَ عند ذِكْر المَقَابِر من هذا الكتاب [3].

وكانت الجِهَةُ الغَـرْبِيَّة تنقسم قسمين : أحَدُهما بَرُّ الخَلِيج الشَّرْقي ، والآخَر بَرُّ الخَليج الغَرْبي . فأمَّا «بَرُّ الخَليج الشَّرْقي» فكان عليه بُسْتانُ الأمير أبي بكر محمد بن طُغْج الإخْشيد ومَيْدانُه ، وعُرِفَ هذا البُسْتان بالكافُوري . فلمَّا اخْتَطَّ القائِدُ جَوْهَرٌ القاهِرَة ، أدْخَلَ هذا البُسْتان ٢٠ في سُور القاهِرَة ، وعَمِلَ بجانِبه المَيْدانَ الذي يُعْرَفُ اليوم بالخُرُنْشُف ، فصارَت القاهِرَةُ تُشْرف من

---

a) بولاق : الحاج .

---

[1] فيما تقدم ١: ٣٧، ٢: ١٥٦.

[2] فيما يلي ٣٦٩.

[3] فيما يلي ٢: ٤٤٤.

غربيها على الخَليج . وبُنِيَت على هذا الخَليج مَناظِرُ ، وهي : مَنْظَرَةُ اللُّؤْلُؤة ومَنْظَرَةُ دار الذَّهَب ومَنْظَرَةُ الغَزالَة [a]، كما ذُكِرَ عند ذِكْر المَناظِر من هذا الكتاب [1].

وكان فيما بين البُسْتان الكافُوري والمَناظِر المذكورة وبين الخَليج شَارِعٌ تجلس فيه عامَّةُ النَّاس للتَّفَرُّج على الخَليج وما وَرَاءَه من البَساتين والبِرَك ، ويُقال لهذا الشَّارِع اليوم «بَيْـن السُّورَيْن» [2]؛ ويتَّصل بالبُسْتان الكافُوري ومَيْدان الإخْشيد بِرْكَةُ الفِيل وبِرْكَةُ قارون ؛ ويُشْرف على بِرْكَة قارون الدُّور التي كانت متَّصلة بالعَسْكَر ظاهِرَ مَدينَة فُسْطاط مصر ، كما ذُكِرَ في مَوْضِعه من هذا الكتاب ، عند ذِكْر البِرَك وعند ذكر العَسْكَر [3].

وأمَّا «بَرُّ الخَليج الغَرْبي» فإنَّ أوَّلَه الآن من مَوْرَدَة الحَلْفاء ، فيما بين خُطِّ الجامِع الجَديد خارج مصر وبين مُنْشأة المَهْراني ، وآخره أرْض التَّاج والخَمْس الوُجُوه وما بعدها من بَحْري القاهِرَة . وكان أوَّلُ هذا الخَليج عند وَضْع القاهِرَة بجانب خُطِّ السَّبْع سِقايات ، وكان ما بَين خُطِّ السَّبْع سِقايات وبين المعاريج بمَدينَة مصر غامِرًا بماء النِّيل ، كما ذُكِرَ في سَاحِل مصر من هذا الكِتاب [4]. وكانت القَنْطَرَةُ التي يُفْتَح سَدُّها عند وَفَاء النِّيل سِتّ عشرة ذِراعًا خَلْف السَّبْع سِقايات ، كما ذُكِرَ عند ذِكْر القَناطِر من هذا الكِتاب [5]. وكان هناك مَنْظَرَةُ السُّكَّرَة التي يجلس فيها الخَليفَةُ يوم فَتْح الخَليج ، ولها بُسْتَانٌ عَظيمٌ ، ويُعْرَف موضعه اليوم بالمَرِيس .

ويتَّصِلُ ببُستان مَنْظَرَة السُّكَّرَة جِنانُ الزُّهْري ، وهي من خُطِّ قَناطِر السِّباع الموجودة الآن بحِذَاء خُطِّ السَّبْع سِقايات إلى أراضي اللُّوق ، ويتَّصل بالزُّهْري عِدَّةُ بَساتين إلى المَقْس . وقد صارَ مَوْضِعُ الزُّهْري ، وما كان بجواره على بَرِّ الخَليج من البَساتين ، يُعْرَف بالحكورَة من أيَّام الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون إلى وَقْتنا هذا ، كما ذُكِرَ عند ذِكْر الأحْكار من هذا الكتاب [6].

وكان الزُّهْرِيُّ وما بجواره من البَساتين التي على بَرِّ الخَليج الغَرْبي والمَقْس ، كلُّ ذلك مُطلٌّ على النِّيلُ ، وليس لبَرِّ الخَليج الغَرْبي كبيرُ عَرْضٍ ، وإنَّما يمرُّ النِّيلُ في غَرْبيّ البَساتين على المَوْضِع الذي يُعْرَف اليوم باللُّوق إلى المَقْس ، فيصير المَقْسُ هو سَاحِلُ القاهِرَة ، وتنتهي المراكِبُ إلى

a) بولاق والنسخ : منظرة غزالة .

[1] فيما تقدم ٢: ٥٢٨ ، ٥٣٣ ، ٥٣٦.
[2] فيما تقدم ٧١.
[3] فيما تقدم ٥٨ ، ٥٣٤ – ٥٣٨.
[4] فيما تقدم ٢: ١٥٨.
[5] فيما يلي ٤٨٨.
[6] فيما يلي ٣٨٠.

مَوْضِع جامِع المَقْس الذي يُعْرَف اليوم بجامِع المَقْسي، فكان ما بين الجامِع المذكور ومُنْيَة عُقْبَة التي بِبَرِّ الجيزَة، بَحْرُ النِّيل.

ولم يَزَلِ الأَمْرُ على ذلك إلى ما بعد سنة سبع مائة، إلَّا أنَّه كان قد انْحَسَرَ ماءُ النِّيل، بعد الخمس مائة من سِنِي الهجرة، عن أرضٍ بالقُرْب من الزُّهْري عُرِفَت بمُنْشَأة الفاضِل وبُسْتان الخَشَّاب، وهذه المُنْشَأَةُ اليوم يُعْرَف بعضُها بالمَرِيس مِمَّا يلي مُنْشَأة المَهْراني، وانْحَسَرَ أيضًا عن أرضٍ تِجاه البَعْل الذي في بَحْري القاهِرَة، عُرِفَت هذه الأرض بجَزيرَة الفِيل [١].

وما بَرِحَ ماءُ النِّيلُ يَنْحَسِر عن شيءٍ بعد شيءٍ إلى ما بعد سنة سبع مائة؛ فبَقِيَت عدَّةُ رِمالٍ فيما بين مُنْشأة المَهْراني وبين جَزيرَة الفِيل، وفيما بين المَقْس وساحِل النِّيل، عَمَّرَ النَّاسُ فيها الأَمْلاكَ والمناظِرَ والبَساتين من بعد سنة اثنتي عشرة وسبع مائة، وحَفَرَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون فيها الخَلِيج المعروف اليوم بالخَلِيج النَّاصِريِّ، فصارَ بَرُّ الخَلِيج الغَرْبي بعد ذلك أَضْعافَ ما كان أوَّلًا من أجْل انْطِراد ماءِ النِّيل عن بَرِّ مصر الشَّرْقي [٢].

وعُرِفَ هذا البَرُّ اليوم بعِدَّة مَواضِع، وهي في الجملة: خُطُّ مُنْشَأة المَهْراني، وخُطُّ المَرِيس، وخُطُّ مُنْشأة الكَتَبَة، وخُطُّ قَناطِر السِّباع، وخُطُّ مَيْدان السُّلْطان، وخُطُّ البِرْكَة النَّاصِريَّة، وخُطُّ الحكورَة، وخُطُّ الجامِع الطَّيْبَرْسي، ورَبْعُ بَكْتَمُر، وزَرْبِيَّة[a] السُّلْطان، وخُطُّ باب اللُّوق، وقَنْطَرَةُ الخَرَق، وخُطُّ بُسْتان العِدَّة، وخُطُّ زَرْبِيَّة[a] قَوْصُون، وخُطُّ حِكْر ابن الأَثير، وفُمُّ الخَوْر، وخُطُّ الخَلِيج النَّاصِري، وخُطُّ/ بُولاق، وخُطُّ جَزيرَة الفِيل، وخُطُّ الدَّكَّة، وخُطُّ المَقْس، وخُطُّ بِرْكَة قَرْموط، وخُطُّ أَرْض الطَّبَّالَة، وخُطُّ الجُرُف، وأرْضُ البَعْل وكُومُ الرِّيش، ومَيْدانُ القَمْح، وخُطُّ باب القَنْطَرَة، وخُطُّ باب الشَّعْرِيَّة، وخُطُّ باب البَحْر وغير ذلك. وسيأتي من ذِكْر هذه المواضِع ما يَكْفي ويَشْفي إن شاءَ الله تعالى.

وكانت جِهَةُ القاهِرة القِبْلِيَّة من ظاهِرها ليس فيها سِوَى بِرْكَة الفِيل وبِرْكَة قارُون، وهي فَضَاءٌ، يَرَى مَنْ خَرَجَ من باب زَوِيلَة عن يَمينه الخَلِيجَ ومَوْرَدَة السَّقَّائين، وكانت تِجاه باب الفَرَج[b]، ويَرَى عن يَسارِه الجَبَل، ويَرَى تِجاهَه قَطائِع ابن طُولون التي تتَّصل

a) بولاق: زربية (وانظر فيما يلي ٤٣٥). b) بولاق: الفتوح.

[١] فيما يلي ٥٩٠- ٥٩٣.

[٢] انظر فيما تقدم ٢: ١٥٨- ١٦٣، وفيما يلي ٤٨١.

بالعَسْكَر ويَرَى جامِعَ ابن طُولون وساحِلَ الحَمْرَاء الذي يُشْرف عليه جِنانُ الزُّهْري، ويَرَى بِرْكَة الفيل التي كان يُشْرِف عليها الشَّرَفُ الذي فَوْقَه قُبَّةُ الهَوَاء، ويُعْرَف اليوم هذا الشَّرَف بقَلْعَة الجَبَل.

وكان من خَرَجَ من مُصَلَّى العيد بظاهِر مصر يَرَى بِرْكَتي الفِيل وقارُون والنِّيل؛ فلمَّا كانت ٥ أيَّامُ الخَلِيفَة الحاكِم بأمْر الله أبي عليّ مَنْصور بن العَزيز بالله أبي مَنْصور نِزار ابن الإمام المُعِزّ لدين الله أبي تَميم مَعَدّ، عَمِلَ خارِج باب زَوِيلَة بابًا عُرِفَ بالباب الجَديد، واخْتَطَّ خارِج باب زَوِيلَة عِدَّةٌ من أصْحاب السُّلْطان: فاخْتَطَّتِ المَصامِدَةُ حارَة المَصامِدَة، واختطَّت اليانِسِيَّةُ والمُنْتَجَبِيَّة وغيرهما؛ كما ذُكِرَ في مَوْضِعِه من هذا الكِتاب [1].

فلمَّا كانت الشِّدَّةُ العُظْمَى في خِلافَة المُسْتَنْصِر بالله، اختلَّتْ أحْوالُ مصر، وخَرِبَت خَرابًا ١٠ شَنيعًا. ثم عُمِّرَ خارِجُ باب زَوِيلَة في أيَّام الخَلِيفَة الآمِر بأحْكام الله ووَزارَة المأمُون محمد بن فاتِك ابن البَطائِحي بعد سنة خمس مائة [2].

فلمَّا زالَتِ الدَّوْلَةُ الفاطِمِية، هَدَمَ السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب حارَة المَنْصورَة التي كانت سَكَنَ العبيد خارج باب زَوِيلَة، وعَمِلَها بُسْتانًا. فصارَ ما خَرَج عن باب زَوِيلَة بَساتين إلى المَشْهَد النَّفيسي، وبجانب البَساتين طَريقٌ يُسْلَك منها إلى قَلْعَة الجَبَل التي أنشأها السُّلْطانُ صَلاحُ ١٥ الدِّين المذكور على يد الأمير بَهاء الدِّين قَراقُوش الأسَدي، وصارَ من يقف على باب جامِع ابن طُولون يَرَى باب زَوِيلَة [3].

ثم حَدَثَتِ العَمائِرُ التي هي الآن خارج باب زَوِيلَة بعد سنة سبع مائة، وصارَ خارِجُ باب زَوِيلَة الآن ثَلاثَة شَوارِع: أحَدُها ذات اليمين والآخَر ذات الشِّمال، والشَّارِعُ الثالث تِجاه من خَرَجَ من باب زَوِيلَة. وهذه الشَّوارِعُ الثَّلاثَة تشتمل على عِدَّة أخْطاط.

٢٠ فأمَّا ذات اليمين فإنَّ من خَرَجَ من باب زَوِيلَة الآن يجد عن يمينه شارِعًا سالِكًا ينتهي به في العَرْض إلى الخَليج حيث القَنْطَرَة التي تُعْرَف بقَنْطَرَة الخَرْق، وينتهي به في الطُّول من باب زَوِيلَة إلى خُطّ الجامِع الطُّولوني [4]. وجَميعُ ما في هذا الطُّول والعَرْض من الأماكِن كان بَساتين إلى ما بعد السبع مائة.

---

[1] انظر فيما تقدم ٣٣٤.

[2] انظر فيما تقدم ٥٧.

[3] المقريزي: مسودة الخطط ٤٢و–ظ.

[4] هما شارعا تحت الرَّبْع، والخَيْمِيَّة وامتدادها جنوبًا الآن.

وفي هذه الجِهَة اليُمْنَى خُطُّ دار التُّفّاح، وسُوق السَّقْطيين، وخُطُّ تَحْت الرَّبْع، وخُطّ القَشَّاشين، وخُطُّ قَنْطَرَة الخَرْق، وخُطُّ شَقّ الثُّعْبان، وخُطُّ قَنْطَرَة آقْسُنْقُر، وخُطُّ الحَبَّانِيَّة وبِرْكَةُ الفِيل، وخُطُّ قَبْو الكِرْماني، وخُطُّ قَنْطَرَة طُقُزْدَمُر والمسجِد المُعَلَّق، وخُطُّ قَنْطَرَة عُمَرَ شاه، وخُطُّ قَناطِر السِّباع، وخُطُّ الجِسْر الأَعْظَم، وخُطُّ الكَبْش والجامِع الطُّولوني، وخُطُّ الصَّليبَة، وخُطُّ الشَّارِع، وما هناك من الحارَات التي ذُكِرَت عند ذِكْر الحارات من هذا الكِتاب.

وأمَّا ذات اليَسار فإنَّ من خَرَجَ من باب زَوِيلَة الآن يجد عن يَسارِه شارِعًا ينتهي به في العَرْض إلى الجَبَل، وينتهي به في الطُّول إلى القَرافَة. وجَميعُ ما في هذه الجِهَة اليُسْرَى كان فَضَاءً لا عِمارَةَ فيه ألبتَّة إلى ما بعد سنة خمس مائة من الهجرة. فلمَّا عَمَّرَ الوَزِيرُ الصَّالِحُ طَلائِعُ بن رُزِّيك جامِعَ الصَّالِح الموجود الآن خارج باب زَوِيلَة، صارَ ما وراءَه إلى نَحْو قَطائِع ابن طُولون مَقْبَرَةً لأَهْل القاهِرَة إلى أن زالَت دَوْلَةُ الخُلَفاء الفاطِميين [١]، وأنشأ السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُفُ ابن أيُّوب قَلْعَةَ الجَبَل على رأس الشَّرَف المطلّ على القَطائِع، وصارَ يُسْلَك إلى القَلْعَة من هذه الجِهَة اليُسْرى فيما بين المَقابِر والجَبَل.

ثم حَدَثَت بعد المِحَن هذه العَمائِرُ الموجودة هناك شيئًا بعد شيءٍ من سنة سبع مائة، وصارَ في هذه الشُّقَّة خُطُّ سُوق البُسْطيين، وخُطُّ الدَّرْب الأحْمَر، وخُطّ جامع المارْدِيني، وخُطُّ سُوق الغَنَم، وخُطُّ التَّبَّانَة، وخُطُّ باب الوَزِير، وقَلْعَةُ الجَبَل، والرُّمَيْلَة، وخُطُّ القُبَيْبات، وخُطُّ باب القَرافَة.

وأمَّا ما هو تِجاه من خَرَجَ من باب زَوِيلَة فيُعْرَف بالشَّارِع ـ وقد تقدَّم ذكره عند ذِكْر الأسْواق من هذا الكتاب [٢] ـ وهو ينتهي بالسالِك إلى خُطّ الصَّليبَة المذكور آنِفًا، وإلى خُطِّ الجامِع الطُّولوني وخُطِّ المَشْهَد النَّفيسي، وإلى العَسْكر وكُوم الجارِح وغير ذلك من بقيَّة خِطَط ظَواهِر القاهِرَة ومصر.

وكانت جِهَةُ القاهِرَة البَحْرِيَّة من ظاهِرِها فَضَاءً ينتهي إلى بِرْكَة الجُبّ، وإلى مُنْيَة الأَصْبَغ التي عُرِفَت بالخَنْدَق، وإلى مُنْيَة مَطَر التي تُعْرَف بالمَطَرِيَّة، وإلى عَيْن شَمْس وما وَرَاء

---

[١] فيما تقدم ٢: ٢٢١؛ وفيما يلي ٤٥١- ٤٥٢؛ ٢: ٤٤٣.

[٢] فيما تقدم ٣٣٣.

ذلك، إلّا أنّه كان تجاه القاهِرَة بُسْتانُ رَيْدان، ويُعْرَف اليوم بالرَّيْدانِيَّة [١]، وعند مُصَلَّى العيد خارج باب النَّصْر ـ حيث يُصَلَّى الآن على الأمْوَات ـ كان يَنْزِل هناك من يُسَافِرُ إلى الشَّام.

فلمَّا كان قبل سنة خمس مائة، وماتَ أميرُ الجُيُوش بَدْرٌ الجَمالي/ في سنة سبع وثمانين وأربع مائة، بُنِيَ خارج باب النَّصْر له تُرْبَةٌ دُفِنَ فيها [٢]، وبُنِيَ أيضًا خارج باب الفُتُوح مَنْظَرَةٌ ـ وقد ذُكِرَ خَبَرُها عند ذِكْر المناظِر من هذا الكِتاب [٣] ـ وصارَ أيضًا فيما بين باب الفُتُوح والمَطَرِيَّة بَساتينُ قد تقدَّم خَبَرُها [٤].

ثم عَمَّرَت الطَّائِفَةُ الحُسَيْنِيَّةُ بعد سنة خمس مائة، خارجَ باب الفُتُوح، عِدَّةَ مَنازِل اتَّصَلت بالخَنْدَق، وصارَ خارجَ باب النَّصْر مَقْبَرَةٌ إلى ما بعد سنة سبع مائة. فعَمَّرَ النَّاسُ به حتى اتَّصَلَتِ العَمائِرُ من باب النَّصْر إلى الرَّيْدانِيَّة، وبَلَغَتِ الغايةُ من العِمارَة، ثم تناقَصَت من بعد سنة تسع وأربعين وسبع مائة إلى أن فَحُشَ خَرابُها من حين حَدَثَتِ المِحَنُ في سنة ستٍّ وثمان مائة.

فهذا حالُ ظَواهِر القاهِرَة منذ اخْتُطَّت وإلى يَوْمِنا هذا، ويَحْتَاجُ ما ذُكِرَ هنا إلى مَزيدِ بيانٍ.

---

[١] فيما تقدم ٦٢، وفيما يلي ٤٦٤.

[٢] فيما تقدم ٦٣ حيث يذكر النّصّ أنّ بَدْرًا الجمالي بعد أن قام بتدبير أمْر الدولة المستنصرية أنشأ بَحْري مُصَلَّى العيد خارج باب النَّصْر تربةً عظيمةً وفيها قبرُه هو وولدُه الأفْضَل وأبو علي كُتَيْفات ابن الأفْضَل وأنّها باقيةٌ إلى وقته؛ أمّا بقيّةُ المواضِع التي ورد فيها ذكر تُرْبة بَدْر الجمالي فتفيد أنّها أنشئت بعد وفاته. (فيما يلي ٤٦٢، ٢: ٤٤٤، ٤٦٣).

[٣] فيما تقدم ٢: ٥٦٨.

[٤] فيما تقدم ٢: ٥٨٢.

ذكر مَيْدان القَبَق [a]

هذا الموضِعُ خارِج القاهِرَة من شَرْقيها ، فيما بين الثُّغْرَة[b][1] التي يُنْزَل من قَلْعَة الجَبَل إليها وبين قُبَّة النَّصْر التي تحت الجَبَل الأَحْمَر ، ويُقالُ له أيضًا «المَيْدانُ الأَسْوَد» ، و«مَيْدَانُ العِيد» ، و«الميدانُ الأَخْضَر» ، و«مَيْدانُ السِّباق» [2]. وهو مَيْدانُ السُّلْطان الملك الظَّاهِر رُكْن الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري الصَّالِحِي النَّجْمِي ، بنى به مَسْطَبَةً في المحرَّم من سنة ستٍّ وستين وستّ مائة ، عندما احتفل برَمْي النُّشَّاب وأُمُور الحَرْب ، وحَثَّ النَّاسَ على لَعِب الرُّمْح ورَمْي النُّشَّاب ونحو ذلك ، وصارَ ينزِلِ كلَّ يومٍ إلى هذه المَسْطَبَة من الظُّهْر ، فلا يَرْكَب منها إلى العِشَاء الآخِرَة ، وهو يَرْمي ويُحَرِّض النَّاس على الرَّمْي والرِّهان . فما بقِي أميرٌ ولا مملوكٌ إلَّا وهذا شُغْله ، وتَوَفَّر النَّاسُ على لَعِب الرُّمْح ورَمْي النُّشَّاب .

وما بَرِحَ مَنْ بَعْدَه من أَوْلادِه ، والملكُ المَنْصور سَيْفُ الدِّين قَلاوون الأَلْفي الصَّالِحِي النَّجْمي ، والملكُ الأَشْرَفُ خَليل بن قَلاوون ، يَرْكبون في المَوْكِب لهذا المَيْدان ، وتقف الأُمَرَاءُ والمماليكُ السُّلْطانية تُسابِق بالخَيْل فيه قُدَّامَهم ، وتَنْزِل العَساكِرُ فيه لرَمْي القَبَق .

والقَــبَقُ عِبارَةٌ عن خَشَبَة عالية جِدًّا تُنْصَب في بَراحٍ من الأَرْض ، ويُعْمَل بأعْلاها دائِرَةٌ من خَشب ، وتَقِف الرُّماةُ بقِسِيِّها وتَرْمي بالسِّهام جَوْف الدَّائِرَة لكي تمرَّ من داخِلها إلى غَرَضٍ هناك ، تَمْرينًا لهم على إحْكام الرَّمْي . ويُعَبَّر عن هذا بالقَبَق في لُغَة التُّرْك [3].

---

a) المسودة : الميدان الأســود . b) بولاق : النقرة .

---

[1] الثُّغْرَة . انظر عنها فيما يلي ٢ : ٣٢٠ (جامع مَنْجَك) .

[2] يَدُلُّ على مكان مَيْدان القَبَق (المَيْدان الأَسْوَد) الأرض المشغولة الآن بتُرَب جَبَّانَة باب الوزير وقرافَة المجاورين وجَبَّانَة المماليك وتنتهي عند قُبَّة الأمير يُونُس الدُّوادار (مسجلَة بالآثار برقم ١٣٩) الموجودة بالجهة البَحْرية من قُبَّة السُّلْطان بَرْقوق ، المعروفة الآن بقُبَّة آنص والد السُّلْطان بَرْقوق (مسجلة بالآثار برقم ١٥٧) . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧ : ١٦٥هـ[3]) . وهي المنطقة التي يخترقها الآن جزءٌ من طريق صلاح سالم بين مَدْخل مدينة المُقَطَّم جنوبًا ومَيْدان الفِرْدَوْس شمالًا . (انظر كذلك ، حسن عبد الوهاب : «خانقاه فرج بن برقوق وما حولها» ، المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية ، القاهرة ١٩٦١ ، ٢٨٤- ٢٨٨ ؛ محمد الششتاوي : ميادين القاهرة في العصر المملوكي ، ٦١-٧١) .

[3] يُضافُ إلى هذا الوَصْف : أنَّ القَبَق لَفْظَةٌ تركية تعني القَرْعَة العَسَليَّة ، كانت تُتَّخذ هَدَفًا تُعلَّق فوق عمودٍ يرميه =

قال جامِعُ «السِّيرَة الظَّاهِرِيَّة»[a]: وفي سابِع عشر المحرَّم من سنة سبعٍ وستين وستّ مائة ، حَثَّ السُّلْطانُ الملكُ الظَّاهِرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري جَميعَ النَّاس على رَمْي النُّشَّاب ولَعب الرُّمْح ، خُصُوصًا خواصّه ومَماليكه . ونَزَلَ إلى الفَضَاء بباب النَّصْر ظاهِر القاهِرَة ـ ويُعْرَف بمَيْدان العيد ـ وبَنَى مَسْطَبَةً هناك ، وأقامَ ينزل في كلِّ يوم من الظُّهْر ، ويركب منها عِشَاء الآخرة ، وهو واقِفٌ في الشَّمْس يرمي ويُحَرِّض النَّاس على الرَّمْي والرِّهان . فما بقي أميرٌ ولا مَمْلوكٌ إلَّا وهذا شُغْلُه ، واستمرَّ الحالُ في كلِّ يوم على ذلك حتى صارَت تلك الأَمْكِنَة لا تَسَع النَّاسَ ، وما بقي لأحَدٍ شُغْلٌ إلَّا لَعِب الرُّمْح ورَمْي النُّشَّاب[1].

قال[b]: وفي شهر رَمَضَان سنة اثنتين وسبعين وستّ مائة ، تقدَّم السُّلْطانُ الملكُ الظَّاهِرُ إلى عَساكِره بالتأهُّب للركوب واللَّعِب بالقَبَق ورَمْي النُّشَّاب[2]. واتُّفِقَت نادِرَةٌ غَريبَةٌ ، وهو أنَّه أَمَرَ برَشِّ المَيْدان الأَسْوَد تحت القَلْعَة لأجْل اللَّعِب ، فَشَرَعَ النَّاسُ في ذلك ، وكان يومًا شَديدَ الحرّ ، فأَمَرَ السُّلْطانُ بتَبْطيل الرَّشّ رَحْمَةً للنَّاس ، وقال : النَّاسُ صِيام ، وهذا يَوْمٌ شَديدُ الحَرّ ؛ فبَطَل الرَّشّ . وأَرْسَلَ الله تعالى مَطَرًا جَوْدًا استمرَّ ليلتين ويومًا حتى كَثُر الوَحْلُ ، وتلبَّدتِ الأَرْضُ ، وسَكَن العَجاج ، وبَرَدَ الجوّ ، ولَطُفَ الهَوَاءُ . فوَكَّل السُّلْطانُ من يَحْفَظُه من السَّوْق فيه يوم اللَّعب ـ وهو يوم الخميس السادس والعشرون من شهر رَمَضَانَ ـ وأَمَرَ بركوب جَماعَةٍ لطيفَةٍ من كلِّ عشرة اثنان ، وكذلك من كلِّ أَمير ومن كل مُقَدَّم لئلا تَضيق الدُّنْيا بهم . فرَكِبُوا في أحسن زِيٍّ وأجمل لِباس وأكمل شَكْل وأَبْهَى مَنْظَر ، ورَكِبَ السُّلْطانُ ومعه من خَواصّه ومماليكه أُلوف ، ودَخَلوا في الطِّعان بالرِّماح . فكلُّ من أصابَ خَلَعَ عليه السُّلْطانُ . ثم ساقَ في مَماليكه الخَوَاصّ خاصَّةً ، ورتَّبهم أجمل تَرْتيب ، وانْدَفَقَ بهم انْدِفاق البَحْر ، فشاهَد النَّاسُ أُبَّهةً عَظيمَة .

---

a) في المسودة : قال في «سيرة الملك الظاهر بيبرس» ومنها نقلت . b) إضافة من المسودة .

= الفارسُ النَّاشِبُ وحُصانُه يجري . ثم صارَت اللفظةُ تعني التمرين كلَّه الذي استخدمت فيه أنواعٌ أخرى من الأهداف . ورَمْي القَبَق تَقْليدٌ تَحَدَّرَ ربَّما من شعوب آسيا الوسطى الرعوية ، واشْتُقَّ في الأصل من ممارسة صَيْد الطَّيْر بالنّشَّاب من على ظهور الخيل ، إلَّا أنَّ تاريخه الرسمي والمُوَثَّق كأحد التمارين الأساسية لإعداد الفارس النَّاشِب ، لم يبدأ حَقًّا إلَّا مع دولة المماليك . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٨: ١١٦؛ ʿAbd ar-Râziq, A., «Deux jeux sportifs au temps des Mamlûks», *An. Isl.* XII (1974), pp. 96-107؛ شهاب الصَّرَّاف : «أدب الفروسية في العصرين العباسي والمملوكي» ، الفروسية ١ ، فنون الفروسية في تاريخ المشرق والمغرب ، ١١٤) .

[1] ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ٣٣٨؛ المقريزي : السلوك ١: ٥٧٣، مسودة الخطط ١٤٣و .

[2] نفسه ٤٢٤؛ نفسه ١: ٦١١، نفسه ١٤٣و .


28

باب الرمي بالقبق وكيفيته والدخول فيه

وصفة ادمانه ان تتخذ رمحا في قربوص السرج البراني و تخط

في راسه علامه ويسوق ويلتفت ويرمي الى العلامه وذلك الادمان

ينبغي ان تحرس نفسه وركبته ان لا تجي في القبق

مُنَمْنَمَة تمثّل رمي القَبَق للمتعلّم والمبتدئ من كتاب «المخزون جامع الفُنُون» المنحول لابن أخي حِزام الخُتُلي (نسخة باريس رقم ar. 2824، ورقة ٢٨و ، وهي مؤرخة سنة ٨٧٥هـ) . (عن شهاب الصُرّاف)

ثم أُقِيمَ القَبَقُ، ودَخَلُ النَّاسُ لِرَمْي النُّشَّاب، وجَعَلَ لمن أصابَ من المفارِدَة رِجال الحَلْقَة والبَحْرية الصَّالِحِيَّة وغيرهم بُغُلْطاقًا بسِنْجاب، وللأُمَرَاء فَرَسًا من خَيْله الخاصّ بتشاهيره ومَراواته الفِضِّيَّة والذَّهَبِيَّة وبَراجِمه [a].

وما زالَ هذه الأيَّام على هذه الصُّورَة يتنوَّع في دُخُوله وخُروجه: تارةً بالرِّماح، وتارةً بالنُّشَّاب، وتارةً بالدَّبابيس، وتارةً بالسُّيوف مَسْلُولَةً. وذلك أنَّه ساقَ على عادَته في اللَّعب، وسَلَّ سَيْفَه، وسَلَّ مَماليكُه سُيوفَهم، وحَمَلَ هو ومَماليكُه حَمْلَةَ رَجُلٍ واحِدٍ، فرأى النَّاسُ مَنْظَرًا عَجيبًا. وأقامَ على ذلك كلّ يوم من بُكْرَة النَّهار إلى قَريب المغرب، وقد ضُرِبَتِ الخيامُ للنُّزول للوُضُوء والصَّلاة، وتنوَّعَ النَّاسُ في تَبْديل العُدَد والآلات وتَفَاخَروا وتَكاثَروا. فكانت هذه الأيَّام من الأيَّام المشهودة.

ولم يبق أَحَدٌ من أبناء الملوك، ولا وَزيرٌ، ولا أميرٌ كبيرٌ ولا صَغيرٌ، ولا مفردي، ولا مُقَدَّمٌ من مُقَدَّمي الحَلْقَة، ومقدَّمي البَحْرية الصَّالِحِيَّة، ومُقَدَّمي/ المماليك الظَّاهِرية البَحْرية، ولا صاحِبُ شُغْلٍ، ولا حامِلُ عَصًا في خِدْمَة السُّلْطان على بابِه، ولا حامِلُ طَيْرٍ في رِكاب السُّلْطان، ولا أَحَدٌ من خَواصِّ كُتَّاب السُّلْطان، إلَّا وشَرَّفَه [b] بما يَليق به على قَدْرِ مَنْصِبه. ثم تَعَدَّى إحْسَانُ السُّلْطان لقُضَاة الإسْلام والأئِمَّة وشُهود خِزانَة السُّلْطان، فشرَّفَهم جَميعَهم، ثم الوُلاة كلَّهم [1].

١٢:٢

وأَصْبَحُوا بُكْرَة يوم الأحَد، ثامِن عشر شهر رَمَضان، لابِسين الخِلَع، جَميعهم في أَحْسَن صُورَة وأَبْهَجِ زِيٍّ وأَبْهَى شَكْلٍ وأجمل زِينَة، بالكَلُّوتات الزَّرْكَش بالذَّهَب والملابِس التي ما سُمِعَ بأنَّ أَحَدًا جادَ بمثلها، وهي أُلوف. وخَدَمَ النَّاسُ جَميعُهم، وقَبَّلوا الأرض وعليهم الخِلَع، ورَكِبوا ولَعِبُوا نهارَهم على العادَة، والأمْوالُ تُفَرَّق والأسْمِطَةُ تُعَبَّأُ والصَّدقاتُ تُنْفَق والرِّقابُ تُعْتَق.

وما زالَ إلى أن أَهَلَّ هِلالُ شَوَّال، فقامَ النَّاسُ وطَلَعُوا للهَنَاء، فجَلَسَ لهم وعليهم خِلَعُه. ثم رَكِبَ يومَ العيد إلى مُصَلَّاه في خَيْمَة بشِعارِ السَّلْطَنَة وأُبَّهة المُلْك، فصَلَّى. ثم طَلَعَ قَلْعَةَ الجَبَلِ، وجَلَسَ على الأَسْمِطَة - وكان الاحْتِفالُ بها كبيرًا - وأَكَلَ النَّاسُ، ثم انْتَهَبَه الفُقَرَاءُ. وقامَ إلى مَقَرّ

---

a) بولاق: ومزاحمة. b) بولاق: شرف. c) بولاق: نصف.

---

[1] قارن مع المقريزي: السلوك ١:٦١١-٦١٢.

سُلْطانه بالقُبَّة السَّعيدَة ، وقد عُلِّقَت وفُرِشَت بأنْواعِ السُّتُور والكَلَل والفَرْش . وكان قد تقدَّم إلى الأُمَرَاء بإحْضَار أوْلادِهم ، فأحْضِروا وخَلَعَ عليهم الخِلَع المُفَصَّلَة على قَدْرِهم . فلمَّا كان هذا اليوم أُحْضِروا ، وخُتِنُوا بأجْمَعِهم بين يديِ السُّلْطان ، وأُخْرِجوا فحُمِلُوا في المَحَفَّات إلى بُيوتهم ، وعَمَّ الهَنَاءُ كلَّ دارٍ . ثم أُحْضِر الأميرُ نَجْمُ الدِّين خِضْر وَلَد السُّلْطان فخُتِن ، ورَمَى النَّاسَ[a] جملةً من الأمْوال ، اجْتَمَعَ منها خِزانَةُ مُلْكٍ كبير ، فُرِّقَت على من باشَر الخِتان من الحُكَماء والمُزَيِّنين وغيرهم . ٥

وانْقَضَت هذه الأيَّامُ ، وجَرَى السُّلْطانُ فيها على عادَتِه في كَوْنه[b] لم يُكَلِّف أحَدًا من خَلْق الله تعالى بهَدِيَّةٍ يُهْدِيها ولا تُحْفَة يُتْحِفه بها في مثل هذه المَسَرَّة ، كما جَرَت عادَةُ من تقدَّمه من الملوك . ولم يَبْق من لا شَمِلَه إحْسَانُه غير أرْباب الملاهي والمغاني[c]، فإنَّه كان في أيَّامه لم تَنْفُق لهم سِلَعٌ ألبتَّة[d] [1]. ١٠

ومِمَّن لَعِبَ بهذا المَيْدان القَبَق السُّلْطانُ الملكُ الأَشْرَفُ خَليلُ بن قَلاوون ، وعَمِلَ فيه المُهِمّ المشهور[e] الذي لم يُعْمَل في دَوْلَة مُلُوك التُّرْك[f] بمصر مثله . وذلك أنَّ خَوَنْد أرْدوتْكين ابنة نُوكْيَة ـ ويقال نُوغْيَة ـ السِّلِحْدارية[2] اشْتَمَلَت من السُّلْطان الملك الأَشْرَف على حَمْلٍ ، فظَنَّ أنَّها تَلِدُ ابْنًا ذَكَرًا يَرِثُ المُلْكَ من بعده . فأخَذَ عندما قارَبت الوَضْع في الاحْتِفال[g]، ورَسَمَ لوَزيره الصَّاحِب شَمْس الدِّين محمد بن السَّلْعُوس أن يكتب إلى دِمَشْق بعَمَل مائة شَمْعدان نُحَاس مُكَفَّت بألْقاب السُّلْطان ، ومائة شَمْعدان أُخَر ـ منها خمسون من ذَهَب وخمسون من فِضَّة ـ وخمسين سَرْجًا من شُروج الزَّرْكَش ، ومائة وخمسين سَرْجًا من المُخَيَّش ، وألف شَمْعَة ، وأشياء كثيرة غير ذلك[h]. فقدَّر الله تعالى أنَّها وَلَدَت بنتًا أنثى[e]، فانْقَبَضَ لذلك ، وكَرِه إبْطال ما قد اشْتُهِر عنه عَمَلُه [i]فيعيب النَّاسُ عليه ذلك[i]. فأظْهَر أنَّه يُريدُ خِتان أخيه محمد وابن أخيه مُظَفَّر الدِّين مُوسَىٰ ابن الملك الصَّالِح عليّ بن قَلاوون ، فرَسَمَ لنَقيب الجَيْش [j] والحُجَّاب بإعْلام الأُمَرَاء ١٥ ٢٠

---

a) بولاق : للناس . b) بولاق : كما كان من كونه . c) بولاق : الأغاني . d) بولاق : لم يتفق لهم مبلغ البتة ، وعلى الهامش هنا : بياض سطر . e) إضافة من مسودة الخطط . f) مسودة الخطط : الدولة التركية . g) مسودة الخطط : فلما قاربت الوضع أخذ في الاحتفال لذلك . h) مسودة الخطط : من هذه النسبة . i-i) إضافة من مسودة الخطط . j) بياض في المسودة .

---

[1] المقريزي : السلوك ١ : ٦١٢.

[2] انظر عنها فيما تقدم ١٦٤.

والعَسْكَر أن يلبسوا جميعُهم[a] آلَة الحَرْب من السِّلاح الكامِل هم وخُيولهم ، ويَصيروا بأجْمَعهم في المَيْدان الأَسْوَد خارج باب النَّصْر . فاهتمَّ الأُمَرَاءُ والعَسْكَرُ اهتمامًا كبيرًا لذلك ، وأَخَذوا في تَحْسين العُدَد ، وبالَغوا في التأنُّق ، وتنافَسُوا في إِظْهار التَّجَمُّل الزَّائِد . [b]فلمَّا كان في اليوم الرَّابع خَرَجَت السُّوقَة وكثيرٌ من الباعَة فنَصَبُوا صَواوينَ وأخْصَاصًا تحتوي على سائر البُقُول والمآكِل حتى صارَ سُوقًا عَظيمًا[b].

ونَزَلَ السُّلْطانُ من قَلْعَة الجَبَل في يوم [c] بعَسَاكِره وعليهم لأْمَةُ الحَرْب ، وقد خَرَج سائِرُ مَنْ في القاهِرَة ومصر من الرِّجال والنِّساء ، إلَّا مَنْ خَلَّفَه العُذْر ، لرؤية السُّلْطان . فأقامَ السُّلْطانُ يومَه ، وحَصَلَ في ذلك اليوم للنَّاس بهذا الاجْتِماع من السُّرُور ما يَعِزُّ وجُود مثله .

وأصبح السُّلْطانُ وقد استعدَّ العَسْكَرُ بأجمعه لرَمْي القَبَق ، ورُسِمَ للحُجَّاب بألَّا يَمْنَعُوا أحَدًا من الجُنْد ولا من المماليك ولا من غيرهم من الرَّمْي ، ورُسِمَ للأمير بَيْسَري والأمير بَدْر الدِّين بَكْتاش الفَخْري أمير سِلاح أن يتقدَّما النَّاس في الرَّمْي . فاستقبل الأميرُ بَيْسَري القَبَق وتحته سَرْجٌ قد صُنِعَ قَرَبُوسُه الذي من خلفه وَطِيئًا ، فصارَ مُسْتَلقِيًا على قَفَاه وهو يرْمي ويُصيب يَمْنَةً ويَسْرَةً ، والنَّاسُ بأَسْرهم قد اجْتَمَعُوا للنَّظَر حتى ضاقَ بهم الفَضَاءُ[d].

فلمَّا فَرَغَ دَخَلَ أميرُ سِلاح من بعده ، وتَلاه الأُمَرَاءُ على قَدْر مَنازِلِهم واحِدًا واحِدًا فرَمَوْا ، ثم دَخَلَ بعد الأُمَرَاء مُقَدَّمو الحَلْقَة ، ثم الأجْنَاد ـ والسُّلْطانُ يُعْجَب برَمْيهم ، وتَزايَد سُرورُه ـ حتى فَرَغ الرَّمْيُ فعادَ إلى مخيَّمه ، ودار السُّقاةُ على الأُمَرَاء بأواني الذَّهَب والفِضَّة والبَلُّور يسقون السُّكَّر المُذاب ، وشَرِبَ الأجنادُ من أحْواضٍ قد مُلِئت من ذلك ـ وكانت عِدَّتُها مائة حَوْض ـ فشَرِبوا ولَهوا ، واستمرُّوا على ذلك يومين .

وفي اليوم الثَّالِث رَكِبَ السُّلْطانُ ، واستدعى الأمير بَيْسَري وأَمَرَه بالرَّمْي . فسأل السُّلْطانَ أن يَعْفيه من الرَّمْي ، ويَمُنُّ عليه بالتفرُّج في رَمْي النُّشَّاب من شباب[e] الأُمَرَاء وغيرهم ، فأعْفاه .

---

a) بولاق : كلهم والمثبت من المسودة . b-b) المثبت من مسودة الخطط ، والنص في سائر النسخ جاء محرَّفًا وهو : وخرج في اليوم الرابع من أعلام الأمراء ، السوقة ونصبوا عدَّة صواوين فيها سائر البقول والمآكل ، فصار بالميدان سوق عظيم! c) في يوم ساقطة من بولاق ، والبياض في آياصوفيا وباريس . d) نص مسودة الخطط : وكان الأمير بَيْسَري قد اسْتَعَدَّ لذلك وعَمِلَ سَرْجًا قَرَبوسُه الوَرَاني وطيء بحيث إذا نامَ لا يُؤلمه فاسْتَقْبَل القَبَق وهو نائمٌ على قَفَاه قوس وأصاب ، ثم عاوَدَ الرَّمي على يساره فأصابه . e) إضافة من مسودة الخطط .

ووَقَفَ مع السُّلْطان في منزلته؛ وتقدَّم طغج وعَيْنُ الغَزّال وأمير عُمَر وكَيْكَلْدي وقَشْتُمُر العَجَمي وبَرْلَغي وأَغْناق الحُسامي وبَكْتوت، ونَحْو الخمسين/ من أُمَرَاء السُّلْطان الشُّبّان الذين أنشأهم من خاصَّكِيته، وعليهم تَتَريّات حَرير أَطْلَس بِطَرازات زَرْكَش، وكَلُّوتات زَرْكَش وحَوائِص ذَهَب ـ وكانوا من الجَمَال البارِع بحيث يُذْهِل حُسْنُهم النّاظر، ويُدْهِش جَمالُهم الخاطِر ـ فتعاظَمَت مَسَرَّةُ السُّلْطان برؤيتهم، وكَثُرَ إعْجَابُه، وداخَلَه العُجْب، واستخفَّه الطَّرَب. وارتجَّت الدُّنْيا بكثرة من حَضَرَ هناك من أرْباب الملاهي والمغاني[a] وأصْحاب الملْعوب.

فلمّا انْقَضَى اللَّعِبُ عادَ السُّلْطانُ إلى دِهْليزه في زينته، ومَرِحَ في مَشْيته تيهًا وصَلَفًا. فما هو إلّا أن عَبَرَ الدِّهْليز، والنّاسُ من الطَّرَب والسُّرور في أحْسَن شيءٍ يَقَعُ في العالَم، وإذا بالجوِّ قد أَظْلَم، وثارَ ريحٌ عاصِفٌ أسْوَدُ إلى أن طَبَقَ الأرْضَ والسَّماء، وقَلَعَ سائِرَ تلك الخِيَم، وألقى الدِّهْليز السُّلْطاني، وتَزايَدَ حتى إنَّ الرَّجُلَ لا يَرَى من بجانبه. فاخْتَلَطَ النّاسُ وماجُوا، ولم يُعْرَف الأميرُ من الحَقير، وأقبلتِ السُّوقَةُ والعامَّةُ تَنْهب، ورَكِبَ السُّلْطانُ يُريد النَّجاة بنفسه إلى القَلْعَة، وتلاحَقَ العَسْكَرُ به، واختلفوا في الطُّرُق لشِدَّة الهَوْل، فلم يَعْبُر إلى القَلْعَة حتى أَشْرَف على التَّلَف. وحَصَلَ في هذا اليوم من نَهْب الأمْوال وانْتِهاك الحُرَم والنِّساء ما لا يمكن وَصْفُه، وما ظَنَّ كلُّ أحَدٍ إلّا أنَّ السّاعَةَ قد قامَت. فتنغَّصَ سُرورُ النّاس، وذَهَبَ ما كان هناك. وما استقرَّ السُّلْطانُ بالقَلْعَة حتى سَكَنَ الرِّيحُ، وظَهَرَت الشَّمْسُ، وكأنَّ ما كان لم يَكُن.

فأَصْبَحَ السُّلْطانُ وطَلَبَ أرْباب الملاهي بأجمعهم، وحَضَرَ الأُمَراءُ لختان أخيه وابن أخيه، وعُمِلَ مُهِمّ عَظيم في القاعَة التي أنشأها بالقَلْعَة وعُرِفَت بالأشْرَفِيَّة. وقد ذُكِرَ خَبَرُ هذا المهمّ عند ذِكْر القَلْعَة من هذا الكتاب[1].

وما بَرِحَ هذا الميْدانُ فَضَاءً من قَلْعَة الجَبَلِ إلى قُبَّة النَّصْر ليس فيه بُنْيانٌ، وللمُلوك فيه من الأعْمَال ما تقدَّم ذكره إلى أن كانت سَلْطَنَةُ الملك النّاصِر محمد بن قَلاوون؛ فتَرَكَ النُّزولَ إليه، وبنى مَسْطَبَةً برَسْم طَعْم طُيور الصَّيْد بالقُرْب من بِرْكَة الحَبَش، وصارَ ينزل هنالك. ثم تَرَكَ تلك المَسْطَبَة في سنة عشرين وسبع مائة، وعادَ إلى مَيْدان القَبَق هذا ورَكِبَ إليه على عادَة من تقدَّمه

---

a) بولاق: الأغاني.

---

[1] فيما يلي ٦٧٦- ٦٧٨.

من الملوك ، إلى أن بُنِيَت فيه التُّرَبُ شيئًا بعد شيءٍ حتى انْسَدَّت طَرِيقُه ، واتَّصَلَتِ المباني من مَيْدان القَبَق إلى تُرْبَة الرَّوْضَة خارج باب البَرْقِيَّة . وبَطَلَ السِّباق منه ورَمْي القَبَق فيه من آخِر أيَّام الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون ، كما ذُكِرَ عند ذِكْر المَقابِر من هذا الكِتاب [1] .

وأنا أدْرَكْتُ عَواميدَ من رُخام قائِمَة بهذا الفَضَاء تُعْرَف بين النَّاس بعَواميد السِّباق ، بين كلِّ عَمُودَيْن مَسافَةٌ بعيدةٌ ، وما بَرِحَت قائِمةً هنالك إلى ما بعد سنة ثمانين وسبع مائة ، فهُدِمَت عندما عَمَّرَ الأميرُ يُونُس الدَّوَادار الظَّاهِري تُرْبَتَه تِجاه قُبَّة النَّصْر ، ثم عَمَّرَ أيضًا الأمير قِجْمَاس ـ ابن عَمِّ الملك الظَّاهِر بَرْقوق ـ تُرْبَةً هناك ، وتتابَع النَّاسُ في البُنْيان إلى أن صارَ كما هو الآن . والله أَعْلَم .

ذِكْرُ بَرِّ الخَلِيج الغَرْبي

قد تقدَّم أنَّ هذا الخَلِيجَ حُفِرَ قبل الإسْلام بدَهْرٍ ، وأنَّ عَمْرو بن العَاص ـ رضي الله عنه ـ جَدَّدَ حَفْرَه في عام الرَّمادَة بإشارَة أمير المؤمنين عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ حتى صَبَّ ماءُ النِّيل في بَحْر القُلْزُم ، وجَرَت فيه السُّفُنُ بالغِلال وغيرها حتى عَبَرَت منه إلى البَحْر المِلْح ، وأنَّه ما بَرِحَ على ذلك إلى سنة خمسين ومائة فطُمَّ ، ولم يَبْق منه إلَّا ما هو مَوْجُودٌ الآن . إلَّا أنَّ فَمَ هذا الخَلِيج ، الذي يَصُبُّ فيه الماءُ من بحر النِّيل ، لم يكن عند حَفْره هذا الفَمُ الموجود الآن . ولستُ أدْري أين كان فَمُه عند ابتداء حَفْره في الجاهِلِيَّة ، فإنَّ مصر فُتِحَت وماءُ النِّيل عند المَوْضِع الذي فيه الآن جامِع عَمْرو بن العَاص بمصر ، وجَميعُ ما بين الجامِع وساحِل النِّيل الآن انْحَسَر عنه الماءُ بعد الفَتْح .

وآخِر ما كان ساحِلُ مصر من عند سُوق المَعاريج الذي هو الآن بمصر إلى تِجاه الكَبْش من غربيه . وجَميعُ ما هو الآن مَوْجُودٌ من الأرض ، التي فيما بين خُطِّ السَّبْعِ سِقايات إلى سُوق

---

[1] فيما يلي ٢: ٤٦٣- ٤٦٤.
وقد انتقل مكان لعب القَبَق في العهد العثماني شمالاً عند جامع الملك العادل ، وأضاف ابن أبي السرور البكري : «ولم يَزَل يُعْمَل القَبَق في ثاني يوم كلّ عيد في زَمَن الدَّوْلَة العثمانية ، فيركب وَزيرُ مصر إليه في ثاني يوم العيد وتركب معه جَميعُ الأُمَرَاء ويجلس على المَصْطَبَة التي بجانب جامع الملك العادل ، وتلعب الرُّماةُ قُدَّامَه ويُظْهرون جميع أنواع الفُرُوسِيَّة ويَضْربون الطَّاسَة التي فَوْق الصَّواري . وكلُّ من أصابه أُخْلِعَ عليه قُفْطانًا ، ويستمرّ إلى وقت الضُّحَى ثم يعود من قَصَبَة مصر بمَوْكِب عَظيم وقدَّامه الذين أصابوا القَبَق بخِلَعِهم ، إلى أن أَبْطَلَه الوَزيرُ محمد باشا في سنة عشر وألف» . (قطف الأزهار ١٩٥ب) .

المعاريج ، انْحَسَرَ عنه الماءُ شيئًا بعد شيءٍ وغُرِسَ بَساتين ؛ فعَمِلَ عبدُ العَزيز بن مَرْوان أَميرُ مصر قَنْطَرَةً على فَمِ هذا الخَليج في سنة تسعٍ وستين من الهجرة ، بأوّله عند سَاحِل الحَمْراء ، لِيُتَوَصَّل من فَوْق هذه القَنْطَرَة إلى جِنان الزُّهْري الآتي ذكرها إن شاءَ الله . ومَوْضِعُ هذه القَنْطَرَة بداخِل حِكْر آقْبُغا المجاوِر لخُطِّ السَّبْع سِقايات [١].

٥ وما بَرِحَت هذه القَنْطَرَةُ عندها السَّدُّ الذي يُفْتَح عند الوَفَاء إلى ما بعد الخمس مائة من الهجرة ، فانْحَسَرَ ماءُ النِّيل عن أَرْضٍ [a]، وغُرِسَت بَساتين . فعَمِلَ الملكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّين أَيُّوب ابن الكامِل محمد بن العادِل أبي بكر بن أيُّوب بن شاذي هذه القَنْطَرَة ـ التي تُعْرَف اليوم بقَنْطَرَة السَّدّ ـ خارج مصر ، لِيُتَوَصَّل من فَوْقِها إلى بُسْتان الخَشَّاب ، وزِيدَ في طول الخَليج ما بين قَنْطَرَة السِّباع الآن وبين قَنْطَرَة السَّدِّ المذكورة ، وصارَ ما في شَرْقيه ـ مِمَّا انْحَسَرَ عنه الماءُ ـ بُسْتانًا عُرِفَ بجِنَان الحارَة [b]، وما في غربيه يُعْرَف ببُسْتان المَحَلّي [٢]. ١٠

وكان بطَرَف خُطِّ السَّبْع سِقايات كَنيسَةُ الحَمْراء ، وعِدَّةُ كنائِس أُخَر ، بعضها الآن بحِكْر آقْبُغا تُعْرَف بزاوية الشَّيْخ يُوسُف العَجَمي ، لسُكْناه بها/ عندما هُدِمَت بعد سنة عشرين وسبع مائة . ١١٤

وما بَرِحَت هذه البَساتينُ موجودةً إلى أن استَوْلى عليها الأميرُ آقْبُغا عبد الواحِد ، أُسْتادَّار الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون ، وقَلَعَ أَنْشَابَها [c]، وأَذِنَ للنَّاس في عِمارَتها . فحَكَرَها النَّاسُ ، وبَنَوْا فيها الآدُرَ وغيرها ، فعُرِفَت بحِكْر آقْبُغا . ١٥

وبأوّل هذا الخَليج الآن من غربيه مُنْشَأَةُ المَهْراني ـ وقد تقَدَّم خبَرُها في هذا الكِتاب عند ذكر مَدينَة مصر [٣] ـ ويُجاوِر مُنْشَأَة المَهْراني بُسْتانُ الخَشَّاب ، وبعضه الآن يُعْرَف بالمَرِيس ، وبعضُه عَمِلَه الملكُ النَّاصِر محمد بن قَلاوون مَيْدانًا يُشْرِف على النِّيل من غَرْبِيه . ويُعْرَف سَاحِلُ النِّيل هناك بمَوْرَدَة الجِبْس ، كما ذُكِرَ عند ذِكْر الميادين في هذا الكِتاب [٤]، ويُجاوِر بُسْتانَ الخَشَّاب جِنَانُ الزُّهْري . ٢٠

وهذه المواضِعُ التي ذُكِرَت كُلُّها مِمَّا انْحَسَرَ عنه النِّيل ما خَلا جِنانَ الزُّهْري فإنَّها من قَبْل ذلك . وستَقِف على خَبَرِها وخَبَرِ ما يُجاوِرُها من الأَحْكَار إن شاءَ الله تعالى .

---

a) بولاق : الأرض . b) بولاق : بستان الحارة . c) بولاق : أخشابها .

---

[١] فيما يلي ٣٨٤- ٣٨٥. [٢] فيما يلي ٣٨٥. [٣] فيما تقدم ٢: ١٥٦. [٤] فيما يلي ٦٣٥.

ذِكْرُ الأحْكار التي في غَرْبي الخَليج

قال ابنُ سِيدَه : الاحْتِكَارُ جَمْعُ الطَّعام ونحوِه مِمَّا يُؤْكَل واحْتِباسُه انتظارَ وَقْتِ الغَلاء به . والحُكْرَة والحَكَرُ جَميعًا : ما احْتُكِرَ . وحَكَرَه يَحْكِرُه حَكْرًا : ظَلَمَه وتنقَّصَه وأساءَ مُعاشَرَتَه [1]. انتهى .

فالتَّحْكير على هذا : المَنْع ، فقَوْلُ أهْل مصر : حَكَرَ فُلانٌ أرْضَ فُلانٍ ، يَعْنون : مَنَعَ غَيْرَهُ من البِناءِ عليها . ٥

حِكْرُ الزُّهْري

هذا الحِكْرُ يَدْخُلُ فيه جَميعُ بَرّ ابن التَّبَّان الآتي ذكره إن شاءَ الله [2]، وشَقُّ الثُّعْبَان ، وبَطْنُ البَقَرة ، وسُوَيْقَةُ القَيْمَري ، وسُوَيْقَةُ صَفِيَّة ، وبِرْكَةُ الشُّقَاف ، وبِرْكَةُ السَّبَّاعين ، وقَنْطَرَةُ الخَرْق ، وحَدْرَةُ المُرَادَنيين ، وحِكْرُ الحَلَبي ، وحِكْرُ البَواشِقي ، وحِكْرُ كُرْجي ، وما بجانبه إلى قَناطِر السِّباع ، ومَيْدان المهاريّ إلى المَيْدان الكبير السُّلْطاني بمَوْرَدَة الجِبْس . وكان هذا قَديمًا يُعْرَف ١٠ بجنان الزُّهْري ، ثم عُرِفَ ببُسْتان الزُّهْري [3].

(a)والزُّهْري المَنْسوب إليه هذا الحِكْر هو عبد الوَهَّابُ بن مُوسَىٰ ين عبد العَزيز بن عُمَر ابن عبد الرَّحْمـٰنَ بن عَوْف الزُّهْري ، يكنى أبا العَبَّاس يروي عن مالِك بن أنَس ورَوَى عنه سعيد بن عُفَيْر ، توفي في شهر رَمَضان سنة عشر ومائتين(a) [4].

١٥ قال أبو سَعيد عبد الرَّحْمـٰن بن أحمد بن يُونُس في «تاريخ الغُرَباء» : عبد الوهَّابُ بن مُوسَىٰ بن عبد العَزيز بن عُمَر بن عبد الرَّحْمـٰن بن عَوْف الزُّهْري ، يكنى أبا العَبَّاس ، وأمُّه أم عُثْمان بنت

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط .

---

[1] ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ٣: ٢٧.

ويُعَرِّف ابنُ مَمَّاتي الأحْكار بأنَّها «أُجْرَة مُقرَّرَة عن ساحاتٍ كانت في أحكارها دائرة ، وفيها ما عُمِّر مَساكن وما يجري مجراها ، ومنها ما أُنشئ بساتين وما هو في معناها ، واقتضت الحال استمرارها بأيدي أرْبابها بعد انقضاء مُدَّة إجارتها وأخْذهم بالقيام بالأجرة المقرَّرة عنها (قوانين الدواوين ٣٤٢) ؛ وانظر أيضًا Baer, G., EI^2 art. Hikr Suppl. pp. 368-70.

[2] فيما يلي ٣٨٠.

[3] المقريزي : مسودة الخطط ٥٣و ومصدره فيها ابن عبد الظَّاهر .

[4] نفسه ٥٣و .

عُثْمان بن العَبَّاس بن الوَليد بن عبد الملك بن مَرْوان . مَدَني قَدِمَ مصر ووَلِيَ الشُّرَط بفُسْطاط مصر ، وحَدَّث ؛ يَرْوي عن مالِك بن أَنَس وسُفْيان بن عُيَيْنَة . رَوَى عنه من أَهْل مصر أَصْبَغ بن الفَرَج ، وسَعيدُ بن أبي مَرْيَم ، وعُثْمان بن صَالِح ، وسَعيدُ بن عُفَيْر وغيرهم .

وهو صاحِبُ الجِنان التي بالقَنْطَرَة ـ قَنْطَرَة عبد العَزيز بن مَرْوان ـ تُعْرَف بجِنان الزُّهْري ، وهو حَبْسٌ على وَلَدِه إلى اليوم . وكان كِتابُ حَبْس الجِنان عند جَدّي يونُس بن عبد الأَعْلَى وَديعَةً عليه مكتوبٌ «وَدِيعَةُ لوَلَد ابن العَبَّاس الزُّهْري ، لا يُدْفَع لأحدٍ إلَّا أن يُغْري به سُلْطان» . الكِتاب عندي إلى الآن . توفي عبد الوَهَّاب بن مُوسَىٰ بمصر في رَمَضان سنة عشرة ومائتين [1] .

وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن سَلامَة بن جَعْفَر القُضاعِيّ في كِتاب «المُخْتار في ذِكْر[a] الخِطط والآثار» : حَبْس الزُّهْري هو الجِنان التي عند القَنْطَرَة بالحَمْراء ، وهو عبد الوَهَّاب بن مُوسَىٰ ابن عبد العَزيز الزُّهْري ، قَدِمَ مصر ووَلِيَ الشُّرَط بها . والجِنانُ حَبْسٌ على وَلَدِه .

وقال القاضي تاجُ الدِّين محمد بن عبد الوهَّاب بن المُتَوَّج في كتاب «إيقاظ المُتَغَفِّل واتِّعاظ المتأمِّل» : حَبْسُ الزُّهْري ... فذَكَرَه ، ثم قال : وهذا الحَبْسُ أكثره الآن أحْكارٌ ما بين بِرْكَة الشُّقَّاف وخَليج شَقِّ الثُّعْبان ، وقد اسْتَوْلَى وكيلُ بَيْت المال على بعضه ، وباعَ من أَرْضِه وأَجَّرَ منها ، واجتمع هو ومُحَبِّسه بين يدي الله عَزَّ وجَلَّ . انتهى .

[c]قال كاتِبُه : القَنْطَرَةُ التي ذُكِرَت هنا كانت قَديمًا في الموضع الذي يُعْرَف الآن بحِكْر الخَليلي عند السَّبْع سِقايات[c] [2] .

ولمَّا طال الأَمَدُ صارَ للزُّهْريّ عِدَّةُ بَساتين : منها بُسْتانُ أبي اليَمان ، وبُسْتانُ السَّرَّاج ، وبُسْتانُ الحَبَّانية ، وبُسْتان عَزَّاز ، وبُسْتانُ تاج الدَّوْلَة قايْماز ، وبُسْتان الفَرْغاني ، وبُسْتانُ [c]الطَّيْلَسان ويُعْرَف قبل ذلك[c] بأرْض الطَّيْلَسان ، وبُسْتانُ البَطْرَك ، وغِيط الكُرْدي ، وغِيط الصَّفَّار . ثم عُرِفَ بِبِرّ ابن الثَّبَّان بعد ذلك [3] .

---

a) بولاق والنسخ : معرفة . b) بولاق : قيماز . c-c) إضافة من مسودة الخطط .

---

[1] ابن يونس : تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ الغرباء) ١٣٨ - ١٣٩؛ المقريزي : مسودة الخطط ٥٣و .

[2] المقريزي : مسودة الخطط ٥٣و ، وفيما يلي ٣٨١ .

[3] نفسه ٥٢و .

قال القاضي مُحيي الدِّين عبد الله بنُ عبد الظَّاهِر في كتاب «الرَّوْضَة البَهِيَّة الزَّاهِرَة في خِطَط المُعِزِّيَّة القاهِرَة» : شاطئ الخَليج المعروف ببَرّ ابن[a] التَّبَّان : ابنُ التَّبَّـــان المذكور هو رَئيسُ المراكِب في الدَّوْلَة المصرية ، وكان له قَدْرٌ وأُبَّهَةٌ في الأيَّام الآمِرِيَّة وغيرها . ولمَّا كان في الأيَّام الآمِرِيَّة ، تقَدَّم إلى النَّاس بالعِمارَة قُبالَة الحَرْقِ غربي الخَليج . فأوَّل من ابتدأ وعَمَّر الرَّئيسُ ابن التَّبَّان ، فإنَّه أنشأ

٥ مَسْجِدًا وبُسْتانًا ودارًا ، فعُرِفَت تلك الخِطَّة[b] به إلى الآن . ثم بَنَى سَعْدُ الدَّوْلَة والي القاهِرَة ، وناهِضُ الدَّوْلَة عليّ ، وعَدِيُّ الدَّوْلَة أبو البَرَكات محمد بن عُثْمان ، وجَماعَةٌ من فَرّاشي الخاصّ . واتَّصَلَتِ العِمارَةُ بالآجُرِّ والسُّقوف النَّقِيَّة والأبْواب المَنْظومة ، من باب البُسْتان المعروف بالعِدَّة على شاطئ الخَليج الغربي ، إلى البُسْتان المعروف بأبي اليُمْن .

ثم ابتنى جَماعَةٌ غيرُهم مِمَّن يرغب في الأُجْرَة والفُرْجَة ، على التُّراع التي تَتَصَرَّف من

١٠ الخَليج إلى الزُّهْري والبَساتين ، من المنازِل والدَّكاكين شيئًا كثيرًا ، وهي النَّاحِيَة المعروفة الآن بشَقِّ الثُّعْبان وسُوَيْقَة القَيْمَري ، إلى أن وَصَلَ البناءُ إلى قُبالَة البُسْتان المعروف بنُور الدَّوْلَة الرِّيفي[c]. وهذا البُسْتانُ/ معروف في هذا الوقت بالخِطَّة المذكورة ، وهو مُتلاشي الحال بسبب مُلوحَة بِئْره . ١١٥:٢

وبُسْتانُ نُور الدَّوْلَة هو الآن المَيْدان الظَّاهِري والمَناظِر به[1] ، وتفرَّقَت الشَّوارِعُ والطُّرُق ،

١٥ وسُكِنَت الدَّكاكينُ والدُّور ، وكَثُرَ المتردِّدون إليه والمَعاشُ فيه إلى أن استَناب والي القاهِرَة بها نائبًا عنه . ثم تَلاشَت تلك الأحْوالُ ، وتغيَّرت إلى أن صارَت أطْلالاً ، وعَفَت تلك الآثار . ثم بعد ذلك حُكر آدُرًا وبساتين ، وبُنِيَ على غير تلك الصِّفَة المقدَّم ذكرها ، وبُني على ما هو عليه .

ثم حُكِرَ بُسْتانُ الزُّهْري آدُرًا ، ولم يَبْق منه إلَّا قطعةٌ كبيرةٌ بُسْتانًا ، وهو الآن أحْكارٌ تُعْرَف بالزُّهْري ، ويُعْرَف البَرُّ جميعُه ببَرّ ابن التَّبَّان إلى هذا الوَقْت ، وولايته تُعْرَف بولاية الحِكْر . وبُني به

٢٠ حَمَّامُ الشَّيْخ نَجْم الدِّين بن الرِّفْعَة ، وحَمَّامٌ تُعْرَف بالقَيْمَري ، وحَمَّامٌ تُعْرَف بحَمَّام الدَّايَة على شاطئ الخَليج[2]. انتهى .

---

a) ساقطة من بولاق. b) الروضة : عرف ذلك الخط. c) بولاق : الربعي.

---

[1] فيما يلي ٦٢٨. المقريزي : مسودة الخطط ٥٢و-ظ . ولم يُفرد المَقريزي هذه

[2] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٢٦-١٢٧؛ الحمامات بمداخل مستقلة .

(aقال المؤلِّف: وَقَفْتُ على كِتاب إقْرار زكيّ الدِّين عبد الكريم بن عبد الرَّحمن بن سَيِّد الأهْل بن حَيْدَرَة المعروف جَدُّه بالزُّهْري، يوقِفُ الحِصَّة التي مبلغُها كذا من جميع البُسْتانَيْن اللذين خُلِطا وجُعِلا بُسْتانًا واحدًا وزالت أنشابهما، وحُكِرَ آدر تُعْرَف بالزُّهْري وبِرْكة مضافة لذلك تُعْرَف ببِرْكة الشُّقَّاف، وذَكَر حُدودَه وهو مُؤَرَّخ بسنة ثلاثٍ وعشرين وستّ مائة.

قال [ابنُ عبد الظَّاهِر][b]: وهذه الحُدود التي ذُكِرَت في هذا الكتاب هي الحُدود القديمة، وهي لا يعرفها أكثرُ النَّاس لأنَّ المعالمَ القَديمَة قد تَغَيَّرَت والأَسماءَ أيضًا قد جُهِلَت واستجدَّ النَّاسُ أسماءَ غيرها، وها أنا أثبتها إن شاءَ الله[a].

وبُسْتانُ أبي اليُمْن[c] يُعْرَف اليوم مَكانُه بحِكْر آقْبُغا، وفيه جامِعُ السِّتّ مِسْكَة وسُوَيْقَة السَّبَّاعين [1]. (aوأمَّا «الكُوم» فهو هذا الكُوم المعروف بالجِسْر المسلوك من قَنْطَرَة الخَرْق إلى اللُّوق. و«مَوْرَدَة السَّقَّائين» هي مكان قَنْطَرَة الخَرْق الآن واستجدَّها الملكُ الصَّالِحُ نَجْم الدِّين أيُّوب بن الكامل؛ وأمَّا الطَّريقُ الفاصِلَة فهي الطَّريق المسلوكة من باب اللُّوق وجامع الطَّبَّاخ إلى سُوَيْقَة صَلاح الدِّين والمَيْدان الكبير السُّلْطاني وميدان المهارىٰ وقَنْطَرَة السِّباع وغير ذلك[a]. وبُسْتانُ السَّرَّاج في أرْض باب اللُّوق يُعْرَف موضعه الآن بحِكْر الخَلِيلي. ويأتي ذكرهما إن شاءَ الله تعالى [2].

(aقال [ابنُ عبد الظَّاهِر][b]: ورأيتُ في بعض كُتُب الأمْلاك القَديمَة أنَّ حِكْرَ الزُّهْري هذا يَعْرَف قَديمًا ببُسْتان عَزَّاز، وفي بعضها أنَّه يُعْرَف ببُسْتان تاج الدَّوْلَة، ويُعْرَف ببُسْتان قايماز أيضًا[a].

وقَيْماز هو تاجُ الدَّوْلَة، صِهْرُ الأمير بَهْرام الأَرْمَنيّ وَزير الخَلِيفَة الحافِظ لدين الله، وقُتِلَ عند دُخول الصَّالِح طَلائِع بن رُزِّيك إلى القاهرة في سنة تسعٍ وأربعين وخمس مائة. وعَزَّاز هو غُلام الوَزير شاوَر بن مُجير السَّعْدي وزير الخَلِيفَة العاضِد لدين الله [3].

حِكْرُ الخَلِيلي

هذا الحِكْرُ هو الخُطُّ الذي بقُرْب سُوَيْقَة السَّبَّاعين وجامِع السِّتّ مِسْكَة، وهو بجوار حِكْر

a-a) إضافة من مسودة الخطط. b) إضافة للتوضيح. c) بولاق والنسخ: اليمان، والمثبت من ابن عبد الظاهر.

[1] فيما يلي ٢:٣٢٦.
[2] فيما يلي ٣٨١- ٣٨٢، ٣٨٤- ٣٨٥.
[3] المقريزي: مسودة الخطط ٥٣و.

الزُّهْري [١]. وكان بُسْتانًا يعرف ببُسْتان أبي اليَمان ـ ومنهم من يكتب بُسْتان أبي اليُمْن بغير ألف بعد الميم ـ ثم عُرِفَ ببُسْتان ابن جِنّ حُلْوان، وهو الجَمَال محمد بن الزَّكِيّ يحيى بن عبد المنعم ابن مَنْصور، التَّاجِر في ثَمَرَة البَساتين، عُرِفَ بابن جِنّ حُلْوان، ماتَ في سنة إحدى وتسعين وستّ مائة.

٥ وحَدُّ هذا البُسْتان القِبْلي إلى الخَليج، وكان فيه بابُه والهماليا [a]، والحَدُّ البَحْري ينتهي إلى غِيط قايماز، والشَّرْقي إلى الآدُرّ المحتكرة، والغربي ينتهي إلى قِطْعَةٍ تُعْرَف قَديمًا بابن أبي السَّاج. ثم عُرِفَ ببُسْتان ابن السَّرّاج، واستأجره ابن جِنّ حُلْوان من الشَّيْخ نَجْم الدِّين بن الرِّفْعَة الفقيه المشهور، في سنة ثمان وثمانين وستّ مائة، فعُرِفَ به. ثم إنَّ هذا البُسْتان حُكِرَ بعد ذلك، فعُرِفَ بحِكْر الخَليلي [٢]. وهو [b].

١٠ حِكْر قَوْصُون [٣]

هذا الحِكْر مُجاوِر لقَناطِر السِّباع. كان بُسْتانَيْن: أحَدُهُما يُعْرَف بمَخارِيق الكُبْرىٰ [c]، والآخر يُعْرَف بمَخارِيق الصُّغْرىٰ [c].

فأمَّا «مَخارِيقُ الكُبْرىٰ» [c] [d]فإنِّي وَقَفْتُ على كِتاب مَضْمونه وَقَف القاضي الأجَلّ [d] الرَّئيس المُخْتار العَدْل الأمين، زكيّ الدِّين أبو العَبَّاس أحمد بن مُرْتَضَى بن سَيِّد الأَهْل بن يوسُف، حِصَّةً ١٥ من جَميع البُسْتان المذكور الكبير ـ المعروف بالمخاريق الكبرىٰ ـ الذي بين القاهِرَة ومصر، بعَدْوَة الخَلِيج، فيما بين البُسْتانين المعروف أحدهما بالمخاريق الصغرىٰ ـ ويُعْرَف قَديمًا بالشَّيْخ الأَجَلّ ابن أبي أُسامَة، ثم عُرِفَ بغيره ـ والبُسْتان الذي يُعْرَف بدُوَيْرَة دينار يَفْصِل بينهما الطَّريقُ بخُطِّ بُسْتان الزُّهْري، وبُسْتان أبي اليُمْن، وكنائِس النَّصارىٰ قُبالة جَماميز السَّعْدِيَّة والسَّبْع سِقايات.

---

a) كذا في جميع النسخ. b) بياض في النسخ. c) بولاق: المخاريق. d-d) إضافة من مسودة الخطط.

---

[١] فيما يلي ٢: ٣٢٦.

[٢] المقريزي: مسودة الخطط ٥٣ظ.

[٣] يدلُّ على موضع حِكْر قَوْصُون الآن المنطقة التي تُحَدّ من الشمال بعطفة مرزوق وحارة قواوير (وهو الحدُّ الفاصل قديمًا بين هذا الحكر وحكر طُقُزْدَمُر (فيما يلي ٣٨٨)، ومن الغرب شارع النَّاصرية وشارع الكومي (امتداد شارع خيرت)، ومن الجنوب والشرق ميدان السيدة زينب وشارع بورسعيد (الخليج المصري).

ولهذا البُسْتان حُدودٌ أربعة: القِبْلي ينتهي إلى الخَليج الفاصِل بينه وبين المواضِع المعروفة بجَماميز السَّعْدِيَّة والسَّبْع سِقايات، والحَدُّ الشَّرْقي ينتهي إلى البُسْتان المعروف بالمَخاريق الصُّغْرَىٰ المُقابِل للمَجْنونة، والبَحْري ينتهي إلى البُسْتان المعروف قَديمًا بابن أبي أُسامَة، الفاصِل بينه وبين بُسْتان أبي اليُمْن المُجاوِر للزُّهْري، والحَدُّ الغربي ينتهي إلى الطَّريق.

وجَعَلَ هذا البُسْتان على القُرُبات بعد عِمارَته، وشَرَطَ أنَّ الناظِرَ يشتري في كلِّ فَصْلٍ من فُصُول الشِّتاء ما يَراه من قُماشِ الكَتَّان الخام أو القُطْن، ويَصْنَع ذلك جِبابًا وبُغالَطيق محشوة قطنًا، ويفرِّقها على الأيْتام الذكور والإناث الفُقَراء غير البالغين بالشَّارع الأَعْظَم خارج بابي زَوِيلَة، فيَدْفَع لكلِّ واحدٍ منهم جُبَّة أو بُغُلْطاق. فإن تعذَّر ذلك كان على الأيْتام المُتَصفين بالصِّفَة المذكورة بالقاهِرَة ومصر وقَرافَتيْها، فإن تَعَذَّرَ ذلك كان للفُقَراء والمساكين أينما وُجِدوا.

وتاريخُ هذا الكتاب ذو الحِجَّة سنة ستين وستّ مائة.

(aوذُكِرَ في هذا الكِتاب أنَّ الواقِفَ قال إنَّ مُرادَه بالشَّارع المذكور طُولًا من بابي زَويلَة وإلى الباب الجديد، وعَرْضًا من السُّور اللَّبِن المحيط بحارَة اليانِسِيَّة والمُنْتَجِبيَّة، وإلى الطَّريق المَسْلوك منها إلى مصر الفاصلة بين آدُرّ الشَّارع وبين الفَواخير وغير ذلك. قال المؤلِّف: أَظُنُّ أنَّ الباب الجديد هذا هو المعروف الآن بباب القَوْس المجاور لحارَة المُنْتَجِبيَّة a).

وأمَّا «مخاريقُ الصُّغْرىٰ» b) (aفإنِّي وَقَفْتُ على كِتابٍ مضمونه: شرى مُبارِزُ الدِّين أحمد ابن الحاجِب الطهير مُوسىٰ بن إبراهيم الهكَّاري الملكي العزيزي، من عبد الخالق وأبي محمد وَلدَيْ صالح بن سُلْطان: الحِصَّة من البُسْتان المعروف بالمَخاريق الصُّغرىٰ وهو a) بعَدْوَة الخَليج قُبالَةَ المَجْنونَة بالقُرْب من بُستان أبي اليُمْن [1]، ثم (aصارَ أخيرًا بُسْتانًا مساحته خمسة عشر فدَّانًا يُعْرف a) ببُسْتان بَهادُر رأس نَوْبَة، ومساحته خمسةَ عشرَ فدّانًا. فاشْتَراه الأميرُ قَوْصُون، وقَلَعَ غُروسَه، وأذِنَ للنَّاس في البِناء عليه، فحَكَروه وبَنُوا فيه الآدُرَ وغيرها، وعُرِفَ بحِكْر قَوْصُون [2].

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط. b) بولاق: المخاريق الصغرى.

---

[1] فيما يلي ٥٣٨.

[2] المقريزي: مسودة الخطط ٥٣ظ-٥٤ظ.

حِكْر الحَلَبي

هذا الحِكْرُ الآن يُعْرَف بحِكْر بَيْبَرْس الحاجِب ، وهو مُجاوِر للزُّهْري ولبِرْكَة الشُّقَاف من غربيها . وأصْلُه من جملة أراضي الزُّهْري اقْتُطِعَ منه ، وباعَه القاضي مَجْدُ الدِّين بن الخَشَّاب ، وكيل بَيْت المال - لابنتي السُّلْطان الملك الأَشْرف خَليل بن قَلاوون ، في سنة أربعٍ وتسعين وستّ مائة ، وكان يُعْرَف حين هذا البَيْع بِبُسْتَان الجَمَال بن جِنّ حُلْوان وبغِيط الكُرْدي وبُسْتان الطَّيْلَسان وبُسْتان الفَرْغاني .

وحَدُّ هذه القِطْعَة القِبْلي إلى بِرْكَة الطُّوَّابين ، وإلى الهَدير الصغير ؛ والحَدُّ البَحْري ينتهي إلى بُستان الفَرْغاني ، وإلى بُستان البَواشْقِي ؛ والحَدُّ الشَّرْقي إلى بِرْكَة الشُّقَاف ، وإلى الطَّريق المُوصِّلة إلى الهدير الصَّغير ؛ والحَدُّ الغربي/ إلى بُستان الفَرْغاني . ثم انتقل هذا البُسْتان إلى الأمير رُكْن الدِّين بَيْبَرْس الحاجِب ، في أَيَّام الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون ، وحَكَّرَه فعُرِفَ به ، (a وهو بيد وَرَثَته الآن a) [1] .

حِكْر البَواشْقِي

عُرِف بالأمير أَزْدَمُر البَواشْقِي مَمْلوك الرَّشيدي الكبير ، أَحَدِ المماليك البَحْرية الصَّالِحيَّة ، وممَّن قامَ على الملك المُعِزّ أَيْبَك عندما قَتَلَ الأمير فارِس الدِّين أَقْطاي في ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وستّ مائة ، وخَرَجَ إلى بِلاد الرُّوم . ثم عُرِفَ الآن بحِكْر كُرْجي ، وهو بجوار حِكْر الحلَبي المعروف بحِكْر بَيْبَرْس [2] .

حِكْر آقْبُغا

هذا الحِكْرُ بجوار السَّبْع سِقايات ، بعضُه بجانِب الخَليج الغربي ، وبعضه بجانِب الخَليج الشرقي [3] ؛ كان بُسْتانًا يُعْرف قَديمًا بجِنَان الحارَة ، ويُسْلَك إليه من خُطّ قناطِر السِّباع على يَمْنَة

a-a) إضافة من مسودة الخطط .

[1] المقريزي : مسودة الخطط ٥٤ظ .

[2] نفسه ٥٤ظ .

[3] حِكْر آقْبُغا هو الذي كان يعرف سابقًا بخطّ السَّبْع سِقايات ، (فيما تقدم ٤: ٣٧٧) واختلفت التسمية باختلاف الزَّمَن . ويَدُلّ على موضع حِكْر آقْبُغا الآن المنطقة التي فيها حارة السيدة زينب وفروعها وجنينة لاظ وشوارعها .=

السالِكُ طالِبًا السَّبْع سِقايات بالقُرْب من كَنِيسَة الحَمْراء. وكان بعضُه بُسْتانًا يُعْرَف بِبُسْتان المَحَلّي، وهو الذي في غربيّ الخَليج [1].

وكان بُسْتانُ جِنان الحارَة بجوار بِرْكَة قارُون، وينتهي إلى حَوْض الدُّمْياطِي الموجود الآن على يَمْنَة من سَلَكَ من خُطِّ السَّبْع سِقايات إلى قَنْطَرَة السَّدّ. فاسْتَوْلَى عليه الأميرُ آقْبُغا عبد الواحِد ـ أُسْتادَّار الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون ـ وأَذِنَ للنَّاس في تَحْكيره. فحُكِرَ وبُنِيَ فيه عِدَّةُ مَساكِن، وإلى يومنا هذا يُجْبَى حِكْره ويُصْرَف في مَصارِف المَدْرَسَة الآقْبُغاوية المجاورة للجامِع الأَزْهَر بالقاهِرَة [2].

وأوَّلُ من عَمَّرَ في حِكْر آقْبُغا هذا أُسْتادَّار الأمير جَنْكَلي[a] بن البابا [3]، فتبعه النَّاسُ. وفي مَوْضِع هذا الحِكْر كانت كَنِيسَةُ الحَمْراء التي هَدَمَها العامَّة في أيام الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون، كما ذُكِرَ عند ذِكْر الكَنائِس من هذا الكتاب [4]، وهي اليوم زَاوِيَةٌ تُعْرَف بزاوِيَة الشَّيْخ يُوسُف العَجَمي، وقد ذُكِرَت في الزَّوايا أيضًا. وهذا الحِكْرُ لمَّا بَنَى النَّاسُ فيه عُرِفَ بالأَزْد[b] ولكَثْرَة من سَكَن فيه من التَّتَر والوافِدِيَّة من أصْحاب الأمير جَنْكلي[a] بن البابا.

وعَمَّرَ تِجاه هذا الحِكْر الأميرُ جَنْكَلي[a] حَمَّامَيْن هما هنالك إلى اليوم، وانتشأ بعِمارَة هذا الحِكْر بظاهِره سُوقٌ وجامِعٌ، وعُمِّر ما على البِرْكَة أيضًا، واتَّصَلت العِمارَةُ منه في الجانبين إلى مَدينَة مصر. واتَّصَلت به عَمائِرُ أيضًا ظاهِر القاهِرَة، بعدما كان مَوْضِعُ هذا الحِكْر مَخوفًا يَقْطَع فيه الزُّعَّارُ الطَّريق على المارَّة من القاهِرَة إلى مصر، وكان والي مصر يَحْتاج إلى أن يركز جَماعَةً من أعْوانِه بهذا المكان لحِفْظ من يَمُرّ من المُفْسِدين. فصارَ لما حُكِرَ كأنَّه مَدينَةٌ كبيرةٌ، وهو إلى الآن عامِرٌ، وأكثر من يَسْكُنُه الأُمَراءُ والأَجْنادُ.

وهذا الحِكْرُ كان يُعْرَف قَديمًا بالحَمْراء الدُّنْيا ـ وقد ذُكِرَ خَبرُ الحَمْراوات الثَّلاث عند ذِكْر خِطَط مَدينَة فُسْطاط مصر من هذا الكِتاب [5] ـ وفي هذا الحِكْر أيضًا كانت قَنْطَرَةُ عبد العَزيز ابن

a) بولاق: جنكل. b) بولاق: الأدر.

= (استدراكات محمد رمزي على النجوم الزاهرة ٧: ٣٨٧، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٩٦هـ [1]).

[1] ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٢١، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٩٦.

[2] المقريزي: مسودة الخطط ٦١و؛ وعن المدرسة الآقبغاوية انظر فيما يلي ٢: ٣٨٣- ٣٨٤.

[3] انظر عن الأمير جَنْكَلي بن البابا، فيما يلي ٤٤٧.

[4] فيما يلي ٢: ٥١٢- ٥١٧. [5] فيما تقدم ٢: ٣٨- ٣٩.

مَرْوان التي بناها على الخَليج ليَتَوَصَّل منها إلى جِنان الزُّهْري ، وبعضُ هذا الحِكْر ممَّا انْحَسَرَ عنه النِّيلُ ، وهي القطعة التي تلي قَنْطَرَة السَّد .

حِكْرُ السِّتّ حَدَق

هذا الحِكْرُ يُعْرَف اليوم بالمَرِيس ، وكان بَساتين من بعضها بُسْتانُ الخَشَّاب [١] ، (a فحُكِرَ ونُسِبَ للدَّادَة السِّتّ a) [٢] حَدَق ، من أجْل أنَّها أنْشَأت هناك جامِعًا كان موضعه مَنْظَرَةُ السُّكَّرَة [٣] ، فبَنَى النَّاسُ حوله .

وأكثر من كان يَسْكُن هناك السُّودان ، وبه يُتَّخذ المِزْر [٤] ومأوى أَهْل الفَواحِش والقاذُورات وصارَ به عِدَّةُ مَساكِن وسُوقٌ كبيرٌ يحتاج مُحْتَسِب القاهِرَة أنْ يُقيم به نائِبًا عنه للكَشْف عما يُباع فيه من المعايش [٥] .

وقد أدْرَكْنا المَرِيس على غايَةٍ من العِمارَة ، إلَّا أنَّه قد اخْتَلَّ منذ حَدَثَتِ الحَوادِثُ من سنة ستٍّ وثمان مائة ، وبه إلى الآن بقيَّةٌ من فَسادٍ كبير .

حِكْرُ السِّتّ مِسْكَة

هذا الحِكْرُ بسُوَيْقَة السَّبّاعين بقُرْب حِكْر السِّتّ حَدَق . عُرِفَ (b بالدَّادَة السِّتّ b) مِسْكَة [٦]

a-a) من المسودة ، وفي سائر النسخ : فعرف بالسّتّ . b-b) من المسودة ، وفي سائر النسخ : بالسّتّ .

[١] كان القسم الشرقي من بُستان الخَشَّاب (فيما يلي ١١:٤٨٦) ـ الذي يعادل الآن المنطقة الواقعة بين شارع الشيخ علي يوسف بالمنيرة وشارع بورسعيد ـ يُعْرَف بالمَرِيس .

[٢] حاشية بخَطّ المؤلِّف : «السِّتّ ليس من كلام العَرَب ولا يُصَوِّبونه ، إلَّا أنَّ ابن خالَوَيه قال : أناوله وآخله من السِّتّ في العَدَد ، وذلك أنَّ المعنى أنَّها تُعَظَّم وتُحْتَرَم من جهاتها السِّتّ» .

[٣] فيما تقدم ٢:٥٣٧-٥٣٨؛ وفيما يلي ٢: ٣١٣.

[٤] المِزْر نوعٌ من البُوظَة يُسَمِّيه أهْل السُّودان المَرِيسية .

[٥] المقريزي : مسودة الخطط ٦١و .

[٦] اعتبر المقريزي في هذا الفصل السِّتّ حَدَق والسِّتّ مِسْكَة امرأتين ، ولكنَّ نصًّا آخر للمقريزي يُثْبِت أنَّ السِّتّ حَدَق هي بذاتها السِّتّ مِسْكَة ، حيث يذكر في موضعين من السُّلوك (٢: ٢٣٥، ٥٤٣) : «الدَّادَه حَدَق المعروفة باسم سِتّ مِسْكَة القَهْرَمانَة» ، وكما جاء في نَصّ الكتابة التاريخية المنقوشة على لَوْح من الرخام مثبت بأعلى باب جامع السِّتّ مسكة القائم الآن بسُوَيْقَة سوق مِسْكَة ، بأنَّ التي أمرت بإنشائه «السِّتْر الرفيع حَدَق المعروفة بسِتّ مِسْكَة النَّاصِرية في =

لأنَّها أنشأت به جامِعًا [١]. وهذا الحِكْرُ كان من جملة الزُّهْري، ثم أُفْرِد وصارَ بُسْتانًا تَنَقَّل إلى جَماعَةٍ كثيرة.

فلمَّا عَمَّرت السّتّ مِسْكَة في هذا الحِكْر الجامِع، بَنَى النَّاسُ حولَه حتى صارَ مُتَّصلًا بالعِمارَة من سائِر جِهاتِه، وسَكَنه الأُمَرَاءُ والأَعْيانُ، وأنشأوا به الأَسْواق والحَمَّامات[a] وغير ذلك.

وكانت حَدَق ومِسْكَة من جَوارِي السُّلْطان الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون، نَشَأتا في دارِه، وصارَتا قَهْرَمانَتَيْن لبَيْت السُّلْطان يُقْتَدى برأيهما في عَمَلَ الأَعْراس السُّلْطانية والمُهِمَّات الجَلِيلَة التي تُعْمَل في الأَعْياد والمواسِم وتَرْتيب شُئُون الحَرِيم السُّلْطاني وتَرْبِيَة أَوْلاد السُّلْطان. وطالَ عُمْرُهُما، وصارَ لهما من الأَمْوال الكثيرة والسَّعادات العَظِيمَة ما يجلّ وَصْفُه، وصَنَعا بِرًّا ومَعْروفًا كثيرًا، واشْتَهَرَا وبَعُدَ صيتُهما وانتشر ذكرُهُما [٢].

a) بولاق: الأسواق والحمامات.

= شهور سنة أربعين وسبع مائة» (Wiet, G., *RCEA* XV, p. 126 n° 5798)، كما ترجم لها ابن حجر باسم «حَدَق القَهْرمانَه النَّاصرية ... ويقال لها سِتّ مِسْكَة» (الدرر الكامنة ٢: ٨٧-٨٨).

ويُحَدَّد موضع الحكر الأوَّل المنطقة التي تُحَدّ الآن من الشمال بشارع المدرسة وما في امتداده إلى الشرق حتى يتقابل مع شارع الخليج المصري، ومن الغرب شارع المنيرة، ومن الجنوب شارع بستان الفاضل وما في امتداده إلى الشرق حتى يتقابل مع شارع الخليج المصري، ومن الشرق شارع بورسعيد.

أمَّا الحِكْرُ الثَّاني فيُحَدَّد موضعه الآن المنطقة التي تُحَدّ من الجنوب بسكة سُوق مِسْكَة، ومن الشرق بحارة النصارى، ومن الشمال بشارع دَرْب الحَجَر، ومن الغرب بشارع سويقة السَّبَّاعين شمال شارع مجلس الشعب. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٩٦-١٩٧هـ [٣] تعليقات رمزي بك).

[١] فيما يلي ٢: ٣٢٦.

[٢] المقريزي: مسودة الخطط ٦١ظ.

واستخدم المقريزي هنا صيغة المثنى في الحديث عن السّتّ حَدَق باعتبارها شخصيةً مخالفةً للسّتّ مِسْكَة، وقد أثبت في الهامش السابق أنهما شخصية واحدة اسمها حَدَق واشتهرت باسم مِسْكَة.

حِكْرُ طُقُزْدَمُر
(a بجوار الخليج الكبير a)

هذا الحِكْرُ كان بُسْتانًا مِساحَتُه نحو الثلاثين فَدَّانًا [1]، فاشْتَراه الأميرُ طُقُزْدَمُر الحَمَوي نائِب السَّلْطَنَة بديار مصر ودِمَشْق، وقَلَعَ أخْشابَه، وأَذِن للنَّاس في البِناءِ عليه. فحَكَرُوه، وأنشأوا به الدُّور الجَليلَة، واتَّصَلت عِمارَةُ النَّاس فيه بسائِر العَمَائِر من جِهاتِه. وأنشأ أيضًا الأُميرُ طُقُزْدَمُر[b] على الخَليج قَنْطَرَةً ليَمُرّ عليها من خُطّ المَسْجِد المُعَلَّق إلى هذا الحِكْر [2].

وصارَ هذا الحِكْرُ مَسْكَنَ الأُمَرَاء والأَجْناد، وبه السُّوق والحَمَّامات والمَساجِد وغيرها، وهو ممَّا عُمِّرَ في أيَّام الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون. وماتَ طُقُزْدَمُر في ليلة الخميس مستهلّ جُمادَى الآخرة/ سنة ستٍّ وأربعين وسبع مائة [3]. ١١٧:٢

أراضي[c] اللُّوق

يُقالُ لَاقَ الشيءَ لَوْقًا، ولَوَّقَه: لَيَّنَه. وفي الحَديث: «لا آكُلُ إلَّا ما لُوِّقَ لي». ولواق أرض معروفة، قاله ابنُ سِيدَه [4].

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط. b) بولاق: وأنشأ الأمير طقزدمر فيه أيضًا. c) إضافة من مسودة الخطط.

---

[1] حِكْرُ طُقُزْدَمُر كان يقع على الجانب الغربي للخليج المصري، وحَدَّد محمد بك رمزي موقعه - تبعًا لتقدير المقريزي لمساحته - في المنطقة التي تُحَدُّ الآن من الشمال بسكة سُوق مِشكة وحارَة الفَقُوسة، ومن الغرب شارع النَّاصرية، ومن الجنوب حارة قواوير وعطفة مرزوق (وهو الحَدُّ الفاصل قديمًا بين هذا الحكر وحكر قَوْصُون (فيما تقدم ٣٨٢-٣٨٣)، ومن الشرق شارع بورسعيد: الخليج المصري).

[2] فيما يلي ٤٩٢.

[3] مسودة الخطط ٦٠ظ-٦١و والأميرُ سَيْفُ الدِّين طُقُزْدَمُر (طُقُزْتَمُر) الحَمَوي النَّاصِري الشاقي، نائب السَّلْطَنَة، المتوفى سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م، يُنْسَب إليه حِكْرُ طُقُزْدَمُر والقَنْطَرَة خارج القاهرة، والرَّبع خارج باب زَوِيلَة ودار التُّفَّاح والحَمَّام التي عند قَبْو الكِرْماني. (الصفدي: أعيان العصر ٣: ٦١٠-٦١٣، الوافي بالوفيات ١٦: ٤٦٥-٤٦٨؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ٨٠؛ المقريزي: السلوك ٢: ٦٩٨؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣٢٦؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٦: ٤٢٠-٤٢٢)، وفيما يلي ٤٩٢.

[4] ابن سيده: المحكم ٦: ٣٤٩.

فكأنَّ هذه الأرْض لمَّا انْحسَرَ عنها ماءُ النِّيل كانت أرْضًا لَيِّنَة . وإلى الآن في أراضي مصر ما إذا نَزَلَ عنها ماءُ النِّيل ، لا تَحْتاج إلى الحَرْث للينها ، بل تُلاقُ لَوْقًا .

فصَوابُ هذا المكان أن يُقال فيه : «أراضي اللَّوْق» بفتح اللام ، إلَّا أنَّ النَّاسَ إنَّما عَهِدْناهم يقولون قَديمًا : بابُ اللُّوق ، وأراضي باب اللُّوق بضم اللام . ويجوزُ أن يكون من اللُّقّ بضم اللام وتَشْديد القاف . ٥

قال ابنُ سِيدَه : واللُّقُّ كلُّ أَرْضٍ شَيِّقَةٍ مستطيلة ، واللُّقُّ الأرْضُ المرتفعة ، ومنه كِتابُ عبد الملك بن مَرْوان إلى الحَجَّاج «لا تَدَع خُقًّا ولا لُقًّا إلَّا زَرَعْته» ، حَكاه الهَرَوِيُّ في «الغَرِيبين» [1] . انتهى .

والخُقُّ ـ بضم الخاء المعجمة وتَشْديد القاف ـ الغَديرُ إذا جَفَّ . وقيل الخُقُّ ما اطمأن من الأرْض ، واللُّقُّ ما ارْتَفَعَ منها . ١٠

وأراضي اللُّوق هذه كانت بَساتين ومُزْدَرَعات ، ولم يكن بها في القَديم بناءٌ ألْبتَّة ، لم لمَّا انْحَسَرَ الماءُ عن مُنْشَأة الفاضِل عُمِّرَ فيها كما ذُكِرَ في مَوْضِعِه من هذا الكِتاب [2] .

ويُطْلَق اللُّوق في زَمَنِنا على المكان الذي يُعْرَف اليوم بباب اللُّوق ، المجاوِر لجامِع الطَّبَّاخ المُطِلّ على بِرْكَة الشُّقَّاف ، وما يُسامته إلى الخَليج الذي يُعْرَف اليوم بخَليج فَمِ الخَوْر . وينتهي اللُّوق من الجانِب الغربي إلى مُنْشَأة المَهْراني ، ومن الجانِب الشرقي إلى الدُّكَّة بجوار المَقْس[a] [3] . ١٥

وكان القاضي الفاضِلُ قد اشْتَرَى قِطْعَةً كبيرةً من أراضي اللُّوق هذه من بَيْت المال وغيره بجُملٍ كثيرة من المال ، ووَقَفَها على عَيْن الأَزْرَق[b][4] بالمَدينَة النَّبَوِيَّة ـ على ساكِنها أَفْضَلُ الصَّلاة

---

a) مسودة الخطط : الموضع المعروف بالدكة من حقوق المقس . b) بولاق : العين الزرقاء .

---

[1] ابن سيده : المحكم ٦ : ٣٤٩ .

[2] فيما تقدم ١٦٤:٢ - ١٦٥ .

[3] المقريزي : مسودة الخطط ٥٦ظ .

كانت أرْضُ اللُّوق ممتدَّة على النِّيل في الجهة الغربية من القاهرة ، وتشمل المنطقة التي تُحَدُّ الآن من الشمال بشارع قَنْطَرَة الدُّكَّة ، ومن الغرب بشارع رمسيس فشارع مريت باشا فميدان التحرير فشارع القصر العيني ، والحَدُّ القِبْلي لها شارع بُسْتان الفاضل . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣٠٨:٦هـ [1] ، ١٩٣:٩هـ [2]) .

[4] عَيْنُ الأَزْرَق ، نسبةً إلى مَرْوان بن الحكم عرف بذلك لزرَاق عينيه ، أجرى هذه العين بأمر معاوية بن أبي سُفْيان ، كانت تقع في ظاهر المدينة النبويَّة قبالة مصلى العيد . (السمهودي : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت ١٩٨١ ، ٣ : ٩٨٥ ، ٩٨٧) .

والتَّسْليم - وعُرِفَت هذه الأرضُ بِبُستان ابن قُرَيْش، وبعضُها دَخَل في المَيْدان الظَّاهِري، وعُوِّض عنها أراضٍ بأكثر من قيمتها. وكان مُتَحَصَّلُ هذا الوَقْف يُحْمَل في كلِّ سنةٍ إلى المَدينة لتَنْظيف العَيْن وتَنْظيف مَجاريها.

وأمَّا الجانِبُ الغربي من خَليج فَم الخَوْر - المعروف اليوم بحِكْر ابن الأَثير، وبمُوَيْقَة المُوَفَّق ومَوْرَدَة المِلْح - وساحِلُ بُولاق كلُّه، فإنَّه مُحْدَثٌ عُمِّرَ بعد سنة سبع مائة كما ستَقِف عليه إن شاءَ الله تعالى قَريبًا[١]. فإنَّ النِّيلَ كان يَمُرُّ من ساحِل الحَمْراء بغربي الزُّهْري على الأراضي التي لمَّا انْحَسَر عنها عُرِفَت بأراضي اللُّوق، إلى أن ينتهي إلى ساحِل المَقْس[٢].

وكانت طاقاتُ المَناظِر التي بالدَّكَّة تُشْرِف على النِّيل الأعْظَم، ولا يَحُولُ بينها وبين رُؤْيَة بَرِّ الجِيزَة شيءٌ، ويمرُّ النِّيلُ من الدَّكَّة إلى المَقْس، ويمتدّ إلى زَرْبِيَّة[a] جامِع المَقْس الذي هو الآن على الخَليج النَّاصِري.

فلمَّا انْحَسَرَ ماءُ النِّيل عن أراضي اللُّوق، اتَّصَلت بالمَقْس، وصارَت عِدَّةُ أماكِن تُعْرَف بظَّاهِر اللُّوق، وهي: بُسْتانُ ابن ثَعْلَب، ومُنْشَأة ابن ثَعْلَب، وبابُ اللُّوق، وحِكْرُ قُرْدُمِيَّة، وحِكْر كَريم الدِّين، ورَحْبَةُ التِّبْن، وبُسْتانُ السَّعيدي، وبِرْكَةُ قَرْمُوط، وخَوْرُ الصَّعْبي.

وصارَ بين اللُّوق وبين مُنْشَأة المَهْراني، التي هي بأوَّل بَرّ الخَليج الغَرْبي، مُنْشأةُ الفاضِل، والمُنْشأةُ المُسْتَجَدَّة، وحِكْرُ الخَليلي، وحِكْرُ السُّنْباط[b] - ويُعْرَف بحِكْر بُسْتان القاصِد - وحِكْرُ كَريم الدِّين الصَّغير، وحِكْرُ المُطَوَّع، وحِكْرُ العَيْن الزَّرْقاء.

وفي غربيّ هذه المواضِع على شاطِئ النِّيل زَرْبِيَّةُ[a] قَوْصُون[٣]، ومَوْرَدَةُ البَلاط، ومَوْرَدَةُ الجِبْس، وخُطُّ الجامِع الطَّيْبَرْسي، وزَرْبِيَّةُ[a] السُّلْطان، ورَبْعُ بَكْتَمُر.

وأوَّلُ ما بُنِيَت الدُّورُ للسُّكْنَى[c] في اللُّوق أيَّام الملك الظَّاهِر رُكْن الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري. وذلك أنَّه جَهَّزَ كَشَّافَةً من خَواصِّه، مع الأمير جَمال الدِّين الرُّومي السِّلاحدار والأمير عَلاء الدِّين آقْ سُنْقُر النَّاصِري، لتَعْرِف أخبار هُولاكو، ومعهم عِدَّة

---

a) بولاق: زربية. b) بولاق: الساباط. c) بولاق: للسكن.

---

[١] فيما يلي ٤٣٠-٤٣٤.

[٢] المقريزي: مسودة الخطط ٥٦ظ-٥٧و.

[٣] انظر عن زربيّة قوصون فيما يلي ٤٣٥-٤٣٦هـ[٣].

من العُرْبان. فوَجدوا طائِفَةً من التَّتَر مُسْتَأْمَنِين وقد عَزَموا على قَصْد السُّلْطان بمصر.

وذلك أنَّ الملكَ بَرَكَة خان ملك التَّتَر كان قد بَعَثَهم نَجْدَةً لهُولاكو، فلمَّا وَقَعَ بينهما كَتَب إليهم بَرَكَة يأمُرُهُم بمُفارَقَة هُولاكو والمصير إليه، فإن تعذَّر عليهم ذلك صاروا إلى عسكر مصر، فإنَّه كان قد رَكَن إلى الملك الظَّاهِر، وتردَّدت القُصَّادُ بينهم بعد واقِعَة بَغْداد ورَحيل هُولاكو عن حَلَب، فاخْتَلَفَ هُولاكو مع ابن عَمِّه بَرَكَة خان وتَواقَعا، فقُتِلَ وَلَدُ هُولاكو في المصافّ، وانهزم عسكره، وفَرَّ إلى قَلْعةٍ في بُحَيْرَة أَذْرَبيجان.

فلمَّا وَرَدَتِ الأخبارُ بذلك إلى مصر، كَتَبَ السُّلْطانُ إلى نُوَّاب الشَّام بإكْرامِهم وتَجْهيز الإقامات لهم، وبَعَثَ إليهم بالخِلَع والإنْعامات فوَصَلوا إلى ظاهِر القاهِرَة - وهُم نَيِّف على مائتي فارِس بنسائِهم وأَوْلادِهم - في يوم الخميس رابع عشرين ذي الحجَّة سنة ستين وستّ مائة. فخَرَجَ السُّلْطانُ يوم السبت سادس عشرينه إلى لقائِهم بنفسه ومعه العَساكِر، فلم يَبْقَ أحَدٌ حتى خَرَجَ لمشاهَدَتهم، فاجْتَمَع عالَمٌ عَظيمٌ تُبْهِرُ رؤيتُهم العقول، وكان يومًا مشهودًا. فأنزلهم السُّلْطانُ في دُورٍ كان قد أَمَرَ بعِمارَتِها من أجْلهم في أراضي اللُّوق، وعَمِلَ لهم دَعْوَةً عَظيمةً هناك، وحَمَلَ إليهم الخِلع والخُيُول والأمْوال.

ورَكِبَ السُّلْطانُ إلى المَيْدان، وأرْكَبَهم معه للعب الأُكْرَة، وأعْطَى كُبَراءَهم أمْريات: فمنهم من عَمِله أمير مائة، ومنهم دون ذلك، ونَزَلَ بقيَّتُهم من جُمْلة البَحْرِيَّة، وصارَ كلٌّ منهم من سَعَة الحال كالأمير في خِدْمَته الأجْناد والغِلْمان وأَفْرَدَ لهم عَدَّة جِهاتٍ برَسْم مُرَتَّبهم، وكَثُرَت نِعَمُهم، وتظاهَروا بدين الإسْلام.

فلمَّا / بَلَغَ التَّتارُ ما فعَلَه السُّلْطانُ مع هؤلاء، وَفَدَ عليه منهم جَماعَةٌ بعد جَماعَةٍ، وهو يُقابِلُهم بمَزيدِ الإحْسان. فتكاثروا بديار مصر، وتَزايَدَتِ العَمائِرُ في اللُّوق وما حَوْله، وصارَ هناك عِدَّةُ أحْكار عامِرَة آهِلَة، إلى أن خَرِبَت شيئًا بعد شيءٍ وصارَت كيمانًا، وفيها ما هو عامِرٌ إلى يومنا هذا.

ولمَّا قَدِمَت رُسُلُ القان بَرَكَة في سنة إحدى وستين وستّ مائة [a]، أنزلهم السُّلْطانُ الملكُ الظَّاهِرُ باللُّوق، وعَمِلَ لهم فيه مُهِمًّا، وصارَ يَرْكَب في كلِّ سَبْتٍ وثلاثاء للعب الأُكْرَة باللُّوق في المَيْدان [1].

---

a) بولاق: وسبع مائة.

---

[1] انظر فيما يلي ٦٢٨. ولُعْبَة الكُرَة (الأُكْرَة) التي تَكَرَّرَ ذكرُها في مواضع =

وفي سادس ذي الحجة من سنة إحدى وستين ، قَدِم من المُغُل والبهادُرية زيادةٌ على ألف وثلاث مائة فارس ، فأُنْزِلوا في مَساكِن عُمِّرَت لهم باللُّوق بأهاليهم وأوْلادِهم . وفي شهر رَجَب سنة إحدى وستين وستّ مائة[a] قَدِمَت رُسُلُ الملك بَرَكَة ورُسُلُ الأشكري ، فعُمِلَت لهم دَعْوةٌ عَظيمَةٌ باللُّوق .

فأمّا بُسْتَانُ ابن ثَعْلَب

٥

فإنّه كان بُسْتانًا عَظيمَ القَدْرِ مِساحته خمسة وسبعون فدّانًا ، فيه سائِر الفَواكِه بأسْرِها ، وجَميع ما يُزْدَرَع من الأشْجار والنَّخْل والكُروم والنَّرْجِس والهَلْيون والوَرْد والنِّسْرين والياسَمين والخُوخ والكُمَّثْرى والنَّارِنْج واللَّيْمون التُّفّاحي واللَّيْمون المراكبي[b] والمُخَتَّن والجِمِّيز والقَراصْيا والرُّمّان والزَّيْتون والتُّوت الشّامي والمصري والمَرْسين والتامِرْحِنّا والبان وغير ذلك ، وبه الآبارُ المعينة ، وله الهماليات ، وفيه مَنْظَرَةٌ عَظيمَةٌ وعِدَّةُ دُور .

١٠

ومن حُقُوق هذا البُسْتان الأرْضُ التي تُعْرَف اليوم بِبِرْكَة قَرْموط ، والأرضُ التي تُعْرَف اليوم بالخَوْر قُبالَةَ الأرض المعروفة بالبَيْضاء بجوار بُسْتان السَّرّاج ، وبُسْتانُ الزُّهْري ، وبُسْتان البُوْرجي فيما بين هذه البَساتين وبين خَليج الذَّكَر[c] والمَقْس .

---

a) بولاق : وسبع مائة . b) بولاق : الراكب . c) بولاق : خليج الذكة .

= كثيرة من كتاب الخِطَط ، أحَدُ أحَبِّ اللُّعَبات إلى بَلاط الملوك والسَّلاطين ، ومن أوَّل من لعبها في مصر الأمير أحمد ابن طُولون والوزير الفاطمي أبي علي الأفْضَل كُتَيْفات . وتُعْرَف أيضًا بالصَّوْالجِة أو الجوكان ، وهي دون شك اللعبة المعروفة الآن بالبُولو Polo. ويُلَقَّبُ الذي يحمل الجُوكان مع السُّلْطان في لعب الكرة : «الجُوكانْدار» ويُجْمَع على «جُوكاندارِيَّه» ، وهو مركَّب من لفظتين فارسيتين : إحداهما جوكان ، وهو المِحْجَن الذي تُضْرَب به الكرة ويُعَبَّر عنه بالصَّوْلجان أيضًا ؛ والثانية دار ، ومعناها مُمْسِك ، فيكون المعنى : مُمْسِك الجُوكان ، والعامّة تقول «جُكَنْدار» بحَذْف الواو بعد الجيم والألف بعد الكاف . (القلقشندي : صبح الأعشى ٥ : ٤٥٨؛ السبكي : معيد النِّعم ومبيد النِّقَم ٣٥؛ حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ١ : ٣٧٣–٣٧٧) . والجوكان عَصًا مدهونة طولها نحو من أربعة أذرع ، وبرأسها خشبة مخروطة معقوفة تزيد عن نصف ذراع . (المقريزي : السلوك ١ : ٤٣٥هـ[1]) . وكان إنشاءُ أغلب هذه الميادين التي ذكرها المقريزي (فيما يلي ٦٢٥–٦٣٦) بغَرَض لعب لعبة الكرة أو البولو Polo. (لتفاصيل أكثر حول تاريخ هذه اللُّعْبَة وعلى الأخَصّ في عصر سلاطين المماليك ، راجع ʿAbd ar-Râziq, A., «Deux jeux sportifs au temps des Mamlûks», *An. Isl.* XII (1974), pp. 107-30) .

وكان على بُستان ابن ثَعْلَب سُورٌ مبني وله بابٌ جَليلٌ، وحَدُّه القِبْلي إلى مُنْشأة ابن ثَعْلَب، وحَدُّه البَحْري إلى الأرض المجاورة للمَيْدان السُّلْطاني الصَّالِحِي[1] وإلى أرْض الجَزائر، وفي هذا الحَـدِّ أرْض الخَوْر وهي من حُقُوقه. وحَدُّه الشَّرْقِي إلى بُستان الدِّكَّة وبُستان الأمير قَراقُوش. وحَدُّه الغَرْبيّ إلى الطَّريق المَسْلوك فيها إلى مَوْرَدَة السَّقَّائين قُبالَة بُستان السَّرّاج؛ ومَوْرَدَةُ السَّقَّائين هذه مَوْضع قَنْطَرَة الخَرَق الآن[2].

وابنُ ثَعْـلَب هذا هو الشَّريفُ الأميرُ الكبيرُ فَخْرُ الدِّين إسماعيل بن ثَعْلب الجَعْفَري الزَّيْنَبي، أحَدُ أُمَرَاء مصر في أيَّام الملك العادِل سَيْف الدِّين أبي بكر بن أيُّوب وغيره، وصاحِبُ المَدْرَسَة الشَّرِيفِيَّة بجوار دَرْب كَرْكامَة على رأس حارَة الجَوْذَرِيَّة من القاهِرَة[3].

وانْتَقَلَ من بعده إلى ابنه الأمير حِصْن الدِّين ثَعْلَب، فاشْتَراه منه الملكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّين أيُّوب بن الملك الكامِل محمد بن العادِل أبي بكر بن أيُّوب بن شاذي، بثلاثة آلاف دينار مصرية، في شهر رَجَب سنة ثلاثٍ وأربعين وستّ مائة. وكان بابُ هذا البُستان في المَوضِع الذي يُقالُ له اليوم بابُ اللُّوق.

وكان هذا البُستانُ ينتهي إلى خَليج الخَوْر، وآخره من المَشْرق ينتهي إلى الدِّكَّة بجوار المَقْس. ثم انْقَسَم بعد ذلك قِطَعًا، وحُكِرَت أكثرُ أرْضِه وبَنَى النَّاسُ عليها الدُّور وغيرها. وبقيت منه إلى الآن قِطْعَةٌ عُرِفَت ببُستان الأمير أرْغون النَّائِب بديار مصر أيَّام الملك النَّاصِر، ثم عُرِفَ بعد ذلك ببُستان ابن غُراب.

وهو الآن على شاطئ الخَليج النَّاصِري، على يَمْنَة من سَلَكَ من قَنْطَرة قَدادارٍ بشاطئ الخَلية من جانبه الشَّرقي إلى بِرْكَة قَرْموط، وبقيت من بُستان ابن ثَعْلَب قِطْعَة تُعْرَف ببُستان بنت الأمير بَيْبَرْس إلى الآن، وهو وَقْفٌ. ومن جملة بُستان ابن ثَعْلب أيضًا المَوْضِعُ الذي يُعْرَف ببِرْكَة قَرْموط، والمَوْضِعُ المعروف بفَم الخَوْر.

وأمَّا مُنْشأةُ ابن ثَعْلَب

فإنَّها بالقُرْب من باب اللُّوق، وحُكِرَت في أيَّام الشَّريف فَخْر الدِّين بن ثَعْلَب المذكور فعُرِفَت به، وهي تُعْرَف اليوم بمُنْشَأة الجَوَّانِيَّة لأنَّ جُوَّانِيَّة الغَنَم كانوا يَسْكُنون فيها فعُرِفَت بهم. وأدْرَكْتُها

---

[1] حاشية بخط المؤلِّف: «المَيْدان الصَّالحي موضعه الآن من جامع الطَّبَّاخ بباب اللُّوق إلى قَنْطَرَة قَدادار». وانظر فيما يلي ٦٢٦– ٦٢٧.

[2] انظر فيما يلي ٤٩٢– ٤٩٣.

[3] انظر فيما يلي ٢: ٣٧٣.

في غايَة العِمارة بالنَّاس والمساكِن والحَوانيت وغيرها ، وقد اختَلَّت بعد سنة ستٍّ وثمان مائة ، وأكثرها الآن زَرَائِب للبَقَر [١].

وأمَّا بابُ اللُّوق

فإنَّه كان هناك ، إلى ما بعد سنة أربعين وسبع مائة بمُدَّةٍ ، بابٌ كبيرٌ عليه طَوارِقُ حربية مَدْهونة ، على ما كانت العادَةُ في أبْواب القاهِرَة وأبْواب القَلْعَة وأبْواب بُيُوت الأُمَرَاء ، [a]وأدْرَكْنا عَمَل ذلك ولكنَّه بَطَلَ من الأيَّام الظَّاهِرِيَّة بَرْقُوق[a] ، وكان يُقالُ له «باب اللُّوق» . فلمَّا أنشأ القاضي صَلاحُ الدِّين [b] ابن المَغْرِبي قَيْساريته التي بباب اللُّوق ، وجَعَلها لبَيْع غَزْل الكَتَّان ، هَدَمَ هذا الباب وجَعَله في الرُّكْن من جِدار القَيْسارية القِبْلي ممَّا يلي الغربي [٢]. وهذا هو بابُ المَيْدان الذي أنشأه الملكُ الصَّالِح نَجْمُ الدِّين أيُّوب بن الكامِل لمَّا اشْتَرى بُسْتانَ ابن ثَعْلب . وقد ذُكِرَ خَبَرُ هذا المَيْدان عند ذِكْر الميادين من هذا الكِتاب [٣].

وأمَّا حِكْرُ قُرْدُمِيَّة

فإنَّه على يَمْنَة من سَلَكَ من باب اللُّوق المَذكور إلى قَنْطَرة قَدَادار ، وكان من جُمْلة بُسْتان ابن ثَعْلب فحُكِرَ ، وصارَ أخيرًا بيد وَرَثَة الأمير قَوْصُون .

وكان حِكْرًا عامِرًا إلى ما بعد سنة تسعٍ وأربعين وسبع مائة ، فخَرِبَ عند وُقُوع الوَباء الكبير بمصر ، وحُفِرَت أراضيه وأُخِذَ طينُها ، فصارَت بِرْكَةَ ماءٍ عليها كِيمانٌ خَلْفَ الدُّور التي على الشَّارِع المسلوك فيه إلى قَنْطَرَة قَدْادار [٤].

وأمَّا حِكْرُ كَرِيم الدِّين

فإنَّه على يَسْرَة من سَلَكَ من باب اللُّوْق إلى رَحْبَة التِّبْن وإلى الدِّكَّة ،/ وكان يُعْرَف

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط . b) بياض في آياصوفيا .

---

[١] المقريزي : مسودة الخطط ٥٨ظ .

[٢] نفسه ٥٨و ، وفيه : «ولعل هذا الباب هو باب بُسْتان الشَّريف بن ثَعْلَب المذكور فإنَّ هذا الموضع من حُقُوق البُسْتان المذكور» .

[٣] فيما يلي ٦٢٦- ٦٢٧.

[٤] المقريزي : مسودة الخطط ٥٨ظ .

قبل كَريم الدِّين بحِكْر الصُّهْيوني. وهذا الحِكْرُ الآن آيلٌ إلى الدُّثور [١].

وأمّا رَحْبَةُ التِّبْن

فإنَّها في بَحْري مُنْشَأة الجُوَّانِيَّة، شارِعَة في الطَّريق العُظْمَىٰ التي يُسْلَك فيها إلى قَنْطَرة الدِّكَّة من رَحْبَة باب اللُّوق. عُرِفَت بذلك لأنَّه كانت الأحْمالُ[a] التِّبْن تقف بها لتُباع هناك، فإنَّ القاهِرَة كانت تُوَقَّر من مُرُور أحْمال التِّبْن والحَطَب ونحوهما بها. ثم اخْتُطَّت من جملة ما اخْتُطَّ في غَرْبي الخَليج، وصارَ بها عِدَّةُ مَساكِن وسُوقٌ كبير، وقد أدْرَكْتُه غاصًّا بالعِمارَة، وإنَّما اخْتَلَّ حالُ هذا الخُطِّ من سنة ستٍّ وثمان مائة [٢].

وأمّا بُسْتانُ السَّعيدي

فإنَّه يُشْرِفُ على الخَليج النَّاصِريِّ في هذا الوَقْت، وأدْرَكْنا ما حَوْلَه عامِرًا. وقد خَرِبَتِ الدُّورُ التي كانت هناك من جِهَة الطَّريق الشَّارِع من باب اللُّوق إلى الدِّكَّة، وبها بَقِيَّةٌ آيلةٌ إلى الدُّثُور [٣].

وأمّا بِرْكَةُ قَرْمُوط

فإنَّها من حُقُوق بُسْتان الشَّريف[b] ابن ثَعْلَب. ولمّا حَفَرَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قلاوون الخَليجَ النَّاصِريَّ رَمَى فيها ما خَرَج عند حَفْره من الطِّين، وأدْرَكْناها من أعْمَرِ بُقْعَة في أرْض مصر، وهي الآن خَرابٌ كما ذُكِرَ عند ذِكْرَ البِرَك من هذا الكِتاب [٤].

وأمّا الخَــوْر

فإنَّ الخَوْرَ في اللُّغَة مَصَبُّ الماء، وهو هنا اسْمٌ للأرض التي ما بين الخَليج النَّاصِريِّ والخَليج الذي يُعْرَف بفَم الخَوْر، وجَميعُ هذه الأرْض من جملة بُسْتان ابن ثَعْلَب. وكان يُعْرَف بالخَوْر

a) بولاق: أحمال. b) إضافة من مسودة الخطط.

[١] المقريزي: مسودة الخطط ٥٨ظ.

[٢] نفسه ٥٨ظ-٥٩و (باختصار).

[٣] نفسه ٥٩و.

[٤] نفسه ٥٩و؛ وفيما يلي ٥٤٨.

الصَّعْبي؛ لأنَّه كانت به مَناظِرُ تُعْرَف بـ «مَناظِر الصَّعْبي»[a]، تُشْرِفُ على النِّيل خَرِبَت الآن ولم يُعْرَف لها أثَر. وكان على شاطئ الخَليج الكبير ـ في هذا الجانِب الغَرْبي الذي نحن في ذِكْرِه، بجوار بُسْتان الخَشَّاب الذي كان يُتَوَصَّل إليه من قَنْطَرَة السَّدّ، وبعضه الآن المَيْدان السُّلْطاني ـ بُسْتانٌ يُعْرَف بالجَزيرَة ـ أعْني بُسْتان الجَزيرَة المعروف بالصَّعْبي ـ وكان من البَساتين الجَليلَة.

وهذا الصَّعْبي هو الشَّيْخُ كَريمُ الدَّوْلَة عبد الواحِد بن محمد بن علي الصَّعْبيُّ، ماتَ في شهر رَمَضان سنة ثلاثٍ وستّ مائة بمصر. و[b]لا أدْري هل هو الذي نُسِبَت إليه هذه المناظِر أو[b] كان له أخٌ يُعْرَف بعبد العَظيم بن محمد الصَّعْبيّ. ولمَّا انْحَسَر ماءُ النِّيل عن الرَّمْلَة التي قيل لها مُنْيَة بُولاق تِجاه المَقْس، وعُمِّرَت هناك الدُّور[1]، اتَّصَلت من قِبليها بالخَوْر، وأُنشِئ بشَاطِئ النِّيل الذي بالخَوْر دُورٌ تَجِلُّ عن الوَصْف، وانتظمت صَفًّا واحِدًا من بُولاق إلى مُنْشَأة المَهْراني ومَوْرَدَة الحَلْفاء، ومن مَوْرَدَة الحَلْفاء على سَاحِل مصر الجَديد إلى دَيْر الطِّين غربي بِرْكَة الحَبَش، لو أُحْصي ما أُنْفِق على بناء هذه الدُّور لقام بخَراج مصر أيَّامَ كانت عامِرَة، وقد خَرِبَ مُعْظَمُها من سنة ستٍّ وثمان مائة[2]. وقد تقدَّم ذِكْر مُنْشأة الفاضِل[3].

وأمَّا «حِكْرُ السُّنْباط»[c] و «حِكْرُ كَريم الدِّين الصَّغير» و «حِكْرُ المُطَوَّع» و «حِكْرُ العَيْنُ الزَّرْقاء»، فإنَّها بالقُرْب من المَيْدان الكبير السُّلْطاني، وقد خَرِبَت بعدما كانت عامِرَةً بالدُّور والمتنزَّهات.

---

a) مسودة الخطط: ويقال الخَوْر ومناظِر الصعبي. b-b) إضافة من مسودة الخطط. c) بولاق: السَاباط.

---

[1] فيما يلي ٤٣٠- ٤٣٤.

[2] المقريزي: مسودة الخطط ٥٩ظ.

والنَّصُّ فيه أكثر تفصيلًا يقول: «وأدْرَكْنا بهذا المكان المعروف بالخَوْر من الدُّور المُطِلَّة على النِّيل ما يتجاوز عدد المئين صَفًّا منتظمًا على شاطئ النِّيل من زَرْبِيَّة قَوْصُون إلى بولاق بَلَغَت النَّفَقَةُ على كلِّ دارٍ منها الآلاف من مثاقيل الذَّهَب يَسْكُنُها وُجوه النَّاس من الوُزَراء والأُمَراء والقُضَاة والأعْيان؛ فيها عِدَّةُ أزِقَّةٍ ودُرُوب ومن ورائها الأسْواقُ الجليلة والحمَّامات والبساتين. فلمَّا كان بعد سنة ستٍّ وثمان مائة انْطَرَدَ النِّيلُ عن هذا الجانب الشَّرْقي إلى الجانب الغربي وكثُرَت الجوائح وتطاوَل أمَدُ الغَلاء، فأخَذَ النَّاسُ في هَدْم تلك الدُّور وبَيْع أنْقاضها حتى خَرِبَت كلُّها ولم يَبْقَ منها إلَّا معالم أطلالٍ خاوية. وهذا الخليج ـ أعني خليج فم الخَوْر ـ هو الذي كان يدخُل منه الماء إلى خليج الذَّكر كما يأتي ذكره». (فيما يلي ٤٧٩).

[3] فيما تقدم ٢: ١٦٤- ١٦٥.

حِكْرُ a) بُسْتَانِ العِدَّة

هذا المكانُ من جُمْلَة الأحْكار التي في غَرْبي الخَليج ، وهو بجوار قَنْطَرَة الخَرْق وبجوار حِكْر النُّوبي ، قَريبٌ من باب اللُّوق[b] تجاه الدُّور المُطِلَّة على الخَليج من شرقيه ، المقابلة لباب سَعادَة وحارَة الوَزيريَّة . كان بُستانًا جَليلًا ، وَقَفَهُ الأميرُ فارِسُ المسلمين بَدْرُ بن زُرِّيك أخو الصَّالح طَلائِع ابن زُرِّيك ، صاحِب جامِع الصَّالح خارج باب زَوِيلَة ، ثم إنَّه خَرِبَ فحُكِرَ ، وبُني عليه عِدَّةُ مَساكِن . وحِكْره يَتَعاطاه وَرَثَةُ فارِس المسلمين [1] .

حِكْرُ جَوْهَر النُّوبي

هذا الحِكْرُ تجاه الحارَة الوَزيريَّة من بَرِّ الخَليج الغَرْبي في شَرْقي بُستان العِدَّة ، ويُسْلَك منه إلى قَنْطَرَة أمير حُسَيْن من طَريقٍ تجاه باب جامِع أمير حُسَيْن الذي تَعلوه المِئْذَنَة . وما زالَ بُستانًا إلى نحو سنة ستين وستّ مائة ، فحُكِرَ وبُني فيه الدُّور في الأيَّام الظَّاهِريَّة بَيْبَرْس [2] .

وعُرِفَ بـ جَـوْهَر النُّوبي أحَدِ الأُمَراء في الأيَّام الكامِلية ، وقد تقدَّمَ بديار مصر تَقَدُّمًا زائِدًا ، وكان خَصِيًّا ، وهو مِمَّن ثارَ على الملك العادِل أبي بكر بن الكامِل وخَلَعَه . فلمَّا ملك الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّين أيُّوب بن الكامِل بعد أخيه العادِل ، قَبَضَ على جَوْهَر في سنة ثمانٍ وثلاثين وستّ مائة [3] .

a) إضافة من مسـودة الخطط . b) النص في مسودة الخطط : وهو بجوار قنطرة الخرق على يمنة من سلك إلى اللُّوق ، ويجاور حكر النُّوبي من الحدّ الشرقي ، وينتهي من جهة هذا الحدّ إلى الطريق المسلوك من منظرة أمير حسـين الشارعة من على باب الجامع المذكور الذي يعلوه المأذنة .

[1] المقريزي : مسودة الخطط ٥٤ظ-٥٥و .

ويَدُلُّ على مَوْضع بُستان (غيط) العِدَّة الآن المنطقة الواقعة شمال حارة الأمير حسين التي بها حارَة أبو قِدْرَة ودَرْب العوالم ومحلّ دار الكتب المصرية ومتحف الفن الإسلامي . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ : ١٨٥-١٨٦هـ[2]) .

[2] نفسه ٥٥و .

[3] المقريزي : السلوك ١ : ٣٠٠ .

ويدُلُّ على موضع حِكْر جَوْهَر النُّوبي المنطقة الواقعة شمال بستان العِدَّة حيث يوجد جامع الأمير حسين ومدرسة ابن غَنّام ، والتي تُحَدّ من الشرق بشارع بورسعيد ، ومن الشمال بشارع الشيخ علي يوسف (السويقة سابقًا) ، ومن الغرب بدَرْب أبو طَبَق وما في امتداده جنوبًا إلى أن يتقابل بحارة الأمير حسين ، ومن الجنوب حارة الأمير=

حِكْرُ خَزائِن السِّلاح

هذا الحِكْرُ كان يُعْرَف قَدِيمًا بحِكْر الأُوسِيَّة (aويُقال أوسية جاوْلي a)، وهو فيما بين الدِّكَّة وقَنْطَرة المُوسْكي. وَقَفَه السُّلْطانُ الملكُ العادِلُ أبو بكر بن أيُّوب على مَصالِح خَزائِن السِّلاح، هو وعِدَّةُ أماكِن بمَدِينة مصر مع مَدينَة قَلْيُوب وأراضيها، في جُمادَى الآخرة سنة أربع عشرة وستّ مائة. وظَهَرَ كِتابُ الوَقْف المذكور من الخَزائِن السُّلْطانية في جُمادَى الأُولى سنة خمس عشرة وسبع مائة في أيَّام الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون. وقد خَرِبَ أكثرُ هذا الحِكْر وصارَ كيمانًا (aبسبب الطَّواعين التي توالت بالدِّيار المصرية كالطَّاعون الكبير وغيره a)[١].

حِكْرُ تكسان

وهذا الحِكْرُ بجوار سُوَيْقَة العَجَمي الفاصِلة بينه وبين حِكْر خَزائِن السِّلاح، وكان يُعْرَف قَديمًا بحِكْر كُونْج. وحَدُّه القِبْلي ينتهي إلى حِكْر ابن الأَسَد جفريل، والحَدُّ البَحْري ينتهي إلى حِكْر العَلائي، والحَدُّ الشَّرْقي ينتهي إلى حِكْر البَغْدادية، والحَدُّ الغَرْبي ينتهي إلى حِكْر خَزائِن السِّلاح وسُوَيْقَة العَجَمي.

وتَكسانُ هو الأميرُ سَيْفُ الدِّين تَكان، ويقال: «تكام» بالميم عِوَضًا عن النون b).

وهذا الحِكْرُ استقرَّ أخيرًا في أوْقاف خَوَنْد أُردوتكين ابنة نوكية السِّلاحدار زَوْجَة الملك الأشْرَف خَليل بن قَلاوون، على تُرْبتها التي أنشأتها خارِج باب القَرافَة التي تُعْرَف اليوم بتُرْبَة السِّتّ[٢]. وقد خَرِبَ هذا الحِكْرُ، وبِيعت أنقاضُه في أعْوام بضع / وتسعين وسبع مائة، وجُعِل بعضُه بُسْتانًا في سنة ستّ وتسعين وسبع مائة[٣].

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط. b) في هامش آياصوفيا. بياض سطر.

= حسين وقنطرة الأمير حسين. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٢هـ°، ١١: ١٨٥-١٨٦هـ[٢]).

[١] المقريزي: مسودة الخطط ٥٥و.

[٢] عن خَوَنْد أردوتكين (أردكين، أردوكين) ابنة نوكية (نوغية) وتربتها انظر فيما تقدم ١٦٤، ٢٠٥.

[٣] المقريزي: مسودة الخطط ٥٥و.

حِكْرُ ابن الأَسَد جفريل

هذا الحِكْرُ في قِبْلي حِكْر تكان. كان بُسْتانًا [a]يُعْرَف بخواجا تاوان العَجَمي[a] فحُكِرَ، وعُرِفَ بالأمير شَمْس الدِّين مُوسَىٰ ابن الأمير أَسَد الدِّين جفريل، أَحَدُ أُمَراء الملكِ الكامِل محمد ابن العادِل أبي بكر بن أَيُّوب بمصر[1].

حِكْرُ البَغْدادِيَة

هذا الحِكْرُ بجوار خَليج الذَّكَر[2]، كان من أَعظم البَسَاتين في الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة، فأزالَ الملكُ العَزيزُ عُثْمان بن صَلاح الدِّين يوسُف بن أَيُّوب أشجارَه ونَخْلَه وجَعَله مَيْدانًا، ثم حُكِرَ وصارَت فيه عِدَّةُ مَساكِن. وهو الآن خَرابٌ يَبابٌ لا يأويه إلَّا البُوم والرَّخَم.

[a]قال القاضي الفاضِل في «مُتَجَدِّدات» سنة أربع وتسعين وخمس مائة: ثالث عشرينه ـ يعني رَمَضان ـ خَرَج أَمْرُ العزيز عثمان بقَطْع النَّخْل المُثْمر المُسْتَغَلّ تحت اللُّؤْلُؤة بالبستان المعروف بالبَغْدادية، وهذا البستان كان من بساتين القاهرة الموصوفة وكان منظره من المناظر المُسْتَحْسَنَة، وكان له مستغلٌّ له مِقْدار وكان قد عُني الأوّلون به لمجاورته اللُّؤْلُؤة وإطْلال جميع مناظرها عليه، وجعل هذا البُسْتان مَيْدانًا وحُرِثَ وقُطِعَ ما فيه من الأصُول[a][3].

حِكْرُ الفَارِس[b] خَطْلُبَا

هذا الحِكْرُ حَدُّه القِبْلي إلى الخَلِيج، وحَدُّه البَحْري إلى الكُوم الفاصِل بينه وبين حِكْر الأُوسِيَّة المعروف بالجاوْلي، وحَدُّه الشَّرقي إلى بُسْتان الجَلِيس الذي عُرِفَ بابن مُنْقِذ، والحَدُّ الغربي إلى زُقاقٍ هناك.

a-a) إضافة من مسودة الخطط. b) إضافة من مسودة الخطط.

[1] المقريزي: مسودة الخطط ٥٥ظ.

[2] نفسه ٥٦و؛ المقريزي: السلوك ١: ١٤٢. ويَدُلُّ على موقع حِكْر البَغْدادية الآن الجهة الشرقية لشارع كلوت بك عند شارع الجامع الأحمر والقُوَيْطِيَّة.

[3] المقريزي: السلوك ١: ١٤٢.

وكان هذا الحِكْرُ بُسْتانًا اشْتَراهُ الطَّواشي جَمالُ الدِّين عُمَر بن ناصِح الدِّين داود بن إسماعيل المَلَكِي الكامِليُّ، في سنة ستّ عشرةَ وستّ مائة. ثم ابْتاعَه منه الطَّواشِيُّ مُحْيِي الدِّين صَنْدَل الكامِلي في سنة عشرين وستّ مائة، وباعَه للأمير الفارِس صَارِم الدِّين خَطْلُبا الكامِلي في سنة إحدى وعشرين وستّ مائة، فعُرِفَ به [1].

وهو خَطْلُبا بن مُوسَى الأمير صارِم الدِّين الفارِسي التِّبْتيني[a] المَوْصِلي الكامِلي، استقرَّ في ولايَة القاهِرَة سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة، في أيَّام السُّلْطان صَلاح الدِّين يوسُف بن أيُّوب، ثم أُضيفَت له وِلايَةُ الفَيُّوم في سنة سبعٍ وسبعين وخمس مائة، ثم صُرِفَ عنها، وسارَ مُتَسلِّمُه إلى اليَمَن ليستلِّمها، فتسلَّمَها في جُمادَى الأولى. وسَارَ هو في سادس شَوَّال منها واليًا على مَدينَة زَبيد باليَمَن، ومعه خمس مائة رَجُل ورَفيقه الأميرُ باخِل، فبَلَغَتِ النَّفَقةُ عليه عِشْرينَ ألفَ دينارٍ، وكَتَبَ للطَّواشيَّةِ بنَفَقَة عشرة دنانير لكلٍّ منهم على اليَمَن. فأقامَ باليَمَن مُدَّةً، ثم قَدِمَ إلى القاهِرَة وصارَ من أصْحابِ الأمير فَخْر الدِّين جَهارْكَس، وتأخَّرَ إلى أيام المَلِك الكامِل، وصارَ من أُمَرائه بالقاهِرَة إلى أن ماتَ في ثالث شَعْبان سنة خمس وثلاثين وستّ مائة [2].

حِكْر ابن مُنْقِذ [3]

هذا الحِكْرُ خارِج باب القَنْطَرَة بعَدْوَة خَليج الذَّكَر، وكان بُستانًا يُعْرَف بِبُستان الشَّريف الجَليس، ويُعْرَف أيضًا بالبَطائِحي، ثم عُرِفَ بالأمير سَيْف الدَّوْلَة مُبارَك بن كامِل بن مُنْقِذ نائِب المَلِك المُعِزّ سَيْف الإسْلام ظَهير الدِّين طُغْتَكين بن نَجْم الدِّين أيُّوب بن شاذي على مملكة اليَمَن. وانتقل بعد ابن مُنْقِذ إلى الشَّيْخ عبد المُحْسِن بن عبد العَزيز بن عليّ المَخْزومي، المعروف بابن الصَّيْرَفي، فوَقَفَه على جِهاتٍ تؤول أخيرًا إلى الفُقَراء والمساكين المقيمين بمَشْهَد السَّيِّدَة نَفيسَة، والفُقَراء والمساكين المُعْتَقَلين في حُبُوس القاهِرَة في سنة ثلاثٍ وأربعين وستّ مائة. ثم أُزيلَت

a) بولاق: التبني وفي الوافي للوفيات التنبسي.

[1] المقريزي: مسودة الخطط ٥٥ظ.

[2] انظر ترجمة خَطْلُبا بن موسى، المتوفى سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م عند، الصفدي: الوافي بالوفيات ١٣: ٣٤٧؛ المقريزي: السلوك ١: ٦٤.

[3] يَدُلُّ على موقع حِكْر ابن مُنْقِذ الآن المنطقة التي يحدُّها من الشرق شارع الخليج المصري (بورسعيد)، ومن الشمال شارع الخَرّاطين، ومن الغرب ديوان قسم باب الشعرية، ومن الجنوب شارع بير حُمُّص.

أنْشابُ هذا البُسْتان وحُكِرَت أرْضُه ، وبُنِيَت الدُّور والمساكِنُ عليها . وهو الآن خَرابٌ [١].

حِكْرُ فارِس المُسْلِمِين بَدْر بن رُزَّيك

هذا الحِكْرُ تجاه مَنْظَرة اللُّؤْلُؤة [٢]. كان من جملة البِرْكَة المعروفة ببطْن البَقَرة ، ثم حُكِرَ وبني فيه ، وأكثره الآن خَرابٌ .

حِكْرُ شَمْس الخَواصّ مَسْرور

هذا الحِكْرُ فيما بين خَليج الذَّكَر وحِكْر ابن مُنْقِذ . كان بُسْتانًا لشَمْس الخَواصّ مَسْرور الطُّواشِي ، أحَدُ الخُدَّام الصَّالحِيَّة ، ماتَ في نصف شَوَّال سنة سبعٍ وأربعين وستّ مائة بالقاهِرَة . ثم حُكِرَ وبُني فيه الدُّور ، وموضعه الآن كيمانٌ [٣].

حِكْرُ العَلائي

هذا الحِكْرُ يُجاوِر حِكْر تَكان من بَحْريِّه ، وكان بُسْتانًا جَليلَ القَدْر ثم حُكِر ، وصارَ بعضُه وَقْف تِذْكار بي [٤] خاتون ابنة الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس ، وَقَفَتْه في سنة أربعٍ وثلاثين وسبع مائة على نفسها ، ثم من بعدها على الرِّباط الذي أنشأته داخِل الدَّرْب الأصْفَر تجاه خانْقاه بَيْبَرْس - وهو الرِّباط المعروف برواق البَغْدادية [٥] - وعلى المَسْجد الذي بحِكْر سَيْف الإسْلام خارج باب زَوِيلَة ، وعلى تُرْبَتها التي بجوار جَامِع ابن عبد الظَّاهِر بالقَرافَة .

وصارَ بعضُ هذا الحِكْر في وَقْف الأمير سَيْف الدِّين بَهادرُ العَلائي مُتَوَلّي البَهْنَسا ، وكان وَقفُه في سنة إحدى وأربعين وسبع مائة ، فعُرِفَ بالحِكْر العَلائي المذكور .

وأدْرَكْتُ هذا الحِكْر وهو من أعْمَر الأحْكار وفيه دَرْبُ الأمير عِزّ الدِّين أيْدَمُر الزَّرَّاق [٦]، أمير جانْدار ووالي القاهِرَة ، ودارُه العَظيمَة ومَساكِنه الكثيرة . فلمَّا حَدَثَت المِحَنُ منذ سنة ستٍّ وثمان

---

[١] المقريزي : مسودة الخطط ٥٥ظ-٥٦و .

[٢] نفسه ٥٥ظ .

[٣] نفسه ٥٦و (باختصار) .

[٤] وردت أيضًا : تذكار باي .

[٥] انظر فيما يلي ٢: ٤٢٧- ٤٢٨ .

[٦] الأميرُ عزُّ الدِّين أيْدَمُر الزَّرَّاق والي القاهرة ، المتوفى في حدود سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨ المنسوب إليه دَرْب الزَّرَّاق بالحِكْر ، راجع عنه المقريزي : المقفى الكبير ٢: ٣٦٥؛ وفيما تقدم ١٣٦- ١٣٧ .

مائة خَرِبَ هذا الحِكْرُ ، وأُخِذَت انقاضُه ، وبقيت دارُ الزَّرَّاق إلى سنة سبع عشرة وثمان مائة ، فشُرِعَ في الهَدْم فيها لأجل أنْقاضِها الجَليلة [1].

حِكْر الحَريري

هذا الحِكْرُ بجوار الحِكْر العَلائي المذكور من حَدِّه البحري ، وهو من جملة الأرض المعروفة بالأرْض البَيْضاء ، وكان بُسْتانًا ثم حُكِرَ وصارَ في وَقْف خَزائِن السِّلاح . وأدْرَكْناه عامِرًا ، وفيه سُوقٌ يُعْرَف بالسُّوَيْقَة البَيْضَاء كانت بها عِدَّةُ حَوانيت وقد خَرِبَ هذا الحِكْرُ .

وهذا الحَريري هو الصَّاحِب مُحْيي الدِّين [a] [2].

الحِكْر المعروف بالأرض البَيْضاء [b]

إسْطَبْل المَسَّاح [c]

عُرِف بالأمير شَمْس الدِّين سُنْقُر المَسَّاح ، أَحَدُ الأُمَراء الظَّاهِرِيَّة بَيْبَرْس ، قُبِضَ عليه في عِدَّةٍ من الأُمَراء في ذي الحجَّة سنة تسعٍ وستين وستّ مائة .

الدِّكَّة

هذا المكانُ كان بُسْتانًا من أعْظَم بَساتين القاهِرَة ، فيما بين أراضي اللُّوق والمَقْس ،/ وبه مَنْظَرةٌ للخُلَفاء الفاطِميين تُشْرِف طاقاتُها على بَحْر النِّيل الأعْظَم ، ولا يَحُول بينها وبين بَرّ الجيزَة شيءٌ . فلمَّا زالَتِ الدَّوْلَةُ الفاطِمِيَّةُ تلاشَى أمْرُ هذا البُسْتان وخَرِبَ ، فحُكِرَ موضعه وبَنَى النَّاسُ فيه ، فصارَ

١٢١:٢

a) بعد ذلك بياض في المسودة ، وعلى هامش آياصوفيا : بياض سطرين . b) إضافة من مسودة الخطط ، وفي آياصوفيا : الأرض البيضاء ، وعلى الهامش : هكذا بخط مؤلفه من غير تخريج لمحله ، وعلى الحاشية بياض أربعة أسطر . c) بولاق : حكر المساح .

[1] المقريزي : مسودة الخطط ٥٦و ، مع تقديم وتأخير وخلاف في العبارة .

[2] نفسه ٥٦و .

خِطَّةً كبيرةً كأنَّه بَلَدٌ جَليلٌ، وصارَ به سُوقٌ عَظيمٌ، وسَكَنَه الكُتَّاب وغيرهم من النَّاس، وأدْرَكْتُه عامِرًا. ثم إنَّه خَرِبَ منذ سنة ستٍّ وثمان مائة، وبه الآن بقيَّةٌ عمَّا قَليل تَدْثُر كما دَثَرَ ما هنالِك وصارَ كيمانًا.

ذِكْرُ المَقْس وفيه الكَلامُ على المَكْس

وكَيفَ كانَ أصْلُه في أوَّل الإسْلام

اعْلَم أنَّ المَقْسَ قَديمٌ [١]، وكان في الجاهِلِيَّة قَرْيَةً تُعْرَف بأُمِّ دُنَيْن، وهي الآن مَحلَّةٌ بظاهِر القاهِرَة في بَرِّ الخَليج الغربي. وكان عند وَضْع القاهِرَة هو ساحِلُ النِّيل، وبه أنْشأ الإمامُ المُعِزّ لدين الله أبو تَميم مَعَدّ الصِّناعَة التي ذُكِرَت عند ذِكْر الصِّناعات من هذا الكِتاب، وبه أيضًا أنشأ الإمامُ الحاكِمُ بأمْر الله أبو عليّ مَنْصور جامِع المَقْس الذي تُسَمِّيه عامَّةُ أهْل مصر في زَمَننا بجامع المَقْسي [٢]، وهو الآن يُطِلُّ على الخَليج النَّاصِري [٣].

قال أبو القاسِم عبد الرَّحْمن بن عبد الله بن عبد الحَكَم في كتاب «فُتُوح مِصْر» وقد ذَكَرَ مَسيرَ عَمْرو بن العَاص ـ رضي الله عنه ـ إلى فَتْح مصر: فتقدَّم عَمْرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ لا يُدافَع إلَّا بالأَمْر الخَفيف حتى أتَى بِلْبَيْس، فقاتَلوه بها نَحْوًا من شهرٍ حتى فَتَح الله سُبحانَه وتعالى عليه. ثم مضَى لا يُدافَع إلَّا بالأمْر الخَفيف حتى أتَى أُمَّ دُنَيْن، فقاتلوه بها قِتالًا شَديدًا، وأَبْطأ عليه الفَتْحُ فكَتَبَ إلى أمير المؤمنين عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ يستمدُّه، فأمَدَّه بأربعة آلافٍ تمام ثمانية آلاف، فقاتلهم ...، وذَكَر تمام الخَبَر [٤].

---

[١] كان المَقْسُ في عَهْد الدولة الفاطمية مقصورًا على قرية المَقْس التي كانت تقع في المنطقة التي يقع فيها اليوم جامع الفَتْح (جامع أولاد عنان سابقًا)، وتمتد إلى شارع قَنْطَرة الدِّكَّة، ويدخل فيها مدخل شارع الجمهورية والمباني التي على جانبيه إلى الدَّرْب الإبراهيمي. وفي عهد دولة المماليك أصبح «المَقْس» يُطْلَق على المنطقة الكبيرة التي تُحَدّ الآن من الغرب بميدان باب الحديد فشارع رمسيس فشارع محمد فريد، ومن الجنوب شارع قنطرة الدِّكَّة وشارع الفُوَطِيَّة وشارع سوق الزَّلَط وشارع الخرَّاطين، ومن الشرق شارع الكنيسة المرقسية وسِكَّة شقّ الثعبان وحارة الحَذَرَة، ومن الشمال شارع بين الحارات إلى أن ينتهي الحَدّ بميدان باب الحديد. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٥٣-٥٤هـ[٧] تعليق محمد رمزي؛ محمد رمزي: «الجغرافية التاريخية لمدينة القاهرة - شبرا وروض الفرج»، ٣٢٩).

[٢] فيما يلي ٢: ٢٨٣.

[٣] فيما يلي ٤٨١.

[٤] ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٥٩؛ وفيما تقدم ٢: ١٣.

وقال القاضي أبو عبد الله القُضاعِيُّ : المَقْسُ كانت ضَيْعَةً تُعْرَف بأُمِّ دُنَيْن ، وإنَّما سُمِّيَتِ المَقْس لأنَّ العاشِرَ كان يَقْعُد[a] بها وصاحِبُ المَكْس ؛ فقيل المَكْسُ فقُلِبَ فقيل المَقْسُ[1] .

قال كاتِبُه[b]: الماكِسُ هو العَشَّار ، وأَصْلُ المكس في اللغة الجِبايَة .

قال ابنُ سِيدَه في كتاب «المُحْكَم» : المَكْسُ الجِبايَة ، مَكَسَه يَمْكُسُه مَكْسًا . والمَكْسُ دَراهم كانت تُؤْخَذ من بائِع السِّلَع في الأسْواق في الجاهِلِيَّة ، ويُقالُ للعَشَّار صاحِبُ مَكْسٍ ، والمَكْسُ انتقاص الثَّمَن في البِياعَة .

قال الشَّاعِرُ :

[الطويل]

أفي كـلِّ أسْـواقِ الـعِراق إتـاوةٌ   وفي كلِّ ما باعَ امرؤٌ مَكْسُ دِرْهَمِ
ألا يَنْتَهي عَنَّا رجالٌ وتَتَّقي   محارِمَنا لا يُدْرأ الدَّمُ بالدَّمِ

الإتاوةُ الخَراج ، ومَكْسُ دِرْهم أي نَقْص دِرْهم في بَيْعٍ ونحوه .

قال : وعَشَر القَوْم يَعْشُرهم عُشْرًا وعُشُورًا ، وعَشَّرَهم أَخَذَ عُشْر أَمْوالِهم ، وعَشَرَ المال نفسه وعَشَّره كذلك ، والعَشَّارُ قابِضُ العُشْر ، ومنه قَوْلُ عيسى بن عَمْرو لابن هُبَيْرَة وهو يُضْرِب بين يديه بالسِّياط : تالله إن كانت إلَّا ثيابًا في أسْفاط قبضها عَشَّاروك[2] .

وقال الجاحِظُ : تَرَكَ النَّاسُ مِمَّا كان مُسْتَعْمَلًا في الجاهِلِيَّة أُمُورًا كثيرة ؛ فمن ذلك تَسْميتهم للإتاوَة بالخَرَاج ، وتسميتهم لما يأخُذُه السُّلْطانُ من الحُلْوان والمَكْس بالرِّشْوَة .

وقال الخارِجِيُّ : أفي كلِّ أسْواقِ العِراقِ إتاوةٌ ... البَيْت .

وكما قال العَبْدي في الجارُود :

[الطويل]

أكابن المعلَّى خِلْتَنا أم حَسِبْتَنا   صَواريَّ نُعْطي الماكِسين مُكوسًا

الصَّواريّ المَلَّاحون ، والمَكْسُ ما يأخُذُه العَشَّار . انتهى .

---

a) ابن عبد الظاهر : يتقدم . b) بولاق : مؤلفه .

---

[1] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٢٥؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٥٣.

[2] ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ٦ : ٤٥٦.

ويُقالُ إنَّ قَوْمَ شُعَيْب ـ عليه السّلام ـ كانوا مَكّاسين لا يَدَعُون شيئًا إلَّا مَكَسوه، ومنه قيل للمَكْس البَخْس، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم﴾ [الآية ٨٥ من سورة الأعراف].

وذَكَرَ أحمدُ بن يحيى البَلاذُري، عن سُفْيان الثَّوْري، عن إبراهيم بن مُهاجِر، قال: سَمِعْتُ زياد بن حُدَيْر[a] يقول: «أنا أوَّلُ من عَشَّر في الإسْلام».

وعن سُفْيان، عن عبد الله بن خالد، عن عبد الرَّحمن بن مَعْقِل، قال: سألْتُ زِيادَ بن حُدَيْر[a] من كنتم تَعْشُرُونَ؟ فقال: ما كُنَّا نَعْشُرُ مُسْلمًا ولا مُعاهِدًا، بل كنا نَعْشُرُ تُجَّارَ أَهْل الحَرْب كما كانوا يَعْشُرُونا إذا أتَيْناهم[1].

وقال عبدُ الملك بن حَبيب السُّلَمِي[2] في كِتاب «سيرَة الإمام العَدْل في مالِ الله»، عن السَّائب ابن يَزيد أنَّه قال: كنت على سُوق المَدينَة في زَمَن عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ فكُنَّا نأخذ من القِبْط العُشْر. وقال ابنُ شهاب: كان ذلك يُؤْخَذ منهم في الجاهِلِيَّة، فألزمهم ذلك عُمَرُ ابن الخَطَّاب.

وعن عبد الله بن عُمر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنهما ـ قال: إنَّ عُمَرَ بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ كان يأخُذ بالمَدينَة من القِبْط من الحِنْطَة والزَّبيب نصف العُشْر، يُريد بذلك أن يكثر الحَمْل إلى المَدينةَ من الحِنْطَة والزَّبيب، وكان يأخذ من القَطنيَّة العُشْر.

وقال مالِكُ ـ رحمه الله: والسُّنَّةُ أنَّ ما أقامَ الذِّمَّةُ في بلادِهِم التي صالَحوا عليها فليس عليهم فيها إلَّا الجِزْيَة؛ إلَّا أن يَتَّجِروا في بلاد المسلمين ويختلفوا فيها، فيُؤْخَذ منهم العُشْر فيما يُديرون من التِّجارة. وإنِ اخْتَلَفوا في العام الواحِد مِرارًا إلى بِلاد المسلمين، فعليهم كُلَّما اختلفوا العُشْر. وإذا اتَّجَر الذِّمِّيُّ في بِلادِهِ من أعْلاها إلى أسفَلها، ولم يخرج منها إلى غيرها، فليس عليه شيءٌ،

---

a) بولاق: جرير.

---

[1] قارن، البلاذري: فتوح البلدان ٢١٨، أنساب الأشراف، القسم الخامس، سائر فروع قريش، ٤٢٥.

[2] أبو مَرْوان عبد الملك بن حَبيب بن سليمان بن هارون السُّلَمي المِرْداسي الأنْدَلُسي القرطبي المالكي، فقيه الأندلس وعالمه، المتوفى سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م. (ابن الفرضي: تاريخ العلماء والرواة ١: ٣١٢؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك ٣: ٣٠-٤٨؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢: ٥٣٧-٥٣٨، سير أعلام النبلاء ١٢: ١٠٢-١٠٧؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٩: ١٥٨-١٥٩؛ ابن فرحون: الديباج المذهب ٢: ٨-١٥. ولم تذكر المصادر عنوان كتابه الذي ذكره المقريزي، وذكرت له كتابًا آخر بعنوان: «سيرة الإمام في الملحدين»، وانظر أيضًا Sezgin, F., *GAS* I, p. 362).

مثل أن يَتَّجر الذِّمِّي الشَّامي في جَميع الشَّام، / أو الذِّمِّي المصري في جَميع مصر، أو الذِّمِّي العِراقي في جَميع العِراق. ١٢٢:٢

وليس العَمَلُ عندنا على قَوْل عُمَر بن عبد العزيز لِرُزَيْق بن حَيَّان: «واكْتُب لهم بما يُؤْخذ منهم كِتابًا إلى مثله من الحَوْل، ومَنْ مَرَّ بك من أهْل الذِّمَّة فخُذ مِمَّا يُديرون من التِّجارات من كلِّ عشرين دينارًا دينارًا، فما نَقَص فبحساب ذلك حتى تَبْلُغ عشرة دنانير، فإن نَقَصَ منها ثُلُث دينار فدَعْها ولا تأخُذ منها شيئًا». والعَمَلُ على أن يُؤْخذ منهم العُشْر، وإن خرَجوا في السَّنَة مِرارًا من كلِّ ما اتَّجروا به قلَّ أو كَثُر. وهذا قَوْلُ رَبيعَة وابن هُرْمُز. ٥

وقال القاضي أبو يُوسُف يَعْقُوب بن إبراهيم الحَضْرَمي [1]، أحَدُ أصْحابِ الإمام أبي حَنيفَة ـ رضي الله عنه ـ في كِتابِ «الرِّسالة» إلى أمير المؤمنين هارون الرَّشيد، وهو كِتابٌ جَليلُ القَدْر: حَدَّثنا إسماعيلُ بن إبراهيم بن المهاجِر، قال: سَمِعْتُ أبي يَذْكر، قال: سَمِعْتُ زِيادَ بن حُدَيْر [a]، قال: أوَّل من بَعَثَ عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ منَّا على العُشُور أنا، فأمَرَني ألَّا أُفَتِّش أحَدًا، وما مَرَّ عليَّ من شيءٍ أخَذْتُ من حِساب أربعين دِرْهمًا، دِرْهمًا من المسلمين، وأخَذْتُ من أهْل الذِّمَّة من عشرين واحدًا، وممَّن لا ذِمَّةَ له العُشْر، وأمَرَني أن أُغْلُظ على نَصارى بني تَغْلِب، قال: إنَّهم قَوْمٌ من العَرَب وليسوا من أهْل الكِتاب، فلعلَّهم يُسْلمون. قال: وكان عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ قد اشْتَرَط على نَصارى بني تَغْلِب ألا يُنَصِّروا أوْلادَهم [2]. وحَدَّثنا أبو حَنيفَة عن الهَيْثَم، عن أنَس بن سِيرين، عن أنَس بن مالِك ـ رضي الله عنه ـ قال: بَعَثَني عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ على العُشُور، وكَتَبَ لي عَهْدًا أن آخُذَ من المسلمين مِمَّا اخْتَلَفوا به لِتجارَاتِهم رُبْع العُشْر، ومن أهْل الذِّمَّة نِصف العُشْر، ومن أهْل الحَرْب العُشْر. ١٠ ١٥

---

a) بولاق: جرير.

---

[1] أبو يوسف يَعْقُوب بن إبراهيم بن حبيب بن خُنَيْس بن سعد بن حَبْتَة الكوفي، المتوفى ببغداد سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م، أحد أصحاب الإمام أبي حنيفة النُّعْمان، وَلِيَ القضاء ببغداد لثلاثة خُلَفَاء: المَهْدي والهادي والرَّشيد حتى وفاته. وهو أوَّل من خُوطِبَ بـ«قاضي القضاة» ـ و«الرِّسالَة» إلى أمير المؤمنين هارون الرَّشيد ـ التي يشير إليها المقريزي ـ توجد في مقدمة كتابه «الخَــراج» (القاهرة ١٣٥٢هـ). (راجع، وكيع: أخبار القضاة ٣: ٢٥٤– ٢٦٤؛ ابن النديم: الفهرست ٢٥٦– ٢٥٧؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٤: ٢٤٢– ٢٦٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦: ٣٧٨– ٣٩٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٨: ٤٧٠– ٤٧٣؛ القرشي: الجواهر المضية ٣: ٦١١– ٦١٢؛ Sezgin, F., *GAS* I, pp. 419-21).

[2] قارن مع البلاذُري: فتوح البلدان ٢١٧.

وحَدَّثنا عاصِمُ بن سُلَيْمان الأَحْوَل عن الحَسَن، قال: كَتَبَ أبو مُوسىٰ الأَشْعَري إلى عُمَر بن الخَطَّاب - رضي الله عنهما -: «إنَّ تُجّارًا من قِبَلِنا من المسلمين يأتون أهْلَ الحَرْب فيأخذون منهم العُشْر». فكَتَبَ إليه عُمَر - رضي الله عنه -: «فخُذ أنت منهم كما يَأْخُذون منْ تُجّار المسلمين، وخُذْ من أَهْل الذِّمَّة نِصْف العُشْر، ومن المسلمين من كلِّ أربعين دِرْهَمًا دِرْهمًا، وليس فيما دون المائتين شيءٌ، فإذا كانت مائتين ففيها خمسةُ دراهِم، فما زادَ فبحِساب».

وحَدَّثنا عبد الملك بن جُرَيْج، عن عَمْرو بن شُعَيْب، قال: إنَّ أهل مَنْبج - قومًا من أَهْل الشِّرْك وَراءَ البَحْر - كَتَبوا إلى عُمَر بن الخَطَّاب - رضي الله عنه -: «دَعْنا ندخُل أرْضَك تُجّارًا وتَعْشُرنا». قال: فشاوَر عُمَر أصحابَ النَّبيِّ ﷺ، فأشاروا عليه به. فكانوا أوَّل من عَشَّرَه من أَهْل الحَرْب.

وحدَّثنا السُّدّي بن إسماعيل، عن عامِر الشَّعْبي، عن زِياد بن حُدَيْر[a] الأَسَدي، قال: إنَّ عُمَر بن الخَطّاب - رضي الله عنه - بَعثَه على عُشُور العِراق والشّام، وأَمَرَهُ أن يأخُذ من المسلمين رُبْع العُشْر، ومن أَهْل الذِّمَّة نِصْف العُشْر، ومن أَهْل الحَرْب العُشْر. فَمَرَّ عليه رَجُلٌ من بني تَغْلِب من نَصارىٰ العَرَب، ومعه فَرَسٌ، فقوَّمها بعشرين ألفًا، فقال: أمْسِك الفَرَس وأَعْطني ألفًا، أو خُذْ منّي تسعة عشر ألفًا وأعْطني الفَرَس، قال: فأَعْطاه ألفا وأمْسَك الفَرَس. قال: ثم مَرَّ عليه راجِعًا في سَنَتِه، فقال: أعْطِني ألفًا أخرى. فقال له التَّغْلِبي: كلَّما مَرَرْت بك تأخُذ منّي ألفًا؟! قال: نَعَم. فرَجَعَ التَّغْلِبيُّ إلى عُمَر بن الخَطّاب - رضي الله عنه - فوافاه بمَكَّة وهو في بيتٍ له، فاسْتَأْذَن عليه، فقال: من أنت؟ فقال: أنا رَجُلٌ من نَصارىٰ العَرَب. وقَصَّ عليه قِصَّتَه. فقال له عُمَر - رضي الله عنه -: كُفيت. ولم يُزِده على ذلك.

قال: فرَجَعَ الرَّجلُ إلى زِياد بن حُدَيْر[a]، وقد وَطَّنَ نفسه على أن يُعْطِيه ألفًا، فوَجَدَ كِتابَ عُمَر - رضي الله عنه - قد سَبَق إليه: «مَنْ مَرَّ عليك فأَخَذْت منه صَدَقةً، فلا تأخُذ منه شيئًا إلى مثل ذلك اليوم من قابِل، إلّا أن تَجِدَ فَضْلًا»[1].

a) بولاق: جرير.

[1] قارن مع البلاذري: أنساب الأشراف، القسم الخامس - سائر فروع قريش، ٤٢٥.

قال : فقال الرَّجُلُ : قد واللهِ كانت نفسي طَيِّبَة أن أُعطيكَ ألفًا ، وإنّي أُشْهِدُ الله تعالى أنّي بريءٌ من النَّصْرانية ، وأنّي على دِين الرَّجُل الذي كَتَبَ إليك هذا الكِتاب .

وحَدَّثَني يحيى بن سَعيد ، عن زُرَيْق بن حَيَّان ـ وكان على مَكْس مصر ـ فذَكَرَ أنَّ عُمَر بن عبد العزيز كَتَبَ إليه :

٥ « أنِ انْظُرْ مَنْ مَرَّ عليك من المسلمين فخُذ ممَّا ظَهَرَ من أمْوالِهم وما ظَهَرَ لك من التِّجارات ، من كلِّ أربعين دينارًا دينارًا ، فما نَقَصَ فبحسابِه حتى تبلغ عشرين دينارًا ، فإن نَقَصَت فدَعْها ولا تأخُذ منها . وإذا مَرَّ عليك أهْلُ الذِّمَّة فخُذْ ممَّا يُديرون من تِجاراتِهم من كلِّ عشرين دينارًا دينارًا ، فما نَقَصَ فبحساب ذلك حتى تَبْلُغ عشرة دنانير ، ثم دَعْها لا تأخُذ منها شيئًا ، ١٠ واكْتُب لهم كِتابًا بما تأخُذ منهم إلى مِثْلها من الحَوْل » .

وحدَّثني أبو حَنيفَة ، عن حَمَّاد عن إبراهيم ، أنَّه قال : إذا مَرَّ أهْلُ الذِّمَّة بالخَمْر للتِّجارَة أُخِذَ من قيمتها نِصْف العُشْر ، ولا يُقْبَل قَوْلُ الذِّمِّي في قيمتها حتى يؤتى برجلين من أهْل الذِّمَّة يقوِّمانها عليه ، فيُؤْخَذ نِصْفُ العُشْر من الذِّمِّي .

وحدَّثنا قَيْسُ بن الرَّبيع ، عن أبي فَزارَة ، عن يَزيد بن الأَصَمّ ، عن عبدِ الله بن الزُّبَيْر ـ رضي ١٥ الله عنهما ـ أنَّه قال : إنَّ هذه المَعاصِر والقَناطِر سُحْتٌ لا يحل أخْذها . فبعث عُمَّالًا إلى اليَمَن ، ونَهاهُم أن يأخُذوا مِنْ عاصِرٍ أو قَنْطَرةٍ أو طَريقٍ شيئًا . فقَدِمُوا ، فاستقلَّ المالَ ، فقالوا : نَهَيْتَنا . فقال : خُذُوا كما كنتم تأخُذون .

وحدَّثنا محمد بن عبيد الله ، عن أَنَس بن سيرين ، قال : أرادوا أن يستعملوني / على عُشُور الأُبُلَّة فأَبَيْت ، فلَقِيَني أَنَسُ بن مالكٍ ـ رضِي الله عنه ـ فقال : ما يَمْنَعُك ؟ قلت : العُشُورُ أَخْبَثُ ما ٢٠ عَمِلَ عليه النَّاسُ . قال : فقال لي : لم لا تَفْعَل ما عُمَر بن الخَطَّاب صَنَعَه : فجَعَلَ على أهْل الإسْلام رُبْع العُشْر ، وعلى أهْل الذِّمَّة نِصْفِ العُشْر ، وعلى أهْل المَنْزِل ممَّن ليس له ذِمَّة العُشْر ؟ [١٢٣:٢]

وقال أبو الحَسَن المَسْعودِي : إنَّ كَيْقُباذ ، أَحَدُ مُلوك الفُرْس ، أوَّل من أَخَذَ العُشْر من الأرْض ، وعَمَّر بابِل ومَمْلَكة الفُرْس ، ورأيتُ في التَّوْراة التي في يَد اليَهود أنَّ أوَّل من أَخْرَج العُشْر من مَواشيه ٢٥ وزُروعِه وجَميع مالِه خَليلُ الله إبراهيم ـ عليه السَّلام ـ وكان يَدْفع ذلك إلى مَلك أُورْشَليم التي هي أرض القُدْس واسْمه ملكي صادق .

فلمَّا ماتَ الخَلِيلُ إبراهيم ـ صَلواتُ الله عليه وسَلامُه ـ اقْتَدَى به بَنُوه في ذلك من بعده، وصارُوا يَدْفعون العُشْر من أمْوالِهم؛ إلى أن بَعَث الله تعالى مُوسىٰ ـ عليه السَّلام ـ فأَوْجَبَ على بني إسرائيل إخْراجَ العُشْر في كلِّ ما مَلَكت أيمانُهم من جَميع أمْوالِهم بأنْواعِها، وجَعَلَ ذلك حَقًّا لسِبْطِ لاوى الَّذين هم قَرابة مُوسَىٰ عليه السَّلام [1].

وقال ابن يُونُس في «تاريخ مِصْر»: كان رَبيعَةُ بن شُرَحْبيل بن حَسَنَة ـ رضي الله عنه ـ أَحَد من شَهِدَ فَتْح مصر من أصْحابِ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، والِيًا لعَمْرو بن العَاص ـ رضي الله عنه ـ على المَكْس. وكان زُرَيْق بن حَيَّان على مَكْس أَيْلَة في خِلافَه عُمَر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه [2].

قال كاتِبُه [a]: ومع ذلك فقد كان أهلُ الوَرَع من السَّلَف يَكْرَهُون هذا العَمَل. رَوَى ابنُ قُتَيْبَة في كتاب «الغَريب» أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «لَعَنَ الله سُهَيْلًا، كان عَشَّارًا باليَمَن، فمَسَخَه الله شِهابًا». ورَوَى ابنُ لَهِيعَة، عن عبد الرَّحْمَن بن مَيْمون، عن أبي إبراهيم المَعافِري، عن خالِد بن ثابِت، أنَّ كَعْبًا أوْصَاه، وتَقَدَّم إليه حين مخرجه مع عَمْرو بن العَاص ألَّا يقرب المَكْس.

فهذا ـ أعَزَّكَ الله ـ معنى المَكْس عند أهْل الإسْلام. لا ما أَحْدثَه الظَّالِمُ هِبَةُ الله بن صَاعِد الفائِزي، وَزيرُ الملك المُعِزّ أَيْبَك التركماني ـ أوَّل من أقامَ من مُلوك التُّرْك بقَلْعَة الجَبَل ـ من المَظالِم التي سَمَّاها «الحقُوقَ السُّلْطانِيَّة والمُعامَلات الدِّيوانية»، وتُعْرَفُ اليوم بـ «المُكُوس» [3].

فذلك الرِّجْسُ النَّجِس الذي هو أَقْبَحُ المعاصي والذُّنوب المُوبِقات، لكثرة مُطالَبات النَّاس له وظُلاماتِهم عنده، وتَكَرُّر ذلك منه، وانتهاكه للنَّاس، وأَخْذ أمْوالِهم بغير حَقِّها، وصَرْفِها في غير وَجْهِها. وذلك الذي لا يُقِرُّ به مُتَّقٍ، وعلى آخِذِه لَعْنَةُ الله والملائِكة والنَّاس أجمعين.

---

a) بولاق: مؤلفه.

---

[1] قارن مع المسعودي: مروج الذهب ٢: ١٦٥.

[2] ابن يونس: تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين) ١٧٢.

[3] انظر فيما تقدم ١: ٢٨٣؛ ٢: ٩٠؛ وفيما يلي ٥٩٨، ٧٦٨.

ولنَرْجِع إلى الكَلام في المَقْس فنقول: من النَّاس من يُسَمِّيه المَقْسَم ـ بالميم بعد السين ـ قال ابنُ عبد الظَّاهِر في كِتاب «خِطَط القاهِرَة»: وسَمِعْتُ من يقول إنَّه المَقْسَم، قيل لأنَّ قِسْمَة الغَنائِم عند الفُتُوح كانت به [1]، ولم أرَه مَسْطورًا.

وقال العِمادُ محمد أبي الفَرَج محمَّد بن حامِد الكاتِب الأَصْفَهاني في كِتاب «سَنا البَرْق الشَّامي» [2]: وجَلَسَ الملكُ الكامِلُ محمد بن السُّلْطان الملك العادِل أبي بكر بن أيُّوب، في البُرْج الذي بجوار جامِع المَقْسَم [كذا]، في السابع والعشرين من شَوَّال سنة ستٍّ وتسعين وخمس مائة.

وهذا المَقْسَم على شاطئ النِّيل يُزار، وهناك مَسْجِدٌ يَتَبَرَّك به الأبْرارُ، وهو المكان الذي قُسِّمَت فيه الغَنائِم عند استيلاء الصَّحابَة ـ رضي الله عنهم ـ على مصر. فلمَّا أَمَرَ السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يوسُف بن أيُّوب بإدارَة السُّور على مصر والقاهِرَة، تولَّى ذلك الأميرُ بَهَاءُ الدِّين قَراقُوش، وجَعَلَ نهايَتَه التي تلي القاهِرَة عند المَقْسَم، وبَنَى فيه بُرْجًا مُشْرِفًا على النِّيل، وبَنَى مَسْجِدًا جامِعًا، واتَّصَلتِ العِمارَةُ منه إلى البَلَد، وجامِعُه تُقامُ فيه الجُمُعَة والجَماعات.

وهذا البُرْجُ عُرِف بقَلْعة قَراقُوش، وما بَرِحَ هناك إلى أن هَدَمَه الصَّاحِبُ الوَزيرُ شَمْسُ الدِّين عبد الله المَقْسي، وزير الملك الأشْرَف شَعْبان بن حُسَيْن بن محمد بن قَلاوون، في سنة بضعٍ

---

[1] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٢٦.

[2] كتابُ «البَرْق الشَّامي» للقاضي عماد الدِّين أبي عبد الله محمد بن صفي الدِّين أبي الفَرَج محمد بن نفيس الدِّين أبي الرَّجاء حامِد بن محمد بن عبد الله الأَصْفَهاني، المتوفى سنة ٥٩٧هـ/١٢٠١م. كتابٌ في سبعة أجزاء تناوَل فيه تاريخ صلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب، بدأه منذ وصل هو إلى الشَّام سنة ٥٦٢هـ/١١٦٧م، ودخوله في خدمة الملك الشهيد نور الدِّين محمود وأنْهاه بحوادث سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م، وأتَمَّ تأليفه سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨م. وقد فُقِدَ هذا الكتاب ولم يُحْفَظ منه سوى الجزأين الثالث والخامس، يعالج فيهما حوادث السِّنين من بداية سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م وإلى أواخر سنة ٥٧٥هـ/١١٨٠م، ثم حوادث سنتي ٥٧٨-٥٧٩هـ/١١٨٢-١١٨٣م. وهما محفوظان في مكتبة البودليانا بأكسفورد (Bruce 11, Marsh 425)، ونَشَرَ الجزء الثالث مصطفى الحياري، والجزء الخامس فالح صالح حسين، وصَدَرا في عمَّان بالأردن عن مؤسسة عبد الحميد شومان سنة ١٩٨٦.

واختصر هذا الكتاب مع ذيوله الفَتْحُ بن علي البُنْداري، المتوفى بعد سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٧م بعنوان: «سَنَا البَرْق الشَّامي» الذي وَصَلَ إلينا منه فقط الجزء الأوَّل يشتمل على حوادث السنوات من ٥٦٢-٥٨٣هـ/١١٦٦-١١٨٧م، محفوظ في مكتبة أسْعَد أفندي الملحقة بالمكتبة السليمانية بإستانبول برقم ٢٢٤٩، ونُشِرَ مرَّتين الأولى بتحقيق رمضان ششن وصدر عن دار الكتاب الجديد في بيروت سنة ١٩٧٧، والثانية بتحقيق فتحية النَّبْراوي وصدر عن مكتبة الخانجي في القاهرة سنة ١٩٧٩.

والنَّصُّ الذي أورده المقريزي هنا يُوجَد في القسم المفقود من الكتاب.

وسبعين وسبع مائة عندما جَدَّد جامِعَ المَقْس الذي أنشأه الخَليفَةُ الحاكِمُ بأمْر الله ، فصارَ يُعْرَف بجامِع المَقْسي هذا إلى اليوم . وما بَرِحَ جامِعُ المَقْس هذا يُشْرف على النِّيل الأعْظَم إلى ما بعد سنة سبع مائة بعدَّة أعْوام [1].

قال جامِعُ : «السِّيرة الطُّولونِيَّة» : ورَكِبَ أحمدُ بن طُولون في غَداةٍ بارِدَةٍ إلى المَقْس ، فأصابَ بشاطئ النِّيل صَيَّادًا عليه خَلَق لا يُواريه منه شيءٌ ، ومعه صَبِيٌّ له في مثل حالِه ، وقد ألقى شَبَكَته في البَحْر . فلمَّا رآه رَقَّ له وقال : يا نَسيم ادْفَع إلى هذا عشرين[a] دينارًا . فدَفَعَها إليه ولَحِقَ ابن طُولون . فسارَ أحمدُ بن طُولون ولم يَبْعُد ، ورَجَع فوَجَدَ الصَّيّاد مَيِّتًا والصَّبيُّ يبكي ويَصيح ، فظَنَّ ابنُ طُولون أنَّ بَعْضَ سُودانِه قَتَلَه وأَخَذَ الدَّنانير منه ، فوَقَف بنفسه عليه ، وسأل الصَّبيَّ عن أبيه ، فقال له : هذا الغُلام ـ وأشار إلى نَسيم الخادِم ـ دَفَع إلى أبي شيئًا ، فلم يَزَل يُقَلِّبه حتى وَقَع مَيِّتًا . فقال : فَتِّشه يا نَسيم . فنَزَلَ وفَتَّشَه ، فوَجَد الدَّنانير معه بحالِها ، فحَرَّض الصَّبيَّ أن يأخُذها . فأبَى وقال : هذه قَتَلت أبي ، وإن أَخَذْتُها قَتَلَتْني .

فأَحْضَر ابنُ طُولون قاضي المَقْس وشيوخَه ، وأَمَرَهُم أن يَشْتَروا للصَّبي دارًا بخمس مائة دينار تكون لها غَلَّة ، وأن تُحْبَس عليه ، وكَتَبَ اسمَه في أصْحاب الجِرايات وقال : أنا قَتَلْتُ أباه لأنَّ الغِنَى يَحْتاجُ إلى تَدْريج وإلَّا قَتَلَ صاحِبَه . / هذا كان يجب أن يُدْفَع إليه دينارٌ بعد دينار حتى تأتيه هذه الجملة على تفرقةٍ فلا تَكْثُر في عَيْنه [2].

. وقال القاضي الفاضِلُ عبد الرَّحيم البَيْساني ـ رحمه الله ـ في «تعليق المُتَجَدِّدات» لسنة سبعٍ وسبعين وخمس مائة : وفيه ـ يعني يومَ الثلاثاء لستٍّ بقين من المحرَّم ـ رَكِبَ السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب ، أعَزَّ الله نَصْرَه ، لمشاهَدَة ساحِل النِّيل ـ وكان قد انْحَسَر وتشمَّر عن المَقْس وما يليه ، وبَعُدَ عن السُّور والقَلْعَة المستجدَّين بالمَقْس ـ وأَحْضَرَ أرْبابَ الخِبْرَة ، واسْتَشَارهم ، فأُشِيرَ عليه بإقامَة الجَراريف لرَفْع الرِّمال التي قد عارَضَت جَزائِرها طَريقَ الماء ، وسَدَّته ووَقَفَت فيه .

a) عند البلوي : ثلاثين .

[1] فيما تقدم ٢:٢٦٤– ٢٦٦؛ وفيما يلي ٢: ٢٨٣.

[2] البلوي : سيرة أحمد بن طولون ١٩٣– ١٩٤؛ ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ٩٩ (عن ابن الداية) .

وكان الأَفْضَلُ بن أَمير الجُيوش لمَّا تربَّى قُدَّام دار المُلْك جَزيرة رَمْل ، كما هي اليوم ، أرادَ أن يُقَرِّب البَحْرَ وينقل الجَزيرَة ، فأُشير عليه بأن يَبْني ممَّا يلي الجَزيرَة أنفًا خارِجًا في البَحْر ليَلْقى التيَّار وينقل الرَّمْل . فعَسُرَ هذا ، وعَظُمَت غَرامَتُه .

فأشار عليه ابن سَنيد[a] بأن يأخذ قصارى فَخَّار ، تُثْقَب ويُعْمَل تحتها رءوس بَرابخ وتُلَطَّخ بالزِّفْت ، وتُكَبّ القَصارىٰ عليها وتُدْفَن في الرَّمل ، فإذا زادَ النِّيل ورَكِبَها ، نَزَل من خُروق القَصارىٰ إلى الرُّءوس فأدارَها الماء ، ومنعتها القَصارى أن تَنْحِدر ، ودامتَ حَركَةُ الرَّمْل بتَحْريك الماء للرُّءوس ، فانتقل الرَّمْلُ . وذكر أنَّ للزِّفْت خاصِّيَّةً في تَحْويل الرَّمْل .

قال : وفي هذا الوَقْت احْتَرَقَ النِّيلُ ، وصارَ البحرُ مخايِضَ يَقْطَعُها الرَّاجِل ، وتُوحَل فيه المراكِب ، وتشَمَّر الماءُ عن سَاحِل المَقْس ومصر ، ورَبَّى جزائِرَ رملية أَشْفَقَ منها على المِقْياس لئلا يتقلَّص النِّيلُ عنه ويحتاج إلى عَمَل غيره ، وخُشِيَ منها أيضًا على ساحِلَ المَقْس لكون بُنْيان السُّور كان اتَّصَل بالماء ، وقد تباعَدَ الآن عن السُّور ، وصارَ المدُّ قُوَّتُه من بَرِّ الغَرْب . ووَقَع النَّظَرُ في إقامَة جَراريف لقَطْع الجزائر التي رَبّاها البَحْر ، وعَمَل أنوفًا خارجَة في بَرِّ الجيزَة ليميل بها الماءُ إلى هذا الجانِب ، و لم يتم شيءٌ من ذلك .

وقال ابنُ المتَوَّج : في سنة خمسين وستّ مائة انتهى النِّيلُ في إحراقِه[b] إلى أربعة أَذْرُع وسبعة عشر أُصْبُعًا ، وانتهى في زِيادَاتِه إلى ثمانية عشر ذراعًا [c]وسبعة عشر أُصْبعًا[c]، وكان مثل ذلك في دَوْلَة الملك الأَشْرَف خَليل بن قَلاوون ، وكان نِيلًا عَظيمًا سَدّ فيه باب المَقْس ، يعني الباب الذي يُعْرَف اليوم بباب البَحْر عند المَقْس . وفي سنة اثنتين وستين وستّ مائة ، أُحْضِرَ إلى الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس طِفْلٌ وُجِدَ مَيْتًا بسَاحِل المَقْس ، له رأسان وأَربعة أَعْيُنٍ وأربعة أرْجُل وأربعة أَيْدٍ .

أخبرني وَكيلُ أبي الشَّيخُ المُعَمَّر حُسام الدِّين حَسَن بن عمر الشُّهْرَزوري[d] ـ رحمه الله ـ ومَوْلِده سنة اثنتين وسبع مائة بالمَقْس ، أنَّه يَعْرِف باب البَحْر هذا : إذا خَرَجَ منه الإنْسانُ فإنَّه يَرَى بَرَّ الجيزَة لا يَحُول بينه وبينها حائِل ، فإذا زادَ ماءُ النِّيل صارَ الماءُ عند الوَكالة التي هي الآن خارج باب البَحْر ، المعروفة بوَكالَة الجُبْن ، وإذا كان أيَّام احْتِراق النِّيل بقيتِ الرِّمالُ تِجاه باب البَحْر ، وذلك قبل أن يَحْفُر الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون الخَليج النَّاصِريّ . فلمَّا حَفَرَ الخَليجَ المذكور ، أنشأ النَّاسُ البَساتين والدُّور ، كما يجيء إن شاءَ الله تعالى ذِكْرُه .

---

a) بولاق : سيد . b) بولاق : احترافه . c-c) ساقط من بولاق . d) بولاق : السهروردي .

وأَدْرَكْنا المَقْسَ خِطَّةً في غايَة العِمارَة بها عِدَّةُ أَسْواق ، ويَسْكُنها أُمَمٌ من الأكْراد والأجْناد والكُتَّاب وغيرهم . وقد تَلاشَت من بعد سنة سبع وسبعين وسبع مائة عند حُدُوث الغَلاء بمصر في أيَّام الملك الأَشْرَف شَعْبان بن حُسَيْن . فلمَّا كانت المِحَنُ منذ سنة ستٍّ وثمان مائة ، خَرِبَت الأحْكارُ والمَقْسُ وغيره . وفيه إلى الآن بقيَّةٌ صالِحَةٌ ، وبه خمسة جَوامعَ تُقامُ بها الجُمُعَة وعِدَّةُ أَسْواقٍ ، ومعظمه خَرابٌ .

ذكر مَيْدان القَمْح

هذا المكانُ خارِج باب القَنْطَرَة ، يَتَّصِل من شَرْقيه بعَدْوة الخَليج ، ومن غربيه بالمَقْس ، وبعضهم يُسَمِّيه «مَيْدانُ الغَلَّة» . وكان مَوْضِعًا للغِلال أيَّامَ كان المَقْسُ ساحِلَ القاهِرَة . وكانت صُبَرُ القَمْح وغيره من الغِلال تُوضَعُ من جانِب المَقْس إلى باب القَنْطَرة عَرْضًا ، وتقف المراكِبُ من جانِب المَقْس إلى مُنْيَة السِّيرج طُولاً ، ويصيرُ عند باب القَنْطَرة في أيَّام النِّيل من مَراكِب الغَلَّة وغيرها ما يسْتُر السَّاحِل كلَّه [1].

قال ابنُ عبد الظَّاهِر : المكانُ المعروف بمَيْدان الغَلَّة وما جاوَرَه إلى ما وَرَاء الخَليج ، لمَّا ضَعُفَ أَمْرُ الخِلافَة وهُجِرَت الرُّسُومُ القَديمَة[a] من التَّفَرُّج في اللُّؤْلؤة وغيرها ، بَنَت الطائِفَة الفَرَجيَّة السـاكنون بالمَقْس - لأنَّهم ضاقَ بهم المَقْس - قُبالَة اللُّؤْلؤة حارَةً سُمِّيَت بحارَة اللُّصُوص ، بسبب تَعَدِّيهم فيها مع غيرهم ، إلى أن غَيَّروا تلك المعالم [2]. وقد كان ذلك قَديمًا بُسْتانًا سُلْطانيًّا يسمَّى بالمَقْسي ، أَمَر الظَّاهِرُ بن الحاكِم بنَقْلِ أنْشابِه ، وحَفْره وجَعْلِه بِرْكَةً قُدَّام اللُّؤْلؤة مختلطةً بالخَليج .

وكان للبُسْتان المقدَّم ذكره نُزعةٌ من البَحْر يَدْخُل منها الماءُ إليه - وهو خَليجُ الذَّكَر الآن [3] - فأُمِرَ بإبْقائِها على حالِها مُسَلَّطةً على البِرْكَة والخَليج يَسْتَنْقِعُ الماءُ فيها . فلمَّا نُسِيَ ذلك على ما

---

a) مسودة الخطط : الرسم القديم .

---

[1] مَيْدانُ القَمْح . يَدُلُّ على موقع هذا الميدان الذي كان قائمًا زمن الدَّوْلة الفاطمية ، عندما كان ساحلُ المَقْس هو ميناء القاهرة ، النصف الشرقي من منطقة باب البحر التي يشغلها الآن سكة الفجالة وشارع الطواشي حتى ميدان بركة الرطلي شمالاً .

[2] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١١٢؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٣٥٧- ٣٥٨؛ وفيما يلي ٥٤٢.

[3] فيما يلي ٤٧٩- ٤٨٠.

ذَكَرناه، عَمَدَ المذكورون وغيرُهُم إلى اقْتِطاع البِرْكَة من الخَليج، وجَعَلوا بينها وبين الخَليج جِسْرًا، وصارَ الماءُ يصل إليها من التُّرْعَة دون الخَليج، وصارَت مُسْتَنْزَهًا[a] للسُّودان المذكورين في أيَّام النِّيل / والرَّبيع.

ولمَّا كانتِ الأيَّامُ الآمِرِيَّةُ أَحَبَّ إعادَةَ النُّزْهَة، فتقدَّم وَزيرُه المأْمُون بن البَطائِحي بإحْضار عُرَفاء السُّودان المذكورين، وأنْكَرَ عليهم ذلك، فاعْتَذَروا بكثرة الرِّجال[b]، فأمَرَ بنَقْل ذلك وأعْطاهُم إنْعامًا، فبَنَوا حارَةً بالقُرْب من دار كافُور[1] التي أُسْكِنَت بها الطَّائِفَةُ المأْمُونية، قُبالَة بُسْتان الوَزير، ومن المَساجِد الثَّلاثَة المُعَلَّقة في شرقيها. ثم أَحْضَر الأبْقار من البَساتين والعُدَد والآلات، ونَقَضَ الجِسْر الذي بين البِرْكَة والخَليج، وعَمَّقَ البِرْكَةَ إلى أن صارَ الخَليج مُسَلَّطًا عليها.

[c]قال كاتِبُه: هذه البِرْكةُ كان يُقالُ لها بَطْن البَقَرة، ومكانها الآن موضعه يُقالُ لبعضه كوم الجاكي وسُوق الحمام بظاهِر مَيْدان القَمْح[c]، وقد ذُكِرَ خَبَرُها عند ذِكْر البِرَك من هذا الكتاب[2].

[c]وأخْبَرَني وكيلُ أبي حُسامُ الدِّين حَسَن بن عُمَر الشَّهْرَزوري أنَّه يَعْرف بهذه البِرْكَة الماء قبل حَفْر الخَليج النَّاصِريِّ، ويَعْرِف خليجَ الذَّكر أيضًا والماءُ يَمُرُّ منه إلى هذه البِرْكة.

وأخْبَرَني شَيْخٌ مُعَمَّر يُعْرَف بشَمْس الدِّين السُّعودي[3]، كان يخرج مع أبيه وهو صغير إلى هذه البِرْكة ويخبره أبوه عن عمارتها ويُريه آثارَ زَرابي البيوت التي كانت تطلُّ عليها. قال كاتِبُه: وأنا أدْرَكْتُ قطعةً من خَليج الذَّكر وفيها القَصَبُ الفارسي نابِت وليس فيها ماءٌ. وقد صارَ الآن الخليجُ والبِرْكةُ كِيمانَ تُرابٍ مُوحِشَة، وإذا تأمَّلْتَ البِقَاعَ وَجَدْتَها تشقى كما يَشْقى الرِّجالُ وتَسْعَدُ[c].

وقد صارَ هذا المَيْدان اليوم سُوقًا تُباعُ فيه القَشَّة من النُّحاس العتيق والحُصْر وغير ذلك، وفي بعضِه سُوقُ الغَزْل، وبه جامِعٌ يُشْرِفُ على الخليج، وسَكَنَ هناك طائِفةٌ من المشارِقَة الحُيَّاك، وفيه سُوقٌ عامِرٌ بالمعايش[4].

---

a) بولاق: متنزها. b) بولاق: الرمال. c-c) إضافة من مسودة الخطط استعيض ببعضها عن جزء من نص المبيضة.

---

[1] حاشية بخَطِّ المؤلِّف: «دار كافور كانت على بِرْكة قارون التي هي اليوم بجوار الكَبْش عند الجِسْر الأعْظَم».

[2] فيما يلي ٥٤١- ٥٤٢.

[3] فيما يلي ٤٧٧.

[4] المقريزي: مسودة الخطط ١٥٠و-ظ.

ذِكْرُ أَرْضِ الطَّبَّالَة[١]

هذه الأَرْضُ، على جانِبِ الخَليج الغَرْبي بجوار المَقْس، كانت من أحْسَن متنزَّهات القاهِرَة؛ يمرُّ النِّيلُ الأَعْظَمُ من غَرْبِيها عندما يَنْدَفِع من سَاحِل المَقْس - حيث جامِع المَقْس الآن - إلى أن ينتهي إلى المَوْضِع الذي يُعْرَف بالجُرُف، على جانب الخَليج النَّاصِريّ بالقُرْب من بِرْكَة الرَّطْليّ.

ويَمُرُّ من الجُرُف إلى غربيّ البَعْل، فتصير أَرْضُ الطَّبَّالة نقطة وَسَطًا: من غَرْبيها النِّيل الأعْظَم، ومن شَرْقيها الخَليج، ومن قِبْليها البِرْكَة المعروفة ببَطْن البَقَرة، والبَساتِين التي آخِرها حيث الآن بابُ مصر بجوار الكَبارَة، وحيث المَشْهَد النَّفيسي، ومن بَحْريها أَرْضُ البَعْل ومَنْظَرةُ البَعْل ومَنْظَرةُ التَّاج والخَمْس الوُجُوه وقُبَّة الهَوَاء[٢].

فكانت رؤيةُ هذه الأرْض شيئًا عَجيبًا في أيام الرَّبيع، وفيها يقول سَيْفُ الدِّين عليُّ بن قَزْل المشد:

[الوافر]

إلى طَبَّالَةٍ يَعْزون أرْضًا ... لها من سُنْدُسِ الرَّيْحان بُسْط
وقد كَتَب الشَّقيقُ بها سُطورًا ... وأحْسَنَ شَكْلَها للطلِّ نَقْطُ
رياضٌ كالعَرائِس حين تُجْلَى ... يُزَيِّـنُ وَجْهَـهَا تاجٌ وقُرْطُ

---

[١] هذا الفصل نشره سلفستر دي ساسي De Sacy, S., *Chrestomathie Arabe*, Paris 1806, I, pp. 105-31، بعنوان: «ذكر أرض الطبالة وحَشيشَة الفُقَراء».

[٢] يدل على موقع أرض الطَّبَّالَة الآن المنطقة السكنية التي تُحَدّ من الشرق بشارع بورسعيد (الخليج المصري) ومن الشمال بشارع الظَّاهر فشارع وَقْف الخَرْبوطْلي وما في امتداده حتى يتقابل بشارع مَهْمَشَة، ومن الغرب بشارع غَمْرة (أسفل كوبرى أكتوبر) إلى مبنى الهيئة القومية لمترو الأنفاق (محطة كوبري الليمون) فميدان رمسيس فميدان باب الحديد حيث كان النيلُ يجري قديمًا. ومن الجنوب بشارع الفجّالة وسِكّة الفجّالَة ويدخل في هذه المنطقة كذلك مبنى الهيئة القومية لمترو الأنفاق (محطة كوبري الليمون) والفجّالة وبركة الرطلي. وفي نهاية القرن التاسع عشر كان النصف الغربي من هذه المنطقة وما جاورها من الغرب أرضًا زراعية تُزْرَع فيها الخضروات وعلى الأخص الفِجْل، فاشتهرت الأرض باسم غيط الفَجّالَة نسبةً إلى الذين يزرعونه، ولمَّا عَمُرَت تلك الجهة بالمساكن سُمِّيَت الطريق التي كانت تجاور هذا الغيط من الجهة القبلية باسم شارع الفَجّالَة. (تعليقات محمد رمزي واستدراكاته على النجوم الزاهرة ٥: ١٢هـ°، ٧: ٣٨٩؛ محمد رمزي: «الجغرافية التاريخية لمدينة القاهرة - شبرا وروض الفرج ٥، ٢٣٢).

وإنّما قيل لها «أرْضُ الطَّبّالَة» ، لأنّ الأميرَ أبا الحارِثِ أرْسَلان البَساسيري ، لمّا غاضَبَ الخَليفَة القائِم بأمْر الله العَبّاسي ، وخَرَجَ من بَغْداد يُريدُ الانْتِماء إلى الدَّوْلة الفاطِميَّة بالقاهِرَة ، أمَدَّهُ الخَليفَةُ المُسْتَنْصِر بالله ووَزيرُه النّاصِرُ لدين الله عبد الرحمن اليَازوري ، حتى اسْتَوْلَى على بَغْداد ، وأخَذَ قَصْرَ الخِلافَة ، وأزالَ دَوْلَة بني العَبّاس منها ، وأقامَ الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة هناك ، وسَيَّرَ عِمامَة القائِم وثِيابَه وشُبّاكَه الذي كان إذا جَلَسَ يستند إليه ، وغير ذلك من الأمْوال والتُّحَف إلى القاهِرَة في سنة خمسين وأربع مائة [1].

فلمّا وَصَل ذلك إلى القاهِرَة ، سُرَّ الخَليفَةُ المُسْتَنْصر سُرورًا عظيمًا ، وزُيِّنَتِ القاهِرَةُ والقُصُورُ ومَدينَةُ مصر والجَزيرَة . فوَقَفَت « نَسَب »[a] طَبّالَةُ المُسْتَنْصر ـ وكانت امْرَأةً مرجلة تقف تحت القصر في المواسِم والأعْياد ، وتسير أمامَ[b] المَوْكِب وحَوْلَها طائِفتها وهي تَضْرب بالطَّبْل وتُنْشِد ـ فأنْشَدَت وهي واقِفَة تحت القَصْر :

[مجزوء الرمل]

يا بَني العَبّاس رُدُّوا ... مَـلَـكَ الأمْـرَ مَـعَـدُّ
مُلْكُكُم مُلْكٌ مُعارٌ ... والـعَـواري تُـسْـتَـرَدُّ

فأَعْجَبَ المُسْتَنْصر ذلك منها ، وقال لها : تَمَنِّي . فسألت أن تُقْطَع الأرْضَ المجاورة للمَقْس . فأقْطَعَها هذه الأرْض ، وقيل لها من حينئذٍ «أرْضُ الطَّبّالَة» [2]. ولنَسَب هذه تُربَةٌ[c] بالقَرافَة الكبرى تُعْرَف بتُرْبَة نَسَب[a].

قال ابنُ عبد الظّاهِر : أرْضُ الطَّبّالَة منسوبةٌ إلى امرأةٍ مُغَنِّيَةٍ تُعْرَفُ بنَسَب[a] ـ وقيل بطَرَب ـ مُغَنِّيَة المُسْتَنْصِر ، قال : فوَهَبَها هذه الأرْضَ المعروفة بأرْض الطَّبّالَة ، وحُكِرَت وبُنِيَت آدُرًا وبيوتًا ، وكانت من مُلَح القاهِرَة وبَهْجَتِها [3]. انتهى .

---

a) بولاق : نسب . b) بولاق : أيام . c) بولاق : وأنشأت هذه الطبالة تربة .

---

[1] راجع تفصيل ذلك عند ، المؤيد في الدين : سيرة داعي الدعاة ١٧٨ - ١٨٠؛ ابن القلانسي : تاريخ مدينة دمشق ٨٧ - ٨٩؛ ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٦٧ - ٦٨؛ ابن الأثير : الكامل ٩: ٤٤٥ - ٤٤٩؛ ابن ميسر : أخبار مصر ١٨ - ١٩؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١: ١٩١، وفيما تقدم ٢: ١٩٦.

[2] ابن ميسر : أخبار مصر ١٩؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ٢٥٤، مسودة الخطط ١٤٨و-١٤٨ظ .

[3] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١١٩ - ١٢٠.

ثم إنَّ أَرْضَ الطَّبَّالَة خَرِبَت في سنة ستٍّ وتسعين وستّ مائة، عند حُدوث الغَلاء والوَباء في سَلْطَنَة الملك العادِل كَتْبُغا [1]، حتى لم يَبْق فيها إنسانٌ يَلُوح، وبقيت خَرابًا إلى ما بعد سنة إحدى عشرة وسبع مائة، فشَرَع النَّاسُ في سُكْناها قَليلًا قَليلًا.

فلمَّا حَفَرَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون الخَليج النَّاصِريَّ، في سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائة، كانت هذه الأرْضُ بيد الأمير بَكْتَمُر الحاجِب. فما زالَ بالمهندسين حتى مَرُّوا بالخَليج من عند الجُرف على بِرْكَة الطُّوّابين - التي تُعْرَف اليوم ببِرْكَة الحاجِب وبِرْكة الرَّطْلي - فمَرُّوا به من هناك حتى صَبَّ في الخَليج الكبير من آخِر أرْض الطَّبَّالَة [2]. فعَمَّر الأميرُ بَكْتَمُر المذكور هناك القَنْطَرَة، التي تُعْرَف بقَنْطَرَة الحاجِب على الخَليج النَّاصِريِّ، وأقامَ جِسْرًا من القَنْطَرَة المذكورة إلى قَريب من الجُرْف. فصارَ هذا الجِسْرُ فاصِلًا بين بِرْكَة الحاجِب والخَليج النَّاصِريّ، وأَذِنَ للنَّاس في تَحْكيره، / فبَنَوا عليه وعلى البِرْكَة الدُّورَ. ١٢٦

وعَمَرَت بسبب ذلك أَرْضُ الطَّبَّالَة، وصارَ بها عِدَّةُ حارات: منها حارَة العَرَب، وحارَة الأكْراد، وحارَة البَرادِرَة [a]، وحارَة العَيَّاطين وغير ذلك. وبقي فيها عِدَّةُ أسْواقٍ وحَمَّامٌ وجَوامِعُ تُقامُ بها الجُمُعَة، وأقبل النَّاسُ على التنزُّه بها أيَّامَ النِّيل والرَّبيع، وكَثُرَت الرَّغَباتُ فيها لقُرْبها من القاهِرَة.

وما بِرحَت على غايةٍ من العِمارَة، إلى أن حَدَث الغَلاءُ في سنة سبعٍ وسَبْعين وسبع مائة، أيَّام الأشْرَف شَعْبان بن حسين، فخَرِبَ كثيرٌ من حارات أرْض الطَّبَّالة، وبقيت منها بقيَّةٌ إلى أن دَثَرت منذ سنة ستٍّ وثمان مائة، وصارَت كيمانًا.

وبقي فيها من العامِر الآن الأمْلاكُ المُطِلَّة على البِرْكَة، التي ذُكِرَت عند ذِكْر البِرَك من هذا الكِتاب [3]، وفيها بُقعَةٌ تُعْرَفُ بالجُنَيْنَة - تصغير جَنَّة - من أَخْبَث بِقاع الأرْض. يُعْمَل فيها بمَعاصي الله - عَزَّ وجَلَّ - وتُعْرَف ببَيْع الحَشيشَة التي يبتلعها أراذِلُ النَّاس.

وقد فَشَت هذه الشَّجرةُ الخَبيثَةُ في وَقْتنا هذا فُشُوًّا زائِدًا، ووَلَع بها أهْلُ الخَلاعَة والسُّخْف وُلوعًا كثيرًا، وتظاهَروا بها من غير احْتِشام بعدما أدركناها تُعَدُّ من أرْذَل الخَبائِث، وأقْبح

---

a) بولاق: البزازره.

---

[1] فيما يلي ٧٧٤.

[2] ابن أيبك: كنز الدرر ٩: ٣٢٠-٣٢١؛ المقريزي: مسودة الخطط ١٤٩و.

[3] فيما يلي ٥٤٢.

القاذُورات، وما شيءٌ في الحَقِيقَة أَفْسَد لِطِباع البَشَر منها. ولاشْتِهارها في وَقْتنا هذا عند الخاصّ والعامّ، بمصر والشَّام والعِراق والرُّوم، تَعَيَّنَ ذكرها، والله تعالى أَعْلَم.

ذِكْرُ حَشيشَة الفُقَراء[1] - قال الحَسَنُ بن محمد في كِتاب: «السَّوانِح الأَدَبِيَّة في مَدائِح القِنَّبِيَّة»[2]: سأَلْتُ الشَّيْخَ جَعْفَر بن محمد الشِّيرازي الحَيْدَري بِبَلْدَة تُسْتَر، في سنة ثمانٍ وخمسين وستّ مائة، عن السَّبَب في الوُقُوف على هذا العَقَار، ووصُوله إلى الفُقَراء خاصَّةً، وتَعَدِّيه إلى العَوَام عامَّةً. فذَكَر لي أَنَّ شَيْخَه، الشَّيْخ حَيْدَر[a] - رحمه الله - كان كثيرَ الرِّياضَة والمُجاهَدَة، قَليلَ الاسْتِعْمال للغَذاء، قد فاقَ في الزَّهادَة، وبَرَزَ في العِبادَة. وكان مولدُه بنَشَاوُر[3] من بلاد خُراسان، ومقامُه بجبل بين نَشَاوُر وراماه[b] [4]، وكان قد اتَّخَذ بهذا الجَبَل زاويةً وفي صُحْبته جماعَةٌ من الفُقَراء، وانقطع في مَوْضِعٍ منها، ومَكَثَ بها أكثر من عَشْر سنين لا يَخرج منها، ولا يَدْخُل عليه أَحَدٌ غيري للقيام بخدمته.

قال: ثم إنَّ الشَّيْخ طَلَعَ ذاتَ يومٍ، وقد اشتدَّ الحَرّ وَقْتَ القائِلَة، منفردًا بنفسه إلى الصَّحْراء، ثم عادَ وقد عَلا وَجْهُه نَشَاطٌ وسُرورٌ بخلافِ ما كُنَّا نَعْهَدُه من حالِه قَبْل، وأَذِنَ لأَصْحابه في الدُّخول عليه، وأَخَذَ يُحادِثهم. فلمَّا رأينا الشَّيْخَ على هذه الحالة من المُؤانَسَة، بعد إقامَتِه تلك المُدَّة الطَّويلة في الخَلْوة والعُزْلَة، سألناه عن ذلك فقال: بينما أنا في خُلْوَتي إذ خَطَرَ ببالي الخُروجُ إلى الصَّحْراء منفردًا، فخَرَجْتُ فوَجَدْتُ كلَّ شيءٍ من النَّبات ساكِنًا لا يتحرَّك لعَدَم الرِّيح وشِدَّة القَيْظ، ومَرَرْتُ بنباتٍ له وَرَقٌ، فرأيته في تلك الحال يَميس بلُطْفٍ، ويتحرَّك من غير عُنْفٍ كالثَّمِل النَّشْوان، فجَعَلْتُ أَقْطِف منه أَوْراقًا وآكلها، فحَدَثَ عندي من الارتياح ما شاهَدْتُموه، وقُومُوا بنا حتى أُوقِفكم عليه لتعرفوا شَكْلَه.

---

a) بولاق: شيخ الشيوخ حيدرا. b) بولاق: مارماه.

---

[1] نشرها سلفستر دي ساسي في كتاب Chrestomathie arabe, Paris 1806, I, pp. 105-31.

[2] «السَّوانح الأدبية في مَدائح القِنَّبِيَّة» للحسن بن محمد ابن عبد الرحمن بن أبي البقاء العُكْبَري، قال حاجي خليفة: «رسالةٌ كأنَّه عارَض بها صاحبها «تكريم المعيشة في تحريم الحَشيشة» للقُطْب القَسطَلَّاني. ولمَّا وَقَفَ القَسطَلَّاني على هذا وضع رسالةً أخرى سَمَّاها «تَتِمّم التَّكْريم لما في الحشيش من التَّحْريم»، يذكر فيها ما ذكره ويَرُدُّه». (كشف الظنون (طبعة ليبتسج) ٣: ٦٣٠).

[3] هي مدينة نَيْسابور، قال ياقوت: والعامَّة يُسَمُّونه نشاوُور. (ياقوت: معجم البلدان ٥: ٣٣١).

[4] راماه. ربما المقصود: راماشاه من قرى مَرْو الشَّاهجان. (نفسه ٣: ١٦).

قال: فخَرَجْنا إلى الصَّحْراء، فأَوْقَفَنا على النَّبات، فلمَّا رأيناه قُلْنا: هذا نَباتٌ يُعْرَفُ بالقِنَّب. فأَمَرنا أن نأْخُذ من وَرَقِه ونأكله، ففعَلْنا. ثم عُدْنا إلى الزَّاوية فوَجَدْنا في قُلوبِنا من السُّرور والفَرَح ما عَجَزْنا عن كِتْمانِه. فلمَّا رآنا الشَّيْخُ على الحالَة التي وَصَفْنا أَمَرَنا بصيانة هذا العَقَّار، وأَخَذَ علينا الأَيْمانُ ألا نُعْلم به أحدًا من عَوامِّ النَّاس، وأوْصانا ألَّا نُخْفيه عن الفُقَرَاء، وقال: إنَّ الله تعالى قد خَصَّكم بسِرِّ هذا الوَرَق، ليُذْهِب بأكله هُمومَكم الكثيفَة، ويَجْلوَ بفعله أفكارَكم الشَّريفَة. فراقِبوه فيما أَوْدَعَكم، وراعُوه فيما اسْتَرْعاكُم.

قال الشَّيْخُ جَعْفَر: فزَرَعْتها بزاوية الشَّيْخ حَيْدر بعد أن وَقَفْنا على هذا السِّرِّ في حياته، وأَمَرَنا بزَرْعها حَوْل ضَريحه بعد وَفاته. وعاشَ الشَّيْخُ حَيْدَر بعد ذلك عشر سنين وأنا في خِدْمَته، لم أرَه يَقْطَع أكلها في كلِّ يوم، وكان يأمُرنا بتَقليل الغَذَاء وأَكْل هذه الحَشيشَة.

وتوفِّي الشيخُ حَيْدَر سنة ثمان عشرة بزاويته في الجَبَل، وعُمِلَ على ضَريحه قُبَّةٌ عَظيمةٌ، وأتته النُّذُورُ الوافِرَة من أهْل خُراسَان، وعَظَّموا قَدْرَه وزاروا قَبْرَه، واحترموا أصحابَه. وكان قد أَوْصَى أصحابَه عند وَفاتِه أن يوقفوا ظُرَفاء أَهْل خُراسان وكُبراءَهم على هذا العَقَّار وسره، فاستعملوه.

قال: ولم تَزَلِ الحَشيشَةُ شائِعَةً ذائِعةً في بلاد خُراسان ومُعامَلات فارِس، ولم يكن يَعْرف أكلَها أَهْلُ العراق، حتى وَرَدَ إليها صاحِبُ هُرْمُز ومحمد بن محمد صاحِب البَحْرَيْن - وهما من مُلوك سَيْف البَحْر المجاور لبلاد فارِس - في أيَّام الملك الإمام المُسْتَنْصِر بالله [1]، وذلك في سنة ثمانٍ وعشرين وستِّ مائة، فحَمَلها أصحابُهما معهم، وأظهروا للنَّاس أكْلَها. فاشتهرت بالعِراق، ووَصَلَ خَبَرُها إلى أَهْل الشَّامِ ومِصْر والرُّوم. فاستعملوها.

قال: وفي هذه السَّنَة ظَهَرت الدَّراهِمُ ببَغْداد، وكان النَّاسُ يُنْفِقُون القُراضَة.

وقد نُسِبَ إظهارَ الحَشيشَة إلى الشَّيخِ حَيْدَر الأديبُ محمَّد بن عليّ بن الأَعْمَى الدِّمَشْقي في أبياتٍ، وهى:

[الطويل]

دَع الخَمْرَ واشْرَب من مُدامَةِ حَيْدَر	مُعَنْبَرةٍ خَضْراء مِثْلَ الزَّبَرْجَدِ
يُعاطِيكَها ظَبْيٌ من التُّرْك أَغْيَدُ	يَميسُ على غُصْنٍ من البان أَمْلَدِ
فتَحْسَبُها في كَفِّه إذْ يُديرُها	كرَقْم عِذارٍ فَوْق خَدٍّ مُوَرَّدِ

[1] أي الخليفة العبّاسي المستنصر بالله، أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله أحمد، صاحب المدرسة المستنصرية ببغداد.

يُرَنِّحُها أَدْنَى نَسِيم تَنَسَّمَت فتَهْفُو إلى بَرْدِ النَّسِيم المُرَدَّدِ
وتَشْدُو على أَغْصَانِها الوُرْقُ في الضُّحَى فيُطْرِبُها سَجْعُ الحَمامِ المُغَرِّد
وفيها مَعانٍ ليس في الخَمْرِ مِثْلُها فلا تَسْتَمِع فيها مَقالَ مُفَنِّدِ
هي البِكْر لم تُنْكَح بمَاءِ سَحابَةٍ ولا عُصِرَت يومًا برِجْلٍ ولا يَدِ
٥ ولا عَبَثَ القِسِّيس يَوْمًا بكأْسِها ولا قَرَّبوا من دَنِّها كل مُلْحد[a]
ولا نَصَّ في تَحْرِيمها عند مالِك ولا حَدَّ عند الشَّافِعِيّ وأَحْمَدِ
ولا أَثْبَتَ النُّعْمانُ تَنْجيسَ عَيْنِها فَخُذْها بحَدِّ المشرفي[b] المُهَنَّدِ
وكُفَّ أَكُفَّ الهَمِّ بالكَفِّ واسْتَرِحْ ولا تَطْرَح يَوْمَ السُّرور إلى غَدِ

وكذلك نَسَبَ إظهارَها إلى الشَّيْخ حَيْدَر الأديبُ أَحْمَد بن محمد بن الرَّسَّام الحَلَبي
١٠ فقال :

[الكامل]

ومُهَفْهفٍ بادي النِّفار عَهِدْتُه لا أَلْتَقِيه قَطّ غير مُعَبِّسِ
فرأيتُه بَعْضَ اللَّيالي ضاحِكًا سَهْلَ العَرِيكَةِ رَيِّضًا في المَجْلِس
فقَضَيْتُ منه مآربي وشَكَرْتُه إذ صارَ من بَعْد التَّنافُر مُؤْنِسي
١٥ فأجابَني لا تَشْكُرَنَّ خَلائِقي واشْكُر شَفِيعَك فهو خَمْرُ المُفْلِس
فحَشِيشَةُ الأَفْراحِ تَشْفَعُ عندنا للعاشِقِين ببَسْطِها للأَنْفُسِ
وإذا هَمَمْتَ بصَيْدِ ظَبْيٍ نافِرٍ فاجْهَد بأن يَرْعَى حَشِيشَ القُنْبِسِ
واشْكُر عِصابَةَ حَيْدَرٍ إذْ أَظْهَرُوا لِذَوي الخَلاعَةِ مَذْهَبَ المُتَخَمِّسِ
ودَعِ المُعَطِّل للسُّرُورِ وخَلِّني من حُسْنِ ظَنِّ النَّاس بالمُتَنَمِّسِ

٢٠ وقد حَدَّثني الشيخُ محمد الشِّيرازي القَلَنْدَري[1] : أنَّ الشَّيْخُ حَيْدَر لم يأكل الحَشِيشة في عمره ألبتَّة ، وإنَّما عامَّةُ أهْل خُراسان نَسَبُوها إليه لاشْتِهار أصْحابه بها ، وأنَّ إظهارَها كان قبل وُجُوده بزَمانٍ طَويل . وذلك أنَّه كان بالهِنْد شيخٌ يسمى بيرزَطْن هو أوَّل مَنْ أظهر لأهل الهِنْد أكلها ، ولم يكونوا يعرفونها قبل ذلك ، ثم شاعَ أمرُها في بلاد الهِنْد حتى ذاع خَبَرُها ببلاد اليمن ، ثم فشَا إلى

a) بولاق : مقعد . b) بولاق : المشرق .

[1] انظر عن القَلَنْدَرِيَّة (الملامتية) ، فيما يلي ٢: ٤٣٢ - ٤٣٣ .

أهل فارِس ، ثم وَرَدَ خبرُها إلى أهل العِراق والرُّوم والشَّام ومِصْر في السنة التي قَدَّمْتُ ذكرها .

قال : وكان بيرزَطْن في زَمن الأكاسِرَة ، وأَدْرَكَ الإسلام وأَسْلَم ، وإنَّ الناسَ من ذلك الوقت يستعملونها . وقد نَسَبَ إظهارَها إلى أَهْل الهِنْد عليُّ بن مَكِّي في أبياتٍ أنشَدَنيها من لَفْظِه ، وهي :

٥ [الطويل]

ألا فاكْفُفِ الأحْزانَ عَنِّي مع الضُّرِّ ... بعَذْراءَ زُفَّت في مَلاحِفِها الخُضْرِ
تَجَلَّت لنا لمَّا تَحَلَّت بسُنْدُسٍ ... فجَلَّت عن التَّشْبيه في النَّظْم والنَّثْرِ
بَدَت تَملأُ الأَبْصار نُورًا بحُسْنِها ... فأُخْجِلَ نُورُ الرَّوْض والزَّهْر بالزَّهْرِ
عَرُوسٌ يَسُرُّ النَّفْسَ مَكْنُونُ سِرِّها ... وتُصْبِح في كلِّ الحَواسِ إذا تَسْري
فللذَّوْق منها مَطْعَمُ الشَّهْد رائِقًا ... وللشَّمِّ منها فائِقُ المِسْك بالنَّشْرِ ١٠
وفي لَوْنِها للطَّرْف أَحْسَنُ نُزْهَةٍ ... يَميلُ إلى رُؤْياه من سائِر الزُّهْرِ
تَرَكَّبَ من قانٍ وأَبْيَضَ فانْثَنَت ... تَتيهُ على الأَزْهارِ عَالية القَدْرِ
فتَكْسِفُ نُورَ الشَّمْس حُمْرةُ لَوْنِها ... وتَخْجَل من مَبْيَضة طَلْعَةُ البَدْرِ
عَلَت رُتْبَةً في حُسْنِها وكأنها ... زَبَرْجَدُ رَوْضٍ جادَهُ وابِلُ القَطْرِ
تَبَدَّت فأَبْدَت ما أُجَنُّ من الهَوَى ... وجاءَت فوَلَّتْ جُنْدُ هَمِّيَ والفِكْرِ ١٥
جَميلَةُ أَوْصافٍ جَليلَةُ رُتْبَةٍ ... تعالَت فغَالَى في مَدائِحها شِعْري
فقُم فانْفِ جَيْشَ الهَمِّ واكْفُف يَدَ العَنا ... بِهِنْدِيَّةٍ أَمْضَى من البِيض والسُّمْرِ
بهِنْديَّة في أَصْل إظْهار أَكْلِها ... إلى الناسِ لا هِنْدِيَّةَ اللَّوْن كالسُّمْرِ
/ تُزيلُ لَهيبَ الهَمِّ عَنَّا بأَكْلِها ... وتُهْدي لنا الأَفْراحَ في السِّرِّ والجَهْرِ

٢٠ قال : وأنا أَقُولُ : إنَّه قَديمٌ مَعْروفٌ منذ أَوْجَد الله تعالى الدُّنْيا ، وقد كان على عَهْدِ اليُونانيين ، والدَّليلُ على ذلك ما نَقَلَه الأطِبَّاءُ في كُتُبِهم ، عن بُقْراط وجَالِينُوس ، من مِزاجِ هذا العَقَار وخَواصِّه ومَنافِعه ومَضَارِه .

قال ابنُ جَزْلَة في كتاب «مِنْهــــاج البَيَــان»[1]: القِنَّبُ الذي هو وَرَقُ

---

[1] «مِنْهاج البَيان فيما يستعمله الإنسان» لشَرَف الدِّين أبي علي يحيى بن عيسى بن علي المعروف بابن جَزْلَة ، المتوفى سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م . ذكر فيه جميع الأدوية والأشربة وكل مُرَكَّب من ذلك ، ورَتَّبه على حروف المعجم ، واعتمد في ذلك على أبُقْراط وديسقوريدس وروفس وجالينوس وحنين وإسحاق والرازي ، وألَّفه للخليفة المقتدي بأمر الله العباسي . (راجع : Vernet, J., *EI²* art. *Ibn Djazla III*, pp. 776-77; Brockelmann, C., *GAL* I, 485, SI, =

الشَّهْدَانَج [1]: منه بُستانيّ ومنه بَرّي. والبُسْتانيّ أجوده، وهو حارٌّ يابِسٌ في الدَّرَجَة الثَّالِثَة، وقيل حَرَارَتُه في الدَّرَجة الأولى، ويُقالُ إنَّه بارِدٌ يَابِسٌ في الدَّرَجَة الأولى. والبَرّيُّ منه حارٌ يابِس في الدَّرَجَة الرَّابعة.

قال: ويُسَمَّى بالكَفّ، أَنْشَدَني تَقِيُّ الدِّين المَوْصِلي:

[الخفيف]

كُفَّ كَفَّ الهُمُومَ بالكَفِّ فالكَـ ـفُّ شِفاءٌ للعاشِق المَهْمُوم
بابْنَة القِنَّب الكريمة لا بابْـ ـنَة كَرْم بُعْدًا لبنت الكُرُوم

قال: والفُقَراءُ إنَّما يَقْصدون استعماله - مع ما يجدون من اللَّذَّة - تَجْفيفًا للمَنيّ، وفي إبْطاله قَطْعٌ لشَهْوة الجِمَاع كي لا تَميل نُفوسُهم إلى ما يُوقع في الزِّنا.

وقال بعضُ الأَطِبَّاء: ينبغي لمن يَأْكُل الشَّهْدانَج أو وَرَقَه أن يأكله مع اللَّوْز أو الفُسْتُق أو السُّكَّر أو العَسَل أو الخُشْخَاش، ويَشْرَب بعده السَّكَنْجَبين ليَدْفَع ضَرَرَه، وإذا قُلِيَ كان أَقَلَّ لضَرَره، وذلك جَرَتِ العادَةُ قَبْل أَكْله أن يُقْلَى، وإذا أُكِلَ غير مَقْليٍّ كان كثيرَ الضَّرَر.

وأَمْزِجَةُ النَّاس تختلف في أَكْله: فمنهم من لا يَقْدِر أن يأكُلَه مُضَافًا إلى غيره، ومنهم من يُضيفُ إليه السُّكَّر أو العَسَل أو غيره من الحَلاوات.

وقرأتُ في بعض الكُتُب أنَّ جالِينوس قال: إنَّها تُبرئُ من التُّخْمَة، وهي جَيِّدةٌ للهضْم.

وذَكَر ابن جَزْلَة في كتاب «المِنْهاج» أنَّ بَزْر شَجَر القِنَّب البُسْتانيّ هو الشَّهْدَانَج، وثمره يُشْبه حبّ السُّمْنَة، وهو حَبٌّ يُعْصَر منه الدُّهْن. وحَكَى عن حُنَيْن بن إسحاق أنَّ شَجَرَة البَرّي تخرج في القِفار المنقطعة على قَدْر ذِراع، ووَرَقُه يَغْلُب عليه البَيَاض.

وقال يحيى بن ماسَوَيْه [2] في كِتاب «تَدْبير أبْدان الأَصِحَّاء»: إنَّ من غَلَب على بَدَنه البَلْغَم ينبغي أن تكون أَغْذَيتُه مُسَخِّنة مُجَفِّفَة، كالزَّبيب والشَّهْدَانَج.

= 1888؛ فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم ٢٥١- ٢٥٤، ٧٩٠-٧٩٤ طب).

[1] الشَّهْدَانَجُ. فارسي معرّب، واسمه بالعربية: التَّنُّوم. (الجواليقي: المعرّب من الكلام الأعجمي ٢٠٦)؛ وفي القاموس المحيط ٢٥٠: «الشُّهْدانَج، ويقال: شاهْدانَج: حَبُّ القِنَّب، ينفع من حُمَّى الرِّبْع والبَهَق والبَرَص، ويَقْتُل حَبَّ القَرَع أكلًا ووَضْعًا على البطن من خارج أيضًا.

[2] يحيى بن ماسويه السرياني، أحد الذين قَلَّدهم الخليفة العباسي هارون الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة. وهو ينتسب إلى مدرسة جنديسابور، المتوفى سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م. (ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ٦٥- ٦٦؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ١: ١٧٥- ١٨٣).

وقال صاحِبُ كتاب «إصْلاح الأدْوية»: إنَّ الشَّهدانَج يُدِرّ البَوْل، وهو عَسِر الانْهِضام رديء الخَلْط للمَعِدَة. قال: ولم أَجِد لإزالة الزَّفَر من اليد أَبْلَغُ من غَسْلها بالحَشِيشَة، ورأيتُ من خواصِّها أنَّ كثيرًا من ذَوات السُّموم ـ كالحيَّة ونحوها ـ إذا شَمَّت رِيحَها هَرَبَت، ورأيتُ أنَّ الإنسانَ إذا أَكَلَها ووَجَدَ فِعْلَها في نفسه، وأحبَّ أن يُفارقه فِعْلُها قَطَّر في منخرَيْه شيئًا من الزَّيْت، وأَكَلَ من اللَّبَن الحامِض. ومِمَّا يُكْسِر قُوَّة فعلها ويُضْعِفه السِّباحَة في الماءِ الجاري، والنَّوْمُ يُبْطِله. ٥

قال كاتِبُه[a]: دَعْ تُرَّاهَاتِ[b] القَوْم، فما بُلِيَ النَّاسُ بأفسَد من هذه الشَّجَرَة لأَخْلاقهم. ولقد حَدَّثني القاضِي الرَّئيسُ تاجُ الدِّين إسماعيل [بن أحمد][c] بن عبد الوَّهاب بن الخَطْبَا المَخْزومي[1]، قبل اخْتِلاطه، عن الرَّئيس عَلاء الدِّين ...[d] بن نَفِيس، أنَّه سُئِل عن هذه الحَشِيشَة فقال: اعْتَبَرْتُها فوَجَدْتُها تُورِثُ السَّفالَة والرَّذالَة. وكذلك جَرَّبْنا في طُول عُمْرِنا مَنْ عاناها، فإنَّه يَنْحَطّ في سائِر أخْلاقِه إلى ما لا يَكادُ أن يُبْقي له من الإنسانية شيءٌ ألبتَّة. ١٠

وقد قال ابنُ البَيطارَ في كِتاب «المُفْرَدات»: ومن القِنَّب نَوْعٌ ثالِث يُقالُ له القِنَّب الهِنْدي، ولم أرَه بغير مصر، ويُزْرَع في البَساتين، ويسمّى[e] بالحَشِيشَة عندهم أيضًا، وهو يُسْكِر جدًّا إذا تناوَلَ منه الإنسانُ قَدْرَ دِرْهَم، أو دِرْهَمين، حتى إنَّ مَنْ أَكْثَر منه يُخْرِجه إلى حَدِّ الرُّعونَة، وقد استعمله قَوْمٌ فاختلَّت عُقُولُهم، وأدَّى بهم الحالُ إلى الجُنُون، ورُبَّما قَتَلَت. ١٥

ورأيتُ الفُقَراءَ يستعملونها على أنحاءٍ شَتَّى. فمنهم من يَطْبُخ الوَرَق طَبْخًا بَليغًا، ويَدْعَكه باليد دَعْكًا جيِّدًا حتى يتعجَّن، ويَعْمَله[f] أَقْراصًا. ومنهم من يُجَفِّفه قَليلًا ثم يُحَمِّصه ويَفْرُكه باليد، ويَخْلط به قَليل سِمْسِم مَقْشُور وسُكَّر ويَسْتَفّه ويُطيل مَضْغَه. فإنَّهم يَطْرَبون عليه ويَفْرَحون كثيرًا، ورُبَّما أسْكَرَهم فيخرجون به إلى الجُنُون أو قَريبٍ منه. وهذا ما شاهَدْته من فِعْلِها.

وإذا خِيفَ من الإكْثار منه، فليُبادِر بالقَيْءِ[g] بسَمْنٍ وماءٍ سَخِن حتى تُنقَّى منه المَعِدَة، وشَراب الحُمَّاض لهم في غاية النَّفْع[2]. ٢٠

---

a) بولاق: مؤلفه. b) بولاق: نزاهة. c) إضافة اقتضاها السياق. d) بياض في آياصوفيا. e) بولاق: ويقال له. f) بولاق: ويعمل منه. g) بولاق: إلى القيء.

---

[1] انظر فيما تقدم ١٦٠، ٢٧١، ٣٢٦.

[2] ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية ٤: ٣٩.

فانْظُر كلامَ العارِف فيها واحْذَر من إفْساد بَشَريَّتك وتَلاف أخْلاقِك باستعمالها. ولقد عَهِدْناها وما يُرْمَى بتعاطيها إلَّا أراذِلُ النَّاس، ومع ذلك فيأْنَفون من انتِسابهم لها لما فيها من الشُّنْعَة.

وكان قد تَتَبَّعَ الأميرُ سُودون الشَّيْخوني ـ رحمه الله ـ المَوْضِع الذي يُعْرَف بالجُنَيْنَة، من أرض الطَّبَّالة وباب اللُّوق، وحِكْر واصِل ببُولاق، وأتْلَف ما هنالِك من هذه الشَّجَرة الملعونة، وقَبَضَ على من كان يَبْتَلعها من أطْراف النَّاس ورُذَلائهم، وعاقَبَ على فِعْلِها بقَلْع الأضْراس، فقَلَع أضْراسَ كثيرٍ من العامَّة في نحو سنة ثمانين وسبع مائة.

وما بَرِحَت هذه الخَبيثَة تُعَدُّ من القاذورات حتى قَدِمَ سُلْطانُ بَغْداد أحمد بن أُوَيْس فارًّا من تيْمورلَنْك إلى القاهِرَة في سنة خمسٍ وتسعين وسبع مائة؛ فتظاهَر أصحابُه بأكْلها، وشَنَّعَ النَّاسُ عليهم. واسْتَقْبَحوا ذلك من فِعْلِهم، وعابُوه عليهم. فلمَّا سافرَ / من القاهِرَة إلى بَغْداد، وخَرَجَ منها ثانيًا وأقامَ بدِمَشْق مُدَّةً، تعَلَّم أهْلُ دِمَشْق من أصْحابِه التَّظاهُرَ بها.

وقَدِمَ إلى القاهِرَة شَخْصٌ من مَلاحِدَة العَجَم صَنَعَ الحَشيشَة بعَسَلٍ خَلَط فيها عِدَّة أجْزاء مجفَّفة كعِرْق اللُّفاح ونحوه، وسمَّاها العُقْدَة، وباعَها خُفْيَةً [a]. فشاعَ أكلُها، وفَشَا في كثير من النَّاس مُدَّة أعْوام.

فلمَّا كان في سنة خمس عشرة وثمان مائة، شَنُعَ التَّجاهرُ بالشَّجَرَة الملعونة، فظَهَر أمْرُها واشتهر أكْلُها، وارْتَفَع الاحْتِشامُ من الكلام بها، حتى لقد كادَت أن تكون من تُحَفِ المُتْرَفين.

وبهذا السَّبب غَلَبَتِ السَّفالَةُ على الأخْلاقِ، وارتفعَ سَتْرُ الحَيَاء والحِشْمَة من بين النَّاس، وجَهَروا بالسُّوء من القَوْل، وتَفَاخَروا بالمعايب، وانْحَطُّوا عن كلِّ شرفٍ وفَضيلة، وتحلَّوا بكل ذَميمَةٍ من الأخْلاق ورذيلة ... فلولا الشَّكْل لم تَقْض لهم بالإنْسانية، ولولا الحِسّ لما حَكَمَت عليهم بالحَيَوانية. وقد بدا المَسْخُ في الشَّمائِل والأخْلاق، المُنْذِر بظُهوره على الصُّوَر والذَّوات، عافانا الله تبارك وتعالى من بَلائِه.

وأرْضُ الطَّبَّالَة الآن بيد وَرَثَة الحاجِب.

---

a) بولاق : بخفية.

ذِكْرُ أَرْضِ البَعْلِ والتَّاج

قال ابنُ سِيدَه: البَعْلُ: الأرْضُ المرتفعَةُ التي لا يُصيبُها المطرُ إلَّا مَرَّةً واحِدَةً في السَّنَة، وقيل: البَعْلُ كلُّ شَجَرٍ أو زَرْعٍ لا يُسْقى، وقيل: البَعْلُ ما سَقَتْهُ السَّماءُ، وقد اسْتَبْعَلَ المَوْضِعُ. والبَعْلُ من النَّخل ما شَرِبَ بعُرُوقه من غير سَقْيٍ ولا ماء سَماء، وقيل: هو ما اكْتَفَى بماءِ السَّماء، والبَعْلُ: ما أُعْطِيَ من الإتاوة على سَقْيِ النَّخْل، واسْتَبْعَل الموضعُ والنَّخْلُ: صارَ بَعْلًا[1].

وأَرْضُ البَعْلِ هذه بجانب الخَلِيج تتَّصل بأرض الطَّبَّالَة، كانت بُسْتانًا يُعْرَف بالبَعْل وفيه مَنْظَرَةٌ، أنشأه الأَفْضَلُ شاهِنْشاه بن أمير الجُيُوش بَدْر الجَمالي، وجَعَلَ على هذا البُسْتان سُورًا. وإلى جانِب بُسْتان البَعْل هذا بُسْتانُ التَّاج، وبُسْتانُ الخَمْس الوُجُوه[a]. وقد ذُكِرَت مَناظِرُ هذه البَساتين، وما كان فيها للخُلَفاء الفاطِميين من الرُّسوم، عند ذِكْر المَناظِر من هذا الكِتاب[2].

وأَرْضُ البَعْل في هذا الوَقْت مَزْرَعةٌ تِجاه قَنْطَرة الإوَزِّ التي على الخَلِيج[3]، يخرجُ النَّاسُ للتَّنَزُّه هناك أيَّام النِّيل وأيَّام الرَّبيع. وكذلك أرضُ التَّاج فإنَّها اليوم قد زالَت منها الأشجارُ، واستقرَّت من أراضي المُنْيَة الخَراجية. وفي أيَّام النِّيل يَنْبُت فيها نَباتٌ يُعْرَف بالبُشْنين، له

a) بولاق: الخمس وجوه.

[1] ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم ٢: ١٢٢-١٢٣.

[2] فيما تقدم ٢: ٥٦٥-٥٦٧.

وأَرْضُ البَعْل كانت واقعةً في المنطقة التي تُحَدُّ الآن من الشرق بشارع بورسعيد (الخليج المصري) إلى النقطة التي يتلاقى فيها مع خط مترو مصر الجديدة أسفل كوبري غَمْرَه، ومن الشمال خطٌّ يخرج من نقطة التلاقي المذكورة مارًّا في شمال المستشفى الإسرائيلي (مستشفى القُوَّات المسلحة للعائلات الآن) فشارع الألايلي، ومن الغرب شارع مَهْمَشة، ومن الجنوب شارع الظاهر فشارع وَقْف الخربوطلي وما في امتداده، حتى يتقابل مع شارع مَهْمَشة أسفل كوبري أكتوبر؛ ويدخل في هذا التحديد ناحية الشَّرابية والمستشفى الإسرائيلي (مستشفى القوات المسلحة للعائلات) وما في تجاهه إلى الشرق حتى شارع الخليج المصري (امتداد كوبري غَمْرَة الآن). (محمد رمزي: «الجغرافية التاريخية لمدينة القاهرة - شبرا وروض الفرج»، ٣٣٣).

أمَّا «التَّاج» فكان يقع غربي الخليج المصري، ومحله الآن يقع في منطقة غَمْرَة في المسافة بين شارع الخليج المصري (بورسعيد) والشَّرابية.

[3] فيما يلي ٤٩٥.

ساقٌ طَويلٌ وزهرُه يُشْبه[a] اللّينوفَر، وإذا أَشْرَقَت الشَّمْسُ تَفَتَّح[b] فصارَ مَنْظرًا أنيقًا، وإذا غَرَبَت الشَّمْسُ انْضَمَّ.

ويُذْكَر أنَّ من العَصافير نَوْعًا صغيرًا يجلس العُصْفُور منه في داخل البُشْنينَة. فإذا أقبل اللَّيْلُ انضمَّت عليه وغَطَسَت في الماء، فباتَ في جَوْفِها آمِنًا إلى أن تُشْرِق الشَّمْس، فتَصْعَد البُشْنينَة وتنفتح فيطيرُ العُصْفُور، وهو شيءٌ ما بَرِحْنا نسمعه.

وهذا البُشْنين يُصْنَع من زَهْره دُهْنٌ يُعالَج به في البرسام وتَرْطيبِ الدِّماغ فيَنْجَع، وأَصْلُه يعرف بالبَيَارون، يَجْمَعُه الأعْرابُ ويأكلُونه نيئًا ومَطْبوخًا، وهو يميلُ إلى الحَرارَة يَسيرًا، ويُزيدُ في الباه، ويُسَخِّن المَعِدَة، ويقوِّيها ويَقْطَع الزَّحِير؛ ذَكَرَ ذلك ابنُ البيطار في كِتاب «المُفْردات»[1].

وفي أيَّام الرَّبيع تُزْرَع هذه الأَراضي، فتُذَكِّر بحُسْنها ونضارَتها جَنَّة الخُلْد التي وُعِدَ المُتَّقُون. وأَدْرَكْتُ بهذه الأرض بقايا نَخْلٍ وأشجارٍ، وقد تَلِفَت.

---

a) بولاق: شبه. b) بولاق: انفتح.

---

[1] ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية.

ذِكْرُ ضَوَاحِي القَاهِـرَة

قال ابنُ سِيدَه : ضَواحي كلِّ شيءٍ نَواحِيه البارِزَة للشَّمْس ، والضَّواحِي من النَّخْل ما كان خارِجَ السُّور على صِفَة عالية ، لأنَّها تَضْحَى للشَّمْس [١].

وفي كِتاب النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم لأَهْل بَدْرٍ «لكم الضَّامِنَة[a] من النَّخْل ، ولنا الضَّاحِية من البَعْل » ، يعني بالضَّامِنَة[a] ما أطافَ به سُورُ المَدِينَة .

وضَواحي الرُّوم ما ظَهَر من بِلادِهم وَبَرزَ ، ويُقالُ في زَماننا لما خَرَج عن القاهِرَة ، ممَّا هو في جَنبَتَي الخَلِيج من القُرَى ، «ضَواحِي القاهِرَة» . وقد عَرَّفْتُ أَصْلَ ذلك من اللُّغَة .

وتُعْرف البِلادُ التي من الضَّواحي في غَرْبِي الخَلِيج بـ «الحَبَس الجُيُوشي» ، وهي : بَهْتِيت[b] والأميرية والمُنْيَة . وكان أيضًا بناحية الجِيزَة ، من جُمْلة الحَبَس الجُيوشي ، ناحية سَفْط ونَهْيَا ووُسيم ، حَبَسَ هذه البلاد أميرُ الجُيوش بَدْرٌ الجَمالي على عَقِبِهِ [٢]. فلمَّا زالَت الدَّوْلَةُ الفاطِميةُ ، جَعَلَ السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب أَمْرَ الأُسْطول لأخيه العادِل أبي بكر بن أيُّوب ، وسَلَّمَه له في سنة سبعٍ وثمانين وخمس مائة . وأَفْرَدَ لديوان الأُسْطولِ من الأبْواب الدِّيوانية الزَّكاة التي كانت تُجْبَى من النَّاس بمصر ، والحَبَس الجُيوشي بالبَرَّيْن ، والنَّطْرون والخَراج وما معه من ثَمَن القُرْظ ، وساحِل السَّنْط والمراكِب الدِّيوانية ، وإشْنَا وطَنْبَدي[c]. وأُحيلَ وَرَثَةُ أمير الجُيوش على غير الحَبَس الذي لهم . ثم أَفْتَى الفُقَهاءُ ببُطْلان الحَبَس ، وقُبِضَتِ النَّواحي ، وصارَت من جملة أمْوال الخَراج ، فعُرِفَت ببلاد المَلِك .

وهذه الضَّواحِي الآن منها ما هو وَقْفٌ ، ومنها ما هو في الدِّيوان السُّلْطاني ، وخَراجُها يَتَميَّز على غيرها من النَّواحِي ، ويُزْرَع أكثرُها من الكَتَّان والمقاثي وغيرها .

---

a) بولاق : الصامتة . b) بولاق : بهتين . c) بولاق : طنتدي .

---

[١] ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ٣: ٣٦٣، ونصّه : «ضاحية كل شيء : ما بَرَزَ منه ، وضواحي الإنسان : ما بَرَزَ منه للشمس كالمنكبين والكتفين ، وضواحي الرُّوم : ما ظهر من بلادهم» .

[٢] فيما تقدم ٢: ٥٨٣- ٥٨٤؛ ابن مماتي : قوانين الدواوين ٣٣٦- ٣٣٩؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ق١: ٤٤.

١٣٠:٢

ذكر منية الأمراء

قال ياقوت في كِتاب «المُشْتَرك» : المُنْيَةُ ثلاثة وأربعون مَوْضِعًا ، وجَميعُها بمصر غير واحِدَة ، وبمصر من القُرَى المسمَّاة بهذا الاسم ما يُقارِبُ المائتين [١] .

قال : ومُنْيَة السِّيرج ـ ويُقال لها مُنْيَة الأمير ، ومُنْيَة الأُمَراء ـ بُلَيْدَة فيها أَسْواقٌ على فَرْسَخٍ من القاهِرَة في طريق الإسْكَنْدَرية [٢] .

وذَكَرَ الشَّرِيفُ محمد بن أَسْعَد الجَوَّاني النَّسَّابَة ، أنَّ قَتْلَى أهل الشَّام الذين قُتِلوا في وَقْعَة الخَنْدَق بين مَرْوان بن الحَكَم وعبد الرَّحْمَن بن جَحْدَم أمير مصر ، في سنة خمس وستين من الهجرة ، دُفِنُوا حيث مَوْضع مُنْيَةِ السِّيرجِ هذه ، وكانوا نحوًا من الثمان مائة .

وقال ابن عبدُ الظَّاهِر : مُنْيَةُ الأُمَراء من الحَبْس الجُيُوشي الشَّرْقي الذي كان حَبَسَه أميرُ الجُيُوش ثم ارْتُجِع . وفي كلِّ سنةٍ يأكل النَّحْرُ منها جانِبًا ، ويجدِّدُ جامِعُها ودُورُها حتى صارَ جامِعُها القَديم ودورُها في بَرّ الجِيزَة ، وغلَبَ البَحْرُ عليها [٣] .

وهذه المُنْيَةُ من مَحاسِن متنزَّهات القاهِرَة ، وكانت قد كَثُرَت العَمائِرُ بها ، واتَّخَذَها النَّاسُ مَنْزِلَ قَصْفٍ ودار لَعِبٍ ولَهْوٍ ومَغْنَى صَبابات ، وبها كان يُعْمَل عيدُ الشَّهيد ـ الذي تقدَّم ذكره عند ذِكْر النِّيل من هذا الكِتاب [٤] ـ لقُرْبِها من ناحِية شُبْرا ، وبها سُوقٌ في كلِّ يوم أَحَدٍ يُباع فيه البَقَر والغَنَم والغِلال ، وهو من أسْواق مصر المشهورة ، وأكثر من كان يَسْكُن بها النَّصارَىٰ [٥] .

---

[١] ياقوت : المشترك وضعًا والمفترق صَقْعًا ٤٠٧ وفيه : المُنْيه بضم الميم وسكون النون وياء مفتوحة وهاء ، وتجمع على مُنَى . وأضاف أنَّ كلَّ واحدة منها يقال لها مُنْيَة كذا» .

[٢] نفسه ٤٠٨ ، والنص عند ياقوت : «ومُنْيَة الشيرج بلدةٌ كبيرة ذات سوق على ميلين من القاهرة على شطّ النيل بين القاهرة وقليوب» ، وكذلك معجم البلدان ٥ : ٢١٨ .

[٣] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٢٨ ، وبعد ذلك في المسودة ١٤٤ظ : قال (أي ابنُ عبد الظاهر) : هي الآن في البَرّ الشَّرْقي ، وكانت قد بَلَغَت الغاية في العِمارَة وصارَ النَّاسُ يخرجون إليها أيَّام الرَّبيع في كلِّ يوم أَحَدٍ ، وهو يومٌ يقام فيه بها سُوقٌ عظيمٌ تَرِد إليه جماهيرُ النَّاس من القُرَى ومن القاهرة لشراء البَقَر والغَنَم والحَمير والدَّجاج والكتَّان ، وغير ذلك . ثم اختلَّت أحوالُها وخَرِب أكثرُ ما كان فيها من المساكن وكان كثيرًا من سُكَّانها وسُكَّان ناحية شُبْرا المجاورة لها النَّصارَىٰ . وكان أهل اللَّذَّات تَقْصد هاتين القريتين لشراء الخَمْر ، فقد كان يُعْصَر بهما منه في كلِّ سنة عشرات آلاف من الجِرار .

[٤] فيما تقدم ١ : ١٨٣- ١٨٥ .

[٥] مُنْيَةُ الأُمَراء ، هي الموضع المعروف الآن بمُنْيَة السيرج من الضَّواحي التابعة لقسم شبرا شمال القاهرة . (محمد رمزي : «الجغرافية التاريخية لمدينة القاهرة ـ شبرا وروض الفرج» ، ٣٣٤ ، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ق٢ ج ١ : ١٤-١٥) .

وكانت تُعْرَف بعَصْر الخَمْر وبَيْعه ؛ حتى إنَّه لمَّا عَظُمَت زيادَةُ ماء النِّيل في سنة ثمان عشرة وسبع مائة ، وكانت الغَرْقَةُ المشهورة وغَرِقَت شَبْرا والمُنْيَة ، تَلِفَ فيها من جِرار الخَمْر ما ينيف على ثمانين ألف جَرَّة مملوءةً بالخَمْر ، وباعَ نَصْرانيٌّ واحدٌ مرَّة في يوم عيد الشَّهيد بها خَمْرًا باثني عشر ألف درهم فِضَّة : عنها يومئذٍ نحو الستّ مائة دينار ، وكَسَرَ منها الأميرُ يَلْبُغا السَّالِمي في صَفَر سنة ثلاثٍ وثمان مائة ما ينيف على أربعين ألف جَرَّة مملوءة بالخَمْر . ٥

وما برحَت تَغْرَق في الأنْيال العالية إلى أن عَمِلَ المَلكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون في سنة ثلاثٍ وعشرين وسبع مائة ، الجِسْرَ من بُولاق إلى المُنْيَة - كما ذُكِرَ عند ذكر الجُسُور من هذا الكتاب[١] - فأَمِنَ أهْلُها من الغَرَق . وأدْرَكْناها عامِرَةً بكثرة المساكن والنَّاس والأسْواق والمناظِر ، وتُقْصَد للنُّزْهَة بها أيَّام النِّيل والرَّبيع ، لا سيَّما في يومي الجُمُعَة والأحَد ، فإنَّه كان للنَّاس بها في هذين اليومين مُجْتَمَعٌ يُنْفَق فيه مالٌ كثير . ١٠

ثم لمَّا حَدَثَت المِحَنُ من سنة ستٍّ وثمان مائة أَلَحَّ المناسِرُ بالهُجُوم عليها في اللَّيل ، وقَتَلوا من أهْلِها عِدَّةً . فارْتَحَل النَّاسُ منها ، وخَلَت أكثرُ دُورها ، وتعطَّلت حتى لم يَبْق بها سوى طاحُون واحدة لطَحْن القَمْح بعدما كان بها ما ينيف على ثلاثين[a] طاحُونة ، وبها الآن بَقِيَّة . وهي جارِيَةٌ في الدِّيوان السُّلْطاني [b]الذي أحْدَثه الظَّاهر بَرْقُوق وسَمَّاه الدِّيوان المُفْرَد[b][٢] .

ذِكْرُ كُوم الرِّيش ١٥

هذا المكانُ[c] اسْمٌ لبَلَدٍ فيما بين أرْض البَعْل ومُنْيَة السَّيرج ، كان النِّيلُ يمرُّ بغربيها بعد مُروره بغَرْبي أرْضِ البَعْل ، وأدْرَكْتُ آثار الجُرُوف باقية من غربي البَعْل وغربيّ كُوم الرِّيش إلى أطْرَاف المُنْيَة ، حتى تغيَّرت الأحْوالُ من بعد سنة ستٍّ وثمان مائة ، ففاضَ ماءُ النِّيل في أيَّام الزِّيادَة ، ونَزَلَ في الدَّرْب الذي كان يُسْلَك فيه من أرْض الطَّبَّالَة إلى المُنْيَة ، فانْقَطَع هذا الدَّرْبُ وتَرَك النَّاسُ سُلوكَه . وكان كُومُ الرِّيش من أَجَلِّ متنزَّهات القاهِرَة ، ورَغِبَ أعْيانُ النَّاس في سُكْناها للتنزُّه بها[٣] . ٢٠

---

a) بولاق : ثمانين . b-b) إضافة من مسودة الخطط . c) ساقطة من بولاق .

---

[١] فيما يلي ٥٥٣ .

[٢] المقريزي : مسودة الخطط ١٧٤و-١٧٥و . وبالنص تقديم وتأخير وحذف وإضافة .

[٣] كانت كوم الرِّيش تجاه الخَنْدَق من غربيه على =

وأَخبَرَني شيخُنا قاضي القُضاة مَجْد الدِّين إسماعيل بن إبراهيم الحَنَفي، وخالُ أمي[a] تاجُ الدِّين إسماعيل بن أحمد بن الخَطْبا، أنَّهما أدْرَكا بكُوم الرِّيش عِدَّةَ أُمَرَاء يسكنون فيها دائمًا، وأنَّه كان من جملة من يَسْكُن فيها دائمًا نحو الثمان مائة من الجُنْد السُّلْطاني [1].

وأنا أدْرَكْتُ بها سُوقًا عامِرًا بالمعايش بأنْواعِها من المآكل، لا أَعْرِفُ اليوم بالقاهِرَة مِثْله في كَثْرَة المآكِل. وأدْرَكْتُ بها حَمَّامًا وجامِعَيْن تُقامُ بهما الجُمُعَة، ومَوْقِف مَكارِيَّة، ومَنارَة لا يَقدر الواصِفُ أن يُعَبِّر عن حُسْنِها لما اشْتَمَلَت عليه من كلِّ معنًى رائقٍ بَهِج.

وما بَرِحَت على ذلك إلى أن حَدَثَت المِحَنُ من سنة ستٍّ وثمان مائة، فطَرقَها أنْواعُ الرَّزايا حتى صارَت بَلاقِعَ، وجُهِلَت طُرُقُها، وتغيَّرت معاهِدُها، ونَزَلَ بها من الوَحْشَة ما أبْكاني، وأنشدت في رؤيتها عندما شاهَدْتَها خرابًا يَبابًا[b]:

[الكامل]

قَفْرًا كأنَّك لم تكن تَلْهو بها   في نِعْمَةٍ وأَوانِسٍ أَتْراب

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [الآية ١٠٢ سور هود].

ذِكْر بُولاق

قد تقدَّم في غير مَوْضعٍ من هذا الكِتاب أنَّ ساحِلَ النِّيل كان بالمَقْس، وأنَّ الماءَ انْحَسَر بعد سنة سبعين / وخمس مائة عن جَزيرَةٍ عُرِفَت بجَزيرَة الفِيل، وتقلَّص ماءُ النِّيل عن سُور القاهِرَة

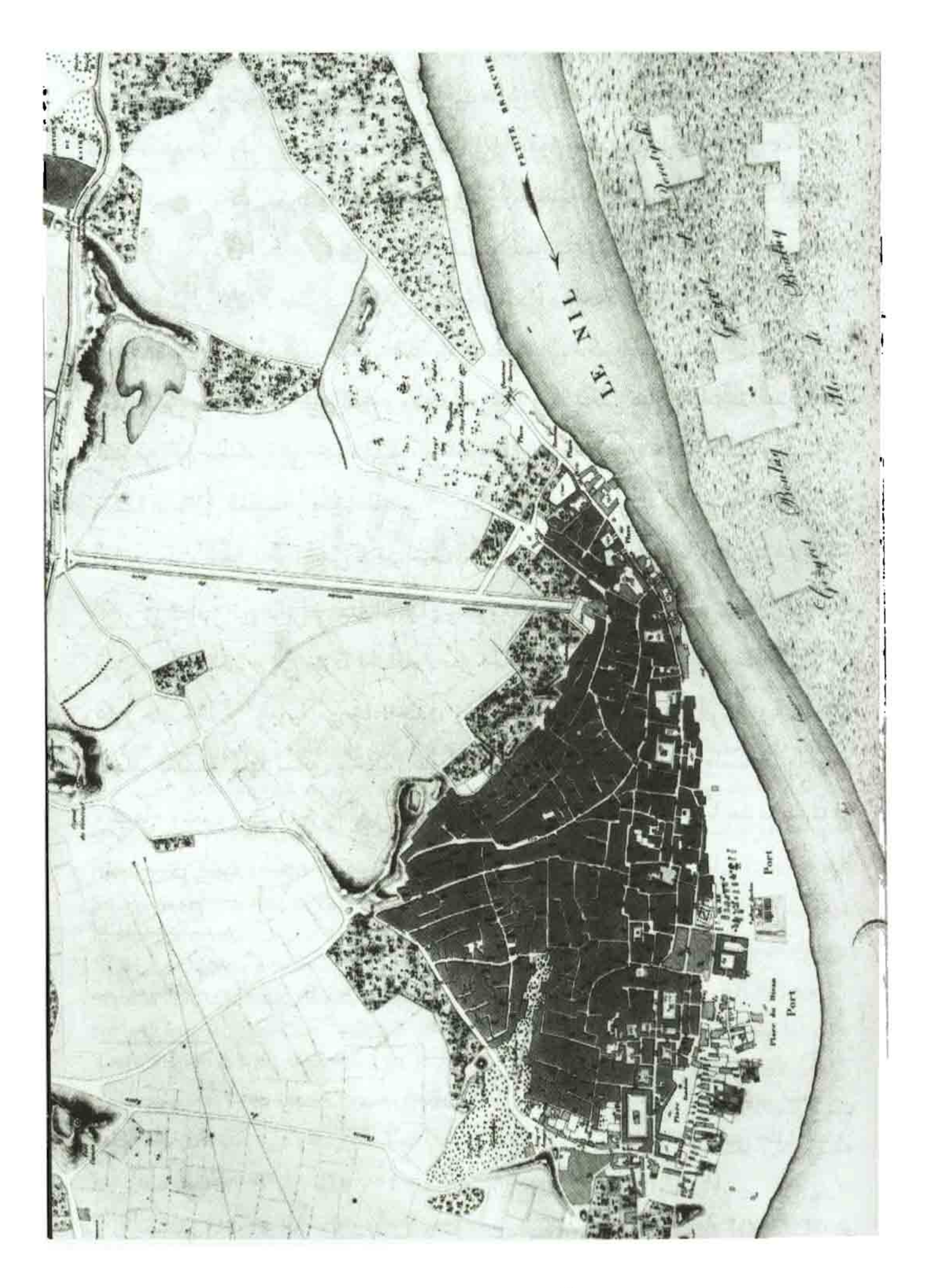
a) بولاق: أبي. b) ساقطة من بولاق.

= الخليج الكبير (فيما يلي ٤٥٤). وما تزال توجد من آثار الخَنْدَق الواقع تجاه كوم الرِّيش الدَّيْر المعروف الآن بدَيْر الملاك البحري تجاه الزَّاوية الحمراء من الجهة الشرقية في المنطقة التي يخترقها الآن شارع مصر والسودان والمعروفة بالوايلي.

وكان السُّلْطانُ الملك الأشْرَف قايتْباي قد جَدَّدَ قرية كوم الرِّيش في سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م وأنشأ بها زاويةً دُهِنَت حيطانُها من الخارج باللون الأحمر فعرفت بـ«الزَّاوِيَة الحَمْراء»، ولهذا عرفت كوم الرِّيش من ذلك الوقت باسم «الزَّاوِيَة الحَمْراء» واختفى اسمها القديم. (ابن إياس: بدائع الزهور ٣: ٢٨٠-٢٨١).

وعلى ذلك فإنَّ كوم الريش هي الموضع المعروف الآن باسم «الزَّاوِيَة الحمراء» الواقعة غرب محطة الدِّمِرْداش. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٣هـ[4]؛ محمد رمزي: «الجغرافية التاريخية لمدينة القاهرة - شبرا وروض الفرج»، ٣٣٤-٣٣٥، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ق٢ ج١: ١١).

[1] انظر فيما تقدم ١٦٠، ٢٧١، ٣٢٦، ٤٢٣.



خَريطَةُ بُولاق عن كِتاب «وَصْف مِصْر»

الذي يَنْتَهي إلى المَقْس ، وصارَت هناك رِمالٌ وجَزائِرُ ما من سنةٍ إلّا أيامَ الزِّيادةَ فقط ، وفي طُول السَّنَة يَنْبُت هناك البُوص والحَلْفاء ، وتَنْزِلُ المماليكُ السُّلْطانية لرَمْي النُّشَّاب في تلك التِّلال الرَّمْل .

فلمَّا كان سنة ثلاث عشرة وسبع مائة ، رَغِبَ النَّاسُ في العِمارَة بديار مصر ، لشَغَف السُّلْطان الملك النَّاصِر بها ومُوَاظَبته عليها ، فكأنَّما نُودِيَ في القاهِرَة ومصر ألَّا يتأخَّرَ أحَدٌ من النَّاس عن إنْشاء عِمارَة ، وجَدَّ الأُمَراءُ والجُنْدُ والكُتَّابُ والتُّجّارُ والعامَّة في البِنَاء ، وصارَت بُولاقُ حينئذٍ جَزيرَةً[a] تجاه بُولاق التَّكْرور[1] ، يُزْرَع فيها القَصَب والقُلْقاس على ساقِيَةٍ تنقل الماء من النِّيل حيث جامِع الخَطيري الآن[2] . فعَمَّر هناك رَجُلٌ من التُّجّار مَنْظرَةً ، وأحاطَ جِدارًا على قِطعة أرض غَرَس فيها عِدَّة أشْجار وتردَّد إليها للنُّزْهَة . فلمَّا ماتَ انتقلت إلى ناصِر الدِّين محمد بن الجُوكَنْدار ، فعَمَّر النَّاسُ بجانبها دُورًا على النِّيل ، وسَكَنوا ورَغِبوا في السُّكْنى هناك ، فامتدَّت المناظِرُ على النِّيل من الدَّار المذكورة إلى جَزيرَة الفِيل ، وتَفاخَروا في إنشاء القُصُور العَظيمَة هناك ، وغَرَسُوا من وَرائها البَساتينَ العَظيمَة . وأنشأ القاضي [b] ابن المَغْرِبي رَئيس الأطِبَّاء بُسْتانًا ، اشْتَراهُ منه القاضي كريم الدِّين ناظِر الخاصّ للأمير سَيْف الدِّين طَشْتَمُر السَّاقي بنحو مائة ألف دِرْهَم فِضَّة .

وكَثُرَ التنافُسُ بين النَّاس في هذه النَّاحية ، وعَمَّروها حتى انتظمتِ العِمارَة في الطُّول على حافَة النِّيل من مُنْيَة السِّيرج إلى مَوْرَدَة الحَلْفاء بجوار الجامِع الجَديد خارِج مصر[3] ، وعَمُر في العَرْض على حافَّة الخَليج[c] الغربية من تِجاه الخَنْدَق بَحْري القاهِرَة إلى مُنْشأة المَهْراني[4] ، وبقيت هذه المسافَةُ العَظيمَة كلُّها بَساتين وأحْكارًا عامِرَةً بالدُّور والأسْواق والحَمّامات والمساجِد والجَوامِع وغيرها ، وبَلَغَت بَساتينُ جَزيرَة الفِيل خاصَّةً ما ينيف على مائة وخمسين بُسْتانًا بعد ما كانت في سنة إحدى عشرة وسبع مائة نحو العشرين بُسْتانًا[5] .

---

a) ساقطة من بولاق . b) بياض في آياصوفيا . c) بولاق : النيل .

---

[1] حاشية بخطّ المُؤَلِّف : «محمد بن يوسف التكروري له كراماتٌ مَرْوية» .

[2] فيما يلي ٢: ٣١٢.

[3] فيما يلي ٢: ٣٠٤.

[4] الخَنْدَق . هو المنطقة المعروفة الآن بدَير الملاك خلف محطة الدِّمِرْداش والتي يخترقها شارع مصر والسودان . (فيما يلي ٤٥٤) ، ومُنْشَأة المَهْراني توجد جنوب القاهرة على شاطىء النيل غربي شارع القصر العيني خلف مستشفى الكلب ، (وانظر فيما تقدم ٢: ١٦٥) .

[5] كانت بُولاق ابتداءً من عام ٧١٣هـ/١٣١٣م هي ميناء مَدينة القاهرة ، وكان يفصلها عنها سَهْلٌ عرضه ١٢٠٠ مترًا ، وكانت ترسو بها المراكبُ التي تحمل منتجات =

وأنشأ القاضي الفاضِلُ جَلالُ الدِّين القَزْويني ووَلَدُه عبد الله دارًا عَظيمةً على شاطئ النِّيل بجَزيرَة الفِيل عند بُسْتان الأمير رُكْن الدِّين بَيْبَرْس الحاجِب [a]وكانت هذه الدَّار أوَّلًا قد عَمَّرَها القاضي شمس الدِّين بن الأطْروش المحتسب، فاشْتَراها منه القَزْويني وتناهَى في عمارتها وطار خَبَرُها في البِلاد حتى قيلَ إنَّه لم يُعَمَّر في مصر عمارَةٌ أجَلّ منها، ولا صُرِفَ على دار أكثر ممَّا صُرِفَ عليها؛ فلمَّا عُزِلَ عن القَضاء أبيعت للأمير بَشْتاك فأخْرَبَها وباعَ من أنْقاضها بنحو المائة ألف درهم فِضَّة بعد ما أَخَذَ منها رُخامًا وأبوابًا وشبابيك كبيرة، ونُودي على زَرْبيتها فحُكِرَت وبنى النَّاسُ عليها عِدَّة دور واتَّصلت العِمارَة فيها إلى آخر مُنْيَة السِّيرج ومنها إلى خُصِّ الكيَّالَة[a]، وأنشأ الأميرُ عِزُّ الدِّين الخَطيري جامِعَه ببُولاق على النِّيل [1]، وأنشأ بجواره رَبْعَيْن، وأنشأ القاضي شَرَفُ الدِّين بن زُنْبور بُسْتانًا. وأنْشَأ القاضي فَخْرُ الدِّين المعروف بالفَخْر ناظِر الجَيْش بُسْتانًا، وحَكَرَ النَّاسُ حَوْل هذه البَساتين وسَكَنوا هناك. ثم حَفَرَ المَلِكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون «الخَليجَ النَّاصِريَّ» سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائة [2]، فعَمَّر النَّاسُ على جانبَيْ هذا الخَلِيج. وكان أوَّلُ من عَمَّر، بعد حَفْر الخَلِيج [b] المَهاميزِي أنشأ

a-a) إضافة من مسودة الخطط. b) بولاق: الناصري، وياض في آياصوفيا وباريس عِوَضًا عن الاسم الأوّل للمهاميزي.

= الدُّنْكا والسُّفُن المحمَّلَة ببضائع أوروبا، وكانت تُمَثِّل بالنسبة لمصر السُّفْلى ما يمثّله ميناء الفُسْطاط لمصر العُلْيا. وفي الوقت الذي احتلَّ فيه الفرنسيون مصر في نهاية القرن الثامن عشر شَيّد Le Père ـ أحد أفراد الحملة ـ طريقًا مُعَبَّدًا يصل القاهرة ببولاق يبدأ قرب قَنْطَرَة المغاربة (قَنْطَرَة الكتبة فيما يلي ٥٠٢) يبلغ طولُه ألف ومائتي متر، وهو الذي حَلَّ محلَّه الآن شارع ٢٦ يوليه (فؤاد الأوَّل سابقًا). وحتى عام ١٨٥٨ كانت بولاق بلْدَةً صغيرةً واقعة على النيل لا تتجاوز مبانيها المنطقة التي تُحَدُّ الآن من الشمال بشارع السَّبتيَّة، ومن الجنوب بشارع إسْطَبْلات الطرق، ومن الشرق بشوارع سيدي العليمي وعلوة الحجّاج وتَلّ نَصْر ووابور النور. وكانت الأرض الواقعة بين بولاق القديمة وبين شارع رمسيس الآن عند الخليج الناصري كلُّها أرضًا زراعية وبساتين، ولم تحدث فيها المباني إلَّا في زمن الخديو إسماعيل حيث أخذت تتَّسع في العمارة حتى اتَّصَلَت مبانيها بمباني القاهرة وأصبحت تُمَثِّل قِسْمًا إداريًّا من أقسام القاهرة. (المقريزي: السلوك ٢: ١١٤؛ الحسن الوزان: وصف أفريقيا ٥٨٥؛ جومار: وصف مدينة القاهرة ٣٤٠-٣٤٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٣٠٧-٣٠٨هـ[2]؛ Hanna, N., «Bûlâq. An Endagered Historic Area of Cairo», in *Islamic Cairo*, M. Meinecka (ed.), London 1980, pp. 19-20; id., *An Urban History of Bulaq in the Mamluk and Ottoman Periods*, Supplement aux *An.Isl./* III, Le Caire - IFAO 1983; Maspero & Wiet, *Matériaux* I, pp. 56-57؛ محمد الشِّشتاوي: متنزهات القاهرة ٤٤-١٤٦؛ كما يعد الباحث عادل شحاتة طايع رسالة دكتوراة بكلية الآثار جامعة القاهرة موضوعها: «حيّ بولاق ـ ثَغر القاهرة منذ نشأته وحتى نهاية العصر العثماني ـ دراسة أثرية حضارية».

[1] فيما يلي ٢: ٣١٢.

[2] فيما يلي ٤٨١.

بُسْتانًا ومَسْجِدًا هما مَوْجودان إلى اليوم ، وتَبِعَه النَّاسُ في العِمارَة حتى لم يَبْقَ في جَميع هذه المواضِع مكانٌ بغير عِمارَة ، وبقي من يَمُرّ بها يتعجَّب ، إذ ما بالعَهْد من قِدَم بينا هي تِلال رمل وحَلافي ، إذ صارَت بساتينَ ومَناظِرَ وقُصُورًا ومساجِدَ وأسْواقًا وحَمَّامات وأزِقَّة وشَوارِع ، (aلا يُوجَد ممَّا هناك قَدْر ذِراع ليس فيه بناءٌ مع سَعَة تلك الخِطَّة طُولًا وعَرْضًاa) [١].

وفي ناحية بُولاق هذه كان خُصُّ الكَيَّالَة[٢] الذي يُؤْخَذ فيه مَكْسُ الغَلَّة ، إلى أن أَبْطَلَه الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون كما ذُكِرَ في الرَّوْك النَّاصِرِيّ من هذا الكِتاب [٣]. ولمَّا كانت سنة ستٍّ وثمان مائة انْحَسَر ماءُ النِّيل عن ساحِل بُولاق ، ولم يَزَل يَبْعُد حتى صارَ على ما هو عليه الآن .

وناحِيَةُ بُولاق الآن عامِرَةٌ ، وتَزايدَت العَمائِرُ بها ، وتجدَّدَ فيها عِدَّةُ جَوامِع وحمَّاماتٌ ورِباعٌ وغيرها . وأنشأ b).

ذِكْرُ ما بَيْن بُولاق ومُنْشَأة المَهْراني

وكان فيما بين بُولاق ومُنْشَأة المَهْراني خُطُّ فَمِ الخَوْر ، وخُطُّ حِكْر ابن الأثير ، وخُطُّ زَرْبِيَّة[c] قَوْصُون ، وخُطُّ المَيْدان السُّلْطاني بمَوْرَدَة المِلْح ، وخُطُّ مُنْشَأة الكَتَبَة .

فأمَّا فَمُ الخَوْر فكان فيه من المَناظِر الجَليلَة الوَصْف عِدَّة تُشْرِفُ على النِّيل ، ومن وَرائِها البَساتين ، ويَفْصِل بين البَساتين والدُّور المُطِلَّة على النِّيل شارِعٌ مَسْلوكٌ ، وأُنْشِئ هناك حَمَّامٌ وجامِعٌ وسُوق . وقد تقدَّم ذِكْرُ الخَوْر [٤].

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط b) إضافة من آياصوفيا وباريس ، وأمامها على الهامش : بياض أربعة أسطر . c) بولاق : زربية .

---

[١] المقريزي : مسودة الخطط ١٧٣و-ظ .

[٢] خُصُّ الكَيَّالَة . كان يقع خلف أحد الجوامع الثلاثة التي أنشأها ناظر الجيش فَخْر الدِّين محمد بن فَضْل الله المعروف بالفَخْر ، وهو الجامع الذي حَلَّ محلّه الآن جامع أبي العَلاء بشارع ٢٦ يولية ببولاق (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٢٠١؛ وفيما يلي ٢ : ٣١١). وعلى ذلك فإنَّ خُصَّ الكَيَّالَة كان كُشْكًا كبيرًا يقيم فيه عُمَّالُ تحصيل مَكْس الغِلال في ذلك الوقت . ويمكن تحديد مكانه الآن على نيل القاهرة بين مبنى وزارة الخارجية وجامع سيدي أبي العَلاء . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٤٥هـ[٣]) .

[٣] فيما تقدم ١ : ٢٣٩.

[٤] فيما تقدم ٣٩٥- ٣٩٦، وانظر كذلك فيما يلي ٤٧٩.

وكان خُطُّ فم الخَوْر يشغل المنطقة التي يَحدُّها الآن من =

وأنشأ هناك القاضي عَلاءُ الدِّين [a] بن الأثير كاتِب السِّرّ[b] دارًا على النِّيل ، وبَنَى النَّاسُ بجواره ، فعُرِفَ ذلك الخُطّ بـ«حِكْر ابن الأثير» ، واتَّصَلَت العِمارَةُ من بُولاق إلى فَمِ الخَوْر ، ومن فَمِ الخَوْر إلى حِكْر ابن الأَثير [١]. وما بَرِحَ فيه من مَساكِن الأكابِر من الوُزَراء والأعْيان ومن الدُّور العَظيمَة ما يتجاوَز الوَصْف .

وأمَّا الزَّرْبِيَّة[c] [٢] فإنَّ الملكَ النَّاصِرَ محمد بن قَلاوون ، لمَّا وَهَبَ البُسْتان الذي كان بالمَيْدان الظَّاهِري للأمير قَوْصُون ، أنشأ قُدَّامَه على النِّيل زَرْبِيَّة[c] ووَقَفَها [٣]. فعَمَر النَّاسُ هناك حتى انتظمت العِمارَةُ من حِكْر ابن الأثير إلى الزَّرْبِيَّة [c]، وعَمُر هناك حَمَّامٌ وسُوقٌ كبيرٌ وطَوَاحينُ وعِدَّةُ مَساكِن اتَّصَلَت باللُّوق .

---

a) بياض بآياصوفيا . b) بولاق : دارًا على النيل وكان إذ ذاك كاتب السر . c) بولاق : الزربية .

= الجنوب ميدانُ عبد المنعم رياض ، وتمتد شمالاً حتى شارع ٢٦ يولية (فؤاد الأول سابقًا) بحي بولاق ، ومن الغرب نهر النيل ، ومن الشرق شارع رمسيس .

[١] يدلُّ على موضع حِكر ابن الأثير الآن المنطقة المعروفة بعشش الترجمان في الجهة الجنوبية من بولاق ، ويحدّها من الغرب شارع ساحل الغلال الموصل الآن بين فندق هيلتون رمسيس ومبنى الإذاعة والتليفزيون بماسبيرو ، ومن الجنوب والشرق شارع الجلاء (شارع فم الترعة البولاقية سابقًا) . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ١٨٤هـ[١]) .

[٢] الزَّرْبِيَّة لا الزربية . نَوْعٌ من الأرصفة المبنية على أوْتادٍ أو دعائم على شواطئ النيل أو البِرَك . وَصَفَ عبد اللطيف البغدادي في نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي كيفية بناء المصريين لها ، يقول : «وأمَّا المسنّاه فيسمُّونها «الزَّرْبِيَّة» ، ولهم في بنائها إتْقانٌ وحُسْنٌ ، صفته أن يُحفَر الأساس حتى تظهر النَّداوَة وتزير الماء ، فحينئذٍ يُوضَع مُلَبِّنٌ من خَشَب الجُمَّيز أو نحوه على تلك الأرض النَّدِيَّة بعدما تُمَهَّد ويكون عرضُه نحو ثلثي ذراع وقُطر حَلْقَته نحو ذراعين ، مثل الذي يُجْعَل في قَعْر الآبار ، ثم يُبْنى عليه بالطُّوب والجير نحو قامتين فيصير بمنزلة التَّنُّور ، فيأتي الغَوَّاصُون وينزلون هذه البئر ويحفرونها وكلَّما نَبَعَ الماءُ نزحوه مع الطِّين والرَّمْل ويَحْفُرون أيضًا تحت المُلَبِّن ، فكُلَّما تَخَلْخَل ما تحته وثَقُل بما عليه من البناء نَزَلَ ، وكُلَّما نَزَل غاصُوا عليه وحَفَروا تحته ، والبنَّاءُ في أثناء ذلك يبني عليه ويرفعه ؛ ولا يَزالُ البناءُ يُرْفَع والغَوَّاصُ تحته يحفر وهو بثقله يغوص حتى يستقرّ على أرض جَلِدَة ويصل إلى الحدّ الذي يعرفونه ، فحينئذٍ ينتقلون إلى عمل آخرَ مثله على سَمْته وعلى بُعْد أربعة أذْرُع منه أو نحوها ، ولا يزالون يفعلون ذلك في جميع طول الأساس المفروض ، ثم يبنون الأساس كالعادة بعد رَدْم هذه الآبار فترْجِعُ أوْتادًا قاسية للبناء وعُمُدًا تدعمه وتوثقه . (الإفادة والاعتبار ٦٩ ؛ Garcin, J.-Cl., «Toponymie et topographie urbaines médiévales à Foustat et au Caire», *JESHO* XXVII (1984), p. 133 n. 81) .

[٣] أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ١٩٣ – ١٩٤ . =

وأمّا زَرْبِيَّة[a] السُّلْطان

فإنَّ الملكَ النَّاصِرَ محمد بن قَلاوون، لمَّا عَمَّر مَيْدان المَهارِىٰ المجاور لقناطِر السِّباع الآن، أنشأ زَرْبِيَّة[a] في قِبْلي الجامِع الطَّيْبَرْسي[1]، /وحَفَرَ لأجْل بناء هذه الزَّرْبِيَّة[a] البِرْكَة المعروفة الآن بالبِرْكَة ١٢٢:٢ النَّاصِرِيَّة[2] حتى استَعْمَل طينَها في البناء، وأنشأ فَوْق هذه الزَّرْبِيَّة[a] دارَ وَكالَة ورَبْعَيْن عَظيمَيْن: جَعَلَ أحَدَهما وَقْفًا على الخانْقاه التي أنشأها بناحية سِرياقُوس، وأنْعَمَ بالآخَر على الأمير بَكْتَمُر ٥ السَّاقي، فأنشأ الأمير بَكْتَمُر بجواره حَمَّامين: إحْداهما برَسْم الرِّجال، والأخرى للنِّساء[b].

فكَثُرَ بناءُ النَّاس فيما هنالك[c] حتى اتَّصَلَت العِمارَةُ من بَحْريّ الجامِع الطَّيْبَرْسي بزَرْبِيَّة[a] قَوْصُون، وصارَ هنالك[c] أزِقَّة وشَوارِع ودُروب ومَساكِن من وَرَاء المَناظِر المُطِلَّة على النِّيل تتَّصل بالخَليج، وأكثَرَ النَّاسُ من البِناء في طَريق المَيْدان السُّلْطاني، فصارَت العَمائِرُ منتظمة من قَناطِر السِّباع إلى المَيْدان من جِهاتِه كلِّها، وتنافَس النَّاسُ في تِلْك الأماكِن، وتغالَوْا في أجْرِها[3]. ١٠

مُنْشَأةُ الكُتَّاب[d]

وعَمَّرَ المكينُ إبراهيم بن قَرَوينَة[e] ناظِرُ الجَيْش[4] في قِبْلي زَرْبِيَّة[a] السُّلْطان ـ حيث كان بُسْتان الخَشَّاب ـ دارًا جَليلَةً، وعَمَّر أيضًا صَلاحُ الدِّين الكَحَّال، والصَّاحِبُ أمين الدِّين عبد الله بن الغَنَّام، وعِدَّةٌ من الكُتَّاب، فقيل لهذه الخِطَّة «مُنْشَأةُ الكُتَّاب»[5]؛ وأنشأ فيها

---

a) بولاق: زربية، الزربية. b) بولاق: برسم النساء. c) بولاق: هناك. d) إضافة من مسودة الخطط. e) بولاق: قزوينة.

= ويَدُلُّ على موقع «زَرْبِيَّة قَوْصون» الآن الأرض التي عليها المتحف المصري، والتي يحدها من الشمال ميدان عبد المنعم رياض ومن الشرق شارع مريت.

[1] المقريزي: السلوك ٢: ٢١٠.

[2] فيما يلي ٥٤٩ - ٥٥٠.

[3] المقريزي: مسودة الخطط ٦٠و-ظ.

[4] القاضي الكبير جمال الدِّين إبراهيم بن قَرَوينة الملقب جمال الكفاة، المتوفى سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م. (الصفدي: أعيان العصر ١: ١١٣- ١١٤، الوافي بالوفيات ٦: ١٨٠- ١٨٢؛ المقريزي: السلوك ٢: ٦٧٥، المقفى الكبير ١: ٣٢٨- ٣٣١؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٨٢- ٨٣؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١١١، المنهل الصافي ١: ١٩٣- ١٩٦).

[5] كانت مُنْشَأةُ الكُتَّاب (الكَتَبَة) تقع خَلْف زربيّة =

الصَّاحِبُ أمين الدِّين الخانْقاه بجوار داره، وعَمَّر أيضًا كَرِيمُ الدِّين الصَّغير حتى اتَّصلَت العِمارَةُ بمُنْشَأة المَهْراني.

فصارَ ساحِلُ النِّيل من خُطِّ دَيْر الطِّين قِبْليّ مَدينَة مصر إلى مُنْيَة السِّيرج بَحْري القاهِرَة مَسافَةً لا تَقْصُر عن أَزْيَدَ من نصف بَرِيد بكثير، كلُّها منتظمة بالمناظِر العَظيمَة، والمساكِن الجَليلَة، والجَوامِع والمساجِد، والخَوانِك والحَمَّامات، وغيرها من البَساتين. لا تَجِد فيما بين ذلك خَرابًا ألبتَّة.

وانتظمت العِمارَةُ من ورَاء الدُّور المُطِلَّة على النِّيل حتى أَشْرَفَت على الخَليج. فبَلَغَ هذا البَرُّ الغَربي من وُفُور العِمارَة، وكَثْرة النَّاس، وتَنافُسهم في الإقْبال على اللَّذَّات، وتأنُّقهم في الانْهماك في المَسَرَّات، ما لا يمكن وَصْفُه ولا يتأتَّى شَرْحُه.

حتى إذا بَلَغَ الكِتابُ أجَلَه، وحَدَثَت المِحَنُ من سنة ستٍّ وثمان مائة، وتقلُّص ماءُ النِّيل عن البَرِّ الشَّرْقي، وكَثُرَت حاجاتُ النَّاس وضَروراتهم، وتَساهَل قُضَاةُ المسلمين في الاسْتِبْدال في الأَوْقاف وبَيْع نَقْضها، اشْتَرى شَخْصٌ الرَّبْعين والحَمَّامين ودارَ الوَكالَة التي ذُكِرَت على زَرْبِيَّة[a] السُّلْطان بجوار الجامِع الطَّيْبَرْسي في سنة سبع وثمان مائة، وهَدَمَ ذلك كلَّه، وباعَ أَنْقاضَه، وحَفَر الأَساسَات، واسْتَخْرَج ما فيها من الحَجَر وعَمِله جِيرًا، فنالَ من ذلك رِبْحًا كثيرًا.

وتتابَعَ الهَدْمُ في شاطِىء النِّيل، وباعَ النَّاسُ أنْقاضَ الدُّور، فرَغِبَ في شِرائِها الأُمَرَاءُ والأَعْيانُ وطُلَّابُ الفَوائِد من العامَّة. حتى زال جَميعُ ما هنالك من الدُّور العَظيمَة والمناظِر الجَليلَة، وصارَ السَّاحِلُ ـ من مُنْشَأة المَهْراني إلى قَرِيبٍ من بُولاق ـ كيمانًا مُوحِشَة وخَرائِبَ

a) بولاق: زربية.

– السُّلْطان النَّاصر محمد بن قلاوون الواقعة في قِبْلي الجامع الطَّيْبَرْسي (الذي عرف بعد ذلك باسم جامع الأربعين وحلَّ محلَّه الآن الجامع المعروف بجامع عمر مكرم المُطِلّ على ميدان سيمون بوليفار ومبنى مُجَمَّع التحرير)، فيكون موقع المنشأة الآن مكان الجزء الجنوبي الشرقي لحي جاردن سيتي وجزء من حيّ المُنيرة في المنطقة المحصورة بين شارع الدكتور خنْدوسَة وشارع بستان الفاضل في امتداده جنوبا، وشارع عائشة التيمورية وما في امتداده شمالاً. (محمد الششتاوي: متنزهات القاهرة ٣٩–٤١).

مُقْفِرَة، كأن لم تَكُن مَغْنَى صَبابات، ومَوْطِنَ أفْراح، ومَلْعَب أتْراب، ومَرْتَع غِزْلان تَفْتِن النُّسَّاك هناك، وتُعيد الحَلِيم سَفيهًا ﴿سُنَّةَ الله فى الَّذينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية ٣٨ سورة الأحزاب].

وإنِّي إذا تَذَكَّرت ما صارَت إليه، أُنْشِد قَوْلَ عبد الله بن المُعْتَزّ:

[الطويل]

٥

سَلامٌ على اللَّذّات واللَّهْو والصِّبا[a] سَلامُ وَداعٍ لا سَلامُ قُدومِ

وصارَ لهذا[b] العَهْد ما بين أَوَّل بُولاق من قِبْليه إلى أطْراف جَزيرَة الفِيل عامِرًا: من غَرْبيه المُفْضي إلى النِّيل، ومن شَرْقيه الذي ينتهي إلى الخَلِيج، إلَّا أنَّ النِّيل قد نشأت فيه جَزائِرُ ورِمالٌ بَعُدَ بها الماءُ عن البَرّ الشَّرْقي، وكَثُر العَناء لبُعْده، وفي كلّ عام تَكْثُر الرِّمالُ ويَبْعُد الماءُ عن البَرّ، ولله عاقِبَةُ الأمُور.

١٠

فهذا حالُ الجِهَة الغَرْبية من ظَواهِر القاهِرَة في ابْتِداء وَضْع القاهِرَة[c] وإلى وَقْتِنا هذا، وبقي من ظَواهِر القاهِرَة: الجِهَةُ القِبْلِيَّة والجِهَةُ البَحْرِيَّة، وفيهما أيضًا عِدَّةُ أخْطاطٍ تَحْتاج إلى شَرْحٍ وتِبْيان.

---

a) بولاق: تلك المعاهد والرُّبا. b) بولاق: بهذا. c) بولاق: وضعها.

ذِكْرُ خارِج بابِ زُوِيلَة

اعْلَم أنَّ خارِجَ بابِ زُوِيلَة جِهَتان : جِهَةٌ تلي الخَلِيج ، وجِهةٌ تلي الجَبَل . فأمَّا الجِهَةُ التي تلي الخَلِيج فقد كانت عند وَضْع القاهِرَة بَساتِين كلُّها فيما بين القاهِرَة إلى مصر . وعندي فيما ظَهَرَ لي أنَّ هذه الجِهَة كانت في القَديم غامِرةً بماء النِّيل ، وذلك أنَّه لا خِلافَ بين أهْل مصر قاطِبَةً أنَّ الأراضي التي هي من طينِ إبْليز لا تكون إلَّا من أرْض ماءِ النِّيل . فإنَّ أرْضَ مصر تُرْبَةٌ رَمِلَة سَبِخَة ، وما فيها من الطِّين طَرْحٌ يَعْلوها عند زِيادَة ماء النِّيل ، ممَّا يحمله من البلاد الجنوبية من مَسيل الأوْدية ، فلذلك يكون لَوْنُ الماء عند الزِّيادَة مُتَغَيِّرًا ، فإذا مَكَثَ على الأرْض قَعَدَ ما كان في الماء من الطِّين على الأرْض ، فسَمَّاه أهْلُ مصر إبْليز ، وعليه تُزْرَع الغِلال وغيرها ، وما لا يشمله ماءُ النِّيل من الأرْض لا يُوجَد فيه هذا الطِّين ألبتَّة .

وأنت إن عَرَفْت أخْبارَ مصر بتأمُّلك ما تَضَمَّنَه هذا الكِتاب ، ظَهَرَ لك أنَّ مَوْضِعَ جامِع عَمْرو ابن العَاص ـ رضي الله عنه ـ كان كُرومًا مُشْرِفَةً على النِّيل ، وأنَّ النِّيلَ انْحَسَرَ بعد الفَتْح عمَّا كان تِجاه الحِصْن الذي يُقالُ له قَصْر الشَّمْع وعَمَّا هو الآن تِجاه الجامِع . وما زالَ يَنْحَسِرُ شيئًا بعد شيءٍ حتى صارَ السَّاحِلُ بمصر من عند سُوق/ المعارِيج الآن إلى قَريبٍ من السَّبْع سِقايات . وجَميعُ الأرض[a] التي فيها الآن المَراغَةُ خارج مصر إلى نحو السَّبْع سِقايات ، وما يُقابِلُ ذلك من بَرِّ الخَليج الغربي ، كان غامِرًا بالماء كما تقدَّم[1] .

وكان في الموضِع الذي تِجاه المَشْهد المعروف بزَيْد ـ وتسمِّيه العامَّةُ الآن مَشْهد زَيْن العابِدين[2] ـ بَساتِين شرقيها عند المَشْهَد النَّفيسي ، وغربيها عند السَّبْع سِقايات : منها بَساتِينُ عُرِفَت بجِنان بني مَسْكين ، وعندها بَنَى كافُورُ الإخْشيدِي دارَه على البِرْكَة التي تِجاه الكَبْش وتُعْرَف اليوم بِبِرْكَة قارون . ومنها بُسْتانٌ يُعْرَف بِبُسْتان ابن كَيْسان ، ثم صارَ صِناعَةً[b]، وهو الآن يُعْرَف بِبُسْتان الطَّواشي . ومنها بُسْتانٌ عُرِفَ آخِرًا بجِنان الحارَة ، وهو من حَوْض

---

a) بولاق : الأراضي . b) بولاق : صاعة .

---

[1] فيما تقدم ٢ : ١٥٨ .
[2] فيما يلي ٢ : ٤٣٦ .

الدِّمْياطي الذي بقُرْب قَنْطَرَة السَّدِّ الآن إلى السَّبْع سِقايات، وبقُرْب السَّبْع سِقايات بِرْكَةُ الفيل.

ويُشْرف على بِرْكَة الفيل بَساتينُ من دَائِرها، وإلى وَقْتِنا هذا عليها بُسْتانٌ يُعْرَف بالحَبَّانِيَّة، وهم بَطْنٌ من دَرْما بن عَمْرو بن عَوْف بن ثَعْلَبَة بن سَلامان بن ثُعَل بن عَمْرو بن الغَوْث بن طَيِّئ، فدَرْما فَخِذٌ من طَيِّئ[1]، والحَبَّانِيُّون بَطْنٌ من دَرْما. وبُسْتانُ الحَبَّانِيَّة فَصَلَ النَّاسُ بينه وبين البِرْكَة بطَريقٍ تَسْلُك فيها المارة.

وكان من شرقي بِرْكَة الفيل أيضًا بَساتينُ، منها: بُسْتانُ سَيْف الإسْلام فيما بين البِرْكَة والجَبَل الذي عليه الآن قَلْعَةُ الجَبَل، وموضعه الآن المساكِنُ التي من جملتها دَرْبُ ابن البابا إلى زُقاق حَلَب وحَوْضُ ابن هَنَس، وعِدَّةُ بَساتين أُخَر إلى باب زَوِيلَة[2].

وكذلك شُقَّةُ القاهِرَة الغَرْبِيَّة كانت أيضًا بَساتين، فمَوْضِعُ حارَة الوَزِيرية إلى الكافُوري كان مَيْدانَ الإخْشيد، وبجانب المَيْدان بُسْتانُه الذي يُقال له اليوم الكافُوري. وما خَرَجَ عن باب الفُتُوح إلى مُنْيَة الأَصْبَغ - الذي يُعْرَف اليوم بالخَنْدَق - كان ذلك كلُّه بَساتين على حافَة الخَليج الشَّرْقِيَّة. وقد ذَكَرْتُ هذه المواضِع في هذا الكِتاب مُبَيَّنَةً.

وعند التأمُّل يظهر أنَّ الخَليجَ الكبير، عند ابتداء حَفْره، كان أَوَّلُه إمَّا من[a] عند مَدينَة عَيْن شَمْس أو من بَحْريها، لأجل أنَّ القِطْعَةَ التي بجانب هذا الخَليج من غربيه، والقِطْعَةَ التي هي بشرقيه - فيما بين عَيْن شَمْس ومَوْرَدَة الحَلْفاء خارج مَدينَة فُسْطاط مصر - جميعها طين إبْليز. والطِّينُ المذكور لا يكون إلَّا من حيث يمرُّ ماءُ النِّيل، فتَعَيَّنَ أنَّ ماءَ النِّيل كان في القَديم على هذه الأرض التي بجانبي الخَليج، فينتج أنَّ أوَّلَ الخَليج كان عند آخِر النِّيل من الجِهَة البَحْرية. وينتهي الطِّينُ إلى نحو مَدينَة عَيْن شَمْس من الجانِب الشَّرْقي، ويَصير ما بعد الخَنْدَق في الجِهَة البَحْرية رَمْلًا لا طِينَ فيه؛ وهذا بَيِّنٌ لمن تأمَّلَه وتَدَبَّره.

---

a) ساقطة من بولاق.

---

[1] راجع، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٤٠٠- ٤٠٢.

[2] هي المنطقة الممتدة من شارع الصَّلبية مُرورًا بشارع السُّيوفية حتى تقاطعه مع شارع محمد علي (القلعة) ثم شارع السُّروجية فشارع المُغَربلين والخِيَميَّة حتى باب زويلة.

[a]أخبَرَني العَبْدُ الصَّالح أبو هاشِم أحمد بن البُرْهان[1] قال : أخبَرَني شَيْخٌ أدركتُه ، أنَّه كان يقف بباب زَوِيلَة فيرى الجامِعَ الطُّولوني .

قال كاتِبُه : ويَشْهَدُ لصِحَّة هذا الخَبَرِ أحْوالُ البلاد في الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة والدَّوْلَة الأيُّوبِيَّة ؛ وذلك أنَّ بابَ زَوِيلَة لمَّا وُضِعَ صيانةً للقاهِرَة ، وقد كانت في الدَّوْلَة الفاطِمِية حِصْنًا ينزل به الخُلَفاءُ ومَنْ شَرَّفوه بالسُّكْنى معهم لا غير ذلك ، وكان تِجاه باب زَوِيلَة بَراحًا . ٥

فأمَّا ما حازَهُ يمينُ من خَرَجَ من باب زَوِيلَة - وهي الأماكِن التي تُعْرَف في زَمَننا بدار التُّفَّاح إلى تَحْت الرَّبْع إلى باب الخَرْق إلى الحَبَّانِيَّة إلى قَناطِر السِّباع ، ومن قَناطِر السِّباع إلى الكَبْش وما هو مُطِلٌّ الآن من الدُّور على بِرْكة الفيل وما جاوَرَ ذلك من حِكْر الخازِن إلى دَرْب ابن البابا إلى حَدْرَة البَقَر ، سالِكًا منها إلى المَدْرَسَة الطُّغْجِيَّة إلى اليانِسِيَّة والمحمودِيَّة حتى يأتي باب زَوِيلَة - فإنَّ هذه الأماكِن كلَّها كانت أوَّلًا بَساتين ثم حَدَثَ بها حاراتٌ ومَساكِنُ على ما يأتي ذكره إن شاءَ الله . ١٠

وأمَّا ما حازَهُ يَسارُ مَنْ خَرَجَ من باب زَوِيلَة - وهي الأماكِنُ المعروفَة الآن بسُوق البُسْطِيِّين إلى الباب الأحْمَر[b] ومنه إلى التَّبَّانَة إلى الرُّمَيْلَة - فإنَّه كان مَقابِر . ثم حَدَثَ فيه الدُّور والمساكِن في الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة لمَّا سُكِنَت القَلْعَة . وسيأتي من ذِكْر ذلك ما علمته إن شاءَ الله تعالى . ١٥

وأمَّا ما يُقابِلُ قَلْعَة الجَبَل فإنَّ الرُّمَيْلَة - التي تُعْرَف اليوم بسُوق الخَيْل والجِمال والحَمير - كانت بُسْتانًا لابن طُولون . وما يحوزه يمين من نَزَلَ من باب القَلْعَة المعروف بباب المُدَرَّج - فيما بين السُّور والجَبَل - فإنَّه كان بَراحًا واسِعًا وفيه المَيْدانُ الأسْوَد المعروف بـ«مَيْدان القَبَق» ، ولم يَزَل بَراحًا واسِعًا لا عِمارَة فيه إلى بعد سنة عشرٍ وسبع مائة ، فمن حينئذٍ حَدَثَت العَمائِرُ . ٢٠

وما يُقابِل القَلْعَة مِمَّا يُحاذي باب مَدْرَسَة السُّلْطان حَسَن سالِكًا منه إلى سُوَيْقَة العِزِّي وجامِع الماردِيني إلى الباب الأحْمَر[b]، فإنَّه كان مَقابِرَ وحَدَثَت فيه هذه الأبْنِيَة وأكثرُها كان حُدُوثُه بعد السبع مائة[a].

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط .   b) ربما المقصود : الدَّرْب الأحمَر! وهو يرد كذلك في حُجَج الوَقْف .

---

[1] انظره كذلك فيما يلي ٧١٤.   [2] فيما يلي ٦٥٦هـ [2].

[a]وما حاذَى ظَهْر مَدْرَسَة السُّلْطان حَسَن إلى المكان المعروف الآن بسُوَيْقَة مُنْعِم، مارًّا في طُول تلك القَصَبَة إلى الصَّليبَة وإلى الكَبْش وقَناطِر السِّباع وما وَراء ذلك إلى الجامِع الطُّولوني، فإنَّها من المكان الذي كان يُعْرَف قَديمًا بالقَطائِع. وتَجَدَّدَت هذه الأبْنِيَةُ كُلُّها بعد عِمارَة قَلْعَة الجَبَل.

٥ وستَقِفُ على تَفاصيل ذلك إن شاءَ الله[a] [١]. وفي هذه الجِهَة التي تلي الخَليج، خارِج باب زَوِيلَة، حارَاتٌ قد ذُكِرَت عند ذِكْر الحارات من هذا الكِتاب [٢]، وبَقِيَت هناك أشياءٌ نَحْتاجُ أن نُعَرِّفَ بها وهي:

حَوْض ابن هَنَس

وهو حَوْضٌ تَرِدُه الدَّوابُّ، ويُنْقَل إليه الماءُ من بِئْرٍ، وبه صارَت تلك الخِطَّة تُعْرَف. وهي تلي ١٠ حارَة حَلَب، ويُسْلَكُ إليها من جانبه [٣]. وَقَفَه[b] الأميرُ سَعْدُ الدِّين مَسْعود بن الأمير بَدْر الدِّين هَنَس بن عبد الله، أَحَد الحُجَّاب الخاصّ في أيَّام الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب، في سَلْخ شَعْبان سنة سبعٍ وأربعين وستّ مائة، وعَمِلَ بأعلاه مَسْجِدًا مُرْتَفِعًا وساقِيَةَ ماءٍ على بِئْرٍ معين. [c]وماتَ هَنَسُ أميرُ جانْدار السُّلْطان الملك العَزيز عُثْمان في سنة إحدى وتسعين وخمس مائة[c]، ودُفِنَ بجوار الحَوْض.

---

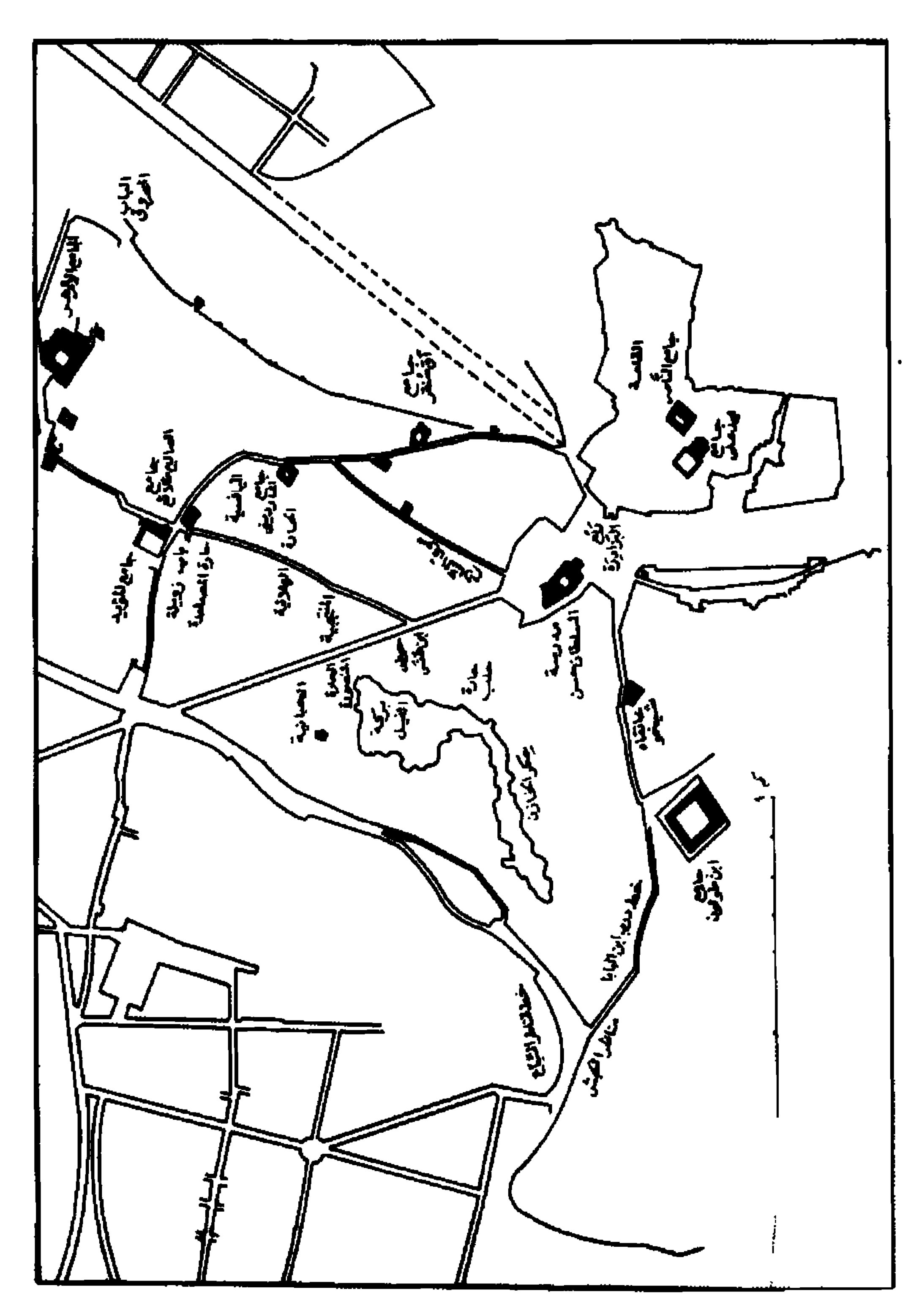
a-a) إضافة من مسودة الخطط. b) بولاق: وهو وقف. c-c) في الأصل، وبولاق: ومات يوم السبت عاشر شوال سنة سبع وأربعين وست مائة، وكتب على هامش آياصوفيا أمامه: يحرر محله العبارة المثبتة وهي موجودة في بولاق في نهاية الفقرة.

---

[١] المقريزي: مسودة الخطط ٤٢و.

[٢] أوْرَدَ المقريزي هنا في المسودة ذكر الحارات الواقعة خارج باب زويلة وهي: اليانِسِيّة، والمَنْصورة، والمصامِدَة والهِلالية (٤٢ظ-٤٥ظ)؛ وانظر كذلك Salmon, G., *Etudes sur la topographie du Caire*, pp. 53-69; Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 499-507.

[٣] ذَكَرَ المقريزي (فيما تقدم ٢٨١) أنَّ حَمَّام الأمير سَيْف الدِّين أَلْدُود الجاشنكير كانت في الشارع المسلوك خارج باب زَوِيلَة تجاه زُقاق حارَة حَلَب بجوار حَوْض سعد الدِّين مَسْعود ابن هَنَس. وبما أنَّ حمَّام أَلْدُود لا يزال قائمًا بشارع القلعة (محمد علي) عند تقابله بشارع السُّرُوجِيَّة، وإن كان فَتْحُ شارع محمد علي في سنة ١٨٧٣ أدْخَل في طريقه القسم الغربي من الحمَّام بما فيه الباب الأصلي، ودَخَلَت فيه أيضًا الأرض التي كان عليها الحَوْض وبذلك زال أثره، ثم فُتِح للحمَّام بابٌ جديد هو بابه الحالي المطلّ على شارع محمد علي. فعلى ذلك فإنَّ حَوْض ابن هَنَس كان واقعًا في محور شارع محمد علي غربي المنزل المجاور لحمَّام أَلْدُود من الجهة البَحْرية وفي تجاه شارع علي باشا إبراهيم. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٣٣٠-٣٣١ تعليقات محمد رمزي).



الحاراتُ خارج باب زُوِيلَة

وكان هذا الحَوْضُ قد تَعَطَّل في عَصْرِنا، فجَدَّدَه الأميرُ تَتَر، أَحَدُ الأُمَرَاء الكِبار في الدَّوْلَة المُؤَيَّدِيَّة، في سنة إحدى وعشرين وثمان مائة.

مَنَاظِرُ الكَبْش

هذه المَناظِرُ آثارُها الآن على جَبَلِ يَشْكُر، بجوار الجَامِعِ الطُّولوني، مُشْرِفَةٌ على البِرْكَة التي تُعْرَف اليوم بِبِرْكَة قارُون، عند الجِسْر الأَعْظَم الفاصِل بين بِرْكَة الفِيل وبِرْكَة قارون[1]. أنشأها المَلكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّين أَيُّوب ابن الملك الكامِل محمد بن الملك العادِل أبي بكر بن أيُّوب في أعْوام بضعٍ وأربعين وستّ مائة.

وكان حينئذٍ ليس على بِرْكَة الفِيل بِنَاءٌ، ولا في المواضِع التي في بَرّ الخَليج الغربي من قَنْطَرَة السِّباع إلى المَقْس سوى البَساتين. وكانت الأرضُ التي من صَلِيبَة جامِع ابن طُولون إلى باب زَوِيلَة بَساتين، وكذلك الأرْضُ التي من قَناطِر السِّباع إلى باب مصر بجوار الكَبارَة ليس فيها إلّا بَساتين[a].

وهذه المناظِرُ تُشْرِفُ على ذلك كلّه من أَعْلَى جَبَل يَشْكُر، وتَرَى باب زَوِيلَة والقاهِرَة، وتَرَى باب مصر ومَدينَة مصر، وتَرَى قَلْعَة الرَّوْضَة وجَزيرَة الرَّوْضَة، وتَرَى بَحْرَ النِّيل الأَعْظَم وبَرَّ الجِيزَة. فكانت من أَجَلِّ مُنْتَزَهات مصر، وتأنَّقَ في بِنائِها وسَمَّاها «الكَبْش» فعُرِفَت بذلك إلى اليوم[2].

وما زالَت بعد الملك الصَّالِح من المنازِل الملوكية، وبها أُنْزِلَ الخَليفَةُ الحاكِمُ بأمْر الله أبو العَبَّاس أحمد العَبَّاسيّ لمَّا وَصَلَ من بَغْداد إلى قَلْعَة الجَبَل، وبايَعَه الملكُ الظَّاهِرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس بالخِلافَة، فأقامَ بها مُدَّةً، ثم تَحَوَّل منها إلى قَلْعَة الجَبَل[3]. وسَكَنَ بمَنَاظِر الكَبْش أيضًا الخَليفَةُ المُسْتَكْفي بالله أبو الرَّبيع سُلَيْمان في أوَّل خِلافَته.

وفيها أيضًا كانت مُلُوكُ حَمَاه من بني أيُّوب تَنْزِل عند قُدومِهم إلى الدِّيار المصرية. وأوَّلُ من نَزَلَ منهم فيها الملكُ المَنْصور [b]/ لمَّا قَدِمَ على الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس في المحرَّم سنة ثلاث

---

a) بولاق: البساتين. b) في آياصوفيا: بياض سطر ونصف.

---

[1] انظر عن الجسر الأعظم فيما يلي ٥٥٢.

[2] المقريزي: السلوك ١: ٣٤١-٣٤٢.

[3] التجيبي: مستفاد الرحلة والاغتراب ٤٣؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ١: ٤١٩٥؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٤٧٢.

وسبعين وستّ مائة [١]، ومعه ابنُه الملك الأَفْضَل نُور الدِّين عليّ، وابنه الملك المُظَفَّر تَقيّ الدِّين محمود. فعندما حَلَّ بالكَبْش أتاهُ الأميرُ شَمْسُ الدِّين آقْ سُنْقُر الفارْقاني الأُسْتادَّار[a] بالسِّماط، فمَدَّه بين يَدَيْه، ووَقَفَ كما يفعل بين يديِ الملك الظَّاهِر. فامْتَنَعَ الملكُ المَنْصور من الرِّضا بقيامه على السِّماط وما زالَ به حتى جَلَس. ثم وَصَلَت الخِلَعُ والمواهِبُ إليه وإلى وَلَدِه وخَواصِّه.

وفي سنة ثلاثٍ وتسعين وستّ مائة، أُنْزِل بهذه المناظِر نحو ثلاث مائة من مَماليك الملك[a] الأَشْرَف خَليل بن قَلاوون، عندما قُبِضَ عليهم بعد قَتْل الأَشْرَف المذكور[٢] [b]وفُرِّقُوا بمَناظِر الكَبْش وبدار الوَزارَة من القاهِرَة[b].

ثم إنَّ الملكَ النَّاصِرَ محمد بن قَلاوون هَدَمَ هذه المناظِر المذكورة في سنة ثلاثٍ وعشرين وسبع مائة، وبَناها بِنَاءً آخَر، وأَجْرَى الماءَ إليها، وجَدَّدَ بها عِدَّةَ مَواضِع، وزادَ في سَعَتها، وأنشأ بها إسْطَبْلًا تُرْبَط فيه الخُيُول. وعَمِلَ زِفافَ ابنته على وَلَد الأمير أَرْغون، نائِب السَّلْطَنَة بديار مصر، بعدما جَهَّزَها جِهَازًا عَظيمًا [٣]: منه بَشْخَاناه [٤]، ودايِر بَيْت، وستاره، طُرِزُ ذلك بثمانين ألف مِثْقال ذَهَب مصري، سوى ما فيه من الحَرير وأُجْرَة الصُّنَّاع. وعَمِلَ سائِر الأواني من ذَهَبٍ وفِضَّةٍ، فبَلَغَت زِنَةُ الأواني المذكورة ما ينيف على عشرة آلاف مِثْقال من الذَّهَب. وتناهَى في هذا الجِهاز، وبالَغَ في الإنْفاق عليه حتى خَرَجَ عن الحَدِّ في الكثرة، فإنَّها كانت أَوَّلَ بَناتِه.

ولمَّا نُصِبَ جهازُها بالكَبْش نَزَلَ من قَلْعَة الجَبَل، وصَعِدَ إلى الكَبْش وعايَنَه ورَتَّبه بنفسه، واهتَمَّ في عَمَلِ العُرْس اهْتِمامًا مُلوكِيًّا، وأَلْزَم الأُمَرَاء بحُضُوره. فلم يتأخَّر أَحَدٌ منهم عن الحُضُور، ونَقَّطَ الأُمَرَاءُ المغاني[c] على مَراتِبهم من أربع مائة دينار كلُّ أمير إلى مائتي دينار، سوى الشُّقَق الحَرير.

a) ساقطة من بولاق. b-b) إضافة من مسودة الخطط. c) بولاق: الأغاني.

[١] المقريزي: السلوك ١: ٦١٤، ٦٦٨، ٧١٢.

[٢] المقريزي: السلوك ١: ٨٠٢؛ وفيما تقدم ٢: ٤٣٩-٤٤٠.

[٣] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٧٤، وفيه: «وتولَّى العَقْد قاضي القضاة شمس الدِّين محمد بن الحريري الحنفي على أربعة آلاف دينار».

[٤] البَشْخانه. من الفارسية بَشّه خانه وجمعها بَشاخين هي: الناموسية. (Dozy, R. *Suppl. Dict. Ar.* I, p. 88).

واستمرَّ الفَرَحُ ثلاثة أيام بلياليها ، فَذَكَرَ النَّاسُ حينئذٍ أنَّه لم يُعْمَل فيما سَلَفَ عُرْسٌ أَعْظَم منه ، حتى حَصَلَ لكلِّ جُوقَةٍ من جُوَق المغاني[a] اللاتي كُنَّ فيه خمس مائة دينار مصرية ، ومائة وخمسون شُقَّة حرير . وكان عِدَّة جُوَق المغاني[a] التي قُسِّمَ عليهن ثمانِ جُوَق من مغاني[a] القاهِرَة ، سوى جُوَق مغاني[a] السُّلْطانية ومغاني[a] الأُمَرَاء ، وعِدَّتهن عشرون جُوقَة ، لم يُعْرَف ما ٥ حَصَل لهذه العشرين جُوقَة من كثرة ما حَصَل .

ولمَّا انْقَضَت أيّامُ العُرْس ، أَنْعَمَ السُّلْطانُ لكلِّ امْرَأةٍ من نِساء الأُمَرَاء بتَعْبِيَة[b] قماشٍ على مِقْدارها ، وخَلَعَ على سَائِر أَرْباب الوَظَائِف من الأُمَرَاء والكُتَّاب وغيرهم . فكان مُهِمًّا عَظيمًا تجاوَزَ المصروف فيه حَدّ الكثرة .

وسَكَنَ هذه المناظِر أيضًا الأميرُ صَرْغَتْمُش النَّاصري[c] في أيّام السُّلْطان الملك النَّاصِر حَسَن بن محمد ١٠ ابن قَلاوون ، وعَمَّر البابَ الذي هو موجودٌ الآن وبَدَنَتَي الحَجَر اللتين بجانبي باب الكَبْش بالحَدَرَة .

ثم إنَّ الأمير يَلْبُغا العُمَريّ ، المعروف بالخاصَّكيّ ، سَكَنَها إلى أن قُتِلَ في سنة ثمانٍ وستين وسبع مائة ؛ فسَكَنَه من بعده مَمْلوكُه[c] الأميرُ أَسَنْدَمُر ، إلى أن قَبَضَ عليه الملكُ الأَشْرَفُ شَعْبان ابن حُسَيْن بن محمد بن قَلاوون ، وأَمَرَ بهَدْم الكَبْش ، فهُدِمَ وأقامَ خَرابًا لا ساكِنَ فيه إلى سنة خمسٍ وسبعين وسبع مائة ، فحَكَرَه النَّاسُ ، وبَنَوا فيه مَساكِنَ ، وهو على ذلك إلى اليوم [1] .

١٥

خُطُّ دَرْب ابن البَابَا

هذا الخُطُّ يُتَوَصَّل إليه من تجاه المَدْرَسَة البُنْدُقْدارية [e]من زُقاقٍ قد رُكِّب عليه دَرْبٌ[e] بجوار حَمَّام الفارْقاني [2] ، ويُسْلَك فيه إلى خُطٍّ واسِعٍ يشتمل على عِدَّةِ مَساكِن جَليلَة ، ويُتَوَصَّل منه إلى الجامِع الطُّولوني وقَناطِر السِّباع وغير ذلك .

---

a) بولاق : الأغاني . b) باريس : بقجة . c) إضافة من مسودة الخطط . d) في هامش آياصوفيا : بياض سطر . e-e) إضافة من مسودة الخطط .

---

[1] المقريزي : مسودة الخطط ٤٥و-ظ .

ويَدُلُّ على موقع مناظر الكَبْش الآن المنطقة المعروفة بقَلْعَة الكَبْش في الجهة الغربية من جامع ابن طولون والتي تُشْرف من بَحْريها على شارع عبد المجيد اللَّبّان (مراسينا) ومن غربيها على خُطّ البَقَّالة بحيّ السيدة زينب . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١٩:٧هـ [٢] ، ١٢:٨٢هـ [٤] ؛ Salmon, G., op.cit., pp. 77-95) .

[2] لم يفردها المقريزي بمدخلٍ مستقل .

وكان هذا الخُطُّ بُسْتانًا يُعْرَف بِبُسْتان أبي الحُسَيْن بن مُرْشِد الطَّائي ، ثم عُرِفَ بِبُسْتان نامِش ، ثم عُرِفَ أخيرًا بِبُسْتان سَيْف الإسلام طُغْتَكِين بن أيُّوب . وكان يُشْرِف على بِرْكَة الفيل ، وله دَهاليزُ واسِعَةٌ عليها جَواسِقُ[a] تَنْظُر إلى الجهات الأَرْبَع . ويُقابِله ـ حيث الآن المَدْرَسَةُ البُنْدُقْدارِية[b] وما في صَفِّها إلى الصَّليبَة ـ بُسْتانٌ يُعْرَف بِبُسْتان الوَزير ابن المَغْربي ، وفيه حمَّامٌ مَليحَة . ويَتَّصِل بِبُسْتان ابن المَغْربي بُسْتانٌ عُرِفَ أخيرًا بِبُسْتان شَجَرَ الدُّر ، وهو حيث الآن سَكَن الخُلَفاء بالقُرْب ٥ من المَشْهَد النَّفيسي . ويتَّصل بِبُسْتان شَجَر الدُّرّ بَساتين إلى حيث المَوضِع المعروف اليوم بالكَبارَة من مصر .

ثم إنَّ بُسْتانَ سَيْف الإسْلام حَكَرَه أميرٌ يعرف بعَلَم الدِّين [c] الغَتْمي . فبَنَى النَّاسُ فيه الدُّور في الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة ، وصارَ يُعْرَف بِحِكْر الغَتْمي [1] ، وهو الآن يُعْرَف بدَرْب ابن البابا .

١٠ وهو الأمير [d]الكبير المُعَظَّم[d] الجَلَيل جَنْكَلي بن محمد بن البابا بن جَنْكَلي بن خَليل بن عبد الله بَدْر الدِّين العِجْلي [2] ، رأسُ الميمنة ، وكبيرُ الأُمَراء النَّاصِرِيَّة محمد بن قَلاوون بعد الأميرِ جَمال الدِّين نائِب الكَرَك . قَدِمَ إلى مصر في أوائل سنة أربعٍ وسبع مائة ، بعدما طَلَبَه الملكُ الأشْرَفُ خَليل بن قَلاوون ، ورَغَّبَه في الحُضُور إلى الدِّيار المصرية ، وكَتَبَ له مَنْشورًا بإقْطاعٍ جَيِّد ، وجَهَّزَه إليه . فلم يَتَّفِق حُضورُه إلَّا في أيَّام الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون ، وكان مُقامُه بالقرب من آمِد ، ١٥ فأكرمه وعَظَّمه وأعْطاه إمْرَة . ولم يَزَلْ مُكَرَّمًا مُعَظَّمًا ، وفي آخِرِ وَقْتِه ـ بعد خُروج الأمير أرْغون النَّائِب من مصر ـ كان السُّلطانُ يبعث إليه الذَّهَب مع الأمير بَكْتَمُر السَّاقي وغيره ، ويقول له : لا تَبوس الأرْض على هذا ، ولا تُنْزِله في ديوانِك . وكان أوَّلًا يجلس رأس المَيْمَنَة ثاني نائِب الكَرَك ، فلمَّا سارَ نائِبَ الكَرَك لنِيابَة طَرابُلُس ، جَلَسَ الأمير جَنْكَلي رأس/ المَيْمَنَة ، وزَوَّج السُّلْطانُ ابنه إبراهيم بن محمد ابن قَلاوون بابنة الأمير بَدْر الدِّين .

---

a) مسودة الخطط : وله دهاليز كبار وعليها جواسق . b) مسودة الخطط : وكان تجاه بستان سيف الإسلام حيث اليوم البندقدارية . c) بياض في المسودة وآياصوفيا . d-d) إضافة من مسودة الخطط .

---

[1] المقريزي : مسودة الخطط ٤٥ظ ؛ وفيما تقدم ٥٥ .

[2] راجع أخبار الأمير جَنْكَلي بن البابا ، المتوفى سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م عند ، الصفدي : أعيان العصر ١٦٣:١-١٦٦ ، الوافي بالوفيات ١٩٩:١١-٢٠١ ؛ المقريزي : المقفى الكبير ٧٥:٣-٧٧ ، السلوك ٣: ٦٩٨ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٧٦:٢-٧٧ ؛ أبي المحاسن : المنهل الصافي ٢٢:٥-٢٥ ، النجوم الزاهرة ١٠: ١٤٣ ، وفيما تقدم ٢: ٤٠٠ .

وما زالَ مُعَظَّمًا في كلِّ دَوْلَة ، بحيث أنَّ الملكَ الصَّالِحَ إسماعيل بن محمد بن قَلاوون كَتَبَ له عنه «الأتابَكي الوالِدي البَدْري» ، وزادَت وَجاهَتُه في أيَّامِه إلى أن ماتَ يوم الاثنين سابع عشر ذي الحجَّة سنة ستٍّ وأربعين وسبع مائة .

وكان شَكْلًا مَليحًا حَليمًا ، كثيرَ المعروف والجُود ، عَفيفًا لا يستخدم مَمْلوكًا أمْرَد ألبتَّة ، واقْتَصَرَ من النِّساء على امْرأتِه التي قَدِمَت معه إلى مصر ومنها أوْلادُه . وكان يُحِبُّ العِلْمَ وأهْله ، ويُطارِحُ بمَسائِل علمية ، ويعرف رَبْع[a] العِبادات ويُجيده ، ويتكلَّم على الخِلاف فيه ، ويَميل إلى الشَّيْخ تَقيّ الدِّين أحمد بن تَيْمِيَّة ، ويُعادي من يُعاديه ، ويُكْرِم أصْحابَه ويَكْتُب كلامَه ، مع كَثْرَة الإحْسان إلى النَّاس بمالِه وجاهِه . وكان يَنْتَسِب إلى إبراهيم بن أدْهَم [1]، وهو من مَحاسِن الدَّوْلَة التُّرْكيَّة ، رحمه الله .

حِكْر الخازِن

هذا المكانُ ، فيما بين بِرْكَة الفيل وخُطِّ الجامِع الطُّولوني ، كان من جملة البَساتين ، ثم صارَ إسْطَبْلًا للجُوق الذي فيه خُيول المماليك السُّلْطانِيَّة . فلمَّا تَسَلْطَن الملكُ العادِلُ كَتْبُغا أخْرَجَ منه الخُيول ، وعَمَّرَه[b] مَيْدانًا يُشْرف على بِرْكَة الفيل في سنة خمسٍ وتسعين وستِّ مائة ، ونَزَلَ إليه ولَعِبَ فيه بالكُرة[c] أيَّام سَلْطَنَتِه كلِّها إلى أن خَلَعَه الملكُ المنصور لاجين ، وقامَ في المُلْك من بعده ، فأُهْمِلَ أمْرُه .

وعَمَّر فيه الأميرُ عَلَمُ الدِّين سِنْجر الخازِن والي القاهِرَة بَيْتًا[d]، فعُرِفَ من حينئذٍ بحِكْر الخازِن ، وتَبِعَه النَّاسُ في البِناء هناك ، وأنشأوا فيه الدُّور الجَليلَة . فصارَ من أَجَلِّ الأخْطاطِ وأعْمَرِها ، وأكثر من يَسْكُن به الأُمَراءُ والمماليك .

[e]ومن جُمْلَة المَيْدان المذكور إسْطَبْل بَكْتَمُر السَّاقي تجاه الكَبْش على بِرْكَة الفيل[e] [2].

---

a) آياصوفيا : خطبه . b) بولاق : عمله . c) بولاق : بالأكرة . d) العبارة في المسودة : وأوّل من أنشأ في هذا المكان بيتًا الأمير علم الدّين سنجر الخازن والي القاهرة . e-e) إضافة من مسودة الخطط .

---

[1] إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد الزَّاهِد ، المتوفى سنة ١٦١هـ/٧٧٨م . (أبو نعيم : حلية الأولياء ٧:٣٦٥ حتى ٨:٥٨؛ السلمي : طبقات الصوفية ١٣؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٧:٣٨٧– ٣٩٦؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٥:٣١٨– ٣١٩؛ المقريزي : المقفى الكبير ١:٤٥–٩٠) .

[2] المقريزي : مسودة الخطط ٤٦و؛ وانظر فيما يلي=

سِنْـجِرُ الخـازِن - الأميرُ عَلَمُ الدِّين الأَشْرَفي [١]، أَحَدُ مَماليك الملك المَنْصور قَلاوون، وتنقَّل في أيَّام ابنه الملك الأَشْرَف خَليل، وصارَ أَحَدَ الخُزَّان فعُرِفَ بالخَازِن. ثم وَلِيَ شَدَّ الدَّواوين مع الصَّاحِب أمينِ الدِّين، ونُقِل[a] منها إلى وِلايَة البَهْنَسا، ثم إلى وِلايَة القاهِرَة وشَدّ الجِهات. فباشَرَ ذلك بعَقْلٍ وسِياسَةٍ وحُسْنِ خُلُق، وقِلَّة ظُلْمٍ ومَحَبَّةٍ للسَّتْر وتغافُلٍ عن مَساوئ النَّاس، وإقالَةِ عَثَرات ذَوي الهَيئات، مع العَصَبِيَّة والمعرفة وكَثْرَة المال وسَعَة الحال واقْتِناء الأَمْلاك الكثيرة. ٥

ثم إنَّه صُرِفَ عن وِلايَة القاهِرَة بالأمير قَدَادَار في شهر رَمَضَان سنة أربعٍ وعشرين وسبع مائة، فوَجَدَ النَّاسُ من عَزْله بقَدَادَار شِدَّةً. وما زالَ بالقاهِرَة إلى أن ماتَ ليلة السبت ثامن جُمادَى الأُولى سنة خمسٍ وثلاثين وسبع مائة، فوُجِدَ له أربعة عشر ألف أَرْدَبّ غَلَّة عَتيقَة وأَمْوال كثيرة، وله من الآثار مَسْجِدٌ بَنَاه فَوْق دَرْبٍ اسْتَجَدَّه بحِكْر الخازِن، وخانْقاه بالقَرافَة دُفِنَ فيها، عَفَا الله عنه. [b]وهو أوَّل من أنشأ المَيْدان على بِرْكَة الفيل وعَمَّر فيه، وفَتَحَ بابَ الدَّرْب وبنى فوقه مسجدًا فسُمِّيَ حِكْرَ الخازِن لذلك[b] [٢]. ١٠

رَبْعُ البَـزادِرَة

هذا الرَّبْعُ تحت قَلْعَةِ الجَبَل بسُوق الخَيْل، عُمِّرَ بعد سنة ثلاثَ عشرةَ وسبعِ مائة، وكان مَكانُه لا عِمارَة فيه، فبَنَى الأَجْنادُ بجوارِه عِدَّة مَساكِن، واسْتَجَدُّوا حِكْرَيْن من جِوارِه [b]داخِل دَرْب قُطْلوبُغا الأَعْرَج الذي فيه هذا الرَّبْع[b]. فامْتَدَّتِ العَمائِرُ إلى تُرْبَة شَجَر الدُّرّ - حيث كان البُسْتانُ المعروف بشَجَر الدُّرّ - وهناك الآن سَكَنُ الخُـلَفَاء [٣]. وامْتَدَّت العَمائِرُ من تُرْبَة شَجَر الدُّرّ إلى ١٥

---

a) بولاق: انتقل. b-b) إضافة من مسودة الخطط.

= ٦٢٩، وتقع الأرض التي كان قائمًا عليها حِكْرُ الخازِن في المنطقة التي تحدّ الآن من الشرق بشارع جامع أَزْبَك وحارَة نَجْم الدِّين، ومن الشمال بحارة نَجْم الدِّين أيضًا وبعطفة حَمَّام البابا، ومن الغرب شارع محمد قَدْري ومن الجنوب شارع الخضيري (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩:٣٠٥-٣٠٦ (تعليقات رمزي بك)).

[١] عَلَم الدِّين سِنْجِر الخازِن الأَشْرَفي والي القاهرة لمدة اثني عشر عامًا آخرها سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م، المتوفى سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٥م عن نحو تسعين عامًا. (الصفدي: أعيان العصر ٢:٤٧٠-٤٧١؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢:٢٦٨؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩:٣٠٥-٣٠٦).

[٢] المقريزي: مسودة الخطط ٤٦و.

[٣] ابن دقماق: الانتصار ٤:١٢٥ حيث يذكر عند حديثه على تُرْبَة شَجَر الدُّرّ ودارها، أنَّ التُّرْبَة بالقرب من =

المَشْهَد النَّفيسي [a]وإلى كيمان مصر ومن الكيمان إلى السُّور بجوار باب القَرافَة[a]، ومَرُّوا من تِجاه المَشْهَد بالعَمائِر إلى أن اتَّصَلَت بعَمائِر مصر وباب القَرافَة ، [a]وعُمِّر أيضًا بحِكْر الخَليفَة أبي الرَّبيع سليمان من جوار السَّيِّدَة نفيسة ، فصارَت بيوتًا كثيرة ومساكن عديدة ، كلُّ ذلك في أيَّام النَّاصر بعد سنة إحدى عشرة وسبع مائة[a] [١].

خُطُّ قَناطِر السِّبَاع

كان هذا الخُطُّ في أوَّل الإسْلام يُعرف بالحَمْراء القصوىٰ [b]، نَزَلَ فيه طائِفَةٌ تُعْرَف ببني الأَزْرَق وبني رُوبيل . ثم دَثَرَت هذه الخِطَّة ، وبقيت صَحْراءَ فيها دياراتٌ وكَنائِسُ للنَّصارَىٰ تُعْرَف بكَنائِس الحَمْراء . فلمَّا زالَت دَوْلَةُ بني أُمَيَّة ، ودَخَلَ أصْحابُ بني العَبَّاس إلى مصر في سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، نَزَلُوا في هذه الخِطَّة ، وعَمَّروا بها فصارَت تَتَّصل بالعَسْكر . وقد تقدَّم خَبَرُ العَسْكَر في هذا الكِتاب [٢].

فلمَّا خَرِبَ العَسْكَرُ ، وصارَ هذا المكان بَساتين وغيرها ، إلى أن حَفَرَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون البِرْكَة النَّاصِرِيَّة ، وأنْشأ مَيْدان المَهارىٰ والزَّرْبِيَّة[c] [٣] والرَّبْعَيْن بجوار الجامِع الطَّيْبَرْسي على شاطِئ النِّيل ، بَنَى النَّاسُ في حِكْر آقْبغا ، واتَّصَلَتِ العَمائِرُ من خُطِّ السَّبْع سِقايات وخُطِّ قَناطِر السِّباع حتى اتَّصَلت بالقاهِرَة ومصر والقَرافَة ، وذلك كلُّه من بعد سنة عشرين وسبع مائة .

بِئْر الوَطاويط

هذه البِئْرُ أنشأها الوَزيرُ أبو الفَضْل جَعْفَر بن الفَضْل بن جَعْفَر بن الفُرات ـ المعروف بابن حِنْزَابَة ـ ليَنْقِل منها الماءَ إلى السَّبْع سِقايات التي أنشأها وحَبَسَها لجَميع المُسْلمين التي كانت بخُطِّ الحَمْراء ، وكَتَبَ عليها :

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : الزربية .

= التُّرْبَة الخاتونية ، وأنَّ دارها الآن سَكَن أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عبد الله محمد بن الإمام المعتضد بالله أبي الفَتْح أبي بكر بن الإمام المستكفي بالله أبي الربيع سليمان خليفة الزمان ؛ وفيما يلي ٧٨٥ .

[١] المقريزي : مسودة الخطط ٤٦و-ظ .

[٢] فيما تقدم ٢ : ٥٦-٨٠، وقارن المقريزي : مسودة الخطط ٤٦ظ-٤٧و .

[٣] عن الزَّرْبِيَّة لا الزربية ، انظر فيما تقدم ٤٣٥.

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ، للهِ الأَمْرُ من قَبْلُ ومن بَعْد ، وله الشُّكْرُ وله الحَمْدُ ، ومنه المَنُّ على عَبْدِه جَعْفر بن الفَضْل بن جَعْفَر بن الفُرات ، وما وَفَّقه له من البِنَاء لهذه البِئْر وجَرَيانها إلى السَّبْع سِقايات التي أَنْشَأَها ، وحَبَسَها لجَميع المسلمين ، وحَبَسه وسَبَّلَه وَقْفًا مُؤَبَّدًا لا يحلُّ تَغْييره ولا العُدُولُ بشيءٍ من مائِه ، ولا يُنْقَل ولا يَبْطُل ، ولا يُساقُ إلَّا إلى حيث مَجْراه إلى السِّقايات المُسَبَّلَة ، ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية ١٨١ سورة البقرة] . وذلك في سنة خَمْسٍ وخمسين وثلاث مائة ، وصلَّى الله على نَبِيِّه محمد وآلِه وسَلَّم»[1] .

فلمَّا طالَ الأَمْرُ خَرِبَتِ السِّقايات ، وإلى اليوم يُعْرَف مَوْضِعُها بخُطِّ السَّبْع سِقايات ، وبُنِيَ فوق البِئْر المذكورة ، وتَوَلَّد فيها كثيرٌ من الوَطْواط[a]، فعُرِفَت ببِئْر الوَطاويط . / ولمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ من بِنَاء الأماكِن ، في أيَّام النَّاصِر محمد بن قَلاوونَ ، عُمِّر هذا المكان ، وعُرِفَ إلى اليوم بـ«خُطّ بِئْر الوَطاويط» . وهو خُطٌّ عامر .

فهذا ما في جِهَة الخَليج ممَّا خَرَج عن باب زَوِيلَة .

وأمَّا جِهَةُ الجَبَل فإنَّها كانت عند وَضْع القاهِرَة صَحْراء . وأوَّلُ من أَعْلَم أنَّه عَمَّر خارِج باب زَوِيلَة من هذه الجِهَة الصَّالِحُ طلائِعُ بن رُزِّيك ، فإنَّه أنشأ الجامِعَ الذي يُقالُ له جامِع الصَّالِح ، ولم

a) بولاق : الوطاويط .

[1] تُعَدُّ هذه الكتابة التاريخية أَقْدَم حُجَّة وَقْف في مصر وَصَلَت إلينا ، وأهم نَقْشٍ من ناحية التاريخ الذي كُتِبَ فيه ، بعد النَّقْش الموجود على جامع ابن طُولون . وقد كُشِفَ عن قطعةٍ من الحَجَر الرَّمْلي الوَرْدي اللون تحمل خمسة أسطر من الكتابة الكوفية المزهرة مُدْمَجَة في حائط بيت خَرِب على ارتفاع متر من سطح الأرض في حيّ الصَّلِيبة عند مَدْخَل الحارة التي كانت تقود من شارع الصليبة إلى جامع ابن طولون ، قبل فَتْح الميدان الواقع الآن أمام الجامع . وتحمل هذه القطعة الحجرية ــ المسجلة بالآثار تحت رقم ٤٣٢ ــ بداية نَصّ النَّقْش الذي ذكره كاملًا المقريزي في الخطط . (راجع أيضًا Van Berchem, M., *CIA* Égypte I, p. 78 n° 48; Salmon, G., *Études sur la topographie du Caire* pp. 44-46; Wiet, G., *CIA* Égypte II, pp. 91-93 n° 570, id., «Une inscription d'un vizir des Ikhshidides», *Der Islam* V (1914), pp. 171-73; id., *RCEA* V, n° 1620؛ سيدة إسماعيل كاشف : مصر في عصر الإخشيديين ٣٠٦-٣٠٧؛ محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٣٧-٣٨؛ Fu'âd Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, pp. 71-73).

يَكُن بين هذا الجامِع وبين هذا الشَّرَف الذي عليه الآن قَلْعَةُ الجَبَلِ بِنَاءٌ أَلبتَّة [١]. إلَّا أن هذا المَوْضع الآن عَمِلَ النَّاسُ فيه مَقْبَرَةً، فيما بين جامِع الصَّالِح وبين هذا الشَّرَف، من حيث يُنْتَهى الحاراتُ خارِج باب زَوِيلَة. فلمَّا عُمِّرَت قَلْعَةُ الجَبَل، عَمَّر النَّاسُ بهذه الجِهَة شيئًا بعد شيءٍ، وما بَرِحَ من بَنَى هناك يجد عند الحَفْر رِمَم الأمْوات [٢].

٥ وقد صارَت هذه الجِهَةُ في الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة ـ لاسيَّما بعد سنة ثلاث عشرة وسبع مائة ـ من أَعْمَر الأخْطَاط، وأَنْشَأ فيها الأُمَرَاءُ الجَوَامِعَ والدُّور الملوكية، وتَجَدَّدت هناك عِدَّةُ أسْواقَ، وصارَ الشَّارِعُ خارِج باب زَوِيلَة يَفْصِل بين هذه الجِهَة وبين الجِهَة التي من حَدِّ الخَلِيج. وكِلْتا هاتين الجِهَتَيْن الآن عامِرٌ [a].

وفي جِهَة الجَبَل خُطُّ البُسْطِيِّين، وخُطُّ الدَّرْب الأَحْمَر، وخُطُّ سُوق الغَنَم، وخُطُّ جامِع ١٠ المارْدِيني، وخُطُّ التَّبَّانَة، وخُطُّ باب الوَزِير، وخُطُّ المَصْنَع، وخُطُّ سُوَيْقَة العِزِّي، وخُطُّ مَدْرَسَة أُلْجاي، وخُطُّ الرُّمَيْلَة، وخُطُّ القُبَيْبات، وخُطُّ باب القَرافَة [b].

---

a) بولاق: عامرة. b) هنا في هامش آياصوفيا: بياض عشرة أسطر وزيادة.

---

[١] فيما تقدم ٣٦٧، وفيما يلي ٢: ٢٩٣.
[٢] فيما تقدم ٣٦٥-٣٦٦، وفيما يلي ٢: ٤٤٣.

ذِكْرُ خارج باب الفُتُوح [١]

اعْلَم أنَّ خارِجَ باب الفُتُوح إلى الخَنْدَق كان كلُّه بَساتين، وتمتدُّ البَساتينُ من الخَنْدَق بحافَتي الخَليج إلى عَيْنِ شَمْس. فيُقابل باب الفُتُوح من خارِجه المَنْظَرَة، المُقَدَّم ذكرها عند ذِكْر المَناظِر التي كانت للخُلَفَاء من هذا الكِتاب [٢]، ويلي هذه المَنْظَرَة بُستانٌ كبيرٌ عُرِفَ بالبُستان الجُيُوشي، وأوَّلُه من عند زُقاقِ الكَحْل إلى المَطَرِيَّة. ويقابله في بَرِّ الخَليج الغَرْبي بُستانٌ آخَر يُتَوَصَّل إليه من باب القَنْطَرَة، وينتهي إلى الخَنْدَق. وقد ذُكِرَ خَبَرُ هذين البُستانَيْنِ عند ذِكْر مَناظِر الخُلَفَاء [٣].

وكان بين هذين البُستانين بُستانُ الخَنْدَق وكان على حافَة الخَليج من شَرْقيه، فيما بين زُقاقِ الكَحْل وبابِ القَنْطَرَة - حيث المواضِع التي تُعْرف اليوم ببِرْكَة جَناق وبالكَدَّاسين - إلى قَريبٍ من حارَة بَهاء الدِّين حارَةٌ تُعْرَف بحارة البَيازِرَة، اخْتُطَّت في نحوٍ من سنة عشرين وخمس مائة، وكانت مَناظِرُها تُشْرِف على الخَليج، وبجوارها بُستانُ مُخْتار الصَّقْلَبِي، وعُرِفَ بعد ذلك بِبُستان ابن صَيْرَم الذي حُكِرَ، وبُنِيَت فيه المساكِنُ الكثيرة بعد ذلك.

وكان أيضًا خارج باب الفُتُوح حارَةُ الحُسَيْنِيَّة - وهم الرَّيْحانية إحدى طَوائِف عَسْكَر الخُلَفَاء الفاطِميين - وهذه الحارَةُ اخْتُطَّت بعد الشِّدَّة العُظْمَى التي كانت بمصر في خِلافَة المُسْتَنْصِر، فصارَت على يَمين من خَرَجَ من باب الفُتُوح إلى صَحْراء الهِليلج. ويُقابلها حارَةٌ أُخرى تنتهي إلى بِرْكَة الأَرْمَن التي عند الخَنْدَق، وتُعْرَف اليوم بِبِرْكَة قَراجا، وقد ذَكَرْتُ هذه الحارات عند ذِكْر حارات القاهِرَة وظَواهِرها من هذا الكِتاب [٤].

---

[١] عن المنطقة الواقعة خارج باب الفُتُوح والامتداد الشَّمالي الشَّرْقي للقاهرة زمن المماليك، راجع Behrens - Abouseif, D., «The North-Eastern Extension of Cairo under the Mamluks», *An.Isl.* XVII (1981), pp. 157-89.

[٢] انظر فيما تقدم ٢:٥٦٨- ٥٧٠.

[٣] فيما تقدم ٢:٥٨٢- ٥٨٤.

[٤] فيما تقدم ٤، ٥٩- ٦٣.

ذِكْرُ الخَنْدَق

هذا المَوْضِعُ قَرْيَةٌ خارج باب الفُتُوح كانت تُعْرَف أَوَّلًا بمُنْيَة الأَصْبَغ. ثم لمَّا اخْتَطَّ القائِدُ جَوْهَرُ القاهِرَة أَمَرَ المغاربة أن يَحْفُروا خَنْدَقًا، ممَّا يلي[a] الشَّام من الجَبَل إلى الإبْليز، عرضه عشرة أذْرُع في عُمْق مثلها. فبُدئ به يوم السبت حادي عشرين شَعْبان سنة ستين وثلاث مائة، وفُرِغَ في أيَّام يَسيرة.

وحَفَرَ خَنْدَقًا آخَر قُدَّامه وعَمَّقَه، ونَصَبَ عليه بابًا يُدْخَل منه ـ وهو البابُ الذي كان على مَيْدان البُسْتان الذي للإخْشيد ـ وقَصَدَ أن يُقاتِلَ القَرامِطَة من وَرَاء هذا الخَنْدَق، فقيل له من حينئذٍ «الخَنْدَقُ»، و«خَنْدَقُ العَبيد»، و«الحُفْرَة». ثم صارَ بُسْتانًا جَليلًا من جملة البَساتين السُّلْطانية في أيَّام الخُلَفَاء الفاطِميين، وأَدْرَكْناها من مُنْتَزَهات القاهِرَة البَهِجَة إلى أن خَرِبَت.

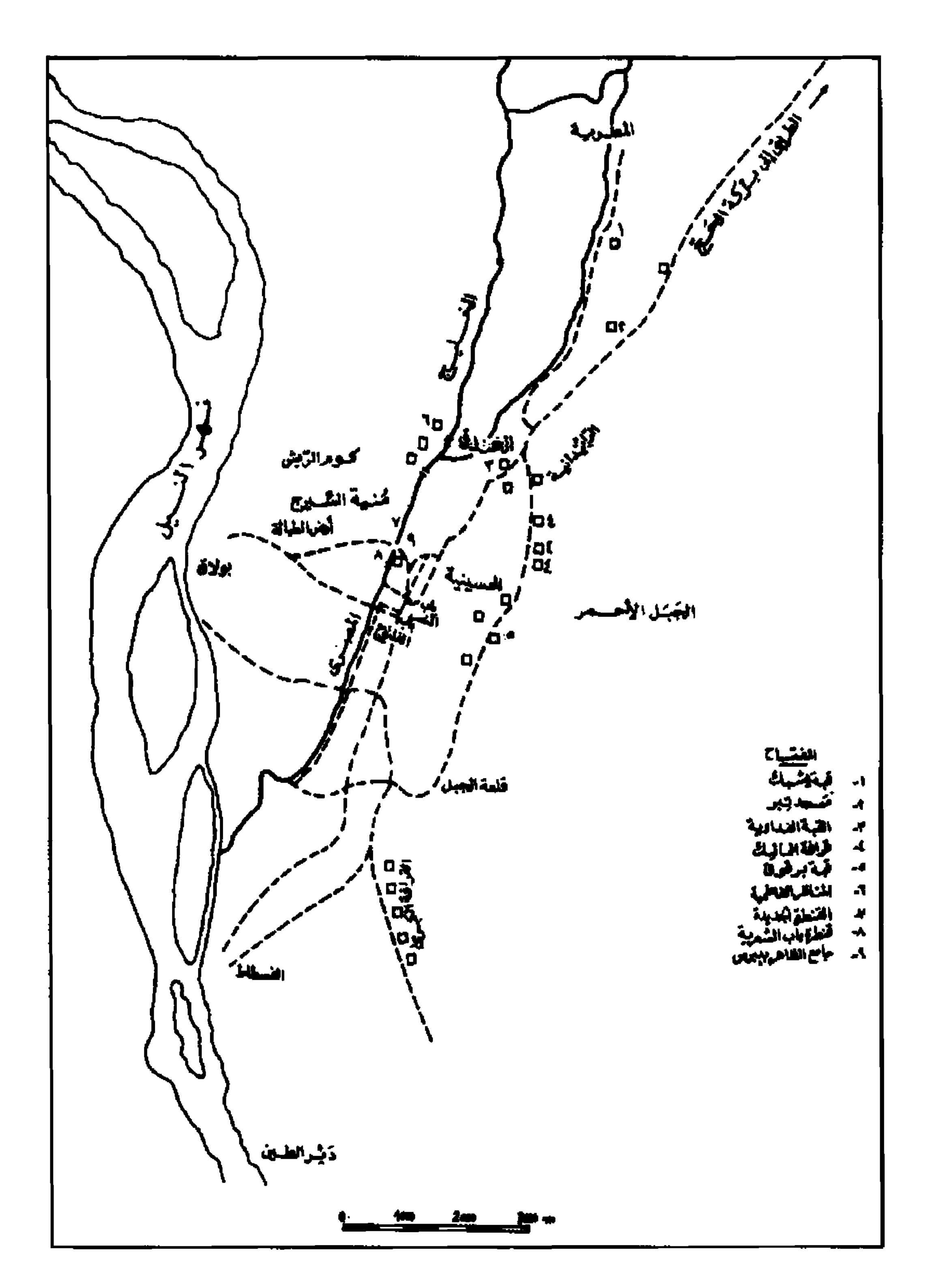
قال ابنُ عبد الحَكَم: وكان عُمَرُ بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ قد أَقْطَع ابن سَنْدَر مُنْيَة الأَصْبَغ، فحازَ لنفسه منها أَلف فَدَّان كما حدَّثنا يحيى بن خالد، عن اللَّيْث بن سَعْد ـ رضي الله عنه ـ ولم يَبْلُغْنا أنَّ عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ أَقْطَع أَحَدًا من النَّاس شيئًا من أَرْض مصر، إلَّا ابن سَنْدَر فإنَّه أَقْطَعَه مُنْيَة الأَصْبَغ، فلم تَزَل له حَتَّى مات، فاشْتَراها الأَصْبَغُ بن عبد العزيز من وَرَثَتِه، فليس بمصر قَطِيعَةٌ أَقْدَم منها ولا أَفْضَل[1].

وكان سَبَبُ إقْطاع عُمَر ـ رضي الله عنه ـ ما أَقْطَعَه من ذلك ـ كما حدَّثنا عبد الملك بن مَسْلَمَة، عن ابن لَهِيعَة، عن عَمْرو بن شُعَيْب، عن أبيه عن جَدِّه ـ أنَّه كان لزِنْباع الجُذامي[2] غُلامٌ يُقالُ له سَنْدَر، فوَجَدَه يُقَبِّل جاريَةً له، فجَبَّه وجَدَعَ أُذنَيْه وأَنْفَه[b]. فأتي سَنْدَر إلى[c] رَسُول الله ﷺ، فأَرْسَل إلى زِنْباع فقال: «لا تُحَمِّلوهم ما لا يُطيقون، وأَطْعِموهم ممَّا تأْكُلون، واكْسُوهُم[d] ممَّا تَلْبَسون، فإنْ رضيتم/ فأَمْسكوا، وإن كَرِهْتموهم فبيعوا، ولا تُعَذِّبوا خَلْقَ الله. ومَنْ مُثِّلَ به أو

a) بولاق: من جهة. b) بولاق: أنفه وأذنه. c) ساقطة من بولاق. d) بولاق: وألبسوهم.

[1] ابن عبد الحكم: فتوح مصر ١٣٧؛ وفيما تقدم ١: ٢٥٩.

[2] حاشية بخطّ المؤلِّف: «زِنْباع بن رَوْح أبو رَوْح الجُذامي، قَدِمَ على النبيّ ﷺ وقد خصى غلامًا له، فأعتقه النبي ﷺ وابنه رَوْحُ بن زِنْباع، قاله ابنُ عبد البَرّ».



خَريطَةٌ تُوضِّح المنطقة الواقعة خارج باب الفُتُوح (عن دوريس أبو سيف)

أُحْرِقَ بالنَّار فهو حُرٌّ، وهو مَوْلَى الله ورَسُوله» . فأُعْتِق سَنْدَر، فقال: أَوْصِ بي يا رَسُول الله، قال رَسُولُ الله ﷺ: «أُوصي بك كلَّ مُسْلِم» . فلمَّا توفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ، أتَى سَنْدَر أبا بكر - رضي الله عنه - فقال: احْفَظ فيَّ وَصِيَّةَ رَسُولَ الله ﷺ. فعالَه أبو بكر - رضي الله عنه - حتى تُوُفِّيَ.

ثم أتَى عُمَر - رضي الله عنه - فقال: احْفَظ فيَّ وَصِيَّة رَسُول الله ﷺ. فقال عُمَر - رضي الله عنه -: نَعَم إن رضيتَ أن تُقيمَ عندي أَجْرَيْت عليك ما كان يُجْري عليك أبو بكر - رضي الله عنه - وإلَّا فانْظُر أي المَوَاضِع[a] أكْتُبُ لك. فقال سَنْدَر: مصر لأنَّها أَرْضُ رِيفٍ. فكَتَبَ له إلى عَمْرو بن العَاص: «احْفَظ فيه وَصِيَّةَ رَسُول الله ﷺ» . فلمَّا قَدِمَ على[b] عَمْرو - رضي الله عنه - قَطَعَ له أرْضًا واسِعَةً ودارًا. فجَعَلَ سَنْدَر يعيش فيها، فلمَّا ماتَ قُبِضَت في مالِ الله، [c]وهي مُنْيَة الأَصْبَغ[c].

قال عَمْرو بن شُعَيْب: ثم أَقْطَعَها عبدُ العزيز بن مَرْوان الأَصْبَغَ بعدُ، فهي من خَيْر أموالِهم. قال: ويُقالُ سَنْدَر وابن سَنْدَر[1].

وقال ابنُ يُونُس: مَسْروح بن سَنْدَر الخَصِيّ مَوْلى زِنْباع بن رَوْح بن سَلامَة الجُذامي، يُكْنَى أبا الأَسْوَد، له صُحْبَة. قَدِمَ مصر بعد الفَتْح بكِتاب عُمَر بن الخَطَّاب - رضي الله عنه - بالوَصاة، فأُقْطِع مُنْيَة الأَصْبَغ بن عبد العَزيز. رَوَى عنه أَهْلُ مصر حَديثَيْن، رَوَى عنه مَرْثد بن عبد الله اليَزَني[d]، ورَبيعَة بن لَقيط التُّجيبي. ويُقالُ سَنْدَر الخَصِيّ، وابنُ سَنْدَر أَثْبَتُ، توفي بمصر في أيَّام عبد العَزيز بن مَرْوان، [c]وكان داهيًا مُنْكَرًا جسيمًا[c].

ويُقالُ: كان مَوْلاه وَجَدَه يُقَبِّل جاريَةً له، فجَبَّه وجَدَّعَ أنفه وأذنيه، فأتَى إلى رَسُول الله ﷺ فشَكا ذلك إليه، فأرْسَلَ رَسُولُ الله ﷺ إلى زِنْباع فقال: «لا تُحَمِّلوهم - يعني العَبيد - ما لا يُطيقون، وأَطْعِموهم ممَّا تأكُلون ...» فذَكَرَ الحَديث بطوله.

وذَكَرَ عن عُثْمان بن سُوَيْد بن سَنْدَر، أنَّه أَدْرَكَ مَسْروح بن سَنْدَر الذي جَدَعَه زِنْباع بن رَوْح - وكان جَدُّه لأمِّه - فقال: كان رُبَّما تغدَّى معي بمَوْضِعٍ من قرية عُثْمان، واسمها

---

a) بولاق: موضع. b) بولاق: إلى. c-c) إضافة من مسودة الخطط. d) بولاق: البرني.

---

[1] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧: ٥٠٥- ٥٠٦؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصر ١٣٧- ١٣٨؛ ابن حجر: الإصابة ٢: ٥٦٩، ٣: ١٩٢؛ المقريزي: مسودة الخطط ١٥١و-ظ.

سُمَيْسِم [a]. وكان لابن سَنْدَر إلى جانبها قَرْيةٌ يُقالُ لها «قُلون» قَطيعَةً، وكان له مالٌ كثيرٌ من رَقيقٍ وغير ذلك، وكان داهِيًا [b] مُنْكرًا جَسيمًا، وعُمِّر حتى أَدْرَك زَمان عبد الملك بن مَرْوان، وكان لرَوْح بن سلامَة أبي زِنْباع، [c]ثم مات[c] فوَرِثه أَهْلُ التعدد برَوْح [c]بن سَلامَة أبي زِنْباع وكانوا خمسة[c] [1].

وقال القُضَاعيّ: مَسْروح بن سَنْدَر الخَصِيّ - ويُكْنَى أبا الأَسْوَد - له صُحْبَة، ويُقال له سَنْدَر، دَخَلَ مصر بعد الفَتْح سنة اثنتين وعشرين [2]. ٥

وقال الكِنْديّ في كِتاب «المَوالي»، قال: أَقْبَلَ عَمْرو بن العاص - رضي الله عنه - يومًا يسير وابن سَنْدَر معه، فكان ابنُ سَنْدَر ونَفَرٌ معه يَسيرون بين عَمْرو بن العَاص - رضي الله عنه - وأثاروا الغُبار. فجَعَلَ عَمْرو عِمامَته على طَرَف أَنْفِه، ثم قال: اتَّقُوا الغُبارَ فإِنَّه أَوْشَكُ شيء دُخولًا وأبعده خُروجًا، وإذا وَقَع على الرِّئَة صار نَسَمَةً. فقال بعضُهم لأولئك النَّفَر، تَنَحَّوا، فَفَعَلوا إلَّا ابن سَنْدَر، فقيل له: ألا تَتَنَحّي يا ابن سَنْدَر؟ فقال عَمْرو: دَعُوهُ، فإِنَّ غُبارَ الخَصِيّ لا يَضُرّ. ١٠ فسَمِعَها ابنُ سَنْدَر فغَضِبَ، وقال: أما والله لو كنت من المؤمنين ما آذَيْتَني؛ فقال عَمْرو: يَغْفِر الله لك، أنا بحَمْد الله من المُؤْمنين، فقال ابنُ سَنْدَر: لقد عَلِمْتَ أَنّي سألت رَسُولَ الله ﷺ أن يُوصي بي، فقال: «أُوصي بك كلَّ مُؤْمِن» [3].

وقال [c]أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد[c] بنُ يُونُس [c]في كِتاب «تاريخ مصر» ومنه نَقَلْتُ[c]: أَصْبَغُ بن عبد العَزيز بن مَرْوان بن الحَكَم يُكْنى أبا زَبَّان [d]. حكى عنه أبو خَيْرَة [e] عِبَاد بن عبد الله [f] ١٥ المعافِري، وعَوْن بن عبد الله وغيره. توفي ليلة الجمعة لأَربعٍ بقين من شهر رَبيع الآخر سنة ستٍّ وثمانين قَبْل أبيه [4].

---

a) بولاق: سمسم. b) بولاق: ذا دهاء. c-c) إضافة من مسودة الخطط. d) بولاق: أبو ريان. e) بولاق: أبو صبرة. f) بولاق: عبد الله بن عباد.

---

[1] ابن يونس: تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين) ٤٧٠ - ٤٧٢؛ ابن حجر: الإصابة ٦: ٩١.

[2] وَرَدَ هذا الخبر في مسودة الخطط ١٥١و، مسبوقًا بقوله: قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سَلامَة القُضَاعي في كِتاب «خِطَط مصر» ومنه نَقَلْتُ» واستكمل عنه بقية خبر ابن سَنْدَر، ثم كتب على هامش النسخة بعد فترة: «ورأيته بعد ذلك في كتاب «فتوح مصر» لابن عبد الحكم»، وأَثْبَتَ نَصَّ ابن عبد الحكم - الذي أورده قبل قليل - في طَيَّارَة بين صفحات المسودة.

[3] هذا الخبر الذي أورده المقريزي نقلًا عن كِتاب «الموالي» للكِنْدي، موجودٌ بنَصِّه عند ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧: ٥٠٧.

[4] ابن يونس: تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ الغرباء) ٤٠؛ المقريزي: مسودة الخطط ١٥١ظ.

وقال أبو الفَرَج عليّ بن الحُسَيْن الأَصْبَهاني في كِتاب «الأغاني الكبير» : عن الرِّيَاشي أنّه[a] قال عن سُكَيْنَة بنت الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالِب ـ عليهم السَّلام ـ : إنَّ أبا عُذْرَتها عبد الله ابن الحَسَن بن عليّ ، ثم خَلَفَه عليها[b] العُثْماني ، ثم مُصْعَب بن الزُّبَيْر ، ثم الأَصْبَغ بن عبدِ العَزيز ابن مَرْوان . قال : وكان يَتَوَلَّى مصر ، فكَتَبَت إليه سُكَيْنَة : «إنَّ مصر أرضٌ وَخِمَة» ، فبَنَى لها مَدينَةً تُسَمَّى مَدينَة[c] الأَصْبَغ . وبَلَغَ عبد الملك تَزَوُّجه إيّاها ، فنَفِسَ بها عليه ، وكَتَبَ إليه : «اخْتَر مصر أو سُكَيْنَة» ، فبَعَثَ إليها[d] بطَلاقِها ، ولم يَدْخُل بها ، ومَتَّعَها بعشرين ألفَ دينار [١].

قُلْتُ في هذا الخَبَر أوْهامٌ : منها أنَّ الأَصْبَغ لم يَلِ مصر ، وإنَّما كان مع أبيه عبد العَزيز ابن مَرْوان . ومنها أنَّ الذي بَنَاه الأَصْبَغ لسُكَيْنَة مُنْيَة الأَصْبَغ هذه وليست مَدينَة . ومنها أنَّ الأَصْبَغ لم يُطَلِّق سُكَيْنَة ، وإنَّما ماتَ عنها قبل أن يَدْخُل عليها .

وقال ابنُ زُولاق في كِتاب «إتْمام كِتاب الكِنْدي في أخْبار أُمَرَاء مصر» : وفي شَوَّال ـ يعني من سنة ستين وثلاث مائة ـ كَثُرَ الإرْجافُ بوُصُول القَرامِطَة إلى الشَّام ورَئيسهم الحَسَن بن محمَّد الأَعْصَم . وفي هذا الوَقْت وَرَدَ الخَبَرُ بقَتْل جَعْفَر بن فَلاح ، قَتَلَه القَرامِطَة بدِمَشْق . ولمَّا قُتِلَ مَلَكَتِ القَرامِطَةُ دِمَشْق ، وصارُوا إلى الرَّمْلَة ، فانحاز سَعادَة[e] بن حَيَّان إلى يافا متحصِّنًا بها .

وفي هذا الوَقْت تأهَّبَ جَوْهَرٌ القائِد لقِتال القَرامِطَة ، وحَفَرَ خَنْدَقًا وعَمِل عليه بابًا ، ونَصَب عليه البابَيْن[f] الحَديد اللذين كانا على مَيْدان الإخْشيد ، وبَنَى القَنْطَرَة على الخَليج ، وحَفَرَ خَنْدَق السَّري بن/ الحَكَم ، وفَرَّقَ السِّلاحَ على رِجال المَغارِبة والمصريين ووَكَّلَ بأبي الفَضْل جَعْفر ابن الفَضْل بن الفُرات خادِمًا يَبيت معه في دارِه ويَرْكب معه حيث كان ، وأنْفَذَ إلى ناحِيةِ الحِجاز يَتَعَرَّف خَبَرَ القَرامِطَة [٢].

وفي ذي الحِجَّة كَبَسَ القَرامِطَة القُلْزُم ، وأخذوا واليها [٣].

a) ساقطة من بولاق . b) الأغاني : ثم خلف عليها . c) بولاق : بمدينة . d) بولاق : إليه . e) بولاق : معاذ . f) بولاق : بابي .

[١] أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ١٦ : ١٥١ ، وقارن مع ١٦ : ١٤٩.
[٢] المقريزي : اتعاظ الحنفا ١ : ١٢٩.
[٣] نفسه ١ : ١٢٩.

ثم دَخَلَت سنة إحدى وستين وثلاث مائة ، وفي المحرَّم بَلَغَتِ القَرامِطَةُ عَيْنَ شَمْس ، فاسْتَعَدَّ جَوْهَرٌ للقِتال لعَشْرٍ بقين من صَفَر ، وغَلَّقَ أبْوابَ الطَّابية ، وضَبَطَ الدَّاخِل والخارِج ، وأَمَرَ النَّاسَ بالخُروج إليه ، وأن يَخْرُجَ الأَشْرافُ كلُّهم ، فخَرَجَ إليه أبو جَعْفَر مُسْلم وغيره بالمضارِب .

وفي مُسْتَهَلِّ شهر[a] رَبيع الأوَّل الْتَحَمَ القِتالُ مع القَرامِطَة على باب القاهِرَة وكان يوم جُمُعَة ، فقُتِلَ من الفريقين جماعَةٌ وأُسِرَ جماعَةٌ ، وأصْبَحُوا يوم السبت مُتكافِئين . ثم غَدَوا يوم الأحَد للقِتال ، وسارَ الحَسَنُ الأَعْصَم بجَميع عَساكِره ، ومَشَى للقِتال على الخَنْدَق والباب مُغْلَق . فلمَّا زالَتِ الشَّمْسُ فَتَحَ جَوْهَرٌ الباب ، واقْتَتَلوا قِتالًا شَديدًا ، وقُتِلَ خَلْقٌ كثيرٌ ، ثم وَلَّى الأَعْصَم مُنْهَزِمًا ، ولم يَتْبَعه القائِدُ جَوْهَر . ونُهِبَ سَوادُ الأَعْصَم بالجُبِّ ، ووُجِدَت صَناديقُه وكُتُبُه ، وانْصَرَفَ في اللَّيْل على طَريق القُلْزُم ، ونَهَبَت[b] بنو عَقيل وبنو طَيِّئ كثيرًا من سَوادِه وهو مَشْغُول بالقِتال .

وكان جَميعُ ما جَرَى على القَرْمَطي بتَدْبير جَوْهَر وجوائِز أَنْفَذَها ، ولو أراد أَخْذ الأَعْصَم في انْهِزامِه لأَخَذَه ، ولكن الليل حَجَزَ فكَرِهَ جَوْهَرٌ اتِّباعه خَوْفًا من الحيلة والمكيدة ، وحَضَرَ القِتالَ خَلْقٌ من رَعِيَّة مصر ، وأَمَرَ جَوْهَر بالنِّداء في المَدينَة : من جاءَ بالقَرْمَطي أو برأسه فله ثلاث مائة ألف درهم ، وخمسون خِلْعَة ، وخمسون سَرْجًا بحُليٍّ[c] على دَوابِّها ، وثلاث جَوائِز[1] .

ومَدَحَ بعضُهم القائِدَ جَوْهَرًا بأبْياتٍ منها :

[الطويل]

كأنَّ طِرازَ النَّصْر فَوْقَ جَبينِه ... يَلُوحُ ، وأَرْواحُ الوَرَىٰ بيمينِه

ولم يَتَّفِق على القَرامِطَة منذ ابتداء أمْرهم كَسْرَةٌ أَقْبَح من هذه الكَسْرَة . ومنها فارَقَهُم مَنْ كان قد اجْتَمَعَ إليهم من الكافُورية والإخْشيدية ، فقَبَضَ جَوْهَرٌ على نحو الألف منهم وسَجَنَهم مُقَيَّدين .

[d]قال كاتِبُه : خَنْدَقُ السَّري بالقرافَة وجَدَّدَه جَوْهَرُ حتى بَلَغَ في الحَفْر قَبْرَ الشَّافِعي ، ثم شَقَّ به مُشَرِّقًا على المَقابر بالقَرافَة إلى الجَبَل المُقَطَّم ، أرادَ بذلك حِفْظ طريق الفَتْح من ناحية القُلْزُم . ويُعْرَف هذا المكان إلى اليوم في القَرافَة بـ «الخَــنْدَق»[d] [2] .

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : نهب . c) بولاق : محلى . d-d) إضافة من مسودة الخطط .

[1] المقريزي : اتعاظ الحنفا ١ : ١٣٠ .
[2] المقريزي : مسودة الخطط ١٥٢ و (طَيَّارَة بين الصفحات) .

وقال ابنُ زُولاق في كِتاب «سِيرَة الإمام المُعِزّ لدين الله» ومن خَطِّه نَقَلْتُ[a]: وفي هذا الشهر ـ يعني المحرَّم سنة ثلاثٍ وستين وثلاث مائة ـ تَبَسَّطَت المغارِبةُ في نَواحي القَرافَة والمَعَافِر وما قارَبها[b]، فنَزَلوا في الدُّورِ، وأخْرَجُوا النَّاسَ من دُورهم، ونَقَلُوا السُّكّان، وشَرَعُوا في السُّكْنَى في المَدينَة، وكان المُعِزُّ قد أمَرَهُم أن يَسْكُنوا أطْرافَ المَدينَة. فخَرَجَ النَّاسُ واسْتَغاثُوا إلى المُعِزّ[c]، فأَمَرَ[d] أن يَسْكُنُوا نَواحي عَيْنِ شَمْس. ورَكِبَ المُعِزُّ بنفسِه حتى شاهَدَ المواضِعَ التي يَنْزِلون فيها، وأَمَرَ لهم بمالٍ يَبْنون به ـ وهو المَوْضِع ـ المعروف[e] اليوم بالخَنْدَق والحُفْرَة وخَنْدَق العَبيد ـ وجَعَلَ لهم والِيًا وقاضِيًا. قال[f]: ثم سَكَنَ أكثرُهُم في المَدينَة مُخالِطِين لأهْلِ مصر. ولم يكن القائِدُ جَوْهَر يُبيحُهم سُكْنَى المَدينَة ولا المبيت فيها[g]، وحَظَرَ ذلك عليهم، وكان مُناديه يُنادي كلَّ عَشِيَّةٍ: «لا يبيتَنَّ في المَدينَة أحَدٌ من المغارِبَة»[1].

وقال ياقُوت: مُنْيَةُ الأَصْبَغ تُنسَب إلى الأَصْبَغ بن عبد العَزيز بن مَرْوان[2]، ولا يُعْرَف اليوم بمصر مَوْضِعٌ يُعْرَف بهذا الاسْم، وزَعَموا أنَّها القَرْيَة المعروفة بالخَنْدَق قَريبًا من شَرْق القاهِرَة.

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر، [h]وقد ذَكَرَ ما قُلْنا[h]: الخَنْدَقُ هو مُنْيَة الأَصْبَغ، وهو الأَصْبَغُ ابن عبد العَزيز بن مَرْوان[3]. [h]واحْتَفَرَ الخَنْدَق عنده الإمام العزيز بالله في نَوْبَة القَرْمَطي[h].

قال كاتِبُه[i]: وقد وَهِمَ ابنُ عبد الظَّاهِر فجَعَلَ أنَّ الخَنْدَق احْتَفَرَه العَزيزُ بالله، وإنَّما احْتَفَرَه جَوْهَرٌ كما تقدَّم. وأَدْرَكْتُ الخَنْدَقَ قريةً لَطيفةً يبرُزُ النَّاسُ من القاهِرَة إليها ليتنزَّهوا بها في أيَّام النِّيل والرَّبيع، ويَسْكُنها طائِفَةٌ كبيرةٌ، وفيها بَساتينُ عامِرَةٌ بالنخيل الفَخْر والثِّمار الطَّيِّبَة، وبها سُوقٌ وجامِعٌ تُقام فيه[j] الجُمُعَة وعليه قِطْعَةُ أرضٍ من أرْض الخَنْدَق يتولَّاها خَطيبُه.

a) النص في المسودة: قال الفقيه أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن زولاق الليثي المصري في كتاب «سيرة أمير المؤمنين المعز لدين الله بمصر»، ومن خطه كتبت. b) آياصوفيا: أقاربها. c) بولاق: استغاثوا بالمعز. d) بولاق: فأمرهم. e) بولاق: الذي يعرف. f) إضافة من مسودة الخطط. g) بولاق: بها. h-h) إضافة من مسودة الخطط. i) بولاق: مؤلفه. j) بولاق: به.

[1] المقريزي: مسودة الخطط ١٥١و، اتعاظ الحنفا ١: ١٤٥.

[2] ياقوت: معجم البلدان ٤: ٦٧٤- ٦٧٥.

[3] لم يرد هذا النَّصّ فيما وصل إلينا من كتاب «الروضة البهية» لابن عبد الظاهر، وانظر عن الأَصْبَغ، المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٢١٣- ٢١٤.

فلمَّا كانتِ الحَوادِثُ والمِحَنُ من سنة ستٍّ وثمان مائة [a]وفَحُشَ الغَلاءُ وشَنُعَ ظُلْمُ الدَّوْلَة وعَمَّ الخرابُ[a] ، خَرِبَت قَرْيَةُ الخَنْدَق ، ورَحَلَ أَهْلُها منها ، ونُقِلَت الخُطْبَةُ من جامِعه إلى جامِع بالحُسَيْنِيَّة ، وبقي مُعَطَّلًا من ذِكْر الله تعالى وإقامَة الصَّلاة مُدَّة . ثم في شَعْبان سنة خمسَ عشرةَ وثمان مائة هَدَمَه الأميرُ طُوغان الدَّوادار [١] ، وأَخَذَ عُمُدَه وخَشَبَه ، فلم يُبْقِ إلَّا بقيَّة أَطْلالِه [٢] . وكانت قَرْيَةُ الخَنْدَق كأنَّها من حُسْنِها صُرَّةٌ لكُومِ الرِّيش ، وكانت تجاهَها من شَرْقيها [a]يَفْصل بينهما الخليجُ الكبير[a]، فخَرِبتا جميعًا [٣] .

صَحْـرَاءُ الهِلِيـلَج [b]

هذه البُقْعَة شَرْقي الخَنْدَق في الرَّمْل ، وإليها كانت تنتهي عِمارَةُ الحُسَيْنِيَّة من جِهَة باب الفُتُوح ، وكان بها شَجَرَ الأَهْلِيلَج الهِنْدي فعُرِفَت بذلك . وأَظُنُّ هذا الأَهْلِيلَج كان من جملة بُسْتان رَيْدان الذي يُعْرَف اليوم مَوْضِعُه[c] بالرَّيْدانِيَّة [٤] .

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط . b) بولاق : الأهليلج . c) إضافة من مسودة الخطط .

---

[١] انظر عن طوغان الدَّوادار ، فيما تقدم ٣١٩هـ [١] .

[٢] النصُّ في المسودة : «فبَلَّغ بعضُ أُمَرَاء الملك المؤيَّد شَيْخ أنَّ بالجامع المذكور عواميد بمحرابِه من رخام ، فسَيَّر عِدَّة من مماليكه فَهَدَم سَقْف الجامع وحُمِلَت أخشابه وعُمُده وشاهَدْتُ ذلك وعِدَّةٌ من المماليك وُقُوفٌ لتحميل ذلك . وبقيت جُدُرُه قائمة ولا أنيس بالبلد» .

[٣] المقريزي : مسودة الخطط ١٥٢و .
ويدلُّ على موضع الخَنْدَق الآن المنطقة المعروفة بالدِّمِرْداش ، وما زال توجد من آثاره الدَّيْر المعروف بدَيْر الملاك تجاه منطقة الزاوية الحمراء من الجهة الشرقية والتي يخترقها الآن شارع مصر والسودان (فيما تقدم ٤٢٩) .

[٤] المقريزي : مسودة المواعظ ٣٨٦؛ وفيما يلي ٤٦٤ .

ذِكْرُ خَارِج بابِ النَّصْر

أمَّا خارِجُ القاهِرَة من جِهَة باب النَّصْر فإنَّه ، عندما وَضَعَ القائِدُ جَوْهَر القاهِرَة ، كان فَضَاءً ليس فيه سِوَى مُصَلَّى العيد الذي بَنَاهُ جَوْهَر . وهذا المُصَلَّى اليوم يُصَلَّى على مَنْ ماتَ فيه . وما بَرِحَ ما بين هذا المُصَلَّى وبُسْتان رَيْدان ، الذي يُعْرَف اليوم بالرَّيْدانِيَّة ، لا عِمارَةَ فيه إلى أن ماتَ أميرُ الجُيُوش بَدْرٌ الجَمالي في سنة سبعٍ وثمانين/ وأربع مائة ، فدُفِنَ خارِج باب النَّصْر بَحْري المُصَلَّى ، وبُنِيَ على قَبْره تُرْبَةٌ جَليلَةٌ وهي باقيةٌ إلى اليوم هناك . فتَتَابَع بِنَاءُ التُّرَب من حينئذٍ خارِج باب النَّصْر فيما بين التُّرْبَة الجُيُوشِيَّة والرَّيْدانِيَّة ، وقَبَرَ النَّاسُ مَوْتاهُم هناك ، لا سِيَّما أهلُ الحارات التي عُرِفَت خارِج باب الفُتُوح بالحُسَيْنِيَّة ، وهي الرَّيْدانِيَّة وحارَة البَيازِرَة[a] وغيرها[١] .

a) بولاق : البزادرة .

[١] تُوجَد اليوم بين مَقابِر باب النَّصْر في سَفْح تَلّ الشَّيْخ شَعْبان في مَقْبَرَة الدَّيْر مَشْهَدٌ يُعْرَف بقُبَّة يُونُس السَّعْدي . ويُغَطِّي هذا المَشْهد قُبَّةٌ تَحمل عَناصِر معمارية وفنية تَضَعها دون أي التباس بين مُنْشآت العصر الفاطمي (بالرغم من بعض التغييرات اللاحقة) . وتساءَل إدْموند بوتي Edmond Pauty ـ أوَّل من أشار إلى هذا الكَشْف ـ إذا كُنَّا أمام قَبْر بَدْر الجمالي ، رغم عَدَم وُجود أيَّة كِتابَةٍ أثرية أو تاريخٍ يُؤكد ذلك ؟ ورَجَّح الآثاري الرَّاحِل حسن عبد الوهاب ـ في مقالٍ له عن الآثار المنقولة وفي كتابه عن المساجد الأثرية ـ أنَّ هذه القُبَّة هي قَبْرُ بَدْرِ الجمالي اعتمادًا على ما تذكره المصادر من أنَّه دُفِن خارج باب النَّصْر . وتبنَّى محمد رمزي في أحَد تعليقاته على النجوم الزاهرة نفس الرأي اعتمادًا على نصٍّ للسخاوي صاحب «تحفة الأحباب» ولكن دون عَرْضٍ لأسباب ذلك . واسْتَبْعَدَ كلٌّ من كريزويل Creswell وأحمد فكري هذا التحديد ، الذي اعتبراه فَرْضًا بما أنَّه لا توجَدُ أيَّةُ كتابةٍ تُؤكِّده . ولكن يوسف راغب اعتمادًا على كتاب «وَصْف مصر» وخَريطة القاهرة التي رسمها عُلَماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨م أثْبَتَ أنَّ «قُبَّة يُونُس السَّعْدي» تظهر في هذه الخَريطة باسم «زاوية الشَّيْخ بَدْر» ، وبالتالي فإنَّ هذا المَصْدَر الذي لا يمكن دحضه يَسْمَح لنا بالقول بأنَّ قُبَّة يونس السَّعْدي (المسجلة في الآثار برقم ٥١١) هي قُبَّة بَدْر الجمالي ، وأنَّه تَغَيَّر اسمها بعد نهاية القرن الثامن عشر رُبَّما في أعقاب تَعَدٍّ على المكان أو اغْتِصابٍ له . (انظر فيما تقدم ٦٣ وما ذكر من مراجع ، ٣٦٨، و Fu'âd Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, pp. 451-53) .

وبغَرَض توسعة الطريق الذي يربط شارع المنصورية شَرْقًا بشارع الجيش غَرْبًا المعروف بشارع جَلال ، أمام السُّور الشمالي لمدينة القاهرة الفاطمية أُزيل قسمٌ كبيرٌ من مقابر باب النَّصْر في منتصف عام ٢٠٠١م .

ولم تَزَلْ هذه الجِهَةُ مَقْبَرةً إلى ما بعد السبع مائة بمُدَّة، فرَغِبَ الأميرُ سَيْفُ الدِّين الحاج آل مَلِك في البِنَاء هناك، وأنْشَأ الجامِعَ المعروف به في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائة، وعَمَّر دَارًا وحمَّامًا، فاقْتَدَى النَّاسُ به وعَمَّروا هنالك[a]. وكان قد بَنَى تِجاه المُصَلَّى قبل ذلك الأميرُ سَيْفُ الدِّين كُهُرْداش المَنْصوري دارًا تُعْرَف اليوم ببيْت الحاجِب[b]، فسَكَنَ في هذه الجِهَة أُمَرَاءُ الدَّوْلَة[1]، وعَمِلوا فيما بينم الرَّيْدانِيَّة والخَنْدَق مُناخات الجِمَال، وهي باقِيَةٌ هناك. ٥

فصارَت هذه الجِهَةُ في غاية العِمارَة، وفيها من باب النَّصْر إلى الرَّيْدانِيَّة سبعة أسْواق جَليلَة يشتمل كلُّ سُوقٍ منها على عِدَّة حَوانيت كثيرة: فمنها سُوق اللِّفْت، وهو تِجاه باب بَيْت الحاجِب الآن عند البِئْر، كان فيه من جانبيه حَوانيتُ يُباعُ فيها اللِّفْت، ومن هذه السُّوق يَشْتري أهْلُ القاهِرَة هذا الصِّنْف والكُرُنْب، وتُعْرَف هذه البِئْرُ إلى اليوم بِبِئْر اللِّفْت.

١٠ ويليها سُوَيْقَة زاوِيَة الخُدَّام، وأدْرَكْتُ بهذه السُّوَيْقة بقيَّةً صالِحَةً، ويلي ذلك سُوق جامِع آل مَلِك، وكان سُوقًا عامِرًا، وفيه غالِب ما يُحْتاج إليه من المآكِل والأدْوِية والفَواكِه والخُضَر وغيرها، وأدْرَكْتُه عامِرًا. ويليه سُوَيْقَة السَّنابِطَة، عُرِفَت بقَوْمٍ من أهْل ناحية سُنْباط سَكَنُوا بها، وكان سُوقًا كبيرًا، وأدْرَكْتُه عامِرًا. ويليها سُوَيْقَة أبي ظَهير، وأدْرَكْتُها عامِرَة. ويليها سُوَيْقَة العَرَب، وكانت تتَّصل بالرَّيْدانِيَّة، وتشتمل على حَوانيت كثيرة جدًّا أدْرَكْتُها عامِرَةً وليس فيها سُكَّانٌ، وكانت كلُّها من لَبِن مَعْقودٌ عُقُودًا. ١٥

وكان بأوَّل سُوَيْقَة العَرَب هذه فُرْنٌ أدْرَكْتُه عامِرًا آهِلًا، بَلَغَني أنَّه كان يُخْبَز فيه، أيَّام عِمارَة هذا السُّوق وما حَوْلَه، كلَّ يوم نحو السبعة آلاف رَغيف. وكان من وَرَاء هذا السُّوق أحْواشٌ فيها قِبابٌ معقودَةٌ من لَبِن، أدْرَكْتُها قائِمَةً وليس فيها سُكَّان، وكان من جملة هذه الأحْواش حَوْشٌ فيه أربع مائة قُبَّة يَسْكُن فيها البَرادِرَةُ والمَكارِيَّة، أجرة كلِّ قُبَّة درهمان في كلِّ شهر، فيَتَحصَّل من هذا الحَوْش في كلِّ شهر مبلغ ثمان مائة دِرْهَم فضَّة، وكان يُعْرف بحَوْش الأحْمَدي. ٢٠

---

a) بولاق: هناك. b) بولاق: دار الحاجب.

---

[1] فيما تقدم ٢٠٧.

فلمّا كان الغَلاءُ في زَمَنِ الملك الأَشْرَف شَعْبان بن حُسَيْن، سنة سبع وسبعين وسبع مائة، خَرِبَ كثيرٌ ممّا كان بالقُرْب من الرَّيْدانِيَّة، واختلَّت أحوالُ هذه الجِهَة إلى أن كانت المِحَنُ من سنة ستّ وثمان مائة، فتلاشَت وهُدِمَت دُورَها وبيعت أنْقاضُها، وفيها بَقِيَّةٌ آيلة إلى الدُّثُور.

٥

الرَّيْدانِيَّة

كانت بُسْتانًا لرَيْدان الصَّقْلَبي أَحدُ خُدَّام العَزيز بالله نِزار بن المُعِزّ، كان يحمل المِظَلَّة على رأس الخَليفَة، واختَصَّ بالحاكِم، ثم قَتَلَه في يوم الثلاثاء لعَشرٍ بقين من ذي الحجَّة سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة.

ورَيْدانُ إن كان اسْمًا عَرَبيًّا، فإنَّه من قولهم: ريحٌ رَيْدَة ورَادة ورَيْدانَة، أي لَيِّنَة الهَبُوب، وقيل ريحٌ رَيْدة كثيرة الهُبُوب[a] [1].

١٠

a) هنا في هامش آياصوفيا: بياض خمسة أسطر.

[1] Behrens-Abouseif, D., *op.cit.*, pp. 165-71؛ وفيما تقدم ٦٢. وهي تُعادل الآن المنطقة المعروفة بالعَبّاسية بالقاهرة.

ذكر الخلجان التي بظاهر القاهرة

اعْلَم أنَّ الخَلِيجَ جَمْعُه خُلْجان، وهو نَهْرٌ صَغيرٌ يَخْتَلِج من نَهْرٍ كبيرٍ أو من بَحْرٍ، وأَصْلُ الخَلْج الانْتِزاع، خَلَجْتُ الشيءَ من الشيءِ إذا انتزعته.

وبأرض مصر عِدَّةُ خُلْجان، منها بظَاهِر القاهِرَة: خَليجُ مصر، وخَليجُ فَم الخَوْر، وخَليجُ الذَّكَر، والخَليجُ النَّاصِريّ، وخَليجُ قَنْطَرَة الفَخْر. وستَرَى من أخبارِها ما فيه كفايةٌ. ٥

ذكر خليج مصر [a][1]

هذا الخَليجُ بظاهِر مَدينَة فُسْطاط مصر، ويمرُّ من غربيّ القاهِرَة. وهو خَليجٌ قَديمٌ احْتَفَره بعضُ قُدَمَاء مُلُوك مصر بسَبَب هاجَر أمّ إسماعيل بن إبراهيم خَليل الرَّحْمَن - صَلَوات الله

a) مسودة الخطط: خليج القاهرة.

[1] خليج مصر (القاهرة). كان فَمُ هذا الخليج يأخذ من نقطة على النيل شمال الفُسْطاط حيث توجد الآن قناطِرُ مجرى العُيُون، مُتَّجِهًا إلى الشمال الشرقي مُرورًا بزاوية الماوردي إلى ميدان السيدة زينب، ومنه شمالاً إلى ميدان باب الخلق ثم إلى ميدان باب الشعرية، ثم شمالاً إلى الأراضي الزراعية حيث مجرى التُّرْعَة الإسماعيلية، ومنها إلى قرية العَبَّاسَة بمحافظة الشرقية ثم إلى مدينة الإسماعيلية الحالية ثم يتجه جنوبًا إلى مدينة القُلْزُم على البحر الأحمر.

ولمَّا بنيت مدينة القاهرة سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م كان الخليج يُحاذي سُورَها الغربي في المنطقة الواقعة بين ميدان باب الخلق جنوبًا وإلى الشمال قليلا من ميدان باب الشعرية شمالاً. ومع اتِّساع المدينة وامتدادها جهة الشمال والغرب والجنوب، صار الخليجُ يخترق المدينة. وكان الماءُ يدخل كلَّ عامٍ عن طريق هذا الخليج في زمن الفَيَضان إلى البِرَك الداخلية والخارجية للمدينة في أعقاب احْتفالٍ يحضره الخليفةُ الفاطمي ثم السلطان المملوكي بفَتْح هذا الخليج.

وكان عَرْضُ الخليج يتراوح بين خمسة وعشرة أمتار (١٥ إلى ٣٠ قَدَمًا)، وغير مُزَوَّد بِرَصيف، بحيث كانت المنازلُ المُطِلَّةُ عليه غاطسةً في الماء، ولا يمكن مشاهدته إلَّا من نوافذ المنازل التي يرتطم بأسفلها الخليج، كما لا نلحظه كذلك من فوق القناطِر العديدة المنتشرة عليه والتي يبلغ ارتفاعُ حواجزها أكثر من مترين. (جومار: وصف مدينة القاهرة ١٥٦-١٥٧).

وظَلَّ الخليجُ المصري باقيًا إلى أن رُدِمَت المسافَةُ الواقعة بين ميدان السَّيِّدة زَيْنب جنوبًا والترعة الإسماعيلية شمالاً بين سنتي ١٨٩٧- ١٨٩٩، وحَلَّ محلَّه شارع الخليج المصري (شارع بورسعيد الآن) ليسير فيه أوَّل خطٍّ للترام بالقاهرة. ـ

وسلامه عليهما ـ حين أسْكَنَها وابنها إسماعيل خَليلُ الله إبراهيم ـ عليهما الصَّلاة والسَّلام ـ بمَكَّة. ثم تَمادَت الدُّهورُ والأعْوامُ، فجَدَّدَ حَفْرَه ثانِيًا بعضُ من مَلَك مصر من مُلُوك الرُّوم بعد الإسْكَنْدَر.

فلمَّا جاءَ الله سبحانه بالإسْلام وفُتِحَت أرْضُ مصر على يد عَمْرو بن العَاصّ جَدَّد حَفْرَه، بإشارَةِ أمير المؤمنين عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ فحُفِرَ[a] عام الرَّمادَة. وكان يَصُبُّ في بَحْر القُلْزُم، فتَسيرُ فيه السُّفُنُ إلى البَحْر المِلْح، وتَمُرُّ في البَحْر إلى الحِجَاز واليَمَن والهِنْد. ولم يَزَلْ على ذَلك إلى أن قَدِمَ محمد بن عبد الله بن حَسَن بن حَسَن بن عليّ بن أبي طالِب بالمَدينَة النَّبَوِيَّة، والخَلَيفَةُ حينئذٍ بالعِراق أبو جَعْفَر عبد الله بن محمد المَنْصور، فكَتَبَ إلى عامِله على مصر يأمُرُه بطَمِّ خَليجِ القُلْزُم حتى لا تُحْمَل المِيرَة من مصر إلى المَدينَة. فطَمَّه، وانْقَطَع/ من حينئذٍ اتِّصالُه ببَحْر القُلْزُم، وصارَ على ما هو عليه الآن.

وكان هذا الخَليجُ أوَّلًا يُعْرَف بخَليج مصر، فلما أنشأ جَوْهَرٌ القائِدُ القاهِرَة بجانِب هذا الخَلَيج من شَرْقيه، صارَ يُعْرَف بـ«خَليج القاهِرَة»، وكان يُقالُ له أيضًا «خَليجُ أمير المؤمنين» ـ يعني عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ لأنَّه الذي أشارَ بتَجْديد حَفْره. والآن تُسَمِّيه العامَّةُ بـ«الخَلَيج الحاكِمي»، وتَزْعُم أنَّ الحاكِمَ بأمْر الله أبا عليّ منصورًا احْتَفَرَه. وليس هذا بصَحيح، فقد كان هذا الخَلَيجُ قَبْل الحاكِم بمُدَدٍ مُتطاوِلَةٍ، ومن العامَّة من يسمِّيه «خَليج اللُّؤْلُؤة» أيضًا.

وسأَقُصُّ من أخْبَار هذا الخَلَيج ما وَقَفْتُ عليه من الأنْباء.

قال الأسْتاذُ إبراهيم بن وَصِيف شاه، في أخْبار طُوطيس[b] بن ماليا بن كَلْكن بن خَرِبْتا ابن ماليق بن تَدارس بن صَا بن مَرْقونس من ولد[c] صَا بن قُبْطيم بن مصر بن بَيْصَر بن حَام بن نُوح: وجَلَسَ على سَريرِ المُلْك بعد أبيه ماليا، وكان جَبَّارًا جريئًا شَديدَ البأس مَهيبًا، فدَخَلَ عليه الأشْرافُ وهَنَّوه ودَعَوْا له، فأمَرَهم بالإقْبال على مَصالِحِهم وما يَعنيهم، ووَعَدَهم بالإحْسَان.

---

a) بولاق: في. b) بولاق: طيطوس. c) ساقطة من بولاق.

= وتُعِدُّ الباحثة أمَل حسين علي نافع رسالة ماجستير بكلية الآثار ـ جامعة القاهرة موضوعها: «الخليج المصري من العصر الفاطمي وحتى نهاية العصر العثماني».

والقِبْطُ تَزْعُم أنّه أوَّلُ الفَراعِنَة بمصر، وهو فِرْعُون إبراهيم ـ عليه السَّلام ـ وأنَّ الفَراعِنَةَ سبعة هو أوَّلهم، وأنَّه استَخَفَّ بأمر الهَياكِل والكَهَنَة.

وكان من خَبَرِ إبراهيم ـ عليه السَّلام ـ معه: أنَّ إبراهيمَ لمَّا فارَق قومَه، أشْفَق من المُقام بالشَّام، لئلَّا يتبعه قَوْمُه ويردُّوه إلى النَّمرود، لأنَّه كان من أهْل كوثي من سَواد العِراق، فخَرَج إلى مصر ومعه سارَة امْرأته، وتَرَكَ لُوطًا بالشَّام وسارَ إلى مصر. وكانت سارَةُ أحْسَنَ نِساء وَقْتها، ويُقالُ إنَّ يُوسُفَ ـ عليه السَّلام ـ وَرِثَ جُزْءًا من جَمالِها[a]. فلمَّا سارَ إلى مصر رأى الحَرَسُ المقيمون على أبْواب المَدينَة سارَة، فعَجِبُوا من حُسْنِها ورَفَعُوا خَبَرَها إلى طوطيس[b] الملك، وقالوا: دَخَلَ إلى البَلَد رجُلٌ من أهْلِ الشَّرْق معه امْرَأةٌ لم يُر أحْسَن منها ولا أجْمَل. فوَجَّهَ الملكُ إلى وَزيره، فأحْضَر إبراهيم ـ صَلوات الله عليه ـ وسأَلَه عن بَلَده فأَخْبَره، وقال: ما هذه المرأةُ منك؟ فقال: أُخْتي. فعَرَّفَ الملكَ بذلك، فقال: مُرْه أن يَجيئني بالمَرْأة حتى أراها. فعرَّفَه ذلك، فامْتَعَضَ منه ولم تُمْكِنْه مُخالفتُه، وعَلِمَ أنَّ الله تعالى لا يَسُوءه في أهْله، فقال لسارَة: قُومي إلى الملك فإنَّه قد طَلَبَك منِّي؛ قالت: وما يَصْنَعُ بي المَلِكُ وما رآني قَبْل؟ قال: أرْجو أن يكون لخَيْر. فقامَت معه حتى أتَوْا قَصْر الملك، فأُدْخِلَت عليه، فنَظَرَ منها مَنْظَرًا راعَه وفَتَنَتْه، فأمَرَ بإخْراجِ إبراهيم ـ عليه السَّلام ـ فأُخْرِجَ ونَدِمَ على قوْله إنَّها أُخْتُه، وإنَّما أرادَ أنَّها أُخْتُه في الدِّين. ووَقَعَ في قَلْب إبراهيم ـ عليه السَّلام ـ ما يَقَعُ في قَلْب الرَّجُل على أهْله، وتمنَّى أنَّه لم يَدْخُلْ مصر، فقال: اللَّهم لا تَفْضَح نَبِيَّك في أهْله.

فراوَدَها الملكُ عن نَفْسها، فامْتَنَعَت عليه، فذَهَبَ ليمدّ يَدَه إليها فقالَت: إنَّك إن وَضَعْتَ يَدَكَ عليَّ أهْلَكْتَ نَفْسَك لأنَّ لي رَبًّا يَمْنَعُني منك. فلم يَلْتَفِت إلى قَوْلها، ومَدَّ يدَهُ إليها فجَفَّت يَدُه، وبقي حائِرًا فقال لها: أزيلي عَنِّي ما قد أصابَني. فقالت: على ألا تُعاوِدُ مثل ما أتَيْت؛ قال: نَعَم. فدَعَت الله سُبْحانَه وتعالى، فزالَ عنه ورَجَعَت يَدُه إلى حالِها.

فلمَّا وَثِق بالصِّحَّة راوَدَها ومَنَّاها ووَعَدَها بالإحْسان، فامْتَنَعَت وقالت: قد عَرَفْتَ ما جَرَى.

a) النص عند النويري: ورث جزءًا من حسنها لأنها جدّة أبيه. b) بولاق: طيطوس.

ثم مَدَّ يَدَه عليها فجَفَّت ، وضربَت عليه أعْضاؤه وعَصَبُه ، فاستغاثَ بها وأَقْسَمَ بالآلِهَة أنّها إن أزالَت عنه ذلك فإنّه لا يعاوِدها ، فسألت الله تعالى فزَالَ عنه ذلك ، ورَجَعَ إلى حالِه [1]. فقال : إنَّ لكِ لربًّا عَظيمًا لا يُضيِّعك ؛ فأَعْظَم قَدْرَها وسألها عن إبراهيم ، فقال : هو قَريبي وزَوْجي ؛ قال : فإنّه قد ذَكَرَ أنّك أُخْتُه ؛ قالت : صَدَقَ أنا أُخْتُه في الدِّين ، وكلُّ من كان على دِينِنا فهو أخٌ لنا ؛ ٥ قال : نِعْمَ الدِّين دينُكم .

ووجَّه بها إلى ابنته حُوْرِيا ـ وكانت من الكَمال والعَقْل بمكانٍ كبير ـ فألقى الله تعالى محبَّةَ سارَة في قَلْبها ، فكانت تُعَظِّمها وأضافَتْها أحْسَنَ ضِيافَة ، ووَهَبَت لها جَوْهَرًا ومالًا . فأتَت به إبراهيم ـ عليه السَّلام ـ فقال لها : رُدِّيه فلا حاجَةَ لنا به ، فرَدَّته . وذَكَرَت ذلك حُورِيا لأبيها ، فعَجِبَ منهما وقال : هذا كَرِيمٌ[a] من أهْل بَيْت الطَّهارَة ، فتَحَيَّلي في بِرّها بكلِّ حِيلَة ؛ فوَهَبَت لها ١٠ جارِيَةً قِبْطيةً من أحْسَن الجَواري يُقال لها آجَر ، وهي هاجَر أمّ إسماعيل ـ عليه السَّلام ـ وجَعَلَت لها سِلالًا من الجُلُود ، وجَعَلَت فيها زَادًا وحَلْوى ، وقالت : يكون هذا الزَّادُ معك ، وجَعَلَت تحت الحَلْوَى جَوْهرًا نَفيسًا وحُلِيًّا مكلَّلًا . فقالت سارَة : أُشاور صاحِبي ؛ فأَتَتْ إبراهيم ـ عليه السَّلام ـ واستأذنته ، فقال : إذا كان مأكُولًا فخُذيه ، فقَبِلَتْه منها .

وخَرَجَ إبراهيم ، فلمّا مَضَى وأَمْعَنوا في السَّيْر ، أخرجت سارَةُ بعض تلك السِّلال ، فأصابَتِ ١٥ الجَوْهَر والحُلِيّ ، فعَرَّفَت إبراهيم ـ عليه السَّلام ـ ذلك ، فباعَ بعضَه وحَفَرَ من ثَمَنِه البِئْر التي جَعَلَها للسَّبيل [2]، وفَرَّقَ بعضَه في وُجُوه البِرّ ، وكان يُضَيِّف كلَّ من مَرَّ به .

وعاشَ طوطيس[b] إلى أن وَجَّهَت[c] هاجَر من مَكَّة تُعَرِّفه أنّها بمكانٍ جَدْبٍ وتَسْتَغيثه ، فأَمَرَ بحَفْر نَهْرٍ في شرقي مصر بسَفْح الجَبَل[d] حتى يَنْتَهي إلى مَرْقَى السُّفُن في البَحْر المِلْح ، فكان يحمل إليها الحِنْطَة وأصْناف الغَلّات فتصل إلى جُدَّة ، وتُحْمَل من هناك على المطايا . فأحْيَا بَلَدَ ٢٠ الحِجاز مُدَّة .

---

a) عند النويري : هؤلاء من قوم كرام . b) بولاق : طيطوس . c) بولاق : توجهت ، النويري : وجهت إليه . d) النويري : يمر بسفح الجبل .

---

[1] استعاض النويري عن رواية إبراهيم بن وصيف شاه هنا بحديث عن الرسول ﷺ عن أبي هُرَيْرَة أوْرَدَه البُخاري في صحيحه . (نهاية الأرب ١٥ : ١٠٤ – ١٠٥) .

[2] حاشية بخط المؤلف : « هذه البئر بأرض فلسطين تعرف اليوم ببِئْر سَبْع ، وهي قريبة من مدينة غَزَّة » .

ويُقالُ إنَّما حُلِّيَت الكَعْبَةُ في ذلك العَصْر ممَّا أهْداهُ ملكُ مصر . / وقيل إنّه لكثرة ما كان يحمله طوطيس[a] إلى الحِجَاز سَمَّته العَرَبُ وجُرْهُم «الصَّادوق» ، ويُقالُ إنّه سأل إبراهيم ـ عليه السَّلام ـ أن يُبارِكَ له في بَلَدِه ، فدَعَا بالبَرَكَة لمصر ، وعَرَّفَه أنَّ وَلَدَه سيملكها ، ويَصير أمْرُها إليهم قَرْنًا بعد قَرْن .

وطوطيس[a] أوَّل فِرْعَوْن كان بمصر ، وذلك أنّه أكثر من القَتْل حتى قَتَلَ قَراباته وأهْلَ بَيْته وبني عمّه وخَدَمَه ونِساءَه وكثيرًا من الكَهَنَة والحُكَماء ، وكان حَريصًا على الوَلَد فلم يُرْزَق وَلَدًا غير ابنته حُوريا . وكانت حَكيمَةً عاقِلَةً تأخذ على يده كثيرًا ، وتَمْنَعُه من سَفْك الدِّماء ، فأبغضته ابنتُه ، وأبْغَضَه جَميعُ الخاصَّة والعامَّة ، فلمَّا رَأَت أمرَه يَزيد خافَت على ذَهاب مُلْكهم فسَمَّته ، وهَلَكَ .

وكان مُلْكُه سبعين سنة ، واخْتَلَفوا فيمن يَمْلُك بعده ، وأرادوا أن يُقيموا واحِدًا من وَلَد أَتْريب ، فقامَ بعضُ الوُزَراء ودَعَا لحُوريا ، فتمَّ لها الأمْرُ ، ومَلَكَت [1] .

فهذا كان أوَّلَ أمْر هذا الخَليج . ثم حَفَرَه مرَّةً ثانيةً أَدْريان قَيْصر ، أحَدُ مُلوك الرُّوم ، ومن النَّاس من يُسَمِّيه أَنْدرويانوس ، ومنهم من يقول هوزْيانوس . قالَ في «تاريخ مَدينَة رُومَة» : وَوَلِيَ المَلِكُ أَدْريان قَيْصر أحَدُ ملوك الرُّوم ، وكانت ولايته إحْدى وعشرين سنة ، وهو الذي دَرَسَ اليَهودَ مَرَّةً ثانية إذ كانوا رامُوا النِّفاقَ عليه ، وهو الذي جَدَّدَ مَدينَة يروشالِم ـ يعني مَدينَة القُدْس ـ ، وأَمَرَ بتَبْديل اسْمها وأن تُسَمَّى إيلْيا [2] .

وقال عُلَماءُ أَهْل الكِتابَ [b]على ما نَقَلْتُه من كُنَّاشٍ قَديمٍ في ذِكْر حَوادِث الخَليقَه إلى الهجرة النَّبَوِيَّة ﷺ ، واخْتَرْتُ منه فَوائِد منها[b] عن أَدْريان هذا : وغَزا القُدْس وأَخْرَبَه في الثانية من مُلْكه ، وكان مُلْكُه في سنة تسعٍ وثلاثين وأربع مائة من سني الإسْكَنْدَر ، وقَتَلَ عامَّة أهل القُدْس ، وبَنَى على باب مَدينَة القُدْس مَنارًا ، وكَتَبَ عليه «هذه مَدينَة إيلْيا» ـ ويُسَمَّى مَوْضِع هذا العَمُود الآن مِحْراب داود ـ ثم سارَ من القُدْس إلى بابِل فحارَب مَلِكَها وهَزَمَه ، وعادَ إلى مصر فحَفَرَ خَليجًا

---

a) بولاق : طيطوس . b-b) إضافة من مسودة الخطط .

---

[1] النويري : نهاية الأرب ١٥ : ١٠٤–١٠٧ ومصدره أيضًا ابن وصيف شاه .

[2] ينقل المقريزي هنا مَرَّةً أخرى من كتاب «تاريخ العالم» لباولوس أوروسيوس (هروشيوش) من القسم المخصص لتاريخ روما . (أوروسيوس : تاريخ العالم ٤٣٨) .

من النِّيل إلى بَحْر القُلْزُم ، وسارَت فيه السُّفُن ، وبقي رَسْمُه عند الفَتْح الإسلامي فحَفَرَه عَمْرو بن العَاص ، قَالَ [a]: وأصابَ أهلَ مصر منه شَدائِدُ ، وألزمهم بعبادة الأَصْنام . ثم عادَ إلى بلاده بممالِك الرُّوم ، فابْتُلِيَ بمَرَضٍ أَعْيَى الأَطِبَّاء ، فخَرَجَ يَسيرُ في البلاد يَبْتَغي مَنْ يُداويه ، فمَرَّ على بَيْت المَقْدِس - وكان خَرابًا ليس فيه غير كنيسَة للنَّصَارَىٰ - فأَمَرَ ببناء المَدينَة وحَصَّنَها ، وأعادَ إليها اليَهود ، فأقامُوا بها ومَلَّكوا عليهم رَجُلًا منهم . فبَلَغَ ذلك أَدْريان قَيْصَر ، فبعث إليهم جَيْشًا لم يَزَل يُحاصرهم حتى مات أكثرهم جُوعًا وعَطَشًا وأخَذَها عَنْوَةً ، فقَتَلَ من اليَهود ما لا يُحْصى كَثْرَةً ، وأَخْرَب المَدينَة حتى صارَت فَلاةً[b] لا عامِرَ فيها أَلْبَتَّة .

وتتبَّع اليهودَ يُريد أَلَّا يَدَعَ منهم على وَجْه الأَرض أحَدًا ، ثم أَمَرَ طائِفَةً من اليونانيين ، فتحوَّلوا إلى مَدينَة القُدْس وسَكَنوا فيها . فكان بين خَراب القُدْس الخَراب الثَّاني على يد طيطس وبين هذا الخَراب ثلاثٌ وخمسون سنة ، فعَمُرت القُدْس باليونان ؛ ولم يَزَل قَيْصَر هذا مَلِكًا حتى مات .

فهذا خَبَرُ حَفْر هذا الخَليج في المرَّة الثانية ، فلمَّا جاءَ الإسلامُ جَدَّدَ عَمْرو بن العَاص حَفْرَه .

قال ابنُ عبد الحكَم [c]في كِتاب «فُتُوح مصر»[c]: «ذِكْرُ حَفْر خَليج أمير المؤمنين رضي الله عنه» : حَدَّثَنا عبد الله بن صالِح - [c]أو غيره[c] - ، عن اللَّيْث بن سَعْد ، قال : إنَّ النَّاسَ بالمَدينَة أصابَهُم جَهْدٌ شَديدٌ في خِلافَة أمير المؤمنين عُمَر بن الخَطَّاب - رضي الله عنه - في سَنَة الرَّمادَة ، فكَتَبَ إلى عَمْرو بن العَاص وهو بمصر :

«من عَبْد الله عُمَر أمير المؤمنين ، إلى العَاصي بن العَاصي ... سلامٌ . أمَّا بَعْدُ ، فلعَمْري يا عَمْرو ما تُبالي إذا شَبِعْتَ أنت ومن مَعَك أن أَهْلِكَ أنا ومَنْ معي ، فياغَوْثاه ، ثم ياغَوْثاه ...» يُرَدِّد ذلك .

فكَتَبَ إليه عَمْرو بن العَاص [d]: «[e]لعَبْد الله عُمَر أمير المؤمنين من عَمْرو بن العَاص[e]. أمَّا بَعْدُ ، فيا لَبَّيْك ثم يا لَبَّيْك ، قد بَعَثْتُ إليك بِعِيرٍ أَوَّلها عندك وآخرها عندي ، والسَّلامُ عليك ورحمة الله وبركاته» . فبَعَثَ إليه بعِيرٍ عَظيمَةٍ . فكان أَوَّلُها بالمَدينَة وآخِرُها بمصر ، يَتْبَع بعضُها بعضًا [1].

---

a) إضافة من مسودة الخطط . b) بولاق : تلالا . c-c) إضافة من مسودة الخطط . d) ساقطة من بولاق . e-e) كذا في الأصول وفتوح مصر ، وفي بولاق : من عبد الله عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين .

---

[1] ابن عبد الحكم : فتوح مصر ١٦٢-١٦٣؛ ابن المغرب ٤١؛ ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ١١٢-١١٣؛ زولاق : فضائل مصر ٥٥-٥٦؛ ابن سعيد : المغرب في حلى مسودة الخطط ١٥٤و-ظ .

فلمّا قدِمَت على عُمَر - رَضِي الله عنه - وَسَّعَ بها على النَّاس ، ودَفَعَ إلى أهْل كلِّ بَيْتٍ بالمَدينَة وما حولَها بَعيرًا بما عليه من الطَّعام ، وبَعَثَ عبد الرَّحمَـٰن بن عَوْف والزُّبَيْر بن العَوَّام وسَعْد بن أبي وَقَّاص يَقْسِمونها على النَّاس ، فدَفَعوا إلى أهلِ كلِّ بيت بَعيرًا بما عليه من الطَّعام ليأكلوا الطَّعام ، ويأْتَدِموا بشَحْمه[a]، ويَحْتَذوا جِلْدَه[b]، وينتفعوا بالوِعاء الذي كان فيه الطَّعام فيما أرادوا من لِحافٍ أو غيره ، فوَسَّعَ الله بذلك على النَّاس. ٥

فلمّا رأى ذلك عُمَر - رضي الله عنه - حَمِدَ الله ، وكَتَبَ إلى عَمْرو بن العَاص أن يَقْدَمَ عليه هو وجَماعَةٌ من أهْل مصر معه ، فقَدِمُوا عليه . فقال عُمَر : يا عَمْرو إنَّ الله قد فَتَحَ على المسلمين مصر ، وهي كثيرة الخَيْر والطَّعام ، وقد أُلْقِيَ في رُوعي - لمَّا أحببت من الرِّفْق بأهْل الحَرَمَيْن والتوسِعَة عليهم ، حين فَتَحَ الله عليهم مصر ، وجَعَلَها قُوَّةً لهم ولجَميع المسلمين - أن أَحْفُرَ خَليجًا من نيلها حتى يَسيلَ في البَحْر ، فهو أَسْهَل لِما نُريد من حَمْل الطَّعام إلى المَدينَة ومَكَّة ، فإنَّ حَمْلَه على الظهر يَبْعد ولا نَبْلُغ ما نُريد ، فانطَلِق أنت وأصحابَك فتشاوَرُوا في ذلك حتى يعتدل فيه رأْيُكم. فانْطَلَق عَمْرو فأَخْبَرَ من كان معه من أهْل مصر ، فثَقُلَ ذلك عليهم وقالوا : نَتَخَوَّف أن يدخل من هذا ضَرَرٌ على مصر ، فنَرَى أن تُعَظِّم ذلك على أمير المؤمنين ، وتَقُول له إنَّ هذا أمْرٌ لا يَعْتَدِل ولا يكون ، ولا نَجِد إليه سَبيلًا . فرجَعَ عَمْرو بذلك إلى عُمَر . ١٠ ١٥

فضَحِكَ عُمَرُ - رضي الله عنه - حين رآه ، وقال : /والذي نَفْسي بيده لكأنّي أنظر إليك يا عَمْرو وإلى أصْحابِك ، حين أخْبَرْتَهم بما أَمَرْنا به من حَفْر الخَليج ، فثَقُلَ ذلك عليهم ، وقالوا يَدْخُل من هذا ضَرَرٌ على أهْل مصر ، فنَرَى أن تُعَظِّم ذلك على أمير المؤمنين ، وتَقُول له إنَّ هذا أمْرٌ لا يَعْتَدِل ولا يكون ، ولا نَجِدُ إليه سَبيلًا » . فعَجِبَ عَمْرو من قَوْل عُمَر ، وقال : صَدَقْتَ والله يا أميرَ المؤمنين ، لقد كان الأمْرُ على ما ذَكَرْت . فقال له عُمَر - رضي الله عنه - : « انْطَلِق بعَزيمَةٍ مِنِّي حتى تَجِدَّ في ذلك ، ولا يأتي عليك الحَوْلُ حتى تَفْرُغ منه إن شاءَ الله . ٢٠

فانْصَرَفَ عَمْرو ، وجَمَعَ لذلك من الفَعَلَة ما بَلَغَ منه ما أراد ، ثم احْتَفَرَ الخَليجَ في حاشِيَة الفُسْطاط الذي يُقالُ له «خَليجُ أمير المؤمنين» ، فساقَه من النِّيل إلى القُلْزُم ، فلم يأتِ الحَوْلُ حتى

a) بولاق : بلحمه . b) بولاق : بجلده .

جَرَتْ فيه السُّفُن، فحَمَلَ فيه ما أراد من الطَّعام إلى المَدينَة ومَكَّة، فنَفَعَ الله بذلك أهْلَ الحَرَمَيْن، وسُمِّي «خَليجَ أمير المؤمنين».

ثم لم يَزَل يُحْمَل فيه الطَّعامُ حتى حُمِلَ فيه بعد عُمَر بن عبد العَزيز، ثم ضَيَّعه الوُلاةُ بعد ذلك، فتُرِكَ وغَلَبَ عليه الرَّمْلُ فانْقَطَعَ، فصارَ مُنْتَهاهُ إلى ذَنَب التِّمْساح من ناحية بَطْحَاء[a] القُلْزُم[1].

قال: ويُقال إنَّ عُمَرَ - رضي الله عنه - قال لعمرو حين قَدِمَ عليه: يا عَمْرو، إنَّ العَرَب قد تَشاءَمَت بي، وكادَت أن تَهْلك على رَحْلي[b]، وقد عَرَفْت الذي أصابَها، وليس جُنْدٌ من الأجْناد أرْجى عندي أن يُغيثَ الله بهم أهْلَ الحِجاز من جُنْدِك، فإنْ اسْتَطَعْتَ أن تَحْتالَ لهم حيلَةً حتى يُغيثَهم الله تعالى. فقال عَمْرو: ما شِئْتَ يا أميرَ المؤمنين، قد عَرَفْت أنَّه كانت تأتينا سُفُنٌ فيها تُجَّارٌ من أهْل مصر قبل الإسلام، فلمَّا فَتَحْنا مصر انْقَطَعَ ذلك الخَليج وانْسَدّ وتَرَكه التُّجَّارُ، فإنْ شِئْتَ أن نَحْفُرَه فننْشئ فيه سُفُنًا يُحْمَل فيها الطَّعامُ إلى الحِجاز، فعلتُه. فقال له[c] عُمَر - رضي الله عنه -: نَعَم، فافْعَل.

فلمَّا خَرَجَ عَمْرو من عند عُمَر بن الخَطَّاب - رضي الله عنه - ذَكَرَ ذلك لرُؤَساء أهْل أرْضِه من قِبْط مصر، فقالوا له: ماذا جِئْتَ به أصْلَح الله[c] الأمير؟ تَنْطَلِق فتُخْرِج[d] طَعامَ أرضِك وخِصْبَها إلى الحِجاز وتُخَرِّب هذه، فإنِ اسْتَطَعْت فاسْتَثْقِل ذلك[e].

فلمَّا وَدَّع عُمَر - رضي الله عنه - قال له: يا عَمْرو انْظُر إلى ذلك الخَليج، ولا تنسيَنَّ حَفْرَه. فقال له: يا أميرَ المؤمنين إنَّه قد انْسَدَّ، وتدخُلُ فيه نَفَقاتٌ عِظَام[f]. فقال له: أما والذي نَفْسي بيده إنِّي لأظُنُّك حين خَرَجْت من عندي حَدَّثْت بذلك أهْل أرْضك، فعَظَّموه عليك وكَرِهوا ذلك. أعْزِمُ عليك إلَّا ما حَفَرْتَه وجَعَلْتَ فيه سُفُنًا. فقال عَمْرو: يا أميرَ المؤمنين إنَّه مَتَى ما يجد أهلُ الحِجاز طَعامَ مصر وخِصْبَها مع صِحَّة الحِجاز لا يَخِفُّوا إلى الجِهاد؛ قال: فإنِّي سأَجْعَل من

---

a) أياصوفيا: طحا، وفيما يلي ٤٧٤. b) بولاق: أن تغلب على رحلي. c) ساقطة من بولاق. d) بولاق: تريد أن تخرج. e) بولاق: فاستقل من ذلك. f) بولاق: عظيمة.

---

[1] ابن عبد الحكم: فتوح مصر ١٦٣-١٦٤؛ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب ٤١-٤٢.

ذلك أمْرًا ، لا يُحْمَلُ في هذا البَحْر إلَّا رِزْقُ أَهْلِ المَدينَة وأَهْلِ مَكَّة . فحَفَرَه عَمْرو وعالَجَه ، وجَعَلَ فيه السُّفُن [١] .

قال : ويُقالُ إنَّ عُمَرَ بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ كَتَبَ إلى عَمْرو بن العَاص : «إلى العَاصي ابن العَاصي ، فإنَّك لعَمْري لا تُبالي إذا سَمِنْتَ أنت ومن معك أن أَعْجِفَ أنا ومَنْ قِبَلي [a] ، فيا غَوْثاه ثم [b] يا غَوْثاه» . فكَتَبَ إليه عَمْرو : «أمَّا بَعْد ، فيا لَبَّيْك ثم يا لَبَّيْك ، أَتَتْك عِيرٌ أوَّلُها عندك وآخِرُها عندي ، مع أنِّي أرجو أن أجِدَ السَّبيلَ إلى أن أَحْمِلَ إليك في البَحْر» .

ثم إنَّ عَمْرًا نَدِمَ على كِتابِه في الحَمْل إلى المَدينَة في البَحْر ، وقال : إن أمكنتُ عُمَرَ من هذا خَرَّبَ مصر ونَقَلَها إلى المَدينَة . فكَتَبَ إليه : «إنِّي نَظَرْتُ في أمْر البَحْر ، فإذا هو عَسِرٌ ولا يُلْتام ولا يُسْتَطاع» .

فكَتَبَ إليه عُمَر ـ رضي الله عنه ـ : «إلى العاصي بن العاصي ، قد بَلَغَني كِتابُك تَعْتَلُّ في الذي كنت كَتَبْتَ إليّ به من أمر البَحْر ، وأيْمُ الله لتَفْعَلن أو لأَقْلَعنَّ بأُذُنِك ، ولأبعثنَّ من يَفْعَل ذلك» . فعَرَفَ عَمْرو أنَّه الجِدُّ من عُمَر ـ رضي الله عنه ـ ففَعَلَ . فبَعَثَ إليه عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ «ألَّا تَدَعَ بمصر شيئًا من طَعامِها وكُسْوَتِها وبَصَلِها وعَدَسِها وخَلِّها إلَّا بَعَثْت إلينا منه» [٢] .

قال : ويُقالُ إنَّ الذي دَلَّ عَمْرو بن العَاص على الخَليج رَجُلٌ من القِبْط ، فقال لعَمْرو : أرأيت إن دَلَلْتُك على مكانٍ تَجْري فيه السُّفُن حتى تَنْتَهي إلى مَكَّة والمَدينَة ، أَتَضَع عَنِّي الجِزْيَة وعن أَهْل بَيْتي ؟ قال : نَعَم . فكَتَبَ بذلك إلى عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ فكَتَبَ إليه أنِ افْعَلْ .

فلمَّا قَدِمَت السُّفُنُ خَرَجَ عُمَر ـ رضي الله عنه ـ حاجًا أو مُعْتَمِرًا ، فقال للنَّاس : سِيرُوا بنا نَنْظُر إلى السُّفُن التي سَيَّرَها الله تعالى إلينا من أرْضِ فِرْعَوْن حتى أَتَتْنا . فأتَى الجارَ ، وقال : اغْتَسِلوا من ماءِ البَحْر فإنَّه مُبارَك .

فلمَّا قَدِمَت السُّفُنُ الجار وفيها الطَّعامُ ، صَكَّ عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ للنَّاس بذلك الطَّعَام صُكُوكًا ، فتَبايَع التُّجَّارُ الصُّكُوكَ بينهم قبل أن يَقْبِضوها ، فلَقِي عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ العَلاءَ بن الأَسْوَد ـ رضي الله عنه ـ فقال : كَمْ رَبِحَ حَكيمُ بن حِزام ؟ فقال : ابْتاعَ من صُكُوك الجارِ بمائة ألف درهم ، ورَبِحَ عليها مائة ألف .

---

a) بولاق : معي . b) بولاق : و .

---

[١] ابن عبد الحكم : فتوح مصر ١٦٤-١٦٥ ، ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ٤٢-٤٣ .

[٢] نفسه ١٦٤-١٦٥ .

فلقيه عُمَر - رضي الله عنه - فقال له : يا حَكيم كم رَبِحتَ ؟ فأخْبَرَه بمِثْل خَبَر العَلاء . قال عُمَر - رضي الله عنه - : فبعتَه قبل أن تَقْبِضه ؟ قال : نَعَم . قال عُمَرَ - رضي الله عنه - : فإنَّ هذا بَيْعٌ لا يَصِحُّ ، فارْدُدْه . فقال حَكيمٌ : ما عَلِمْتُ أنَّ هذا بَيْعٌ لا يَصِحّ ، وما أَقْدِرُ على رَدِّه . فقال عُمَر - رضي الله عنه - : لا بُدَّ . فقال حَكيمٌ : والله ما أَقْدِر على ذلك وقد تَفَرَّق وذَهَبَ ، ولكن رأسَ مالي ورِبْحي صَدَقَةٌ [١].

وقال القُضاعِي في (aكِتاب «خِطَط مصر» ومنه نَقَلْت a): ذِكْر الخَلِيج ، أَمَرَ عُمَر بن الخَطَّاب - رضي الله عنه - عَمْرو بن العَاص عامَ الرَّمادَة بحَفْر الخَلِيج الذي بحاشية الفُسْطاط ، الذي يُقالُ له خَليجُ أَمير المُؤْمنين ، / فسَاقَه من النِّيل إلى القُلْزُم . فلم يأْتِ عليه الحَوْلُ حتى جَرت فيه السُّفُن ، وحَمَلَ فيه ما أراد من الطَّعام إلى المَدينَة ومَكَّة ، فنَفَعَ الله تعالى بذلك أهل الحَرَمَيْن ، فَسُمِّيَ «خَليجُ أَمير المُؤْمنين» .

وذَكَرَ الكِنْديُّ في كِتاب «الجُنْد الغَرْبِي» أنَّ عَمْرًا حَفَرَه في سنة ثلاثٍ وعشرين ، وفَرَغَ منه في ستَّة أَشهر ، وجَرَت فيه السُّفُنُ ووَصَلَت إلى الحِجَاز في الشهر السَّابع ، ثم بَنَى عليه عبدُ العَزيز ابن مَرْوان قَنْطَرَةً (aبالحَمْراء القُصْوَىa) في وِلايَته على مصر (aفي سنة تسع وستين [٢]. ثم زادَ فيها تَكين أمير مصر في سنة ثمان عشرة وثلاث مائة ورَفَعَ سمكها ، ثم زَادَ عليها الإخْشيدُ في سنة إحدى وثلاثين وثلاث مائة ثم عُمِّرَت في أيَّام العَزيز بالله a).

قال : ولم يَزَلْ يُحْمَل فيه الطَّعامُ حتى حَمَلَ فيه عُمَر بن عبد العَزيز ، ثم أضاعَته الوُلاةُ بعد ذلك فتُرِكَ وغَلَب عليه الرَّمْلُ ، فانْقَطَعَ وصارَ مُنْتَهاه إلى ذَنَبِ التِّمْساح من ناحِيَة بَطْحاء(b) القُلْزُم .

وقال ابنُ قُدَيْد : أَمَرَ أبو جَعْفَر المَنْصور بسَدِّ الخَلِيج ، حين خَرَجَ عليه محمد بن عبد الله ابن حَسَن بالمَدينَة ، ليَقْطَع عنه الطَّعام ، فسُدَّ إلى الآن [٣].

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط . b) كتب المقريزي بخطه فوق كلمة بطحاء : كذا .

---

[١] ابن عبد الحكم : فتوح مصر ١٦٥ - ١٦٦ .

[٢] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٢٠ ؛ المقريزي : مسودة الخطط ١٥٥ظ .

[٣] نفسه ٤ : ١٢٠ ؛ المقريزي : مسودة الخطط ١٥٥ظ . وأوْرد المقريزي هنا في نهاية حديثه على خليج مصر (القاهرة) في مسودة الخطط ١٥٦و-١٦١ظ حديثًا مختصرًا عن القناطر القائمة على الخليج ، ثم أوْرَدَ كل -

وذَكَرَ البلاذُري أنَّ أبا جَعْفَر المَنْصور، لمَّا وَرَدَ عليه قِيامُ محمد[a] بن عبد الله، قال: يُكْتَب السَّاعةَ إلى مصر أن تُقْطَع الميرَة عن أهْل الحَرَمَيْن، فإنَّهم في مثل الحَرَجَة إذا لم تأتهم الميرَة من مصر[١].

وقال ابنُ الطُّوَيْر، وقد ذَكَرَ رُكُوب الخَليفَة لفَتْح الخَليج: وهذا الخَليجُ هو الذي حَفَرَه عَمْرو ابن العَاص لمَّا وُلِّي على مصر في أيَّام أمير المؤمنين عُمَر بن الخَطَّاب - رضي الله عنه - من بَحْر فُسْطاط مصر الحلْو، وألْحَقَه بالقُلْزُم بشاطئ البحر المِلْح، فكانت مَسافَتُه خمسة أيَّام، ليُقَرِّب معونة الحِجَاز من دِيار مصر في أيَّام النِّيل. فالمراكِبُ النِّيلية تُفَرِّغ ما تَحْمِله من ديار مصر بالقُلْزُم، فإذا فُرِّغَت حَمَلَت ما في القُلْزُم ممَّا وَصَلَ من الحِجَاز وغيره إلى مصر. وكان مَسْلَكًا للتُّجَّار وغيرهم في وَقْتِه المعلوم.

وكان أوَّلُ هذا الخَليج من مصر يَشُقُّ الطَّريق الشَّارِع المَسْلوك منه اليوم إلى القاهِرَة، حافًّا بالقَرْبوص الذي على البُسْتان المعروف بابن كَيْسان مادًّا. وآثارُه اليوم مادَّةٌ باقيةٌ إلى الحَوْض المعروف بسَيْف الدِّين حُسَيْن صِهْر بني[b] رُزِّيك، والبُسْتان المعروف بالمُشْتَهَى. وفيه آثارُ المَنْظَرَة التي كانت معدَّة لجلوس الخَليفَة لفَتْح الخَليج من هذا الطَّريق[٢]، ولم تكن الآدرُ المبنية على الخَليج هناك ولا شيء منها[٣].

وما بَرِحَ هذا الخَليجُ مُتَنَزَّهًا لأهْل القاهِرَة يَعْبُرون فيه بالمراكِب للنُّزْهَة، إلى أن حَفَرَ المَلِكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون الخَليج المعروف الآن بالخَليج النَّاصِريِّ.

قال المُسَبِّحيُّ: وفي هذا الشَّهْر - يعني المحرَّم سنة إحدى وأربع مائة - مَنَعَ الحاكِمُ بأمْر الله من الرُّكوب في القَوارِب إلى القاهِرَة في الخَلَيج، وشَدَّد في المَنْع. وسُدَّت أبْوابُ القاهرة التي يُتَطَرَّق

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: ابن.

= ما ذكره فيما تقدم ٢: ٥٣٨، ٥٥١-٥٦٠ عن الاحتفال بكَسْر الخليج نقلًا عن «سيرة المعز لدين الله» لابن زولاق و«نُزْهَة المقلتين» لابن الطُّوَير.

[١] البلاذري: أنساب الأشراف ٣: ٢٦٩.

[٢] ابن الطوير: نزهة المقلتين ٢٠٣.

[٣] المسبحي: نصوص ضائعة ٤٢٩؛ المقريزي: اتعاظ ٢: ٨٥ وفيما تقدم ٧١.

أورد المقريزي هنا في المسودة (١٦٢و) نقلًا عن ابن الطُّوَير ما ذكره عن مدينة القلزم، وهو النص الذي أورده المقريزي في المبيضة (فيما تقدم ١: ٥٧٩) عند ذكره مدينة القُلْزُم.

منها إلى الخَلِيج، وأبْوابُ الطَّاقات من الدُّور التي تُشْرِف على الخَلِيج، وكذلك أبْوابُ الدُّور والخُوَخ التي على الخَلِيج [١].

قال القاضي الفاضِلُ في «مُتَجَدِّدات» حَوادِث سنة أربعٍ وتسعين وخمس مائة: ونُهِيَ عن رُكُوب المتفرِّجين في المراكِب في الخَلِيج، وعن إظْهَار المُنْكَر، وعن رُكوب النِّساء مع الرِّجال، وعُلِّقَ جَماعَةٌ من رُؤَساء المراكِب بأيْديهم [٢].

وقال [a]في متجدِّدات سنة تسعين وخمس مائة[a]: ويوم الأربعاء تاسعَ عشرَ رَمَضان، ظَهَرَ في هذه المُدَّة من المُنْكَرات ما لم يُعْهَد في مصر في وَقْتٍ من الأوْقات، ومن الفَواحِش ما خَرَجَ من الدُّور إلى الطُّرقات، وجَرَى الماءُ في الخَلِيج بنعمة الله سبحانه بعد القُنُوط ووُقُوف الزِّيادَة في الذِّراع السادِس عشر.

فرَكِبَ أهْلُ الخَلاعَة وذَوو البطالَة في مَراكِب في نَهار شهر رَمَضان، ومعهم النِّسَاءُ الفَواجِر، وبأيديهن المَزاهِرُ يَضْرِبن بها وتُسْمَع أصواتُهن ووجوهُهن مكشوفَة، وحُرفاؤهن من الرِّجال معهن في المراكِب لا يَمْنَعُون عنهن الأيْدي ولا الأبْصار، ولا يَخافُون من أمير ولا مأمُورٍ سَبَبًا[b] من أسْباب الإنْكار، وتَوَقُّع أهْلُ المُراقَبَة ما يَتْلو هذا الخَطْب من المعاقَبَة.

[a]قال كاتِبُه: ما بَرِحَ هذا الخَلِيجُ مُتَنَزَّهًا لأهْل القاهِرَة يركبون فيه المراكب للنُّزْهَة إلى أن حَفَرَ الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون الخليج النَّاصري[a]، قال جامِعُ «السِّيرَة النَّاصِرية محمد ابن قَلاوون» [٣]: وفي سنة ستٍّ وسبع مائة، رَسَمَ الأميران بَيْبَرْس وسَلار بمَنْع الشَّخاتِير [٤] والمراكِب من دُخُول الخَلِيج الحاكِمي والتفرُّج فيه، بسَبَب ما يَحْصُل من الفَسَاد، والتَّظاهُر بالمُنْكَرات اللاتي تجمع الخَمْر وآلات الملاهي، والنِّساء المَكْشُوفات الوُجُوه، المتزيِّنات بأفْخَر زِينَة من كَوافي الزَّرْكش والقَنابِيز والحُلِيّ العَظيم، ويُصْرَف على ذلك الأمْوالُ الكثيرة، ويُقْتَل فيه جَماعَةٌ عَديدَةٌ. فرَسَمَ[c] الأميران المذكوران لمتولِّي الصِّناعَة بمصر: أن يَمْنَع المراكِبَ من دُخول الخَلِيج

a-a) إضافة من مسودة الخطط. b) بولاق: شيئا. c) بولاق: ورسم.

[١] المقريزي: السلوك ١: ١٤٢؛ وفيما تقدم ٧١.

[٢] نفسه ١: ١٤٢.

[٣] أي اليوسفي صاحب كتاب «نُزْهَة النَّاظِر في سيرة الملك النَّاصِر».

[٤] شَخْتُور، شَخْتُورَة جـ. شَخاتير. نَوْعٌ من المراكب النيلية التي كانت تستخدم كمعادٍ لتعدية النَّاس في النِّيل إبَّان زيادته، كما كانت تستخدم كذلك بغرض الفُرْجَة والنُّزْهة في خُلْجان النِّيل وبِرَكه. (درويش النخيلي: السفن =

المذكور ، إلَّا ما كان فيه غَلَّة أو مَتْجَرٌ أو ما ناسَبَ ذلك ؛ فكان هذا مَعْدودًا من حَسَناتِهما ومَسْطورًا في صَحائِفهما .

قال كاتِبُه[a]: أَخْبَرني شَيْخٌ [b]قَديمُ المَوْلِد أَدْرَكْتُه يُعْرَف بالشيخ علي السُّعودي[b]، أنَّه أَدْرَكَ هذا الخَليج والمراكِب تَمُرُّ فيه بالنَّاس للنُّزْهة ، وأنَّها كانت تَعْبُر من تحت باب القَنْطَرَة غادِيَةً ورائِحَةً . والآن لا يَمُرُّ بهذا الخَليج من المراكِب إلَّا [c]أن تَمُرَّ لحَمْل شيءٍ من متاعٍ لسُكَّانِ بالدُّور المُطِلَّة عليه فقط[c]، وصارَت مَراكِبُ النُّزْهَة والتَّفَرُّج إنَّما تَمُرُّ في الخَليج النَّاصِري فقط . ٥

وعلى هذا الخَليج الكبير في زَمانِنا هذا أربع عشرة قَنْطَرَة يأتي ذِكْرها إن شاءَ الله تعالى في القَناطِر [1]، وحافَتا هذا الخَليج الآن مَعْمورَتان بالدُّور . وسيأتي إن شاءَ الله ذِكْرُ ذلك في مَواضِعِه من هذا الكِتاب .

وقال ابنُ سعيد[d]: وفيها خَليجٌ لا يَزَالُ يَضْعُف بين خُضْرَتِها حتى يَصير كما قال الرَّصافي : ١٠

[الكامل]

/ما زالَتِ الأَنْحالُ[e] تَأْخُذُه حتَّى غَدَا كذُؤابَة النَّجْم

وقُلْت في نُوَّار الكَتَّان الذي على جانِبَيّ هذا الخَليج :

[البسيط]

انْظُرْ إلى النَّهْر والكَتَّان يَرْمُقُه من جانبيه بأجْفَانٍ لها حَدَقُ ١٥
رَأَتْه[f] سَيْفًا عليه للصَّبا شُطَبٌ فقابَلَتْه بأحْداقٍ لها أَرَقُ
وأَصْبَحَتْ في يَدِ الأَرْواح تَنْسجها حتَّى غَدَتْ حِلَقًا من فَوْقها حِلَقُ
فقُم وزُرْها[g] ووَجْهُ الأرْض[h] مُتَّضِحٌ أو عند صُفْرَتِه إن كنت تَغْتَبِقُ [2]

قالَ وقد ذَكَر مِصْر : ولا يُنْكَر فيها إظْهارُ أواني الخَمْر ولا آلات الطَّرَب ذوات الأَوْتار ، ولا ٢٠

---

a) بولاق : مؤلفه . b-b) بولاق والنسخ : معمر ولد بعد سنة سبع مائة يعرف بمحمد المسعودي ، والمثبت من مسودة الخطط . c-c) بولاق والنسخ : ما يحمل متاعًا من متجر ونحوه ، والمثبت من مسودة الخطط . d) بولاق : ابن سعد . e) بولاق : الأنحاء . f) بولاق : قد سل . g) بولاق : نزرها . h) ابن سعيد : الأفق .

= الإسلامية على حروف المعجم ٧٤، وفيما يلي ٤:٥٢٩) .

[1] فيما يلي ٤٨٥ – ٥٠٩، وقد عَدَّ جومار في نهاية القرن الثامن عشر إحدى وعشرين قَنْطَرَة ، بينها تسع قناطر خارج المدينة . (وصف مدينة القاهرة ١٦٧) .

[2] ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٢٦.

تَبَرُّج النِّسَاء العَواهِر، ولا غَيْر ذلك مِمَّا يُنْكَر في غيرها[a]. وقد دَخَلْتُ في الخَليج الذي بين القاهِرَة ومصر، ومُعْظَم عِمارَته فيما يلي القاهِرَة، فرأيتُ فيه من ذلك العَجائِب. وربَّما وَقَعَ فيه قَتْلٌ بسبب السُّكْر فيُمْنَع فيه الشُّرْب، وذلك في بعض الأحْيان.

وهو ضَيِّقٌ، وعليه من الجهتين مَناظِرُ كثيرة العِمارَة بعالَم الطَّرَب والتَّهَكُّم والمجانة[b]. حتى إنَّ المُحْتَشِمين والرُّؤَساء لا يُجيزون العُبُور به في مَرْكِب، وللسُّرُج في جانبيه باللَّيْل مَنْظَرٌ فَتَّانٌ، وكثيرًا ما يتفرَّج فيه أهْلُ السَّتْر. وفي ذلك أقُول[c]:

[مُخلَّع البسيط]

لا تَرْكَبَنْ في خَليجِ مِصْرٍ	إلَّا إذا يُسْدَلُ الظَّلامُ
فقد عَلِمْتَ الذي عليه	من عالَم كلُّهم طَغَامُ
صَفَّانِ للحَرْب قد أطَلَّا[d]	سِلاحُ ما بينهم كَلامُ
يا سَيِّدي لا تَسِر إليه	إلَّا إذا هَوَّمَ النُّيامُ
واللَّيْلُ سَتْرٌ على التَّصَابي	عليه من فَضْلِه لِثامُ
والسُّرْجُ قد بَدَّدَت عليه	منها دَنانيرُ لا تُرام
وهو قد امتدَّ، والمباني	عليه في خِدْمَةٍ قِيامُ
لله كَمْ دَوْحَةٍ جَنَيْنا	هناك أثْمارُها الأثامُ[1]

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر عن «مُخْتَصَر تاريخ ابن المَأْمُون»: إنَّ أوَّلَ من رَتَّبَ حَفْر خَليج القاهِرَة على النَّاسِ المَأْمُون بن البَطائِحي، وكذلك على أصْحابِ البساتين في دَوْلَة الأفْضَل، وجَعَلَ عليه واليًا بمفرده[2]. ولله دَرُّ الأَسْعَد بن مَمَّاتي حيث يقول:

[الوافر]

خَليجٌ كالحُسَام له صَقَالٌ	ولكن فيه للرَّائي مَسَرَّه

---

a) بعد ذلك عند ابن سعيد: من بلاد المغرب. b) عن ابن سعيد: والمخالفة. c) بعد ذلك عند ابن سعيد: مخاطبًا أحد الرؤساء، وقد استدعاني للركوب فيه نهارًا. d) بولاق: أظلا.

---

[1] ابن سعيد: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ٣١-٣٢.

[2] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١١٦، ولم يذكر أنَّه نقله عن مختصر تاريخ ابن المأمون، وهذا دليل آخر على اعتماد المقريزي على نسخة من الروضة غير التي وصلت إلينا؛ وقارن أيضًا مع القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٢٩٩ (عن ابن أبي المنصور - أي ابن ظافر الأزدي)؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ١٠٠.

رَأَيْتُ به المِلاحَ تُجيد عَوْمًا كأنَّهم نُجُومٌ في مَجَرَّه

وقال بَهاءُ الدِّين أبو الحَسَن عليُّ بن السَّاعاتي في يَوْم كَسْر الخَلِيج :

[الخفيف]

إنَّ يَوْمَ الخَلِيج يَوْم من الحُسْـ ـنِ بَدِيع المرئى والمسموع
كم لَدَيْه من ليث غاب صؤول ومهاة مثل الغزال المروع
وعلى السَّدِّ عِزَّةٌ قَبْل أن تمـ ـلكه ذلة المُحِبِّ الخَضُوع
كَسَرُوا جِسْرَه هُناك فحاكَى كَسْر قَلْبٍ يَتْلُوه فَيْض دُمُوع

ذِكْرُ خَلِيج فَم الخَوْر

قال ابنُ سِيدَه في كتاب «المُحْكَم في اللُّغَة» : الخَوْرُ مَصَبُّ الماء في البَحْر ، وقيل هو خَليجٌ من البَحْر ، والخَوْرُ المطمئنّ من الأرض [١].

وخَليجُ فَمِ الخَوْر يخرج الآن من بحر النِّيل ويَصُبُّ في الخَلِيج النَّاصِري ليُقَوِّي جري الماء فيه ويغزره . وكان قبل أن يُحْفَر الخَلِيج النَّاصِري يَمُدّ خَليج الذَّكَر ، وكان أصْلُه تُرْعَة يَدْخُل منها ماءُ النِّيل للبُسْتان الذي عُرِفَ بالمَقْسي ، ثم وُسِّع [٢].

خَلِيجُ الذَّكَر [a]

قال ابنُ عبد الظَّاهِر : وكان يَخْرُج من البَحْر للمَقْس [b] الماءُ في البَرابِخ ، فوَسَّعَه الملكُ الكامِلُ وهو خَليجُ الذَّكَر [٣].

---

a) العنوان مثبت في مسودة الخطط . b) بولاق : للمقسي .

---

[١] ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ٥ : ١٧٨.

[٢] كان خَليجُ فَم الخَوْر يأخذ مياهَه من النيل من نقطةٍ تقع الآن في أوَّل شارع رمسيس عند مبنى هيئة المجاري من ناحية ميدان عبد المنعم رياض ، قبل تحوُّل النيل إلى مجراه الحالي ، ثم يسير مُحاذيًا للشارع من الجهة الشرقية إلى أن يتقابل مع الخليج النَّاصري وخليج الذَّكر في النقطة التي يتلاقى فيها الآن شارع رمسيس بشارع عرابي وشارع قَنْطَرَة الدِّكَّة . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ١٢٤-١٢٥هـ [٣]، ١١ : ١٧٠هـ [١]) .

[٣] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١١٦؛ المقريزي : مسودة الخطط ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٤٤- ٤٥.

ويُقالُ إنَّ خَليجَ الذَّكَر حَفَرَه كافورٌ الإخْشيدي ؛ [a]قال كاتِبُه : عُمِلَ هذا الخَليج في الأصْل تُرْعَةً يَدْخُل منها ماء النِّيل للبُسْتان المعروف بالمَقْسي ، ثمَّ وُسِّع[a] ، فلمَّا زالَ البُسْتانُ المَقْسي في أيَّام الخَليفَة الظَّاهِر بن الحاكِم ، وجَعَلَه بِرْكَةً قُدَّام المَنْظَرَة المعروفة باللُّؤْلُؤة ، صارَ يدخُل الماءُ إليها من هذا الخَليج . وكان يُفْتَح هذا الخَليج قبل الخَليج الكبير .

٥ ولم يَزَل حتى أَمَرَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون ، في سنة أربعٍ وعشرين وسبع مائة ، بحَفْره فحُفِر وأُوصِلَ بالخَليج الكبير . وشَرَعَ الأُمَرَاءُ والجُنْدُ في حَفْره من أُخْرَيات جُمادَى الآخرة ، فلمَّا فُتِحَ كادَتِ القاهِرَة/ أن تَغْرَق ، فسُدَّتِ القَنْطَرَةُ التي عليه فهَدَمَها الماءُ . ومن حينئذٍ عَزَم السُّلْطانُ على حَفْر الخَليج النَّاصِري . وأنا أدْرَكْتُ آثارَه ، وفيه يَنْبُت القَصَب المسمَّى بالفارِسي [١] . ٤٥:٢

[a]وأخْبَرَني مَنْ رآه وفيه الماءُ الجاري من تحت القَنْطَرَة التي تُعْرَف بقَنْطَرَة التُّرْكُماني بخُطِّ الدِّكَّة ، وقد ارْتُدِمَت ومَوْضِعُها الآن معروفٌ . وكان الماءُ يَدْخُلُ إلى خليج الذَّكَر من المَوْضِع ١٠ الذي يُعْرَف اليوم بفم الخَوْر[a] [٢] .

وأخبرني الشَّيخُ المُعَمَّر حُسَامُ الدِّين حَسَن بن عُمَر الشُّهْرَزوري أنَّه يعرف خَليجَ الذَّكَر هذا وفيه الماءُ ، وسَبَحَ فيه غير مَرَّة ، وأراني آثارَه . وكان الماءُ يدخُلُ إليه من تحت قَنْطَرَة الدِّكَّة ـ الآتي ذكرها في القَناطِر إن شاءَ الله ـ وعلى خَليج فَم الخَوْر الآن قَنْطَرَةٌ ، وعلى خَليج الذَّكَر قَنْطَرَةٌ ، ١٥ يأتي ذكرهما إن شاءَ الله عند ذِكْر القَناطِر [٣] .

وإنَّما قيل له خَليج الذَّكَر لأنَّ بعضَ أُمَرَاء الملك الظَّاهِر رُكْن الدين بَيْبَرْس ـ كان يُعْرَف بشَمْس الدِّين الذَّكَر الكَرَكي ـ كان له فيه أثَرٌ من حَفْره فعُرِفَ به . وكان للنَّاس عند هذا الخَليج مُجْتَمَعٌ يكثُر فيه لَهْوُهُم ولعبهم .

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط .

---

[١] كان فُم خَليج الذَّكر ، وقت أن كان النِّيل يجري تحت شارع عماد الدِّين ، في النقطة التي يتلاقى فيها الآن شارع عماد الدِّين بشارع قَنْطَرَة الدِّكَّة ، ثم يسير إلى الشرق في شارع قنطرة الدِّكَّة فشارع القبيلة فشارع الجامع الأحمر إلى نهايته فشارع الشيخ حَمَّاد فحارة دَرْب مصطفى إلى أن يصب في الخليج المصري (شارع بورسعيد الآن) تجاه مدرسة الفرير (القديس يوسُف) على رأس شارع الخرنفش . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:١٢٤-١٢٥هـ[٣]) .

[٢] المقريزي : مسودة الخطط ١٦٢و .

[٣] فيما يلي ٥٠٦ .

قال المُسَبِّحيّ : وفي يوم الثلاثاء لخمسٍ بقين منه ـ يعني المحرَّم سنة خمس عشرة وأربع مائة ـ كان ثالِثُ الفِصْح[a] ، فاجْتَمَع بِقَنْطَرَة المَقْس عند كَنيسَة المَقْس من النَّصَارَىٰ والمسلمين ، في الخِيام المنصوبة وغيرها ، خَلْقٌ كثيرٌ للأكل والشُّرْب واللَّهْو ، ولم يزالوا هناك إلى أنِ انْقَضَى ذلك اليوم .

ورَكِبَ أميرُ المؤمنين ـ يعني الظَّاهِر لإعْزاز دين الله أبا الحَسَن عليّ بن الحاكِم بأمْر الله ـ في مَوْكبه[b] إلى المَقْس ، وعليه عِمامَةٌ شَرْب مُفَوَّطَة بسَوادٍ وثَوْبٌ دَبيقي من شكل العِمامَة ، ودارَ هنالِك[c] طويلًا ، وعادَ إلى قَصْره سالمًا [1] . وشُوهِدَ من سُكْر النِّساء وتَهَتُّكهن ، وحَمْلهن في قِفافِ الحَمَّالين سُكارَىٰ ، واجتماعهن مع الرِّجال أمْرٌ يَقْبُح ذِكْرُه [2] .

ذِكْرُ الخَليج النَّاصِري

هذا الخَليجُ يَخْرُج من بَحْر النِّيل ، ويَصُبُّ في الخَليج الكبير . وكان سَبَبُ حَفْره أنَّ الملكَ النَّاصِرَ محمد بن قَلاوون لمَّا أنْشَأ القُصُور والخانْقاه بناحية سِرْياقوس ، وجَعَلَ هناك مَيْدانًا يَسْرَح إليه ، وأبْطَلَ مَيْدانَ القَبَق المعروف بالمَيْدان الأسْوَد ظاهِر باب النَّصْر من القاهِرَة ، وتَرَكَ المَسْطَبَة التي بَنَاها بالقُرْب من بِرْكَة الحَبَش لمَطْعَم الطُّيور والجَوارِح ، اخْتار أن يَحْفُر خَليجًا من بَحْر النِّيل لتَمُرَّ فيه المراكِبُ إلى ناحية سِرْياقوس ، لحَمْل ما يُحْتاج إليه من الغِلال وغيرها [3] .

فتَقَدَّم إلى الأمير سَيْف الدِّين أَرْغون ، نائِب السَّلْطَنَة بديار مصر ، بالكَشْف عن عَمَل ذلك .

a) بولاق : الفتح ، والنسخ : الفسح ، والتصويب من المسبحي وفيه بعد ذلك : ويسميه النصارى «يوم عيد القليلة» . b) بولاق : مركبه . c) بولاق : هناك .

[1] المسبحي : أخبار مصر ١٩ - ٢٠؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ١٣٧.

[2] نفسه ٢١.

[3] الخَليج النّاصِري . كان يخرج من النِّيل عند النقطة التي يتقابل فيها شارع كورنيش النيل بشارع الشَّلاملك بجاردن سيتي ، ثم يسير إلى الشرق بدَورانٍ نحو الشمال إلى أن يتقابل بشارع القصر العيني ، ثم يسير مجاورًا له ، وعند وصوله إلى شارع الشيخ ريحان ينعطف نحو الشرق ويسير مُقاطِعًا شارع التحرير ، ثم يسير شمالًا إلى شارع طلعت حرب فميدان عرابي ، ثم يتجه إلى ميدان رمسيس في موقع محطة مصر ، ثم يَنْعَطِف إلى مَوقع المستشفى القِبْطي بشارع رمسيس ، ومن هناك يَنْعَطِف إلى الشرق حتى ينتهي إلى شارع بورسعيد (الخليج المصري) حيث كان يصبُّ في الخليج المذكور . وبسبب الإصلاحات وأعمال التنظيم التي تَمَّت في عهد محمد علي باشا رُدِمَ الجزءُ الأكبر من هذا الخليج في المسافة من فمه إلى موقع المستشفى القِبْطي ، ثم رُدِمَ الباقي منه إلى نهايته بشارع بورسعيد في عهد الخديو إسماعيل . (المقريزي : السلوك ٢ : ٢٦١ - ٢٦٢؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة =

فنَزَلَ من قَلْعَة الجَبَل بالمهندسين وأرْباب الخِبْرَة إلى شاطئ النِّيل ، ورَكِبَ النِّيل . فلم يَزَل القَوْمُ في فَحْصٍ وتَفْتيشٍ إلى أن وَصَلُوا بالمراكِب إلى مَوْرَدَة البَلاط[1] من أراضي بُسْتان الخَشَّاب ، فوَجَدوا ذلك الموضِع أوْطأ مَكانٍ يُمْكن أن يُحْفَر إلّا أنَّ فيه عِدَّةَ دُور . فاعْتَبَروا فَم الخَلِيج من مَوْرَدَة البَلاط ، وقَدَّروا أنَّه إذا حُفِرَ مَرَّ الماءُ فيه من مَوْرَدَة البَلاط إلى المَيْدان الظَّاهِري الذي أنشأه الملك النَّاصِر بُسْتانًا ، ويَمُرُّ من البُسْتان إلى بِرْكَة قَرْمُوط حتى ينتهي إلى ظاهِر باب البَحْر[2] ، ويَمُرُّ من هناك على أرْض الطَّبَّالَة فيصبُّ في الخَلِيج الكبير .

فلمَّا تَعَيَّنَ لهم ذلك عادَ النَّائِبُ إلى القَلْعَة وطالَعَه بما تَقَرَّرَ . فبَرَزَ أَمْرُه لسائِرِ أُمَرَاء الدَّوْلَة بإحْضار الفَلَّاحين من البلاد الجارية في إقْطاعاتهم ، وكَتَبَ إلى وُلاةِ الأعْمال بجَمْع الرِّجال لحَفْر الخَلِيج . فلم يَمْض سِوَى أيَّام قلائِل حتى حَضَرَ الرِّجالُ من الأعْمال ، وتَقَدَّم إلى النَّائِب بالنُّزول للحَفْر ومعه الحُجَّاب . فنَزَلَ لعَمَلِ ذلك ، وقاسَ المُهَنْدِسون طُول الحَفْر من مَوْرَدَة البَلاط - حيث تَعَيَّنَ فَمُ الخَلِيج - إلى أن يَصُبّ في الخَلِيج الكبير ، وألْزم كلَّ أميرٍ من الأُمَرَاء بعَمَل أَقْصابٍ فُرِضَت له .

فلمَّا أَهَلَّ شهرُ جُمادَى الأُولى سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائة ، وَقَعَ الشُّروع في العَمَل . فبَدأوا بهَدْم ما كان هناك من الأمْلاك التي من جِهَة باب اللُّوق إلى بِرْكَة قَرْموط ، وحَصَلَ الحَفْرُ في البُسْتان الذي كان للنَّائِب[3] ، فأخَذوا منه قِطْعَةً ، ورُسِمَ أن يُعْطي أرْباب الأمْلاك أثْمانَها : فمنهم من باعَ مِلْكه وأَخَذَ ثَمَنَهُ من مالِ السُّلْطان ، ومنهم من هَدَمَ دارَه ونَقَلَ أنْقاضَها . فهُدِمَت عِدَّةُ دُورٍ ومَساكِن جَليلَة ، وحُفِرَ في عِدَّة بَساتين ، فانتهى العَمَلُ في سَلْخ جُمادَى الآخرة على رأس شهرين ، وجَرَى الماءُ فيه عند زِيادَة النِّيل[4] .

- ٩:٨٠هـ[1] ، ١٨٢- ١٨٣؛ جومار : وصف مدينة القاهرة ١٦٠-١٦١) .

[1] مَوْرَدَةُ البَلاط . كانت تقع على شاطئ النيل في نهاية بُستان الخَشَّاب من الجهة الغربية ، ومحلُّها الآن يقع بطريق كورنيش النيل في المسافة الممتدة على النيل غربي شارعي حوض اللبن ودار الشفاء بحي جاردن سيتي .

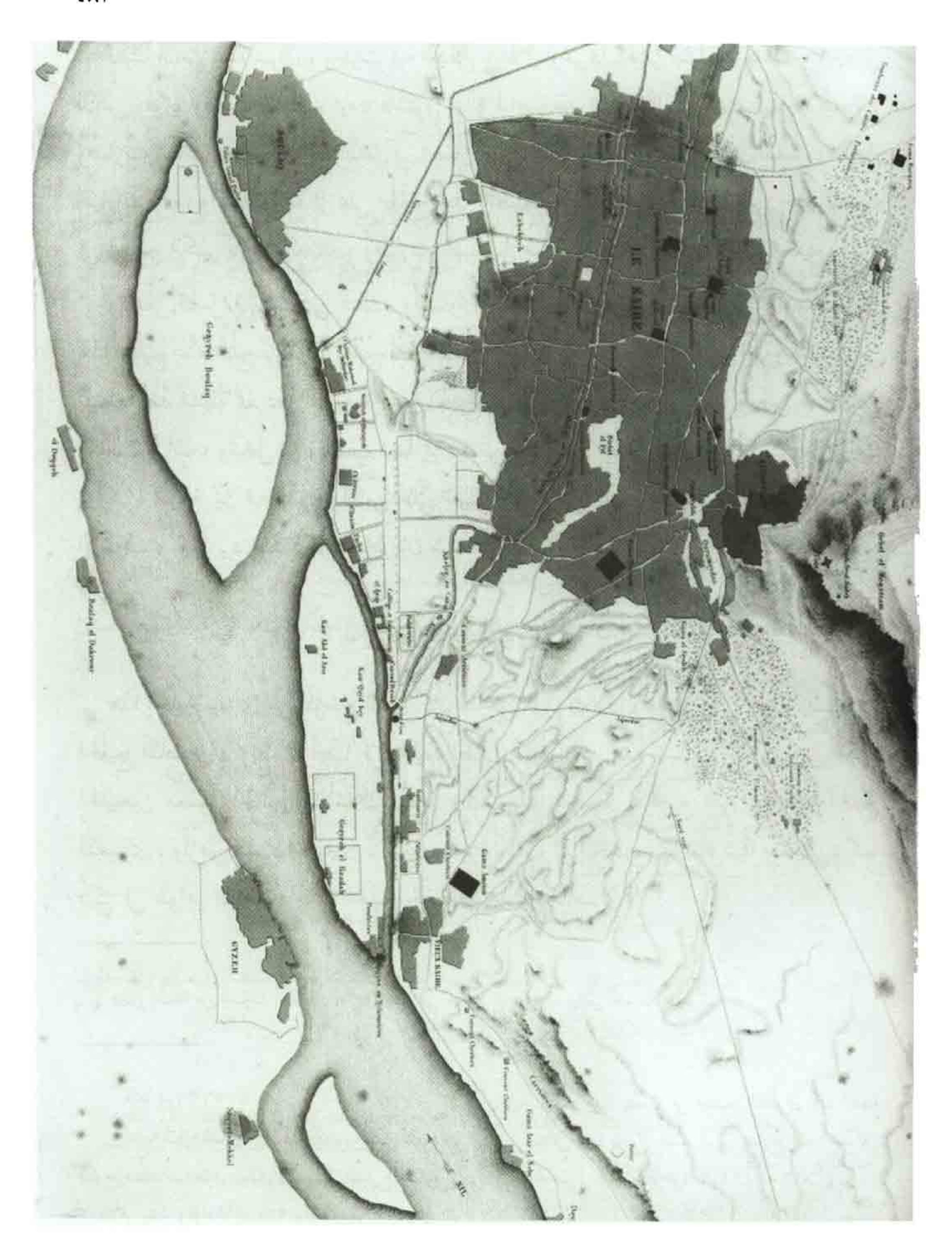
وعرفت أيضًا بمَوْرَدَة الجِبْس لأنَّ المراكبَ التي كانت تنقل صنفي البَلاط والجِبْس من محاجرهما في ذلك الوقت كانت تُفَرِّغ مشحونها على شاطئ النيل في تلك الجهة . (محمد رمزي: مذكرة في تسمية الشوارع ١٨؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٨١:٩هـ[2]) .

[2] انظر عن باب البَحْر ، فيما تقدم ٣١٥هـ [3].

[3] حاشية بخَطِّ المؤلِّف : «بُسْتان النَّائب هذا من جملة بستان الشَّريف ابن ثَعْلَب ، عُرِفَ بعد ذلك ببستان ابن غُراب ، وهو على شاطئ الخليج النَّاصري وبه جَوْسَق ، وهو على يَمْنَة من سَلَك من قَنْطَرة قَدادار بشاطئ الخليج من جانبه الشرقي إلى بركة قرموط» .

يَدُلُّ على موقع هذا البستان - الذي كان على الشاطئ الشرقي للخليج النَّاصري - الآن كتلةُ المباني الواقعة بين شارع الشَّريفين وشارع القاضي الفاضل بحري جامع جَرْكَس وجنوبي شارع قصر النيل . (محمد رمزي : مذكرة في تسمية الشوارع ١٨) .

[4] ابن أيبك : كنز الدرر ٩: ٣١٩؛ المقريزي: السلوك ٢: ٢٦١- ٢٦٢؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/ ١: ٤٥٥- ٤٦٠.



الخَليجُ المصري والخَليجُ النَّاصري وفروع، في نهاية القرن الثامن عشر (عن وَصْف مصر)

فأَنْشأُ النَّاسُ عِدَّةَ سَواقٍ ، وجَرَت فيه السُّفُنُ بالغِلال وغيرها . فسُرَّ السُّلْطانُ بذلك ، وحَصَلَ للنَّاس رِفْقٌ ، وقَوِيَت رغبتُهم فيه ، فاشْتَروا عِدَّةَ أراضٍ من بَيْت المال غُرِسَت فيها الأشْجارُ ، وصارَت بَساتينَ جَليلَة . وأَخَذَ النَّاسُ في العِمارَة على حافتي الخَليج ، فعُمِّر ما بين المَقْس وساحِل النِّيل ببُولاق ، وكَثُرَت العَمائِرُ على الخَليج حتى اتَّصَلت من أوَّله بمَوْرَدَة البَلاط إلى حيث يَصُبُّ في الخَليج الكبير بأَرْض الطَّبَّالَة ، وصارَتِ البَساتينُ من وَراء الأمْلاك المُطِلَّة على الخَليج .

وتنافَسَ النَّاسُ في السُّكْنى هناك ، وأنشأوا الحَمَّامات والمساجِد والأسْواق . [a]واسْتُخْرِجَ من هذا الخَليج عِدَّةُ خُلُج ـ وهي : خليج قَنْطَرَة الفَخْر وخَليج الغُزْلان ـ أُنشئ عليها الدُّور فكانت من كثرتها تُعَدُّ مَدينَةً بمفردها[a]. وصارَ هذا الخَلِيجُ مواطِنَ أفْراحٍ ، ومنازِلَ لَهْوٍ ، ومَغْنَى صَباباتٍ ، ومَلْعَب أتْرابٍ ، ومَحَل تيهٍ وقَصْفٍ فيما يَمُرُّ فيه من المراكِب ، وفيما عليه من الدُّور . وما بَرِحَت مَراكِبُ النُّزْهَة يَمُرُّ فيه بأنْواع النَّاس على سَبيلِ اللَّهْو ، إلى أن مُنِعَتِ المراكبُ منه بعد قَتْل الأَشْرَف ، كما يَرِد عند ذِكْر القَناطِر إن شاءَ الله [١].

/ ذِكْرُ خَليجِ قَنْطَرَةِ الفَخْر

هذا الخَليجُ يبتدئُ من المَوْضِع الذي كان ساحِلَ النِّيل ببُولاق ، وينتهي إلى حيث يَصُبّ في الخَلِيج النَّاصِري ، ويَصُبُّ أيضًا في خَليجٍ لطيفٍ تُسْقَى منه عِدَّةُ بَساتين [٢]. وكلٌّ من هذين الخَليجين معمورُ الجانبين بالأمْلاك المُطِلَّة والبَساتين . وجَميعُ المواضِع التي يمرُّ فيها الخَليجُ النَّاصِري ، وأرْضُ هذين الخَليجين ، كانت غامِرَةً بالماء ، ثم انْحَسَرَ عنها الماءُ شيئًا بعد شيءٍ كما ذُكِرَ في ظَواهِر القاهِرَة ، وهذا الخَليجُ حُفِرَ بعد الخَليج النَّاصِريّ[b] [٣].

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط . b) هنا على هامش آياصوفيا : بياض خمسة أسطر .

---

[١] فيما يلي ٥٠٣- ٥٠٤.

[٢] خليجُ قَنْطَرَة الفَخْر . كان فَمُه يأخذ من النيل تجاه مدخل شارع إسْطَبْلات الطُّرُق ببولاق ، ثم يسير بالشارع المذكور إلى أن يتلاقى بشارع فؤاد الأوَّل (٢٦ يولية) ، ومن هناك يسير إلى الشرق حتى يتلاقى بشارع رمسيس تجاه مدخل شارع عرابي ، ومن هناك يسير في جزءٍ صغير من المجرى القَديم لخليج الذَّكَر ومنه يصبّ في الخليج النَّاصري عند النقطة التي يتلاقى فيها شارع عماد الدِّين بشارع قَنْطَرَة الدِّكَّة . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ١٢٤-١٢٥هـ [٣]) .

[٣] أضاف ابن أبي السُّرور البكري : «وهذا الخليج بالقرب من قَنْطَرَة اللَّيمون (أي قنطرة باب البحر ، فيما يلي ٥٠٤- ٥٠٥) وقد طُمَّ ودُثِرَ الآن» . (قطف الأزهار) .

ذِكْرُ القَنَاطِر

اعْلَم أنَّ قَناطِرَ الخَليج الكبير عِدَّتُها الآن أَرْبَعَ عشرة قَنْطَرَة [١]، وعلى خَليج فَمِ الخَوْر قَنْطَرَةٌ واحدةٌ، وعلى خَليج الذَّكَر قَنْطَرَةٌ واحِدَةٌ، وعلى الخَليج النَّاصريّ خَمْسُ قَناطِر، وعلى بَحْر أبي المُنَجَّا قَنْطَرَةٌ عَظيمَة، وبالجيزَة عِدَّةُ قَناطِر [٢].

ذكر قناطر الخليج الكبير

[قَنْطَرَةُ عبد العزيز بن مَرْوان]

قال القُضَاعي: القَنْطَرَتان اللَّتان على هذا الخَليج - يعني خَليج مصر الكبير -. أمَّا التي في طَرَفِ الفُسْطاط بالحَمْرَاء القُصْوَىٰ، فإنَّ عبد العَزيز بن مَرْوان بن الحَكَم بَنَاها في سنة تسعٍ وستين وكَتَبَ عليها اسْمَه، وابْتَنَى قَناطِرَ غيرها.

وكَتَبَ على هذه القَنْطَرَة المذكورة:

«هذه القَنْطَرَةُ أَمَرَ بها عبدُ العزيز بن مَرْوان الأمير، اللَّهم بارِك له في أمْرِه كلِّه، وثَبِّت سُلْطانَه على ما تَرْضى، وأَقِرَّ عينَه في نَفْسه وحَشَمِه، آمين.
وقامَ ببنائِها سَعْدُ أبو عُثْمان.
وكَتَبَ عبد الرَّحْمَٰن في صَفَر سنة تسعٍ وستين» [٣].

ثم زادَ فيها تَكينُ أميرُ مصر في سنة ثمان عشرة وثلاث مائة ورَفَعَ سَمْكَها، ثم زادَ عليها الإخْشيدُ في سنة إحدى وثلاثين وثلاث مائة، ثم عُمِّرت في أيَّام العَزيز بالله.

---

[١] حاشية بخط المؤلِّف: «القَنْطَرَةُ هذه المعقودة المعروفة عند النَّاس، والعَرَبُ تسمي كل أَزَجٍ قَنْطَرَة».

[٢] ذكر جومار أنَّ القناطر المُشَيَّدَة على خُلْجان القاهرة مكوَّنة جميعها من عَقْدٍ أو عَقْدَيْن قوطيين وممَرّاتها ضَيِّقَة، بينما حواجزها مرتفعة جدًّا. (جومار: وصف مدينة القاهرة ١٦٦، وانظر اللوحة صفحة ٤٨٧، وانظر كذلك -Behrens Abouseif, D., *Azbakiyya and its Environs*, pp. 10-12؛ محمد الششتاوي: متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، ١٩٥-٢٢٦).

[٣] ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٢٠؛ السيوطي: حسن المحاضرة ٢: ٣٨٧؛ Wiet, G., *RCEA* I, p. 7 n° 8.

وقال ابنُ عبد الظّاهِر: وهذه القَنْطَرَةُ ليس لها أثَرٌ في هذا الزَّمان. قُلْتُ: مَوْضِعُها الآن خَلْف خُطِّ السَّبْع سِقايات، وهذه القَنْطَرَةُ هي التي كانت تُفْتَح عند وَفَاء النِّيل في زَمَن الخُلَفاء. فلمَّا انْحَسَر النِّيلُ عن سَاحِل مصر اليوم، أُهْمِلَت هذه القَنْطَرَة، وعُمِلَت قَنْطَرَةُ السَّدّ عند فَم بَحْر النِّيل. فإنَّ النِّيل كان قد رَبَّى الجُرُف حيث غِيط الجُرُف الذي على يَمْنَة من سَلَكَ من المَرَاغَة إلى باب مصر بجِوار الكَبَارَة[1]. ٥

قَنْطَرَةُ السَّدّ[2]

هذه القَنْطَرَةُ موضعها ممَّا كان غامِرًا بماءِ النِّيل قَديمًا، وهي الآن يُتَوَصَّل من فَوْقِها إلى مُنْشَأة المَهْراني وغيرها من بَرّ الخَليج الغربي. وكان النِّيلُ عند إنْشائِها يَصِل إلى الكَوْم الأَحْمَر، الذي هو جانِب الخَليج الغربي الآن، تِجاه خُطِّ بَيْنَ الزُّقاقَيْن. فإنَّ النِّيلَ كان قد رَبَّى جُرُفًا قُدَّام السَّاحِل القَديم، كما ذُكِرَ في موضعه من هذا الكِتاب، فأُهْمِلَتِ القَنْطَرَةُ الأولى لبُعْد النِّيل، وقُدِّمَت هذه القَنْطَرَة إلى حيث كان النِّيلُ ينتهي، وصارَ يُتَوَصَّل منها إلى بُسْتان الخَشَّاب الذي مَوْضِعه اليوم يُعْرَف بالمَرِيس وما حَوْلَه. وكان الذي أنشأها الملكُ الصَّالِحُ نَجْم الدِّين أيُّوب ابن الملك الكامِل محمد بن العادِل أبي بكر بن أيُّوب في أعْوام بِضْع وأربعين وستّ مائة، ولها قَوْسان. ١٠

---

[1] يَدُلُّ على موضع هذه القَنْطَرَة الآن النقطة الواقعة بشارع الخليج المصري تجاه مدخل حارة حكر أقْبُغا بأرض جنينة لاظ خلف مبنى دار الهلال، الذي يمثل الجزء الشمالي من الحَمْراء القُصْوَى، وكان يقابله على الشاطئ الأيسر للخليج أرض جنان الزُّهْري حيث حيّ النَّاصرية الآن. (استدراكات محمد رمزي على النجوم الزاهرة ٧: ٣٨٧-٣٨٨).

[2] قَنْطَرَة السَّدّ. أنشأها السُّلْطان الملك الصَّالح نَجْم الدِّين أيُّوب سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م على الخليج الكبير المجاور لبُسْتان الخَشَّاب خارج مدينة مصر. (المقريزي: السلوك ١: ٣٠٥). وكان بُسْتانُ الخَشَّاب يقع في المنطقة التي تُحَدُّ الآن من الشمال بشوارع المبتديان ومَضْرَب النشَّاب والبِرْجاس والجزء الغربي من شارع جمال الدِّين أبو المحاسن (إسماعيل باشا سابقًا) إلى النيل؛ ومن الغرب نهر النِّيل، ومن الجنوب مستشفى القَصْر العَيْني وشارع بُسْتان الفاضِل وما في امتداده من جهة الشرق إلى شارع بورسعيد وشارع سعد الدِّين، إلى أن يتقابل مع الحَدّ البَحْري خلف مبنى مؤسسة دار الهلال الآن. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٣٨٨ تعليقات محمد بك رمزي).

وعلى ذلك فإنَّ قَنْطَرَة السَّدّ كانت تقع في شارع بورسعيد تجاه النقطة التي يتلاقى فيها هذا الشارع بشارع مَدْرسة الطب. يقول محمد رمزي: «وكانت هذه القَنْطَرَة موجودة ومعروفة كما شاهدتها باسم قَنْطَرَة الماوَرْدي إلى منتصف سنة ١٨٩٩م التي تَمَّ فيها رَدْم هذا الخليج، وبردمه اختفت هذه القنطرة». (استدراكات محمد بك رمزي على النجوم الزاهرة ٦: ٣٨١).



أحدُ قناطر الخليج الكبير في نهاية القرن الثامن عشر (عن كتاب وَصف مصر)

وعُرِفَت الآن بِقَنْطَرَة السَّدّ من أَجْل أنَّ النِّيلَ لمَّا انْحَسَرَ عن الجانِب الشَّرْقي ، وانكشَفَت الأراضي التي عليها الآن خُطُّ بَيْنَ الزُّقاقَيْنِ إلى مَوْرَدة الحَلْفاء ، ومَوْضِع الجامِع الجَديد إلى دار النُّحاس ، وما وراءَ هذه الأماكِن إلى المَراغَة وباب مصر بجوار الكَبارَة ، وانْكَشَفَ من أراضي النِّيل أيضًا المَوْضِعُ الذي يُعْرَف اليوم بمُنْشأة المَهْراني ، صارَ ماءُ النِّيل إذا بَدَت زِيادَتُه يجعل عند هذه القَنْطَرَة سَدًّا من التُّراب حتى يَشند الماء إليه إلى أن تنتهي الزِّيادَة إلى ستّ عشرة ذِراعًا ، فيُفْتَح السَّدُّ حينئذٍ ، ويمرُّ الماءُ في الخَليج الكبير ، كما ذُكِرَ في مَوْضِعِه من هذا الكِتاب ، والأَمْرُ على هذا إلى اليوم .

قَناطِرُ السِّباع[1]

هذه القَناطِرُ جانِبها الذي يلي خُطّ السَّبْع سِقايات من جِهَة الحَمْراء القُصْوَى ، وجانِبها الآخَر من جِهَة جِنان الزُّهْري . وأوَّلُ من أنشأها الملكُ الظَّاهِرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري ، ونَصَبَ عليها سِباعًا من الحِجارَة ـ فإنَّ رَنْكَه[2] كان على شَكْل سَبُع ـ فقيل لها «قَناطِرُ السِّباع» من أَجْل ذلك ، وكانت عاليةً مرتفعةً .

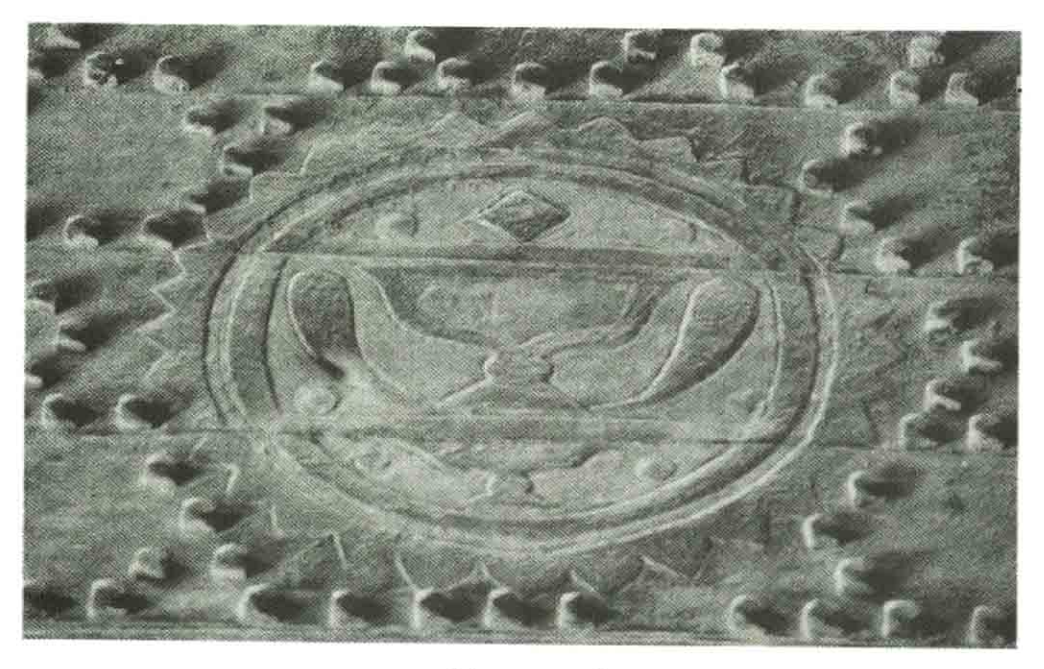
---

[1] قَناطِرُ السِّباع ، وسمَّاها ابن دُقْماق في الانتصار (٤ : ٩١ : ٢١) «القَنْطَرَة الظَّاهرية» . كانت تُحَدِّد حَدّ ولاية مصر من القاهرة . وَصَفَها جومار ـ في نهاية القرن الثامن عشر ـ بأنَّها مكوَّنة من قنطرتين : واحدة متعامدة على الخليج وتفتح في مواجهة مسجد السَّيِّدَة زَيْنَب ، والأخرى مائلة عليه وأكثر عرضًا وتُفْضي إلى الشارع المؤدي إلى القلعة ، أي شارع عبد المجيد اللَّبَّان الآن [U-12, 13, 162; U-12, 160] . (وصف مدينة القاهرة ١٦٧) . وظَلَّت قناطرُ السِّباع قائمةً إلى نهاية القرن التاسع عشر ، يقول محمد رمزي : «هذه القَنْطَرَة كانت موجودة على الخليج المصري ومعروفة كما شاهدتها باسم «قَنْطَرَة السَّيِّدَة زَيْنَب» ، وكانت تتكوَّن من قَنْطَرَتَين : إحداهما تُوَصِّل بين شارع الكومي (امتداد شارع خَيْرَت الآن) وبين شارع السَّدّ ، والثانية كانت تُوَصِّل بين شارع مراسينا (عبد المجيد اللَّبَّان الآن) وبين شارع الكومي» ، ومع رَدْم الجزء الأَوْسَط من الخليج سنة ١٨٩٨ اختفت هذه القَنْطَرَة تحت ميدان السَّيِّدَة زَيْنَب الذي دَخَل فيه جزءٌ من شارع الكومي وجزء آخر من شارع مراسينا . (ابن شَدَّاد : تاريخ الملك الظاهر ٣٤٩؛ المقريزي : السلوك ١ : ٦٣٩؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧ : ١٩١ هـ ٥؛ جومار : وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل ١٦٦ ـ ١٦٧؛ Creswell, K. A. C., MAE II, p. 153) .

[2] الرَّنْك جـ. الرُّنوك . كلمة فارسية ـ بكاف معقودة كالجيم المصرية بمعنى لَوْن ـ تدلُّ على الشَّارَة أو الشِّعار أو العَلامَة التي يتخذها الشخصُ لنفسه ويَنْفَرد بها دون غيره عند تأمير السُّلْطان المملوكي له . والرَّنْكُ عبارة عن رَسْمٍ لشيءٍ معين : حَيوان أو طائر أو أداة ، وقد يُرْسم من منطقة واحدة أو منطقتين ، (وحسب تعبير القلقشندي شَطْفَة واحدة أو شَطْفَتين) وأحيانًا يكون في ثلاث مناطق أُفقية أكبرها المنطقة الوسطى . وقد يكون الرَّنْكُ من لَوْنٍ واحِدٍ أو أكثر من لَوْن ، وإمَّا بسيطٌ أو مُرَكَّب . وعادةً ما تكون هذه الرُّنُوك ذات =



أُنموذَج لرَنْك السُّلْطان الظَّاهِر بيبَرْس



أُنموذَج للرُّنُوك المُركَّبة

فلمَّا أَنْشَأ المَلكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون المَيْدان السُّلْطاني ، في مَوْضِعِ بُسْتان الخَشَّاب حيث مَوْرَدَة البَلاط ، وتَرَدَّدَ إليه كثيرًا ، صارَ لا يَمُرُّ إليه من قَلْعَة الجَبَل حتى يركب قَناطِر السِّباع . فتضرَّرَ من عُلُوِّها وقال للأُمَرَاء : إنَّ هذه القَنْطَرَة حينَ أَرْكَبُ إلى المَيْدان وأَرْكَبُ عليها يتألَّم ظَهْري من عُلوِّها . ويُقالُ إنَّه أشاعَ هذا ، والقَصْدُ إنَّما هو كراهَتُه لنَظَر أَثَرِ أَحَدٍ من الملوك قبله ، ويُبْغِضُه أن يُذْكَر لأَحَدٍ غيره شيءٌ يُعْرَف به ، وهو كُلَّما يمرُّ بها يَرَى السِّباع ـ التي هي رَنْكُ المَلكِ الظَّاهِر ـ فأَحَبَّ أن يُزيلها لتبقى القَنْطَرَة مَنسوبةً إليه ومعروفةً به ، كما كان يَفْعَل دائِمًا في مَحْو آثار من تَقَدَّمَه ، وتَخْليد ذِكْره ومَعْرِفَة الآثار به ونِسْبَتِها له .

فاسْتَدْعَى الأميرَ/ عَلاء الدِّين عليّ بن حَسَن [بن] المَرْواني [1] ، والي القاهِرَة وشادّ الجِهات ، وأَمَرَه بهَدْم قَناطِر السِّباع وعِمارَتها أوْسَع مِمَّا كانت بعشرة أَذْرُع وأَقْصَر من ارْتِفاعِها الأَوَّل . فنَزَل ابنُ المَرْواني وأَحْضَرَ الصُّنَّاع ، ووَقَفَ بنفسه حتى انتهت في جُمادَى الأُولى سنة خمسٍ وثلاثين وسبع مائة ، في أَحْسَن قالب على ما هي عليه الآن ، ولم يَضَعْ سِباعَ الحَجَر عليها .

= صلة دقيقة بالوظيفة التي يشغلها الأمير المملوك بحيث أنَّه يمكن معرفة وظيفته من خلال رَنْكِه . يضيف القلقشندي : «ويُجْعَل ذلك دهانًا على أبواب بيوتهم والأماكن المنسوبة إليهم كمطابخ السُّكَّر ، وشُوَن الغِلال ، والأملاك والمراكب وغير ذلك ؛ وعلى قُماش خيولهم من جُوخٍ مُلَوَّن مَقْصوص ، ثم على قُماش جمالهم من خيوط صوف ملوَّنة تُنْقَش على العِبِي والبلاسات ونحوها ، ورُبَّما جُعِلَت على السُّيوف والأقْواس والبَرْكَصْطوانات للخيل وغيرها» (صبح الأعشى ٤ : ٦١-٦٢) . ونُقِشَتِ الرُّنوك كذلك على العمائر الدينية وشُكَّت على النُّقود ورُسِمَت على الزُّجاج والخَشَب والخَزَف . وأقدمُ رَنْكٍ مُؤكَّد وَصَلَ إلينا هو الرَّنْكُ الخاص بالسُّلْطان الظَّاهِر بَيْبَرْس ـ الذي يُشيرُ إليه المقريزي هنا ـ وقد تأكَّدَ في نَماذِج كثيرة مماثلة على العديد من منشآته التي وصلت إلينا أهمها : قناطر بحر أبي المُنَجَّا (فيما يلي ٥٠٧) .

(راجع حول الرُّنوك وأشكالها المختلفة دراسات Mayer, L. A., *Saracenic Heraldy. A Survey*, Oxford 1933; id., «A New Heraldic Emblem of the Mamluks», *Ars Islamica* IV (1937), pp. 349-51; id., «Huit objets inédits à Blasons mamluks en Grèce et en Turquie», *Mélanges Maspero* III, pp. 97-104؛ المقريزي : السلوك ١:٦٧٢هـ[4]؛ Meinecke, M., «Zur mamlukischen Heraldik» *MDAIK* 28 (1972), pp. 213-87; id., «Die Bedeutung des mamlukischen Heraldik für die Kunstgeschichte», *ZDMG* XVIII Suppl. 2 (1974), pp. 213-40، أحمد عبد الرازق : «الرُّنوك على عصر سلاطين المماليك» ، المجلة التاريخية المصرية ٢١ (١٩٧٤) ، ٦٧-١١٦؛ Nasser Rabbat, EI^2 art. *Rank* VII, pp. 445-47؛ مايكل ماينكه : «الرُّنوك والفروسية في العصر المملوكي» ، كتاب فروسية ١ ، ترجمة وتحرير شهاب الصَّرَّاف ، ١٥٦-١٦٣) .

[1] الأميرُ عَلاءُ الدِّين علي بن الحسن بن المَرْواني ، تولَّى ولاية القاهرة بعد سَيْف الدِّين بَلَبان الحُسامي ، وتوفي بعد سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م . (الصفدي : أعيان العصر ٣ : ٣٣١-٣٣٢) .

وكان الأميرُ أَلْطَنْبُغا المارْديني قد مَرِضَ، ونَزَلَ إلى المَيْدان السُّلْطاني فأقامَ به، ونَزَلَ إليه السُّلْطانُ مِرارًا. فبَلَغَ المارديني ما يتحدَّث به العامَّةُ من أنَّ السُّلْطانَ لم يُخَرِّب قَناطِر السِّباع إلَّا حتى تَبْقَى باسْمِه، وأنَّه رَسَمَ لابن المَرْواني أن يَكْسِرَ سِباعَ الحَجَر ويَرْميها في البَحْر.

٥ واتَّفَق أنَّه عُوفِيَ عَقِيبَ الفَراغ من بِناء القَنْطَرَة ورَكِبَ إلى القَلْعَة، فسُرَّ به السُّلْطَانُ ـ وكان قد شَغَفَه حُبًّا ـ فسأله عن حالِه، وحادَثَه إلى أن جَرَى ذِكْرُ القَنْطَرَة، فقال له السُّلْطانُ: أَعْجَبَتْك عِمارَتُها؟ فقال: والله يا خَوَنْد لم يُعْمَل مثلها، ولكن ما كَمُلَت؛ فقال: كَيْف؟ قال: السِّباعُ التي كانت عليها لم تُوضَع مكانَها، والنَّاسُ يتحدَّثون أنَّ السُّلْطانَ له غَرَضٌ في إزالَتها لكَوْنها رَنْك سُلْطانٍ غيره.

١٠ فامْتَعَض لذلك، وأَمَرَ في الحال بإحْضار ابن المَرْواني، وأَلْزَمَه بإعادَة السِّباع على ما كانت عليه. فبادَرَ إلى تَرْكيبها في أماكِنها، وهي باقِيَةٌ هناك إلى يومِنا هذا؛ إلَّا أنَّ الشَّيْخَ محمدًا، المعروف بصَائِم الدَّهْر، شَوَّه صُوَرَها كما فَعَل بوَجْه أبي الهَوْل، ظَنًّا منه أنَّ هذا الفِعْل من جملة القُرُبات[١]. ولله دَرُّ القائِل:

[الرجز]

١٥ وإنَّما غايَةُ كلِّ مَنْ وَصَلْ صَيْد بني الدُّنْيا بأَنْواعِ الحِيَلِ

قَنْطَرَةُ عُمَرشاه

هذه القَنْطَرَةُ على الخَليج الكبير بخُطّ [a]، يُتَوَصَّل منها إلى بَرّ الخَليج الغَرْبي[b] [٢].

---

a) ساقطة من بولاق وبياض مقدار كلمة في آياصوفيا. b) في هامش آياصوفيا: بياض سبعة أسطر.

---

[١] انظر فيما تقدم ١: ٣٣٣؛ وفيما يلي ٥٦٧.

[٢] وَرَدَت هذه القَنْطَرَة بنفس الاسم على خريطة القاهرة التي رسمها علماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ (T-11, 105)، وظَلَّت موجودَةً وتُعْرف بقَنْطَرَة عمارْشَة، إلى سنة ١٨٩٨ التي ردم فيها القسم الأوسط من الخَليج، وشاهدَها محمد بك رمزي. ومكانها الآن تجاه مَدْخَل حارَة عُمَرشاه في شارع بورسعيد على يسار القادم من مَيْدان السَّيِّدَة زَيْنَب، التي تُوَصِّل إلى سِكَّة سويقة اللالا. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٨٥هـ[١]).

قَنْطَرَةُ طُقُزْدَمُر

هذه القَنْطَرَةُ على الخَلِيج الكبير ، بخُطِّ المَسْجِد المُعَلَّق ، يُتَوَصَّل منها إلى بَرِّ الخَلِيج الغَرْبي وحِكْر قَوْصُون وغيره[a] [١].

قَنْطَرَةُ آق سُنْقُر

٥ هذه القَنْطَرَةُ على الخَلِيج الكبير ، يُتَوَصَّل منها إلى[b] خُطِّ قَبْو الكِرْماني ومن حارَة البَدِيعيين ، التي تُعْرَف اليوم بالحَبَّانِيَّة ، ويُمَرّ من فَوْقِها إلى بَرّ الخَلِيج الغَرْبي . وعُرِفَت بالأمير آقْ سُنْقُر ، شادّ العَمائِر السُّلْطانية في أيّام الملك النّاصِر محمد بن قَلاوون ، عَمَّرها لَمَّا أنشأ الجامِعَ بالبِرْكَة النّاصِرِيَّة ، وماتَ بدِمَشْق سنة أربعين وسبع مائة [٢].

قَنْطَرَةُ باب الخَرْق [٣]

١٠ هذه القَنْطَرَةُ على الخَلِيج الكبير ، كان مَوْضِعُها ساحِلًا ومَوْرَدَةً للسَّقّائين في أيّام الخُلَفاء الفاطِميين . فلمَّا أنشأ الملكُ الصَّالِحُ نَجْم الدِّين أيُّوب المَيْدان السُّلْطاني بأراضي اللُّوق ، وعَمَّر به

---

a) في هامش آياصوفيا : بياض ثمانية أسطر. b) بولاق : إليها من .

---

[١] وَرَدَت هذه القَنْطَرَة على خريطة القاهرة التي رسمها علماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم «قَنْطَرَة دَرْب الجماميز» (R-10, 47) ، وزالت سنة ١٨٩٨ مع رَدْم القسم الأوسط من الخَلِيج ، وشاهَدَها محمد بك رمزي . ويدُلُّ على مكانها الآن مَدْخَل شارع قَنْطَرَة دَرْب الجماميز بشارع بورسعيد ، الموصِّل إلى حارتي السُّلْطان الحَنَفي والهياتم حيث مسجد الأمير يوسف شوربجي . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٩٤:٩هـ[٢] ، ١٠:٧٥هـ[٥]) .

وانظر عن الأمير طُقُزْدَمُر ، فيما تقدم ٣٨٨.

[٢] أنشئت قَنْطَرَة آق سُنْقُر نحو عام ٧٢٥هـ/١٣٢٥م ، وكان يُتَوَصَّل منها إلى قَبْو الكِرْماني وسِكَّة الحَبّانية . وكان خُطّ قَبْو الكرماني يقع شرقي الخليج المصري ومكانه الآن القسم الأوْسَط من شارع دَرْب الجماميز (بورسعيد) في المسافة بين سِكَّة الحَبّانِيَّة وبين حارة السّادات خلف جامع بَشْتاك المعروف الآن بجامع مصطفى فاضل (الشيخ رفعت) . ووردت هذه القَنْطَرَة على خريطة القاهرة التي رسمها علماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم «قَنْطَرَة سُنْقُر» (P-10, 69) ، وشاهَدَها محمد بك رمزي قبل زوالها برَدم الجزء الأوسط من الخليج سنة ١٨٩٨ ، وكانت تجاه مدخل شارع قَنْطَرَة سُنْقُر الموصل إلى شارع إسماعيل أبو جبل (دَرْب الحَجَر سابقًا) . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٢٠٩:٩هـ[٤] ، ٢٧٤:١١هـ[٥]) .

[٣] حاشية بخط المؤلف : «يُقالُ للأرض البعيدة التي=

المَنَاظِرَ في سنة تسعٍ وثلاثين وستّ مائة ، أنشأ هذه القنْطَرَة ليَمُرَّ عليها إلى المَيْدان المذكور ؛ وقيل لها قَنْطَرَةُ باب الخَرْق [1].

قَنْطَـرَةُ المُوسْكِي

هذه القَنْطَرَةُ على الخَلِيج الكبير ، يُتَوَصَّل إليها من باب الخُوخَة وباب القَنْطَرَة [a]، ويُمَرُّ فوقَها إلى بَرِّ الخَلِيج الغَرْبي [2]. أنشأها الأميرُ عِزّ الدِّين مُوسَك بن جَكْرا [وهو ابن خال] [b] السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب . وكان خَيِّرًا يَحْفَظُ القُرْآن الكريم ، ويُواظِبُ على تِلاوَته ، ويُحِبُّ أَهْلَ العِلْم والصَّلاح ويؤْثِرهم . وماتَ بدِمَشْق يوم الأربعاء ثامن عشرين شَعْبان سنة أربعٍ وثمانين وخمس مائة [3].

قَنْطَـرَةُ الأمير حُسَيْن

هذه القَنْطَرَةُ على الخَلِيج الكبير ، ويُتَوَصَّل منها إلى بَرِّ الخَلِيج الغَرْبي . فلمّا أنشأ الأميرُ سَيْف الدِّين حُسَيْنُ بن أبي بكر بن إسماعيل بن جَنْدَر [c] بك الرُّومي الجامِع المعروف بجامِع الأمير حُسَيْن في حِكْر جَوْهَر النُّوبي ، أنشأ هذه القَنْطَرَة ليَصِل من فَوْقِها إلى الجامِع المذكور [4].

---

a) مسودة الخطط : يتوصل إليها من خط بين السورين . b) بولاق : موسك قريب السلطان ، والمثبت من مسودة الخطط . c) بولاق : حيدر .

= تخرقها الرِّيح لاستوائها : الخَرْق» . وقد وردت هذه العبارة في بولاق وعائلة النسخ المعتمدة عليها في صُلْب المَتْن .

[1] المقريزي : مسودة الخطط ١٥٦و ؛ وفيما يلي ٦٢٧. وكانت قَنْطَرَةُ باب الخَرْق تربط بين شارعي تحت الرَّبْع وحسن الأكبر الآن الذي يُؤدِّي عبر شارع علي ذو الفقار (الصَّنافيري سابقًا) إلى موقع المَيْدان الصَّالحي . ووَرَدَت هذه القَنْطَرَة بنفس الاسم على خريطة القاهرة التي رسمها علماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ (M-9, 15) . ولاستهجان كلمة الخَرْق اسْتُبْدِلَت في أيّام الخِدِيو إسماعيل ، وأطلق على المَيْدان اسم باب الخَلْق (أحمد ماهر الآن) ؛ لكثرة ازدحام النَّاس به . وهُدِمَت هذه القنطرة عام ١٨٧٣ مع فتح شارع محمد علي وأنشئ عوضها قَنْطَرَةٌ جديدةٌ في عرض الشارع الجديد ، ثم زالت هذه القَنْطَرَة مع رَدْم الجزء الأوسط من الخليج عام ١٨٩٨. (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١:٧٦-٧٧هـ[4]) .

[2] وَرَدَت قَنْطَرَة الموسكي بنفس الاسم على خريطة القاهرة التي رسمها علماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ (I-9, 235) ، وقد زالت كذلك عام ١٨٩٨، وكانت تقع على الخليج في مواجهة شارع جوهر القائد شمال تقاطع شارع الأزهر مع شارع بورسعيد الآن .

[3] المقريزي : مسودة الخطط ١٨٢و .

[4] فيما يلي ٢: ٣٠٦.

ووَرَدت هذه القنطرة على خريطة القاهرة التي =

وكان يُتَوَصَّل إليها من باب القَنْطَرَة ، فثَقُل عليه ذلك ، واحْتاجَ إلى أن فَتَحَ في السُّور الخُوخَة المعروفة بخُوخَة الأمير حُسَيْنٌ من الوَزِيرِيَّة ، فصارَت تِجاه هذه القَنْطَرَة . وقد ذُكِرَ خَبَرُها عند ذِكْر الخُوَخ [١] .

قَنْطَرَةُ باب القَنْطَرَة

هذه القَنْطَرَةُ على الخَلِيج الكبير ، يُتَوَصَّل إليها من القاهِرَة ، ويُمَرُّ فوقَها إلى المَقْس وأرْض الطَّبَّالَة [٢] . وأوَّلُ من بَناها القائِدُ جَوْهَرٌ لمَّا نَزَلَ بمُناخِه وأدارَ السُّورَ عليه وبَنَى القاهِرَة . ثم قَدِمَ عليه القَرْمَطِي ، فاحْتاجَ إلى الاسْتِعْداد لمحاربته ، فحَفَرَ الخَنْدَق ، وبَنَى هذه القَنْطَرَة على الخَلِيج عند باب جِنان أبي المِسْك كافُور الإخْشيدي ، الملاصِق للمَيْدان والبُسْتان الذي للأمير أبي بَكْر محمد الإخْشيد ، ليَتَوَصَّل من القاهِرَة إلى المَقْس ، وذلك في سنة اثنتين وستين وثلاث مائة ، وبها تَسَمَّى باب القَنْطَرَة .

وكانت مُرْتَفِعَةً بحيث تَمُرُّ المراكِبُ من تحتها ، وقد صارَت في هذا الوَقْت قَرِيبَةً من أرْض الخَلِيج لا يمكن للمراكِب العُبُور من تحتها ، وتُسَدّ بأبْوابٍ خَوْفًا من دُخُول الزُّعَّار إلى القاهِرَة .

قَنْطَرَةُ باب الشَّعْرِيَّة

هذه القَنْطَرَةُ على الخَلِيج الكبير ، يُسْلَك إليها من باب الفُتُوح ، ويُمْشَى من فَوْقِها إلى أرْض الطَّبَّالَة ، وتُعْرَف اليوم بقَنْطَرَة الخَرُّوبي[a] [٣] .

---

a) في هامش آياصوفيا : بياض أربع أسطر .

= رَسَمَها علماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ (L-9, 10) ، وكانت تَرْبط عبر الخليج بين شارع الاستئناف الحالي (شمال محكمة باب الخَلْق) وشارع قَنْطَرَة أمير حسين على الجانب الآخر من شارع بورسعيد الآن .

[١] فيما تقدم ١٤٧ .

[٢] ورَدَت هذه القَنْطَرَة على خريطة القاهرة التي رَسَمَها علماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم القنطرة الجديدة (G-8, 56) ، وهذه القَنْطَرَة رَمَّمها السُّلْطان الغوري سنة ٩١٧هـ/١٥١١م . (ابن إياس : بدائع الزهور ٤: ٢٣٩) ، وكانت تقع أمام مدخل شارع أمير الجُيُوش .

[٣] وَرَدَت هذه القَنْطَرَة على خريطة القاهرة التي رسمها علماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم القنطرة الجديدة أيضًا (D-8, 396) ، وكانت تقع على الضَّفَّة الغربية للخَليج بجوار جامع العَدَوي الذي كان على رأس سكة الفَجَّالة وأزيل من مكانه عند توسيع شارع الخليج في خمسينيات القرن العشرين .

القَنْطَرةُ الجَدِيدَة

هذه القَنْطَرةُ على الخَليج الكبير ، يُتَوَصَّل إليها من زُقاق الكَحْل وخُطّ جامِع الظَّاهِر ، ويُتَوَصَّل منها إلى أرْض الطَّبَّالَة والي مُنْيَة السِّيرِج وغير ذلك [١] . أنشأها الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون ، في سنة خَمْسٍ وعشرين/ وسبع مائة ، عندما انتهى حَفْرُ الخَليج النَّاصِريُّ .

٥ وكان ما على جَانِبَي الخَليج من القَنْطَرة الجَديدَة هذه إلى قَناطِر الإوز عامِرًا بالأمْلاك ، ثم خَرِبَت شيئًا بعد شيءٍ من حين حَدَثَ فصل البارِدة بعد سنة ستين وسبع مائة ، وفَحُشَ الخَرابُ هناك منذ كانت سنة الشَّراقي في زَمَن الملك الأشْرَف شَعْبان بن حُسَيْن في سنة سبعٍ وسبعين وسبع مائة . فلمَّا غَرِقَت الحُسَيْنِيَّةُ بعد سنة الشَّراقي ، خَرِبَتِ المساكِنُ التي كانت في شَرْقي الخَليج ما بين القَنْطَرة الجَديدة وقَناطِر الإوَزّ ، وأُخِذَت أنْقاضُها ، وصارَت هذه البِرَك الموجودة الآن . ١٠

قَنَاطِرُ الإوَزّ

هذه القَناطِر على الخَليج الكبير ، يُتَوَصَّل إليها من الحُسَيْنِيَّة ، ويُسْلَك من فَوْقِها إلى أراضي البَعْل وغيرها [٢] . وهي أيضًا مِمَّا أنشأه الملكُ الناصِر محمد بن قَلاوون في سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائة . وأَدْرَكْتُ هُناك أمْلاكًا مُطِلَّةً على الخَليج بعد سنة ثمانين وسبع مائة .

١٥ وهذه القَناطِرُ من أَحْسَن مُتَنَزَّهات أهْل القاهِرَة أيَّام الخَليج لمَّا يصير فيه من الماء ، ولما على حافَتِه الشَّرْقية من البَساتين الأنيقَة ، إلَّا أنَّها الآن قد خَرِبَت . وتِجاه هذه القَنْطَرة مَنْظَرة البَعْل ، التي تقدَّم

---

[١] القَنْطَرةُ الجديدة . وردَت على الخريطة التي رسمها علماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ بنفس الاسم (A-7, 393) ، وظَلَّت قائمةً على الخَليج المصري وتعرف بقَنْطَرة الظَّاهر (ويقال لها أيضًا قَنْطَرة الإمبابي لوقوعها عند دار الشيخ محمد الإمبابي أحد مشايخ الأزهر في نهاية القرن التاسع عشر) حتى تم رَدْم القسم الأوَّل من الخليج المصري من جهة غَمْرَة سنة ١٨٩٧. وقد شاهَدَها محمد بك رمزي وحَدَّد موقعها في شارع الظاهر عند تلاقيه بشارع بورسعيد . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٣هـ[١]) .

[٢] قناطر الإوزّ . كانت تتكوَّن من عَقْدَيْن ، ووَرَدَت على الخريطة التي رسمها علماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ (A-7, 394) ، وظَلَّت قائمةً على الخليج المصري وتعرف باسم قَنْطَرة الوزّ (ويقال لها أيضًا قَنْطَرة الوِزَّة) حتى تمَّ رَدْم القسم الأوَّل من الخليج المصري من جهة غَمْرَة سنة ١٨٩٧. وقد شاهَدَها محمد بك رمزي أيضًا وحَدَّدَ موضعها في شارع بورسعيد تجاه الحارة المعروفة خطأً باسم حارَة قَنْطَرة الظَّاهر ، وكانت تقع على بعد ١٨٠ مترًا شمال القَنْطَرة الجديدة المذكورة في الهامش السابق . (نفسه) .

ذكرُها عند ذكر مَناظِر الخُلَفَاء، وبقيت آثارُها إلى الآن [١]. أدْرَكْناها يَعْطِن فيها الكَتَّان، وبها عُرِفَتِ الأرض التي هناك، فسُمِّيَت إلى الآن بأرض البَعْل.

وكان هناك صَفٌّ من شَجَرِ السَّنْط قد امتدَّ من تِجاه قناطِر الإوَزّ إلى مَنْظَرَة البَعْل، وصار فاصِلًا بين مزرعتين يجلس الناسُ تحته في يومي الأحد والجُمُعَة للنُّزْهَة، فيكون هناك من أصْناف النَّاس رِجالهم ونِسائِهم ما لا يَقَعُ عليه حَصْرٌ، ويُباعُ هناك مآكِلُ كثيرة.

وكان هناك حانُوتٌ من طِين تجاه القَنْطَرَة يُباعُ فيها السَّمَك، أدركتها وقد اسْتُؤْجِرَت بخمسة آلاف درهم في السنة، عنها يومئذٍ نحو مائتين وخمسين مِثْقالًا من الذَّهَب. على أنَّه لا يُباعُ فيها السَّمَك إلَّا نحو ثلاثة أشهر أو دون ذلك.

ولم يَزَل هذا السَّنْط إلى نحو سنة تسعين وسبع مائة فقُطِعَ. وإلى اليوم تجتمعُ النَّاسُ هناك، ولكن شَتَّان بين ما أدْرَكْنا وبين ما هو الآن؛ وقيل لها قَناطِر الإوَزّ.

قَنَاطِرُ بَنِي وائِل

هذه القَناطِرُ على الخَليج الكبير تِجاه التَّاج، أنشأها الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون في سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائة. وعُرِفَت بقَناطِر بَني وَائِل؛ من أجْل أنَّه كان بجانبِها عِدَّةُ منازِل يسكنها عَرَبٌ ضِعافٌ بالجانب الشَّرْقي، يقال لهم بنو وائِل، ولم يَزالوا هناك إلى نحو سنة تسعين وسبع مائة [٢].

وكان بجانب هذه القَناطِر، من الجانِب الغربي، مَقْعَدٌ أحْدَثَه الوَزيرُ الصَّاحِب سَعْدُ الدِّين نَصْر الله بن البَقْري لأخْذ المُكوس، واستمرَّ مُدَّةً ثم خَرِبَ. ولم يُرَ أحسن منظرًا من هذه القَنْطَرَة في أيَّام النِّيل وزَمَن الرَّبيع.

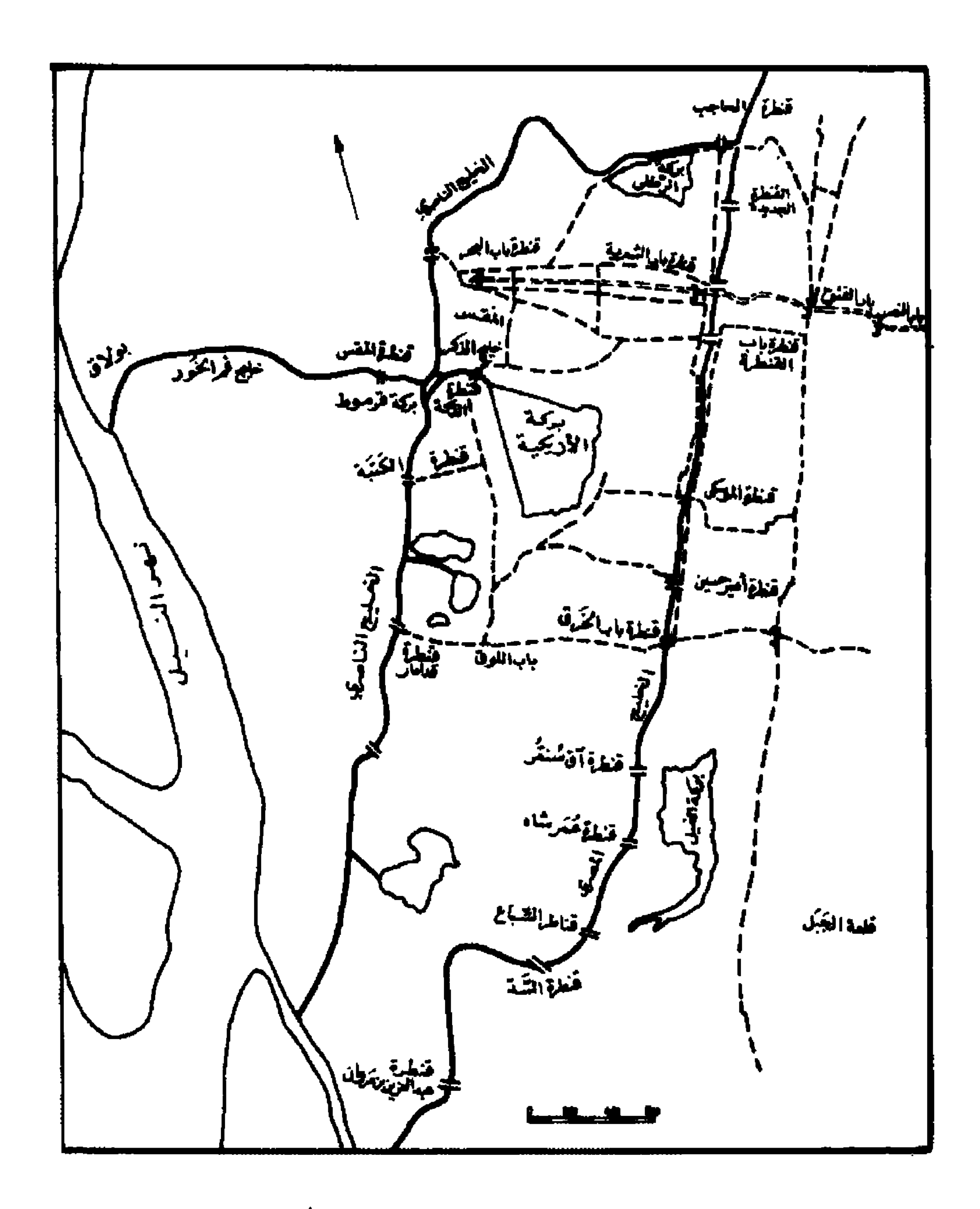
قَنْطَرَةُ الأمِيرِيَّة

هذه القَنْطَرَةُ هي آخِر ما على الخَليج الكبير من القَناطِر بضَواحِي القاهِرَة، وهي تجاه النَّاحية المعروفة بالأميرِيَّة فيما بينها وبين المَطَرِيَّة. أنشأها الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون

---

[١] فيما تقدم ٢: ٥٦٥ – ٥٦٧.

[٢] قناطِر بني وائل، كانت تقع عند النقطة التي يلتقي فيها الآن مَدْخَل حي الزَّاوية الحمراء مع شارع بورسعيد. وإلى عَرَب بني وائل هؤلاء ـ الذين كانوا يقيمون بجانبها ـ ينسب الحيّ المعروف الآن بالوايلي (الوايلية). (محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ٤ ق٢ ج١: ١٦).



القناطر المنتشرة على الخليج المصري والخليج النّاصري (عن دوريس أبو سيف)

في سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائة [١].

وعند هذه القَنْطَرَة يَنْسَدُّ ماءُ النِّيل إذا فُتِحَ الخَلِيجُ عند وَفاءِ زيادة النِّيل ستّ عشرة ذِراعًا ، فلا يَزالُ الماءُ عند سَدِّ الأميرية هذا إلى يوم النَّوْروز ، فيخرج والي القاهِرَة إليه ، ويَشْهَد على مَشايخ أَهْل الضَّواحي بتَغْليق أراضي نَواحيهم بالرِّيّ . ثم يُفْتَح هذا السَّدُّ ، فيمرُّ الماءُ إلى جِسْر شِيبين القَصْر ، ويُسَدُّ عليه حتى يَرْوِي ما على جانبي الخَلِيج من البلاد . فلا يَزال الماءُ واقِفًا عند سَدِّ شِيبين إلى يوم عيد الصَّليب - وهو اليوم السابعَ عشرَ من النَّوْروز - فيُفْتَح حينئذٍ بعد شُمول الرِّيّ جَميع تلك الأراضي [٢].

وليس بعد قَنْطَرَة الأَميريَّة هذه قَنْطَرَةٌ سوى قَنْطَرَة ناحية سِرْياقوس ، وهي أيضًا إنْشاء الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون . وبعد قَنْطَرَة سِرْياقوس جِسْرُ شيبين القَصْر ، وسيأتي ذكره عند ذِكْر الجُسور من هذا الكتاب إن شاءَ الله تعالى [٣].

(a القَناطِر التي على الخَليج النَّاصِري a) [٤]

قَنْطَرَةُ الفَخْر

هذه القَنْطَرَةُ بجوار مَوْرَدَة البَلاط ، من أَراضي بُسْتان الخَشَّاب برأس المَيْدان [٥] ، وهي أوَّلُ قَنْطَرَة عُمِّرَت على الخَلِيج النَّاصِريِّ على فَمِه ، أنشأها القاضي فَخْرُ الدِّين محمد بن فَضْل الله بن

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط .

---

[١] المقريزي : السلوك ٢ : ٢٦٣ .

وشاهَدَ محمد بك رمزي قَنْطَرَة الأميرية المُجَدَّدَة ، وكانت لا تزال قائمةً على الجزء الذي لم يُرْدَم من الخليج المصري خارج مدينة القاهرة والذي كان محاذيًا للتُّرْعَة الإسماعيلية من الجهة الشرقية (والذي تمّ رَدْمُه الآن) ، وكانت مياهه تُسْتَخْدَم قبل سنة ١٩٤٢ لري الأراضي الواقعة عليه . ويَدُلُّ على موقعها الآن النقطة التي يلتقي فيها شارع الشَّوَّاح بشارع بورسعيد . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٨٣هـ [٢]) .

[٢] فيما تقدم ١ : ٧٢١ - ٧٢٤ .

[٣] فيما يلي ٥٦٣ .

[٤] أورد المقريزي في مسودة الخطط هذا العنوان ، ثم ذَكَر القناطِر الخمس الموجودة على الخليج النَّاصري في فَقْرَةٍ واحدةٍ مطوَّلة (مسودة الخطط ١٧٢ظ) ؛ كما أوردها ابن إياس في حوادث سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م تحت عنوان « القناطر التي بناها السلطان الناصر محمد بن قلاوون على الخليج الناصري الذي حفره » . (بدائع الزهور ١/١ : ٤٥٩) .

[٥] قَنْطَرَةُ الفَخْر . كانت تقع عند تقاطع شارع البرجاس (دار الشِّفا) مع شارع عائشة التيمورية (الوالدة باشا) في منطقة =

خَروف القِبْطي ـ المعروف بالفَخْر ناظِر الجَيْش ـ في سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائة عند انتهاء حَفْر الخَليج النَّاصِري [1]. وماتَ في رَجَب سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائة ؛ وقد أنافَ على السبعين سنة ، وتمكَّن في الرِّياسَة تَمكُّنًا كبيرًا [2].

قَنْطَرَةُ قُدادار

هذه القَنْطَرَةُ على الخَليج النَّاصِريِّ ، يُتَوَصَّل إليها من اللُّوق ، ويُمْشَى فوقَها إلى بَرِّ الخَليج النَّاصِريِّ ممَّا يلي النيل[a] [3]. وأوَّل ما وُضِعَت كانت تِجاه البُسْتان الذي كان مَيْدانًا في زَمَن الملك الظَّاهِر رُكْن الدِّين بَيْبَرْس ، إلى أن أنشأ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون المَيْدان الموجود الآن بمَوْرَدَة البَلاط ، من جملة أراضي بُسْتان الخَشَّاب ، فغَرَسَ في المَيْدان الظَّاهِري الأشْجار وصارَ بُسْتانًا عَظيمًا كما ذُكِرَ ذلك في موضعه من هذا الكِتاب [4]. ٥

وعُرِفَت هذه القَنْطَرَةُ بالأمير سَيْف الدِّين قُدادار [5]، مَمْلوك الأمير بُرْلُغي ، وكان خَبَرُه أنَّه تَنَقَّلَ في الخِدَم حتَّى وَلِيَ الغربية من أراضي مصر في سنة ثلاثٍ وعشرين وسبع مائة ، فلَقِيَ أهْلُ البلاد منه شَرًّا كثيرًا ، ثم انتقل إلى ولاية البُحَيْرَة . ١٠

---

a) بولاق : الفيل .

= جاردن سيتي الحالية . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:٨٢هـ[4]) .

[1] المقريزي : السلوك ٢: ٢٦٢، مسودة الخطط ١٧٢ظ .

[2] القاضي الرئيس فَخْر الدِّين محمد بن فَضْل الله بن خَروف القِبْطي ، ناظر الجيوش بالديار المصرية ، المتوفى سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م . (الصفدي : أعيان العصر ٥:٥٣-٥٨، الوافي بالوفيات ٤:٣٣٥-٣٣٧؛ المقريزي : المقفى الكبير ٦:٥١٦-٥٢٠، السلوك ٢: ٣٥٤؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٤:٢٥٥-٢٥٦؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:٢٩٥) .

[3] قَنْطَرَةُ قُدادار . هي نفسها القَنْطَرَة المذكورة على الخريطة التي رسمها علماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم «قَنْطَرَة المدابغ» [M-16, 358] . ومكانها الآن قرب نقطة تلاقي شارع يوسف الجندي (الحوياتي سابقًا) مع شارع صبري أبو علم (جامع شركس سابقًا) ، حيث كان الخليج النَّاصري يمرُّ في هذه الجهة . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:٨٢هـ[6]) .

[4] فيما يلي ٦٣٥ .

[5] الأمير سَيْفُ الدِّين قُدادار (قُدودار ، قُديدار) ، وَلَّاه السُّلْطان النَّاصر محمد بن قلاوون ولاية القاهرة بعد الأمير عَلَم الدِّين سِنْجِر الخازن في شهر رمضان سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م ، وتوفي سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م . (الصفدي : أعيان العصر ٤:٧٩-٨٠، الوافي بالوفيات ٢٤: ٢٠٦؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٣:٣٢٨-٣٢٩) .

فلمَّا كان في سنة أربعٍ وعشرين ،/ كَثُرَت الشَّناعَةُ في القاهِرَة بسبب الفُلُوس ، وتَعَنَّتَ النَّاسُ ٢: فيها ، وامْتَنَعُوا من أخْذِها حتى وَقَفَ الحالُ وتَحَسَّن السِّعْر . وكان حينئذٍ يَتَقَلَّد الوَزارَة الأميرُ عَلاءُ الدِّين مغُلْطاي الجَمَالي ، ويتقلَّد وِلايَة القاهِرَة الأميرُ عَلَمُ الدِّين سِنْجِر الخازِن .

فلمَّا تَوَجَّه السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون من قَلْعَة الجَبَل إلى السَّرْحَة بناحية ٥ سِرْياقوس ، بَلَغَه توقُّف الحال ، وطَمَعُ السُّوقَة في النَّاس ، وأنَّ مُتَوَلِّي القاهِرَة فيه لِينٌ ، وأنَّه قَليل الحُرْمَة على السُّوقة . وكان السُّلْطانُ كثير النُّفور من العامَّة شَديد البُغْض لهم ، ويُريد كل وَقْتٍ من الخازِن أن يَبْطِش بالحَرافيش ويُؤَثِّر فيهم آثارًا قبيحة ، ويُشَهِّر منهم جماعة ، فلم يبلغ من ذلك غَرَضُه فكرهه ، واستدعى الأمير أَرْغُون نائِب السَّلْطَنَة ، وتقدَّم إليه بالإغْلاظ في القَوْل على الخازِن بسبب فساد حالِ النَّاس ، وهَمَّ يبروز أمْره بالقَبْض عليه وأَخْذ ماله .

١٠ فما زال به النَّائِبُ حتى عَفَا عنه ، وقال : السُّلْطانُ يعزله ويولِّي من يَنْفَع في مثل هذا الأمْر . فاخْتار ولاية قَدادار عِوَضَه لما يَعْرِف من يَقْظَته وشَهامَته وجَراءَته على سَفْك الدِّماء ، فاستدعاه من البُحَيْرَة ، ووَلَّاهُ وِلايَة القاهِرَة في أوَّل شهر رَمَضان من السنة المذكورة .

فأوَّلُ ما بدأ به أن أَحْضَر الخبَّازين والباعَة ، وضَرَبَ كثيرًا منهم بالمقارِع ضَرْبًا مبرحًا ، وسَمَّر عِدَّةً منهم في دَراريب حَوانيتهم ، ونادَى في البَلَد : «من رَدَّ فِلْسًا سُمِّرَ» ، ثم عَرَضَ أهْل السِّجْن ، ١٥ ووَسَّط جَماعَةً من المفسدين عند باب زَوِيلَة ، فهابَتْه العامَّة وذُعِروا منه .

وأَخَذَ يتتبَّع من عَصَر خَمْرًا ، وأحْضَرَ عَريفَ الحَمَّالين وألْزَمَه بإحْضَار من كان يَحْمل العِنَب . فلمَّا حَضَروا عنده اسْتَمْلاهم أسماءَ من يشتري العِنَب ومواضِع مَساكِنهم ، ثم أحضر خُفَراءَ الحارات والأَخْطاط ، ولم يَزَلْ بهم حتى دَلُّوه على سائِر من عَصَر الخَمْر .

فاشْتُهِرَ ذلك بين النَّاس وخافُوه ؛ فحَوَّلَ أهْلُ حارَة زَوِيلَة وأهْلُ حارَتي الرُّوم والدَّيْلَم وغير ذلك ٢٠ من الأماكِن ما عندهم من الخَمْر ، وصَبُّوها في البَلاليع والأقْنية ، وألْقوها في الأَزِقَّة ، وبَذَلُوا المالَ لمن يأخُذها منهم . فحَصَلَ لكثيرٍ من العامَّة والأطْراف منها شيءٌ كثيرٌ ، حتى صارَت تُباعُ كلُّ جَرَّة خَمْر بدِرْهَم ، ويَمُرُّ النَّاسُ بأبْواب الدُّور والأَزِقَّة فتَرَى من جِرار الخَمْر شيئًا كثيرًا ، ولا يقدر أحَدٌ أن يتعرَّض لشيءٍ منها .

ثم رَكِبَ وكَبَسَ خُطَّ باب اللُّوق ، وأَخَذَ منه شيئًا كثيرًا من الحَشيش وأَحْرَقَه عند باب زَوِيلَة ، ٢٥ واستمرَّ الحالُ مُدَّة شهر ما من يوم إلَّا ويُهْرَق فيه خَمْرٌ عند باب زَوِيلَة ، ويُحْرَق حشيشٌ . فطَهَّرَ الله به البَلَد من ذلك جَميعَه ، وتتبَّع الزُّعَّار وأَهْلَ الفَساد ، فخافُوه وفَرُّوا من البلد .

فصارَ السُّلْطانَ يشكره ، ويُثْني عليه لما يبلغه من ذلك ، وأمَّا العامَّة فإنَّه ثَقُلَ عليها وكَرِهَتْه ، حتى إنَّه لمَّا تأمَّر ابنُ الأمير بَكْتَمُر السَّاقي ، ورَكِبَ إلى القُبَّة المَنْصوريَّة على العادَة ومعه أبوه والنَّائِب وسائِر الأُمَرَاء ، صاحَتِ العامَّةُ للأمير بَكْتَمُر الساقي : يا أمير بَكْتَمُر بحياة وَلَدِك اعْزِل هذا الظَّالِم ، ورُدّ علينا والِيَنا ـ يَعْنون الخازِن .

فلمَّا عَرَّف بَكْتَمُر السُّلْطانَ ذلك أعجبه ، وقال : يا أمير ما تَخْشَى العامَّةُ والسُّوقةُ إلَّا ظالِمًا مثل ٥ هذا ما يَخافُ الله تعالى . وزاد إعْجابُ السُّلْطان به حتَّى قال له : لا تُشاوِر في أَمْرِ المفسدين . فلم يَغْتَرّ بذلك ، ورَفَعَ إليه جَميعَ ما يَتَّفِق له ، وشاوَرَه في كلِّ جَليلٍ وحَقير ، وقال له : إنَّ جَماعَةً من الكُتَّاب والتُّجَّار قد عَصَروا الخَمْر ، واستأذنه في طَلَبِهم ومُصادَرَتهم . فتَقدَّم له بمشاورة النائِب في ذلك ، وإعْلامه أنَّ السُّلْطانَ قد رَسَم بالكَشْف عمَّن عَصَرَ من الكُتَّاب والتجّار الخَمْر . فلمَّا صارَ إلى النَّائِب وعَرَّفَه الخبَر ، أهانَه وقال : إنَّ السُّلْطانَ لا يَرْضَى بكَبْس بُيوت النَّاس ، وهَتْك حُرَمِهم ١٠ وسَتْرِهم وإقامَة الشَّناعات . وقامَ من فَوْره إلى السُّلْطان ، وعَرَّفَه ما يكون في فِعْل ذلك من الفَساد الكبير ، وما زالَ به حتى صَرَفَ رأيه عمَّا أشارَ به قَدادار من كَبْس الدُّور ، وأَخَذَ النَّاسُ في مُماقَتَته ، والإخْراق به في كلِّ وقت ، فإنَّه كان يُغْنى بالخازِن ، ولم يعجبه عَزْله عن الولاية .

فكَثُر جَوْر قَدادار ، وزاد تَتَبُّعه للنَّاس ، ونادَى : «أَلَّا يَعْمَل أحَدٌ حَلْقَة في[a] بَيْنَ القَصْرَيْن ولا يَسْمُر هناك» ، وأَمَرَ أَلَّا يخرج أحَدٌ من بيته بعد عِشاء الآخرة ، وأقامَ عنه نائِبًا من بَطَّالي الحُسَيْنِيَّة ١٥ ضَمِنَ المَسْطَبَة منه في كلِّ يوم بثلاث مائة دِرْهَم . وانْحَصَرَ النَّاسُ منه ، وضاقُوا به ذَرْعًا لكثرة ما هَتَكَ أسْتارَهم ، وخَرَقَ بكثير من المستورين . وتَسَلَّطَتِ المُسْتَصْنِعَةُ وأرْبابُ المظالِم على النَّاس ، وكانوا إذا رأوا سَكْرَان أو شَمُّوا منه رائِحَة خَمْرٍ أحْضَروه إليه . فتوقَّى النَّاسُ شَرَّه ، وشَكاهُ الأُمَرَاءُ غير مَرَّة إلى السُّلْطان فلم يَلْتَفِت لما يُقال فيه . والنَّائِبُ مستمِرٌّ على الإخْراق به إلى أن قَبَضَ عليه السُّلْطانُ ، فخَلا الجَوُّ لقَدادار ، وأكثر من سَفْك الدِّماء ، وإتْلاف النُّفُوس ، والتَّسَلُّط على العامَّة ٢٠ لبُغْضهم إيَّاه . والسُّلْطانُ يُعْجِبُه منه ذلك ، بحيث أنَّه أبْرَز مَرْسُومًا لسائِر عُمَّالِه ووُلاته أنَّ أحَدًا منهم لا يَقْتَصُّ ممَّن وَجَب عليه القِصَاص ، في النَّفْس أو القَطْع ، إلَّا أن يُشاوِر فيه ويُطالِع بأمْره ما خَلا قَدادار مُتَوَلِّي[b] القاهِرَة ، فإنَّه لا يُشاوِر على مُفْسِدٍ ولا غيره ، ويَدُه مُطْلَقَةٌ في سائِر النَّاس . فدُهِيَ النَّاسُ منه بعَظائِم ، وشَرَع في كَبْس بُيوت السُّعَداء ، ومَشَت جَماعَةٌ من المُسْتَصْنَعين في

---

a) بولاق : فيما . b) بولاق : مستولي .

البَلَد، /وكَتَبُوا الأوْراق ورَموها في بيوت النَّاس بالتَّهْديد، فكَثُرَت أسْبابُ الضَّرَر، وكَثُرَ بَلاءُ ١٥٠:٢ النَّاس به. وتَعَنَّت على الباعَة، ونادَىٰ: «ألَّا يَفْتَح أحَدٌ حانُوتَه بعد عَشاء الآخرة»، فامتنع النَّاسُ من الخُروج باللَّيْل حتى كانت المَدِينَةُ في اللَّيْل مُوحِشَةً.

واستجدَّ على كلِّ حارَةٍ دَرْبًا، وألْزَمَ النَّاسَ بعمل ذلك، فجُبِيَت بهذا السَّبَب دَراهِمُ كثيرة، ٥ وصارَ الخُفَراءُ في اللَّيْل يَدُورون ومعهم الطُّبُول في كلِّ خُطٍّ، فظَفِرَ بإنسانٍ قد سَرَق شيئًا من بَيْتٍ في اللَّيْل وتَزَيَّا بزِيِّ النِّساء، فسَمَّرَه على باب زَوِيلَة. وما زالَ على ذلك حتى كَثُرَت الشَّناعَةُ، فعَزَلَه السُّلْطانُ في سنة تسعٍ وعشرين بناصِر الدِّين ابن المُحْسِني. فأقامَ إلى أيَّام الحَجِّ وسافَر إلى الحِجاز، ورَجَعَ وهو ضَعِيف، فماتَ في سادس عشر صَفَر سنة ثلاثين وسبع مائة.

قَنْطَرَةُ الكَتَبَة

١٠ هذه القَنْطَرَةُ على الخَلِيج النَّاصِريّ، بخُط بِرْكَة قَرْموط، عُرِفَت بذلك لكثرة من كان يَسْكُن هناك من الكُتَّاب [1]. أنْشَأها القاضي شَمْسُ الدِّين عبد الله بن أبي سَعيد بن أبي السُّرور، الشَّهير بغُبْرِيال بن سَعيد ناظِر الدَّوْلَة، ووَلِيَ نَظَرَ الدَّواوين بدِمَشْق في سنة ثلاث عشرة وسبع مائة، نُقِلَ إليها من نَظَر البُيُوت بديار مصر. ثم اسْتُدْعِي من دِمَشْق، وقُرِّرَ في وَظِيفَة ناظِر النُّظَّار شريكًا للقاضي شِهاب الدِّين الأقْفَهْسي، واستقرَّ كَرِيمُ الدِّين الصَّغير مكانَه ناظِرًا بدِمَشْق، وذلك في ١٥ شهر رَمَضان سنة أربعٍ وعشرين وسبع مائة. ثم صُرِفَ غُبْرِيالَ من النَّظَر بديار مصر، وسُفِّرَ إلى دِمَشْق في ثامِن عشر صَفَر سنة ستٍّ وعشرين، وطُلِبَ كريمُ الدِّين الصَّغير من دِمَشْق. ثم قُرِّرَ في مَكان غُبْرِيالَ في وَظيفَة النَّظَرَ بديار مصر الخَطِيرُ كاتِب أرْغُون أخو المُوَفَّق، وأُعيدَ غُبْرِيالَ إلى نَظَرِ دِمَشْق. وماتَ بدِمَشْق، بعدما صُودِرَ وأُخِذَ منه نحو ألْفي ألْف درهم، في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائة.

٢٠ وأدْرَكْنا الأمْلاكَ منتظمة بجانبي هذا الخَلِيج من أوَّله بمَوْرَدَة البَلاط إلى هذه القَنْطَرَة، ومن هذه القَنْطَرَة إلى حيث يَصُبُّ في الخَلِيج الكبير. فلمَّا كانتِ الحَوادِثُ بعد سنة ستٍّ وثمان مائة

---

[1] قَنْطَرَةُ الكَتَبَة. ذكرها ابنُ إياس (بدائع الزهور ١/١: ٤٥٩) باسم القَنْطَرَة العَشراء؛ ووَرَدَت على خريطة القاهرة التي رسمها علماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم قَنْطَرَة المَغْرِبي [I-15, 360]. ويدلُّ على موضعها اليوم النقطة التي يتلاقى فيها شارع ٢٦ يولية (فؤاد الأوَّل سابقًا) مع شارع طلعت حرب (سليمان باشا سابقًا)، حيث كان يمرُّ الخليجُ النَّاصري. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٨٢-١٨٣هـ° أوَّلًا).

شَرَعَ النَّاسُ في هَدْم ما على هذا الخَليج من المناظِر البَهِجَة والمساكِن الجَليلَة وبَيْع أنْقاضِها، حتى ذَهَب ما كان على هذا الخَليج من المنازِل ما بين قَنطَرَة الفَخْر ـ التي تَقَدَّم ذكرها ـ وآخر خُطِّ بِرْكَة قَرْموط، وأصبحت مُوحِشَةً قَفْراء بعدما كانت مَوَاطِنَ أفْراحٍ ومَغْنَى صَبابات، لا يأويها إلَّا الغِرْبان والبُوم، سُنَّة الله في الذين خلَوا من قَبْل.

قَنطَرَة فَم الخَوْر

المَعْرُوفَة بقَنْطَرَة المَقْسي [a]

هذه القَنطَرَةُ على خَليج فَم الخَوْر، وهو الذي يَخْرُج من بَحْر النِّيل، ويلتقي مع الخَليج النَّاصِريِّ عند الدِّكَّة، فيصيران خَليجًا واحِدًا يَصُبّ في الخَليج الكبير. كان موضعُها جِسْرًا يستند عليه الماءُ إذا بَدَت الزِّيادَةُ إلى أن تَكْمُل أربعة عشر ذراعًا فيُفْتَح، ويمرُّ الماءُ فيه إلى الخَليج النَّاصِريِّ وبِرْكَة الرَّطْليّ، ويتأخَّر فَتْحُ الخَليج الكبير حتى يَرْقَى الماءُ ستة عشر ذراعًا.

فلمَّا انْطَرَدَ ماءُ النِّيل عن البَرِّ الشَّرْقي، بقي تِجاه هذا الخَليج في أيَّام احْتِراق النِّيل رَمْلَةٌ لا يَصِلُ إليها الماءُ إلَّا عند الزِّيادة، وصارَ يتأخَّر دُخولُ الماء في الخَليج مدَّةً، وإذا كُسِرَ سَدُّ الخَليج الكبير عند الوَفاء مَرَّ الماءُ بهذا الخَليج مُرُورًا قليلًا.

وما زال مَوْضِعُ هذه القَنطَرَة سَدًّا إلى أن كانت وَزارَةُ الصَّاحِب شَمْس الدِّين أبي الفَرَج عبد الله المَقْسي، في أيَّام السُّلْطان الملك الأشْرَف شَعْبان بن حُسَيْن، فأنشأ بهذا المكان القَنْطَرَة فعُرِفَت به [1]، واتَّصَلَتِ العَمائِرُ أيضًا بجانبي هذا الخَليج من حيث يبتدئ إلى أن يلتقي مع الخَليج النَّاصِري، ثم خَرِبَ أكثرُ ما عليه من العَمائِر والمساكِن بعد سنة ستٍّ وثمان مائة.

وكان للنَّاس بهذا الخَليج مع الخَليج النَّاصِري في أيَّام النِّيل مُرورٌ في المراكِب للنُّزْهَة يخرجون فيه عن الحَدِّ بكثرة التَّهَتُّك والتَّمَتُّع بكلِّ ما يُلْهي، إلى أن وَلِيَ أمرَ الدَّوْلَة، بعد قَتْل الملك الأشْرَف

---

a) من مسودة الخطط.

---

[1] قنطَرَة فم الخَوْر المعروفة بقَنطَرَة المَقْسي. كانت تَقَع سابقًا) في مواجهة قَنطَرَة الكَتَبَة غرب مبنى مصلحة الشهر في نقطة تقابل شارع رمسيس مع شارع ٢٦ يولية (فؤاد الأوّل العقاري.

شَعْبان بن حسين، الأميران بَرْقُوق وبَرَكَة. فقامَ الشَّيْخُ محمد المعروف بصَائِم الدَّهْر، في مَنْع المراكِب من لمرور بالمتفرِّجين في الخَليج، واسْتَفْتَى شَيْخَ الإسلام سِراج الدِّين عُمَر بن رَسْلان البُلْقيني، فكَتَبَ له بوجُوب منعهم لكثرة ما يُنْتَهَك في المراكِب من الحُرُمات، ويُتَجاهَر به من الفَوَاحِش والمُنْكَرات. فبَرَزَ مَرْسُومُ الأميرين المذكورين بمَنْع المراكِب من الدُّخول إلى الخَليج، ورُكِّبت سِلْسِلَة من حَدِيد[a] على [b]قَنْطَرَة فَم الخَوْر المعروفة[b] بقَنْطَرَة المَقْسي [b]وعلى قَنطَرَة الفَخْر التي على فم الخَليج بمَوْرَدَة الجِبْس أيضًا سِلْسِلَة[b] في شهر رَبيع الأوَّل سنة إحدى وثمانين وسبع مائة، فامتنعتِ المراكِبُ بأسْرِها من عُبُور هذا الخَليج، إلَّا أن يكون فيها غَلَّةٌ أو مَتاعٌ، فقَلِق النَّاسُ لذلك وشَقَّ عليهم.

وقال الشِّهابُ أحمد بن العَطَّار الدُّنَيْسِري في ذلك:

[الطويل]

حَديثُ فَمِ الخَوْر المُسَلْسَل ماؤه ... بقَنْطَرَة المَقْسي قد سارَ في الخَلْقِ

أَلَا فاعْجَبُوا من مُطْلَقٍ ومُسَلْسَلٍ ... يَقُولُ لقد أَوْقَفْتُمُ الماءَ في حَلْقي

وقال:

[الرجز]

تَسَلْسَلَت قَنْطَرَةُ المَقْسي مِمَّـ ... ـا قد جَرَى والمَنْعُ أضْحَى شامِلا

/وقال أَهْلُ طِيبَة في مُجْنهم ... قُومُوا بنا نَقْطَع السَّلاسِلا

ولم تَزَلْ مَراكِبُ الفُرْجَة ممتنعة من عُبُور الخَليج إلى أن زالَت دَوْلَةُ الظَّاهِر بَرْقُوق في سنة إحدى وتسعين وسبع مائة، فأُذِنَ في دُخُولها، وهي مستمِرّة إلى وَقْتِنا هذا[1].

قَنْطَرَةُ باب البَحْر

هذه القَنْطَرَة على الخَليج النَّاصري[2]، يُتَوَصَّل إليها من باب

---

a) من حديد: إضافة من مسودة الخطط. b-b) إضافة من مسودة الخطط.

---

[1] المقريزي: مسودة الخطط ١٧٢و، في ختام الحديث على الخليج النَّاصري؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢:٢٤٢–٢٤٣.

[2] قَنطَرَةُ باب البَحْر. هي نفسها القَنطَرَة المذكورة على الخريطة التي رسمها علماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم قَنْطَرَة اللَّيْمون [D-15, 355]، وكان يقال لها أيضًا قَنْطَرَة المَدْبولي. وكان مكانها يقع في أوَّل شارع سيدي=

البَحْر [١]، ويمرُّ النَّاسُ من فوقِها إلى بُولاق وغيره، وهي مِمَّا أنشأه المَلِكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون عند انْتهاء حَفْر الخَليج النَّاصِريّ في سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائة.

وقد كان مَوْضِعُها في القَديم غامِرًا بالماء عندما كان جامِعُ المَقْس مُطِلًّا على النِّيل، فلمَّا انْحَسَر الماءُ عن بَرِّ القاهِرَة، صارَ ما قُدَّامَ باب البَحْر رَمْلَة. فإذا وَقَفَ الإِنْسانُ عند باب البَحْر رأى البَرَّ الغربي لا يَحُول بينه وبين رؤيته بُنْيانٌ ولا غيره، فإذا كان أَوَانُ زيادَة ماء النِّيل صارَ الماءُ إلى باب البَحْر، ورُبَّما قَلْفَط في بعض السنين خَوْفًا من غَرق المَقْس.

ثم لمَّا طَال المَدَى غَرِقَ خارِجُ باب البَحْر بأرْض باطِن اللُّوق، وغُرِسَ فيه الأَشْجار، فصارَ بَساتِين ومَزارِع، وبقِيَ موضِعُ هذه القَنْطَرَة جُرْفًا، ورَمَى النَّاسُ عليه التُّراب فصارَ كُومًا يُشْنَق عليه أرْبابُ الجَرائِم، ثم نُقِلَ ما هنالك من التُّراب، وأُنْشِئَت هذه القَنْطَرَة، ونُودِي في النَّاس بالعِمارَة. فأَوَّلُ ما بُنِيَ في غَرْبي هذه القَنْطَرَة مَسْجِدُ المَهاميزي وبُسْتَانُه، ثم تتابَع النَّاسُ في العِمارَة حتى انتظم ما بين شَاطِئ النِّيل ببُولاق وباب البَحْر عَرْضًا، وما بين مُنْشأة المَهْراني ومُنْيَة الشَّيرج طُولًا، وصارَ ما بجانبِي الخَلِيج مَعْمُورًا بالدُّور، ومن وَرائِها البَساتِين والأَسْواق والحَمَّامات والمساجِد، وتُقُسِّمَتِ الطُّرُق، وتعدَّدتِ الشَّوارِع، وصارَ خارِجَ القاهِرَة من الجِهَة الغربية عِدَّةُ مَدائِن.

قَنْطَرَةُ الحَاجِب

هذه القَنْطَرَةُ على الخَلِيج النَّاصِريّ، يُتَوَصَّل إليها من أرْض الطَّبَّالة، ويَسير النَّاسُ عليها إلى مُنْيَة الشَّيرج وغيرها [٢]. أنشأها الأميرُ سَيْفُ الدِّين بَكْتَمُر الحاجِب في سنة ستٍّ وعشرين وسبع

= المَدْبولي (شارع الجلاء الآن) من جهة ميدان رمسيس حيث كان الخليجُ النَّاصري يمرّ في تلك الجهة.

ولمَّا أُنشئت التُّرعةُ الإسماعيلية كان فَمُها يأخذ من النيل بَحْري المنطقة التي يقع عليها الآن فندق النيل هيلتون، وكانت تمرّ محاذيةً لشارع رمسيس. وبعد أن تخترق ميدان رمسيس تسير شمالًا إلى الأميرية. وقد أُقيم على هذه الترعة كوبري للمرور، بين موضع ميدان رمسيس وموضع ميدان محطة مصر، عُرِفَ بكوبري اللَّيمون لقربه من قَنْطَرَة اللَّيمون المذكورة، وقد انْدَثر هذا الكوبري مع رَدْم التُّرعَة الإسماعيلية ونُقِل فمها إلى جوار منطقة شبرا الخيمة، وإلى هذا الكوبري كانت تنسب محطة كوبري الليمون التي كانت بميدان رمسيس وحَلَّ محلها الآن مبنى هيئة مترو الأنفاق. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٨٢-١٨٣هـ [٥] ثانيا).

[١] انظر عن باب البَحْر، فيما تقدم ٣١٥هـ [٣].

[٢] قَنْطَرَةُ الحاجِب: هي نفسها القَنْطَرَة المذكورة على الخريطة التي رسمها علماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم قَنْطَرَة البَكْرِيَّة [A-8, 424] نسبةً إلى جامع الشَّادَة =

مائة ، وذلك أنّه كانت أرْضُ الطَّبَّالَة بيده . فلمّا شَرَعَ السُّلْطانُ الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون في حَفْر الخَلِيج النَّاصِريِّ الْتَمَسَ بَكْتَمُر من المهندسين ، إذا وَصَلُوا بالحَفْر إلى حيث الجُرْف ، أن يَمُرُّوا به على بِرْكَة الطَّوَّايين التي تُعْرَف اليوم بِبِرْكَة الرَّطْلي ، وينتهوا من هناك إلى الخَلِيج الكبير ، فَفَعَلوا ذلك . وكان قَصْدُهم أوَّلًا أنّه إذا انتهى الحَفْرُ إلى الجُرْف مَرُّوا فيه إلى الخَلِيج الكبير من طَرَف البَغْل .

فلمّا تَهَيَّأ لبَكْتَمُر ذلك ، عُمِّرَت له أراضي الطَّبَّالَة ، كما يأتي ذكرها إن شاءَ الله عند ذِكْر البِرَك [1] ، فعَمُرَت هذه القَنْطَرَة في سنة خمسٍ وعشرين وستّ مائة ، وأَسْنَد إليها جِسْرًا جَعَلَه حاجِزًا بين بِرْكَة الحاجِب المعروفة بِبِرْكَة الرَّطْلي وبين الخَلِيج النَّاصِريِّ ، وسيرد ذكره إن شاءَ الله عند ذِكْر الجُسُور [2] .

ولمَّا عَمُرَت هذه القَنْطَرَة اتَّصَلَت العَمائِر فيما بينها وبين كُوم الرِّيش ، وعُمِّر قُبالَتَها رَبْعٌ عُرِفَ بِرَبْع الزَّيْتي [3] . وكان على ظَهْر القَنْطَرَة صَفَّان من حَوانيت ، وعليها سَقِيفَةٌ تَقِي حَرَّ الشَّمْسِ وغيره . فلمّا غَرِق كُوم الرِّيش في سنة [a] وستين وسبع مائة ، صارَ هذا الكُوم الذي خارج القَنْطَرَة . ومن تحت هذه القَنْطَرَة يَصُبّ الخَلِيجُ النَّاصِريُّ في الخَلِيج الكبير ، ويمرّ إلى حيث القَنْطَرَة الجَدِيدَة وقَناطِر الإوَزّ وغيرها كما تقدَّم ذكره .

قَنْطَرَةُ الدِّكَّة

هذه القَنْطَرَةُ كانت تُعْرَف بقَنْطَرَة الدِّكَّة ، ثم عُرِفَت بقَنْطَرَة التُّرْكُماني ؛ من أجْل أنَّ الأميرَ بَدْر الدِّين [b] التُّرْكُماني عَمَّرَها . وهذه القَنْطَرَةُ كانت على خَليج الذَّكَر ، وقد انْطَمَّ ما تحتها ، وصارَت مَعْقودَةً على التُّراب لتَلافِ خَليج الذَّكَر [4] .

a) بياض في الأصول ، وفي بولاق : بضع . b) بياض في الأصول .

= البَكْرية الموجود بجوارها . ومكانها الآن بشارع البكرية على بعد نحو ثلاثين مترًا من نقطة تقابله بشارع الظاهر حيث كان الخليجُ النَّاصري يمرُّ بهذه الجهة . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٨٢-١٨٣هـ° ثالثًا) .

[1] فيما يلي ٥٤٠.
[2] فيما يلي ٥٥٢ .
[3] فيما تقدم ٢٥٦.
[4] قَنْطَرَةُ الدِّكّة . أعاد الأمير أَزْبَك من طُطُخ تعمير =

ولله دَرُّ إبراهيم المِعْمار حيث يقول :

[السريع]

يا طالِبَ الدِّكَّة نِلْتَ الهَنَا(c) وفُزْتَ منها ببُلُوغ الوَطَر
قَنطَرةٌ من فَوْقِها دِكَّةٌ من تَحْتِها تَلْق خَليج الذَّكَر

قَناطِر بَحر أبي المُنَجَّا

هذه القَناطِرُ من أعْظَم قَناطِر مصر وأكبرها [1]، أنشأها السُّلْطانُ الملكُ الظَّاهِر رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري في سنة خمسٍ وستين وست مائة ، وتولَّى عِمارَتَها الأميرُ عِزُّ الدِّين أَيْبَك الأَفْرَم(d) [2].

قَناطِر الجيزة

قال في كِتاب «عَجائِب البُنْيان» [3]: إنَّ القَناطِرَ الموجودة اليوم في الجِيزَة من الأبنية العَجيبَة ،

---

c) بولاق : المنى . d) هنا على هامش آياصوفيا : بياض أربعة أسطر .

= هذه القَنْطَرة وأعاد حَفْر الخليج وجعله يصبّ في بركة الأزبكية التي أنشأها عِوَضًا عن بركة بَطْن البقرة وعرف باسم خليج الأزبكية (ابن إياس : بدائع الزهور ٣ : ١١٧). وذكرت القنطرة بنفس الاسم على خريطة القاهرة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ (F-14, 350). ثم زالت القَنْطَرةُ نهائيًّا هي والخليج في مشروع تطوير منطقة الأزبكية في عهد الخديو إسماعيل (Behrens-Abouseif, D., *op.cit.*, p. 5, 12). وكانت قَنْطَرةُ الدِّكَّة تقع في النقطة التي يلتقي عندها الآن شارع قنطرة الدكة مع شارع الجمهورية . (محمد الششتاوي : متنزهات القاهرة ٢٢١–٢٢٢).

وعن الأمير بَدْر الدِّين التُّرْكماني ، انظر فيما يلي ٢ : ٣١٣.

[1] قَناطِر بَحْر أبي المُنَجَّا . وَصَفَها أبو المحاسن بأنّها «من المباني العجيبة في الحُسْن والإتْقان» (النجوم الزاهرة ٧ : ١٤٨، ١٩٣)؛ وانظر عن بحر أبي المُنَجَّا (المعروف الآن بترعة الشَّرْقاوية) فيما تقدم ٢ : ٥٨٤–٥٨٧). وكانت هذه القَناطر قد تَشَعَّثَت وآلَت إلى السُّقوط ، فأمَرَ السُّلْطانُ الأشْرَف قايتْباي بتجديد عمارتها في جمادى الآخرة سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٧م ، بإشراف البَدْري حسن بن الطُّولوني ، وتكلَّف ذلك سبعة آلاف دينار (ابن إياس : بدائع الزهور ٣ : ٢٤٠). وما تزالُ بقايا هذه القناطر موجودةً إلى الآن غربي المساكن القائمة بناحية ميت نَمَا بمركز قَلْيوب وسط أرضٍ زراعية ومزيَّنة بِعِدَّةٍ من صُوَر السِّباع ، رَنْك الملك الظاهر بيبرس . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧ : ١٤٨هـ ٤، ٩ : ١١٤ ؛ Creswell, K. A. C., «The Works of Sultan Bibars al-Bunduqdârî in Egypt», *BIFAO* XXVI (1926), pp. 143-54; id., *MAE* II, pp. 148-54 (وانظر اللوحة).

[2] ابن دقماق : الانتصار ٥ : ٤٤٧؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١ : ٤٧٠.

[3] هذا الكتاب لشافع بن عليّ (انظر مقدمة المجلّد =

ومن أعْمَال الجَبَّارين، وهي نَيِّف وأربعون قَنْطَرَةً، عَمَّرَها الأميرُ قَرَاقُوش الأَسَدي - وكان على العَمائِر في أيَّام السُّلْطان صَلاح الدِّين يوسُف بن أيُّوب - بما هَدَمَه من الأهْرام التي كانت بالجِيزَة، وأَخَذَ حَجَرَها فبَنَى منه هذه القناطِر، وبَنَى سُورَ القَاهِرَة ومِصْر وما بينهما، وبَنَى قَلْعَةَ الجَبَل[١]. وكان خَصِيًّا رُومِيًّا سامي الهِمَّة، وهو صاحِبُ الأحْكام المشهورة والحكايات المذكورة، وفيه صُنِّفَ الكِتابُ المشهور المُسَمَّى بـ«الفَاشُوش في أحْكَامِ قَرَاقُوش»[٢].

وفي سنة سبع[a] وتسعين وخمس مائة، تولَّى أَمْرَ هذه القَناطِر من لا بَصيرَة عنده، فسَدَّها رَجاءَ أن يَحْبِس الماءَ، فقَوِيَت عليها جَرْيَةُ الماء فزَلْزَلَت منها ثَلاث قَناطِر وانْشَقَّت، ومع ذلك فلم يَرْوِ ما رَجا أن يَرْوِي[٣].

وفي سنة ثمانٍ وسبع مائة رَسَمَ الملكُ المُظَفَّرُ بَيْبَرْس الجاشَنْكير برَمِّها، فعَمَّر/ ما خَرِبَ منها، وأَصْلَحَ ما فَسَد فيها، فحَصَلَ النَّفْعُ بها[٤].

وكان قَرَاقُوش لمَّا أرادَ بِناءَ هذه القَناطِر بَنَى رَصيفًا من حِجارَة ابتدأ به مِن حَيِّز النِّيل بإزاء مَدينَة مصر، كأنَّه جَبَلٌ مُمْتَدٌّ على الأرض مَسيرَة ستة أميال، حتى يَتَّصِل بالقَناطِر[b][٥].

a) بولاق: تسع. b) هنا في هامش آياصوفيا بياض عشرة أسطر وصفحة.

= الأوَّل ٨٦ ب).

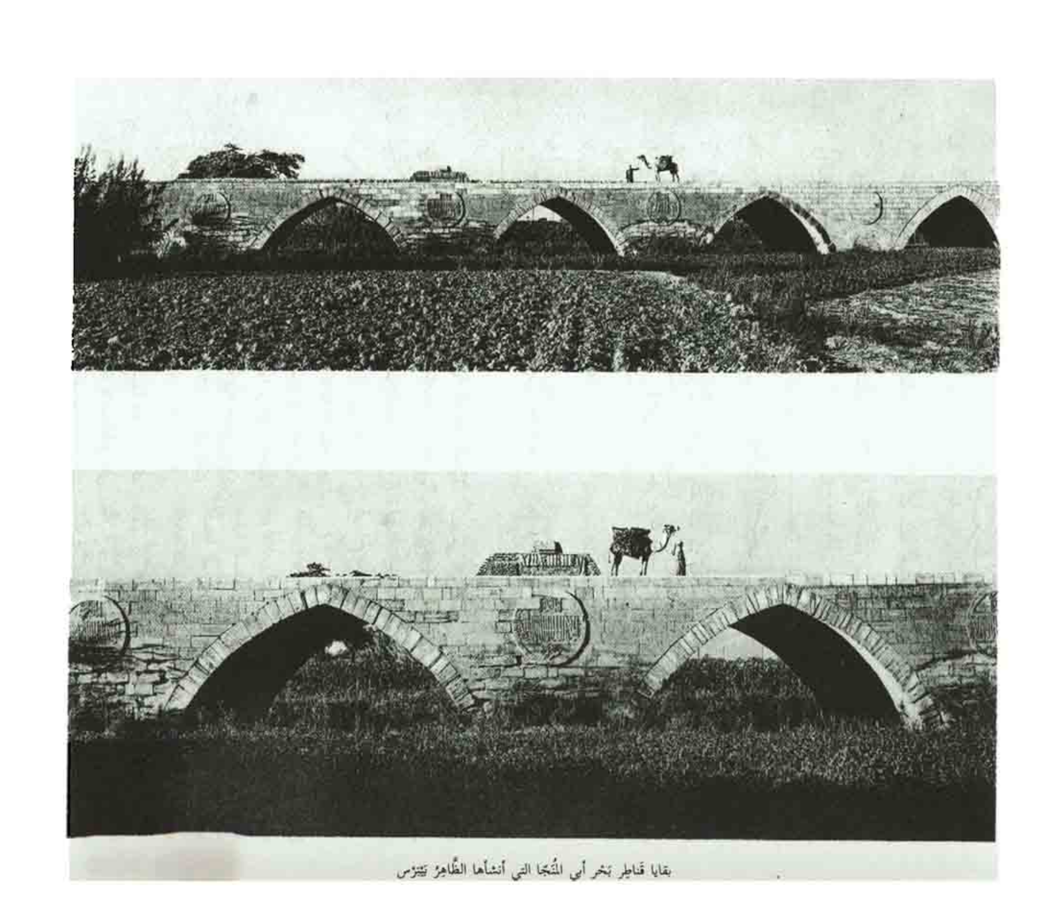
[١] انظر فيما تقدم ١: ٣٠٠، ٣٢٥.

[٢] هذا الكتاب من تأليف الأسْعَد بن مَمَّاتي، وانظر عن بهاء الدِّين قراقوش فيما تقدم ٣٠٨هـ[٢].

[٣] عبد اللطيف البغدادي: الإفادة والاعتبار ٤٤-٤٥.

[٤] بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة ٤٠٧؛ المقريزي: السلوك ٢: ٤٩.

[٥] كانت قناطر الجيزة مكونة من جملة عيون أغلبها مَسْدود تحت شارع الهَرَم الآن والجزء المفتوح منها كان حتى العقد الرابع من القرن العشرين يَمُرّ منه مجرور بحر اللبيني الذي كان يقع غربي مصرف المحيط تحت شارع الهرم وعلى بُعْد ١٥٠٠متر من الجهة الشرقية للأهرام بأراضي ناحية نَزْلَة السَّمَّان. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٦:١٧٧هـ[١]).



بقايا قناطر بحر أبي المُنَجّا التي أنشأها الظّاهرُ بَيبَرس

ذِكْرُ البِرَك [1]

قال ابنُ سِيدَه: البِرْكَةُ مُسْتَنْقَع الماء، والبِرْكَةُ شِبْه حَوْض يُحْفَر في الأرض [2]. انتهى.

وقد رأيتُ بخَطٍّ مُعْتَبَر ما مِثاله «ومَلأُوا البِرْكَةَ ماءً» فنَصَبَ الباءَ وكَسَرَ الرَّاء وفَتَحَ الكاف والتَّاء [a].

بِرْكَةُ الحَبَش

هذه البِرْكَة كانت تُعْرَف ببِرْكَةِ المَعَافِر، وتُعْرَف ببِرْكَةِ حِمْيَر، وتُعْرَف أيضًا باسْطَبْل قُرَّة، وعُرِفَت أيضًا باسْطَبْل قاش [b] [3]. وهي من أشْهَر بِرَك مصر، وهي في ظاهِر مدينة الفُسْطاط من قِبْليها فيما بين الجَبَل والنِّيل [4].

---

a) هنا على هامش آياصوفيا: بياض أربعة أسطر. b) بولاق: قامش.

---

[1] راجع كذلك، محمد الششتاوي: متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، ٩٠- ١٨٦.

[2] ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم ٧: ٢٣.

[3] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٥٥.

[4] بِرْكَةُ الحَبَش. كانت تقعُ جنوب مَدينَة الفُسْطاط بين النِّيل والجَبَل المُقَطَّم، وَصَفَها ياقوت الحموي في مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بأنَّها من أجَلّ مُتَنَزَّهات مصر وقال: «رأيتُها وليست ببِرْكَةٍ للماء وإنَّما شُبِّهَت بها»، لأنَّ أكثر ما يُحيط بها عالٍ عليها فإذا امتلأت بماء النِّيل وَقْت زيادته أشْبَهَت البِرْكَة. (معجم البلدان ١: ٤٠١).

وعلى ذلك فهي لم تكن بِرْكَةً عميقةً فيها ماءٌ راكِد بالمعنى المفهوم الآن من لَفْظ بِرْكَة، وإنَّما كانت تُطْلَق على حَوْضٍ من الأراضي الزراعية التي يغمرها ماءُ النِّيل وقت فَيَضانه سنويًّا بواسطة خليج بني وائل - الذي كان يأخذ ماءَه من النِّيل جنوبي الفسطاط، فكانت الأرض وقت أن يَغْمرها الماءُ تُشبه البِرَك ولهذا سُمِّيَت بِرْكَة. وبعد أن ينتهي فيضانُ النِّيل ويُصْرَف الماءُ عنها تنكشف أرضُها ولا تحتاج إلى الحَرْث لِلينها بل تُلاقُ لَوْقًا وتُزْرَع أنْواعًا شتوية.

وكانت هذه البِرْكَةُ تَشْغَل مِساحةً قدرها نحو ١٥٠٠ فَدَّان: منها ٢١٣ فَدَّانًا هي مجموع الزِّمام الذي كان يُزْرَع من أراضي قرية دَيْر الطِّين (اسْطَبْل عَنْتَر)، والباقي من زمام ناحية البَساتين شمال ضاحية المعادي الحالية. وتُحَدُّ هذه المنطقة اليوم من الشمال بصحراء القرافة الكبرى وجَبَل الرَّصْد المعروف بجبل اسْطَبْل عَنْتَر وأرض قرية أثَر النَّبي في الحدّ الفاصل بينها وبين دَيْر الطِّين، ومن الغرب جسر النِّيل بين إسْطَبْل عنتر وضاحية المعادي، ومن الجنوب والشَّرْق باقي أراضي ناحية البساتين. (تعليقات واستدراكات محمد رمزي على النجوم الزاهرة ٥: ١٤هـ، ٦: ٣٨١- ١٣٨٣ محمد الششتاوي: متنزهات القاهرة ٩٠-٩٧).

وكانت من المَوات، فاسْتَنْبَطها قُرَّةُ بن شَريك العَبْسي[a] أمير مصر، وأحْياها وغَرَسَها قَصَبًا، فعُرِفَت باسْطَبْل قُرَّة، وعُرِفَت أيضًا باسْطَبْل قاش[b] [1]، وتنقَّلَت حتى صارَت تُعْرَف ببِرْكَة الحَبَش. ودَخلَت في مِلْك أبي بكر الماذَرائي فجَعَلَها وَقْفًا، ثم أُرْصِدت لبني حَسَن وبني حُسَين ابنيْ عليّ بن أبي طالِب - رضي الله عنهم - فلم تَزَل جارِيةً في الأَوْقاف عليهم إلى وَقْتِنا هذا.

٥ قال أبو عُمرَ[c] الكِنْدي في «كِتاب الأُمَرَاء»: وقَدِمَ قُرَّةُ بن شَريك من وِفادته في سنة ثلاثٍ وتسعين، فاسْتَنْبَط الاسْطَبْل لنَفْسه من المَوات، وأحْياه وغَرَسَه قَصَبًا. فكان يُسَمَّى إسْطَبْل قُرَّة، ويُسَمَّى أيضًا إسْطَبْل القاش[b] - يَعْنون القَصَب - كما يقولون: قاش[b] مَرْوان [2].

وقال أبو القاسِم عبد الرَّحْمَٰن بن عبد الله بن عبد الحَكَم في كِتاب «فُتوح مِصْر»: وكان الاسْطَبْلُ للأَزْد، فاشْتَراه منهم الحكَمُ بن أبي بكر بن عبد العَزيز بن مَرْوان بن الحكَم فبَنَاه. وكان

١٠ يُجْري على الذي يَقْرأ في المُصْحَف الذي وَضَعوه في المَسْجد - الذي يُقال له «مُصْحَف أَسْمَاء»[3] - من كِراه في كلِّ شهر ثلاثة دنانير. فلمَّا حِيزَت أمْوالُهم - يَعْني أمْوال بني أُمَيَّة -، وضُمَّت إلى مالِ الله، حِيز الاسْطَبْلُ فيما حِيز. وكُتِبَ بأَمْر المُصْحَف إلى أمير المؤمنين أبي العَبَّاس السَّفَّاح، فكَتَبَ «أن أقِرُّوا مُصْحَفَهم في مَسْجدهم على حالِه، وأَجْروا على الذي يَقْرأ فيه ثَلاثَة دنانير من مالِ الله في كلِّ شَهْر[d]» [4].

١٥ وقال القُضَاعِيّ: بِرْكَةُ الحَبَش كانت تُعْرَف ببِرْكَة المَعافِر وحِمْير، وتُعْرَف باسْطَبْل قاش[b]، وكانت في مِلْك أبي بكر محمد بن عليّ الماذَرائي بجَميع ما تشتمل عليه من المَزارِع والجِنان خَلا الجِنان التي في شَرْقيها، وأظنُّها الجِنان المنسوبة إلى وَهْب بن صَدَقَة وتُعْرَف بالحَبَش، فإنِّي رأيتُ في شَرْطِ هذه البِرْكَة «أنَّ الحَدَّ الشَّرْقي ينتهي إلى الفَضَاء الفاصِل بينها وبين الجِنَان المعروفة بالحَبَش»، فدَلَّ على أنَّ الجِنانَ خارِجةٌ عنها [5].

---

a) بولاق: العنبسي. b) بولاق: قامش. c) بولاق: بكر. d) بولاق: في كل شهر من مال الله تعالى.

---

[1] حاشية بخطّ المؤلِّف: «قاس بقاف ثم سين مهملة - وقيل معجمة - هو قاس بن دريم بن ... بن ... بن نَهْران عمرو ابن الحارث بن قُضاعَة تنسب إليه قبيلة في ... في قُضاعَة من قبائل يمن منهم: المِقْداد بن الأسْوَد الكندي من الصحابة».

[2] الكندي: ولاة مصر ٨٦؛ وفيما تقدم ٢: ٤٩.

[3] انظر عن مصحف أسماء فيما يلي ٢: ٢٥٤.

[4] ابن عبد الحكم: فتوح مصر ١١٧.

[5] ياقوت: معجم البلدان ١: ٤٠١؛ ابن دقماق:=

وذَكَرَ ابنُ يُونُس في «تاريخه» أنَّ في قِبْلي بِرْكَة الحَبَش جِنانًا تُعْرَف بِقَتادَة بن قَيْس بن حَبَشي الصَّدَفي، شَهِدَ فَتْحَ مصر، والجِنانُ تُعْرَف بالحَبَش، وبه تُعْرَف بِرْكَة الحَبَش[1]. وذَكَرَ بعد هذا الشَّرْط أنَّ الحَدَّ البَحْري ينتهي إلى البِئْر الطُّولونِيَّة، وإلى البِئْر المعروفة بمُوسَىٰ بن أبي خُلَيْد، وهذه البِئْرُ هي البِئْرُ المعروفة بالنَّعْش.

ورأيتُ في كِتاب شَرْط هذه البِرْكَة: أنَّها مُحَبَّسَة على البِئْرَيْن اللتين اسْتَنْبَطَهما أبو بكر الماذَرائي، في بني وائِل، بحَضْرَة الخَليج[2]، والقَنْطَرَة - المعروفة إحداهُما بالغَدَق[a] والأخرى بالعَقيق[b] - وعلى السَّرْب الذي يدخُل منه الماءُ إلى البِئْر الحِجارَة - المعروفة بالرَّواء - التي في بني وائِل[3]، ذات القَناطِر التي يجري فيها الماءُ إلى المَصْنَعَة التي بحَضْرَة العَقَبَة التي يُصارُ منها إلى يَحْصُب - وهي المَصْنَعَة المعروفة بدَليلَه - وعلى القَنَوات المتَّصلة بها التي تَصُبّ إلى المَصْنَعَة ذات العُمُد الرُّخام القائمة فيها، المعروفة بسُمَيْنَة، وهي التي في وَسَط يَحْصُب. ويُقالُ إنَّ هناك كانت سُوقٌ ليَحْصُب. وذَكَرَ في هذا الشَّرْط دارًا له في مَوْضِع السِّقاية المعروفة بسِقاية زُوف، وشَرَطَ أن تَنْشأ هذه الدَّار مَصْنَعَةً على مثل المَصْنَعَة[c] المقدَّم ذكرها المعروفة بسُمَيْنَة - وهي سِقاية زُوف اليوم - وعلى القَنَاة التي يَجْري فيها الماءُ إلى مَصْنَعَةٍ ذَكَرَ أنَّه كان أنشأها عند البِئْر المعروفة اليوم بِبِئْر القُبَّة، والحَوْض الذي هناك بحَضْرَة المَسْجِد المعروف بمَسْجِد القُبَّة. وكانت هذه المَصْنَعَةُ تسمَّى رَيّا.

وجَعَلَ هذا الحَبْس أيضًا على البِئْر التي له بالحَبَّانِيَّة بحَضْرَة الخَنْدَق. وذَكَرَ أنَّها تُعْرَف بالعَتَّابِيَّة[d]، وأنَّ ماءَها يجري إلى المَصْنَعَةِ المقابلة للمَيْدان[4] من دار الإمارَة في طَريق المُصَلَّىٰ القَديم[5]، ثم إلى المَصْنَعَة التي تحت مَسْجِده المقابِل لدار عبد العَزيز، ثم إلى المِصْنَعَةِ المقابلة لمَسْجِد

---

a) بولاق: الفندق. b) بولاق: العتيق. c) بولاق: هذه المصنعة. d) بولاق: القبانية.

= الانتصار ٤: ٥٥ (ومصدرهما أيضًا القضاعي).

[1] ابن يونس: تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين) ٣٩٩؛ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٥٥؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٣٦.

[2] حاشية بخطّ المُؤَلِّف: «هذا الخليج كان عند باب مصر المعروف اليوم بباب القنطرة».

[3] «خِطَّة بني وائل كانت خارج باب القنطرة بمصر».

[4] حاشية بخط المُؤَلِّف: «المَيْدان ودار الإمارَة في الفضاء الذي بين جامع ابن طولون وكُوم الجارح».

[5] حاشية بخطّ المُؤَلِّف: «المُصَلَّىٰ القَديم موضع الكوم المطِلّ اليوم على قَبْر القاضي بَكّار».

التُّرْبَة المجاورة لمَسْجِد الأَخْضَر، وتاريخ هذا الشَّرْط شهر رَمَضَان سنة سبع وثلاث مائة.

وجَعَلَ ما يَفْضُل عن جَميع ذلك مَصْروفًا في ابْتِياع بَقَرٍ وكِباشٍ تُذْبَح ويُطْبَخ لَحْمُها، ويُبْتاع أيضًا معها خُبْزُ بُرٍّ ودَراهم وأَكْسِيَة وأَعْبية، ويُتَصَدَّق بذلك على الفُقَراء والمساكين بالمعافِر[1] وغيرها من القَبائِلِ بمصر. وكان بناؤه السِّقايتين اللتين بالمَوْقِف[2]، والسِّقايات التي بالمَعافِر ويزُوف ويَحْصُب وبني وائِل، وعَمِلَ المجاري في سنة أَرْبع، وقيل في سنة ثلاثٍ وثلاث مائة. وقد حَبَسَ أبو بكر على الحَرَمَيْن ضِياعًا كان ارْتِفاعُها نحو مائة أَلْف دينار، منها شيوط وأعمالِها وغيرها. انتهى.

وفي «تواريخ النَّصارَىٰ» أنَّ الأميرَ أحمد بن طُولُون صادَر البَطْريق ميخائيل بَطْرَك اليَعاقِبَة على عشرين ألف دينار. فباعَ/ النَّصارَىٰ رِباعَ الكَنائِس بالإسْكَنْدَرية، وأرْضَ الحَبَش بظاهِرِ مصر، والكَنيسَة المجاوِرَة للمُعَلَّقَة بقَصْر الشَّمْع بمصر لليَهود. قلتُ: هكذا في تَواريخِهم، ولا أَعْلَمُ كيف مَلَكُوا أرْضَ الحَبَش، فلعلَّ الماذَرائي هو الذي اشْتَراها ثم وَقَفَها.

وقال ابنُ المُتَوَّج: بِرْكَةُ الحَبَش، هذه البِرْكَةُ مشهورةٌ في مَكانِها. وقد اتَّصَلَ ثُبُوتُ وَقْفِها عند قاضي القُضَاة بَدْر الدِّين أبي عبد الله محمد [بن إبراهيم] بن سَعْد الله بن جَماعَة، على أنَّها وَقْفٌ على الأَشْراف الأقارِب والطَّالِبِيين نِصْفَيْن بينهما بالسَّوِيَّة: النِّصْفُ الأوَّل على الأقارِب، والنِّصْفُ الآخَر على الطَّالِبِيين[3].

وثَبَتَ قَبْلَه عند قاضي القُضَاة بَدْر الدِّين أبي المحاسِن يُوسُف بن الحَسَن السِّنْجاري، أنَّ النِّصْفَ منها وَقْفٌ على الأَشْراف الأقارِب بالاسْتِفاضَة، بتاريخ ثاني[a] عشر رَبيع الآخَر[b] سنة أربعين وستّ مائة ـ وهم الأقارِب الحُسَيْنيون ـ وهو إذ ذاك قاضي القُضَاة بالقاهِرَة والوَجْه البَحْري وما مَعَ ذلك من البِلاد الشَّامية المُضافَة إلى مُلْك الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب.

وثَبَتَ عند قاضِي القُضَاة عِزّ الدِّين عبد العَزيز بن عبد السَّلام، وكان قاضي القُضَاة بمصر والوَجْه القِبْلي وخَطيب مصر، بالاسْتِفاضَة أيضًا أنَّ البِرْكَة المذكورة وَقْفٌ على الأَشْراف الطَّالِبِيين، بتاريخ التاسِع والعشرين من شهر رَبيع الآخَر سنة أربعين وستّ مائة.

---

a) بولاق: ثالث. b) بولاق: الأوَّل.

---

[1] حاشية بخطّ المؤلِّف: «المعافِر عند القناطِر التي بالقَرافَة الكبرىٰ وهي كانت يُنْقَل الماء عليها من بِئر عَفْصَة إلى بِرْكَة الحَبَش».

[2] والمَوْقِف منه جامع ابن طولون».

[3] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٥٥-٥٦.

وبعدهما قاضي القُضَاة وَجيه الدِّين المُهَلَّبي[a] في وِلايَتِه.

ثم نَفَّذَهما بعد تنفيذ وَجِيه الدِّين المذكور، في شَعْبان سنة ثلاث عشرة وسبع مائة، قاضي القُضَاة بَدْر الدِّين أبو عبد الله محمد بن جَماعَة، وهو حاكِم الدِّيار المصرية، خَلا ثَغْر الإسْكَنْدَرية. ويأتي أصْلُ خَبَرِ هذه البِرْكَة مُبَيَّنًا مَشْروحًا من أصْلها في مَكانِه إن شاءَ الله تعالى.

قال: فمن جُمْلَة الأوْقاف بِرْكَة الأشْراف المشهورة بِبِرْكَة الحَبَش. وهذه البِرْكَةُ حُدودُها أربعة: الحَدُّ القِبْلي ينتهي بعضُه إلى أرْض العَدَوِيَّة يَفْصِل بينهما جِسْرٌ هناك، وباقيه إلى غِيطان بَساتين الوَزير. والحَدُّ البَحْري ينتهي بعضُه إلى أبنية الآدُرّ التي هناك المُطِلَّة عليها، وإلى الطَّريق وإلى الجِسْر الفاصِل بينها وبين بِرْكَة الشُّعَيْبِيَّة. والحَدُّ الشَّرْقي إلى حدِّ بَساتين الوَزير المذكورة. والحَدُّ الغَرْبي ينتهي بعضُه إلى بَحْر النِّيل وإلى أراضي دَيْر الطِّين، وإلى بَعْض حُقُوق جَزيرَة ابن الصَّابوني وجِسْر بُسْتان المَعْشوق[1] الذي من حُقُوق الجَزيرَة المذكورة.

وهذه البِرْكَة وَقْفُ الأشْراف الأقارِب والطَّالبيين، نِصْفَيْنِ بينهما بالسَّوِيَّة، والذي شاهَدْته من أمْرها أنّي وَقَفْتُ على إسْجال قاضي القُضَاة بَدْر الدِّين أبي المحاسِن يُوسُف السِّنْجاري تاريخُه ثاني عشر رَبيع الآخَر سنة أربعين وستّ مائة - وهو حينذاك حاكِم القاهِرَة والوَجْه البَحْري - على مَحْضَر شَهِد فيه بالاسْتِفاضَة أنَّ نِصْفَ هذه البِرْكَة وَقْفٌ على الأشْراف الأقارِب الحُسَيْنيين، وثَبَتَ ذلك عنده.

ورَأَيْت إسْجَال الشَّيْخ قاضي القُضَاة عِزّ الدِّين عبد العزيز بن عبد السَّلام على مَحْضَر شَهِدَ فيه بالاسْتِفاضَة - وهو حين ذلك قاضي مصر والوَجْه القِبْلي - وأَشْهَد عليه أنَّه ثَبَتَ عنده أنَّ البِرْكَة المذكورة جَميعَها وَقْفٌ على الأشْراف الطَّالِبيين، وتاريخ إسْجالِه التاسع والعشرون من شهر رَبيع الآخَر سنة أربعين وستّ مائة. ثم نَفَّذَهما جَميعًا في تاريخ واحِدٍ قاضي القُضَاة وَجيه الدِّين البَهْنَسي، وهو قاضي القُضَاة حينذاك، ثم نَفَّذَهما قاضي القُضَاة بَدْر الدِّين أبو عبد الله محمد ابن جَماعَة، وهو قاضي القُضَاة بالدِّيار المصرية.

---

a) بولاق: البَهْنَسي، وهو وَجيه الدِّين أبو محمد عبد الوهاب بن الحسين بن عبد الوهاب المُهَلَّبي البَهْنَسي الشَّافعي، المتوفى سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م. (السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٨: ٣١٧-٣١٨).

---

[1] حاشية بخَطّ المُؤَلِّف: «بُستان المَعْشوق هو اليوم تجاه رِباط الآثار النَّبَوِيَّة جارٍ في وَقْفِه».

واسْتَقَرَّ النِّصفُ من رِيع هذه البِرْكَة على الأشْراف الأقارِب مع قِلَّتهم ، والنِّصْف على الأشْراف الطَّالِبيين مع كَثْرتهم . وتنازَعوا غير مرَّة على أن تكون بينهم الجَميع بالسَّوِيَّة فلم يَقْدروا على ذلك ، وعُقِدَ لهم مَجْلِسٌ غير مرَّة فلم يقدروا على تَغْييره .

وأَحْسَن ما وُصِفَت به بِرْكَةُ الحَبَش قَوْلُ عيسىٰ بن مُوسىٰ الهاشِمي أمير مصر ، وقد خَرَج إلى المَيْدان الذي بطَرَف المقابِر ، فقال لمن معه : أتتأمَّلون الذي أرَى ؟ قالوا : وما الذي يَرَى الأمير ؟ قال : أَرَى مَيْدانَ رِهان [١] ، وجِنانَ نَخْل ، وبُسْتانَ شَجَر ، ومنازِلَ سُكْنَى ، وذُرْوةَ جَبَلٍ ، وجَبَّانَةَ أَمْوات ، ونَهْرًا عُجَاجًا ، وأرْضَ زَرْعٍ ، ومَراعي ماشِية ، ومَرْتَعَ خَيْل ، وساحِلَ بَحْر ، وصَائِد نَهْر ، وقانِصَ وَحْش ، ومَلَّاح سَفينَة ، وحادي إبِل ، ومفازَة رَمْل ، وسَهْلًا وجَبَلًا ، فهذه ثمانية عشر متنزَّهًا في أَقَلَّ من ميلٍ في ميل .

وأين هذه الأوْصافُ من وَصْفِ بعضهم قَصْرَ أَنَسٍ بالبَصْرَة في قَوْله :

[البسيط]

زُرْ واديَ القَصْر ، نِعْمَ القَصْرُ والوادي ... لا بُدَّ من زَوْرَةٍ من غير مِيعادِ
زُرْهُ فلَيْس له شيءٌ يُشاكِلُه ... من مَنْزِلٍ حاضِرٍ إن شِئْتَ أو بادي
تَلْقَى به السُّفْنَ والأعْياسَ حاضِرَة ... والضَّبَّ والنُّونَ والمَلَّاحَ والحادي

(a وقال :

[البسيط]

زُرْ وادِيَ القَصْر ، نِعْم القَصْرُ والوَادي ... وحبَّذا أَهْلُه من حاضِرٍ بادي
تَلْقَى قَراقيرُه والعِيسُ واقِفَةٌ ... والضَّبُّ والنونُ والمَلَّاح والحادي

/هكذا أَنْشَدهُما أبو الفَرَج الأَصْبَهَاني في كِتاب «الأغاني» ، ونَسَبَهما لابن عُيَيْنَة أبو المِنْهال ابن محمد بن أبي عُيَيْنَة بن المُهَلَّب بن أبي صُفْرَة [٢] ، شاعِرٌ من ساكني البَصْرَة . وقيل إنَّ اسمه

---

a-a) كل هذه الفقرة حاشية في أصل نسخة المؤلف وبدأها ناسخ نسخة آياصوفيا بقوله : «هكذا على الحاشية بخط المؤلِّف من غير تخريج وتصحيح» وختم النقل بقوله : «انتهى ما وجدته بخط مؤلِّفه على الحاشية من غير تخريج ولا تصحيح ، فليتأمَّل» .

---

[١] حاشية بخط المؤلِّف : «هذا المَيْدان عُرِفَ بمَيْدان المعافِر وبِبَطْحاء قَبْ الحمار ، وهو الذي يُعْرَف اليوم بالرَّصْد» .

[٢] أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ٢٠ : ٩٠ وقارن ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤ : ٣٦١ (وهي في وصف قصر عيسى ببغداد) .

عُذْرَة، وقيل اسمه أبو عُيَيْنَة وكُنْيَته أبو المِنْهال، وكان بعد المائتين [١].

وأَنْشَدَ أبو العَلاءَ المَعَرِّي في «رِسَالَة الصَّاهِل والشَّاحِج» [٢]:

[البسيط]

يا صاحِ أَلْمِمْ بأَهْلِ القَصْرِ والوَادي ... وحَبَّذا أَهْلُه من حَاضِرٍ بادي

٥ تَـرَى قَـراقِـرَة والـعِـيـسُ واقِـفَـةٌ ... والضَّبُّ والنُّونُ والمَـلَّاحُ والحادي[a]

وقال أبو الصَّلْت أُمَيَّةُ بن عبد العَزيز الأَنْدَلُسي: وفي هذا الوَقْت من السَّنَة ـ يعني أيام النِّيل ـ تكون أَرْضُ مصر أَحْسَنَ شيءٍ مَنْظَرًا، ولا سيَّما متنزَّهاتها المشهورة ودياراتها المَطْروقَة، كالجَزيرَة والجِيزَة وبِرْكَة الحَبَش، وما جَرَى مَجْراها من المواضِع التي يطرقها أَهْلُ الخَلاعَة والقَصْف، ويتناوَبُها[a] ذوو الآداب والظُّروف[b].

١٠ واتَّفَقَ أن خَرَجْنا في مِثْل هذا الزَّمان إلى بِرْكَة الحَبَش، وافْتَرَشْنا من زَهْرِها أحسن بِساط، واسْتَظْلَلْنا من دَوْحِها بأوفَى رِواق، فظَلَلْنا نَتَعاطَى من زُجاجات الأَقْداح شُموسًا في خِلَع بُدور، وجُسُوم نارٍ في غَلائل نور[c]؛ إلى أن جَرَى ذَهَبُ الأصيل على لُجَيْن الماء، ونَشِبَت نارُ الشَّفَق بفَحْمة الظَّلْماء، فقال بعضُهم ـ وهو أُمَيَّة المذكور ـ من قَوْلِه المشهور:

[المنسرح]

١٥ لله يَـوْمـي بـبِـرْكَـة الحَبَـشِ ... والأُفْقُ بين الضِّياء والغَبَشِ

والنِّيلُ تَحْتَ الرِّياح مُضْطَرِبٌ ... كـصارِمٍ في يَمِينِ مُـرْتَعِـشِ

ونـحـن في رَوْضَـةٍ مُـفَـوَّفَـةٍ ... دُبِّجَ بالنَّوْر عِطْفُها ووُشِي

قد نَسَجَتْها يَدُ الغَمَام لنا ... فنحن من نَسْجِها على فُرُشِ

فعاطِني الراحَ، إنَّ تارِكَها ... من سَوْرَة الهَمِّ غير مُنْتَعِشِ

٢٠ وأَثْقَل[d] النَّاسِ كلِّهم رَجُلٌ ... دَعاهُ داعي الهَوَى[e] فلم يَطِشِ

---

a) في الرسالة المصرية: يتنابها. b) الرسالة المصرية: ذوو الأدب والطرب. c) في الرسالة: وطلعت علينا من زجاجات الأقداح شموسٌ في خلع البدور ونجوم بالصفاء تنور. d) الرسالة: فأثقل. e) الرسالة: الصبا.

---

[١] أبو عُيَيْنَة، اسمه وكنيته أبو المنهال هو محمد بن أبي عُيَيْنة بن المهلَّب بن أبي صُفْرَة. (أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ٢٠: ٧٥).

[٢] أبو العلاء المعري: رسالة الصاهل والشاحج: تحقيق عائشة عبد الرحمن، القاهرة - دار المعارف ١٩٨٤، ٥٥١.

فاسقنيِ[a] بالكبار مُتْرَعَةً فهنَّ أشفى[b] لشِدَّةِ العَطَشِ[1]

وقال أيضًا:

[البسيط]

عَلِّل فؤادك باللّذّاتِ والطَّرَبِ وباكِرِ الرّاحَ بالنايات والنُّخَبِ
أما تَرَى البِرْكَة الغَنَّاء لابِسَةً وَشْيًا من النَّور حاكَته يَدُ السُّحُبِ
وأصبَحَتْ من جديد الرَّوْض[c] في حُلَلٍ قد أبْرَزَ القَطْرُ منها كل مُحْتَجِبِ
من سَوْسَن شرقٍ بالطَّلّ محجرُه وأُقْحوانٍ شهيّ الظَّلْم والشنبِ
فانْظُر إلى الوَرْدِ يَحكي خَدَّ مُحْتَشِمٍ ونرْجس طَلَّ يُبْدي لَحْظَ مُرْتَقِبِ
والنِّيلُ من ذَهَبٍ يَطْفو على وَرِقٍ والرّاحُ من ورِقٍ يطفو على ذَهَبِ
ورُبَّ يومٍ نَقَعْنا فيه غُلَّتنا بجاحِمٍ من فَمِ الأبْريقِ مُلْتَهِبِ
شمسٌ من الراح حيّانا بها قمرٌ موفٍ على غُصُنٍ يهتزُّ في كُثُبِ
أرخى ذوائِبَه وانْهزَّ مُنْعَطِفًا كصَعْدَة الرُّمْح في مسودَّة العَذَبِ
فاطربْ ودونكها فاشربْ فقد بَعَثَت على التَّصابي دواعي اللَّهْو والطَّرَبِ[2]

وقال:

[ ]

يا نُزْهَة الرَّصْد المِصْري قد جَمَعَت من كلّ شيءٍ حَلا في جانِبِ الوادي
فذا غَدِيرٌ وذا رَوْضٌ وذا جَبَلٌ والضَّبُّ والنُّونُ والمَلّاحُ والحادي

وقال إبراهيمُ بن الرَّقيق في «تاريخه»[3]: حدَّثني محمد الكهيني ـ وكان أديبًا فاضِلًا قد سافَرَ ورَأَى بُلْدانَ المَشْرِق ـ قال: ما رأيتُ قَطّ أجمل من أيّام النَّوْروز والغِطَاس والميلاد والمِهْرجان وعيد

a) الرسالة: واسقني. b) الرسالة: أروى. c) الرسالة: النبت.

[1] أمية بن عبد العزيز: الرسالة المصرية ٢٠-٢١؛ ياقوت: معجم الأدباء ٧: ٦٥-٦٦، معجم البلدان ١: ٤٠٢؛ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٥٦.

[2] نفسه ٢١؛ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٥٦-٥٧ وتنقص عنده الأبيات الأربعة الأخيرة.

[3] أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرَّقيق القَيْرواني، شاعِرٌ ومؤرِّخٌ من أهْل القَيْرَوان بإفْريقية، عَمِلَ بديوان الإنْشاء الصِّنْهاجي أكثر من عشرين سنة، وقَدِمَ مصر في سنة ثمانٍ وثمانين وثلاث مائة بهديَّة من نَصير الدَّوْلَة باديس بن زيري إلى الحاكم بأمْر الله الفاطمي، وتُؤَرِّخُ قصيدةٌ له قالها في مصر في هذه السنة هذه السَّفارَة (فيما تقدم ١: ٣٧٠). ويُعْتَقَد أنَّ الرَّقيقَ القَيْرَواني مات معمَّرًا رُبَّما بعد =

الشَّعانين، وغير ذلك من أيَّام اللَّهْو التي كانوا يَسْخون فيها بأموالِهم رَغْبَةً في القَصْف والعَزْف. وذلك أنَّه لا يَبْقَى صَغيرٌ ولا كبيرٌ إلَّا خَرَجَ إلى بِرْكَة الحَبَش متنزِّهًا، فيَضْرِبون عليها المَضارِب الجَليلَة والسُّرادِقات والقِباب والشُّرَّاعات، ويخرجون بالأَهْل والوَلَد، ومنهم من يَخْرُج بالقَيْنات المسمعات المماليك والمُحَرَّرات، فيأْكُلون ويَشْرَبون ويَسْمَعون ويتفكَّهون ويَنْعَمون.

فإذا جاءَ اللَّيْلُ أَمَرَ الأميرُ تَميمُ بن المُعِزّ مائتي فارِسٍ من عَبيدة بالعَسَس عليهم في كلِّ ليلة إلى أن يقضوا من اللَّهْو والنُّزْهَة أَرَبَهم وينصرفوا، فيَشْكُرون وينامون كما ينام الإنسانُ في بيته، ولا يضيع لأحَدٍ منهم ما قيمته حَبَّةٌ واحدة. ويركب/ الأميرُ تميم في عُشَاري، ويتبعه أربعةُ زَواريق مملوءةٌ فاكِهَةً وطَعامًا ومَشْروبًا، فإن كانت اللَّيالي مُقْمِرَة، وإلَّا كان معه من الشُّمُوع ما يُعيد اللَّيْل نَهارًا. فإذا مَرَّ على طائِفَةٍ واستحسن من غِنائِهم صَوْتًا أَمَرَهم بإعادَته، وسأَلَهُم عَمَّا عَزَّ عليهم، فيأمُرُ لهم به، ويأمُرُ لمن يُغَنِّي لهم، وينتقل منهم إلى غيرهم بمِثْل هذا الفِعْل عامَّةَ لَيْله، ثم ينصرف إلى قُصُوره وبَساتِينه التي على هذه البِرْكَة، فلا يَزالُ على هذه الحال حتى تَنْقَضِي هذه الأيامُ ويَتَفَرَّقَ النَّاسُ [1].

وقال محمد بن أبي بَكْر بن عبد القادِر الرَّازي الحَنَفي، وتُوفِّي بدِمَشْق سنة إحدى وخمسين وستّ مائة، يصف بِرْكَة الحَبَش في أيَّام الرَّبيع:

[الطويل]

إذا زَيَّنَ الحَسْناءَ قُرْطٌ فهذه	يُزَيِّنُها من كلِّ ناحِيَةٍ قُرْطُ
تَرَقْرَقُ فيها أَدْمُعُ الطَّلِّ غُدْوَةً	فقُلْتَ لآلِئٌ قد تَضَمَّنَها قُرْطُ

____

= سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م، فقد نَقَلَ عنه ابنُ عِذاري بعض حوادِث سنة ٤١٥هـ (البيان المغرب ١:٢٧٢). وألَّف الرَّقيق عَدَدًا من الكتب الهامة منها: كِتاب «النِّساء» وكِتاب «الرَّاح والارْتياح» وكِتاب «قُطْب السُّرور في الأَنْبِذَة والخُمور» و«نَظْم السُّلوك في مُسامَرَة المُلُوك»، أمَّا الكِتابُ الذي ينقل عنه المَقْريزي فهو كِتابه «تاريخ إفْريقية والمغرب» الذي وُجِدَت منه قِطعةٌ نَشَرَها في تونس سنة ١٩٦٧ المُنْجي الكَعْبي. (راجع، ابن رشيق: أنموذج الزَّمان في شعراء القيروان، جمع وتحقيق محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، تونس – الدار التونسية للنشر ١٩٨٦، ٥٥–٦٤؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء ١:٢١٦–٢٢٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٦:٩٢–٩٣؛ ابن شاكر: فوات الوفيات ١:٤١–٤٢؛ ابن خلدون: المقدمة (طبعة علي عبد الواحد وافي ١:٢٥٣)؛ Sezgin, F., *GAS* I, p. 360; Talbi, M., *EI*² art. *Ibn al-Raķīķ* III, p. 927).

[1] هذا النص في الأجزاء التي لم تصل إلينا من «تاريخ إفريقية والمغرب» للرقيق القيرواني، فما وصل إلينا من تاريخه فقط للولاة الأمويين والعباسيين بإفريقية!

وقال ابنُ سَعِيد في كِتاب «المُغْرِب» : وخَرَجْتُ مَرَّةً حيث بِرْكَة الحَبَش التي يقول فيها أبو الصَّلْت أُمَيَّة بن عبد العَزيز الأَنْدَلُسي ـ عَفَا الله عنه :

[المنسرح]

لله يَـوْمـي بـبِـرْكَـة الحَبَـشِ والأُفْق بين الضِّيَاءِ والغَبَشِ

والنِّيلُ تحت الرِّياح مُضْطَرِبٌ كصارِمٍ في يمين مُرْتَعِشِ[١]

وعاينتُ من هذه البِرْكَة أيام فَيْض النِّيل عليها أَبْهَج مَنْظَر ، ثم زُرْتها أيَّام غاضَ الماءُ وبقيت فيها مُقَطَّعات بين خُضْر من القُرْط والكَتَّان تَفْتِن النَّاظِر ، وفيها أقُول :

[الكامل]

يا بِرْكَة الحُبْش التي يومي بها طُولَ الزَّمان مُبارَكٌ وسعيدُ

حتى كأنَّك في البَسيطَة جَنَّةٌ وكأنَّ دَهْرِيَ كلَّه بك عِيدُ

يا حُسْن ما يَبْدو بك الكَتَّان في نَـوَّاره أو زرّه مَـعْـقُـودُ

والماءُ منك سُيوفُه مسلولةٌ والقُرْط فيك رواقه ممْدودُ

وكأنَّ أبْراجًا عليك عَرائِسٌ جُلِيت وطيرُك حولها غِرِّيدُ

يا ليتَ شِعْري هل زمانك عائِدٌ فالشَّوْقُ فيه مبدئٌ ومعيدُ[٢]

وكان ماءُ النِّيل يدخُل إلى بِرْكَة الحَبَش من خَليج بني وائِل ، وكان خَليجُ بني وائِل ممَّا يلي باب مصر من الجِهَة القِبْلية ، الذي يُعْرَف إلى يومِنا هذا بباب القَنْطَرَة من أجْل أنَّ هذه القَنْطَرَة كانت هناك .

قال ابنُ المُتَوَّج : ورأيتُ ماءَ النِّيل في زَمَن النِّيل يَدْخُل من تحته إلى خَليج بني وائِل .

قلت : وفي أيَّام النَّاصِر محمد بن قَلاوون اسْتَوْلَى النَّشْوُ ناظِرُ الخاصّ على بِرْكَة الحَبَش ، وصارَ يدفَعُ إلى الأشْراف من بَيْت المال مالًا في كلِّ سنةٍ ، فلمَّا ماتَ النَّاصِرُ وقامَ من بعده ابنُه المَنْصور أبو بكر ، أُعيدَت لهم .

ذِكْرُ المادَرائي[a] ـ هو أبو بكر محمَّد بن عليّ بن محمد بن رُسْتُم بن أحمد ، وقيل محمد بن عليّ بن أحمد بن عِيسَىٰ بن رُسْتُم ، وقيل محمَّد بن عليّ بن أحمد بن إبراهيم بن الحسين بن

---

a) بولاق : الماردانى .

---

[١] أمية بن عبد العزيز : الرسالة المصرية ٢١- ابن دقماق : الانتصار ٤: ٥٧.

[٢] ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب (قسم مصر) ١٠؛

عِيسَىٰ بن رُسْتُم المَاذَرائي [a]، أَحَدُ عُظَمَاء الدُّنْيا [١]، وُلد بتَصيبينَ لثلاثَ عشرةَ خلت من شهر رَبيع الأوَّل سنة ثمانٍ وخمسين ومائتين، وقَدِمَ إلى مصر في سنة اثنتين وسبعين ومائتين، وخَلَفَ أباه عليّ بن أحمد المَاذَرائي[a] أيام نظره في أمور أبي الجَيْش خُمارَوَيْه بن أحمد بن طُولون، وسِنُّهُ يومئذٍ خمس عشرة سنة.

وكان مُعْتَدلَ الكِتابَة، ضَعيفَ الحَظِّ من النَّحْو واللُّغَة، ومع ذلك فكان يَكْتُب الكُتُبَ إلى الخَليفَة فمَنْ دونه على البَديهَة من غير نُسْخَة، فيخرج الكِتابُ سَليمًا من الخَلَل. ولمَّا قُتِلَ أَبُوهُ في سنة ثمانين ومائتين اسْتَوْزَرَه هارُون بن خُمارَوَيْه، فدَبَّرَ أَمْرَ مصر إلى أن قَدِمَ ابنُ سُلَيْمان الكاتِب من بَغْداد إلى مصر، وأزالَ دَوْلَةَ بني طُولون وحَمَلَ رجالَهم إلى العِراق. فكان أبو بكر مِمَّن حَمَلَه، فأقامَ ببَغْداد إلى أن قَدِمَ صُحْبَة العَساكِر لِقتال حُباسَة، فدَبَّرَ أَمْرَ البَلَد، وأَمَرَ ونَهَى، وحَدَّثَ بمصر عن أحمد بن عبد الجَبَّار العُطارِدي وغيره بسَماعِه منهم في بَغْداد.

وكان قليلَ الطَّلَب للعِلْم، تَغْلُب عليه مَحَبَّةُ المُلْك وطَلَبُ السِّيادَة، ومع ذلك كان يُلازم تِلاوَة القُرْآن الكريم، ويُكْثِر من الصَّلاة، ويُواظِب على الحَجّ. ومَلَكَ بمصر من الضِّياع الكِبار ما لم يَمْلُكه أحَدٌ قبلَه، وبَلَغَ ارْتِفاعُه في كلِّ سنة أربع مائة ألف دينار سوى الخَراج، ووَهَبَ وأعْطَى، ووَلَّى وصَرَفَ، وأَفْضَلَ ومَنَعَ، ورَفَعَ ووَضَعَ، وحَجَّ سَبْعًا وعشرين حَجَّة أَنْفَقَ في كلِّ حَجَّةٍ منها مائة وخمسين ألف دينار. وكان تَكِينُ أميرُ مصر يُشَيِّعه إذا خَرَجَ للحَجّ، ويتلقَّاه إذا قَدِم.

وكان/ يحمل إلى الحِجاز جَميع ما يَحْتاج إليه، ويُفَرِّق بالحَرَمَيْن الذَّهَب والفِضَّة والثِّياب والحَلْوَى والطِّيب والحُبُوب، ولا يُفارقُ أَهْلَ الحِجاز إلَّا وقد أَغْنَاهم. وقيل مَرَّة وهو بالمَدينَة النَّبَوِيَّة - على ساكِنها أَفْضَل الصَّلاة والسَّلام -: ما باتَ في هذه الليلة أحَدٌ بمَكَّة والمَدينَة وأعمالِهما إلَّا وهو شَبْعانٌ من طَعام أبي بكر المَاذَرائي [a].

ولمَّا قَدِمَ الأميرُ محمد بن طُغْج الإخْشيد إلى مصر اسْتَتَرَ منه، فإنَّه كان مَنَعَه من دُخُول مصر، وجَمَعَ العَساكِرَ لِقتاله. فاجْتَمَعَ له زِيادَةٌ على ثلاثين ألف مُقاتِل، وحارَب بهم بعد مَوْت تَكِين

---

a) بولاق: الماردانى.

---

[١] أورد المقريزي نَصَّ هذه الترجمة في كتاب المقفى الكبير ٦: ٢٣٤- ٢٤٧، مع تفاصيل أكثر نقلًا عن سيرة المَاذرائيين لابن زولاق؛ وانظر عن المَاذرائيين عمومًا فيما تقدم ١: ٢٢٠.

أمير مصر، ومَرَّت به خُطوبٌ لكثرة فِتَن مصر إذ ذاك، وأُحرِقَت دُورُه ودُورُ أَهْله ومُجاوريه، وأُخِذَتْ أَمْوالُه، واسْتَتَرَ فقُبِضَ على خَليفَته وعُمَّاله.

فكَتَبَ إلى بَغْداد يسأل إمارَةَ مصر، وكَتَبَ محمد بن تَكين بالقُدْس يسأل ذلك، فعادَ الجَوابُ بإمارَة ابن تَكين، وأن يكون الماذَرائي[a] يُدَبِّر أَمْرَ مصر ويولِّي من شاءَ. فظَهَرَ عند ذلك من الاسْتِتار وأَمَرَ ونَهَى ودَبَّر أَمْرَ البَلَد، وصارَ الجَيْشُ بأسره يَغْدو إلى بابه، فأنفق في جَماعةٍ واصْطَنَعَ قَوْمًا، وقَتَلَ عِدَّةً من أصْحاب بن تَكين.

وكان محمد بن تَكين بالقُدْس - وأَمْرُ مصر كلُّه للماذَرائي[a] بمفرده - ومعه أحمد بن كَيْغَلَغ، وقد قَدِمَ من بَغْداد بولاية ابن تَكين على مصر وولاية أبي بكر الماذَرائي[a] تدبير الأمور. فاسْتَمال أبو بكر أحمد بن كَيْغَلَغ حتى صارَ معه على ابن تَكين وحارَبه، وكان من أَمْره ما كان إلى أن قَدِمَت عَساكِرُ الإخْشيد. فقامَ أبو بكر لمحارَبتهم، ومَنَعَ الإخْشيد من مصر، فكان الإخْشيدُ غالِبًا له ودَخَلَ البلد. فاسْتَتَرَ منه أبو بكر إلى أن دُلَّ عليه، فأَخَذَه وسَلَّمه إلى الفَضْلَ بن جَعْفَر بن الفُرات.

فلمَّا صارَ إلى ابن الفُرات قال له: إيش هذا الاسْتيحاش والتَّسَتُّر، وأنت تعلم أنَّ الحَجَّ قد أَظَلَّ ويَحْتاج لإقامة الحَجّ؛ فقال له أبو بكر: إن كان إليَّ فخمسة عشر ألف دينار؛ فقال ابنُ الفُرات: إيش خمسة عشر ألف دينار! قال: ما عَنْدي غير هذا؛ فقال ابنُ الفُرات: بهذا ضَرَبْت وَجْه السُّلطان بالسَّيْف، ومَنَعْت أمير البلد من الدُّخول. ثم صاحَ: يا شادِن، خُذْه إليك.

فأُقيم وأُدْخِل إلى بَيْتٍ، وكان يومئذٍ صائِمًا، فامْتَنَعَ من تَناول الطَّعام والشَّراب، ولَزِمَ تِلاوَةَ القرآن والصَّلاة طول يومه وليلته وأَصْبَحَ، فامْتَنَعَ ابنُ الفُرات من الأَكل إجْلالًا له. فلمَّا كان وَقْتُ الفِطْر من الليلة الثانية، امْتَنَعَ أبو بكر من الفِطْر كما امْتَنَعَ في الليلة الأُولى، فامْتَنَعَ ابنُ الفُرات أيضًا من الأكل، وقال: لا آكُل أبدًا، أو يأكُل أبو بكر. فلمَّا بَلَغَ ذلك أبا بكرٍ أَكَل.

فأَخَذَ ابنُ الفُرات في مُصادَرَته، وقَبَضَ على ضِياعه التي بالشَّام ومصر، وتتبَّع أَسْبابَه، ثم خَرَجَ به معه إلى الشَّام وعادَ به إلى مصر، ثم خَرَجَ به ثانيًا إلى الشَّام. فماتَ الفَضْلُ بن الفُرات بالرَّمْلَة ورَجَعَ أبو بكر إلى مصر. فرَدَّ إليه الإخْشيدُ أُمورَ مصر كلَّها، وخَلَع على ابنه، وتَقَلَّد السَّيْفَ ولَبِسَ المِنْطَقَة، ولَبِسَ أبو بكر الدُّرَّاعَة تنزُّهًا.

---

a) بولاق: الماردانى.

ثم تَنَكَّرَ عليه الإخْشيد، وقَبَضَه في سنة إحدى وثلاثين وثلاث مائة، وجَعَلَه في دارٍ، وأعَدَّ له فيها من الفَرْش والآلات والأواني والملبوس والطِّيب والطَّرائِف وأنْواع المآكِل والمشارِب ما بَلَغَ فيه الغاية، وتَفَقَّدَها بنفسه، وطافَها كلَّها. فقيل له: عَمِلْتَ هذا كلَّه لمحمد بن عليّ الماذَرائي [a]. فقال: نَعَم هذا مَلِكٌ، وأردت ألَّا يُحْتَقَر بشيءٍ لنا، ولا يَحتاجُ أن يَطْلُب حاجةً إلَّا وَجَدها، فإنَّه إن فَقَدَ عندنا شيئًا ممَّا يُريده اسْتَدعي به من دارِه، فنَسْقُط نحن من عينيه عند ذلك، فلم يزل مُعتقلًا حتى خَرَجَ الإخْشيدُ إلى لقاء أمير المؤمنين المُتَّقي لله، فحَمَلَه معه.

ولمَّا ماتَ الإخْشيدُ بدِمَشْق كان أبو بكر بمصر، فقامَ بأمْر أُونُوجُور بن الإخْشيد، وقَبَضَ على محمد بن مُقاتِل وَزير الإخْشيد، وأَمَرَ ونَهَى، وصَرَّفَ الأمور إلى أن كانت واقِعَةُ غَلْبون واتِّصال أبي بكر به. فلمَّا عادَت الإخْشيدية، قُبِضَ على أبي بكر. ونُهِبَت دوره وأُحْرِق بعضُها، وأُخِذَ ابنه، وقامَ أبو الفَضْل جَعْفَر بن الفَضْل بن الفُرات بأمْر الوَزارَة.

فعندما قَدِمَ كافُور الإخْشيدي من الشَّام بالعساكِر التي كانت مع الإخْشيد، أَطْلَق أبا بكر وأكرمه، ورَدَّ إليه ضِياعَه وضِياعَ ابنه. فلمَّا ماتَت أمُّ ولده، لحِقَه كافور ومعه الأمير أُونُوجُور عند المقابِر، وتَرَجَّلا له وعَزَّياه، ثم رَكِبا معه حتى صَلَّيا عليها. فلمَّا مَرِضَ مَرَضَ مَوْتِه، عادَه كافورٌ مِرارًا إلى أن ماتَ [b] من[c] شهر شَوَّال سنة خمس وأربعين وثلاث مائة، فدُفِنَ بدارِه، ثم نُقِلَ إلى المقابِر.

وكانت فَضائِلُه جَمَّة: منها أنَّه أقامَ أربعين سنةً يصومُ الدَّهرَ كلَّه، ويركب كلَّ يوم إلى المقابِر بُكْرَةً وعَشِيَّةً، فيقف له المَوْكِب حتى يَمْضي إلى تُرْبَة أوْلاده وأهْله، فيقرأ عندهم ويَدْعو لهم، وينصرف إلى المساجِد في الصَّحْراء فيُصَلِّي بها والنَّاسُ وُقُوفٌ له إلَّا أنَّه كان في غاية العَجَلَة، لا يُراجَع فيما يُريدُه ولو كان ما كان.

ولمَّا أرادَ المُقْتَدِرُ أن يُقيمَ وَزيرًا كُتِبَت رُقْعَةٌ فيها أسْماءُ جَماعَةٍ، وأُنْفِذَت إلى عليّ بن عيسىٰ ليُشير بواحدٍ منهم - وكان أبو بكر ممَّن كُتِبَ معهم اسمُه - فكَتَبَ تحت اسم كلِّ واحدٍ منهم ما يستحقُّه من الوَصْف، وكَتَبَ تحت اسم أبي بكر محمد بن عليّ الماذَرائي «مُتْرَفٌ عَجُول».

وبَنَى أبو بكر السِّقايات والمَساجِد في المَعافِر وفي يَحْصُب وبني وائِل، وليس لشيءٍ منها اليوم/ أثرٌ يُعْرَف. ومَرَّت له في هذا الكِتاب أخْبارٌ، وقد أفْرَدَ له ابنُ زولاق «سِيرَةً» كبيرةً وهذا منها.

---

a) بولاق: الماردانى. b) بياض بآياصوفيا. c) بولاق: في.

ذِكْرُ بَسَاتِين الوَزِير - هذه البَساتينُ في الجِهَة القِبْلِيّة من بِرْكَة الحَبَش ، وهي قَرْيَةٌ فيها عِدَّةُ مَساكِن وبَساتِين كثيرة ، وبها جامِعٌ تُقامُ فيه الجُمُعَة ، وعُرِفَت بالوَزِير أبي الفَرَج محمد بن جعفر ابن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن محمد المَغْربي [1]. وبنو المَغْربي أَصْلُهم من البَصْرَة ، وصاروا إلى بَغْداد [2]. وكان أبو الحسن عليّ بن محمد ، تَخَلَّف على ديوان المَغْرب ببغداد ، فنُسِبَ به إلى المَغْرب ، ووُلِدَ ابنه الحسين بن عليّ ببَغْداد ، فتقلَّد أعمالاً كثيرةً ، منها تَدْبير محمد بن ياقُوت عند اسْتيلائِه على أَمْر الدَّوْلَة ببَغْداد . ٥

وكان خالُ وَلَده عليّ - وهو أبو عليّ هارون بن عبد العزيز الأُوارجي الذي مَدَحَه أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّيّ - من أَصْحاب أبي بكر محمد بن رائِق . فلمَّا لَحِقَ ابنُ رائِقَ ما لحقه بالمَوْصِل ، صارَ الحُسَيْن ابن عليّ بن المَغْربي إلى الشَّام ، ولَقِي الإخْشيد وأقامَ عنده ، وصارَ ابنُه أبو الحسن عليّ بن الحسين ببَغْداد ، فأَنْفَذَ الإخْشيدُ غلامَه فاتِك المجنون ، فحَمَلَه ومن يليه إلى مصر . ١٠

ثم خَرَجَ ابنُ المغربي من مصر إلى حَلَب ، ولَحِقَ به سائِرُ أَهْله ، ونَزَلُوا عند سَيْف الدَّوْلَة أبي الحَسَن عليّ بن عبد الله بن حَمْدان مُدَّةَ حَياتِه ، وتَخصَّص به الحسين بن عليّ بن محمد المَغْربي ، ومَدَحه أبو نَصْر بن نُباتَة ، وتَخَصَّصَ أيضًا عليّ بن الحسين بسَعْد الدَّوْلَة بن حَمْدان ، ومَدَحه أبو العبَّاس النامي .

ثم شَجَرَ بينه وبين ابن حَمْدان ففارَقه ، وصارَ إلى بَكْجور بالرَّقَّة ، فحَسَّن له مُكاتَبَة العَزيز بالله ١٥ نِزار والتَّحَيُّز إليه . فلمَّا وَرَدَت على العَزيز مُكاتَبَةُ بَكْجور قَبِلَه واسْتَدْعاه ، وخَرَج من الرَّقَّة يُريد دِمَشْق ، فوافاه عبدُ العَزيز بولاية دِمَشْق وخَلَفَه ، فتَسَلَّمَها وخَرَجَ لمحارَبَة ابن حَمْدان بحَلَب بمَشُورَة عليّ بن المَغْربي ، فلم يتم له أَمْرٌ ، وتأخَّر عنه مَن كاتَبَه ، فقال لابن المغربي : غَرَّرْتَني فيما أَشَرْت به عليَّ ، وتَنَكَّرَ له . ففَرَّ منه إلى الرَّقَّة .

وكانت بين بَكْجور وبين ابن حَمْدان خُطُوبٌ آلَت إلى قَتْل ابن بَكْجور ومَسير ابن حَمْدان إلى ٢٠ الرَّقَّة . ففَرَّ ابنُ المَغْربي منها إلى الكُوفَة ، وكاتَبَ العَزيزَ بالله يستأذنه في القُدُوم ، فأَذِنَ له .

---

[1] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٥٧.

[2] راجع عن بني المغربي ، الرذرواري : ذيل تجارب الأمم ٢١٧، ٢٣٥- ٢٣٨؛ ابن ظافر: أخبار الدول المنطقعة ٤٨- ٥٠؛ ابن العديم: زبدة الحلب ١: ١٥٢، ١٧٢- ١٧٨؛ الفاسي : العقد الثمين ٤: ٦٩- ٧٦؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ٨٢؛ محمد كريم إبراهيم : بنو المغربي ودورهم السياسي والإداري خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة بغداد ١٩٧٦، Smoor, P., *EI*[2] art. *al-Maghribi, Banû* V, pp. 1200-2.

وقَدِمَ إلى مصر في جُمادَى الأولى سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة، وخَدَمَ بها وتَقَدَّمَ في الخِدَم، فحَرَّضَ العَزيزَ على أخْذ حَلَب. فقلَّد بَنْجوتَكين بلاد الشَّام، وضَمَّ إليه أبا الحَسَن بن المَغْربي ليقوم بكتابَتِه ونَظَر الشَّام وتَدْبير الرِّجال والأمْوال. فسارَ إلى دِمَشْق في سنة ثلاثٍ وثمانين وثلاث مائة، وخَرَجَ إلى حَلَب، وحارَب أبا الفَضَائِل بن حَمْدان وغُلامَه لُؤْلؤ، فكاتَب لُؤلؤ أبا الحَسَن بن المَغْربي، واستمالَه حتى صَرَف بَنْجوتَكين عن مُحارَبَة حَلَب، وعادَ إلى دِمَشْق.

وبَلَغَ ذلك العَزيزَ بالله، فاشتدَّ حَنَقُه على ابن المَغْربي، وصَرَفَه بصالِح بن عليّ الرُّوذْباري، واسْتَقْدَم ابن المَغْربي إلى مصر. ولم يَزَلْ بها حتى ماتَ العَزيزُ بالله، وقامَ من بعده ابنُه الحاكِمُ بأمْر الله أبو عليّ منصور، فكان هو ووَلَدُه أبو القاسِم حسين من جُلَسائِه. فلمَّا شَرَعَ الحاكِمُ بأمْر الله في قَتْل رِجالِ الدَّوْلَة من القُوَّاد والكُتَّاب والقُضَاة، قَبَضَ على عليّ ومحمد ابني المَغْربي وقتلهما، ففرَّ منه أبو القاسِم حسين بن عليّ بن المَغْربي إلى حَسَّان بن مُفَرِّج بن الجَرَّاح، فأجارَه.

وقَلَّدَ الحاكِمُ يارخْتكين[a] الشَّام. فخافَه ابنُ جَرَّاح لكثرة عَساكِره، فحَسَّن له ابنُ المَغْربي مهاجمته، فَطَرَقَ يارختكين[a] في مسيره على غَفْلة وأَسَرَه، وعادَ إلى الرَّمْلَة فشَنَّ الغارات على رَساتيقِها، وخَرَجَ العَسْكَرُ الذي بالرَّمْلَة فقاتَل العَرَب قِتالًا شَديدًا كادَت العَرَبُ أن تنهزم لولا ثَبَّتَها ابنُ المَغْربي، وأشارَ عليهم بإشْهَار النِّداء بإباحَة النَّهْب والغَنيمة فثَبَتوا، ونادوا في النَّاس، فاجتمع لهم خَلْقٌ كثيرٌ، وزَحَفوا إلى الرَّمْلَة فمَلَكوها، وبالَغوا في النَّهْب والهَتْك والقَتْل.

فانْزَعَجَ الحاكِمُ لذلك انْزِعاجًا عَظيمًا، وكَتَبَ إلى مُفَرِّج بن جَرَّاح يُحَذِّره سوء العاقِبَة، ويُلْزِمه بإطلاق يارخْتكين[a] من يد حَسَّان ابنه ورساله إلى القاهِرَة، وَوَعَدَه على ذلك بخمسين ألف دينار. فبادَر ابنُ المَغْربي لمَّا بَلَغَه ذلك إلى حَسَّان، ومازال يُغْريه بقَتْل يارخْتَكين[a] حتى أحْضره وضَرَب عُنُقَه. فشَقَّ ذلك على مُفَرِّج، وعَلِمَ أنَّه فَسَدَ ما بينه وبين الحاكِم.

فأخَذَ ابنُ المَغْربي يُحَسِّن لمُفَرِّج خَلْع طاعَة الحاكِم والدُّعاء لغيره إلى أنِ اسْتَجابَ له. فراسَلَ أبا الفُتوح الحَسَن بن جَعْفَر العَلَوي أمير مَكَّة يَدْعُوه إلى الخِلافَة، وسَهَّلَ له الأَمْرَ، وسَيَّرَ إليه بابن المَغْربي يَحُثُّه على المسير، وجَرَّأَه على أخْذ مالٍ تَرَكَه بعضُ المياسير، ونَزَعَ المحاريبَ الذَّهَب والفِضَّة المنصوبة على الكَعْبَة وضَرَبَها دنانير ودراهم وسمَّاها الكَعْبِيَّة.

---

a) بولاق: يارجتكين.

وخَرَجَ ابنُ المَغْرِبي من مَكَّة فدَعَا العَرَبَ من سَليم وهِلال وعَوْف بن عامِر، ثم سارَ به وبمن اجْتَمَعَ عليه من العَرَبِ حتى نَزَلَ الرَّمْلَة. فتلقَّاه بنو الجَرَّاح، وقَبَّلوا له الأرْض، وسَلَّموا عليه بإمْرَة المؤمنين، ونادَى في النَّاس بالأمَان، وصَلَّى بالنَّاس الجُمُعَة.

فامْتَعَضَ الحاكِمُ لذلك، وأخَذَ في اسْتِمالَة حسَّان ومُفَرِّج وغيرهما، وبَذَلَ لهم الأمْوال، فتنكَّروا على أبي الفُتوح، وقَلَّدَ أيضًا مَكَّة بعض بني عَمِّ أبي الفُتُوح. فضَعُفَ أمره، وأحَسَّ من حسَّان بالغَدْر، فرجع إلى مَكَّة وكاتَبَ الحاكِم واعْتَذَرَ إليه، فَقبل عُذْرَه.

/وأمَّا ابنُ المَغْربي فإنَّه لمَّا انحلَّ أمرُ أبي الفُتوح، ورأى مَيْل بني الجَرَّاح إلى الحاكِم كَتَبَ إليه:

[الطويل]

وأنت، وحَسْبي أنْت تَعْلَمُ أنَّ لي ... لسانًا أمام المَجْد يَبْني ويَهْدِمُ
ولَيْس حَليمًا من تُباسُ يَمينُه ... فيَرْضَى، ولكن من تُعَضّ فيَحْلُمُ

فسَيَّر إليه أمانًا بخَطِّه، وتَوَجَّه ابنُ المَغْربي قَبْل وُصول أمانِ الحاكِم إليه إلى بَغْداد، وبَلَغَ القادِر بالله خَبَرُه، فاتَّهمه بأنَّه قَدِمَ في فَسَادِ الدَّوْلَة العَبَّاسية، فَخَرَجَ إلى واسِط واسْتَعْطَفَ القادِر، فعَطَفَ عليه وعادَ إلى بَغْداد، ثم مَضَى إلى قِرْواش بن المُقَلد أمير العَرَب، وسارَ معه إلى المَوْصِل فأقامَ بها مُدَّة.

وخافَه وَزيرُ قِرْواش فأخْرَجَه إلى ديار بَكْر، فأقامَ عند أميرها نَصير الدَّوْلَة أبي نَصْر أحمد بن مَرْوان الكُرْدي، وتصرَّف له، وكان يَلْبَس في هذه المدَّة المُرَقَّعة والصُّوف. فلمَّا تصَرَّف غَيَّر لِباسَه وانْكَشَفَ حالُه، فصارَ كمن قيل فيه، وقد ابْتاعَ غُلامًا تُرْكيًّا كان يَهْواه قبل أن يَبْتاعَه:

[الوافر]

تَبَدَّلَ من مُرَقَّعةٍ ونُسْك ... بأنْواع المِمَسك والشُّفوفِ
وعنَّ له غَزالٌ ليس يَحْوي ... هَواهُ ولا رِضاه بلِبْس صُوفِ
فعادَ أشَدَّ ما كان انْتِهاكًا ... كذاكَ الدَّهْر مُخْتَلِف الصُّرُوفِ

وأقامَ هناك مُدَّةً طَويلَةً في أعْلى حالٍ وأجَلِّ رُتْبَةٍ وأعْظَم منزلةٍ، ثم كُوتِب بالمسير إلى المَوْصِل ليَسْتَوْزِرَه صاحِبُها. فسارَ عن مَيافارقين ودِيار بَكْرَ إلى المَوْصِل، فتقلَّد وَزارَتَها، وتردَّد إلى بَغْداد في الوَساطَة بين صاحِب المَوْصِل وبين السُّلْطان أبي عليّ بن سُلْطان الدَّوْلَة أبي شُجاع بن بَهاء الدَّوْلَة أبي نَصْر بن عَضُد الدَّوْلَة أبي شُجَاع بن رُكْن الدَّوْلَة أبي عليّ بن بُوَيْه، واجْتَمَعَ برؤساء

الدَّيْلَم والأتْراك ، وتحدَّث في وَزارَة الحَضْرَة حتى تقلَّدها ، بغير خِلَع ولا لَقَب ولا مُفارَقَة الدُّرَّاعَة ، في شهر رَمَضان سنة خمس عشرة وأربع مائة ، فأقامَ شُهورًا ، وأغْرَى رِجالَ الدَّوْلَة بعضهم ببعض .

وكانت أمُورٌ طَويلَة آلَت إلى خُروجِه من الحَضْرَة إلى قِرْواش ، فتَجَدَّد للقادِر بالله فيه سُوءُ ظَنٍّ بسبَبِ ما أثارَه من الفِتْنَة العَظيمَة بالكُوفَة ، حتى ذَهَبَت فيها عِدَّةُ نفوسٍ وأموالٍ . ففرَّ إلى أبي نَصْر بن مَرْوان ، فأكرمه وأقْطَعَه ضِياعًا وأقامَ عنده ، فكوتِب من بَغْداد بالعَوْد إليها ، فبَرَزَ عن ميافارقين يُريد المسير إلى بَغْداد فسُمَّ هناك ، وعادَ إلى المَدينَة فماتَ بها لأيَّامٍ خَلَت من شهر رَمَضان سنة ثمان عشرة وأربع مائة . ومَوْلِدُه بمصر ليلة الثالثَ عشرَ من ذي الحِجَّة سنة سبعين وثلاث مائة .

وكان أسْمَرَ شَديدَ السُّمْرَة ، بساطًا عالِمًا بَليغًا مُتَرَسِّلًا ، مُتَفَنِّنًا في كثيرٍ من العُلوم الدِّينية والأدبية والنَّحْوية ، مُشارًا إليه في قُوَّة الذَّكاء والفِطْنَة وسُرْعَة الخاطِر والبديهية ، عَظيم القَدْر ، صاحِبَ سِياسَةٍ وتَدْبيرٍ وحِيَلٍ كثيرة وأُمُورٍ عِظام . دَوَّخ الممالِك ، وقَلَّب الدُّوَل ، وسَمِعَ الحَديث ، ورَوَى وصَنَّف عِدَّةَ تَصانيف . وكانَ مَلولًا حَقُودًا ، لا تَلينُ كبدُه ، ولا تنحلُّ عُقَدُه ، ولا يُخْنى عُودُه ، ولا تُرْجَى وعُودُه . وله رأيٌ يُزَيِّن له العُقوق ، ويُبَغِّض إليه رعاية الحُقوق ، كأنَّه من كِبْرِه قد رَكِبَ الفَلَك ، واستولى على ذات الحُبُك .

وكان بمصر من بني المَغْربي أبو الفَرَج محمد بن جَعْفَر بن محمد بن عليّ بن الحسين المَغْربي ، قد قَتَلَ الحاكِمُ جَدَّه محمدًا مع أبيه عليّ بن الحسين كما تقدَّم [1] . فلمَّا نشأ أبو جَعْفَر صارَ إلى العراق وخَدَم هناك ، وتنقَّلت به الأحْوالُ ، ثم عادَ إلى مصر ، واصْطَنَعَه الوَزيرُ اليازوري [a]، وولَّاه ديوانَ الجَيْش ، وكانت السَّيِّدَةُ أم المُسْتَنْصِر تُعْنَى به . فلمَّا ماتَ الوَزيرُ اليازوري [a]، ووَلِيَ بعده الوَزيرُ أبو الفَرَج عبد الله بن محمد البابِلي ، قَبَضَ عليه في جملة أصْحاب اليازوري [a] واعْتَقَلَه . فتقرَّرت له الوَزارَةُ وهو في الاعْتِقال ، وخُلِعَ عليه في الخامس والعشرين من شهر رَبيع الآخر سنة خمسين وأربع مائة ، ولُقِّب بـ«الوزير الأجَلّ الكامِل الأوْحَد صَفِيّ أمير المؤمنين وخالِصَته» ، فما تعرَّض لأحدٍ ، ولا فَعَلَ في البابِليّ ما فَعَلَه البابِليُّ فيه وفي أصْحاب اليازوري ، فأقامَ سنتين

---

a) بولاق : البارزي .

---

[1] فيما تقدم ٢: ٤٤٣ - ٤٤٤.

وشهورًا ، وصُرِفَ في تاسع شهر رَمَضان سنة اثنتين وخمسين وأربع مائة [١] .

وكان الوُزَراءُ إذا صُرِفُوا لم يَتَصَرَّفوا ، فاقْتَرَحَ أبو الفَرَج بن المَغْربي لمَّا صُرِفَ أن يتولَّى بعضَ الدَّواوين ، فوَلِّيَ ديوان الإنْشَاء ـ الذي يُعرف اليوم بوَظيفَة كِتابَة السِّرّ ـ وهو الذي اسْتَنْبَط هذه الوَظيفَة بديار مصر ، واسْتَحْدَثَ اسْتِخْدام الوُزَراء بعد صَرْفِهم عن الوَزارَة . ولم يَزَل نابِهَ القَدْر إلى أن توفي سنة ثمانٍ وسبعين وأربع مائة [٢] . ٥

بِرْكَةُ الشُّعَيْبِيَّة

هذه البِرْكَةُ مَوْضِعُها خَلْف جِسْر الأَفْرَم ، فيما بينه وبين الجُرُف الذي يُعْرَف اليوم بالرَّصْد [٣] ، وكانت تُجَاوِر بِرْكَة الحَبَش من بَحْريها ، وقد انْقَطَعَ عنها الماءُ ، وصارَت بَساتِينَ ومَزارِع وغير ذلك .

قال ابنُ المُتَوَّج : بِرْكَةُ الشُّعَيْبِيَّة بظاهِر مصر ، كان يَدْخُلُ إليها ماءُ النِّيلِ ، وكان لها خَليجان : أحَدُهُما من قِبْليها وهو الآن بجوار مَنْظَرَة الصَّاحِب تاج الدِّين بن حِنَّا المعروفة بمَنْظَرَة المَعْشوق [٤] . ١٠ والثَّاني من بَحْرِيها ، / ويُقال له خَليج بني وائِل ، عليه قَنْطَرَةٌ بها عُرِفَ بابُ القَنْطَرَة بمصر . وكان يجري فيهما الماءُ من النِّيل إليها ، فكان الماءُ يدخل إليها في كلِّ سنة ويَعُمّها ، ويَدْخُل إليها الشَّخاتير [٥] .

وكان بدائِرها من جانِبها الشَّرْقي آدُرٌ كثيرة ، وكانت نُزْهَة المصريين . فلمَّا استأجَرَها الأميرُ عزّ الدِّين أَيْبَك الأَفْرَم من النَّاظِر عليها من جِهَة الحُكْم العَزيزي ، حازَها بالجُسُور عن الماء ، وغَرَسَ فيها الأَنْشَاب[a] والكُروم ، وحَفَرَ الآبار . ١٥

---

a) بولاق : الأشجار .

---

[١] راجع ، ابن الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة ٨٣–٨٥ وهو مصدر المقريزي في هذه الترجمة ؛ ابن ميسر : أخبار مصر ١٨ ، ٢٢ ، ابن سعيد : النجوم ٣٥٧ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨ : ٢٢٢–٢٢٣ ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٥١ ، ٢٦١ ، ٢٢٢ ، ٣٢٢ ، والمقفى الكبير ٥ : ٥٠٢–٥٠٣ .

[٢] ابن الصرفي : الإشارة ٨٥ ، وفيما يلي ٢ : ٤٥٩ .

[٣] الرَّصْدُ هو المنطقة المعروفة الآن بإسْطَبْل عَنْتَر ، وجِسْرُ الأَفْرَم هو الطريق الزراعي الواقع أمام منطقة أَثَر النَّبي الآن (انظر فيما يلي ٥٥١) . ويَدُلُّ على موقع هذه البِرْكَة الآن المنطقة المعروفة بالزَّهراء بمصر القديمة .

[٤] حاشية بخَطّ المؤلِّف : « قد خَرِبَت هذه القَنْطَرَة وبقي أثَرُها بالقُرْب من رِباط الآثار» .

[٥] عن الشَّخاتير ، انظر فيما تقدم ٤٧٦ هـ [٤] .

وهذه البِرْكَةُ مساحتها أربعة وخمسون فَدَّانًا (a بالقَصَبَة الحاكمية a) [١]، ولها حُدودٌ أربعة : الحَدُّ القِبْلي ينتهي بعضُه إلى بَعْض أرْض المَعْشوق الجاري في وَقْف ابن الصَّابوني ، وإلى الجِسْر الفاصِل بينها وبين بِرْكَة الحَبَش ، وفي هذا الجِسْر الآن قَنْطَرَةٌ يَدْخُل إليها الماءُ من خَليج بِرْكَة الأَشْراف . والحَدُّ البَحْري كان ينتهي بعضُه إلى مَنْظَرَة قاضي القُضَاة بدْرْ الدِّين السِّنْجاري وإلى جِسْره . والحَدُّ الشَّرْقي ينتهي إلى الآدُرّ التي كانت مُطِلَّةً عليها وقد خَرِبَ أكثرُها ، وكانت مَسْكَنَ أعْيان المصريين من القُضَاة والكُتَّاب . والحَدُّ الغربي ينتهي إلى جُرْف النِّيل .

ولمَّا اسْتَأْجَرَها الأَفْرَمُ شُرِط له خمسة أَفْدِنَة يَعَمُر عليها ، ويُؤَجِّرها لمن يَعَمُر عليها : منها فَدَّانٌ واحِدٌ من بَحْريها ، وفدَّانان من غَرْبيها مُلاصِقان لجدار البَساتين ، وفَدَّانان بالجُرْف الذي من حُقُوقها . فلمَّا ماتَ الأَفْرَمُ طَمِع الأميرُ عَلَمُ الدِّين الشُّجاعي في وَرَثَتِه وفي الوَقْف وأَرْبابِه ، فغَصَبَ أرْضَ الجُرْف وجملتها فَدَّانان ثم تَرَكها . فلمَّا كان في أثناء دَوْلَة النَّاصِر محمد بن قَلاوون ووَزارَة الأَعْسَر ، بيعت أَرْضُها لأرْباب الأبنية التي عليها . وهذه البِرْكَةُ وَقَفَها الخَطيرُ بن مَمَّاتي ، ودَخَلَ معهم بنو الشُّعَيْبية لاخْتلاط أنْسابِهم بالتَّناسُل [٢].

وقال في مَوْضِع آخر : ومن جُمْلَة الأَوْقاف بِرْكَةُ الخَطير بن مَمَّاتي المشهورة ببِرْكَة الشُّعَيْبِيَّة ، ومِساحَةُ أَرْضِها أربعة وخمسون فدَّانًا ورُبْع ، ولها حُدودٌ أربعة : القِبْلي من البِرْكَة الصُّغْرَىٰ منها إلى الجِسْر الفاصِل بينها وبين بِرْكَة الحَبَش ، وفيه قَنْطَرَةٌ يمُرُّ منها الماءُ إلى هذه البِرْكَة ، وباقي هذا الحَدّ إلى بعض أبنية مَناظِر المَعْشوق . ومن جُمْلَة حُقُوق هذا الوَقْف المجَاز المستطيل المسلوك فيه إلى المَنْظَرَة المذكورة ، ومنه دِهْليزها والإيوان البَحْري . وهذا جميعُه رأيته تُرْعَةً من تُراع هذه البِرْكة المذكورة يَمُرُّ الماءُ فيها في زَمَن النِّيل إليها . وكان باقي هذه المَنْظَرَة دارًا مطِلَّةً على بَحْر النِّيل من شرقيها ، وعلى هذه التُّرعَة من بَحْريها ، ثم مَلَكَها الصَّاحِبُ تاجُ الدِّين بن حِنَّا وهَدَمَها ورَدَمَ الخَليج ، وعَمَّرَ المَنْظَرَة والحَمَّام والبُيُوت الموجودة الآن ، وباقي ذلك كلّه في أرْض ابن الصَّابوني .

a-a) إضافة من ابن دقماق .

[١] بقيّةُ النَّصّ عند ابن دقماق ، وهو ينقل أيضًا عن ابن المُتَوَّج : «وبين بركة الأَشْراف وبينها جِسْرٌ فاصل وبه قَنْطَرَةٌ يدخل الماء إليها من خليج بركة الأَشْراف لما بقي من هذه البركة ، وهي قطعة لطيفة بين بُسْتان المَعْشُوق وغيط ابن المراي (المرأة) ، وكان عليها آدُرٌ مطلَّة عليها وقد خرب أكثرها» . (الانتصار ٤: ٥٥) .

[٢] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٥٥ .

وحَدُّ هذه البِرْكَة من الجِهَة البَحْرِية إلى الطَّريق الآن ، وكان فيه جِسْرٌ ـ يُعْرَف بجِسْر الحَيَّات ـ كان يَفْصِل بين هذه البِرْكَة وبين بِرْكة شَطا ، وكان فيه قَنْطَرَةٌ يجري الماءُ فيها من هذه البِرْكَة إلى بِرْكَة شَطا ، وكان في هذا الحَدِّ تُرْعَةٌ أخرى يَجْري الماءُ فيها في زَمَن النِّيل من البَحْر إلى هذه البِرْكَة ، ورأيته يجري فيها ، ورأيتُ الشَّخاتير تَدْخُل فيها إلى هذه البِرْكَة .

وأمَّا حَدُّها الشَّرْقي فإنَّه كان إلى أبْنِيَة الآدرّ المطلَّة على هذه البِرْكَة . وأمَّا حَدُّها الغَرْبي فإنَّه كان إلى بَحْر النِّيل [١] .

ولم تَزَل كذلك إلى أنِ استأجَرَها الأميرُ عِزّ الدِّين أَيْبَك الأَفْرَم ، فرَدَمَ هذه التُّرْعَة ، وبنَى حِيطان هذا البُسْتان ، وجَسَرَ عليه ، وزَرَعَ فيه الشُّتُول والخَضْروات . وأقامَ على ذلك عِدَّة سنين ، ثم اسْتَأْجَره إجارَةً ثانيةً ، واشْتَرط البِناء على ثلاثة أَفْدِنَة في جانبه الغربي وفَدَّان في جانبه البَحْري [٢] . فعَمَّرَ النَّاسُ واستغنى عن الجُسُور ، ورَخَّصَ على النَّاس حتى رَغِبوا في العمارة ، وآجر كلَّ مائة ذراع من ذلك بعشرة دَراهم نُقْرَة ، وعَمَّر البِئْر المشهورة بِبئْر السَّواقي فعُمِّرت أحْسَنَ عِمارَةٍ .

فلمَّا توفِّي الأَفْرَمُ طَمِعَ الشُّجاعيُّ في أرْباب الوَقْف وفي وَرَثَتِه ، ونَزَعَ منهم القَدادين المطلَّة على بَحْر النِّيل ، وابْتاعَ ذلك من وَكيل بَيْت المال ، وأعانَه عليه قَوْمٌ آخرون يجتمعون عند الله تعالى .

ذِكْرُ المَعْشُــوق ـ اعْلَم أنَّ المَعْشُوقَ اسمٌ لمكانٍ فيه أشْجارٌ بظاهِر مصر ، من جملة خِطَّة راشِدَة ، عُرِفَ أوَّلًا بجِنان كَهْمَس بن مَعْمَر ، ثم عُرِفَ بجِنان الماذَرائي [a] ، ثم عُرِفَ بجِنان الأمير تَميم بن المُعِزّ لدين الله ، ثم جَدَّدَه الأَفْضَلُ بنُ أمير الجُيُوش فعُرِفَ به . وآخِرُ ما [b] صارَ من وَقْف ابن الصَّابوني ، فأخَذَه الصَّاحِبُ تاجُ الدِّين محمد بن حِنَّا وعَمَّر به مَناظِرَ ، وأَوْصَى بعِمارَة رِباطٍ للآثار النَّبَوِيَّة وأن تُوقف عليه . فلمَّا أُنْشئ الرِّباطُ المذكور ، أُرْصِدَ لمصالحِه ، وهو الآن وَقْفٌ عليه .

---

a) بولاق : المارداني . b) بولاق : وآخرًا .

---

[١] يَدُلُّ على موقع بركة الشُّعَيْبِيَّة الآن منطقة الزُّهراء جنوب كوبري الملك الصالح بمصر القديمة (وانظر كذلك محمد الشِّشتاوي : متنزهات القاهرة ، ٩٧-٩٩) .

[٢] حاشية بخَطِّ المؤلِّف : «هذه الثلاثة أفْدِنَة التي عُرِفَت بجِسْر الأَفْرَم فيما بين رِباط الآثار والمَدْرَسة المُعِزِّيَّة ظاهر مصر» .

وأرْضُ هذا البُسْتان مِمَّا وَقَفَه ابنُ الصَّابوني على بنيه، وعلى رِباطِه المجاوِر لِقُبَّة الإمام الشَّافِعِيّ - رضي الله تعالى عنه - بالقَرافَة. وبَنُو الصَّابوني يَسْتأدُون من المُتَحدِّث على رِباط الآثار شيئًا في كلِّ سنةٍ عن حِكْر أرْض بُسْتان المَعْشُوق.

قال القُضَاعِي في ذِكْر خِطَّة راشِدَة: ومنها المَقْبَرَةُ المعروفة بمَقْبَرَة راشِدَة، والجِنَانُ المعروف كان[a] بكَهْمَس بن مَعْمَر، ثم عُرِفَ[b] بالماذَرائي[c]، وهو المعروف الآن بالأمير تَميم ابن المُعِزّ[1].

٥

/وقال ابنُ يُونُس: كَهْمَس بن مَعْمَر بن محمد بن مَعْمَر بن حَبيب، يكنى أبا القاسم، كان أبُوهُ بَصْرِيًّا ووُلِد هو بمصر، وكان عاقِلًا، وكانت القُضَاةُ تقبله. حَدَّثَ عن محمد بن رُمْح وعيسىٰ بن حَمّاد زُغْبَة، وسَلْمَة بن شَبيب ونحوهم. توفِّي في يوم الاثنين لأربعٍ خَلَوْن من شهر رَبيع الأوَّل سنة إحدى عشرة وثلاث مائة[2].

١٠

وقال ابنُ خَلِّكان: تَميمُ بن المُعِزّ بن المَنْصور بن القائِم بن المَهْدي، كان أبوهُ صاحِبَ الدِّيار المصرية والمَغْرب، وهو الذي بَنَى القاهِرَة المُعِزِّيَّة. وكان تَميمُ فاضِلًا شاعِرًا ماهِرًا لَطيفًا ظَريفًا، ولم يَلِ المملكة لأنَّ وِلايَة العَهْد كانت لأخيه العَزيز فوَلِيَها بعد أبيه، وأشْعارُه كلُّها حَسَنَة، وكانت وفاتُه في ذي القعدة سنة أربعٍ وسبعين وثلاث مائة[3]. وقد ذَكَرَ كُلًّا من الماذرائي[c] وابن حِنًّا والأَفْضَل.

١٥

---

a) بولاق: الجنان المعروفة كانت تعرف. b) بولاق: عرفت. c) بولاق: الماردانى.

---

[1] حاشية بخَطِّ المؤلِّف: «وبَنَى المُعْتَمِدُ على الله أحمد ابن المُتَوَكِّل في الجانب الشرقي من «سُرَّ من رَأى» قَصْرًا سمَّاه المَعْشُوق وأقامَ به. وبين بغداد وتكريت منزِلَةٌ فيها آثارُ بناءٍ وقُصُور تُسَمَّى العاشِق والمَعْشوق. وفيه أنْشَدَ الشَّريفُ زُهْرَة بن عليّ بن زُهْرَة بن الحسن الحُسَيْني، وقد اجتازَ به يُريدُ الحَجّ:

[الخفيف]

قد رَأَيْتُ المَعْشُوقَ وهو من الهَجْـ ـرِ بحـالٍ تنبـو النَّواظِر عنه
أثَّـرَ الدَّهْـرُ فيـه آثـارَ سُـوءٍ قـد أدالَت يَدُ الحَوادِث منه»

وقد وَرَدَ هذا النَّصُّ في مَتْن طبعة بولاق.

[2] ابن يونس: تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين) ٤١٥.

[3] ابن خلكان: وفيات الأعيان ١: ٣٠١، ٣٠٣؛ وقارن كذلك ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة ١٢٨؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٥٨٨- ٦٠٠.

ونشر ديوانه محمد حسن الأعظمي وصدر عن دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٥٦، ١٩٩٤.

وأمّا ابنُ مَمّـــاتي فإنّه أَسْعَدُ بن مُهَذَّب بن زَكَريّا بن قُدامَة بن مِينا، شَرَفُ الدِّين مَمّاتي أبي المكارِم بن سَعيد بن أبي المَليح الكاتِب المصري[1]. أصْلُه من نَصارَىٰ سُيوط من صَعيد مصر، واتَّصَل جَدُّه أبو المليح بأمير الجُيُوش بَدْر الجَمَالي، وَزير مصر في أيّام الخَليفَة المُسْتَنْصِر بالله، وكَتَبَ في ديوان مصر، ووَلِيَ اسْتيفاء الدِّيوان. وكان جَوَادًا مَمْدوحًا، انْقَطَعَ إليه أبو الطّاهِر إسماعيل بن محمد، المعروف بابن مُكْنَسَة الشّاعِر[2]، فمن قَوْلِه فيه لمّا مات[3]:

[مجزوء الكامل]

طُـوِيَـتْ سَـمَـاءُ المَكْـرُمـا ... تِ وكُوِّرَتْ شَمْسُ المَديحِ

وتـنـاثَـرَت شُـهُـبُ الـعُـلا ... من بَعْدِ موتِ أبي المَليحِ

ما كان بالنُّكْس الدَّنِي ... ء من الرِّجال ولا الشَّحيحِ

كَفَـرَ النَّصارَىٰ بعدَ مَا ... غَـدَرُوا بِـه دون المَسِـيـحِ

ورَثاهُ جَماعَةٌ من الشُّعَراء. ولمّا ماتَ وَلِيَ ابنُه المُهَذَّبُ بن أبي المليح زكريّا ديوان الجَيْش بمصر في آخر الدَّوْلَة الفاطِمية. فلمّا قَدِمَ الأميرُ أَسَدُ الدِّين شِيركوه وتَقَلَّد وَزارَة الخَليفَة العاضِد، شَدَّد على النَّصارَىٰ وأَمَرَهُم بشَدِّ الزَّنانير على أَوْساطِهم، ومَنَعَهُم من إرْخاء الذُّؤابَة التي تُسَمَّى اليوم بالعَذَبَة، فكَتَبَ لأَسَد الدِّين:

[السريع]

يا أَسَدَ الدِّين ومن عَدْلِه ... يَحْفَظ فينا سُنَّةَ المُصْطَفَىٰ

كَفَى غِيارًا شَدُّ أَوْساطِنَا ... فمَا الذي أَوْجَبَ كَشْفَ القَفَا

فلم يُشعفه بطَلِبته، ولا مَكَّنه من إرْخاءِ الذُّؤابَة.

---

[1] القاضي شَرَف الدِّين أبو المكارم الأسْعَدُ بن مُهَذَّب بن مِينا بن أبي المليح زكريّا بن قُدامَة بن أبي مليح مينا، ابن الخطير أبي سعيد، المعروف بابن مَمّاتي ـ بفتح الميمين وتشديد الثانية ـ المتوفى سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م. (ياقوت: معجم الأدباء ٦:١- ١٢٦؛ القفطي: إنباه الرواة ١:٢٣١- ٢٣٤؛ العماد الكاتب: خريدة القصر (قسم مصر) ١:١٠٠- ١١٣؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ١:٢١٠- ٢١٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١:٤٨٥- ٤٨٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٩:١٩- ٢٧؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢:٨٣- ٨٧، السلوك ١: ١٧٣؛ Azîz S. Atiya, *EI*[2] art. *Ibn Mammâtî* III, pp. 886-87; id., *CE* art. *Ibn Mammâti* 4, pp. 1268-69).

[2] أبو الطاهر إسماعيل بن محمد المعروف بابن مُكْنَسَة الإسكندراني، من شعراء مصر في العصر الفاطمي، المتوفى سنة ٥١٠هـ/١١١٦م. (العماد الكاتب: خريدة القصر (قسم مصر) ٢:٢٠٣- ٢١٥؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٩:٢١٣-٢١٥).

[3] هذه القصيدة كانت سَبَبًا في هَجْر الوزير الأَفْضَل شاهِنْشاه لابن مَكْنَسَة وإبعاده. (الخريدة ٢:٢٠٣)، وانظر بعض أبياتها عند القفطي: إنباه الرواة ١: ٢٣١.

وعندما أَيِسَ من ذلك أَسْلَم ، فقُدِّمَ على الدَّواوين حتَّى مات . فَخَلَفَه ابنه أبو المكارِم أَسْعَد ابن مُهَذَّب ، الملقَّب بالخَطير ، على ديوان الجَيْش ، واستمرَّ في ذلك مُدَّةً أيام السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب وأيَّام ابنه الملك العَزيز عُثْمان ، ووَلِيَ نَظَر الدَّواوين أيضًا ، واخْتَصَّ بالقاضي الفاضِل وحَظِيَ عنده ، وكان يُسَمِّيه بُلْبُل المَجْلِس لما يَرَى من حُسْن خِطابِه .

٥ وصَنَّفَ عِدَّةَ مُصَنَّفاتٍ : منها «تَلْقين اليَقين» فيه الكلام على حديث «بُنِيَ الإسْلامُ على خَمْس ...» ، وكِتاب «حُجَّةِ الحَقِّ على الخَلْق» في التَّحْذير من سُوء عاقِبَة الظُّلْم ، وهو كبير ، وكان السُّلطانُ صَلاح الدِّين يُكْثِر النَّظَر فيه ، وقال فيه القاضي الفاضِلُ : وَقَفْتُ من الكُتُب على ما لا تُحْصى عِدَّتُه ، فما رأيتُ والله كِتابًا يكون قُبالَة بابٍ منه ، وإنَّه والله من أَهَمّ ما طالَعَه الملوك . وكِتابُ «قَوانين الدَّواوين» صَنَّفَه للملك العَزيز ، فيما يتعلَّق بدواوين مصر ورُسومِها وأُصُولِها

١٠ وأحْوالِها ، وما يجري فيها ، وهو أَربعة أجزاء ضخمة ، والذي يَقَعُ في أيْدي النَّاس جُزْءٌ واحِدٌ اخْتَصَرَهُ منه غير المُصَنِّف . فإنَّ ابن مَمَّاتي ذَكَرَ فيه أَربعة آلاف ضَيْعَة من أعْمال مصر ، ومِساحَة كلِّ ضَيْعَة ، وقانُون رَيِّها ، ومُتَحَصَّلها من عَيْنٍ وغَلَّة . ونَظَمَ سِيرَة السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف ، ونَظَمَ «كَليلَة ودِمْنَة» ، وله ديوانُ شِعْر [١] .

ولم يَزَلْ بمصر حتى مَلَكَ السُّلْطانُ الملكُ العادِلُ أبو بكر بن أيُّوب ، ووَزَرَ له صَفِيُّ الدِّين عليُّ

١٥ ابن عبد الله بن شُكْر ، فخافَه الأَسْعَدُ لِما كان يَصْدُر منه في حَقِّه من الإهانَة . وشَرَعَ الوَزيرُ ابن شُكْر في العَمَلَ عليه ، ورَتَّبَ له مُؤامَرات ونَكَبه ، وأحالَ عليه الأجْناد . ففَرَّ من القاهِرَة وسَقَطَ في حَلَب ، فخَدَمَ بها حتى ماتَ في يوم الأحد سَلْخ جُمادَى الأولى سنة ستٍّ وستِّ مائة عن اثنتين وستين سنة .

وكان سَبَبُ تَلْقيب أبي مَليح بمَمَّاتي أنَّه كان عنده ، في غَلاء مصر في أيَّام المُسْتَنْصِر ، قَمْحٌ

٢٠ كثيرٌ ، وكان يَتَصَدَّق على صِغار المسلمين وهو إذ ذاك نَصْراني ، وكان الصِّغارُ إذا رَأَوْه/ قالوا : مَمَّاتي ، فلُقِّب بها .

---

[١] انظر قائمة بمؤلَّفات ابن مَمَّاتي عند ، الصفدي : الوافي بالوفيات ٩: ٢٠؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٨٤– ٨٥؛ Brockelmann, C., *GAL* I, 335, *S*I, 573؛ وهذا النص موجود كذلك عند المقريزي في المقفى الكبير ٢: ٨٥. وما وَصَلَ إلينا من كتاب «قوانين الدَّواوين» ليس أصْل الكتاب ، وإنَّما مختصره الذي يشير إليه المقريزي هنا ، ونَشَرَهُ عزيز سوريال عطية بالقاهرة سنة ١٩٤٣ ضمن مطبوعات الجمعية الزراعية الملكية .

ومن شِعْرِه :

[الوافر]

تُعاتِبُني وتَنْهَى عن أُمورٍ سَبيلُ النَّاسِ أن يَنْهَوْكَ عَنْها
أَتَقْدِرُ[a] أن تكون كمِثْلِ عَيْني وحَقِّك ما عليَّ أَضَرُّ منها

وقال في أُتْرُجَّةٍ كانت بين يَدَيِ القاضي الفاضِل ، وهو مَعْنًى بَديع : ٥

[السريع]

لله بَلْ لـلـحُسْـن أُتْـرُجَّـةٌ تُذَكِّر النَّاسَ بأَمْرِ النَّعيم
كأنَّها قد جَمَعَت نَفْسَها من هَيْبَةِ الفاضِل عبد الرَّحيم

بِرْكَةُ شَطَـا

[b]هذه البِرْكَةُ مَوْضِعُها الآن كِيمانٌ على يَسْرَة من يخرج من باب القَنْطَرَة بمَدينَة مصر طالِبًا جِسْر الأَفْرَم ورِباط الآثار [1] . كان الماءُ يَعْبُر إليها من خَليج بني وائِل ، وموضعُه على يَمْنَة من يَخْرُج من باب القَنْطَرَة المذكور ، وكان عليه قَنْطَرَةٌ بناها العَزيزُ بالله بن المُعِزّ ، وبها سُمِّيَ بابُ القَنْطَرَة هذا[b]. ١٠

قال ابنُ المُتَوَّج : بِرْكَةُ شَطًا بظاهِر مصر على يَسْرَة من مَرَّ من باب القَنْطَرَة ، وكان الماءُ يَدْخُل إليها من خَليج بني وائِل من تَرابيع بالسُّور المستجدّ ، ومن بِرْكَة الشُّعَيْبِيَّة من قَنْطَرةٍ في وَسَط الجِسْر المعروف بجِسْر الحَيَّات ، الذي كان يَفْصِل بين البِرْكَتَيْن المذكورتين ، وكان بوَسَطِها مَسْجِدٌ يُعْرَف بمَسْجد الجَلالَة بقَناطِر بوَسَطها كان يُسْلَك عليها إليه ، وكان يُطِلّ على بِرْكَة شَطا آدُر خَرِبَت بانْقِطاع الماء عنها ، وكان إلى جانبها بُستانٌ فيه مَنْظَرَةٌ ووَرَّاقَةٌ[c] وطاحُونٌ وحمَّامٌ ، وبظاهِر بابِه حَوْضُ سَبيل وَقْف ذلك المُخَلِّص المُوَقِّع ، وقد خَرِبَ[d] [2] . ١٥

---

a) بولاق : أتقدر . b-b) هذه الفقرة وردت في هامش آياصوفيا ، وكتب الناسخ قبلها : «حاشية بخط المؤلف من غير تخريج» . c) بولاق : دراية . d) النص عند ابن دقماق ، وهو ينقل كذلك عن ابن المتوج : «كل ذلك عمره القاضي مُخلص الدِّين الموقع المعروف بالمخلص ، وهذا المكان قد خرب» .

---

[1] بِرْكَةُ شَطا . يَدُلُّ على موقعها الآن الجزء الجنوبي من خَرْطَة الشيخ مبارك شمال محطة الزَّهْراء بمنطقة مصر القديمة . (وانظر كذلك ، محمد الششتاوي : متنزهات القاهرة ٩٩-١٠٠) .

[2] ابن دقماق : الانتصار ٤: ٥٤- ٥٥.

بِرْكَةُ قَارُوق

هذه البِرْكَةُ مَوْضِعُها الآن فيما بين حَدْرَة ابن قَميحَة، خَلْف جامِع ابن طُولون، وبين الجِسْر الأَعْظَم[1] الفاصِل بين هذه البِرْكَة وبِرْكة الفِيل. وعليها الآن عِدَّةُ آدُرٍ وتُعْرَف ببِرْكَة قَراجَا، وكان عليها عِدَّةُ عَمائِر جَليلَة في قَديم الزَّمان عندما عُمِّر العَسْكَرُ والقَطائِع[2]. فلمَّا خَرِبَتِ العَسْكَرُ والقَطائِعُ ـ كما ذُكِرَ في مَوْضِعِه من هذا الكِتاب ـ خَرِبَ ما كان من الدُّور على هذه البِرْكَة أيضًا حتى إنَّه كان من خَرَجَ من مُصَلَّىٰ مصر القَديم ـ وموضعه الآن الكُوم الذي يُطِلّ على قَبْر القاضي بَكَّار بالقَرافَة الكُبْرَىٰ ـ يَرَى بِرْكَتي الفِيل وقارون والنِّيل.

ولم يَزَل ما حَوْلَ هذه البِرْكَة خَرابًا إلى أن حَفَرَ المَلِكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون البِرْكَة النَّاصِرِيَّة في أراضي الزُّهْري[3]، وكانت واقِعَةُ الكَنائِس في سنة إحدى وعشرين وسبع مائة[4]، فصارَ جانِبُ هذه البِرْكَة الذي يلي خُطَّ السَّبْع سِقايات مَقْطَع طَريق فيه مركز مقيمٌ فيه، من جِهَة مُتَوَلِّي مصر، من يَحْرُس المارَّة من القاهِرَة إلى مصر.

ولم يكن هناك شيءٌ من الدُّور، وإنَّما كان هناك بُسْتانٌ بجوار حَوْض الدِّمْياطي، الموجود الآن تِجاه كُوم الأَسارَىٰ، على يَمْنَة من خَرَجَ وسَلَكَ من السَّبْع سِقايات إلى قَنْطَرَة السَّدّ، ويُشْرِفُ هذا البُسْتان على هذه البِرْكَة. فحَكَرَ آقْبُغا عبد الواحِد مكانَه، وصارَت فيه الدُّور الموجودة الآن، كما ذُكِرَ عند حِكْر آقْبُغا في ذِكْر الأَحْكار[5].

قال القُضاعِي: دارُ الفِيل هي الدَّار التي على بِرْكَة قارون، ذَكَرَ بنو مِسْكين أنَّها من حَبْس جَدِّهم[6]. وكان كافُورٌ أميرُ مصر اشْتَراها وبَنَى فيها دارًا، ذُكِرَ أنَّه أَنْفَقَ عليها مائة

[1] فيما يلي ٥٥٢.

[2] بِرْكَةُ قارُون، كانت تجاه بِرْكة الفيل، فيما بين حَدْرَة ابن قميحة (وهي الأرض المنحدرة من تلال زينهم في اتجاه شارع زينهم المتعامد على أوَّل شارع زين العابدين) وبين الجِسْر الأعظم (الذي يَدُلُّ على موضعه الشارع المعروف الآن بشارع عبد المجيد اللَّبَّان (مراسينا سابقًا). ويدُلُّ على موقع البركة الآن المنطقة الممتدة بين شارع زينهم الجديد جنوبًا وشارع سلامة شمالًا وشارع الوابور شرقًا وحارة الشيخ البَغَّال وسيدي زينهم غربًا، وتقع إلى الشرق منها الأرض المعروفة الآن بحوش أيُّوب بك أمام الساقية الأثرية. (محمد رمزي: مذكرة في تسمية الشوارع والطرق ٤١٣؛ Salmon, G., *Études sur la topographie du Caire*, pp. 35-39؛ محمد الشَّشتاوي: متنزهات القاهرة ١٠١-١٠٢).

[3] فيما يلي ٥٤٩.

[4] فيما يلي ٢: ٥١٢-٥١٧.

[5] فيما تقدم ٣٨٥.

[6] ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٢٥.

ألف دينار، ثم سَكَنَها في رَجَب سنة ستٍّ وأربعين وثلاث مائة.

وذَكَرَ اليَمَني أنَّه انتقل إليها في جُمادَى الآخرة من السنة المذكورة، وأنَّه كان أَدْخَل فيها عِدَّةَ مَساجِد ومَواضِع اغْتَصَبَها من أَرْبابِها ولم يُقِم فيها غير أيَّامٍ قَلائِل، ثم أَرْسَلَ إلى أبي جَعْفَر مُسْلِم الحُسَيْني ليلًا فقال له: امضِ بي إلى دارِك. فمَضَى به فمَرَّ على دارٍ، فقال: لمن هذه؟ فقال: لغُلامك نِحْرير التربية. فدَخَلَها وأقامَ فيها شُهورًا إلى أن عَمَّروا له دارَ خُمارَوَيْه المعروفة بدار الحَرَم ٥ وسَكَنَها. وقيل إنَّ سَبَبَ انتقاله من جِنان بني مِسْكِين بُخار البِرْكَة، وقيل وَباءٌ وَقَعَ في غِلْمانه، وقيل ظَهَرَ له بها جانٌ[١].

وكانت دارُ الفِيل هذه يُنْظَر منها جَزِيرَة مصر التي تُعْرَف اليوم بالرَّوْضَة.

قال أبو عُمَر الكِنْدي في «كِتاب المَوالي»: ومنهم أبو عُتَيْم، مَوْلَى مَسْلَمَة بن مَخْلَد الأنْصاري. كان شَريفًا في الموالي، ووَلَّاه عبدُ العَزيز بن مَرْوان الجَزيرَة ثم عَزَلَه عنها. وكان ١٠ يجلسُ في دارِه التي يُقالُ لها دارُ الفِيل، فينظر إلى الجَزيرَة فيقول لإخوانِه: أَخْبِروني بأَعْجَب شيءٍ في الدُّنْيا. قالوا: مَنارَة الإسْكَنْدَرية؛ [a]قال: ما صَنَعتم شيئًا، فيقولون: الأهْرام، فيقول[a]: ما أَصَبْتُم شيئًا. فيقولون له: فقَنَاة قَرْطاجَنَّة؛ فيقول: ما صَنَعْتُم شيئًا. قالوا: فما تقول أنت؟ قال: العَجَبُ أنّي أنظر إلى الجَزيرَة ولا أَقْدر أَدْخُلها.

وعلى هذه البِرْكَة الآن عِدَّةُ آدُرٍ جَليلَةٍ، وجامِعٌ وحَمَّامٌ وغير ذلك. ١٥

بِرْكَةُ الفِيل

هذه البِرْكَةُ فيما بين مصر والقاهِرَة، وهي كبيرةٌ جِدًّا، ولم يكن في القَديم عليها بُنْيان. ولمَّا وَضَعَ جَوْهَرٌ القائِد مَدينَة القاهِرَة كانت تِجاه القاهِرَة، ثم حَدَثَت حارَةُ السُّودان وغيرها خارِج باب زَوِيلَة. وكان ما بين حارَة السُّودان وحارَة اليانِسِيَّة وبين بِرْكَة الفِيل فَضَاءٌ، ثم عَمَرَ النَّاسُ حَوْل بِرْكَة الفِيل بعد الستّ مائة حتى صارَت مَساكِنُها أَجلَّ مَساكِن مصر كلِّها[٢]. ٢٠

a-a) ساقطة من بولاق.

[١] ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٢٥.

[٢] بِرْكَة الفيل. لم تكن بِرْكَةُ الفيل - مثلها مثل بركة الحَبَش وعَدَدٍ آخر من بِرَك القاهرة - بركةً عميقةً فيها ماء راكد بالمعنى المفهوم الآن من لفظ بركة، وإنَّما كانت تطلق =

قال ابنُ سعيد وقد ذَكَرَ القاهِرَة : وأَعْجَبَني في ظاهِرِها بِرْكَةُ الفيل ، لأنَّها/ دائِرةٌ كالبَدْر والمَناظِرُ فوقَها كالنُّجوم ، وعادَةُ السُّلْطان أن يَرْكَب فيها باللَّيْل ، وتُسْرِج أَصْحابُ المناظِر على قَدْر هِمَمِهم وقُدْرَتِهم ، فيكون بذلك لها مَنْظَرٌ عجيبٌ ، وفيها أقول :

[البسيط]

انْظُرْ إلى بِرْكَة الفِيل التي اكْتَنَفَتْ ... بها المَناظِرُ كالأَهْدابِ للبَصَر

كأنَّما هي والأَبْصار تَرْمُقُها ... كواكِبٌ قد أَداروها على القَمَر

٥

ونَظَرْتُ إليها ، وقد قابَلَتْها الشَّمْسُ بالغُدُوِّ ، فقلت :

[البسيط]

انظر إلى بِرْكَة الفِيل التي نُحِرَت ... لها الغَزالَةُ نَحْرا من مَطالِعِها

وخَلِّ طَرْفَك مَحْفُوفًا ببَهْجَتِها ... تَهيمُ وَجْدًا وحُبًّا في بدائِعِها[1]

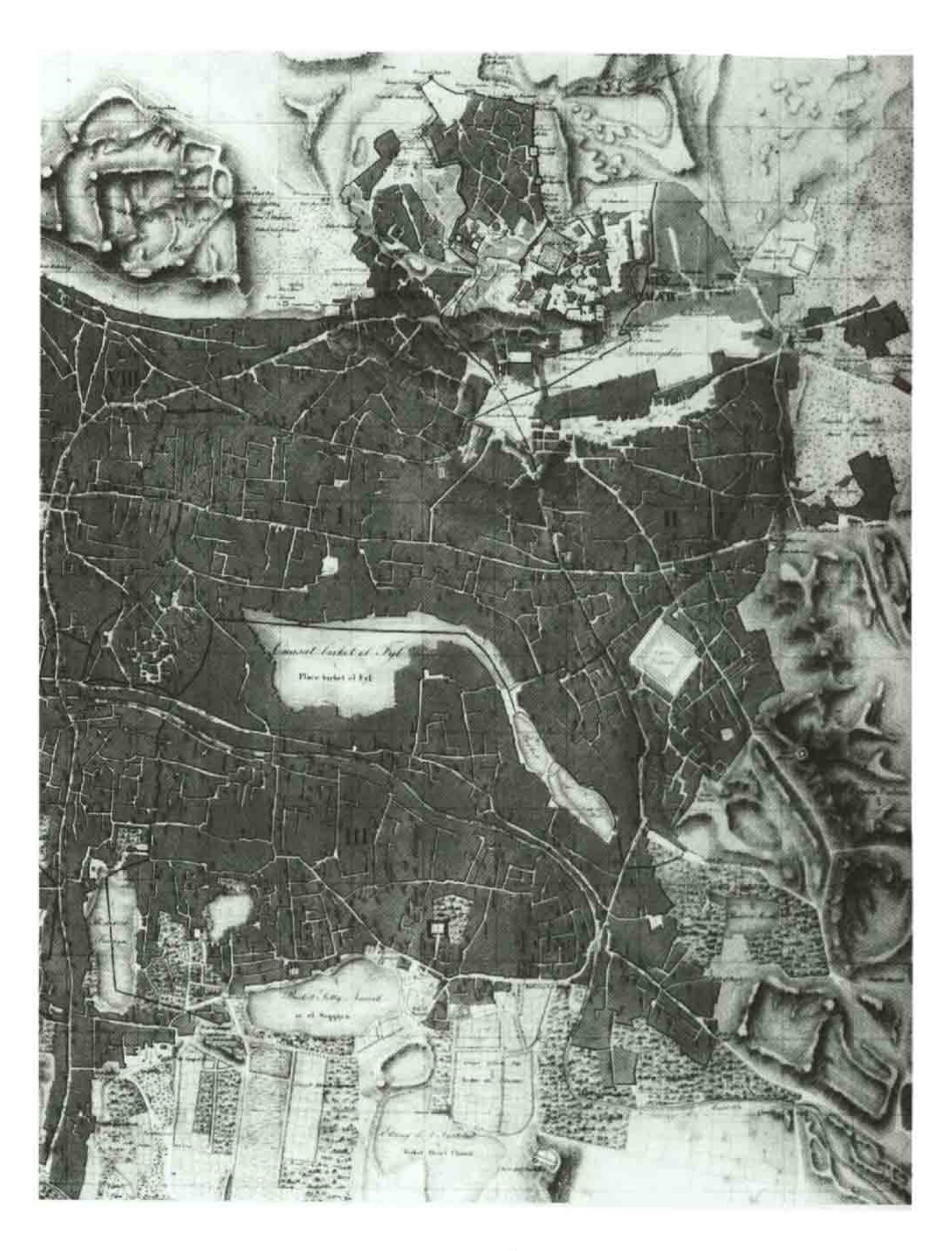
١٠

وماءُ النِّيل يَدْخُل إلى بِرْكَة الفِيل من المَوْضِع الذي يُعْرَف اليوم بالجِسْر الأَعْظَم تِجاه الكَبْش. وبَلَغَني أنَّه كان هناك قَنْطَرَةٌ كبيرةٌ فهُدِمَت وعُمِلَ مَكانَها هذه المَجاديل الحَجَر التي يَمُرُّ عليها النَّاسُ .

= على أرضٍ زراعية يغمرها ماءُ النيل سنويًّا وقت الفيضان عن طريق الخليج المصري ، وبعد نزول الماء تزرع أصنافًا شتوية ، أشهرها البرسيم الذي كان يستهلك في تغذية دواب القاهرة . وكانت البِرْكَة معتبرة في دَفاتِر المساحة من النَّواحي المربوط على أراضيها الخَراج ولم يُحْذَف اسمُها من جداول أسماء النَّواحي إلَّا بعد تَحَوُّل معظم أراضيها إلى مساكن . وبدأت أراضيها في التَّحَوُّل من الزراعة إلى السكن منذ سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٢م ، ولم يبق من أرض البِرْكَة بغير بناء إلى سنة ١٢١٤هـ/١٧٩٨م ـ التي رُسِمَت فيها لأَوَّل مَرَّة بِرْكَة الفيل على خريطة مساحية ـ هي خريطة القاهرة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية في هذه السنة (انظر الصورة) ، إلَّا قطعةٌ أقيم عليها فيما بعد سراي عباس باشا الأَوَّل والي مصر المعروفة بالسراية الإلهامية (التي تحرَّفت إلى الحلمية) وحديقتها الكبيرة . وفي سنة ١٨٩٤ قسمت أراضي الحديقة ، ثم هدمت السراي سنة ١٩٠٢ وقسمت أراضيها أيضًا ، وبيعت جميعُ القطع وأقيمت عليها عماراتٌ حديثة وعُرِفَ الحيّ باسم «الحلمية الجديدة» .

وكانت البِركةُ تَشْغَل المنطقة التي تُحَدُّ الآن من الشمال بسِكَّة الحبّانية ومن الغرب شارع بورسعيد (شارع دَرْب الجماميز وشارع اللبودية وشارع الخليج المصري سابقًا) ، ومن الجنوب شارع عبد المجيد اللَّبّان (مراسينا سابقًا) ، ثم يميل الحدُّ إلى الشمال الشرقي إلى مدرسة أزْبَك اليوسفي حتى يتقابل مع أوَّل شارع نور الظَّلام ويسير فيه إلى أوَّل شارع الألْفي ، ومن الشرق كمالة شارع نور الظَّلام فشارع مصطفى سِرِّي (مهذّب الدِّين الحكيم سابقًا) ، فسكة عبد الرحمن بك وما في امتدادها حتى تقابل الحد البحري . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧: ٣٦٥-٣٦٦هـ[3]؛ Salmon, G., *Études sur la topographie du Caire*, pp. 48-50؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي ق ١، ص١٥٢-١٥٣؛ محمد الشِّشتاوي : متنزهات القاهرة ١٠٥-١٣٥) .

[1] ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٢٦- ١٢٧؛ ابن دقماق : الانتصار ٥: ٤٥.



خريطة توضح مَوْضِع بِرْكَة الفيل (عن كتاب وَصْف مصر)

ويَعْبُر ماءُ النِّيل إلى هذه البِرْكَة أيضًا من الخَلِيج الكبير من تحت قَنْطَرَة تُعْرَف قديمًا وحديثًا بالمجْنونَة [١]، وهي الآن لا تُشْبه القَناطِر، وكأنَّها سَرَبٌ يَعْبُر منه الماءُ، وفوقه بقيَّةُ عَقْدٍ من ناحية الخَلِيج، كان قد عَقَدَه الأميرُ الطَّيْبَرْس[a] وبَنَى فَوْقَه مُتَنَزَّهًا، فقال فيه عَلَمُ الدِّين ابن الصَّاحِب :

٥ [الكامل]

ولقد عَجِبْتُ من الطَّيْبَرْس وصَحْبِهِ   وعُقُولـهـم بعُقُوده مَفْتُونَة
عَقَدُوا عُقُودًا لا تَصِحُّ لأنَّهم   عَقَدُوا لمجْنُونٍ على مَجْنُونَة

وكان الطَّيْبَرْس[a] هذا يَعْتَرِيه الجُنُون، واتَّفَق أنَّ هذا العَقْد لم يَصِحّ وهُدِمَ، وآثارُه باقية إلى اليوم .

١٠

بِرْكَةُ الشَّقَّاف

هذه البِرْكَةُ في بَرِّ الخَلِيج الغربي بجوار اللُّوق، وعليها الجامِعُ المعروف بجامِع الطَّبَّاخ في خُطِّ باب اللُّوق [٢]. وكانت هذه البِرْكَةُ من جملة أراضي الزُّهْري - كما ذُكِرَ في حِكْر الزُّهْرِي عند ذِكْر الأحْكار [٣] - وكان عليها في القَدِيم عِدَّةُ مَناظِر منها مَنْظَرةُ الأمير جَمال الدِّين مُوسَى ابن يَغْمور، وذلك أيَّام كانت أراضي اللُّوق مَواضِعَ نُزْهَة، قبل أن تُحْكَر[b] وتُبْنَى دُورًا، وذلك بعد سنة ستّ مائة .

١٥

---

a) بولاق : الطيبرس. b) بولاق : تحتكر .

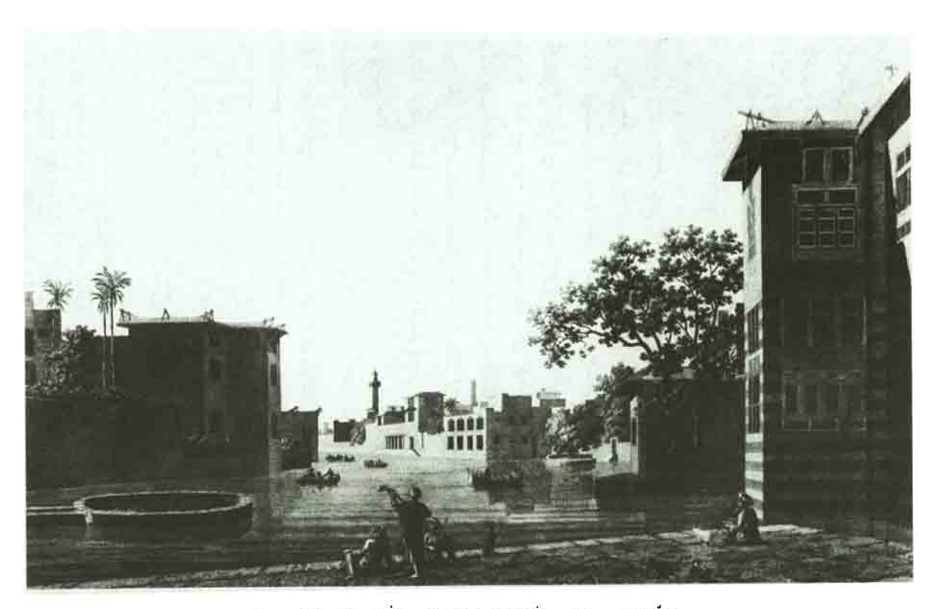
---

[١] قَنْطَرة المجنونة . كانت بالقرب من بُسْتان أبي اليُمْن قُبالَة بُسْتان المخاريق الصغرى بعَدْوة الخليج .

[٢] حاشية بخطِّ المؤلِّف : «ثم عُرِفَت هذه البِرْكَة بِبِرْكَة الشَّخيلَة وببِرْكَة الفَرَّائين من أجْل دَبْغ الفِراء فيها» .

أقول : ما زالَ موقع جامع الطَّبَّاخ معروفًا في الطرف الجنوبي الغربي لمبنى محافظة القاهرة مطلًّا على شارع علي ذو الفقار (الصُّنافيري سابقًا) وميدان باب اللوق (عبد السلام عارف الآن) ، وورد ذكر البركة على خريطة القاهرة التي رسمها علماءُ الحملة الفرنسية باسم «بركة الفرَّائين» (N-13, 99) . وظلَّت البركةُ قائمةً حتى رُدِمَت في زمن الخديو إسماعيل . ويَشْغَل مكانها الآن جزءٌ من مبنى محافظة القاهرة خلف جامع الطباخ ويمتد جنوبًا إلى ميدان عابدين .

[٣] فيما تقدم ٣٧٨.



عازِفٌ يَعْزِف على شاطئ بِرْكَة الفيل نهاية القرن الثامن عشر (عن كِتاب وَصْف مصر)

بِرْكَةُ السَّبَّاعِين

عُرِفَت بذلك لأنَّه اتُّخِذَ عليها دارٌ للسِّباع ، وهي موجودةٌ هناك إلى يومِنا هذا ، وهي من جملة حِكْر الزُّهْري وعليها الآن دُور [١]. ولم تَحْدُث بها العِمَارةُ إلَّا بعد سنة سبع مائة ، وإنَّما كان جَميعُ ذلك الخُطّ ، وما حَوْلَه من مُنْشَأة المَهْراني إلى المَقْس بَساتين ، ثم حُكِرَت .

بِرْكَةُ الرَّطْلِي

هذه البِرْكَةُ من جملة أَرْض الطَّبَّالَة ، عُرِفَت بِبِرْكَة الطَّوَّابِين من أَجْل أنَّه كان يُعْمَل فيها الطُّوب . فلمَّا حَفَرَ الملكُ النَّاصِر محمد بن قَلاوون الخَليج النَّاصِريَّ ، الْتَمَسَ الأميرُ بَكْتَمُر الحاجِب من المهندسين أن يجعلوا حَفْر الخَليج على الجُوف إلى أن يَمُرَّ بجانِب بِرْكَة الطَّوَّابِين هذه ، ويَصُبَّ من بَحْري أَرْض الطَّبَّالَة في الخَليج الكبير ، فوافَقُوه على ذلك ، ومَرَّ الخَليجُ من ظاهِر هذه البِرْكَة كما هو اليوم . فلمَّا جَرَى ماءُ النِّيل فيه رَوَى أَرْضَ البِرْكَة ، فعُرِفَت بِبِرْكَة الحاجِب ، فإنَّها كانت بيد الأمير بَكْتَمُر الحاجِب المذكور [٢]. وكان في شَرْقي هذه البِرْكَة زاوية بها نَخْلٌ كثيرٌ ، وفيها شَخْصٌ يَصْنَع الأَرْطال الحَديد التي تَزِن بها الباعَةُ ، فسمَّاها النَّاسُ بِرْكَة الرَّطْلي نِسْبَةً لصانِع الأَرْطال ، وبقيت نَخيل الزَّاوِيَة قائِمةً بالبِرْكَة إلى ما بعد سنة تسعين وسبع مائة .

---

[١] بِرْكَةُ السَّبَّاعين . هي نفسها البركة المذكورة على الخريطة التي رسمها علماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم «بِرْكَة الدَّمالِشَة» (P-12, 224) ، كانت تقع على يمين المارّ من بَوَّابَة النَّاصرية إلى جهة الشيخ رَيْحان . وحَلَّ محلَّها الآن الجزء الجنوبي من قصر ومَيْدان عابدين شمالًا ، وتمتدّ جنوبًا حتى جامع محمد بك المَبْدول جنوب متحف فؤاد الصُّحي .

[٢] بِرْكَةُ الرَّطْلي (بِرْكَةُ الحاجِب ، بِرْكَةُ الطَّوَّابَة) . كانت تقع ضمن أرض الطَّبَّالَة (فيما تقدم ٤١٧) ، وكانت موجودةً إلى حوالي سنة ١٨٥٠م تروى بماء النيل أثناء الفيضان ثم تُزْرَع أصنافًا شتوية بعد ذلك . ومن تلك السنة بَطَلَت الزراعة منها وتحوَّلت تدريجيًّا إلى أراضٍ للبناء . وأقدم خريطة للقاهرة وَرَدَ بها رَسْمُ تلك البركة (مثل غيرها من بِرَك القاهرة) الخريطةُ التي رَسَمَها عُلماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨م (B-9, B-10, 434) . وكانت تشغل المنطقة التي تُحَدّ الآن من الشمال بشارع الظاهر ومن الغرب بشارع يوسف باشا سليمان ، ومن الجنوب بشارع يوسف باشا وهبة وما في امتداده إلى الشرق حتى يتلاقى مع شارع البكرية عند مدرسة الفرير دي لاسال . (محمد رمزي : مذكرة في تسمية الشوارع ٤١٥ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ : ١٧١هـ [١] ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١ : ٤٥٦ ؛ محمد الششتاوي : متنزهات القاهرة ١٧٠-١٧٩) .

فلمَّا جَرَى الماءُ في الخَلِيج النَّاصِرِيّ، ودَخَلَ منه إلى هذه البِرْكَة، عُمِلَ الجِسْرُ بين البِرْكَة والخَلِيج، فحَكَرَه النَّاسُ، وبنوا فَوْقَه الدُّور، ثم تتابَعوا في البِنَاء حَوْلَ البِرْكَة حتى لم يَبْقَ بدائِرِها خلوٌ، وصارَتِ المراكِبُ تعبر إليها من الخَلِيج النَّاصِرِيّ، فتدورها تحت البيوت وهي مشحونةٌ بالنَّاس، فتمرُّ هنالك للنَّاس أحوالٌ من اللَّهْو يَقْصُر عنها الوَصْف.

وتَظاهَر النَّاسُ في المراكِب بأنواعِ المُنْكَرات من شُرْب المُسْكِرات، وتَبَرُّج النِّسَاء الفاجِرات واختلاطِهِنّ بالرِّجال من غير إنْكارٍ. فإذا نَضَبَ ماءُ النِّيل زُرِعَت هذه البِرْكَةُ بالقِرْط وغيره، فيجتمع فيها من النَّاس في يومي الأحَد والجُمُعَة عالَمٌ لا يُحْصَى لهم عَدَدٌ.

وأدْرَكْتُ بهذه البِرْكَة، من بعد سنة سبعين وسبع مائة إلى سنة ثمان مائة، أوْقاتًا انكفَّت فيها عمَّن كان بها أيْدِي الغِيَر، ورَقَدَت عن أهاليها أعْيُنُ الحَوادِث، وساعَدَهم الوَقْتُ إذِ النَّاسُ ناسٌ والزَّمانُ زَمانٌ. ثم لمَّا تَكَدَّر جَوُّ المَسَرَّات، وتَقَلَّصَ ظِلُّ الرَّفاهَة، وانْهَلَّت سَحائِبُ المِحَن من سنة ستٍّ وثمان مائة تلاشَى أمْرُها.

وفيها إلى الآن بَقِيَّةُ صَبابَة، ومَعالِم أُنس، وآثارٌ تُنْبِئ عن حُسْن عَهْدٍ. ولله دَرُّ القائِل[1]:

[السريع]

في أرْضِ طَبَّالَتنا بِرْكَةٌ ... مُدْهِشَةٌ للعَيْنِ والعَقْلِ
تَرْجَحُ في مِيزان عَقْلي على ... كلِّ بِحَارِ الأرْضِ بالرَّطْلِ

/ البِرْكَةُ المعروفة بِبَطْن البَقَرة

هذه البِرْكَةُ كانت فيما بين أرْض الطَّبَّالَة وأراضي اللُّوق، يصلُ إليها ماءُ النِّيل من الخَوْر، فيعبر في خَليج الذَّكَر إليها، وكانت تُجاه قَصْر اللُّؤْلُؤَة ودار الذَّهَب في بَرِّ الخَلِيج الغَرْبي[2]. وأوَّل ما

---

[1] انظر الأبيات عند ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٦٠، ٤٥٦.

[2] كانت بِرْكَة بَطْن البَقَرة تمتدّ في العصر الفاطمي في المنطقة التي يحدُّها من الشمال خطٌّ يسير من مَيْدان القَمْح إلى جامع الرُّوَيْعي ثم حارَة الرُّوَيْعي وشارع وَجْه البِرْكَة إلى ميدان قَنْطَرَة الدِّكَّة، ومن الغرب شارع كامل إلى مَيْدان الأوبرا، ومن الجنوب النهاية القبلية لميدان الأوبرا وشارع طاهر وشارع الموسكي، ومن الشرق خطٌّ يسير موازيًا للخليج المصري مارًّا بشوارع المزين والبنداقة والرّطلي حتى ميدان القمح. ومع توالي الأعوام تحوَّلَت أراضي بَطْن البَقَرة إلى مبانٍ وبساتين وأخَذَ مُسَطَّحُها يَضيقُ حتى أصبحت تشغل الجزء الذي يحدُّه من الشمال شارع وَجْه البِرْكَة ومن الجنوب النهاية القبلية لميدان الأوبرا. ودَخلت هذه البركة في المشروع العمراني الذي قام به المقرّ الأتابكي أزْبَك من طُطُخ الظَّاهري في هذه المنطقة بين سنتي ٨٨٠-٨٨٨هـ/١٤٧٦-١٤٨٤م، والذي نُسِبَت إليه المنطقة والبركة التي أجرى إليها الماء من الخليج النَّاصري. ورُدِمَت هذه البركة في منتصف القرن التاسع عشر وأقيم على أرضها حديقةُ =

عَرَفْت من خَبَر هذه البِرْكَة أنَّها كانت بُسْتانًا كبيرًا ، فيما بين المَقْس وجِنان الزُّهْري ، عُرِفَ بالبُسْتان المَقْسي نسبةً إلى المَقْس ، ويُشْرِفُ على بَحْر النِّيل من غَرْبِيه ، وعلى الخَليج الكبير من شَرْقيه .

فلمَّا كان في أيَّام الخَليفَة الظَّاهِر لإعْزاز دين الله أبي هاشِم عليّ بن الحاكِم بأمْر الله ، أمَرَ بعد سنة عشر وأربع مائة بإزالة أنْشاب هذا البُسْتان ، وأن يُعْمَل بِرْكَة قُدَّام المَنْظَرَة التي تُعْرَف باللُّؤْلُؤَة . فلمَّا كانت الشِّدَّةُ العُظْمَىٰ في زَمَن الخَليفَة المُسْتَنْصِر بالله ، هُجِرَت البِرْكَةُ ، وبُنِيَ في مَوْضِعها عِدَّةُ أماكِن عُرِفَت بحارَة اللُّصُوص [1] .

فلمَّا كان في أيَّام الخَليفَة الآمِر بأحْكام الله ووَزارَة الأجَلّ المأمُون محمد بن فاتِك البَطائِحي ، أُزيلتِ الأبنيةُ ، وعُمِّقَ حَفْرُ الأرْض وسُلِّط عليها ماءُ النِّيل من خَليج الذَّكَر ، فصارَت بِرْكَةً عُرِفَت ببَطْن البَقَرَة ، وما بَرِحَت إلى ما بعد سنة سبع مائة .

وكان قد تَلاشَى أمْرُها منذ كانت الغَلْوَةُ في زَمَن الملك العادِل كَتْبُغا سنة سبع وتسعين وستّ مائة ، فكان مَنْ خَرَجَ من باب القَنْطَرَة يجد عن يَمينه أرْضَ الطَّبَّالَة من جانِب الخَليج الغربي إلى حَدّ المَقْس ، ويجد بَطْنَ البَقَرة عن يَسارِه من جانب الخَليج الغربي إلى حَدّ المَقْس . وبَحْرُ النِّيل الأعْظَم يجري في غربي بَطْن البَقَرَة على حافَة المَقْس إلى غربي أرْض الطَّبَّالَة ويمرّ من حيث الموضع المعروف اليوم بالجُرْف إلى غربي البَعْل ، ويجري إلى مُنْيَة السِّيرج ، فكان خارجُ القاهِرَة أحسن مُتَنَزَّه في مصر من الأمْصَار .

ومَوْضِعُ بَطْن البَقَرَة يُعْرَف اليوم بكُوم الجاكِي المجاور لمَيْدان القَمْح وما جاوَر تلك الكِيمان والخَراب إلى نَحْو باب اللُّوق [a]. وحدَّثني غيرُ واحدٍ ممن لقيت من شُيُوخ المَقْس عن مُشاهَدَة آثارِ هذه البِرْكَة ، وأخبرني عمَّن شاهَدَ فيها الماء . وإلى زَمَنِنا هذا موضِعٌ من غَرْبي الخَليج

a) النص في مسودة الخطط : مكانها الآن الموضع المعروف بكوم الجاكي وسُوق الحمام بآخر ميدان القمح خارج باب القنطرة .

= الأزبكية والأوبرا الخديوية وميدان الأوبرا . وتقلَّصت الآن الحديقة التي صَمَّمَها Berillet - Deschamps واحترقت دارُ الأوبرا سنة ١٩٧١ وحَلَّ محلها جراجٌ مُتَعَدِّد الطُّوابق! (ابن إياس : بدائع الزهور ٣: ١١٧- ١١٨، ١٣٤؛ محمد رمزي : مذكرة في تسمية الشوارع ٨- ٩؛ Behrens-Abouseif, D., *Azbakiyya and its Environs from Azbak to Ismāʿīl, 1476-1869*, Suppl. aux An. Isl. Cahier n° 6 Le Caire IFAO 1985؛ محمد الششتاوي : متنزهات القاهرة ١٤٩-١٦٩) .

[1] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١١٢؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٣٥٧- ٣٥٨؛ وفيما تقدم ٤١٣ .



بِرْكَةُ الأُزْبكيّة (بَطْن البَقَـرَة) (عن كِتاب وَصْف مصر)

فيما يلي مَيْدان القَمْح يُعْرَف ببَطْن البَقَرَة، بقيةٌ من تلك البِرْكَة يجتمع فيه النَّاسُ للنُّزْهَة[1].

بِرْكَةُ جَنَاق

هذه البِرْكَةُ خارج باب الفُتُوح، كانت بالقُرْب من مَنْظَرَة باب الفُتُوح التي تقدَّم ذكْرُها في المناظِر[2]، وكان ما حولها بَساتين، ولم يكُن خارج باب الفُتُوح شيءٌ من هذه الأبْنِيَة، وإنَّما كان هناك بَساتينُ، فكانت هذه البِرْكَةُ فيما بين الخَليج الكبير وبُسْتان ابن صَيْرَم. فلمَّا حُكِرَ بُسْتانُ ابن صَيْرَم، وعُمِّرَ في مَكانِه الآدُرُ وغيرها، وعَمَّرَ النَّاسُ خارج باب الفُتُوح، عَمَّرَ ما حَوْلَ هذه البِرْكَة بالدُّور، وسَكَنها النَّاسُ. وهي إلى الآن عامِرة، وتُعْرَف بِبِرْكَة جَناق[a][3].

بِرْكَةُ الحُجَّاج

هذه البِرْكَة في الجِهَة البَحْرية من القاهِرَة على نحو بَريدٍ منها. عُرِفَت أوَّلًا بجُبِّ عُمَيْرَة، ثم قيل لها أرْضُ الجُبِّ[4]، وعُرِفَت إلى اليوم بِبِرْكَة الحُجَّاج من أجْل نُزُول حُجَّاج البَرِّ بها عند مَسيرهم من القاهِرَة وعند عَوْدِهم[5]. وبعضُ من لا معرفة له بأحْوال أرْض مصر يقول: «جُبُّ يُوسُف عليه السَّلام»، وهو خَطأٌ لا أَصْلَ له.

وما بَرِحَت هذه البِرْكَةُ مُتَنَزَّهًا لملوك القاهِرَة.

---

a) في هامش آياصوفيا: بياض سطرين.

---

[1] المقريزي: مسودة الخطط ١٦٢ظ طَيَّارَة بين الأوراقِ.

[2] فيما تقدم ٢: ٥٦٨- ٥٧٠.

[3] وردت هذه البركة على الخريطة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ بنفس الاسم (D-7, 387). ويَدُلُّ على موضعها الآن جزءٌ من حيِّ الحسينية الواقع خارج باب الفتوح في منطقة يخترقها شارع الجيش فيما بينه وبين شارع الزَّعْفراني. (محمد الششتاوي: متنزهات القاهرة ١٧٩-١٨١).

[4] حاشية بخط المؤلِّف: «الجُبُّ البِئْر التي لا طُي لها، وقال أبو عُبَيْدَة: لا يكون جُبًّا حتى يكون ممَّا وُجِدَ محفورًا، لا ممَّا حَفَرَه النَّاس».

[5] بِرْكَةُ الحُجَّاج. يَدُلُّ على موضعها الآن القرية المعروفة باسم البِرْكَة، إحدى قرى مركز شبين القناطِر بمحافظة القليوبية، وفي الشمال الشرقي من القاهرة شرقي محطة المَرْج. وعُرِفَت بالبِرْكَة بسبب انخفاض أرضها عن منسوب الأراضي الزراعية المجاورة لها. (محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ١/٢: ٣١، وتعليقاته على النجوم الزاهرة ٥: ١٨هـ[1]؛ محمد الششتاوي: متنزهات القاهرة ١٨٣-١٨٦).

قال ابنُ يونُس : عُمَيْرَة بن تَميم بن جَزْء التُّجيبي ، من بني القَرْناء ، صاحِب الجُبّ المعروف بجُبّ عُمَيْرَة ، في المَوْضِع الذي يبرز إليه الحاج من مصر لخروجهم إلى مَكَّة [1] .

وقال أبو عُمَر الكِنْدي في كِتاب « الخَنْدَق » : إنَّ فُرْسانَ الخَنْدق من تُجيب[a] عُمَيْرَة بن تَميم ابن جَزْء ، وصاحِب جُبّ عُمَيْرَة من بني القَرْناء طُعِنَ في تلك الأيام ، فأُرْتِثَ فماتَ بعد ذلك .

وقال في كِتاب : « الأُمَرَاء » : ثم إنَّ أَهْلَ الحَوْف خَرَجُوا على لَيْث بن الفَضْل أمير مصر . وكان السَّبَبُ في ذلك أنَّ لَيْثًا بَعَثَ بمُسَّاح يَمْسَحون عليهم أراضي زَرْعِهم ، فانتقصوا من القَصَب أصابِع . فتظلَّم النَّاسُ إلى لَيْث فلم يَسْمَع منهم ، فعَسْكَروا وسارُوا إلى الفُسْطاط . فخَرَجَ إليهم لَيْثٌ في أربعة آلاف من جند مصر ليومين بقيا من شَعْبان سنة ستٍّ وثمانين ومائة ، فالتقى مع أهل الحَوْف لثنتي عشرة خَلَت من شهر رَمَضَان ، فانْهَزَمَ الجَيْشُ عن لَيْث ، وبقي في مائتين أو نحوها ، فحَمَلَ عليهم من معه فهَزَمهم حتى بَلَغَ بهم غيفًا . وكان التقاؤهم في أرْض جُبّ عُمَيْرَة ، وبَعَثَ لَيْثٌ إلى الفُسْطاط بثمانين رأسًا [b]من رءوس القَيْسِيَّة[b]، ورَجَعَ إلى الفُسْطَاط [2] .

وقال المُسَبِّحي : ولاثنتي عشرة خَلَت من ذي القعدة سنة أرْبَع وثمانين وثلاث مائة ، عَرَضَ أميرُ المؤمنين العَزيز بالله عَساكِرَه بظاهِر القاهِرَة عند سَطْح الجُبّ ، فنُصِبَ له مَضْربُ دِيباج رومي فيه ألف ثَوْب مَفَوَّفَة فضَّة ، ونُصِبَت له فازَة مستقلة وقُبَّة مُثَقَّلة بالجَوْهَر ، وضُرِب لابنه المنصور مَضْرِبٌ آخر ، وعُرِضَتِ العَساكِر فكانت عِدَّتُها مائة عسكر ، وأقبلت أسارَى الرُّوم - وعدَّتهم مائتان وخمسون - فطِيف بهم . وكان يومًا عَظيمًا حَسَنًا لم تزلِ العَساكِرُ تسير بين يديه من ضَحْوَة النَّهار إلى صلاة المغرب [3] .

وقال ابنُ مُيَسَّر : كان من عادَة أمير المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله أن يركب في كلِّ سنةٍ على النُّجُب ، مع النِّساء والحَشَم ، إلى جُبّ عُمَيْرَة - وهو مَوْضِع نُزْهَة - بهيئة أنَّه خارِج للحَجّ على سبيل الهُزْؤ والمَجانَة ، ومعه الخَمْرُ في الرَّوايا عِوَضًا عن الماء ويَسْقيه النَّاس [4] .

---

a) بولاق : جب . b-b) إضافة مما تقدم ١ : ٢١٥ .

---

[1] ابن يونس : تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين) ٣٨٠ .

[2] الكندي : ولاة مصر ١٦٦؛ وفيما تقدم ١ : ٢١٥ .

[3] المسبحي : نصوص ضائعة ١٤؛ وفيما تقدم ٢ : ٥٩٠ .

[4] ابن ميسر : أخبار مصر ٢٤؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٦٥؛ وفيما تقدم ٢ : ٥٨٩ .

وقال أبو الخَطَّاب بن دِحْيَة : وخُطِبَ لبني عُبَيْد بِبَغْداد أربعين جُمُعَة ، وذلك / للمُسْتَنْصِر بل للبطَّال المُسْتَهْتِر .

أَنْشَدَه العُقَيْلي صَبيحَة يوم عَرَفَة :

[البسيط]

قُمْ فانْحَرِ الرَّاح يَوْمَ النَّحْرَ بالماءِ ولا تُضَحِّي ضُحًى إلَّا بصَهْبَاء
وادْرِكْ حَجيجَ النَّدامَى قبل نَفْرِهِمِ إلى مِنًى قَصْفَهم مع كلِّ هَيْفَاء

وصَلَ ألف القَطْع للضرورة وهو جائِز .

فخَرَج في سَاعَتِه بِرَوايا الخَمْر تُزْجَى بنَغَمات حُداة الملاهي وتُسَاق ، حتى أناخَ بعَيْنُ شَمْس في كَبْكَبَةٍ من الفُسَاق ، فأقامَ بها سُوقَ الفُسُوق على سَاق . وفي ذلك العام أَخَذَه الله وأَخَذَ أهل مصر بالسنين ، حتى بيع القُرْص في أيَّامه بالثمن الثمين .

وقال القاضي الفاضِلُ في حَوادِث المحرَّم سنة سبع وسبعين وخمس مائة : وفيه خَرجَ السُّلْطانُ ـ يعني صَلاحُ الدِّين يوسُف بن أيُّوب ـ إلى بِرْكَة الجُبِّ للصَّيْد ولَعِب الأُكْرَة ، وعادَ إلى القاهِرَة في سادِس يومٍ من خُروجِه [1] . وذَكَر من ذلك كثيرًا عن السُّلْطان صَلاح الدِّين وابنه الملك العَزيز عُثْمان .

وقال جامِعُ « السِّيرَة النَّاصِريَّة محمد بن قَلاوون » [2] ، في حَوادث صَفَر سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة : وفيه رَكِبَ السُّلْطانُ إلى بِرْكَة الحُجَّاج للرَّمْي على الكُراكِي [3] ، وطَلَب كَريم الدِّين ناظِر الخَاصّ ، ورَسَم أن يَعْمَل فيها أحْواشًا للخَيْل والجِمال ومَيْدانًا ، وللأمير بَكْتَمُر السَّاقي مثله . فأقامَ كَريمُ الدِّين بنفسه في هذا العَمَل ، ولم يَدَع أحَدًا من جَميع الصُّنَّاع المُحتاج إليهم يعمل في القاهِرَة عَمَلًا ، فكان فيها نحو الألْفي رَجُل ومائة زَوْج بَقَر حتى تَمَّتِ المواضِعُ في مدَّةٍ قَرِيبَة . ورَكِبَ السُّلْطانُ إليها ، وأَمَرَ بعَمَل مَيْدان لِنِتاج الخَيْل فعُمِل . وما بَرِحَ الملوكُ يركبون إلى هذه البِرْكَة لرَمْي الكُراكي ، وهم على ذلك إلى هذا الوَقْت . وقد خَرِبَتِ المباني التي أَنْشَأها الملكُ النَّاصِر .

---

[1] المقريزي : السلوك ١ : ٧١ - ٧٢ .

[2] أي اليُوسُفي صاحب كتاب «نزهة الناظر في سيرة الملك النَّاصر» (فيما تقدم ١ : ٨٤* ، ١٢٨ - ١٢٩ ، ٢٣٧) .

[3] كُرْك جـ أكْراك ، كُراكي : نوعٌ من الطيور البيضاء في حجم الإوزة الكبيرة تعيش في جماعات تبلغ المئات على الجزر الرملية النيلية . (Dozy, R., *Suppl. Dict. Ar.* II, p.466) .

وأَدْرَكْنا بهذه البِرْكَة مَراحًا عَظيمًا للأغْنام، التي يعلفها التُّرْكماني حَبّ القُطْن وغيره من العَلَف، فتبْلُغ الغاية في السِّمن حتى إنَّه يُدْخَل بها إلى القاهِرَة محمولة على العَجَلِ لعِظَم جُثَّتها وثِقْلِها وعَجْزِها عن المَشْي، وكان يُقال كَبْش بِرْكاوي نسبةً إلى هذه البِرْكَة. وشاهَدْتُ مَرَّةً كَبْشًا من كِباشِ هذه البِرْكَة وَزَنْت شُقَّته اليُمْنَى فبَلَغَت زِنتُها خمسة وسبعين رطلًا سوى الإلْية، وبَلَغَني عن كَبْشٍ أنَّه وُزِنَ ما في بَطْنه من الشَّحْم خاصَّةً فبلغ أربعين رطلًا، وكانت ألايا تلك الكِباش تبلغ الغاية في الكِبَر. ٥

وقد بَطَلَ هذا من القاهِرَة، منذ كانت الحَوادِثُ بعد سنة ستٍّ وثمان مائة، حتى لا يكادُ يعرفه اليوم إلّا أفرادٌ من النّاس. وبِرْكَةُ الحُجّاج اليوم أرْباب دَرْكِها قَوْمٌ من العَرَب يُعْرَفون بِبني صَبْرَة.

وقال الشَّريفُ محمدُ بن أَسْعد الجَوّاني في كِتاب «الجَوْهَر المَكْنُون في مَعْرِفَة القَبائِل والبُطُون»: بنو بِطِّيخ بَطْنٌ من لَخْم، وهم وَلَد بِطِّيخ بن مُغالَة بن دَعْجان بن عُمَيْث بن كُلَيْب ابن أبي الحارِث بن عَمرو بن رميمة بن جَدَس بن أريش بن أَراش بن جَزيلَة بن لَخْم، وفَخْذُها بنو صَبْرَة بن بِطِّيخ، ولهم حارَة مجاورة للخِطَّة المعروفة اليوم بكُوم دِينار[1] الشّايِس. ١٠

وصَبْرَة في خِنْدِف وفي قَيْس ونِزار ويَمَن: فالتي في خِنْدِف في بني جَعْفَر الطَّيّار بنو صَبْرَة بن جَعْفَر ابن داود بن محمد بن جَعْفَر بن إبراهيم بن محمَّد بن عليّ بن عبد الله بن جَعْفَر بن أبي طالب فَخِذ، والتي في قَيْس بنو صَبْرَة بن بَكْر بن أَشْجَع بن رَيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قَيْس بن غَيْلان فَخِذ، وأمَّا التي في نِزار ففي شَيْبان بنو صَبْرَة بن عَوْف بن مُحكم بن ذُهْل بن شَيْبان بن ثَعْلَبَة بن عكابة بن صَعْب ابن علي بن بَكْر بن وَائِل بن قاسِط بن هنب بن دَعْمي بن جُدَيْلَة بن أَسَد بن رَبيعَة بن نِزار فَخِذ [a]وفي عبد القَيْس ثم في شَن بني صَبْرَة بن عامر بن الدِّيل بن شَن بن أَقْصى بن عبد القَيْس بن أَقْصى بن دَعْمي ابن جُدَيْلَة بن أسَد بن رَبيعَة بن نِزار فَخِذ[a]. وأمَّا التي في يَمَن ففي لَخْم وجُذام: فأمَّا التي في لَخْم فبنو صَبْرَة ابن بِطِّيخ بن مُغالَة بن دَعْجان بن عُمَيْث بن كُلَيْب بن أبي الحارِث بن عَمرو بن رُمَيْمَة بن جدس ابن أُوَيْش بن أَراش بن جَزيلة بن لَخْم، وأمَّا التي في جُذام فبنو صَبْرَة بن نصيرة بن غَطَفان بن سَعْد ابن إياس بن حَرامِ بن جُذام، وإليه يرجع الصَّبْرِيُّون، وهم بالشَّام، والله أَعْلَم. ١٥ ٢٠

a-a) ساقطة من بولاق.

[1] حاشية بخط المؤلِّف: «هذا الكوم خارج مدينة مصر بالقُرْب من المَشْهَد النَّفيسي».

بِرْكَةُ قَرَمُوط

هذه البِرْكَة فيما بين اللُّوق والمَقْس . كانت من جملة بُسْتان ابن ثَعْلَب . فلمَّا حَفَرَ الملكُ الناصِر محمد بن قلاوون الخَليج النَّاصِريَّ من مَوْرَدَة البَلاط ، رَمَى ما خَرَجَ من الطِّين في هذه البِرْكَة ، وبَنَى النَّاسُ الدُّور على الخَليج ، فصارَت البِرْكَةُ من وَرائِها ، وعُرِفَت تلك الخِطَّة كلها بِبِرَكَة قَرَمُوط [1] .

وأدْرَكْنا بها ديارًا جَليةً تَنَاهَى أرْبابُها في إحْكام بنائِها وتَحْسين سُقُوفِها ، وبالَغوا في زَخْرَفَتها بالرُّخام (a ودِهان السُّقُوف بالذَّهَب واللازَوَرْد a) ، وغَرَسُوا بها الأشْجار ، وأجْروا إليها المياه من الآبار ، فكانت تُعَدُّ من المساكِن البَديعَة النَّزِهَة . وأكثر من كان يَسْكُنُها الكُتَّابُ : مُسْلموهُم ونَصاراهُم وهم في الحَقيقَة المُتْرَفون أولُو النِّعْمَة ، فلِلَّه كم حَوَت تلك الدِّيار من حَسَن ومُسْتَحْسَن . وإنِّي لأذكرها وما مَرَرتُ بأزِقَّتها قطُّ إلَّا وتَبَيَّنَ لي من كلِّ دارٍ هناك آثارُ النِّعَم : إمَّا رَوائِح تَقالي المطابِخ ، أو عَبير بَخُور العُود والنَّدّ ، أو نَفَحات الخَمْر ، أو صَوْت غِناء ، أو دَقّ هاوَن ، ونحو ذلك ممَّا يبين عن تَرَف سُكَّان تلك الدِّيار ورَفاهَة عَيْشهم وغَضارَة نِعَمِهم . ثم هي الآن مُوحِشَةٌ خَراب ، قد هُدِمَت تلك المنازِلُ ، وبيعت أنْقاضُها منذ كانت الحَوادِثُ بعد سنة ستٍّ وثمان مائة . / فزالَتِ الطُّرُقُ ، وجُهِلَت الأزِقَّةُ ، وانْكَشَفَت البِرْكَةُ ، وبقي حَوْلَها بَساتينُ خَراب .

وبَلَغَني أنَّ المراكِبَ كانت تَعْبُر إلى هذه البِرْكَة للتنزُّه ، وما أحْسَبُ ذلك كان ، فإنَّها كانت من جملة البُسْتان ، ولم يُنْقَل أنَّه كان بقُرْبها خَليجٌ سوى الخَوْر ، ويبعد أن يَصل إليها . والله أعْلَم .

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط .

---

[1] وَرَدَت بركةُ قَرَمُوط على خريطة القاهرة التي رسمها علماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم «بِرْكة الفَوَّالة» (K-14,341) ، وكانت تستمد ماءَها من الخليج النَّاصري . ويدُلُّ على موقع هذه البِرْكَة الآن المنطقة التي تحدّ من الشمال بشارع عبد الخالق ثروت (الملكة فريدة سابقًا) ، وشارع قصر النيل جنوبًا ، وشارع جواد حسني شرقًا ، وشارع طلعت حرب (سليمان باشا سابقًا) غربًا . وردمت هذه البركة هي والبِرَك المحيطة بها في عهد الخديو إسماعيل عند تنظيم وتخطيط منطقة وسط البَلَد . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٨١–٨٢هـ[4] وتحديده عدَّله محمد الششتاوي : متنزهات القاهرة ١٤٧–١٤٩) .

(aوبها بِرْكَةٌ صغيرة في ظَهْر الجامِع المعروف بابن المَغْربي ـ المقدَّم ذكره ـ . أخْبَرَني حُسَامُ الدِّين حسن بن عُمَر الشَّهْرَزُوري أنّه أدركها بِرْكَةً كبيرةً ، وأنَّ الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون لمَّا حَفَرَ الخَليج النَّاصريّ كان يُرْمَى الطِّين المُسْتَخْرَج من الحَفْر فيها . وبَلَغَني من غيره أنَّ المراكب كانت تَمُرُّ فيها تحمل النَّاس للنُّزْهَة بهاa) ، وما أحْسَبُ ذلك كان فإنَّها كانت من جملة البُستان ولم يُنْقَل أنّه كان بقُرْبها خليجٌ سوى الخَوْر ، ويَبْعُد أن يصل إليها . (aوعلى هذه البِرْكَة الآن بساتينُ خَرابa).

وقَرْمُــوطُ هذا هو أمين الدِّين قَرْموط ، مُسْتَوْفي الخِزانَة السُّلْطانية .

بِرْكَةُ قَراجا

هذه البِرْكَةُ خارج الحُسَيْنِيَّة قَريبًا من الخَنْدَق . عُرِفَت بالأمير زَيْن الدِّين قَراجَا التُّرْكُماني ، أحدُ أُمَرَاء مصر ، أَنْعَمَ عليه السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون بالإمْرَة في سنة سبعَ عشرةَ وسبع مائة [1] .

البِرْكَةُ النَّاصِرِيَّة [2]

هذه البِرْكَةُ من جملة جِنَان الزُّهْري . فلمَّا خَرِبَت جِنَانُ الزُّهْري ، صارَ موضعَها كومُ تُراب ، إلى أن أنشأ السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون مَيْدان المَهارَىٰ في سنة عشرين وسبع مائة [3] ،

a-a) إضافة من مسودة الخطط .

[1] بِرْكَةُ قَراجا . وتُعْرَف أيضًا ببِرْكَة الأَرْمَن (فيما تقدم ٤٥٣) ، هي نفسها البِرْكَة التي وَرَدَت على خريطة القاهرة التي رسمها علماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم «بِرْكَة الشيخ قَمَر» (A-8, 426) . وكانت تقع شرق الخليج المصري شمال حيّ الحُسَيْنِيَّة وشمال جامع الظاهر بيبرس في المنطقة التي يشغلها الآن قصر السكاكيني باشا وما حوله . (محمد الشَّشتاوي : متنزهات القاهرة ١٨١-١٨٢) .

[2] البِرْكَةُ النَّاصرية . هي البركة المذكورة على خريطة القاهرة التي رسمها علماءُ الحَملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم «بِرْكَة ستّي نَصْرَة» أو «بِرْكَة السَّقَّائين» (Q-13, 266) . ويَدُلُّ على موقعها الآن المنطقةُ التي يخترقها شارع ستي نَصْرة ويحدّها من الشرق شارع محمد فريد (الجزء الجنوبي من شارع عماد الدين) ، ومن الغرب شارع مصطفى كامل (الشيخ عبد الله سابقًا) ، ومن الجنوب شارع الجامع الإسماعيلي ، ومن الشمال شارع الشيخ ريحان . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:١٩٤هـ [2] ، ١٢:٨٦هـ [1] ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١: ٤٥٥، ٤٦٠ ؛ محمد الشَّشتاوي : متنزهات القاهرة ١٣٥-١٣٧) .

[3] ميدان المهارَىٰ ، انظر فيما يلي ٦٣٠- ٦٣١ .

وقَصَدَ بِناء الزَّرْبِيَّة[a] بجوار[b] الجامِع الطَّيْبَرْسي ، [c]كان ممَّا أرادوا صَرْفَه عن ذلك به قِلَّة الطِّين الذي يبنى به هناك . فرَكِبَ بنفسه وعَيَّنَ مكانَ البِرْكَة المذكورة وأمَرَ بحَفْرِها ونَقَلَ الطِّين منها للبناء وأجرى الماءَ إليها من جِهَة المَيْدان السُّلْطاني وتَحْكير ما حولها وأن تُعْرَف بـ « البِرْكَة النَّاصِرِيَّة » ، وكان ذلك في سنة إحدى وعشرين وسبع مائة . فلمَّا صارَ إلى القَلْعَة استدعى القاضي فَخْر الدِّين ناظِرالجَيْش وأمَرَه بكتابة أوْراق فيها أسْماء الأُمَرَاء ، وبَعَثَ بالأمير رُكْن الدِّين بَيْبَرْس الحاجِب مع المُهَنْدسين فقاسُوا دَوْر أرْض البِرْكَة ووَزَّع بالأقْصَاب على الأُمَرَاء فشَرَعَ كُلُّ أميرٍ فيما خَصَّه من العَمَل في ذلك . وكان ابتداءُ الشُّرُوع في هذا العَمَل في يوم الثلاثاء تاسع عشرين شهر رَبيع الأوَّل سنة إحدى وعشرين وسبع مائة[c] [1].

فتمادَى الحَفْرُ إلى جانِب كَنِيسَة الزُّهْري ـ وكان إذ ذاك في تلك الأرْض عِدَّةُ كنائِس ، ولم يكن هناك شيءٌ من العَمائِر التي هي اليوم حَوْل البِرْكَة النَّاصِرية ، ولا من العَمائِر التي في خُطِّ قَناطِر السِّباع ، ولا في خُطِّ السَّبْع سِقايات إلى قَنْطَرَة السَّدّ ، وإنَّما كانت بَساتِين وكنائِسَ ودُيورة للنَّصارَىٰ ـ فاستولى الحَفْرُ على ما حَوْل كَنِيسَة الزُّهْري ، وصارَت في وَسَط الحَفْر حتى تَعَلَّقَت ؛ وكان القَصْدُ أن تَسْقُطَ من غير تَعَمُّدِ هَدْمِها ، فأرادَ الله تعالى هَدْمَها على يد العامَّة ، كما ذُكِرَ في خَبَرِها عند ذِكْر كنائِس النَّصارَىٰ من هذا الكِتاب [2].

فلمَّا تَمَّ حَفْرُ البِرْكَة نُقِلَ ما خَرَجَ منها من الطِّين إلى الزَّرْبِية[d]، وأُجْري إليها الماءُ من جِوار المَيْدان السُّلْطاني الكائِن بأراضي بُسْتان الخَشَّاب عند مَوْرَدَة البَلاط [3]. فلمَّا امتلأت بالماء صارَت مساحَتُها سبعة أفْدِنَة ، فحَكَرَ النَّاسُ ما حَوْلَها ، وبنوا عليها الدُّور العَظِيمَة . وما بَرِحَ خُطُّ البِرْكَة النَّاصِرِيَّة عامِرًا إلى أن كانت الحَوادِثُ من سنة ستٍّ وثمان مائة ، فشَرَعَ النَّاسُ في هَدْم ما عليها من الدُّور ، فهُدِمَ كثيرٌ ممَّا كان هناك ، والهَدْمُ مستمرٌّ إلى يومنا هذا [4].

---

a) بولاق : الزربية . b) بولاق والنسخ : وأراد بناء الزربية بجانب ، والمثبت من المسودة . c-c) هذه الفقرة من مسودة الخطط عوضًا عن الفقرة الموجودة في النسخ وبولاق .

---

[1] المقريزي : مسودة الخطط ١٦٣و–ظ وبقية الخبر أورده المقريزي في المبيضة عند ذكر واقعة الكنائس في آخر الكتاب .

[2] فيما يلي ٢: ٥١٢–٥١٧.

[3] انظر عن موردة البلاط فيما تقدم ٤٨٢هـ [1].

[4] المقريزي : مسودة الخطط ١٦٣و–ظ ، وأورد بعد ذلك خبرًا عن كنيسة الحمْراء سيرد فيما يلي ٢: ٥١٦–٥١٧.

ذِكْرُ الجُسُور

الجَسْرُ - بفَتْح الجيم - الذي تُسمِّيه العامَّةُ جِسْرًا ... عن ابن دُرَيْد. وقال الخَليلُ: الجَسْر والجِسْر لُغَتان، وهو القَنْطَرَة ونحوها ممَّا يُعْبَرُ عليه.

وقال ابنُ سِيدَه: والجِسْرُ الذي يُعْبَر عليه، والجَمْعُ القليل أَجْسُر، قال:

[الرجز] ٥

إنَّ فِراخًا كفِراخ الأَوْكُرِ ... بأرْض بَغْدادَ وَراءَ الأَجْسُرِ

والكثير جُسُور [١].

جِسْرُ الأَفْرَم

هذا الجِسْرُ بظاهِرِ مَدينَة مصر، فيما بين المَدْرَسَة المُعِزِّيَّة برَحْبة الحِنَّاء [٢] قِبْلي مصر وبين رِباط الآثار النَّبَوِيَّة [٣]. كان موضعُه في أوَّل الإسلام غامِرًا بماء النِّيل، ثم انْحَسَر عنه الماءُ فصارَ فَضاءً إلى نَحْو خَليج بني وائِل، ثم ابْتَنَى النَّاسُ فيه مَواضِع، وهناك كان الهرى قَريبًا من الخَليج. ثم صارَ مَوْضِعُ جِسْر الأَفْرَم هذا بِرْكَةً يدخُل منها ماءُ النِّيل إلى البِرْكَة الشُّعَيْبِيَّة [٤]. ١٠

فلمَّا اسْتأْجَر الأميرُ عِزُّ الدين أَيْبَك الأَفْرَم بِرْكَة الشُّعَيْبِيَّة، وجَعَلَها بُسْتانًا كما تقدَّم ذكره في البِرَك [٥]، رَدَمَ هذه البِرْكَة، وبني حيطانَ البُسْتان وجَسَرَ عليه، فأقامَ على ذلك سنين. ثم لمَّا

---

[١] ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم ٧: ١٨٩.

[٢] لم يُفْرِد المقريزي المَدْرَسَة المُعِزِّيَّة التي بناها المُعِزُّ أَيْبَك التُّرْكماني سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م بمَدْخَلٍ مستقل. وهذه المَدرسة كانت تقع برَحبة دار المُلْك التي عرفت أيضًا برَحْبَة الخَرُّوب لبيعه بها، والتي أصبحت تُعْرَف في زمن المقريزي برَحْبَة الحِنَّاء (فيما يلي ٥٨٦).

كانت هذه المَدْرَسَة تقع على شاطئ نيل الفُسْطاط ويَدُلّ على مكانها اليوم الجامع المعروف بجامع عابِدي بك الشهير بجامع الشيخ رويش، المطل على النيل في آخر شارع مصر القديمة من الجهة الجنوبية. وعرف هذا الجامع باسم أمير اللواء عابِدي بك لأنَّه جَدَّدَه في سنة ١٠٧١هـ/١٦٦٠م، ثم اشتهر باسم الشيخ رويش لمجاورته لضريحه الكائن بحارة الخوخة بالجهة الشرقية القبلية من الجامع المذكور. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧:١٤هـ [٣]، ٩: ١٩٥؛ وانظر كذلك ابن دقماق: الانتصار ٤:٩٢-٩٣).

[٣] انظر عن رِباط الآثار النَّبَوية، فيما يلي ٢: ٤٢٩.

[٤] بما أنَّ المَدْرَسَة المُعِزِّيَّة هي الموضع المعروف الآن بجامع عابدي بك الشهير بجامع الشيخ رويش، ورباط الآثار هو المعروف الآن بجامع أثر النبي جنوب مصر القديمة، فيكون موضع الجسر الذي أنشأه الأفرم هو المسافة الفاصلة بين الجامع والرباط. (أبو المحاسن: النجوم ٨:٨١هـ [٢]).

[٥] فيما تقدم ٥٢٧.

استأجر أرْض البِرْكَة ـ بعدما غَرَسَها بالأشجار ـ إجارَةً ثانيةً ، اشْتَرَط البِناءَ على ثلاثة أفْدِنَة في جانِب البُسْتان الغربي وفَدَّانٍ في جانبه البَحْري ، ونادَى في النَّاس بتَحْكيره ، وأرْخَصَ سِعْر الحِكْر ، وجَعَلَ حِكْر كلّ مائة ذراع عشرة دَراهِم .

فهَرَعَ النَّاسُ إليه ، واحْتَكَرُوا منه المَواضِع ، وبَنَوا فيها الدُّور المُطِلَّة على النِّيل . فاسْتَغْنَى بالعَمائِر عن عَمَل الجِسْر في كلّ سنة بين البَحْر والبُسْتان الذي أنْشَأه ، وبقي اسْم الجِسْر عليه إلى يومنا هذا . إلَّا أنَّ الآدُرَ التي كانت هناك خَرِبَت منذ انْطَرَدَ النِّيلُ عن البَرّ الغربي ، بعدما بَلَغَ ذلك الخَطّ الغاية في العِمارَة ، وكان سَكَنَ الوُزَراء والأعْيان من الكُتَّاب وغيرهم .

الجِسْرُ الأعْظَم

هذا الجِسْرُ في زَمانِنا هذا قد صارَ شارِعًا مَسلوكًا يُمْشَى فيه من الكَبْش إلى قَناطِر السِّباع . وأصْلُه جِسْرٌ يَفْصِل بين بِرْكَة قارُون وبِرْكَة الفِيل [٢] ، وبينهما سَرَب يَدْخُل منه الماء ، وعليه أحْجَارٌ يراها من يَمُرُّ هناك ، وبَلَغَني أنَّه كان هناك قَنْطَرَةٌ مرتفعةٌ ، فلمَّا أنشأ المَلِكُ النَّاصِرُ محمد ابن قَلاوون المَيْدان السُّلْطاني عند مَوْرَدَة البَلاط ، أمَرَ بهَدْم القَنْطَرَة فهُدِمَت ، ولم يكن إذ ذاك على بِرْكَة الفيل من جِهَة الجِسْر الأعْظَم مَبانٍ ، وإنَّما كانت ظاهِرَةً يراها المارّ . ثم أمَرَ السُّلْطَانُ بعَمَل حائِطٍ قصيرٍ بطولها ، فأُقيمَ الحائِطُ وصُفِّرَ بالطين الأصفر ، ثم حَدَثَت الدُّورُ هناك .

الجِسْرُ بأرْض الطَّبَّالَة

هذا الجِسْرُ يَفْصِل بين بِرْكَة الرَّطْلي وبين الخَليج / النَّاصِريّ ، أقامَه الأميرُ الوَزيرُ سَيْفُ الدِّين بَكْتَمُر الحاجِب ، في سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائة لمَّا انتهى حَفْر الخَليج النَّاصِريّ ، وأذِنَ للنَّاس في البِنَاء عليه ، فحُكِرَ وبُنِيت فَوْقَه الدُّور ، فصارَت تُشْرِف على بِرْكَة الرَّطْلي وعلى الخَليج ، وتجتمعُ العامَّةُ تحت مَناظِرَ الجِسْر ، وتَمُرُّ بحافَة الخَليج للنُّزْهَة . فكثُر اغْتِباط غَوْغاء النَّاس وفُسّاقهم بهذا الجِسْر إلى اليوم . وهو من أنْزه فُرَج القاهِرَة ، لولا ما عُرِفَ به من القاذورات الفاحِشَة .

---

[١] يَدُلّ على موضع الجِسْر الأعْظَم الآن ، والشارع الذي كان يُسْلَك فيه من الكَبْش إلى قناطر السِّباع ، شارع عبد المجيد اللَّبَّان (مَراسينا سابقًا) ، الذي يُوصِّل بين ميدان السَّيِّدَة زَيْنَب (حيث كانت قناطِر السِّباع) وبين جامع سِنْجر الجاوْلي (الواقع تحت قَلْعَة الكَبْش) ، وهناك يتقابل مع شارع الخُضَيْري . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧ : ١٩١هـ [٤]) .

الجِسْر من بُولاق إلى مُنْيَة السِّيرج

كان السَّبَبُ في عَمَلِ هذا الجِسْر أنَّ ماءَ النِّيل قَوِيَت زيادَتُه في سنة ثلاثٍ وعشرين وسبع مائة حتى أَخْرَقَ من ناحية بُسْتان الخَشَّاب [1]، ودَخَلَ الماءُ إلى جِهَة بُولاق، وفاضَ إلى باب اللُّوق حتى اتَّصَلَ بباب البَحْر وبَساتين الخَوْر، فهُدِمَت عِدَّةُ دُور كانت مُطِلَّة على البَحْر وكثيرٌ من بُيوت الحكورَة، وامتدَّ الماءُ إلى ناحية مُنْيَة السِّيرج [2]. فقامَ الفَخْرُ ناظِرُ الجَيْش بهذا الأمْر، وعَرَّفَ السُّلْطانَ الملكَ النَّاصِر محمد بن قلاوون أنَّه متى غُفِلَ دَخَلَ الماءُ إلى القاهِرَة وغَرَّقَ أهلَها ومَساكنَها. فرَكِبَ السُّلْطانُ إلى البَحْر ومعه الأُمَرَاء، فرأى ما هالَه، وفَكَّر فيما يَدْفَع ضَرَرَ النِّيل عن القاهِرَة، فاقْتَضَى رأيُه عَمَل جِسْرٍ عند نُزُول الماء، وانْصَرَف.

فقَوِيَتِ الزِّيادَةُ، وفاضَ الماءُ على مُنْشَأَة المَهْراني ومُنْشأة الكَتَبة، وغَرَّقَ بَساتينَ بُولاق والجَزيرَة حتى صار ما بين ذلك مَلَقَةً واحِدَةً. ورَكِبَ النَّاسُ المراكِبَ للفُرْجَة، ومَرُّوا بها تحت الأشْجار، وصَارُوا يَتَناوَلون الثِّمار بأيْديهم وهم في المراكِب. فتقدَّم السُّلْطانُ لمُتَوَلِّي القاهِرَة ومُتَوَلِّي مصر ببَثِّ الأعْوان في القاهِرَة ومصر لردِّ الحَمير والجِمال التي تَنْقل التُّراب إلى الكيمان، وأَلْزَمَهُم بإلْقاء التُّراب بناحية بُولاق. ونُودِيَ في القاهِرَة ومصر: «مَنْ كان عنده تُرابٌ، فليرمه بناحية بُولاق وفي الأماكن التي قد عَلا عليها الماءُ».

فاهتمَّ النَّاسُ من جهة زِيادَة الماء اهْتمامًا كبيرًا، خَوْفًا أن يَخْرِق الماءُ ويَدْخُل إلى القاهِرَة. وأُلْزِم أرْبابُ الأمْلاك التي ببُولاق والخَوْر والمناشئ أن يقفَ كلُّ واحِدٍ على إصْلاح مَكانِه، ويحترس من عُبور الماء على غَفْلَة. فتطلَّب كلُّ أحَدٍ من النَّاس الفَعَلَة من غَوْغاء النَّاس لنَقْل التُّراب، حتى عُدِمَت الحَرافيشُ [3]، ولم تَكَد[a] تُوجَد لكثرة ما أَخَذَهم النَّاسُ لنَقْل التُّراب ورَمْيه. وتضرَّرتِ الآدُرُ القريبة من البحر بنَزْرها، وغَرِقَت الأقْصابُ والقُلْقاس والنِّيلَة وسائر الدُّوالِيب[b] التي بأعمال مصر.

---

a) بولاق: تكن. b) بولاق: الدواليت.

---

[1] حاشية بخَطِّ المُؤَلِّف: «بُسْتانُ الخَشَّاب من جملة مَيْدان السُّلْطان الذي كان على النِّيل».

[2] يَدُلُّ على موضع هذا الجِسْر الآن شارع التُّرْعَة البولاقية الواصل بين بولاق ومُنْيَة السِّيرج. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٩٢هـ[1]).

[3] انظر عن الحرافيش، فيما تقدم ٩١هـ[2].

فلمَّا انْقَضَت أيَّامُ الزِّيادَة ، ثَبَتَ الماءُ ولم ينزل في أيَّام نُزُوله . ففَسَدَت مَطاميرُ الغَلاَّت ومخازنُها وشُوَنُها ، وتحسَّن سعرُ السكر والعَسَل ، وتأخَّر الزَّرْعُ عن أوانِه لطُول[a] مُكْثِ الماءِ . فكَتَبَ لوُلاة الأعْمال بكَسْر التُّرَع والجُسُور كي يَنْصَرف الماءُ عن أراضي الزَّرْع إلى البَحْر المِلْح ، واحْتاج النَّاسُ إلى وَضْع الخَراج عن بَساتين بُولاق والجَزِيرَة ، ومُسامَحَتهم بنَظير ما فَسَدَ من الغَرَق ، وفَسَدَت عِدَّةٌ بَساتين إلى أن أذِنَ الله تعالى بنُزُول الماء ، فسَقَطَ كثيرٌ من الدُّور .

وأَخَذَ السُّلْطانُ في عَمَلِ الجُسُور ، واستدعى المهندسين ، وأَمَرَهُم بإقامَة جِسْرٍ يصدُّ الماءَ عن القاهِرَة خَشْيَة أن يكون نيلٌ مثل هذا ، وكَتَبَ بإحْضَار خَوَلَة البلاد . فلمَّا تكامَلوا أَمَرَ بهم[b] ، فسَاروا إلى النِّيل وكَشَفُوا السَّاحِل كلَّه ، فوَجَدوا ناحية الجَزِيرَة ممَّا يلي المُنْيَة قد صارَت أرْضُها وَطيئةً ، ومن هناك يُخافُ على البَلَد من الماء .

فلمَّا عَرَّفوا السُّلْطانَ بذلك ، أَمَرَ بإلْزام من له دارٌ على النِّيل بمصر أو مُنْشأة المَهْراني أو مُنْشَأة الكُتَّاب أو بُولاق ، أن يُعَمِّر قُدَّامَها على البحر زَرْبِيَّةً[c] ، وأنَّه لا يُطْلَب منهم عليها حِكْرٌ ، ونُودي بذَلك ، وكُتِبَ مَرْسُومٌ بمُسامَحَتهم من الحِكْر عن ذلك . فشَرَعَ النَّاسُ في عَمَل الزَّرابي ، وتَقَدَّم إلى الأُمَرَاء بطَلَب فَلَّاحي بِلادهم ، وإحْضَارهم بالبَقَر والجَراريف لعَمَل الجِسْر من بُولاق إلى مُنْيَة السُّيرج . ونَزَلَ المهندسون فقاسُوا الأرض ، وفَرَضُوا لكلِّ أميرٍ أقْصابًا معيَّنة ، وضَرَبَ كلُّ أميرٍ خَيْمَتَه ، وخَرَجَ لمباشَرَة ما عليه من العَمَل[1] .

فأقامُوا في عَمَله عشرين يومًا حتى فَرَغَ ، ونُصِبَت عندهم الأسْوَاق . فجاءَ ارْتِفاعُه من الأرض أرْبع قَصَبات في عَرْضِ ثماني قَصَبات ، فانتفع النَّاسُ به انْتِفاعًا كبيرًا . وقَدَّرَ الله سبحانه وتعالى أنَّ الزَّرْعَ في تلك السنة حَسُنَ إلى الغاية ، وأفْلَح فَلاحًا عَجيبًا ، وانْحطّ السِّعْرُ لكثرة ما زُرِعَ من الأراضي وخَصْب السَّنَة .

وكان قد اتَّفَقَ في سنة سبع عشرة وسبع مائة غَرَقُ ظاهِر القاهِرَة أيضًا ؛ وذلك أنَّ النِّيلَ وَفَّى ستة عشر ذراعًا في ثالث عَشَر جُمادَى الأولى ـ وهو التاسع والعشرون من شهر أَبيب ، أحَد شُهُور القِبْط ـ ولم يُعْهَد مثل ذلك ، فإنَّ الأنْيال البَدْرية يكون وَفاؤُها في العَشْر الأوَّل من مَسْرَى .

a) بولاق : لكثرة ما . b) بولاق : أمرهم . c) بولاق : زربية .

[1] المقريزي : السلوك ٢ : ٢٥١ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ١٢٤ - ١٢٦ ؛ وانظر فيما تقدم ٤٣٥ .

فلمَّا كُسِرَ سَدُّ الخَليج ، توقَّفت الزِّيادَةُ مُدَّةَ أيَّامٍ ، ثم زادَ وتَوَقَّفَ إلى أن دَخَلَ تاسِعُ تُوت والماء على سبعة عشر ذراعًا وتسعة أصابع . ثم زادَ في يوم تسعة أصابع ، واستمرَّت الزِّيادَةُ حتى صارَ على ثمانية عشر ذراعًا وستة أصابع . ففاضَ الماءُ ، وانْقَطَع طَريقُ النَّاس فيما بين القاهِرَة ومصر وفيما بين كُوم الرِّيش والمُنْيَة ، وخَرَجَ من جانب المُنْيَة وغَرَّقَها .

فكَتَبَ بِفَتْح جَميع التُّرَع والجُسُور بسائر الوَجْه القِبْلي والبَحْري ، وكَسْر بَحْر أبي المُنَجَّا ، /وفَتْح سَدّ بِلْبَيْس وغيره قبل عيد الصَّليب ، وغَرِقَت الأَقْصَابُ والزِّراعاتُ الصيفية [١] .

وعَمَّ الماءُ ناحية مُنْيَة السِّيرج وناحية شُبْرا ، فخَرِبَت الدُّور التي هناك ، وتَلِفَ للنَّاس مالٌ كثير : من جملته زِيادَة على ثمانين ألف جَرَّة خَمْر فارغة تكسَّرت في ناحية المُنْيَة وشُبْرا عند هُجُوم الماء ، وتَلِفَت مَطاميرُ الغَلَّة من الماء حتى بيع قَدَحُ القَمْح بِفِلْس ـ والفِلْسُ يومئذٍ جزء من ثمانية وأربعين جزءًا من دِرْهَم ـ وصارَ من بُولاق إلى شُبْرا بَحْرًا واحِدًا تمرُّ فيه المراكِبُ للنُّزْهَة في بَساتين الجَزيرَة إلى شُبْرا ، وتلِفَتِ الفَواكِهُ والمشْمومات ، وقَلَّتِ الخُضَرُ التي يُحْتاج إليها في الطَّعام ، وغَرِقَت مُنْشَأَةُ المَهْراني .

وفاضَ الماءُ من عند خانْقاه رَسْلان [٢] وأَفْسَد بُسْتان الخَشَّاب ، واتَّصَلَ الماءُ بالجَزيرَة التي تُعْرَف بجَزيرَة الفِيل إلى شُبْرا ، وغَرِقَتِ الأَقْصَابُ التي في الصَّعيد ، فإنَّ الماءَ أقامَ عليها ستة وخمسين يومًا ، فعُصِرَت كلُّها عَسَلًا فقط ، وخَرِبَت سائِرُ الجُسُور وعَلاها الماءُ ، وتأخَّر هُبُوطُه عن الوَقْت المعتاد ، فسَقَطَت عِدَّةُ دُور بالقاهِرَة ومصر ، وفَسَدَت مُنْشَأَةُ الكُتَّاب المجاورة لمُنْشَأَة المَهْراني ؛ فلذلك عَمِلَ السُّلْطانُ الجِسْر المذكور خَوْفًا على القاهِرَة من الغَرَق .

الجِسْرُ بوَسَط بَحْر [a] النِّيل

وكان سَبَبُ عَمَل هذا الجِسْر أنَّ ماءَ النِّيل قَوِي رَمْيه على ناحية بُولاقَ [b] في سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة [b] ، وهَدَم جامِع الخَطيري ، ثم جُدِّد ، [b] فرَسَمَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون لسُكَّان البَحْر بعمَلِ زَرابي قُدَّام بيوتهم ، وأن لا يُؤخَذ عليها حِكْر ، وكَتَب بذلك

a) إضافة من مسودة الخطط . b-b) إضافة من مسودة الخطط .

[١] انظر عن عيد الصَّليب ، فيما تقدم ١: ٧٢١- ٧٢٤ .

[٢] خانقاه رَسْلان (أرْسَلان) ، فيما يلي ٢: ٤٢٣ .

مُسامَحات لأرْباب الأمْلاك ، فَعمَّرَ كلُّ أحَدٍ قُدَّام مِلكه زَرْبِيَّة فلم يُغْنِ ذلك ، واشتدَّت قُوَّة الفلفيلة ورَمْي البحر على جِهَة بولاق[a] وقُوِّيَت عِمارَتُه وتيَّارُ البَحْر لا يَزْداد من ناحية البَرّ الشرقي إلّا قُوَّةً . فأهَمَّ الملكَ النَّاصِرَ أمْرُه ، وكَتَبَ في سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مائة بطَلَب المهندسين من دِمَشْق وحَلَب والبلاد الفُراتية ، وجَمَعَ المهندسين من أعْمال مصر كلِّها قِبْليها وبَحْريها [١] . فلمّا تكامَلوا عنده ، رَكِبَ بعَساكِره من قَلْعَة الجَبَل إلى شاطئ النِّيل ، ونَزَلَ في الحَرَّاقَة وبين يَدَيْه الأُمَرَاء وسائِر أرْباب الخِبْرَة من المُهَنْدِسين وخَوَلَة الجُسُور ، وكَشَفَ أمْر شُطُوط النِّيل . فاقْتَضَى الحالُ أن يَعْمَل جِسْرًا فيما بين بُولاق وناحية أنْبُوبَة من البرّ الغربي [٢] ، ليَرُدَّ قُوَّةَ التَّيَّار عن البرّ الشرقي إلى البرّ الغربي . وعادَ إلى القَلْعَة ، فكُتِبَتْ مَراسيمُ إلى وُلاة الأعْمال بإحْضار الرِّجال صُحْبَة المُشِدِّين ، واستدعى شادّ العَمائِر السُّلْطانية ، وأمَرَه بطَلَب الحَجّارين وقَطْع الحَجَر من الجَبَل ، وطَلَبَ رَئيس البَحْر وشادّ الصِّناعة لإحْضَار المراكِب . فلم يَمْض سوى عشرة أيَّام حتى تكامَل حُضُورُ الرِّجالُ مع الشَّادِّين من الأقاليم .

ونَدَب السُّلْطانُ لهذا العمل الأمير آقْبُغا عبد الواحِد والأمير بَرْسْبُغا[b] الحاجب [٣] فنَزَلا[c] لذلك . وأحْضَرَ والي القاهِرَة ووالي مصر ، وأُمِرَا بجَمْع النَّاس وتَسْخير كلِّ أحَدٍ للعَمَل . فرَكِبَا وأخَذا الحَرافيش من الأماكِن المعروفة بهم ، وقَبَضَا على من وُجِدَ في الطُّرُقات وفي المساجِد والجَوامِع ، وتتبَّعاهم في الأسْحار . ووَقَعَ الاهْتِمامُ الكبير في العَمَل من يوم الأحد عاشِر ذي القعدة ـ وكانت أيَّامُ القَيْظ ـ فهَلَك فيه عِدَّةٌ من النَّاس . والأميرُ آقْبُغا في الحَرَّاقَة يَسْتَحِثُّ النَّاسَ على إنْجاز العَمَل ، والمراكِبُ تَحْمِل الحَجَر من الفَصّ الكبير إلى مَوْضِع الجِسْر . وفي

a) إضافة من مسودة الخطط . b) بولاق : برصبغا . c) بولاق : برزا .

[١] هذا الجِسْر كان ممتدًّا في وَسَط النِّيل بين بُولاق ورأس جَزيرَة وَرَّاق الحَضَر من الجهة القبلية مُتَّصلًا بأراضيها الزراعية شمال إمبابة على الشاطئ الغربي للنيل . (الشجاعي : تاريخ الملك الناصر ٣١-٣٢؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ١٢٤هـ[١]) .

[٢] أنْبُوبَة . هي جزء من مدينة إمْبابَة الحالية بمحافظة الجيزة تشترك مع وَرَّاق الحَضَر في سَكَنٍ واحد . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٦ : ٣٨٠، ٩ : ١٢٤هـ[١]، ١٢٧هـ[٢]) .

[٣] انظر عن الأمير آقْبُغا عبد الواحد (فيما يلي ٢ : ٣٨٤) . وبَرْسْبُغا الحاجب ، هو الأمير سَيْف الدِّين بَرْسْبُغا الحاجب ، أحد المماليك الناصرية محمد بن قلاوون ، المتوفى سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م . (الصفدي : أعيان العصر ١ : ٦٨٦-٦٨٨، الوافي بالوفيات ١٠ : ١١٤-١١٥؛ المقريزي : المقفى الكبير ٢ : ٥٧٠-٥٧١، السلوك ٢ : ٦٠٥؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢ : ٤٧؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٣ : ٢٨٢-٢٨٣) .

كلَّ قليلٍ يركب السُّلْطانُ من القَلْعَة، ويقف على العَمَل، ويُهين آقْبُغا ويَشُبُّه ويستحثُّه، حتى تَمَّ العَمَلُ للنصف من ذي الحِجَّة.

وكانت عِدَّةُ المراكِب التي غُرِّقَت فيه وهي مشحونة بالحِجارة اثني عَشَر مركبًا، كلُّ مَرْكِب منها تحمل ألف إرْدَبّ غَلَّة. وعدَّةُ المراكِب التي مُلِئت بالحَجَر حتى رُدِمَ[a] وصارَ جِسْرًا ثلاثة وعشرون ألف مَرْكِب، سوى ما عمل فيه من آلات الخشب والسَّرْياقات[1]. ٥

وحُفِرَ في الجَزيرَة[2] خليجٌ وَطِيء، فلمَّا جَرَى النِّيلُ في أيَّام الزِّيادَة مَرَّ في ذلك الخَليج، ولم يتأثَّرِ الجِسْرُ من قُوَّة التَّيَّار، وصارَت قُوَّةُ جَرْيِ النِّيل من ناحية أَنْبوبَة بالبرِّ الغربي ومن ناحية التَّكْروري أيضًا. فُسُرَّ السُّلْطانُ بذَلك، وأَعْجَبَهُ إعْجابًا كثيرًا. وكان هذا الجِسْرُ سبب انْطِراد الماء عن بَرِّ القاهِرَة حتى صارَ إلى ما صارَ إليه الآن [b]مع ما يأتي ذكره إن شاءَ الله[b].

الجِسْرُ فيما بين الجيزة والرَّوْضَة ١٠

[c] المعروف بجسر منجك [c]

كان السَّبَبُ المقتضي لعَمَل هذا الجِسْر أنَّ الملك النَّاصِرَ لمَّا عَمِلَ الجِسْر فيما بين بُولاق وناحية أَنْبوبَة وناحية التَّكْروري، انْطَرَد ماءُ النِّيل عن بَرِّ القاهِرَة، وانْكَشَفَت أراض كثيرة، وصارَ الماءُ يُخاضُ من بَرِّ مصر إلى المِقْياس، وانْكَشَفَ من قُبالَة مُنْشَأة المَهْراني إلى جَزيرَة الفِيل وإلى مُنْيَة السِّيرج، وصارَ النَّاسُ يجدون مَشَقَّةً لبُعْد الماء عن القاهِرَة، وغَلَت رَوايا الماء حتى أُبِيعَت[d] كلُّ ١٥ رَاوِيَةٍ بدرهمين بعدما كانت بِنِصْف ورُبْع دِرْهم[3].

فشَكَا النَّاسُ ذلك إلى الأَمير أَرْغون العَلائي، وإلى السُّلْطان الملك الكامِل شَعْبان بن الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون. فطَلَبَ المُهَنْدِسين ورَئيس البَحْر، ورَكِبَ السُّلْطَانُ بأُمَرائِه من القَلْعَة

---

a) بولاق: هدم. b-b) إضافة من آياصوفيا. c-c) إضافة من مسودة الخطط. d) بولاق: بيعت.

---

[1] سُرْياقَة جـ. سُرْياقات. السُّوطُ يصنع من جِلْد فَرَس البحر، وهو المعروف الآن بالكُرْباج. (Dozy, R., *Suppl.* (*Dict. Ar.* I, p. 651).

[2] حاشية بخطّ المؤلِّف: «هذه الجَزيرَة عُرِفَت بالجَزيرَة الوُسْطى». وذكرها المقريزي فيما يلي باسم جزيرة أَرْوى (٥٩٤).

[3] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٢٦–١٢٨.

إلى شَاطِئ النِّيل، فلم يتهيَّأ عَمَلٌ لما كان من ابْتداء زِيادَة النِّيل، إلَّا أنَّ الرَّأي اقْتَضَى نَقْل التُّراب والشُّقاف من مَطابخ السُّكَّر التي كانت بمصر، وإلْقاء ذلك بالرَّوْضَة لعَمَل الجِسْر. فنُقِلَ شيءٌ عَظيمٌ من التُّراب في المراكِب إلى الرَّوْضَة، وعُمِلَ جِسْرٌ من الجيزَة إلى نحو المِقْياس في طُول نحو ثلثي ما بينهما من المسافَة فعادَ الماءُ إلى جهة مصر عَوْدًا يَسيرًا، وعَجَزوا عن إيصال الجِسْر إلى

٥ المِقْياس لقِلَّة التُّراب، وقويت الزِّيادَة حتى عَلا الماءُ الجِسْر بأسْره [1]. واتَّفق قَتْلُ الملك الكامِل بعد/ذلك، وسَلْطَنَة أخيه الملك المُظَفَّر حاجي بن محمد بن قَلاوون أوَّل جُمادَى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبع مائة. ٢١٨١ظ

فلمَّا دَخَلت سنة ثمانٍ وأربعين، وَقَفَ جَماعَةٌ من النَّاس للسُّلْطان في أَمْر البَحْر، واسْتَغاثوا من بُعْد الماء وانْكِشاف الأراضي من تحت البُيوت وغَلاء الماء في المَدينَة، فأَمَر بالكَشْف عن ذلك.

١٠ فنَزَلَ المُهَنْدِسون، واتَّفقوا على إقامَة جِسْرٍ ليرجع الماءُ عن بَرِّ الجيزة إلى بَرِّ مصر والقاهِرَة وكَتَبوا تَقْدير ما يُصْرَف فيه مائة وعشرين ألف درهم فِضَّة. فأَمَرَ بجِبايَتها من أرْباب الأمْلاك التي على شَطِّ النِّيل، وأن يتولَّى القاضي ضِياءُ الدِّين يُوسُف بن أبي بكر المحْتَسِب جِبايَتها واسْتِخْراجها.

فقِيسَت الدُّور، وأُخِذَ عن كلِّ ذِراعٍ من أراضيها خمسة عشر دِرْهمًا. وتَوَلَّى قِياسَها أيضًا

١٥ المحْتَسِب ووالي الصِّناعَة، فبَلَغَ قياسُها سبعة آلاف وست مائة ذراع، وجُبِيَ نحو السبعين ألف درهم. فاتَّفق عَزْلُ الضِّياء عن الحِسْبَة ونَظَر المارِسْتان المَنْصوري ونَظَر الجَوالي، وولايَةَ ابن الأَطْروش مكانَه، ثم قَتْل الملك المُظَفَّر وولاية أخيه الملك النَّاصِر حَسَن بن محمد بن قَلاوون سَلْطَنَة مصر بعده في شهر رَمَضان منها.

فلمَّا كان في سنة تسع وأربعين وسبع مائة، وَقَعَ الاهْتِمامُ بعَمَل الجِسْر. فنَزَل الأميرُ بَيْبُغا

٢٠ أُروس[a] نائِب السَّلْطَنَة، والأمير مَنْجَك الأُسْتادار ـ وكان قد عُزِلَ من الوَزارَة ـ والأمير قَبْلاي الحاجِب، وجَماعَة من الأُمَراء ومعهم عِدَّةٌ من المهندسين إلى البَحْر في الحَراريق والمراكِب إلى بَرِّ

---

a) بولاق: يلبغا أروس.

---

[1] النَّصُّ في المُسَوَّدَة ١٧٩ظ: فاقتضى الرأيُ نَقْل التُّراب من مَطابخ السُّكَّر ورميها فيما بين الجيزة والمِقْياس حتى يصير جِسْرًا يَدْفَع الماءَ إلى جهة بولاق وجَزيرَة الفيل ومُنْشَأة المَهْراني، وأُلْزِم من عنده تُراب بحمله في مَرْكَب ليُرْمى بهذا الجِسْر. فما زال العَمَل حتى كَمُلَ وتَراجع الماءُ قليلًا إلى بَرِّ مصر، فلمَّا زاد النِّيلُ علا على هذا الجِسْر وغَطَّاه.

الجِيزَة، وقاسُوا ما بين بَرّ الجِيزَة والمِقْياس، وكُتِبَ تَقْديرُ المصروف: نحو المائة والخمسين ألف دِرْهَم، وألف خَشَبة من الخَشَب، وخمس مائة صارٍ، وألف حَجَر في طُول ذراعين وعَرْض ذراعين، وخمسة آلاف شَنْفَة، وغير ذلك من أشياءٍ كثيرة.

فرَكِبَ النَّائِبُ والوَزيرُ والأَميرُ شَيْخو والأُمَرَاء إلى الجِيزَة، وأعادُوا النَّظَرَ في أَمْر الجِسْر ومعهم أَرْبابُ الخِبْرَة. فالْتَزَمَ الأميرُ مَنْجَك بعَمَل الجِسْر، وأن يَتَوَلّى جِبايَةَ المصروف عليه من سائِر الأُمَرَاء والأَجْناد والكُتَّاب وأَرْباب الأَمْلاك، بحيث أنّه لا يَبْقَى أحَدٌ حتى يُؤْخَذ منه. فرُسِمَ لكُتَّاب الجَيْش بكِتابَة أَسْماء الجُنْد، وقُرِّرَ على كلّ مائة دينار من الإقْطاعات دِرْهَمٌ واحِدٌ، وعلى كلّ أميرٍ من خمسة آلاف درهم إلى أربعة آلاف دِرْهَم، وعلى كلّ كاتِبِ أمير ألف مائتا دِرْهَم، وكاتِب أمير الطَّبْلَخاناه مائة درهم، وعلى كلّ حانُوت من حَوانيت التُّجَّار دِرْهَم، وعلى كلّ دارٍ درهمان. وعلى كل بُسْتانِ الفَدَّانُ من عشرين درهمًا إلى عشرة دَراهِم، وعلى كلّ طاحُونٍ خمسة دَراهِم عن الحَجَر، وعلى كلّ صِهْريج في تُرْبَةٍ بالقَرافَة أو في ظاهِر القاهِرَة أو في مَدْرَسَةٍ من عشرة دَراهِم إلى خمسة دَراهِم، وعلى كلّ تُرْبَةٍ من ثَلاثَة دَراهِم إلى درهمين، وعلى أَصْحاب المقاعِد والمُتَعَيِّشين في الطُّرُقات شيءٌ.

وكُشِفَتِ البَساتينُ والدُّور التي اسْتُجِدَّت من بُولاق إلى مُنْيَة السِّيرج، والتي اسْتُجِدَّت في الحُكُورَة، والتي اسْتُجِدَّت على الخَليج النَّاصريّ وعلى بِرْكَة الحاجِب وفي حِكْر أخي صَارُوجا [1]. وقِيست أراضيها كلُّها، وأُخِذَ عن كلّ ذراع منها خمسة عشر دِرْهمًا، وأُخِذَ عن كلّ قَمين من أَقْمِنَة الطُّوب شيءٌ، وعن كلّ فاخُورَةٍ من الفَواخِير شيءٌ. وفُرِضَ على كلّ وَقْفٍ بالقاهِرَة ومصر والقَرافَتَيْن، من الجَوامِع والمساجِد والخَوانِك والزَّوايا والرُّبَط، شيءٌ.

وكُتِبَ إلى وُلاة الأَعْمال بالجِبايَة من دُيُورَة النَّصارَىٰ وكنائِسهم من مائتي دِرْهَم إلى مائة دِرْهَم، وقُرِّرَ على الفَنادِق والخَانات التي بالقاهِرَة ومصر شيءٌ. وقُرِّر على ضَامِنَة المَغَاني[a][2] مبلغ خمسين ألف دِرْهَم. وأُقيمَ لكلّ جِهَةٍ شادّ وصَيْرَفيّ وكُتَّابٌ وغير ذلك من المُسْتَحِثِّين من

a) بولاق: الأَغاني.

[1] حاشية بخط المؤلِّف: «حكْرُ أخي صاروجا يعرف بحِكْر أقيه وقبلِ القيء، وقد خَرِبَ بعدما كان عامِرًا إلى سنة ستّ وثمان مائة»، «وأَدْرَكْت أنا به بعض بقيّة». هذه العبارة الأخيرة إضافة من نسخة ص.

[2] انظر عن ضَمان المغاني، فيما تقدم ١: ٢٨٦.

الأعْوان . فنَزَلَ من ذلك بالنَّاس بَلاءٌ كبيرٌ وشِدَّةٌ عَظِيمَةٌ . فإنَّه أُخِذَ حتى من الشَّيْخ والعَجُوز والأَرْمَلَة ، وجُبِيَ المالُ منهم بالعَسْف . وأَبْطَلَ كثيرٌ منهم سببَه لسَعْيِه في الغَرامَة ، وذُهِيَ النَّاسُ مع الغَرامَة بتَسلُّط الظَّلَمَة من العُرَفاء والضُّمَّان والرُّسُل . فكان يَغْرم كلُّ أحَدٍ للقابض والشَّادّ والصَّيْرَفي والشُّهُود ـ سوى ما قُرِّر عليه ـ جملة دراهِم ؛ فكَثُرَ كلامُ النَّاس في الوَزير ، حتى صاروا يَلْهَجون بقولهم : « هذه سَخْطَةٌ مُرَصَّصَةٌ نَزَلَت من السَّماء على أهْل مصر » . وقاسَوا شِدَّةً أُخرى في تَحْصيل الأصْناف التي يُحْتاج إليها .

وتَزَلَ الوَزيرُ مَنْجَك ، وضَرَبَ له خَيْمةً على جانِب الرَّوْضَة ، ونادَى في الحَرافِيش[١] والفَعَلَة : «مَنْ أراد العَمَل يَحْضر ، ويأْخذ أجْرَته دِرْهمًا ونِصفًا وثلاثة أرْغِفَة» . فاجْتَمَعَ إليه عالَمٌ كثيرٌ ، وجَعَلَ لهم شيئًا يستظلُّون به من حَرّ الشَّمْس ، وأَحْسَنَ إليهم ، ورَتَّب عِدَّةَ مَراكِب لنَقْل الحَجَر ، وأقامَ عِدَّةً من الحَجَّارين في الجَبَل لقَطْع الحَجَر ، وجِمالاً وحَميرًا تنقلها من الجَبَل إلى البَحْر ، ثم تُحْمَل من البَرّ في المراكِب إلى بَرّ الجِيزَة .

وابتدأ بعَمَل الجِسْر من الرَّوْضَة إلى ساقِيَة عَلَم الدِّين بن زُنْبور ، وعارَضَه بجِسْرٍ آخَر من بُسْتان التّاج ألْحِق[a] إلى ساقية ابن زُنْبور ، وأقامَ أخْشابًا من الجهتين ، ورَدَمَ بينهما بالتُّراب والحَجَر والحَلْفاء ، ورَتَّب الجِمالَ السُّلْطانية لقَطْع الطِّين من بَرّ الرَّوْضَة وحمله إلى وَسَط الجِسْر ، وأمَر أن لا يَبْقَى بالقاهِرَة ومصر صانِعٌ إلَّا حَضَرَ العَمَل ، وألْزم من كان بالقُرْب من دارِه كُوم تُراب بمصر[b] أن ينقله إلى الجِسْر . فغَرِم كلُّ واحِدٍ من النَّاس في نَقْل التُّراب من ألف / درهم إلى خمس مائة دِرْهَم . وكان كلُّ ما يُنْقَل في المراكِب من الحَجَر وغيره يُرْمَى في وَسَط جِسْر المِقْياس ، وتحمله الجِمالُ إلى الجِسْر .

ثم اقْتَضَى الرَّأيُ حَفْر خَليج يَجْري الماءُ فيه عند زِيادَة النِّيل لتَضْعُف قُوَّة التَّيَّار عن الجِسْر . فأُحْضِرَتِ الأبْقارُ والجَراريفُ والرِّجالُ لأجل ذلك ، وابتدأوا حَفْرَه من رأس مَوْرَدَة الحَلْفاء تحت الدُّور إلى بُولاق ، وكانتِ الزِّيادَةُ قد قَرُبَ أوانُها ، فما انتهى الحَفْرُ حتى زادَ ماءُ النِّيل وجَرَى فيه ، فسُرّ النَّاسُ به سُرورًا كبيرًا ، وانتهى عَمَلُ الجِسْر في أربعة أشهر ؛ إلَّا أنَّ الشَّناعة قَوِيَت على

a) بولاق : إسحاق . b) ساقطة من بولاق .

[١] انظر عن الحرافيش فيما تقدم ٩١هـ ٢ .

الوَزير، وبَلَّغَ الأُمَرَاء النَّائِبَ ما يُقَالُ عن مَنْجَك من كثرة جِبايَة الأموال. فحَدَّثه في ذلك ومَنَعه، فاعْتَذَرَ بأنَّه لم يُسَخِّر أحَدًا، ولا اسْتَعْمَل النَّاسَ إلَّا بأُجْرَة، وأنَّ في هذا العَمَل للنَّاس عِدَّةَ مَنافِع وما عَليَّ من قَوْل أصْحاب الأغْراض الفاسِدَة ونحو ذَلك، وتمادَى على ما هو عليه.

٥ فلمَّا جَرَى الماءُ في الخَلِيج الذي حُفِرَ تحت البُيُوت من مَوْرَدَة الحَلْفاء إلى بُولاق، مَرَّت فيه المراكِبُ بالنَّاس للفُرْجَة، واحْتاجَ مَنْجَك إلى نَقْل خَيْمَتِه من بَرّ الرَّوْضَة إلى بَرّ الجِيزَة، وأحْضَرَ المراكِبَ الكِبار ومَلأها بالحِجارَة، وغَرَّقَ منها عشرة مَراكِب في البَحْر، ورَدَمَ التُّرابَ عليها إلى أن كَمُلَ نحو ثلثي العَمَل، فقويت زِيادَةُ الماء، وبَطَلَ العَمَلُ.

فلمَّا كَثُرَتِ الزِّيادَة، جَمَعَ مَنْجَك الحَرافيش والأسْرى، ورَدَمَ على الجِسْر التُّراب وقَوَّاه، ١٠ فتحامَل الماءُ عن البَرّ الغَرْبي إلى البَرّ الشَّرْقي، ومَرَّ من تحت المَيْدان السُّلْطاني وزَرْبِيَّة[a] قَوْصُون إلى بُولاق، فصارَ معظمُه من هذه المواضِع، وحَصَلَ الغَرَضُ بكَوْن الماء بالقُرْب من القاهِرَة. وانتهى طُولُ جِسْر مَنْجَك إلى مائتين وتسعين قَصَبَة في عَرْض ثمانِ قَصَبات وارْتِفاع أرْبَع قَصَبات. والجِسْرُ الذي من الرَّوْضَة إلى المِقْياس طُولُه مائتان وثلاثون قَصَبَة. وعِدَّة ما رُمي في هذا العَمَل من المَرَاكِب المَشْحُونَة بالحَجَر اثنا عشر ألف مَرْكِب سوى التُّراب وغير ذلك.

١٥ وكان ابْتِداءُ العَمَل في مُسْتَهَلّ المحرَّم، وانتهاؤه في سَلْخ رَبيع الآخر. ولم تَنْحصر الأموالُ التي جُبِيَت بسَبَبه، فإنَّه لم يَبْق بالقاهِرَة ومصر دارٌ ولا فُنْدُقٌ ولا حَمَّامٌ ولا طاحُونٌ ولا وَقْفُ جامِعٍ أو مَدْرَسَة أو مَسْجِد أو زاوِيَة ولا رِزْقَة ولا كَنِيسَة، إلَّا وَجُبِيَ منه. فكان الرَّجُلُ الواحِد يَغْرَم العشرة دَراهِم، ومن خَصَّه درهمان يَحْتاج إلى غَرامَة أمثالهما وأضْعافِهما. وناهيك بمالٍ يُجْبَى من الدِّيار المصرية على هذا الحُكْم كَثْرَةً.

٢٠ وقد بَقِيَت من جِسْر مَنْجَك هذا بقيَّةٌ، هي معروفةٌ اليوم في طَرَف الجَزِيرَة الوُسْطَى[1].

---

a) بولاق: زربية.

---

[1] المقريزي: مسودة الخطط ٤٩ظ.

جِسْرُ الخَلِيلي

هذا الجِسْرُ فيما بين الرَّوْضَة من طَرَفِها البَحْري وبين جَزيرَة أَرْوَى، المعروفة بالجَزيرَة الوُسْطَى، تجاه الخَوْر. وكان سَبَبُ عمله أنَّ النِّيل لمَّا قَوِيَ رَمَى تيّاره على بَرّ القاهِرَة في أيّام الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون، وقامَ في عَمَل الجِسْر ليصير رَمْي التَّيَّار من جِهَة البَرّ الغربي كما تقدَّم ذكره، انْطَرَدَ الماءُ عن بَرّ القاهِرَة، وانْكَشَفَ ما تحت الدُّور من مُنْشَأة المَهْراني إلى مُنْيَة السِّيرج. وعَمِلَ مَنْجَك الجِسْر الذي مَرَّ ذكره ليَعُود الماءُ في طُول السَّنَة إلى بَرّ القاهِرَة، فلم يتهيَّأ كما كان أوَّلًا، وجَرَى في الخَليج الذي احْتَفَرَه تحت الدُّور من مَوْرَدَة الحَلْفَاء بمصر إلى بُولاق، وصَارَ تجاه هذا الخَليج جَزيرَة. والماءُ لا يَزالُ يَنْطَرِد في كلِّ سنةٍ عن بَرّ القاهِرَة إلى أن اسْتَبَدَّ بتَدْبير مصر الأميرُ الكبيرُ بَرْقوق.

فلمَّا دَخَلَت سنة أربع وثمانين وسبع مائة، قَصَد الأميرُ جهارْكَسُ الخَليلي عَمَل جِسْرٍ ليَعُود الماءُ إلى بَرّ القاهِرَة، ويَصير في طُول السَّنَة هناك ويكثر النَّفْعُ به، فيَرْخُص الماءُ المحمول في الرَّوايا، ويَقْرُب مَرْسَى المراكِب من البَلَد، وغير ذلك من وُجُوه النَّفْع. فشَرَعَ في العَمَل أوَّل شهر رَبيع الأوَّل، وأقامَ الخَوازيق[1] من خَشَب السَّنْط، طُولُ كلّ خازُوق منها ثمانية أذْرُع، وجَعَلَها صَفَّيْن في طُول ثلاث مائة قَصَبَة وعَرْض عَشْر قَصَبات، وسَمَّرَ فيها أفْلاق النَّخْل الممتدَّة، وأَلْقَى بين الخَوازيق تُرابًا كثيرًا، وانْتَصَب هناك بنفسه ومَماليكه، ولم يَجْب من أحَدٍ مالًا ألبتَّة. فانْتَهَى عَمَلُه في أُخْرَيات شَهْر رَبيع الآخَر[2]، وحَفَرَ في وَسَط البَحْر خَليجًا من الجِسْر إلى زَرْبِيَّة[a] قَوْصون.

وقال شُعَراءُ العَصْر في ذلك شِعْرًا كثيرًا، منهم عيسى بن حَجَّاج:

[الكامل]

جِسْرُ الخَليلي المُقِرّ[3] لقد رَسَا ... كالطَّوْدِ وَسْطَ النِّيل كيف يُريدُ

فإذا سَأَلْتُم عَنْهُما قُلْنا لكم ... ذا ثابِتٌ دَهْرًا، وذاك يَزيدُ

---

a) بولاق: زربية.

---

[1] حاشية بخَطّ المُؤَلِّف: «الخازُوق فاعول من الخَزْق، وهو الخَرْق؛ والمِخْزَق عودٌ طرفه محدَّد؛ والخرق الشيء في الأرض، أي: ثَبَت.

[2] جِسْرُ الخَليلي كان ممتدًّا في النِّيل بين رأس جَزيرَة الرَّوْضَة من بَحْريها، ورأس الجَزيرَة الوُسْطَى (جَزيرَة أَرْوَى) من قبليها. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٢٦هـ[3]).

[3] حاشية بخَطّ المُؤَلِّف: «هذا مَعيب، إنَّما يُعَبَّر عن الرَّجُل بالمُقِرّ في مُصْطَلَح الإنْشاء إجلالًا له عن ذِكْر-

وقال الأديبُ شِهابُ الدِّين أحمد بن العَطَّار :

[مجزوء الرمل]

شَكَتِ النِّيلَ أرْضُهُ ... للخَليلي فأحْضَرَهْ
ورَأَى الماءَ خائِفًا ... أن يَطأَهَا فجَسَّرَهْ[1]

٥ وقال :

[البسيط]

رأى الخَليلي قَلْبَ الماءِ حين طَغَى ... بَنَى على قَلْبِه جِسْرًا وحَيَّرَهْ
/رَأى تَرَمُّل أرْضيه وجدتها ... والنِّيلُ قد خافَ يَغْشَاها فجَسَّرَه

ومع ذلك ما ازْدادَ الماءُ إلَّا انْطِرادًا عن بَرِّ القاهِرَة ومصر . حتى لقد انْكَشَفَ بعد عَمَل هذا الجِسْر شيءٌ كثيرٌ من الأراضي التي كانت غامرةً بماء النِّيل ، ويَعُدَ النِّيلُ عن القاهِرَة بُعْدًا لم يُعْهَد ١٠ في الإسْلام مثله قَطّ .

جِسْرُ شيبين

أَنْشَأَه الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون في سنة سبع وثلاثين وسبع مائة ، بسَبَب أنَّ إقْليم الشَّرْقِيَّة كانت له سُدودٌ قديمةٌ[a] كلُّها مَوْقُوفة على فَتْح[b] بَحْر أبي المُنَجَّا ، وفي بعض السِّنين تَشْرُق ١٥ ناحية سِنيت[c] وناحِيَة مَرْصَفا وغير ذلك من النَّواحي التي أراضيها عالية[2] ، فشَكَا الأميرُ بَشْتاك من تَشْريق بعض بلادِه التي في تلك النَّواحي . فرَكِبَ السُّلْطانُ من قَلْعَة الجَبَل ، ومعه المُهَنْدِسون وخَوَلَةُ البِلاد[3] - وكانت له مَعْرِفَةٌ بأُمُور العَمائِر ، وحَدْسٌ جَيِّد ، ونَظَرٌ سَعيد ، ورأْيٌ مُصيب - فسارَ لكَشْف تلك النَّواحي حتَّى اتَّفَق الرأْيُ على عَمَل الجِسْر من عند شِيبين القَصْر إلى بَنْها

---

a) إضافة من مسودة الخطط . b) المسودة : كسر . c) بولاق : شيين .

- اسمه ، فأمَّا أن يُذْكر ويقال المُقِرّ فهذا ...» .

[1] أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١:٢١٣-٢١٤ .

[2] ذكر أبو المحاسن هذا السَّدّ باسم : سَدّ شبين القَصْر (النجوم الزاهرة ٩:١٩١-١٩٢ ، وأيضًا فيما تقدم ٤٩٨) . وشبين القصر هي التي تُعْرَف اليوم بشبين القناطِر قاعدة مركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية . وسنيت (أو إشنيت) كانت تابعة لمركز ميت غَمْر ، فلمَّا أُنشئ مركز بَنْها في سنة ١٩١٣ بمحافظة القليوبية أُلحقت به لقربها منه ؛ ومَرْصَفا كانت تابعة لمركز طُوخ ثم أُلحقت بمركز بنها في سنة ١٩١٣ مثل سنيت . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ق٢ ج١: ١٩، ٢٦؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:١١٤هـ[2] ، ١٩١هـ[3]) .

[3] حاشية بخط المؤلِّف : «الخَوَلي الراعي الحسن القيام على المال والغنم ، والجَمْع : خَوَل كعَرَبي وعَرَب» .

العَمَل . فوَقَع الشُّروع في عَمَلِه ، وجُمِع له من رجال البِلاد اثنى عشر ألف رَجُل ومائتي قِطْعة جَرّافَة [1] ، وأقامَ فيه القَناطِر . فصارَ مَحْبَسًا لتلك البِلاد ، وإذا فُتِح[a] بَحْرُ أبي المُنَجَّا امْتَلأتِ الأمْلاقُ بالماء ، واسْتُنِد[b] على هذا الجِسْر .

وفي أوّل سنة عَمَلِ هذا الجِسْر أُبْطِلَ فَتْحُ سَدّ[c] بَحْر أبي المُنَجّا تلك السَّنَة ، وفُتِحَ من جِسْر شيبين هذا . وحَصَلَ بهذا الجِسْر نَفْعٌ كبيرٌ لبلاد العُلْو ، واسْتَبْحَر منه عِدَّةُ بِلادٍ وَطيئَة [2] . والعَمَلُ على هذا الجِسْر إلى يَوْمِنا هذا .

جِسْرا مِصْر والجِيزَة

اعْلَم أنَّ الماءَ في القَديم كان مُحيطًا بجَزيرَة مصر ـ التي تُعْرَف اليوم بالرَّوْضَة ـ طول السَّنَة . وكان فيما بين سَاحِل مصر وبين الرَّوْضَة جِسْرٌ من خَشَب ، وكذلك فيما بين الرَّوْضَة وبَرّ الجيزَة جِسْرٌ من خَشَب ، يمرُّ عليهما النَّاسُ والدَّوابُّ من مصر إلى الرَّوْضَة ، ومن الرَّوْضَة إلى الجيزَة . وكان هذان الجِسْران من مَراكِب مُصْطَفَّة بعضُها بحِذاء بَعْضٍ وهي مُوثَقَة ، ومن فَوْق المراكِب أَخْشابٌ ممتدَّة فَوْقَها تُرابٌ ، وكان عَرْضُ الجِسْر ثَلاث قَصَبات .

قال القُضَاعِي : وأمَّا الجِسْرُ فقال بعضُهم : رأيتُ في كِتاب ـ ذَكَرَ أنَّه خَطُّ أبي عبدِ الله بن فُضالَة ـ صِفَةَ الجِسْر وتَعْطيله وإزالَته ، وأنَّه لم يَزَل قائِمًا إلى أن قَدِمَ المأمونُ مصر ، وكان غَربيًا . ثم أحْدَثَ المأمونُ هذا الجِسْر الموجود اليوم الذي تَمُرُّ عليه المارَّةُ وتَرْجِع من الجِسْر القَديم . فبَعْد أن خَرَجَ المأمونُ عن البَلَد ، أَتَت رِيحٌ عاصِفٌ فقَطَعَتِ الجِسْر الغربي ، فصَدَمَت سُفُنُه الجِسْر المُحْدَث فذَهَبا جَميعًا ، فبَطَلَ الجِسْرُ القَديم وأُثْبِت الجَديد . ومَعالِمُ الجِسْر القَديم معروفة إلى هذه الغايَة .

وقال ابنُ زُولاق في كِتاب : « إتْمام [d]كِتاب الكِنْدي في أخبار[d] أُمَراء مِصْر » : ولعَشْر خَلَوْن من شَعْبان سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائة ، سارَتِ العَساكِرُ لقِتال القائِد جَوْهَر ، ونَزَلُوا الجَزيرَة بالرِّجال والسِّلاح والعُدَّة ، وضَبَطوا الجِسْرَيْن . وذَكَرَ ما كان منهم ... إلى أن قال ، في عُبُور جَوْهَر :

a) المسودة : كسر . b) بولاق : أسند . c) إضافة من مسودة الخطط . d-d) إضافة اقتضاها السياق .

[1] حاشية بخط المؤلّف : «الجَرّافة : فَعّالَة من قولهم : سَيْلٌ جَرّاف يَجْرِف ما مَرّ به من كثرته ، أي يأخذ ما مَرّ به أخْذًا كبيرًا» .

[2] المقريزي : مسودة الخطط ٥٠و .

أَقْبَلَتِ العَساكِرُ ، فعَبَرَتِ الجِسْر أفْواجًا أفْواجًا ، وأَقْبَل جَوْهَرٌ في فُرْسانِه إلى المُناخ مَوْضِع القاهِرَة [١] .

وقال في كِتاب : « سِيرَة المُعِزّ لدين الله » : وفي مستهلّ رَجَب سنة أربع وستين وثلاث مائة ، أُصْلِح جِسْرُ الفُسْطاط ، ومُنِعَ النَّاسُ من رُكوبِه ، وقد كان أقامَ سنينَ معطَّلًا [٢] .

وقال ابنُ سعيد في كِتاب « المُغْرِب » : وذَكَرَ ابنُ حَوْقَل الجِسْر الذي يكون ممتدًّا من الفُسْطاط إلى الجَزيرَة ، وهو غير طَويل ، ومن الجانِب الآخَر إلى البَرّ الغربي ، المعروف بِبَرّ الجِيزَة ، جِسْرٌ آخَر من الجَزيرَة إليه . وأكثر جَوازِ النَّاس بأنفسهم ودَوابِّهم في المَراكِب ، لأنَّ هذين الجِسْرَيْن قد احْتُرِما[a] بحُصُولهما في حَيِّز قَلْعَة السُّلْطان . ولا يَجُوز أحَدٌ على الجِسْر الذي بين الفُسْطاط والجَزيرَة راكِبًا احْتِرامًا لمَوْضِع السُّلْطان [٣] ـ يَعْني الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب .

وكان كُرْسي[b] هذا الجِسْر الذي ذَكَرَه ابنُ سَعيد ـ حيث المَدْرَسَة الخَرُّوبية ـ من إنْشاء البَدْر أحمد بن محمد الخَرُّوبي التَّاجِر على سَاحِل مصر ، قِبْلي خُطّ دار النُّحاس .

وما بَرِحَ هذا الجِسْر إلى أن خَرَّبَ الملكُ المُعِزُّ أَيْبَك التُّرْكُماني قَلْعَةَ الرَّوْضَة ، بعد سنة ثمانٍ وأربعين وستّ مائة ، فأُهْمِل . ثم عَمَّرَه الملكُ الظَّاهِرُ رُكْن الدِّين بَيْبَرْس على المراكِب ، وعمله من سَاحِل مصر إلى الرَّوْضَة ، ومن الرَّوْضَة إلى الجِيزَة ، لأجْل عُبُور العَسْكَر عليه لَمَّا بلغه حَرَكَةُ الفِرِنْج ، فعمل ذلك [٤] .

الجِسْر من قَلْيُوب إلى دِمْياط

هذا الجِسْرُ أنْشَأه السُّلْطانُ الملك المُظَفَّر رُكْن الدِّين بَيْبَرْس المَنْصوري ، المعروف بالجاشْنْكير في أُخْريات سنة ثمانٍ وسبع مائة . وكان من خَبَرِه أنَّه وَرَدَ القُصَّادُ بموافَقَة صاحِب قُبْرُس عِدَّة من

a) بولاق : اخترما . b) بولاق : رأس .

[١] المقريزي : اتعاظ الحنفا ١: ١٠٩- ١١١.

[٢] نفسه ١: ٢١٨.

[٣] ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ٨؛ ابن حَوْقل : صورة الأرض ١٤٦؛ المقري : نفح الطيب ٢: ٣٤١- ٣٤٢؛ وفيما تقدم ٢: ١٥٣.

[٤] راجع كذلك عن جسر مصر والجيزة ، الكندي : ولاة مصر ٧٨، ١٩٢، ٢١٨؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٣٣٥؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١: ٣١٦، ٢: ٢١٦؛ السيوطي : حسن المحاضرة ٢: ٣٨٢، كوكب الروضة ٩٣؛ Fu'ad Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, pp. 75-77.

مُلوكَ الفِرنْجِ على غَزْوِ دِمْياط ، وأنَّهم أخَذوا ستين قِطْعَةً . فاجْتَمَعَ الأُمَرَاءُ ، واتَّفَقُوا على إنْشَاء جِسْرٍ من القاهِرَة إلى دِمْياط خَوْفًا من حَرَكَة الفِرنْجِ في أيَّام النِّيل ، فيتَعَذَّر الوُصُول إلى دِمْياط . وعُيِّنَ لعَمَلِ ذلك الأميرُ آقُوش الرُّومي الحُسَامي ، وكَتَبَ الأُمَرَاءُ إلى بِلادِهم بخُروج الرِّجال والأبْقار ، ورُسِمَ للوُلاة بمُساعَدَة آقُوش ، وأن يَخْرُج كلُّ والٍ إلى العَمَلَ برِجالِ عمله ٥ وأبْقارِهم . فما وَصَل آقُوش إلى ناحية فارَسْكُور ، حتى وَجَدَ وُلاةَ/ الأعْمَال قد حَضَروا ١٧١:٢ بالرِّجال والأبْقار ، فرَتَّبَ الأمُور ، فعمل فيه ثلاث مائة جَرَّافة بستّ مائة رأس بَقَر وثلاثين ألف رَجُل .

وأقامَ آقوش الحُرْمَة ـ وكان عَبُوسًا قَليلَ الكَلام مُهابًا إلى الغايَة ـ فجَدَّ النَّاسُ في العَمَل لكَثْرَة من ضَرَبَه بالمَقارِع ، وa)خزَمَ أنْفَه ، وa)قَطَع أُذُنَه ، أو أَخْرَق به إلى أن فَرَغ في نَحْوِ شهرٍ واحِد . فجاءَ من قَلْيوب إلى دِمْياط مَسافَةَ يومين في عَرْض أرْبَع قَصَبات من أعْلاه وسِتّ قَصَبات من ١٠ أسْفَله ، ومَشَى عليه ستَّة رُءوس من الخَيْل صَفًّا واحِدًا فعَمَّ النَّفْعُ به ، وسَلَكَ عليه المسافِرُون بعدما كان يَتَعَذَّر السُّلوك أيَّام النِّيل لعُمُوم الماء الأراضي b)[١] .

---

a) بولاق : أو . b) هنا على هامش آياصوفيا : بياض نحو أربعة عشر سطرًا .

---

[١] إلى هنا ينتهي الجزء الثَّاني من النُّسَخ ذات التَّقْسيم الثُّلاثي ـ أي الواقِعة في ثَلاثَة مجلَّدات ـ ويُوجَد بعد ذلك في ختام هذا الجزء في هذه النُّسَخ : «الحمد لله ، وُجِدَ بخَطِّ المُصَنِّف ـ رحمه الله ـ في أصْله ما صُورَتُه في آخِر الجُزْء : أُمَرَاء العَرَب بيَثْرِب هم بيت حِشْمَة ومكارم ...» ، وفوائد أخرى تختصّ بأخبار اليَمَن ، ثم ترجمة للسُّلْطان محمد بن طُغْلُق شاه ملك الهند وتمتدُّ هذه الفوائد في نسخة حسين جلبي باستانبول رقم 791 ـ على سبيل المثال ـ أربع ورَقات ختمها ناسخها بقوله :

«هذا آخر ما وَجَده كاتِبُه بخَطِّ المؤلِّف ـ رحمه الله ـ في آخر أصْله المنقول منه ، والحمد لله وَحْدَه ، وحَسْبُنا الله ونِعْمَ الوكيل» .

وهي كما ترى فوائدُ سَجَّلَها المَقْريزي في آخِر نُسْخَته ليُفيد منها في موضوعات كتبه الأخرى كعادته في سائر ما وَصَل إلينا بخَطِّه ، حيث يُضيفُ فَوائِدَ في أيّ مَكانٍ خالٍ في أوْراقه .

ذكر الجزائر

اعْلَم أنَّ الجَزائِرَ التي هي الآن في بَحْر النِّيل كلُّها حادِثَةٌ في المِلَّة الإسْلامية ، ما عَدا الجَزيرَة التي تُعْرَف اليوم بالرَّوْضَة تِجاه مَدينَة مِصْر . فإنَّ العَرَبَ لمَّا دخَلُوا مع عَمْرو بن العَاص إلى مصر وحاصَروا الحِصْن - الذي يُعْرَف اليوم بقَصْر الشَّمْع في مصر - حتى فَتَحَه الله تعالى عَنْوَةً على المسلمين ، كانت هذه الجَزيرَةُ حينئذٍ تِجاه القَصْر . ولم يَبْلُغني إلى الآن متى حَدَثَت ، وأمَّا غيرها من الجَزائِر فكلُّها قد تَجَدَّدَت بعد فَتْح مصر .

ويُقالُ - والله أعْلَم - إنَّ بُلْهَيْب ، الذي يُعْرَف اليوم بأبي الهَوْل ، طِلَّسْمٌ وَضَعَه القُدَماءُ لقَلْب الرَّمْل عن برِّ مصر الغربي الذي يُعْرَف اليوم بِبَرِّ الجِيزَة . وأنَّه كان في البَرِّ الشرقي ، بجوار قَصْر الشَّمْع ، صَنَمٌ من حِجارَة على مُسامَتَة أبي الهَوْل - بحيث لو امتدَّ خَيْطٌ من رأس أبي الهَوْل وخَرَج على اسْتِواءٍ لسَقَط على رأس هذا الصَّنَم - وكان مُسْتَقْبِل المَشْرِق ، وأنَّه وُضِعَ أيضًا لقَلْب الرَّمْل عن البرّ الشرقي .

فقَدَّرَ الله سبحانه وتعالى أن كُسِرَ هذا الصَّنَمُ على يد بَعْض أُمَرَاء الملك النَّاصِر محمد ابن قَلاوون في سنة إحدى عشرة وسبع مائة ، وحَفَرَ تحته حتَّى بَلَغَ الحَفْرُ إلى الماء ظَنًّا أنَّه يكون هناك كَنْزٌ ، فلم يُوجَد شيءٌ ، وكان هذا الصَّنَمُ يُعْرَف عند أهل مصر بسَرِيَّة أبي الهَوْل . فكان عَقِيبَ ذلك غَلَبَة النِّيل على البَرِّ الشَّرْقي حتى عَمِل الملكُ النَّاصِرُ ما تقدَّم ذكره وانْطَرَدَ الماءُ عن البَرِّ الشَّرْقي ، وصارَت هذه الجَزَائِرُ الموجودة اليوم [1] .

وكذلك قام شَخْصٌ من صُوفِيَّة الخانْقاه الصَّلاحِيَّة سَعيد السُّعَداء ، يُعْرَف بالشَّيْخ محمد صَائِم الدَّهْر ، في تَغْيير المُنْكَر أعْوام بضع وثمانين وسبع مائة . فشَوَّه وُجُوه سِباع الحَجَر التي على قَناطِر السِّباع خارج القاهِرَة وشَوَّه وَجْه أبي الهَوْل ، وصارَ كما هو عليه الآن . وما بَرِحْتُ بعد ذلك أسْمَع أهل بلاد الجيزة يقولون إنَّه منذ أفْسَدَ وجه أبي الهَوْل غَلَب الرَّمْلُ على أراضي الجِيزَة . ولا يُنْكَر ذلك ، فللَّه في خَليقَته أسْرارٌ يُطْلِعُ عليها من يَشاءُ من عِبادِه ، والكلُّ بخَلْقِه وتقديره [2] .

وقد ذَكَرَ الأستاذُ إبراهيم بن وَصِيف شاه ، في كِتاب «أخْبار مِصْر» في خَبَر الوَاحَات الدَّاخِلَة ، أنَّ في تلك الصَّحاري كانت أكثر مُدُن مُلوك مصر العَجيبَة وكُنوزهم ، إلاَّ أنَّ الرِّمالَ غَلَبَت

---

[1] فيما تقدم ١: ٣٣٢- ٣٣٣.   [2] فيما تقدم ١: ٣٢٣، وهذا المجلد ٤٩١، وانظر أيضًا المقريزي : السلوك ٣: ٣٥٧.

عليها . قالَ : ولم يَبْق بمصر مَلِكٌ إلّا وقد عَمِلَ للرِّمالِ طِلَّسْمًا لدَفْعها، ففَسَدَت طِلَّسْماتُها لِقِدَم الزَّمان [١] .

وذَكَرَ ابنُ يُونُس : عن عبد الله بن عَمْرو بن العَاص ، أنَّه قال : إنِّي لأَعْلَم السَّنَة التي تَخْرُجون فيها من مصر ؛ قال ابنُ سالِم ، فقُلْت له : ما يُخْرِجْنا منها يا أبا محمد ، أَعَدُوّ ؟ قال : لا ، ولكنكم يُخْرِجُكم منها نِيلُكم هذا ، يَغُورُ فلا تَبْقَى منه قَطْرَةٌ حتى تكون فيه الكُثْبان من الرَّمْل ، وتأكل سِباعَ الأرْض حِيتانُه [٢] .

وقال اللَّيْثُ عن يَزيد بن أبي حَبيب ، عن أبي الخَيْر قال : إنَّ الصَّحابي حَدَّثَه أنَّه سَمِعَ كَعْبًا يقول : ستُعْرَك العِراقُ عَرْكَ الأَديم ، وتُفَتّ مصر فَتّ البَعْرَ . قال اللَّيْثُ ، وحَدَّثَني رَجُلٌ عن وَهْب المَعافِري أنَّه قال : وتُشَقُّ الشَّام شَقّ الشَّعْرَة .

وسأَذْكُر من خَبَرِ هذه الجَزَائِر المشهورة ما وَصَلَت إليَّ معرفته إن شاءَ الله .

ذِكْرُ الرَّوْضَة

اعْلَم أنَّ الرَّوْضَة تُطْلَق في زَمانِنا هذا على الجَزيرَة التي بين مَدينَة مصر ومَدينَة الجيزَة . وعُرِفَت في أَوَّل الإسلام/ بالجَزيرَة وبجَزيرَة مِصر ، ثم قيل لها جَزيرَةُ الحِصْن ، وعُرِفَت إلى اليوم بالرَّوْضَة [٣] . وإلى هذه الجَزيرَة انْتَقَلَ المُقَوْقِسُ لمَّا فَتَحَ الله تعالى على المسلمين القَصْر وصارَ بها هو ومن معه من جُمُوع الرُّوم والقِبْط .

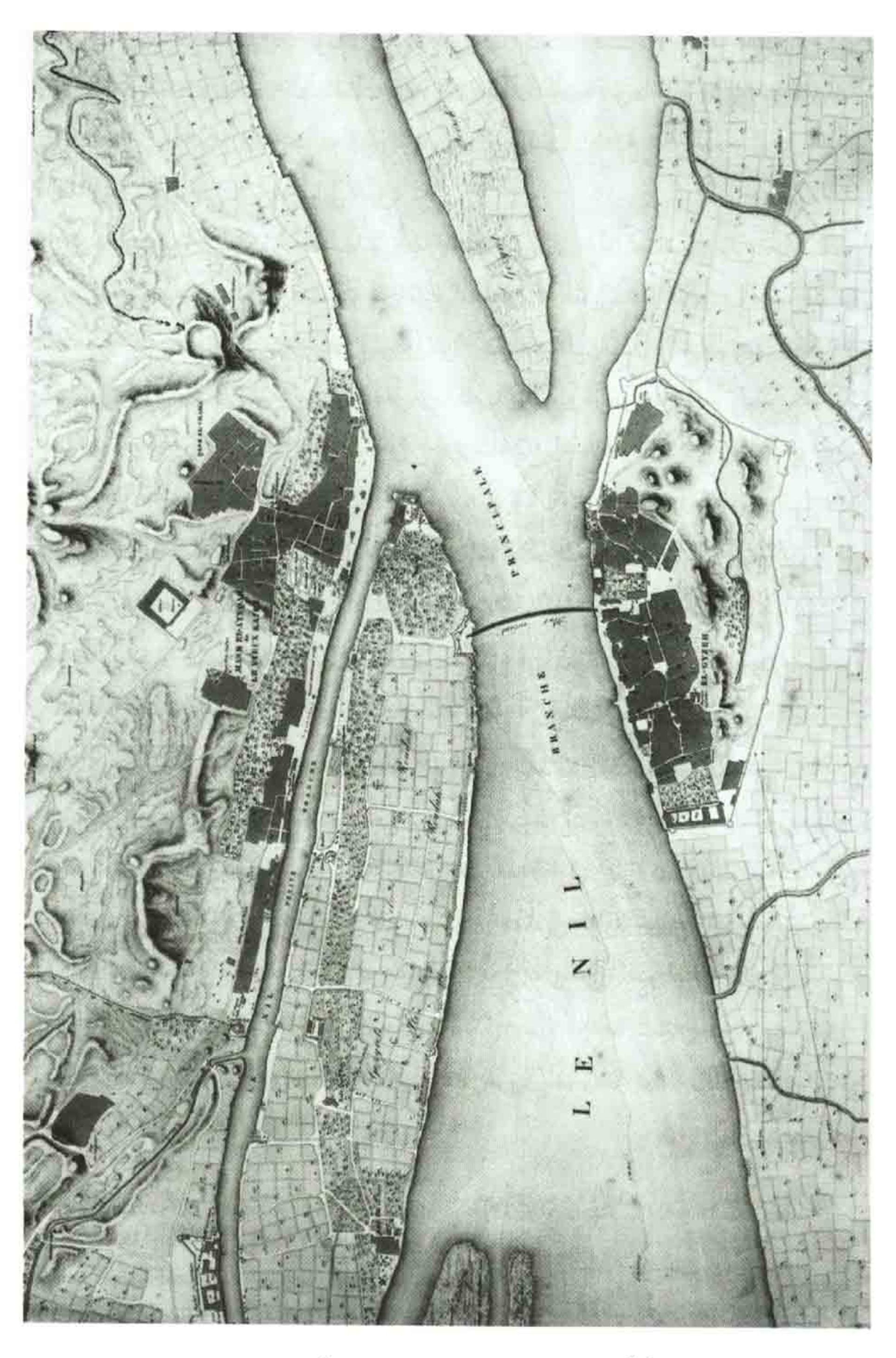
---

[١] النويري : نهاية الأرب ١٥ : ٨٩، وفيما تقدم ١ : ٦٣٥.

[٢] ابن يونس : تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين) ٢٧٨.

[٣] ما تزالُ جَزيرَةُ الرَّوْضَة قائمةً في وَسَط النيل بين مصر القديمة والجيزة ، وفي القسم الشمالي منها ـ المعروف بالمَنْيَل ـ فُنْدُق المريديان Le Meridiènne، وفي جزئها الأوسط كلية الطب جامعة القاهرة (القصر العيني) وفي مواجهتها قصر الأمير محمد علي توفيق ، وفي طرفها الجنوبي قَصْر المانِسْتِرْلي ومِقْياس الرَّوْضَة .

واهتم المؤلِّفون القُدَماء بالتأريخ لجزيرة الرَّوْضَة ومن أقدمهم أبو عمرو عثمان بن إبراهيم النَّابُلُسي ، المتوفى سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م ، في كتابه : «حُسْن السَّريرَة في اتِّخاذ الحِصْن بالجزيرة» وهو كِتابٌ مَفْقُودٌ ؛ وعليّ بن سعيد المغربي في كتابه «المُغْرِب في حُلَى المغرب» في القسم الذي سَمَّاه «النُّفْحَة الحاجرية في حُلَى الجزيرَة الصَّالحية» ، وهو قسمٌ ضائِعٌ من كتابِه ؛ وجَلالُ الدِّين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السُّيوطي ، المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م ، في كتابه «كَوْكَب الرَّوْضَة في تاريخ النِّيل وجَزيرَة الرَّوْضَة» (نشره محمد الشِّشْتاوي وصَدَرَ في القاهرة عن دار الآفاق العربية سنة ٢٠٠٢) ، ثم من الدراسات الأَحْدَث ما كتبه جومار في : وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل ٣٣٣-٣٤٠، ومارسيل Marcel, J.J., «Mémoire sur le



خريطة تُوضِّح جَزيرَة الروضة ومصر القديمة والجيزة (عن كِتاب وَصْف مصر)

وبها أيضًا بَنَى أحمد بن طُولُون «الحِصْن»، وبها كانت «الصِّناعَةُ» - يعني صِناعَة الشُّفُن الحربية، أي كانت بها «دارُ الصِّناعَة» - وبها كان «الجِنَان المُخْتار»، وبها كان «الهَوْدَجُ» الذي بناهُ الخَلِيفَةُ الآمِر بأحْكام الله لمحبوبته البَدَوِيَّة، وبها بَنَى المَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّين أيُّوب «القَلْعَة الصَّالِحِيَّة»، وبها إلى اليوم «مِقْياسُ النِّيل».

٥ وسأورد من أخْبَار الرَّوْضَة هنا ما لا تَجِده مُجْتَمِعًا في غير هذا الكِتاب.

قال ابنُ عبد الحَكَم - وقد ذَكَرَ مُحاصَرَة المسلمين للحِصْن -: فلمَّا رأى القَوْمُ الجِدَّ من المسلمين على فَتْح الحِصْن والحِرْص، ورأوا من[a] صَبْرِهم على القِتال ورَغْبَتِهِم فيه، خافُوا أن يَظْهَروا عليهم، فتَنَحَّى المُقَوْقِسُ وجماعَةٌ من أكابِر القِبْط، وخَرَجُوا من باب الحِصْن القِبْليّ - ودونهم جَماعَةٌ يُقاتلون العَرَب - فلَحِقُوا بالجَزيرَة مَوْضِع الصِّناعَة اليوم، وأَمَرُوا بقَطْع الجِسْر
١٠ وذلك في جَرْي النِّيل[1].

وتَخَلَّفَ في الحِصْن بعد المُقَوْقِس الأُعَيْرِج[b]، فلمَّا خافَ فَتْح باب الحِصْن، رَكِبَ[c] هو وأَهْل القُوَّة والشَّرَف - وكانت سُفُنُهم مُلْصَقَةً بالحِصْن - ثم لَحِقوا بالمُقَوْقِس بالجَزيرَة.

قالَ: وكان بالجَزيرَة - يعني بعد فَتْح مصر - في أيَّام عبد العزيز بن مَرْوان، أمير مصر، خمس مائة فاعِل عُدَّةً[d] لحَرِيقٍ [e]إن كان في البلاد[e] أو هَدْم[2].

١٥ وقال القُضَاعي: جَزِيرَةُ فُسْطاط مصر، قال الكِنْدي: بنيت جَزيرَةُ[f] الصِّناعَة في سنة أربعٍ وخمسين، وحِصْنُ الجَزِيرَة بَنَاه أحمد بن طُولُون في سنة ثلاثٍ ومائتين ليُحْرز فيه حُرَمَه ومالَه. وكان سَبَبُ ذلك مَسير مُوسَىٰ بن بُغَا العراقي من العِراق والِيًا على مصر وجَميع أعْمال ابن طُولُون، وذلك في خِلافَة المُعْتَمِد على الله. فلمَّا بَلَغَ أحمد بن طُولون مَسيرُه، استعدَّ لحربه ومَنْعه من دُخُول أعْماله. فلمَّا بَلَغَ مُوسَىٰ بن بُغا إلى الرَّقَّة، تثاقَل عن المسير لعِظَم شأن ابن طُولُون

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: الأعرج. c) بولاق: خرج. d) بولاق: العدة. e-e) بولاق: يكون في البلد. f) بولاق: بالجزيرة.

Meqyâs de l'île de Roudah», *DE* - État moderne t. XV Paris 1826, pp. 1-135, 387-582؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة ١٨: ٧-١٢٦؛ Fu'ad Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, pp. 75-82, 535-37؛ وانظر كذلك Sabry, A. M., The Urban Evolution of Roda Island, Ph. Thesis AUC 1994.

[1] ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٦٤.

[2] ابن عبد الحكم: فتوح مصر ١٠٣؛ وفيما يلي ٦٢٢.

وقُوَّته . ثم عَرَضَت لموسَىٰ عِلَّةٌ طالَت به وكان بها مَوْتُه ، وثاوره الغِلْمان وطَلَبوا منه الأرْزاق ، وكان ذلك سَبَبَ تَرْكه المسير . فلم يلبث مُوسَىٰ بن بُغا أن مات ، وكَفَى ابن طُولون أمْرَه [1] . ولم يَزَل هذا الحِصْنُ على الجَزيرَة حتى أخَذَه النِّيلُ شيئًا بعد شيءٍ ، وقد بقيت منه بَقَايا متقطِّعة إلى الآن .

٥ وقد اختَصَرَ القاضي القُضَاعِي - رحمه الله - في ذِكْر سَبَب بناءِ ابن طُولون حِصْن الجَزيرَة . وقد ذَكَرَ جامِعُ «سِيرَة ابن طُولون» [2] أنَّ صاحِبَ الزَّنْج لمَّا قَدِمَ البَصْرَة في سنة أربعٍ وخمسين ومائتين واسْتَفْحَل أمْرَه [a]، أنْفَذَ إليه أميرُ المؤمنين المُعْتَمِدُ على الله جَعْفَر بن المُعْتَصِم بن الرَّشيد ، رَسُولًا في حَمْل أخيه المُوَفَّق بالله أبي أحمد طَلْحَة من مَكَّة إليه - وكان الخَلِيفَةُ المُهْتَدي بالله محمد بن الواثِق بن المُعْتَصَم نَفاه إليها - فلمَّا وَصَلَ إليه - جَعَلَ العَهْدَ بالخِلافَة من بعده لابنه المُفَوَّض ، وبعد المُفَوَّض تكون الخِلافَةُ للمُوَفَّق طَلْحَة ، وجَعَلَ غَرْبَ الممالِك الإسلامية للمُفَوَّض ١٠ وشَرْقَها للمُوَفَّق ، وكَتَبَ بينهما بذلك كِتابًا ارْتَهَن فيه أيْمانَهما بالوَفاء بما قد وُقِّعَت عليه الشُّروط .

وكان المُوَفَّقُ يَحْسِد أخاه المُعْتَمِد على الخِلافَة ولا يَراه أهْلًا لها ، فلمَّا جَعَلَ المُعْتَمِدُ الخِلافَة من بعده لابنه ثم للمُوَفَّق بعده، شَقَّ ذلك عليه ، وزادَ في حِقْدِه . وكان المُعْتَمِدُ مُتَشاغِلًا بمَلاذ نفسه من الصَّيْد واللَّعِب والتفرُّد بجواريه ، فضاعَت الأُمورُ ، وفَسَدَ تَدْبيرُ الأحْوال ، وفازَ كلُّ مُتَقَلِّد [b] عَمَلًا بما يتقلَّده .

١٥ وكان في الشَّرط الذي كَتَبَه [c] المُعْتَمِدُ بين المُفَوَّض والمُوَفَّق : أنَّه ما حَدَثَ في عَمَل كلِّ واحِدٍ منهما من حَدَثٍ ، كانَتِ النَّفَقَةُ عليه من مالِ خَراج قِسْمِه . واسْتَخْلَف على قِسْم ابنه المُفَوَّض مُوسَىٰ بن بُغَا ، فاسْتَكْتَبَ مُوسَىٰ بن بُغا عبيدَ الله بن سُلَيْمان بن وَهْب ، وانْفَرَدَ المُوَفَّقُ بقِسْمه من مَمالِك الشَّرْق ، وتقدَّم إلى كلٍّ منهما ألَّا ينظر في عَمَل الآخر ، وخَلَّدَ كتاب الشَّرْط [d] بالكَعْبَة وأفْرَدَ المُوَفَّق لمحارَبَة صاحِب الزَّنْج ، وأخرَجَه إليه وضَمَّ معه الجُيُوش .

٢٠ فلمَّا كَبُرَ أمْرُه ، وطالَت مُحارَبَتُه إيَّاه ، وانْقَطَعَت موارِدُ [e] خَراج المَشْرق عن المُوَفَّق ، وتَقاعَدَ النَّاسُ عن حَمْل المال الذي كان يُحْمَل في كلِّ عام ، واحْتَجُّوا بأشياءَ ، دَعَتِ الضَّرورَةُ المُوَفَّق إلى

---

a) بولاق : استعجل أمره . b) بولاق : من كان متقلدًا . c) بولاق : الشروط التي كتبها . d) بولاق : كتاب الشروط . e) بولاق : مواد .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ٢٤٤- ٢٤٥.

[2] البلوي : سيرة أحمد بن طولون ٧٧- ٨٨.

أن كَتَب إلى أحمد بن طُولون ـ وهو يومئذٍ أمير مصر ـ في حَمْل ما يَسْتَعين به في حُروب صاحِب الزَّنْج .

وكانت مصرُ في قِسْمِ المُفَوَّض لأنَّها من المَمالِك الغربية ، إلَّا أنَّ المُوَفَّق شَكَا في كِتابِه إلى ابن طُولون شِدَّةَ حاجَته إلى المال بسَبَب ما هو بسَبيله ، وأَنْفَذ مع الكِتاب نَحريرًا[a] خادِمَ المُتَوَكِّل ٥ ليَقْبِض منه المال . فما هو إلَّا أن وَرَدَ نَحرير[a] على ابن طُولون بمصر ، وإذا بكِتاب المُعْتَمِد قد وَرَدَ عليه يأمُره فيه بحَمْل المال إليه على رَسْمِه ، مع ما جَرَى الرَّسْمُ بحَمْله مع المال في كلِّ سنةٍ من الطِّراز والرَّقيق والخَيْل والشَّمْع وغير ذلك ، وكَتَبَ أيضًا إلى أحمد بن طُولون كِتابًا في السِّرّ «أنَّ المُوَفَّقَ إنَّما أنْفَذَ نَحريرًا[a] إليك عَيْنًا ومُسْتَقْصِيًا على أخْبارِك ، وأنَّه قد كاتَب بعض أصْحابِك ، فاحْتَرِس منه ، واحْمِل المالَ إلينا ، وعَجِّل إنفاذَه» .

١٠ وكان نَحْرير[a] لمَّا قَدِمَ إلى مصر أنْزَلَه أحمد بن طَولون معه في دارِه بالمَيْدان/ ومَنَعَهُ من الرُّكوب ، ولم يُمكِّنه من الخُروج من الدَّار التي أنزله بها حتَّى سارَ من مصر ، وتلطَّف في الكُتُب التي أجابَ بها المُوَفَّق . وما زال[b] بنَحرير[a] حتى أَخَذَ جَميع ما كان معه من الكُتُب التي وَرَدَت من العِراق إلى مصر ، وبَعَثَ معه إلى المُوَفق ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار ، وما جَرَى الرَّسْمُ بحَمْله من مصر ، وأخْرَجَ معه العُدُولَ ، وسارَ بنفسه صُحْبَته حتى بَلَغَ به العَريش ، وأَرْسَل إلى ١٥ أماجور[c] مُتَوَلِّي الشَّام ، فَقَدِمَ عليه بالعَريش ، وسَلَّمَه إليه هو والمال ، وأَشْهَد عليه بتَسْليم ذلك العُدُول[d]. ورَجَع إلى مصر ، ونَظَرَ في الكُتُب التي أَخَذَها من نَحْرير[a]، فإذا هي إلى جَماعَةٍ من قُوَّاده باستمالتهم إلى المُوَفَّق ، فَقَبَض على أرْبابِها ، وعاقَبَهم حتى هَلَكوا في عُقوبَته .

فلمَّا وَصَلَ جَوابُ ابن طُولون إلى المُوَفَّق ومعه المال ، كَتَبَ إليه كِتابًا ثانيًا يستقلّ فيه المال ، ويقول : «إنَّ الحِسابَ يُوجِب أضْعاف ما حَمَلت» ، وبَسَطَ لِسانَه بالقَوْل ، والْتَمَسَ فيمن معه من ٢٠ يَخْرُج إلى مصر ويتقلَّدها عِوَضًا عن ابن طُولون ، فلم يجد أحَدًا عِوَضَه لما كان من كَيْس أحمد ابن طُولون ومُلاطفته وجوه الدَّوْلَة . فلمَّا وَرَدَ كِتابُ المُوَفَّق على ابن طُولون قال : وأيُّ حِسابٍ بيني وبينه ، أو حالٍ تُوجِب مُكاتَبتي بهذا أو غيره ؟ وكَتَبَ إليه بعد البَسْمَلَة :

«وَصَلَ كِتابُ الأمير ـ أيَّدَه الله تعالى ـ وفهمته . وكان ، أسْعَدَه الله ، حَقيقًا بحُسْن التَخَيُّر لِمِثْلي ، وتَصْييره إيَّاي عُمْدَته التي يَعْتَمِد عليها ، وسَيْفَه

---

a) بولاق : تحرير . b) بولاق : ولم يزل . c) بولاق : ماخور . d) ساقطة من بولاق .

الذي يَصُول به ، وسِنانَه الذي يَتَّقي الأَعْداء بحَدِّه ، لأنّي دأبتُ[a] في ذلك ،
وجعلته وَكْدي ، واحتملت الكُلَف العِظام والمُؤَن الثِّقال باسْتِجذاب كلّ
مَوْصوفٍ بشَجاعَةٍ ، واسْتِدْعاء كلّ مَنْعوتٍ بغِنًى وكِفايَة ، بالتوسِعَة عليهم ،
وتَواصُل الصِّلات والمعاوِن لهم : صِيانَةً لهذه الدَّوْلَة ، وذَبًّا عنها ، وحَسْمًا
لأطْماع المُتَشَوِّفين لها والمُنْحَرفين عنها . ٥

ومَنْ كانت هذه سَبيلُه في الموالاة ، ومَنْهَجُه في المُناصَحَة ، فهو حَرِيٌّ أن
يُعْرَف له حقُّه ، ويوفَّر من الإعْظام قَدْرُه ، ومن كلّ حالٍ جَليلَةٍ حَظُّه
ومنزلته . فعُومِلْت بضِدّ ذلك من المُطالَبَة بحَمْل ما أُمِرَ به ، والجَفَاء في
المُخاطَبَة بغير حالٍ توجِب ذلك ، ثم أكَلَّف على الطّاعَة جُعْلًا ، وأُلْزَم في
المناصَحَة ثَمَنًا . وعَهْدي بمن استدعى ما اسْتَدْعاه الأمير من طاعَته أن ١٠
يستدعيه بالبَذْل والإعْطاء والإرْغاب والإرْضاء والإكْرام لا أن يُكَلِّف
ويحمل من الطّاعَة مَؤُنَة وثِقَلًا .

وإنّي لا أَعْرِف السَّبَبَ الذي يُوجِب الوَحْشَة ، ويوقِعُها بيني وبين الأمير
ـ أيَّدَه الله تعالى ـ ولا ثَمَّ مُعامَلَةٌ تقتضي مُعامَلَة أو تُحْدث منافَرة ، لأنَّ العَمَلَ
الذي أنا بسبيله لغيره ، والمُكاتَبَة في أُموره إلى من سِواه ، ولا أنا من قِبَله . ١٥
فإنَّه والأمير جَعْفَرًا المُفَوَّض ـ أيَّدَه الله تعالى ـ قد اقْتَسَما الأعْمَالَ ، وصارَ
لكلّ واحِدٍ منهما قِسْمٌ قد انفرد به دون صاحِبه ، وأُخِذَت عليه البَيْعَةُ فيه أنّه
من نَقَضَ عَهْدَه ، أو أَخْفَر ذِمَّتَه ولم يفِ لصاحِبه بما أكَّدَ على نفسه ، فالأُمَّةُ
بريئةٌ منه ومن بَيْعَته ، وفي حَلٍّ وسعة من خَلْعه .

والذي عامَلَني به الأميرُ من محاوَلَة صَرْفي مَرَّةً ، وإسقاط رَسْمي أخرى ، ٢٠
وما يأتيه ويسُومنيه ناقِضٌ لشَرْطِه مُفْسِدٌ لعَهْدِه . وقد التمس أوْليائي ،
وأكثروا الطَّلَبَ في إسْقاط اسمه وإزالَة رَسْمه ، فآثَرْتُ الإبْقاء وإن لم يؤثِره ،
واسْتَعْمَلْت الأناة إذ لم تستعمل معي ، ورأيتُ الاحْتِمال والكَظْم أشْبه
بذوي المعرفة والفَهْم ، فصَيَّرْتُ نفسي على أَحَرّ من الجَمْر وأَمَرّ من الصَّبْر ،

---

a) بولاق : دائب .

وعلى ما لا يَتَّسِع له الصَّدْر .

والأميرُ ، أيَّده الله تعالى ، أَوْلَى من أعانني على ما أُوثره من لُزوم عَهْده ، وأتوخّاه من تأكيد عَقْده ، بحُسْن العِشْرَة والإنْصاف ، وكَفّ الأَذَى والمَضَرَّة ، وألّا يضطرني إلى ما يَعْلَم الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ كُرْهي له : أن أجعل ما قد أَعْدَدته لحياطَة الدَّوْلَة من الجُيُوش المتكاثِفة ، والعساكِر المُتَضاعِفَة التي قد ضُرِست رجالها من الحُروب ، وجَرَت عليهم مِحَنُ الخُطوب ، مصروفًا إلى نَقْضِها ، فعندنا وفي حَيِّزنا من يَرَى أنه أَحَقّ بهذا الأَمْر وأَوْلَى من الأمير ، ولو أَمَّنوني على أنفسهم ـ فَضْلًا عن أن يعثروا مِنّي على مَيْل أو قيام بنُصْرَتهم ـ لاشتدّت شَوْكَتُهم ، ولصَعُب على السُّلْطان مُعارَكَتُهم . والأميرُ يعلم أنَّ بإزائِه منهم واحِدًا قد كَبُرَ عليه ، وفَضَّ كلَّ جَيْشٍ أنْهَضَه إليه ، على أنَّه لا ناصِرَ له إلّا لفيف البَصْرَة وأَوْباش عامّتها ، فكيف من يجد رُكْنًا مَنيعًا وناصِرًا مُطيعًا ؟

وما مثل الأمير في أصالَة رأيه يصرف مائة ألف عنان عُدَّةً له ، فيجعلها عليه بغير ما سَبَبٍ يُوجِب ذلك . فإن يكن من الأمير إعْتاب أو رُجوع إلى ما هو أَشْبَه به وأَوْلَى ، وإلّا رَجَوْت من الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ كفاية أمره ، وحَسْم مادة شَرّه ، وإجراءَنا في الحياطَة على أجْمَل عادَته عندنا . والسَّلام» .

فلمّا وَصَلَ الكِتابُ إلى المُوَفَّق أقلقه ، وبَلَغَ منه مَبْلَغًا عَظيمًا ، وأغاظَه غَيْظًا شديدًا . وأَحْضَر مُوسَىٰ بن بُغَا ـ وكان عَوْن الدَّوْلَة وأَشَدّ أَهْلها بأسًا وإقْدامًا ـ فتقدَّم إليه في صَرْف أحمد ابن طُولون عن مصر وتقليدها أماجور[a]. فامتثل ذلك ، وكَتَبَ إلى أماجور[a] كِتابَ التَّقْليد وأَنْفَذَهُ إليه . فلمّا وَصَلَ إليه الكِتابُ ، تَوَقَّف عن إرْساله إلى أحمد بن طُولون لعَجْزه عن مُناهَضَته .

وخَرَجَ مُوسَىٰ بن بُغا عن الحَضْرَة مُقَدِّرًا أنَّه يَدُوس[b] عمل المُفَوِّض ليَحْمل الأموال منه ، وكَتَبَ إلى أماجور[a] أمير الشَّام وإلى أحمد بن طُولون أمير مصر ـ لما بَلَغَه/ من تَوَقُّف أماجور[a] عن مناهضته ـ يأمرهما بحَمْل الأموال ، وعَزَمَ على قَصْد مصر والإيقاع بابن طُولُون ، واسْتِخْلاف أماجور[a] عليها ، فسارَ إلى الرَّقَّة .

---

a) النسخ وبولاق : ماجور. b) بولاق : يدور.

وبَلَغَ ذلك ابن طُولون فأَقْلَقَه وَغَمَّه ، لا لأنَّه يَقْصُر عن مُوسَىٰ بن بُغَا ، لكن لتحمُّله هَتْك الدَّوْلَة ، وأن يأتي سَبيلَ من قاوَم السُّلْطان وحارَبَه وكَسَرَ جُيُوشَه . إلَّا أنَّه لم يجد بُدًّا من المحارَبَة لِيَدْفَع عن نفسه ، وتأمَّل مَدينَة فُسْطاط مصر ، فوَجَدَها لا تُؤْخَذ إلَّا من جِهَة النِّيل . فأراد ـ لِكِبَر هِمَّته وكَثْرَة فِكْره في عَواقِب الأمُور ـ أن يَبْني حِصْنًا على الجَزيرَة التي بين الفُسْطاط والجيزَة ليكون مَعْقِلًا لحُرَمِه وذَخائِره ، ثم يَشْتَغِل بعد ذلك بحَرْب من يأتي من البَرّ . ٥

وقد زادَ فكرُه فيمن يَقْدُم من النِّيل ، فَأَمَرَ ببناء الحِصْن على الجَزيرَة ، واتَّخذ مائة مَرْكِب حربية سوَى ما يَنْضاف إليها من العُلابِيَّات[1] والحَمائِم والعُشاريات والسَّنابيك وقَوارِب الخِدْمَة . وعَمَدَ إلى سَدِّ وَجْه البحر الكبير ، وأن يَمْنَع ما يجيء إليه من مَراكِب طَرَسوس ، وغيرها من البَحْر المِلْح إلى النِّيل ، بأن تُوقَف هذه المراكِب الحربية في وَجْه البَحْر الكبير خَوْفًا مِمَّا سيجيء من مَراكِب طَرَسوس ـ كما فَعَل محمد بن سليمان من بعده بأوْلاده ، كأنَّه يَنْظُر إلى الغَيْب من سِتْرٍ رَقيقٍ ـ ١٠ وجَعَلَ فيها من يَذُبّ عن هذه الجَزيرَة ، وأَنْفَذَ إلى الصَّعيد وإلى أَسْفَل الأرض بمَنْع من يَحْمِل الغِلال إلى البِلاد ، ليَمْنَع من يأتي من البَرّ الميرَة .

وأقامَ مُوسَىٰ بن بُغَا بالرَّقَّة عشرة أشهر ، وقد اضْطَرَبَتْ عليه الأتْراكُ ، وطالَبوه بأرْزاقِهم مُطالَبَةً شَديدَةً ، بحيث استتر منهم كاتِبُه عُبَيْد الله بن سُلَيْمان لتَعَذُّر المالِ عليه وخَوْفِه على نفسه منهم . فخافَ مُوسَىٰ بن بُغَا عند ذلك ، ودَعَته ضَرورَةُ الحال إلى الرُّجُوع ، فعادَ إلى الحَضْرَة ولم يَقُم بها ١٥ سوَى شهرين ، وماتَ من عِلَّةٍ في صَفَر سنة أربع وستين ومائتين .

/هذا وأحمد بن طُولون يَجِدّ في بِناء الحِصْن على الجَزيرَة ، وقد أَلْزَم قُوَّادَه وثِقاتَه أَمْر الحِصْن ، وفَرَّقه عليهم قِطَعًا قامَ كلُّ واحدٍ بما لَزِمَه من ذلك ، وكَدَّ نفسه فيه . وكان يتعاهَدُهم بنفسه في كلِّ يومٍ ، وهو في غَفْلَة عما صَنَعَه الله تعالى له من الكِفاية والغِنَى عما يُعانيه . ومن كَثْرَة ما بَذَلَ في هذا العَمَل قَدَّر أنَّ كلَّ طُوبَة منه وَقَفَت عليه بدرهمٍ صحيح . ٢٠

ولمَّا تَواتَرَت الأخبارَ بمَوْت مُوسَىٰ بن بُغا ، كَفَّ عن العَمَل ، وتَصَدَّقَ بمالٍ كثيرٍ شكرًا لله تعالى على ما مَنَّ به عليه من صِيانته عَمَّا يَقْبُح فيه عنه الأُحْدوثَة .

وما رَأَى النَّاسُ شيئًا كان أَعْظَم من عَظيم الجِدّ في بِناء هذا الحِصْن ، ومُباكرة الصُّنَّاع له في الأَسْحار حتى فَرَغوا منه ، فإنَّهم كانوا يَخْرُجون إليه من مَنازِلهم في كلِّ بُكْرَةٍ من تِلقاء أنفسهم

[1] العُلابِيَّات . نَوْعٌ من المراكب الصغيرة التي تستخدم للنزهة لا للأغراض الحربية . (درويش النخيلي : السفن الإسلامية ١٠٢) .

من غير اسْتِحْثاث، لكثرة ما سَخَا به من بَذْل المال. فلمَّا انقطَع البِناءُ لم يُر أَحَدٌ من الصُّنَّاع التي كانت فيه مع كَثْرتها، كأنَّما هي نارٌ صُبَّ عليها ماءٌ فطُفِئَت لوَقْتها. ووَهَب للصُّنَّاع مالًا جَزيلًا، وتَرَكَ لهم جَميع ما كان سَلَفًا معهم. وبَلَغ مصروفُ هذا الحِصْن ثمانين ألف دينار ذهبًا [١].

٥ وكان ممَّا حَمَلَ أحمد بن طُولون على بِناءِ الحِصْن أنَّ المُوفَّق أرادَ أن يَشْغَل قلبه، فسُرِقَت نَعْلُه من بيت حَظِيَّةٍ لا يدخلها إلَّا ثِقاتُه، وبَعَثَها المُوَفَّق إليه، فقال له الرَّسُول: من قَدَرَ على أَخْذ هذه النَّعْل من المَوْضِع الذي تعرفه، أليس هو بقادِرٍ على أخذِ رُوحك؟ فوالله أيُّها الأمير لقد قامَ عليه أَخْذ هذه النَّعْل بخمسين ألف دينار؛ فعند ذلك أَمَرَ ببناء الحِصْن.

وقال أبو عُمَر الكِنْدي في كِتاب «أُمَرَاء مصر»: وتقدَّم أبو أحمد المُوَفَّق إلى مُوسَىٰ بن بُغَا في

١٠ صَرْف أحمد بن طُولون عن مصر وتقليدها أماجُور[a] التركي. فكَتَبَ مُوسَى بن بُغَا بذلك إلى أماجور[a] - وهو والي دِمَشْق يومئذٍ - فتوقَّف لعَجْزه عن مُقاوَمَة أحمد بن طُولون، فخَرَجَ مُوسَىٰ ابن بُغَا فنزل الرَّقَّة. وبَلَغَ ابن طُولون أنَّه سائِرٌ إليه، ولم يجد بُدًّا من مُحارَبَته، فأَخَذَ أحمد بن طُولون في الحَذَرِ منه، وابتدأ في ابْتِناء الحِصْن الذي بالجَزيرَة التي بين الجِسْرَين، ورَأَى أن يجعله مَعْقِلًا لمالِه وحُرَمِه، وذلك في سنة ثلاثٍ وستين ومائتين. واجْتَهَدَ أحمدُ بن طُولون في بِناء

١٥ المراكِب الحربية، وأطافَها بالجَزيرَة، وأَظْهَر الامْتِناع من مُوسَىٰ بن بُغَا بكلِّ ما قَدَر عليه.

وأقامَ مُوسَىٰ بن بُغَا بالرَّقَّة عشرة أشهر، وأحمد بن طُولون في إحْكام أُمُورِه، واضْطَرَبَت أصْحابُ مُوسَىٰ بن بُغَا عليه، وضاقَ بهم منزلُهم، وطالَبوا مُوسَىٰ بالمسير أو الرُّجوع إلى العراق. فبَيْنا هو كذلك تُوفِّي مُوسَىٰ بن بُغَا في سنة أربعٍ وستين ومائتين.

وقال مُحمدُ بن دَاود لأحْمَد بن طُولون وفيه تَحامُل:

٢٠ [البسيط]

لمَّا ثَوَى ابْنُ بُغَا بالرَّقَّتَيْـن مَلَا	سَاقَيْه زَرْقًا إلى الكَعْبَيْنِ والعَقِبِ
بَنَى الجَزيرَة حِصْنًا يَسْتَجِنّ به	بالعَسْف والضَّرْب والصُّنَّاعُ في تَعَبِ
وراقَبَ الجِيزَة القُصْوَىٰ فخَنْدَقَها	وكادَ يُصْعَقُ من خَوْفٍ ومن رُعْبِ

---

a) بولاق: ماخور.

---

[١] البلوي: سيرة أحمد بن طولون ٧٧-٨٨؛ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب ٨٦-٩١ (عن ابن الدَّاية).

لَهُ مراكِبُ فَوْقَ النِّيل راكِدَةٌ … فَمَا سِوَى القَارِ للنُّظَّار والخَشَبِ
تَرَى عليها لِباسُ الذُّلِّ مُذْ بُنِيَت … بالشَّطِّ مَمْنُوعَة من عِزَّة الطَّلَبِ
/فَمَا بَنَاهَا لغَزْوِ الرُّوم مُحْتَسِبًا … لكِن بَنَاهَا غَدَاةَ الرَّوْعِ للهَرَبِ[a][1]

وقال سَعيدُ بن القَاص[b] من أبياتٍ :

٥ [الطويل]

وإن جِئتَ رَأْسَ الجِسْر فانْظُر تأمُّلًا … إلى الحِصْن أو فاعْبُر إليه على الجِسْر
تَرَى أثَرًا لم يَبْقَ من يَسْتَطيعه … من النَّاس في بَدْو البِلاد ولا حَضَر
مآثِرُ لا تَبْلَى وإن بادَ أهْلُهَا … ومَجْدٌ يُؤَدَّى وارثيه إلى الفَخْر

وما زالَ حِصْنُ الجَزيرَة هذا عامِرًا أيَّام بني طُولون ، وعُمِلَت فيه صِناعَةُ مصر التي تُنْشأ فيها المراكِبُ الحربية . فاستمرَّ صِناعَةً إلى أن تَقَلَّد الأمير محمد بن طُغْج الإخْشيد إمارَة مصر من قِبَل أمير المؤمنين الرَّاضِي بالله ، وسَيَّر مَراكِبَ من الشَّام عليها صاعِدُ بن الكَلْكَم ، فدَخَلَ تِنِّيس ، وصارَت مقدِّمَته في البَرّ ، ودَخَل صاعِدٌ دِمْياط ، وسارَ فهَزَم جَيْشَ مصر الذي جَهَّزَه أحمد بن كَيْغَلَغ إليه بتدبير محمد بن عَليّ المَاذَرائي على بحيرة نوسا ، وأَقْبَل في مَراكِبِه إلى الفُسْطاط فكان بالجَزيرَة . ١٠

وقَدِمَ محمد بن طُغْج ، وتسلَّم البلد لستٍّ بقِين من رَمَضان سنة ثلاثٍ وعشرين وثلاث مائة ، وفَرَّ منه جَماعَةٌ إلى الفَيُّوم . فخَرَج إليهم صاعِدُ بن الكَلْكَم في مَراكِبِه ، ووَاقَعَهم بالفَيُّوم فقُتِلَ في عِدَّةٍ من أصْحابِه ، وقَدِمَتِ الجَماعَةُ في مَراكِب ابن كَلْكَم ، فأرْسلوا بجَزيرَة الصِّناعَة وحَرَقُوها ، ثم مَضَوا إلى الإسْكَنْدَرية وسارُوا إلى بَرْقَة . فقال محمد بن طُغْج : الصِّناعَةُ هنا خطأ ، وأَمَرَ بعَمَل صِناعَةٍ في بَرّ مصر . ١٥

وحكى ابنُ زُولاق في «سِيرَة محمد بن طُغْج» أنَّه قال : أذكر أنِّي كنت آكُل مع أبي مَنْصور تَكِين أمير مصر ، وجَرَى ذِكْرُ الصِّناعَة فقال تَكِين : صِناعَةٌ يكون بيننا وبينها بَحْرٌ خَطأ . فأشارَتِ الجَماعَةُ بنَقْلِها ، فقال : إلى أي مَوْضِعٍ ؟ فأَرَدْت أن أُشيرَ عليه بدار خَديجَة بنت الفَتْح بن خاقان ، ثم سَكَتُّ ، وقُلْت : أَدَع هذا الرأي لنَفْسي إذا مَلَكْت مصر ، فبَلَغْتُ ذلك والحَمْد لله وَحْدَه . ٢٠

---

a) بولاق : والعطب . b) بولاق : القاضي .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ٢٤٤- ٢٤٥.

ولمَّا أَخَذَ محمد بن طُغْج دارَ خَديجَة كان يتردَّد إليها حتى عُمِلَت. فلمَّا ابتدأوا بإنْشَاء المراكِب فيها، صاحَت به امْرَأَةٌ، فقال: خُذُوها. فساروُا بها إلى دارِه، فأحضرها مَساءً، واستخبرها عن أمْرِها. فقالت: ابْعَث معي من يحمل المال. فأَرْسَل معها جَماعَةً إلى دار خَديجَة هذه، فدلَّتهم على مكانٍ استخرجوا منه عَيْنًا ووَرِقًا وحُلِيًّا وثِيابًا وعِدَّةَ ذَخائِر لم ير مثلها، وصاروا بها إلى محمد بن طُغْج. فطَلَب المرأةَ ليُكافِئها على ما كان منها، فلم تُوجَد. فكان هذا أوَّل مالٍ وَصَلَ إلى محمد بن طُغْج بمصر.

قال: واسْتَدْعَى محمد بن طُغْج الإخْشيد صالِح بن نافِع وقال له: كان في نفسي إذا مَلَكْت مصر أن أجْعَلَ صِناعَةَ العِمارَة في دار ابنة الفَتْح، وأجْعَلَ مَوْضِعَ الصِّناعَة من الجَزيرَة بُسْتانًا أُسَمِّيه «المخْتار». فارْكَب وخُطَّ لي بُسْتانًا ودارًا، وقَدِّر لي النَّفَقَة عليها. فرَكِبَ صالِحٌ بجَماعَةٍ، وخَطُّوا بُسْتانًا في دارٍ للغِلْمان ودارٍ للنَّوْبَة وخَزائِنَ للكُسْوة وخَزائِنَ للطَّعام، وصَوَّروه وأَتَوا به، فاسْتَحْسَنَه وقال: كم قَدَّرْتم النَّفَقَة؟ قالوا: ثلاثين ألف دينار. فاستكثرها، فلم يزالوا يَضَعون من التقدير حتى صارَ خمسة آلاف دينار. فأذِنَ في عمله. ولمَّا شَرَعُوا فيه ألْزمهم المالَ من عندهم، فقَسَّط على جَماعَةٍ، وفَرَغَ من بِنائِه. فاتَّخذه الإخْشيدُ مُتَنَزَّهًا له، وصارَ يُفاخِرُ به أهْل العِراق[1].

وكان نَقْلُ الصِّناعَة من الجَزيرَة إلى سَاحِل النِّيل بمصر في شَعْبان سنة خمسٍ وعشرين وثلاث مائة. فلم يَزَلِ البُسْتانُ المُخْتار مُتَنَزَّهًا إلى أن زالَتِ الدَّوْلَةُ الإخْشيدية والكافُورية، وقَدِمَتِ الدَّوْلَةُ الفاطِمِيَّة من بِلاد المغرب إلى مصر. فكان يَتَنَزَّه فيه المُعِزُّ لدين الله مَعَدٌّ وابنُه العَزيزُ بالله نِزار، وصارَتِ الجَزيرَةُ مَدينَةً عامِرَةً بالنَّاس لها والٍ وقاضٍ، وكان يُقالُ «القاهِرَة ومِصْر والجَزيرَة».

فلمَّا كانت أيَّامُ اسْتيلاء الأَفْضَل شاهِنْشاه بن أمير الجُيُوش بَدْر الجَمالي، وحَجْره على الخُلَفاء، أنْشَأ في بَحْريّ الجَزيرَة مكانًا نَزِهًا سَمَّاه «الرَّوْضَة»، وتَرَدَّدَ إليها تَرَدُّدًا كثيرًا، فكان يسير في العُشاريات المَوْكَبيات من دار المُلْك - التي كانت سَكَنَه بمصر - إلى الرَّوْضَة، ومن حينئذٍ صارَت الجَزيرَةُ كلُّها تُعْرَف بـ«الرَّوْضَة». فلمَّا قُتِلَ الأَفْضَلُ بن أمير الجُيُوش، واستبدَّ الخَليفَةُ الآمِرُ بأحْكام الله أبو عليّ مَنْصور بن المُسْتَعْلي بالله، أنشأ بجوار البُسْتان المُخْتار من جَزيرَة الرَّوْضَة، مَكانًا لمحبوبته العالية البَدَوِيَّة سَمَّاه «الهَوْدَج».

[1] ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب ١٦٠-١٦١ (عن ابن زولاق)، وانظر كذلك وصف الإدريسي لجزيرة الروضة في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ٣: ٣٢٥.

الهَـوْدَجُ ـ قال ابنُ سَعيد في كِتاب «المُحَلَّى بالأَشْعَار» عن تاريخ القُرْطِي[a]: قد أكثر النَّاسُ في حَديث البَدَوِيَّة وابن مَيَّاح من بني عَمِّها، وما يتعلَّق بذلك من ذِكْر الخَلِيفَة الآمِر بأحْكام الله، حتى صارَت رواياتُهم في هذا الشأن كأَحاديث البَطَّال وألْف لَيْلَة ولَيْلَة وما أَشْبَه ذلك[1].

٥ والاخْتِصَارُ منه أن يُقال: إنَّ الخَلِيفَة الآمِر كان قد ابْتُلي بعِشْق الجَواري العَرَبِيَّات، وصارَت له عيونٌ في البَوادِي. فبَلَغَه أن بالصَّعيد جاريةً من أكْمَل العَرَب وأَظْرَف نسائهم شاعرةً جميلةً.

فيُقال إنَّه تَزَيَّا بزِيِّ بُداة الأَعْراب، وصارَ يجول في الأَحْياء إلى أن انْتَهى إلى حَيِّها، وباتَ هناك/ في ضائِقةٍ، وتَحَيَّل حتى عايَنَها فما مَلَكَ صَبْرَه، ورَجَع إلى مَقَرِّ مُلْكه وسَرير خلافته، فأرسلْ إلى أَهْلِها يَخْطِبُها، فأجابوه إلى ذلك وزَوَّجوها منه. ١٨٢:

١٠ فلمَّا صارَت إلى القُصُور، صَعُبَ عليها مُفَارَقَة ما اعْتادَت، وأَحَبَّت أن تُسْرِح طَرْفَها في الفَضَاء، ولا تَقْبِض نَفْسَها تحت حِيطان المَدِينَة. فبَنَى لها البِناءَ المشهور في جَزيرَة الفُسْطاط المعروف بـ«الهَوْدَج»، وكان على شاطئ النِّيل في شَكْلٍ غَريب.

وكان بالإسْكَنْدَرية القاضي مكين الدَّوْلَة أبو طالِب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحَسَن ابن حَديد، قد اسْتَوْلى على أُمُورها، وصارَ قاضِيَها وناظِرَها، ولم يَبْقَ لأَحَدٍ معه فيها كلام، ١٥ وضَمِنَ أمْوالَها بجملةٍ يحملها.

وكان ذا مُرُوءَة عَظيمَةٍ يَحْتَذِي أفْعال البَرامِكَة، وللشُّعراء فيه مَدائح كثيرة، وممَّن مَدَحه ظافِرُ الحَدَّاد، وأُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْت، وجماعَةٌ. وكان الأَفْضَلُ بن أمير الجُيُوش إذا أرادَ الاعْتِناء بأَحَدٍ كَتَبَ معه كِتابًا إلى ابن حَديدٍ هذا، فيُغْنيه بكثرة عَطائِه.

وكان له بُسْتانٌ يتفرَّج فيه، به جُرْنٌ كبيرٌ من رُخام قِطْعَة واحدة ينْحَدر فيه الماءُ فيبقى ٢٠ كالبِرْكَة من سعته، وكان يَجِد في نفسه برؤية هذا الجُرْن زيادةً على أهل النِّعَم، ويُباهِي به أهل عَصْره. فوُشِيَ به للبَدَوِيَّة محبوبة الخَلِيفَة، فطَلَبَته من الخَلِيفَة، فأنفذ في الحال بإحضاره.

---

a) بولاق: القرطبي.

---

[1] انظر فيما تقدم ٢:٥٧٧- ٥٨٠.

فلم يَسَع ابن حَديد إلَّا أن قَلَعَه من مكانه ، وبَعَثَ به وفي نفسه حَزازَة من أَخْذه منه ، وخَدَم البدوية ، وخَدَم جميع من يَلُوذ بها ، حتى قالت : هذا الرَّجَلُ أخْجَلَنا بكَثْرَة هَداياه وتُحَفه ، ولم يُكَلِّفنا قَطّ أمرًا نقدر عليه عند الخليفة مولانا .

فلمَّا بَلَغَه ذلك عنها قال : ما لي حاجَة ، بعد الدُّعاء لله تعالى بحِفْظ مكانها وطُول حياتها ، ٥ غير رد الجُرْن الذي أُخِذَ من داري التي بَنَيْتها في أيامهم من نِعَمِهم إلى مكانه .

فلما سَمِعَت هذا عنه تَعَجَّبت منه ، وأمرت برَدّ الجُرْن إليه . فقيل له : قد وَصَلْت إلى حَدّ أن خَيَّرَتْك البدوية في جميع المطالب ، فنزَلَت هِمَّتك إلى قطعة حَجَر!

فقال : أنا أَعْرَفُ بنَفْسِي ، ما كان لها أمَلٌ سوى ألَّا تُغْلَب في أَخْذ ذلك الجُرْن من مَكانِه ، وقد بَلَّغَها الله أمَلَها .

١٠ وبقيت البَدَوِيَّةُ متعلِّقةَ الخاطِر بابن عَمٍّ لها رُبِّيَت معه يُعْرَف بابن مَيَّاح ، فكَتَبَت إليه وهي بقَصْر الخَلِيفَة الآمِر :

[الرمل]

يا ابن مَيَّاحٍ إليك المُشْتَكَى ... مالِكٌ من بعدكم قد مَلَكا
كنتُ في حيي مِرًا مُطْلَقًا ... نائِلًا ما شِئْت منكم مُدْرِكا
١٥ فأنا الآن بقَصْرٍ مُوْصَدٍ ... لا أرى إلَّا خبيثًا مُمْسَكا
كم تثنَّينا بأغصان اللِّوا ... حيث لا نخشى علينا دَرَكا
وتلاعَبْنا برَمْلات الحِمَى ... حَيْثُما شاءَ طَلِيق سَلَكا

فأجابَها :

[الرمل]

٢٠ بِنْتَ عَمِّي والتي غَذَّيْتُها ... بالهَوَى حتى عَلا واحْتَنَكا
بُحْتِ بالشَّكْوى وعندي ضِعْفُها ... لو غَدَا يَنْفَعُ منها المُشْتَكَى
مالِكُ الأَمْر إليه يشتكى ... هالك وهو الذي قد هلكا
كأن داود غدا في عصرنا ... مبديًا بالتيه ما قد ملكا

فبَلَغَت الآمِرَ ، فقال : لولا أنَّه أساءَ الأَدَب في البَيْت الرَّابع لَرَدَدْتها إلى حَيِّه وزَوَّجتها به .

٢٥ قال القَرْطبي [a]: وللنَّاسِ في طَلَب ابن مَيَّاح واخْتِفائه أخبارٌ تَطُول .

---

a) بولاق : القرطبي .

وكان من عَرَب طَيِّئ في عَصْر الخَليفَة الآمِر طَرَّادُ بن مُهَلْهِل ، فلمَّا بَلَغَه قَضِيَّةُ الآمِر مع العالية البَدَوِيَّة قال :

[المتقارب]

أَلَا أَبْلِغوا الآمِرِ المُصْطَفَى ... مَقالَ طَرَّادٍ ونِعْم المَقالْ

قطعتَ الأَليفين عن أُلْفَةٍ ... بها سَمَرُ الحَيّ بين الرِّجالْ

كذا كان آباؤُك الأكْرَمُون(a) ... سأَلْتُ فقُلْ لي جَوابَ السُّؤالْ

فلمَّا بَلَغَ الآمِر شِعْرُه ، قال : جَوابُ السُّؤال قَطْعُ لِسانِه على فُضُولِه . وأَمَرَ بطَلَبِه في أحْياء العَرَب ، ففَرَّ ولم يَقْدِر عليه ، فقالت العَرَبُ : ما أَخْسَر صَفْقَة طَرَّاد ، باعَ أبياتَ الحَيّ بثلاثة أبيات[1] !

ولم يَزَلِ الآمِرُ يَتَرَدَّد إلى الهَوْدَج بالرَّوْضَة للنُّزْهَة فيه ، إلى أن رَكِبَ من القَصْر بالقاهِرَة يُريدُ الهَوْدَج ، في يوم الثلاثاء رابع ذي القعدة سنة أربعٍ وعشرين وخمس مائة ، فلمَّا كان برَأْس الجِسْر وَثَبَ عليه قَوْمٌ من النِّزارِيَّة ، قد كَمِنُوا له في فُرْنٍ تِجاه رأس الجِسْر بالرَّوْضَة ، وضَرَبوه بالسَّكاكين حتى أَثْخَنوه ، وجَرَحوا جَماعَةً من خُدَّامِه ، فحُمِلَ إلى مَنْظَرَة اللُّؤْلُؤَة بشاطِئ الخَليج وقد مات[2] .

/ذِكْرُ قَلْعَة الرَّوْضَة ـ اعْلَم أنَّه ما بَرِحَت جَزيرةُ الرَّوْضَة مُتَنَزَّهًا مُلوكيًّا ومَسْكَنًا للنَّاس ، كما تقدَّم ذكره ، إلى أن وَلِيَ الملكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّين أيُّوب ابن الملك الكامِل محمد ابن الملك العادِل أبي بكرِ بن أيُّوب سَلْطَنَة مصر ، فأنشأ القَلْعَةَ بالرَّوْضَة ، فعُرِفَت بـ«قَلْعَة المِقْياس» وبـ«قَلْعَة الرَّوْضَة» وبـ«قَلْعَة الجَزيرَة» وبـ«القَلْعَة الصَّالِحِيَّة» .

وشَرَعَ في حَفْر أساسِها يوم الأربعاء خامس شَعْبان ، وابتدأ بُنْيانَها في آخِر السَّاعَة الثالثة من يوم الجُمُعَة سادِس عشره[3] . وفي عاشِر ذي القعدة وَقَعَ الهَدْمُ في الدُّور والقُصُور والمساجِد التي كانت

---

a) بولاق : الأقدمون .

---

[1] فيما تقدم ٢: ٥٧٧ - ٥٧٨ .

[2] حول تفاصيل مقتل الآمر ، انظر المراجع المذكورة فيما تقدم ٢: ٥٨٠ هـ[1] ، وابن دقماق : الانتصار ٤: ١١٦ .

[3] وذلك من سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م . (ابن واصل : مفرج الكروب ٥: ٢٧٨؛ المقريزي : السلوك ١: ٣٠١؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٦: ٣٢٠) .

بجَزيرَة الرَّوْضَة ، وتَحَوَّلَ النَّاسُ من مَساكِنِهم التي كانوا بها ، وهَدَمَ كنيسةً كانت لليعاقِبَة بجانِب المِقْياس وأَدْخَلَها في القَلْعَة . وأَنْفَق في عِمارَتِها أموالًا جَمَّةً ، وبَنَى فيها الدُّورَ والقُصُورَ ، وعَمِلَ لها ستين بُرْجًا ، وبَنَى بها جامِعًا ، وغَرَسَ بها جَميعَ الأشْجار ، ونَقَلَ إليها عُمُدَ الصَّوَّان من البَرابي وعُمُدَ الرُّخام ، وشَحَنَها بالأسْلِحَة وآلات الحَرْب ، وما يُحْتاجُ إليه من الغِلال والأزْواد والأقْوات ، خَشْيَةً من مُحاصَرَة الفِرِنْج ، فإنَّهم كانوا حينئذٍ على عَزْمِ قَصْدِ بلاد مصر .

وبالَغَ في إتْقانِها مُبالَغَةً عَظيمَةً ، حتى قيل إنَّه اسْتَقام كلُّ حَجَرٍ فيها بدينار ، وكلُّ طُوبَةٍ بدرهم . وكان الملكُ الصَّالِحُ يقف بنفسه ويُرَتِّب ما يُعْمَل ، فصارَت تُدْهِش من كَثْرَة زَخْرَفَتِها ، وتَحَيَّر النَّاظِرُ إليها من حُسْن سُقُوفِها المُقَرْنَصَة[a] وبَديع رُخامِها .

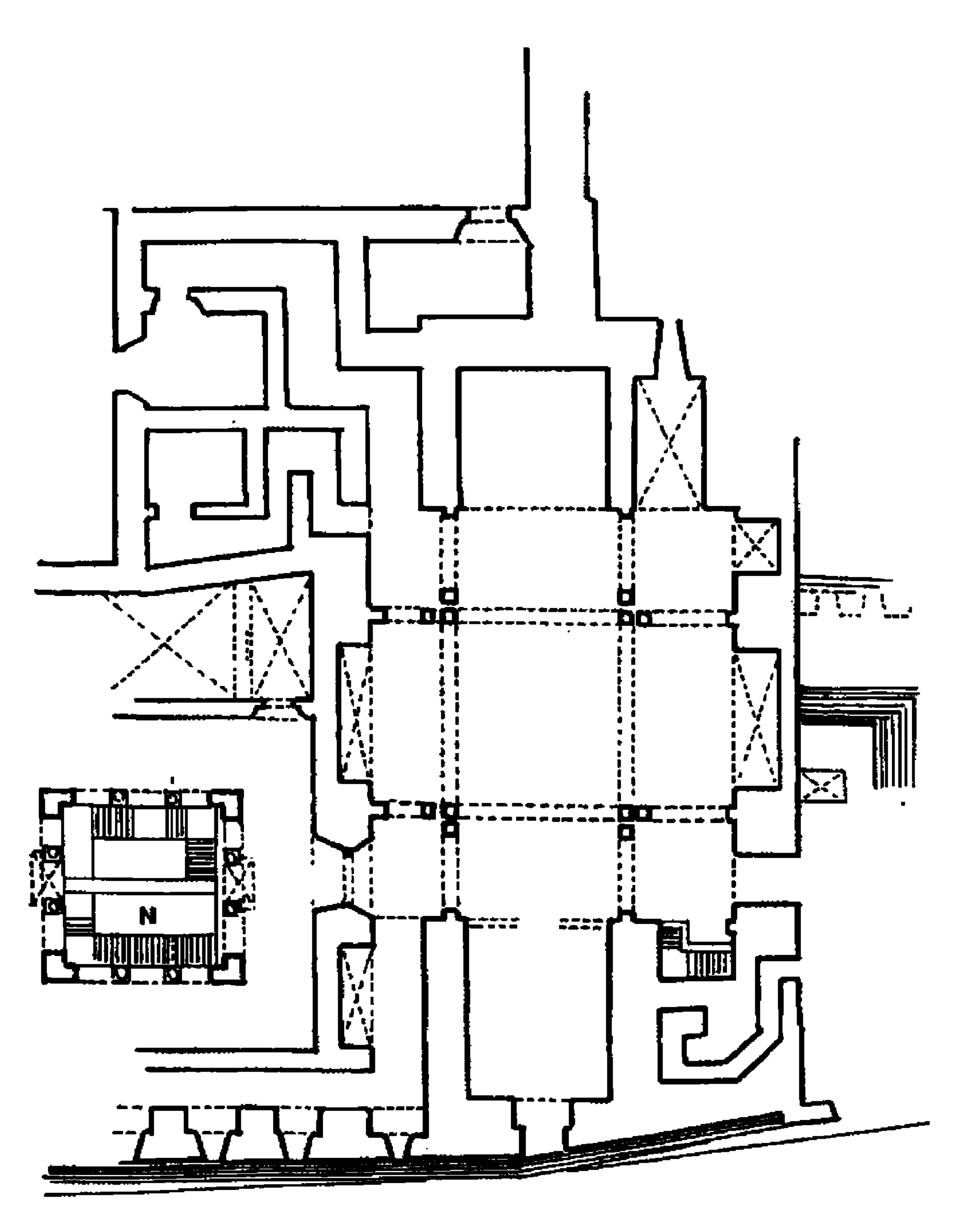
ويُقال إنَّه قَطَعَ من المَوْضِع الذي أنشأ فيه هذه القَلْعَة أَلْف نَخْلَة مثمرة ، كان رُطَبُها يُهْدَى إلى مُلُوك مصر لحَسَن مَنْظَرَة وطيب طَعْمِه ، وخَرَّبَ الهَوْدَجَ والبُسْتان المُخْتار ، وهَدَمَ ثلاثة وثلاثين مَسْجِدًا عَمَّرَها خُلَفاءُ مصر وسُراةُ المصريين لذِكْر الله تعالى وإقامَة الصَّلوات [1] .

واتَّفَق له في هَدْم بعض هذه المساجِد خَبَرٌ غَريبٌ ، قال الحافِظ جمالُ الدِّين يُوسُف بن أحمد ابن محمود بن أحمد الأَسَدي ، الشهير باليَغْموري [2] : سمِعْتُ الأمير الكبير الجَواد جَمال الدِّين أبا الفَتْح مُوسَىٰ ابن الأمير شَرَف الدِّين يَغْمُور بن جَلْدَك بن عبد الله ، قال : ومن عَجيب ما شاهَدْتُه من الملك الصَّالِح أبي الفُتُوح نَجْم الدِّين أيُّوب ابن الملك الكامِل ـ رحمه الله تعالى ـ أنَّه أَمَرَني أن أَهْدِم مَسْجِدًا كان في جِوار دارِه بجَزيرَة مصر . فأخَّرْت ذلك ، وكَرِهْت أن يكون هَدْمُه على يديّ ، فأعادَ الأمْرَ وأنا أُكاسِر عنه . فكأنَّه[b] فَهِمَ مِنِّي ذلك ، فاستدعى بعضَ خَدَمِه من نُوَّابي وأنا غائِب ، وأَمَرَه أن يَهْدِم ذلك المسجِد ، وأن يَبْني في مَكانِه قاعَةً ، وقَدَّرَ له صِفَتَها . فهَدَمَ ذلك

a) بولاق : المزينة . b) بولاق : وكأنه .

[1] كانت هذه القَلْعَة تَشْغَل مساحةً لا تقلّ عن خمسة وستين فدَّانًا وتَقَع في الجزء الجنوبي من جزيرة الرَّوْضَة . ويَدُلُّ على موضعها الآن المنطقة التي تُحَدُّ من الشمال بشارع المُظَفَّر ، ومن الغرب بنهر النيل ، ومن الجنوب قصر حسن باشا فؤاد المناسْتِرلي ومِقْياس النيل ، ومن الشرق سَيَّالة جَزيرَة الرَّوْضَة . وقد حَلَّ قصر المناسْتِرلي في سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م مَحَلّ جامع المِقْياس الذي شَيَّدَه أميرُ الجُيُوش بَدْرٌ الجمالي في سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م (فيما يلي ٢: ٢٩٠) والقسم الجنوبي من قَلْعَة الرَّوْضَة . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٦: ٣٢٠هـ[3]) .

[2] انظر عنه فيما تقدم ١: ١٦ .



قاعة قصر الصّالح نجم الدّين أيّوب بالرّوضة (عن كريزويل)

المَسْجِد وعَمَّر تلك القاعَة مكانَه وكَمُلَت [١].

وقَدِمَت الفِرِنْجُ إلى الدِّيار المصرية، وخَرَجَ الملكُ الصَّالِحُ مع عَساكِره إليهم، ولم يَدْخُل تلك القاعَة التي بُنِيَت في المكان الذي كان مَسْجِدًا. فتوفِّيَ السُّلْطانُ في المَنْصُورَة، وجُعِلَ في مَرْكَب وأُتِيَ به إلى الجَزيرَة، فجُعِلَ في تلك القاعَة التي بنيت مكانَ المَسْجِد مُدَّةً إلى أن بُنِيَت له التُّرْبَةُ التي في جَنْب مَدارِسه بالقاهِرَة في جانِب القَصْر [٢]، عَفَا الله عنه.

وكان النِّيلُ ـ عندما عَزَمَ الملكُ الصَّالِحُ على عِمارَة قَلْعَة الرَّوْضَة ـ من الجانِب الغربي، فيما بين الرَّوْضة وبَرِّ الجيزَة، وقد انْطَرَدَ عن بَرِّ مصر، ولا يُحيط بالرَّوْضَة إلَّا في أيَّام الزِّيادَة. فلم يَزَل يُغْرِق السُّفُن في البرّ الغَرْبي، ويَحْفُر فيما بين الرَّوْضَة ومصر ما كان هُناكَ من الرِّمال، حتى عادَ ماءُ النِّيل إلى بَرّ مصر، واستمرّ هناك، فأنشأ جِسْرًا عَظيمًا ممتدًا من بَرِّ مصر إلى الرَّوْضَة، وجَعَلَ عَرْضَه ثلاث قَصَبات [٣].

وكان الأُمَراءُ إذا رَكِبُوا من مَنازِلهم يُريدون الخِدْمَة السُّلْطانية بقَلْعَة الرَّوْضَة، يترجَّلون عن خُيولهم عند البَرِّ، ويَمْشُون في طُول هذا الجِسْر إلى القَلْعَة، ولا يُمَكَّن أحَدٌ من العُبُور عليه راكِبًا سوى السُّلْطانُ فقط.

ولَمَّا كَمُلَت تَحَوَّلَ إليها بأهْله وحُرَمِه، واتَّخَذَها دارَ مُلْك، وأسْكَنَ فيها معه مَماليكَه البَحْرِيَّة، وكانت عِدَّتُهم نحو الألْف مَمْلوك.

قال العَلَّامَةُ عليّ بن مُوسىٰ بن محمد بن عبد الملك بن سعيد في كِتاب «المُغْـرِب» وقد ذَكَرَ الرَّوْضَة [٤]: هي أمام الفُسْطَاط فيما بينها وبين مَناظِر الجيزَة، وبها مِقْياسُ النِّيل، وكانت مُتَنَزَّهًا

[١] انظر وَصْفًا لهذه القاعة قبل زوالها قَدَّمَهُ لنا ج. مارسيل، أحد علماء الحملة الفرنسية عند منقلب القرن الثامن عشر في كتابه Marcel, J.J., «Mémoire sur le Meqyas de l'île de Roudah», *Déscription de l'Égypte*, État moderne XV, Paris 1826, pp. 465-67; Creswell K.A.C., *MAE* II, pp. 84-87. يقول الوَصْفُ: «إلى الشَّرق من المِقْياس نَلْحَظُ كذلك بقايا قَصْر الصَّالح نَجْم الدِّين أيُّوب. وتَشْغَل أطلالُ هذا القصر المنطقة الواقعة في شَرْق جَزيرَة الرَّوْضَة في الفضاء الواقع بين مبنى المِقْياس والذِّراع الأيمن للنهر. ولم أجد أي نَقْش تبقَّى من القصر، والشيء الوحيد الملاحَظ والمُتَبَقِّي من هذا الأثَر قاعَةٌ كبيرةٌ مستطيلة عرضها ١٢,٧٠ مترًا من الشرق إلى الغرب، وطولها ١٤,٦٠ مترًا من الشمال إلى الجنوب، وتكوِّن القُبَّة التي تعلو وسطها مستطيلًا عرضه من الشرق إلى الغرب ٥,٦٠ مترًا وطوله من الشمال إلى الجنوب نحو ٦,٨٠ مترًا، ويَدْعَم كل زاوية من زواياها الأربع ثلاثة دعائم أو أعمدة متصلة على شكل مُثَلَّث. ويُؤَدِّي إلى هذه القاعة عددٌ من الدهاليز المتباينة الأبعاد»؛ وعن تأثير هذه القاعة في العِمارَة المملوكية انظر المقدمة ....

[٢] فيما يلي ٢: ٣٧٤. [٣] فيما تقدم ٥٦٤- ٥٦٥.

[٤] الجزء الخاص بالجزيرة الصالحية، لم يصل إلينا.

لأهْل مصر. فاختارَها الصَّالِحُ بن الكامِل سَريرَ السَّلْطَنَة، وبَنَى بها قَلْعَةً مُسَوَّرَةً بسُورٍ ساطِع اللَّوْن، مُحْكَم البِناء عالي السَّمْك، لم تَر عيني أحسن منه.

وفي هذه الجَزيرَة كان «الهَوْدَجُ» الذي بَنَاه الآمِر خَليفَة مصر لزوجته البَدَوِيَّة التي هامَ في حُبِّها، و«المُخْتار» بُسْتان الإِخْشيد وقَصْره، وله ذِكْرٌ في شِعْر تَميم بن المُعِزّ وغيره. ولشُعَراء مصر في هذه الجَزيرَة أشْعَارٌ، منها قَوْل أبي الفَتْح بن قادُوس الدِّمْياطي [1]: ٥

[الوافر]

أرَى سَرْح الجَزيرَة من بعيدٍ ... كأحْداقٍ تُغازل في المَغازِل[a]

كأنَّ مَجَرَّةَ الجَوْزا أحاطَت ... وأثبتت المنازِل في المنازِل

وكُنْتُ أبيتُ[b] في بعض اللَّيالي بالفُسْطاط على ساحِلها، فيزدهيني ضَحِكُ البَدْر في وَجْه النِّيل أمامَ سُور هذه الجَزيرَة الدُّرِّي اللَّوْن. ولم أنْفَصِل عن مصر حتى كَمُلَ سُورُ هذه القَلْعَة، وفي ١٠ داخِلِه من الدُّور السُّلْطانية ما ارْتَفَعَت إليه/ هِمَّةُ بانيها، وهو من أعْظَم السَّلاطين هِمَّةً في البِناء.

وأبْصَرْتُ في هذه الجَزيرَة إيوانًا لجُلُوسِه لم تَر عينيَّ مِثالَه، ولا يُقَدَّر[c] ما أُنْفِقَ عليه، وفيه من صَفائِح الذَّهَب والرُّخام الأَبَنوسي والكافُوري والمُجَزَّع ما يُذْهِل الأَفْكار، ويَسْتَوْقِف الأبْصار.

ويَفْضُل عمَّا أحاطَ به السُّور أرْضٌ طويلة، وفي بعضها حاظِرٌ حُظِرَ به على أصْناف الوُحوش التي يَتَفَرَّج عليها السُّلْطانُ، وبعدها مُروجٌ ينقطع فيها مِياه النِّيل فيُنْظَر منها[d] أحسن منظر. ١٥

وقد تَفَرَّجْتُ كثيرًا في طَرَف هذه الجَزيرَة ممَّا يلي بَرّ القاهِرَة، فقَطَعْتُ فيه عَشِيَّات مُذْهَبات لم تَزَلْ لأحْزان الغُرْبَة مُذْهِبات.

وإذا زادَ النِّيلُ فَصَلَ ما بينها وبين الفُسْطَاط بالكُلِّيَّة. وفي أيَّام احْتراق النِّيل يَتَّصلُ بَرُّها بِبَرّ الفُسْطاط من جهة خَليج القاهِرَة، ويبقى مَوْضِعُ الجِسْر يكون[e] فيه المَراكِب[f].

وركِبْت مرَّةً هذا النِّيل أيَّام الزِّيادة مع الصَّاحِب المُحَسِّن مُحْيي الدِّين [بن سعيد][g] بن نَدَا وَزير ٢٠ الجَزيرَة، وصَعِدْنا إلى جِهَة الصَّعيد، ثم انْحَدَرْنا واسْتَقْبَلنا هذه الجَزيرَة وأبْراجُها تتلألأ والنِّيلُ قد

---

a) بولاق: مغازل. b) بولاق: أشتق. b) بولاق: أقدر. d) بولاق: بها. c) ساقطة من بولاق. f) بولاق: مراكب.
g) إضافة من النجوم الزاهرة لابن سعيد ٣١٨.

---

[1] انظر عن ابن قادُوس، فيما تقدم ٢: ٤٤٨هـ [٢].

انْقَسَمَ عنها ، فقلت :

[الطويل]

تأمَّل لحُسْن الصَّالحِيَّة إذ بَدَت	وأبراجُها مِثْل النُّجوم تلالا
وللقَلْعَة الغَرَّاء كالبَدْر طالِعًا	تفرَّجَ صَدْرُ الماء عنه هِلالا
ووافَى إليها النِّيلُ من بَعْد غاية	كما زارَ مَشْغوفٌ يَرُومُ وِصالا
وعانَقَها من فَرْط شَوْقٍ لحُسْنِها	فمَدَّ يمينًا نحوَها وشِمالا
جَرَى قادِمًا بالسَّعْد فاخْتَطَّ حَوْلَها	من السَّعْد أعْلامًا فزادَ دَلالا

ولم تَزَل هذه القَلْعةُ عامرةً حتى زالَت دَوْلَةُ بني أيّوب ؛ فلمَّا مَلَكَ السُّلطانُ الملكُ المُعِزُّ عِزُّ الدِّين أَيْبَك التُّرْكُماني - أوَّل مُلوك التُّرك بمصر - أمَرَ بهَدْمِها [1] ، وعَمَّر منها مَدْرَسَته المعروفة بالمُعِزِّيَّة في رَحْبَة الحِنَّاء بمَدينَة مصر [2]. وطَمِعَ في القَلْعَة مَنْ له جاهٌ ، فأَخَذَ جَماعَةٌ منها عِدَّةَ سُقوفٍ وشَبابيك كثيرة وغير ذلك ، وبيعَ من أخْشابِها ورُخامِها أشياءُ جَليلَة .

فلمَّا صارَت مَمْلَكَةُ مصر إلى السُّلْطان الملك الظَّاهِر رُكْن الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري ، اهْتَمَّ بعِمارَة قَلْعَة الرَّوْضَة ، ورَسَمَ للأمير جَمال الدِّين مُوسَىٰ بن يَغْمور أن يتولَّى إعادَتَها كما كانت . فأَصْلَحَ بعضَ ما تَهَدَّم فيها ، ورَتَّب فيها الجانْدارية ، وأعادَها إلى ما كانت عليه من الحُرْمَة . وأَمَرَ بأَبْراجها ففُرِّقَت على الأُمَرَاء ، وأَعْطَى بُرْجَ الزَّاوية للأمير سَيْف الدِّين قَلاوون الأَلْفي ، والبُرْجَ الذي يليه للأمير عِزّ الدِّين الحِلِّي ، والبُرْجَ الثَّالث من بُروج الزَّاوية للأمير عِزّ الدِّين أُزْغان ، وأعْطَى بُرْجَ الزَّاوية الغربي للأمير بدْر الدِّين الشَّمْسي ، وفُرِّقَت بقيَّةُ الأبْراج على سائِر الأُمَرَاء ، ورَسَمَ أن تكون بُيوتاتُ جميع الأُمَرَاء واسْطَبْلاتُهم فيها ، وسَلَّمَ المفاتيح لهم .

فلمَّا تَسَلْطَن الملكُ المَنْصور قَلاوون الأَلْفي ، وشَرَعَ في بِناء المارِسْتان والقُبَّة والمَدْرَسَة المَنْصوريَّة ، نَقَلَ من قَلْعَة الرَّوْضَة هذه ما يَحْتاج إليه من عُمُد الصَّوَّان وعُمُد الرُّخام التي كانت قبل عِمارَة القَلْعَة في البَرابي ، وأَخَذَ منها رُخامًا كثيرًا وأعْتابًا جَليلَةً مِمَّا كان في البَرابي وغير ذلك [3]. ثم أَخَذَ منها السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون ما احْتاجَ إليه من عُمُد الصَّوَّان في بناء الإيوان المعروف بدار العَدْل من قَلْعَة الجَبَل والجامِع الجَديد النَّاصِريّ ظَاهِر مَدينَة مِصْر ، وأَخَذَ غير ذلك حتى ذَهَبَت كأن لم تكن [4].

---

[1] في سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م (المقريزي: السلوك ١: ٣٨١).
[2] فيما تقدم ٥٥١هـ [2].
[3] فيما يلي ٢: ٤٠٧.
[4] فيما يلي ٦٥٩.

وتأخَّرَ منها عَقْدٌ جَليلٌ تُسَمِّيه العامَّةُ القَوْس ، كان مِمَّا يلي جانبِها الغربي ، أدْرَكْناه باقيًا إلى نحو سنة عشرين وثمان مائة ، وبقي من أبْراجِها عِدَّةٌ قد انْقَلَب أكثرُها ، وبَنَى النَّاسُ فوقها دُورَهم المطلَّة على النِّيل.

قال ابنُ المتَوَّج : ثم اشْتَرَى الملكُ المُظَفَّرُ تقيُّ الدِّين عُمَر بن شاهِنْشاه بن أيُّوب جَزيرَة مصر ، المعروفة اليوم بالرَّوْضَة ، في شَعْبان سنة ستٍّ وستين وخمس مائة . وإنَّما سُمِّيَت بالرَّوْضَة لأنَّه لم يكُن بالدِّيار المصرية مثلها ، وبَحْرُ النِّيل حائزٌ لها ودائرٌ عليها . وكانت حَصِينةً وفيها من البَساتين والعَمائِر والثِّمار ما لم يكن في غيرها . ٥

ولمَّا فَتَحَ عَمْرو بن العَاص مصر تَحَصَّنَ الرُّومُ بها مُدَّةً . فلمَّا طالَ حِصارُها وهَرَبَ الرُّومُ منها ، خَرَّبَ عَمْرو بن العَاص بعضَ أبْراجِها وأسْوارِها ، وكانت مستديرةً عليها ، واستمرَّت إلى أن عَمَّر حِصْنَها أحمدُ بن طُولون في سنة ثلاثٍ وستين ومائتين ، ولم يَزَل هذا الحِصْنُ حتى خَرَّبَه النِّيل . ١٠

ثم اشْتَراها الملكُ المُظَفَّرُ تَقِيُّ الدِّين عُمَر المذكور ، وبقيت على مِلْكه إلى أن سَيَّرَ السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يوسُف بن أيُّوب وَلَدَه الملك العَزيز عُثْمان إلى مصر ومعه عمُّه الملك العادِل ، وكَتَب إلى الملك المُظَفَّر بأن يُسَلِّم لهما البِلاد ويَقْدَم عليه إلى الشَّام . فلمَّا وَرَدَ عليه الكِتابُ ، ووَصَلَ ابنُ عمِّه الملكُ العَزيز وعمُّه الملك العادِل ، شَقَّ عليه خُروجَه من الدِّيار المصرية ، وتَحَقَّق أنَّه لا عَوْد له إليها أبدًا . فوَقَفَ هذه المَدْرَسَة التي تُعْرَف اليوم في مصر بـ«المَدْرَسَة التَّقَوِيَّة» ـ التي كانت تُعْرَف بمَنازِل العِزّ ـ ووَقَفَ عليها/ الجَزيرَة بكامِلها[1] ، وسافَرَ إلى عَمِّه فمَلَّكه حَماة . ١٥

ولم يَزَل الحالُ كذلك إلى أن وَلِيَ الملكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّين أيُّوب ، فاستأجر الجَزيرَة من القاضي فَخْر الدِّين أبي محمد عبد العَزيز بن قاضي القُضاة عِماد الدِّين أبي القاسِم عبد الرَّحْمٰن ابن محمد بن عبد العَليّ بن عبد القادِر السُّكَّري ، مُدَرِّس المَدْرَسَة المذكورة ، لمُدَّة ستين سنة في دَفْعَتين ، كلّ دفعة قطعةً : فالقِطْعَةُ الأولى من جامِع غَبْن[a] إلى المناظِر طُولًا وعَرْضًا من البَحْر إلى البَحْر ، واستأجر القِطْعَة الثانية وهي باقي أرْض الجَزيرَة [b]الدَّائر عليها بَحْر النِّيل حين ذاك واستولى على ما كان بالجَزيرَة من النَّخْل[b]. ٢٠

---

a) بولاق : جامع عين . b-b) المثبت من آياصوفيا ، وبولاق : بما فيها من النَّخْل والجُمَّيز والغُروس.

---

[1] فيما يلي ٢: ٣٢٤.

فإنَّه لمَّا عَمَّر الملكُ الصَّالِحُ مَناظِرَ قَلْعَة الجَزِيرَة، قَطِعَت النَّخْل[a] ودَخَلَت في العَمائِر. وأمَّا الجِمِّيز فإنَّه كان بشاطِئ بَحْر النِّيل صَفّ جِمِّيز يزيد على أربعين شجرة، وكان أهْلُ مصر فُرَجُهم تحتها في زَمَن النِّيل والرَّبيع، فُطِعَت جَميعُها في الدَّوْلَة الظَّاهِريَّة، وعُمِّرَ بها شَواني عِوَض الشَّواني التي كان قد سَيَّرَها إلى جَزيرَة قُبْرُس. ثم سَلَّمَ لمُدَرِّس التَّقْوِيَّة القِطْعَة المستأجرة من الجَزيرَة أوَّلًا في سنة ثمانٍ وتسعين وستّ مائة، وبقي بيد السُّلْطان القِطْعَةُ الثانية.

وقد خَرِبَت قَلْعَةُ الرَّوْضَة، ولم يَبْقَ منها سوى أبْراج قد بَنَى النَّاسُ عليها، وبقي أيضًا عَقدُ بابٍ من جهة الغَرْب يُقال له «باب الإسْطَبْل». وعادَتِ الرَّوْضَةُ بعد هَدْم القَلْعَة منها مُتَنَزَّهًا يشتمل على دُورٍ كثيرة، وبَساتين عِدَّة، وجَوامِعَ تُقامُ بها الجَماعات والأعْياد ومَساجِد. وقد خَرِبَ أكثرُ مَساكِن الرَّوْضَة، وبقي فيها إلى اليوم بَقايا[1].

وبطرف الرَّوْضَة «المِقْياسُ» الذي يُقاسُ فيه ماءُ النِّيل اليوم، ويُقال له «المِقْياسُ الهاشِمي»، وهو آخِر مِقْياسٍ بُنِيَ بديار مصر[2]. قال أبو عُمَرَ الكِنْدي: ووَرَد كِتابُ المُتَوَكِّل على الله بابْتِناء المِقْياس الهاشِمي للنِّيل، وبعَزْل النَّصارىٰ عن قِياسِه. فجَعَلَ يَزيد بن عبد الله بن دينار، أمير مصر، أبا الرَّدَّاد المُعَلِّم، وأجْرَى عليه سُلَيْمان بن وَهْب صاحِب الخَراج في كلِّ شهرٍ سبعة دنانير، وذلك في سنة سبعٍ وأربعين ومائتين[3].

وعَلامَةُ وَفَاء النِّيل ستةَ عشرَ ذِراعًا أن يُسْبِل أبو الرَّدَّاد، قاضي البَحْر، السِّتْرَ الأسْوَد الخَليفَتي على شُبَّاك المِقْياس، فإذا شاهَدَ النَّاسُ هذا السِّتْر قد أُسْبِل تَباشَروا بالوَفاء، واجتمعوا على العادَة للفُرْجَة من كلِّ صَوْبٍ.

وما أَحْسَنُ قَوْل شِهاب الدِّين بن العَطَّار في تَهَتُّك النَّاس يوم تَخْليق المِقْياس [b]عند اجْتماعهم[b]:

[البسيط]

تَهَتَّكَ الخَلْقُ بالتَّخْليقِ قُلْتُ لهم ... ما أَحْسَنَ السِّتْر، قالوا العَفْوُ مأمُولُ
سَتْرُ الإلٰه علينا لا يَزالُ فَمَا ... أَحْلَى تَهَتُّكَنا والسِّتْر مَسْبُولُ

a) بولاق: النخيل. b-b) ساقطة من بولاق.

[1] هنا على هامش نُسْخة (ص): «والآن فقد استَخْدَمها مَوْلانا المقام الشَّريف الملك الأشْرَف قايتباي جامِعًا وقُصُورًا ومَناظِرًا وجِنانًا إلى غير ذلك ممَّا يُبْهج النَّاظِر ويَسُرُّ الخاطِر ويَعْجز الواصِفُ عن وَصْفه لما اشتمل عليه من كلِّ شيءٍ أحسنه وأبهجه ولله عاقبة الأمور».

[2] انظر فيما تقدم ١: ١٥٠- ١٥٢.

[3] الكندي: ولاة مصر ٢٢٩.



قاعُ البئر وعمود المِقياس المُثمّن المُدَرّج (عن كتاب Le Caire)

جَزيرَةُ الصّابوني

هذه الجَزِيرَةُ تِجاه رِباط الآثار، والرِّباطُ من جملتها [1]. وَقَفَها أبو الملوك نَجْمُ الدِّين أَيُّوب ابن شاذي وقِطْعَةً من بِرْكَة الحَبَش، فجَعَلَ نصف ذلك على الشَّيْخ [a] الصَّابوني وأوْلاده، والنِّصْف الآخَر على صُوفِيَّة بمكانٍ بجوار قُبَّة الإمام الشَّافِعِي ـ رضي الله تعالى عنه ـ يُعْرَف اليوم بالصَّابوني.

ذِكْر [b] جَزيرَة الفِيل

هذه الجَزِيرَةُ هي الآن بَلَدٌ كبيرٌ خارِج باب البَحْر من القاهِرَة، وتتَّصل بمُنْيَة السِّيرج من بَحْرِيها، ويمرُّ النِّيلُ من غَرْبيها، وبها جامِعٌ تُقام به الجُمُعَة وسُوقٌ كبير وعِدَّةُ بَساتِينِ جَليلَة. ومَوْضِعُها كلُّه ممَّا كان غامِرًا بالماء في الدَّوْلَة الفاطِمية، فلمَّا كان بعد ذلك انْكَسَرَ مَرْكِبٌ كبيرٌ كان يُعْرَف بالفيل، وتُرِكَ في مَكانِه، فرَبا عليه الرَّمْلُ، وانْطَرَدَ عنه الماءُ. فصارَت جَزيرَةً فيما بين المُنْيَة وأرْضِ الطَّبَّالَة سمَّاها النَّاسُ «جَزيرَة الفِيل» [2]. وصارَ الماءُ يمرُّ من جَوانِبِها: فغربيها تِجاه برِّ مصر الغربي، وشرقيها تِجاه البَعْل، والماءُ فيما بينها وبين البَعْل ـ الذي هو الآن قُبالَة قَناطِر الإوزّ ـ فإنَّ الماءَ كان يَمُرُّ بالمَقْس من تحت زَرْبِيَّة [c] جامِع المَقْس الموجود الآن على الخَلِيج النَّاصِريّ، ومن جامِع المَقْس على أرْض الطَّبَّالة إلى غربي البَعْل [d] حتى ينتهي من تِجاه التَّاج إلى المُنْيَة.

---

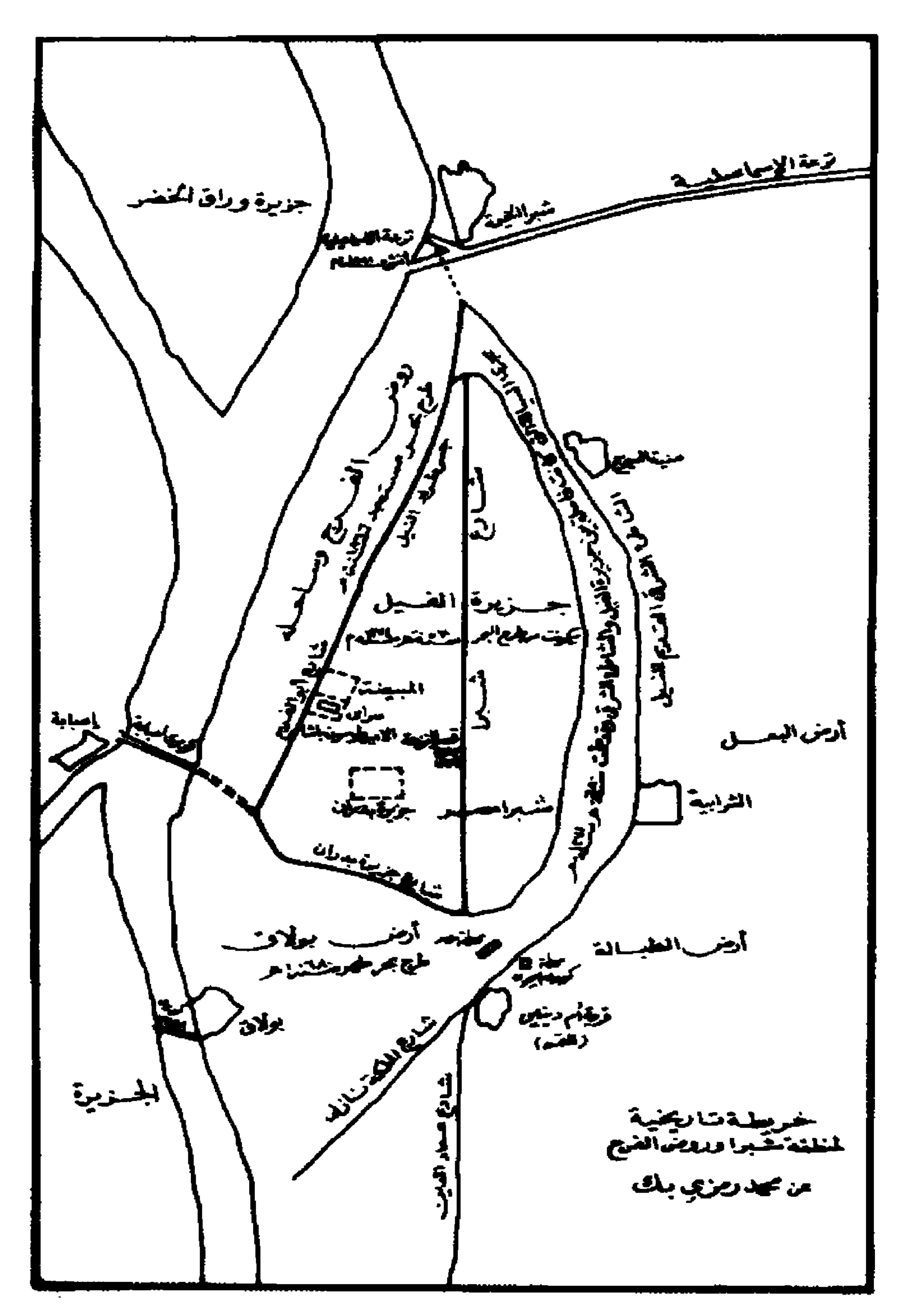
a) بياض بنسخة آياصوفيا. b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: زربية. d) بولاق: المصلى.

---

[1] جَزيرَة الصَّابوني. كانت تقع إلى جوار جزيرة الذَّهَب ويفصلهما شيَّالَة إلى الجنوب من جزيرة الروضة بين ساحل النيل الشرقي حيث منطقة أثر النَّبي التي بها رِباط الآثار، وبين شاطئ النيل الغربي تجاه الجيزة. واندمجت الجزيرتان فيما بعد وتُعْرَف الآن باسم جَزيرَة الذَّهَب وهي تابعة لمحافظة الجيزة (محمد الششتاوي: متنزهات القاهرة ٤٩-٥٠).

[2] جَزيرَة الفيل هي التي تُعْرَف الآن باسم شُبْرا، أحد أقسام مدينة القاهرة الشمالية، وكان جزءُها الجنوبي يعرف إلى وقتٍ قريب باسم جَزيرَة بَدْران، وكانت تَشْغَل المنطقة التي يتوسَّطها الآن شارع شُبْرا من الجنوب إلى الشمال؛ ويحدُّها من الغرب شاطئ النِّيل، ومن الجنوب والشرق شارع الجلاء وشارع مهمشة، ومن الشمال شبرا الخيمة.

وكانت أراضي قِسم شُبْرا في زَمَن الحملة الفرنسية أرْضًا زراعيةً وبها كثيرٌ من البَساتين ومجموعة قليلة من=



خَريطَة تُوَضح جزيرة الفيل (عن محمد رمزي)

وصارَت هذه الجَزيرَةُ في وَسَط النِّيل، وما بَرِحَت تتَّسع إلى أن زُرِعَت في أيَّام الملك النَّاصِر صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب. فوَقَفَها على المَدْرَسَة التي أنشأها في القَرافَة[a] بجوار قَبْر الشَّافِعِي - رضي الله عنه - وكَثُرَت أطْيانُها بانْحِسار النِّيل عنها في كلِّ سنة.

فلمَّا كان في أيَّام الملك المَنْصُور قَلاوون الألْفي، تَقَرَّب مَجْدُ الدِّين أبو الرُّوح عيسَىٰ بن عُمَر ٥ ابن خالِد بن عبد المُحْسِن بن الخَشَّاب، المتحدِّث في الأحْباس، إلى الأمير عَلَم الدِّين سِنْجِر الشُّجاعي بأنَّ في أطْيان هذه الجَزيرَة زِيادةً على ما وَقَفَه السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين. فأَمَرَ بقِياس ما تَجَدَّد بها من الرِّمال، وجَعَلَها لجِهَة الوَقْف الصَّلاحِي، وأَقْطَع الأطْيان القَديمَة التي كانت في الوَقْف، وجَعَلَها هي التي زادَت.

فلمَّا أَمَرَ الملكُ المَنْصورُ قَلاوون بعَمَلِ المارِسْتان المَنْصوري، وَقَفَ بَقِيَّةَ الجَزيرَة عليه. فغَرَسَ ١٠ النَّاسُ بها الغُروس، وصارَت بَساتِين، وسَكَنَ النَّاسُ من المزارِعين هناك.

فلمَّا كانت أيامُ الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون، بعد عَوْدِه إلى قَلْعَة الجَبَل من الكَرَك، ٦:٢ وانْحَسَرَ النِّيلُ عن جانب المَقْس الغربِي، / وصارَ ما هُنالِك رِمالًا مُتَّصلةً من بَحْريها بجَزيرَة الفِيل المذكورة، ومن قِبْليها بأَراضي اللُّوق، افْتَتَحَ النَّاسُ باب العِمارَة بالقاهِرَة ومصر، فعمَّروا في تلك الرِّمال المواضِعَ التي تُعْرَف اليوم ببُولاق خارِجَ المَقْس، وأنشأوا بجَزيرَة الفِيل البَساتين ١٥ والقُصُور.

---

a) بولاق: بالقرافة.

= المساكن في المنطقة المعروفة بجزيرة بَدْران. ولم يستجدّ فيها البناءُ إلَّا في منتصف القرن التاسع عشر، حيث أنشأ بها الوالي سعيد باشا سنة ١٨٥٨ قَصْر النُّزهَة (المَدْرَسة التوفيقية فيما بعد)، ثم تبعه الأعْيانُ وكِبارُ التجار فأنشأوا بها القُصُور والبَساتين على جانبي شارع شُبْرا، ثم امتدَّت المباني إلى شاطئ النيل وتُرْعَة الإسماعيلية. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٣٠٩-٣١٠هـ[٣]). وكان محمد علي باشا قد أنشأ إلى الشمال من ذلك في حي شبرا الخيمة قصرًا سنة ١٨٠٨، وفتح شارع شُبْرا ليكون طريقًا يُوَصِّل من القاهرة إلى القصر. وبسبب الأعمال الهندسية التي عملت في مجرى النيل بين سنتي ١٨٦٣ و١٨٦٥ لتحويل مجراه، ظهرت أرض طَرْح بَحْر جديدة سنة ١٨٦٦ هي التي تُعْرَف اليوم بروض الفَرَج.

ويعد أخي الباحث المُجِدّ محمد أبو العمائم إبراهيم رسالة دكتوراه بكلية الآثار جامعة القاهرة موضوعها: «حي شبرا منذ بداية القرن التاسع عشر إلى أوائل القرن العشرين - دراسة أثرية عمرانية».

واستَجَدَّ [a] ابنُ المَغْرَبي الطَّبيب بُسْتانًا اشْتَرَاهُ منه القاضي كريمُ الدِّين ناظِر الخاصّ للأمير سَيْف الدِّين طَشْتَمُر السَّاقي، بنحو المائة ألف درهم فِضَّة: عنها زهاء خمسة آلاف مِثْقال ذَهَبًا.

وتتابَعَ النَّاسُ في إنْشَاء البَساتين حتى لم يَبْقَ بها مَكانٌ بغير عِمارَة. وحُكِرَ ما كان منها وَقْفًا على المَدْرَسَة المجاورة للشَّافِعِيّ - رضي الله عنه - وما كان فيها من وَقْف المارِسْتان، وغُرِسَ ذلك كلُّه بَساتين، فصارَت تُنيفُ على مائة وخمسين بُسْتانًا، إلى سنة وَفاة الملك النَّاصِر محمد ابن قَلاوون، ونُصِبَ فيها سُوقٌ كبيرٌ يُباعُ فيه أكثر ما يُطْلَب من المآكِل، وابْتَنَى النَّاسُ بها عِدَّةَ دُورٍ وجامِعًا، فبقيت قَرْيَةً كبيرةً.

وما زالَت في زيادة ونُمُوّ، فأنشأ قاضي القُضَاة جَلالُ الدِّين القَزْويني[1] - رحمه الله - الدَّار المجاورة لبُسْتان الأمير رُكْن الدِّين بَيْبَرْس الحاجِب على النِّيل، فجاءَت في غايَةٍ من الحُسْن. فلمَّا عُزِلَ عن قَضَاء القُضَاة وسارَ إلى دِمَشْق، اشْتَراها الأميرُ بَشْتاك بثلاثين ألف درهم، وخَرَّبَها وأَخَذَ منها رُخامًا وشَبابيكَ وأبْوابًا، ثم باعَ باقي نَقْضها بمائة ألف درهم، فربحَ الباعَةُ في ذلك شيئًا كثيرًا.

ونُودِيَ على زَرْبِيَّتِها[b] فحُكِرَت، وعَمَّرَ عليها النَّاسُ عِدَّةَ أمْلاكٍ، واتَّصلَتِ العِمارَةُ بالأمْلاك من هذه الزَّرْبِيَّة[c] إلى مُنْيَة السُّيرج. ثم خَرِبَت شيئًا بعد شيء، وبَقِيَ ما على هذه الزَّرْبِيَّة[b] من الأمْلاك، وهي تُعْرَف اليوم بدار الطُّنْبُدي التَّاجِر[2].

وأمَّا بَساتينُ الجَزِيرَة فلم تَزَل عَجَبًا من عَجائِب الدُّنْيا، من حُسْن المَنْظَر وكَثْرَة المُتَحَصَّل، إلى أن حَدَثَت المِحَنُ من سنة ستٍّ وثمان مائة، فتلاشَت وخَرِبَ كثيرٌ منها لغُلُوّ العُلوفات من الفُول والتِّبْن، وشِدَّة ظُلْم الدَّوْلَة، وتَعَطُّل مُعْظَم سُوقِها، وفيها إلى الآن بقيَّةٌ صالِحَةٌ[3].

a) بياض بنسخة آياصوفيا. b) بولاق: زربيتها. c) بولاق: الزربية.

[1] قاضي القُضَاة جَلالُ الدِّين محمد بن عبد الرحمن بن عُمَر القَزْويني - كان يُنْسَب إلى أبي دُلَف العِجْلي - المتوفى سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م.

[2] هنا على هامش (ص): «وبالقُرْب منها جامِعًا أنشأه الخَواجا شَمْسُ الدِّين ابن الزمن وقَصْرًا لسُكْناه بجوار قَصْر القاضي شَرَف الدِّين مُوسَى الأنْصاري وذلك في غاية الحُسْن والنَّضارَة».

[3] المقريزي: مسودة الخطط ١٧٨و-ظ نصٌّ في غاية الاختصار.

جَزِيرَةُ أَرْوَى

هذه الجَزِيرَةُ تُعْرَف بالجَزِيرَة الوُسْطَى ، لأنَّها فيما بين الرَّوْضَة وبُولاق وفيما بين بَرّ القاهِرَة وبَرّ الجِيزَة ، لم يَنْحَسِر عنها الماءُ إلَّا بعد سنة سبع مائة .

وأَخْبَرَني[a] القاضي الرَّئيسُ تاجُ الدِّين أبو الفِداء إسماعيل بن أحمد بن عبد الوهَّاب ابن الخَطْبَا المَخْزومي ، عن الطَّبيب[b] الفاضِل شَمْس الدِّين محمد بن الأَكْفاني ، أنَّه كان يَمُرُّ بهذه الجَزِيرَة أوَّل ما انْكَشَفَت ، ويقول : هذه الجَزِيرَةُ تَصير مَدينَةً - أو قال تصير بَلْدَةً - على الشَّك منّي . فاتَّفَق ذلك ، وبَنَى النَّاسُ فيها الدُّورَ الجَليلَة والأَسْواقَ والجامِع والطاحُون والفُرْن ، وغَرَسُوا فيها البَساتين ، وحَفَرُوا الآبار ، وصارَت من أَحْسَن مُتَنَزَّهات مصر يَحِفُّ بها الماءُ .

ثم صارَ يَنْكَشِف ما بينها وبين بَرّ القاهِرَة ، فإذا كانت أَيَّامُ زِيادَة ماءِ النِّيل أَحاطَ الماءُ بها ، وفي بعض السِّنين يركبها الماءُ ، فتَمُرُّ المراكِبُ بين دُورها وفي أَزِقَّتها . ثم لمَّا كَثُرَ الرَّمْلُ فيما بينها وبين البَرّ الشرقي - حيث كان خُطُّ الزَّرْبِيَّة[c] وفَم الخَوْر - قَلَّ الماءُ هناك ، وتَلاشَتْ مَساكِنُ هذه الجَزِيرَة منذ كانت الحَوادِثُ في سنة ستٍّ وثمان مائة ، وفيها إلى اليوم بَقايا حَسَنَة .

الجَزِيرَةُ التي عُرِفَت بحَليمَة

لمَّا كان في سنة سبعٍ وأربعين وسبع مائة ، انْكَشَفَت في بَحْر النِّيل عِدَّةُ مَواضِع وقَلَّ مَدَدُه ، وصارَ من المِقْياس إلى بَرّ مصر تَخُوضُه النَّاسَ ، ومن بُولاق إلى مُنْشَأَة المَهْراني ومن بُولاق إلى جَزِيرَة الفيل إلى المُنْيَة طَريقًا يَبَسًا ، وصارَ السَّقَّاؤون إنَّما يَمْلئون الماء من ناحية أَنْبُوبَة ، فقَلَّ الماءُ ووَصَلَت الرَّاوية إلى دِرْهَم بعد أن كانت بنصف ورُبْع درهم ، وخَرَجَت جَزِيرَةٌ فيما بين بُولاق

a) مسودة الخطط : وحَدَّثني. b) مسودة الخطط : الحكيم. c) بولاق : الزربية. d) النسخ : يملون.

[1] جَزِيرَة أَرْوَى ، أو الجزيرة الوُسْطَى . هي الجزيرة المبيَّنة على الخريطة التي رسمها علماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨م باسم جَزِيرَة بُولاق لوُقوعها تجاه بولاق . وهي الجَزِيرَةُ المعروفة الآن باسم الجَزِيرَة أو جزيرة الزَّمالِك ، والتي يشغل حيّ الزمالك قسمها الشمالي ويشغل نادي الجزيرة الرياضي والنادي الأَهْلي ودار الأوبرا قسمها الأوسط ، ويشغل فندق شيراتون الجزيرة ومبنى مجلس قيادة الثورة قسمها الجنوبي .

[2] المقريزي : مسودة الخطط ١٧٨ظ .

والجَزيرَة الوُسْطَىٰ سَمَّاها العامَّة حَليمَة ، ونَصَبُوا فيها عِدَّةَ أَخْصَاص ، بَلَغَ مَصْروف الخُصّ الواحِد منها ثلاثة آلاف دِرْهَم نُقْرَة في ثَمَن رُخام ودِهان . فكان فيها من هذه الأخْصَاص عِدَّةٌ وافِرَةٌ ، وزُرِعَ حَوْل كلِّ خُصٍّ من المقاثي وغيرها ما يُسْتَحْسَن .

وأقامَ أَهْلُ الخَلاعَة والمُجُون هناك ، وتهتَّكوا بأنْواع المحَرَّمات ، وتَرَدَّدَ إلى هذه الجَزيرَة أكثرُ النَّاس حتىّ كادَت القاهِرَةُ ألَّا يَثْبُت بها أَحَدٌ . ٥

وبَلَغَ أُجرَة كلِّ قَصَبَة بالقِياس في هذه الجَزيرَة ، وفي الجَزيرَة التي عُرِفَت بالطَّمِيَّة فيما بين مصر والجيزَة ، مبلغ عشرين درهمًا نُقْرَة ، فوَقَفَ الفَدَّانُ هناك بمبلغ ثمانية آلاف دِرْهَم نُقْرَة ، ونُصِبَت في هذه الأفْدِنَة الأَخْصَاصُ المذكورة ، وكان الانْتفاعُ بها فيما ذُكِرَ نحو ستة أشهر من السَّنَة ، فعلى ذلك يكون الفَدَّانُ فيها بمبلغ ستة عشر ألف دِرْهَم نُقْرَة ، وأَتْلَفَ النَّاسُ هناك من الأمْوال ما يجلّ وَصْفُه . ١٠

فلمَّا كَثُرَ تَجاهُرُهُم بالقَبيح ، قامَ الأميرُ أَرْغُون العَلائي ، مع الملك الكامِل شَعْبان بن محمد ابن قَلاوون ، في هَدْم هذه الأَخْصَاص التي بهذه الجَزيرَة قِيامًا زائِدًا حتى أُذِنَ له في ذلك . فأَمَرَ والِيَيْ مصر والقاهِرَة ، فنَزَلا على حين غَفْلَةٍ ، وكَبَسَا النَّاس ، وأَراقا الخُمُور ، وحَرَقَا الأَخْصَاص ، فتَلِفَ للنَّاس في النَّهْب والحَريق وغير ذلك شيءٌ كثيرٌ إلى الغايَةِ .

وفي هذه الجَزيرَة يقولُ الأديبُ إبراهيم المِعْمَار : ١٥

[المجتث]

جَزيرَةُ البَحْر جُنَّت	بها عُقُولٌ سَليمَه
لما حَوَت حُسْن مَغْنًى	ببَسْطَةٍ مُسْتَقيمَه
وكم يَخُوضُون فيها	وكم مَشَوْا بنَميمَه[1]
/ولم تزل ذا احْتِمال	ما تلك إلّا حَليمَه ٢٠

[1] المقريزي : مسودة الخطط ١٧٨ظ-١٧٩و .

ذِكْرُ السُّجون

قال ابنُ سِيَده : السِّجْنُ المَحْبَس [a]، والسَّجَّانُ صاحِبُ السِّجْن ، ورَجُلٌ سَجِين : مَسْجون [1].

قال : وحَبَسَه يَحْبِسُه حَبْسًا فهو مَحْبوسٌ وحَبيسٌ ، واحْتَبَسَه وحَبَّسَه ، أَمْسَكَه عن وَجْهِه .

قال سِيبَوَيْه : حَبَسَه ضَبَطَه ، واحْتَبَسَه اتَّخذه حَبْسًا ، والمَحْبِس والمَحْبَسَة والمَحْبَس اسم المَوْضِع .

٥ وقال بعضُهم : المَحْبَسُ يكون مصدرًا كالحَبْسِ ، ونظيرُه قَوْلُه [b]: ﴿إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُم﴾ [من الآية ٤٨ سورة المائدة] ، أي رُجوعُكم ، ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ﴾ الآية ٢٢٢ سورة البقرة] ، أي الحَيْض [2].

ورَوَى الإمامُ أحمد وأبو داود من حَديث بَهْزِ بن حَكيم ، عن أبيه عن جَدِّه ـ رضي الله عنهم ـ قال : إنَّ النَّبيَّ ﷺ ، حَبَسَ في تُهْمَة .

وفي جامِع الخَلَّال عن أبي هُرَيْرَة ـ رضي الله عنه ـ قال : إنَّ رسولَ الله ﷺ حَبَسَ في تُهْمَةٍ

١٠ يومًا وليلة .

فالحَبْسُ الشَّرْعي ليس هو السِّجْن في مَكانٍ ضَيِّق ، وإنَّما هو تَعْويقُ الشَّخْص ومَنْعه من التَّصَرُّف بنفسه ؛ سَواءٌ كان في بَيْتٍ أو مَسْجِد ، أو كان يتولَّى نفس الخَصْم أو وَكيله عليه ، ومُلازَمَته له . ولهذا سَمَّاه النَّبيُّ ﷺ أسيرًا ؛ كما رَوَى أبو دَاوُد وابنُ ماجَه ، عن الهِرْماس بن حَبيب عن أبيه ـ رضي الله عنهما ـ قال : أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ بغَريمٍ لي ، فقال لي : «الْزمه» . ثم قال

١٥ لي : «يا أخا بني تَميم ، ما تُريدُ أن تَفْعَلَ بأسيرك ؟» ، وفي رِوايَةِ ابن ماجَة : ثُمَّ مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ بي آخِرَ النَّهار ، فقال : «ما فَعَلَ أسيرُك يا أخا بني تَميم؟» .

وهذا كان هو الحَبْسُ على عَهْد النَّبيِّ ﷺ وأبي بكر الصِّدِّيق ـ رضي الله عنه ـ ولم يَكُن له مَحْبَسٌ مُعَدٌّ لحَبْس الخُصوم . ولكن لمَّا انْتَشَرَتِ الرَّعِيَّةُ في زَمَن عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ ابْتاعَ من صَفْوان بن أُمَيَّة ـ رضي الله عنه ـ دارًا بمَكَّة بأربعة آلاف درهم ، وجَعَلَها سِجْنًا يُحْبَسُ فيها .

٢٠ ولهذا تَنازَعَ العُلَماءُ : هل يَتَّخِذُ الإمامُ حَبْسًا ؟ على قَوْلَيْن : فمن قال لا يَتَّخذ حَبْسًا ، احْتَجَّ بأنَّه لم يكن لرَسُول الله ﷺ ولا لخَليفَته من بعده حَبْسٌ ، ولكن يُعَوِّقه بمكانٍ من الأمكنة ، أو

a) بولاق : الحَبْس ، والتصويب من المحكم . b) إضافة من المحكم مصدر النقل .

[1] ابن سيدة : المحكم والمحيط الأعظم ٧ : ١٩٦ . [2] نفسه ٣ : ١٥٢ . (والاستشهاد بسيبَوَيْه هو لابن سيده) .

يُقيمُ عليه حافِظًا ـ وهو الذي يُسَمَّى التَّرْسيم ـ أو يأمُرُ غَرِيمَه بمُلازَمَته . ومن قال : له أن يَتَّخذ حَبْسًا ، احْتَجَّ بِفِعْل عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ .

ومَضَت السُّنَّة في عَهْد رَسُول الله ﷺ ، وأبي بَكْر وعُمَر وعُثْمان وعليّ ـ رضي الله عنهم ـ أنّه لا يُحْبَس على الدُّيُون ، ولكن يَتلازَم الخَصْمان . وأوَّل من حَبَسَ على الدَّيْن شُرَيْح القاضي .

وأمَّا الحَبْسُ الذي هو الآن ، فإنّه لا يَجُوز عند أحَدٍ من المسلمين . وذلك أنّه يَجْمَعُ الجَمْع الكثير في مَوْضِعٍ يَضيقُ عنهم ، غير مُتَمَكِّنين من الوُضُوء والصَّلاة ، وقد يَرَى بَعْضُهم عَوْرَةَ بَعْضٍ ، ويُؤْذيهم الحَرُّ في الصَّيْف والبَرْدُ في الشِّتاء ، وربّما يُحْبَس أحَدُهم السَّنة وأكثر ولا جِدَة له ، وأنَّ أَصْلَ حَبْسه على ضَمان .

وأمَّا سُجُونُ الوُلاة فلا يُوصَف ما يَحِلُّ بأهْلها من البَلاء ، واشْتَهَرَ أمْرُهم أنّهم يَخْرُجُون مع الأعْوَان في الحَديد حتى يَشْحَذوا ، وهم يَصْرُخون في الطُّرُقات : الجُوع . فما تُصُدِّق به عليهم لا ينالُهم منه إلَّا ما يَدْخُل بُطُونهم ، وجَميعُ ما يجتمع لهم من صَدَقَات النَّاس يأخُذُه السَّجَّانُ وأعْوانُ الوالي ، ومَنْ لم يرضهم بالَغوا في عُقُوبَتِه . وهم مع ذلك يُسْتَعْمَلون في الحَفْر وفي العَمائِر ، ونحو ذلك من الأعْمَال الشَّاقَّة ، والأعْوان تَسْتَحِثُّهم . فإذا انقضى عَمَلُهم رُدُّوا إلى السِّجْن في حَديدهم من غير أن يُطْعَموا شيئًا إلى غير ذلك مِمَّا لا يَسَعُ حكايته هنا . وقد قيل إنَّ أوَّل مَنْ وَضَعَ السِّجْن والحَرَس مُعاوِيَة .

وقد كان في مَدينَة مصر وفي القاهِرَة عِدَّةُ سُجون ، وهي : حَبْسُ المَعُونَة بمصر ، وحَبْسُ الصَّيَّار بمصر ، وخِزانَةُ البُنُود بالقاهِرَة ، وحَبْسُ المَعُونَة بالقاهِرَة ، وخِزانَةُ شَمائِل ، وحَبْسُ الدَّيْلَم ، وحَبْسُ الرَّحْبَة والجُبُّ بقَلْعَة الجَبَل .

حَبْسُ المَعُونَة بمصر

ويُقالُ أيضًا «دارُ المَعُونَة» . كانت أوَّلًا بالشُّرْطَة ، وكانت قِبْلي جامِع عَمْرو بن العَاص . وأصْلُه خِطَّةُ قَيْس بن سَعْد بن عُبادَة الأنْصاري ـ رضي الله عنهم . اخْتَطَّها في أوَّل الإسْلام ـ وقد كان موضعُها فَضَاءً ـ وأوْصَى فقال : إن كنت بَنَيْتُ بمصر دارًا ، واسْتَغَلْت فيها بمَعُونَةِ المسلمين ، فهي للمُسْلمين ينزلها وُلاتُهم .

[1] هنا على هامش (ص) : «وأحدَثَ الأميرُ زَيْنُ الدِّين ... يحيى الأشْقَر الأسْتادّار سِجْنًا بخُطّ بين السُّورَيْن وسَمَّاه ... بـ «القـاعة» من أخبث السُّجون وأضيقها ، عليه من الله ما يستحقه» .

وقيل : بل كانت هي ودارٌ إلى جانبها لنافِع بن عَبْد قَيْس الفِهْري ، فأخَذَها منه قَيْسُ بن سَعْد ، وعَوَّضَه دارًا بزُقاق القَناديل . ثم عُرِفَت بدار الفُلْفُلِ لأنَّ أُسامَة بن زَيْد التَّنُوخي ، صاحِب خَراج مصر ، ابْتَاعَ من مُوسَىٰ بن وَرْدان فُلْفُلًا بعشرين ألف دينار ـ كان كَتَبَ فيه الوَليدُ بن عبد الملك ليُهْديه إلى صاحِب الرُّوم ـ فخزَنَه فيها ، فشَكَا ذلك إلى عُمَر بن عبد العَزيز حين وَلِيَ[a] الخِلافَة ، فكَتَبَ أن تُدْفَع إليه ، ثم صارَت شُرْطَةً ودارَ الصَّرْف .

فلمَّا فَرَغَ عيسىٰ بن يَزيد الجَلُودي من زِيادَة عبد الله بن طاهِر في الجامِع ، بَنَى شُرْطَةً في سنة ثلاثَ عشرةَ ومائتين في خِلافَة المأمون ، ونَقَشَ في لَوْحٍ كبيرٍ نَصَبَه على باب الجامِع الذي يُدْخَل منه إلى الشُّرْطَة ما نَصُّه :

«بَرَكَةٌ من الله لعَبْده عبد الله الإمام المأمُون أمير المؤمنين ، أَمَرَ بإقامَة هذه الدَّار الهاشِمِيَّة المبارَكَة ، على يد/ عيسَىٰ بن يَزيد الجَلُودي مَوْلَى أمير المؤمنين ، سنة ثلاثَ عشرةَ ومائتين» .

ولم يَزَلْ هذا اللَّوْح على باب الشُّرْطَة إلى صَفَر سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة ، فقَلَعَه يانِسُ العَزيزي ، وصارَت حَبْسًا يُعْرَف بالمعونَة إلى أن مَلَكَ السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب ، فجَعَلَه مَدْرَسَةً ، وهي التي تُعْرَف اليوم بالشَّريفِيَّة[2] .

حَبْسُ الصَّيَّار

هذا الحَبْسُ كان بمصر يَحْبِس فيه الوُلاةُ بعدما عُمِلَ حَبْسُ المَعُونَة مَدْرَسَةً . وكان بأوَّل الزُّقاق الذي فيه هذا الحَبْس حانُوتٌ يَسْكُنه شَخْصٌ يُقالُ له مَنْصور الطَّويل ، ويبيعُ فيه أَصْنَاف السَّواقة[b] ، ويُعْرَف هذا الرَّجُل بالصَّيَّار من أجْل أنَّه كانت له في هذا الزُّقاق قاعةٌ يُخَزِّن فيها أنْواعَ الصِّير المعروف بالمُلوحَة ، فقيل لهذا الحَبْس «حَبْسُ الصَّيَّار»[3] .

ونَشَأ لمَنْصُور الصَّيَّار هذا وَلَدٌ عُرِفَ بين الشُّهود بمصر بشَرَف الدِّين بن مَنْصور الطَّويل . فلمَّا أَحْدَثَ الوَزيرُ شَرَفُ الدِّين هِبَةُ الله بن صَاعِد الفائِزي المظالِمَ في سَلْطَنَة الملك المُعِزّ

a) بولاق : تولى . b) بولاق : السوقة .

[1] Wiet, G. RCEAT, B. 148, n. 189.

[2] انظر عدد هذه المدرسة : ابن دقماق : الانتصار ٤ :٩٣

[3] انظر فيما تقدم ٢ : ٩٠ .

أَيْبَك التُّرْكُماني ، خَدَمَ شَرَفُ الدِّين هذا على المظالِم في جِبايَة «التَّسْقيع والتَّقْويم» ، ثم خَدَم بعد إبْطال ذلك في مَكْس القَصَب والرُّمّان . فلمّا تَوَلَّى قَضَاءَ القُضَاة تاجُ الدِّين عبد الوهّاب ابن بنت الأَعَزّ ، تأذَّى عنده بما باشَرَهُ من هذه المظالِم .

وما زَالَ هذا الحَبْسُ مَوْجُودًا إلى أن خَرِبَت مصر في الزَّمان الذي ذَكَرْناه فخَرِبَ ، وبقي مَوْضِعُه وما حَوْلَه كيمانًا . ٥

خِـزَانَةُ البُـنُود

هذه الخِزانَةُ بالقاهِرَة هي الآن زُقاقٌ ، يُعْرَف بخُطِّ خِزانَة البُنُود ، على يَمْنَة من سَلَكَ من رَحْبَة باب العيد يُرِيدُ دَرْب مُلُوخِيًّا وغيره [1] . وكانت أوَّلًا في الدَّوْلَة الفاطِمية خِزانَةً من جملة خَزائِن القَصْر يُعْمَل فيها السِّلاح ، يُقال إنَّ الخَلِيفَة الظَّاهِر بن الحاكِم أَمَرَ بها . ثم إنَّها احْتَرَقَت في سنة إحدى وستين وأربع مائة ، فعُمِلَت بعد حَريقها سِجْنًا يُسْجَن فيه الأُمَرَاءُ والأَعْيانُ إلى أن انْقَرَضَت الدَّوْلَةُ ، فأقَرَّها مُلوكُ بني أَيُّوب سِجْنًا . ١٠

ثم عُمِلَت مَنْزِلًا للأَسْرَى[a] من الفِرِنْج يَسْكُنون فيها بأهاليهم وأَوْلادهم في أيّام الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون بعد حُضُوره من الكَرَك . فلم يَزالوا بها إلى أن هَدَمَها الأميرُ الحاج آل مَلِك الجُوكَنْدار ، نائِب السَّلْطَنَة بديار مصر ، في سنة أربع وأربعين وسبع مائة ، فاخْتَطَّ النَّاسُ مَوْضِعَها دُورًا . وقد ذُكِرَت في هذا الكِتاب عند ذكر خَزائِن القَصْر [2] . ١٥

حَبْسُ المَعُونَة من القَاهِـرَة

هذا المكانُ بالقاهِرَة مَوْضِعُه الآن قَيْسارِيَّةُ العَنْبَر برأس الحَريريين . كان يُسْجَن فيه أَرْبابُ الجَرائِم من السُّرّاق وقُطّاع الطَّريق ونحوهم في الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة . وكان حَبْسًا حَرِجًا ضَيِّقًا شَنيعًا يُشَمُّ من قُرْبه رائِحَةٌ كريهَة . فلمّا وَلِيَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون مملكة مصر ، هَدَمَه وبَنَاه قَيْسارِيَّةً للعَنْبَر . وقد ذُكِرَ عند ذِكْر الأَسْواق من هذا الكِتاب [3] . ٢٠

---

a) بولاق : للأمراء .

---

[1] فيما تقدم ١٠٤ .

[2] فيما تقدم ٢: ٣٩٥- ٤٠١ ، وهذا المجلد ١٠٤ .

[3] فيما تقدم ٢٩٦ ؛ وانظر كذلك فيما تقدم ٢: ٥١٥- ٥١٦ ؛ ابن المأمون : أخبار مصر ٧٩- ٨٠ ؛ المقريزي :=

خِزانَةُ شَمائِل

هذه الخِزَانَةُ كانت بجوار باب زَوِيلَة على يَسْرَة من دَخَلَ منه بجوار السُّور. عُرِفَت بالأمير عَلَم الدِّين شَمائِل والي القاهِرَة في أيَّام الملك الكامِل محمد بن العادِل أبي بكر بن أيُّوب. وكانت من أشْنَع السُّجُون وأقْبَحها مَنْظَرًا، يُحْبَسُ فيها مَنْ وَجَبَ عليه القَتْلُ أو القَطْعُ من السُّرَّاق وقُطَّاع الطَّرِيق، ومَنْ يُرِيدُ السُّلْطانُ إهْلاكَه من المماليك وأصْحاب الجَرائِم العَظِيمَة.

وكان السَّجَّانُ بها يُوَظَّف عليه والي القاهِرَة شيئًا يحمله من المال له في كلِّ يَوْم، وبَلَغَ ذلك في الأيَّام النَّاصِرِيَّة فَرَج مَبْلَغًا كبيرًا. وما زالَت هذه الخِزانَةُ على ذلك إلى أن هَدَمَها الملكُ المُؤَيَّدُ شَيْخ المَحْمُودي في يوم الأحد العاشر من شهر رَبِيع الأوَّل سنة ثمان عشرة وثمان مائة، وأدْخَلَها في جملة ما هَدَمَه من الدُّور التي عَزَمَ على عِمارَة أماكِنها مَدْرَسَةً.

شَمـــائِلُ: الأميرُ عَلَمُ الدِّين، قَدِمَ إلى القاهِرَة وهو من فَلَّاحي بعض قُرَى مَدينَة حَماة، في أيَّام الملك الكامِل محمد بن العادِل، فخَدَم جانْدارًا في الرِّكاب السُّلْطاني، إلى أن نَزَلَ الفِرِنْجُ على مَدينَة دِمْياط في سنة خمس عشرة وستّ مائة، ومَلَكوا البَرّ، وحَصَرُوا أهْلَها وحالوا بينهم وبين من يَصِل إليهم. فكان شِمائِلُ هذا يُخاطِرُ بنفسه، ويَسْبَح في الماء بين المراكِب، ويَرِدُ على السُّلْطان الخَبَر[١].

فتقدَّم عند السُّلْطان وحَظِيَ لديه حتى أقامَه أمير جانْدار وجَعَلَه من أكبر أُمَرائِه، ونَصَّبَه سَيْف نِقمَتِه، ووَلَّاهُ ولاية القاهِرَة. فباشَر ذلك إلى أن ماتَ السُّلْطانُ، وقامَ من بعده ابنُه الملكُ العادِلُ أبو بكر. فلمَّا خُلِعَ بأخيه الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب، نَقَمَ على شَمائِل[٢].

---

a) بولاق: السوقة. b) بولاق: للأمراء.

= مسودة المواعظ ٣٩٥، ٤٢٧-٤٢٨؛ اتعاظ الحنفا ٣: ١٠٠.

[١] المقريزي: مسودة المواعظ ٣٩٦-٣٩٧، السلوك ٤: ١٥٣؛ العيني: السيف المهند ٢٧٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ٣١؛ ابن إياس: بدائع الزهور ٢: ٢٠؛ وفيما يلي ٢: ٣٢٨.

وكانت خزانة شمائل تقع موضع القسم الجنوبي من جامع المؤيَّد المجاور لسور القاهرة القديم الذي بناه بَدْرٌ الجمالي.

[٢] راجع عن عَلَم الدِّين شمائل، ابن واصل: مفرج الكروب ٤: ١٩-٢٠؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٧: ٢٠٠-٢٠١؛ وفيما تقدم ١: ٥٨٩.

المَقْشَـرَةُ

هذا السِّجْنُ بجوار باب الفُتُوح فيما بينه وبين الجامع الحاكِمي ، كان يُقَشَّر فيه القَمْح . ومن جُمْلَته بُرْجٌ من أبْراج السُّور ، على يَمْنَة الخارِج من باب الفُتُوح ، استجدَّ بأعلاه دُور لم تَزَل إلى أن هُدِمَت خِزانَةُ شَمائِل . فعُيِّنَ هذا البُرْج والمَقْشَرَة لسَجْن أرْباب الجَرائم ، وهُدِمَتِ الدُّورُ التي كانت هناك في شهر رَبيع الأوَّلُ سنة عشرين وثمان مائة[a]، وعُمِلَ البُرْجُ والمَقْشَرَةُ سِجْنًا ، ونُقِلَ إليه أرْبابُ الجَرائِم .

وهو من أشْنَع السُّجُون وأضْيَقها ، يُقاسي فيه المَسْجُونون من الغَمّ والكَرْب ما لا يُوصَف ، عافانا الله من جَميع بَلائِه[1].

الجُبُّ بقَلْعَة الجَبَل

هذا الجُبُّ كان بقَلْعَة الجَبَل يُسْجَن فيه الأُمَراءُ . وابْتُدِئ عَمَلُه في سنة إحدى وثمانين وستّ مائة، / والسُّلْطانُ حينئذٍ الملكُ المَنْصورُ قَلاوون . ولم يَزَل إلى أن هَدَمَه الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون في يوم الاثنين سابع عشر جُمادَىٰ الأولىٰ سنة تسع وعشرين وسبع مائة .

وذلك أنَّ شادَّ العَمائِر نَزَلَ إليه ليُصْلِح عِمارَتَه ، فشاهَدَ أمْرًا مَهُولًا من الظَّلام وكثرة الوَطاويط والرَّوائِح الكَريهَة . واتَّفَق مع ذلك أنَّ الأميرَ بَكْتَمُر السَّاقي كان عنده شَخْصٌ يَسْخَر به ويُمازِحه ، فبَعَثَ به إلى الجُبِّ ودُلِّي فيه ، ثم أَطْلَعَه منه[b] بعد ما باتَ به لَيْلَة . فلمَّا حَضَرَ إلى بَكْتَمُر أخبره بما عايَنَه من شَناعَة الجُبّ ، وذَكَرَ ما فيه من الرَّوائح المهولة . وكان شادُّ العَمائِر في المَجْلِس فوَصَفَ ما فيه الأُمَراء الذين بالجُبّ من الشَّدائِد . فتَحَدَّث بَكْتَمُر مع السُّلْطان في ذلك ، فأمَرَ بإخْراج الأُمَراء منه ، ورُدِمَ وعُمِّرَ فَوْقَه أطْباقُ المماليك . وكان الذي رُدِمَ به هذا الجُبّ النَّقْضُ الذي هُدِمَ من الإيوان الكبيرِ المُجاوِر للخِزانَة الكُبْرىٰ[c][2].

a) بولاق : ثمان وعشرين وثمان مائة . b) بولاق : من . c) هنا على هامش آياصوفيا : بياض صفحة ونصف .

[1] انظر كذلك ، المقريزي : السلوك ٤ : ٣٨٦، ٤٢١؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٤ : ٤٦؛ وانظر أيضًا فيما تقدم ٢٣٢) .

[2] فيما يلي ٦٨٦- ٦٨٨، ولم يذكر المؤلف : حَبْس الدَّيْلم وحَبْس الرَّحْبَة .

ذِكْرُ المَوَاضِع المَعْرُوفَة بالصِّنَاعَة

لَفْظُ الصِّناعَة ـ بكسر الصَّاد ـ مأخوذٌ من قَوْلِك : صَنَعَه يَصْنَعُه صُنْعًا ، فهو مصنوعٌ وصَنِيعٌ ، عمله . واصْطَنَعَه اتَّخَذَه . والصِّناعَةُ ما يُسْتَصْنَع من أمْرٍ ؛ هذا أصْلُ الكلمة من حيث اللُّغَة.

وأمَّا في العُرْف فالصِّناعَةُ اسمٌ لمكانٍ قد أُعِدَّ لإنْشاء المراكِب البَحْرية التي يُقالُ لها السُّفُن ، واحِدتُها سَفينَة ، وهي بمصر على قِسْمَيْن : نِيليَّة ، وحَرْبِيَّة [1].

فالحَرْبِيَّةُ هي التي تُنْشَأ لغَزْو العَدُوّ ، وتُشْحَن بالسِّلاح وآلات الحَرْب والمُقاتِلة ، فتَمُرُّ من ثَغْر الإسْكَنْدَرية وثَغْر دِمْياط وتِنِّيس والفَرَما إلى جِهادِ أَعْدَاء الله من الرُّوم والفِرِنْج . وكانت هذه المراكِبُ الحَرْبِيَّة يُقالُ لها « الأُسْطُول » ، ولا أَحْسَبُ هذا اللَّفْظ عَرَبِيًّا .

وأمَّا المراكِبُ النِّيلية فإنها تُنْشَأ لتَمُرَّ في النِّيل ، صاعِدَةً إلى أعْلى الصَّعيد ، ومنحدرةً إلى أسْفَلِ الأرض ، لحَمْل الغِلال وغيرها . ولمَّا جاءَ الله تعالى بالإسْلام لم يكن البَحْرُ يُرْكَب للغَزْو في حَيَاةِ رَسُول الله صلَّى الله عليه وسلم ، وخِلافَة أبي بكر وعُمَر ـ رضي الله عنهما ـ . وأوَّلُ من رَكِبَ البحرَ في الإسْلام للغَزْو العَلَاءُ بن الحَضْرَمي [2] رضي الله عنه ـ وكان على البَحْرَيْن من قِبَل أبي بكرٍ وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فأَحَبَّ أن يُؤَثِّر في الأعاجِم أثرًا يُعِزُّ اللهُ به الإسْلام على يَدَيْه . فنَدَبَ أَهْلَ البَحْرَيْن إلى فارس فبادَروا إلى ذلك ، وفَرَّقَهم أجْنادًا على أحدها الجَارُود بن المُعَلَّى ـ رضي الله عنه ، وعلى الآخَر[a] سُوَار بن هَمَّام ـ رضي الله عنه ، وعلى الآخر[b] خَلَيْد بن المُنْذِر بن ساوَىٰ ـ رضي الله عنه ، وجَعَلَ خُلَيْدًا على عامَّة النَّاس ؛ فحَمَلَهم في البَحْر إلى فارِس بغير إذْن عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ وكان عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ لا يَأْذَن لأَحَدٍ في رُكُوب البَحْر غازِيًا كَراهَةً للتَّغْرير بجُنْدَه ، اقْتداءً برَسُول الله صلى الله عليه وسلم وخَليفَته أبي بكر ـ رضي الله عنه .

a) بولاق : الثاني . b) بولاق : الثالث .

[1] انظر Colin, G. S & Cahen, Cl., *EI²* art. *Dār al-Ṣinā'a* II, p. 133.

[2] العَلاءُ بن عبد الله بن عِماد (عِباد) بن أكبر بن رَبيعة من مُقنَّع ، المعروف بالعَلاء بن الحَضْرَمي ، صحابي من رجال الفتوح في صَدْر الإسلام ، توفي سنة ٢١هـ/٦٤٢م. (الذهبي : سير أعلام النبلاء ١: ٢٦٢- ٢٦٦؛ الفاسي : العقد الثمين ٦: ٤٤٧-٤٤٩).

فعَبَرَت تلك الجُنُود من البَحْرَيْن إلى فارِس ، فخَرَجُوا في إصْطَخْر وبإزائِهم أهْل فارِس عليهم الهِرْبَذ ، فحالوا بين المسلمين وبين سُفُنهم . فقامَ خُلَيْد في النَّاس فقال :

« أمَّا بَعْدُ ، فإنَّ الله تعالى إذا قَضَى أمْرًا جَرَتِ المقاديرُ على مَطِيَّتِه ، وإنَّ هؤلاء القَوْم لم يَرِيدوا بما صَنَعوا على أن دَعَوْكم إلى حَرْبِهم ، وإنَّما جِئْتُم لمحارَبتهم ، والسُّفُن والأرض بعد الآن لمن غَلَب ، فاسْتَعينوا بالصَّبْر والصَّلاة ٥ وإنَّها لكبيرة إلَّا على الخاشِعين » .

فأجابُوه إلى القِتال ، وصَلَّوا الظُّهْرَ ثم ناهَزُوهُم ، فاقْتَتَلُوا قِتالًا شَديدًا في مَوْضِع يُدْعى طاووس ، فقُتِلَ من أهْل فارِس مَقْتَلَةٌ عظيمةٌ لم يُقْتَلوا مثلَها قبْلَها ؛ وخَرَجَ المسلمون يُرِيدُون البَصْرَة - إذ غَرِقَت سُفُنُهم ولم يجدوا في الرُّجُوع إلى البَحْر سَبيلًا - فإذا بهم وقد أُخِذَت عليهم الطُّرُقُ ، فعَسْكَروا وامْتَنَعُوا . ١٠

وبَلَغَ عُمَرَ بن الخطَّاب - رضي الله عنه - ذلك فاشْتَدَّ غَضَبه على العَلاء ، وكَتَبَ إليه بعَزْله وتَوَعَّدَهُ ، وأمَرَه بأثْقَلِ الأشْياء عليه وأبْغَضِ الوُجُوه إليه : بتأمير سَعْد بن أبي وَقَّاص عليه ، وقال : الْحَق بسَعْدِ بن أبي وَقَّاص بمن قِبَلَك [a]. فخَرَجَ العَلاءُ[b] من البَحْرَيْن بمن معه نحو سَعْدٍ وهو يومئذٍ على الكُوفَة ، وكان بينهما تَبايُنٌ وتَباعُدٌ .

١٥ وكَتَبَ عُمَرُ إلى عُتْبَة بن غَزْوان : « بأنَّ العَلاءَ بن الحَضْرَمي حَمَلَ جُنْدًا من المسلمين في البَحْر فأقْطَعَهُم إلى فارِس وعَصاني ، وأظُنُّه لم يُرِد الله - عَزَّ وجلّ - بذلك ، فخَشِيتُ عليهم ألَّا يُنْصَروا وأن يُغْلَبوا ، فانْدُب لهم النَّاس ، وضُمَّهم إليك من قبل أن يَحْتاجُوا » . فنَدَبَ عُتْبَة النَّاسَ ، وأخْبرَهُم بكتاب عُمَر . فانْتَدَبَ عاصِمَ بن عَمْرو ، وعَرْفَجَة بن هَرْثَمَة ، وحُذَيْفَة بن مُحْصن ، ومَجْزاة بن ثَوْر ، ونَهار بن الحارِث ، والتُّرْجُمان بن فلان ، والحُصَيْنُ بن أبي الحُرّ ، والأَحْنَف ابن ٢٠ قَيْس ، وسَعْد بن أبي العَرْجاء ، وعبد الرَّحمن بن سَهْل ، وصَعْصَعة بن مُعاوية ، فساروا من البَصْرَة في اثني عشر ألفًا على البِغال يُجَنِّبون الخيل ، وعليهم أبو سَبْرَةَ بن أبي رُهْم . فساحَلَ بهم حتى الْتَقَى أبو سَبْرَة وخُلَيْدٌ حيث أُخِذَت عليهم الطُّرُق ، وقد اسْتَصْرَخَ أهْلُ إصْطَخْر أهْلَ فارِس ١٩٠ كلّهم ، فأتوهم من كلِّ وَجْهٍ / وكُورَةٍ . فالتقوا هم وأبو سَبْرَة ، فاقْتَتَلوا ، ففَتَحَ الله على المسلمين ، وقُتِلَ المُشْرِكون ، وعادَ المسلمون بالغَنائِم إلى البَصْرَة ، ورَجَعَ أهْلُ البَحْرَيْن إلى مَنازِلهم .

---

a) بولاق : معك . b) في بولاق عوضًا عن العَلاء، رضي الله عنه .

فلمَّا فَتَحَ الله تعالى الشَّام ، أَلَحَّ مُعاويةُ بن أبي سُفْيان ـ وهو يومئذٍ على جُنْد دِمَشْق والأُرْدُن ـ على عُمَر ـ رضي الله عنه ـ في غَزْوِ البَحْر ، وقُرْبَ الرُّوم من حِمْص ، وقال : « إنَّ قَرْيةً من قُرَى حِمْص ليسمع أَهْلُها نُباحَ كِلابِهم وصِياحَ دَجاجِهم » ، حتى إذا كادَ ذلك يأخُذُ بقَلْب عمر اتَّهَمَ مُعاوِيَةَ لأنَّه المشير .

٥ وأَحَبَّ عُمَر أن يَرْدَعَه فكَتَبَ إلى عَمْرو بن العَاص ـ وهو على مصر ـ « أن صِفْ لي البَحْرَ وراكِبَه ، فإنَّ نفسي تُنازِعني إليه وأنا أَشْتَهي خِلافَها » . فكَتَبَ إليه : « يا أميرَ المؤمنين إنِّي رأيتُ البَحْرَ خَلْقًا كبيرًا يركبه خَلْقٌ صَغيرٌ ، ليس إلَّا السَّمَاء والماء ؛ إن رَكَدَ خَرَّقَ القُلوب ، وإن زَلَّ أزاغَ العُقُول ، يَزْدادُ فيه اليقينُ قِلَّة والشَّكُّ كثرةً ؛ هم فيه كدُودٍ على عُود ، إن مالَ غَرِقَ ، وإن نَجَا بَرَقَ »[١] .

١٠ فلمَّا جاءَه كتابُ عَمْرو ، كَتَبَ إلى مُعاوِيَة : « لا ـ والذي بَعَثَ محمدًا بالحَقِّ ـ لا أَحْمِل فيه مُسْلِمًا أبدًا ، إنَّا قد سَمِعْنا أنَّ بَحْرَ الشَّام يُشْرِف على أَطْوَل شيءٍ في الأَرْض يَسْتَأْذِن الله تعالى في كلِّ يومٍ وليلةٍ أن يُفيضَ على الأرض فيُغْرقها . فكيف أَحمل الجُنُودَ في هذا البَحْر الكافِر المُسْتَصْعَب ؟ وتالله لمسلمٌ واحِدٌ أحبُّ إليَّ مما حَوَتْه الرُّوم . فإيَّاكَ أن تَعْرِض لي ـ وقد تَقَدَّمْتُ إليك وقد عَلِمْتَ ما لقي العَلاءُ مِنِّي ولم أتقدَّم إليه ـ في مِثْل ذلك » .

١٥ وعن عُمَر ـ رضي الله عنه ـ أنَّه قال : لا يسألني الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ عن رُكُوب المسلمين البَحْر أبدًا . ورَوَى عنه ابنُه عبدُ الله ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه قال : لولا آيةٌ في كِتاب الله تعالى لَعَلَوْتُ راكِبَ البحر بالدرَّة .

ثم لمَّا كانت خِلافَةُ عثمان بن عَفَّان ـ رضي الله عنه ـ غَزا المُسْلمون في البَحْر ، وكان أَوَّلَ من غَزا فيه مُعاويَةُ بن أبي سُفْيان ، وذلك أنَّه لم يَزَل بعُثْمان حتى عَزَم على ذلك بأَخَرَةٍ[a]، وقال : لا

٢٠ تَنْتَخِبْ[b] النَّاسَ ولا تَقْرَع بينهم ؛ خَيِّرْهُم فمن اخْتار الغَزْو طائِعًا فاحْمِله وأَعِنْه . ففَعَلَ ،

---

a) بولاق : فأخَّره . b) بولاق : وقال : تنتخب .

---

[١] قارن مع ابن خلدون ، المقدمة ٦٩٠.
وهنا حاشية بخطِّ المؤلِّف : «قوله : وإن نَجا بَرَق ، البَرَقُ ، الدَّهَش والحَيْرة ، ومنه قوله تعالى : ﴿فإذا بَرَق البَصَرُ﴾ [الآية ٧ سورة القيامة] ، يعني : إذا حارَ عند المَوْت . ومن قرأ بفتح الراء أراد بَرِيقَه إذا شَخَصَ ، وأراد عمرو أنَّ راكب البَحْر إمَّا أن يَغْرَق وإمَّا أن يكون فيه مَدْهوشًا . ورُوِيَ أن عَمْرًا قال : بين غَرَقٍ وبَرَقٍ » .

واسْتَعْمَلَ على البَحْر عبد الله بن قَيْس الحاسي حَليف[a] بني فَزَارَة ، فغَزَا خمسين غَزْوَةً من بين شاتِيَةٍ وصائِفَةٍ في البَرّ والبَحْر ، ولم يَغْرَق فيه أحَدٌ ولم يُنْكَب .

وكان يَدْعُو الله تعالى أن يَرْزُقَه العافية في جُنْده ، ولا يَبْتَليه بمُصابِ أحَدٍ منهم ، حتى إذا أرادَ الله ـ عَزَّ وجَلّ ـ أن يُصيبَه في جُنْدِه ، وأنّه[b] خَرَجَ في قارِبِ طَليعَة ، فانتهى إلى المَرْفأ من أرْض الرُّوم ، فثارَ به الرُّومُ وهَجَمُوا عليه ، فقاتَلَهم فأُصيبَ وَحْدَه ، ثم قاتَل الرُّومُ أصْحابَه فأُصيبُوا . ٥

وغَزا عبدُ الله بن سَعْد بن أبي سَرْح في البَحْر لمَّا أتاهُ قُسْطَنْطين بن هِرَقْل سنة أربعٍ وثلاثين في ألف مَرْكِبٍ يُريدُ الإسْكَنْدَرية ، فسارَ عبدُ الله في مائتي مَرْكِبٍ أو تَزيد شيئًا وحارَبَه . فكانت وَقْعَةُ « ذات الصَّواري » التي نَصَرَ الله فيها جُنْدَه ، وهَزَمَ قُسْطَنْطين وقَتَلَ جُنْدَه [1] .

وأغزى مُعاويةُ أيضًا عُقْبَةَ بن عامِر الجُهَني ـ رضي الله عنه ـ في البَحْر ، وأمَرَهُ أن يتوجَّه إلى رُودَس ، فسارَ إليها . ١٠

ونَزَلَ الرُّومُ على البُرُلُّس في سنة ثلاثٍ وخمسين ، في إمارة مَسْلَمَة بن مَخْلَد الأنْصَاري ـ على مصر ، فخَرَجَ إليهم المسلمون في البَرّ والبَحْر . فاسْتُشْهِد وَرْدان ، مَوْلَى عَمْرو بن العَاص ، في جَمْعٍ كثيرٍ من المسلمين . وبَعَثَ عبدُ الملك بن مَرْوان ، لمَّا وَلِيَ الخلافَة ، إلى عامِله على إفريقيَّة حَسَّان بن النُّعْمان يأمُرُه باتِّخاذ صِناعَةٍ بتُونس لإنْشَاء الآلات البَحْرية . ومنها كانت غَزْوَةُ صِقِلِّيَّة في أيَّام زِيادَة الله الأوَّل بن إبراهيم بن الأغْلَب على يد[b] شَيْخ الفُتْيا أَسَد بن الفُرات . ١٥

ونَزَلَ الرُّومُ تِنِّيس في سنة إحدى ومائة ، في إمارَة بِشْر بن صَفْوان الكَلْبي على مصر من قِبَل يَزيد بن عبد الملك ، فاسْتُشْهِدَ جَماعَةٌ من المسلمين .

وقد ذُكِرَ في أخْبار الإسْكَنْدَريَّة ودِمْياط وتِنِّيس والفَرَمَا ، من هذا الكِتاب ، جملةٌ من نَزَلات الرُّوم والفِرِنْج عليها ، وما كان في زَمَن الإنْشاء ، فانْظُرْه تجده إن شاءَ الله [2] .

وقد ذَكَرَ شَيْخُنا الأُسْتاذ قاضي القُضَاة وَلِيُّ الدِّين أبو زَيْد عبد الرَّحْمَن بن محمد بن خَلْدُون ، الحَضْرَمي الإشْبيلي ، تَعْليلَ امْتِناع المسلمين من رُكوب البَحْر للغَزْو في أوَّل الأمْر فقال : ٢٠

---

a) بولاق : خليفة . b) ساقطة من بولاق . c) ساقطة من بولاق .

---

[1] عن واقِعَة ذات الصَّواري ، انظر فيما تقدم ٤٥٦:١–٤٥٨.

[2] فيما تقدم ٤٥٦:١–٤٥٨، ٤٨٩–٤٩٠، ٥٧٦–٥٧٧، ٥٨٢–٥٨٣، ٥٨٥–٦٠٣.

« والسَّبَبُ في ذلك أنَّ العَرَبَ لبَداوَتِهم لم يكونوا أوَّلَ الأَمْر مَهَرةً في ثَقافَته ورُكوبه . والرُّوم والفِرِنْجَةَ لممارستهم أحْواله ، ومَرْباهم في التقلُّب على أعْوادِه ـ مَرِنُوا عليه وأحْكَمُوا الدُّرْبَة[a] بثقافته .

فلمَّا استقرَّ المُلْكُ للعَرَب ، وشَمَخَ سُلْطانُهم ، وصارَت أُمَمُ العَجَم خَوَلًا لهم وتحت أيْديهم ، ٥ وتَقَرَّب كلُّ ذي صَنْعَةٍ إليهم بمبلغ صِناعَته ، واسْتَخْدَمُوا من النَّوَاتِيَّة في حاجاتهم البَحْرية أُمَمًا ، وتكرَّرت مُمارَسَتُهم للبَحْر وثَقَافَته ، اسْتَحْدَثُوا بُصَرَاء بها . فتاقَت أنفسُهُم[b] إلى الجِهاد فيه ، وأنشأوا السُّفُنَ والشَّواني ، وشَحَنُوا الأساطيل بالرجال والسِّلاح ، وأَمْطوها العَساكِرَ والمقاتلة لمن وَرَاء البَحْر من أُمَم الكُفْر ، واخْتَصُّوا بذلك من مَمالكهم وثُغورهم ما كان أقْرَبُ إلى هذا البَحْر وعلى ضَفَّتِه ، مثل الشَّام وإفْريقيَّة والمَغرِب والأَنْدَلُس »[c] [1].

١٠ وأوَّل ما أُنْشِئ الأُسْطُول بمصر في خِلافَة أمير المؤمنين المتوَكِّل على الله أبي الفَضْل جَعْفَر بن المُعْتَصِم ، عندما نَزَلَ الرُّومُ دِمْياط في يَوْم عَرَفَة سنة ثمانٍ وثلاثين ومائتين ـ وأميرُ مصر يومئذٍ عَنْبَسة بن إسْحاق ـ / ٩١:٢ فمَلَكوها ، وقَتَلوا بها جَمْعًا كثيرًا من المسلمين ، وسَبَوا النِّساء والأَطْفَال ، ومَضَوا إلى تِنِّيس فأقاموا بأُشْتومِها [2] . فوَقَعَ الاهْتِمامُ من ذلك الوَقْت بأَمْر الأُسْطول ، وصارَ من أهم ما يُعْمَل بمصر ، وأُنْشِئَت الشَّواني برسْمِ الأسطول ، وجُعلت الأرزاقُ لغُزاة البَحْر كما هي لغُزاة البَرّ ، وانْتَدَبَ الأُمَراءُ له الرُّماة [3] .

١٥ فاجْتَهَدَ النَّاسُ بمصر في تَعْليم أوْلادِهم الرِّمايَة وجَميع أنْواع المحارَبَة ، وانْتُخِبَ له القُوَّادُ العارفون بمُحارَبَة العَدُوّ . وكان لا ينزل في رِجال الأُسْطول غَشِيمٌ ولا جاهِلٌ بأُمور الحَرْب . هذا وللنَّاس إذ ذاك رَغْبَةٌ في جِهَادِ أَعْداء الله وإقامَة دينه ، لا جَرَم أنَّه كان لخُدَّام الأُسْطُول حُرْمَةٌ ومكانَة ، ولكلِّ أحدٍ من النَّاس رَغْبَةٌ في أنَّه يُعَدّ من جملتهم ، فيسعى بالوَسائِل حتى يَسْتَقِرّ فيه .

٢٠ وكان من غَزْو الأُسْطول بِلاد العَدُوّ ما قد شُحِنَت به كُتُبُ التَّواريخ . فكانت الحَرْبُ بين المسلمين والرُّوم سِجَالًا : يَنالُ المسلمون من العَدُوّ ويَنالُ العَدُوُّ منهم ، ويَأْسِر بعضُهم بَعْضًا لكَثْرة

---

a) مقدمة ابن خلدون : الدراية . b) مقدمة ابن خلدون : فشرهوا . c) هنا على هامش آياصوفيا : بياض اثنا عشر سطرًا .

---

[1] ابن خلدون : المقدمة ٦٩٠.

[2] انظر فيما تقدم ١ : ٥٢٨ وما ذكر من مراجع.

[3] Fu'ad Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte* pp. 77-79, 535-37.

هُجُوم أساطيل الإسْلام بِلاد العَدُوّ ، فإنّها كانت تَسيرُ من مصر ومن الشّام ومن إفريقيّة . فلذلك احْتَاجَ خُلَفَاءُ الإسْلام إلى الفِدَاء .

وكان[1] أوّلُ فِدَاءٍ وَقَعَ بمالٍ في الإسْلام أيّام بني العَبّاس ، ولم يَقَع في أيّام بني أُمَيّة فِداءٌ مشهورٌ ، وإنّما كان يُفادَى بالنَّفَر بعد النَّفَر في سَواحِل الشّام ومصر والإسْكَنْدَرِية وبلاد مَلَطِيّة وبقيّة الثُّغُور الجَزَريّة ، إلى أن كانت خِلافَةُ أمير المؤمنين هارُونِ الرَّشيد . ٥

الفِـداءُ الأوّل ـ باللّامِس من سَواحِل البَحْر الرُّومي ، قَريبًا من طَرَسُوس ، في سنة تسعٍ وثمانين ومائة ، ومَلِكُ الرُّوم يومئذٍ نِقْفور بن اشبراق [Nicephorus] . وكان ذلك على يَد القاسِم بن الرَّشيد ، وهو مُعْسكِر بمَرْج دابِق من بِلاد قِنَّسْرين في أعْمال حَلَب ، ففودي بكلِّ أَسيرٍ كان ببلاد الرُّوم من ذَكَرٍ أو أُنْثَى .

وحَضَرَ هذا الفِداء من أهْل الثُّغور وغيرهم من أهْل الأمْصَار ، نحو من خمس مائة ألف إنْسان ، بأحْسَن ما يكون من العُدَد والخَيْل والسّلاح والقُوّة ، قد أَخَذُوا السَّهْلَ والجَبَلَ ، وضاقَ بهم الفَضَاءُ ، وحَضَرَت مَراكِبُ الرُّوم الحربية ، بأحْسَن ما يكون من الزِّيّ ، معهم أسارَى المسلمين . فكان عِدَّةُ من فُودِيَ به من المسلمين ، في اثني عشر يومًا ، ثلاثة آلاف وسبع مائة أسير . وأقامَ ابنُ الرَّشيد باللامِسْ أربعين يومًا قبل الأيّام التي وَقَعَ فيها الفِداءُ وبعدها . ١٠

وقال مَرْوان بن أبي حَفْصَة[2] في هذا الفِدَاء يُخاطِب الرَّشيد من أبياتٍ : [الطويل] ١٥

وفُكَّت بِكَ الأَسْرَى الَّتي شُيِّدَتْ بها	مَحابِسُ ما فيها حَميمٌ يَزورُها
على حِين أَعْيَا المسلمين فِكاكُها	وقالوا سُجُونُ المُشْركِينَ قُبُورُها[3]

الفِـدَاءُ الثاني ـ كان في خِلافَة الرَّشيد أيضًا باللامِس في سنة اثنتين وتسعين ومائة ، ومَلِكُ الرُّوم نِقْفُور [Nicephorus] ، وكان القائِمَ به ثابتُ بن نَصْر بن مالِك الخُزاعي أمير الثُّغور الشامية ،

---

[1] هذا الفصل نقله المقريزي من «التنبيه والإشراف» للمسعودي وتجده فيه بين الصفحات من ١٨٩- ١٩٥.

[2] أبو السِّمْط ويقال أبو الهَيْذام مَرْوان بن سليمان بن يحيى بن أبي حَفْصَة الشّاعر الأموي ، المتوفى سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م ، مَدَح الخلفاء والأمراء وذاع شعره ، وكان بخيلًا مُقْتِرًا على نفسه . (راجع ، ابن المعتز : طبقات الشعراء ٤٢- ٥٣؛ أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ١٠:٧١- ٩٥؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥:١٨٩- ١٩٣؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٨:٤٢٢- ٤٢٣؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٥:٤٤٧- ٤٥١؛ ونَشَر ديوان شعره حسين عطوان ، القاهرة - دار المعارف ١٩٧٣).

[3] المسعودي : التنبيه والإشراف ١٨٩- ١٩٠ (وسمّاه فِداء أبي سُلَيْم) .

وحَضَرَه أُلوفٌ من النَّاس . وكانت عِدَّةُ من فُودِيَ به من المسلمين في سبعة أيام ألفين وخمس مائة من ذَكَر وأُنْثَى [١].

الفِـدَاءُ الثالث ـ وَقَعَ في خِلافَة الوَاثِق ، باللامِسْ في المحرَّم سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، ومَلِكُ الرُّوم ميخائيل بن ثيوفيل . وكان القائِمُ به خاقان [الخادم] التُّركي . وعِدَّةُ من فُودِيَ به من المسلمين في عشرة أيام أربعة آلاف وثلاث مائة واثنان وستون من ذَكَرٍ وأُنْثَى .

وحَضَرَ مع خاقان أبو رَمْلَة ، من قِبَل قاضي القُضَاة أحمد بن أبي دُؤاد ، يَمْتَحِن الأَسْرَى وَقْت المفاداة ، فمن قال منهم بخَلْق القُرْآن فُودِيَ به وأُحْسِنَ إليه ، ومن أَبَى تُرِكَ بأرْض الرُّوم . فاختارَ جَماعَةٌ من الأَسْرَى الرُّجوع إلى أرْض النَّصْرانية على القَوْل بذلك .

وخَرَجَ من الأَسْرَى مُسْلِمُ بن أبي مُسْلِم الجَرْمي [٢] ـ وكان له مَحَلٌّ في الثُّغور ـ وكُتُبٌ مُصَنَّفَةٌ في « أخْبَار الرُّوم ومُلوكِهم وبِلادِهم » ، فنالَتْه مِحَنٌ على القَوْل بخَلْق القُرْآن ثم تَخَلَّص [٣].

الفِـدَاءُ الرابع ـ في خِلافَة المُتَوَكِّل على الله ، باللامِس أيضًا في شوَّال سنة إحدى وأربعين ومائتين ، والملك ميخائيل ، وكان القائِم به شُنَيْفٌ خادِمِ المُتَوَكِّل ، وحَضَرَ معه جَعْفَر بن عبد الواحِد الهاشِمي القاضي ، وعليّ بن يحيى الأرْمَنيّ أمير الثُّغور الشَّامِيَّة . وكانت عِدَّةُ من فُودِيَ به من المسلمين في سبعة أيَّامٍ ألفيْ رَجُل ومائة امْرَأة ، وكان مع الرُّوم من النَّصَارى المأسُورين من أرْض الإسْلام مائة رَجُل ونَيِّف ، فعَوَّضوا مكانَهم عِدَّة أَعْلاج ، إذ كان الفِدَاءُ لا يَقَع على نَصْرانيّ ولا يَنْعَقِد [٤].

الفِـدَاءُ الخامس ـ في خِلافَة المُتَوَكِّل ومَلك الروم ميخائيل أيضًا ، باللامِس مستهلّ صَفَر سنة ستّ وأربعين ومائتين . وكان القائِمُ به عليّ بن يحيى الأرمني أمير الثُّغور ، ومعه نَصْرُ بن الأَزْهَر [الطائي] الشِّيعي ـ من شِيعَة بني العَبَّاس ـ المُرْسَل إلى الملك في أمْر الفِداء من قِبَل المُتَوَكِّل . وكانت عِدَّةُ من فُودِيَ به من المسلمين في سبعة أيَّامٍ ألفين وثلاث مائة وسبعة وستين من ذَكَرٍ وأُنْثَى [٥].

---

[١] المسعودي : التنبيه والإشراف ١٩٠ (وسمَّاه فِداء ثابت) .

[٢] مُسْلِمُ بن عبد الرحمن الجَرْمي ، أحَدُ أبْطال الإسلام في الفروسية . يُضْرَب به المَثَل في ذلك ، قَتَل من الرُّوم مائة ألف ! توفي في حدود الثلاثين والمائتين . (الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٥:٥٧٩) .

[٣] المسعودي : التنبيه والإشراف ١٩٠- ١٩١. (وسَمَّاه فِداء خاقان) .

[٤] نفسه ١٩١ (وسَمَّاه فِداء شُنَيْف) .

[٥] نفسه ١٩١-١٩٢ (وسَمَّاه فِداء نَصْر بن الأَزْهر وعلي ابن يحيى) .

الفِـــدَاءُ السادس ـ كان في أيَّام المُعتَز ، والملك على الرُّوم بَسيل ، على يد شَفيع الخادم في سنة ثلاث وخمسين ومائتين [١].

الفِـــدَاءُ السَّابع ـ في خِلافَة المُعْتَضِد ، باللامِسْ في شوَّال سنة ثلاثٍ وثمانين / ومائتين ، وملك الروم ألْيونُ بن بَسيل ، وكان القائِمُ به أحمد بن طُغان ، أمير الثُّغور الشَّامية وأنطاكية من قِبَل الأمير أبي الجَيْش خُمارَوَيْه بن أحمد بن طُولون . ٥

وكانت الهُدْنَةُ لهذا الفِداء وَقَعَت في سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، فقُتِل أبو الجَيْش بدِمَشْق في ذي القعدة من هذه السنة ، وتَمَّ الفِداءُ في إمارَة وَلَده جَيْش بن خُمَارَوَيْه . وكان عِدَّةُ من فُودِيَ به من المسلمين في عشرة أيَّامٍ ألفين وأربع مائة وخمسة وتسعين من ذَكَرٍ وأُنْثَى ، وقيل ثلاثة آلاف [٢].

الفِـدَاءُ الثَّامِن ـ في خِلافَة المُكْتَفي ، باللامِسْ في ذي القعدة سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، ومَلك الرُّوم ألْيونُ أيضًا ، وكان القائِمُ به رَسْتُم بن شردو أمير الثُّغور الشَّامِيَّة . وكانت عِدَّةُ من ١٠ فُودِيَ به من المسلمين في أربعة أيَّامٍ ألفا ومائة وخمسة وخمسين من ذَكَرٍ وأُنْثَى . وعُرِفَ بفِداء الغَدْر ، وذلك أنَّ الرُّومَ غَدَروا وانْصَرَفُوا ببقيَّة الأسارَى [٣].

الفِـدَاءُ التَّاسِع ـ في خِلافَة المُكْتَفي ، ومَلِكُ الرُّوم ألْيونُ ، باللامِس أيضًا في شوَّال سنة خمسٍ وتسعين ومائتين ، والقائِمُ به رُسْتُم . وكانت عِدَّةُ من فُودِيَ به من المسلمين ألفين وثمان مائة واثنين وأربعين من ذَكَرٍ وأُنْثَى [٤]. ١٥

الفِـدَاءُ العاشِر ـ في خِلافَة المُقْتَدِر ، باللامِس في شهر رَبيع الآخر سنة خمسٍ وثلاث مائة ، ومَلِكُ الرُّوم قُسْطَنْطين بن ألْيونُ بن بَسيل ، وهو صَغيرٌ في حِجْر أرْمانوس . وكان القائِمُ بهذا الفِداء مُؤْنِس الخادِم ، وبَشير الخادِم الأفْشيني أمير الثُّغور الشَّامية وأنْطاكيَّة ، والمتوَسِّط له والمعاوِن عليه أبو عُمَيْر عَدِيّ بن أحمد بن عبد الباقي التَّميمي الأَذَني ؛ من أهْل أَذَنَة ، وعِدَّة من فُودِيَ به من المسلمين في ثمانية أيام ثلاثة آلاف وثلاث مائة وستة وثلاثون من ذَكَر وأُنْثَى [٥]. ٢٠

---

[١] المسعودي : التنبيه والإشراف ١٩٢.

[٢] نفسه ١٩٢ (وسَمَّاه فِداء ابن طُغان) .

[٣] نفسه ١٩٢ (وسَمَّاه فِداء رُسْتُم ويُعْرَف بفِداء الغَدْر) .

[٤] نفسه ١٩٢-١٩٣ (وسَمَّاه فِداء رستم أيضًا ، ويُعْرَف بفِداء التَّمام) .

[٥] نفسه ١٩٣ (وسَمَّاه فِداء مُؤْنِس) .

الفِـدَاء الحادي عشر ـ في خِلافَة المُقْتَدِر، ومُلْك أرْمانوس وقُسْطَنْطِين على الرُّوم. وكان باللامِسْ في شهر رَجَب سنة ثلاث عشرة وثلاث مائة، والقائِمُ به مُفْلِح الخادِم الأسود المُقْتَدري، وبَشير خَليفَة شَمْل الخادِم على الثُّغور الشَّامية. وعِدَّة من فُودِيَ به من المسلمين في تسعة عشر يومًا ثلاثة آلاف وتسع مائة وثلاثة وثلاثون من ذَكَرٍ وأُنْثَى[1].

٥ الفِـداءُ الثاني عشر ـ في خِلافَة الرَّاضي، باللامِس، في سَلْخ ذي القعدة وأيَّام من ذي الحِجَّة سنة ستٍّ وعشرين وثلاث مائة، والمَلِكان على الرُّوم قُسْطَنْطِين وأرْمانوس. والقائِمُ به ابن وَرْقاء الشَّيْباني من قِبَل الوَزير أبي الفَتْح الفَضْل بن جَعْفر بن الفُرات، وبَشير الشَّمْلي أمير الثُّغور الشَّامِيَّة.

وعِدَّةُ من فُودِيَ به من المسلمين في ستة عشر يومًا ستة آلاف وثلاث مائة ونيف من ذَكَرٍ ١٠ وأُنْثَى. وبقي في أيْدي الرُّوم من المسلمين الأسْرى ثمان مائة رَجُل رُدُّوا، ففُودِيَ بهم في عِدَّةٍ مِرارًا، وزِيدوا في الهُدْنَة بعد انْقِضَاء الفِداء مُدَّة ستة أشهر، لأَجْل من تَخَلَّف في أيد الرُّوم من المسلمين، حتى جُمِعَ الأسارى منهم[2].

الفِـدَاءُ الثَّالِث عشر ـ في خِلافَة المُطيع، باللامِس في شهر ربيع الأوَّل سنة خمس وثلاثين وثلاث مائة. والمَلِك على الرُّوم قُسْطَنْطِين. والقائِم به نَصْر الشَّمْلي من قِبَل سَيْف الدَّوْلَة أبي الحَسَن عليّ ابن ١٥ حَمْدان، صاحِب جُنْد حِمْص وجُنْد قِنَّسْرين ودِيار بَكْر ودِيار مصر والثُّغور الشَّامِيَّة والجَزَرِيَّة.

وكانت عِدَّةُ من فُودِيَ به من المسلمين ألفين وأربع مائة واثنين وثمانين من ذَكَرٍ وأُنْثَى، وفَضَلَ للرُّوم على المسلمين قَرْضًا مائتان وثلاثون لكثرة من كان في أيْديهم. فوَفَّاهُم سَيْفُ الدَّوْلَة ذلك، وحَمَلَه إليهم.

وكان الذي شَرَعَ في هذا الفِداء الأميرُ أبو بكر محمد بن طُغْج الإخْشيد، أميرُ مصر والشَّام ٢٠ والثُّغور الشَّامِيَّة. وكان أبو عُمَيْر عَدِيّ بن أحمد بن عبد الباقي الأَذَني شَيْخ الثُّغور قَدِمَ إليه ـ وهو بدِمَشْق ـ في ذي الحِجَّة سنة أربعٍ وثلاثين وثلاث مائة ـ ومعه [يوانس الأنسيبطوس البطريقوس المسدقوس المُتَرَهِّب] رَسُولُ ملك الرُّوم في إتْمام هذا الفِدَاء، والإخْشيد شَديد العِلَّة، فتوفِّي يوم الجمعة لثمانٍ خَلَوْن من ذي الحِجَّة منها.

---

[1] المسعودي: التنبيه والإشراف ١٩٣، (وسَمَّاه فِداء مُفْلِح).

[2] نفسه ١٩٣-١٩٤، (وسَمَّاه فِداء ابن وَرْقاء).

وسار أبو المِسْك كافور الإخشيدي بالجيش راجِعًا إلى مصر، وحَمَلَ معه أبا عُمَيْر ورسول ملك الرُّوم إلى فَلَسْطِين، فدَفَع إليهما ثلاثين ألف دينار من مال الفِداء، فسارا إلى مَدينَة صُور، وركبا البحر إلى طَرَسُوس. فلمَّا وَصَلا كاتب نَصْر الثَّمْلي - أمير الثُّغور - سَيْف الدَّوْلَة بن حَمْدان، ودَعا له على مَنابر الثُّغور، فجَدَّ في إتمام هذا الفِداء، فنُسِبَ إليه [1].

٥ ووَقَعَت أَفْدِيَةٌ أخرى ليس لها شُهْرَة [2].

فمِنها فِدَاءٌ في خِلافَة المَهْدي محمد، على يد النَّقَّاش الأنطاكي.

وفِداءٌ في أيَّام الرَّشيد، في شوَّال سنة إحدى وثمانين ومائة، على يد عِياض بن سِنان أمير الثُّغور الشَّامية.

وفِداءٌ في أيَّام الأَمين، على يَد ثابِت بن نَصْر، في ذي القعدة سنة أربعٍ وتسعين ومائة.

١٠ وفِداءٌ في أيَّام الأَمين، على يَد ثابِت بنِ نَصْر أيضًا، في ذي القعدة سنة إحدى ومائتين.

وفِداءٌ في أيَّام المُتَوكِّل سنة سبعٍ وأربعين ومائتين، على يَد محمد بن عليّ.

وفِداءٌ في أيَّام المُعْتَمِد، على يد شَفيع [ومحمد بن علي]، في شهر رَمَضان سنة ثمانٍ وخمسين ومائتين [3].

وفِداءٌ كان في الإسْكَنْدَرية، في شهر رَبيع الأوَّل سنة اثنتين وأربعين وثلاث مائة، خَرَجَ فيه أبو ١٥ بكر محمد بن علي المَاذَرائي من مصر، ومعه الشَّريف أبو القاسم[a] الرَّسِّي[b]، والقاضي أبو حَفْص عُمَر بن الحسين العَبَّاسي وحَمْزَة بن محمد الكِناني[c]، في جَمْعٍ كبير. وكانت عِدَّةُ / من فُودِيَ به من المسلمين ستين نفسًا بين ذَكَرٍ وأُنْثَى.

فلمَّا سارَ الرُّوم إلى البلاد الشَّامِيَّة بعد سنة خمسين وثلاث مائة، اشْتَدَّ أَمْرُهُم بأَخْذهم البِلاد. وقَوِيَتِ العِنايةُ بالأُسْطُول في مصر منذ قَدِمَ المُعِزُّ لدين الله، وأنْشَأَ المراكِبَ الحَرْبِيَّة، واقْتَدَى به ٢٠ بَنُوه - وكان لهم اهْتِمامٌ بأُمور الجِهَاد [4]، واعْتِناءٍ بالأُسْطول - وواصَلُوا إنْشَاءَ المراكِب بمَدينَة مصر

---

a) بياض في آياصوفيا. b) بولاق: الرئيس. c) بولاق: الكتاني.

---

[1] المسعودي: التنبيه والإشراف ١٩٤-١٩٥، (وسَمَّاه فداء ابن حَمْدان).

[2] نص المسعودي: «وهذا آخر فِداءٍ كان بين المسلمين والرُّوم إلى وَقْتنا المؤرَّخ به كتابُنا، وقد ذُكِرت أَفْدِيةٌ غير هذه لم نجد لها حقيقة، لا اشتهر أمْرُها ولا استفاض خبرُها، منها ....». (التنبيه ١٩٥).

[3] نفسه ١٩٥.

[4] مصدر المعلومات التالية هو ابن الطوير في كتابه =

والإسْكَنْدَرية ودِمْياط ، من الشَّواني الحَرْبية والشَّلَنْديّات والمُسَطَّحات وتَسْييرها إلى بلاد السَّاحل مثل صُور وعَكًّا وعَسْقَلان .

وكانت جَريدَةُ قُوَّاد الأُسْطول في آخِر أمْرِهم تَزيدُ على خمسة آلاف مُدَوَّنة ، منهم عشرة أعْيان يُقالُ لهم « القُوَّاد » ـ واحدهم قائِد ـ وتَصِلُ جامَكِيَّةُ كلِّ واحِدٍ منم إلى عشرين دينارًا ، ثم إلى خمسة عشر دينارًا ، ثم إلى عشرة دَنانير ، ثم إلى ثمانية ، ثم إلى دينارين وهي أقلُّها . ولهم إقْطاعاتٌ تعرف بـ « أبْواب الغُزاة » بما فيها من النَّطْرون ، فيَصِل دينارُهم بالمناسبة إلى نِصْف دينار .

وكان يُعَيَّنُ من القُوَّاد العشرة واحِدٌ ، فيصير رَئيس الأُسْطول ، ويكون معه المُقَدَّم والفانوس[a]. فإذا سارُوا إلى الغَزْو كان هو الذي يُقْلِع بهم ، وبه يَقْتَدي الجَميعُ ، فيرسون بإرْسائِه ، ويقلعون بإقْلاعِه .

ولابد أن يُقَدَّم على الأُسْطول أميرٌ كبيرٌ من أعْيان أُمَرَاء الدَّوْلَة وأقْواهم نَفْسًا ، ويتولَّى النَّفَقَة في غُزاة الأُسْطول الخَليفَةُ بنفسه بحُضُور الوَزير . فإذا أرادَ النَّفَقَة فيما تَعينَّ من عِدَّة المراكِب السَّائِرة ـ وكانت في أيَّام المُعِزّ لدين الله تَزيد على ست مائة قِطْعَة ـ وآخِر ما صارَت إليه في آخر الدَّوْلَة نحو الثمانين شينيًّا[b]، وعشر مُسَطَّحات ، وعشر حَمَّالة فما تَقْصُر عن مائة قطعة ـ فيتقدَّم إلى النُّقَباءُ بإحْضَار الرِّجال ـ وفيهم من كان يَتَعيَّش بمصر والقاهِرَة ، وفيهم من هو خارِجٌ عنهما ـ فيَجْتَمِعون .

وكانت لهم المُشاهَرَة والجِرايات في مُدَّة أيَّام سَفَرهم ، وهم معروفون عند عشرين عَريفًا يُقال لهم « النُّقَبَـاء » ـ واحِدُهم نَقيبُ ـ ولا يُكْرَه أحَدٌ على السَّفَر . فإذا اجْتَمَعُوا أَعْلَمَ النُّقَباءُ المُقَدَّم ، فأَعْلَم بذلك الوَزير ، فطالَع الوَزيرُ الخَليفَة بالحال ، فقرَّر يَوْمًا للنَّفَقَة ، فحَضَرَ الوَزيرُ بالاسْتِدْعاء من ديوان الإنْشاء على العادَة . فيجلس الخَليفَةُ على هَيْئَته في مَجْلِسه ، ويَجْلِس الوَزيرُ في مَكانِه ، ويحضر صَاحِبَا ديوان الجَيْش وهما : المُسْتَوْفي والكاتِب ، والمُسْتَوْفي هو أمْيَزُهما ، فيجلس من داخِل عَتَبَة المجْلِس ، وهذه رُتْبَةٌ له يَتَميَّزُ بها ، ويَجْلِس بجانبه مِنْ وَرَاء العَتَبَة

a) بولاق : الفاوش . b) بولاق : شونه .

= «نزهة المقلتين في أخبار الدولتين» ٩٥- ١٠٠، وانظر فيما تقدم ٢: ٥٧١- ٥٧٣.

كاتِبُ الجَيْش في قاعَة الدَّار على حُصُر مفروشة. وشَرْطُ هذا المُسْتَوْفي أن يكون عَدْلًا، ومن أعْيان الكُتَّاب - ويُسَمَّى اليوم في زَمَننا ناظِرُ الجَيْش - وأمَّا كاتِبُ الجَيْش فإنَّه كان في غالِب الأمْر يَهوديًّا. ويُفْرَشُ أمام المجْلس الذي فيه الخَليفَةُ والوَزير أنْطاعٌ تُصَبُّ عليها الدَّراهِمُ، ويحضر الوَزَّانون بِبَيْت المال لذلك.

٥ فإذا تهيَّأ الإنْفاقُ أُدْخِلَ الغُزاةُ مائة مائة، فيقفون في أُخْريات من هو واقِف في الخِدْمَة من جانبِ واحِدٍ نقابةٌ نِقابَةٌ، وتكون أسْماؤهم قد رُتِّبَت في أوْراقٍ لاستدعائهم بين يدي الخَليفَة. فيستدعي مُسْتَوْفي الجَيْش من تلك الأوْراق المُنْفَق عليهم واحِدًا واحِدًا، فإذا خَرَجَ اسمُه عَبَر من الجانِب الذي هم فيه إلى الجانِب الآخَر، فإذا تكمَّلَت عشرة وَزَن الوَزَّانُ[a] لهم النَّفَقَة. وكانت مُقَرَّرَةً لكلِّ واحِدٍ خمسة دنانير، صَرْف ستة وثلاثين دِرْهمًا بدينار، فيُسَلِّمُها لهم النَّقيبُ، وتُكْتَب باسْمِه وبيده. وتمضي النَّفَقَةُ هكذا إلى آخِرِها. ١٠

فإذا تَمَّ ذلك رَكِبَ الوَزيرُ من بين يدي الخَليفَة، وانفضَّ ذلك الجَمْعُ. فيحمل إلى الوَزير من القَصْر مائِدَةٌ يُقالُ لها «غَداء الوَزير»، وهي سبع مَخْفِيَّات[b] أوْساط: إحْداهما بلَحْم الدَّجاج وفُسْتُق معمولة بصِناعَة مُحْكَمَة، والبَقِيَّة شِواء، وهي مَكْمورَة بالأزْهار. فتكون النَّفَقَة على ذلك مُدَّة أيَّام، متوالية مَرَّةً ومتفرِّقة مرَّةً.

١٥ فإذا تكامَلَتِ النَّفَقَةُ، وتَجَهَّزَتِ المراكِبُ وتهيَّأت للسَّفَر، رَكِبَ الخَليفَةُ والوَزيرُ إلى سَاحِل النِّيل بالمَقْس خارِج القاهِرَة[1] - وكان هناك على شاطئ النِّيل بالجامع مَنْظَرَةٌ يجلس فيها الخَليفَة برَسْم وَداع الأُسْطول ولِقائِه إذا عاد. فإذا جَلَسَ للوَداع، جاءَت القُوَّادُ بالمراكِب من مصر إلى هناك للحَرَكات في البَحْر بين يَدَيْه وهي مُزَيَّنَة بأسْلِحَتها ولُبودِها وما فيها من المَنْجَنيقات، فيرمى بها وتَنْحَدِر المراكِب وتُقْلِع، وتَفْعَلُ سائِرُ ما تفعله عند لِقاء العَدُوّ.

٢٠ ثم يَحْضَر «المُقَدَّمُ» و«الرَّئيسُ» إلى بين يدي الخَليفَة فيُوصيهما[c]، ويَدْعُو للجَماعَة بالنُّصْرَة والسَّلامَة، ويُعْطي للمُقَدَّم مائة دينار وللرَّئيس عشرين دينارًا، ويَنْحَدِر الأُسْطولُ إلى دِمْياط،

---

a) بولاق: الوزانون. b) النسخ وبولاق: مجنفات، والمثبت من المسودة. c) بولاق: فيودعهما.

---

[1] ابن الطوير: نزهة المقلتين ٩٥- ١٩٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٥١٩:٣- ٥٢٠؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٢٩٤- ٢٩٧؛ وفيما تقدم ٥٧١:٢- ٥٧٣.

ومن هناك يَخْرُجُ إلى بَحْر المِلْح ، فيكون له ببلاد العَدُوِّ صِيتٌ عَظيمٌ ومَهابَةٌ قويَّةٌ .

والعادَةُ أنَّه إذا غَنِمَ الأُسْطولُ ما عَسَى أن يَغْنَم ، لا يَتَعَرَّضُ السُّلْطانُ منه إلى شيءٍ ألبتَّة إلَّا ما كان من الأَسْرَى والسِّلاح فإنَّه للسُّلْطان ، وما عَداهما من المال والثِّياب ونحوهما فإنَّه لغُزاة الأُسْطول لا يُشارِكُهم فيه أحَدٌ [1] . فإذا قَدِمَ الأُسْطولُ خَرَج الخَليفَةُ أيضًا إلى مَنْظَرَة المَقْس وجَلَسَ فيها للقِائه .

وقَدِمَ الأُسْطولُ مَرَّة بألف وخمس مائة أَسير . وكانت العادَةُ أنَّ الأَسْرَى يُنْزَل بهم في المُناخ ، وتُضاف الرجال إلى من فيه من الأسْرى ، ويُمْضَى بالنِّساء والأطفال إلى القَصْر بعدما يُعْطي منهم الوَزير طائِفَة . ويُفَرِّق / ما بقي من النِّساء على الجِهات والأَقارِب فيستخدمونهن ، ويربُّونهن حتى يُتْقِنَّ الصَّنائع . ويُدْفَع الصِّغار من الأسْرى إلى الأُسْتاذِين فيربُّونهم ويتعلَّمون الكِتابَة والرِّماية ، ويقالُ لهم « التَّرابي » ، وفيهم من صارَ أميرًا من صِبْيان خاصِّ الخَليفَة .

ومن الأَسْرَىٰ مَنْ كان يُسْتَرابُ به فيُقْتَل . ومن كان منهم شَيْخًا لا يُنْتَفَعُ به ضُرِبَت عُنُقُه ، وأُلْقي في بِئْر كانت في خَرائِب مصر تُعْرَف ببئر المَنامَة .

ولم يُعْرَف قَطُّ عن الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة أنَّها فادَت أسيرًا من الفِرنْج بمالٍ ولا بأسيرٍ مثله . وكان المُنْفَقُ في الأُسْطول كلَّ سنة خارجًا عن العُدَد والآلات [a] [2] .

ولم يَزِلِ الأُسْطولُ على ذلك إلى أن كانت وَزارَة شاوَر ، ونَزَل مُرِّي [Amaury] ملك الفِرنْج على بِرْكَة الحَبَش ، فأَمَرَ شاوَر بتَحْريق مصر وتَحْريق مَراكِب الأُسْطُول ، فحُرِقَت ونَهَبَها العَبيدُ فيها نَهَبُوا [3] .

فلمَّا كان زَوالُ الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة على يد السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب ، اعْتَنَى أيضًا بأَمْر الأُسْطول ، وأَفْرَد له دِيوانًا عُرِفَ بـ « ديوان الأُسْطُول » ، وعَيَّنَ لهذا الدِّيوان الفَيُّوم بأعْمالِها ، والحَبْس الجُيوشي في البَرَّيْن الشرقي والغربي . وهو من البَرِّ الشَّرقي بَهْتِيت [b] والأَميرية والمُنْيَة ، ومن البَرِّ الغربي ناحية سَفْط ونَهْيا ووُسيم والبَساتين خارج القاهِرَة .

---

a) بياض بآياصوفيا . b) بولاق : بهتين .

---

[1] ابن الطوير : نزهة المقلتين ٩٨- ١٠٠، المقريزي : مسودة المواعظ ٢٩٧- ٢٩٩، وفيما تقدم ٢:٥٦٣- ٥٦٤.

[2] انظر فيما تقدم ٢:٥٦٤- ٥٦٥.

[3] فيما تقدم ٢:١٤٢- ١٤٦.

وعَيَّنَ له أيضًا الحَرَاج [a]، وهو أشْجارٌ من سَنْط لا تُحْصَى كثرةً، في البَهْنساوية وسَفْط رِيشِين والأُشْمُونَيْنِ والأسْيوطية والإخْميمية والقُوصِيَّة ... لم تَزَل بهذه النَّواحي لا يُقْطَع منها إلَّا ما تَدْعُو الحاجَةُ إليه، وكان فيها ما تبلغ قيمةُ العود الواحد منه مائة دينار ـ وقد ذُكِرَ خبرُ هذا الحَرَاج [c] في ذِكْر أقْسَام مال مصر من هذا الكتاب [1] ـ وعَيَّنَ له أيضًا النَّطْرون، وكان قد بَلَغ ضَمَانُه ثمانية آلاف دينار. ٥

ثم أُفْرِد لديوان الأُسْطول، مع ما ذُكِر، الزَّكاةُ التي كانت تُجْبَى بمصر، وبَلَغَت في سنةٍ زيادةً على خمسين ألف دينار، وأَفْرَدَ له المراكِب الدِّيوانية وناحِية أُشْناي وطَنْبَدَى. وسَلَّم هذا الدِّيوان لأخيه الملك العادِل أبي بَكْر محمد بن أيُّوب، فأقامَ في مُباشَرَته وعِمالَته صَفِيّ الدِّين عبد الله ابن عليّ بن شُكْر. وتقرَّر دِيوانُ الأُسْطول الذي ينفق في رجاله نصف ورُبْع دينار، بعد ما كان نِصْف وثُمْن دينار [2]. ١٠

فلمَّا ماتَ السُّلْطانُ صلاحُ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب، اسْتَمَرَّ الحالُ في الأُسْطول قَليلًا، ثم قَلَّ الاهتمامُ به، وصارَ لا يُفَكَّر في أمْره إلَّا عند الحاجَة إليه. فإذا دَعَتِ الضَّرورَةُ إلى تَجْهيزه، طُلِبَ له الرِّجال، وقُبِضَ عليهم من الطُّرُقات، وقُيِّدوا في السَّلاسِل نَهارًا، وسُجِنُوا في اللَّيْل حتى لا يَهْرَبُوا، ولا يُصْرَف لهم إلَّا شيءٌ قليلٌ من الخُبْز ونحوه، ورُبَّما أقامُوا الأيَّامَ بغير شيءٍ كما يُفْعَل بالأَسْرَى من العَدُوّ. ١٥

فصارَت خِدْمَةُ الأُسْطول عارًا يُسَبّ به الرِّجال، وإذا قيل لرَجُلٍ في مصر «يا أُسْطولي» غَضِبَ غَضَبًا شَديدًا، بعد ما كان خُدَّامُ الأُسْطول يُقال لهم: «المُجاهِدون في سَبيل الله، والغُزَاةُ في أعْدَاء الله»، ويَتَبَرَّك بدُعائهم النَّاسُ.

ثم لمَّا انْقَرَضَت دَوْلَةُ بني أيُّوب، وتملَّك الأتْراكُ المماليكُ مصر، أهْمَلوا أمْرَ الأُسْطول. إلى أن كانت أيَّامُ السُّلْطان الملك الظَّاهِر رُكْن الدِّين بِيْبَرْس البُنْدُقْداري، فنَظَرَ في أَمْر الشَّواني الحربية، واستدعى برجال الأُسْطول ـ وكان الأُمَرَاءُ قد اسْتَعْمَلوهم في الحَرَاريق وغيرها ـ وندَبَهم للسَّفَر، وأَمَرَ بمَدّ الشَّواني وقَطْع الأخْشاب لعِمارَتها، وإقامَتها على ما كانت عليه في أيَّام ٢٠

a) بولاق: الخراج.

[1] فيما تقدم ١: ٢٨٨، ٢٩٨.

[2] فيما تقدم ١: ٢٩١- ٢٩٣.

الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب، واحْتَرَزَ على الخَرَاج [a]، ومَنَعَ النَّاسَ من التصرُّف في أعْواد العَمَل، وتَقَدَّم بعِمارَة الشَّواني في ثَغْرِي الإسْكَنْدَرية ودِمْياط. وصارَ ينزل بنفسه إلى الصِّناعَة بمصر، ويرتِّب ما يجب ترتيبه في عَمَل الشَّواني ومَصالِحِها، واستدعى بشَواني الثُّغور إلى مصر، فبَلَغَت زيادة على أربعين قِطعة، سوى الحَرَاريق والطَّرائِد فإنَّها كانت عِدَّة كثيرة، وذلك في شَوَّال سنة تسعٍ وستين وست مائة.

ثم سارَت تُريد قُبْرُس، وقد عَمِلَ ابنُ حَسُّون رَئيس الشَّواني في أعْلامها الصُّلْبان [1]، يُريد بذلك أنَّها تَخْفَى إذا عَبَرَت البَحْر على الفِرِنْج حتى تَطْرُقَهم على غَفْلةٍ، فكَرِهَ النَّاسُ منه ذلك. فلمَّا قارَبَت قُبْرُس، تقدَّم ابنُ حَسُّون في اللَّيْل ليهجم الميناء، فصَدَمَ الشُّونَة المُقَدَّمة شِعْبًا فانْكَسَرَت، وتبعتها بقيَّةُ الشَّواني فتكسَّرت الشَّواني كلُّها [2]. وعَلِمَ بذلك مُتَملِّك قُبْرُس [3]، فأَسَرَ كلَّ من فيها، وأحاطَ بما معهم، وكَتَبَ إلى السُّلْطان يُقَرِّعه ويُوَبِّخه، وأنَّ شَوانيه قد تكسَّرت وأَخَذَ ما فيها - وعُدَّتها إحدى عشرة شُونة - وأَسَرَ رجالَها. فحَمِدَ السُّلْطانُ الله تعالى، وقال: «الحَمْدُ لله منذ مَلَّكني الله تعالى، ما خُذِل لي عَسْكَرولا ذَلَّت لي راية، وما زِلْت أخشى العَيْنَ، فالحَمْدُ لله تعالى بهذا ولا بغيره» [4].

وأَمَرَ بإنْشاء عشرين شُونَة، وأَحْضَرَ خَمْس شَواني كانت على مَدينَة قُوص من صَعيد مصر، ولازَم الركوب إلى صِناعَة العمارة بمصر كلَّ يوم، في مُدَّة شهر المحرَّم سنة سبعين وستّ مائة إلى أن تنجَّزَت، فلمَّا كان في نصف المحرَّم سنة إحدى وسبعين وستّ مائة زادَ النِّيلُ حتى لَعِبَت الشَّواني بين يَدَيْه، فكان يَوْمًا مَشْهودًا [b].

---

a) بولاق: الخراج. b) على هامش آياصوفيا: بياض ثمانية أسطر.

---

[1] الخبر عند بيبرس الدوادار «أن تطلى الشَّواني بالقار ويعمل عليها الصُّلْبان لتَشْتَبه على الفِرِنْج بشَوَانيهم» (زبدة الفكرة ١٢٩، وكذلك العيني: عقد الجمان ٢:٧٤ فهو ينقل عن بيبرس الدوادار).

[2] انظر خبر حملة قبرس كذلك عند ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٣٨٦- ٣٨٧؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ١٢٩- ١٣٠؛ النويري: نهاية الأرب ٣٠:١٧٨- ١٧٩؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٨: ١٦٢؛ المقريزي: السلوك ١:٥٩٣- ٥٩٤؛ العيني: عقد الجمان ٢:٧٣- ٧٦؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ١٥٤؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: قبرس والحروب الصليبية، القاهرة ١٩٥٧، ٤٧- ٤٩.

[3] متملِّك قُبْرُس هو Hugh de Lusignan.

[4] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧:١٥٥.

وفي سنة اثنتين وتسعين وستّ مائة، تقدّم السُّلْطانُ الملكُ الأشْرَفُ صَلاحُ الدِّين خَليل ابن قَلاوون إلى الوَزير الصَّاحِب شَمْس الدِّين محمد بن السَّلْعُوس، بتَجْهيز أَمْر الشَّواني، فنَزَلَ إلى الصِّناعَة، واستدعى الرَّئيس، وهيَّأ جَميع ما تَحْتاج إليه الشَّواني حتى كَمُلَت عِدَّتُها نحو ستين /شُونَة، وشَحَنَها بالعَدَد وآلات الحَرْب، ورتَّب بها عِدَّةً من المماليك السُّلْطانية وألْبَسَهُم السِّلاح. فأقبل النَّاسُ لمُشاهدتهم من كلِّ أَوْبٍ قبل رُكوب السُّلْطان بثلاثة أيَّام، وصَنَعوا لهم قُصُورًا من خَشَب وأخْصاصَ القَشّ على شاطئ النِّيل خارج مَدينَة مصر وبالرَّوْضَة، واكْتَرَوا السَّاحات التي قُدَّام الدُّور والزَّرابي بالمائتي درهم كلّ زَرْبِية فما دونها، بحيث لم يَبْق بَيْتٌ بالقاهِرَة ومصر إلَّا وخَرَجَ أهلُه أو بعضُهم لرؤية ذلك، فصارَ جَمْعًا عَظيمًا.

وركِبَ السُّلْطانُ من قَلْعَة الجَبَل بُكْرَةَ يَوْمٍ[a] والنَّاسُ قد ملأوا ما بين المِقْياس إلى بُسْتان الخَشَّاب إلى بُولاق، ووَقَف السُّلْطانُ ونائِبُه الأمير بَيْدَرا وبقيَّة الأُمَراء قُدَّام دار النُّحاس، ومُنِعَ الحُجَّاب من التعرُّض لطَرْد العامَّة. فبَرَزَت الشَّواني واحِدًا بعد واحِد[b]، وقد عُمِلَ في كلِّ شُونة بُرْجٌ وقَلْعَةٌ تُحاصَر، والقِتالُ عليها مُلِحّ، والنِّفْطُ يُرْمى عليها، وعِدَّةٌ من النَّقَّابين في إعْمال الحيلَة في النَّقْب، وما منهم إلَّا من أظهر في شُونَتِه عَمَلًا مُعْجِبًا وصِناعَةً غريبة يَفُوق بها على صاحِبه.

وتَقَدَّمَ [c] ابنُ مُوسَىٰ الرَّاعي، وهو في مَرْكِبٍ نيلية، فقرأ قَوْلَه تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الآية ٤١ سورة هود]، ثم تلاها بقراءة قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ [الآية ٢٦ سورة آل عمران] إلى آخر الآية ... هذا والشَّواني تَتَواصَل بمُحارَبَة بعضها بَعْضًا إلى أن أُذِّن لصَلاة الظُّهْر، فمَضَى السُّلْطانُ بعَسْكَره عائِدًا إلى القَلْعَة. فأقامَ النَّاسُ بقيَّة يومهم وتلك الليلة على ما هم عليه من اللَّهْو في اجْتماعِهم.

وكان شيئًا يَجِلّ وَصْفُه، وأُنْفِقَ فيه مالٌ لا يُعَدّ، بحيث بَلَغَت أُجْرَةُ المركِب في هذا اليوم ستّ مائة دِرْهَم فما دونها. وكان الرَّجُلُ الواحِدُ يُؤْخَذ منه أُجْرَةُ رُكوبِه في المَرْكِب خمسة دراهم، وحَصَل لعِدَّةٍ من النَّواتية أُجْرَة مراكِبهم عن سنةٍ في هذا اليوم. وكان الخُبْزُ يُباعُ اثنا عشر رطلًا بدِرْهَم، فلكثرة اجْتِماع النَّاس بمصر بيع سبعة أرْطال بدِرْهَم. فبَلَغَ خَبَرُ الشَّواني إلى بِلاد الفرِنْج، فبَعَثُوا رُسُلَهم بالهَدايا يَطْلُبون الصُّلْح.

فلمَّا كان المحرَّم سنة اثنتين وسبع مائة، في سَلْطَنَة النَّاصِر محمد بن قَلاوون، جُهِّزَت الشَّواني

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: واحدة بعد واحدة. c) بياض في آياصوفيا.

بالعُدَدِ والسِّلاح والنِّفْطية والأَزْوِدَة ، وعُيِّنَ لها جَماعَةٌ من أجْناد الحَلْقَة ، وأُلْزِمَ كلُّ أمير مائة بإرسال رجلين من عُدَّتِه ، وأُلْزِمَ أمَرَاءُ الطَّبْلَخاناة والعَشْروات بإخْراج كلِّ أمير من عدته رجلًا ، ونُدِبَ الأميرُ سَيْفُ الدِّين كَهْرداش المَنْصوري الزَّرّاق إلى السَّفَرِ بهم ، ومعه جَماعَةٌ من مَماليك السُّلْطان الزَّرّاقين ، وزُيِّنَتِ الشَّواني أحْسَن زِينَة . فخَرَجَ مُعْظَمُ النَّاسِ لرؤيتها ، وأقامُوا يومين بلياليهما على السَّاحل بالبرين . وكان جَمْعًا عَظيمًا إلى الغاية ، وبَلَغَت أُجْرَةُ المَرْكِب الصَّغير مائة درهم لأجْلِ الفُرْجَة .

ثم رَكِبَ السُّلْطانُ بُكْرَةَ يوم السبت ثاني عشر المحرَّم ، ومعه الأميرُ سَلار النَّائِب والأمير بَيْبَرْس الجَاشَنْكير وسائِرُ الأُمَرَاء والعَسْكَر ، فوَقَفَت المماليكُ على البَرِّ نحو بُسْتان الخَشَّاب ، وعَدَّى الأُمَرَاءُ في الحَراريق إلى الرَّوْضَة . وخَرَجَت الشَّواني واحِدًا بعد واحِدٍ[a] فلعبت منها ثلاثة ، وخَرَجَت الرابعة وفيها الأمير آقُوش القاري ، من مُنْيَة[b] الصِّناعَة حتى توسَّط البَحْر ، فلَعِبَ بها الرِّيحُ إلى أن مالَت ، وانْقَلَبَت فصارَ أعْلاها أسْفَلَها . فتدارَكَها النَّاسُ ، ورَفَعوا ما قَدَروا عليه من العُدَد والسِّلاح ، وسَلِمَت الرِّجالُ فلم يُعْدَم منهم سوى آقُوش وَحْدَه . فتنكَّد النَّاسُ ، وعادَ الأُمَرَاءُ إلى القَلْعَة بالسُّلْطان ، وجَهَّزَ شيني[c] عِوَضًا من الذي غَرِق[d] .

وسارُوا إلى مُنْيَة[b] طَرابُلُس - ثم سارُوا - ومعهم عِدَّةٌ من طَرابُلُس - فأشْرَفُوا من الغد على جَزيرَة أَرْواد من أعْمال قُبْرُس ، وقاتَلوا أهْلَها وقَتلوا كثيرًا منهم[e] ، ومَلَكُوها في يوم الجُمُعَة ثامن عشرين صَفَر ، واسْتَوْلوا على ما فيها ، وهَدَمُوا أسْوارَها ، وعادُوا إلى طَرابُلُس ، وأخْرَجُوا من الغَنائِم الخُمُس للسُّلْطان ، واقْتَسَمُوا ما بقي منها ، وكان معهم مائتان وثمانون أسيرًا ، فسُرَّ السُّلْطانُ بذلك سُرورًا كثيرًا[f] .

صِناعَة المَقْس

قال ابنُ أبي طَيّ في « تاريخه » عند ذِكْر وَفاةِ المُعِزّ لدين الله : إنَّه أنشأ دارَ الصِّناعَة التي بالمَقْس ، وأنشأ بها ستّ مائة مَرْكِب لم يُرَ مثلها في البَحْر على مَدينَة[g] .

---

a) بولاق : واحدة بعد واحدة . b) بولاق : مينا . c) بولاق : شونه . d) بولاق : عوضًا عن التي عرفت . e) بولاق : أكثرهم . f) في هامش آياصوفيا : بياض صفحة وسبعة أسطر . g) بولاق : مينا .

وقال المُسَبِّحيّ: إنَّ العَزيزَ بالله بن المُعِزّ هو الذي بَنَى دارَ الصِّناعَة التي بالمَقْس؛ وعَمِلَ المراكِب التي لم يُر مثلها فيما تَقَدَّم كبرًا ووَثاقةً وحُسْنًا.

وقال في حَوادِث سنة ستٍّ وثمانين وثلاث مائة: ووَقَعَت نارٌ في الأُسْطُول وَقْت صَلاة الجُمُعَة لستٍّ بقِينَ من شهر رَبيع الآخَر فأَحْرَقت خَمْس عُشاريات، وأَتَتْ على جميع ما في الأُسْطُول من العُدَّة والسِّلاح حتى لم يَبْقَ منه غير ستَّة مَراكِب فارِغَة لا شيء فيها. فحَمَلَ البَحْريون السِّلاح، واتَّهَمُوا الرُّوم النَّصارىٰ ـ وكانوا مُقيمين بدار مانِك بجوار الصِّناعة التي بالمَقْس[1] ـ وحَمَلوا على الرُّوم هم وجُموع من العامَّة معهم، فنَهَبُوا أَمْتِعَةَ الرُّوم، وقَتَلوا منهم مائة رَجُل وسبعة رجال، وطَرَحُوا جُثَثَهم في الطُّرُقات، وأُخِذَ من بقِي فحُبِس بصِناعَة المَقْس[2].

ثم حَضَرَ عيسىٰ بن نَسْطُورِس، خَليفَة أَمير المؤمنين العَزيز بالله في الأَمْوال ووُجُوهِها بديار مصر والشَّام والحِجَاز، ومعه يانِس الصَّقْلبي ـ وهو يومئذٍ خَليفَة العَزيز بالله على القاهِرَة عند مَسيره إلى الشَّام ـ ومعهما مَسْعُودُ الصَّقْلَبي مُتَوَلِّي الشُّرْطَة. وأَحْضَروا الرُّوم من الصِّناعَة، /فاعْتَرَفوا بأنَّهم الذين أَحْرَقُوا الأُسْطول.

فكُتِبَ بذلك إلى العَزيز بالله ـ وهو مبرز يُريدُ السَّفَر إلى الشَّام ـ وذُكِر له في الكِتاب خَبَرُ من قُتِلَ من الرُّوم وما نُهِبَ، وأَنَّه ذَهَبَ في النَّهْب ما يبلغ تسعين ألف دينار.

---

[1] رغم أن نَصَّ المسبحي ذكر خطأً أنَّ «دار مانِك» كانت تقع في المقس، فإنَّه صَوَّب ذلك في حوادث سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م وذكر دار مانِك بين الدور الواقعة في الفسطاط (أخبار مصر ٦٩). وتظهر دارُ مانك في أوراق الجنيزة كمكانٍ لدَفْع المكوس على عددٍ كبيرٍ من السّلع الواردة وعلى تجارة العُبُور، وعلى الأخص أصناف تجارة الجملة كالكتَّان والتوابل. Goitein, S.D., «Mediterranean Trade in the Eleventh Century Some Facts and Problems», in Cook, M.A. (ed.) *Studies in the Economic History of the Middle East*, London - Oxford University Press 1970, p. 53; id., *A Mediterranean Society* IV, p. 27؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٤٨٧–٤٨٨، ٧٣٣).

[2] وَرَدَ هذا الخبر كذلك في روايةٍ أخرى أوردها يحيى بن سعيد الأنطاكي (تاريخ ١٧٨–١٧٩) وحَدَّد أنَّ الرُّوم المقيمين بدار مانِك كانوا من الملافِطَة Amalfitins نسبةً إلى مدينة أمالفي Amalfi الإيطالية، راجع كذلك المسبحي: نصوص ضائعة ١٥–١٦؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ١٦٣؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ١: ٢٩٠، وأيضًا Cahen, Cl., «Un texte peu connu relatif au commerce oriental d'Amalfi au X[e] siècle», *Archive storico per le provencie napolitane* (1953-54), pp. 3-8; id., «Le commerce d'Amalfie dans le proche - orient musulman avant et après la Croisade», *comptes rendus d'Académie des Inscriptions & Belles - Lettres* (1977), pp. 292-94.

فطافَ أصحابُ الشُّرَط في الأسْواق بسِجِلٍّ فيه الأمْر بردِّ ما نُهِبَ من دار مانِك وغيرها، والتَّوَعُّد لمن ظَهَرَ عنده منه شيءٌ، وحَفِظَ أبو الحسَن يانِس البَلَد، وضَبَطَ النَّاس.

وأَمَرَ عيسىٰ بن نَسْطُورِس أن يُمَدَّ للوَقْت عشرون مركبًا، وطَرَحَ الخَشَب، وطلب الصُّنَّاع، وباتَ في الصِّناعَة، وجَدَّ الصُّنَّاعُ في العَمَل. وباتَ[a] أحْداث النَّاس وعامَّتهم يلعبون برُءوس القَتْلى، ويَجرون بأرْجلهم في الأسْواق والشَّوارع، ثم قَرَنوا بعضهم إلى بعض على سَاحِل النِّيل بالمَقْس، وأُحْرِقوا يوم السبت.

وضُرِبَ بالجَرَس في البُلْدان أن لا[b] يتخلَّف أحَدٌ ممَّن نَهَبَ شيئًا حتى يُحْضِر ما نَهَبَه ويَرُدّه، ومَنْ عُلِمَ عليه بشيءٍ أو كَتَمَ شيئًا أو جَحَدَه أو أخَّره، حَلَّت به العُقُوبَةُ الشَّديدة. وتُتُبِّع من نَهَبَ، فقُبِضَ على عِدَّةٍ قُتِلَ منهم عشرون رَجُلًا ضُرِبَت أَعْناقُهم، وضُرِبَ ثلاثةٌ وعشرون رجلًا بالسِّياط، وطِيفَ بهم وفي عُنُق كلٍّ واحدٍ رأسُ رَجُلٍ ممن قَتَلَ من الرُّوم، وحُبِسَ عِدَّةُ أُناسٍ، وأُمِرَ بضَرْب من ضُرِبَت أعْناقُهم فصُلبوا عند كوم دِينار، ورُدَّ المَضْروبون إلى المِطْبَق. وكان ضَرْبُ من ضُرِبَ من النَّهَّابَة، وقَتْل من قُتِلَ منهم برِقاعٍ كُتِبَت لهم. تَناوَل كلُّ واحدٍ منهم رُقْعَةً فيها مَكتوبٌ إمّا بقَتْلٍ أو ضَرْبٍ، فأُمْضِي فيهم بحَسَب ما كان في رِقَاعهم من قَتْلٍ أو ضَرْبٍ. واشتدَّ الطَّلَبُ على النَّهَّابَة، فكان النَّاسُ يَدلُّ بعضُهم على بعضٍ، فإذا أُخِذَ أحَدٌ ممَّن اتُّهِم بالنَّهْب حَلَفَ بالأَيمان المُغَلَّظَة أنَّه ما بقي عنده شيءٌ.

وَجَدَّ عيسىٰ بن نَسطورِس في عَمَل الأُسْطول وطَلَب الخَشَب، فلم يَدَع عند أحَدٍ خَشَبًا عَلِمَ به إلَّا أخَذَه منه، وتَزايَد إخْراجُ النَّهَّابَة لما نَهَبوه، فكانُوا يَطْرَحُونَه في الأزِقَّة والشَّوارع خَوْفًا من أن يُعْرَفوا به، وحُبِسَ كثيرٌ مِمَّن أحْضَرَ شيئًا أو عُرِفَ عليه من النَّهْب.

فلمَّا كان يومُ الخميس ثامن جُمادَى الأولى ضُرِبَت أعْناقُهم كلُّهم على يد أبي أحمد جَعْفَر، صاحِب يانِس، فإنَّه قَدِمَ في عَسْكَرٍ كثيرٍ من اليانِسية، حتى ضُرِبَت أعْناقُ الجَماعَة، وأُغْلِقَت الأَسْواق يومئذٍ.

وطافَ مُتَوَلِّي الشُّرطَة، وبين يديه أرْبابُ النِّفْط بعُدَدهم، والنَّارُ مشتعلةٌ، واليانِسيةُ رِكابٌ بالسِّلاح، وقد ضَرَبَ جَماعَةً وشَهَّرَهم بين يَدَيْه وهم يُنادَى عليهم: «هذا جَزاءُ من أثار الفِتَن، ونَهَبَ حَرِيمَ أمير المؤمنين، فمن نَظَرَ فليَعْتَبِر، فما تُقال لهم عَثْرَة، ولا تُرْحَم لهم

---

a) بولاق: وأغلب. b) بولاق: على البلد ألا.

عَبْرَة » ... في كلامٍ كثيرٍ من هذا الجِنْس . فاشْتَدَّ خَوْفُ النَّاس ، وعَظُمَ فَزَعُهم .

فلمَّا كان من الغَد نُودِيَ : « مَعاشِرَ النَّاس قد أمَّن الله مَنْ أَخَذَ شيئًا أو نَهَبَ شيئًا على نفسِه ومالِه ، فلْيَرُدَّ من بقي عنده شيءٌ من النَّهْب ، وقد أجَّلْناكم من اليوم إلى مثله » .

وفي سابعَ جُمادَى الآخرة نَزَلَ ابنُ نَسْطورِس إلى الصِّناعَة ، وطَرَحَ مركبين في غاية الكِبَر من التي اسْتَعْمَلها بعد حَريق الأُسْطول . وفي غُرَّة شعبان نَزَلَ أيضًا ، وطَرَحَ بين يديه أربعة مَراكِب كِبارًا من المُنْشَأة بعد الحَريق .

واتَّفق مَوْتُ العَزيز بالله ، وهو سائرٌ إلى الشَّام ، في مَدينَة بِلْبِيْس . فلمَّا قامَ من بعده ابنُه الحاكِم بأمْر الله في الخِلافَة ، أَمَرَ في خامِس شَوَّال بحَطِّ الذين صَلَبَهم ابنُ نَسْطورس ، فتَسَلَّمَهم أهْلُهم ، وأعْطَى لأهْل كلِّ مَصْلوبٍ عشرة دنانير برَسْم كَفَنِه ودَفْنِه [1].

وخَلَعَ على عيسىٰ بن نَسْطورِس ، وأقَرَّه في ديوان الخاصّ [2] ، ثم قَبَضَ عليه في ليلة الأربعاء سابع المحرَّم سنة سبعٍ وثمانين وثلاث مائة ، واعْتَقَله إلى ليلة الاثنين سابع عشرينه . فأخرجه الأسْتاذ بَرْجَوان ـ وهو يومئذٍ يتولَّى تَدْبير الدَّوْلَة ـ إلى المَقْس ، وضَرَبَ عُنُقَه [3]. فقال وهو ماضٍ إلى المَقْس : كلُّ شيءٍ قد كنت أحْسَبه إلَّا مَوْت العَزيز بالله ، ولكنَّ الله لا يَظْلِم أحَدًا . والله إنِّي لأذكُر وقد ألقيت السِّهامَ للقَوْم المأخوذين في نَهْب دار مانِك ـ وفي بعضها مَكْتوبٌ « يُقْتَل » وفي أخرى « يُضْرَب » ـ فأَخَذَ شابٌ ممَّن قُبِضَ عليه رُقْعَةً منها فجاءَ فيها « يُقْتَل » ، فأمَرْت به إلى القَتْل ؛ فصاحَت أمُّه ولَطَمَت وَجْهَها ، وحَلَفَت أنَّها وهو ما كانا لَيْلَة النَّهْب في شيءٍ من أعْمال مصر ، وإنَّما وَرَدا مصر بعد النَّهْب بثلاثة أيَّام ، وناشَدَتْني الله تعالى أن أجْعَلَه من جملة من يُضْرَب بالسَّوْط ، وأن يُعْفَى من القَتْل ، ([a]فسُلِّم النَّقْبُ إليها [a])، وأمَرْتُ بضَرْب عُنُقِه . فقالت أمُّه : إن كنت لابد قاتِله ، فاجْعَله آخِر من يُقْتَل لأتَمَتَّع به ساعَةً . فأمَرْتُ به فجُعِلَ أوَّل من ضُرِبَ عنقُه . فلطَّخَت بدَمِه وَجْهَها ، وسَبَقَتْني ـ وهي مَنبوشَة الشَّعر ذاهِلَة العَقْل ـ إلى القَصْر . فلمَّا وافَيْت ، قالت لي : أَقَتَلْته ! كذلك يَقْتُلُك الله . فأمَرْتُ بها ، فضُرِبَت حتى سَقَطَت إلى الأرْض . ثم كان من الأمْر ما تَرون ممَّا أنا صائِرٌ إليه . وكان خَبَرُه عِبْرَةً لمن اعْتَبَرَ .

---

a-a) بولاق : فلم ألتفت إليها .

---

[1] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٦. [2] نفسه ٢ : ٦. [3] نفسه ٢ : ٨.

وفي نصف شَعْبان سنة ثمانٍ وتسعين وثلاث مائة، رَكِبَ الحاكِمُ بأمْر الله إلى صِناعة المَقْس لتُطْرَح المراكِبُ بين يَدَيْه[a].

صِناعَةُ الجَزيرَة

هذه الصِّناعَةُ كانت بجَزيرَة مصر، التي تُعْرَف اليوم بالرَّوْضَة، وهي أوَّلُ صِناعَةٍ عُمِلَت بفُسْطاط مصر. بُنِيَت في سنة أربعٍ وخمسين من الهجرة، وكان قبل بنائها هناك خمس مائة فاعِلٍ تكون مُقِيمةً أبَدًا مُعَدَّةً لحَرِيقٍ يكون في البلاد أو هَدْم[1]. ثم اعْتَنَى الأميرُ أبو العَبّاس أحمد ابن طُولون بإنْشَاء المراكِب الحَرْبِيَة / في هذه الصِّناعَة، وأطافَها بالجَزيرَة. ٥

ولم تَزَل هذه الصِّناعَةُ إلى أيَّام الأمير أبي بكر محمد بن طُغْج الإخْشيد، فأنشأ صِناعَةً بسَاحل فُسْطاط مصر، وجَعَلَ مَوْضِعَ هذه الصِّناعَة البُسْتَانَ المُخْتار، كما قد ذُكِرَ في موضعه من هذا الكتاب[b]. ١٠

صِناعَةُ مِصْر

هذه الصِّنَاعَةُ كانت بسَاحِل مِصْر القَديم. يُعْرَف مَوْضِعُها بدار خَديجَة بنت الفَتْح ابن خاقان، امْرَأة الأمير أحمد بن طُولُون إلى أن قَدِمَ الأميرُ أبو بكر محمد بن طُغْج الإخْشيد أميرًا على مصر من قِبَل الخَليفَة الراضي، عِوَضًا عن أحمد بن كَيْغَلْغ، في سنة ثلاثٍ وعشرين وثلاث مائة وقد كَثُرَتِ الفِتَنُ. فلم يَدْخُل عيسَىٰ بن أحمد السُّلَمي أبو مالِك، كبير المغارِبَة في طاعَته، ومَضَى ومعه بَجْكَم وعليّ بن بَدْر ونَظيف النُّوشَري وعليّ المغربي إلى الفَيُّوم. فبَعَثَ إليهم الإخْشيدُ صَاعِد بن الكَلْكَم بمَراكِبِه، فقاتَلوه وقَتَلوه وأخَذوا مَراكِبَه، وركب فيها عليّ بن بَدْر وبَجْكَم، وقَدِمُوا مَدينَة مِصْر أوَّل يوم من ذي القعدة، فأرْسَوا بجَزيرَة الصِّناعَة. ورَكِبَ الإخْشيدُ في جَيْشِه، ووَقَفَ حِيالَهم والنِّيلُ بينهم وبينه، فكَرِهَ ذلك وقال: صِناعَةٌ يَحُولُ بينها وبين ١٥

a) في هامش آياصوفيا: بياض صفحة وسبعة أسطر. b) في هامش آياصوفيا: بياض ثمانية أسطر.

[1] ابن عبد الحكم: فتوح مصر ١٠٣؛ وابن دقماق: الانتصار ٤: ١٠٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٣٥؛ وفيما تقدم ٥٧٠؛ وانظر كذلك Fu'ad Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, pp. 77-80.

صاحِبها الماءُ ليست بشيءٍ. فأقامَ بَجْكَم وعليّ بن بَدْر إلى آخِر النَّهار، ومَضَوْا إلى جِهَة الإسْكَنْدَرية.

وعادَ الإخْشيدُ إلى دارِه، فأخَذَ في تَحْويل الصِّناعَة من مَوْضِعها بالجَزيرَة إلى دار خَديجَة بنت الفَتْح في شَعْبان سنة خمسٍ وعشرين وثلاث مائة، وكان إذ ذاك عندها سُلَّم يُنْزل منه إلى الماء. وعندما ابتدأ في إنْشاء المراكِب بها صاحَت به امْرأةٌ، فأمَر بأخْذها إليه، فسألته أن يَبْعَث معها من يَحْمِل المال، فسَيَّر معها طائِفةً، فأتَت بهم إلى دار خَديجَة هذه ودلَّتهم على مَوْضِع منها. فأخْرَجُوا منه عَيْنًا ووَرِقًا وحُلِيًّا وغيره، وطُلِبَتِ المرأةُ فلم تُوجَد ولا عُرِفَ لها خَبَرٌ.

وكانت مَراكِبُ الأُسْطُول مع ذلك تُنْشأ في الجَزيرَة في صِناعَتها إلى أيَّام الخَليفَة الآمِر بأحْكام الله تعالى؛ فلمَّا وَلِيَ المأمُونُ بن البَطائِحي الوَزارَة[a] أنْكَر ذلك، وأمَرَ أن يكون إنْشاءُ الشَّواني والمراكِب النِّيلية الدِّيوانية بصِناعَة مصر هذه، وأضافَ إليها دار الزَّبيب، وأنشأ بها مَنْظَرَةً لجُلوس الخَليفَة يوم تَقْدِمَة الأسْطول ورَمْيه، فأقَرَّ إنْشاء الحَرْبيات والشُّلَنْديّات بصناعَة الجَزيرَة. وكان لهذه الصِّناعَة دَهْليزٌ مادٌّ بمَساطِب مفروشة بالحُصْر العَبَدانية بَسْطًا وتأزيرًا، وفيها مَحَلُّ ديوان الجِهَاد[1]، وكان يُعْرَف في الدَّوْلَة الفاطِمية [b]بديوان العَمائِر، ثم عُرِف في الدَّوْلَة الأيُّوبية بديوان الأُسْطول. وكان في الدَّولة الفاطِميَّة[b] لا يَدْخُل من باب هذه الصِّناعَة أحدٌ راكِبًا إلَّا الخَليفَة والوَزير إذا رَكِبا في «يوم فَتْح الخَليج» عند وَفاءِ النِّيل. فإنَّ الخَليفَة كان يَدْخُل من بابها، ويَشقّها راكِبًا والوَزيرُ معه حتى يَرْكَب النِّيل إلى المِقْياس - كما قد ذُكِرَ في مَوْضِعه من هذا الكِتاب[2] - ولم تَزَل هذه الصِّناعَةُ عامِرَةً إلى قُبَيْل[c] سنة سبع مائة [d]، ثم صارَت بُسْتانًا عُرِفَ ببُسْتان ابن كَيْسان، ثم عُرِفَ في زَمَننا ببُسْتان الطَّواشي.

a) ساقطة من بولاق. b-b) ساقطة من بولاق، والعبارة فيها: ... الدولة الفاطمية أن لا يدخل. c) بولاق: ما قبل. d) في هامش آياصوفيا: بياض سطر.

[1] ابن المأمون: أخبار مصر ١٠٠-١٠١؛ وفيما تقدم ٢: ٥٧٠.

[2] فيما تقدم ٢: ٥٥٢-٥٥٣.

قال ابنُ المُتَوَّج : وكان مَكانُ بُسْتان ابن كَيْسانِ صناعَة العِمارَة ، وأدْرَكْتُ فيه بابَها ، وبُسْتان الجُرْف المُقابِل لبُسْتان ابن كَيْسان كان مكانَه بَحْرُ النِّيل ، وإنَّ الجُرْفَ رَبَا فيه [a].

قال كاتِبُه : بُسْتانُ الجُرف هذا موجودٌ إلى يَوْمِنا فيما بين المَراغَة التي يُسْلَك فيها إلى باب مصر ، وبين الطَّريق التي يُقالُ لها بين الزُّقاقَيْن ويُسْلَك فيها من قَنْطَرَة السَّدّ إلى الجامِع الجَديد وبُسْتان ابن كَيْسان ـ الذي كان في موضعه الصِّناعَة ـ وهو باقٍ إلى اليوم أيضًا يُعْرَف بِبُسْتان الطَّواشي . فمن سَلَكَ في المَراغَة يُريدُ باب مَدينَة مصر المجاوِر للكبارَة يَصيرُ بُسْتانُ الجُرْف على يمينه وبُسْتانُ الطَّواشي على يساره . وعلى بابِ بُسْتان الطَّواشي إلى اليوم حَوْضُ ماءٍ كبير تَرِدُه الدَّوابُ ، ووَراء بُسْتان الطَّواشي كيمانٌ وهناك كنيسةٌ للنَّصارىٰ» [1].

a) في هامش آياصوفيا : بعد ذلك بياض ورقتين .

[1] هذا النَّصُّ وَرَدَ في نسخة المكتبة التيمورية رقم ١١٠ بلدان (ورقة ٤٧٨ظ) وتَفَرَّدَت به عِوَضًا عن الفَقْرَة التالية : «وكان فيما بين هذه الصِّناعَة وبين الرَّوْضَة بَحْرٌ ، ثم تَرَبَّى جُرْفٌ عُرِفَ موضعه بالجُرْف ، وأُنْشِئ هناك بُسْتانٌ عُرِفَ بِبُسْتان الجُرْف ، وصارَ في جملة أوْقاف خانْقاه المواصِلة ، وقيل لهذا الجُرْف بين الزُّقاقَيْن ، وكان فيه عِدَّةُ دُورٍ وحَمَّام وطَواحين وغير ذلك . ثم خَرِبَ من بعد سنة ستٌ وثمان مائة ، وخَرِبَ بُسْتانُ الجُرْف أيضًا . وإلى اليوم بُسْتانُ الطَّواشي فيه بَقِيَّةٌ ، وهو على يَسْرة من يُريدُ مصر من طَريق المَراغَة ، وبظاهِره حَوْضُ ماءٍ تَرِده الدَّوابُ ، ومن وَرَاء البُسْتان كِيمانٌ فيها كَنيسَةٌ للنصارىٰ» .

ذِكْرُ المَيادِين[1]

مَيْدانُ ابن طُولُون

كان قد بَناه وتأنَّق فيه تأنُّقًا زائِدًا، وعَمِلَ فيه المُناخ وبِرْكَة الزِّئْبَق والقُبَّة الذَّهَبِيَّة. وقد ذُكِرَ خَبَرُ هذا المَيْدان عند ذِكْر القَطائِع من هذا الكِتاب[2].

مَيْدانُ الإخْشِيد

هذا المَيْدانُ أَنْشَاه الأميرُ أبو بكر محمد بن طُغْج الإخْشِيد ـ أمير مصر ـ بجوار بُسْتانِه الذي يُعْرَف اليوم في القاهِرَة بالكافُوري، ويُشْبِه أن يكون مَوْضِعُ هذا المَيْدان اليوم حيث المكان المعروف بالبُنْدُقانيين وحارَة الوَزِيرية وما جاوَرَ ذلك.

وكان لهذا البُسْتانُ بابان من حَديد، فَلَعَهُما القائِدُ جَوْهَرٌ عندما قَدِمَ القَرْمَطيُّ إلى مصر يُرِيدُ أخذها، وجَعَلَهما على بابِ الخَنْدَق الذي حَفَرَه بظاهِر القاهِرَة قَرِيبًا من مَدينَة عَيْنُ شَمْس، وذلك في سنة ستين وثلاث مائة[3].

وكان هذا المَيْدانُ من أَعْظَم أماكِن مصر، وكانت فيه الخُيُول السُّلْطانيَّة في الدَّوْلَة الإخْشِيدِيَّة[a].

مَيْدانُ القَصْر

هذا المَيْدانُ موضِعه الآن في القاهِرَة يُعْرَف بالخُرُنْشُفِ. عُمِلَ عند بِناء القاهِرَة بجوار البُسْتان الكافُوري، ولم يَزَل مَيْدانًا للخُلَفاء الفاطِميين يُدْخَلُ إليه من باب التَّبَّانين الذي موضعه الآن

---

a) في هامش آياصوفيا: يياض.

---

[1] انظر كذلك دراسة محمد الششتاوي: ميادين القاهرة في العصر المملوكي، القاهرة ـ دار الآفاق العربية ١٩٩٩.

[2] فيما تقدَّم ٢: ٤٨٦؛ وفيما يلي ٧٣٩.

[3] فيما تقدم ٧٢.

يُعْرَف بقَبْو الخُرُنْشُف. فلمّا زالَتِ الدَّوْلَةُ الفاطِمية تَعَطَّل، وبقي إلى أن بَنَى به الغُزُّ اسْطَبْلاتٍ بالخُرُنْشُف، ثم حُكِرَ وبُنِيَ فيه، فصارَ من أخْطاط القاهِرَة[١].

مَيْدانُ قَراقُوش

هذا المَيْدانُ / خارج باب الفُتُوح (a ٢

مَيْدانُ الملكِ العَزيز

٥

هذا المَيْدانُ كان بجِوار خَليج الذَّكَر، وكان مَوْضِعُه بُسْتانًا.

قال القاضي الفاضِلُ في «مُتَجَدِّدات» ثالِث عشرين شهر رَمَضان سنة أربع وتسعين وخمس مائة: خَرَجَ أَمْرُ الملك العَزيز عُثْمان ابن السُّلْطانُ صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب بقَطْع النَّخْل المُثْمِر المستغلّ تحت اللُّؤْلُؤَة بالبُسْتان المعروف بالبَغْدادية. وهذا البُسْتانُ كان من بَساتين القاهِرَة المَوْصُوفَة، وكان مَنْظَرُه من المناظِر المستحسنة وكان له مُسْتَغَلٌّ (b له مِقْدارٌ b)، وكان قد عُنِيَ الأوَّلون به لمجاوَرَتِه اللُّؤْلُؤَة وإطْلال جَميعِ مَناظِرِها عليه. وجَعَلَ هذا البُسْتان مَيْدانًا، وحُرِثَ وقُطِعَ ما فيه من الأُصُول[٣]، انتهى/. ١٠

ثم حَكَرَ النَّاسُ أرْضَ هذا البُسْتان، وبَنَوْا عليها، وهو الآن دائِرٌ فيه كيمانٌ وأتْرِبَة.

المَيْدانُ الصَّالِحِيّ

هذا المَيْدانُ كان بأراضي اللُّوق من بَرِّ الخَليج الغَرْبي، ومَوْضِعُه الآن من جامِع الطَّبَّاخ بباب اللُّوق إلى قَنْطَرَة قَداَدار التي على الخَلِيج النَّاصِري، ومن جملته الطَّريق المسلوكة الآن من بابِ اللُّوقِ إلى القَنْطَرَة المذكورة. وكان أوَّلًا بُسْتانًا يُعْرَف ببُسْتان الشَّريف بن ثَعْلَب. فاشْتَراه السُّلْطانُ الملكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّين أيُّوب ابن الملك الكامِل محمد ابن الملك العادِل أبي بكر ابن أيُّوب بن شاذي c)، بثلاثة آلاف دينار مصرية، من الأمير حِصْن الدِّين ثَعْلَب ابن الأمير فَخْر الدِّين ١٥

---

a) في هامش آياصوفيا: بياض اثنا عشر سطرًا. b-b) ساقطة من بولاق. c) ساقطة من بولاق.

---

[١] فيما تقدم ٢: ١٤٩٦؛ المقريزي: مسودة المواعظ ١٣١. البُنْدُقْداري جامعه بالحُسَيْنِيَّة».

[٢] حاشية بخط المؤلف: «أنشأ به الملكُ الظَّاهِر بَيْبَرْس

[٣] المقريزي: السلوك ١: ١٤٢.

إسماعيل بن ثَعْلَب الجَعْفَري، في شهر رَجَب سنة ثلاث وأربعين وستّ مائة، وجَعَلَه مَيْدانًا، وأنشأ فيه مَناظِرَ جَليلَة تُشْرِف على النِّيل الأعْظَم، وصارَ يَرْكَبُ إليه ويَلْعَبُ فيه بالكُرَة [1].

وكان عَمَلُ هذا المَيْدان سَبَبًا لبناء القَنْطَرَة - التي يُقالُ لها اليوم قَنْطَرة الخَرْق [2] - على الخَليج الكبير لجَوازه عليها، وكان قَبْل بِنائِها موضعها مَوْرَدَة سَقَّائي القاهِرَة. وما بَرِحَ هذا المَيْدانُ تَلْعَبُ فيه الملوكُ بالكُرَة من بعد الملك الصَّالِح إلى أنِ انْحَسَرَ ماءُ النِّيل من تجاهِه وبَعُدَ عنه، فأنشأ الملكُ الظَّاهِرُ مَيْدانًا على النِّيل.

وفي سَلْطَنَة الملك المُعِزّ عِزّ الدِّين أَيْبَك التُّرْكُماني الصَّالِحِي النَّجْمي، قال له مُنَجِّمُه: إنَّ امْرَأةً تكون سَبَبًا في قَتْله. فأَمَرَ أن تُخَرَّب الدُّور والحَوانيت التي من قَلْعَة الجَبَل بالتَّبَّانة إلى باب زَوِيلَة وإلى باب الخَرْق وإلى باب اللُّوق إلى المَيْدان الصَّالِحِي [3]، وأَمَرَ ألَّا يُتْرَك بابٌ مَفْتوحٌ بالأماكِن التي يَمُرّ عليها يوم رُكوبه إلى المَيْدان، ولا تُفْتَح أيضًا طاقَة.

وما زالَ بابُ هذا المَيْدان باقِيًا، وعليه طَوارِقُ مَدْهُونَة، إلى ما بعد سنة أربعين وسبع مائة، فأدْخَلَهُ صَلاحُ الدِّين بن المَغْرِبي في قَيْسارِيَّة الغَزْل [4] التي أنشأها هناك. ولأجْل هذا الباب قيل لذلك الخُطّ «بابُ اللُّوق». ولمَّا خَرِبَ هذا المَيْدان حُكِرَ، وبُني موضِعُه ما هنالك من المساكِن. ومن جملته حِكْرُ مُرادِي، وهو على يَمْنَة من سَلَكَ من جامِع الطُّبَّاخ إلى قَنْطَرَة قَدادار، وهو في أوْقاف خانْقاه قَوْصُون وجامِع قَوْصُون بالقَرافَة [5]. وهذا الحِكْرُ اليوم قد صارَ كِيمانًا بعد كثرة العِمارَة به [6].

---

[1] فيما تقدم ٣٩٢-٣٩٣.
ويَدُلّ على موضع المَيْدان الصَّالحي الآن المنطقة التي تُحَدّ من الشَّرق بشارع محمد فريد (عماد الدِّين سابقًا)، ومن الشَّمال شارع قصر النِّيل، ومن الغرب شارع القاضي الفاضل وشارع يوسف الجندي (الحوياتي سابقًا) - الذي يفصل بينه وبين موقع المَيْدان الظَّاهري -، ومن الجنوب شارع عبد السَّلام عارف (البستان سابقًا) ومَيْدان الفَلَكي وشارع التحرير حتى يتلاقى مع شارع محمد فريد (عماد الدِّين). (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٣٧هـ [1]).

[2] فيما تقدم ٤٩٢-٤٩٣.

[3] وهو ما يُعادل الآن شارع الدَّرْب الأحمر فشارع تَحْت الرَّبْع خارج باب زويلة، فمَيْدان أحمد ماهر (باب الخَلْق) فشارع حسن الأكبر فشارع علي ذو الفقار (الصَّنافيري سابقًا) إلى ميدان باب اللُّوق (عبد السَّلام عارف الآن).

[4] لم يُفْرِد المقريزي قيسارية الغَزْل بمَدْخَلٍ مستقلّ عند ذكره للقياسِر.

[5] فيما يلي ٢: ٤٢٥.

[6] المقريزي: مسودة الخطط ٥٩ظ-٦٠و.

المَيْدانُ الظَّاهِرِيّ

هذا المَيْدانُ كان بطرَف أراضي اللُّوق يُشْرِف على النِّيل الأعْظَم، وموضعه الآن تِجاه قَنطَرَة قَدادار من جِهَة باب اللُّوق [1]. أنشأه الملكُ الظَّاهِرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري الصَّالِحِي لمَّا انْحَسَرَ ماءُ النِّيل وبَعُدَ عن مَيْدان أسْتاذِه الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب.

٥ وما زال يَلْعَبُ فيه بالكُرَة هو ومن بَعْده من مُلُوك مصر، إلى أن كانت سنة أربع عشرة وسبع مائة، فنَزَلَ السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون إليه، وخَرَّب مَناظِرَة، وعَمِلَه بُسْتانًا من أجْل بُعْد البَحْر عنه، وأرْسَلَ إلى دِمَشْق فحَمَلَ إليه منها سائِر أصْناف الشَّجَر، وأحْضَرَ معها خَوَلَة الشَّام والمُطَعِّمين، فغَرَسُوها فيه وطَعَّمُوها.

وما زالَ بُسْتانًا عَظيمًا، ومنه تعَلَّم النَّاسُ بمصر تَطْعيم الأشْجَار في بَساتين جَزيرَة الفيل. وجَعَلَ ١٠ السُّلْطانُ فَواكِهَ هذا البُسْتان مع فَواكِه البُسْتان الذي أنشأه بسِرْياقوس، تُحْمَل بأسْرها إلى الشَّراب خاناه السُّلْطانية بقَلْعَة الجَبَل، ولا يُباعُ منها شيءٌ ألبتَّة، وتُصْرَف كُلَفُهُما من الأمْوال الدِّيوانية. فجادِت فَواكِهُ هذين البُسْتانين، وكَثُرَت حتى حاكَت بحُسْنها فواكِهَ الشَّام، لشِدَّة العِنايَة والخِدْمَة بهما.

ثم إنَّ السُّلْطانَ لمَّا اختصَّ بالأمير قَوْصُون، أنْعَم بهذا البُسْتان عليه. فعَمَّر تِجاهَه الزَّرْبِيَّة - التي ١٥ عُرِفَت بزَرْبِيَّة قَوْصُون [2] - على النِّيل، وبَنَى النَّاسُ الدُّورَ الكثيرة هناك، سيّما لمَّا حَفَرَ (a الملكُ النَّاصِر a) الخَليج النَّاصِرِيّ، فإنَّ العِمارَة عَظُمَت فيما بين هذا البُسْتان والبَحْر، وفيما بينه وبين القاهِرَة ومصر.

ثم إنَّ هذا البُسْتان خَرِبَ لتَلاشي أحْوالِه بعد قَوْصُون، وحُكِرَت أرْضُه، وبَنَى النَّاسُ فَوْقَها الدُّور التي على يَسْرَة من صَعِد القَنْطَرَة من جهة باب اللُّوق يريد الزَّرْبِيَّة. ثم لمَّا خَرِبَ خُطُّ

---

a-a) ساقطة من بولاق.

---

[1] يَدُلُّ على موضع المَيْدان الظَّاهري الآن المنطقة التي تُحَدُّ من الشَّرق بشارع يوسف الجندي (الحوياتي سابقًا) وشارع القاضي الفاضل، ومن الشمال شارع قصر النيل وشارع محمود بسيوني (الأنتكخانة سابقًا)، ومن الغرب شارع مريت باشا ومن الجنوب شارع عبد السلام عارف (البستان سابقًا).

[2] انظر عن زَرْبِيَّة قَوْصُون فيما تقدم ٤٣٦.

الزُّرْبِيَّة، خَرِبَ ما عُمِّر بأرض هذا البُسْتان من الدُّور منذ سنة ستّ وثمان مائة[a] [1].

مَيْدانُ بِرْكَة الفِيل

هذا المَيْدانُ كان مُشْرِفًا على بِرْكَة الفِيل قُبالة الكَبْش [2]، وكان أوَّلًا اسْطَبْل الجُوق بِرَسْم خُيُول المماليك السُّلْطانية، إلى أن جَلَسَ الأميرُ زَيْنُ الدِّين كَتْبُغا على تَخْت المُلك، وتلقَّب بالملك العادِل بعد خَلْعه الملك النَّاصِر محمَّد بن قَلاوون في المحرَّم سنة أربع وتسعين وستّ مائة. فلمَّا دَخَلَت سنة خمسٍ وتسعين، كان النَّاسُ في أشَدِّ ما يكون من غَلاء الأسْعار / وكَثْرَة المَوْتان، والسُّلْطانُ خائِفٌ على نفسه، ومتحرِّزٌ من وُقُوع فِتْنَة، وهو مع ذلك ينزل من قَلْعَة الجَبَل إلى المَيْدان الظَّاهِري بطَرَف اللُّوق. فحَسُنَ بخاطِره أن يَعْمل اسْطَبْل الجُوق المذكور مَيْدانًا عِوَضًا عن مَيْدان اللُّوق، وذَكَرَ ذلك للأُمَراء فأعْجَبَهُم ذلك، فأمَرَ بإخْرَاج الخَيْل منه، وشَرَعَ في عَمَلِه مَيْدانًا.

وبادَرَ النَّاسُ من حينئذٍ إلى بِناء الدُّور بجانِبه. وكان أوَّلَ من أنشأ هناك الأميرُ عَلَمُ الدِّين سِنْجِر الخازِن، في الموضع الذي عُرِف اليوم بحِكْر الخازِن [3]، وتَلاه النَّاسُ في العِمارَة والأُمَراء. وصارَ السُّلْطانُ يَنْزِل إلى هذا المَيْدَان من القَلْعَة، فلا يَجد في طَرِيقِه أحَدًا من النَّاس سوى أصْحاب الدَّكاكِين من الباعَة، لقِلَّة النَّاس وشُغْلهم بِما هم فيه من الغَلاء والوَباء.

ولقد رآه شَخْصٌ من النَّاس، وقد نَزَلَ إلى المَيْدان والطُّرُقاتُ خالية، فأنْشَدَ ما قيل في الطَّبيب ابن زُهْر:

[المنسرح]

قُلْ للغَلا أنت وابن زُهْر ... بَلَغْتُما الحَدَّ والنِّهايَه

تَرَفَّقا بالوَرَى قَليلًا ... في واحِدٍ منكما كِفايَه

---

a) بياض في هامش آياصوفيا.

---

[1] المقريزي: مسودة الخطط ٦٠ظ.

[2] وَرَدَ هذا الميدان على خريطة القاهرة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم «وَسْعَة بركة الفيل» (Q-r-9, 16)، ويَدُلُّ على موضعه الآن المنطقة المعروفة بالحَوْض المَرْصُود بالسيدة زينب على يسار الداخل من شارع محمد قَدْري. (انظر فيما تقدم ٢٢١؛ محمد الششتاوي: ميادين القاهرة ٩١-٩٢).

[3] فيما تقدم ٤٤٨.

وما بَرِحَ هذا المَيْدانُ باقِيًا إلى أن عَمَّر السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون قَصْرًا للأمير[a] بَكْتَمُر السَّاقي على بِرْكة الفِيل ، فأَدْخَلَ فيه جَميعَ أرْض هذا المَيْدان ، وجَعَلَه إسْطَبْل قَصْر الأمير بَكْتَمُر السَّاقي في سنة سبعَ عشرةَ وسبع مائة ، وهو باقٍ إلى وَقْتِنا هذا[1] .

مَيْدانُ المَهارَى[1]

٥ هذا المَيْدانُ بالقُرْب من قَناطِر السِّباع ، في بَرّ الخَليج الغربي ، كان من جملة جِنان الزُّهْري[2] . أنشأه الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون في سنة عشرين وسبع مائة . ومن وَرَاء هذا المَيْدان بِرْكَةُ ماءٍ كان موضعها كَرْم القاضي الفاضِل .

(b)قال الأميرُ شَرَف الدِّين مُوسَىٰ بن محمد بن يحيى في كتاب « سِيرَة السُّلْطان الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون »[3] ما مُلَخَّصُه(b): وكان الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون له شَغَفٌ عَظيمٌ ١٠ بالخَيْل . فعَمِلَ دِيوانًا ينزل فيه كلُّ فَرَسٍ بشيته(c)، واسْم صاحِبه ، وتاريخ الوَقْت الذي حَضَرَ فيه . فإذا حَمَلَت فَرَسٌ من خُيُول السُّلْطان أُعْلِمَ به ، وتَرَقَّب الوَقْت الذي تَلِدُ فيه . واسْتَكْثَرَ من الخَيْل حتى احْتاجَ إلى مَكانٍ برَسْم نِتاجِها . فرَكِبَ من قَلْعَة الجَبَل في سنة عشرين وسبع مائة ، وعَيَّن مَوْضِعًا يعمله مَيْدانًا برَسْم المَهارَىٰ ، فوَقَعَ اخْتِيارُه على أرْضٍ بالقُرْب من قَناطِر السِّباع . وما زالَ واقِفًا بفَرَسِه حتَّى حَدَّد المَوْضِع ، وشَرَعَ في نَقْل الطِّين البليز إليه ، وزَرَعَه من النَّخْل وغيره ، ١٥ ورَكَّب على الآبار التي فيه السَّواقي .

فلم يَمْضِ سوى أيَّامٍ حتى رَكِبَ إليه ، ولَعِبَ فيه بالكُرَة مع الخاصَّكِيَّة ، ورَتَّب فيه عِدَّة حُجُورٍ

---

a) بولاق : قصر الأمير . b-b) هذه العبارة من مسودة الخطط ، وورد عوضًا عنها في سائر النسخ : قال جامع «السيرة الناصرية» . c) بولاق : بشانه .

---

[1] فيما تقدم ٢٢١.

[2] المقريزي : السلوك ٢ : ٢٢١٠ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١: ٤٥٣، والمقصود المهار وهو وَلَدُ الفَرَس ولذلك صحتها أن تكتب «المهارة» ، وكتبها المقريزي في المسودة : المهارا .

ويُحَدَّد موضع ميدان المهارىٰ المنطقة التي تُحَدّ الآن من الجنوب بشارع المبتديان (محمد عزّ العرب) ـ الذي كان في ذلك الوقت الطريق السالك إلى الميْدان النَّاصري ـ ومن الشرق بشارع النَّاصرية ، ومن الشمال شارع الجامع الإسماعيلي ومن الغرب شارع نوبار باشا . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٢٠٤هـ[3]) .

[3] أي كتاب «نُزْهَة النَّاظِر» لليوسُفي .

للنِّتَاج ، وأَعَدَّ لها سُوَّاسًا وأميرآخُورية وسائِر ما يُحْتاج إليه . وبَنَى فيه أماكِنَ ، ولازَم الدُّخُولَ إليه في مُرِّه إلى المَيْدان الذي أنشأه على النِّيل بمَوْرَدَة المِلْح .

فلمَّا كان بعد أيَّامٍ وأشْهُر ، حَسُنَ في نفسه أن يَبْني تجاه هذا المَيْدان ـ على النِّيل الأعْظَم بجِوار جامِع الطَّيْبَرْسي ـ زَرْبِيَّة ، ويَبْرُز بالمناظِر التي يُنْشئها في المَيْدان إلى قريب البَحْر [١]. فنَزَلَ بنفسه ، وتَحَدَّثَ في ذلك ، فكَثَّرَ المهندسون المصروف في عَيْنه ، وصَعَّبوا الأَمْرَ من جِهَة قِلَّة الطِّين هناك . وكان قد أَدْرَكَهُ السَّفَرُ للصَّيْد[a] فتَرَك ذلك[b] [٢].

وما بَرِحَت الخُيُولُ في هذا المَيْدان إلى أن ماتَ المَلِكُ الظَّاهِرُ بَرْقُوقُ في سنة إحدى وثمان مائة . واستمرَّت بعده في أيَّام ابنه الملك النَّاصِر فَرَج ، إلَّا أنَّه تَلاشَى أَمْرُه عمَّا كان قبل ذلك ، ثم انقَطَعَت منه الخُيُولُ وصارَ بَراحًا خالِيًا .

مَيْدان سِرْياقُوس

هذا المَيْدانُ كان شَرْقي ناحِيَة سِرْياقوس بالقُرْب من الخانْكاه . أنشأه المَلِكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون في ذي الحِجَّة سنة ثلاثٍ وعشرين وسبع مائة ، وبَنَى فيه قُصُورًا جَليلَةً وعِدَّةَ مَنازِل للأُمَرَاء [٣]، وغَرَسَ فيه بُسْتانًا كبيرًا نَقَلَ إليه من دِمَشْق سائِر الأشْجَار التي تَحْمِل الفَواكِه ، وأَحْضَرَ معها خَوَلَة بِلاد الشَّام حتى غَرَسُوها وطَعَّموا الأشْجَار . فأَفْلَحَ فيه الكَرْمُ والسَّفَرجلُ وسائِرُ الفَواكِه .

فلمَّا كَمُلَ في سنة خمسٍ وعشرين ، خَرَجَ ومعه الأُمَرَاءُ والأعْيانُ ، ونَزَلَ القُصُور التي هناك ، ونَزَلَ الأُمَرَاءُ والأعْيانُ على مَنازِلهم في الأماكِن التي بُنِيت لهم [٤]. واسْتَمَرَّ يتوجَّه إليه في كلِّ سنةٍ ، ويُقيم به الأيَّام ، ويَلْعَبُ فيه بالكرةِ إلى أن مات . فعَمِلَ ذلك أَوْلادُه الذين مَلَكوا من بعده .

---

a) بولاق : للصعيد . b) مسودة الخطط : وما ذكر ذلك .

---

[١] فيما تقدم ٤٣٥- ٤٣٦.

[٢] المقريزي : مسودة الخطط ١٦٢ظ .

[٣] كانت قصور سِرْياقوس تقع في الجهة الغربية من الميْدان ، أي أنَّها كانت في الجهة الغربية من المنطقة القائمة على أرضها الآن مساكن بَلْدَة الخانْكة إحدى بلاد مركز شبين القناطِر بمحافظة القليوبية . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٨٠هـ[٢]) . وكَتَبَ شافِعُ بن علي ، المتوفى سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م ، كتاب «الإغْراب عَمَّا اشْتَمَلَ عليه البِنَاء الملكي النَّاصِري بسِرْياقُوس من الإغْراب» ، يصف فيه قصور سِرْياقوس (الصفدي : الوافي بالوفيات ١٦: ٨٠) .

[٤] المقريزي : السلوك ٢: ٢٥١، ٢٦١.

فكان السُّلْطانُ يخرج في كلِّ سنةٍ من قَلْعَة الجَبَل بعدما تَنْقَضي أيَّامُ الرُّكوب ، إلى المَيْدان الكبير النَّاصِريِّ على النِّيل ، ومعه جَميعُ أهْلِ الدَّوْلَة من الأُمَرَاء والكُتَّاب وقاضي العَسْكَر وسائِرُ أرْباب الرُّتَب ، ويَسيرُ إلى السَّرْحَة بناحيةِ سِرْياقوس ، وينزل بالقُصُور ، ويركب إلى المَيْدان هناك للَّعِب بالكُرَة ، ويَخْلَع على الأُمَرَاء وسَائِر أهْل الدَّوْلَة ، ويُقيمُ في هذه السَّرْحَة أيَّامًا . فيَمُرُّ للنَّاس في إقامَتهم بهذه السَّرْحَة أوْقاتٌ لا يمكن وَصْفُ ما فيها من المَسَرَّات ، ولا حَصْرُ ما يُنْفَق فيها من المآكِل والهِبَات من الأمْوال .

ولم يَزَل هذا الرَّسْمُ مستمرًّا إلى سنة تسع وتسعين وسبع مائة [1] ، وهي آخِر سَرْحَة سارَ إليها السُّلْطانُ بسِرْياقوس . ومن هذه السَّنَة انْقَطَعَ السُّلْطانُ الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقُوق عن الحَرَكَة لسِرْياقوس ، فإنَّه اشْتَغَلَ في سنة ثمان مائة بتَحَرُّك المماليك عليه من وَقْتِ قِيام الأمير إلي باي[a] إلى أن مات .

وقامَ من بعده ابنُه الملكُ النَّاصِرُ فَرَج ، فما صَفَا الوقتُ / في أيَّامِه من كَثْرَة الفِتَن وتَواتُر الغَلَوات والمِحَن ، إلى أن نُسِيَ ذلك ، وأُهْمِلَ أمْرُ المَيْدان والقُصُور وخَرِبَ ، وفيه إلى الآن بقيَّةٌ قائِمَة . ثم بيعَت هذه القُصُور في صَفَر سنة خمسٍ وعشرين وثمان مائة بمائة دينار ليُنْقَض خشَبُها وشَبابيكُها وغيرها ، فنُقِضَت كلُّها [2] .

وكان من [b]عادَة السُّلْطان إذا خَرَجَ إلى[b] الصَّيْد بسِرْياقوس أو كنبرا أو البُحَيْرَة ، أنَّ[c] يُنْعِم على أكابِر أُمَرَاء المِئِين[d] قَدْرًا وسِنًّا : كلُّ واحدٍ بألف مِثْقالٍ ذَهَبًا ، وبَرْذَون خاصّ مُسْرَج مُلْجَم ، وكَنبوش مُذْهَب .

وكان من عادَتِه [e]، إذا [f]مَرَّ في مُتَصَيَّداتِه بإقْطاعِ[f] أميرٍ كبير ، قَدَّمَ له من الغَنَم والإوِز والدَّجاج وقَصَب السُّكَّر والشَّعير ما تَسْمُو هِمَّةُ مثله إليه . فيَقْبَله السُّلْطانُ منه ، ويُنْعم عليه بخِلْعَةٍ كامِلَةٍ ، ورُبَّما أَمَرَ لبعضهم بمَبْلَغِ مالٍ [3] .

a) بولاق : علي باي . b-b) بولاق : عادته إذا مَرَّ في متصيداته بإقطاع . c) بولاق : أنه . d) بولاق : أمراء الدولة . e) بولاق : عادة السلطان . f-f) بولاق : إذا خرج إلى .

[1] المقريزي : السلوك ٣ : ٨٦٨.

[2] نفسه ٤ : ٥٢٦.

[3] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٣١؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٦٣.

وكانت عادةُ الأُمَراء أن يركب الأَمير منهم حيث يَرْكَب من[a] المَدينَة وخلفه جَنيبٌ ، وأمّا أكابِرُهُم فيركب بجنيبين ، هذا في المَدينَة والحاضِرَة . وهكذا يكون إذا خَرَجَ إلى سِرْياقوس وغيرها من نَواحي الصَّيْد ، ويكون في الخُروج إلى سِرْياقوس وغيرها من الأَسْفار لكلّ أميرٍ طَلْب يشتمل على أكثر مَماليكه ، وقُدّامُهم خِزانةٌ محمولةٌ على جَمَلٍ واحِدٍ يجره راكِبٌ آخر على جَمَلٍ والمال على جَمَلَيْن ، ورُبّما زادَ بعضُهم على ذلك . وأمامَ الخِزانَة عِدّةُ جَنائِب تُجَرّ على أيْدي مَماليك رِكاب خَيْل وهُجْن ورِكابه[b] من العَرَب على هُجْنٍ ، وأمامَها الهُجْن بأكوارِها مَجْنُوبَة ، وللطَّبْلَخاناه قِطارٌ واحِدٌ وهو أربعة ، ومَرْكوب الهجان والمال قِطاران ، ورُبّما زادَ بعضهم . وعَدَدُ الجَنائِب في كَثْرَتها وقلّتها إلى رأي الأمير وسَعَة نفسه . والجَنائِبُ منها ما هو مُسْرَجٌ مُلْجم ، ومنها ما هو بعَنانِه[c] لا غير . وكان يُضاهي بعضُهم بَعْضًا في الملابِس الفاخِرَة والسُّرُوج المحلّاة والعُدَد المليحة .

وكان من رُسُوم السُّلْطان في خُروجه إلى سِرْياقُوس وغيرها من الأَسْفار ، ألّا يتكلّف إظْهار كلّ شِعار السَّلْطَنَة ، بل يكون الشِّعارُ في مَوْكِبه السَّائِر فيه جُمْهُور مَماليكه مع المُقَدَّم عليهم وأُسْتادّاره ، وأمامَهم الخَزائِنُ والجَنائِبُ والهُجْن . وأمّا هو نفسه فإنّه يركب ومعه عِدّةٌ كبيرةٌ من الأُمَراء الكِبار والصِّغار من الغُرَباء والخَواصّ ، ونُخْبَة[d] من خَواصّ مَماليكه . ولا يَرْكَب في السَّيْر برَقَبَةٍ ولا بعَصائِب [1] ، بل تتبعه جَنائِبُ خَلْفَه ، ويَقْصِد في الغالِب تأخير النُّزول إلى اللَّيْل ، فإذا جاءَ اللَّيْلُ حُمِلَت قُدّامه فَوانيسُ كثيرةٌ ومَشاعِل [2] ، فإذا قارَب مُخَيَّمه تُلْقِي بشُمُوع مُرَكَّبَة[e] في شَمْعِدانات كَفْت ، وصاحَت الجاويشية بين يَدَيْه ، ونَزَلَ النَّاسُ كافّةً إلّا حَمَلَة السِّلاح فإنّهم

a) بولاق : في . b) بولاق : وركاب . c) بولاق : بعباءة . d) بولاق : جملة . e) بولاق : موكبيه .

[1] الرَّقَبَة . لِباسٌ لرَقَبَة فَرَس السُّلْطان تكون من حرير أصفر مُطَرَّزة بالذَّهَب الزَّرْكش ، ويُدَقّ القالَبُ عليها حتى يصبح الحرير غير ظاهر فيها . تُشَدُّ على رَقَبَة فَرَس السُّلْطان في المواكب العِظام لتكون مضاهيةً لما يركب به من الكنبوش الزَّرْكش المغطي لظهر الفَرَس وكَفَله . (القلقشندي : صبح الأعشى ٢ : ١٣٣ ، ٤ : ٨) .

والعِصابَة جـ. عَصائِب . الألوية ، أُخِذَ ذلك من عِصابَة الرأس ، لأنّ الراية تَعْصِبُ رأسَ الرُّمْح من أعْلاه ، وقد يُعَبّر عنها أيضًا بالسَّناجِق مفردها سَنْجَق . (نفسه ٢ : ١٣٤) .

[2] الفَانُوس جـ. الفَوانيس . آلة كُرَوِيّة ذات أَضْلاع من حديد ، مُغَشّاةٌ بخِرْقَةٍ من رقيق الكَتّان الصَّافي البياض ، يُتّخَذ للاستضاءَة بغَرْز الشَّمْعَة في أسفل باطنه فيشِفّ عن ضوئها ؛ ومن شأنها أن تُحْمَل منها اثنان أمام السُّلْطان أو الأمير في السَّفَر في اللَّيْل .

والمَشاعِل مفردها مَشْعَل . آلة من حديد كالقَفَص مفتوح الأعلى ، وفي أسفله خرقة لطيفة ، توقَد فيه النَّارُ بالحَطَب فيَنْبسط ضوءه ، يُحْمَل أمام السُّلْطان ونحوه في السَّفَر لَيْلًا أيضًا . (القلقشندي : صبح الأعشى ٢ : ١٣٧) .

وَراءَه ، والوُشاقية[١] أيضًا وَراءَه ، وتمشي الطَّبَردارية[٢] حَوْلَه حتى إذا وَصَلَ القُصُورَ بيسْرِياقوس أو الدِّهْليز من المخيَّم [a]إن كان في غير سَرْحَة سِرْياقُوس فإذا دَخَلَ الدِّهْليز الأوَّل من المُخَيَّم[a] نَزَلَ عن فَرَسِه ودَخَلَ إلى الشُّقَّة ـ وهي خيمة مستديرة مُتَّسِعة ـ ثم منها إلى شُقَّة مُخْتَصَرَة ، ثم منها إلى اللَّاجوق[٣] . وبدائِر كلِّ خَيْمَة من جميع جَوانبها من داخِل سُور خَرْكاه[٤] ، وفي صَدْر اللاجُوق قَصْرٌ صَغيرٌ من خَشَب برَسْم المبيت فيه . وينصب بإزاء الشُّقَّة الحَمَّامُ بقُدُور الرَّصاص والحَوْض ، على هيئة الحَمَّام المبني في المُدُن إلَّا أنَّه مختصر . فإذا نامَ السُّلْطانُ طافَت به المماليكُ دائِرةً بعد دائِرة ، وطافَ بالجَميع الحَرَس ، وتَدُور الزَّفَّة حَوْل الدِّهْليز في كلِّ ليلة ، وتَدُور بيسْرِياقوس حَوْل القَصْر في كلِّ ليلة مَرَّتَيْنِ : الأولى منذ يأوي إلى النَّوْم ، والثانية عند قُعُودِه من النَّوْم . وكلُّ زَفَّة يدور بها أميرُ حانْدار[b] ـ وهو من أكابِر الأُمَرَاء ـ وحَوْله الفَوانيس والمَشاعِل والطُّبول والبيَّاتَة . ويَنَامُ على باب الدِّهْليز النُّقَباءُ وأرْبابُ النُّوَب من الخَدَم .

ويَصْحَبُ السُّلْطانُ في أسْفارِه[c] غالِبَ ما تَدْعو الحاجَة إليه حتى يكاد يكون معه مارِسْتان ، لكثرة من معه من الأطِبَّاء وأرْباب الكَحْل والجِراح والأشْرِبَة والعَقاقير ، وما يَجْري مَجْرى ذلك . وكلُّ من عادَه طَبيبٌ ووَصَف له ما يُناسبه ، يَصْرِف من الشَّراب خاناه أو الدَّواء خاناه المحمولين في الصُّحْبَة[d] [٥] .

---

a-a) ساقطة من بولاق . b) آياصوفيا : مايادار . c) بولاق : السفر . d) في هامش آياصوفيا : بياض نصف صفحة .

---

[١] الوشاقية (الأوشاقية) . لَقَبٌ يُطْلَق على الذين يتولّون ركوب الخيل للتسيير والرياضة في عصر المماليك . وهو من الأسماء الأعجمية ويتبعون الأميرآخور ، وكانوا يركبون وراء السُّلْطان في أسفاره مع حملة السِّلاح . (القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٤٨ ، ٥ : ٤٥٤ ؛ حسن الباشا : الفنون والوظائف ٢٨٩ - ١٢٩٠ ؛ نبيل محمد عبد العزيز : الخيل ورياضتها في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٧٦ ، ١٢١-١٢٢) .

[٢] الطَّبَرداريَّة . الذين يحملون الأطْبار أو الفئوس حول السُّلْطان عند ركوبه في المواكب وغيرها لحراسته . (السبكي : معيد النعم ٣٥ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٢ : ٤١ ؛ حسن الباشا : الفنون والوظائف ٧٣٥) .

[٣] اللَّاجوق . تركي معرّب أصله : آلجوق أو آلاچوق ؛ وهي الخيمة الداخلية . (Dozy, R., *Suppl. Dict. Ar.*, II, p. 515) .

[٤] الخَرْكاه . بَيْتٌ من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة ويُغَشَّى بالجوخ ونحوه . تُحْمَل في السَّفَر لتكون في الخيمة للمبيت في الشتاء لوقاية البَرْد . (القلقشندي : صبح الأعشى ٢ : ١٣٨) .

[٥] مصدر هذا النقل ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٣٨ - ٤٠ ، ويوجد كذلك عند القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٤٨-٤٩ تحت عنوان : هيئته في الأسفار .

المَيْدانُ النّاصِري

هذا المَيْدانُ من جملة أراضي بُسْتان الخَشّاب فيما بين مَدينَة مصر والقاهِرَة . وكان مَوْضِعُه قَديمًا غامِرًا بماء النِّيل ، ثم عُرِفَ بِبُسْتان الخَشّاب . فلمّا كانت سنة أرْبع عشرة وسبع مائة ، هَدَمَ السُّلْطانُ الملكُ النّاصِرُ محمد بن قَلاوون المَيْدان الظّاهِري وغَرَسَ فيه أشْجارًا ـ كما تقدَّم ـ وأنشأ هذا المَيْدان من أراضي بُسْتان الخَشّاب ، فإنَّه كان حينئذٍ مُطِلًّا على النِّيل [1] . ٥

وتَجَهَّزَ في سنة ثمان عشرة وسبع مائة للرُّكوب إليه ، وفَرَّق الخُيُولَ على جميع الأُمَراء ، واستجدَّ رُكوب الأوشاقِيَّة[a] بكوافي الزَّرْكَش على صِفَة الطّاسات فَوْق رُءوسهم ، وسمّاهم « الجِفْتاوات » . فيَرْكَب منهم اثنان بثَوْبَيْ حَرير أطْلَس أصفر ، وعلى رأس كلٍّ منهما كوفية الذَّهَب ، وتحت كلٍّ واحِدٍ فَرَسٌ أبيض بحِلْيَة ذَهَب ، ويَسيران معًا بين يدي السُّلْطان في رُكوبه من قَلْعَة الجَبَل إلى المَيْدان ، وفي عَوْدِه منه إلى القلعة . ١٠

وكان السُّلْطانُ إذا رَكِبَ إلى هذا المَيْدان للَعِب الكُرَة ، يُفَرِّق حَوائِصَ ذَهبٍ على الأُمَراء المُقَدَّمين . ورُكوبُه إلى هذا المَيْدان دائِمًا يوم السَّبْت ، في قُوَّة الحَرِّ بعد وَفاء النِّيل مُدَّة شهرين من السَّنَة ؛ فيُفَرِّقُ في كلِّ مَيْدانٍ على اثنين بالنَّوْبَة ، فمنهم من تَجيء نَوْبَتُه بعد ثَلاثِ سنين أو أرْبَع سنين [2] .

وكان من مُصْطَلَح الملوك / أن تكون تَفْرِقَةُ السُّلْطان الخُيُول على الأُمَراء في وَقْتَيْن : أحَدُهُما عندما يَخْرُج إلى مَرابِط خَيْله في الرَّبيع عند اكْتِمال تَرْبيعها ، وفي هذا الوَقْت يُعْطي أُمَراء المِئِين الخُيُول مُسْرَجَةً مُلْجَمةً بكَنابيش مُذَهَّبَة ، ويُعْطي أُمَراء الطَّبْلَخاناه خَيْلًا وعُرْيًا . والوَقْتُ الثاني [b]عند لَعِب السُّلْطان بالكُرَة في هذا المَيْدان ؛ وفي هذا الوقْت[b] يُعْطي الجَميع خُيولًا مُسْرَجةً مُلْجَمَةً بلا كَنابيش بفِضَّة خَفيفَة . وليس لأُمَراء العَشْراوات حَظٌّ في ذلك إلّا ما يَتَفَقَّدُهم به على سَبيل الإنْعام . ولخاصَّكِيَّة السُّلْطان المقرَّبين ، من أُمَراء المِئِين وأُمَراء الطَّبْلَخاناه ، ١٥

---

a) بولاق : الأوجاقية . b-b) إضافة من مسالك الأبصار .

---

[1] المَيْدان النّاصري . يَدُلُّ على موضعه المنطقة التي تَحُدّ الآن من الغرب بشارع كورنيش النيل ، ومن الجنوب شارع عائشة التيمورية (الوالدة باشا سابقًا) ، ومن الشرق شارع القصر العيني ، ومن الشمال شارع رستم باشا وما في امتداده إلى النيل . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٩٧هـ[2] ، ١٢: ٦٩هـ[2] ؛ وفيما تقدم ٤٩٩) .

[2] ابن فضل الله العمري : مسالك ٣٠٠٤؛ القلقشندي : صبح ٤: ٥٥.

زِيادَة كثيرة من ذلك ، بحيث يَصل إلى بعضهم المائة فَرَس في السنة [١] .

وكان من شِعَارِ السُّلْطان[٢] أن يَرْكَب إلى الميْدان وفي عُنُقِ الفَرَس رَقَبَةُ حَريرٍ أطْلَس أصفر بزَرْكش ذَهَب ، فتَسْتُر من تحت أُذُنَي الفَرَس إلى حيث السَّرْج . ويكون قُدَّامَه اثنان من الأوشاقِيَّة راكبين على حُصانين أَشْهَبَيْن برَقَبَتين نَظير ما هو راكِبٌ به ، كأنَّهما مُعَدَّان لأن يركبهما . وعلى الأوشاقِيَّين المذكورين قِباءَان أصْفَران من حَرير بطِرازٍ مُزَرْكَش بالذَّهَب ، وعلى رأسهما قُبْعان مُزَرْكَشان . وغاشِيَة السَّرْج محمولة أمام السُّلْطان ، وهي أديم مُزَرْكَش بذَهَب يحملها بعض الرِّكاب دارِيَّة قُدَّامَه ، وهو ماش في وَسَط الموكب . ويكون قُدَّامَه فارِسٌ يُشَبِّب بشَبَّابة لا يقصد بنَغَمِها الإطْراب ، بل ما يَقْرَع بالمهابة سامِعه . ومن خَلْف السُّلْطان الجَنائِبُ ، وعلى رأسه العَصائِبُ السُّلْطانية ، وهي صُفْرٌ مطرَّزَة بذَهَب بألْقابه واسْمِه .

وهذا لا يَخْتَصُّ بالرُّكوب إلى الميْدان ، بل يُعْمَل هذا الشِّعارُ أيضًا إذا رَكِبَ يوم العيد ، أو دَخَلَ إلى القاهِرَة أو إلى مَدينَةٍ من مُدُن الشَّام . ويزدادُ هذا الشِّعارُ في يوم العيدين ودُخُول المَدينَة ، برَفْع المِظلَّة على رأسه ـ ويُقالُ لها الجِتْر[a] ـ وهو أَطْلَسُ أصفرُ مُزَرْكَشٌ من أعْلاه قُبَّة وطَائِر من فِضَّة مُذَهَّبَة ، يحملها يومئذٍ بعضُ أُمَراء المِئِين الأكابِر وهو راكِبٌ فرَسَه إلى جانِب السُّلْطان . ويكون أرْبابُ الوَظائِف والسِّلاح دارية كلُّهم خَلْف السُّلْطان ، ويكون حَوْلَه وأمامَه الطَّبَردارية ـ وهم طائِفَةٌ من الأكْراد ذوي الإقْطاعات والإمْرَة ـ ويكونون مُشاةً وبأيْديهم الأطْبارُ[٤] المشهورة [٥] .

a) بولاق : الحبر .

[١] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٣٠؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤:٥٤ وفيما يلي ٧٠١ - ٧٠٢ .

[٢] شعار (شارات) السُّلْطان هي أمورٌ تقتضيها الأُبَّهَة والبَذَخ يختصُّ بها السلطان ويتميَّزُ بانتحالها عن الرعية والبطانة وسائر الرؤساء في دولته (ابن خلدون : المقدمة ٦٩٦) . وعن رسوم المُلْك وآلاته في عهد المماليك . انظر القلقشندي : صبح ٣:٦ - ٩ .

[٣] المِظَلَّة المُعَبَّر عنها بالجِتْر ـ بجيم مكسورة قد تُبْدَل سينًا معجمة وتاء مثنَّاة من فوق ـ قُبَّة من حرير أصفر مزركش بالذَّهب ، على أعلاها طائِرٌ من فضَّة مطلية بالذهب ، تُحْمَل على رأس السُّلْطان في العيدين ، وهي من بقايا الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة . (القلقشندي : صبح الأعشى ٤:٧-٨) . وضَبَطها القلقشندي في موضع آخر : الجنتر بنون بين الجيم والزاي . (صبح الأعشى ٢:١٣٣) .

[٤] الطَّبَر . فارسي بمعنى الفأس ، ويبدو أن أصله من مدينة طَبَرسْتان فقد ذكر ياقوت أن طَبَرسْتان معناها ناحية الطَّبَر ، لأنَّ أهل هذه النَّواحي كثيرة الحروب وكل أسلحتهم الأطْبار . (معجم البلدان ٤:١٣ - ١٤) .

والطَّبَر المملوكية كانت ذات رأسٍ شِبْه دائري تحلى بزخارف مفرغة أو مموَّهَة بالذهب أو بكليهما ، ويَغْلب على الظَّنّ أن تكون الزَّخارف على هيئة جامات تحتوي على رُؤوس محفورة . وكانت الطَّبَر (البَلْطَة) تُثَبَّت في قائم إمَّا من المعدن أو من الخشب ، ويحلَّى المعدني منها غالبًا بالزَّخارِف . (Mayer, L. *Mamluk Costume* p. 47) .

[٥] ابن فضل الله العمري : مسالك ٣٢ - ٣٣؛ القلقشندي : صبح ٤:٤٦ .

ذكر قلعة الجبل

قال ابنُ سِيدَه في كِتاب «المُحْكَم» : القَلَعَةُ ـ بتَحْريك القاف واللّام والعَيْنِ وفَتْحها ـ الحِصْنُ المُمْتَنِع في جَبَلٍ ، وجَمْعُها قِلاع وقَلَع . وأَقْلَعُوا بهذه البلاد بَنَوها فجَعَلوها كالقَلْعَة ، وقيل القَلْعَةُ ـ بسكون اللام ـ حِصْنٌ مُشْرِفٌ ، وجَمْعُه قُلُوع [1] .

وهذه القَلْعَة على قِطْعَةٍ من الجَبَل ، وهي تَتَّصِلُ بجَبَل المُقَطَّم ، وتُشْرِفُ على القاهِرَة ومصر والنِّيل والقَرافَة . فتصير القاهِرَة في الجِهَة البَحْرية منها ، ومَدينَةُ مِصْر والقَرافَةُ الكبرىٰ وبِرْكَةُ الحَبَش في الجِهَة القِبْلِيَّة الغربية ، والنِّيلُ الأَعْظَم في غربيها ، وجَبَلُ المُقَطَّم من وَرائِها في الجِهَة الشَّرْقِيَّة .

وكان مَوْضِعُها أوَّلًا يُعْرَف بقُبَّة الهَوَاء ، ثم صارَ من تحته مَيْدانُ أحمد بن طُولون ، ثم صارَ موضِعُها مَقْبَرَةً فيها عِدَّةُ مَساجِد إلى أن أنشأها السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف ابن أيُّوب ـ أوَّل الملوك بديار مصر ـ على يد الطُّواشي بَهَاء الدِّين قَراقوش الأَسَدي في سنة اثْنَتين وسبعين وخمس مائة ، وصارَت من بعده دارَ المُلْك بديار مصر إلى يَوْمِنا هذا .

وهي ثامِنُ مَوْضِعٍ صارَ دارَ المملكة بديار مصر . وذلك أنَّ دارَ المُلْك كانت أوَّلًا قبل الطُّوفان مَدينَة «أَمْسُوس» ، ثم صارَ تَخْت المُلْك بعد الطُّوفان بمَدينَة «مَنْف» إلى أن خَرَّبَها بُخْت نَصَّر . ثم لمَّا مَلَكَ الإسْكَنْدَر بن فيلِبس صارَ إلى مصر ، وجَدَّدَ بِناءَ الإسْكَنْدَرية . فصارَت دارَ المملكة من حينئذٍ ، بعد مَدينَة مَنْف ، «الإسْكَنْدَرِيَّةُ» إلى أن جاءَ الله تعالى بالإسْلام ، وقَدِمَ عَمْرو بن العَاص ـ رضي الله عنه ـ بجُيوشِ المسلمين إلى مصر وفَتَحَ الحِصْن ، واخْتَطَّ مَدينَة «فُسْطاط مصر» . فصارَت دارُ الإمارة من حينئذٍ بالفُسْطاط إلى أن زالَت دَوْلَةُ بني أُمَيَّة وقَدِمَت عَساكِرُ بني العَبَّاس

---

[1] ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ١ : ١٢٧.

إلى مصر، وبنوا في ظاهِر الفُسْطاط «العَسْكَر». فصارَ الأُمَرَاءُ من حينئذٍ تارةً ينزلون في العَسْكَر، وتارةً في الفُسْطاط، إلى أن بَنَى أحمد بن طُولون القَصْر والمَيْدان، وأنشأ «القَطَائِع» بجانِب العَسْكَر. فصارَت القَطائِعُ مَنازِلَ الطُّولونية إلى أن زَالَت دَوْلَتُهم.

فسَكَنَ الأُمَرَاءُ بعد زَوال دَوْلَة بني طُولون بالعَسْكَر إلى أن قَدِمَ جَوْهَرٌ القائِد من بلاد المغرب بعساكِر المُعِزّ لدين الله وبَنَى «القاهِرَة المُعِزِّيَّة»؛ فصارَت القاهِرَةُ من حينئذٍ دارَ الخِلافَة ومقرَّ الإمامَة ومَنْزِلَ المُلْك إلى أن انْقَضَت الدَّوْلَةُ الفاطِمِيَّة على يد السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب [١].

فلمَّا استبدَّ بعدهم بأَمْر سَلْطَنَة مصر بَنَى «قَلْعَةَ الجَبَل» هذه وماتَ؛ فسَكَنَها من بعده المَلِكُ الكامِلُ محمد بن العادِل أبي بكر بن أيُّوب، واقْتَدَى به مَنْ مَلَكَ مصر من بَعْده من أوْلادِه إلى أن انْقَرَضُوا على يد مَماليكهم البَحْرِيَّة، ومَلَكُوا مصر من بعدهم، فاسْتَقَرُّوا بقَلْعَة الجَبَل إلى وَقْتِنا[a] هذا.

وسأَجْمَعُ - إن شاءَ الله تعالى - من أخْبَار قَلْعَة الجَبَل هذه، وذِكْر من مَلَكَها ما فيه كِفايَة.

ذِكْرُ ما كانَ عَلَيْه مَوْضِعُ قَلْعَةِ الجَبَل قَبْلَ بِنائِها

٢٠٢:١

اعْلَم أنَّ أوَّلَ ما عُرِفَ من خَبَرِ موضِع قَلْعَة الجبَل [b]- فيما وَقَفْتُ عليه[b] - أنَّه كان فيه قُبَّةٌ تُعْرَف بقُبَّةِ الهَوَاء.

قال أبو عُمَر [b]محمد بن يُوسُف بن يعقوب[b] الكِنْدي في كِتاب «أُمَرَاء مصر» [b]ومن أصْل القاضي القُضَاعي الذي قَرَأَه على ابن النَّحّاس نَقَلْتُ ما نَصُّه[b]: وابْتَنَى حاتمُ بن هَرْثَمَة القُبَّة التي تُعْرَف بقُبَّة الهَوَاء [٢]، وهو أوَّل من ابْتَناها، ووَلِيَ مصر إلى أن صُرِفَ عنها في جُمادَىٰ الآخرة سنة

a) بولاق: يومنا. b-b) إضافة من مسودة الخطط.

[١] راجع فيما تقدم ١: ٣٥٠، ٣٦٤، ٣٩٢؛ ٢: ٣، ٥٦، ٨٠، ١٧١.

[٢] عن قُبَّة الهَوَاء، انظر فيما تقدم ٢: ٨٠، ٥٨٤.

خمسٍ وتسعين ومائة [1]. قال: ثم ماتَ عيسىٰ بن مَنْصور، أمير مصر، في قُبّة الهَواء بعد عَزْله لإحدى عشرة خَلَت من شهر رَبيعٍ الآخر سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائتين [2].

ولمَّا قَدِمَ أميرُ المؤمنين المَأْمُون إلى مصر في سنة سبع عشرة ومائتين، وجَلَسَ بقُبَّة الهَواء هذه، وكان بحضرته سَعيدُ بن عُفَيْر، فقال المَأْمُونُ: لَعَنَ الله فِرْعَوْن حيث يقول: «أَلَيْسَ لي مُلْكُ مِصْر»؟ فلو رأى العِراق وخِصْبَها! فقال سَعيدُ بن عُفَيْر: يا أميرَ المؤمنين لا تَقُل هذا، فإنَّ الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ قال: ﴿ودَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الآية ١٣٧ سورة الأعراف]. فما ظَنُّك يا أمير المؤمنين بشيءٍ دَمَّرَه الله هذا بَقِيَّتُه؟

ثم قال سَعيدٌ: لقد بَلَغَنا أنَّ أَرْضًا لم تكن أَعْظَم من مصر، وجَميعُ أَهْل الأَرْض يَحْتاجون إليها، وكانت الأَنْهارُ بقَناطِرَ وجُسُورٍ بتقدير، حتى إنَّ الماءَ يجري تحت مَنازِلهم وأَفْنِيَتهم يُرْسِلُونه متى شاءُوا ويَحْبسونه متى شاءُوا، وكانت البَساتين [a]تُحاذي النِّيل من أوَّله إلى آخره ما بين أُسْوان إلى رشيد إلى الشام[a] مُتَّصِلَةً لا تَنْقَطِع. ولقد كانت الأَمَةُ تضع المِكْتَل على رأسها فيمتلئ مما يَسْقُط من الشَّجَر، وكانت المرأةُ تخرجُ حاسِرةً لا تحتاج إلى خِمار لكثرة الشَّجَر.

وفي قُبَّة الهَوَاء حَبَسَ المَأْمُونُ الحارِثَ بن مِسْكين.

قال الكِنْديُّ في كِتاب «المَوَالي»: قَدِمَ المَأْمُونُ مصر ـ وكان بها رَجُلٌ يُقالُ له الحَضْرَميُّ يتظلَّم من ابن أَسْباط وابن تَميم ـ فجَلَسَ الفَضْلُ بن مَرْوان في المَسْجِد الجامِع، وحَضَرَ مَجْلِسَه يحيىٰ بن أَكْثَم وابن أبي دُوَاد [b]، وحَضَرَ إسْحاقُ بن إسماعيل بن حَمَّاد بن زَيْد ـ وكان على مَظالِم مصر ـ وحَضَرَ جماعَةٌ من فُقَهاءِ مصر وأَصْحابِ الحَديث.

وأَحْضَرَ الحارِثَ بن مِسْكين ليُوَلّي قَضاء مصر، فدَعاه الفَضْلُ بن مَرْوان، فبَيْنا هو يكلِّمه، إذْ قال الحَضْرَميُّ للفَضْل: سَلْ ـ أَصْلَحَكَ الله ـ الحارِثَ عن ابن أَسْباط وابن تَميم. قال: ليس لهذا أحْضَرْناه. قال: أَصْلَحَك الله، سَلْه. فقال الفَضْلُ للحارِث: ما تَقُول في هذين الرَّجُلَيْن؟ فقال: ظالِمَيْن غاشِمَيْن. قال: ليس لهذا أَحْضَرْناك.

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط. b) بولاق: ابن أبي داود.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ١٧٤. [2] نفسه ٢٢١.

فاضْطَّرَب المَسْجِدُ، وكان النَّاسُ مُتوافِرِين، فقامَ الفَضْلُ وصارَ إلى المَأْمُون بالخَبَر، وقال: خِفْتُ على نفسي من ثَوَران النَّاس مع الحارِث.

فأرْسَلَ المَأْمُونُ إلى الحارِث فدَعاه، فابتدأه بالمُسَاءَلَة، فقال: ما تقولُ في هذين الرَّجُلَيْن؟ فقال: ظالِمَيْن غاشِمَيْن. قال: هل ظَلَماك بشيءٍ؟ قال: لا. قال: فعامَلْتَهما؟ قال: لا. قال: فكيف شَهِدْت عليهما؟ قال: كما شَهِدت أنَّك أميرَ المؤْمنين ولم أرَكَ قَطّ إلَّا السَّاعَة، وكما شَهِدَت أنَّك غَزَوت ولم أَحْضُرْ غَزْوَك. قال: اخْرُج من هذه البلاد فليست لك ببلاد، وبِعْ قَليلَك وكثيرَك فإنَّك لا تُعاينها أبدًا. وحَبَسَه في رأس الجبَل في قُبَّةِ ابن هَرْثَمَة.

ثم انْحَدَر المَأْمُونُ إلى البَشْرود وأحْدَره[a] مَعَهُ. فلمَّا فَتَحَ البَشْرود أحْضَرَ الحارِث. فلمَّا دَخَلَ عليه سألَه عن المسألة التي سألَه عنها بمصر، فرَدَّ عليه الجَواب بعينه، فقال: فأيُّ شيءٍ تقول في خروجنا هذا؟ قال: أخْبَرَني عبد الرَّحْمَن بن القاسِم، عن مالِك، أنَّ الرَّشيدَ كَتَبَ إليه في أهْل دَهْلَك يسألُه عن قِتالِهم، فقال: إن كانوا خَرَجوا عن ظُلْمٍ من السُّلْطان فلا يَحِلُّ قِتالُهم، وإن كانوا إنَّما شَقُّوا العَصَا فقِتالُهم حَلال.

فقال المَأْمُونُ: أنت تَيْس، ومالِكٌ أتْيَسُ منك، ارْحَل عن مصر. قال: يا أمير المؤمنين إلى الثُّغور؟ قال: الحَق بمَدينَة السَّلام. فقال له أبو صَالِح الحَرَّاني: يا أمير المؤمنين تغفر زَلَّته. قال: يا شَيْخ تَشَفَّعْت، فارْتَفِع.

ولمَّا بَنَى أحمد بن طُولون القَصْر والمَيْدان تحت قُبَّة الهَوَاء هذه، كان كثيرًا ما يُقيمُ فيها، فإنَّها كانت تُشْرِف على قَصْرِه. واعتنى بها الأميرُ أبو الجَيْش خُمارَوَيْه بن أحمد بن طُولون، وجَعَلَ لها السُّتُورَ الجَليلَة والفُرُشَ العَظيمَة، في كلِّ فَصْلٍ ما يُناسِبه.

فلمَّا زالَت دَوْلَةُ بني طُولون، وخَرِبَ القَصْرُ والمَيْدان، كانت قُبَّةُ الهَواء ممَّا خَرِبَ ـ كما تقدَّم ذكره عند ذِكْر القَطائِع من هذا الكِتاب ـ ثم عُمِلَ مَوْضِعُ قُبَّة الهَوَاء مَقْبَرَةً، وبُنِيَ فيها عِدَّةُ مَساجِد[1].

a) بولاق: وأحضره.

[1] فيما تقدم ٢: ٨٠، ٥٨٤.

قال الشَّريفُ محمد بن أَسْعَد الجَوَّاني النَّسَّابَة في كِتاب «النُّقَط على[a] الخِطَط»: والمساجِدُ المبنيَّةُ على الجَبَل المُتَّصِل[b] باليَحاميم المُطِلّ[c] على القاهِرَة المُعِزِّيَّة، التي فيها المَسْجِد المعروف بسَعْد الدَّوْلَة، والتُّرَب التي هناك تحتوي القَلْعَة التي بَناهَا السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يوسُف بن أيُّوب على الجَميع وهي التي نَعَتَها بالقاهِرَة. وبُنِيَت هذه القَلْعَةُ في مُدَّةٍ يسيرة.

٥ وهذه المساجِدُ هي: مَسْجِدُ سَعْد الدَّوْلَة، ومَسْجِدُ مُعِزّ الدَّوْلَة والي مصر [1]، ومَسْجدُ مُقَدَّم ابن عُلَيَّان من بني بُوَيْه الدَّيْلَمي، [d]والتُّرْبَة[d] ومَسْجِدُ العُدَّة، بناء أَحَد الأُسْتاذين الكِبار المُسْتَنْصِرِيَّة - وهو عُدَّة الدَّوْلَة - وكان بعد مَسْجِد مُعِزّ الدَّوْلَة، ومَسْجِدِ عبد الجَبَّار بن عبد الرَّحْمَان بن شِبْل بن عليّ ابن[e] رَئيس الرُّؤَساء، وكافي الكُفَاة أبي يَعْقُوب بن يُوسُف الوَزير بهَمَدان ابن عليّ، بناهُ وانتقل بالإرْث إلى ابن عَمِّه القاضي الفَقيه أبي الحَجَّاج يُوسُف بن عبد ١٠ الجَبَّار بن شِبْل، وكان من أَعْيان السَّادَة [2]. ومَسْجِدُ/ قُسْطَة، وكان أميرًا[f] أرْمَنيًّا من غِلْمان المُظَفَّر ابن أمير الجُيُوش، ماتَ مَسْمُومًا من أَكْلَة هَرِيسَة.

وقال الحافِظُ أبو الطَّاهِر السِّلَفي: سَمِعْتُ أبا مَنْصور قُسْطَة الأَرْمَني[g] والي الإسْكَنْدَرية يقول: كان عبدُ الرَّحْمَان خطيب ثَغْر عَسْقَلان يَخْطُب بظاهِر البَلَد في عيدٍ من الأَعْياد، فقيل له قد قَرُبَ مِنَّا العَدُوّ. فنَزَلَ عن المنبر، وقَطَعَ الخُطْبَة. فبَلَغَه أنَّ قومًا من العَسْكرية عابُوا عليه فِعْلَه. فخَطَبَ ١٥ في الجُمُعَة الأُخرى داخِل البَلَد في الجامع خُطْبَةً بليغةً قال فيها: «قد زُعِمَ[h] أنَّ الخَطيبَ فَزِعَ، وعن المنبر تَزَعْزَعَ[i] وليس ذلك عارًا على الخَطيب، فإنَّما يَزِينُه الطَّيْلَسانُ، وحُسامُه اللِّسانُ، وفَرَسُه خَشَبٌ لا تَجْري مع الفُرْسان. وإنَّما العارُ على من تَقَلَّد الحُسامَ، وسَنَّ السِّنانَ، ورَكِبَ الجِيادَ الحِسَان، وعند اللِّقاء يصيح: إلى عَسْقَلان» [3].

---

a) بولاق: في. b) بولاق: المتصلة. c) بولاق: المطلة. d-d) ساقطة من بولاق. e) ساقطة من بولاق. f) بولاق: غلامًا. g) عند السلفي: الآمري. h) بولاق: قد زعم قوم، والسلفي: قد زَعَموا. i) بولاق: نزع.

---

[1] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣١.

[2] راجع مناقشة كازانوفا لمواقع هذه المساجد Casanova, P., *op.cit.*, pp. 557-59 (الترجمة العربية ٦٣-٦٤).

[3] السلفي: معجم السَّفَر ٣٢٤ (ترجمة رقم ١١٣٧)؛ وانظر عن السِّلَفي فيما يلي ٧٥٥هـ [7].

وكان قُشْطَة هذا من عُقَلاء الأُمَرَاء المائِلِين إلى العَدْل، المُثابِرِين على مُطالَعَة الكُتُب [١]، وأكثر مَيْله إلى التَّوارِيخ وسِيَر المتقدِّمين، وكان مَسْجِدُه بعد مَسْجِد شَقيق المُلْك [٢]. ومَسْجِدُ الدَّيْلَمي كان على قُرْنَة الجَبَل المقابِل للقَلْعَة من شَرْقيها إلى البَحْري، وقَبْرُه قُدَّام الباب. وتُرْبَةُ وَلَخْشي الأمير، والِد السُّلْطان رِضْوان بن وَلَخْشي المنعوت بالأَفْضَل، كان من الأعْيان الفُضَلاء الأُدَبَاء، ضَرَبَ على طَرِيقَة ابن البَوَّاب وأبي عليّ بن مُقْلَة، وكَتَبَ عِدَّةَ خَتْمات، وكان كريمًا شُجاعًا يُلَقَّبُ فَحْل الأُمَرَاء. وكانت هذه التُّرْبَةُ آخِر الصَّفّ.

ومَسْجِدُ شَقيق المُلْك الأُسْتاذ خُشْرُوان، صاحِب بَيْت المال، أُضيفَ إلى سُور القَلْعَة البَحْري إلى الغَرْب قَليلًا [٣]. ومَسْجِدُ أمين المُلْك صارِم الدَّوْلَة مُفْلِح - صاحِب المَجْلِس الحافِظي - كان بعد مَسْجِد القاضي ابن أبي الحَجَّاج المعروف بمَسْجِد عبد الجَبَّار، وهو في وَسَط القَلْعَة، وبعده تُرْبَةُ لاوُن أخي يانِس. ومَسْجِدُ القاضي النَّبيه كان لهَمَّام الدَّوْلَة غَنَّام، وماتَ رَسُولًا ببلاد الرُّوم [a]،

a) بولاق: الشام.

[١] السلفي: معجم السَّفَر ٣٢٥ (ترجمة رقم ١١٣٨).

[٢] يَدُلُّ على موقع مَسْجِد قُشطَة المَسْجِد المعروف الآن بمَسْجِد سارية الواقع بالقرب من السُّور البَحْري الشرقي، ووَرَدَ هذا المسجدُ على الخريطة التي رَسَمَها عُلَماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم جامع الشارية (S-2, 31) بالقرب من قَصْر الحرم. وقد جَدَّدَ والي مصر العُثْماني سليمان باشا الخادم هذا المسجد سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٨م، كما هو مكتوبٌ في لَوْحٍ من الرُّخام مُثَبَّت بأعلى الباب الغربي للجامع (مسجل بالآثار برقم ١٤٢). ويوجد داخِل هذا المسجد قَبْرٌ ضخمٌ يضمُّ بعض التُّرَب وبأعْلاه رُخامَة نُقِش عليها أنَّ الذي «أنشأ هذا المسجد المبارك الأميرُ المرتضى المَنْصور مَجْدُ الخِلافَة عُمْدَةُ الإمامَة فَخْرُ الدِّين عِزُّ المجاهِدين ذي الفَضيلتين خالِصَة أمير المؤمنين أبي المَنْصور قُشطَة، كان الله له وَلِيًّا وحافِظًا وأثابَه في الآخرة جِنانًا ورِضْوَانًا ابتغاء مَرْضاة الله سبحانه، وذلك في رَجَب من شهور سنة خمسٍ وثلاثين وخمس مائة» Casanova, P., *op.cit.*, pp. 559-60; Wiet G.,) (*RCEA* 8, p. 220 n°3101). وواضِحٌ أنَّ سليمان باشا الخادم عند تأسيس مسجده نَقَلَ اللَّوْح القديم من المسجد ووَضَعَه على القَبْر الذي يشتمل على تُرْبَة أبي المَنْصور قُشطَه وغيرها من تُرَب المماليك، وتمتازُ هذه التُّرَب بأنّه على شاهِدِ كلِّ قَبْرٍ منها نَوْعُ لِباس الرأس الذي كان يلبسه المملوك المَدْفُون فيه، وهي تقدِّم لنا بذلك نَماذِجَ نادِرَة لأشكال مَلابِس الرأس عن المماليك. (Casanova, P., *op.cit.*, pp. 559-61 (الترجمة العربية ٦٤-٦٦)؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٢٦٢-٢٦٣هـ [٣]، وقد خَلَطَ محمد رمزي في تحديده لموقع المَسْجِد بينه وبين مَسْجِد الرُّدَيني الآتي ذكره بعد قليل، والذي لابد أنّه كان مُجاوِرًا له).

[٣] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣١، وفيه: «وكان هذا الأستاذ من الأجلاء الكرماء وفيه خير، وكان لأهل المساجد عليه رسومٌ في المواسم المصرية كليالي الوقودات وأوائل الصوم».

أنشأه وشَراهُ منه القاضي النَّبيه، وقَبْرُه به، وكان القاضي من الأعْيان [١]. ذَكَرَ ذلك الشَّريف النَّسَّابة.

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر: أخبَرَني والدي قال: كُنَّا نَطْلَع إليها - يعني إلى المَساجِد التي كانت مَوْضِعَ قَلْعَة الجَبَلِ - قبل أن تُسْكن في ليالي الجُمَع، نَبيت متفرِّجين كما نَبيتُ في جَواسِق الجَبَل والقَرافَة [٢]. ٥

قال كاتِبُه [a]: وبالقَلْعَة الآن مَسْجِدُ الرُّدَيْني، وهو أبو الحَسَن عليّ بن مَرْزوق بن عبد الله الرُّدَيْني، الفقيه المُحَدِّث المُفَسِّر، كان مُعاصِرًا لأبي عَمْرو عُثْمان بن مَرْزوق الحَوْفي، وكان يُنْكِر على أصْحابِه، وكانت كلمتُه مقبولةً عند الملوك، وكان يأوي بمَسْجِد سَعْد الدَّوْلَة ثم تَحَوَّل منه إلى مَسْجِد عُرِفَ بالرُّدَيْني، وهو الموجود الآن بداخِل قَلْعَة الجَبَل، وعليه وَقْفٌ بالإسْكَنْدَرية. وفي هذا المَسْجِد قَبْرٌ يزعمون أنَّه قَبْرُه، وفي كُتُب المَزَارات بالقَرافَة أنَّه دُفِن بها. وتُوفِّي سنة أربعين وخمس مائة وقُبِرَ بخُطِّ سارية شرقي تُرْبَة الكِيزاني [b]، واشْتُهِرَ قَبْرُه بإجابَة الدُّعاء عنده [c] [٣]. ١٠

---

a) بولاق: مؤلفه. b) بولاق: الكيرواني، وفي مرشد الزوار: تربة أم مودود وتربة بني درباس. c) في مرشد الزوار: بإجابة الدعاء بوفاء الدين، وهنا على هامش آياصوفيا: بياض أربعة أسطر.

---

[١] قارن مع ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣١-١٣٢؛ المقريزي: مسودة الخطط ١٤١ظ.

[٢] نفسه ١٣١؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٦٨؛ المقريزي: مسودة الخطط ١٤١ظ.

[٣] هذا النَّصُّ نقلًا عن المُوَفَّق بن عثمان: مرشد الزوار ٦٠٥؛ وكان هذا المسجد بين آدُر الحريم السلطانية، قال ابن عبد الظاهر: «قال لي والدي - رحمه الله - عَرَضَ عليّ الملك الكامل إمامته، فامتنعت لكونه بين آدُر الحريم». (القلقشندي: صبح الأعشى ٣:٣٦٨).

ذِكْرُ بِنَاءِ قَلْعَةِ الجَبَل

وكان سَبَبُ بِنائِها أنَّ السُّلْطانَ صَلاحَ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب لمَّا أزالَ الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة من مصر، واستبدَّ بالأَمْر، لم يَتَحَوَّل من دار الوَزارَة بالقاهِرَة، ولم يَزَلْ يَخافُ على نفسه من شِيعَة الخُلَفاء الفاطِميين بمصر، ومن المَلِك العادِل نُور الدِّين محمود بن زَنْكي سُلْطان الشَّام. فامْتَنَعَ أوَّلًا من نُور الدِّين بأن سَيَّرَ أخاه الملك المُعَظَّم شَمْس الدَّوْلَة تُوران شاه بن أيُّوب، في سنة تسع وستين وخمس مائة، إلى بلاد اليَمَن لتصير له مملكةً تَعْصِمَه من نُور الدِّين، فاسْتَوْلى شَمْسُ الدَّوْلَة على ممالِك اليَمَن [١].

وكَفَى الله تعالى صَلاحَ الدِّين أمْرَ نُور الدِّين وماتَ في تلك السنة، فخَلا له الجَوُّ وأَمِنَ جانبه. وأَحَبَّ أن يجعل لنفسه مَعْقِلًا بمصر، فإنَّه كان قد قَسَمَ القَصْرَيْن بين أُمَرائِه وأَنْزَلَهم فيهما. فيُقالُ إنَّ السَّبَبَ الذي دَعاهُ إلى اخْتيار مكان قَلْعَة الجَبَل، أنَّه عَلَّق اللَّحْمَ بالقاهِرَة فتَغَيَّر بعد يومٍ وليلة، فعَلَّق لَحْم حَيوان آخر في مَوْضِع القَلْعَة فلم يَتَغَيَّر إلَّا بعد يومين وليلتين، فأَمَرَ حينئذٍ بإنْشاء قَلْعَةٍ هناك وأقامَ على عِمارَتها الأمير الطَّواشي[a] بهاء الدِّين قَراقُوش الأَسدي. فشَرَعَ في بِنائِها، وبَنَى سُورَ القاهِرَة الذي زادَه في سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة، وهَدَمَ ما كان[b] من المساجد، وأزالَ القُبُور، وهَدَمَ الأهْرامات[c] الصِّغار التي كانت بالجيزَة تجاه مِدينة[a] مصر - وكانت كثيرة العَدَد - ونَقَلَ ما وَجَدَ بها من الحِجارَة، وبَنَى به السُّور والقَلْعَة وقَناطِر الجيزَة، وقَصَدَ أن يَجْعَل السُّور يُحيطُ بالقاهِرَة والقَلْعَة ومصر، فماتَ السُّلْطانُ قبل أن يتمَّ الغَرَضُ من السُّور والقَلْعَة [٢]. فأُهْمِلَ

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: هنالك. c) بولاق: الأهرام.

[١] فيما تقدم ١٠٩.

[٢] فيما تقدم ٢: ٢٦٤- ٢٦٧، وهذا المجلد ٥٠٨.

ولدَيْنا وَصْفٌ هامٌّ مُعاصِرٌ لبناء القَلْعَة يُفيدُنا - على الأخصِّ - في معرفة المُسَخَّرين في بِنائها، فقد كان الرَّحالَةُ ابنُ جُبَيْر الأَنْدَلُسي في مصر سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م عند الانتهاء من بناء القسم الأوَّل من القَلْعَة، وتَرَكَ لنا الوَصْفَ التالي: «وشاهَدْنا أيضًا بناءَ القَلْعَة - وهو حِصْنٌ يتَّصِلُ بالقاهِرَة حَصِينُ المَنَعَة - يُرِيدُ السُّلْطانُ أن يتَّخذَه مَوْضِعَ سُكْناه، ويمدُّ سُورَه حتى ينتظم بالمدينتين مصر والقاهِرَة. والمُسَخَّرون في هذا البُنْيان والمتولُّون لجميع امْتِهاناته =

مَنْظَرٌ عام لسُور قَلْعَة الجَبَل كما يَبْدو في نهاية القرن الثامن عشر (عن وَصْف مصر)

مَنْظَر عام لسُور قَلْعَة صَلاح الدِّين من جِهَةِ طريق صَلاح سالِم والمُقَطَّم (عن كِتاب Le Caire)

العَمَلُ إلى أن كانت سَلْطَنَةُ الملك العادل سَيْف الدِّين أبي بكر بن أيُّوب أسْكَن ابنه الملك الكامِل ناصِر الدِّين محمد[a] في قَلْعَة الجَبَل، واسْتَنابَه في مملكة مصر وجَعَلَه وليَّ عَهْده[b]. فأتمَّ بِناءَ القَلْعَة، وأنْشأ بها الآدُرَ السُّلْطانية وذلك في سنة أربع وستّ مائة. وما بَرِحَ يسكنها حتى مات، فاستمرّت من بعده دارَ مملكةِ مصر إلى يومِنا.

وقد كان السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يوسُف يُقيمُ بها أيّامًا، وسَكَنَها الملكُ العَزيزُ عُثْمان بن صَلاح الدِّين في أيّام أبيه مُدَّةً، ثم انتقل منها إلى دار الوَزارَة.

([c]قال العَلّامَة محيي الدِّين أبو الفَضْل عبد الله بن عبد الظّاهِر بن نَشْوان في كِتاب «خِطَط القاهِرَة» ومنه نَقَلْت: قَلْعَةُ الجَبَل كان قبل بنائها بها مَساجِد ولبعضها أوْقافٌ منها مَسْجِدٌ له وَقْفٌ بالإسْكَنْدَرية، تولّى عمارَتها قَرَاقُوش وابتدأ بذلك في سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة[c].

وسَمِعْتُ حِكايَةً تُحْكَى/ عن صَلاح الدِّين أنّه طَلَعَها ومعه أخُوه الملكُ العادِل، فلمّا رآها الْتَفَت إلى أخيه وقال: يا سَيْف الدِّين قد بَنَيْت هذه القَلْعَة لأوْلادِك. فقال: يا خَوَنْد مَنَّ الله عليك أنت وأوْلادِك وأوْلادِ أوْلادِك بالدُّنْيا. فقال: ما فَهِمْتَ ما قُلْتُ لك؛ أنا نَجيبٌ ما يأتي لي أوْلادٌ نُجَباء، وأنت غير نَجِيب فأوْلادُك يكونون نُجَباء! فَسَكَتَ [1].

قال كاتِبُه[d]: وهذا الذي ذَكَرَه صَلاحُ الدِّين يُوسُف من انتقال المُلْك عنه إلى أخيه وأوْلاد أخيه، ليس هو خاصًّا بدَوْلَته، بل اعْتَبِر ذلك في الدُّوَل تَجِدِ الأمْرَ يَنْتَقِل عن أوْلاد القائِم بالدَّوْلَة إلى بَعْض أقارِبه. هذا رَسُولُ الله ﷺ، هو القائِمُ بالمِلَّة الإسْلامِية، ولمّا تُوفّي ﷺ، انْتَقَلَ أمْرُ القِيام بالمِلَّة الإسْلامية بعده إلى أبي بكرٍ الصِّدِّيق - رَضِيَ الله عنه، واسمه عبد الله بن عُثْمان بن

a) النَّصّ في بولاق: إلى أن كانت سلطنة الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب. b) بولاق: ولي عهد. c-c) هذه الفقرة من مسودة الخطط، وجاء عوضها في المبيضة: قال ابن عبد الظاهر. d) بولاق: قال مؤلفه.

= ومُؤونَتِه العظيمة كنَشْر الرُّخام ونَحْت الصُّخُور العِظام وحَفْر الخَنْدَق المُحْدِق بسُور الحِصْن المذكور - وهو خَنْدَقٌ يُنْقَر بالمعاوِل نَقْرًا في الصَّخْر عَجَبًا من العَجائِب الباقية الآثار - العُلُوج الأسارَى من الرُّوم وعَدَدُهم لا يُحْصَى كثرةً، ولا سَبيلَ أن يُمْتَهن في ذلك البُنْيان أحَدٌ سواهم» (الرحلة ٢٥).

[1] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣٠-١٣١؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٦٨-٣٦٩؛ المقريزي: مسودة الخطط ١٤١ظ.

عامِر بن عَمْرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم[a] بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ . فهو - رَضِيَ الله عنه - يَجْتَمِع مع النَّبي ﷺ في مُرَّة بن كَعْب .

ثم لمَّا انْتَقَلَ الأَمْرُ بعد الخُلَفاء الرَّاشدين - رَضِي الله عنهم - إلى بني أُمَيَّة ، كان القائِمُ بالدَّوْلَة الأُمَوِيَّة مُعاوية بن أبي سُفْيان صَخْر بن حَرْب بن أُمَيَّة ، فلم تَفْلَح أوْلادُه ، وصارَت الخِلافَةُ إلى مَرْوان بن الحكَم بن أبي[b] العَاص بن أُمَيَّة ، فتَوارَثَها بنو مَرْوان حتى انْقَضَت دولَتُهُم بقيام بني العبَّاس .

فكان أوَّلَ من قامَ من بني العبَّاس عبدُ الله بن محمد السَّفَّاح ، ولمَّا ماتَ انتقلت الخِلافَةُ من بعده إلى أخيه أبي جَعْفَر عبد الله بن محمد المَنْصُور ، واستقرَّت في بَنيه إلى أن انْقَرَضَت الدَّوْلَةُ العبَّاسِيَّة من بَغْدَاد .

وكذا وَقَعَ في دُوَل العَجَم أيضًا ؛ فأوَّلُ مُلوك بني بُوَيْه عِمادُ الدِّين أبو عليّ الحَسَن [c]عليّ بن أبي شُجاع[c] بُوَيْه ، والقائِمُ من بعده أخُوه رُكْن الدَّوْلة أبو علي الحَسَن بن بُوَيْه . وأوَّلُ ملوك بني سَلْجُوق طُغْرُلبك ، والقائِمُ من بعده في السَّلْطَنَة ابنُ أخيه أَلْب أرْسلان بن دَاود بن مِيكائيل بن سَلْجُوق .

وأوَّلُ قائِم بدَوْلَة بني أيُّوب السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يوسُف بن أيُّوب ؛ ولمَّا ماتَ اخْتَلَف أوْلادُه ، فانتقل مُلْكُ مصر والشَّام وديار بَكْر والحِجاز واليَمَن إلى أخيه الملك العادِل أبي بكر محمد[b] بن أيُّوب ، واستمرَّ فيهم إلى أن انْقَرَضَت الدَّوْلَةُ الأيُّوبية [1] ، فقامَ بمَمْلَكَة مصر المماليكُ الأتْراك . وأوَّلُ من قامَ منهم بمصر الملكُ المُعِزُّ أَيْبَك ؛ فلمَّا ماتَ لم يُفْلِح ابنُه عليّ ، فصارَت المملكةُ إلى قُطُز .

وأوَّلُ من قامَ بالدَّوْلَة الجَرْكَسِيَّة الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقوق ، وانتقلت المملكةُ من بعد ابنه الملك النَّاصِر فَرَج إلى الملك المؤيَّد شَيْخ المحمودي الظَّاهِري [2].

a) بولاق : تميم . b) ساقطة من بولاق . c-c) ساقطة من بولاق .

[1] قارن ذلك أيضًا بما ذكره ابنُ الأثير : الكامل في التاريخ ١١: ٣٤٤- ٣٤٥، الذي أضافَ أنَّه لم يَبْقَ بيد أعْقابِ صَلاحِ الدِّين غير حَلَب .

[2] هذه الإشارَةُ تَدُلُّ على أنَّ المقريزي كَتَب هذا الفَصْل والقسم الأكبر من كِتابِه في فترة سَلْطَنَة السُّلْطان الملك المؤيَّد شَيْخ المحمودي (٨١٥-٨٢٤هـ/ ١٤١٢-١٤٢١م) ، وعلى الأخصّ في سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م، ٨٢٠هـ/١٤١٧م . (انظر فيما تقدم ١: ٢٥٥، وفيما يلي ٦٦٦، ومقدمة الجزء الأوَّل ٦٦*-٦٧*) .

وقد جَمَعْتُ في هذا فَصْلًا كبيرًا، وقَلَّما تَجِدُ الأَمْرَ بخِلاف ما قُلْته لك، ولله عاقِبَةُ الأُمُور.

قال ابنُ عبد الظَّاهِر: والملكُ الكامِلُ هو الذي اهْتَمَّ بعِمارَتِها وعِمارَةِ أَبْراجِها، البُرْجُ الأَحمر وغيره، فكَمُلَت في سنة أربعٍ وستّ مائة، وتَحَوَّل إليها من دار الوَزارَة، ونَقَلَ إليها أوْلادَ العاضِد وأقارِبَه وسجَنَهم في بيتٍ فيها. فلم يَزالوا به[a] إلى أن حُوِّلوا منه في سنة إحدى وسبعين وستّ مائة[1].

قال: وفي أواخِر[b] سنة اثنتين وثمانين وستّ مائة، شَرَعَ السُّلْطانُ الملكُ المنصور قَلاوون في عِمارَة بُرْجٍ عَظيمٍ على جانِب باب السِّرِّ الكبير، وبَنَى عُلُوَّه مُشْتَرَفات وقاعات مُرَخَّمة لم يُرَ مثلُها، وسَكَنَها في صَفَر سنة ثلاثٍ وثمانين وستّ مائة. ويُقالُ إنَّ قَراقُوشَ كان يَسْتَعْمِل في بِناء القَلْعَة والسُّور خمسين ألف أسير[2].

البِئْرُ التي بالقَلْعَة

هذه البِئْرُ من العَجائِب، اسْتَنْبَطَها قَراقُوش. قال ابنُ عبد الظَّاهِر: وهذه البِئْرُ من عَجائِب الأَبْنِية: تَدور البَقَرُ من أعْلاها فتنقل الماءَ من نَقَّالَة في وَسَطِها، وتَدُورُ أبقارٌ في وَسَطِها تَنْقِلُ الماءَ

---

a) بولاق فيه. b) بولاق: آخر.

---

[1] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣١؛ المقريزي: مسودة الخطط ١٤١ظ، ويؤكّدُ كازانوفا ـ اعتمادًا على العديد من النصوص ـ أنَّ القَلْعَة لم تكن صالحةً للسُّكْنى قبل انتقال الملك الكامل محمد إليها، وأنَّ صلاح الدِّين وخُلَفاءَه حتى الكامل محمد، كانوا يقيمون في دار الوَزارَة بالقاهرة. وكان صَلاحُ الدِّين ـ في الفترة التي أقامَ فيها في مصر ـ يَتَرَدَّدُ إليها لمتابعة سَيْر البناء، الذي لم يتمّ منه سوى السُّور الرئيسي، وأنَّ الملكَ الكامل محمد هو الذي شَيَّد بها أوَّلَ المنشآت السَّكَنية. (Casanova, P., *op.cit.*, pp. 571-72 (الترجمة العربية ٧٢-٧٤)).

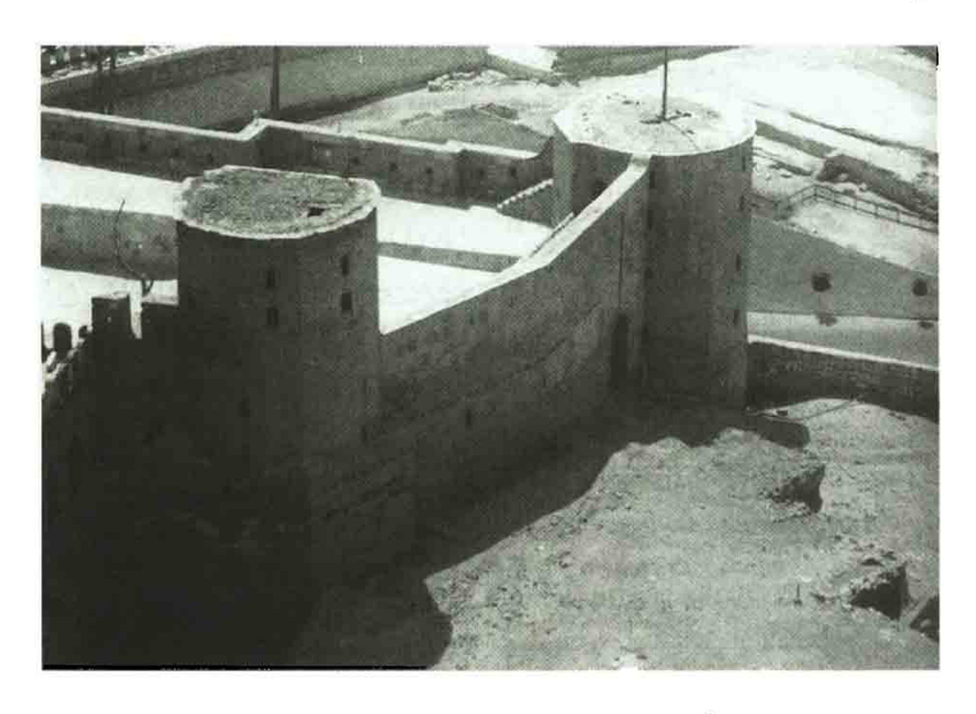
[2] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٧٢-٣٧٣؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٤٢؛ وانظر كذلك ابن جبير: الرحلة ٢٥؛ البنداري: سنا البرق الشامي ١١٩؛ أبا شامة: الروضتين ١: ٦٨٧؛ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٣/٢: ٨٨؛ ابن واصل: مفرج الكروب ٢: ٥٣-٥٤؛ جومار: وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل ٢٣٦-٢٣٨ الذي أطلق على البئر اسم «بئر يوسف» ـ وهي رواية شعبية ترجع إلى قصة سيِّدنا يوسف الصِّدِّيق ولا علاقة لها باسم صَلاح الدِّين الشخصي ـ؛ Casanova, P., *op.cit.*, pp. 585-89 (الترجمة العربية ٨٣-٨٦)؛ Rabbat, N., *The Citadel of Cairo*, pp. 63-64.

من أَسْفَلِها ، ولها طَريقٌ إلى الماء تَنْزِلُ[a] البَقَرُ إلى مَعينها في مَجازٍ ، وجَميع ذلك حَجَرٌ مَنْحوتٌ ليس فيه بِناءٌ .

وقيل إنَّ أرْضَها مُسامِتَةٌ أَرْضَ بِرْكَة الفيل ، وماؤها عَذْبٌ ؛ سَمِعْتُ من يَحْكي من المَشايخ أنَّها لما نُقِرَت جاءَ ماؤُها حُلْوًا ، فأَرادَ قَراقُوش ـ أو نُوَّابُه ـ الزِّيادَة في مائِها ، فوَسَّعَ نَقْرَ الجَبَل ، فخَرَجَت منه عَيْنٌ مالِحَةٌ غَيَّرَت حَلاوَتَها .

٥

وذَكَرَ القاضي ناصِرُ الدِّين شافِعُ بن عليّ في كِتاب «عَجائِب البُنْيان» أنَّه يُنْزَل إلى هذه البِئْر بدَرَجٍ نحو ثلاث مائة دَرَجَة [١] .



البُرْجان متعدِّدا الزَّوايا المحيطان بِبِئْر يوسف والسُّور الرابط بينهما (عن ناصر رَبَّاط)

a) بولاق : ينزل .

[١] هذا النَّصُّ المنسوب إلى شافِع بن علي مَنْقُولٌ عن عبد اللطيف البغدادي : الإفادة والاعتبار ٤٥ ، فكما سَبَقَ أن أوْضَحْت (مقدمة المجلَّد الأوَّل ٨٦*) فقد نَقَل شافِعُ بن عليّ الفصل الرابع من كتاب «الإفادة والاعتبار» الخاصّ بما شوهد في مصر من آثارها القديمة ، ثم اعتمد عليه المقريزي ، رغم معرفته برحلة عبد اللطيف البغدادي!

ذِكْرُ صِفَةِ القَلْعَة[1]

وصِفَةُ «قَلْعَة الجَبَل» أنّها بِناءٌ على نَشْزٍ عالٍ، يَدُورُ بها سُورٌ من حَجَرٍ بأبْراجٍ وبَدَناتٍ حتى تنتهي إلى القَصْر الأَبْلَق[a]، ثم من هناك يَتَّصِل بالدُّور السُّلْطانية على غير أوْضَاع أبْرَاج القِلاع[b].

---

a) النَّصُّ في مسالك الأبصار، مصدر النقل: «القصر الأبْلَق النّاصري المستجدّ بناؤه». b) بولاق: باب الغلال.

---

[1] أقْدَمُ المصادِر العربية التي تُقَدِّم لنا وَصْفًا دقيقًا لقَلْعَة الجَبَل كِتابُ «الرَّوْضَة البَهِيَّة الزَّاهِرَة في خِطَط المُعِزِّيَّة القاهِرَة» لمحيي الدِّين بن عبد الظَّاهِر، المتوفى سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٣م؛ وكِتابُ «مَسَالِك الأبْصَار في مَمالِك الأمْصَار» لشهاب الدِّين أحمد بن يحيى بن فَضْل الله العُمَري، المتوفى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٩م. الأوّل وَصَف القَلْعَة في بداية عصر سلاطين المماليك البَحْرية، والثّاني وَصَف القَلْعَة زَمَن ازْدهارها في أيّام النّاصِر محمد بن قَلاوون؛ وعن هذا المؤلِّف نَقَلَ المَقْرِيزي أكثر عباراته وُضُوحًا في وَصْف القَلْعَة، كما اعْتَمَدَ عليه كذلك القَلْقَشَنْدي في «صبح الأعْشَى» ٣: ٣٦٨–٣٧٤. (انظر مقدمة هذا المجلَّد).

ومنذ نهاية القرن الثامن عشر للميلاد قامَ نَفَرٌ من الباحثين بسلسلةٍ من الدِّراسات التاريخية والأثرية عن قَلْعَة الجَبَل أوْضَحَت لنا الكثير عن طُبُوغرافية القَلْعَة وصِفَة أسْوارها، خاصَّةً وأنَّ الكثيرَ من مَعالِمها قد طرأ عليه تَغْيِيرٌ كبيرٌ وخاصَّةً ابتداءً من عَصْر محمد علي باشا (١٨٠٥–١٨٤٨م). وأهَمُّ هذه الدِّراسَات، أوّلًا دراسة إدم فرنسوا جومار التي ضَمَّنها كِتابَ «وَصْف مصر» الذي وَضَعَه عُلَماءُ الحملة الفرنسية Jomard, E. Fr., «Description abrégée de la ville et de la Citadelle du Caire», *Description de l'Égypte* - Etat Moderne, t. XVIII, Paris 1822, pp. 349-62 (نَقَلَها إلى العربية كاتِبُ هذه السطور بعنوان: «وَصْف مَدينَة القاهِرَة وقَلْعَة الجَبَل»، القاهرة - مكتبة الخانجي ١٩٨٨، ٢٢٧–٢٤١)؛ ثم دراسة بول كازانوفا التي أرادَ بها إحْياء مَعالِم القَلْعَة بالاعتماد على المصادر التاريخية وتَطْبيقها على ما تبقَّى من أطلال وآثار القَلْعَة Casanova, P., *Histoire et description de la Citadelle du Caire*, MMAF, IV (1891), pp. 509-781 (نَقَلَها إلى العربية أحمد دَرّاج بعنوان: «تاريخ ووَصْف قَلْعَة القاهِرَة»، القاهرة ١٩٧٤)؛ ودراسة عالم الآثار الإنجليزي كريزويل الذي اهتم في الأساس بدراسة أسْوار القَلْعَة وأبْراجها وأبوابها من الناحية الأثرية Creswell, K.A.C., «Archaeological Researchs at the Citadel of Cairo», *BIFAO* XXIII (1924), pp. 89-158 التي أعادَ نَشْرَها مع تَعْديلات وإضافات في الجزء الثاني من كِتابِه *The Muslim Architecture of Egypte*, Oxford 1959, II, pp. 1-40 (نَقَلَها إلى العربية جمال محمد مِحْرِز وأعَدَّها للنَّشْر عبد الرحمن زكي بعنوان: وَصْف قَلْعَة الجَبَل، القاهرة ١٩٧٤)؛ ثم دراسة دوريس بِهْرن أبو سيف عن القَلْعة كَمَسْرَحٍ للاحْتِفالات والرُّسُوم المملوكية Behrens - Abouseif, D., «The Citadel of Cairo: Stage for Mamluk Ceremony», *An.Isl.* XXIV (1988), pp. 25-79؛ ومُؤَخَّرًا الدراسة الشَّاملة لناصِر رَبَّاط عن عِمارَةَ القَلْعَة زَمَنَ المماليك Rabbat, N., *The Citadel of Cairo - A New Interpretation of Royal Mamluk Architecture*, E.J. Brill - Leiden 1995.

وكَتَبَ الدكتور عبد الرحمن زكي كِتابين يشتملان =

ويُدْخَل إلى القَلْعَة من بابَيْن : أحَدُهما بابُها الأعْظَم المواجِه للقاهِرَة ـ ويُقال له «البَابُ المُدَرَّج»[١] ـ وبداخِله يَجْلِسُ والي القَلْعَة ، ومن خارجه تَدُقُّ الخَليلية[٢] قبل المغرب . والبابُ الثَّاني «بابُ القَرافَة»[٣]. وبين البابَيْن ساحَةٌ فَسيحَةٌ في جانبيها [قِبْلَةً بشَرْق وشَمالاً بغَرْب] بُيوتٌ[a]، وبجانِبها القِبْلي سُوقٌ للمآكِل .

ويُتَوَصَّل من هذه السَّاحَة إلى «دَرْكاه»[٤] جَليلةَ كان يَجْلِسُ بها الأُمَرَاءُ حتى يُؤْذَن لهم بالدُّخول ، وفي وَسَطِ الدَّرْكاه بابُ القُلَّة[b]، ويُدْخَل منه في دِهْليزٍ فَسيحٍ إلى دِيارٍ وبُيوت ، وإلى ٥

---

a) إضافة من مسالك الأبصار . b) بولاق : باب القلعة .

= على عَرْضٍ عامٍّ للقَلْعَة ، الأوَّل : قَلْعَةُ مصر من صَلاح الدِّين إلى الملك فاروق الأوَّل ، القاهرة ١٩٥٠، ثم عَدَّل فيه وسَمَّاه : قَلْعَةُ صَلاح الدِّين وما حَوْلَها من الآثار ، القاهرة ١٩٧١.

[١] بابُ المُدَرَّج . أقْدَمُ أبْواب القَلْعَة وأعْظمها يرجع تاريخُ إنشائه إلى عَهْد السُّلْطان صَلاح الدِّين ، فيوجد فوقه نَقْشٌ مؤرَّخ بسنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م نصُّه : «بسملة .. الآيات ١-٣ سورة الفَتْح . أمَرَ بإنْشاء هذه القَلْعَة الباهِرَة المجاورة لمحروسة القاهرة بالعَزْمَة التي جَمَعَت نَفْعًا وتَحْسينًا وسَعَةً على من التجأ إلى ظِلِّ ملكه وتَحْصينًا ، مَوْلانا الملكُ النَّاصِرُ صَلاحُ الدُّنْيا والدِّين أبو المُظَفَّر يُوسُف بن أيُّوب محيي دولة أمير المؤمنين في نَظَر أخيه ووليّ عهده الملك العادل سَيْف الدِّين أبي بكر محمد أمير المؤمنين ، على يد أمير مملكته ومُعين دولته قَراقُوش ابن عبد الله الملكي النَّاصري في سنة تسع وسبعين وخمس مائة» . (Wiet, G., *RCEA* IX pp. 123-24, n°3380).

وكان هذا البابُ يُعْرَف في زَمَن الحملة الفرنسية باسم «باب مُسْتَحْفَظان» ، ولا يزال هذا الباب موجودًا غير مستعمل بجوار باب القلعة العمومي المعروف بالباب الجديد الذي أنشأه محمد علي باشا سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م ، وسُدَّ الطريق الذي كان يُوَصِّل بينه وبين حُوش القلعة . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧:١٦٣هـ[١]، ١٩٠هـ[٤]، ٩:١٨١هـ[٣] ؛ Creswell, K.A.C., *MAE* II, pp. 33-37).

[٢] الخَلِيلِيَّة . نَوْعٌ مُعَيَّنٌ من الطُّبُول تُدَقُّ كُلَّ مَسَاءٍ عند حُلُول وَقْت النَّوْبَة (Casanova, P., *op.cit.*, p. 603) (الترجمة العربية ٩٨-١٠٠) ؛ وانظر فيما تقدم ٢:٢٧٠:١١) .

[٣] بابُ القَرافَة . كان يقع في الجانب الشرقي من سور القَلْعَة القِبْلي بين البَدَنَتَيْن المعروفتين ببُرْج المَطَر . وقد سُدَّ هذا الباب من الخارج وقت تجديد السُّور في العصر العثماني ولم يَدُلّ عليه من الخارج سوى البَدَنَتين المذكورتين ، أمَّا من الدَّاخِل فآثاره موجودة كشفت عنها إدارة حِفْظ الآثار العربية وأصلحته ، وكان يفتح على القرافة الموجودة جنوبي القلعة . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:١٨١هـ[٢] ؛ Creswell, K.A.C., *MAE* II, p. 37-39).

[٤] دَرْكاه جـ. دَرْكاوات . كلمة فارسية بمعنى العَتَبة أو بلاط السُّلْطَنَة ، وهي مكوَّنَة من مقطعين : دَر بمعنى باب ، وكاه بمعنى مَحَلّ ، ويُقْصَد بها السَّاحَة الصغيرة المؤدية إلى الدِّهليز أو المَمَرّ المنكسر الذي يقود إلى داخل المبنى . وكانت عبارة عن منطقة مربعة أو مستطيلة تَتَصَدَّرها مَسْطَبَة ، وتفتح عليها فوق باب المدخل نافذة صغيرة لإضاءتها وتهويتها ، ويكون في أحد أضلاعها بابٌ ثان يفضي إلى الدهليز أو الممرّ المؤدي إلى داخل المكان . (المقريزي : السلوك ١:٨٥٧هـ[٣]،=

الجامِع الذي تُقام به الجُمُعَة . ويُمْشَي من دِهْليز باب القُلّة[a] في مَداخِل أبْوابٍ ، إلى رَحْبَةٍ فَسيحَةٍ في صَدْرِها «الإيوانُ الكَبير» المُعَدُّ لجُلُوس السُّلْطان في يوم المَوَاكِب وإقامَة «دار/ العَدْل» ، وبجانب هذه الرَّحْبَة دِيارٌ جَليلَةٌ ، وفي مُجَنَّبيه مَمَرٌّ[b] إلى باب «القَصْر الأبْلَق» [١].

وبين يَدَيْ باب القَصْر رَحْبَةٌ دون الأولى يَجْلِسُ بها خَواصُّ الأُمَرَاء قبل دُخُولهم إلى الخِدْمَة الدائِمَة بالقَصْر . وكان بجانِب هذه الرَّحْبة ، مُحاذِيًا لباب القَصْر ، خِزانَةُ الخاصّ[c] . ويُدْخَل من باب القَصْر في دَهاليز حَشِمَة[d] إلى قَصْرٍ عَظيمٍ ، ويُتَوَصَّل منه إلى الإيوان الكبير بباب خاصٍّ ، ويُدْخَل منه أيضًا إلى قُصُورٍ ثلاثةٍ جُوَّانيَّة ، منها واحدٌ مُسامِتٌ لأرض هذا القَصْر الكبير والثنان مرفوعان يُصْعَد إليهما بدَرَجٍ في جميعها شبابيك حديد تخترق إلى مثل مَنْظَر القَصْر الكبير ، ثم إلى دُور الحُرَم وأبْواب السُّتُور السُّلْطانية وإلى البُسْتان والحَمَّام والحَوْش .

وباقي القُلَّة[e] فيه دُورٌ ومَساكِنُ للمماليك السُّلْطانية وخَواصِّ الأُمَرَاء بنِسائِهم وأوْلادِهم ومَماليكهم ودَواوينهم وطَشْتِ خاناتهم وفَرْشِ خاناتهم وشَرَبْ خاناتهم ومَطابِخهم وسائِر وَظائِفهم .

وكانت أكابِرُ أُمَرَاءِ الأُلُوف ، وأعيانُ أُمَرَاء الطَّبْلَخاناه والعَشْراوات ، تَسْكُن بالقَلْعَة إلى آخِر الأيَّام النَّاصِرِيَّة محمد بن قَلاوون .

وكان بها أيضًا «طِبَاقُ» المماليك السُّلْطانِيَّة و«دارُ الوَزارَة» ـ وتُعْرَف بقاعَة الصَّاحِب ـ وبها قاعَةُ الإنْشَاء وديوان الجُيُوش[f] وبَيْت المال وخَزانَة الخاصّ ، وبها الدُّور السُّلْطانِيَّة من الطَّشْت خاناه والرِّكاب خاناه والحَوائِج خاناه والزَّرْدَخاناه [٢].

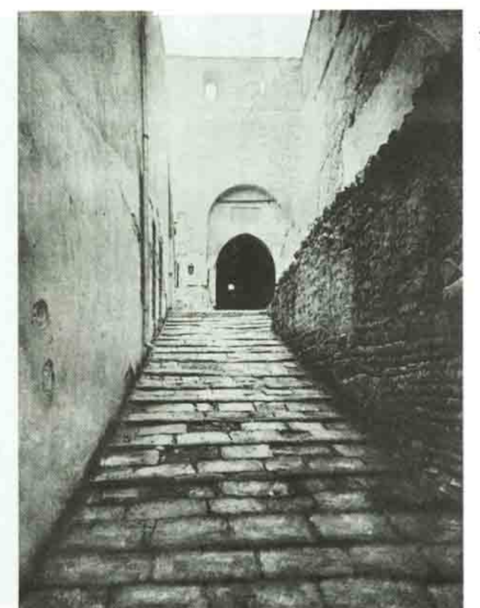
وكان بها «الجُبُّ» الشَّنيع لسَجْن الأُمَرَاء ، وبها «دَارُ النِّيابَة» ، وبها عِدَّةُ أبْراجٍ يُحْبَس بها الأُمَرَاءُ والمماليك ، وبها المساجِدُ والحَوانيتُ والأسْواقُ ، وبها مَساكِنُ تُعْرَف بحَوانيت[g] التَّتَر كانت قَدْر حارَة خَرَّبَها الملكُ الأشْرَفُ بَرْسباي في ذي القعدة سنة ثمانٍ وعشرين وثمان مائة .

a) بولاق : باب القلعة . b) بولاق والنسخ : ويمرُّ منها ، والنَّصّ المثبت من مسالك الأبصار ، مصدر النقل . c) بولاق : خزانة القصر . d) بولاق : خمسة . e) بولاق : القلعة . f) بولاق : الجيش . g) بولاق : بخرائب .

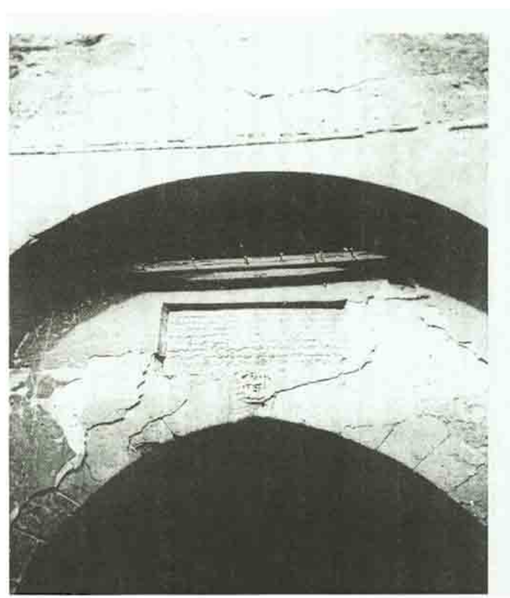
=٢: ١٤٩هـ[١]؛ عبد الرحيم غالب : موسوعة العمارة الإسلامية ١٨٧؛ محمد محمد أمين ، ليلى علي إبراهيم : المصطلحات الأثرية في الوثائق المملوكية ٤٧) .

[١] القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٣٧٠-٣٧١ .

[٢] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٨٣.



البابُ المُدَرَّج لقلعة صلاح الدين



• النّقش التأسيسي لقلعة الجبل باسم صلاح الدّين وبهاء الدّين قَراقُوش

ومن حُقُوقِ القَلْعَة «الإسْطَبْلُ السُّلْطاني»[١]، وكان يَنْزِلُ إليه السُّلْطانُ من جانِب إيوان القَصْر. ومن حُقوقِها أيضًا «المَيْدَانُ»، وهو فاصِلٌ بين الإسْطَبْلات وسُوق الخَيْل من غربيه، وهو فَسيحُ المَدَى، وفيه يُصَلِّي السُّلْطانُ صَلاةَ العيدَيْن، وفيه يَلْعَبُ بالأُكْرة مع خَواصِّه، وفيه تُعْمَل المَدَّاتُ أوْقاتَ المُهِمَّات أحيانًا.

٥ ومَنْ رأَى القُصُورَ والإيوانَ الكبير والمَيْدانَ الأَخْضَر والجامِع، يُقِرُّ لملوك مصر بعُلُوِّ الهِمَم وسَعَة الإنْفاق والكَرَم[a][٢].

بابُ الدَّرْفيل

هذا البابُ بجانب خَنْدَق القَلْعَة، ويُعْرَف أيضًا بباب المُدَرَّج، وكان يُعْرَف قديمًا بباب سَارِيَة[٣]. ويُتَوَصَّل إليه من تحت دار الضِّيافَة، ويُنْتَهَى منه إلى [باب] القَرافَة، وهو فيما بين سُور

١٠ القَلْعَة والجبل[٤].

---

a) نصُّ مسالك الأبصار، مصدر النقل: «هذه القصور والإيوان الكبير والميدان الأخْضَر والجامع، وغالب العمائر الضخمة بالقُلَّة والقَلْعَة عمارة هذا السُّلْطان وبناء مُطَرَّزَةُ الطُّرَزُ فيها بألقابه واسمه .... تُقِرُّ الملوك بها بعُلُوِّ همه وسعة إنفاقه وكرمه.

---

[١] لم يُفْرِد المَقْريزي فيما يلي «الإسْطَبْلَ السُّلْطاني» بمَدْخَلٍ مستقلٍّ، ويَدُلُّ على مكانِه الآن مجموعةُ المباني - التي كان بها حتى منتصف القرن العشرين مَخازِن وِرَش الجيش المصري بالقلعة - الواقعة على يمين الدَّاخِل من باب العَزَب (الذي كان يسمَّى قديمًا باب الإسْطَبْل) في المسافة الممتدة بين جامع أحمد أغا قيومجي إلى نهاية الوِرَش من جهاتها الغربية والقبلية والشرقية؛ علمًا بأنَّ المكان الحالي للإسْطَبْل المذكور ليس في منسوب أرض قَلْعَة الجَبَل، بل في مستوى أوطى ممَّا عليه القَلْعَة، ويحيط به السُّور الأسْفَل الغربي المشرف على مَيْدان صلاح الدِّين. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩:٣٦هـ٤، ١٢:٤هـ١).

[٢] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٨٣- ٨٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣:٣٧٢- ٣٧٣.

[٣] بابُ الدَّرْفيل. أحَدُ أبْواب القَلْعَة في سورها الشرقي المشرف على جَبَل المُقَطَّم وطَريق صَلاح سالم، وكان يعرف بباب سارية - نِسْبةً إلى مسجد سارية، المعروف الآن بجامع سليمان باشا، الواقع في الجهة البحرية الشرقية من قَلْعَة الجَبَل (مسجل بالآثار برقم ١٤٢) - وأقرب باب لهذا الجامع بين القَلْعَة والجَبَل يقع بين البرجين المعروفين ببرجي الإمام. وعند تجديد السور الشرقي للقلعة في العصر العثماني سُدَّ هذا الباب بالبناء من الخارج وإن كانت آثاره ما زالت باقيةً من الداخل وكذلك دهليزُه. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١:٤٣هـ١؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٤٠٠، ١/٢: ١٧٤؛ Creswell, K.A.C., *MAE* II, p. 36 (الترجمة العربية ٥٧)).

[٤] وهو ما يتَّفِقُ مع وَصْف الصَّيْرَفي يقول في حوادث سنة ٧٩١هـ: في سابع عشر جمادى الأولى: «رُسم بسَدِّ باب المحروق والباب الجديد والباب المجاور للقلعة المعروف =

والدَّزْفيلُ هو الأميرُ حُسامُ الدِّين لاجين الأَيْدَمُري ، المعروف بالدَّزْفيلَ ، دَوادار الملك الظَّاهِر رُكْن الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري ، ماتَ في سنة اثنتين وسبعين وستّ مائة[a] [1].

دارُ العَدْلِ القَدِيمَة

هذه الدَّارُ موضِعُها الآن تحت القَلْعَة يُعْرَف بـ«الطَّبْلَخاناه» [2]. والذي بَنَى دارَ العَدْل الملكُ الظَّاهِرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري في سنة إحدى وستين وستّ مائة ، وصارَ يجلسُ بها لعَرْض العَساكِر في كلِّ اثنين وخميس [3].

وابتدأ بالحُضُور في أوَّل سنة اثنتين وستين وستّ مائة . فوَقَفَ إليه ناصِرُ الدِّين محمد بن أبي نَصْر ، وشَكا أنَّه أُخِذَ له بُسْتانٌ في الأيَّام المُعِزِّية أَيْبَك ، وهو بأيْدي المُقْطَعين ، وأَخْرَجَ كِتابًا مَثْبوتًا[b] ، وإخْراج حالٍ[c] من ديوان الجَيْش يَشْهَدُ بأنَّ البُسْتانَ ليس من حُقُوق الدِّيوان . فأمَرَ بَرَدِّه عليه ، فتَسَلَّمَه [4].

---

a) في هامش آياصوفيا : بياض أربعة أسطر . b) بولاق : مثبتا . c) ساقطة من بولاق .

= قديمًا بباب سارية ويعرف الآن بباب المُدَرَّج تحت دار الضِّيافة» (نزهة النفوس ١: ٢٠١) ، فيما ذكر المقريزي في السلوك في وصف الواقعة نفسها : «فشدَّ الباب المحروق والباب الجديد ـ من أبواب القاهرة ـ وشَدَّ بابُ الدَّزْفيل بجوار القلعة ، والباب المجاور للقلعة المعروف قديمًا بباب سارية ، ويعرف اليوم بباب المُدَرَّج تحت دار الضيافة» . (السلوك ٣: ٦٠٦-٦٠٧) ، الأمر الذي يوحي بأنَّ هناك بابين مجاورين للقلعة : بابُ الدَّزْفيل ، وبابُ سارية وأنَّهما ليسا بابًا واحدًا كما وَرَد في الخطط ؟ وانظر كذلك Casanova, P., *op.cit.*, p. 610 (الترجمة العربية ١٠٥) .

[1] انظر ترجمة الأمير حُسَام الدِّين لاجين المعروف بالدَّزْفيل ، المتوفى سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م ، عند ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٧: ٢٠؛ المقريزي : السلوك ١: ٦١٣؛ العيني : عقد الجمان ٢: ١٢٧.

[2] فيما يلي ٦٨٨- ٦٩٠.

[3] ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ١٨٢- ١٨٣؛ ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ٣٤١- ٣٤٢؛ المقريزي : السلوك ١: ٥٠١ ح أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧: ١٦٣، ٩: ١٧٤؛ وانظر كذلك Casanova, P., *op.cit.*, p. 608 (الترجمة العربية ١٠٣-١٠٤) ؛ Rabbat, N., *op.cit.*, pp. 108-110; id., «The Ideological Significance of the Dâr al-ʿAdl in the Medieval Islamic Orient», *IJMES* 27 (1995), pp. 11-18.

ويَدُلُّ على موقع دار العَدْل الآن القاعات الواقعة على يسار الداخل من باب العَزَب مُتَّجهًا إلى الشرق نحو الباب الجديد ـ الذي أنشأه محمد علي باشا ـ ويحدّها من الغرب سِكَّة المَحْجَر التي كانت تُشْرِف عليها دارُ العَدْل ، ومن الشمال الدَّفْتَرْخانه . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٦٣:٧هـ[1] ، ٧٤:٩هـ[1]) .

[4] ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ١٨٢- ١٨٣.

وأُحْضِرَت مُرافَعَةٌ في وَرَقَةٍ مَخْتومَةٍ، رَفَعَها خادِمٌ أَسْوَدُ في مَوْلاه القاضي شَمْس الدِّين [a] شَيْخ الحَنابِلَة، تَضَمَّنَت أنَّه يُبْغِضُ السُّلْطانَ ويتمنَّى زَوالَ دَوْلَتِه، فإنَّه لم يجعل للحَنابِلَة مُدَرِّسًا في المَدْرَسَة التي أنْشَأها بخُطّ بَيْن القَصْرَيْن، ولم يُوَلِّ قاضِيًا حَنْبَلِيًّا، وذَكَرَ عنه أُمورًا قادِحَة. فبَعَثَ السُّلْطانُ الوَرَقَة إلى الشَّيْخ، فحَضَرَ إليه وحَلَفَ أنَّه ما جَرَى منه شيءٌ، وأنَّ هذا الخادِمَ طَرَدْته فاخْتَلَق عليَّ ما قال. فقَبِلَ السُّلْطانُ عُذْرَه، وقال: ولو شَتَمْتَني أنت في حِلٍّ. وأَمَرَ بضَرْب الخادِمُ فضُرِبَ[b] مائة عَصًا[1].

وغَلَتِ الأسْعارُ بمصر حتى بَلَغَ إرْدَبُّ القَمْح نحو مائة درهم وعُدِمَ الخُبْزُ، فنادَى السُّلْطانُ في الفُقَراء أن يجتمعوا تحت القَلْعَة، ونَزَلَ في يوم الخميس سابع رَبيع الآخر منها، وجَلَسَ بدار العَدْل هذه، ونَظَرَ في أمْر السِّعْر، وأبْطَلَ التَّسْعير، وكَتَبَ مَرْسُومًا إلى الأُمَراء ببَيْع خمس مائة إرْدَبّ في كلِّ يومٍ ما بين وَيْبَتَيْن[c] إلى ما دونهما، حتى لا يشتري الخُزَّانُ شيئًا، وأن يكون البَيْعُ للضُّعَفاء والأرامِل فقط دون من عَداهم. وأَمَرَ الحُجَّابَ فنَزَلوا تحت القَلْعَة، وكَتَبُوا أسْمَاءَ الفُقَراء الذين تَجَمَّعوا بالرُّمَيْلَة[2]، وبَعَثَ إلى كلِّ جِهَةٍ من جِهاتِ القاهِرَة ومصر وضَواحِيهما حاجِبًا لكِتابَة أسْمَاء الفُقَراء، وقال: والله لو كان عندي غَلَّةٌ تَكْفي هؤلاء لفَرَّقْتُها.

---

a) بياض بآياصوفيا وباريس مقدار كلمة. b) فضُرِبَ: ساقطة من بولاق. c) بولاق: مائتين.

---

[1] ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ١٨٣.

[2] الرُّمَيْلَة. هي الفَضَاءُ المُتَّسع المحصور الآن بين باب القَلْعَة الغربي المعروف بباب العَزَب وبين جامع الرِّفاعي وجامع ومَدْرَسَة السُّلْطان حسن وقسم الخَليفَة من الغرب، وأوَّل سِكَّة المَحْجَر ومَدْرَسَة قاني باى أمير آخور الرَّمَّاح حتى جامع الرِّفاعي (ودَخَل مسجد المحمودية الذي بني سنة ٩٧٥هـ/١٥٦٨م في الحد الشمالي للميدان) من الشَّمال، ويمتدُّ حَدُّه الجنوبي من سبيل المؤمني (المسجل بالآثار برقم ١٤٨) بأوَّل شارع الشيِّدَة عائشة إلى متحف مصطفى كامل وبقيَّة حديقة المَنْشِيَّة حتى جنوب باب العَزَب بمسافة ثلاثين مترًا. وهو الميدان المعروف الآن بميدان صلاح الدِّين والذي كان يُعْرَف من قبل بقَرَه مَيْدان (أي المَيْدان الأسود) ومَيْدان المَنْشِيَّة. وسُمِّي المَيْدانُ بالرُّمَيْلَة لأنَّ أرضه والأرض المحيطة به كانت واقعةً بين شَرَفَيْن: الشَّرَفُ الذي بنيت عليه قلعة الجبل شَرْقًا، والشَّرَفُ الذي بنيت عليه قَلْعَة الكَبْش حيث مسجد ابن طُولون. ولأنَّ المَيْدان كان ملتقى وامتدادًا لرمالهما سُمِّيَ بالرُّمَيْلَة، وكان يُطْلَق عليه أحيانًا الرَّمْلة. (محمد الششتاوي: ميادين القاهرة في العصر المملوكي ٧-٤٩ وانظر فيما يلي ٢:٢٢٨ الميدان بالقلعة الذي يمثل امتداد الرُّمَيْلَة من الجنوب تجاه باب القرافة ومَيْدان السيدة عائشة؛ وتُعِدّ بهيجة السيد حسن رسالة دكتوراه بكلية الآثار - جامعة القاهرة، موضوعها: «الظَّاهِر الجنوبي للقاهِرَة: الرُّمَيْلَة منذ النَّشْأة إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي - دراسة أثرية حضارية».

ولمَّا انتهى إحْصَاءُ(a) الفُقَراء أَخَذَ منهم لنفسه ألوفًا ، وجَعَلَ باسْم ابنه الملك السَّعيد ألوفًا ، وأَمَرَ ديوانَ الجَيْش فوزَّع باقيهم وجَعَلَ(b) على كلِّ أميرٍ من الفُقَراء بعِدَّة رِجالِه ، ثم فَرَّق ما بقي على الأجْناد ومَفارِدَة الحلْقَة والمُقَدَّمين والبَحْرِيَّة ، وجَعَلَ طائِفَةَ التُّرْكُمان ناحيةً ، وطائِفَةَ الأَكْراد ناحيةً ، وقَرَّر لكلِّ واحِدٍ من الفُقَراء كفايته لمدَّة ثلاثة أشهر [1].

فلمَّا تَسَلَّم الأُمَرَاءُ والأَجْنادُ ما خَصَّهم من الفُقَرَاء ، فَرَّق من بقي منهم على الأكابِر والتُّجَّار والشُّهُود ، وعَيَّنَ لأَرْباب الزَّوايا مائة إرْدَبّ قَمْح في كلِّ يوم ، تَخْرُج من الشُّوَن السُّلْطانية إلى جامِع أحمد بن طُولون ، وتُفَرَّق من هناك . ثم قال : «هؤلاء المساكين الذين جَمَعْناهم اليوم ومَضَى النَّهارُ لا بُدَّ لهم من شيءٍ» . وأَمَرَ فَفُرِّق في كلِّ منهم نصف دِرْهَم ليتقوَّت به في يومه ، ويستمرّ له من الغَدِ ما تَقَرَّر . فأَنْفَقَ فيهم/ جملة مالٍ ، وأعطى للصَّاحِب بَهاء الدِّين عليّ بن محمد بن حِنَّا طائِفَةً كبيرةً من العُمْيان ، وأَخَذَ الأَتابِكُ سَيْفُ الدِّين أَقْطاي طائِفَةَ التُّرْكُمان .

ولم يَبْقَ أَحَدٌ من الخَواصِّ والأُمَراء والحَواشي ولا من الحُجَّاب والوُلاة وأَرْباب المناصِب وذَوي المراتِب وأَصْحاب الأَمْوال حتى أَخَذَ جَماعَةً من الفُقَراء على قَدْر حالِه . وقال السُّلْطانُ للأمير صارِم الدِّين (c) المَسْعودي ـ والي القاهِرَة : «خُذْ مائة فَقير وأطعمهم لله تعالى» . فقال : نَعَم وأخذتهم دائِمًا . فقال له السُّلْطانُ : «هذا شيءٌ فعلته ابتداءً من نفسك ، وهذه المائة خُذْها لأَجْلي» . فقال للسُّلْطان : السَّمْعَ والطَّاعَة ، وأَخَذَ مائة فقير زِيادةً على المائة التي عُيِّنَت له [2].

وانْقَضَى النَّهارُ في هذا العَمَل ، وشَرَعَ النَّاسُ في فَتْح الشُّوَن والمخازِن وتفرقة الصَّدَقات على الفُقَراء . فنَزَلَ سِعْرُ القَمْح ، ونَقَصَ الإرْدَب عشرين دِرْهَمًا ، وقَلَّ وُجُود الفُقَراء ، إلى أن دَخَلَ(d) شَهرُ رَمَضان ، وجاءَ المُغَلّ الجديد ، فأوَّل يوم أُبيعَ الجَديد نَقَصَ سعر إرْدَبّ القَمْح أربعين درهمًا وَرِقًا .

a) بولاق : إحضار ، المسودة : حَصْر . b) ساقطة من بولاق . c) بياض في آياصوفيا . d) بولاق : جاء .

[1] بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ٨٧- ٨٨؛ العيني : عقد الجمان ١: ٣٧٥- ٣٧٦.

[2] ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ١٨٩.

وفي اليوم الذي جَلَسَ فيه السُّلْطانُ بدار العَدْل للنَّظَر في أمُور الأسْعار، قُرِئَت عليه قِصَّةُ ضَمان دار الضَّرْب، وفيها أنَّه قد توقَّفَتِ الدَّراهِمُ، وسألوا إبْطال النَّاصِرِيَّة فإنَّ ضَمَانَهم بمبلغ مائتي ألف وخمسين ألف دِرْهَم. فوَقَّع عليها «يُحَطّ عنهم منها مَبْلَغ خمسين ألف دِرْهَم»، وقال: «نَحُطُّ هذا، ولا نُؤْذي النَّاسَ في أمْوالِهم»[1].

٥ وفي مستهل شهر رَجَب منها جَلَسَ أيضًا بدار العَدْل، فوَقَفَ له بعضُ الأجْناد بصغيرٍ يَتيمٍ ذَكَر أنَّه وَصِيُّه، وشَكا من قَضِيَّةٍ؛ فقال السُّلْطانُ لقاضي القُضَاة تاج الدِّين عبد الوَهَّاب ابن بنت الأعَزّ: إنَّ الأجنادَ إذا مات أَحَدٌ منهم اسْتَوْلى خُوشْداشُه[a] على مَوْجوده، فيموتُ الوَصِيّ ويكبر اليَتيم فلا يَجِد له مالًا. وتَقَدَّم إليه ألَّا يُمَكِّن وَصِيًّا من الانْفِراد بتَرِكَة مَيِّت، ولكن يكون نَظَرُ القاضي شامِلًا له، وتَصيرُ أمْوالُ الأيْتام مَضْبوطَةً بأُمَنَاء الحُكْم، ثم إنَّه استدعى نُقَباءَ العَساكِر

١٠ وأمَرَهُم بذلك، فاسْتَمَرَّ الحالُ فيه على ما ذُكِرَ[2].

وفي خامِس عشرين شَعْبان سنة ثلاثٍ وستين وستّ مائة جَلَسَ بدار العَدْل، واستدعى تاج الدِّين ابن القُرْطي[b]، وقال له: قد أَضْجَرْتَني ممَّا تَقُول عندي مَصالِح لبَيْت المال، فتَحَدَّث الآن بما عندك. فتكلَّم في حَقّ قاضي القُضَاة تاج الدِّين، وفي حَقّ مُتَوَلِّي جَزيرَة سَواكِن، وفي حَقّ الأُمَرَاء وأنَّهم إذا ماتَ منهم أحَدٌ أَخَذَ وَرَثَتُه أكثر من اسْتِحْقاقهم، فأنْكَرَ عليه وأَمَرَ بحَبْسِه.

١٥ وتَحَدَّث السُّلْطانُ في أَمْر الأجْناد، وأنَّه إذا ماتَ أحَدُهم في مَواطِن الجِهاد لا يصل إليه شاهِدٌ حتى يَشْهَد عليه بوَصِيَّته، وأنَّه يُشْهِدُ بعضَ أصْحابِه، فإذا حَضَرَ إلى القاهِرَة لا تُقْبَل شَهادَتُه - وكان الجُنْدي في ذلك الوَقْت لا تُقْبَل شَهادَتُه - فرأى السُّلْطانُ أنَّ كلَّ أميرٍ يُعَيِّنُ من جماعته عِدَّةً ممَّن يَعْرِف خَبَرَه ودينَه ليَسْمَع قَوْلَهم، وأَلْزَمَ مُقَدَّمي الأَجْناد بذلك. فشَرَعَ قاضي القُضَاة في اخْتيار رجالٍ جِيادٍ من الأجْناد، وعَيَّنَهم لقَبُولِ شَهادَتهم. ففَرِحَتِ العَساكِرُ بذلك.

٢٠ وجَلَسَ أيضًا في تاسع عشرينه بدار العَدْل. فوَقَفَ له شَخْصٌ، وشكا أنَّ الأمْلاكَ الدِّيوانية لا يُمَكِّن أحَدٌ من سُكَّانِها أن ينتقل منها. فأنْكَرَ السُّلْطانُ ذلك، وأَمَرَ أنَّ من انْقَضَت مُدَّةُ إجارَته وأرادَ الخُلُوَّ، فلا يُمْنَع من ذلك. وله في ذلك عِدَّةُ أخْبارٍ كلُّها صالِحَة.

---

a) بولاق: خجداشه. b) بولاق: القرطبي.

---

[1] ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ١٩٠. [2] نفسه ١٩٧-١٩٨.

وما بَرِحَت دارُ العَدْل هذه باقِيَةً إلى أن اسْتَجَدَّ السُّلْطانُ الملكُ المنصورُ قَلاوون الإيوان، فهُجِرَت دارُ العَدْل هذه إلى أن كانت سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة، هَدَمَها[a] السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون، وعَمِلَ مَوْضِعَها الطَّبْلَخاناه، فاستمرَّت طَبْلَخاناه إلى يَوْمِنا[1].

إلَّا أنَّه كان في أيَّام عِمارَتها إنَّما يجلس بها دائِمًا في أيَّام الجُلُوس نائِبُ دار العَدْل، ومعه القُضَاةُ ومُوَقِّعُ دار العَدْل والأُمَرَاء، فينظر نائِبُ دار العَدْل في أمور المُتَظَلِّمين، وتُقْرَأ عليه القِصَص. وكان الأَمْرُ على ذلك في أيَّام الظَّاهر بَيْبَرْس، وأيَّام ابنه الملك السَّعيد بَرَكَة، ثم أيَّام الملك المنصور قَلاوون[b].

الإيوانُ
المعروف بدار العَدْل

هذا الإيوانُ أنشأه السُّلْطانُ الملكُ المَنْصور قَلاوون الأَلْفي الصَّالِحي النَّجْمي[c]، ثم جَدَّدَه ابنه السُّلْطَانُ الملكُ الأَشْرَف خَليل، واستمرَّ جُلُوسُ نائِب دار العَدْل به. فلمَّا عَمِلَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون الرَّوْك، أَمَرَ بهَدْم هذا الإيوان فهُدِمَ، وأعادَ بناءَه على ما هو عليه الآن وزادَ فيه، وأنشأ به قُبَّةً جليلةً[2]، وأقامَ به عُمُدًا عَظيمَةً نَقَلَها إليه من بِلاد الصَّعيد ورَخَّمَه [d]رُخامًا عَظيمًا[d]، ونَصَبَ في صَدْره سَريرَ المُلْك وعَمِلَه من العَاج والآبنوس، ورَفَع سَمْكَ هذا الإيوان، وعَمِلَ أمامَه دَرْكاه[e] فَسيحةً مُبَلَّطَة[f][3].

---

a) بولاق: فهدمها. b) هنا في هامش آياصوفيا: بياض نحو عشرين سطرًا. c) في هامش آياصوفيا بياض نصف سطر. d-d) إضافة من مسودة الخطط. e) في المبيضات: رحبة. والمثبت من مسودة الخطط والسلوك. f) بولاق: مستطيلة.

---

[1] فيما يلي ٦٨٨-٦٩٠.

[2] كانت هذه القُبَّةُ من خَشَب وفوقها رصاص، ومغلَّفة بقيشاني أخضر؛ ظلَّت قائمةً نحو المائتي عام إلى أن سَقَطَت باكِر يوم السبت سادس عشر ربيع الآخر سنة ٩٢٨هـ/١٥٥٢م. (ابن إياس: بدائع الزهور ٥: ٤٤١).

[3] المقريزي: السلوك ٢: ١٤٨-١٤٩.

وتُشيرُ نُصوصٌ أوردها بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ٧٨، ١٨٨، ٢٠٨، والمقريزي في السلوك ١: ٦٤٦، ٦٦٩، ٧٧٤، إلى أنَّه كان يوجد إيوانٌ بالقَلْعَة منذ عهد الكامل محمد الأيوبي، وأنَّ ما قامَ به المَنْصُور قلاوون والأشْرَف خليل لا يَعْدو أن يكون إصلاحات طفيفة بالإيوان (Casanova, P., *op.cit.*, p. 612) (الترجمة العربية ١٠٦)).

وجَعَلَ بالإيوان بابَ سِرٍّ يَدْخُل منه إلى القَصْر، وعَمِلَ بِبابَ الإيوان حَديدًا مَشْبُوكًا[a] بصناعَةٍ بَديعةٍ تَمْنَعُ الدَّاخِلَ إليه، وله بابٌ منه يُغْلَق، فإذا أرادَ أن يجلس فُتِحَ حتى ينظر منه ومن تَخاريم الحَديد بقيَّة العَسْكَر الواقِفين بِساحَة الإيوان. وقَرَّرَ للجُلُوس فيه بنفسه يوم الاثنين ويوم الخميس، فاسْتَمَرَّ الأَمْرُ على ذلك.

٥ وكان أوَّلًا دون ما هو اليوم، فوَسَّعَ في قُبَّتِه، وزادَ في ارْتِفاعِه، وجَعَلَ قُدَّامَه دَرْكاه كبيرة، فجاءَ من أعْظَم المباني الملوكية[1].

وأوَّلُ ما جَلَسَ فيه عند انتهاء عَمَلَ الرَّوْك، بعد ما رَسَمَ لنَقيب الجَيْش أن يَسْتَدْعي سائِرَ الأَجْنادَ. فلمَّا تكامَلَ حُضورُهم/ جَلَسَ، وعَيَّنَ أن يحضر في كلِّ يوم مُقَدَّما أُلوف بمُضافَيْهِما. فكان المُقَدَّم يقف بمُضافَيْه، ويستدعي من تَقْدِمته بمُضافَيْه على قَدْر منازِلِهم. ١٠ فيتقدَّم الجُنْديُّ إلى السُّلْطان فيسأله: أنت ابنُ مَنْ ومَمْلوكُ مَنْ؟ ثم يُعطيه مِثالًا[2]. واسْتَمَرَّ على ذلك من مستهلِّ المحرَّم سنة خمس عشرة وسبع مائة إلى مستهلِّ صَفَر منها. وما بَرِحَ بعد ذلك يُواظِبُ على الجلُوس به في يومي الاثنين والخميس، وعنده أُمَراءُ الدَّوْلَة والقُضاة والوَزيرُ وكاتِبُ السِّر وناظِرُ الجَيْش وناظِرُ الخاصّ وكُتَّابُ الدَّسْت، وتقف الأَجْنادُ بين يديه على قَدْر أقْدارِهم.

٢٠٧:٢

---

a) العبارة في بولاق: وعمل باب الإيوان مسبوكًا من حديد.

---

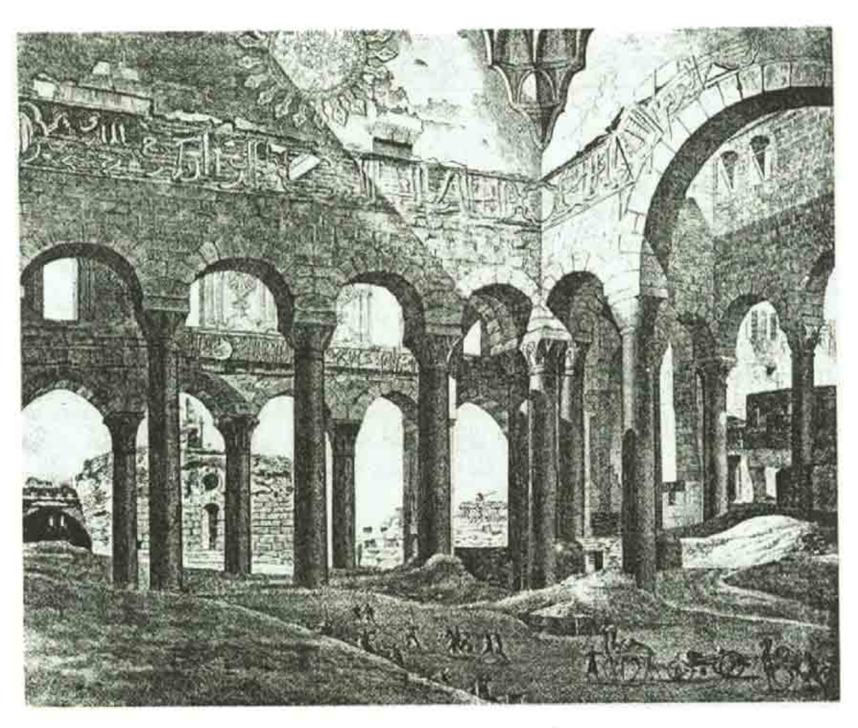
[1] هنا على هامش (ص): «جَدَّدَهُ وزَخْرَفَهُ وتَتَبَّع رُخامه ودهانه وجَدَّد واجهته السُّلْطان الملك الأشْرَف قايتْباي».

وانظر أيضًا عن الإيوان الذي جَدَّدَه النَّاصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م، ابن أيبك: كنز الدرر ٩: ٣٢٨، ٣٧٢– ٣٧٣؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٣٦، ٨١؛ المقريزي: السلوك ٢: ١٠٧، ١٤٨، ١٤٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٦٩؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٥١، ١٨٠؛ ابن إياس ١/٢: ٣٥٨ (حيث فرش في سنة ٧٨٧هـ/١٣٨٦م بِبُسط جُدُد أمر بعملها الأشرف شعبان في الكرك، ٣: ٦٠ (تجديد الأشرف قايتْباي له)؛ جومار: وصف مدينة القاهرة ٢٣٢– ٢٣٤؛ Casanova, P., *op.cit.*, pp. 629-35 (الترجمة العربية ١٢٣–١٢٧)؛ Behrens-Abouseif, D., *The Citadel of Cairo*, pp. 35-45; Rabbat, N., *The Citadel of Cairo*, pp. 191-93, 244-63.

وقد انْدَثَر الآن هذا الإيوان وإن كان قد حُفِظ لنا له رَسْمان قبل هَدْمِه ليحلّ محلَّه جامِعُ محمد علي باشا وملحقاته بالقلعة (١٨٣٠–١٨٤٨م)، أحدهما في كتاب «وصف مصر» والآخر في كتاب روبرت هاي Hay, R., *Illustrations of Cairo*, London 1840 (انظر اللوحات الملحقة).

[2] انظر عن المِثال، فيما يلي ٧٠٥هـ.

رَسْمٌ يُوَضِّح «الإيوان الكبير» بالقَلْعَة (عن روبرت هاي)



منطقة القُبّة في الإيوان الكبير (عن وَصْف مصر)

فلمَّا ماتَ المـلكُ النَّاصِرُ، اقْتَدَى به في ذلك أوْلادُه من بعده، واسْتَمَرُّوا على الجُلوس بالإيوان، [a]ولم تَزَلْ به الخِدْمَةُ مستمرَّة لا يُمكن تأخيرها إلَّا عند سَفَر السُّلْطان أو مَرَضِه أو خُلُوّ التَّخْت من ملك[a]، إلى أنِ اسْتَبَدَّ بمملكة مصر الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقُوق، فالْتَزَمَ ذلك أيضًا إلَّا أنَّه صارَ يجلسُ فيه إذا طَلَعَتِ الشَّمْسُ جُلوسًا يَسيرًا يُقْرأ عليه فيه بعضُ قِصَصٍ لا لمعنًى سوى إقامَة رُسُوم المملكة فقط[1].

وكان مَنْ قَبْلَه من المُلوك بني قَلاوون إنَّما يجلسون بالإيوان سَحَرًا على الشَّمْع، وكان مَوْضِعُ جُلوس السُّلْطان في الإيوان للنَّظَر في المظالِم. فأَعْرَضَ الملكُ الظَّاهِرُ عن ذلك، وجَعَلَ لنفسه يومين يجلس فيهما بالإسْطَبْلَ السُّلْطاني[2] للحُكْم بين النَّاس ـ كما سيأتي ذكره عن قَريب إن شاءَ الله تعالى[3] ـ وصارَ الإيوانُ في الأيَّام الظَّاهِرية بَرْقُوق، وأيَّام ابنه الملك النَّاصِر فَرَج وأيَّام الملك المُؤَيَّد شَيْخ، إنَّما هو شيءٌ من بَقايا الرُّسُوم الملوكية لا غير.

ذِكْرُ النَّظَـرِ في المَظَـالِم ـ اعْلَم أنَّ النَّظَرَ في المَظالِم عبارَة عن قَوْد المُتَظالِمين إلى التَّناصُف بالرَّهْبَة وزَجْر المتنازعين عن التجاحُد بالهَيْبَة. وكان من شَرْط[b] النَّاظِر في المَظالِم أن يكون جَليلَ القَدْر، نافِذَ الأَمْر، عَظيمَ الهَيْبَة، ظاهِرَ العِفَّة، قَليلَ الطَّمَع، كَثيرَ الوَرَع. لأنَّه يحتاج في نَظَره إلى سَطْوَة الحُماة وتَثَبُّت القُضَاة، فيحتاج الجَمْع بين صِفَتي الفريقين، وأن يكون بجلالَةِ القَدْر نافِذَ الأَمْر في الجهتين. وهي خِطَّةٌ حَدَثَت لفَسَادِ النَّاس، وهي كلُّ حُكْم يَعْجِزُ عنه القاضي فيَنْظُر فيه من هو أَقْوَى منه يَدًا.

وأوَّلُ من نَظَرَ في المَظالِم من الخُلَفاء أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه. وأوَّلُ من أَفْرَدَ للظُّلامات يَوْمًا يَتَصَفَّحُ فيه قِصَصَ المتظلِّمين، من غير مُباشَرَة النَّظَر، عبدُ الملك بن مَرْوان. فكان إذا وَقَفَ منها على مُشْكِلٍ أو احْتاجَ فيها إلى حُكْم، يُنْفِذ رَدَّه إلى قاضيه [c] ابن إدريس الأَوْدي[d] فينفذ فيه أحكامَه. وكان ابنُ إدريس هو المباشِر، وعبدُ الملك الآمِر. ثم زادَ الجَوْرُ فكان عُمَرُ بن عبد العَزيز ـ رحمه الله ـ أوَّلَ من نَدَبَ نفسه للنَّظَر في المظالِم فرَدَّها.

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط. b) بولاق: شروط. c) بياض بآياصوفيا. d) بولاق: الأزدي.

---

[1] المقريزي: مسودة الخطط ٦٦ظ.
[2] فيما تقدم ٦٥٤هـ[1].
[3] فيما يلي ٦٦٦.

ثم جَلَسَ لها خُلَفاءُ بني العَبَّاس ، وأوَّلُ مَنْ جَلَسَ منهم المَهْدي محمد ، ثم الهادي مُوسَىٰ ، ثم الرَّشيد هارون ، ثم عبد الله المأمُون ، وآخِر من جَلَسَ منهم المُهْتَدي بالله محمد بن الواثِق .

وأوَّلُ مَنْ أَعْلَم أنَّه جَلَسَ بمصر من الأُمَرَاء للنَّظَر في المظالِم الأميرُ أبو العَبَّاس أحمد بن طُولون ، فكان يجلسُ لذلك يَوْمَيْنِ في الأسْبُوع . فلمَّا ماتَ وقامَ من بعده ابنُه أبو الجَيْش خُمَارَوَيْه ، جَعَلَ على المظالِم بمصر محمد بن عَبْدَة بن حَرْب ، في شَعْبان سنة ثلاثٍ وسبعين ومائتين . ثم جَلَسَ لذلك الأستاذ أبو المِسْك كافُور الإخْشيدي ، وابتدأ ذلك في سنة أربعين وثلاث مائة ـ وهو يومئذٍ خَليفَةُ الأمير أبي القاسِم أُونُوجُور بن الإخْشيد ـ فعَقَدَ مَجْلِسًا صارَ يجلسُ فيه كلَّ يوم سبت ، ويحضر عنده الوَزيرُ أبو الفَضْل جَعْفَر بن الفَضْل بن الفُرات وسائِرُ القُضَاة والفُقَهاء والشُّهُود ووُجُوه البَلَد . وما بَرِحَ على ذلك مُدَّة أيَّامِه بمصر إلى أن ماتَ ، فلم ينتظم أَمْرُ مصر بعده ، إلى أن قَدِمَ القائِدُ أبو الحُسَيْنِ جَوْهَرٌ بجُيوش الإمام[a] المُعِزّ لدين الله أبي تَمِيم مَعَدٍّ ، فكان يَجْلِسُ للنَّظَر في المَظالِم ، ويُوَقِّعُ على رِقاع المُتَظَلِّمين . فمن تَوْقيعاتِه بخَطِّه على قِصَّةٍ رُفِعَت إليه :

«سُوءُ الاجْتِرام أَوْقَعَ بكم طُول الانْتِقام ، وكُفْر الإنْعام أَخْرَجَكم من حِفْظ الذمام . فالواجِبُ فيكم تَرْكُ الإيجاب ، واللازِم لكم مُلازَمَة الاجْتِناب ، لأنَّكم بَدَأْتُم فأسأتُم ، وعُدْتُم فتعدَّيْتم . فابتداؤكم مَلُوم ، وعَوْدُكم مَذْمومٌ ، وليس بينهما فُرْجَة تقتضي إلَّا الذَّم لكم ، والإعْراض عنكم ، ليرى أمير المؤمنين ـ [b]صَلَوات الله عليه[b] ـ رأيَه فيكم»[1] .

ولمَّا قَدِمَ المُعِزُّ لدين الله إلى مصر ، وصارَت دارَ خِلافَةٍ ، اسْتَقرَّ النَّظَرُ في المَظالِم مُدَّةً يُضاف إلى قاضي القُضَاة ، وتارَةً ينفردُ بالنَّظَر فيه أَحَدُ عُظَماء الدَّوْلة . فلمَّا ضَعُفَ جانِبُ المُسْتَنْصِر بالله أبي تَمِيم مَعَدّ بن الظَّاهِر ، وكانت الشِّدَّةُ العُظْمَىٰ بمصر ، قَدِمَ أميرُ الجُيُوش بَدْرٌ الجَمالي إلى القاهِرَة ووَلِيَ الوَزارَة ، فصارَ أَمْرُ الدَّوْلَة كلُّه راجِعًا إليه ، واقْتَدَى به مَنْ بَعْدَه من الوُزَراء . وكان الرَّسْمُ في ذلك أنَّ الوَزيرَ رَبّ[c] السَّيْف يجلس للمَظالِم بنفسه ، ويجلس قُبالَتَه قاضي القُضَاة وبجانِبه شاهِدان مُعْتَبَران ، ويجلس بجانِب الوَزير المُوَقِّعُ بالقَلَم الدَّقيق ، ويليه صاحِبُ ديوان المال ، ويقف

---

a) ساقطة من بولاق . b-b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : صاحب .

---

[1] هذا النَّصُّ منقولٌ عن أبي حَيَّان التوحيدي : البصائر والذخائر ١ : ١٨٤، وانظر فيما تقدم ٢: ٢٦٠.

بين يدي الوَزير صاحِبُ الباب وإسْفِهْسَلارُ العَساكِر، وبين أيْديهما الحُجَّابُ والنُّوَّابُ على طَبَقاتِهم، ويكون هذا الجُلُوس يومين في الأسْبوع[١]. وآخِرُ من تَقَلَّد المَظالِم في الدَّوْلَة الفاطِمية، رُزِّيك ابن الوَزير الأَجَلّ الملك/ الصَّالِح طَلائِع بن رُزِّيك في وَزارَة أبيه، وكُتِبَ له سِجِلٌّ عن الخَليفَة منه: ٢٠٨:٢

«وقد قَلَّدَك أميرُ المؤمنين النَّظَر في المظالِم، وإنْصاف المَظْلوم من الظَّالِم»[٢].

وكانتِ الدَّوْلَةُ إذا خَلَت من وَزيرٍ صاحِبِ سَيْفٍ، جَلَسَ للنَّظَر في المظالِم صاحِبُ الباب في باب الذَّهَب من القَصْر، وبين يَدَيْه الحُجَّابُ والنُّقَباءُ، ويُنادي مُنادٍ بحضرته: يا أرْباب الظُّلامات، فيحضرون إليه: فمن كانت ظُلامَتُه مُشافَهَةً أُرْسِلَت إلى الوُلاة أو القُضَاة رِسالَة بكَشْفها. ومن تَظَلَّمَ من أهْل النَّواحي التي خارِج القاهِرَة ومصر، فإنَّه يُحْضِر قِصَّةً فيها شَرْح ظُلامَته، فيتسلَّمها الحاجِبُ منه حتى تجتمع القِصَص، فيدفعها إلى المُوَقِّع بالقَلَم الدَّقيق فيُوَقِّع ١٠ عليها. ثم تُحْمَل بعد تَوْقيعه عليها إلى المُوَقِّع بالقَلَم الجَليل، فيبسط ما أشارَ إليه المُوَقِّعُ بالقَلم الدَّقيق. ثم تُحْمَل التَّواقيعُ في خَريطَةٍ إلى ما بين يَدَي الخَليفَة فيُوَقِّع عليها. ثم تَخْرُج في خَريطَتِها إلى الحاجِب، فيقف على باب القَصْر، ويُسَلِّم كلَّ تَوْقيع لصاحِبه[a][٣].

وأوَّلُ من بَنَى دارَ العَدْل من الملوك السُّلْطانُ الملكُ العادِلُ نُورُ الدِّين محمود بن زَنْكي بدِمَشْق عندما بَلَغَه تَعَدِّي ظُلْم نُوَّاب أَسَد الدِّين شيركوه بن شاذي إلى الرَّعِيَّة، وظُلْمُهم النَّاس، وكَثْرَة ١٥ شَكْواهم إلى القاضي كمال الدِّين الشَّهْرَزُوري وعَجْزه عن مُقاوَمَتهم. فلمَّا بُنِيَت دارُ العَدْل أَحْضَرَ شيركوه نُوَّابَه وقال: إنَّ نورَ الدِّين ما أَمَرَ ببناء هذه الدَّار إلَّا بسَبَبي، والله لئن أُحْضِرْتُ إلى دار العَدْل بسَبَب أحَدِكم[b] لأُصَلِّبَنَّه، فامْضُوا إلى كلِّ من كان بينكم وبينه منازِعَةٌ في مُلْك أو غيره فافْصِلوا الحالَ معه وأَرْضُوه بكلِّ طَريقٍ أمْكَنَ ولو أتَى على جَميع ما بيدي؛ فقالوا: إنَّ النَّاسَ إذا عَلِمُوا بذلك اشْتَطُّوا في الطَّلَب. فقال: خُروجُ[c] أمْلاكي من يدي أسْهَلُ عليَّ من أن يَراني ٢٠

---

a) بولاق: إلى صاحبه. b) بولاق: أحد منكم. c) بولاق: لخروج.

---

[١] فيما تقدم ٢: ٣٢٧- ٣٣٩، ٣٤٠- ٣٤٢.

[٢] ابن الطوير: نزهة المقلتين ٩٠؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ١/٤: ١٤٦، وانظر نَصّ السِّجِلّ عند القلقشندي: صبح الأعشى ١٠: ٣٢٥- ٣٣٧.

[٣] نفسه ١٢٠؛ نفسه ١/٤: ١٣٥؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٣٣٥؛ وفيما تقدم ٢: ٣٣٧.

نور الدِّين بعين أنِّي ظالِم، أو يُساوي بيني وبين أحَدٍ من العَامَّة في الحكومة. فخَرَجَ أصْحَابُه وعَمِلُوا ما أَمَرَهُم به من إرْضَاء أخْصَامهم، وأَشْهَدوا عليهم[١].

فلمَّا جَلَسَ نورُ الدِّين بدار العَدْل في يومين من الأسْبوع، وحَضَرَ عنده القاضي والفُقَهاء، أقامَ مُدَّةً لم يحضر أحَدٌ يَشْكو شيركوه. فسأل عن ذلك فعُرِّفَ بما جَرَى منه ومن نُوَّابِه فقال: «الحَمْدُ لله الذي جَعَلَ أصْحابَنا يُنْصفون من أنفسهم قبل حُضُورهم عندنا»[٢].

وجَلَسَ أيضًا السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب، في يومي الاثنين والخميس، لإظْهار العَدْل. ولمَّا تَسَلْطَنَ الملكُ المُعِزُّ عِزّ الدِّين[a] أيْبَك التُّرْكُماني، أقامَ الأَميرَ عَلاءَ الدِّين أيْدَكِين البُنْدُقْداري في نِيابَة السَّلْطَنَة بديار مصر[٣]. فواظَبَ الجُلُوسَ بالمَدارِس[b] الصَّالِحِيَّة بَيْنَ القَصْرَيْن ومعه نُوَّابُ دار العَدْل، ليُرَتِّب الأُمُورَ ويَنْظُر في المظالِم. فنادَى بإراقَة الخُمُور، وأبْطَلَ[c] ما عليها من المُقَرَّر.

وكان قد كَثُرَ الإرْجَافُ بمَسير الملك النَّاصِر صَلاح الدِّين يوسُف بن العَزيز محمد بن الظَّاهِر غازي ابن السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب صاحِبُ الشَّام، لأَخْذ مصر. فلمَّا انْهَزَمَ الملكُ النَّاصِرُ، واسْتَبَدَّ الملكُ المُعِزُّ أيْبَك، أَحْدَثَ وَزيرُه من المُكُوس شيئًا كثيرًا[٤].

ثم إنَّ الملكَ الظَّاهِرَ رُكْنَ الدِّين بيْبَرْس البُنْدُقْداري بَنَى دارَ العَدْل، وجَلَسَ بها للنَّظَر في المَظالِم كما تَقَدَّم. فلمَّا بَنَى الإيوانَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون، واظَبَ الجُلُوس يوم الاثنين والخميس فيه، وصارَ يَفْصِل فيه المُحاكَمات[d] في الأحايين إذا أعيى مَنْ دونَه فَصْلُها[٥].

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: في المدارس. c) بولاق: إبطال. d) بولاق: الحكومات.

---

[١] ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ١٦٨؛ ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية ٢٣.

[٢] ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية ٢٤.

[٣] الأمير عَلاءُ الدِّين أيْدَكِين البُنْدُقْداري، أحَدُ أعْيان الأمَراء الصَّالحية، وهو أستاذ السُّلْطان الملك الظَّاهر بيبرس، توفي سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م. (الصفدي: الوافي بالوفيات ٩: ٤٩١-٤٩٢؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٨: ٢٧٦؛ ابن الفرات: تاريخ الدول ٨: ٣٣؛ المقريزي: السلوك ١: ٧٣٠؛ العيني: عقد الجمان ٢: ١٧٥، ٣٤٦؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٣٦٥، المنهل الصافي ٣: ١٥٥-١٥٦).

[٤] هو الوزير شرف الدِّين هِبَة الله بن صاعد الفائزي، انظر عنه وعن المكوس التي أحدثها فيما تقدم ١: ٢٨٣، وهذا المجلد ٤٠٩، وفيما يلي ٧٦٧.

[٥] راجع، Nielsen, J.S., «Mazâlim and Dâr al-ʿAdl under the Early Mamluks», *MW* 66 (1976), pp. 114-32; id., *Secular Justice in an Islamic State; Mazâlim under the Bahri*

فلمَّا اسْتَبَدَّ الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقُوق بالسَّلْطَنَة ، عَقَدَ لنفسه مَجْلِسًا بالإسْطَبل السُّلْطاني من قَلْعَة الجَبَل ، وجَلَسَ فيه يوم الأحد ثامن عشرين شهر رَمَضان سنة تسعٍ وثمانين وسبع مائة ، وواظَبَ ذلك في يومي الأحَد والأربعاء ، ونَظَرَ في الجَليلِ والحَقير ؛ ثم حَوَّلَ ذلك إلى يومي الثلاثاء والسبت ، وأضافَ إليهما يوم الجُمُعَة بعد العَصْر ، وما زالَ على ذلك حتَّى مات . فلمَّا وَلِي ابنُه المَلِكُ النَّاصِرُ فَرَج بعده ، واستبدَّ بأمْره جَلَسَ للنَّظَرِ في المظالِم بالإسْطَبْل اقْتِداءً بأبيه ، وصارَ كاتِبُ السِّرِّ فَتْحُ الدِّين فَتْح الله يَقْرأُ القِصَص عليه ، كما كان يقرأُها على أبيه ، فانْتَفَعَ أُناسٌ وتضرَّرَ آخرون بذلك ، وكان الضَّرَرُ أضْعافَ النَّفْع . ثم لمَّا استبدَّ الملكُ المُؤَيَّدُ شَيْخ بالمملكة ، جَلَسَ أيضًا للنَّظَر في المظالِم كما جَلَسَا .aوالأمْرُ على ذلك مستمرٌّ إلى وَقْتِنا هذا ، وهو سنة تسع عشرة وثمان مائة [1].

وقد عُرِفَ النَّظَرُ في المظالِم منذ عَهْد الدَّوْلَة التُّرْكية بديار مصر والشَّام بـ«حُكْم السِّياسَة» ، وهو يَرْجِع إلى نائِب السَّلْطَنَة وحاجِب الحُجَّاب ووالي البَلَد ومتوَلِّي الحَرْب بالأعْمَال . وسَيرد الكَلامُ في حُكْم السِّياسَة عن قَريبٍ إن شاءَ الله [2].

ذِكْرُ خِدْمَة الإيوان المعروف بدار العَدْل ـ كانت العادَةُ أنَّ السُّلْطانَ يجلس بهذا الإيوان بُكْرَة الاثنين والخميس طُول السَّنَة ، خَلا شهر رَمَضَان فإنَّه لا يَجْلِس فيه هذا المَجْلِس . وجُلوسُه هذا إنَّما هو للمَظالِم ، وفيه تكون الخِدْمَةُ العامَّة واسْتِحْضار رُسُل الملوك غالبًا . فإذا جَلَسَ للمَظالِم ، كان جُلوسُه على كُرْسي إذا قَعَدَ عليه يكادُ تَلْحَق الأرضَ رجلُه ، وهو مَنْصوبٌ إلى جانِب المِنْبَر الذي هو تَخْت المُلْك وسَرير السَّلْطَنَة . وكانتِ العادَةُ أوَّلًا أن يجلس قُضَاةُ القُضَاة من المذاهِب الأربعة/ عن يمينه ، وأكبرُهُم الشَّافِعِي وهو الذي يلي السُّلْطان ، ثم إلى جانِب الشَّافِعِي الحَنَفَي ، ثم المالِكي ، ثم الحَنْبَلي ، وإلى جانِب الحَنْبَلي الوَكيلُ عن بَيْت المال ، ثم الناظِرُ في الحِسْبَة بالقاهِرَة . ويجلسُ على يَسار السُّلْطان كاتِبُ السِّرِّ ، وقُدَّامَه ناظِرُ الجَيْش ، وجَماعَةُ المُوَقِّعين المعروفين بكُتَّاب الدَّسْت ، ومُوَقِّعي الدَّسْت تكملة حَلْقَة دائِرة . فإن كان الوَزيرُ من

a) في هامش آياصوفيا : بياض .

Mamluks, Netherlands Institut-Istanbul 1985.

[1] انظر فيما تقدم ٦٤٧.

[2] فيما يلي ٧١٣- ٧١٨.

أرْباب الأقْلام كان بين السُّلْطان وكاتِب السِّرّ ، وإن كان الوَزيرُ من أرْباب السُّيُوف كان واقِفًا على بُعْدٍ مع بقيَّة أرْباب الوَظائفِ ، وإن كان نائِبَ السَّلْطَنَة فإنَّه يقف مع أرْباب الوَظائِف . ويَقِفُ من وراءِ السُّلْطان صَفَّان ، عن يَمينه ويَساره ، من السِّلاح دارية والجَمْدارية والخاصَّكِيَّة ؛ ويجلس على بُعْدٍ بقدر خمسة عشر ذِراعًا ، عن يَمْنته ويَسْرَته ، ذوو السِّنّ والقَدْر من أكابِر أمَراء المِئِين ـ ويُقالُ لهم «أُمَراءُ المَشُورة»[1] ـ ويليهم من أسْفَل منهم أكابِرُ الأُمَرَاء وأرْبابُ الوَظائِف ، وهم وُقوفٌ وبقيَّةُ الأُمَرَاء وُقُوفٌ من وَرَاء أُمَرَاء المَشُورَة . ويقف خَلْف هذه الحَلَقَة المحيطة بالسُّلْطان الحُجَّابُ والدَّوادارية ، لإعْطاء قِصَص النَّاس ، وإحْضَار الرُّسُل وغيرهم من الشُّكاة وأصْحاب الحَوائِج والضَّرورات . فيَقْرأُ كاتِبُ السِّرّ ومُوَقِّعو الدَّسْت القِصَص على السُّلْطان ، فإن احْتاجَ إلى مُراجَعَةِ القُضَاة راجَعَهم فيما يتعلَّق بالأمُور الشَّرْعِيَّة والقَضايا الدِّينية ، وما كان متعلِّقًا بالعَسْكر : فإن كانت القِصَصُ في أُمَرَاء الإقْطاعات قرأها ناظِرُ الجَيْش ، فإن احْتاج إلى مُراجَعَةٍ في أمْر العَسْكَر تَحَدَّث مع الحَاجِب وكاتِب الجَيْش فيه ، وما عَدا ذلك يأْمُرُ فيه السُّلْطانُ بما يَراه[2].

وكانت العادَةُ النَّاصِرِيَّة أن تكون الخِدْمَةُ في هذا الإيوان على ما تَقَدَّم ذكره في بُكْرَةِ يوم الاثنين . وأمَّا بُكْرَةُ يوم الخميس فإنَّ الخِدْمَة على مثل ذلك إلَّا أنَّه لا يتصدَّىٰ السُّلْطانُ فيه لسَماع القِصص ، ولا يحضره أحَدٌ من القُضَاة ولا المُوَقِّعين ولا كاتِبُ الجَيْش ، إلَّا إن عَرَضَت حاجَةٌ إلى طَلَبِ أَحَدٍ منهم . وهذا القُعُودُ عادَته طول السَّنَة ما عَدا رَمَضان[3].

وقد تَغَيَّرَ بعد الأيَّام النَّاصِرِيَّة هذا التَّرْتيب ، فصارَت قُضَاةُ القُضَاة تَجْلس عن يَمْنَة السُّلْطان ويَسْرَته . فيجلسُ الشَّافِعِيُّ عن يمينه ، ويليه المالِكيُّ ، ويليه قاضي العَسْكَر ، ثم مُحْتَسِب القاهِرَة ، ثم مُفْتي دار العَدْل الشَّافِعِيّ . ويجلس الحَنَفِيُّ عن يَسْرَة السُّلْطان ، ويليه الحَنْبَليُّ . وصارَت القِصَصُ تُقْرأ والقُضَاةُ وناظِرُ الجَيْش يَحْضُرون في يوم الخميس أيضًا[4].

---

[1] أُمَرَاءُ المَشُورَة . كانوا كهيئة مَجْلِس اسْتِشاري للسُّلْطان ، يقول أبو المحاسن : «إنَّهم يَتَفَّذون أحْوال المملكة بين يَدَي السُّلْطان بمقتضى علمهم وحَسَب اختيارهم» (النجوم الزاهرة ١٠: ١٩٠) . واخْتَلَفَ عَدَدُ هؤلاء الأُمَرَاء خِلال التاريخ المملوكي . (ابن أيبك : كنز الدرر ٩: ٢٣٩؛ المقريزي : السلوك ١: ٤٠٥، ٧٣٥، ٢: ٤٩٨، ١٥٥١هـ[2]، ٧٤٦هـ[3]، ٧٥٢هـ[1]) .

[2] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٣٦- ٣٧؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤: ٤٤؛ السيوطي : حسن المحاضرة ٢: ١٢٧؛ Rabbat, N., *op.cit.*, pp. 252-53.

[3] نفسه ٣٧؛ نفسه ٤: ٤٥؛ نفسه ٢: ١٢٧.

[4] فيما تقدم ٦٦٦.

وعن وَظيفَة قاضي القُضَاة في عَصْر دولة المماليك البَحْرية ، انظر Escovitz, J., *The Office of Qâdi al-Qudât in Cairo under the Bahri Mamluks*, Berlin 1984; Salibi, K., «Liste chronologique =

وكانت العادَةُ أنّه[a] إذا وَلِيَ أَحَدٌ المملكةَ من أَوْلاد الملك النَّاصِر محمد بن قلاوون ؛ فإنَّه عند وِلايَته يَحْضُر الأُمَرَاءُ إلى دارِه بالقَلْعَة ، وتُفاضُ عليه الخِلْعَةُ الخَلِيفِيّة[b] السَّوْداء ومن تحتها فَرَجِيَّةٌ خَضْراء ، وعِمامَةٌ سَوْداء مُدَوَّرَة ، ويُقَلَّد السَّيْفَ العَرَبِي المُذَهَّب . ويركب فَرَس النَّوْبَة ، ويسيرُ والأُمَرَاءُ بين يديه ، والغاشيَةُ قُدَّامَه ، والجاويشية تَصيح ، والشَّبَّابة السُّلْطانية يُنْفَخُ بها ، والطَّبَرْدارية حوالَيْه إلى أن يعبر من باب النُّحاس إلى دَرَجِ هذا الإيوان . فينزل عن الفَرَس ويَصْعَد إلى التَّخْت فيَجْلِس عليه ، ويُقَبِّل الأُمَرَاءُ الأرْضَ بين يديه ، ثم يتقدَّمون إليه ويُقَبِّلون يَدَه على قَدْر رُتَبِهم ، ثم مُقَدَّمو الحَلْقَة . فإذا فَرَغُوا حَضَرَ القُضَاةُ والخَليفَةُ ، فتُفاضُ التَّشاريفُ على الخَليفَة ، ويجلس مع السُّلْطان على التَّخْت ، ويُقَلِّد السُّلْطان المملكة بحُضُور القُضَاة والأُمَرَاء ، ويَشْهَدُ عليه بذلك ، ثم ينصرف ومعه القُضَاةُ ، فيُمَدُّ السِّماطُ للأُمَرَاء . فإذا انْقَضَى أَكْلُهم قامَ السُّلْطانُ ودَخَلَ المَقْصُورَة وانْصَرَف الأُمَرَاءُ .

ومِمَّا قيل في هذا الإيوان لمَّا بَناهُ السُّلطانُ الملكُ النَّاصِرُ :

[الكامل]

شَرَّفْتَ إيوانًا جَلَسْتَ بصَدْرِه ... فشَرَحْتَ بالإحْسانِ منه صُدُورا
قد كان يَشْتَغِلي الفَراقِدَ رِفْعةً ... إذ حازَ منك النَّاصِر المَنْصُورا
مَلِكُ الزَّمان ومَنْ رَعِيَّة مُلْكه ... مِنْ عَدْله لا يُظْلَمون نَقيرًا
لا زالَ مَنْصُورَ اللِّواء مُؤَيَّدًا ... أَبَدَ الزَّمانِ وضِدُّه مَقْهُورا

وقيل أيضًا :

[السريع]

يا مَلِكًا أَطْلَع من وَجْهه ... إيوانَه لما بَدَا بَدْرا
أَنْسَيْتنا بالعَدْل كِسْرَى ولن ... يَرْضَى لنا جيرانُه كَسْرا[c]

---

a) بولاق : أيضًا . b) آياصوفيا وباريس : الخليفتية . c) بولاق : نرضى لنا جبرًا به كسرًا .

---

des Grands Qâdis d'Égypte sous les Mamlouks», *REI* 25 (1957), pp. 71-112.=

القَصْرُ الأَبْلَق

هذا القَصْرُ يُشْرِفُ على الإسْطَبْل ، أنشأه الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون في شَعْبان سنة ثلاث عشرة وسبع مائة ، وانتهت عِمارَتُه في سنة أربع عشرة [1] ، وأنشأ بجواره جُنَيْنَة . ولمَّا كَمُلَ عَمِلَ فيه سِماطًا حَضَرَه الأُمَرَاءُ وأهْلُ الدَّوْلَة ، ثم أُفيضَت عليهم الخِلَع ، وحُمِلَ إلى كلِّ أميرٍ من أُمَرَاء المئين ومُقَدَّمي الألوف ألف دينار ، ولكلٍّ من مُقَدَّمي الحَـلْقَة خمس مائة درهم ، ولكلٍّ من أُمَرَاء الطَّبْلَخاناه عشرة آلاف درهم فِضَّة : عنها خمس مائة دينار . فبَلَغَت/ النَّفَقَةُ على هذا المُهِمّ خمس مائة ألف ألف دِرْهَم [a].

---

a) هنا في هامش آياصوفيا : بياض خمسة أسطر .

---

[1] القَصْرُ الأبْلَق . كان يُشرف على الإسْطَبْلات السُّلْطانية في أسْفَل القَلْعَة (النويري : نهاية الأرب ٣٢ : ٢٠٨ ؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٩ : ٢٦٦ ؛ الشجاعي : تاريخ الملك الناصر ١١٣ ؛ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٣٨ ، ٨٠ ، ٨١ – ٨٤ ؛ وهذا أقدم وأدَقّ وصف للقصر الأبْلَق ؛ المقريزي : السلوك ٢ : ١٢٩ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٩٣ – ١٩٤ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٣٦ – ٣٧ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١ : ٤٤٥ وفيه أنّه عبارة عن ثلاثة قصور متداخلة في بعضها ، وفيهم خمس قاعات وثلاثة مَراقِد) .

وقَصَدَ النَّاصِرُ محمد أن يُحاكي به القَصْر الأبْلَق الذي بناه الظاهر بيبرس في دمشق سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م (ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ١١٤ ؛ النويري : نهاية الأرب ٣٠ : ١٣٦ ؛ المقريزي : السلوك ١ : ٥٦١ ؛ العيني : عقد الجمان ٢ : ١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧ : ١٩٥ ، ٢٧٨) . وسُمّي بالأبْلَق لأنّه بني بالحجر الأسود والأصفر بالتبادل ، ومعروفٌ أنّ الأبْلَق في اللُّغة يعني الأبيض والأسود أو بصفة عامّة الخليط من اللونين .

ويرى كازانوفا أنَّ القَصْرَ الأبْلَق هو نفسه الأثَر الذي ذكره جومار باسم قصر يُوسُف أو بَيْت يُوسُف والذي أصبح في العصر العثماني مكان صناعة كُسْوَة الكعبة (وصف مدينة القاهرة ٢٣١ – ٢٣٣ ؛ Casanova, P., op.cit., p. 635-41 (الترجمة العربية ١٢٧ – ١٣١)) ، وانظر كذلك فيما يلي ٦٧٦ (القاعَة الأشرفيّة) .

ويَدُلُّ على موقع القصر الابْلَق الجزء الجنوبي الغربي من قلعة الجبل حيث المكان الواقع على يمين الداخل من البَوَّابَة الوسطى للقلعة إلى السَّاحَة التي بها الآن جامع محمد علي باشا ، وأصبح يشغل موقعه السِّجْن الحربي الذي تحوَّل الآن إلى متحف للشُّرْطة . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٣٦هـ [3] ؛ وانظر كذلك Creswell, K.A.C., *MAE* II, pp. 260-63; Rabbat, N., *op.cit.*, pp. 199-213.

وابتداءً من منتصف عام ١٩٨٥ بدأت أعمالُ تنقيب بموقع القصر الأبْلَق راجع عنها ، محمود الحديدي وفهمي عبد العليم : «أعمال ترميم القصر الأبْلَق بقلعة صلاح الدِّين» ، مجلة عالم البناء ٢٦ (أبريل ١٩٨٦) ، ٤ – ١٦ ؛ محمود الحديدي : «القَصْر الأبْلَق ـ قصر النَّاصر محمد بن قلاوون =

وكانت العادَةُ أن يجلس السُّلْطانُ بهذا القَصْر كلَّ يومٍ للخِدْمَة ، ما عَدا يومي الاثنين والخميس فإنَّه يجلس للخِدْمَة بدار العَدْل ، كما تقدَّم ذكره [١]. وكان يَخْرُج إلى هذا القَصْر من القُصُور الجُوَّانِيَّة [٢]، فيجلس تارَةً على تَخْت المُلْك المنصوب بصَدْر إيوان هذا القَصْر المطلّ على الإسْطَبْل ، وتارةً يَقْعُد دونه على الأرْض والأُمَرَاءُ وُقوفٌ على ما تقدَّم ، خَلا أُمَراءَ المَشُورَة والقُرَباءَ من السُّلْطان فإنَّه ليس لهم عادَةٌ بحُضُور هذا المجْلِس ، ولا يَحْضُر هذا المجْلِس من الأُمَرَاء الكِبار إلَّا من دَعَتِ الحاجَةُ إلى حُضُورِه . ولا يَزالُ السُّلْطانُ جالِسًا إلى الثَّالِثَة من النَّهار ، فيقوم ويدخُل إلى قُصُوره الجُوَّانِيَّة ، ثم إلى دار حَرِيمِه ونِسائِه . ثم يَخْرُجُ في أُخْرِيات النَّهار إلى قُصُوره الجُوَّانِيَّة ، فينظُر في مَصالِح مُلْكِه . ويعبر عليه[a] إلى قُصُوره الجُوَّانِيَّة خاصَّتُه من أرْباب الوَظائِف في الأشْغَال المتعلِّقَة به على ما تَدْعُو الحاجَةُ إليه [٣]، ويُقال لها «خِدْمَةُ القَصْر» .

وهذا القَصْرُ تِجاه بابِه رَحْبَةٌ يُسْلَكُ إليها من الرَّحْبَة التي تِجاه الإيوان . فيجلس بالرَّحْبَة التي على بابِ القَصْر خَواصُّ الأُمَرَاء قبل دُخُولهم إلى خِدْمَة القَصْر . ويُمْشَى من باب القَصْر في دَهاليز مفروشة بالرُّخام ، قد فُرِشَ فَوْقَه أنْواعُ البُسُط ، إلى قَصْرٍ عَظيم البِنَاء شاهِقٍ في الهَوَاء بإيوانين : أعْظَمُهما الشَّمالي يُطَلُّ منه على الإسْطَبْلات السُّلْطانية ، ويمتدُّ النَّظَرُ إلى سُوق الخَيْل والقاهِرَة وظَواهِرِها إلى نحو النِّيل ، وما يليه من بِلاد الجِيزَة وقُراها . وفي الإيوان الثَّاني القِبْلي بابٌ خاصٌّ لخُروج السُّلْطان وخَواصِّه منه إلى الإيوان الكبير أيَّام المَوْكِب . ويُدْخَل من هذا القَصْر إلى ثَلاثَة قُصُورٍ جُوَّانِيَّة : منها واحِدٌ مُسامِتٌ لأرض هذا القَصْر ، واثنان يُصْعَد إليهما بمَرَجٍ في جَميعها شَبابيكُ حَديد تُشْرِف على مثل مَنْظَرَة القَصْر الكبير .

وفي هذه القُصُور كلِّها مَجاري الماء مَرْفوعًا من النِّيل بدَواليب تديرها الأبْقارُ من مَقَرِّه إلى مَوْضِعٍ ثم إلى آخَر ، حتى ينتهي الماءُ إلى القَلْعَة ويَدْخُل إلى القُصُور السُّلْطانية وإلى دُور الأُمَرَاء الخَواصّ المُجاوِرين للسُّلْطان ، فيجري الماءُ في دُورهم ، وتَدُورُ به حَمَّاماتُهم . وهو من عَجائِب

---

a) بولاق : إليه .

= بالقلعة» في كتاب «دراسات وبحوث في الآثار والحضارة الإسلامية ـ الكتاب التقديري للآثاري عبد الرحمن عبد التواب» ١ : ٤٧١–٤٨١) .

[١] المقريزي : مسودة الخطط ٦٦و؛ وفيما تقدم ٦٦٠.

[٢] فيما تقدم ٦٥٢.

[٣] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ١٣٨؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٤٥.

الأعمال لرفعته من الأرض إلى السَّماء قريبًا من خمس مائة ذِراع من مكانٍ إلى مَكان [١].

ويُدْخَل من هذه القُصُور إلى دُور الحَرِيم. وهذه القُصُور جَميعُها من ظاهِرها مبنيَّةٌ بالحَجَر الأَسْوَد والحَجَر الأصفر، مؤزَّرَةٌ من داخِلِها بالرُّخام والفُصُوص المذهبة المشجَّرة بالصَّدَف والمعجون وأَنْواع المُلَوَّنات، وسُقُوفُها كلُّها مذهَّبة قد مُوِّهَت باللازَوَرْد، والنُّورُ يخرق في جُدْرانها بطاقاتٍ من الزُّجاج القُبْرُسي الملوَّن كقِطَع الجَوْهَر المؤلَّفة في العُقُود. وجَميعُ الأراضي قد فُرِشَت بالرُّخام المنقول إليها من أَقْطار الأرْض، ممَّا لا يُوجَد مثله [٢]. ٥

وتُشْرِفُ الدُّور السُّلْطانِيَّة من بعضها على بَساتين وأَشْجار، وساحات للحَيوانات البديعة والأَبْقار والأغْنام والطُّيور والدَّواجِن [٣]. وسيأتي ذِكْرُ هذه القُصُور والبَساتين والأَحْواش مُفَصَّلًا إن شاءَ الله.

وكان بهذا القَصْر الأَبْلَق رُسُومٌ وعَوائِدُ، تَغَيَّرَ كثيرٌ منها وبَطَلَ معظمُها، وبقيت إلى الآن بقايا من شِعار المملكة ورُسُومِ السَّلْطَنَة. وسأَقُصُّ من أَنْباء ذلك إن شاءَ الله ما لا تَراهُ بغير هذا الكِتاب مَجْمُوعًا، والله يُؤْتي فَضْلَه من يَشَاء. ١٠

الأسمطة السلطانية

وكانت العادَةُ أن يُمَدَّ بالقَصْر في طرفي النَّهار من كلِّ يوم، أسْمِطَةٌ [٤] جليلَةٌ لعامَّةِ الأُمَراء خَلا البَرَّانيين [٥] - وقَليلٌ ما هم - فبُكْرَةً يُمَدُّ سِماطٌ أوَّل لا يأكل منه السُّلْطانُ، ثم ثانٍ بعده - يُسَمَّى الخاصّ - قد يأكُلُ منه السُّلْطانُ وقد لا يأكُل، ثم ثالِثٌ بعده - ويسمَّى الطَّارِئ - ومنه مأكولُ السُّلْطان. ١٥

---

[١] انظر كذلك فيما يلي ٧٤٣- ٧٤٥.

[٢] يذكر ابن إياس أنَّ السلطان سليم العثماني عندما دَخَلَ إلى مصر «أخرَبَ غالبَ الأماكِن التي بالقلعة وفَكَّ رُخامَها ونَزَّلَ به في مراكِب، توجهوا بها إلى إستانبول. (بدائع الزهور ٥:١٦٢).

[٣] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٨١- ٨٢؛ القلقشندي: صبح ٣:٣٧١- ٣٧٢.

[٤] السِماطُ جـ الأسْمِطَة. ما يُبْسَط على الأرض لوضع الأطعمة وجلوس الآكلين (Dozy, R., *Suppl.* (*Dict. Ar.* I, p. 684)، وهو هنا بمعنى المائدة السُّلْطانية، وسَمَاهُ القلقشندي: صبح الأعشى ٤:٥٦، الخِوَان. وانظر فيما تقدم ٢:٢٩٣- ٢٩٨، ٥٩٥ الأسْمِطة في زمن الفاطميين.

[٥] الأمَراءُ البَرَّانِيُّون. هم المماليك والأُمَرَاء من غير الخاصَّكية، أمَّا الخاصَّكية فكان يُطْلَق عليهم الأمَراءُ الجُوَّانِيَّة. (المقريزي: السلوك ١:٦٨٦).

وأمَّا في آخِرِ النَّهار فيُمَدُّ[a] سِماطان الأوَّل والثَّاني المسمَّى بالخاصّ، ثم إن اسْتُدعي بطارئ[b] حَضَرَ وإلَّا فلا، ما عَدا المَشْوي فإنَّه ليس له عادَةٌ محفوظةُ النِّظام، بل هو على حَسَبِ ما يُرْسَم به. وفي كلِّ هذه الأسْمِطَة يُؤْكَلُ ما عليها، ويفرَّقُ نَوالات، ثم يُسْقَى بعدها الأَقْسِمَا[1] المعمولة من السُّكَّر والأفاويه المُطَيَّبَة بماءِ الوَرْد المبرَّدَة.

٥ وكانت العادَةُ أن يَبيتَ في كلِّ ليلةٍ، بالقُرْب من السُّلْطان، أطباقٌ فيها أنْواعٌ من المُطَجَّنات والبَوارِد والفطر والقِشْطَة والجُبْن المَقْلي والموز والكيماخ[c]، وأطْباقٌ فيها من الأَقْسِما والماء البارِد برَسْم أرْباب النَّوْبَة في السَّهَر حَوْل السُّلْطان، ليَتَشاغَلوا بالمأكول والمَشْروب عن النَّوْم. ويكون اللَّيْلُ مَقْسومًا بينهم بساعاتِ الرَّمْل، فإذا انتهت نَوْبَةٌ نَبَّهَت التي تليها، ثم ذَهَبَت هي فنامَت إلى الصُّبْح[d] هكذا أبَدًا سَفَرًا وحَضَرًا.

١٠ وكانت العادَةُ أيضًا أن يَبيتَ في المَبيت السُّلْطاني من القَصْر، أو المُخَيَّم إن كان في السَّرْحَة، المَصاحِفُ الكريمَة لقِراءَة من يَقْرأ من أرْباب النَّوْبَة، ويَبيتُ أيضًا الشِّطْرَنْجُ ليَتَشاغَل به عن النَّوْم[2].

وبَلَغَ مَصْروفُ السِّماط، في كلِّ يوم عيد الفِطْر من كلِّ سنةٍ، خمسين ألف درهم: عنها نحو ألفين وخمس مائة دينار تَنْهَبُه الغِلْمانُ والعامَّة. وكان يُعْمَل في سِماط الملك الظَّاهِر بَرْقُوق في كلِّ ١٥ يوم خمسة آلاف رِطْل من اللَّحْم، سوى الإوَزّ والدَّجاج [e]على أنَّه أبْطَلَ كثيرًا مِمَّا تَقَدَّم ذكره، وكان في سِماطِ ابنه النَّاصِر فَرَج ثلاثة آلاف رِطْل من اللَّحْم سوى الإوَز والدَّجاج[e]. وكان راتِبُ المُؤَيَّد شَيْخ في كلِّ يوم لسِماطِه ودارِه ثمان مائة رَطْل من اللَّحْم.

٢١١:٢ فلمَّا كان في المحرَّم سنة ستٍّ وعشرين/ وثمان مائة، سأل الملكُ الأَشْرَفُ بَرْسْباي عن مِقْدار ما يُطْبَخ له في كلِّ يوم بُكْرَةً وعشِيًّا، فقيل له ستّ مائة رطل في الوَجْبَتَيْن، فأَمَرَ أن يُطْبَخ بين يديه ٢٠ لأنَّه بَلَغَه أنَّه يؤخَذ مِمَّا ذكر لشادّ الشَّرابْخاناه ونحوه مائة وعشرون رِطْلًا. فجَعَلَ راتِبَ اللَّحْم في

---

a) بولاق: فيمتد. b) بولاق: بطار. c) بولاق: الكباخ. d) بولاق: الصباح. e-e) ساقطة من بولاق.

---

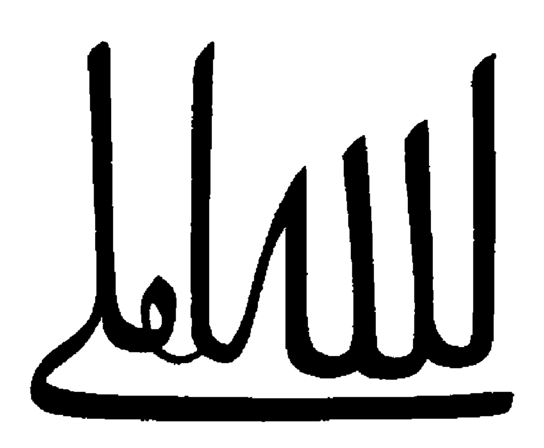
[1] الأقْسِما (بفتح الهمزة وسكون القاف وكسر السين وميم بعدها ألف): نَقيعُ الزَّبيب، فارسي معرَّب. (الشهاب الخفاجي: شفاء الغليل ١٩).

[2] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٤٠-٤١؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٤٩، ٥٦.

كلَّ يوم ـ بزيادة أيَّام الخِدْمَة ونُقْصان أيَّام عَدَم الخِدْمَة ـ خمس مائة رطل وستة أرْطال عن وَجْبَتَي الغَداء والعَشاء، ومن الدَّجاج ستة وعشرين طائِرًا، ولعَمَلِ المأمونية رِطْلَيْن ونصف سُكَّر [a]، وما يُعْمل برَسْم الجَمْدارية فإنَّه بعَسَلِ النَّحْل.

ذِكْرُ العَلامَة السُّلْطانيّة

قد جَرَتِ العادَةُ أنَّ السُّلْطانَ يكتُبُ خَطَّه على كلِّ ما يَأْمُرُ به، فأمَّا مَناشِيرُ الأُمَراء والجُنْد وكلُّ من له إقْطاع، فإنَّه يكتب عليه عَلامَتَه، وكَتَبَها الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون «الله أَمَلي»، وعَمِلَ ذلك المُلوكُ بعده إلى اليوم [1].



عَلامةُ السُّلْطان النَّاصِر محمد بن قَلاوون (عن صبح الأعشى)

وأمَّا تَقاليدُ [2] النُّوَّاب، وتَواقِيعُ [3] أرْباب المناصِب من القُضَاة والوُزَراء والكُتَّاب وبقيَّة أرْباب

a) بولاق: ونصفًا من السكر.

[1] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٤٣–١٤٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٥٤، ١٣: ١٦١.

[2] تَقْليدٌ جـ. تَقاليد. أي أمْرُ التولية، وتُفْتَتح دائمًا بـ«الحمد لله». (ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف ١٢٢–١٢٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى ١١: ١٠١–١٠٧ وبه تفصيلات هامَّة).

[3] تَوْقيع. جـ. تَواقيع. اسْمٌ لما يُكْتَب في حواشي القصص كخط الخليفة أو الوزير، هكذا كان مدلولها عند القدماء. (القلقشندي: صبح الأعشى ١: ٥٢؛ =

الوَظَائِف ، وتَواقِيعُ أرْباب الرَّواتِب والإطْلاقات [١] ، فإنَّه يَكْتُبُ عليها اسْمَه واسْمَ أبيه إن كان أبُوه مَلِكًا ؛ فيكتب مثلًا «مُحَمَّدُ بن قَلاوون» [٢] ، أو «شَعْبانُ بن حُسَيْن» ، أو «فَرَجُ بن بَرْقوق» . وإن لم يكن أبوهُ مِمَّن تَسَلْطَن ـ كبَرْقوق أو شَيْخ ـ فإنَّه يَكْتُب اسْمَه فقط ، ومِثالُه «بَرْقوق» أو «شَيْخ» .

وأمَّا كُتُبُ البَريد وخَلاص الحُقُوق والظُّلامَات ، فإنَّه يَكْتُب أيضًا عليها اسْمَه ، ورُبَّما كَرَّم المكتوبَ إليه ، فكَتَبَ إليه «أخُوه فُلان» أو «والِدُه فُلان» ، و«أخُوه» تُكْتَب للأكابِر من أرْباب الرُّتَب [٣] .

والذي يُعَلِّم عليه السُّلْطانُ : إمَّا إقْطاعٌ ، فالرَّسْم فيه أن يُقال : «خَرَجَ الأمْرُ الشَّريف» . وإمَّا وَظائِف ورَواتِب وإطْلاقات ، فالرَّسْمُ في ذلك أن يُقال : «رُسِمَ بالأمْر الشَّريف» . وأعلى ما يُعَلِّم عليه ما افْتُتِحَ بخُطْبَةٍ أوَّلُها «الحَمْدُ لله» ثم ما افْتُتِحَ بخُطْبَةٍ أوَّلُها «أمَّا بَعْد ، حَمْدًا الله» ، حتى يأتي على «خَرَجَ الأمْرُ» في المناشير ، أو «رُسِمَ بالأمْر» في التَّواقيع ، ثم بعد هذا أنْزَل الرُّتَب ، وهو أن يُفْتَتَح في المناشِير «خَرَجَ الأمْرُ» . وفي التَّواقِيع «رُسِمَ بالأمْر» . وتَمْتازُ المَناشِيرُ المُفْتَتَح فيها بـ«الحَمْدُ لله» أوَّل الخُطْبَة أن تكون[a] بطُغْراءٍ بالسَّواد ، وتُضَمَّن اسم السُّلْطان وألْقَابَه [٤] ؛ وقد بَطَلَت الطُّغْراء في وَقْتِنا هذا [٥] .

---

a) ساقطة من بولاق .

= ١١٤:١١) ؛ ثم أصبحت عَلَمًا على نَوْعٍ خاصٍّ من المكاتبات التي تكتب بالوظائف لأرباب السيوف وأرباب الوظائف الدِّينية والدِّيوانية . (ابن فضل الله العمري : التعريف ١٢٣–١٢٤ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ١١٤:١١–١٢٧ ؛ الخالدي : المقصد الرفيع المنشا ٢٠٨و) .

[١] الإطْلاقُ جـ. إطْلاقات . هو تَقْريرُ ما أطلقه الملوك السابقون من أحْباس ، أو إطْلاقُ ما لم يكن مُقَرَّرًا من قَبْل . (انظر نماذج له عند القلقشندي : صبح الأعشى ٤١:١٣–٤٧) .

[٢] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٤٤–٤٥ .

[٣] نفسه ٤٥ .

[٤] نفسه ٤٥–٤٦ .

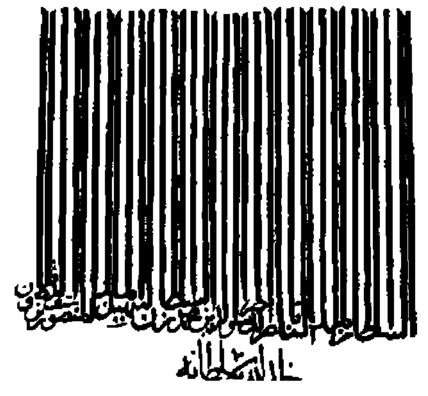
[٥] كان الخلفاءُ الفاطميون يضعون علامتهم على السِّجِلَّات والمناشير الصادرة عنهم في مكانٍ في أعلى السِّجِلّ أو المَنْشُور يُخْليه كاتِبُه لهذا الغرض (انظر فيما تقدم ٣٣٨:٢) . وهذه العلامَة هي التي تطوَّرت في العصر المملوكي والعصر العثماني وأصبحت تُعْرَف بـ«الطُّغْراء» وهي لفظةٌ فارسية ، وكان ديوانُ الإنْشاء في الدولة السَّلْجوقية يُسَمَّى «ديوان الطُّغْراء» وذَكَرَ المقريزي (فيما يلي ٧٣٢) أنَّ الطُّغْراء هي طُرَّة المكتوب ، فكان يُكْتَب أعلى من البَسْمَلَة بقلم غليظ ألْقابُ الملك وكانت تقوم عندهم مَقام خَطِّ السُّلْطان بيده على المناشير والكُتُب ويُسْتَغْنى بها عن علامة السُّلْطان (انظر ، Cahen, Cl., «La tugra seljukide»,

وكانت العادَةُ أن يُطالِع نُوّابُ المملكة السُّلْطانَ بما يَتَجَدَّد عندهم : تارَةً على أيْدي البَريدية ، وتارَةً على أجْنِحَة الحَمَام ، فتعود إليهم الأَجْوِبَةُ السُّلْطانية وعليها «العَلامَة» . فإذا وَرَدَ البَريدي ، أَحْضَرَهُ أميرُ جانْدار ـ وهو من أُمَرَاء الأُلوف ـ والدَّوادار وكاتِب السِّرِّ بين يدي السُّلْطان ، فيُقَبِّل البَريديْ الأرض ويأْخُذ الدَّوادار الكِتاب فيمسحه بوَجْه البَريدي ، ثم يناوله للسُّلْطان فيفتحه . ويجلس حينئذٍ كاتِبُ السِّرّ ويقرأه على السُّلْطان سِرًّا ، فإن كان أحَدٌ من الأُمَرَاء حاضِرًا تنحّى حتى يَفْرُغ من القِراءَة ، ويأمر السُّلْطانُ فيه بأمْرٍ . وإن كان الخَبَرُ على أجْنِحَة الحَمَام فإنَّه يُكْتَب في وَرَقٍ صَغيرٍ خَفيفٍ ، ويُحْمَل على الحَمَام الأَزْرَق .

وكان لحَمَام الرَّسَائل مَراكِزُ كما كان للبَريد مَراكِزُ ، وكان بين كلِّ مَرْكزين من البَريد أمْيالٌ ، وفي كلِّ مَرْكَزٍ عِدَّةُ خُيُولٍ ـ كما بَيَّناه في ذِكْر الطَّريق فيما بين مصر والشَّام[1] ـ وكانت مَراكِزُ الحَمَام كلُّ مركزٍ منها ثلاثة مراكِز من مَراكِز البَريد ، فلا يَتَعَدَّى الحَمَامُ ذلك المَرْكز ، ويُنْقَل عند نزوله المَرْكَز ما على جَناحِه إلى طائرٍ آخَر حتى يَسْقُط بقَلْعَة الجَبَل ، فيُحْضِرَه البَرّاج ، ويقرأ كاتِبُ السِّرّ البِطاقَة . وكلُّ هذا ممَّا يُعَلَّم عليه بالقَصْر .

وممَّا كان يُحْضَر إلى القَصْر بالقَلْعَة في كلِّ يومٍ وَرَقَةُ الصَّباح ، يرفعها والي القاهِرَة ووالي مصر ، وتشتمل على إنْهَاء ما تَجَدَّد في كلِّ يومٍ وليلة بحارَات البَلَدَيْن وأخْطاطِهما ، من حَريقٍ أو قَتْلِ قَتيلٍ أو سَرِقَةِ سارِقٍ ونحو ذلك ، ليأمر السُّلْطانُ فيه بأمْرِه .

(*JA* 234 (1943-45), pp. 167-72 . والعادةُ أن تكون فوق وَصْل بياض فوق البَسْمَلَة ، وكان لها موظفٌ مَخْصوصٌ بعملها وتحصيلها بالديوان ، فإذا كَتَبَ الكاتِبُ مَنْشورًا أَخَذَ من تلك الطُّغْراوات وأَلْصَقَ فيما كتب به (ابن فضل الله العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ١١٧؛ القلقشندي : صبح ١٣: ١٦٢، وانظر الأنموذج المرفق؛ وراجع كذلك Nielsen, J.S., «A Note on the Origin of the Ṭurra in Early Mamluk Chancery Practice», *Der Islam* 57 (1980), pp. 288-92; Gazagnadou, D., «Remarques sur le problème de l'origine d'une pratique des chacelleries mamlukes : la Ṭurra», *SI* 64 (1986), pp. 160-64; Bosworth, C.E, *EI*² art. *Ṭughrā* X, pp. 639-40.



[1] فيما تقدم ١: ٦١٤– ٦١٦.

الأَشْرَفِيَّة

هذا القَصْرُ، المعروف بـ«الأَشْرَفِيَّة»، أنشأه الملكُ الأَشْرَفُ خَليلُ بن قَلاوون في سنة اثنتين وتسعين وستّ مائة [1]. ولمَّا فَرَغَ صَنَعَ به مُهِمًّا عَظيمًا [2] لم يُعْمَل مثله في الدَّوْلَة التُّرْكية [a]، وخَتَنَ أخاه الملكَ النَّاصِر محمد بن قَلاوون وابن أخيه الأمير مُوسَىٰ بن الصَّالِح عليّ بن قَلاوون، وجَمَعَ سائِرَ أرْباب الملاهي وجَميع الأُمَرَاء، ووَقَفَ الخازِنْدارية [3] بأكياس الذَّهَب. فلمَّا قامَ الخاصَّكِيَّة من الأُمَرَاء [b] للرَّقْص، نَثَرَ الخازِنْداريةُ على كلِّ من قامَ للرَّقْص حتى فَرَغَ الخِتانُ. فأُنْعِمَ على كلِّ أميرٍ من الأُمَرَاء بفَرَسٍ كامِل القُماش وأُلْبِس خِلْعَةً عَظيمَةً، وأُنْعِمَ على عِدَّةٍ منهم؛ كلُّ واحِدٍ بألف دينار وفَرَس، وأُنْعِمَ على ثلاثين من الأُمَرَاء الخاصَّكية لكلِّ واحِدٍ مبلغ خمسة آلاف دينار.

---

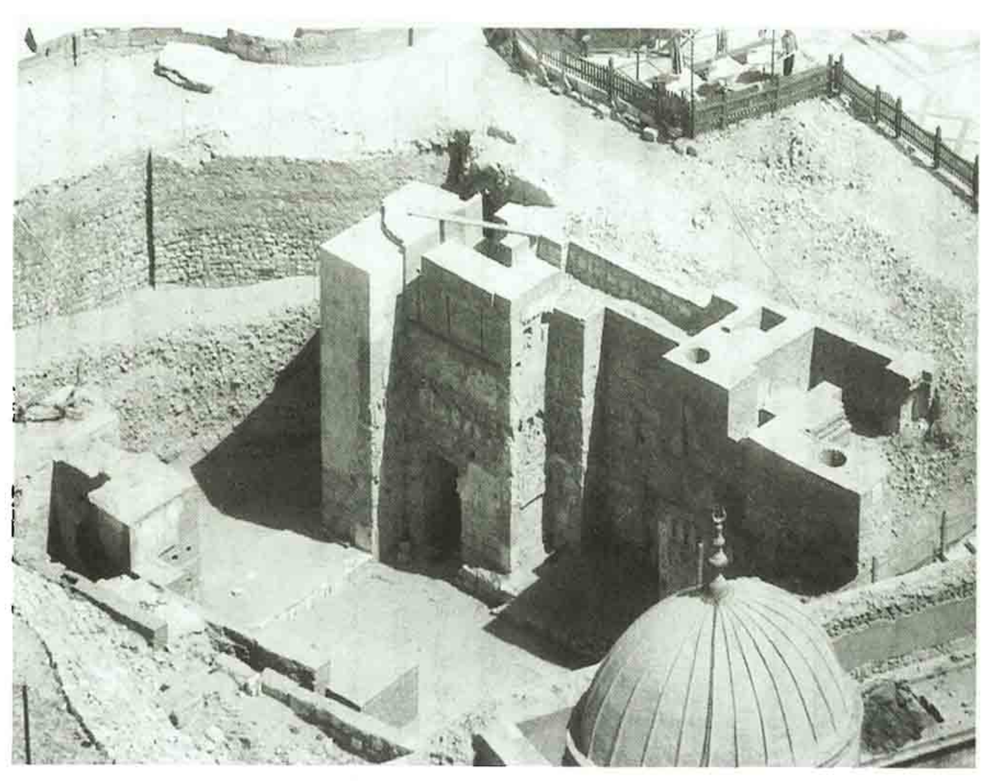
a) بعد ذلك في مسودة الخطط: «وذلك أنّه كان قد نَزَلَ إلى مَيْدان القَبَق، المعروف بالمَيْدان الأسود خارج باب النَّصْر، وعمل فيه لعب القَبَق مُدَّة ثلاثة أيّام، ثم صَعِدَ إلى القَلْعَة، فلما كان يوم [بياض سطر] عمل المُهِمّ لختان أخيه ...». b) العبارة في بولاق: فلمَّا قام الأمراء من الخاصَكية.

---

[1] ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٨: ١٦٩؛ العيني: عقد الجمان ٣: ١٧٠؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٣٧٨؛ وانظر كذلك Behrens-Abouseif, D., *op.cit.*, p. 55; Rabbat. N., *op.cit.*, pp. 150-69، ويرى ناصر رَبَّاط أنَّ المَعْلَم الذي أطلق عليه جومار في نهاية القرن الثامن عشر «بيت يُوسُف» واعتبره الباحثون، وعلى الأخصّ كازانوفا، القَصْر الأَبْلَق، ليس إلَّا «القاعة الأَشْرَفِيَّة». وكانت هذه القاعة تقع في الجهة الجنوبية الغربية للقلعة في مواجهة جامع السُّلْطان حسن، فيذكر ابن إياس أنّه في سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٦م نَصَبَ شخصٌ بَهْلوان حَبْلًا من مئذنة السُّلْطان حسن إلى الأَشْرَفِيَّة بالقلعة ومشى عليه! (بدائع الزهور ٢: ١٠٥). وتُنْسَب أيضًا إلى الأَشْرَف شَعْبان قاعةٌ بنفس الاسم كانت داخل دور الحرم (نفسه ١/٢: ١٨٣).

[2] المُهِمّ. مأدُبة ضَخْمَة يولمها السلاطينُ وكبارُ الأمراء في المناسبات الاجتماعية الخاصَّة، ويولَم أحيانًا مُهِمٌّ يُخَصَّص للنساء فقط إلى جانب المُهِمّ المُخَصَّص للرجال. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٢: ٨٠، ٨١).

[3] الخازِنْدار جـ. الخازِنْدارية. لَفْظٌ مؤلَّفٌ من كلمتين: خِزانَةُ العربية ودارُ الفارسية بمعنى مُمْسِك، أي الموكل بالخِزانَة المُتَوَلِّي لأمرها. وموضوع الوظيفة الإشراف على خزائن الأموال السلطانية، وهي وظيفةٌ مُحْدَثَةٌ كان يشغلها في بداية الأمر أميرُ طَبْلخاناه، ثم ارتفعت قيمتها فصار يشغلها أميرُ مائة مُقَدَّم ألف، وجعلها القلقشندي الوظيفة الثانية عشرة من الوظائف التي يشغلها عسكريون بحضرة السُّلْطان المملوكي، وكان يختار لها من بين الخاصَّكية. (القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٢١، ٥: ٤٥٧-٤٦٣؛ ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك ١١٦؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف ٤٥٣-٤٦٠).



الدُّرْقاعة وجزء من الإيوان الشمالي الغربي للقاعة الأشْرَفِيّة (أو القصر الأَبْلَق) (عن ناصر ربّاط)

(a وطَلَبَ الأمير طُغْجي ـ وكان أخَصُّ الخاصَّكِيَّة[1] عنده ـ فكُتِبَ بخطِّه رَسْمٌ للسُّلْطان خَليل ابن قلاوون أن يُنْعم على الأمير سيْف الدِّين طُغْجي الأَشْرفي من الخزانَة الشَّريفَة بمائة ألف دينار وعلامته وكتابته بقَلمٍ غليظ. ورُسِمَ عند الخِتان أن يكون كلُّ أميرٍ مقدَّم ألف يَرْمي في الطُّشت مائة دينار، وكلُّ أمير طَبْلخاناه يرمي خمسين دينارًا ووَكَّل الوَزير شَمْس الدِّين بن السَّلْعوس بأمْر الطُّشْت، وأَمَرَ الخازِنْدارية أن تحفظه حتى يصل إليه الوَزيرُ، فلمَّا فَرَغَت الأُمَرَاءُ من النُّقُوط أمَرَ أن يُقسَم ما في الطُّشْت بين أصْحاب المَلْهى وبين المُزَيِّن، ثم طَلَبَ الوزيرَ وأمَرَه أن يَصْرف للبُلَيْبِل المُغَنِّي ألف دينار، وكان يُغَنِّيه في المَجْلس وعلى السِّماط، وكان له غِناءٌ مُحَبَّبٌ وصَوْتٌ حسنٌ إلى الغاية. وكان الأشْرَفُ شَديدَ المَيْل لسَماع غِنائِه، فأخَذَ البُلَيْبِلُ في تَحْسين الغِناء والتَّفَنُّن فيه حتى ازْدادَ طَرَبُ السُّلْطان فأمَرَ أن يُملأ طارُه أيضًا ذَهَبًا.

فلمَّا كان في اليوم [كذا] حَضَر إلى الوَزير قُصَّادُ الأمير طُغْجي بمَرْسوم السُّلْطان المُكْتَتَب بخَطِّه، فلمَّا رآه قامَ على قدميه وقَبَّل الأرض ووَضَعَه على رأسه ورَتَّب فيه ساعَةً وقال: السَّمْعُ وألْف طاعَة، ولكن أُريد المُهْلَة قَليلًا ثم نَهَضَ من فَوْره إلى الأمير بَدْر الدِّين بَيْدَرا نائِب السَّلْطَنَة وقال: يا خَوَنْد، ارْحَمْني وإلَّا أموت من أن أجد مائة ألف دينار بعد عَمَلَ هذا المُهِمّ العَظيم وأوْقَفَه على المَرْسُوم، فما زالَ الأميرُ بَيْدَرا بالأمير طُغْجي حتى صالَحَ الوَزير على مائة ألف درهم a).

وكان الذي عُمِلَ في هذا المُهِمّ من الغَنَم ثلاثة آلاف رأس، ومن البَقَر ستّ مائة رَأْس، ومن الخَيْل خمس مائة أكديش[2]، ومن السكر برَسْم المشروب ألف قِنْطار وثمان مائة قِنْطار، وبرَسْم الحَلْوى مائة وستون قِنْطارًا. وبَلَغَت النَّفَقَةُ على هذا المُهِمّ، في عَمَل السِّماط والمشروب والأقْبية والطُّراز والسُّروج وثِياب النِّساء، مبلغ ثلاث مائة ألف دينار عَيْنًا[3].

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط.

---

[1] الخاصَّكِيَّة. فئةٌ من المماليك السُّلْطانية يختارهم السُّلْطانُ من الأجْلاب الذين ينضمون إلى خدمته وهم صغار فيتَّخذ منهم حَرَسَه الخاصّ. وكانوا يسمُّون أيضًا بالجُوَّانِيَّة، وذلك في مقابل اسم البَرَّانِيَّة الذي كان يطلق على المماليك والأمراء غير الخاصَّكية، وكانوا يلازمون السُّلْطان في خَلَواته وفَراغِه. وكانت الخاصَّكيةُ من المؤهَّلات للوظائف الكبرى بل وللسَّلْطَنَة في بعض الأحيان. (المقريزي: السلوك ١:٦٤٤هـ[4]؛ ابن شاهين الظاهري: زبدة ١١٥–١١٦؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية ٤٦٢–٤٦٦؛ Ayalon, D., *EI*[2] art. *Khâṣṣakiyya* IV, pp. 1130-31).

[2] عن الإكديش، انظر فيما تقدم ٢:٣٦٩.

[3] المقريزي: مسودة الخطط ٦٥و–ظ.

البَيْسَرِيَّة

ومن جُمْلَة دُور القَلْعَة قاعَةُ البَيْسَرِيَّة ، أنشأها السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ حَسَن بن محمد بن قَلاوون [١] ، وكان ابتداءُ بِنائِها/ في أوَّل يومٍ من شَعْبان سنة إحدى وستين وسبع مائة ونِهايَة عِمارَتها في ثامن عشرين ذي الحِجَّة من السنة المذكورة . فجاءَت من الحُسْن في غايَةٍ لم يُرَ مثلها ، وعُمِلَ لهذه القَاعَة من الفَرْش والبُسُط ما لا تَدْخُل قيمتُه تحت حَصْرٍ . فمن ذلك تسعة وأربعون ثُرَيًّا برَسْم وَقُود القَناديل ، جملة ما دَخَلَ فيها من الفِضَّة البيضاء الخالِصَة المضروبة مائتا ألف وعشرون ألف درهم ، وكلُّها مطلية بالذَّهَب . وجاءَ ارْتِفاعُ بِناء هذه القَاعَة طُولًا في السَّماء ثمانية وثمانين ذِراعًا .

وعَمِلَ السُّلْطانُ بها بُرْجًا يبيت فيه من العاج والأَبَنوس ، مُطَعَّم بجلسته بين يديه ، وأكتاف وباب يدخل منه إلى الأرْض كذلك ، وفيه مُقَرْنَصٌ قطعةٌ واحدة يكاد يَذْهَل النَّاظِر إليه : بشبابيك ذَهَب خالِص ، وطِرازات ذَهَبٍ مصوغ ، وشُرَّافات ذَهَب مصوغ ، وقُبَّة مصوغة من ذَهَب ، صُرِفَ فيه ثمانية وثلاثون ألف مِثْقال من الذَّهَب ، وصُرِفَ في مُؤَنه وأُجَره تتمَّة ألف ألف درهم فِضَّة عنها خمسون ألف دينار ذَهَبًا [٢] . وبصَدْر إيوان هذه القَاعَة شُبَّاكٌ حَديدٌ ، يُقارب باب زَوِيلَة [a] ، يطلّ على جنينة بديعة الزِّي [b] [٣] .

---

a) كذا في جميع النسخ ، وربما المقصود أن الشباك الحديد كان يقارب باب زويلة من حيث الارتفاع! b) بولاق : الشكل ، وهنا في هامش آياصوفيا : بياض ثلاثة أسطر .

---

[١] سَمَّاها المقريزي في مسودة الخطط ٧٠ظ : القصر النَّاصري حَسَن ويُعْرَف بقاعة البَيْسَرِيَّة .

[٢] نهاية الموجود عن القاعة البيسرية في مسودة الخطط ٧٠ظ .

[٣] رُبَّما المقصود أنَّه يُقارِب باب زويلة في الطول لا في المسافة ، فباب زويلة مكانه معروف ، وهو يبعد مسافةً غير قليلة من القَلْعَة .

وقاعةُ البَيْسَرِيَّة اهْتَمَّ السُّلْطانُ الغُوري بعمارتها هي وقاعَة العواميد سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م ، ونَقَلَ إليها الرُّخام الموجود بالقاعَة المعروفة بنِصْف الدُّنْيا التي أنشأها ناظِرُ الخاصّ يُوسُف ـ وكان فيها الرُّخامُ المُثَمَّن الذي لا يُوجَد ـ (ابن إياس : بدائع الزهور ٤ : ٦٨ ، ٥ : ٩١ ، ٩٤) . ثم لمَّا دَخل السُّلْطان سليم الأوَّل العثماني إلى مصر في سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م نَزَل به من القَلْعَة ووَضَعَه في صناديق خَشَب ونَزَل به في المراكِب ليتوجَّه إلى إستانبول ؛ وأضاف ابنُ إياس : «ومن العجائب أنَّ السُّلْطانَ الغُوري ظَلَمَ أوْلاد ناظر الخاص يُوسُف وأخَذَ رُخام قاعتهم التي تُسَمَّى بنِصْف الدُّنْيا =

الدَّهيشَةُ

عَمَّرَها السُّلطانُ الملكُ الصَّالِحُ عمادُ الدِّين إسماعيل بن محمد بن قَلاوون في سنة خمسٍ وأربعين وسبع مائة. وذلك أنَّه بَلَغَه عن الملك المُؤَيَّد عِماد الدِّين، صاحِب حَماة، أنَّه عَمَّرَ بِحَماة دِهيشة[1] لم يُبْنَ مثلُها، فَقَصَدَ مُضاهاتِه، وبَعَثَ الأمير أَقْجُبا والحُجَيْج[a] المهندس لكَشْف دِهَيْشة حَماة، وكَتَبَ لنائِب حَلَب ونائِب دِمَشْق بحَمْل ألفيْ حَجَر بيض وألفيْ حَجَر حُمْر من حَلَب ودِمَشْق، [b]وواصَل البريد بالاسْتِحْثاث في الطَّلَب، فوَقَعَ الاهْتمامُ بذلك وسَخَّرَ نُوَّابُ الشَّام النَّاس في حَمْل الحِجارَة من حَلَب ودِمَشْق[b] وحُشِرَت الجِمالُ لحَمْلِها حتى وَصَلَت إلى قَلْعَة الجَبَل. وصُرِفَ في حُمولة كلِّ حَجَرٍ من حَلَب اثنا عشر دِرْهَمًا، ومن دِمَشْق ثمانية دَراهِم.

واسْتُدْعي الرُّخامُ من سائِر الأُمَرَاء وجَميع الكُتَّاب، ورُسِمَ بإحْضَار الصُّنَّاع للعَمَل، ووَقَعَ الشُّروعُ فيها حتى تَمَّت في شهر رَمَضان منها[2]. وقد بَلَغَ مصروفُها خمس مائة ألف دِرْهَم، سوى ما قَدِمَ من دِمَشْق وحَلَب وغيرهما، وعُمِلَ لها من الفَرْش والبُسُط والآلات ما يجلّ وَصْفُه، وحَضَرَ بها سائر المغاني[c]. وكان مُهِمًّا عَظيمًا.

---

a) بولاق: وابجيج. b-b) ساقطة من بولاق، وفي مسودة الخطط: فبلي الناس من ذلك بمشَقَّة زائدة لكثرة الكُلَف والسُّخْرة. c) بولاق: الأغاني.

– وجَعَلَ ذلك الرُّخام في قاعَة البَيْسَرِيَّة فَسَلَّطَ الله عليه بعد موته من أَخَذَه من البَيْسَرِيَّة ولم يَنْتَفِع به أحَدٌ من بعده، والمجازاةُ من جِنْس العَمَل». (ابن إياس: بدائع الزهور ٥:١٧٩-١٨٣).

[1] وَرَدَت في مسودة الخطط ٧٠ظ: دَهْشة، ويبدو أنه الاسم الصحيح بمعنى، الاندهاش، بينما لفظ دِهَيْشَة هو التسمية الشائعة على الألسنة.

والدِّهيشَة بدأ في عمارتها النَّاصِر محمد بن قلاوون ومات ولم يتمّها فأكملها ابنه الملك الصَّالح إسماعيل وتناهى في زخرفتها، وكانت ملاصقةً للدُّور السُّلْطانية ومُطِلَّةً على الحَوْش السُّلْطاني. (ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٤٦٠، ٤٨٥، ٥٠٤، ٥٥٣). وبذلك فإنَّها كانت تقع في الجهة الشرقية القبلية من جامع محمد علي بالقلعة. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٨٩-٩٠هـ[4]؛ Casanova, P., *op.cit.*, p. 673-75 (الترجمة العربية ١٥٢-١٥٤)).

[2] المقريزي: مسودة الخطط ٧٠و-ظ.

السَّبْعُ قاعات

هذه القاعاتُ تُشْرِفُ على المَيْدان وباب القَرافَة ، عَمَّرَها الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون ، وأسْكَنَها سَراريه ، وماتَ عن ألفٍ ومائتي وَصيفَة مُوَلَّدَة سوى من عَداهن من بقيَّة الأجْناس [١] .

الجامعُ بالقَلْعَة

هذا الجامِعُ أنشأه السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِر محمد بن قَلاوون في سنة ثمان عشرة وسبع مائة . وكان قَبْل ذلك هناك جامِعٌ دون هذا ، فهَدَمَه السُّلْطانُ وهَدَمَ المَطْبَخ والحوائِجْ خاناه والفراشْ خاناه ، وعَمِلَه جامِعًا ، ثم أخْرَبَه في سنة خمسٍ وثلاثين وسبع مائة ، وبَنَاه هذا البِناء [٢] .



الواجهتان الشمالية الشرقية والشمالية الغربية لجامع النَّاصِر محمد بن قَلاوون بالقَلْعَة

---

[١] يرى كازانوفا أنَّ السَّبع قاعات هي الموقع المحدَّد على خريطة القاهرة التي رسمها علماءُ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم «السبع حَدْرات» [U-4, 72] بالركن الجنوبي من القلعة المشرف على ميدان صلاح الدين . وباب القَرافَة الذي تشرف عليه هذه السَّبْع قاعات هو الباب الموجود في سُور صَلاح الدِّين ، وليس باب القلعة المعروف أيضًا بهذا الاسم ، ويوجد هذا الباب الآن أسْفَل كوبري السيدة عائشة . (Casanova, P., *op.cit.*, p. 644 (الترجمة العربية ١٣٣-١٤٤) ؛ وانظر كذلك ، ابن إياس : بدائع الزهور ٤: ٧٥، ٥: ٨٨) .

وحَلَّ مَحَلَّ السبع قاعات بعد ذلك قَصْرُ الجَوْهَرَة الذي شَيَّدَه محمد علي باشا سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٤م في الزاوية الجنوبية الغربية للقلعة . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ١٨١هـ[١]) .

[٢] المقريزي : مسودة الخطط ٦٦ظ ، ٦٧ظ .

وما زال جامِعُ القَلْعَة ، الذي أعادَ بناءَه النَّاصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م ، موجودًا ومُشْرِفًا على الحوش الذي فيه جامع محمد علي باشا وباب القُلَّة المؤدي إلى المتحف الحربي . (انظر فيما يلي ٢: ٣٢٥) .

فلمّا تَمَّ بناؤه جَلَسَ فيه، واستدعى جميع مؤذّني القاهِرَة ومصر، وجميع القُرّاء والخُطَباء وعُرِضُوا بين يديه، وسَمِعَ تأذينَهم وخَطابَتَهم وقِراءَتَهم. فاخْتارَ منهم عشرين مُؤَذِّنًا رَتَّبَهم فيه، وقَرَّرَ فيه دَرْسَ فِقْهٍ وقارِئًا يَقْرأ في المُصْحَف، وجَعَلَ عليه أَوْقافًا تكفيه وتَفيض. وصارَ مَنْ بعده من المُلوك يَخْرُجون أيّام الجُمَع إلى هذا الجامِع، ويَحْضُر خاصَّةُ الأُمَرَاء معه من القَصْر، ويجيءُ باقيهم من باب الجامِع. فيُصَلِّي السُّلْطانُ عن يَمين المِحْراب في مَقْصورَةٍ خاصَّةٍ به، ويجلس عنده أكابِرُ خاصَّتِه، ويُصَلِّي معه الأُمَرَاءُ خاصَّتُهم وعامَّتُهم خارِج المَقْصُورَة، عن يَمْنَتِها ويَسْرَتِها، على مَراتِبِهم. فإذا انْقَضَتِ الصَّلاةُ دَخَلَ إلى قُصُوره ودورِ حَرَمِه، وتَفَرَّقَ كلُّ أحَدٍ إلى مكانِه.

وهذا الجامِعُ مُتَّسِعُ الأرْجاء، مُرْتَفِعُ البِناء، مَفْرُوشُ الأرْض بالرُّخام، مُبَطَّنُ السُّقوف بالذَّهَب. وبصَدْرِه قُبَّةٌ عاليةٌ يليها مَقْصورَةٌ [1]، مستورة هي والرُّواقات بشبابيك الحَديد المحكمة الصَّنْعَة، ويحفُّ صَحْنَه رِواقاتٌ من جِهاتِه[a] [2].

الدَّارُ الجَدِيدَة

هذه الدَّارُ عند باب سِرِّ القَلْعَة[3] المطلّ على سُوق الخَيْل، عَمَّرَها الملكُ الظَّاهِرُ بَيْبَرْس

---

a) في هامش آياصوفيا: بياض عشرة أسطر.

---

[1] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٨٠- ٨١؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٧٠- ٣٧١.

وأضافَ ابن أبي السُّرور البكري: «قلت: وفي زمننا الآن في أيّام العيدين: الفِطْرَة والأضْحَى، يطلع وزيرُ مصر يوم العيد وأمامه جميعُ الجاويشية والمُتَفَرِّقَة وأُمَرَاء الجراكِسَة وأغاوات البُلُكّات وجميع الصَّناجق الذين في ذلك الأوان وهم مشاةٌ أمامه إلى أن يذهب إلى هذا الجامع فيُصَلِّي فيه صلاة العيد، ويأتي هو وجميع من ذُكِر ويجلس على السِّماط هو وهم يأكلون، وبعد ذلك يتفرّقون كلُّ أحدٍ إلى منزله». (قطف الأزهار ٢٣٩و).

[2] هنا على هامش (ص): سقطت هذه القُبَّة وأعيدت في الأيام الأشرفية قايتباي مع ما جَدَّد من بناء الميضأة بالجامع المذكور.

[3] بابُ السِّرّ. أحَدُ الأبواب الثلاثة الرئيسة المؤدِّية إلى القَلْعَة، هو وبابُ المُدَرَّج، البابُ الأعظم للقَلْعَة (فيما تقدم ٦٥١)، وباب القرافة من جهة القرافة والجبل (طريق صلاح سالم الآن)، وكان يختصُّ الدُّخول والخروج منه بأكابر الأُمَرَاء وخَواصِّ الدَّوْلَة كالوزير وكاتِب السِّرّ ونحوهما، ويُتَوَصَّل إليه من الصُّوّه، وهي بقيّة النَّشْز الذي بنيت عليه القلعة من جهة القاهرة، بتعريجٍ يُمْشَى فيه من جانب جدارها البَحْرَي حتى ينتهي إليه بحيث يكون مدخله منه مقابل «الإيوان الكبير» الذي يجلس فيه السُّلْطان أيّام =

البُنْدُقْداري في سنة أربعٍ وستين وستّ مائة ، وعَمِلَ بها في جُمادَى الأولى منها دَعْوَةً للأُمَرَاء عند فَراغِها[a] [١] .

خِـزانَةُ الكُتُب

وَقَعَ بها الحَرِيقُ يوم الجُمْعَة رابع صَفَر سنة إحدى وتسعين وستّ مائة ، فتَلِف بها من الكُتُب ، في الفِقْه والحَديث والتَّاريخ وعامَّة العُلوم ، شيءٌ كثيرٌ جِدًّا كان من ذَخائِر الملوك . فانْتَهَبَها الغِلْمانُ ، وبيعت أوْراقًا محرَّقة ظَفِرَ النَّاسُ منها بنَفائِس غَريبَة ما بين مَلاحِم وغيرها ، وأَخَذوها بأَبْخَس الأثْمان [٢] .

---

a) في هامش آياصوفيا : بياض سبعة أسطر .

= المواكِب ، وهذا البابُ لا يزالُ مُغْلَقًا حتى ينتهي إليه من يستحق الدخول أو الخروج منه فيُفْتَح له ثم يُغْلَق» . (القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٣٧٠) ، وذلك بناء على كلمة السّرّ التي كانت تتغيّر كلَّ ليلة .

وكان هذا الباب يفتح في مواجهة الإيوان على وجه التقريب ، وربما كان هو الباب المذكور في خريطة الحملة باسم «باب الشرك» (T-3-4, 59) الذي يفتح في القلعة السلطانية تجاه الإيوان ، وهو الذي حلَّ محلّه الآن «الباب الوسطاني» وهو البوّابة الوسطانية التي تفصل بين دهليز الباب العمومي البحري للقلعة وبين الحوش الذي فيه جامع الناصر محمد وجامع محمد علي . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٨: ١٧٢هـ[١] ، ١٢: ٣٠٠هـ[٣]) .

وتَبَعًا لنَصٍّ أورده ابنُ فَضْل الله العُمَري فقد كان للسُّلْطان «عِدَّةُ أبوابِ سِرٍّ إلى القرافة وإلى غيرها» . (مسالك الأبصار ٨٤) ، وراجع كذلك Casanova, P., *op.cit.*, 593-94; Rabbat, N., *op.cit.*, pp. 120-121.

[١] الدَّارُ الجَديدَة . هي نفسها الدَّارُ التي أَطْلَق عليها شافعُ ابن علي «القاعة الظَّاهرية» وأطْلَق عليها ابنُ شَدَّاد وأبو المحاسن «دار الذَّهَب» ، وسمَّاها ابنُ عبد الظاهر ـ مثل المقريزي ـ «الدار الجديدة» . وذكر شافعُ بن عليّ أنّ المُتَوَلّي لعمارتها هو الأمير عِزُّ الدِّين أَيْبَك الفَخْري وأنّها قاعةٌ عظيمةٌ قد تُفُنِّنَ في عمارتها وزَخْرفتها وتُنُوهي فيها إلى الغاية والنهاية ، ولمَّا أُنْجِزَت جَلَسَ بها السُّلْطانُ ومَدَّ سِماطًا وخَلَعَ على عِز الدِّين الفَخْري مُشِدِّها . (تاريخ الملك الظاهر ٣٣٩؛ الروض الزاهر ٢٤٦؛ النجوم الزاهرة ٧: ١٩٠ ، ونَصُّ شافِع بن علي أورده كازانوفا في كتاب تاريخ ووصف قلعة القاهرة؛ وانظر كذلك المقريزي : السلوك ١: ٥٤٤ .

وكانت هذه الدَّارُ تطل على سوق الخيل أسفل القلعة . (Casanova, P., *op.cit.*, p. 606; Rabbat, N., *op.cit.*, pp. 119-21 (الترجمة العربية ١٠١-١٠٢)) .

[٢] ابن عبد الظاهر : الألطاف الخفية من السيرة الشَّريفة السلطانية الملكية الأشرفية ، ٦٠و؛ النويري : نهاية الأرب ٣١: ٢٢٥؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٨: ١٣٥؛ المقريزي : السلوك ١: ٧٧٧؛ العيني : عقد الجمان ٣: ١١٠؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٨: ٣٣.

وخِزانَةُ الكُتُب هذه من إنْشاء السُّلْطان الملك الكامل محمد ، فيذكر المقريزي في «السُّلوك» ، أنّه في يوم =

القاعة الصَّالحيّة

عَمَّرَها الملكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّين أيُّوب ، وكانت سَكَنَ الملوك إلى أنِ احْتَرَقَت في سادِس ذي الحِجَّة سنة أربعٍ وثمانين وستّ مائة ، واحْتَرَقَ معها الخِزانَةُ السُّلْطانية [١] .

بابُ النُّحَاس

هذا البابُ من داخِل باب[a] السِّتارَة ، وهو أجَلُّ أبْواب الدُّور السُّلْطانية . عمَّرَه النَّاصِرُ محمد ابن قَلاوون ، وزادَ في سَعَة دِهْليزه [٢] .

---

a) ساقطة من بولاق .

= الأحد خامس جمادى الأولى سنة ٦٢٦هـ/١٢٩٩م «وَقَعَتِ الحَوْطَةُ على دار القاضي الأشْرَف أحمد بن القاضي الفاضِل ، وحُمِلَت خَزائِنُ الكُتُب جَميعُها إلى قَلْعَة الجَبَل في سادس عشرينه ، وجملة الكتب ثمانية وستون ألف مجلَّدة ؛ وحُمِلَ من دارِه - في ثالث جمادى الآخرة - خَشَبُ خزائن الكتب مُفَصَّلَة ، حملها تسعة وأربعون جملًا ، والجِمالُ التي حَمَلَت الكتب تسعة وخمسون جملًا ، ثلاث دفعات» . (السلوك ١:٢٣٢) . ويبدو من بقيَّة نَصّ المقريزي - الذي جاء غامضًا بعض الشيء - أنَّ الكامل أعادَ في يوم السبت ١٢ رجب من العام نفسه ، أحد عشر ألف كتاب وثمان مائة وثمانية كتب ، وأنَّ جملة الكُتُب المأخوذة كتاب «الأيْك والغُصُون» لأبي العَلاء المَعَرّي في ستين مجلَّدًا . (نفسه ١: ٢٣٣؛ وانظر كذلك (فيما يلي ٢:٣٦٦) خَبَر تكوين مكتبة القاضي الفاضل وتَشَتُّتها) .

ولم ينج من هذه الخِزانَة المحترقة سوى كرةٍ من النُّحاس Sphère صُوِّرَت عليها السماءُ بأبْراجها ونُجُومها محفوظةٌ الآن بمتحف بورجيا بمدينة Velletri بإيطاليا نُقِش عليها نَقْشان : الأوَّل نَصُّه : «برَسم خِزانة مولانا السُّلْطان الكامل الملك العالم العادل ناصِر الدُّنْيا والدِّين محمد بن أبي بكر ابن أيُّوب عَزَّ نَصْرُه» ، والثَّاني نصُّه : «برَسم قيصر بن أبي القاسم بن مُسافِر الأسْطُرلابي الحَنَفي ٦٢٢هـ» . (Casanova, P., *op.cit.*, p. 598) (الترجمة العربية ٩٣-٩٤) ، وانظر كذلك Wiet, G., *RCEA* X, p. 221 (n° 3924) .

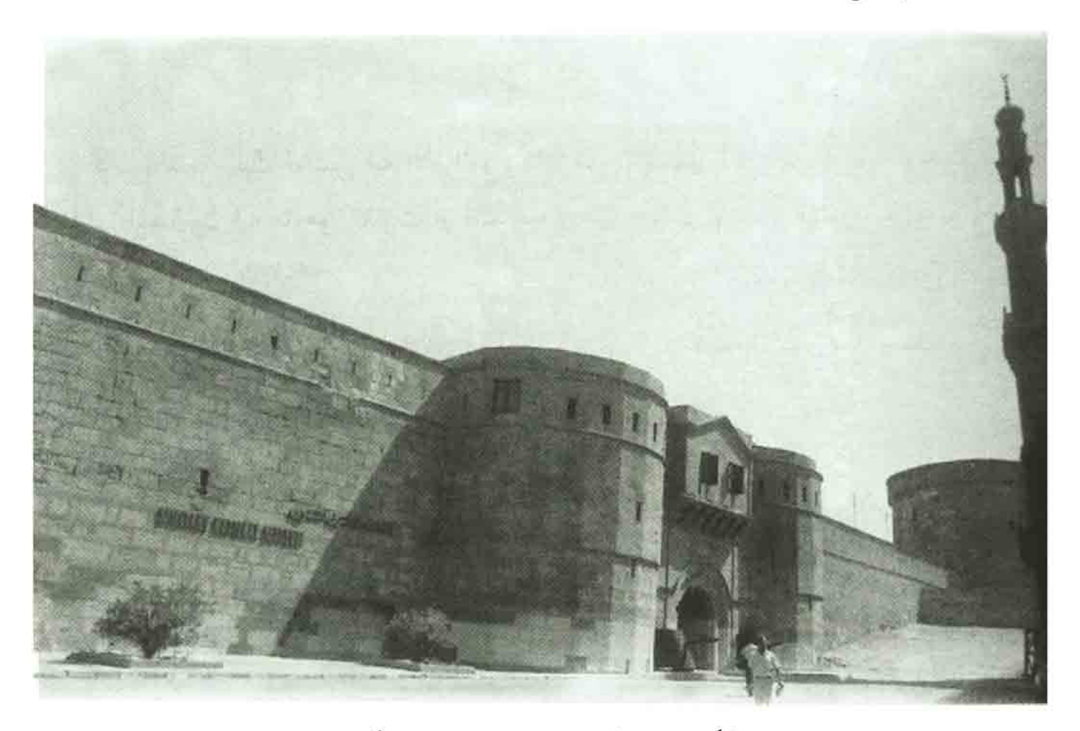
[١] المقريزي : السلوك ١: ٧٣٠؛ Rabbat, N., *op.cit.*, p. 86 .

وتبعًا لما ذكره ابنُ شاهين الظاهري : زبدة كشف الممالك ٨٦، ظلَّت القاعةُ الصَّالحية تستخدم حتى بناء القصر الأبْلَق ، وانظر أيضًا المقريزي : السلوك ١: ٨٣٥.

[٢] بابُ النُّحاس . هو البابُ الذي كان يجتازه السُّلْطانُ وهو قادمٌ من الدُّور السُّلْطانية إلى الجامع ، وعند عودته إليها ، كما كان يسلُك من باب النُّحاس إلى دَرَج الإيوان . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ١٨٠، ١٢: ٧٩) ، كما كان يجلس عنده خَواصُّ الخُدَّام الطَّواشِيَّة (ابن إياس : بدائع الزهور ١/٢: ٤٩٨) ؛ أمّا بابُ السِّتارَة فكان من أبواب القصور المخصَّصة لسكنى السُّلْطان وحرمه . وكان السُّلْطان عند توليته ولبسه لشِعار المملكة يركب من عند باب =

بابُ القُلّة

عُرِفَ بذلك من أَجْل أنّه كان هناك قُلَّةٌ بناها الملكُ الظَّاهِرُ بَيْبَرْس ، وهَدَمَها الملكُ المَنْصُور قَلاوون في يوم الأحد عاشر شهر رَجَب سنة خمسٍ وثمانين وستّ مائة ، وبَنَى مكانَها قُبَّةً فَرَغَت عِمارَتُها في شَوَّالٍ منها . ثم هَدَمَها الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون ، وجَدَّدَ بابَ القُلّة على ما هو عليه الآن ، وعَمِلَ له بابًا ثانيًا[a])[1].



بابُ القُلَّة الذي أنشأه محمد علي موضع باب القُلَّة القديم

---

a) بياض بهامش آياصوفيا .

= السَّتارَة (ابن إياس : بدائع الزهور ١/١: ٤٩١، ٤٩٩، ٥٠٦، ٥١٣، ٥٢٠، ٥٣٨، ٥٥٣، ٥٨٠) . وحلَّ محلّ هذه القصور الآن القصر الذي أنشأه محمد علي باشا سنة ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م في الجهة الغربية من جامع سليمان باشا ، والذي يشغله الآن المتحف الحربي . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠ :١٤٨هـ[1]) .

[1] بابُ القُلَّة . كان يقع في أحد الأسوار الداخلية للقَلْعَة الواقعة في الجزء الشمالي الشرقي ، فيما بين باب سارية وباب القرافة تجاه جامع النَّاصِر محمد (جامع القَلْعَة) . وكان السُّورُ الذي يفتح فيه هذا الباب يفصل بين السَّاحة التي كانت =

الرَّفْرَف

٢١٣:٢ عَمَّرَه الملكُ الأَشْرَفُ خَليل بن قَلاوون،/ وجَعَلَه عاليًا يُشْرِفُ على الجِيزَة[a] كلِّها، وبَيَّضَه وصَوَّر فيه أُمَرَاءَ الدَّوْلَة وخَواصَّها، وعَقَدَ عليه قُبَّةً على عُمُدٍ وزَخْرَفَها. وكان مَجْلِسًا يجلس فيه السُّلْطانُ، واستمرَّ جُلوسُ الملوك به حتى هَدَمَه الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون في سنة اثنتي ٥ عشرة وسبع مائة[١]، وعَمِلَ بجانبه[b] بُرْجًا بجوار الإِسْطَبْل نَقَلَ إليه المماليك[c][٢].

الجُبّ

كان بالقَلْعَة جُبٌّ يُحْبَس فيه الأُمَرَاءُ، وكان مَهُولًا مُظْلِمًا كثيرَ الوَطاويط كَريه الرَّائِحَة، يُقاسي المسجُونُ فيه ما هو كالمَوْت أو أشَدّ منه. عَمَّرَه الملكُ المنصورُ قَلاوون في سنة إحدى

---

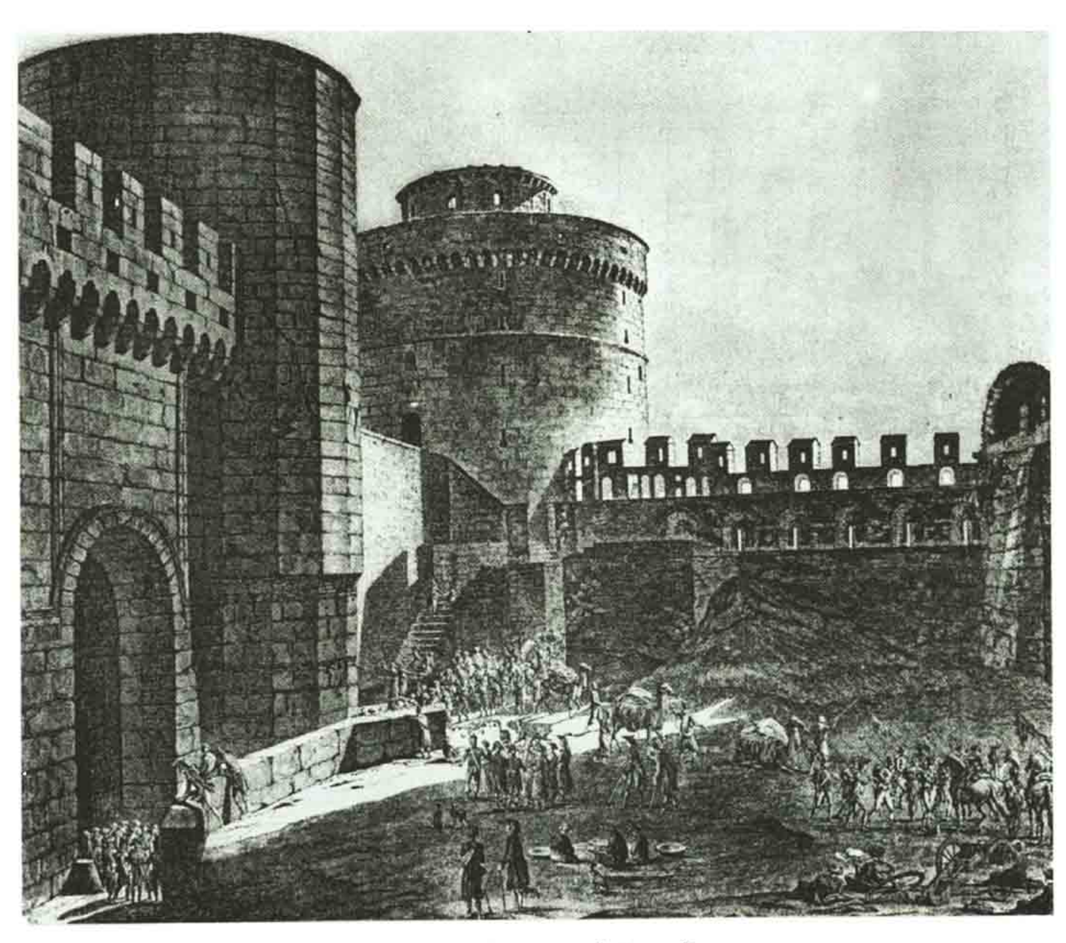
a) مسودة الخطط: الجيزية. b) بولاق: بجواره. c) في هامش آياصوفيا: بياض سطر ونصف.

= خلف باب القلعة العمومي وبين الدُّور السُّلطانية ـ أي أنَّه يفصل بين المدينة العسكرية والمدينة السُّلْطانية ـ وكانت هذه السَّاحَةُ يجلس بها الأُمَرَاء حتى يُؤْذَن لهم بالدخول، كما كانت مُزَوَّدَةً بمَساطِب يجلس عليها الأمراء إلى أن يحين وَقْت ركوبهم في الخِدْمَة. وقد زال كل أثرٍ لباب القُلَّة القديم وحَلَّ محله الآن بابٌ شُيِّد في عصر محمد علي باشا سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م في مواجهة الباب البحري الشرقي لجامع النَّاصر محمد، ويؤدي إلى ساحة بجهتها الشمالية الغربية كانت تشغله إلى وقتٍ قريب دارُ الوثائق القومية، ويقع في شمالها الشرقي وجنوبها الشرقي «قصر الحريم الذي شيده محمد علي باشا سنة ١٨٢٦-١٨٢٧م، ويشغله منذ عام ١٩٤٦ المتحفُ الحربي. (القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٧٠؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٤٥هـ[١]، ٩: ١٨٠هـ[٥]؛ ١٦: ٣٢٠-٣٢١؛ Casanova, P., op.cit., pp. 646-47; Rabbat, N., op.cit., pp. 39, 111-12 (الترجمة العربية ١٣٥-١٣٦)).

[١] المقريزي: مسودة الخطط ٦٥ظ.

[٢] الرَّفْرَف (بُرج). يبدو من بعض نُصُوص المقريزي الأخرى، أنَّ بُرج الرَّفْرَف كان موجودًا قبل الأَشْرَف خليل، ففي أثناء حصار الأمراء للسُّلْطان الملك السَّعيد بَرَكَة خان سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م، يقول المقريزي: «فصار السُّلْطانُ يُشْرِف من بُرج الرَّفْرَف المُطِلّ على الإسْطَبْل» (السلوك ١: ٦٥٤). ويكون الذي قامَ به الأَشْرَفُ خليل هو تجديدٌ له (انظر كذلك المقريزي: السلوك ٢: ٣٤، ١١٨؛ Casanova, P., op.cit., pp. 626-27 (الترجمة العربية ١٠٩)؛ Rabbat, N., op.cit., pp. 24-26, 154-56).

وما تزالُ آثار بُرج الرَّفْرَف باقيةً في الزاوية القبلية الغربية من السُّور الغربي للمكان الذي فيه الآن متحف الشُّرْطة (السجن الحربي سابقًا)، وتوجد أسفل هذا البرج بقايا البرج الجديد الذي شيَّدَه النَّاصر محمد بن قلاوون وبأسفل جداره نَقْشٌ في الحَجَر مُكَوَّن من ثلاثة أسطر من النَّسْخ المملوكي، مُؤَرَّخ بسنة ٧١٣هـ/١٣١٣م يدلُّ على أنَّ =



بابُ القُلَّة (رغم أنّه كُتِبَ عليه باب الجَبَل) (عن وَصْف مصر)

وثمانين وستّ مائة ، فلم يَزَل إلى أن قامَ الأميرُ بَكْتَمُر السَّاقي في أَمْرِه مع الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون ، حتى أَخْرَجَ مَنْ كان فيه من المحابيس ونَقَلَهم إلى الأَبْراج ورَدَمَه ، وعَمَّرَ فَوْقَ الرَّدْم طِباقًا في سنة تسعٍ وعشرين وسبع مائة [1].

الطَّبْلَخاناه تحت القَلْعَة

٥ ذَكَرَ هِشَامُ بن الكَلْبي أنَّ عُمَرَ بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ لمَّا قَدِمَ الشَّام ، تلقَّاه المُقَلِّسون من أَهْلِ الأَدْيان بالسُّيوف والرَّيْحان ، فكَرِهَ عُمَرُ النَّظَرَ إليهم ، وقال : رُدُّوهم . فقال له أبو عُبَيْدَة بن الجَرَّاح : إنَّها سُنَّةُ الأعاجِم ، فإن مَنَعْتَهم ظَنُّوا أنَّه نَقْضٌ لعَهْدِهم . فقال عُمَرَ : دَعُوهم .

والتَّقْليسُ الضَّرْبُ بالطَّبْل أو الدُّفّ .

وهذه الطَّبْلَخاناه الموجودةَ الآن تحت القَلْعَة فيما بين باب السِّلْسِلَة [2] وباب المُدَرَّج ، كانت دارَ

= النَّاصر محمد أنشأه في هذه السنة . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:٩٢هـ [2] ؛ Wiet, G., *RCEA* 14, p. 74 n° 5318) .

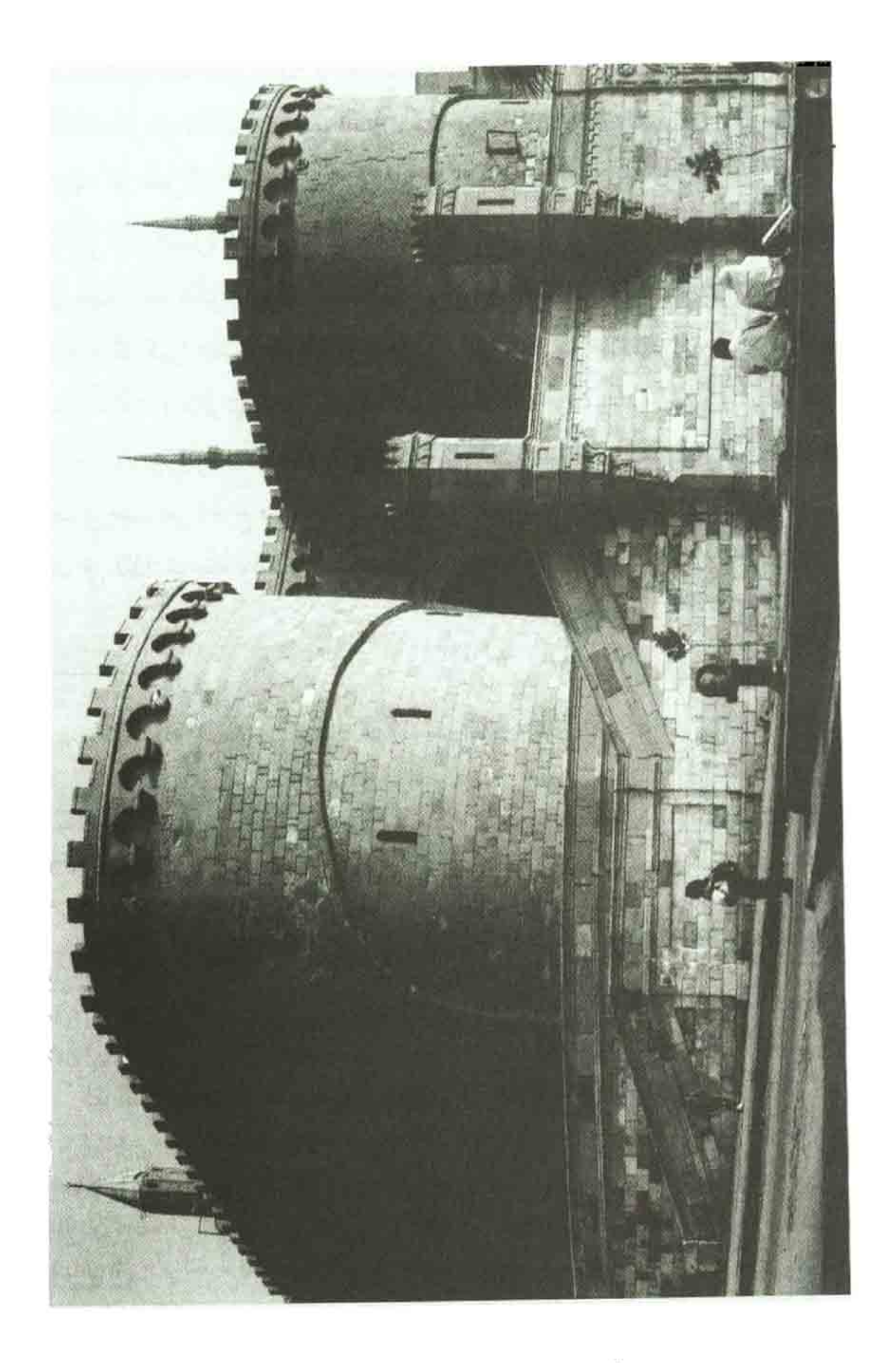
[1] المقريزي : مسودة الخطط ٦٧و–ظ .

والجُبّ . كان يقع في الجهة الشرقية من حُوش القلعة داخل البوابة الداخلية للقلعة . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:٩٢هـ [2] ؛ وفيما تقدم ١٨٨:٢) .

[2] بابُ السِّلْسِلَة . لم يتعرَّض أحدٌ من المؤرخين الطبوغرافيين الذين وَصَفُوا القَلْعَة لتحديد موضع هذا الباب ، على الرَّغم من تكرار الإشارة إليه عند سردهم للحوادث التاريخية . فالمَقريزي ومن قبله ابن فضل الله العمري ذكرا أنَّه كان يُدْخَل إلى القَلْعَة من بابين أحدهما بابها الأعظم المواجه للقاهرة والمعروف بـ«الباب المُدَرَّج» ، والباب الثاني «بابُ القَرافَة» من جهة القَرافَة والجبل المُقَطَّم ، ويضيف القلقشندي إليهما بابًا ثالثًا هو بابُ السِّرّ . (مسالك الأبصار ٨٠؛ صبح الأعشى ٣: ٣٧٠؛ وفيما تقدم ٦٥١) . وعلى ذلك فإنَّ باب السِّلْسِلَة لا بُدَّ أن يكون خارج القَلْعَة ولا يؤدِّي إلى القلعة ذاتها وإنَّما إلى المنشآت الملحقة بها وإلى الإسْطَبْلات السُّلْطانية . وقد أمَرَ بسَدِّه السُّلطان النَّاصر (الأشرف) أبو السَّعادات محمد بن الأَشْرَف قايتْباي سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٦م ، عندما خاف أن يقتله النَّاس ، فأمَرَ بسَدِّه هو وباب المَيْدان وباب حوش العرب بالحَجَر الفَصّ ، واستمرَّ على ذلك مُدَّةً طويلةً ، فكان النَّاسُ يطلعون إلى باب السِّلْسِلَة من الباب الذي عند الصُّوَّة تحت الطَّبْلَخاناه . (ابن إياس : بدائع الزهور ٣:٣٥٢) .

وظَلَّ بابُ السِّلْسِلَة موجودًا حتى بداية العصر العثماني تجاه جامع السُّلْطان حسن ، إلى أن عَمَّرَ رِضْوان كَتْخُدا الجلفي ، المتوفى عام ١١٦٨هـ/١٧٥٥م «باب القَلْعَة الذي بالرُّمَيْلَة المعروف بـ«باب العَزَب» سنة ١١٦٠هـ/١٧٤٧م ، وعمل حوله البَدَنتين العظيمتين والزُّلَّاقة» (الجبرتي : عجائب الآثار ١:٣٢٥) تقريبًا في موقع باب السِّلْسِلَة أو إلى الجنوب منه بمسافةٍ قليلة . (Casanova, P., *op.cit.*, p. 651 (الترجمة العربية ١٤٠) ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧: ١٦٣، ٨: ١٦٥، ١٧٢؛ ١٢: ٢٨٧؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، الفهارس ٣:٢٩–٣٠) .

وما زال بابُ العَزَب قائمًا في مَيْدان صَلاح الدِّين=



باب العَزَب الذي حَلَّ سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٥م مَحَلَّ باب السِّلْسِلَة (عن كتاب *Le Caire*)

العَدْل القَديمَة التي عَمَّرَها الملكُ الظَّاهِرُ بَيْبَرْس وتقدَّم خَبَرُها [١].

فلمَّا كانت سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة، هَدَمَهَا النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون، وبَناها هذه الطَّبْلُخاناه الموجودة الآن تَحْت قَلْعَة الجَبَل، فيما بين باب السِّلْسِلَة وباب المُدَرَّج، وصارَ ينزل إلى عِمارَتِها كلُّ قَليل [٢].

٥ وتولَّى شَدَّ العِمارَة [٣] بها آقْ سُنْقُر شادّ العَمائِر [٤]، ووَجَدَ في أسَاسِها أربعة قُبُور كِبار المِقْدار، عليها قِطَعُ رُخامٍ مَنْقُوش عليها أسْمَاء المقبورين وتاريخ وَفاتِهم. فنُبِشُوا ونُقِلوا قَريبًا من القَلْعَة، فكانوا خَلْقًا كبيرًا عظيمًا في الطُّول والعَرْض، على بعضهم مَلاءَة دَبيقِيَّة ملوَّنة فساعَة مَسَّتها الأَيْدي تَمَزَّقَت وتطَايَرت هَباءً. وفيهم اثنان عليهما آلَة الحَرْب وعُدَّة الجِهاد، وبهما آثارُ الدِّماء والجِراحات، وفي وَجْه أحَدِهما ضَرْبَةُ سَيْفٍ بين عينيه، والجُرْح مَشدودٌ بقُطْنَة. فلمَّا مُسِكَت القُطْنَة ورُفِعَت عن الجُرْح فوق الحاجِب، نَبَعَ من تحتها الدَّمُ [a]حتى خُيِّلَ لهم أنَّه جُرْحٌ جديد[a]. ١٠ فكان في ذلك مَوْعِظَةٌ وذِكْرَى [٥].

---

a-a) من مسودة الخطط، وفي المبيضة: تحتها دمٌ يظن أنّه جرح طري.

= تجاه جامع السُّلْطان حسن (مسجل بالآثار برقم ٥٥٥) (انظر الصورة صفحة ٦٨٩).

[١] فيما تقدم ٦٥٥- ٦٥٩.

[٢] المقريزي: السلوك ٢: ٢٣٦؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٧٤.

[٣] شَدُّ العمائر. الوَظيفَةُ الرابعة والعشرون بين وَظائف أرْباب السُّيوف عند القلقشندي، وموضوعها أن يكون صاحبها متكلِّما في العمائر السُّلْطانية ممّا يختار السُّلْطان إحْداثه أو تجديده من القصور والمنازل والأسْوار، وكان متوليها في أوَّل الأمر أحد أمَراء العَشَراوات ثم صارَ يشغلها قومٌ بغير إمْرَة. (القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٢٢؛ ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك ١١٥؛ السبكي: معيد النعم ١٣٩؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف ٦١٦-٦١٨).

[٤] الأميرُ شَمْسُ الدِّين آقْ سُنْقُر شادّ العمائر. المتوفى بدِمَشْق سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م، وهو الذي تُنْسب إليه قَنْطَرَةُ آقْ سُنْقُر على خليج القاهرة (فيما تقدم ٢: ١٤٧) والجامع بسُوَيْقَة السَّبّاعين على البركة النَّاصِرِيَّة (فيما يلي ٢: ٣٠٩). (المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٢٦٤- ٢٦٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤٢١؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٣٢٢).

[٥] المقريزي: مسودة الخطط ٦٦ظ-٦٧و، السلوك ٢: ٢٣٦؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٧٤ الذي أضاف: «ونقلوا إلى بين القَرَوسَتَيْن وجُعِلَ عليهم مَسْجِدٌ». ويرى كازانوفا أنَّ هذه الجُثَث لبعض مقاتلة الفِرِنْج الذين قتلوا في المعارك التي نشبت بين جيش عموري الأوَّل والمصريين بالقرب من باب البرقية سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م.

وكانت الطُّبْلَخاناه ساحةً بغير سَقْف [١]، فلمَّا وَلِيَ الأميرُ شُودُون طاز أمير آخُور، وسَكَنَ الإسْطَبْل السُّلْطاني، عَمَّرَ هذه الطِّباق فَوْق الطِّباق. وكان الغَرَضُ في[a] عِمارَتِها صَحيحًا، فإنَّ المَدْرَسَة الأَشْرَفِيَّة كانت حينئذٍ قائِمَةً تِجاه الطُّبْلَخاناة. ولمَّا كان زَمانُ الفِتَن بين أُمَراء الدَّوْلَة، تَحَصَّنَ فَوْقَها طائِفَةٌ ليَرْمُوا على الإسْطَبْل والقَلْعَة، فأرادَ ببناء هذه الطِّباق فَوْق الطِّباق أن يجعل بها رُماةً حتى لا يقدر أحَدٌ يقيم فوق المَدْرَسَة الأَشْرَفِيَّة. وقد بَطَلَ ذلك، فإنَّ الملكَ النَّاصِرَ فَرَج بن بَرْقوق هَدَمَ المَدْرَسَة الأَشْرَفِيَّة، كما ذُكِرَ في هذا الكتاب عند ذِكْر المدارِس[b] [٢].

الطِّباقُ بساحة الإيوان

عَمَّرَها الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون، وأَسْكَنَها المماليك السُّلْطانية، وعَمَّرَ حارَةً تَخْتَصُّ بهم [٣].

---

a) بولاق: من. b) في هامش آياصوفيا: بياض خمسة أسطر.

---

[١] الطُّبْلَخاناه جـ. طَبْلَخانات. لَفْظٌ مركَّب من كلمة «طَبْل» العربية وكلمة «خاناه» الفارسية، ويعني «بَيْت الطَّبْل» أو الفرقة الموسيقية السُّلْطانية. (المقريزي: السلوك ١:٤٦٦هـ [٢]، ٢:٥٢١هـ [٢]؛ Farmer, H. G., *EI* [2] art. *Tablkhânâh* X, pp. 36-37)؛ كانت تتكوَّن من عِدَّة طبول تصحبها أبواقٌ وزمارات وكوسات تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص، تَدُقُّ في كلِّ ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب، وتكون صُحْبَة الطُّلْب في الأسفار والحروب. (القلقشندي: صبح الأعشى ٢: ١٣٤؛ ٤: ٨-٩، ١٣؛ وفيما تقدم ٢:٢٠٤ (الخليلية التي كانت تدق خارج باب المُدَرَّج قبل المغرب)).

ويَدُلُّ على موقع الطُّبْلَخاناه الأرض التي تشغلها الآن دارُ المحفوظات (الدَّفْتَرخانه سابقًا)، بحيث تكون أقرب إلى باب القرب منها إلى باب المُدَرَّج (.,Casanova, P *op.cit.*, pp. 651-52 (الترجمة العربية ١٤٠-١٤١)). بينما يرى محمد رمزي أنَّ مكان الطُّبْلَخاناه هو القاعات الواقعة على يسار الداخل من باب القَرَب والتي كانت تستخدم كمخازن لمهمَّات الجيش المصري. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠:٤٠-٤١هـ [٥]). وتحديدُ كازانوفا أقرب إلى الصَّواب وهو ما تَوَصَّل إليه كذلك ناصِر رباط (Rabbat, N., *op.cit.*, p. 110).

[٢] لم يرد في المبيضة حديثٌ عن المدرسة الأشْرَفية شعبان، وإنَّما وَرَدَ ذكرها في مسودة الخطط، انظر فيما يلي المجلد الرابع.

[٣] طَبَقة جـ. طِباق. كانت قاعات متجاورة ولم تكن أدوارًا بعضها فوق بعض. وتبعًا لما ذكره ابنُ شَدَّاد فإنَّ الطِّباق ترجع إلى عهد السُّلْطان الظَّاهر بَيْبَرس، حيث أنشأ إلى جانب بُرْج الزَّاوية المجاور لباب السِّرّ طِباقًا للمماليك مُطِلَّةً على باب الدِّرْكاه الكبيرة ... وأنشأ داخل باب القَرافَة دارًا كبيرةً تشتمل على عِدَّة قاعات صغار لسُكْنَى المماليك (تاريخ الملك الظاهر ٣٤١). وذكر ابنُ شاهين الظَّاهري أنَّ «طباق –

وكانت الملوكُ تُعْنَى بها أتَمّ عِنايَة [a]، حتى إنَّ الملكَ المَنْصُور قَلاوون كان يَخْرُج في غالِب أوْقاتِه إلى الرَّحْبَة عند اسْتِحْقاق حُضُور الطَّعام للمَماليك، ويأمُر بعَرْضه عليه، ويتفقَّد لَحْمَهم، ويختبر طَعامَهم في جَوْدَته ورَداءَته. فمتى رأى فيه عَيْبًا اشْتَدَّ على المُشْرِف والأُسْتادَّار، ونَهَرَهُما، وحَلَّ بهما منه أمْرٌ [b] مكروه. وكان يقولُ: كلُّ الملوك عَمِلُوا شيئًا يُذْكَرون به ما بين مالٍ وعَقارٍ، وأنا عَمَّرْتُ أسْوارًا، وعَمِلْتُ حُصونًا مانِعةً لي ولأوْلادي وللمُسْلمين وهم المماليك. ٥

وكانت المماليكُ أبَدًا تُقيمُ بهذه الطِّباق لا تَبْرَح فيها، فلمَّا تَسَلْطَنَ الملكُ الأشْرَفُ خَليل بن قَلاوون، سَمَحَ للمَماليك أن ينزلوا من القَلْعَة في النَّهار ولا يبيتوا إلَّا بها، فكان لا يَقْدِر أحَدٌ منهم أن يَبِيتَ بغيرها. ثم إنَّ الملكَ النَّاصِرَ محمد بن قَلاوون سَمَحَ لهم بالنُّزول إلى الحَمَّام يومًا في الأسْبوع، فكانوا ينزلون بالنَّوْبَة مع الخُدَّام، ثم يعودون آخر نَهارِهم. ولم يَزَلْ هذا حالُهم إلى أن انْقَرَضَت أيَّامُ بني قَلاوون. ١٠

وكانت للمَماليك بهذه الطِّباق عاداتٌ جَميلَة: أوَّلها أنَّه إذا قَدِمَ بالمملوك تاجِرُه عَرَضَه على السُّلْطان، ونَزَّلَه في طَبَقَة جِنْسِه، وسَلَّمَه لطَواشي برَسْم الكِتابَة. فأوَّل ما يبدأ به تَعْليمه ما يَحْتاج إليه من القُرآن الكَريم. وكانت كلُّ طائِفَةٍ لها فَقيهٌ يحضر إليها كلَّ يومٍ، ويأْخُذ في تعليمها كِتاب الله تعالى ومعرفة الخَطّ، والتمرُّن بآداب الشَّريعَة، ومُلازَمَة الصَّلوات والأذْكار.

١٥ وكان الرَّسْمُ ألَّا تَجْلِب التُّجَّارُ إلَّا المماليكَ الصِّغار. فإذا شَبَّ الواحِدُ من المماليك عَلَّمَه الفَقيهُ شَيْئًا من الفِقْه، وأقْرَأَه فيه مُقَدِّمَة. فإذا صارَ إلى سِنِّ البُلوغ أُخِذَ في تَعْليمه أنْواع الحَرْب من رَمْي السِّهام، ولعب الرُّمْح، ونحو ذلك. فيَتَسَلَّم كلَّ طائِفَةٍ مُعَلِّمٌ حتى يبلغ الغاية في معرفة ما يحتاج إليه. وإذا ركبوا إلى لَعِب الرُّمْح، أو رَمْي النُّشَّاب، لا يَجْسُر جُنْديٌّ ولا أميرٌ أن يُحَدِّثهم أو يَدْنو منهم. فيُنْقَل إذًا إلى الخِدْمَة، ويتنقَّل في أطْوارها رُتْبَةً بعد رُتْبَةٍ إلى أن يصير من الأُمَرَاء، فلا يبلغ هذه الرُّتْبَة إلَّا وقد تَهَذَّبَت أخلاقُه، وكَثُرَت/ آدابُه، وامْتَزَج تَعْظيمُ الإسْلام وأهْله بقلبه، واشْتَدَّ ٢٠ ٢١٤:٢

---

a) بولاق: غاية العناية. b) بولاق: أي.

= المماليك اثنا عشر طَبَقَة، كلُّ طَبَقَة منها قَدْر حارَة تشتمل على عِدَّة مساكن، حتى إنَّه يمكن السكنى فى كلِّ طَبَقَةٍ لألف مملوك. (زبدة كشف الممالك ٢٧). وانظر كذلك .Levanoni A., EI^2 art. *Ṭabaka* X, p. 7

وكانت الطِّباقُ السُّلْطانية تقع في الجانب الشمالي الشرقي للقلعة بالقرب من مسجد سليمان باشا (سيدي سارية) في الحُوش الذي يطلق عليه الآن «مَحْكى القَلْعَة»، Casanova, P., *op.cit.*, p. 649 (الترجمة العربية ١٣٧-١٣٨).

ساعِدُه في رِمايَة النُّشَّاب وحَسُنَ لعبه بالرُّمح ، ومَرِنَ على رُكُوب الخَيْل . ومنهم من يَصير رُتْبَة فقيهٍ عارِف ، وأديبٍ شاعِر ، وحاسِبٍ ماهِر .

هذا ، ولهم أَزِمَّةٌ من الخُدَّام ، وأكابِرُ من رُءوس النُّوَب : يَفْحَصون عن حالِ الواحِد منهم الفَحْصَ الشَّافي ، ويُؤاخِذُونَه أَشَدَّ المُؤاخَذَة ، ويُناقِشُونَه على حَرَكاته وسَكَناتِه . فإن عَثَرَ أَحَدٌ من مؤدِّبيه الذي يُعَلِّمه القرآن ، أو الطَّواشي الذي هو مُسَلَّم إليه ، أو رأس النَّوْبَة الذي هو حاكِمٌ عليه ، على أنَّه اقْتَرَفَ ذَنْبًا أو أَخَلَّ برَسْمٍ ، أو تَرَكَ أَدَبًا من آدابِ الدِّين أو الدُّنْيا ، قابَلَه على ذلك بعُقُوبَةٍ مُؤْلِمَةٍ شَديدَةٍ بقَدْر جُرْمِه .

وبَلَغَ من تأديبهم أنَّ مُقَدَّمَ المماليك كان إذا أتاهُ بعضُ مُقَدَّمي الطِّباق في السَّحَر يُشاور على مَمْلوكٍ أنَّه يَغْتَسِل من جَنابَة ، فيَبْعَث مَنْ يَكْشِف عن سَبَب جَنابَته : إن كان من احْتِلامٍ ، فيَنْظُرُ في سَراويله هل فيه جَنابَة أم لا ، فإن لم يَجِد به جَنابَة جاءَه الموتُ من كلِّ مَكان .

فلذلك كانوا سادَةً يُدَبِّرون الممالِك ، وقادَةً يُجاهِدون في سَبيل الله ، وأَهْلَ سياسَةٍ يُبالِغون في إظْهار الجَميل ، ويَرْدَعون مَنْ جار أو تَعَدَّى . وكانت لهم الإدْرارات الكثيرة من اللُّحوم والأَطْعِمَة والحَلاوات والفَواكِه والكُسْوات الفاخِرَة ، والمعاليم من الذَّهَب والفِضَّة بحيث تَتَّسِعُ أحْوالُ غِلْمانِهم ، ويَفيضُ عَطاؤهم على من قَصَدَهم .

ثم لمَّا كانتِ الأيَّامُ الظَّاهِرِيَّة بَرْقُوق ، راعَى الحالَ في ذلك بعضَ الشيء إلى أن زالَت دولَتُه في سنة إحدى وتسعين وسبع مائة . فلمَّا عادَ إلى المملكة ، رَخَّصَ للمَماليك في سُكْنَى القاهِرَة وفي التَّزْويج . فنَزَلُوا من الطِّباق من القَلْعَة ، ونَكَحُوا نِساءَ أهْل المَدينَة ، وأَخْلَدوا إلى البَطالَة ، ونَسُوا تلك العَوائِد .

ثم تَلاشَتِ الأَحْوالُ في الأيَّام النَّاصِرِيَّة فَرَج بن بَرْقُوق ، وانْقَطَعَتِ الرَّواتِبُ من اللُّحُوم وغيرِها ، حتى عن مَماليك الطِّباق مع قِلَّة عَدَدهم ، ورُتِّبَ لكلِّ واحِدٍ منهم في اليوم مبلغ عشرة دَراهِم من الفُلوس . فصارَ غذاؤهم في الغالِب الفُول المَصْلوق عجزًا عن شِراء اللَّحْم وغيره [1].

---

[1] يُمَثِّل هذا العَرْضُ الذي يُقَدِّمه المَقْريزي نَظْرَةً نَقْدِيَّةً ثاقِبَةً للنِّظام المملوكي والأسْباب التي أدَّت إلى تَدَهْور السَّلْطَنَة المملوكية ، بسبب تساهُل سَلاطين المماليك المتأخِّرين في الأخذ بالنِّظام الصَّارِم الدَّقيق الذي وضَعه السَّلاطينُ المؤسِّسون .

هذا ، وبقي «الجَلْبُ من المماليك» إنّما هم الرِّجالُ الذين كانوا في بِلادِهم ما بَيْنَ مَلّاح سَفينَة ، ووَقَّادٍ في تَنُّور خَبّازٍ ، ومُحَوِّل ماء في غَيْط أشْجارٍ ونحو ذلك . واسْتَقَرَّ رأيُ النّاصِر على أنَّ تَسْليمَ المماليك للفَقيه يُتْلِفُهم ، بل يُتْرَكون وشُئُونهم .

فبُدِّلَتِ الأرْضُ غَيْرَ الأرْض ، وصارَت المماليكُ السُّلْطانية أرْذَل النّاس وأدْناهم ، وأَخَسَّهم قَدْرًا وأَشَحُّهم نَفْسًا ، وأَجْهَلَهم بأمْر الدُّنْيا وأكثرهم إعْراضًا عن الدِّين . ما فيهم إلّا مَنْ هو أزْنَى من قِرْد ، وألَصّ من فَأْرَة ، وأَفْسَد من ذِئْب ، لا جَرَم أن خَرِبَت أرْضُ مصر والشّام ـ من حيث يَصُبُّ النِّيل إلى مَجْرَى الفُرات ـ بسُوء إيالة الحُكّام ، وشِدَّة عَبَث الوُلاة ، وسُوء تَصَرُّف أولي الأمْر ، حتى إنَّه ما من شَهْرٍ إلّا ويَظْهَر من الخَلَل العام ما لا يُتَدارَك فارِطُه [a].

وبَلَغَت عِدَّةُ المماليك السُّلْطانية في أيّام الملك المَنْصور قَلاوون ستَّة آلاف وتسع مائة [b]، فأرادَ ابنُه الأَشْرَفُ خَليل تَكْميل عِدَّتها عشرة آلاف مَمْلوك ، وجَعَلَهم طَوائِف : فأفْرَدَ طائِفتي الأَص[c] والجَرْكَس وسَمّاها «البُرْجِيَّة» ، لأنَّه أسْكَنَها في أبْراجٍ بالقَلْعَة ، فبَلَغَت عِدَّتهم ثلاثة آلاف وسبع مائة [1]. وأفرد جِنْس الخَطَا والقَبْجاق ، وأنزلهم بقاعَة عُرِفَت بالذَّهَبِيَّة والزُّمُرُّدية ، وجَعَلَ منهم جَمَدارية وسُقاة وسَمّاهم «خاصَّكِيَّة» ، وعَمِلَ البُرْجِيَّة سِلاحْدارية وجَمَقْدارية وجاشَنْكيرية وأوشاقية .

ثم شُغِفَ الملكُ النّاصِرُ محمد بن قَلاوون بجَلْب المماليك من بِلاد أُزْبَك وبلاد تَوْريز وبلاد الرُّوم وبَغْداد ، وبَعَثَ في طَلَبهم ، وبَذَلَ الرَّغائِبَ للتُّجّار في حَمْلِهم إليه ، ودَفَعَ فيهم الأمْوالَ العَظيمَة ، ثم أفاضَ على من يَشْتَريه منهم أنْواعَ العَطاء من عامَّة الأصْناف دَفْعَةً واحِدَةً في يومٍ واحِدٍ ، ولم يُراعِ عادَةَ أبيه ومن كان قَبْلَه من الملوك في تَنَقُّل المماليك في أطْوار الخِدَم حتى يتأدَّب[d] ويتمرَّن كما تقدَّم ، وفي تَدْريجه من ثلاثة دنانير في الشهر إلى عشرة دنانير ، ثم نَقْله من الجامَكِيَّة إلى وَظيفَة من وَظائِف الخِدْمَة ، بل اقْتَضَى رأيه أن يَمْلأ أعْيُنَهم بالعَطاء الكثير دَفْعَةً واحِدَةً . فأتاهُ من المماليك شيءٌ كثيرٌ رَغْبَةً فيما لديه ، حتى كان الأبُ يَبيع ابنَه للتاجِر الذي يجلبه إلى مصر . وبَلَغَ ثَمَنُ المَمْلوك في أيّامِه إلى مائة ألف دِرْهَم فما دونها ، وبَلَغَت نَفَقاتُ

---

a) بولاق : فرطه . b) بولاق : وسبع مائة . c) بولاق : الأرمن . d) بولاق : يتدرب .

---

[1] انظر فيما يلي ٧٨٠.

المماليك في كلِّ شهر إلى سبعين ألف درهم، ثم تزايدَت حتى صارَت في سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مائة مائتين وعشرين ألف دِرْهَم.

دَارُ النِّيَابَة

كان بقَلْعَة الجَبَل دارُ نِيابَةٍ بَنَاها الملكُ المَنْصورُ قَلاوون في سنة سبعٍ وثمانين وستّ مائة، سَكَنَها الأميرُ حُسَامُ الدِّين طُرُنْطَاي ومَنْ بَعْدَهُ من نُوَّاب السَّلْطَنَة. وكانت النُّوَّابُ تَجْلس بشُبَّاكِها حتى هَدَمَها الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون في سنة سبعٍ وثلاثين وسبع مائة، وأبْطَلَ النِّيابَة، وأَبْطَلَ الوَزارَة أيضًا. فصارَ موضِعُ دار النِّيابَة ساحَةً[1].

فلمَّا ماتَ الملكُ النَّاصِرُ، أعادَ الأمير قَوْصُون دارَ النِّيابَة عند اسْتِقْراره في نِيابَة السَّلْطَنَة، فلم تَكْمُل حتى قُبِضَ عليه. فوَلِيَ نِيابَة السَّلْطَنَة الأميرُ طَشْتَمُر حُمُّص أخْضَر وقُبِضَ عليه؛ فتَوَلَّى بعده نِيابَة السَّلْطَنَة الأميرُ شَمْسُ الدِّين آق سُنْقُر في أيَّام الملك الصَّالِح إسماعيل ابن الملك النَّاصِر محمد ابن قَلاوون، فجَلَسَ بها في يوم السبت أوَّل صَفَرَ سنة ثلاثٍ وأربعين وسبع مائة/ في شُبَّاكِ دار النِّيابَة. وهو أوَّل من جَلَسَ بها من النُّوَّاب بعد تَجْديدها، وتَوارَثَها النُّوَّابُ بعده[2].

وكانت العادَةُ أنْ تَرْكَب جُيُوشُ مصر يومي الاثنين والخَميس في المَوْكِب تحت القَلْعَة، فيَسيرون هناك من رأس الصُّوَّة[3] إلى باب القَرافَة، ثم تَقِف العَسْكَر مع نائِب السَّلْطَنَة، ويُنادى على الخَيْل بينهم، ورُبَّما نُوديَ على كثيرٍ من آلات الجُنْد والخِيَم والخَرْكاوات والأسلحة، ورُبَّما نُوديَ على كثير من العَقار. ثم يَطْلَعون إلى الخِدْمَة السُّلْطانية بالإيوان بالقَلْعَة على ما تقدَّم ذكره.

---

[1] اليوسفي: نزهة الناظر ٣٤٩؛ المقريزي: السلوك ٢: ٤١٠- ٤١١؛ مسودة الخطط ٦٧ظ.

[2] الشجاعي: نزهة الناظر ٢٣٥؛ المقريزي: السلوك ٢: ٥٨٠، ٦٠٤؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٣٢.

وكانت دارُ النِّيابَة تقع خارج باب القُلَّة من القلعة (النجوم ١٠:٢١) قِبْلي الدُّرْكاه وبجوار قاعة الصَّاحِب (فيما يلي ٢:٢٢٣) تجاه الإيوان الذي حَلَّ محلَّه في سنة ١٨٣٠-١٨٤٨ جامع محمد علي باشا. (Casanova, P., *op.cit.*, pp. 647-48 (الترجمة العربية ١٣٦-١٣٧)؛ (Rabbat, N., *op.cit.*, p. 114.

[3] الصُّوَّة. اسْمٌ يُطْلَق على المنطقة الجبلية الواقعة في الجهة الشمالية البحرية من قَلْعَة الجَبَل، والتي تُمَثِّل بقيَّة النَّشْز الذي بنيت عليه قَلْعَةُ الجَبَل، فيما بينها وبين جامع الرِّفاعي، ويَتَوَسَّطها الطَّريقُ المعروف بِسِكَّة المَحْجَر ودَرْب المارستان. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١:٤٣هـ[2]).

فإذا مَثَلَ النَّائِبُ في حَضْرَة السُّلْطان ، وَقَفَ في رُكْن الإيوان إلى أن تنقضي الخِدْمَة ، فيَخْرُج إلى دار النِّيابَة والأُمَراءُ معه ، ويُمَدُّ السِّماطُ بين يَدَيْه كما يُمَدُّ سِماطُ السُّلْطان ، ويجلس جُلوسًا عامًّا للنَّاس ، وتحضره أرْبابُ الوَظائِف ، وتقف قُدَّامَه الحُجَّابُ ، وتُقْرأ عليه(a) القِصَص ، وتُقَدَّم إليه الشُّكاة ، ويَفْصِل أمُورَهم . فكان السُّلْطانُ يكتفي بالنَّائِب ، ولا يَتَصَدَّى لِقراءَة القِصَص عليه وسَماع الشَّكْوَى ، تَعْويلًا منه على قِيام النَّائِب بهذا الأَمْر [1] .

وإذا قُرِئَت القِصَصُ على النَّائِب نَظَرَ : فإن كان مَرْسومُه يكفي فيها أَصْدَرَه عنه ، وما لا يكفي فيه إلَّا مَرْسومُ السُّلْطان ، أَمَرَ بكتابَتِه عن السُّلْطان وأَصْدَرَه ، فيكتب ذلك ، ويُنَبِّه فيه على أنَّه بإشارَة النَّائِب ، ويُعَبِّر عن نُوَّاب السُّلْطان بالممالِك الشَّامية بأن يُعَبَّر عنه بـ«كافِل المملكة الشَّريفَة الإسْلامية» [2] .

١٠ وما كان من الأُمُور التي لابدَّ له من إحاطَة عِلْم السُّلْطان بها ، فإنَّه إمَّا أن يُعْلِمَه بذلك منه إليه وَقْت الاجْتِماع به ، أو يُرْسِلَ إلى السُّلْطان من يُعْلِمه به ويأْخُذ رأيَه فيه [3] .

وكان ديوانُ الإقْطاع ـ وهو الجَيْشُ في زَمانِ النِّيابَة ـ ليس لهم خِدْمَةٌ إلَّا عند النَّائِب ، ولا اجْتِماعٌ إلَّا به ، ولا يجتمعُ ناظِرُ الجَيْش بالسُّلْطان في أَمْرٍ من الأمُور . فلمَّا أَبْطَل الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قلاوون النِّيابَة ، صارَ ناظِرُ الجَيْش يجتمع بالسُّلْطان ، واسْتَمَرَّ ذلك بعد إعادَة النِّيابَة .

١٥ وكان الوَزيرُ وكاتِبُ السِّرّ يُراجِعان النَّائِبَ في بعض الأمُور دون بعض . ثم اضْمَحَلَّت نِيابَة السَّلْطَنَة في أيَّام النَّاصِر محمد بن قَلاوون ، وتَلاشَت أوْضاعُها [4] . فلمَّا ماتَ أُعيدَت بعده ، ولم تَزَل إلى أثْناء الأيَّام الظَّاهِرية بَرْقوق . وآخِر من وَلِيَها على أكثر قَوانينها الأميرُ سُودُون الشَّيْخي ، وبعده لم يل النِّيابَة أحَدٌ في الأيَّام الظَّاهِرِيَّة . ثم إنَّ النَّاصِرَ فَرَج بن بَرْقوق أقامَ الأميرَ تَمْراز في نِيابَة

(a) ساقطة من بولاق .

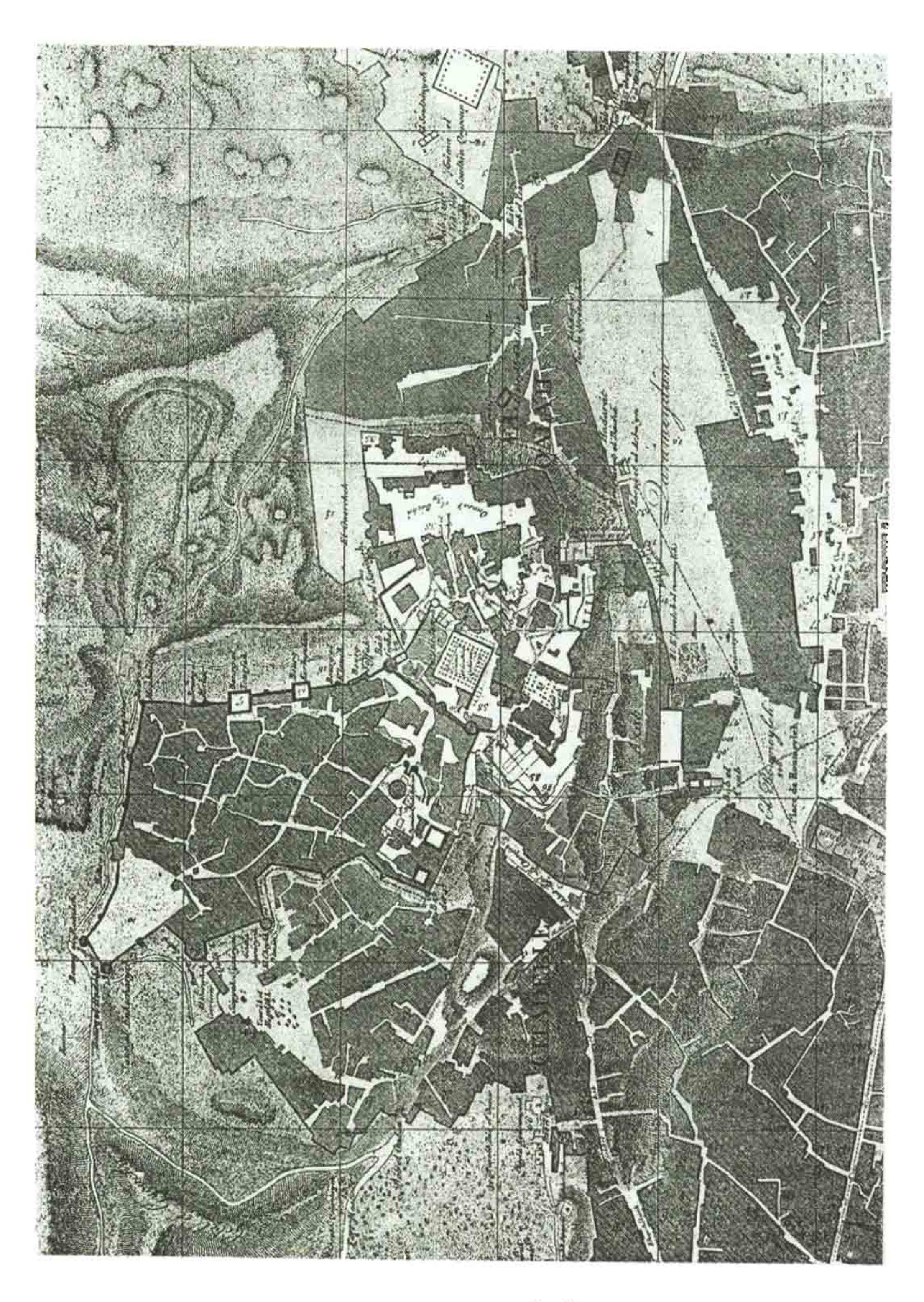
---

[1] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٥٦؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ١٧ .

[2] كافِلُ المملكة (الممالك) الشَّريفة الإسلامية . هو نائبُ السُّلْطان بالحَضْرَة ، يحكم في كلِّ ما يحكم فيه السُّلْطان ، ويُعَلِّم في التَّقاليد والتَّواقيع والمَناشير وغير ذلك ممَّا يُعَلِّم عليه السُّلْطان ، بينما بقيَّةُ النُّوَّاب لا يُعَلِّم الرجل منهم إلَّا على ما يتعلَّق بخاصَّة نيابته . (ابن فضل الله العمري : التعريف ٢٩٤؛ وانظر كذلك القلقشندي : صبح الأعشى ١١ : ١٣٤) .

[3] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٥٦؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ١٧ .

[4] نفسه ٥٦؛ نفسه ٤ : ١٧ .



خَريطَةُ القَلْعَة سنة ١٧٩٨ (عن وَصْف مِصْر)

السَّلْطَنَة، فلم يسكن دار النِّيابَة في القَلْعَة، ولا خَرَجَ عمَّا يعرفه من حالِ حاجِب الحُجَّاب. ولم يلِ النِّيابَة بعد تَمْراز أحَدٌ إلى يَوْمِنا هذا [١].

وكانت حَقيقَةُ النَّائِبِ أنَّه السُّلطانُ الثَّاني، وكانت سائِرُ نُوَّاب المَمالِك الشَّامِيَّة وغيرها تُكاتِبه في غالِب ما تُكاتِب فيه السُّلْطان، ويُراجِعونه فيه كما يُراجَع السُّلْطان. وكان يَسْتَخْدِم الجُنْد، ويُخْرِج الإقْطاعات من غير مُشاوَرَة، ويُعَيِّنُ الإمْرَة[a] لكن بمُشاوَرَة السُّلْطان [٢].

وكان النَّائِبُ هو المتصرِّف المُطْلَق التصرُّف في كلِّ أمْرٍ: فيُراجِع في الجَيْش والمال والخَبَر - وهو البَريد - وكلِّ ذي وَظيفَة [في نيابَةٍ][b] لا يتصرَّف إلَّا بأمْرِه، ولا يَفْصِل أمْرًا مُعْضلًا إلَّا بمُراجَعَته. وهو الذي يَسْتَخْدِم الجُنْد، ويُرَتِّب في الوَظائِف، إلَّا ما كان منها جَليلًا - كالوَزارَة، والقَضاء، وكِتابَة السِّرِّ، والجَيْش - فإنَّه يَعْرِض على السُّلْطان من يَصْلُح. وكان قَلَّ أن لا يُجاب في شيءٍ يُعَيِّنه [٣].

وكان من عَدا نائِب السَّلْطَنَة بديار مصر يليه في رُتْبَة النِّيابَة. وكلُّ نُوَّاب الممالِك تُخاطَب بـ«مَلِك الأُمَراء»، إلَّا نائِب السَّلْطَنَة بمصر فإنَّه يسمَّى «كافِلُ المَمالِك» تَمْييزًا له، وإبانَةً عن عَظيم مَحَلِّه [٤]. وبالحَقيقَة ما كان يَسْتَحِقّ اسم نِيابَة السَّلْطَنَة، بعد النَّائِب بمصر، سوى نائِب الشَّام بدِمَشْق فقط. وإنَّما كانت النِّيابَةُ تُطْلَقُ أيضًا على أكابِر نُوَّاب الشَّام، وليس لأحَدٍ منهم من التَّصرُّف ما كان لنائِب دِمَشْق. إلَّا أنَّ نِيابَةَ السَّلْطَنَة بحَلَب تلي رُتْبَة نِيابَة السَّلْطَنَة بدِمَشْق.

وقد اخْتَلَّتِ الآن الرُّسُومُ، واتَّضَعَت الرُّتَبُ، وتَلاشَتِ الأحْوالُ، وعادَت أسْماءً لا معنًى لها وخَيالاتٌ حاصِلُها عَدَم. والله يفعل ما يَشاء [٥].

---

a) مسالك الأبصار: الأمراء. b) زيادة من مسالك الأبصار.

---

[١] انظر لتفاصيل أكثر عن وظيفة «نائب السَّلْطَنَة»، ليلى عبد الجواد إسماعيل: «نائب السَّلْطَنَة في القاهرة في عصر دولة المماليك البحرية»، المؤرخ المصري ١ (١٩٨٨)، ١٥٩- ٢٢٥؛ محمد عبد الغني الأشقر: نائب السَّلْطَنَة المملوكية في مصر (من ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، القاهرة - سلسلة تاريخ المصريين ١٩٩٩؛ Gibb H.A.R., *EI*² art. *Nâ'ib* VII, pp. 915-16; Van Steenbergen, J., «The office of Nâ'ib al-Saltana of Damascus: 741-784/ 1341-1382. A Case Study» in *Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyubid and Mamluk Eras*, III, pp. 429-48.

[٢] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٥٥- ٥٦.

[٣] نفسه ٥٥.

[٤] نفسه ٥٥.

[٥] هنا في هامش (ص): «قلت: ولو أدْرَك الشَّيْخُ أيَّامَنا لَعَظُمَت عنده أيَّامُه؛ ولله الأمْرُ من قبل ومن بعد».

ذِكْرُ جُيُوشِ الدَّوْلَةِ التُّرْكِيَّةِ وَزِيِّهَا وَعَوَائِدِهَا[١]

اعْلَم أنَّه قد كان بقَلْعَة الجَبَل مَكانٌ مُعَدٌّ لديوان الجَيْش، وأَدْرَكْتُ منه بقيَّةً إلى أثناء دَوْلَة الظَّاهِر بَرْقوق. وكان ناظِرُ الجَيْش وسائِرُ كُتَّاب الجَيْش لا يَبْرَحُون في أيَّام الخِدْمَة نَهارَهم مُقيمين بديوان الجَيْش، وكانت لهذا الدِّيوان عَوائِدُ قد تَغَيَّرَ أكثرُها، ونُسِيَ غالِبُ رُسومِه.

و[٢]كانت جُيُوشُ الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة بديار مصر على قِسْمَيْن: منهم من هو بحَضْرَة السُّلْطان، ومنهم من هو في أَقْطار المملكة وبِلادِها، ومنهم سُكَّانٌ باديةٍ كالعَرَب والتُّرْكُمان. وجُنْدُها

---

[١] انظر كذلك، فيما تقدم ١: ٢٥٥- ٢٥٦؛ المقريزي: السلوك ٤: ٤٦١- ٤٦٢.

والمَصْدَرُ الرَّئيس الذي يُشير إلى تَرْتيب الجيش المملوكي حتى قُرْب نهاية سَلْطَنَة النَّاصر محمد بن قَلاوون الثالثة كِتابُ «مَسالِك الأبصار في مَمالِك الأمْصار» لابن فَضْل الله العُمَري المتوفى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٩م، واعْتَمَد عليه بعد ذلك كُلٌّ من القلقشندي (صبح الأعشى ٤: ١٤-١٦)، والمقريزي هنا في الخطط، والسيوطي (حسن المحاضرة ٢: ١٢٩).

أمَّا تَرْتيبُ الجَيْش المملوكي وسَائِر رُسُوم دَوْلَة المماليك الشَّراكِسَة، فأهَمُّ مصادِرِها كِتابُ «كَشْف الممالِك وبَيان الطُّرُق والمسالِك» لغَرْس الدِّين خليل بن شاهين الظَّاهِري، المتوفى سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م. (انظر مقدمة هذا المجلد).

وأشْمَلُ الدِّراسات الحديثة عن بناء الجَيْش المملوكي وترتيبه، ما كَتَبَه ديفيد آيالون Ayalon, D., «Studies in the Structure of the Mamluk Army», *BSOAS* 15 (1953), pp. 203-38, 448-76; 16 (1954), pp. 57-90; id., «The System of Payment in Mamluk Military Society», *JESHO* I (1957), pp. 37-65, 257-96 وجُمِعَت دراساتُ آيالون في سلسلة Variorum Reprints في ثلاثة كتب هي: *Studies on the Mamluks of Egypt*, London 1977; *The Mamluk Military Society*, London 1979; *Outsiders in the Land of Islam*, London 1988، وانظر له كذلك Ayalon, «Forces of the Mamluk Sultanate», *Der Islam* 65 (1988), pp. 13-54؛ وانظر ما أضافَه إليها Humphreys, R. S., «The Emergence of the Mamluk Army», *SI* 45 (1977), pp. 67-99, 46 (1977), pp. 147-82; Amitai - Preiss, R., «The Remaking of the Military Elite of Mamluk Egypt by al-Nâsir Muhammad ibn Qalâwûn», *SI* 72 (1990), pp. 145-63؛ وانظر كذلك، إبراهيم حسن سعيد: الجيش في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير بكلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٦٣؛ محمود نديم: الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، القاهرة ١٩٨٣.

[٢] مَصْدَرُ كلِّ المعلومات التالية هو ابن فَضْل الله العُمَري: مسالك الأبصار ٢٧- ٣٣؛ وقارن مع النويري: نهاية الأرب ٨: ١٩٦- ٢٠٦؛ ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف ١٠٢- ١٠٥؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ١٤- ١٦، ٧: ١٥٨- ١٥٩؛ =

مُخْتَلَطٌ من أتْراكٍ وجَرْكَس ورُوم وأكْراد وتُرْكُمان، وغالبهم من المماليك المُبْتاعين، وهم طَبَقاتٌ:

أكابِرُهم من له «إمْرَةُ مائة فارِس وتَقْدِمة ألْف فارِس»، ومن هذا القَبِيل تكون أكابِرُ النُّوّاب، ورُبَّما زادَ بعضُهم بالعَشَرَة فَوَارِس والعشرين [1].

٥ ثم «أُمَرَاءُ الطَّبْلَخاناه»، ومعظمهم مَنْ تكون له إمْرَةُ أربعين فارِسًا، وقد يُوجَد فيهم من له أزْيَد من ذلك إلى السبعين، ولا تكون الطَّبْلَخاناه لأقلَّ من أربعين [2].

ثم «أُمَرَاءُ العَشَرَوات» مِمَّن تكونُ له إمْرَةُ عَشَرَة، ورُبَّما كان فيهم من له عشرون فارِسًا، ولا يُعَدُّون/ في أُمَرَاء العَشْراوات. ٢١٦:٢

ثم «جُنْدُ الحَلْقَة» [3]، وهؤلاء تكون مَناشِيرُهم من السُّلْطان، كما أنَّ مَناشيرَ الأُمَرَاء من السُّلْطان، وأمَّا أجْنادُ الأُمَرَاء فمَناشيرُهم من أُمَرَائِهم [4]. ١٠

وكان مَنْشُورُ الأمير يُعَيَّن فيه للأمير ثُلُث الإقْطاع ولأجْنادِه الثُّلُثان، فلا يُمَكَّن الأميرُ ولا مُباشِروه أن يُشارِكوا أحَدًا من الأجْنَاد فيما يَخُصُّهم إلَّا برضاهُم.

وكان الأميرُ لا يُخْرِج أحَدًا من أجْنادِه حتى يَتَبَيَّن للنَّاس[a] موجبٌ يقتضي إخْراجه، فحينئذٍ يُخْرِجُه نائِب السُّلْطان، ويقيم عنه[b] الأمير عِوَضَه. وكان لكلِّ أربعين جنديًّا من جُنْد الحَلْقَة

---

a) بولاق: للنائب. b) بولاق: عند.

= الظاهري: زبدة كشف الممالك ١١٣؛ ماجد: نظم سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ١:١٣٨- ١٣٩.

[1] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٢٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ١٤؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف ٢٤٩- ٢٥٩، ١١٢٧- ١١٢٨.

[2] انظر عن وصف الطَّبْلَخاناه فيما تقدم ٦٨٨- ٦٩١.

[3] جُنْدُ الحَلْقَة هم محترفو الجندية، كانوا يكوِّنون عَصَب الجيش المملوكي، ويُمَثِّلون فيما بينهم وِحْدَةً اجتماعيةً عسكرية، إلَّا أنَّ أهميتهم تراجَعَت قُرْب نهاية عصر المماليك.

أمَّا اسْمُ الحَلْقَة الذي أُطْلِقَ عليهم فلا يوجَد له تفسيرٌ مقنع إلى الآن، وإن كان يُفْتَرض أنَّهم كانوا في البداية وِحْدَةً تُحيط بالسُّلْطان كالحَلْقَة مكوِّنةً حَرَسَه الشخصي فاكتسبت من هنا هذا الاسم. (راجع، المقريزي: السلوك ١:١٢٢هـ [2]، ٢٨١هـ [5]؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف ٣٦٥- ٣٦٨؛ إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية ٤٧٨؛ إبراهيم سعيد: الجيش في عصر سلاطين المماليك ٨٧- ١٠٥؛ محمود نديم: الفن الحربي ١٠٥- ١٢٠؛ Ayalon D., *EI*² art. *Halka* III, pp. 101-102).

[4] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٢٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٤:١٤- ١٥، ٦:٢٠١- ٢٠٢؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية ٢٣٧- ٢٤١.

مقدَّمٌ عليهم ، ليس له عليهم حُكْمٌ إلَّا إذا خَرَجَ العَسْكَرُ لِقِتالٍ ، فكانت مَواقِفُ الأربعين مع مُقَدَّمهم ، وتَرْتِيبهم في مَوْقِفِهم إليه .

ويبلُغُ بمصر إقْطاعُ بَعْض أكابِرِ أُمَراء المِئِين المُقَرَّبين(a) من السُّلْطان مائتي ألف دينار جَيْشِيَّة ورُبَّما زادَ على ذلك . وأمَّا غيرُهم فدون ذلك بعِبَرٍ أقلُّها إلى ثمانين ألف دينار وما حولها . وأمَّا الطَّبْلَخاناه فمن ثلاثين ألْف دينار إلى ثلاثة وعشرين ألْف دينار . وأمَّا العَشْراوات فأعْلاها سبعة آلاف دينار إلى ما دونها [1].

وأمَّا إقْطاعاتُ أجْناد الحَلْقَة فأعْلاها ألْف وخمس مائة دينار ، وهذا القَدْرُ وما حَوْله إقْطاعاتُ أعْيان مُقَدَّمي الحَلْقَة ، ثم بعد ذلك الأجْناد بابات [2] ، حتى يكون أدْناهم مائتين وخمسين دينارًا [3]. وسيرد تَفْصيل ذلك إن شاءَ الله .

وأمَّا إقْطاعاتُ جُنْد الأُمَرَاء فإنَّها على ما يَراهُ الأميرُ من زِيادَة بينهم ونَقْص [4].

وأمَّا إقْطاعاتُ الشَّام فإنَّها لا تُقارب هذا [المِقْدار](b)، بل تكون على الثُّلُثين ممَّا ذكرنا ، ما خَلا نائِبَ السَّلْطَنَة بدِمَشْق فإنَّه يُقارب إقْطاعُه أعلى إقْطاعات أكابِرِ أُمَرَاء مصر المقرَّبين . وجَميعُ جُنْد الأُمَرَاء تُعْرَض بديوان الجَيْش ، ويُثْبَت اسم الجُنْدي وحِلْيَته ، ولا يَسْتَبْدِل أميرُه به غيره إلَّا بتنزيلِ مَنْ عُوِّضَ به وعَرْضه [5].

وكانت للأُمَرَاء على السُّلْطان في كلِّ سنةٍ مَلابِسُ يُنْعِم بها عليهم ، ولهم في ذلك حَظٌّ وافِرٌ . ويُنْعِم على أُمَرَاء المِئِين بخُيولٍ مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَة ، ومن عَداهم بخُيولٍ عُرْيٍ ، ويُمَيِّز خاصَّتهم على عامَّتهم . وكان لجَميع الأُمَرَاء ـ من المِئِين ، والطَّبْلَخاناه ، والعَشْراوات ـ على السُّلْطان الرَّواتِب الجارية في كلِّ يوم من اللَّحْم وتَوابِله كلِّها ، والخُبْز ، والشَّعير لعَليق الخَيْل ، والزَّيْت ؛ ولبعضهم الشَّمْعُ والسُّكَّر والكُسْوَة في كلِّ سنة ؛ وكذلك لجَميع مَماليك السُّلْطان وذَوي الوَظائِف من الجُنْد .

---

a) بولاق : المقدمين . b) إضافة من مسالك الأبصار .

---

[1] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٢٩؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٥٠.

[2] انظر عن معنى البابات ، فيما يلي ٧١٠.

[3] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٢٩؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٥٠.

[4] نفسه ٢٩.

[5] نفسه ٢٩؛ نفسه ٤ : ٥٠، ١٨٣.

وكانت العادَةُ إذا نَشَأ لأحَدِ الأُمَرَاء وَلَدٌ أطلق له دَنانير ولَحْم وخُبْز وعَليق حتى يتأهَّل للإقْطاع في جملة الحَلْقَة، ثم منهم من ينتقل إلى إمْرَة عَشَرَة، أو إلى إمْرَة طَبْلَخاناه بحَسَب الحَظّ [1].

واتَّفَق للأميرين طُرُنْطاي وكَتْبُغا أنَّ كلًّا منهما زَوَّج ولَدَه بابنة الآخر، وعُمِلَ لذلك المُهِمّ العَظيم. ثم سألَ الأميرُ طُرُنْطاي ـ وهو إذ ذاك نائِبُ السُّلْطان ـ الأمير بِيلْبَك الأَيْدَمُري والأمير طَيْبَرْس، أن يسألا السُّلْطان الملك المَنْصور قَلاوون في الإنْعام على وَلَدِه ووَلِدِ الأمير كَتْبُغا بإقْطاعَيْن في الحَلْقَة. فقال لهما: والله لو رأيتهما في مَصافّ القِتال يَضْرِبان بالسَّيْف، أو كانا في زَحْفٍ قُدَّامي، أَسْتَقْبِح أن أُعْطي لهما أخْبازًا في الحَلْقَة خَشْيَة أن يُقالُ أعْطَى الصِّبْيانَ الأخْباز. ولم يُجِب سُؤالهما هذا، وهم مَنْ قد عَرَفْت.

لكن كان الملكُ العادِلُ نور الدِّين محمود بن زَنْكي إذا مات الجُنْدي أعطى إقْطاعَه لوَلَدِه، فإن كان صَغيرًا رَتَّبَ معه مَنْ يلي أَمْرَه حتى يَكْبَر. فكان أجْنادُه يقولون: الإقْطاعات أمْلاكُنا يَرِثُها أوْلادُنا الوَلَدُ عن الوالِد، فنحن نُقاتِلُ عليها، وبه اقْتَدَى كثيرٌ من مُلوك مصر في ذلك.

وللأُمَرَاءِ المقدَّمين حَوائِصُ [2] ذَهَب في وَقْت الرُّكوب إلى المَيْدان، ولكلِّ أميرٍ من الخَواصّ على السُّلْطان مُرَتَّب من السُّكَّر والحَلْوَى في شهر رَمَضان، ولسائِرهم الأُضْحية في عيد الأَضْحَىٰ على مقادير رُتَبهم، ولهم البَرْسيم لتَرْبيع دوابِّهم، ويكون في تلك المُدَّة بَدَل العَليق المرتَّب لهم [3].

وكانت الخُيولُ السُّلْطانية تُفَرَّق على الأُمَرَاء مرَّتين في كلِّ سنة: مرَّةً عندما يَخْرُج السُّلْطانُ إلى مَرابِط خُيوله في الرَّبيع عند اكْتِمال تَرْبيعها، ومَرَّةً عند لَعِبِه بالكُرَة في المَيْدان.

ولخاصَّةِ السُّلْطان المقرَّبين زيادَةٌ كثيرةٌ من ذلك، بحيث يَصِل إلى بعضهم في السَّنَة مائة فَرَس. ويفرِّق السُّلْطانُ أيضًا الخُيُولَ على المماليك السُّلْطانية في أوْقاتٍ أُخَر، ورُبَّما يُعْطي بعض مقدَّمي الحَلْقَة، ومن نَفَقَ له فَرَسٌ من المماليك، يُحْضِر من لحمه والشَّهادَة بأنَّه نَفَق، فيُعْطَى بَدَلَه [4].

ولخاصَّةِ السُّلْطان المقرَّبين إنْعامٌ من الإنْعامات، كالعَقارات والأبنية الضخمة التي رُبَّما أُنْفِقَ على بعضها زيادَةً على مائة ألف دينار [5]. ووَقَعَ هذا في الأيَّام النَّاصِرِيَّة مِرارًا، كما ذُكِرَ عند ذِكْر

---

[1] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٢٩- ٣٠؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٥٥، ٥٦.

القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٥١، ٥٤.

[2] حِياصَة جـ حَوايص. انظر فيما تقدم ٣٢٩- ٣٣٠.

[3] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٣٠؛

[4] نفسه ٣٠- ٣١، نفسه ٤: ٥٤.

[5] نفسه ٣١؛ المقريزي: السلوك ٢: ٥٣٧.

الدُّور من هذا الكِتاب [١]. ولهم أيضًا كَتاوِىٰ القُمَاش المنوَّع، ولهم عند سَفَرهم إلى الصَّيْد وغيره الغُلوفات والأنْزال [٢].

وكانت لهم آدابٌ لا يُخِلُّون بها: منها أنَّهم إذا دَخلوا إلى الخِدْمَة بالإيوان أو القَصْر وَقَفَ كلُّ أَميرٍ في مَكانِه المعروف به، ولا يَجْسُر أَحَدٌ منهم ولا من المماليك أن يُحَدِّث رَفيقَه في الخِدْمَة ولا بكلمةٍ واحِدةٍ، ولا يَلْتَفِت إلى نحوه أيضًا، ولا يَجْسُرُ أَحَدٌ منهم ولا من المماليك أن يجتمع ٥ بصاحِبِه في نُزْهَةٍ ولا في رَمْيِ النُّشَّاب ولا غير ذلك، ومن بَلَغَ السُّلْطانَ عنه أنَّه اجْتَمَعَ بآخرَ نَفاهُ أو قَبَضَ عليه.

٢١٧:٢ واخْتَلَفَ زِيُّ الأُمَـراءِ والعَساكِرِ في الدَّوْلَةِ/ التُّرْكِيَّة [٣]. وقد بَيَّنا ما كان عليه زِيُّهم حتى غَيَّرَه الملكُ المَنْصُور قَلاوون، عند ذِكر سُوق الشَّرابِشِيِّين [٤]، وصارَ زِيُّهم إذا دَخلوا إلى الخِدْمَة بالأَقْبِيَة التَّتَرِيَّة [٥] والتَّكْلاوات [a)٦] فوقها، ثم القَباء الإسلامي فوقها، وعليه تُشَدُّ المِنْطَقَة ١٠ والسَّيْف [٧].

---

a) بولاق: الكلاوات.

---

[١] فيما تقدم ٢٢٠-٢٢١، ٢٣٣، ٢٣٦.

[٢] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٣١؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٥٥.

[٣] عن أنْواع الملابس والخِلَع المختلفة في زمن المماليك، راجع: Mayer, L.A., *Mamluk Costume*, Genève 1952، نَقَلَه إلى العربية صالح الشَّيْتي بعنوان: الملابس المملوكية، القاهرة - الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٢.

[٤] فيما تقدم ٣٢٧-٣٢٨.

[٥] القَبَاء جـ. أقْبِيَة. ثَوْبٌ يُلْبَس فوق الثِّياب، سُمِّيَ بذلك لاجتماع أطْرافِه. (ابن منظور: لسان العرب ٢٠: ١٢٨؛ Dozy, R., *Dictionnaire détaillé de noms des vêtements chez les Arabes*, p. 352; id., *Suppl. Dict. Ar.*, II, p. 315).

والأقْبيةُ التَّتَرِيَّة ذات أصْلٍ أجنبي، وهي غير القَبَاء التَّتري السَّلاري، كان لها كمران يلفّا الصَّدْر من اليسار إلى اليمين، بدلًا من عمل الشُّقَّة المستقيمة التقليدية للقمصان التي كانت تُلْبَس في عصر الفاطميين. وكانت تصنع من الصوف والأطْلَس والحرير أو القطن البعلبكي، وكان لونه إمَّا أبيض أو مُزَيَّن بأشْرِطَة باللونين الأحمر والأزرق ويطلق عليه اسم «المُشَهَّر» وله أكمامٌ ضَيِّقَة. (Mayer, L. A., *op.cit.*, p.21؛ المقريزي: السلوك ١: ٨٤٥هـ [١]، ٨٢٠، ٢: ٩٧).

[٦] لا نعرف على التدقيق مواصفات التكلاوات، ويرى Mayer أنه ثوب كان يلبس في الهند ومصر فقط. (Mayer, L., *op.cit.*, p. 21 n.6).

[٧] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٣٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٤٠ وفيه: «يُشَدُّ عليه السَّيف من جهة اليسار، والصُّوْلَق والكَزْلَك من جهة اليمين».

ويتميَّزُ الأُمَرَاءُ والمقدَّمون وأعْيانُ الجُنْد بلبس أَقْبِيَة قَصِيرَة الأكمام فوق ذلك، وتكون أكمامُها أقصر من القَبَاء التَّحْتاني، بلا تَفاوُتٍ كبيرٍ في قِصَر الكُمّ والطُّول [1]، وعلى رُءوسهم كلهم كَلَّوْتات [2] صِغار غالبها من الصُّوف المَلَطي الأحمر، ويُضَرَّب ويُلَفّ فوقها عَمائِم صِغار [3].

ثم زادوا في قَدْر الكَلَّوْتات وما يُلَفّ فوقها في أيَّام الأمير يَلْبُغا الخاصَّكي، القائِم بدَوْلَة الأَشْرَف شَعْبان بن حُسَيْن، وعُرِفَت بـ«الكَلَّوْتات الطُّرْخانية»، وصاروا يُسَمُّون تلك الصَّغيرة «ناصِريَّة». فلمَّا كانت الأيَّامُ الظَّاهِريَّة بَرْقُوق، بالَغوا في كِبَر الكَلَّوْتات وعَمِلوا في شَدُّتها عِوَجًا، وقيل لها «كَلَّوْتات جَرْكَسِيَّة»، وهم على ذلك إلى اليوم.

ومن زِيِّهم لُبْس المِهْماز [4] على الأخفاف، ويعمل المِنْديلَ في الحِياصَة على الصَّوْلَق من الجانب الأيمن، ومعظمُ حَوائِص المماليك فِضَّة، وفيهم من كان يعملها من الذَّهَب، ورُبَّما عُمِلَت باليَشْم [5].

وكانت حَوَائِصُ أُمَرَاء المِئِين الأكابِر التي تَخْرُج إليهم مع الخِلَع السُّلْطانية من خِزانَة الخاصّ يُرَصَّع ذَهَبُها بالجَواهِر. وكان معظمُ العَسْكَر يَلْبَس الطُّرُز، ولا يُكَفِّت مِهْمازَه بالذَّهَب، ولا يلبس الطِّراز إلَّا من له إقْطاعٌ في الحَلْقَة. وأمَّا من هو بالجامَكِيَّة أو من أجْناد الأُمَرَاء فلا يُكَفِّت مِهْمازَه بالذَّهَب ولا يَلْبَس طِرازًا [6].

---

[1] يرى Mayer - مع شيءٍ من التَّحَفُّظ - أنَّه من الممكن أن يكون هذا القَباء مطابقًا تمامًا للقَباء الذي أدخله سَلار - نائب السَّلْطَنَة في عَهْدي النَّاصر محمد بن قَلاوون والمُظَفَّر ركن الدِّين بيبرس الجاشنكير - المعروف بالبَغْلَطاق. (Mayer, L. A., *op.cit.*, p. 23؛ وفيما تقدم ٣٢٨).

[2] كَلُّوتَه جـ كَلُّوتات. غِطاءٌ للرأس من الصوف المُضَرَّب بالقطن يُلْبَس وحده أو بعمامة. استحدثها بمصر سلاطينُ الأيُّوبيين فكانوا يلبسونها من الجوخ الأصفر بغير عمائم، وذوائب شعورهم مرخاه تحتها. (القلقشندي: صبح الأعشى ٤:٣٩-٤٠؛ السيوطي: حسن المحاضرة ٢:١١٠-١١١). وما زال الأمرُ كذلك حتى غَيَّرَ الأشرف خليل لونها من الصُّفْرَة إلى الحُمْرَة وأمر بلبس العمائم من فوقها؛ فلمَّا حَجَّ النَّاصِر محمد بن قَلاوون في سلطنته الثالثة حَلَقَ رأسه وترك ذُؤابَة شعره واسْتَجَدَّ العمائم النَّاصِريَّة. (نفسه ٤:٦؛ المقريزي: السلوك ١:٤٩٣هـ [1]؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧:٣٣٠هـ [1]؛ Mayer, L. A., *op.cit.*, pp. 28-29؛ وفيما تقدم ٢:٩٨-٩٩).

[3] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٣٤.

[4] انظر فيما تقدم ٣٢٤.

[5] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٣٤-٣٥؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٤٠.

[6] نفسه ٣٠؛ نفسه ٤: ٤١؛ وفيما تقدم ٣٣٠. والجامَكِيَّة جـ. جامَكِيَّات وجَوامِك. كلمة فارسية معناها الرَّاتب المربوط لشهر أو أكثر. وكانت نفقاتُ المماليك جامَكيات وعليق وكُسْوَة، وغير ذلك. (القلقشندي: صبح الأعشى ٣:٤٥٣).

وكانت العَساكِرُ من الأُمَرَاء وغيرهم تَلْبس المُنَوَّع من الكَمْخا[١] والخَطائي[٢] والكَنْجي[٣] والمُخَمَّل والإسْكَنْدَراني والشَّرْب، ومن النَّصافي والأَصْواف الملوَّنة[٤]. ثم بَطَلَ لُبْس الحَرير في الأَيَّام الظَّاهِرية بَرْقوق، واقتصروا إلى اليوم على لُبْس الصُّوف الملوَّن في الشِّتاء، ولُبْس النَّصافي المصْقول في الصَّيْف.

وكانت العادَةُ أنَّ السُّلْطانَ يتولَّى بنفسه اسْتِخْدام الجُنْد، فإذا وَقَفَ قُدَّامُه من يطلب الإقْطاع المَحْلول ووَقَعَ اخْتيارُه على أَحَدٍ، أَمَرَ ناظِرَ الجَيْش بالكِتابَة له فيَكْتُب وَرَقَةً مختصرةً تُسَمَّى «المِثَـال»[٥]، مضمونها: «خُبْز فُلان كذا»، ثم يكتب فوقه رَسْم[a] المستقرّ له ويُناولها السُّلْطان، فيَكْتُب عليها بخَطِّه: «يُكْتَب» ويُعْطيها الحاجِب لمن رُسِمَ له، فيُقَبِّل الأرض. ثم يُعادُ المِثالُ إلى ديوان الجَيْش، فيُشَكّ[b] شاهِدًا عندهم.

ثم تُكْتَب «مُرَبَّعَـةٌ»[٦] مكمَّلة الخُطُوط بجميع[c] مُباشري ديوان الإقْطاع، وهم كُتَّابُ ديوان الجَيْش، فيَرْسمون عَلاماتهم عليها، ثم تُحْمَل إلى ديوان الإنْشاء والمُكاتَبات، فيُكْتَب المَنْشور

---

a) بولاق: اسم. b) بولاق: فيحفظ. c) بولاق: بخطوط جميع.

---

[١] الكَمْخا جـ. كوامخ. ثِيابٌ حريرية تصنع ببغداد وتَبْريز ونيسابور. (ابن بطوطة: الرحلة ١: ٢٤٥؛ Serjeant, R. B., *Islamic Textiles*, p. 31).

[٢] الخَطائي. نوعٌ من النَّسيج الصُّوفي، اشتهرت به مدينة تِبْريز، وأشهر مُدُن أَذْرَبيجان، يقول ياقوت: «ويُعْمَل فيها من الثياب العَتابي والسَّقْلاطون والخَطائي والأَطْلَس والنَّسْج، ما يُحْمَل إلى سائر البلاد شرقًا وغربًا» (معجم البلدان ٢: ١٣) وانظر كذلك Serjeant, R. B., *op.cit.*, pp. 68, 150.

[٣] الكَنْجي. اسمٌ لقماشٍ من الحرير والقطن، ينسب لمدينة كَنْجَة قَصَبَة بلاد أرَّان. (ياقوت: معجم البلدان ٤: ٤٨٢).

[٤] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٣٥؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٤١.

[٥] المِثال جـ. المِثالات. أوَّلُ ما كان يكتب من الأوراق الرسمية إيذانًا بمَنْح أحد المماليك إقْطاعًا من الإقْطاعات المحلولة. وهو عبارة عن ورقة تكتب فيها بياناتُ الإقْطاع بعد ترك ثلثيها من أعلاها بياضًا. (القلقشندي: صبح الأعشى ١٣: ١٥٣–١٥٤؛ الخالدي: المقصد الرفيع المنشا ٢٩٠و؛ المقريزي: السلوك ١: ٩٤٠هـ[٣]؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٩١؛ محمد محمد أمين: «منشور بمَنْح إقطاع من عصر السُّلْطان الغوري»، حوليات إسلامية *An.Isl.* ١٩ (١٩٨٣)، ٥–٦؛ وفيما تقدم ١: ٢٣٧).

[٦] المُرَبَّعَة. وَرَقَة مُرَبَّعَة الشكل تُعْمَل على هيئة صفحتين متقابلتين. (راجع نَصّ ما يكتب في المُرَبَّعَة وكيفيته عند، الخالدي: المقصد الرفيع المنشا ٢٩٠و–٢٩٠ظ؛ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣: ١٥٤–١٥٥؛ محمد محمد أمين: المرجع السابق ٧–٨).

ويُعَلِّم عليه السُّلْطانُ كما تقدَّم ذكره. ثم يُكَمِّل المَنْشور بخُطوط كُتَّاب ديوان الجَيْش، بعد المقابَلَة على صِحَّة[a] أصْلِه[1].

واستجدَّ السُّلْطانُ الملكُ المَنْصور قَلاوون طائِفَةً سَمَّاها «البَحْـرِيَّة». وهي أنَّ البَحْرِيَّة الصَّالِحِيَّة لمَّا تَشَتَّتوا عند قَتْل الفارِس أَقْطاي في الأيَّام المُعِزِّيَّة أَيْبَك، بقيت أوْلادُهم بمصر في حالة رَذيلة؛ فعندما أَفْضَت السَّلْطَنَةُ إلى قَلاوون جَمَعَهم ورَتَّب لهم الجَوامِكَ والعَليقَ واللَّحْم والكُسْوَة، ورَسَمَ أن يكونوا جالِسين على باب القَلْعَة وسَمَّاهم «البَحْرِيَّة». وإلى اليوم طائِفَةٌ من الأجْناد تُعْرَف بالبَحْرِيَّة[2].

وأمَّا البِلادُ الشَّامية فليس للنَّائِب بالمملكة مَدْخَلٌ في تأمير أَميرٍ عِوَض أميرٍ مات، بل إذا ماتَ أميرٌ ـ سَواء كان كبيرًا أو صغيرًا ـ طُولِعَ السُّلْطانُ بمَوْتِه، فأَمَّرَ عِوَضَه: إمَّا مِمَّن في حَضْرَتِه ويُخْرِجُه إلى مَكان الخِدْمَة، أو مِمَّن هو في مَكان الخِدْمَة، أو يَنْقِل من بَلَدٍ آخر من يَقَع اخْتيارُه عليه.

وأمَّا «جُنْدُ الحَلْقَة» فإنَّهم إذا ماتَ أَحَدُهم اسْتَخْدَم النَّائِبُ عِوَضَه، وكَتَبَ «المِثال» على نحوٍ من تَرْتيب السُّلْطان، ثم كَتَبَ «المُرَبَّعَة» وجَهَّزَها مع البريد إلى حَضْرَة السُّلْطان، فيقابَل عليها في ديوان الإقْطاع، ثم إنْ أَمْضاها السُّلْطانُ كَتَبَ عليها: «يُكْتَب» فتُكْتَب المُرَبَّعة من ديوان الإقْطاع، ثم يُكْتَب عليا المَنْشُور كما تقدَّم في الجُنْد الذين بالحَضْرَة، وإن لم يُمْضِها السُّلْطان أَخْرَج الإقْطاع لمن يُريد.

ومَنْ ماتَ من الأُمَرَاء والجُنْد قبل اسْتِكْمال مُدَّة الخِدْمَة، حوسِبَ وَرَثَتُه على حُكْم الاسْتِحْقاق، ثم إمَّا يُرْتَجَع منهم أو يُطْلَق لهم على قَدْر حُصُول العناية بهم.

وإقْطاعاتُ الأُمَرَاء والجُنْد، منها ما هو بِلادٌ يستغلُّها مُقْطَعُها كيف شاء، ومنها ما هو نَقْدٌ على جِهات يتناوَلُها منها[3]. ولم يَزَل الحالُ على ذلك حتى رَاكَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون

---

a) بولاق: حجة.

---

[1] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٤٧-٤٨.

[2] المقريزي: السلوك ١: ٦٥٨، ٦٧٢؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٧: ١٥٠؛ Ayalon, D., «Le régiment bahriya dans l'armée mamelouke», *REI* 14 (1951), pp. 138-41.

[3] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٤٧-٤٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٥٠-٥١، ٦٢؛ وانظر عن الإقطاع فيما تقدم ١: ٢٥٧-٢٦٤. والمراجع المذكورة في ١: ٢٦١هـ[1]، وأضِف إليها، السيد الباز العريني: الإقطاع الحربي بمصر زمن سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٥٦؛ =

البلاد ـ كما تقدَّم في أوَّل هذا الكِتاب عند الكلام على الخَرَاج ومبلغه ـ فأبْطَلَ عِدَّة جهات من المُكوس، وصارَتِ الإقْطاعاتُ كلُّها بِلادًا[1].

والذي استقرَّ عليه الحالُ في إقْطاعات الدِّيار المصرية ـ ما رَتَّبه[a] الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون في الرَّوْك النَّاصِرِي، وهو عِدَّةُ الجُيُوش المنصورة في الدِّيار المصرية ـ أربعة وعشرون ألف فارس، تفصيل ذلك[2]:

أُمَرَاءُ الألوف ومَماليكُهم: ألفان وأربع مائة وأربعة وعشرون فارِسًا. تفصيل ذلك: نائِبٌ ووَزيرٌ وألوف خاصَّكَية ثمانية أُمَرَاء، وألوف خَرْجية أربعة عشر أميرًا، ومَماليكهم ألفان وأربع مائة فارِس.

أُمَرَاءُ طَبْلَخاناه ومَماليكُهم: ثمانية آلاف ومائتا فارس. تفصيلُ ذلك: خاصَّكِيَّة أربعة وخمسون أميرًا، وخَرْجية مائة وستة/ وأربعون أميرًا ومَماليكهم ثمانية آلاف فارِس، من ذلك[b] **كُشَّاف ووُلاةٌ بالأقاليم**: خمس مائة وأربعة وسبعون؛ تفصيل ذلك: ثَغْرُ الإسكندرية واحِد، والبُحَيْرَة واحِد، والغَرْبِيَّة واحِد، والشَّرْقِيَّة واحِد، والمَنُوفِيَّة واحِد، وقَطْيا واحِد، وكاشِف الجِيزَة واحِد، والفَيُّوم واحِد، والبَهْنَسا واحِد، والأُشْمونَيْن واحِد، وقُوص واحِد، وأُسْوان واحِد، وكاشِفُ الوَجْه البَحْري واحِد، وكاشِفُ الوَجْه القِبْلي واحِد، ومَماليكهم خمس مائة وستون.

أُمَرَاءُ العَشْراوات ومَماليكُهم: ألفان ومائتا فارِس، تفصيل ذلك: خاصَّكِيَّة ثلاثون، وخَرْجية مائة وسبعون أميرًا، ومَماليكهم ألفان.

---

a) بولاق: مما رتبه. b) ساقطة من بولاق.

= «الإقطاع في الشَّرق الأوسط منذ القرن السابع حتى القرن الثالث عشر الميلادي ـ دراسة مقارنة»، حوليات كلية الآداب ـ جامعة عين شمس ٤ (١٩٥٧)، ١١٣–١٤٨؛ إبراهيم علي طرخان: النُّظُم الإقْطاعية في الشَّرق الأوسط في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٦٨؛ Rabie, H., *The Financial System of Egypt A.H. 564-741/A.D.* 1169-1341, London 1972, pp. 26-72; Cahen, Cl., *EI*[2] art. *Ikṭā'* III, pp. 1115-18؛ نزار يونس حسن: نظام الإقْطاعات الحربية في مصر المملوكية، القاهرة ١٩٩٨.

[1] فيما تقدم ١: ٢٣٥–٢٤٤.

[2] لم يُحَدِّد المقريزي مَصْدَر هذا النَّصّ التفصيلي، الذي أُرَجِّح أنّه استكمال للنَّصّ الذي نقله (فيما تقدم ١: ٢٣٧) عن جامع «السِّيرة النَّاصرية»، أي كتاب «نُزْهَة النَّاظر في سيرة الملك النَّاصر» لموسى بن محمد بن يحيى اليوسفي، المتوفى سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٨م. (انظر فيما تقدم ١: ١٢٨هـ[4]).

وُلاةُ الأقاليم: سبعة وسبعون أميرًا. تَفْصيلُهم: أُشْمون الرُّمَّان واحِد، وقَلْيُوب واحِد، والجيزَة واحِد، وتَرُّوجا واحِد، وحاجِبُ الإسْكَنْدَرية واحِد، وأَطْفيح واحِد، ومَنْفَلوط واحِد، ومَماليكُهم سبعون فارِسًا.

مُقَدَّمُو الحَلْقَة والأَجْناد: أَحَدَ عشر ألفًا ومائة وستَّة وسبعون فارِسًا، تَفْصيلُ ذلك: مُقَدَّمو المماليك السُّلْطانية أربعون، مُقَدَّمُو الحَلْقَة مائة وثمانون.

نُقَباءُ الأُلوف: أربعة وعشرون نَقيبًا.

مَماليكُ السُّلْطان وأجنادُ الحَلْقَة: عشرة آلاف وتسع مائة واثنان وثلاثون فارِسًا، تَفْصيلُ ذلك: مَماليكُ السُّلْطان ألفا مَمْلوك، أجْنادُ الحَلْقَة ثمانية آلاف وتسع مائة واثنان وثلاثون فارِسًا.

عَبْرَةُ ذلك: الخاصَّكيةُ الأُلوف والنَّائِبُ والوَزير: كلٌّ منهم مائة ألف دينار، وكلُّ دينار عشرة دَراهِم.

الارْتِفاعُ: ألْف ألْف دِرْهَم بما فيه من ثَمَن الغِلال: كلُّ إرْدبٍّ واحِد من القَمْح بعشرين دِرْهمًا، والحُبوبُ كلّ إرْدب منها بعشرة دَراهم. من ذلك: الكُلَف مائة ألْف دِرْهَم، والخالِص تسع مائة ألف دِرْهَم.

الأُلوف الخَرْجِيّة: كلٌّ منهم خمسة وثمانون ألف دينار، كلُّ دينار عشرة دَراهِم.

الارْتفاعُ: ثمان مائة ألف وخمسون ألفًا، بما فيه من ثَمَن الغِلال على ما شُرِحَ فيه. من ذلك: الكُلَف سبعون ألف درهم، والخالِص لكلٍّ منهم سبع مائة وثمانون ألف دِرْهَم.

الطَّبْلَخاناه الخاصَّكِيّة: كلٌّ منهم أربعون ألف دينار، كلُّ دينار عشرة دَراهِم. الارْتِفاعُ: أربع مائة ألف دِرْهَم، بما فيه من ثَمَن الغِلال على ما شُرح فيه. من ذلك: الكُلَف خمسة وثلاثون ألف درهم، والخالِص لكل منهم ثلاث مائة ألْف[a] وخمسة وستون ألف درهم.

الطَّبْلَخاناه الخَرْجية: ثلاثون ألف دينار، كلُّ دينار ثمانية دَراهِم. الارْتِفاعُ: مائتا ألف وأربعون ألف دِرْهَم، بما فيه من ثَمَن الغِلال على ما شُرِحَ. من ذلك: الكُلَف أربعة وعِشْرون ألف دِرْهَم، والخالِص مائتا ألف وستة عشر ألف دِرْهَم.

---

a) ساقطة من بولاق.

العَشْراوات الخاصَّكِيَّة : كلٌّ منهم عشرة آلاف دينار ، كلُّ دينار عشرة دَراهِم . الارْتِفاعُ : مائتا ألف دِرْهَم ، بما فيه من ثَمَن الغِلال على ما شُرِحَ . من ذلك : الكُلَف سبعة آلاف دِرْهَم ، والخالِص لكلٍّ منهم ثلاثة وتسعون ألف دِرْهَم .

العَشْراوات الحَرَجِيَّة : كلٌّ منهم سبعة آلاف دينار ، كلُّ دينار عشرة دَراهِم . الارْتِفاعُ : سبعون ألف درهم ، بما فيه من ثَمَن الغِلال على ما شُرِحَ . من ذلك : الكُلَف خمسة آلاف درهم ، والخالِص لكلٍّ منهم خمسة وستون ألف درهم . ٥

الكُشَّــافُ : لكلٍّ منهم عشرون ألف دينار ، كلُّ دينار ثمانية دَراهِم . الارْتِفاعُ : مائة ألف وستون ألف دِرْهَم ، بما فيه من ثَمَن الغِلال على ما شُرِحَ . من ذلك : الكُلَف خمسة عشر ألف دِرْهَم ، والخالِص مائة ألف وخمسة وأربعون ألف دِرْهَم .

الوُلاةُ الطَّبلَخاناه : كلٌّ منهم خمسة عشر ألف دينار ، كلُّ دينار ثمانية دَراهِم . الارْتِفاعُ : مائة وعشرون ألف دِرْهَم ، بما فيه من ثَمَن الغِلال على ما شُرِحَ . من ذلك : الكُلَف عشرة آلاف درهم ، خالِصُ كلٍّ[a] منهم مائة ألف وعشرة آلاف دِرْهَم . ١٠

الوُلاةُ العَشْراوات : لكلٍّ منهم خمسة آلاف دينار ، كلُّ دينار سبعة دَراهم . الارتفاع : خمسةٌ وثلاثون ألف دِرْهَم ، بما فيه من ثَمَن الغِلال[b] على ما شُرِحَ . من ذلك : الكُلَف ثلاثة آلاف درهم ، خالِص كُلٍّ منهم اثنان وثلاثون ألف درهم . ١٥

مُقَدَّمو مماليك السُّلْطان : كلٌّ منهم ألف ومائتا دينار ، كلُّ دينار عشرة دَراهِم . الارْتِفاعُ : اثنا عشر ألف دِرْهَم ، بما فيه من ثمن الغِلال على ما شُرِح . من ذلك : الكُلَف ألف دِرْهَم ، خالِصُ كلٍّ منهم أَحَدَ عشر ألف دِرْهَم .

مقدَّمو الحَلْقَة : كلٌّ منهم ألف دينار ، كلُّ دينار تسعة دَراهِم . الارْتِفاعُ : تسعة آلاف دِرْهَم ، بما فيه من ثَمَن الغِلال . من ذلك : الكُلَف تسع مائة دِرْهَم ، خالِصُ كلٍّ منهم ثمانية آلاف دِرْهَم ومائة دِرْهَم . ٢٠

نُقَباءُ الأُلـوف : لكلٍّ منهم أربع مائة دينار ، كلُّ دينار تسعة دَراهِم . الارْتِفاعُ : ثلاثة آلاف وستّ مائة دِرْهَم ، بما فيه من ثَمَن الغِلال . من ذلك : الكُلَف أربع مائة دِرْهَم ،

---

a) بولاق : الخالص لكل . b) بولاق : المغل .

والخالِص لكلٍّ منهم ثلاثة آلاف ومائتا درهم. مَمَاليكُ السُّلْطان: أَلْفان.

بابَة أربع مائة مَمْلوك: لكلٍّ منهم ألف وخمس مائة دينار، كلُّ دينار عشرة دَراهِم، عنها خمسة عشر ألف دِرْهَم.

بابَةُ خُمْسُ مَائة مَمْلوك: كلٌّ واحِدٍ ألف وثلاث مائة دينار، سِعْر عشرة دَراهِم، عنها ثلاثة عشر ألف دِرْهم.

بابَةُ خُمْسِ مائة مَمْلوك: لكلٍّ منهم ألف دينار ومائتا دينار، عنها اثنا عشر ألف دِرْهَم.

بابَةُ ستّ مائة مَمْلوك: لكلٍّ واحِدٍ/ ألف دينار، عنها عشرة آلاف دِرْهَم.

أجْنـــادُ الـحَــلْقَة: عِدَّة[a] ثمانية آلاف وتسع مائة واثنين وثلاثين فارِسًا.

بابَةُ ألف وخَمْسِ مائة فارِس: لكلٍّ منهم تسع مائة دينار بتسعة آلاف دِرْهَم.

بابَةُ ألف وثلاث مائة وخمسين جُنْديًّا: لكلٍّ منهم ثمان مائة دينار بثمانية آلاف درهم.

بابَةُ ألف وثلاث مائة وخمسين جُنْديًّا: كلٌّ منهم سبع مائة دينار: عنها سبعة آلاف دِرْهَم.

بابَةُ ألف وثلاث مائة جُنْديّ، لكلٍّ منهم ستّ مائة دينار بستة آلاف درهم.

بابَةُ ألف وثلاث مائة: كلٌّ منهم بخُمْس مَائةِ دينار بخمسة آلاف دِرْهَم.

بابَةُ ألف ومائة جُنْديّ: لكلٍّ منهم أربع مائة دينار بأربعة آلاف دِرْهم.

بابَةُ ألف واثنين وثلاثين جُنْديًّا: لكلٍّ منهم ثلاث مائة دينار، سِعْر عشرة دَراهِم، عنها ثلاثة آلاف دِرْهَم.

وأرْبابُ الوَظائِف من الأُمَراء بعد النِّيابَة والوَزارَة: أميرُ سِلاح، والدَّوادار، والحُجْبَة وأميرُ جانْدار، والأُسْتادَّارُ، والمِهْمَنْدار، ونَقيبُ الجُيوش، والوُلاة.

فلمَّا ماتَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون، حَدَثَ بين أجْناد الحَلْقَة نُزولُ الواحِد منهم عن إقْطاعِه لآخَر بمالٍ أو مُقايَضَة الإقْطاع بغيره، فكَثُرَ الدَّخيل في الأجْناد بذلك، واشْتَرَت السُّوقَة والأراذِل الإقْطاعات، حتَّى صارَ في زَمَننا أجْنادُ الحَلْقَة أكثرهم أصْحابُ حِرَفٍ وصِناعات، وخَرِبَت منهم أراضي إقْطاعاتِهم[1].

---

a) ساقطة من بولاق.

---

[1] انظر كذلك، المقريزي: السلوك ٤: ٤٦٢.

وأوَّل ما حَدَث ذلك أنَّ السُّلْطانَ الملكَ الكامِل شَعْبان بن محمد النَّاصِر[a] بن قَلاوون ، لمَّا تَسَلْطَن في شهر رَبيع الآخر سنة ستٍّ وأربعين وسبع مائة ، تمكَّن منه الأميرُ شُجاعُ الدِّين أُغُرْلو شادّ الدَّواوين ، واستجدَّ أشياءَ : منها المُقايَضَة بالإقْطاعات في الحَلْقَة ، والنُّزول عنها . فكان من أَراد مُقايَضَة أَحَدٍ بإقْطاعِه حَمَلَ كلٌّ منهما مالًا لبَيْت المال يُقَرِّر عليهما ، ومن اخْتار خُبْزًا[b] بالحَلْقَة يزن على قَدْر عَبْرَته في السنة دنانير يحملها لبَيْت المال ؛ فإن كانت عَبْرَةُ الخُبْز[c] الذي يُريده خمس مائة دينار في السنة ، حَمَلَ خمس مائة دينار . ومن أراد النُّزول عن إقْطاعِه ، حَمَلَ مالًا لبَيْت المال بحسب ما يقرِّر عليه أُغُرلو . وأفرد لذلك ولِمَا يؤخَذ من طالِبي الولايات والوَظائِف[d] ديوانًا سَمَّاه «ديوان البَدَل» . وكان يُعَيِّنُ في المَنْشور الذي يخرج بالمقايَضَة المبلغ الذي يَقوم به كلٌّ من الجُنْديين . وكان ابتداءُ هذا في جُمادَى الأولى من السنة المذكورة ، فقامَ الأُمَراءُ في ذلك مع السُّلْطان حتى رُسِمَ بإبطالِه .

فلمَّا وَلِيَ الأميرُ مَنْجَك اليُوسُفي الوَزارَة ، وسَيَّرَه في المال ، فَتَحَ في سنة تسعٍ وأربعين باب النُّزول والمُقايضات . فكان الجُنْدي يَبيعُ إقْطاعَه لكلِّ من بَذَلَ له فيه مالًا ، فأَخَذَ كثيرٌ من العامَّة الإقْطاعات . فكان يُبْذَل في الإقْطاع مبلغ عشرين ألف درهم ، وأقلُّ منه على قَدْر مُتَحَصَّله ، وللوَزير رَسْمٌ معلوم ، ثم مُنِعَ من ذلك [1] .

فلمَّا كانت نِيابَةُ الأمير سَيْف الدِّين قَبْلاي ، في سنة ثلاثٍ وخمسين ، مَشَّى أحْوال الأجْناد في المُقايَضَات والنُّزولات . فاشْتَرَى الإقْطاعات الباعَةُ وأَصْحابُ الصَّنائِع ، وبيعت تَقادُم الحَلْقَة وانْتُدِبَ لذلك جَماعَةٌ عُرِفَت بالمُهَيِّسين ، بَلَغَت عِدَّتهم نحو الثلاث مائة مُهَيِّس ، وصارُوا يَطُوفون على الأجْناد ، ويرغِّبونهم في النُّزول عن إقْطاعاتِهم أو المُقايَضَة بها ، وجَعَلُوا لهم على كلِّ ألف دِرْهَم مائة دِرْهَم .

فلمَّا فَحُشَ الأَمْرُ ، أَبْطَلَ الأميرُ شَيْخون العُمَري النُّزولات والمُقايضَات ، عندما استقرَّ رأسَ نَوْبَة واسْتَقَلَّ بتَدْبير أُمور الدَّوْلَة ، وتقدَّم لمُباشِري ديوان الجَيْش أَلَّا يأخذوا رَسْم المَنْشور والمحاسَبَة سوى ثلاثة دَراهِم ، بعدما كانوا يأخُذون عشرين دِرْهَمًا [2] .

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : حيزا . c) بولاق : الحيز . d) بولاق : الوظائف والولايات .

[1] انظر فيما يلي ٢: ٣٢١-٣٢٢ .

[2] من المُؤَسِف أنَّه لم تصل إلينا (باسْتِثْناء المناشير والمراسيم المُوَجَّهَة لرُهْبان دير سانْت كاترين ، والتي نَشَرَ الجزء الفاطمي منها صمويل شتيرن Stern, S.M., *Fatimid Decrees*, =

ذِكْرُ الحِجَبَة [a]

وكانت رُتْبَةُ الحَجَبَة في الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة جليلَةً ، وكانت تلي رُتْبَة نِيابَة السَّلْطَنَة ، ويُقالُ لأكبر الحُجَّاب [b] «حـاجِب الحُـجَّـاب» .

ومَوْضُوعُ الحَجَبَة أنَّ مُتَوَلِّيها يُنْصِف من الأُمَرَاء والجُنْد : تارَةً بنفسه ، وتارَةً بمُشاوَرَة السُّلْطان ، وتارَةً بمُشاوَرَة النَّائِب [إنْ كان] [c]. وكان إليه تقديم من يَعْرِض ومن يَرِد ، وعَرْض الجُنْد ، فإن لم ٥ يكن نائِبُ السَّلْطَنَة فإنَّه هو المشار إليه في الباب ، والقائِمُ مَقام النُّوَّاب في كثيرٍ من الأُمُور [1].

وكان حُكْمُ الحاجِب لا يَتَعَدَّى النَّظَر في مُخاصَمات الأجْناد واخْتِلافهم في أُمُور الإقْطاعات ، ونحو ذلك . ولم يكُن أحَدٌ من الحُجَّاب فيما سَلَفَ يتعرَّض للحُكْم في شيءٍ من الأُمُور الشَّرْعِيَّة ، كتداعي الزَّوْجَيْن وأَرْباب الدُّيُون ، وإنَّما يَرْجِع ذلك إلى قُضَاة الشَّرْع .

ولقد عهدنا دائمًا أنَّ الواحِدَ من الكُتَّاب أو الضُّمَّان ونحوهم ، يَفِرُّ من باب الحاجِب ويَصير ١٠ إلى باب أحَد القُضَاة ويَسْتجير بحُكْم الشَّرْع ، فلا يَطْمَعُ أحَدٌ بعد ذلك في أخْذِه من باب القاضي .

---

a) كذا في مسالك الأبصار ، وعند القلقشندي وأبي المحاسن : الحجوبية . b) بولاق : الحجبة . c) إضافة من مسالك الأبصار .

=Ernest, H., London 1964 ، والجزء المملوكي منها Die mamlukischen Sultansurkunden des Sinai - Klosters, Wiesbaden 1960) أيَّةُ وَثائق أصلية صادرة عن ديوان الإنْشاء المملوكي ، والوَثيقَةُ العامَّة الوحيدة الصَّادِرة عن ديوان الإنْشاء المملوكي التي حَفِظَها لنا التاريخ ، هي مَنْشورٌ صادِرٌ عن السُّلْطان الغُوري - آخر سلاطين المماليك الشَّراكِسَة - بمَنْح إقْطاعٍ للأمير تُمُرْباي السَّيْفي قِجْماس ، أَحَد أُمَرَاء الطَّبْلخاناه بمصر - مُؤَرَّخٌ في ٧ ذي الحجة سنة ٩١٦هـ/ ١٥١١م (محفوظ في دَفْتَرخانه وزارة الأوقاف بالقاهرة برقم ٧٨٩ح) ، ونَشَرَه محمد محمد أمين بعنوان : «مَنْشُورٌ بمَنْح إقْطاعٍ من عَصْر السُّلْطان الغُوري» ، حوليات إسلامية An. Isl. ١٩ (١٩٨٣) ، ١- ٢٣.

[1] ابن فضل الله العمري : مَسالك الأبصار ٥٦- ٥٧؛ القلقشندي : صبح الأعشى ١٩:٤- ٢٠؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٨٥:٧- ١٨٦؛ السيوطي : حسن المحاضرة ١٣١:٢.

وعن أصل وظيفة الحاجب وتاريخها ، راجع ، القلقشندي : صبح الأعشى ٤٤٩:٥- ٤٥٠؛ السبكي : معيد النعم ٤٠- ٤٢؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٨٥:٧؛ حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ٣٨٨- ٣٩٣؛ ماجد : نظم سلاطين المماليك ٤٥:٢- ٤٦.

وكان فيهم من يُقيم الأشهر والأعْوام في تَرْسيم القاضي، حِمايةً له من أيْدي الحُجّاب. ثم تَغَيَّرَ ما هنالك، وصارَ الحاجِبُ اليوم اسْمًا لِعِدَّة جَماعَةٍ من الأُمَرَاء يَنْتَصِبون للحُكْم بين النّاس، لا لغَرَضٍ إلّا لتضْمين أبْوابهم بمالٍ مُقَرَّرٍ في كلِّ يومٍ على رأس نَوْبَة النُّقَبَاء، وفيهم غير واحدٍ ليس لهم على الإمْرَة إقْطاعٌ، وإنّما يَرْتَزِقون من مَظالِم العِباد.

٢٢٠:٢ وصارَ الحاجِبُ اليوم يحكم في كلِّ جَليلٍ وحَقيرٍ من النّاس، سواء كان/ الحُكْمُ شَرْعِيًّا أو سياسيًّا بزَعْمِهم، وإن تعَرَّض قاضٍ من قُضَاةِ الشَّرْع لأخْذ غَريمٍ من باب الحاجِب لم يُمَكَّن من ذلك. ٥

ونَقيبُ الحاجِب اليوم، مع رَذالة الحاجِب وسَفالَته وتَظاهُره من المُنْكَر بما لم يكن يُعْهَد مثله، يَتظاهَر به أطْرافُ السُّوقَة. فإنَّه يأخذ الغَريم من باب القاضي، ويَتَحَكَّم فيه من الضَّرْب وأخْذ المال بما يختار، فلا يُنْكِرُ ذلك أحَدٌ ألبتَّة. ١٠

وكانت أحْكَامُ الحُجّاب أوَّلًا يُقال لها «حُكْم السِّياسَة»، وهي لَفْظَةٌ شَيْطانيةٌ لا يَعْرف أكثرُ أهْل زَمَننا اليوم أصْلَها، ويَتَساهَلون في التلفُّظ بها ويقولون هذا الأمرُ ممَّا لا يمشي في الأحْكام الشَّرْعِيَّة، وإنَّما هو من حُكْم السِّياسَة ويحسبونه هَيِّنًا، وهو عند الله عَظيم. وسأُبَيِّنُ معنى ذلك، وهو فَصْلٌ عَزيز.

ذِكْرُ أحْكام السِّـــياسَة ـ اعْلَم أنَّ النّاسَ في زَمَننا، بل ومنذ عَهْد الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة بديار مصر والشّام، يَرَوْن أنَّ الأحْكامَ على قِسْمَيْن: حُكْم الشَّرْع، وحُكْم السِّياسَة. ولهذه الجملة شَرْحٌ: فالشَّريعَة هي ما سَنَّ[a] الله تعالى من الدِّين وأَمَرَ به كالصَّلاة والصِّيام والحَجّ وسائِر أعمال البِرّ. ١٥

واشتقّ الشَّرْعُ من شاطئ البَحْر. وذلك أنَّ الموضعَ الذي على شاطئ البَحْر تَشْرَعُ فيه الدَّوابُّ، وتُسَمِّيه العَرَبُ «الشَّريعَة»، فيقولون للإبل، إذا وَرَدَت شَريعَة الماء، وشَرِبَت: قد شَرَعَ فُلانٌ إبله، وشَرَّعَها ـ بتشديد الراء ـ إذا أوْرَدَها شَريعَة الماء. والشَّريعَةُ، والشُّراعُ، والشِّرْعَةُ: المواضِعُ التي ينحدر الماءُ فيها، ويُقالُ شَرَعَ الدِّين يَشْرَعَه شَرْعًا، بمعنى سَنَّه. قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّين مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ [الآية ١٣ سورة الشُّورى]. ٢٠

ويُقال سَاسَ الأَمْرَ سياسَةً، بمعنى قامَ به، وهو سائِسٌ، من قوم ساسَة وسُوس. وسَوَّسَه القوم: جعلوه يسوسُهم. والسُّوس: الطَّبْع والخُلُق، فيُقال الفَصاحَة من سُوسِه، والكَرَمُ من سُوسِه، أي

---

a) بولاق: شرع.

من طَبْعه . فهذا أَصْلُ وَضْع السِّياسَة في اللُّغَة ، ثم رُسِمَت بأنَّها القانُونُ الموضوع لرعاية الآداب والمَصالِح ، وانْتِظام الأحْوال .

والسِّياسَةُ نَوْعان : سياسَةٌ عادِلَةٌ تُخْرِج الحَقَّ من الظالِم الفاجِر ، فهي من الأحْكام الشَّرْعِيَّة ، عَلِمَها من عَلِمَها وجَهِلَها من جَهِلها . وقد صَنَّف النَّاسُ في السِّياسَة الشَّرْعِيَّة كُتُبًا متعدِّدة . والنَّوْعُ الآخر : سِياسَةٌ ظالِمَة ، فالشَّريعَةُ تُحَرِّمها . وليس ما يقوله أهْلُ زَمَانِنا في شيءٍ من هذا ، وإنَّما هي كلمةٌ مُغلية أَصْلُها «ياسَــة» ، فحرَّفَها أهْلُ مصر ، وزادوا بأوَّلها سِينًا فقالوا : «سِياسَة» ، وأدخلوا عليها الألف واللام ، فظَنَّ من لا عِلْمَ عنده أنَّها كَلِمَة عربية ، وما الأَمْرُ فيها إلَّا ما قُلْتُ لك [1].

واسْمَع الآن كيف نَشَأت هذه الكَلِمَة حتى انتشرت بمصر والشَّام . وذلك أنَّ جَنْكِزْ خان ، القائِمُ بدَوْلَة التَّتَر في بِلاد الشَّرق ، لمَّا غَلَبَ الملك أونك خان ، وصارَت له دَوْلَة ، قَرَّرَ قواعدَ وعُقُوباتٍ أثْبَتَها في كِتاب سَمَّاه «يَاسَــة» ، ومن النَّاس من يُسَمِّيه «يَسَــق» ، والأصْل في اسمه يَاسَة . ولمَّا تَمَّ وَضْعُه ، كَتَبَ ذلك نَقْشًا في صَفائِح الفُولاذ ، وجَعَلَه شَرِيعَةً لقَوْمِه ، فالْتَزَموه بعده حتى قَطَعَ الله دابِرَهم .

وكان جَنْكِزْ خان لا يتديَّن بشيءٍ من أدْيان أهْل الأرْض ـ كما تَعْرف هذا إن كُنْتَ أشْرَفْتَ على أخْبارِه ـ فصارَ اليَاسَةُ حُكْمًا بتًّا ، بقي في أعْقابِه لا يَخْرُجُون عن شيءٍ من حُكْمِه . وأَخْبَرَني العَبْدُ الصَّالِحُ الدَّاعي إلى الله تعالى أبو هاشِم أحمد بن البُرْهَان ـ رحمه الله ـ أنَّه رأى نُسْخَةً من اليَاسَة بخِزانَة المَدْرَسَة المُسْتَنْصِرِيَّة بِبَغْداد .

ومن جُمْلَة ما شَرَعَه جَنْكِزْ خان في اليَاسَة أنَّ مَنْ زَنَى قُتِل ـ ولم يُفَرِّق بين المُحْصَن وغير المُحْصَن ، ومن لاطَ قُتِلَ ، ومَنْ تَعَمَّدَ الكَذِب أو سَحَرَ أو تَجَسَّس على أحَدٍ أو دَخَلَ بين اثنين وهما

---

[1] انظر أيضًا أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٥:٣٦٥–٣٦٧ ، ٦:٢٦٨ ، ٧:١٨٢–١٨٣ .

وكان أوَّل من اهتم بدراسة ياسة جَنْكِزْخان وتأثيرها على دولة المماليك في مصر المستشرق بولياك الذي كتب في سنة ١٩٤٢ مقاله Poliak, A.N., «The Influence of Chigiz-Khan's Yasa upon the General Organization of the Mamluk state», *BSOAS* X (1940-42), pp. 862-76؛ ثم كَتَبَ ديفيد آيالون سلسلةً من المقالات حول ياسة جنكزخان وتأثيراتها على دولة المماليك مع عرضٍ للفقرة المطوَّلة التي كَتَبها المقريزي عن أحكام السِّياسَة ، انظر Ayalon, D., «The Great Yâsa of Chingiz Khân . A Re-examination», *SI* 33 (1971), pp. 97-140; 34 (1971), pp. 150-180; 26 (1972), pp. 113-158; 32 (1973), pp. 107-56؛ وكتب مؤخَّرًا مورجان Morgan, D. O., «The Great Yasa of Chingiz Khân and Mongol Law in the Ilkhânate», *BSOAS* XLIX (1986), pp. 163-76.

يتخاصمان وأعانَ أحدَهما على الآخر قُتِلَ، ومَنْ بالَ في الماء أو على الرّماد قُتِل، ومَنْ أُعطِي بضاعةً فخَسِر فيها ثم أَخَذَ بضاعةً أخرى فخَسِرَ فيها ثم أَخَذ بضاعةً أخرى فخَسِرَ فيها فإنّه يُقْتَل بعد الثالثة، ومَنْ أطْعَمَ أَسيرَ قَوْمٍ أو كَساه بغير إذنهم قُتِل، ومَنْ وَجَدَ عَبْدًا هارِبًا أو أسيرًا قد هَرَبَ ولم يردّه على من كان في يديه قُتِلَ.

وأنَّ الحَيوانَ تُكتَّف قَوائِمُه ويُشَقّ بَطْنُه ويُمرَّس قلبُه إلى أن يموت ثم يؤكل لَحْمُه، وأنَّ من ذَبَحَ حَيوانًا كذَبيحَةِ المسلمين ذُبِح، ومَنْ وَقَعَ حملُه أو قَوْسُه أو شيءٌ من مَتاعه، وهو يَكِرّ أو يَفِرّ في حالة القِتال، وكان وراءَه أحد، فإنَّه ينزل ويناول صاحِبه ما سَقَطَ منه، فإن لم ينزل ولم يناوله قُتِل.

وشَرَطَ ألّا يكون على أَحَدٍ من وَلَد عليّ بن أبي طالِب ـ رضي الله عنه ـ مؤُنَة ولا كُلْفَة، وألّا يكون على أَحَدٍ من الفُقَراء، ولا القُرّاء، ولا الفُقَهاء، ولا الأطِبّاء، ولا من عَداهُم من أَرْباب العُلُوم وأصْحاب العِبادَة والزُّهْد والمؤذِّنين ومُغَسّلي الأموات كُلْفَةٌ ولا مُؤْنَة. وشَرَطَ تَعْظيم جَميع المِلَل من غير تَعَصُّب لِمِلّة على أخرى، وجَعَلَ ذلك كلّه قُرْبَةً إلى الله تعالى.

وأَلْزَمَ قومَه ألّا يأكل أَحَدٌ من يد أَحَدٍ حتى يأكل المناوِل منه أوّلًا، ولو أنّه أميرٌ ومن يُناوله أَسير. وأَلْزَمَهُم ألّا يَتَخَصَّص أحَدٌ بأكْل شيءٍ وغيره يَراه، بل يُشْرِكه معه في أكْله. وألزمهم أن لا يتميَّز أحَدٌ منهم بالشِّبَع على أصحابِه، ولا يَتَخَطّى أَحَدٌ نارًا ولا مائِدَةً ولا الطَّبَق الذي يؤكَل عليه، وأن مَنْ مَرَّ بقَوْمٍ وهم يأكُلون فله أن ينزل ويأكُل معهم من غير إذْنِهم وليس لأحَدٍ مَنْعُه.

وأَلْزَمَهُم ألّا يُدْخِل أَحَدٌ منهم يَدَه في الماء ولكنه يَتناوَل/ الماءَ بشيءٍ يغترفه به، ومَنَعَهُم من غَسْل ثِيابِهم بل يَلْبَسونها حتى تَبْلَى، ومَنَعَ أن يُقال لشيءٍ إنَّه نَجِس، وقال جَميعَ الأشياء طاهِرَة، ولم يُفَرِّق بين طاهِرٍ ونَجِس.

وأَلْزَمَهُم ألّا يَتَعَصَّبوا لشيءٍ من المذاهِب، ومَنَعَهم من تَفْخيم الألْفاظ ووَضْع الألْقاب، وإنَّما يُخاطَب السُّلْطان ومَنْ دونه ويدعى باسمه فقط.

وأَلْزَمَ القائِمَ بعده بعَرْض العَساكِر وأَسْلِحَتِها إذا أرادوا الخُروج إلى القِتال، وأنّه يعرض كلّ ما سافَرَ به عسكرُه، وينظر حتى الإبْرَة والخَيْط، فمن وَجَدَه قد قَصَّرَ في شيءٍ ممَّا يَحْتاج إليه عند عَرْضِه إيّاه عاقَبَه، وألزم نِساءَ العَساكِر بالقيام بما على الرِّجال من السُّخَر والكُلَف، في مُدّة غَيْبَتِهم في القِتال، وجَعَلَ على العَساكِر إذا قَدِمَت من القِتال كُلْفَةً يقومون بها للسُّلْطان ويؤدّونها إليه.

وأَلْزَمَهُم عند رأْس كلّ سنةٍ بعَرْض سائِر بَناتِهم الأبْكار على السُّلْطان ليَخْتار منهن لنفسه وأوْلادِه. ورَتّب لعَساكِره أُمَرَاءَ، وجَعَلَهُم أُمَرَاء أُلوف، وأُمَرَاء مِئين، وأُمَرَاء عَشْراوات. وشَرَعَ

أن أكبر الأُمَرَاء إذا أذْنَب وبَعَثَ إليه الملك أخَسَّ من عنده حتى يُعاقبه ، فإنّه يُلْقي نفسه إلى الأرض بين يدي الرّسول وهو ذَليلٌ خاضِعٌ ، حتى يُمْضي فيه ما أَمَرَ به الملكُ من العُقوبَة ولو كانت بِذَهاب نَفْسه .

وأَلْزَمَهُم ألّا يتردَّد الأُمَرَاءُ لغير الملك ، فمن تَرَدَّدَ منهم لغير الملك قُتِل ، ومَنْ تَغَيَّر عن مَوْضِعه الذي يُرْسَم له بغَيْر إذنٍ قُتل ، وألزم السُّلْطان بإقامَة البَريد حتى يعرف أخبار مملكته بسرعة .

وجَعَلَ حُكْمَ اليَاسَة لوَلَدِه جَغْتاي بن جَنْكِزْ خان ؛ فلمّا ماتَ التزم من بعده من أوْلادِه وأتْباعهم بحُكْم اليَاسَة كالْتِزام أوَّل المسلمين بحُكْم القُرْآن ، وجَعَلوا ذلك دِينًا لم يُعْرَف عن أحَدٍ منهم مُخالَفَته بوَجْه .

فلمّا كَثُرَت وَقائِعُ التَّتَرِ في بلاد المَشْرق والشّمال وبلاد القَبْجاق ، وأَسَرَوا كثيرًا منهم وباعُوهم ، تنقّلوا في الأقْطار . واشترى الملكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّين أيُّوب جَماعَةً منهم سمَّاهم «البَحْـرِيَّة» ، ومنهم من مَلَكَ ديار مصر ، وأوّلهم المُعِزُّ أَيْبَك . ثم كانت لقُطُز معهم الواقعةُ المشهورة على عَيْنِ جالوت وهَزَمَ التَّار وأَسَرَ منهم خَلْقًا كثيرًا صاروا بمصر والشّام [١] .

ثم كَثُرَت «الوافِدِيَّة» في أيّام المَلِك الظَّاهِر بَيْبَرْس وملأُوا مصر والشّام ، وخَطَبَ للملك بَرَكَة ابن يوشى بن جَنْكِز خان على مَنابِر مصر والشّام والحَرَمَيْن . فغُصَّت أرضُ مصر والشّام بطَوائِف المُغُل ، وانتشرت عاداتُهم بها وطَرائقُهم . هذا ومُلوكُ مصر وأُمراؤها وعَساكِرُها قد مُلِئَت قُلوبُهم رُعْبًا من جَنْكِزْ خان وبَنيه ، وامْتَزَجَ بلحمهم ودَمِهم مَهابَتُهم وتَعْظيمُهم [٢] .

وكانوا إنّما رُبُّوا بدار الإسْلام ، ولُقِّنوا القرآن ، وعَرَفوا أحْكامَ المِلَّة المُحَمَّدِيَّة فجَمَعُوا بين الحَقّ والباطِل ، وضَمّوا الجَيِّد إلى الرَّديء ، وفَوَّضُوا لقاضي القُضَاة كلَّ ما يتعلّق بالأمُور الدِّينية من الصَّلاة والصَّوْم والزَّكاة والحَجّ ، وناطُوا به أَمْرَ الأوْقاف والأيْتام ، وجَعَلوا إليه النَّظَرَ في الأقْضِيَة الشَّرْعِيَّة ، كتداعي الزَّوْجَيْن وأرْباب الدُّيون ونحو ذلك . واحْتاجُوا في ذات أنفسهم إلى الرُّجوع لعادَة جِنْكِزْ خان والاقْتِداء بحُكْم اليَاسَة . فلذلك نَصَبُوا الحاجِب ليقضي بينهم فيما اخْتَلَفوا فيه

---

[١] ناقَش ديفيد آيالون الفقرة المطوّلة التي خَصَّصَها المقريزي هنا للحديث عن «ياسَة جَنْكِزْخان» في مقاله Ayalon, D., «The Great Yâsa of Chingiz Khân - A Re-examination : Al-Maqrîzi's Passage on the Yâsa under the Mamluks», *SI* 38 (1973), pp. 107-56.

[٢] عن توافُد «الوافِدِيَّة» على الدولة المملوكية انظر ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ١٣٥-١٣٨ ؛ ومقال آيالون : Ayalon, D., «The Wafidiya and the Mamluk Kingdom», *IC* 25 (1951), pp. 89-104; Amitai - Preiss, R., *Mongols and Mamluks. The Mamluk - Ilkhânid War*, Cambridge 1995, pp. 106-118.

من عَوائِدهم، والأَخْذ على يد قَوِيِّهم وإنْصَاف الضَّعيف منه، على مقتضَى ما في الياسَة. وجَعَلُوا إليه مع ذلك النَّظَر في قَضَايا الدَّواوين السُّلْطانية، عند الاخْتِلاف في أُمُور الإقْطاعات، لِيُنفِّذ ما استَقَرَّت عليه أوْضاعُ الدِّيوان وقَواعِد الحِساب، وكان من أجَلِّ القواعِد وأفضلها. حتى تَحَكَّم القِبْطُ في الأمْوال وخَراج الأراضي، فشَرَّعُوا في الدِّيوان ما لم يأذن به الله تعالى، ليصير لهم ذلك سَبيلًا إلى أكْل مالِ الله تعالى بغير حَقِّه. وكان مع ذلك يحتاج الحاجِبُ إلى مُراجَعَة النَّائِب أو السُّلْطان في معظم الأمُور. ٥

هذا وسِتْرُ الحَياءِ يومئذٍ مَسْدول، وظِلُّ العَدْلِ صافٍ، وجَنابُ الشَّرِيعَةِ محترم، وناموسُ الحِشْمَةِ مُهاب. فلا يكادُ أحَدٌ أن يَزِيغَ عن الحَقّ، ولا يخرُج عن قَضِيَّةِ الحَياء، إن لم يكن له وازِعٌ من دين كان له ناهٍ من عَقْل. ثم تَقَلَّصَ ظِلُّ العَدْلِ، وسَفَرَت أوْجُه الفُجُور، وكَشَّر الجَوْرُ أنيابَه، وقَلَّتِ المبالاةُ وذَهَبَ الحَياءُ والحِشْمَةُ من النَّاس، حتى فَعَلَ مَنْ شاءَ ما شاءَ. وتَعَدَّت منذ عَهْد المِحَن التي كانت في سنة ستٍّ وثمان مائة الحُجَّابُ، وهَتَكوا الحُرْمَةَ وتحكَّموا بالجَوْر تحكُّمًا خَفِيَ معه نُورُ الهُدَى، وتَسَلَّطوا على النَّاس مَقْتًا من الله لأهْل مصر وعُقوبَةً لهم بما كَسَبَت أيْديهم؛ ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية ٤١ سورة الرُّوم]. ١٠

وكان أوَّلُ ما حَكَمَ الحُجَّابُ في الدَّوْلَة التركية بين النَّاس بمصر، أنَّ السُّلْطانَ الملكَ الكامِلَ شَعْبان بن النَّاصِر محمد بن قَلاوون اسْتَدْعَى الأميرَ شَمْس الدِّين آق سُنقُر النَّاصِري - نائِب طَرابُلُس - ليوَلِّيه نِيابَة السَّلْطَنَة بديار مصر عِوَضًا عن الأمير سَيْف الدِّين بَيْغَرا، أميرًا حاجِبًا كبيرًا يحكم بين النَّاس، فخَلَع عليه في جُمادَىٰ الأولىٰ سنة ستٍّ وأربعين وسبع مائة، فحَكَمَ بين النَّاس كما كان نائِبُ السَّلْطَنَة يَحْكُم، وجَلَسَ بين يديه موقِّعان من مُوَقِّعي السُّلْطان لمكاتَبَة الوُلاة بالأعمال ونحوهم، فاستمرَّ ذلك. ثم رَسَمَ في جُمادَىٰ الآخرة منها أن يكون الأمير رَسْلان بَصْل حاجِبًا مع بَيْغَرا يحكم بالقاهِرَة/ على عادَة الحُجَّاب. ١٥ ٢٠ ٢٢٢:١

فلمَّا انْقَضَت دَوْلَةُ الكامِل بأخيه الملك المُظَفَّر حاجي بن محمد، استقرَّ الأميرُ سَيْفُ الدِّين أَرْقُطاي نائِب السَّلْطَنَة، فعادَ أَمْرُ الحُجَّاب إلى العادة القَدِيمَة إلى أن كانت وِلايَةُ الأمير سَيْف الدِّين جُرْجي الحِجابَة، في أيَّام السُّلْطان الملك الصَّالِح صالِح بن محمد بن قَلاوون، فرَسَمَ له أن يتحدَّث في أمْر[a] أرْباب الدُّيون ويفصلهم من غُرَمائهم بأحْكام السِّياسَة. ولم

---

a) ساقطة من بولاق.

تَكُن عادَةُ الحُجَّاب فيما تقدَّم أن يَحْكُمُوا في الأمُور الشَّرعِيَّة.

وكان سَبَبُ ذلك وُقُوفَ تُجَّار العَجَم للسُّلْطان بدار العَدْل في أثناء سنة ثلاثٍ وخمسين وسبع مائة، وذَكَروا أنَّهم ما خَرَجُوا من بِلادهم إلَّا لكثرة ما ظَلَمَهم التَّتار وجارُوا عليهم، وأنَّ التُّجَّار بالقاهِرَة اشْتَروا منهم عِدَّةَ بَضائِع وأكلوا أثْمانَها، ثم هم يُثْبِتون على يد القاضي الحَنَفي إعْسارَهم وهم في سجنه، وقد أفْلَسَ بعضُهم. فرَسِمَ للأمير جُرْجي بإخْراج غُرَمائِهم من السِّجْن، وخَلاص ما في قِبَلِهم للتجّار، وأنكر على قاضي القُضَاة جمال الدِّين عبد الله التُّركماني الحَنَفي ما عَمِلَه، ومَنَعَ من التَّحدُّث في أمْر التُّجَّار والمَدينين. فأخْرَجَ جُرْجي غُرَماء التُّجَّار من السِّجْن وعاقَبَهم، حتى أخَذَ للتُّجَّار ما لهم عندهم[a] شيئًا بعد شيءٍ. وتَمكَّن الحُجَّابُ من حينئذٍ من التَّحكُّم على النَّاس بما شاءوا.

أمير جاندار

موضوعُ أمير جانْدار[1] التَّسلُّم لباب السُّلْطان، وله به[b] البَرْدَدارية[2]، وطَوائِف الرِّكابية، والخَراسانية، والجانْدارية. وهو الذي يُقَدِّم البريد إذا قَدِمَ مع الدَّوادار وكاتِب السِّرّ، وإذا أرادَ السُّلْطانُ تَقريرَ أحَدٍ من الأُمَرَاء على شيءٍ أو قَتْله بذَنْبٍ كان ذلك على يد أمير جانْدار. وهو أيضًا المتسلِّم للزَّرْدَخاناه، وكانت أرْفَعَ السُّجون قَدْرًا ومَنْ اعْتُقِلَ بها لا تَطُول مُدَّته بها، بل يُقْتَل أو يُخَلَّى سبيله؛ وهو الذي يدور بالزَّفَّة حَوْل السُّلْطان في سَفَره مَساءً وصَباحًا[3].

---

a) بولاق: أموالهم منهم. b) بولاق: ولرتبة. c) بولاق: الحرامانية.

---

[1] أميرُ جانْدار. اسم يتألَّف من ثلاث كلمات: «أمير» العربية، و«جان» الفارسية والتركية ومعناها الروح، و«دار» الفارسية ومعناها ممسك؛ فيكون المعنى الكُلِّي «الأمير الممسك للرُّوح»، قال القلقشندي: «ولم يظهر لي وجه ذلك إلَّا أن يكون المراد أنَّه الحافِظُ لدم السُّلْطان فلا يأذن عليه إلَّا لمن يأمَن عاقبته». (صبح الأعشى ٥: ٤٦١).

وانظر كذلك عن الوظائف التي استجدَّها الظَّاهِر بَيْبَرس وهي: إمْرَة سلاح ـ أمير مَجْلِس ـ رأس نَوْبَة ـ أمير آخور ـ أمير جانْدار ـ نقابة الجيوش ـ أمير عَلَم ـ الولاية ـ الحسبة، ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٣٢٣–٣٢٤.

[2] البَرْدَدارِيَّة وواحدها بَرْدَدار. هو الذي يكون في خِدْمَة مُباشِري الدِّيوان في الجملة متحدِّثًا على أعْوانه والمُتَصَرِّفين فيه. وأصله «پَرْدَدار» بفاءٍ في أوَّله، وهو مركَّب من لفظين فارسيين أحدهما «پَرْدَه» ومعناه السِّتارة، والثاني «دَار» ومعناه مُمْسِك، والمراد مُمْسِك السِّتارة. (القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٤٦٨–٤٦٩).

[3] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٥٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٢٠؛ السيوطي: حسن =

الأُسْتَادَّار

([a]كان[1] الأُسْتَادَّار[a]) إليه أَمْرُ البُيُوت السُّلْطانية كلِّها من المطابِخ والشَّراب خاناه والحاشِيَة والغِلْمان، وهو الذي كان يمشي بطَلَب السُّلْطان في السَّرحات والأَسْفار، وله الحُكْمُ في غِلْمان السُّلْطان وباب داره، وإليه أُمور الجاشَنْكيرية - وإن كان كبيرُهم نظيره في الإِمْرَة من ذوي المِئِين - وله أيضًا الحَدِيثُ المُطْلَق والتصرُّف التَّام في اسْتِدْعاء ما يحتاجه كلُّ مَنْ في بَيْتٍ من بُيُوت السُّلْطان من النَّفَقات والكَساوي وما يجري مَجْرى ذلك[2].

ولم تَزَلْ رُتْبَةُ الأُسْتادَّار على ذلك حتى كانت الأيَّامُ الظَّاهِرِيَّة بَرْقوق، فأقامَ الأميرَ جمالَ الدِّين محمود بن عليّ بن أَصْفَر عينه أُسْتَادَّارًا[3]، وناطَ به تَدْبير أَمْوال المملكة، فتصرَّف في جَميع ما يرجع إليه[b] أَمْر الوَزير وناظِر الخاصّ، وصارا يتردَّدان إلى بابِه ويُمْضيان الأُمُور برأيه. فجَلَّت من حينئذٍ رُتْبَةُ الأُسْتادَّار بحيث أنَّه صارَ في معنى ما كان فيه الوَزير في أيَّام الخُلَفاء سَيَّما إذا اعتبرت حالَ الأمير جَمال الدِّين يُوسُف الأُسْتادَّار في الأيَّام النَّاصِرِيَة فَرَج بن بَرْقُوق، كما ذَكَرْناه عند ذِكْر المَدَارِس من هذا الكِتاب[4]، فإنَّك تجده إنَّما كان كالوَزير العَظيم لعُموم تَصَرُّفه ونُفُوذ أَمْره في سائِر أَحْوال المملكة. واستقرَّ ذلك لمن وَلِيَ الأُسْتادَّارية من بعده، والأَمْرُ على هذا إلى اليوم.

a-a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: إلى.

= المحاضرة ٢: ١٣١؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف ١٩٥- ١٩٨؛ ماجد: نظم سلاطين المماليك ٢:٤٨- ٤٩، وفيما تقدم ٢: ٣٨، ٢٠٠).

[1] هكذا ورَدَت في أغْلَب المصادر، ونبَّه القلقشندي إلى أنَّها «الإسْتِدَّار» بكسر الهمزة، وهو مركَّب من لفظتين فارسيتين: «اسْتذ» بمعنى الأخذ، و«الدَّار» بمعنى المُمْسِك، فأدْغِمَت الذَّال الأولى - وهي المعجمة - في الثانية - وهي المهملة فصار: اسْتَدَّار، والمعنى: المتَوَلي للأخذ، لأنَّه المتَوَلي لقَبْض المال. (القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٤٥٧، وقارن مع حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف ٣٩-٤٠ وما ذكر من مراجع).

[2] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٥٧- ٥٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٢٠؛ السبكي: معيد النعم ٢٦؛ السيوطي: حسن المحاضرة ٢: ١٣١.

[3] انظر عنه فيما يلي ٢:٣٩٥- ٣٩٧.

[4] فيما يلي ٢:٤٠٢- ٤٠٣.

أمير سلاح

هذا الأَميرُ هو مُقَدَّم السِّلاح دارية ، والمتولِّي لحَمْل سِلاح السُّلْطان في المجامِع الجامِعَة ، وهو المتحدِّث في السِّلاح خاناه وما يستعمل بها وما يُقَدَّم إليها ويُطْلَق منها [١] ، وهو أَبَدًا من أُمَرَاء المِئِين [٢] .

الدَّوادَار

٥

ومن عادَة الدَّوْلَة أن يكون بها من أُمَرَائِها من يُقالُ له «الدَّوادار» . وموضوعه لتَبْليغ الرَّسائِل عن السُّلْطان وإبْلاغ عامَّة الأُمور ، وتَقْديم القِصَص إلى السُّلْطان ، والمشاوَرَة على من يَحْضُر إلى الباب وتَقْديم البَريد هو وأمير جانْدار وكاتِب السِّرّ . وهو الذي يُقَدِّم إلى السُّلْطان كلَّ ما تُؤْخَذ عليه «العَلامَة السُّلْطانية» في المناشِير والتَّواقيع والكُتُب ، وكان يَخْرُج عن السُّلْطان بمَرْسوم ممَّا يُكْتَب ، فيُعَيِّنُ رسالته في المَرْسوم [٣] .

١٠

واختلفت آرَاءُ مُلُوك التُّرْك في الدَّوادار : فتارَةً كان من جُمْلَة[a] أُمَرَاء العَشْراوات والطَّبْلَخاناه ، وتارَةً كان من أُمَرَاء الأُلوف . فلمَّا كانتِ الأَيَّامُ الأَشْرَفية شَعْبان بن حُسَيْن بن محمد بن قَلاوون ، وَلِيَ الأَميرُ أَقْتَمُر الحَنْبلي وَظيفَة الدَّوادارية ـ وكان عَظِيمًا في الدَّوْلَة ـ فصارَ يُخْرِج المراسيم السُّلْطانية بغير مُشاوَرَة كما يُخْرِج نائِب السَّلْطَنَة ، ويعيِّنُ في المرسوم أنَّ ذلك[b] كُتِبَ برسالته ، ثم نُقِلَ إلى نِيابَة السَّلْطَنَة ، وأقامَ الأَشْرَفُ عِوَضَه الأمير طاشْتَمُر الدَّوادار ، وجَعَلَه من أكبر أُمَرَاء

١٥

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : إذ ذاك أنه .

---

[١] انظر فيما تقدم ٩٥هـ [٢] .

[٢] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٥٨؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤: ١٨، ٥: ٤٥٦؛ السبكي : معيد النعم ٣٤؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧: ١٨٤-١٨٧، السيوطي : حسن المحاضرة ٢: ١٣١؛ حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ٢٢٥- ٢٢٧.

وهنا على هامش (ص) : «ثم أُقيم أميرًا شادًّا للسِّلاح خاناه يُدْعى زَرْدكاشًا كبيرًا يتولَّى ذلك مع رُتْبته» .

[٣] ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ٥٨؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤: ١٩، ٥: ٤٦٢؛ السبكي : معيد النعم ٢٥؛ وانظر كذلك أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧: ١٨٥؛ السيوطي : حسن المحاضرة ٢: ١٣١؛ حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ٥١٩- ٥٣٥؛ ماجد : نظم سلاطين المماليك ٢: ٤٦؛ Ayalon, D., *EI*[2] art. *Dawâdâr* II, pp. 177-78.

الألوف . فاقتدى به الملكُ الظّاهِرُ بَرْقوق ، وجَعَلَ الأميرَ يونُس الدُّوادار من أكبر أُمَرَاء الألوف ، فعَظُمَت منزلته وقَوِيَت مَهابتُه .

ثم لمَّا عادَتِ الدَّوْلَةُ الظَّاهِرِيَّة بعد زَوالِها ، وَلِيَ الدَّواداريَّة الأمير بُوطا ، فتَحَكَّم تحكُّمًا زائدًا عن المَعهود في الدَّواداريَّة ، وتَصَرَّف كتَصَرُّف النُّوَّاب ، ووَلَّى وعَزَلَ ، وحَكَمَ في القَضايا المُعْضِلَة . فصارَ ذلك من بعده عادَةً لمن وَلِيَ الدَّواداريَّة سيَّما لمَّا وَلِيَ الأمير يَشْبَك والأمير جَكَم الدَّوادارية في أيَّام النَّاصِر فَرَج ، فإنَّهما تحكَّما في جَليل أُمُور الدَّوْلَة وحَقيرها من المال والبَريد والأحْكام والعَزْل والوِلاية . وما بَرِحَ الحالُ على هذا في الأيَّام النَّاصِرِيَّة ، وكذلك الحالُ في الأيَّام المُؤَيَّدية يُقارِبُ/ ذلك .

نقابة الجيوش

هذه الرُّتْبَةُ كانت في الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة من الرُّتَب الجَليلَة ، ويكون مُتَوَلِّيها كأحَد الحُجَّاب الصِّغار ، وله تحلية الجُنْد في عَرْضهم ، ومعه يَمْشي النُّقَباءُ . فإذا طَلَبَ السُّلْطانُ أو النَّائِبُ أو حاجِبُ الحُجَّاب أميرًا أو جُنْديًّا ، كان هو المُخاطَبَ في الإرْسال إليه ، وهو الملزوم بإحْضارِه . وإذا أَمَرَ أحَدٌ منهم بالتَّرْسيم على أميرٍ أو جُنْدي ، كان نَقيبُ الجَيْش هو الذي يَرْسِم عليه . وكان من رَسْمِه أنَّه هو الذي يَمْشي بالخزانة[a] السُّلْطانية في المَوْكِب حالَة السَّرْحَة وفي مُدَّة السَّفَر [1] .

ثم انْحَطَّتِ اليومَ هذه الرُّتْبَة ، وصارَ نَقيبُ الجَيْش عبارةً عن كبيرِ النُّقَباء المُعَدِّين لتَرْويع خَلْق الله ، وأَخْذ [b]الأموال من النَّاس على سبيل القَهْر[b] عند طَلَبِ أحَدٍ إلى باب الحاجِب . ويُضيفون إلى أكْلِهم أموال النَّاس بالباطِل افْتراءَهم على الله الكَذِب ، فيقولون على المال الذي يأخذونه باطِلًا : هذا حَقُّ الطَّريق ، والوَيْلُ لمن نازَعَهم في ذلك . وهم أحَدُ أسْباب خَراب الإقْليم ، كما تَبَيَّن في موضعه من هذا الكتاب عند ذِكْر الأسْباب التي أوْجَبَت خَراب الإقليم [2] .

---

a) بولاق : بالحراسة . b-b) بولاق : أخذ أموالهم بالباطل على سبيل القهر .

---

[1] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٥٨- ٥٩؛ والوظائف ١٢٩٨- ١٣٠٠؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤: ٢١- ٢٢؛ السيوطي : حسن المحاضرة ٢: ١٣٠؛ حسن الباشا : الفنون الإسلامية

[2] لم يَصل إلينا هذا الفصل ، وانظر مقدمة الجزء الأول ١: ٥٤* .

الولايــة

. وهي التي يُسَمِّيها السَّلَفُ الشُّرْطَةَ [١]، وبعضهم يقول صاحِبُ العَسَس. والعَسَسُ : الطَّوافُ باللَّيْل لتتبُّع أهْل الرِّيَب، يقول : عَسَّ يَعِسُّ عَسًّا وعَسَسًا. وأوَّلُ من عَسَّ باللَّيْل عبدُ الله ابن مَسْعود - رضي الله عنه أمَرَه أبو بكر الصِّدِّيق - رضي الله عنه - بعَسِّ المَدينَة.

٥ خَرَّجَ أبو داود، عن الأعْمَش، عن زَيْد قال : أُتِيَ عبد الله بن مَسْعود فقيل له : هذا فُلانٌ تَقْطُر لحيتُه خَمْرًا، فقال عبد الله : إنَّا قد نُهِينا عن التَّجَسُّس، ولكن إن يَظْهَر لنا شيءٌ نأخُذ به.

وذَكَرَ الثَّعْلَبي عن زَيْد بن وَهْب أنَّه قال : قيل لابن مَسْعود : هل لك في الوَليد بن عُقْبَة تَقْطُر لحيته خَمْرًا؟ فقال : إنَّا قد نُهينا عن التَّجَسُّس، فإنْ ظَهَرَ لنا شيءٌ نأخُذ به.

وكان عُمَرُ بن الخَطَّاب - رضي الله عنه - يتولَّى في خِلافَته العَسَسَ بنفسه، ومعه مَوْلاهُ أَسْلَم - ١٠ رضي الله عنه -، ورُبَّما اسْتَصْحَبَ معه عبد الرحمن بن عَوْف.

قاعة الصَّاحِب

a) [٢]

وكانت وَظيفةُ الوَزارة أجلَّ رُتَب أرْباب الأقلام، لأنَّ مُتَوَلِّيها ثاني السُّلْطان إذا أُنْصِف وعُرِفَ حَقُّه؛ إلَّا أنَّ مُلوكَ الدَّوْلَة التُّرْكيَّة قَدَّموا رُتْبَة النِّيابَة على رُتْبَة[b] الوَزارَة، فتأخَّرتِ الوَزارَةُ حتى قُعِدَ ١٥ بها مكانُها، ووَلِيَها في الدَّوْلَة التُّرْكيَّة أُناسٌ من أرْباب السُّيوف وأُناسٌ من أرْباب الأقْلام [٣]، فصارَ

---

a) على هامش آياصوفيا : بياض عشرة أسطر. b) ساقطة من بولاق.

ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٥٩.

[٢] لم يُحَدِّد المَقريزي، أو أي مَصْدَرٍ آخر، موقع قاعة الصَّاحِب من القَلْعَة، ويوضِّحُ لنا نَصٌّ آخر للمقريزي في السلوك ٢ : ٢٦، ٤٦ أنَّها كانت مجاورةً لدار النِّيابة، التي كانت تقع تجاه الإيوان بالجانب الآخر من باب القُلَّة، أي بالجانب الذي يوجد داخل سور صلاح الدِّين. (انظر كذلك ابن إياس : بدائع الزهور ١/٢ : ٨٧، ١٩٣، ١٩٤، ٣٣٦).

[٣] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٥٩.

وعن الوزارة في العصر المملوكي البحري بصفة خاصَّة، راجع Chapoutot - Remadi, M., «Le vizirat sous les premiers Mamluks», *Actes du XXIX^e Congrès International des Orientalistes* - Etudes arabes et islamiques, Paris 1975, I, pp. 58-62; id., «Le vizirat en Égypte à l'époque =mamluke», *Revue Tunisienne de Sciences*

الوَزيرُ إذا كان من أرْباب الأقْلام يُطْلَق عليه اسم «الصَّاحِب» ، بخلاف ما إذا كان الوَزيرُ[a] من أرْباب السُّيوف فإنَّه لا يُقالُ له الصَّاحِب .

وأَصْلُ هذه الكلمة في إطْلاقِها على الوَزير أنَّ الوَزيرَ إسماعيل بن عَبَّاد كان يَصْحَب مُؤَيَّد الدَّوْلَة أبا منصور بُوَيْه بن رُكْن الدَّوْلَة الحَسَن بن بُوَيْه الدَّيْلَمي صاحِب بلاد الرَّيّ . وكان مُؤَيَّدُ الدَّوْلَة شَديدَ المَيْل إليه والمحبّة له فسمَّاه «الصَّاحِب» ، وكان الوَزيرَ حينئذٍ أبو الفَتْح عليّ بن العَميد يُعاديه لشِدَّة تمكُّنه من مُؤَيَّد الدَّوْلَة ، فتلقَّب الوُزَرَاءُ بعد ابن عَبَّاد بالصَّاحِب . ولا أَعْلَمُ أحَدًا من وُزَرَاء خُلَفَاء بَني العَبَّاس ، ولا وُزَرَاء الخُلَفَاء الفاطِميين ؛ قيل له الصَّاحِب .

وقد جَمَعْتُ في وُزَراء الإسْلام كِتابًا جَليلَ القَدْر ، وأفردت وُزَرَاءَ مصر في تصنيفٍ بديعٍ[1] . والذي أعْرِف أنَّ الوزير صَفِيَّ الدِّين عبد الله بن شُكْر - وزير العادِل والكامِل من مُلوك مصر من بني أيُّوب - كان يُقالُ له الصَّاحِبُ ، وكذلك مَنْ بعده من وُزَرَاء مصر إلى اليوم .

وكان وَضْعُ الوَزير أنَّه أُقيم لنفاذ كَلِمَته[b] وتَمام تصرُّفه . غير أنَّها انْحطَّت عن ذلك بنِيابَة السَّلْطَنَة ، ثم انْقَسَم ما كان للوَزير إلى ثلاثة : هم النَّاظِرُ في المال ، وناظِرُ الخاصّ ، وكاتِبُ السِّرّ فإنَّه يوقِّع في دار العَدْل ما كان يوقِّع فيه الوَزير بمُشاوَرَة واسْتِقْلال[2] .

ثم تَلاشَتِ الوَزارَةُ في الأيَّام الظَّاهِرِيَّة بَرْقُوق بما أحْدَثَه من «الدِّيوان المُفْرَد» . وذلك أنَّه لمَّا وَلِيَ السَّلْطَنَة أَفْرَدَ إقْطاعَه لمَّا كان أميرًا قبل سلطنته ، وجَعَلَ له ديوانًا سَمَّاه «الدِّيوان المُفْرَد» ، وأقامَ فيه ناظِرًا وشاهِدَيْن وكُتَّابًا ، وجَعَلَ مَرْجِعَ هذا الدِّيوان إلى الأُسْتادَّار ، وصَرَفَ ما يَتَحَصَّل منه في جَوامِك مَماليك استجدَّها شيئًا بعد شيءٍ حتى بَلَغَت خمسة آلاف مَمْلوك ، وأضافَ إلى هذا الدِّيوان كثيرًا من أعْمَال الدِّيار المصرية . وبذلك قَوِيَ جانِبُ الأُسْتادَّار وضَعُفَت الوَزارَة ، حتى

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : كلمة السلطان .

Sociales 40-43 (1975), pp. 87-120; ʿAbd ar-Râziq, A., «Le vizirat et les vizirs de l'Égypte au temps des Mamluks, *An.Isl.* XVI (1980), pp. 183-239؛ حمود بن محمد النجيدي : «التطور الوزاري في مصر المملوكية» ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٢٣ (رجب ١٤١٩هـ) ، ٢٦١- ٣٤٩.

[1] هو كتاب «تَلْقيح العُقول والآراء في أخْبار الجِلَّة الوُزَراء» (فيما تقدم ٢: ٤٥٢) . ولم يَصل إلينا للأسف هذا الكتاب .

[2] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٥٩- ٦٠.

صارَ الوَزيرُ قُصارَى نَظَرِه التَّحَدُّث في أَمْر المُكُوس، فيَسْتَخْرِجها من جِهاتِها، ويَصْرِفُها في ثَمَن اللَّحْم وحَوائِج المَطْبَخ وغير ذلك.

ولقد كانَ الوَزيرُ الصَّاحِبُ سَعْدُ الدِّين نَصْرُ الله بن البَقَري يقول: الوَزارَةُ اليوم عِبارة عن حَوائِج كاش عَفْش يشتري اللحم والحَطَب وحَوائِج الطَّعام، وناظِرُ الخاصّ غُلامُ صَلْف يشتري الحَرير والسِّنْجاب والصُّوف والنَّصافي، وأمَّا ما كان للوُزَراءِ ونُظَّار الخاصّ في القَديم فقد بَطَلَ. ٥
ولقد صَدَقَ فيما قال، فإنَّ الأَمْرَ على هذا.

وما رأينا الوَزارَة من بعد انْحِطاط رُتْبَتِها يرتفع قَدْر مُتَوَلِّيها إلَّا إذا أُضيفَت إلى الأُسْتادَّارية، كما وَقَعَ للأمير جَمال الدِّين يوسُف الأُسْتادَّار والأمير فَخْر الدِّين عبد الغَني بن أبي الفَرَج[1]. وأمَّا من وَلِيَ الوَزارَة بمفردها ـ سَيَّما من أرْباب الأَقْلام ـ فإنَّما هو كاتِبٌ كبيرٌ يتردَّد ليلًا ونَهارًا إلى باب الأُسْتادَار، ويتصرَّف بأَمْره ونَهْيه. ١٠

وحَقيقةُ الوَزارَة اليوم/ أنَّها انقسمت بين أربعة، وهم: كاتِبُ السِّرّ، والأُسْتادَّار، وناظِرُ الخاصّ، والوَزير. فأَخَذَ كاتِبُ السِّرِّ من الوَزارَة التَّوْقيع على القِصَص بالولايات، والعَزْل ونحو ذلك في دار العَدْل وفي دارِه. وأَخَذَ الأُسْتادَّارُ التَّصَرُّف في نَواحي أرْض مصر، والتَّحَدُّث في الدَّواوين السُّلْطانية، وفي كُشَّاف[a] الأقاليم ووُلاة النَّواحي، وفي كثيرٍ من أُمور أرْباب الوَظائِف. وأَخَذَ ناظِرُ الخاصّ جانِبًا كبيرًا من الأَمْوال السُّلْطانية ليصرفها في تعلُّقات الخِزانَة السُّلْطانية. ١٥ ٢٢٤:٢

وبقي للوَزير شيءٌ يَسيرٌ جِدًّا من النَّواحي، والتَّحَدُّث في المُكُوس وبعض الدَّواوين، ومَصارِف المَطْبَخ السُّلْطاني والسَّواقي، وأشياء أُخَرَ. وإليه مَرْجِع ناظِر الدَّوْلَة، وشادّ الدَّواوين، وناظِر بَيْت المال، وناظِر الأَهْرَاء، ومُسْتَوْفي الدَّوْلَة، وناظِر الجِهات. وأمَّا ناظِرُ البُيوت وناظِرُ الإسْطَبْلات فإنَّ أمْرَهُما يرجِعُ إلى غيره. ٢٠

---

a) بولاق: كشف.

---

[1] هو صاحِبُ جامِع الفَخْري المعروف الآن بجامع البَنَات الواقع بشارع بورسعيد شمال محكمة باب الخلق (فيما يلي ٣٢٨:٢).

نَظَرُ الدَّوْلَة

هذه الوَظيفةُ يُقالُ لمتولِّيها «ناظِرُ النُّظَّار»، ويُقال له «ناظِرُ المالِ»، وهو يُعْرَف اليوم بـ«ناظِر الدَّوْلَة»، وتلي رُتْبَتُه رُتْبَةَ الوَزارَة. فإذا غابَ الوَزيرُ أو تَعَطَّلَت الوَزارَةُ من وَزير، قامَ ناظِرُ الدَّوْلَة بتَدْبير الدَّوْلَة، وتقدَّم إلى شادِّ الدَّواوين بتَحْصيل الأَمْوال وصَرَفَ هو[a] النَّفَقات والكُلَف. واقْتَصَرَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون على ناظِر الدَّوْلَة مُدَّةَ أعْوامٍ من غير تولية وَزير، ومَشَّى أُمورَ الدَّوْلَة على ذلك حتى مات.

ولابد أن يكون مع ناظِر الدَّوْلَة مُسْتَوْفون يَضْبطون كلِّيَّات المملكة وجُزْئياتها. ورأسُ المُسْتَوْفين «مُسْتَوْفي الصُّحْبَة» وهو يَتَحَدَّث في سَائِر المملكة مِصْرًا وشامًا، ويكتُب مَراسيم يُعَلِّم عليها السُّلْطان: فتكون تارَةً بما يُعْمَل في البِلاد، وتارةً بالإطْلاقات، وتارَةً باسْتِخْدامات[b] كُتَّابٍ في صِغار الأَعْمال ومن هذا النَّحْو وما يجري مَجْراه، وهي وَظيفةٌ جَليلَةٌ تلي نَظَرَ الدَّوْلَة. وبقيَّةُ المُسْتَوْفين كلٌّ منهم حَديثه مُقَيَّد لا يتعدَّى حَديثُه قُطْرًا من أقْطار المملكة.

وهذا الدِّيوانُ - أعْني ديوان النَّظَر - هو أرْفَعُ دَواوين المال، وفيه تُثْبَت التَّواقيع والمراسيمُ السُّلْطانية، وكلُّ ديوانٍ من دَواوين المال إنَّما هو فَرْعُ هذا الدِّيوان، وإليه يَرْفَعُ حِسابَه وتَتَناهَى أسْبابُه، وإليه يرجعُ أمْرُ الإسْتيمار الذي يشتمل على أرْزاق ذوي الأقْلام وغيرهم مُياوَمَةً ومُشاهَرَةً ومُسانَهَةً من الرَّواتب[1].

وكانت أرْزاقُ ذوي الأقْلام مُشاهَرَةً من مبلغ عَيْن وغَلَّة، وكان لأعْيانِهم الرَّواتِبُ الجارية في اليوم من اللَّحْم بتَوابِلِه أو غير تَوابِله، والخُبْز والعَليق لدَوابِّهم، وكان لأكابِرهم السُّكَّر والشَّمْع والزَّيْت والكُسْوَة في كلِّ سنة والأُضْحِيَة، وفي شهر رَمَضَان السُّكَّر والحَلْوَى.

وأكثرهم نَصيبًا الوَزير، وكان مَعْلومُه في الشَّهْر مائتين وخمسين دينارًا جَيْشِيَّة[2] مع الأصْناف المذكورة والغَلَّة وتَبْلُغ نَظير المعلوم، ثم ما دون ذلك من المعلوم لمن عَدا الوَزير، وما دون دونه.

---

a) بولاق: وصرفها في. b) بولاق: باستخدامهم.

---

[1] انظر عن معنى الإستيمار، فيما تقدم ٢: ٣٢٣هـ[2].

[2] الدِّينارُ الجَيْشي. اصْطِلاحٌ تعارَف على استعماله ديوانُ الجَيْش المملوكي في عِبْرَة الإقْطاعات (انظر فيما تقدم ١: ٢٢٢هـ[3]). فحَدَّدَ لكلِّ إقطاعٍ عِبْرَة دنانير معيَّنة، =

وكان مَعْلومُ القُضَاة والعُلَماء أكثره خمسون دينارًا في كلّ شهر، مُضافًا لما بيدهم من المَدارِس التي يستدرّون من أوْقافِها.

وكان أيضًا يُصْرَف على سَبيل الصَّدَقات الجارية والرّواتِب الدارّة على جِهات ما بين مبلغ وغَلّة وخُبْز ولَحْم وزَيْت وكُسْوَة وشَعير، هذا سوى الأرض من النّواحي التي يُعْرف المرتّب عليها بـ«الرِّزَق[a]) الأحْباسِيّة»[1].

وكانوا يَتَوارَثون هذه المُرَتّبات ابنًا عن أب، ويَرِثُها الأخُ عن أخيه، وابنُ العَمّ عن ابن العَمّ، بحيث أنّ كثيرًا ممّن ماتَ وخَرَج إدْرارُه من مُرَتّبه لأجنبي، لمّا جاءَ قريبُه وقَدّم قِصّته يذكر فيها أوْلويته بما كان لقَريبه، أُعيد إليه ذلك المُرَتّب ممّن كان خَرَجَ باسْمه.

نَظَـرُ البُيُوت

كان من الوَظائِف الجَليلَة، وهي وَظيفَةٌ مُتَوَلّيها مَنُوطٌ بالأُسْتادّار فكلّ ما يَتَحَدَّث فيه أُسْتادّارُ السُّلْطان فإنّه يُشارِكه في التَّحَدُّث، وهذا كان أيّام كَوْن الأُسْتادّار ونَظَره لا يتعدّى بيوت

---

a) بولاق: الأرزاق.

= فلذلك كان من الممكن أن يكون متحصَّل مائة دينار في إقْطاع ما أكثر من متحصَّل مائتي دينار فأكثر في إقطاع آخر. وهو أيضًا مسمّى قيمته ثلاثة عشر درهمًا وثلث درهم نُقْرَة، أو أربعون دِرهمًا سودًا، الدرهم منها ثلث درهم من النُّقْرَة. (ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٤١؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٣٨؛ ابن مماتي: قوانين الدواوين ٣٦٩؛ طرخان: النظم الإقطاعية ٥٢٥؛ Rabie, H., *op.cit.*, pp. 119-50; Cooper, R. S., «A Note on the Dinar Jayshî», *JESHO* 16 (1973), pp. 317-18.)

[1] الرِّزَق الأحْباسِيّة. الرِّزَقُ هي أراضٍ زراعية كان الخُلَفاءُ والملوكُ والسَّلاطينُ يمنحونها بمقتضى حُجَجٍ شرعيةٍ أو تَقاسيط ديوانية إلى بعض النّاس على سَبيل الإحْسان والإنْعام «رِزْقَة بلا مال». وتنوّعت هذه الرِّزَق في العصر المملوكي، فمنها ما لا يُنصّ على أنّه وَقْفٌ فيُصْرف رِيعُه إلى مستحقيه، والرِّزَقُ من هذا النّوع تَنْحَلّ بانْقِراض أصْحابِها. أمّا «الرِّزَقُ الأحْباسية» فهي الأراضي المؤبّدَه الموقوفة والتي يُنَصّ على صَرْف رِيعها على المساجِد والخَوانِق والرِّباطات والأضْرِحَة وغيرها من الجهات الخيرية، للقيام بمصالحها ودوام عمارتها والصَّرْف على القائمين بإدارتها، وتصْدُرُ عن ديوان الأحْباس. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٥٣هـ[6]). وهناك نَوْعٌ آخر من الرِّزَق يُعْرف بـ«الرِّزَق الجَيْشية» تصْدُر عن ديوان الجَيْش تحت إشراف ديوان الأحْباس، إلى الأمَراء الذين أقْعَدَهم المرض أو كِبَر السّن عن أداء واجباتهم الحربية المرتبطة بالإقطاع، أو إلى الأمراء الذين غضب عليهم السُّلْطان واستولى على إقطاعاتهم ثم عفا عنهم، ويعرف هؤلاء الأمراء باسم «الطُّرْخان». وهذه الرِّزَق مُؤقّتة يستفيد منها الطُّرْخانُ طوال حياته فقط ولا تُوَرَّث. (محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ١٠٩–١١٠).

السُّلْطان وما تقدَّم ذكره . فأمَّا منذ عَظُمَ قَدْرُ الأُسْتادّار ونَفَذَت كلمته في جُمْهور أمْوال الدَّوْلَة ، فإنَّ نَظَرَ البيوت اليوم شيءٌ لا معنى له [١].

نَظَرُ بَيْت المَال

كان وَظيفَةً جَليلَةً معتبرة . وموضوع مُتَولِّيها التَّحدُّث في حُمول المملكة مصرًا وشامًا إلى بَيْت المال بقَلْعَة الجَبَلِ ، وفي صَرْف ما يَنْصَرِف منه تارةً بالميزان[a] وتارةً بالتَّشبيب بالأقْلام [٢].

وكان أبدًا يَصْعَد ناظِرُ بَيْت المال ومعه شُهودُ بَيْت المال وصَيْرَفِيُّ بَيْت المال وكاتِبُ بَيْت[b] المال ، إلى قَلْعة الجَبَل . ويجلس في بَيْت المال فيكون له هناك أَمْرٌ ونَهْيٌ وحالٌ جَليلَة ، لكثرة الحُمول الواردة ، وخُروج الأمْوال المصروفة في الرَّواتِب لأهْل الدَّوْلَة . وكانت أمْرًا عَظيمًا بحيث أنَّها بَلَغَت في السنة [c]أيّام وَزارَة صفيّ الدِّين عبد الله بن شُكْر[c]. نحو أربع مائة ألف دينار .

وكان لا يلي نَظَرَ بَيْت المال إلَّا مَنْ هو من ذوي العَدالات المبرزة [٣]، ثم تَلاشَى المالُ وبَيْت المال ، وذَهَب الاسْمُ والمسمَّى ، ولا يُعْرَف اليوم مَوْضِعُ[b] بَيْت المال من القَلْعَة ، ولا يُدْرَى من ناظِر بَيْت المال من النَّاس [d] .

نَظَرُ الإسْطَبْلات

هذه الوَظيفَةُ جَليلةُ القَدْر إلى اليوم ، وموضوعها الحَديث في أمْوال الإسْطَبْلات والمُناخات وعَليقها ، وأرْزاق مَنْ فيها من المُسْتَخْدمين ، وما بها من الاسْتِعْمالات والإطْلاق ، وكلّ ما يُبْتاع لها أو يُبْتاع بها [٤]. وأوَّل من استجدَّها الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون ، وهو أوَّل من زادَ في رُتْبَة

a) بولاق : بالوزن . b) ساقطة من بولاق . c-c) هذه العبارة من نسخة آياصوفيا . d) بياض آياصوفيا .

[١] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٥٧، ٦١؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٣١، ١١ : ٣٤٢- ٣٤٥؛ السيوطي : حسن المحاضرة ٢ : ١٣٢.

[٢] نفسه ٦٢؛ نفسه ٤ : ٣١؛ نفسه ٢ : ١٣٢.

[٣] نفسه ٦٢؛ نفسه ٤ : ٣١.

[٤] نفسه ٦٢؛ نفسه ٤ : ٣٢؛ السيوطي : حسن المحاضرة ٢ : ١٣٢؛ حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ١١٨٢- ١١٨٣. ويُعْرَف صاحب هذه الوظيفة بـ أمير آخور . (انظر فيما تقدم ٢ : ٤٥٧- ٤٥٨هـ[٤]) .

أَميرآخُور ، واعتنى/ بالأوجاقِيَّة والعَرَب الرُّكَّابة . وكان أبوه المَنْصور قَلاوون يرغب في خَيْل بَرْقَة ٢٢٥:٢
أكثر من خَيْل العَرَب ، ولا يُعْرَف عنه أنَّه اشترى فَرَسًا بأكثر من خمسة آلاف درهم ، وكان
يقول : خَيْلُ بَرْقَة نافِعَة ، وخَيْلُ العَرَبَ زِينَة ، بخِلاف النَّاصِر محمد فإنه شُغِفَ باسْتِدْعاء الخُيُول
من عَرَب آل مُهَنَّا وآل فَضْل وغيرهم ، وبسَبَبها كان يُبالِغ في إكْرام العَرَب ، ويُرَغِّبهم في أثْمان
٥ خُيولهم حتَّى خَرَجَ عن الحَـدِّ في ذلك .

فكَثُرَت رَغْبَةُ آل مَهَنَّا وغيرهم في طَلَبِ خُيُول من عَداهم من العُرْبان ، وتتبَّعوا عِتاق الخَيْل من
مَظانِّها ، وسَمَحُوا بدَفْع الأثْمان الزَّائِدَة على قِيمَتها ، حتى أَتَتْهم طوائِفُ العَرَبِ بكرائِم خُيولهم .
فتمكَّنَت آل مَهَنَّا من السُّلْطان ، وبَلَغُوا في أيَّامِه الرُّتَب العَلِيَّة . وكان لا يحب خُيول بَرْقَة ، وإذا
أَخَذَ منها شيئًا أَعَدَّه للتفرقة على الأُمَرَاء البَرَّانيِّين ، ولا يَسْمَح بخُيُول آل مَهَنَّا إلا لأعَزِّ الأُمَرَاء
١٠ وأقْرَب الخاصَّكية منه .

وكان جَيِّدَ المعرفة بالخَيْل شِياتها وأنْسابِها ، لا يزالُ يَذْكُر أسْمَاءَ من أحْضَرَها إليه ومبلغ ثَمَنها .
فلمَّا اشْتُهِرَ عنه ذلك ، جَلَبَ إليه أهْلُ البَحْرَيْن والحَسَاء والقَطيف وأهلُ الحِجَاز والعِراق كَرائِم
خُيُولهم ، فدَفَعَ لهم في الفَرَس من عشرة آلاف دِرْهَم إلى عشرين إلى ثلاثين ألف دِرْهَم : عنها
ألف وخمس مائة مِثْقال من الذَّهَب سوى ما يُنْعِم به على مالِكِه من الثِّياب الفاخِرَة له ولِنسائِه ،
١٥ ومن السُّكَّر ونحوه ، فلم تَبْق طائِفَةٌ من العَرَب حتى قادَت إليه عِتاقَ خَيْلها .

وبَلَغ من رَغْبَة السُّلْطان فيها أنَّه صَرَفَ في أثْمانِها دَفْعَةً واحِدَةً ، من جِهة كَريم الدِّين ناظِر
الخاصّ ، ألف ألف دِرْهَم في يومٍ واحِدٍ ، وتكرَّرَ هذا منه غير مَرَّة ، وبَلَغَ ثَمَن الفَرَس الواحِد من
خُيُول آل مُهَنَّا الستين ألف دِرْهَم والسبعين ألف دِرْهَم ، واشترى كثيرًا من الحُجُورة بالثمانين ألفًا
والتسعين ألفًا ، واشْتَرَى بنت الكَرْمَاء[a] بمائة ألف درهم : عنها خمسة آلاف مِثْقال من الذَّهَب ،
٢٠ هذا سوى الإنْعامات بالضِّياع من بلاد الشَّام .

وكان من عِنايَته بالخَيْل لا يَزالُ يَتَفَقَّدُها بنفسه . فإذا أُصيب منها فَرَسٌ أو كَبِر سِنُّه ، بَعَثَ به
إلى الجَشَّار[1] . وتُنْزَى الفُحُولُ المعروفة عنده على الحُجُورة بين يَدَيْه ، وكُتَّاب الإسْطَبْل تؤرِّخ تاريخ

---

a) بولاق : الكرشاء .

---

[1] الجَشَّار . صاحِبُ مَرَج الخيل . والجَشْرُ أن تنزو خَيلُك فترعاها أمام بيتك . (الفيروزأبادي : القاموس المحيط ٤٦٦) .

نَزْوِها ، واسْم الحِصَان والحُجْرَة . فتوالَدَت عنده خُيُولٌ كثيرةٌ اغْتَنَى بها عن الجَلْب ، ومع ذلك فلم تكُن عنده في مَنْزِلَة ما يُجْلَب منها . وبهذا ضَخُمَت سَعادَة آل مُهَنَّا . وكَثُرَت أمْوالُهم وضِياعُهم ، فعَزَّ جانبُهم ، وكَثُرَ عَدَدُهم ، وهابَهم مَنْ سِواهم من العَرَب .

وبَلَغَت عِدَّةُ خُيول الجَشَّارات في أيّامه نحو ثلاثة آلاف فَرَس ، وكان يعرضها في كلّ سنة ويُزَوِّغ أوْلادها بين يديه ، ويُسَلِّمها للعُرْبان الرَّكّابة ، ويُنْعِم على الأُمَرَاء الخاصَّكية بأكثرها ، ويتبجَّح بها ، ويقول : هذه فُلانَة بنت فُلان ، وهذا فُلانُ ابن فُلانَة ، وعمره كذا ، وشِراء أم هذا كذا وكذا .

كان لا يَزالُ يُؤَكِّد على الأُمَرَاء في تَضْمير الخُيول ، ويُلْزِم كلَّ أميرٍ أن يُضْمِرَ أربعة أفْراس ، ويتقدَّم لأمير آخور أن يُضْمِر للسُّلْطان عِدَّةً منها ، ويُوَصِّيه بكتمان خَبَرِها ، ثم يُشيع أنَّها لأَيْدَغْمُش أميرآخُور ، ويرسلها مع الخَيْل في حَلْبَة السِّباق خشية أن يَسْبِقَها فَرَسُ أحَدٍ من الأُمَرَاء فلا يحتمل ذلك ، فإنَّه مِمَّن لا يطيق شيئًا يُنْقِصُ مُلْكَه . وكان السِّباقُ في كلّ سنة بمَيْدان القَبَق ينزل بنفسه [1] ، وتَحْضُر الأُمَرَاءُ بخيولها المُضَمَّرَة ، فيُجْريها وهو على فَرَسه حتى تنقضي نُوَبُها . وكانت عِدَّتُها مائة وخمسين فَرَسًا فما فوقها .

فاتَّفَق أنَّه كان عند الأمير قُطْلُوبُغا الفَخْري حِصانٌ أدْهَم سَبَقَ خَيْل مصر كلَّها في ثلاث سنين متوالية أيام السِّباق ، وبَعَثَ إليه الأمير مُهَنَّا فَرَسًا شَهْباء على أنَّها إن سَبَقَت خَيْل مصر فهي للسُّلْطان ، وإن سَبَقَها فَرَسٌ رُدَّت إليه ، ولا يركبها عند السِّباق إلَّا بدوي قادها .

فرَكِبَ السُّلْطانُ للسِّباق في أُمَرائِه على عادَته ، ووَقَفَ معه سُلَيْمان ومُوسَىٰ ابنا مُهَنَّا ، وأُرْسِلَت الخُيُولُ من بِرْكَة الحُجَّاج[a] على عادَتها ، وفيها فَرَسُ مُهَنَّا ، وقد ركبها البدوي عُرْيًا بغير سَرْج . فأقبلت سائِرُ الخُيول تتبعها حتى وَصَلَت المَدَى ، وهي عُرْي بغير سَرْج ، والبَدَوي عليها بقَميص وطاقية . فلمَّا وَقَفَت بين يدي السُّلْطان ، صاحَ البَدَوي : السَّعادَة لك اليوم يا مُهَنَّا لا شَقيت .

فشَقَّ على السُّلْطان أنَّ خَيْلَه سُبِقَت ، وأَبْطَلَ التَّضْمير من خَيْله ، وصارَت الأُمَرَاءُ تُضْمِر على عادَتها .

---

a) بولاق : بركة الحاج .

---

[1] انظر فيما تقدم ٣٦٩.

وماتَ النَّاصِرُ محمد عن أربعة آلاف وثمان مائة فَرَسٍ، وتَرَكَ زيادةً على خمسة آلاف من الهُجْن الأصائِل والنُّوق المهريات والقُرَشِيَّات سوَى أتْباعِها، وبَطَلَ بعده السِّباقُ[1].

فلمَّا كانت الأيَّامُ الظَّاهِرِية بَرْقوق عُنِيَ بالخَيْل أيضًا، وماتَ عن سبعة آلاف فَرَسٍ وخمسة عشر ألف جَمَلٍ.

دِيوانُ الإنْشَاء

٥

وكان بجوار قاعَة الصَّاحِب بقَلْعَة الجَبَل ديوانُ الإنْشَاء[2]، يجلس فيه كاتِب السِّرّ وعنده موقِّعو الدَّرْج وموقِّعو الدَّسْت، في أيَّام المواكِب طُول النَّهار، ويُحْمَل إليهم من المَطْبَخ السُّلْطاني المطاعِم.

وكانت الكُتُبُ الواردة وتَعْليق ما يُكْتَب من الباب السُّلْطاني، مَوْضُوعُه بهذه القاعَة. وأنا جَلَسْتُ بها عند القاضي بَدْر الدِّين محمَّد بن فَضْل الله العُمَري، أيَّام مُباشَرتي التَّوْقيع السُّلْطاني، إلى نحو التسعين[a] والسبع مائة. ١٠

فلمَّا زالَت / الدَّوْلَةُ الظَّاهِرية بَرْقوق ثم عادَت، اخْتَلَّت أُمُورٌ كثيرةٌ، منها أمْرُ قاعَة الإنْشَاء بالقَلْعَة وهُجِرَت، وأُخِذَ ما كان فيها من الأَوْراق وبيعت بالقِنْطار[3]، ونُسِيَ رَسْمُها. ٢٢٦:٢

و«كِتابَةُ السِّرّ» رُتْبَةٌ قَديمَةٌ ولها أصْلٌ في السُّنَّة، فقد خَرَّج أبو بكر عبد الله بن أبي داود سُلَيْمان ابن الأَشْعَث السِّجِسْتاني في «كتاب المَصاحِف»، من حَديث الأَعْمَش، عن ثابِت بن عُبَيْد، عن زَيْدِ بن ثابِت، قال: قال لي رَسُولُ الله ﷺ: «[أتُحْسِن السُّرْيانية فـ]b إنَّها تأتيني كُتُبٌ لا أُحِبُّ ١٥

---

a) بولاق: السبعين. b) زيادة من كتاب المصاحف.

---

[1] هذا النَّصُّ المطوَّل الذي أورده المقريزي كذلك في السلوك ٢: ٥٢٥-٥٢٧، يوجد عند أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٦٧-١٧٠ دون تحديدٍ للمصدر.

[2] ذَكَرْتُ اعتمادًا على بعض النُّصُوص التي أوْرَدَها المقريزي وأبو المحاسن، أنَّ قاعَة الصَّاحِب كانت مجاورةً لدار النِّيابَة التي كانت تقع تجاه الإيوان بالجانب الآخر من باب القُلَّة، أي بالجانب الذي يوجد داخل سور صلاح الدِّين (فيما تقدم ٧٢٢هـ[2])، وبما أنَّ ديوان الإنْشاء حَسَب وَصْف المقريزي كان مُجاوِرًا لقاعَة الصَّاحِب فيجب أن يكون موضعه مُجاوِرًا أيضًا لدار النِّيابَة تجاه الإيوان.

[3] هذا نَصٌّ هامٌّ يَدُلُّ على كيفية ضَياع الوَثائِق الأرْشيفية، وقد اسْتفادَ المَقْريزي نفسه من هذه المُلابَسات واقْتَنى بعضَ الأَوْراق التي خَرَجَت من ديوان الإنْشَاء المملوكي بالقَلْعَة في نهاية القرن الثامن الهجري / الرابع =

أن يَقْرأها كلُّ أَحَدٍ ، فهل تستطيع أن تَعْلَم كتاب العِبْرانية أو قال السُّرْيانية ؟» فقلت : نَعَم . قال : فتَعَلَّمتها في سبع عشرة ليلة[a])[1].

ولم يَزَل خُلَفَاءُ الإسْلام يَخْتارون لِكِتابَة سِرِّهم الواحِدَ بعد الواحِد .

وكان مَوْضوعُ كتابَة السِّرّ في الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة على ما استقرَّ عليه الأَمْرُ في الأَيَّام النَّاصِرية محمد ابن قَلاوون ، أنَّ لمتولِّيها ـ المسمَّى بـ«كاتِب السِّرّ» وبـ«صاحِب ديوان الإنْشَاء» ، ومن النَّاس من يقول «ناظِر ديوان الإنْشاء» ـ قِراءَة الكُتُب الوارِدَة على السُّلْطان ، وكِتابَة أجْوبَتها إمَّا بخَطِّه أو بخَطِّ كُتَّاب الدَّسْت أو كُتَّاب الدَّرْج ، بحَسَب الحال . وله تَسْفيرُ الأَجْوِبَة بعد أَخْذ «عَلامَة السُّلْطان» عليها ، وله تَصْريفُ المراسيم وُرُودًا وصُدُورًا ، وله الجُلُوسُ بين يدي السُّلْطان بدار العَدْل لقراءَة القِصَص والتَّوْقيع عليها بخَطِّه في المَجْلِس[2]. فصارَ يُوَقِّع فيما كان يُوَقَّع عليه بقَلَم الوَزارَة ، وصارَ إليه التَّحَدُّث في مَجْلِس السُّلْطان عند عَقْد المَشُورَة ، وعند اجْتِماع الحُكَّام لفَصْل أمرٍ مهم ، وله التَّوَسُّطُ بين الأُمَرَاء والسُّلْطان فيما يُنْدَب إليه عند الاخْتِلاف أو التَّدْبير ، وإليه تَرْجِعُ أُمُورُ القُضَاة ومَشايخ العِلْم ونحوهم في سائِر المملكة مصرًا وشامًا ، فيُمْضي من أُمُورهم ما أَحَبّ ، ويُشاوِر السُّلْطان فيما لا بُدّ من مُشاوَرَته فيه .

---

a) في كتاب المصاحف : في تسعة عشر يومًا .

= عشر الميلادي . فمُسَوَّدَةُ المَواعِظ والاعْتِبار المحفوظة بقسميها في متحف طوبقبوسراي بإستانبول ، وأيضًا الكُرَّاسةُ المحفوظة بخَطِّه في مكتبة Liège ببلجيكا كُتِبَت على كواغيد ديوانية مَصْدَرُها ديوان الإنْشاء المملوكي (انظر مقدمة المجلد الأوّل ١٠٩*-١١١*).

[1] النَّصّ في كِتاب المصاحِف لابن أبي داود السِّجِسْتاني ٣: «قال النَّبِيّ ﷺ: أتُحْسِنُ السريانية فإنَّها تأتيني كتبٌ ؛ قلت : لا ؛ قال : فتعَلَّمها . قال : فتعَلَّمتها في تسعة عشر يومًا» . وواضح أنَّ النُّسْخَة التي اعتمد عليها المقريزي تختلف عن النسخة الوحيدة لكتاب المصاحف التي نَشَر عليها آرْثَر جِفْري الكتاب وهي محفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق (مكتبة الأسَد الوطنية) .

[2] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ١٦٠؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤: ٣٠؛ وانظر كذلك السبكي : معيد النعم ٣٠؛ القلقشندي : صبح الأعشى ١: ١٠٤، ٥: ٤٦٤، ١١: ٢٩٤؛ حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ٩٢٢- ٩٢٥؛ ماجد : نظم سلاطين المماليك ١: ٥٤- ٥٧؛ Wiet, G., «Les secrétaires de la chancellerie (*Kuttâb al-Sirr*) en Égypte sous les Mamlouks circassiens (784-922/1382-1517)», *Mélanges René Basset*, Paris 1923, pp. 1-44؛ أحمد دَرّاج : «مَرْسوم السلطان قايتباي الخاص بكُتَّاب السِّرّ والقضاة الصادر في شهر شوال سنة ٨٧٤هـ» ، مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي ـ مكة المكرمة ٣ (١٤٠٠هـ) ، ٢٥٧- ٢٨٢؛ «تراجم كُتَّاب السِّرّ في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ)» ، المصدر نفسه ٤ (١٤٠١هـ) ، ٣١٥- ٣٥٠.

وكانت العادَةُ أن يجلس تحت الوَزير، فلمَّا عَظُمَ تمكُّن القاضي فَتْح الدِّين فَتْح الله كاتِب السِّرّ من الدَّوْلَة، جَلَسَ فَوْق الوَزير الصَّاحِب سَعْد الدِّين إبراهيم البَشيري، فاستمرَّ ذلك لمن بعده.

ورُتْبَةُ كِتابَة[a] السِّرّ أجَلّ الرُّتَب، وذلك أنَّها منتزعة من المُلْك. فإنَّ الدَّوْلَة العَبَّاسِيَّة صارَ خُلفاؤها في أوَّل أمْرِهم، منذ عَهْد أبي العَبَّاس السَّفَّاح إلى أيَّام هارُون الرَّشيد، يستبدُّون بأمُورهم. فلمَّا صارَت الخِلافَةُ إلى هارُون بن محمد[b] ألقى مَقاليدَ الأمُور إلى جَعْفَر بن يحيىٰ[c] البَرْمَكي؛ فصارَ جَعْفَر[d] يُوَقِّع على رِقاع الرَّافِعِين بخَطِّه في الولايات، وإزالَة الظُّلامات، وإطْلاق الأَرْزاق والعَطِيَّات. فجَلَّت لذلك رُتْبَتُه، وعَظُمَت من الدَّوْلَة مكانَتُه. وكان هو أوَّلَ من وَقَّع من وُزَرَاء خُلفَاء بني العَبَّاس، وصارَ مَنْ بعده من الوُزَرَاء يُوَقِّعون على القِصَص كما كان يُوَقِّع.

ورُبَّما انْفَرَدَ رَجُلٌ بديوان السِّرّ وديوان التَّرَسُّل، ثم أُفْرِدَت في أُخْرِيات دَوْلَة بني العَبَّاس، واستقلَّ بها كُتَّابٌ لم يَبْلُغوا مَبْلَغ الوُزَرَاء. وكانوا ببَغْداد يُقالُ لهم «كُتَّاب الإنْشَاء»، وكبيرهم يُدْعَى «رئيسَ ديوان الإنْشَاء» ويُطْلَق عليه تارَةً «صاحِبُ ديوان الإنْشَاء»، وتارَةً «كاتِبُ السِّرّ». ومَرْجِعُ هذا الدِّيوان إلى الوَزير وكان يُقالُ له «الدِّيوان العَزيز»، وهو الذي يُخاطِبه الملوك في مُكاتَبات الخُلَفاء.

وكان في الدَّوْلَة السَّلْجوقية يُسَمَّى ديوان الإنْشَاء بـ«ديوان الطُّغْرَاء»، وإليه يُنْسَب مؤيَّدُ الدِّين [e] الطُّغْرائي. و«الطُّغْرَاء» هي طُرَّة المكتوب، فيُكْتَب بأعلى من البَسْمَلة بقَلَم غَليظ ألْقابُ المَلِك، وكانت تقوم عندهم مَقام خَطِّ السُّلْطان بيده على المناشير والكُتُب، ويُسْتَغْنَى بها عن «عَلامَة السُّلْطان»، وهي لفظة فارِسِيَّة[1].

وفي بِلادِ المَغْرب يُقالُ لرَئيس ديوان الإنْشَاء «صَاحِبُ القَلَم الأَعْلى».

وأمَّا مصر فإنَّه كان بها في القَديم ـ لمَّا كانت دارَ إمارَة ـ «ديوانُ البَريد». ويُقالُ لمُتَوَلِّيه صاحِبُ

---

a) بولاق: كاتب. b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: يحيى بن جعفر. d) بولاق: يحيى. e) بياض في آياصوفيا.

---

[1] انظر فيما تقدم ٦٧٤هـ [5]، ومقال بوزورث Bosworth, C.E., *EI*[2] art. *Tughrā* X, pp. 639-40.

البَريد ، وإليه مَرْجِعُ ما يَرِد من دار الخِلافَة على أيْدي أصْحابِ البَريد من الكُتُب ، وهو الذي يُطالِع بأخبار مصر . وكان لأُمَرَاءِ مصر كُتَّابٌ يُنْشِئون عنهم الكُتُب والرَّسائل إلى الخَليفَة وغيره . فلمَّا صارَت مصرُ دارَ خِلافَةٍ ، كان القائِدُ جَوْهَرٌ يوقِّع على قِصَص الرَّافعين إلى أن قَدِمَ المُعِزُّ لدين الله فوقَّع ، وجَعَلَ أمْر الأمْوال وما يتعلَّق بها إلى يَعْقوب بن كِلِّس وعُسْلُوج بن الحَسَن ، فوليا أمْوال الدَّوْلَة . ثم فَوَّضَ العَزيزُ بالله أمْرَ الوَزارَة ليَعْقُوب بن كِلِّس ، فاستبدَّ بجَميع أحْوال المملكة ، وجَرَى مَجْرَى جَعْفَر بن يحيىٰ البَرْمَكي ، وكان يُوَقِّع ، ومع ذلك ففي أُمَرَاء الدَّوْلَة من يلي البَريد . وجَرَى الأَمْرُ فيما بعد على أن الوَزرَاء يوقِّعون ، وقد يُوَقِّع الخَليفَةُ بيده .

فلمَّا كانت أيَّامُ المُسْتَنْصِر بالله أبي تَميم مَعَدّ بن الظَّاهِر وصَرَفَ أبا جَعْفَر محمد بن جَعْفَر بن المَغربي عن وَزارَته ، أفْرَدَ له «ديوان الإنْشَاء» ، فوَلِيَه مُدَّةً طويلة ، وأدْرَكَ أيَّامَ أمير الجُيُوش بَدْر الجَمَالي ، وصارَ يلي ديوان الإنْشَاء بعده الأكابِرُ ، إلى أنِ انْقَرَضَت الدَّوْلَةُ وهو بيد القاضي الفاضِل عبد الرَّحيم بن عليّ البَيْسَاني . فاقْتَدَت بهم الدَّوْلَةُ الأيُّوبية ، ثم الدَّوْلَةُ التُّرْكِيَّة في ذلك ، وصارَ الأَمْرُ على هذا إلى اليوم .

وصارَ مُتَوَلِّي رُتْبَة كِتابَة السِّرّ أعْظَمَ أهْل الدَّوْلَة ، إلَّا أنَّه في الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة يكون معه من الأُمَرَاء واحِدٌ يُقالُ له «الدَّوَادار» ، منزلته مَنْزِلَة صَاحِب البَريد في الزَّمَن الأوَّل [1] . ومَنْزِلَةُ كاتِب السِّرّ مَنْزِلَة صاحِب ديوان الإنْشَاء ، إلَّا أنَّه يتميَّز بالتَّوْقيع على القِصَص تارَةً بمُراجَعَة السُّلْطان ، وتارةً بغير مُراجَعَة . فلذلك يحتاج إليه/ سائِرُ أهْل الدَّوْلَة من أرْبابِ السُّيوف والأقْلام ، ولا يَسْتَغني عن حُسْن سَفارته نائِبُ الشَّام فمن دونه ، ولله الأَمْرُ كلُّه . ٢٢٧:٢

و(a كان هذا الدِّيوان a) .

وأمَّا في الدَّوْلَة الأيُّوبية ، فإنَّ كُتَّابَ الدَّرْج كانوا في الدَّوْلَة الكامِلِيَّة قليلين جِدًّا ، وكانوا في غايَة الصِّيانَة والنَّزاهَة وقِلَّة الخُلْطَة بالنَّاس . واتَّفَقَ أنَّ الصَّاحِبَ زَيْنَ الدِّين يَعْقُوب بن الزُّبَيْر كان من جملتهم ، فسَمِعَ عنه(b) الملكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّين أيُّوب أنَّه يحضر في السَّمَاعات ، فصَرَفَه من ديوان الإنْشَاء ، وقال : هذا الدِّيوانُ لا يَحْتَمِلُ مِثْل هذا .

a-a) ساقطة من بولاق ، وأمامها في هامش آياصوفيا : بياض سبعة أسطر . b) ساقطة من بولاق .

[1] فيما تقدم ٧٢٠.

وكانتِ العادَةُ أَلَّا يَحْضُر كُتَّابُ الإنْشَاء الدِّيوان يوم الجُمُعَة. فعَرَضَ للملك الصَّالِح في بعض أيّام الجُمَع شُغْلٌ مهمٌّ، فطَلَبَ بعض الموقِّعين فلم يجد منهم أحَدًا، فقيل له إنَّهم لا يَحْضُرون يوم الجُمُعَة، فقال: اسْتَخْدموا في الدِّيوان كاتِبًا نَصْرانِيًّا يَقْعُد يوم الجُمُعَة لمهمٍّ يَطْرأ، فاسْتُخِدَم الأَمْجَدُ بن العَسّال كاتِب الدَّرْج لهذا المعنىٰ.

نَظَرُ الجَيْش

قد تقدَّم أنَّه كان يجلس بالقَلْعَة دَواوين الجَيْش في أيّام المَوْكِب، وتقدَّم في ذكر الإقْطاعات وذِكْر النِّيابَة ما يدلّ على حال مُتَوَلِّي نَظَرِ الجَيْش. ولابد مع ناظِر الجَيْش أن يكون من المُسْتَوْفين من يَضْبِط كُلِّيّات المملكة وجُزْئياتها في الإقْطاعات[a] [1].

نَظَرُ الخَاصّ

هذه الوَظيفَةُ ـ وإن كان لها ذِكْرٌ قَديمٌ من عَهْد الخُلَفاء الفاطِميين[2] ـ فإنَّ مُتَوَلِّيها لم يبلغ من جَلالَة القَدْر ما بَلَغَ إليه في الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة. وذلك أنَّ الملكَ النّاصِرَ محمد بن قَلاوون لمَّا أَبْطَلَ الوَزارَة، وأقامَ القاضي كَريم الدِّين الكَبير في وَظيفَة نَظَرِ الخاصّ، صارَ مُتَحَدِّثًا فيما هو خاصّ بمال السُّلْطان يتحدَّث في مَجْموع الأمْر الخاصّ بنفسه، وفي القِيام بأخْذ رأيه فيه؛ فبقي تحدُّثُه فيه وبسببه كأنَّه هو الوَزير لقُرْبه من السُّلْطان وزِيادَة تَصَرُّفِه[3].

وإلى ناظِر الخاصّ التَّحَدُّث في الخِزانَة السُّلْطانية، وكانت بقَلْعَة الجَبَل، وكانت كبيرةَ الوَضْع لأنَّها مُسْتَوْدَع أمْوال المملكة. وكان «نَظَرُ الخِزانَة» مَنْصِبًا جَليلًا إلى أن اسْتُحْدِثَت وَظيفَةُ «نَظَرِ الخاصّ»، فضَعُفَ أَمْرُ «نَظَرِ الخِزانَة» وأَمْرُ الخِزانَة أيضًا، وصارَت تُسَمَّى بـ«الخِزانَة الكُبْرىٰ»، وهو اسْمٌ أكبر من مُسَمّاه، ولم يَبْقَ بها إلَّا خِلَعٌ تُخْلَع منها أو ما يُحْضَر إليها ويُصْرَف أَوَّلًا فأَوَّلًا،

a) في هامش آياصوفيا: بياض سبعة أسطر.

[1] فيما تقدم ٦٩٩ – ٧٠٠.
[2] انظر أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٣٥٥.
[3] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٥٤– ٥٥؛ القلقشندي: صبح الأعشى ١١: ٣١٦؛ السيوطي: حسن المحاضرة ٢: ١٣٠– ١٣١.

وصارَ نَظَرُ الخِزانَة مُضافًا إلى ناظِر الخاصّ. وكان الرَّسْمُ أن لا يلي نَظَرَ الخِزانَة إلّا القُضاة أو من يَلْحَق بهم [١].

وما بَرِحَتِ الخِزانَةُ بقَلْعَة الجَبَل حتى عَمِلَها الأميرُ مِنْطاش سِجْنًا للمماليك الظّاهِرِيّة بَرْقوق في سنة تسعين وسبع مائة، فتلاشَت من حينئذٍ ونُسِيَ أمْرُها، وصارَت الخِلَعُ ونحوها عند ناظِر الخاصّ في دارِه. ٥

ذِكرُ عَادَة هذه المَملكةِ في الخِلَع ومَرَاتِبها [a]

وكانت [٢] لأهْل الدَّوْلَة في الخِلَع عَوائِدُ، وهم على ثَلاثَة أنْواع: أرْبابُ السُّيوف، والأقْلام، والعُلَماء. فأمّا أرْبابُ السُّيوف فكانت خِلَعُ أكابِر أُمَرَاء المِئِين الأطْلَس الأحمر الرّومي، وتحته الأطْلَس الأصْفَر الرّومي، وعلى الفَوْقاني طَرْز زَرْكَش ذَهَب وتحته سِنْجاب، وله سَجْفٌ من ظاهِره مع الغِشاء قُنْدُس [٣]، وكَلُّوتَة زَرْكَش [٤] بذَهَب وكُلاليب ذَهَب [٥]، وشاش لانِس [٦] رَفيع مَوْصول به في طرفيه حَريرٌ أبيض مَرْقومٌ بألْقاب السُّلْطان، مع نُقوشٍ باهِرَة من الحَرير الملوَّن، مع مِنْطَقَة ذَهَب. ١٠

---

a) هذا العنوان موجود في مسالك الأبصار مصدر المعلومات التالية.

---

[١] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٦١؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٣١، ١١: ٣٣٦-٣٣٩؛ السيوطي: حسن المحاضرة ٢: ١٣٢؛ وانظر كذلك حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف ١٢٠٢-١٢٠٦.

[٢] من هنا ينقل المقريزي عن مسالك الأبصار، وقد اعتمد ماير Mayer عند حديثه على ثِياب التَّشْريف في عصر المماليك على ما أوْرَدَه ابنُ فَضْل الله العُمَري (والذي ضَمَّنَه المقريزي في هذا الفَصْل) وعلّق على قيمته بقوله: «حتى إنَّ الإنسانَ ليجد صعوبةً كبرى إذا أرادَ أن يُحاول مُحاوَلَةً أفضل وأدَقّ ممّا قدَّمَهُ هذا المؤلِّف بأسْلوبِه الخاصّ»، وأوْرَدَ هذا النَّصّ في كِتابِه عن الملابس المملوكية اعْتمادًا على ما ضَمَّنَه المَقْريزي في الخِطَط. (Mayer, L. A., *Mamluk Costume*, pp. 58-60).

[٣] قُنْدُس ويقال القُنْدُس. القماش المنسوج من فِراء القُنْدُس، وهو كَلْب البحر، ويعرف بالكَسْتُور (ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٦٩هـ[٢]).

[٤] الكَلُّوتة. انظر فيما تقدم ٧٠٤.

[٥] كُلاب جـ. كلاليب. هو المشبك أو الأبزيم، وأكثر استخدامه في تحلية الكَلُّوتة (ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٦٩هـ[٤]).

[٦] الشَّاش ما يُلَفّ حول غطاء الرأس من قماش (نفسه ٦٩هـ[٥]).

ثم تَخْتَلِف أحْوالُ المِنْطَقَة بحَسَب مَقاديرهم ، فأعْلاها أن يُعْمَل[a] بين عُمُدها بَواكِر أوسَط ، ومجنَّبتان بالبَلَخْش والزُّمُرُّد واللُّؤْلُؤ ، ثم ما كان ببيكارِيَّة واحِدَة مُرَصَّعة ، ثم ما كان ببيكارِيَّة واحدة غير مرَصَّعة [1]. وأمَّا من تَقَلَّد وِلايةً كبيرةً منهم فإنَّه يُزاد سَيْفًا محلًّى بذَهَب يُحْضَر من السِّلاح خاناه ويجلبه ناظِرُ الخاصّ ، ويُزاد فَرَسًا مُسْرَجًا مُلْجمًا بكَنْبوش ذَهَب [2]، فالفَرَسُ من الإسْطَبْل وقُماشُه من الرِّكاب خاناه . ومَرْجِعُ العَمَل في سُرُوج الذَّهَب والكَنابيش إلى ناظِر الخاصّ .

وكان رَسْمُ صاحب حَمَاة[3] من أعْلى هذه الخِلَع ، ويُعْطَى بَدَلَ الشَّاش اللانِس شاش من عمل الإسْكَنْدَرية حَرير شبيه بالطول ، ويُنْسَج بالذَّهَب ، ويُعْرَف بالمُتَمَّر [4]، ويُعْطَى فَرَسان أحدهما كما ذُكِر ، والآخر يكون عِوَض كَنْبوشه زناري أَطْلَس أحمر . وكانت لنائِب الشَّام ـ على ما استقرَّ في أيَّام النَّاصِر محمد بن قَلاوون ـ مثلُ هذا ، وزيد لتَنْكِز[5] تركيبة زَرْكَش ذَهَب دائِرَة بالقَباء الفَوْقاني [6].

ودون هذه الرُّتْبَة في الخِلَع نَوْعٌ يُسَمَّى طَرْد وَحْش[b] يُعْمل بدار الطِّراز التي كانت بالإسْكَنْدَرية وبمصر وبدِمَشْق ، وهو مجوَّخ جاخات كِتابة بألْقاب السُّلْطان ، وجاخات طَرْدوَحْش[b]، وجاخات ألوان ممتزجة بقَصَب مذهب ؛ يَفْصِل بين هذه الجاخات نُقُوش ، وطِرازُ هذا يكون من القَصَب ، وربما كَثُرَ[c] بعضُهم فرَكَّب عليه طِرازًا مُزَرْكَشًا بالذَّهَب ، وعليه فَرْو

a) بولاق : ما عمل . b) بولاق : طرزوحش . c) بولاق : كبر .

[1] هذا وَصْفُ هيئة المِنْطَقَة (الحياصَة) (انظر فيما تقدم ٧٠٤) . والبيكارية جـ. بَواكِر وبَواكير . رَقيقتان مستطيلتان من المَعْدِن عليهما نُصوصٌ منقوشة توضِّح اسم الأمير الذي صُنِعَت من أجله . (Mayer, L. A., *op.cit.*, pp. 27-28) .

[2] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٦٩- ٧٠.

[3] انظر وصف خلعة صاحب حماة عند أبي الفدا : المختصر في أخبار البشر ٤: ٨٧، حيث يذكر أنه منح هذه الخلعة يوم الخميس سابع عشر المحرم سنة ٧٢٠هـ .

[4] المُتَمَّر يرى Mayer أن العمري ، ومن نقل عنه ، انفردوا بذكر هذا النوع من الأطلس ، وهو من أغلى وأثمن أنواع النسيج ، وكان يستخدم في صناعة أجلّ ثياب التشريف الخاصة بالطبقة العليا (Mayer, L. A., *op.cit.*, p. 14 n.4) .

[5] تنكز بن عبد الله الحسامي الناصري ، ولي نيابة دمشق ثمانية وعشرين سنة ، ثم حبسه الناصر محمد في الإسكندرية إلى أن قتل بها سنة ٧٤١هـ .

[6] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٧٠؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤: ٥٢- ٥٣؛ ٥: ٤١٩.

سِنْجاب وقَنْدُس كما تقدَّم، وتحت القَباء الطَّرْدوَحْش[a][1] قَباءٌ من المَفَرَّج الإسْكَنْدَراني الطَّرْح، وكَلُّوتة زَرْكَش بكلاليب وشاش على ما تقدَّم، وحِياصَة ذَهَب، فتارَةً تكون بيكارِيَّة، وتارَةً لا يكون لها بيكارِيَّة، وهذه لأصَاغِر أُمَرَاء المِئِين ومن يَلْحَق بهم[٢].

ودون هذه الرُّتْبَة في الخِلَع كَنْجي[b] عليه نَقْش من لَوْنٍ آخَر غير لَوْنه، وقد يكون من نَوْع لَوْنه بتفاوُت بينهما، وتحته سِنْجاب بقَنْدَس، والبقيَّة كما تقدَّم، إلَّا أن الحياصَة والشَّاش لا يكونان بأطْراف رَقْم، بل تكون مُجَوَّخَة بأخضر وأصفر مُذَهَّب، والحياصَة لا تكون ببيكارية[٣].

ودون هذه المَرْتَبَة كنجي[b] تكون واحِدَة بسِنْجاب مُقَنْدَس، والبقيَّة على/ ما ذُكِرَ، وتكون الكَلُّوتة خَفيفَة الذَّهَب، وجانباها يكادان يكونان خالِيَين بالجملة، ولا حِياصَة له.

ودون هذه الرُّتْبَة مُجَوَّم لَوْن واحِد، والبقيَّة على ما ذُكِر، خَلا الكَلُّوتَة والكلاليب. ودون هذه الرُّتْبَة مُجَوَّم مُقَنْدَس، وهو قَباءٌ ملونٌ بجاخات من أحمر وأخضر وأزرق، وغير ذلك من الألْوان بسِنْجاب وقَنْدس، وتحته قَباءٌ إمَّا أزرق أو أخضر، وشاشٌ أبيض بأطْرافٍ من نسبة ما تقدَّم ذكره؛ ثم دون هذا من هذا النَّوْع[٤].

وأمَّا «الوُزَرَاءُ والكُتَّاب» فأَجَلُّ ما كانت خِلَعُهم الكَنْجي[c] الأبيض المطرَّز برَقْم حرير ساذج، وسِنْجاب مُقَنْدَس وتحته كَنْجي[b] أخضر، وبَقْيار كان من عَمَل دِمْياط مَرْقُوم وطَرْحَة.

ثم دون هذه الرُّتْبَة عُدِم السِّنْجاب، بل يكون القَنْدُس بدائر الكُمَّيْن وطُول الفرج، ودونها تَرْك الطَّرْحَة، ودونها أن يكون التَّحْتاني مُجَوَّمًا، ودون هذا أن يكون الفَوْقاني من الكَنْجي[c] لكنَّه غير أبيض، ودونه أن يكون الفَوْقاني مُجَوَّمًا أبيض، ودونه أن يكون تحته عَتَّابي طَرْح[d][٥].

a) بولاق: طرزوحش. b) بولاق: كمخا. c) بولاق: الكمخا. d) ساقطة من بولاق.

[١] الطَّرْد وَحْش بمعنى المُطَرَّز عليه صُوَر الوَحْش القلقشندي: صبح ٤: ٥٣. (راجع، Mayer, L. M., *op.cit.*, p. 59; Serjeant, R.B., *Islamic Textiles* p. 150).

[٢] ابن فضل الله العمري: مسالك ٧٠- ٧١؛

[٣] نفسه ٧١.

[٤] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٧١.

[٥] نفسه ٧٢.

وأمَّا «القُضَاةُ والعُلَمَاءُ» فإنَّ خِلَعَهُم من الصُّوف بغير طِراز، ولهم الطَّرْحَة، وأجلُّهم أن يكون أبيض وتحته أخضر، ثم ما دون ذلك [1].

وكانت العادَةُ أنَّ أُهْبَة الخُطَباء ـ وهي السَّواد ـ تُحْمَل إلى الجَوامِع من الخِزانَة، وهي دَلْق مُدَوَّر، وشاش أسْوَد، وطَرْحَة سَوْداء، وعَلَمان أسودان مكتوبان بأبيض أو بذَهَب، وثِياب المُبَلِّغ قُدَّام الخَطيب مثل ذلك خَلا الطَّرْحَة. وكانت العادَةُ إذا خَلَقَت الأَهْبَة المذكورة، أُعيدت إلى الخِزانَة، وصُرِف عِوَضُها [2].

وكانت للسُّلْطانُ عادَاتٌ بالخِلَع: تارَةً في ابتداء سَلْطَنَته، وتَشْمَل حينئذٍ الخِلَعُ سائِر أرْباب المملكة. بحيث خَلَعَ في يومٍ واحِدٍ ـ عند إقامَة الأَشْرَف كَجَك بن النَّاصر محمد بن قلاوون ـ ألف ومائتا تَشْريف في وَقْت لَعِبِه بالكُرَة على أُناس جَرَت عَوائِدهم بالخِلَع في ذلك الوَقْت، كالجُوكَنْدارية والوُلاة ومَنْ له خِدْمَة في ذلك [3]. وتارةً في أوْقات الصَّيْد عندما يَنْشَرِح، فإذا حَصَّلَ أحَدٌ شيئًا ممَّا يصيده خَلَعَ عليه قَباءً مُسَجَّفًا ممَّا يُناسِب خِلْعَة مثله على قَدْره، وكذلك يَخْلَع على البُزْدارية وحَمَلَة الجَوارِح ومن يَجْري مَجْراهم عند كلِّ صَيْد.

وكانت العادَةُ أيضًا أن يُنْعِم على غِلْمان الطَّشْت خاناه والشَّراب خاناه والفَرَاش خاناه، ومن يَجْري مَجْراهم، في كلِّ سنةٍ عند أوانِ الصَّيْد. وكانت العادَةُ أنَّ من يَصِل إلى الباب من البِلاد، أو يَرِد عليه أو يُهاجِر من مملكة أخْرى إليه، أن يُنْعِمَ عليه مع الخِلَع بأنْواعِ الإدْرارات والأرْزاق والإنْعامات [4]. وكذلك التُّجَّارُ الذين يَصِلون إلى السُّلْطان، ويَبِيعون عليه، لهم مع الخِلَع الرَّواتِب الدَّائمة من الخُبْز واللَّحْم والتَّوابِل والحَلْوى والعَليق والمُسامَحات، بنَظِيرِ كلِّ ما يُبَاع من الرَّقيق المماليك والجَواري، مع ما يُسامَحُون به أيضًا من حُقوقٍ أخرى تُطْلَق.

وكلُّ واحِدٍ من التُّجَّار إذا باعَ على السُّلْطان، ولو رأسًا واحِدًا من الرَّقيق، فله خِلْعَةٌ مكملة بحَسَبِه ـ خارِجًا عن الثَّمَن وعمَّا يُنْعَم به عليه أو يُسَفَّر به ـ من مال السَّبيل، على سَبيل القَرْض ليَتاجِر به [5].

---

[1] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٧٢، ٥٠- ٥١.

[2] نفسه ٧٢.

[3] انظر عن الجُوكَنْدار، فيما تقدم ٣٩١-٣٩٢هـ [1].

[4] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٧٣- ٧٤.

[5] نفسه ٧٤.

وأمَّا جَلَّابَةُ الخَيْل من عَرَب الحِجاز والشَّام والبَحْرَيْن وبَرْقَة وبلاد المغرب ، فإنَّ لهم الخِلَعَ والرَّواتب والعُلوفات والأنْزال ورُسُوم الإقامات ، خارِجًا عن مُسامَحات تُكْتَب لهم بالمقرَّرات عن تِجَارَة يتَّجرون بها ممَّا أخذوه من أثْمان الخُيُول . وكان يُثَمَّن الفَرَسُ بأَزْيَد من قِيمتِه ، حتى رُبَّما بَلَغَ ثَمَنُهُ على السُّلْطان ـ الذي يأخذه مُحْضِرُه ـ نَظِير قيمته عليه عَشْر مرَّات ، غير الخِلَع وسائِر ما ذُكِر[1] . ولم يَبْق اليوم سوى ما يُخْلَع على أرْباب الدَّوْلَة . ٥

وقد اسْتُجِدَّ في الأيَّام الظَّاهِرِيَّة ، وكَثُرَ في الأيَّام النَّاصِرية فَرَجَ نَوْعٌ من الخِلَع ـ يُقالُ له «الجُبَّة» ـ يلبسه الوَزِيرُ ونحوه من أرْباب الرُّتَب العَلِيَّة جعلوا ذلك ترفُّعًا عن لِبْس الخِلْعَة .

ولم تكنِ الملوكُ تلبس من الثِّياب إلَّا المتوسِّط ، وتُجْعَل حَوائِصَها بغير ذَهَب . فلم تَزِد حِياصَةُ النَّاصِر محمد على مائة دِرْهَم فضَّة ، ولم يَزِد أيضًا سَقْطُ سَرْجه على مائة دِرْهَم فضَّة على عَباءَة صُوف تَدْمُري أو شامي . فلمَّا كانت دَوْلَةُ أوْلاده بالَغوا في التَّرَف ، وخالَفُوا فيه عَوائِدَ أسْلافِهم ، ١٠ ثم سَلَكَ الظَّاهِرُ بَرْقوق في مَلابِسِه بعضَ ما كان عليه المُلُوك الأكابِر لا كلَّه ، وتَرَكَ لُبْس الحَرير .

المَيْدانُ بالقَلْعَة

هذا المَيْدانُ من بَقايا مَيْدان أحمد بن طُولون ـ الذي تقدَّم ذكره عند ذِكْر القَطائِع من هذا الكِتاب[2] ـ ثم بَنَاه الملكُ الكامِلُ محمد بن العادِل أبي بكر بن أيُّوب في سنة إحدى عشرة وستّ مائة ، وعَمَّرَ إلى جانِبِه بِرَكًا ثَلاثًا تُمْلأ[a] لسَقْيه ، وأجْرَى الماءَ إليها ، ثم تعطَّل هذا المَيْدانُ مُدَّةً . ١٥ فلمَّا قامَ من بعده ابنُه الملكُ العادِلُ أبو بكر محمد بن الكامِل محمد اهْتَمَّ به . ثم اهْتَمَّ به الملكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّين أيُّوب بن الكامِل اهْتِمامًا زائِدًا ، وجَدَّدَ له ساقيةً أخرى ، وأنشأ حَوْلَه الأشْجار ، فجاءَ من أحْسَن شيءٍ يكون إلى أن مات . فتَلاشَى أمْرُ المَيْدان بعده ، وهَدَمَه الملكُ المُعِزُّ أيْبَك سنة إحدى وخمسين وستّ مائة ، وعَفَت آثاره[3] .

---

a) ساقطة من بولاق .

---

[1] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٧٤.

[2] فيما تقدم ٢ : ٨٦؛ وهذا المجلد ٦٢٥.

[3] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٣٢؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٧٣ - ٣٧٤.

فلمَّا كانت سنة اثنتي عشرة وسبع مائة، ابتدأ المَلِكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون عِمارَتَه [١]، فاقْتَطَعَ من باب الإسْطَبْل إلى قَريب باب القَرافَة، وأَحْضَرَ إليه[a] جَميعَ جِمال الأُمَرَاء، فنَقَلَت إليه الطِّين حين كَسَاه كلَّه وزَرَعَه، وحَفَرَ به الآبار/ ورَكَّب عليها السَّواقي، وغَرَسَ فيه النَّخْل الفاخِر والأَشْجار المُثْمِرَة، وأدارَ عليه هذا السُّور الحَجَر الموجود الآن، وبَنَى حَوْضًا للسَّبيل من خارِجِه [٢].

٢٢٩:٢

٥

فلمَّا كَمُلَ ذلك نَزَلَ إليه ولَعِبَ فيه الكُرَة مع أُمَرَائِه، وخَلَعَ عليهم، واستمرَّ يلعب فيه يومي الثُّلاثاء والسَّبْت، وصارَ القَصْرُ الأَبْلَق يُشْرِف على هذا المَيْدان، فجاءَ مَيْدانًا فَسيحَ المَدَى يُسافِرُ النَّظَرُ في أرْجائِه [٣].

وإذا رَكِبَ السُّلْطانُ إليه نَزَلَ من دَرَجٍ تلي قَصْره الجُوَّاني. فينزل السُّلْطان إلى الإسْطَبْل الخاصّ، ثم إلى هذا المَيْدان وهو راكِبٌ وخَواصُّ الأُمَرَاء في خِدْمَتِه. فيعرض الخُيُول في أَوْقاتِ الإطْلاقات، ويلعب فيه الكُرَة. وكان فيه عِدَّةٌ من أنواع الوُحُوش المستحسنة المنظر، وكانت تُرْبَطُ به أيضًا الخُيُول الخاصَّة للتَّفَسُّح [٤].

١٠

وفي هذا المَيْدان يُصَلِّي السُّلطانُ أيضًا صَلاةَ العيدَيْن، ويكون نُزولُه إليه في يوم العيد وصُعُودُه من بابٍ خاصٍّ من دِهْليز القَصْر، غير المعتاد النُّزول منه [٥]. فإذا رَكِبَ من باب قَصْره، ونَزَلَ إلى مَنْفَذِه من الإسْطَبْل إلى هذا المَيْدان، ينزل في دِهْليز سُلْطاني قد ضُرِبَ له على أكْمَل ما يكون من الأُبَّهَة، فيُصَلِّي ويَسْمَع الخُطْبَة. ثم يَرْكَب ويَعُود إلى الإيوان الكبير، ويُمَدُّ به السِّماط، ويَخْلَع على حامِل القُبَّة والطَّيْر، وعلى حامِل السِّلاح والأُسْتادّار والجاشْنَكير وكثيرٍ من أرْباب الوَظائِف [٦].

١٥

---

a) إضافة من مسودة الخطط.

---

[١] ابن أيبك: كنز الدرر ٩: ٢٤٥.

[٢] المقريزي: مسودة الخطط ٦٦و.

[٣] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٨٣.

[٤] نفسه ٨٣.

[٥] نفسه ٨٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ١٣٧٣؛ المقريزي: مسودة الخطط ٦٦و.

[٦] يَدُلُّ على مَوْضِع المَيْدان تحت القَلْعَة المنطقة الممتدَّة الآن جنوب باب العَزَب حتى باب القرافة بسور مجرى العيون بميدان السيدة عائشة، الواقع أسفل كوبري السيدة عائشة الآن، وكان يخرج منه أهل القاهرة إلى قرافة الإمام الشافعي. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١١١هـ [٢]؛ محمد الشثناوي: ميادين القاهرة في العصر المملوكي ٧-٥٩).

وكانت العادَةُ أن تُعَدّ للسُّلْطان أيضًا خِلْعَةُ العيد، على أنّه يلبسها كما كانت العادَةُ في أيّام الخُلَفَاء، فيُنْعِم بها على بعض أكابِر أُمَرَاء المِئِين. ولم يَزَل الحالُ على هذا إلى أن كانت سنة ثمان مائة، فصَلَّى الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقوق صَلاةَ عيد النَّحْر بجامِع القَلْعَة لتخوُّفه بعد وَاقِعَة[a] الأمير آل بيه[b]، فهَجَرَ المَيْدان. واستمرّت صَلاةُ العيد بجامِع القَلْعَة من عامئذٍ طُول الأيَّام النَّاصِرِيَّة والمُؤَيَّدِيَّة. ٥

الحَوْش

[c] خارج باب القرافة [c]

ابْتُدِيءَ العَمَلُ فيه على أيّام الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون في سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مائة. وكان قِياسُه أربعة فَدادين، وكان موضعُه بِرْكَةً عَظيمةً قد قُطِعَ ما فيها من الحَجَر لعِمارَة قاعات القَلْعَة حتى صارَت غَوْرًا كبيرًا[d]. ولمَّا شُرِعَ في العَمَل رَتَّب على كلِّ أميرٍ من أُمَرَاء المِئِين ١٠ مائة رجل ومائة بَهيمَة لنَقْل التراب بَرَسْم الرَّدْم، وعلى كلِّ أميرٍ من أُمَرَاء الطَّبْلَخاناه بحَسَبه. ونَدَبَ الأمير آقْبُغا عبد الواحِد شادًّا لعَمَل ذلك[e]، فحَضَرَ من عند كلٍّ من الأُمَرَاء أُسْتادَّارُه ومعه جُنْدُه ودَوابُّه للعَمَل، وأحْضر الأسارى، وسَخَّرَ والي القاهِرَة ووالي مصر النَّاس[f]، وأُحْضِرَت رِجالُ النَّواحي، وجَلَسَ أُسْتادَّارُ كلِّ أميرٍ في خَيْمَة، ووزَّع العَمَلَ عليهم بالأَقْصاب. ١٥

ووَقَفَ الأميرُ آقْبُغا يَسْتَحِثّ النَّاسَ في سرعة العَمَل، وصارَ الملكُ النَّاصِر يَحْضُر في كلِّ يوم بنفسه. فنالَ النَّاسَ من العَمَل ضَرَرٌ زائِدٌ، وأَخْرَق آقْبُغا بجَماعَةٍ من أماثِل النَّاس، وماتَ كثيرٌ من الرِّجال في العَمَل، لشِدَّة العَسْف وقُوَّة الحَرّ، وكان الوَقْتُ صَيْفًا. فانتهى عَمَلُه في ستَّةٍ وثلاثين يومًا.

وأَحْضَر إليه من بلاد الصَّعيد ومن الوَجْه البَحْري ألفي رأس غَنَم، وكثيرًا من الأبْقار البُلْق لتوقَف في هذا الحَوْش، فصارَ مَراحَ غَنَمٍ ومَرْبَطَ بَقَرٍ، وأجْرَى الماءَ إلى ٢٠

---

a) بولاق: وقعة. b) بولاق: علي باي. c-c) إضافة من مسودة الخطط. d) مسودة الخطط: عظيمًا.
e) بولاق: شاد العمل، والمثبت من مسودة الخطط. f) مسودة الخطط: وأخذ والي القاهرة يُسَخِّر من ظَفِر به من الحرافيش.

هذا الحَوْش من القَلْعَة، وأقامَ الأغنامَ حَوْلَه [١].

وتتبَّع في كلِّ سَنَةٍ المراحات، من عَيْذاب وقُوص إلى ما دونهما من البلاد، حتى يؤخَذ ما بهما من الأغْنام المختارة، وجَلَبها من بِلاد النُّوبَة ومن اليَمَن. فبَلَغَت عِدَّتُها بعد مَوْته ثلاثين ألف رأس سِوَى أتْباعِها، وبَلَغَ البَقْلُ الأخضر الذي يُشْتَرَى لِفراخ الأَوِزّ في كلِّ يومٍ خمسين دِرْهَمًا: عنها زيادة على مِثْقالَيْن من الذَّهَب.

فلمَّا كانت الأيَّامُ الظَّاهِرِية بَرْقُوق، عُمِلَ المَوْلِدُ النَّبَوي بهذا الحُوش في أوَّل لَيْلَة جُمْعَة من شهر رَبيع الأوَّل في كلِّ عام. فإذا كان وَقْتُ ذلك ضُرِبَت خَيْمَةٌ عَظيمَةٌ بهذا الحُوش، وجَلَسَ السُّلْطانُ وعن يمينه شَيْخُ الإسلام سِراجُ الدِّين عُمَر بن رَسْلان بن نَصير البُلْقيني، [a)]ويليه الشَّيْخُ المُعْتَقِد بُرْهانُ الدِّين إبراهيم بن محمد بن بهادُر بن أحمد بن رفاعَة الغَزِّي[a)] ويليه وَلَدُ شَيْخ الإسْلام ومَنْ دونه، وعن يَسار السُّلْطان الشَّيْخ أبو عبد الله محمد بن سَلامَة التُّوزَري المغربي، ويليه قُضَاةُ القُضَاة الأربعة وشُيُوخُ العِلْم، ويَجْلِسُ الأُمَرَاءُ على بُعْدٍ من السُّلْطان.

فإذا فَرَغَ القُرَّاءُ من قِراءَة القُرْآن الكَريم، قامَ المُنْشِدون واحِدًا بعد واحِدٍ - وهم يَزيدون على عشرين مُنْشِدًا - فيُدْفَع لكلِّ واحِدٍ منهم صُرَّةٌ فيها أربع مائة دِرْهَم فِضَّة، ومن كلِّ أميرٍ من أُمَرَاء الدَّوْلَة شُقَّة حَرير. فإذا انْقَضَت صَلاةُ المغرب، مُدَّت أَسْمِطَةُ الأطْعِمَة الفائِقَة فأُكِلَت وحُمِلَ ما فيها، ثم مُدَّت أَسْمِطَة الحَلْوَى السُّكَّرِيَّة من الجَوارِشْنَات والعقائد ونحوها فتؤكل ويَخْطِفها الفُقَهاءُ. ثم يكون تَكْميل إنْشَاد المُنْشِدين ووَعْظِهم إلى نَحْو ثُلُث اللَّيْل. فإذا فَرَغَ المُنْشدون، قامَ القُضَاةُ وانْصَرَفوا، وأُقيم السَّماعُ بقيَّة اللَّيْل [٢]. واستمرَّ ذلك مُدَّةَ أيَّامِه، ثم أيَّام ابنه الملك النَّاصِر فَرَج.

---

a-a) ساقطة من بولاق.

---

[١] المقريزي: مسودة الخطط ٦٧ظ-٦٨و؛ السلوك ٢: ٤٣٣-٤٣٥؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١١٩-١٢١، ١٨٢.

ويدلُّ على مكان الحُوش الآن القسم المنخفض من مباني القلعة في الجهة القبلية الشرقية منها، حيث موضع قاعة العَدْل التي أنشأها محمد علي باشا سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٤م، والمعروفة أيضًا بديوان كتخدا، ودار الضَّرْب القديمة (النجوم الزاهرة ٩: ١١٩هـ [٣]؛ Casanova, P., *op.cit.*, p. 653 (الترجمة العربية ١٤١-١٤٢)).

[٢] المقريزي: السلوك ٣: ٨٩٠-٨٩١، وهو وَصْف الاحتفال بالمولد النبوي سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٨م.

ذكر المياه التي بقلعة الجبل

وَجميعُ مِياه القَلْعَة من ماءِ النِّيل ، تُنْقَلُ من مَوْضِعٍ إلى مَوْضِعٍ حتى تَمُرّ في جَميع ما يُحْتاج إليه بالقَلْعَة ./ وقد اعْتَنَى الملوكُ بعمل السَّواقي التي تَنْقل الماءَ من بَحْر النِّيل إلى القَلْعَة عِنايَةً عَظيمةً . ٢٣٠:٢
فأنْشَأ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون في سنة اثنتي عشرة وسبع مائة ، أرْبَع سَواقٍ على بَحْر النِّيل تَنْقِل الماءَ إلى السُّور ، ثم من السُّور إلى القَلْعَة . وعَمِلَ نَقَّالَة من المَصْنَع الذي عَمِلَه الظَّاهِر بَيْبَرْس ٥
بجوار زاوية تقيّ الدِّين رَجَب التي بالرُّمَيْلَة تحت القَلْعَة ، إلى بِئْر الإسْطَبْل [1] .

فلمَّا كانت سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مائة ، عَزَم الملكُ النَّاصِرُ على حَفْر خَليجٍ من ناحية حُلْوان إلى الجَبَل الأحْمَر المطلّ على القاهِرَة ، ليَسُوقَ الماءَ إلى المَيْدان الذي عَمِلَه بالقَلْعَة ، ويكون حَفْرُ الخَليج في الجَبَلِ . فنَزَلَ لكَشْف ذلك ومعه المهندسون ، فجاءَ قِياسُ الخَليج طُولاً اثنين وأربعين ألف قَصَبَة ، فيمرُّ الماءُ فيه من حُلْوان حتى يُحاذي القَلْعَة ، فإذا حاذاها بَنَى هناك حَنايا[a] ١٠
تحمل الماءَ إلى القَلْعَة ليصير الماءُ بها غَزيرًا كثيرًا دائِمًا صَيفًا وشِتاءً لا ينقطع ولا يُتَكَلَّف لحَمْله ونَقْله ، ثم يمرُّ من مُحاذاة القَلْعَة حتى ينتهي إلى الجَبَل الأحمر ، فيصبّ من أعْلاه إلى تلك الأرْض حتى تُزْرَع .

وعندما أرادَ الشُّروعَ في ذلك طَلَبَ الأميرَ سَيْفَ الدِّين قُطْلوبك بن قَراسُنْقُر الجاشَنْكير ، أحَدَ أُمَراء الطَّبْلَخاناه بدِمَشْق ، بعدما فَرَغَ من بناء القَناة وساقَ العَيْنَ إلى القُدْس . فحَضَرَ ومعه الصُّنَّاعُ ١٥
الذين عَمِلوا قَناة عَيْن بَيْت المَقْدس على خَيْل البَريد ، إلى قَلْعَة الجَبَل فأُنْزِلُوا . ثم أُقيمَت لهم الجِراياتُ والرَّواتبُ ، وتَوَجَّهوا إلى حُلْوان ، ووَزَنُوا مَجْرَىٰ الماء ، وعادوا إلى السُّلْطان ، وصَوَّبوا رأيَه فيما قَصَدَ ، والتزموا بعَمَلِه . فقال : كم تُريدون ؟ قالوا : ثمانين ألف دينار ؛ فقال : ليس هذا بكَثير فقال : كم تَكُون مُدَّةُ العَمَل فيه حتى يَفْرُغ ؟ قالوا : عَشْر سنين . فاسْتَكْثَر طُولَ المُدَّة .
ويُقالُ إنَّ الفَخْرَ ناظِرَ الجَيْش ، هو الذي حَسَّنَ لهم أن يقولوا هذه المُدَّة ، فإنَّه لم يكن من رأيه عَمَل هذا الخَليج . وما زال يُخَيِّل للسُّلْطان ، من كَثْرَة المَصْروف عليه ومن خَراب القَرافَة ، ما ٢٠

a) بولاق : حنايا .

[1] المقريزي : مسودة الخطط ٦٦و .

حَمَلَه على صَرْفِ رأيه عن العَمَل، وأعادَ قُطْلُوبك والصُّنَّاع إلى دِمَشْق. فماتَ قُطْلُوبك عَقِيبَ ذلك في سنة تسعٍ وعشرين وسبع مائة في رَبيع الأوَّل [١].

فلمَّا كانت سنة إحدى وأربعين وسبع مائة، اهتمَّ الملكُ النَّاصِرُ بسَوْق الماء إلى القَلْعَة وتكثيره بها، لأجْلِ سَقْيِ الأشْجَار ومَلْء الفَساقي، ولأجْلِ مَراحات الغَنَم والأبْقَار. فطَلَبَ المهندسين والبَنَّائين، ونَزَلَ معهم، وسارَ في طُول القَناطِر التي تَحْمِل الماء من النِّيل إلى القَلْعَة حتى انتهى إلى السَّاحِل، فأَمَرَ بحَفر بِئْرٍ أخرى ليُرَكَّب عليها القَناطِر حتى تتَّصل بالقَناطِر العَتِيقَة، فيجتمع الماءُ من بِئْرَيْن، ويصير ماءً واحِدًا يجري إلى القَلْعَة فيَسْقي المَيْدان وغيره، فعُمِلَ ذلك [٢].

ثم أَحَبَّ الزِّيادَة في الماء أيضًا، فرَكِبَ ومعه المهندِسون إلى بِرْكَة الحَبَش، وأَمَرَ بحَفر خَليجٍ صغيرٍ يخرج من البَحْر، ويمرُّ إلى حائِط الرَّصْد، ويُنْقَر في الحَجَر تحت الرَّصْد عشر آبار يَصُبُّ فيها الخَلِيج المذكور، ويُرَكَّب على الآبار السَّواقي لتَنْقل الماء إلى القَناطِر العَتِيقَة التي تَحْمِل الماء إلى القَلْعَة زِيادَةً لها وتكثيرًا في الماء[a].

وكان فيما بين أوَّل هذا المكان الذين عُيِّنَ لحَفْر الخَلِيج، وبين آخِره تحت الرَّصْد، أمْلاكٌ كثيرةٌ وعِدَّةُ بَساتين. فنُدِبَ الأميرُ آقْبُغا عبد الواحِد [b]والشِّهابي شادُّ العَمائِر[b] لحَفْر هذا الخَلِيج، وشِراء الأمْلاك من أرْبابها. فحَفَرَ الخَلِيج، وأجْراه في وَسَط بُسْتان الصَّاحِب بَهاء الدِّين بن حِنَّا، وقَطَعَ أنْشابَه، وهَدَمَ الدُّور، وجَمَعَ عامَّة الحَجَّارين لقَطْع الحَجَر ونَقْر الآبار.

وصارَ السُّلْطانُ يَتَعاهَد النُّزول للعَمَل كلَّ قَليلٍ، فعمل عُمْق الخَلِيج من فَم البَحْر أرْبَع قَصَبات، عُمْق كلِّ بِئْرٍ في الحَجَر أربعين ذِراعًا [٣]. فقدَّر الله تعالى مَوْتَ الملك النَّاصِر قبل تَمام هذا العَمَل، فبَطَلَ ذلك وانْطَمَّ الخَلِيجُ بعد ذلك، وبَقِيَت منه إلى اليوم قِطْعَةٌ بجوار رِباط الآثار[c].

---

a) من المسودة، وفي المبيضة: زيادة لمائها. b-b) إضافة من مسودة الخطط. c) في مسودة الخطط: وبقيت قطعة منه قريبة من البركة المعروفة بالشعيبية.

---

[١] المقريزي: مسودة الخطط ٦٧و.

[٢] الشجاعي: تاريخ الملك الناصر محمد ٩٥- ٩٦.

[٣] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٦٠- ١٦١؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٤٥٩؛ وانظر كذلك Casanova, P., *op.cit.*, pp. 659-65 (الترجمة العربية ١٤٤-١٤٧).

وكانت قَناطِرُ النَّاصر محمد تَمُرُّ بمنطقة كُوم الجارح حيث ضَريح سيدي أبو السُّعود الجارِحي، وقد زالت آثارُها الآن. أمَّا سُورُ قَناطِر مَجْرى العيون الموجود الآن والمسجلُ بالآثار تحت رقم ٧٨، فهو من إنشاء السُّلطان قانْصُوه =

وما زالَتِ الحائِطُ قائِمَة من الحَجَر في غاية الإتْقان من إحْكام الصَّنْعَة وجَوْدَة البِنَاء، عند سَطْح الجَوْف الذي يُعْرَف اليوم بالرَّصْد، قائِمًا من الأرْض في طُول الجَوْف إلى أعلاه؛ حتى هَدَمَه الأميرُ يَلْبُغا السَّالِمِي في سنة اثنتي عشرة وثمان مائة، وأَخَذَ ما كان به من الحَجَر فرَمَّ به القَناطِر التي تَحْمِل إلى اليوم الماءَ حتى يَصِلَ إلى القَلْعَة. وكانت تُعْرَف بسَواقِي السُّلْطان، فلمَّا هُدِمَت جَهِلَ أكثرُ النَّاس أَمْرَها، ونَسُوا ذكرها [١].

المَطْبَخ

كان أوَّلًا مَوْضِعُه في مَكان الجامِع، فأَدْخَلَه السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون فيما زادَه في الجامِع، وبنى هذا المَطْبَخ الموجود الآن، وعمل عُقودَه بالحِجارَة، [a]وكذلك جَميع عماراتِه بالقَلْعَة عَمَّرها كلُّها بالحَجَر[a] خَوْفًا من الحَرِيق [٢].

وكانت أَحْوالُ المَطْبَخ مُتَّسِعَةً جِدًّا سيَّما في سَلْطَنَة الأَشْرَف خَلِيل بن قَلاوون، فإنَّه تَبَسَّطَ في المآكِل وغيرها. حتى لقد ذَكَرَ جَماعَةٌ من الأعْيان أنَّهم أقامُوا مُدَّةَ سَفَرِهم معه يُرْسِلون كلَّ يومٍ عشرين درهمًا، فيشتري لهم بها ممَّا يأخذه الغِلْمان أرْبع خَوافِق صيني مَمْلوءةً طَعامًا مفتخرًا بالقُلوبات ونحوها، في كلِّ خافِقِيَّة ما ينيف على خمسة عشر رِطْل لَحْم، أو عشرة أطْيار دَجَاج سُمان.

وبَلَغَ راتِبُ الحَوائِج خاناه، في أيَّام الملك العادِل كَتْبُغا، كلَّ يومٍ عشرين ألف رِطْل لَحْم، ورواتِب البُيُوت والجِرايات غير أرْباب الرَّواتِب في كلِّ يوم سبع مائة أرْدَبّ قَمْحًا.

واعْتَبَرَ القاضي شَرَفُ الدِّين عبد الوَهَّاب النَّشْو ناظِر الخاصّ، أَمْر المَطْبَخ السُّلْطاني في سنة تسع وثلاثين وسبع مائة / فوَجَدَ عِدَّة الدَّجاج الذي يُذْبَح في كلِّ يوم للسِّماط، والمَخافي[b] التي تَخُصّ السُّلْطان ويَبْعَثُ منها[c] إلى الأُمَرَاء سبع مائة طائِر، وبَلَغَ مصروفُ الحَوائِج خاناه في كلِّ

٢٣١:٢

---

a-a) إضافة من مسودة الخطط. b) بولاق: المحاجي. c) بولاق: بها.

= الغوري سنة ٩١٢هـ/١٥٠٧م. (ابن إياس: بدائع الزهور ٤: ١١٠؛ وانظر كذلك Creswell K.A.C., *MAE* II, pp. 255-59؛ سعاد ماهر: «مجرى مياه فم الخليج»، المجلة التاريخية المصرية ٧ (١٩٥٨)، ١٣٤-١٥٧).

[١] المقريزي: مسودة الخطط ٦٨و-ظ.

[٢] نفسه ٦٩و.

يوم ثلاثة عشر ألف دِرْهَم ، فأَكْثَر أوْلادُ النَّاصِر من مَصْروفِها حتى توقَّفَت أحْوالُ الدَّوْلَة في أيَّام الصَّالِح إسماعيل .

وكُتِبَت أوْراقُ مُكَلَّف[a] الدَّوْلَة في سنة خمسٍ وأربعين وسبع مائة ، فبَلَغَت في السنة ثلاثين ألف ألف دِرْهَم ، منها مصروف الحَوائِج خاناه في كلِّ يوم اثنان وعشرون ألف درهم . وبَلَغَ في الأيَّام النَّاصِرية محمد بن قَلاوون راتِبُ السُّكَّر ، في شَهْر رَمَضان خاصَّة ، [b]من كُلِّ سَنَة[b] ألف قِنْطَار . ثم تَزايَد حَتى بَلَغَ إلى[c] شَهْر رَمَضان سنة خمسٍ وأربعين وسبع مائة ثلاثة آلاف قِنْطار ، عنها ستّ مائة ألف دِرْهَم ، عنها ثلاثون ألف دينار مصرية .

وكان راتِبَ الدَّار[d] السُّلْطانية ، في كلِّ يومٍ من أيَّام شهر رَمَضان ، ستون قِنْطارًا من الحَلْوىٰ [b]السُّكَّرِيَّة ، وآخِر ما كان يُعْمَل في الأيَّام الأشْرَفِيَّة شَعْبان بن حُسَيْن في كلِّ يوم من أيَّام شَهْر رَمَضَان ستون قِنْطارًا من الحَلْوىٰ[b] برَسْم التَّفْرِقَة للدُّور وغيرها . وكانت الدَّوْلَةُ قد توقَّفَت أحْوالُها ، فوُفِّرَ من المصروف في كلِّ يومٍ أربعة آلاف رِطْل لَحْم ، وستّ مائة كماجة سَميذ ، وثلاث مائة أرْدَب من الشَّعير ، ومَبْلَغ ألفي درهم في كلِّ شهر . وأُضيفَ إلى ديوان الوزارة سُوق الخَيْل والدَّواب والجمَال ، وكانت بيد عِدَّةِ أجْنَادٍ عُوِّضوا عنها إقْطاعات بالنَّواحي .

واعْتُبِرَ في سنة ستٍّ وأربعين وسبع مائة مُتَحَصَّلَ الحاج علي الطَّبَّاخ [1] ، فوُجِدَ له على المعامَلين في كلِّ يومٍ خمس مائة دِرْهَم ، ولابنه أحمد في كلِّ يوم ثلاث مائة درهم سوى الأطْعِمَة المفتخرة وغيرها ، وسوى ما كان يَتَحَصَّل له في عَمَل المهمَّات مع كثرتها . ولقد تَحَصَّلَ له من ثَمَن الرُّءوس والأكارِع وسَقْط الدَّجاج والإوز ، في مُهِمٍّ عمله للأمير بَكْتَمُر السَّاقي ، ثلاثة وعشرون ألف درهم ، عنها نحو ألفين ومائتي دينار . فأُوقِعَت الحَوْطَة عليه ، وصُودِر ، فوُجِدَ له خمسة وعشرون دارًا على البَحْر وفي عِدَّة أماكِن .

واعْتُبِر مَصْرُوفُ الحَوائج خاناه ، في سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مائة ، فكان في كلِّ يومٍ اثنين وعشرين ألف رِطْل من اللَّحْم .

---

a) بولاق : بكلف . b-b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : في . d) بولاق : الدُّور .

---

[1] هو صاحب جامع الطَّبَّاخ بمَيْدان باب اللُّوق ، انظر ترجمته فيما يلي ٢ : ٣١٥ . وانظر كذلك نبيل محمد عبد العزيز : المطبخ السلطاني زمن الأيوبيين والمماليك ، القاهرة ـ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٩ .

ذكر أبراج الحمام

(a)وكان بقَلْعَة الجَبَل أبْراجُ الحَمَام المُعَدَّة لحَمْل البطايق.

قال ابنُ عبد الظَّاهِر في كِتاب «تَمائِم الحَمائِم»: ذِكْرُ أبْرِجَة الحَمَام التي بالقَلْعَة وغيرها وما بها من الحَمام ومن يقومُ بها وبتَدْريجها والمُسْتَقرّ لها من العَلَف ولبِغالِها ولرِجالِها من الكُلَف، وجملتها ألف وتسع مائة طائِر، تَفْصيلُ ذلك بأسماء مُقَدَّميها وبُرَّاجِها إلى آخر جُمادَى الآخِرَة سنة سبع وثمانين وستّ مائة:

المُقَدَّم عُثْمان خمس مائة طائِر، أيُّوب ثلاثة مائة طائِر، يَعْقُوب ثلاث مائة وسبعون طائِرًا، خِضْر ثلاث مائة طائِر، علي مائتان وأربعون طائِرًا. وكلّ هذه الأبْراج بالقَلْعَة غير بُرْج واحِدٍ، وهو بُرْج بالبَرْقِيّة، يُعْرَف ببُرْج الفَيُّوم(a) [1]، رَتَّبه الأميرُ فَخْر الدِّين عُثْمان بن قَزْل، أستادَّار الملك الكامِل محمد ابن الملك العادِل أبي بكر بن أيُّوب، وقيل له بُرْجُ الفَيُّوم، فإنَّ جَميعَ الفَيُّوم كانت في إقْطاع ابن قَزْل، وكانت البَطايِقُ تَرِدُ إليه من الفَيُّوم، ويَبْعَثها من القاهِرَة إلى الفَيُّوم من هذا البُرْج، فاستمرَّ هذا البُرْجُ يُعْرَف بذلك.

وكان بكلّ مَرْكَزِ حَمامٍ في سَائِر نَواحي المَملكة، مِصْرًا وشَامًا، ما بين أُسْوان إلى الفُرات. فلا تُحْصَى عِدَّةُ ما كان منها في الثُّغور والطُّرُقات الشَّامِيَّة والمصرية، وجَميعُها تدرج وتنقل من القَلْعَة إلى سَائِر الجِهات.

وكان لها بِغالُ الحَمْل من الإسْطَبْلات السُّلْطانية، وجامَكِيَّات البَرَّاجين والعُلوفات تُصْرَف من الأَهْراء السُّلْطانية، فتبلغ النَّفَقَةُ عليها من الأمْوال ما لا يُحْصَى كثرةً. وكانت ضَريبَةُ العَلَف لكلّ مائة طائِر رُبْع وَيْبَة فُول في كلّ يوم.

---

a-a) هذه الفقرة من مسودة الخِطط عِوضًا عن ما هو موجودٌ بالمُبَيَّضَة.

---

[1] هذا النَّصّ وَرَد في طَيَّارَة في مسودة الخطط ٧٠و-٧٠ظ، وأثبتُّ مطلعه لاحْتوائه على مَعْلوماتٍ هامَّة، وبقيَّةُ النَّصّ في المُبَيَّضَة يختلف اختلافًا غير مُخِلّ عن ما وَرَدَ في المُسَوَّدَة.

وعن كِتاب «تمائِم الحَمائِم» لابن عبد الظّاهِر، انظر مُقَدِّمَة هذا المجلَّد.

وعن أبْراج الحَمام ومَراكِزه، راجع ابن فضل الله العُمَري: التعريف بالمصطلح الشَّريف ٢٥٤-٢٥٥؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٢: ٨٩-٩٠، ١٤: ٣٨٩-٣٩٤.

(a قالَ: كان الجاري به العادَة أنّها لا تَحْمِل البِطاقَة إلّا في جَناحها لأمُورٍ منها: حِفظها من المَطَر، ولقُوّةِ الجَناح؛ ورأَيْتُهم في هذا الوَقْت لا يَجْعَلُونَها إلّا في أذْنابِها a). وكانت العادَةُ إذا بُطِيَق من قَلْعَة الجَبَل إلى الإسْكَنْدَرية فلا يَسْرَح الطّائِرُ إلّا من مُنْيَة عُقْبَة بالجيزَة - وهي أوّل المراكِز - وإذا سَرَحَ إلى الشَّرْقِيّة لا يُطْلَق إلّا من مَسْجِد تِبْر خارج القاهِرَة، وإذا سَرَحَ

٥ إلى دِمْياط لا يَسْرح إلّا من ناحية بيسوس. وكان يَسير مع البَرّاجين من يُوَصِّلهم إلى هذه الأماكِن من الجانْدارية.

وكذلك كانت العادَةُ في كلّ مملكة يُتَوَخّى الإبْعادُ في التَّسْريح عن مُسْتَقَرّ الحَمَام. والقَصْدُ بذلك أنّها لا تَرْجِع إلى أبْراجِها من قَريب. وكان يعمل في الطُّيور السُّلْطانية عَلائِم، وهي دَاغات في أرْجُلها أو على مَناقِيرها، ويُسَمِّيه b) أرْبابُ الملعوب

١٠ «الاصْطِلاح».

وكان الحَمَامُ إذا سَقَطَ بالبِطاقَةِ لا يَقْطَع البِطاقَة من الحَمام إلّا السُّلْطانُ بيده من غير واسِطَة أحَدٍ c). وكانت لهم عِنايَةٌ شَديدةٌ بالطّائِر، حتى إنَّ السُّلْطانَ إذا كان يأكل وسَقَطَ الطّائِرُ، لا يُمْهَل حتى يَفْرُغ من الأكْل، بل يَحِلّ البِطاقَة ويَتْرُك الأكْل، وهكذا إذا كان نائِمًا لا يُمْهَل بل يُنَبَّه.

قال ابنُ عبد الظّاهِر: وهذا الذي رأينا عليه مُلوكَنا، وكذلك في المَوْكِب وفي لَعِب

١٥ الكُرَة، لأنّه بلَمْحَة يفوت، ولا يُسْتَدْرَك المهم العَظيم، إمّا مِنْ واصِلٍ أو هارِبٍ، وإمّا من مُتَجَدِّد في الثُّغور.

قالَ: ويَنْبَغي أن تُكْتَب البَطائِقُ في وَرَق الطَّيْر المعروف بذلك، ورأيتُ الأوائِلَ لا يكتبون في أوّلها بَسْمَلَةً، وتؤرِّخ بالسّاعَة واليوم لا بالسِّنين، وأنا أؤرِّخها بالسَّنَة، ولا يُكْثَر في نُعُوت المُخاطَب فيها، ولا يذكر حَشْوٌ في الألْفاظ، ولا يُكْتَب إلّا لُبُّ الكلام وزُبْدَتُه.

٢٠ ولابدّ وأن يكتب «سَرَحَ الطّائِرُ ورَفيقُه» حتى إن تأخر الواحِدُ تُرُقِّبَ حُضورُه أو يُطْلَب. ولا يُعْمَل للبَطائِق هامِشٌ ولا تُحَمْدَل d)، ويُكْتَب آخرها حَسْبَلة، ولا تُعَنْوَن إلّا إذا كانت منقولة. مثل/ أنّها e) تَسْرَح إلى السُّلْطان من مكانٍ بعيد، فيكتب لها عُنوانٌ لَطيفٌ حتى لا ٢٣٢:٢

a-a) هذه الفقرة من مسودة الخطط عِوَضًا عن ما هو موجود بالمبيضة. b) بولاق: ويسميها. c) ساقطة من بولاق. d) بولاق: ولا تجمل. e) بولاق: أن.

يَفْتَحَها أحَدٌ . وكُلُّ والٍ تَصِلُ إليه يَكْتُب في ظَهْرِها أنَّها وَصَلَت إليه ونَقَلَها ، حتى تَصِل مختومةً .

قال : وممَّا شاهَدْتُه وتَوَلَّيْتُ أمْرَه أنَّه في شهر رمضان سنة ثمانٍ وثمانين وستّ مائة ، حَضَرَ من جِهَة نائِب الصَّبِيبَة نَيِّفٌ وأربعون طائِرًا صُحْبَة البَرَّاجين ، ووَصَلَ كِتابُه أنَّه دَرَّجَها إلى مصر . فأقامَت مُدَّةً لم يكن شغل يُنطَق[a] فيه ، فقال بَرَّاجوها : قد أزِف الوَقْتُ عليها في الفَرِيضَة[b]. ٥

وجَرَى الحَديثُ مع الأمير [c]بَدْر الدِّين[c] بَيْدَرا نائِب السَّلْطَنَة ، فتَقَرَّرَ كَتْبُ بَطائِق على عشرةٍ منها بوصُولها لا غير ، وسَرَحَت يوم أربعاء جَميعُها فاتَّفق وُقُوع طائِرَيْن منها ، فأحضرت بَطائِقُهما وحَصَل الاسْتِهْزاءُ بها .

فلمَّا كان بعد مُدَّةٍ وَصَل كِتابُ السُّلْطان أنَّها وَصَلَت إلى الصَّبِيبَة في ذلك اليوم بعينه [1]، وبُطِقَ بذلك في ذلك اليوم بعينه إلى دِمَشْق ، ووَصَلَ الخَبَرُ إلى دِمَشْق في يوم واحِد . وهذا ممَّا أنا مُصَرِّفه وحاضِره والمُشير به . ١٠

قال كاتِبُه [d]: قد بَطَلَ الحَمَامُ من سَائِر المملكة إلَّا ما يُنْقَل من قَطْيا إلى بِلْبَيْس ، ومن بِلْبَيْس إلى قَلْعَة الجَبَل ، ولا تَسل بعد ذلك عن شيءٍ ، وكأنِّي بهذا القَدْر وقد ذَهَبَ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله العَلِيّ العَظِيم .

---

a) بولاق : تبطق . b) بولاق : القرنصة . c-c) ساقطة من بولاق . d) بولاق : مؤلفه .

---

[1] آخر الموجود في الطِّيارة الموجودة في مسودة الخطط .

ذِكْرُ مُلوكِ مِصْرَ مُنْذُ بُنِيَتْ قَلْعَةُ الجَبَل

اعْلَم أنَّ الذين وَلُوا أَرْضَ مِصْرَ في المِلَّةِ الإسْلاميةِ على ثَلاثَةِ أَقْسام :

القِسْمُ الأَوَّل - مَنْ وَلِيَ بفُسْطاط مصر منذ فَتَحَ الله تعالى أَرْضَ مصر على أيْدي العَرَب أَصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ ورَضِيَ عنهم وتابِعيهم ، فصارَت دارَ إسْلام ، إلى أن قَدِمَ القائِدُ أبو الحُسَيْن جَوْهَرٌ من بِلاد إفْرِيقِيَّة بعَساكِر مَوْلاه المُعِزِّ لدين الله أبي تَميم مَعَدّ ، وبنَى القاهِرَة . وهؤلاء يُقالُ لهم «أُمَرَاءُ مصر» ، ومُدَّتُهم ثلاث مائة وسَبْعٌ وثلاثون سنة وسبعة أشهر وستة عشر يومًا : أَوَّلُها يومُ الجُمُعَة مستهلّ المُحَرَّم سنة عشرين من الهجرة ، وآخِرها يومُ الاثنين سادِس عشر شَعْبان سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائة . وعِدَّةُ هؤلاء الأُمَرَاء مائة واثنا عَشَر أميرًا .

والقِسْمُ الثَّاني - مَنْ وَلِيَ بالقاهِرَة منذ بُنِيَت إلى أن ماتَ الإمامُ العاضِدُ لدين الله أبو محمد عبد الله . وهؤلاء يُقالُ لهم «الخُلَفَـاءُ الفاطِمِيُّون» ، ومُدَّتهم بمصر مائتا سنة وثماني سنين وأربعة أشهر واثنان وعشرون يَوْمًا : أَوَّلُها يومُ الثلاثاء سابع عشر شَعْبان سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائة ، وآخِرُها يومُ الأَحَدِ عاشِر المُحَرَّم سنة سبعٍ وستين وخمس مائة . وعِدَّةُ هؤلاء الخُلَفَاء أَحَدَ عشر خَليفَة .

والقِسْمُ الثَّالِث - مَنْ مَلَكَ مصر بعد مَوْت العاضِد إلى وَقْتِنا هذا الذي نحن فيه ، ويُقالُ لهم «المُـلُوكُ والسَّلاطِينُ» ، وهم ثَلاثَة أَقْسام :

القِسْمُ الأَوَّل : مُلوكُ بني أَيُّوب ، وهم أَكْرادٌ . والقِسْمُ الثَّاني : البَحْرِيَّةُ وأَوْلادُهم ، وهم مَماليكُ أَتْراكٌ لبني أَيُّوب . والقِسْمُ الثَّالِث : مَماليكُ أَوْلاد البَحْرِيَّة ، وهم جَراكِسَة .

وقد تَقَدَّم في هذا الكِتاب ذِكْرُ الأُمَرَاء والخُلَفَاء[1] . وستَقِفُ إن شاءَ الله تعالى على ذِكْر من مَلَكَ من الأَكْراد والأَتْراك والجَراكِسَة وتَعْرِف أَخْبارَهُم على ما شَرَطْنا من الاخْتِصار . إذْ قد

---

[1] انظر فيما تقدم ٢: ٤٠-٥٦، ٥٩-٨٠، ٨٣-١٠٤، ١٨٣-٢٠٦.
وقد خَصَّص المقريزي لذكر أُمَرَاء مصر الذين وَلُوا الفُسْطاط والعَسْكَر والقَطائِع كِتابَه «عِقْد جَواهِر الأَسْفاط من أَخْبار مدينة الفُسْطاط» ، وهو كتابٌ مفقود الآن (فيما تقدم ٢: ٢١٢؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ١: ٤، السلوك =

وَضَعْتُ لبَسْط ذلك كِتابًا سَمَّيْتُه كِتابَ «السُّلوك لمَعْرِفَة دُوَل المُلُوك» [1]، وجَرَّدْتُ تَراجِمَهُم في كِتاب «التَّاريخ الكَبير المُقَفَّى» [2]. فتطلَّبهما تَجِد فيهما ما لا تَحْتاجُ بعده إلى سِواهِما في مَعْناهما.

ذكر من ملك بمصر من الأكراد

اعْلَم أنَّ النَّاسَ قد اخْتَلَفُوا في الأكْراد، فذَكَرَ العَجَمُ أنَّ الأكْرادَ فَضْلُ طَعْم الملك بيوراسْف. وذلك أنَّه كان يأمُر أن يُذْبَح له كلَّ يوم إنْسانان، ويتَّخِذ طعامَه من لُحُومِهما. وكان له وَزيرٌ يُقالُ له[a] أرْمائيل، فكان يَذْبَح واحِدًا، ويستحيي واحِدًا ويَبْعَث به إلى جِبال فارِس. فتوالَدوا في الجِبال وكَثُروا.

ومن النَّاس من أَلْحَقَهم بإماء سُلَيْمان بن داود ـ عليهما السَّلام ـ حين سُلِبَ مُلْكه، ووَقَعَ على نِسائِه المنافِقات الشَّيْطان الذي يُقالُ له الجَسَدُ، وعَصَمَ الله تعالى منه المُؤْمِنات، فعَلَّقَ منه المنافِقات. فلمَّا رَدَّ الله تعالى على سُلَيْمان مُلْكَه، ووَضَعَ هؤلاء الإمَاءُ الحَوامِل من الشَّيْطان قال: أكْردوهُنَّ[b] إلى الجِبال والأوْدِيَة. فرَبَّتْهم أُمَّهاتُهم، وتَناكَحُوا وتَناسَلُوا. فذلك بَدْءُ نَسَبِ الأكْراد.

a) يسمى. b) بولاق: أكردوهم.

= ١: ٩)، ضوء الساري في خبَر تميم الدَّاري (٣١)؛ وخصَّص لذِكْر الخُلَفَاء الفاطميين كتابه «اتِّعاظ الحُنَفَا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلَفَا»، (نَشَرَ المستشرق الألماني Hugo Bunz القطعة الموجودة من الكتاب بخَطِّ المقريزي والمحفوظة في مكتبة غوطا بألمانيا برقم 1625 في ليبتسج سنة ١٩٠٩، ثم أعادَ نشرها جَمالُ الدِّين الشَّيَّال في القاهرة سنة ١٩٤٨. ثم نَشَرَ جَمالُ الشَّيَّال الجزء الأوَّل من الكتاب اعتمادًا على النسخة الكاملة التي وُجِدَت في مكتبة أحمد الثالث بإستانبول، وصَدَرَ بالقاهرة سنة ١٩٦٧ عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ثم أتم نَشر الجزأين الثاني والثالث محمد حلمي أحمد وصَدَرَا عن المجلس في سنتي ١٩٧١، ١٩٧٣؛ وانظر فيما تقدم ١: ٤٢هـ[1]).

[1] صَدَرَت النَّشْرةُ الكاملة لكتاب «السُّلوك لمعرفة دُوَل الملوك» في أربعة أجزاء، كلّ جزء في ثلاثة أقسام، أصْدَرَ الجزأين الأوَّل والثاني محمد مصطفى زيادة في القاهرة بين سنتي ١٩٣٤ و١٩٥٨، وأصدر الجزأين الثالث والرابع سعيد عبد الفتاح عاشور في القاهرة أيضًا بين سنتي ١٩٧٠ و١٩٧٣. (انظر فيما تقدم ١: ٤٢هـ[2]).

[2] نَشَرَ محمد اليعلاوي الأجزاء التي وصلت إلينا من كتاب «المُقَفَّى الكبير» في سبعة أجزاء بالإضافة إلى جزء للكشَّافات، وصَدَرَ عن دار الغرب الإسلامي ببيروت سنة ١٩٩١. (انظر فيما تقدم ١: ٤٣-٤٤، ٢: ٥٠-٥٦).

والأَكْرادُ عند الفُرْسِ من وَلَد كُرْد بن اسْفَنْدام بن مَنوشَهْر . وقيل هم يُنْسَبون إلى كُرْد بن مُرْد ابن عَمْرو بن صَعْصَعَة بن مُعاوِيَة بن بَكْر ، وقيل هم من وَلَدِ عَمْرو مُزَيْقِيا بن عامِر بن ماءِ السَّماء ، وقيل من بني حامِد بن طارِق من بقيّة أَوْلاد حُمَيْد بن زُهير بن الحارِث بن أَسَدِ بن عبد العُزَّىٰ ، بن قُصَيّ . وهذه أَقْوالٌ لفُقَهاءَ لهم ممَّن أرادَ الحُظْوَة لديهم لمَّا صارَ المُـلْكُ إليهم .

٥ وإنَّما هم قَبيلٌ من قَبائِل العَجَم ، وهم قَبائِلُ عَديدَة : كورانية ؛ بنو كوران ، وهَذَبانِيَّة ، وبَشْتَوِيَّة وشاصَنْجانِيَّة وسَرْجِيَّة[a] ويَرولِيَّة ومَهْرانِيَّة وزَرْدارِيَّة وكَيْكانِيَّة وجاك وكرودنَّبلِيَّة ورَوادِيَّة ودَنبِيَّة وهَكَّارِيَّة وحُمَيدِيَّة ورَرْجَكِيَّة ومَرْوانِيَّة وجَلالِيَّة وسنبكِيَّة وجوتي . وتَزْعُم المَرْوانية أنَّها من بني/ ٢٣٣:٢ مَرْوان بن الحَكَم ، ويَزْعُم بعضُ الهَكَّارية أنَّها من وَلَد عُتْبَة بن أبي سُفْيان بن حَرْب [1] .

وأَوَّلُ من مَلَك مصر من الأَكْراد الأَيُّوبِيَّة «السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ صَلاحُ الدِّين» أبو المُظَفَّر ١٠ يُوسُف بن نَجْم الدِّين أبي الشُّكْر أَيُّوب بن شاذي بن مَرْوان الكُرْدي ، من قبيل الرَّوادِيَّة أَحَد بُطُون الهَذَبانِيَّة [2] .

---

a) بولاق : سرنجية .

---

[1] راجع ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٧:١٣٩ - ١٤٠ .

وعن تاريخ الدَّوْلَة الأيُّوبيَّة في مصر راجع إضافةً إلى المصادر المشار إليها في الهوامش التالية ، علي بيومي : قيام الدولة الأيوبية في مصر ، القاهرة ١٩٥٢؛ السيد الباز العريني : مصر في عصر الأيوبيين ، القاهرة ١٩٦٠؛ نفسه : الشرق الأدنى في العصور الوسطى (١) الأيوبيون ، بيروت ١٩٦٧؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : الأيوبيون والمماليك في مصر والشَّام ، القاهرة ١٩٦٩، ١٩٩٠؛ وفاء محمد علي : قيام الدولة الأيوبية في مصر والشَّام ، القاهرة ١٩٨٧؛ قاسم عبده قاسم ، علي السيد علي : الأيوبيون والمماليك - التاريخ السياسي والعسكري ، القاهرة ١٩٩٦؛ ل. ا. سيمينوف : صلاح الدِّين والمماليك في مصر ، ترجمة حسن بيومي ، القاهرة - المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٨؛ أحمد فؤاد سيد : تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب ، القاهرة - مكتبة مدبولي ٢٠٠٢؛ Cahen, Cl., *EI*² art. *Ayyûbides* I, pp. 820-830; Humphreys, R. C., *From Saladin to the Mongols : The Ayyubids of Damascus*, Albany N. Y. 1977; Wiet, G., L'Egypte arabe de la conquête arabe à la conquête ottomane, Paris 1937, pp.309-86; Chamberlain, M., «The Crusader era and the Ayyubid Dynasty», *The Cambridge History of Egyptc* I, pp. 211-241؛ وانظر الدراسات الخاصَّة بكلٍّ من الملك العادل والملك الكامِل والملك الصَّالِح والسُّلْطانة شَجَر الدُّرّ .

[2] من المُتَعَذِّر حصر المصادر الأصلية عن السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب وأخباره ، وأهمّها ما كتبه العِمادُ الكاتِبُ الأصْفَهاني وعِزُّ الدِّين ابن الأثير والقاضي الفاضِل وعِزُّ الدِّين بن شَدَّاد ويحيى بن أبي طيّ وابنُ أبي شامَة وابنُ واصِل الحموي ، إضافَةً إلى النويري والمَقريزي وأبي المحاسن ابن تغري بردي . وانظر أهم ترجماته عند ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٧:١٣٩ - ٢١٨؛ الذهبي : سير أعلام=

نَشَأَ أبوهُ أيُّوبُ وعمُّه أسَدُ الدِّين شِيرْكوه ببَلَد دُوِين من أَرْض أَذْرَبَيجان[1] من جِهَة أَرَان وبلاد الكُرْج ، ودَخَلا بَغْداد وخَدَما مُجاهِد الدِّين بَهْروز شِحْنَة بَغْداد . فبَعَثَ أيُّوب إلى قَلْعَة تَكْريت ، وأقامَه بها مُسْتَحْفِظًا لها ومعه أخُوه شِيرْكوه ـ وهو أصْغَر منه سِنًّا ـ فخَدَمَ أيُّوب الشَّهيد زَنْكي لمَّا انْهَزَمَ ، فشَكَرَ له خِدْمَتَه .

واتَّفَقَ بعد ذلك أنَّ شِيرْكُوه قَتَلَ رَجُلًا بتَكْريت ، فطُرِدَ هو وأخُوه أيُّوب من قَلْعَتِها ، فمَضَيَا إلى زَنْكي بالمَوْصِل فآواهُما وأقْطَعَهُما إقْطاعًا عنده ، ثم رَتَّبَ أيُّوب بقَلْعَة بَعْلَبَك مُسْتَحْفِظًا ، ثم أنْعَمَ عليه بإمْرَة . واتَّصَلَ شِيرْكُوه بنُور الدِّين محمود بن زَنْكي في أيَّام أبيه وخَدَمَه . فلمَّا مَلَكَ حَلَبَ بعد أبيه ، كان لنَجْم الدِّين أيُّوب عَمَلٌ كثيرٌ في أخْذ دِمَشْق لنُور الدِّين . فتَمَكَّنا في دَوْلَتِه حتى بَعَثَ شِيرْكوه مع الوَزير شاوَر بن مُجيرِ السَّعْدي إلى مصر ، فسَارَ صَلاحُ الدِّين في خِدْمَتِه من جملة أجْنادِه . ١٠

٥

= النبلاء ٢١:٢٧٨– ٢٩١؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٩:١٠٣– ١٥٤؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٤:٣٢٥– ٣٤١.

وكَتَبَ في هذا الموضوع السير هاملتون جب مقالًا مطوَّلًا Gibb, H.I., «The Arabic Sources for the Life of Saladin» *Speculum* XXV (1950), pp. 58-72 (نُقِلَ إلى العربية بعنوان «المصادر العربية عن حياة صلاح الدِّين» في كتاب جب ، آ.ر : صلاح الدِّين الأيوبي ـ دراسات في التاريخ الإسلامي ، تحرير يوسف إيبش ، بيروت ١٩٧٣، ١٩٩٦، ٦٩– ٩٦؛ وانظر كذلك مقال دونالد ريتشارد Richard D. S., «A Consideration of Two Sources for the Life of Saladin», *JSS* XXV (1980), pp. 45-65، ومقاله في دائرة المعارف الإسلامية Richard, D.S., *EI*[2] art. *Salah al-Din* VIII, pp. 241-46.

والدِّراسات التي كتبت عن صلاح الدِّين لا يمكن كذلك الإحاطة بها ، وأهمها وأحدثها : نظير حسّان سعداوي : جيش مصر في أيام صلاح الدين ، القاهرة ١٩٥٦؛ نفسه : التاريخ الحربي المصري في عَهْد صلاح الدين ، القاهرة ١٩٥٧؛ عبد المنعم ماجد : الناصر صلاح الدين ، بيروت ١٩٥٨؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : الناصر صلاح الدين ـ أعلام العرب ٤١، القاهرة ١٩٦٥؛ قدري قلعجي : صلاح الدين الأيوبي ـ قِصَّة الصِّراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، بيروت ١٩٦٦؛ محسن محمد حسين : الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين ، بيروت ـ مؤسسة الرسالة ١٩٨٦. Gibb, H.A.R., «The Armies of Saladin», *Cahiers d'histoire égyptienne* III (1951), pp. 304-320; id., «The Achivement of Saladin», *Bulletin of the John-Rylands Library*, 35 (1952), pp. 44-60 (نقلها إلى العربية محمود زايد في كتاب هاملتون جب : دراسات في حضارة الإسلام ، بيروت ـ دار العلم للملايين ١٩٧٩، ٩٧–١٤٢)؛ Ehrenkreutz, A.S., *Saladin*, Albany, N.Y. 1972; Gibb, M.A.R., *The Life of Saladin*, Oxford 1973; Lyons, M.C. & Jackson, D.E., *Saladin. The Politics of the Holy War*, Cambridge 1982; Chauvel, G., *Saladin-Rassembleur de l'Islam*, Paris 1991; Lev, Y., *Saladin in Egypt*, Leiden - Brill 1999.

[1] دُوِين . بضم الدال المهملة وكسر الواو وبعدها الياء المثناة من تحتها وبعدها نون . (ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ : ٢٥٩، ٧: ١٣٩).

وكان من أَمْر شِيرْكُوه ما كان حتى مات [1]، فأُقِيمَ بعده، في وَزارَة العاضِد، ابنُ أخيه صَلاحُ الدِّين يُوسُفُ بن أَيُّوب في يوم الثلاثاء خامِس عشرين جُمادَى الآخِرة سنة أربعٍ وستين وخمس مائة، ولَقَّبَه بـ«الملك النَّاصِر»، وأَنْزَلَه بدار الوَزارَة من القاهِرَة؛ فاسْتَمالَ قُلوبَ النَّاس، وأَقْبَلَ على الجِدِّ، وتَرَكَ اللَّهْو، وتعاضَدَ هو والقاضي الفَاضِل عبد الرَّحيم بن عليّ البَيْساني على إزالَة الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة، ووَلَّى صَدْر الدِّين بن دِرْباس قَضاءَ القُضَاة، وعَزَلَ قُضَاةَ الشِّيعَة، وبَنَى بمَدينَة مصر مَدْرَسَةً للفُقَهاء المالِكِيَّة، ومَدْرَسَةً للفُقَهاء الشَّافِعِيَّة، وقَبَضَ على أُمَراء الدَّوْلَة، وأقامَ أَصْحابَه عِوَضَهم، وأَبْطَلَ المُكُوسَ بأسْرِها من أَرْض مصر. ولم يَزَلْ يَدْأَب في إزالَة الدَّوْلَة حتى تَمَّ له ذلك، وخَطَبَ لخَلِيفَةِ بَغْداد المُسْتَضِيء بأَمْر الله[a] أبي محمد الحَسَن العَبَّاسي.

وكان العاضِدُ مَرِيضًا، فتوفِّي بعد ذلك بثلاثة أيَّام، واسْتَبَدَّ صَلاحُ الدِّين بالسَّلْطَنَة من أوَّل سنة سبعٍ وستين وخمس مائة، واسْتَدْعَى أَباه نَجْم الدِّين أَيُّوب وإخْوَتَه من بِلاد الشَّام، فقَدِمُوا عليه بأهاليهم. وتأهَّبَ لغَزْو الفِرِنْج، وسارَ إلى الشَّوْبَك وهي بيد الفِرِنْج فواقَعَهُم، وعادَ على[b] أَيْلَة فجَبَى الزَّكوات من أَهْل مصر، وفَرَّقَها على أَصْنافِها، ورَفَعَ إلى بَيْت المال سَهْمَ العامِلين وسَهْمَ المُؤَلَّفَة وسَهْمَ المُقاتِلَة وسَهْمَ المكاتَبين [2].

وأَنْزَلَ الغُزَّ بالقَصْر الغَرْبي، وأحاطَ بأَمْوالِ القَصْر وبَعَثَ بها إلى الخَلِيفَة ببَغْداد وإلى السُّلْطان الملك العادِل نُور الدِّين محمود بن زَنْكي بالشَّام، فأَتَتْه الخِلَعُ الخَلِيفِيَّة فلَبِسَها، ورَتَّبَ نُوَبَ الطَّبْلَخاناه في كلِّ يومٍ ثلاث مرَّات. ثم سارَ إلى الإسْكَنْدَرية وبَعَثَ ابن أخيه تَقِيَّ الدِّين عُمَر بن شاهِنْشاه بن أَيُّوب على عَسْكَرٍ إلى بَرْقَة، وعادَ إلى القاهِرَة.

ثم سارَ في سنة ثمانٍ وخمسين إلى الكَرَك - وهي بيد الفِرِنْج - فحَصَرَها وعادَ بغير طائِل. فبَعَثَ أخاه الملك المُعَظَّم شَمْس الدَّوْلَة تُوران شاه بن أَيُّوب إلى بلاد النُّوبَة، فأَخَذَ قَلْعَة أَبْرِيم، وعادَ بغَنائِم وبسَبْي[c] كثير، ثم سارَ لأَخْذ بِلاد اليَمَن فمَلَكَ زَبِيد وغيرها [3].

---

a) بولاق: المستنصر بأمر الله. b) بولاق: إلى. c) بولاق: وسبي.

---

[1] فيما تقدم ٢: ٢٠٣- ٢٠٥.
[2] فيما تقدم ١: ٢٩٨.
[3] فيما تقدم ١٠٩.

فلمَّا ماتَ نُورُ الدِّين مُحمود بن زَنْكي ، تَوَجَّه السُّلْطانُ صلاحُ الدِّين في أوَّل صَفَرٍ سنة سبعين إلى الشَّام ، ومَلَكَ دِمَشْق بغير مانِع ، وأَبْطَلَ ما كان يُؤْخَذ بها من المُكُوس كما أَبْطَلَها من دِيار مصر [١] ، وأَخَذَ حِمْص وحَمَاة ، وحاصَر حَلَب وبها الملكُ الصَّالِحُ مُجيرُ الدِّين إسماعيل بن العادِل نُور الدِّين محمود بن زَنْكي ، فقاتَلَه أهْلُها قِتالًا شَديدًا فرَحَلَ عنها إلى حِمْص ، وأَخَذَ بَعْلَبَك بَعْد[a] حِصَار . ثم عادَ إلى حَلَب ، فوَقَّعَ الصُّلْحَ على أن يكون له ما بيده من بِلاد الشَّام مع المَعَرَّة وكَفْرطاب ، ولهم ما بأيديهم . وعادَ فأَخَذَ بَعْرَاس بعد حِصَار ، وأقامَ بدِمَشْق ، ونَدَب قَراقُوش التَّقَوي لأَخْذ بِلاد المغرب ، فأَخَذَ أَوْجَلَه[b] وعادَ إلى القاهِرَة . وكانت بين السُّلْطان وبين الحَلَبِيين وَقْعَةٌ هَزَمَهُم فيها وحَصَرَهُم بحَلَب أيَّامًا ، وأَخَذَ بُزَاعَة ومَنْبِج وعَزَاز [٢] ، ثم عادَ إلى دِمَشْق .

وقَدِمَ القاهِرَة في سادِس عشرين رَبيع الأوَّل سنة اثنتين وسبعين ، بعدما كانت لعَساكِره حُروبٌ كثيرةٌ مع الفِرِنْج ، فأَمَرَ بِبِناء سُورٍ يُحيطُ بالقاهِرَة ومصر وقَلْعَة الجَبَلِ ، وأقامَ على بِنائِه الأمير بَهاء الدِّين قَراقُوش الأَسَدي [٣] . فَشَرَعَ في بِناء قَلْعَة الجَبَل وعَمَلِ السُّور وحَفَرَ الخَنْدَق حَوْلَه [٤] . وبدأ السُّلْطانُ بعَمَلَ مَدْرَسَةٍ بجوار قَبْر الإمام الشَّافِعِي [٥] في القَرافَة ، وعَمِلَ مارِسْتانًا بالقاهِرَة [٦] .

وتَوَجَّه إلى الإسْكَنْدَرية فصَامَ بها شَهْر رَمَضان وسَمِعَ الحَديث على الحافِظ أبي طاهِر أحمد السِّلَفي [٧] ، وعَمَّرَ الأُسْطُولَ ، وعادَ إلى القاهِرَة ، وأَخرَجَ قَراقُوش التَّقَوِيّ إلى بِلاد المغرب ، وأَمَرَ بقَطْع ما كان يُؤْخَذ من الحُجَّاج ، وعَوَّضَ أميرَ مَكَّةَ عنه في كلِّ سنةٍ ألفي دينار وألف أَرْدَبّ غَلَّة ، سوى إقْطاعِه بصَعيد مصر وباليَمَن ومبلغه ثمانية آلاف أَرْدَبّ .

---

a) بولاق : بغير . b) بولاق : أيجلن .

---

[١] انظر أبا شامة : الروضتين ١ : ٤٤٣ ، ٥٢٢ .

[٢] راجع ، ياقوت : معجم البلدان ١ : ٤٠٩ ، ٤ : ١١٨ ، ٥ : ٢٠٥ .

[٣] فيما تقدم ٢ : ٢٦٤ - ٢٦٧ .

[٤] فيما تقدم ٢ : ٢٦٤ - ٢٦٧ .

[٥] ابن جبير : الرحلة ٢٢ - ٢٣ ، وتم الفراغ من بنائها سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م .

[٦] راجع وصف ابن جبير لمارِسْتان صلاح الدِّين في الرِّحلة ٢٦ ؛ وفيما تقدم ٢ : ٣٥٠ .

[٧] الإمام الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد السِّلَفي . أحد كبار الحُفَّاظ أصحاب الرحلة في طَلَب العلم (الحديث) أصله من أصْبَهان واستقر به المقام بالإسكندرية وبها توفي سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م عن مائة وست سنين ، سمع عليه الناصر صلاح الدين الحديث بالإسكندرية وأكل عنده طعامًا ، وأرسل إليه صلاح الدين بمالٍ فقبله . (ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ : ١٠٥ - ١٠٧ ؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٦ : ٣٢ - ٤٤ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٧ : ٣٥١ - ٣٥٦ ؛ المقريزي : المقفى الكبير ١ : ٧٠٦ - ٧١١) .

ثم سارَ من القاهِرَة في جُمادَىٰ الأُولىٰ سنة ثلاثٍ وسبعين إلى عَسْقَلان ـ وهي بيد الفِرِنْج ـ فقَتَلَ وأَسَرَ وسَبَى وغَنِمَ، ومَضَى يُريدُهم بالرَّمْلَة،/ فقاتَلَ البرنْس أَرْناط مُتَملِّك الكَرَك قِتالًا شَديدًا، ثم عادَ إلى القاهِرَة. ٢٣٤:٢

ثم سارَ منها في شَعْبان يُريدُ الفِرِنْج، وقد نَزَلُوا على حَمَاة؛ حتى قَدِمَ دِمَشْق وقد رَحَلوا عنها، فواصَلَ الغارات على بِلاد الفِرِنْج، وعَساكِرُه تَغْزو بلاد المغرب، ثم فَتَحَ بَيْت الأَحْزان من عَمَلِ صَفَد وأَخَذَه من الفِرِنْج عَنْوَة. ٥

وسارَ في سنة ستٍّ وسبعين لحَرْب عِزّ[a] الدِّين قَليج أَرْسَلان صَاحِب قُونِيَه من بِلاد الرُّوم وعادَ، ثم تَوَجَّه إلى بِلاد الأَرْمَن، وعادَ فخَرَّب حِصْن بَهَسْنا[b]. ومَضَى إلى القاهِرَة، فقَدِمَها في ثالِث عشر شَعْبان، ثم خَرَجَ إلى الإسْكَنْدَرِيَة وسَمِعَ بها «مُوَطَّأ» الإمام مالِك على الفَقيه أبي طاهِر ابن عَوْف[1]، وأنشأ بها مارِسْتانًا ودارًا للمَغارِبَة ومَدْرَسَةً، وجَدَّدَ حَفْر الخَليج ونَقَلَ فُوَّهَتَه، ثم مَضَى إلى دِمْياط، وعادَ إلى القاهِرَة. ١٠

ثم سارَ في خامِس المحرَّم سنة ثمانٍ وسبعين على أَيْلَة، فأَغارَ على بِلاد الفِرِنْج، ومَضَى إلى الكَرَك، فعاثَت عَساكِرُه ببِلاد طَبَرِيَّة وعَكَّا، وأَخَذَ الشَّقيف من الفِرِنْج، ونَزَلَ السُّلْطانُ بدِمَشْق، ورَكِبَ إلى طَبَرِيَّة فوَاقَعَ الفِرِنْج. وعادَ فتَوَجَّه إلى حَلَب ونازَلَها، ثم مَضَى إلى البيرَة على الفُرات، وعَدَّى إلى الرُّها فأَخَذَها، وملك حَرَّان والرَّقَّة ونَصيبين، وحاصَرَ المَوْصِل فلم يَنَلْ منها غَرَضًا؛ فنازَلَ سِنْجَار حتى أَخَذَها. ثم مَضَى على حَرَّان إلى آمِد فأَخَذَها، وسارَ على عَيْنْ تاب إلى حَلَب فمَلَكَها في ثامِن عشر صَفَرَ سنة تسع وسبعين، وعادَ إلى دِمَشْق، وعَبَرَ الأُردن[c] وحَرَقَ بَيْسان على الفِرِنْج. وخَرَّبَ لهم عِدَّةَ حُصُونٍ وعادَ إلى دِمَشْق، ثم سارَ إلى الكَرَك فلم يَنَلْ منها غَرَضًا وعادَ. ١٥

ثم خَرَجَ في سنة ثمانين من دِمَشْق فنازَلَ الكَرَك، ثم رَحَلَ عنها إلى نابُلُس فحَرَقَها، وأكثر من الغارات حتى دَخَلَ دِمَشْق، ثم سارَ منها إلى حَمَاة، ومَضَى حتى بَلَغَ حَرَّان، ونَزَلَ على المَوْصِل ٢٠

---

a) بولاق: فتح. b) بولاق: بهنسا. c) بولاق: الأران.

---

[1] الفقيه أبو الطّاهِر إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسىٰ بن عَوْف المالكي، المتوفى سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م. (الصفدي: الوافي بالوفيات ٩: ١٢٢٨؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢: ١٨٣- ١٨٤؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٦: ١٠٠؛ ابن فرحون: الديباج المذهب ١: ٢٩٢-٢٩٥).

وحَصَرَها ، ثم سارَ عنها إلى خَلاط فلم يملكها ، فمَضَى حتَّى أَخَذَ مَيافارقين وعادَ إلى المَوْصِل ، ثم رَحَلَ عنها وقد مَرِضَ إلى حَرَّان ، فتَقَرَّر الصُّلْحُ مع المَواصِلَة على أن يَخْطُبُوا له بها وبديار بَكْر وجَميع البِلاد الأُرْتُقِيَّة ، وضَرْب السِّكَّة فيها باسْمِه .

ثم سارَ إلى دِمَشْق ، فقَدِمَها في ثاني رَبيع الأوَّل سنة اثنتين وثمانين ، وخَرَجَ منها في أوَّل سنة ثلاثٍ وثمانين ، ونازَل الكَرَك والشَّوْبَك وطَبَرِيَّة ، فمَلَكَ طَبَرِيَّة في ثالِث عشرين رَبيع الآخر من الفِرِنْج . ثم واقَعَهُم على حِطِّين وهم في خمسين ألفًا فهَزَمَهم بعد وَقائِع عَديدَة وأَسَرَ منهم عِدَّة مُلوك [1].

ونازَلَ عَكَّا حتى تَسَلَّمَها في ثاني جُمادَى الأولى ، وأَنْقَذَ منها أربعة آلاف أَسير مُسْلِم من الأَسْر ، وأَخَذَ مَجْدَل يافا وعِدَّةَ حُصُون منها النَّاصِرِيَّة وقَيْسارية وحَيْفا وصَفُّورِيَّة والشَّقيف والنَّوْلَة والطُّور وسَبَسْطِيَّة ونابُلُس وتِبْنين وصَرْخَد وصَيْدا وبَيْرُوت وجُبَيْل ، وأَنْقَذَ من هذه البِلاد زِيادةً على عشرين ألف أَسيرٍ مُسْلم كانوا في أَسْر الفِرِنْج ، وأَسَرَ من الفِرِنْج مائة ألف إنْسان ، ثم مَلَكَ منهم الرَّمْلَة وبَلَدَ الخَليل ـ عليه السَّلام ـ وبَيْت لَحْم من القُدْس ومَدينَة عَسْقَلان ومَدينَة غَزَّة وبَيْت جِبْريل .

ثم فَتَحَ بَيْتَ المَقْدس في يوم الجُمُعَة سابع عشرين رَجَب ، وأَخْرَجَ منه ستين ألفًا من الفِرِنْج ، بعدما أَسَرَ ستة عشر ألفًا ما بين ذَكَرٍ وأُنْثَى ، وقَبَضَ من مالِ المُفاداةِ ثلاث مائة ألف دينار مصرية ، وأقامَ الجُمُعَة بالأَقْصَى [2] ، وبَنَى بالقُدْس مَدْرَسَةً للشَّافِعِيَّة ، وقَرَّرَ على من يَرِد كَنيسَة قُمامَة من الفِرِنْج قَطيعَة يُؤَدِّيها . ثم نازَلَ عَكَّا وصُورِ ، ونازَلَ في سنة أربعٍ وثمانين حِصْن كَوْكَب ، ونَدَبَ العَساكِرَ إلى صَفَدَ والكَرَكِ والشَّوْبَك .

وعادَ إلى دِمَشْق فدَخَلَها سادِس رَبيع الأوَّل وقد غابَ عنها في هذه الغَزْوَة أربعة عشر شهرًا وخمسة أيَّام . ثم خَرَجَ منها بعد خمسة أيَّام فشَنَّ الغارات على الفِرِنْج ، وأَخَذَ منهم أَنْطَرْسُوس

---

[1] أخبار معركةُ حِطِّين ذُكِرَت بالتفصيل في مصادر سيرة صلاح الدين (فيما تقدم ٧٥٢-٧٥٣هـ [2]) ، وانظر كذلك سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ٢: ٦٢٥- ٦٣٧؛ محسن محمد حسين : الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين ٤١٦- ٤٣٠.

[2] في الرابع من شعبان سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م . وألقى خُطْبَة الجُمُعَة يومئذٍ القاضي محيي الدِّين أبو المعالي محمد بن زكيّ الدِّين علي القُرَشي . (البنداري : سنا البرق الشامي ٣١٣- ٣١٥؛ أبو شامة : الروضتين ٢: ٣٤٣- ٣٤٦؛ وانظر نَصّ الخُطْبَة عند ابن واصل : مفرج الكروب ٢: ٢١٨- ٢٢٨).

وخَرَّبَ سُورَها وحَرَّقَها ، وأَخَذَ جَبَلَة واللاَّذِقِيَّة وصَهْيون والشُّغْر وبَكَاس وبَغْراس . ثم عادَ إلى دِمَشْق آخِر شَعْبان ، بعدما دَخَلَ حَلَب ، فمَلَكَت عِساكِرُه الكَرَك والشُّوْبَك والسَّلْع في شهر رَمَضان .

وخَرَجَ بنفسه إلى صَفَدَ ومَلَكَها من الفِرِنْج في رابع عشر شَوَّال ، ومَلَكَ كَوْكَب في نصف ذي القِعْدَة ، وسارَ إلى القُدْس ، ومَضَى بعد النَّحْر إلى عَسْقَلان ونَزَلَ بعَكَّا ، وعادَ إلى دِمَشْق أوَّل صَفَرَ سنة خمسٍ وثمانين . ثم سارَ منها في ثالِث رَبيع الأوَّل ، ونازَلَ شَقِيف أَرْنُون ، وحارَب الفِرِنْجَ حُروبًا كثيرة ، ومَضَى إلى عَكَّا ـ وقد نَزَلَ الفِرِنْجُ عليها ، وحَصَرُوا مَنْ بها من المسلمين ـ فنَزَلَ بمَرْج عَكَّا وقاتَلَ الفِرِنْجَ من أوَّل شَعْبان حتى انْقَضَت السَّنَة . وقد خَرَجَ الألْمانُ من قُسْطَنْطِينِيَّة في زيادَةٍ على ألف ألفٍ يريد بِلاد الإسْلام ، فاشْتَدَّ الأمْرُ .

ودَخَلَت سنة ستٍّ وثمانين والسُّلْطانُ بالخَرُّوبَة على حِصَار الفِرِنْج ، والأمْدادُ تَصِلُ إليه ، وقَدِمَ الألْمان طَرَسُوس يُريد بَيْت المَقْدس ، فخَرَّب السُّلْطانُ سُورَ طَبَرِيَّة ويافا وأَرْسوف وقَيْسارِيَّة وصَيْدا وجُبَيْل . وقوي الفِرِنْجُ بقُدوم ابن الألْمان إليهم تقويةً لهم ، وقد ماتَ أبوه بطَرَسُوس ومَلَكَ بعده ، فقَدَّرَ الله تعالى مَوْتَه أيضًا على عَكَّا .

ودَخَلَت سنة سبع وثمانين ، فمَلَكَ الفِرِنْجُ عَكَّا في سابع عشر جُمادَى الآخرة ، وأَسَرُوا مَنْ بها من المسلمين ، وحارَبوا السُّلْطانَ ، وقَتَلُوا جَميعَ من أَسَروه من المسلمين ، وسارُوا إلى عَسْقَلان . فرَحَلَ السُّلْطانُ في أَثَرِهم ، ووَاقَعَهم بأَرْسُوف ، فانْهَزَمَ/ مَنْ معه وهو ثابِتٌ حتى عادُوا إليه ، فقاتَلَ الفِرِنْجَ وسَبَقَهم إلى عَسْقَلان وخَرَّبَها ، ثم مَضَى إلى الرَّمْلَة وخَرَّبَ حِصْنَها وخَرَّب كَنيسةً له . ٢٣٥:٢

ودَخَلَ القُدْسَ فأقامَ بها إلى عاشِر رَجَب سنة ثمانٍ وثمانين ، ثم سارَ إلى يافا فأَخَذَها بعد حُرُوبٍ ؛ وعادَ إلى القُدْس ، وعَقَدَ الهُدْنَةَ بينه وبين الفِرِنْج مُدَّة ثَلاث سنين وثَلاثة أشهر ، أوَّلها حادي عَشَرَ شَعْبان ، على أنَّ للفِرِنْج من يافا إلى عَكَّا إلى صُور وطَرابُلُس وأَنْطاكية ، ونُودِيَ بذلك فكان يومًا مَشْهودًا .

وعادَ السُّلْطانُ إلى دِمَشْق فدَخَلَها خامِس عشرين شَوَّال ـ وقد غابَ عنها أرْبَع سنين ـ فماتَ بها في يوم الأربعاء سابع عشرين صَفَرَ سنة تسعٍ وثمانين وخمس مائة عن سَبْعٍ وخمسين سنة ، منها مُدَّة مُلْكه بعد مَوْت العاضِد اثنتان وعشرون سنةً وستة عشر يومًا .

فقامَ من بَعْده بمصر وَلَدُه «السُّلْطانُ الملكُ العَزيزُ عِمادُ الدِّين أبو الفَتْح عُثْمان» ، وقد كان يومئذٍ يَنُوبُ عنه بمصر ، وهو مُقيمٌ بدار الوَزارَة من القاهِرَة ، وعنده جُلُّ عَساكِر أبيه من

الأَسَدِيَّة والصَّلاحِيَّة والأكْراد [١]. فأتاهُ مِمَّن كان عند أخيه الملك الأَفْضَل عليّ: الأميرُ فَخْرُ الدِّين جَهارْكَس، والأميرُ فارسُ الدِّين مَيْمون القَصْري، والأميرُ شَمْسُ الدِّين سُنْقُر الكبير - وهم عُظَمَاءُ الدَّوْلَة - فأكرَمَهُم، وقَدِمَ عليه القاضي الفاضِل فبالَغَ في كَرامَتِه.

وتَنَكَّرَ ما بينه وبين أخيه الأَفْضَل، فسارَ من مصر لمحارَبَته، وحَصَرَه بدِمَشْق. فدَخَلَ بينهما العادِلُ أبو بكر حتى عادَ العَزيزُ إلى مصر على صُلْح فيه دَخَلَ، فلم يتمّ ذلك وتَوَحَّشَ ما بينهما، ٥ وخَرَجَ العَزيزُ ثانيًا إلى دِمَشْق، فدَبَّرَ عليه عَمُّه العادِل حتى كادَ أن يزول مُلْكه وعادَ خائِفًا، فسارَ إليه الأَفْضَل والعادِل حتى نَزَلا بِلْبِيْس، فجَرَت أُمورٌ آلَت إلى الصُّلْح، وإقامَة[a] العادِلُ مع العَزيز بمصر، وعادَ الأَفْضَلُ إلى مملكته بدِمَشْق.

فقامَ العادِلُ بتَدْبير أُمور الدَّوْلَة، وخَرَجَ بالعَزيزَ لمحارَبَة الأَفْضَل فحَصَراه بدِمَشْق حتى أخَذاها منه بعد حُروبٍ، وبَعَثاه إلى صَرْخَد. وعادَ العَزيزُ إلى مصر، وأقامَ العادِلُ بدِمَشْق حتَّى ماتَ ١٠ العَزيزُ في ليلة [b] عشرين المحرَّم سنة خمسٍ وتسعين وخمس مائة عن سبعٍ وعشرين سنة وأشهر، منها مُدَّة سَلْطَنَته بعد أبيه ستُّ سنين تَنْقُص شهرًا واحِدًا.

فأُقيمَ بَعْدَه ابنُه «السُّلْطانُ الملكُ المَنْصُورُ ناصِرُ الدِّين محمد»، وعمره تِسْع سنين وأشهر بعَهْدٍ من أبيه. وقامَ بأُمور الدَّوْلَة بَهاءُ الدِّين قَراقُوش الأَسَدي الأتابَك، فاخْتَلَفَ عليه أُمَرَاءُ الدَّوْلَة، وكاتَبوا الملك الأَفْضَل عليّ بن صَلاح الدِّين، فقَدِمَ من صَرْخَد في خامِس رَبيع الأوَّل، ١٥ فاسْتَوْلى على الأُمور، ولم يَبْق للمَنْصور معه سوى الاسْم [٢].

---

a) بولاق: وأقام. b) بياض في آياصوفيا.

---

[١] انظر ترجمته عند، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣:٢٥١-٢٥٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١:٢٩١-٢٩٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٩:٥١٦-٥١٩؛ ابن واصل: مفرج الكروب ٣:٣٦-٨٦؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨:٤٤٢-٤٥٥؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٧:١١٥-١٤١؛ ابن الفرات: تاريخ الدول ٤/٢:١٤٣-١٤٨؛ المقريزي: السلوك ١:١٤٣-١٤٤؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٦:١٢٠-١٤٥.

[٢] انظر أخبار الملك المنصور محمد عند، ابن واصل: مفرج الكروب ٣:٨٧-٩٠، ١٤٠-١٦١؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨:٤٥٦-٤٦١؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٧:١٣٦-١٣٩؛ المقريزي: السلوك ١:١٤٥-١٥٢، أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٦:١٤٦-١٥٩.

ثم سارَ به من القاهِرَة في ثالِث رَجَب يُرِيدُ أَخْذَ دِمَشْق من عَمّه العادِل بعدما قَبَضَ على عِدَّةٍ من الأُمَرَاء، وقد تَوَجَّه العادِلُ إلى ماردين، فحَصَرَ الأَفْضَل دِمَشْق. وقد بَلَغَ العادِلَ خَبَرُه فعادَ وسارَ يُرِيده حتى دَخَلَ دِمَشْق. فجَرَت حُروبٌ كثيرةٌ آلَت إلى عَوْد الأَفْضَل إلى مصر بمَكِيدَةٍ دَبَّرَها عليه العادِل.

٥ وخَرَجَ العادِلُ في أَثَرِه ووَاقَعَه على بِلْبِيس، فكَسَرَه في سادِس رَبيع الآخر سنة ستٍّ وتسعين، والْتَجأَ إلى القاهِرَة وطَلَبَ الصُّلْح، فعَوَّضَه العادِلُ صَرْخَد، ودَخَلَ إلى القاهِرَة في يوم السَّبْت ثامِن عشره، وأقامَ بأتابَكِيَّة المَنْصور، ثم خَلَعَه في يوم الجُمُعَة حادي عشر شَوَّال. وكانت سَلْطَنَتُه سنةً وثمانية أشهر وعشرين يومًا.

واسْتَبَدَّ بالسَّلْطَنَة بعده عَمُّ أبيه «السُّلْطانُ الملكُ العادِل سَيْفُ الدِّين أبو بَكْر محمد بن أَيُّوب»، فخُطِبَ له بديار مصر وبلاد الشَّام وحَرَّان والرُّها ومَيافارقين، وأَخرَجَ المَنْصور وإخْوَتَه ١٠ من القاهِرَة إلى الرُّها، واسْتَنَابَ ابنه الملكَ الكامِل محمدًا عنه، وعَهِدَ إليه بعده بالسَّلْطَنَة، وحَلَّفَ له الأُمَرَاءَ، فسَكَنَ قَلْعَة الجَبَل، واسْتَمَرَّ أبوه في دار الوَزارَة [١].

وفي أيَّامِه توقَّفت زِيادَةُ النِّيل ولم يَبْلُغ سوى ثلاثة عشر ذِراعًا تنقُص ثَلاثَة أصابع، وشَرُقَت أراضي مصر إلَّا الأقَلَّ، وغَلَتِ الأسْعارُ، وتَعَذَّرَ وُجودُ الأقْوات حتى أُكِلَت الجِيَف وحتى أَكَلَ ١٥ النَّاسُ بعضَهم بعضًا، وتَبِعَ ذلك فَنَاءٌ كبيرٌ، وامْتَدَّ ذلك ثلاث سنين، فبَلَغَت عِدَّةُ من كَفَّنَه العادِلُ وَحْدَه من الأمْوات في مدَّةٍ يَسيرةٍ نحو مائتي ألف وعشرين ألف إنْسان، فكان بَلاءً شَنيعًا [٢].

---

a) بياض في آياصوفيا.

---

[١] انظر أخبار الملك العادل الأيُّوبي عند، ابن الأثير: الكامل في التاريخ (مواضع متعددة)؛ ابن واصل: مفرج الكروب ٣:١٦٢– ٢٧٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥:٧٤– ٧٩؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٧:١٤٠– ٢٠١؛ النويري: نهاية الأرب ٢٩:٩– ٨٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٢:١١٥– ١٢٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢:٢٣٥– ٢٣٨؛ المقريزي: السلوك ١:١٥٢– ١٩٤؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٦:١٦٠– ٢٢٦؛ Dahlmanns, F.J., *Al-Malik al-ʿÂdil. Äygypten und der Vordere Orient inden Jahren 589/ 1193 bis 615/ 1218*, Giessen 1975؛ محمود محمد الحويري: العادل الأيوبي، صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية، القاهرة ١٩٨٠؛ Gibb, H.A.R., EI^2 art. *al-ʿÂdil* I, pp. 203-4.

[٢] وَصَفَ لنا هذه الشِّدَّة عبدُ اللَّطيف البَغْدادي، الذي كان في مصر وقت حُدُوثها، انظر، عبد اللطيف =

وعَقِبَ ذلك تحرّكَ الفِرنْجُ على بِلاد المسلمين في سنة تسع وتسعين. فكانَت معهم عِدَّةُ حُرُوبٍ على بِلاد الشّام آلَت إلى أن عَقَدَ العادِلُ معهم الهُدْنَة. فعاوَدُوا الحَرْبَ في سنة ستّ مائة، وعَزَموا على أخْذ القُدْس، وكَثُرَ عَيْثُهم وفَسادُهم. وكانت لهم وللمسلمين شُئونٌ آلَت إلى نُزُولهم على مَدينَة دِمْياط في رابع رَبيع الأوَّل سنة خمس عشرة وستّ مائة والعادِلُ يومئذٍ بالشّام. فخَرَجَ المَلِكُ الكامِلُ لمحارَبَتِهم، فماتَ العادِلُ بمَرَض الصُّفْر في يوم الخميس سابع جُمادَى الآخرة منها، وحُمِلَ إلى دِمَشْق. فكانت مدَّةُ سَلْطَنَتِه بديار مصر تسعَ عشرة سنة وشهرًا واحدًا وتسعة عشر يومًا.

وقامَ من بَعْده ابنُه «السُّلْطانُ المَلِكُ الكامِلُ ناصِر الدِّين أبو المعالي محمد» بعَهْدِ أبيه، فأقامَ في السَّلْطَنَة عشرين سنة وخمسة وأربعين يومًا، وماتَ بدِمَشْق يوم الأربعاء حادي عشرين رَجَب سنة خمسٍ وثلاثين وستّ مائة [1].

وأُقِيمَ بَعْدَه ابنُه «السُّلْطانُ/ المَلِكُ العادِلُ سَيْفُ الدِّين أبو بَكْر»، فاشْتَغَلَ باللَّهْو عن التَّدْبير، وخَرَجَت عنه حَلَب، واسْتَوْحَشَ منه الأُمَراءُ لتَقْريبه الشَّباب. وسارَ أخُوهُ المَلِكُ الصّالِحُ نَجْمُ الدِّين أيُّوب من بِلاد الشَّرْق إلى دِمَشْق وأَخَذَها في أوَّل جُمادَى الأولى سنة ستّ وثلاثين، وجَرَت له أُمورٌ آخِرُها أنّه سارَ إلى مصر. فقَبَضَ الأُمَراءُ على العادِل وخَلَعُوه يوم الجُمُعَة ثامِن ذي القعدة سنة سبعٍ وثلاثين وستّ مائة فكانت سَلْطَنَتُه سنتين وثلاثة أشهر وتسعة أيّام [2].

وقامَ بالسَّلْطَنَة (a) بَعْدَه أخوه «السُّلْطانُ المَلِكُ الصّالِحُ نَجْمُ الدِّين أبو الفُتُوح أيُّوب»، فاسْتَوْلَى على قَلْعَة الجَبَل في يوم الأحد رابع عشرين ذي القعدة، وجَلَسَ على سَرير

---

a) بياض في آياصوفيا.

= البغدادي: الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، ٨٥-١٠٦، ودراسة منيرة شابوتو رمادي Chapoutot - Remadi, M., «Une grande Crise à la fin du XII^e siècle en Égypte», *JESHO* XXVI (1983), pp. 216-45.

[1] سترد ترجمةٌ مفصَّلةٌ للملك الكامل محمد، فيما يلي ٢: ٣٧٥ عند ذكر دار الحديث الكاملية.

[2] انظر أخبار الملك العادل الثاني الأيّوبي عند، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥: ٨٤-٨٥؛ ابن واصل: مفرج الكروب ٥: ١٧٤-٢٧٠؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٧: ٣٢٦-٣٣٩؛ النويري: نهاية الأرب ٢٩: ٢٣٤-٢٥٧؛ المقريزي: السلوك ١: ٢٦٧-٢٩٦؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٦: ٣٠٣-٣١٨؛ Gibb, H.A.R., *EI*² art. *al-ʿĀdil* I, p. 204.

المُلْكَ بها - وكان قد خُطِبَ له قبل قُدومِه - فضَبَطَ الأُمُورَ، وقامَ بأعْبَاءِ المملكة أتَمَّ قِيامٍ، وجَمَعَ الأمْوال التي أتْلَفَها أخُوه. وقَبَضَ على الأُمَرَاء، ونَظَرَ في عِمارَة أرْض مصر، وحارَب عُرْبان الصَّعيد، وقَدَّمَ مَماليكَه وأقامَهم أُمَرَاء، وبَنَى قَلْعَةَ الرَّوْضَة، وتَحَوَّلَ من قَلْعَة الجَبَل إليها وسَكَنَها، ومَلَكَ مَكَّة، وبَعَثَ لغَزْو اليَمَن، وعَمَّر المَدارِس الصَّالِحِيَّة بَيْنَ القَصْرَيْن من القاهِرَة وقَرَّرَ بها دُرُوسًا أربعة للشَّافِعِيَّة والحَنَفِيَّة والمالِكِيَّة والحَنابِلَة.

وفي أيَّامِه نَزَلَ الفِرِنْجُ على دِمْياط في ثالِث عشرين صَفَرَ سنة سبعٍ وأربعين، وعليهم الملك ريدافرنس[a] ومَلَكوها. وكان السُّلطانُ بدِمَشْق، فقَدِمَ عندما بَلَغَه حَرَكَةُ الفِرِنْج، ونَزَلَ أُشْموم طَنَاح وهو مَريض، فماتَ بناحية المَنْصورَة مُقابِل الفِرِنْجِ في يوم الأحد رابع عشر شَعْبان منها. وكانت مدَّةُ سَلْطَنَتِه بعد أخيه تسعَ سنين وثمانية أشهر وعشرين يومًا[1].

فقامَت أُمُّ وَلَدِه خَليل - واسمها شَجَرَ الدُّرِّ - بالأَمْر وكَتَمَت مَوْتَه، واسْتَدْعَت ابنه تُوران شَاه من حِصْن كِيفَا، وسَلَّمت إليه مَقاليدَ الأُمُور[2].

فقامَ من بَعْده ابنُه «السُّلْطانُ الملكُ المُعَظَّم غَيَّاثُ الدِّين تُوران شاه». وقد سارَ من حِصْن كِيفا في نصف شهر رَمَضان، فمَرَّ على دِمَشْق، وتَسَلْطَن بقَلْعَتِها في يوم الاثنين لليلتين بقيتا منه[3]؛ ورَكِبَ إلى مصر فنَزَلَ الصَّالِحِيَّة طَرَفَ الرَّمْل لأربع عشرة بقيت من ذي القِعْدَة. فأُعْلِن حينئذٍ بمَوْتِ الصَّالِح ولم يكن أَحَدٌ قبل ذلك يَتَفَوَّه بمَوْتِ السُّلْطان، بل كانت الأُمُورُ على حالِها والخِدْمَةُ تُعْمَل بالدِّهْليز والسِّماطُ يُمَدُّ، وشَجَرُ الدُّرّ تُدَبِّر أُمورَ الدَّوْلَة، وتُوهِمُ الكافَّةَ أنَّ السُّلْطانَ مَريضٌ ما لأَحَدٍ عليه سَبيلٌ ولا وُصول[4].

ثم سارَ المُعَظَّمُ من الصَّالِحِيَّة إلى المَنْصُورَة، فقَدِمَها يوم الخميس حادي عشرينه، فأساءَ تَدْبير نفسه، وتَهَدَّدَ البَحْرِيَّة حتى خافُوه - وهم يومئذٍ جَمْرَةُ العَسْكَر - فقَتَلوه بعد سبعين يومًا في يوم

a) بولاق: روادفرنس.

[1] انظر ترجمة السُّلْطان الصَّالح نجم الدِّين أيُّوب، فيما يلي ٢:٣٧٤ عند ذكر المدارس الصالحية.

[2] انظر تفصيل ذلك فيما تقدم ١:٢١٩- ٢٢١.

[3] راجع أخبار المُعَظَّم تُورانْشاه عند، ابن واصل: مفرج الكروب (نسخة باريس رقم 1703)؛ النويري: نهاية الأرب ٢٩:٣٤٠- ٣٦٢؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٧:٣٧٤- ٣٨٦؛ المقريزي: السلوك ١:٣٥١- ٣٦١؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٦:٣٦٤- ٣٧٢؛ Humphrey, R.S., *EI²* art. *al-Mu'azzam* VII, pp. 272-76.

[4] فيما تقدم ١:٥٩٨- ٥٩٩.

الاثنين تاسع عشرين المحرَّم سنة ثمانٍ وأربعين وستّ مائة [1]. وبمَوْتِه انْقَضَت دَوْلَةُ بني أَيُّوب من دِيار مصر، بعدما أقامَت إحدى وثمانين سنةً وسبعة عشر يومًا، وملك منهم ثمانيةُ مُلُوك.

ذِكْرُ دَوْلَة المماليك البَحْرِيَّة

وهم المُلوكُ الأَتْراكُ، وكان ابْتِداءُ أَمْر هذه الطَّائِفَة أَنَّ السُّلْطان الملكَ الصَّالِحَ نَجْم الدِّين أَيُّوب، ٥
كان قد أَقَرَّه أَبُوه السُّلْطانُ الملكُ الكامِلُ محمد بِبلاد الشَّرْق، وجَعَلَ ابنَه العادِلَ أبا بكرٍ وَلِيَّ عَهْدِه في السَّلْطَنَة بمصر. فلمَّا ماتَ قامَ من بعده العادِلُ في السَّلْطَنَة، وتَنَكَّرَ ما بينه وبين ابن عَمِّه الملكَ الجَوَاد مُظَفَّر الدِّين يُونُس بن مَوْدُود بن العادِل أبي بَكْر بن أَيُّوب، وهو نائِب دِمَشْق، فاسْتَدْعى الصَّالِح نَجْم الدِّين أَيُّوب من بِلاد الشَّرْق، ورَتَّبَ ابنه المُعَظَّم تُوران شَاه على بِلاد الشَّرْق، وأَقَرَّه بحِصْن كِيفا، وقَدِمَ دِمَشْقَ ومَلَكَها. ١٠

فكاتَبَه أُمَرَاءُ مصر تَحُثُّه على أَخْذِها من أَخيه العادِل، وخامَرَ عليه بعضُهم فسارَ من دِمَشْق في رَمَضان سنة ستٍّ وثلاثين. فانْزَعَجَ العادِلُ انْزِعاجًا كبيرًا، وكَتَبَ إلى النَّاصِر دَاود صاحِب الكَرَك، فسارَ إليه ليُعاونه على أخيه الصَّالِح. فاتَّفَق مَسيرُ الملك الصَّالِح إسماعيل بن العادِل أبي بَكْر بن أَيُّوب من حَمَاة وأَخْذه دِمَشْق للملك العادِل أبي بَكْر ابن الملك الكامِل محمد في سابع عشرين صَفَرَ سنة سبعٍ وثلاثين، والملكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّين أَيُّوب يومئذٍ على نابُلُس. فانْحَلَّ أَمْرُه، ١٥
وفارَقَه من معه حتى لم يَبْقَ معه إلَّا مَماليكُه وهم نحو الثَّمانين، وطائِفَةٌ من خَواصِّه نحو العشرين، وأمَّا الجَميعُ فإنَّهم مَضَوا إلى دِمَشْق. وكان النَّاصِرُ دَاود قد فارَق العادِل، وسارَ من القاهِرَة مُغاضِبًا له إلى الكَرَك، ومَضَى إلى الصَّالِح نَجْم الدِّين أَيُّوب، وقَبَضَه بنابُلُس في ثاني عشر رَبيع الأَوَّل منها، وسَجَنَه بالكَرَك.

فأقامَ مَماليكُ الصَّالِح بالكَرَك حتى خَلُصَ من سِجْنه في سابع عشرين شهر رَمَضان منها، ٢٠
فاجْتَمَعَ عليه مَماليكُه وقد عَظُمَت مَكانَتُهم عنده، وكان من أَمْره ما كان حتى ملك مصر، فرَعَى لهم ثَباتَهم معه حين تَفَرَّقَ عنه الأَكْرادُ، وأَكْثر من شِرائِهم وجَعَلَهم أُمَرَاء دَوْلَته وخاصَّته وبِطانَته

[1] فيما تقدم ١:٦٠٤– ٦٠٥.

والمحيطين بِدِهْليزه إذا سافَرَ، وأَسْكَنَهم معه في قَلْعَة الرَّوْضَة [١]، وسَمَّاهم «البَحْرِيَّة» [٢]. وكانوا دون الألف مَمْلوك - وقيل ثمان مائة وقيل سبع مائة وخمسون - كلُّهم أتْراك.

٢٣٧:٢ فلمَّا ماتَ الملكُ الصَّالِحُ بالمَنْصورَة، أَحَسَّ الفِرِنْجُ بشيءٍ من ذلك،/ فرَكِبُوا من مَدينَة دِمْياط وساروا على فارَسْكور ووافَقُوا العَسْكَرَ في يوم الثلاثاء أَوَّل شهر رَمَضان سنة سبْع وأربعين، ونَزَلوا ٥ بقرية شَرْمِساح ثم بالبَرَمُون، ونزلوا تجاه المَنْصورَة. فكانت الحُرُوبُ بين الفريقين إلى خامِس ذي القِعْدة، فلم يشعر المسلمون إلَّا والفِرِنْجُ معهم في المعسكر، فقُتِلَ الأميرُ فَخْرُ الدِّين بن شَيْخ الشُّيوخ، وانْهَزَمَ النَّاسُ، ووَصَلَ ريدا فرنس[a] ملك الفِرِنْج إلى باب قَصْر السُّلْطان. فبَرَزَت «البَحْرِيَّة» وحَمَلوا على الفِرِنْج حَمْلَةً منكرةً حتى أزاحُوهم ووَلَّوْا، فأَخَذَتْهم السُّيوفُ والدَّبابيسُ، وقُتِلَ من أَعْيانِهم ألفٌ وخمس مائة. فظَهَرَت «البَحْرِيَّة» من يومئذٍ واشتهرت [٣].

١٠ ثم لمَّا قَدِمَ الملكُ المُعَظَّمُ تُوران شاه، أَخَذَ في تَهْديد شَجَرِ الدُّرّ ومُطالَبَتِها بمالِ أبيه، فكاتَبَت البَحْرِيَّة تُذَكِّرهم بما فَعَلَتْه من ضَبْطِ المملكة حتى قَدِمَ المُعَظَّمُ، وما هي فيه من الخَوْف منه، فشَقَّ ذلك عليهم. وكان قد وَعَدَ الفارِسَ أَقْطاي [٤] المتوجِّه إليه من المَنْصورة لاسْتِدْعائه من حِصْن كِيفا بإمْرَة فلم يَفِ له، فتنَكَّرَ له، وهو من أكابِر البَحْرِيَّة، وأَعْرَضَ مع ذلك عن البَحْرِيَّة، واطرح جانِب الأُمَرَاء وغيرهم حتى قَتَلوه. وأَجْمَعُوا على أن يُقيموا بَعْدَه في السَّلْطَنَة سَرِيَّة أسْتاذِهم

---

a) بولاق: روادفرنس.

---

[١] فيما تقدم ٥٨٤.

[٢] اختلفت المصادرُ والدِّراساتُ الحديثة حَوْل أَصْل كلمة «البَحْرِيَّة»، وهل هي نِسبةٌ إلى بَحْر النِّيل - حيث كانت قَلْعَةُ الرَّوْضة - أو لأنَّهم جاءوا من وَرَاء البَحْر؟ راجع مناقشة ذلك عند، أحمد مختار العبّادي: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشَّام، بيروت ١٩٦٩، ٩٦- ٩٩؛ Ayalon, D., «Le régiment Bahriyya dans l'armée mamelouke», *REI* 19 (1951), pp. 133-41; id., *EI* [2] art. *al-Bahriyya* I, pp. 973-74; id., «From Ayyubids to Mamluks», *REI* 49 (1981), pp. 43-57; id., «Bahri Mamluks, Burji Mamluks - Inaderquate Names for the Two Reigns of the Mamlûke Sultanate», *Tarih* I (1990), pp. 3-53.

[٣] فيما تقدم ١:٥٩٩- ٦٠١.

[٤] انظر أخبار الفارس أقْطاي الجَمْدار أحد أكابر المماليك البحرية المتطلّعين إلى السَّلْطَنَة، والذي توفي مقتولاً بمؤامرة دَبَّرها له السُّلطان المُعِز أيْبَك التركماني سنة ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م، عند ابن عبد الظّاهِر: الروض الزاهر ٥٢- ٥٤؛ النويري: نهاية الأرب ٤٢٩:٢٩- ٤٣٢؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٢٤:٨- ٢٦؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ١٠، ١١٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٣١٧:٩- ٣١٨؛ المقريزي: السلوك ٣٤٥:١، ٣٨١، ٣٨٦، ٣٨٩- ٣٩١؛ العيني: عقد الجمان ٨٥:١- ٨٧؛ أبي المحاسن: المنهل الصافي ٥٠٢:٢- ٥٠٤، النجوم الزاهرة ١٠:٧- ١٢.

«المَلِكَة عِصْمَة الدِّين أمّ خَليل شَجَر الدُّرّ الصَّالِحِيَّة»[1]، فأقامُوها في السَّلْطَنة وحَلَفُوا لها في عاشِر صَفَر، ورَتَّبوا الأميرَ عِزّ الدِّين أَيْبَك التُّرْكُماني الصَّالِحِي أحَد البَحْرِيَّة مُقَدَّم العَسْكَر. وسارَ عِزُّ الدِّين أَيْبَك الرُّومي من العَسْكَر إلى قَلْعَة الجَبَل، وأنهى ذلك إلى شَجَر الدُّرّ. فقامَت بتَدْبير المملكة، وعَلَّمَت على التَّواقِيع بما مِثالُه:

«وَالِــدَةُ خَـلِيل»

ونُقِشَ على السِّكَّة اسمها ومِثالُه:

«المُسْتَعْصِمَة الصَّالِحِيَّة، مَلِكَة المُسْلمين، والِدَة المَنْصور خَليل خَليفَة أمير المؤمنين».

وكانت البَحْرِيَّةُ قد تَسَلَّمَت مَدينَة دِمْياط من الملك ريدا فرنس[a] بعدما قَرَّرَ على نفسه أربع مائة ألف دينار، وعادَ العَسْكَرُ من المَنْصورة إلى القاهِرَة في تاسِع صَفَر، وحَلَفُوا لشَجَرِ الدُّرّ في ثالِث عشره، فخَلَعَت عليهم، وأنفَقَت فيهم الأموال. ولم يُوافِقْ أهْلُ الشَّام على سَلْطَنَتِها، وطَلَبوا الملكَ النَّاصِرَ صَلاح الدِّين يُوسُف بن العَزيز صاحِب حَلَب، فسارَ إليهم بدِمَشْق ومَلَكَها.

---

a) بولاق: روادفرنس.

---

[1] شَجَرُ الدُّرّ (لا شَجَرَة الدُّر كما يكتب الباحثون المحْدَثُون) أمّ خَليل الصَّالِحِيَّة الملكية، جارية السُّلْطان الملك الصَّالح نَجْم الدِّين أيُّوب وأمّ وَلَده خَليل. تَوَلَّت حُكْم مصر في فَتْرة مَرَض زَوْجها في المنصورة، ثم مستقلّةً لمُدَّة ثمانين يومًا في سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م قبل زواجها من السُّلْطان الملك المُعِزّ أَيْبَك التُّرْكماني الذي أسْكَنَها في الدُّور السُّلْطاني فَدَبَّرَت لقتله في سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م، ثم وُجِدَت مقتولةً تحت القَلْعَة في ١١ ربيع الثَّاني سنة ٦٥٥هـ/٢٨ أبريل سنة ١٢٥٧م. (راجع، ابن واصل: مفرج الكروب (الجزء السادس مخطوطة باريس رقم 1703)؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٨:١٢– ١٣، ٣٠– ٣٣؛ النويري: نهاية الأرب ٢٩:٣٦٢– ٣٦٤، ٤٥٧– ٤٥٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٦: ١٢٠؛ المقريزي: السلوك ١:٣٦١– ٣٦٨، ٤٠١– ٤٠٤؛ العيني: عقد الجمان ١:٢٩– ٣٤، ١٦٥– ١٦٦؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٦:٣٧٣– ٣٧٩، المنهل الصافي ٦:٢١٩– ٢٢١؛ Schregle, G., *Die Sultanin von Ägypten. Schagarat ad-Durr in der arabischen Geschichtsschreibung und Literatur*, Wiesbaden 1961; Gottschalk, H.L., «Die ägyptische Sultanin Shagarat ad-Durr in Geschichte und Dichtung», *WZKM* LXI (1967), pp. 41-61; Cahen, Cl. & Chabbouh, Ibr., «Le Testament d'al-Malik as-Sâlih Ayyûb», *BEO* XXIV (1977), pp. 97-114; Chapoutot - Remadi, M., «Chajar ad-Durr (- 1257). Esclave, mamluke et sultane d'Égypte», dans Ch.-A. Julien (ed.), *Les Africains* IV, Paris 1977, pp. 101-27; Amman, L., *EI*[2] art. *Shadjar al-Durr* VIII, pp. 181-82; Levanoni, A., «Šagar ad-Durr: A Case of Female Sultanate in Medieval Islam» in *Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyubid and Mamluk Eras*, III, pp. 209-18).

فانْزَعَجَ العَسْكَرُ بالقاهِرَة، وتَزَوَّجَ الأميرُ عِزُّ الدِّين أَيْبَك التُّرْكُماني بالملكة شَجَرِ الدُّرّ، ونَزَلَت له عن السَّلْطَنَة، وكانت مُدَّتُها ثمانين يَوْمًا [1].

---

[1] قارن مع المقريزي: السلوك ١: ٣٦٨؛ العيني: عقد الجمان ١: ٣٦، ٣٧، ٥٣، ٥٤.

وكُتِبَ العَديدُ من الدِّراسات عن تاريخ دَوْلَة سلاطين المماليك البَحْرية (التركية): السِّياسي والاقْتصادي والاجتماعي، كما كان أَهَمّ سلاطينها موضوعًا لدراسات مستقلَّة وعلى الأخصّ السَّلْطَنَة الثالثة للنَّاصِر محمد بن قلاوون (فيما يلي ٢: ٣٠٤-٣٠٦). ومن أهَمّ الدِّراسات التي تناوَلَت تاريخ الدَّوْلَة عُمُومًا انظر، علي إبراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص، القاهرة ١٩٤٤؛ محمد مصطفى زيادة: «بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دَوْلَة المماليك بمصر»، مجلة كلية الآداب - الجامعة المصرية ٤ (مايو ١٩٣٦)، ٧١- ٨٨؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر في عصر دولة المماليك البحرية، القاهرة ١٩٥٩؛ نفسه: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٦٢؛ نفسه: العصر المماليكي في مصر والشَّام، القاهرة ١٩٦٥، ١٩٧٦؛ السيد الباز العريني: المماليك - الفروسية في مصر في عصر سلاطين المماليك ١٢٧٠ - ١٥١٧، بيروت ١٩٦٧؛ أحمد مختار العبادي: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشَّام، بيروت ١٩٦٩؛ عبد المنعم ماجد: نُظُم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ١- ٢، القاهرة ١٩٧٩- ١٩٨٢؛ نفسه: التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر - دراسة تحليلية في الازدهار والانهيار، القاهرة ١٩٨٨؛ قاسم عبده قاسم: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي - عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٧٩؛ نفسه: عصر سلاطين المماليك - التاريخ السياسي والاجتماعي، القاهرة ١٩٩٨؛ حياة ناصر الحجي: السلطة والمجتمع في سلطنة المماليك، فترة حكم المماليك البحرية، الكويت ١٩٩٧؛ Wiet, G., *L'Égypte arabe*, pp. 387-510; Ayalon, D., EI^2 art. *Mamluk* VI, pp. 299-305; id., *Studies on the Mamlûks of Egypt (1250-1517)*, London 1977; id., *The Mamlûk Military Society*, London 1979; id., *Islam and the Abode of War : Military Slaves and Islamic Adversaries*, London 1997, id., *Outsiders in the Lands of Islam : Mamlûks Mongols and Enuchs*, London 1988; Irwin, R., *The Middle East in the Middle Ages: The Early Mamlûk Sultanate 1250-1382*, London 1986; Holt, P. M., *The Age of the Crusades : The Near East from the Eleventh Century to 1517*, London and New York 1986; id., «The Position and Power of the Mamlûk Sultan», *BSOAS* 38 (1975), pp. 237-49; id., EI^2 art. *Mamluks* VI, pp. 305-315; id., «The Structure of Government in the Mamluk Sultanate», in Holt, P. M. (ed.), *The Eastern Mediterranean Lands in the Period of the Crusades*, Warminster 1977, pp. 44-61; وعن النِّظام المالي والاقتصادي في ظل دولة المماليك، والمماليك البحرية بوجه خاص، راجع Rabie, H., *The Financial System of Egypt A.H. 564-741/ A.D. 1169-1341*; Ashtor, E., *Histoire des prix et des salaires dans l'Orient medieval*, Paris 1969، وعن المجتمع المدني راجع دراسة Lapidus, I, *Muslim Cities in the Later Mitle Ages*, Cambridge Mass., 1967, 1999; Levanoni, A., «The Mamlûk Conception of the Sultanate», *IJNES* 26 (1994), pp. 373-92; id., «The Mamlûk's Ascent to Power in Egypt», *SI* 72 (1990), pp. 121-44; Chapoutot - Remadi, M., *Liens et relations au sein de l'élite mamluke sous les premiers sultans bahrides, 648/1250-741/ 1340*, Damas - IFEAD 1995; Northrup, L., «The Bahrie Mamluk Sultanate, 1250-1390», *The Cambridge History of Egypte* I, pp. 290-317، وكذلك Little, D. P., *An Introduction to Mamlûk Historiography*, Wiesbaden 1970.

ومَلَكَ بَعْدَها «السُّلْطانُ الملكُ المُعِزّ عِزُّ الدِّين أَيْبَك الجاشَنْكير التُّرْكُماني الصَّالِحِي» أَحَدُ المماليك الأَتْراك البَحْرِيَّة [1]. وكان قد انْتَقَلَ إلى الملك الصَّالِح من أَوْلاد ابن التُّرْكُماني، فعُرِفَ بالتُّرْكُماني، ورَقَّاه في خَدَمِه حتى صارَ من جملة الأُمَرَاء، ورَتَّبه جاشَنْكير. فلمَّا ماتَ الصَّالِحُ وقَدَّمته البَحْرِيَّة عليهم في سَلْطَنَة شَجَر الدُّرّ، كَتَبَ إليهم الخَليفَةُ المُسْتَعْصِمُ من بَغْداد يذمُّهم على إقامَة امْرَأةٍ، ووافَقَ مع ذلك أَخْذ النَّاصِر لدِمَشْق وحَرَكَتهم لمحاربته. فوَقَعَ الاتِّفاقُ على إقامَة أَيْبَك في السَّلْطَنَة، فأَرْكَبوه بشِعار السَّلْطَنَة في يوم السبت آخر شهر رَبيع الآخر سنة ثمانٍ وأربعين وستّ مائة، ولَقَّبوه بـ«الملك المُعِزّ»، وجَلَسَ على تَخْت المُلْك بقَلْعَة الجَبَل. فوَرَدَ الخَبَرُ من الغَد بأَخْذ الملك المُغيث عُمَر بن العادِل الصَّغير الكَرَك والشَّوْبَك، وأَخْذ الملك السَّعيد قَلْعَة الصُّبَيْبَة.

فاجْتَمَعَ رأيُ الأُمَرَاء على إقامَة الأَشْرَف مُظَفَّر الدِّين مُوسَىٰ بن النَّاصِر ـ ويُقالُ المَسْعود يوسُف ابن الملك المَسْعود يُوسُف، ويقال أَطْسِز، ويُقال أيضًا أَقْسِيس ابن الملك الكامِل محمد ابن العادِل أبي بكر بن أَيُّوب ـ شَريكًا للمُعِزّ في السَّلْطَنَة، فأقاموه معه ـ وعمره نحو ستّ سنين ـ في خامِس جُمادَى الأولى، وصارَت المَراسيم تَبْرُز عن الملكين. إلَّا أنَّ الأَمْرَ والنَّهْي للمُعِزّ، وليس للأَشْرَف سوى مجرَّد الاسْم [2].

ووَلَّىٰ المُعِزُّ الوَزارَة لشَرَف الدِّين أبي سَعيدٍ هِبَة الله بن صَاعِد الفائِزي ـ وهو أَوَّلُ قِبْطي وَلِيَ وَزارَة مصر [3] ـ وخَرَجَ المُعِزُّ بالعَساكِر وعُرْبان مصر لمُحارَبَة النَّاصِر يُوسُف في ثالِث ذي القَعْدَة، وخَيَّمَ بمَنْزِلَة الصَّالِحِيَّة وتَرَكَ الأَشْرَف بقَلْعَة الجَبَل، واقْتَتَلَ مع النَّاصِر في عاشِره. فكانت النُّصْرَةُ له على النَّاصِر، وعادَ في ثاني عشره.

فنَزَلَ بالنَّاس من البَحْرِيَّة بَلاءٌ لا يُوصَف، ما بين قَتْلٍ ونَهْبٍ وسَبْيٍ، بحيث لو مَلَكَ الفِرِنْجُ بِلادَ مصر ما زادُوا في الفَساد على ما فعله البَحْرِيَّة. وكان كُبَراؤهم ثلاثة: الأميرُ

---

[1] راجع أخباره عند، ابن أيبك: كنز الدرر ٨: ١٢– ٣٢؛ النويري: نهاية الأرب ٢٩: ٤١٩– ٤٥٩؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ٦، ٧، ٢٤؛ المقريزي: السلوك ١: ٣٦٨ – ٤٠٤؛ العيني: عقد الجمان ١: ٣٤– ٤٠، ١٤٠؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٣– ٤٠، المنهل الصافي ١: ٢٠– ٢٨؛ Levanoni, A., «The Consolidation of Aybak's Rule : An Exemple of Factionalism in the Mamluk State», *Der Islam* 71 (1994), pp. 241-54.

[2] انظر، العيني: عقد الجمان ١: ٣٩– ٤٤.

[3] انظر ترجمة الوزير هِبَة الله بن صاعِد الفائِزي، فيما تقدم ٢٩٧– ٢٩٨.

فارِسُ الدِّين آقْطاي، ورُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري، وبَلْبان الرَّشيدي.

ثم في محرَّم سنة تسع وأربعين، خَرَجَ المُعِزُّ بالأَشْرَف والعَساكِر، فنَزَلَ بالصَّالِحِيَّة وأقامَ بها نحو سنتين، والرُّسُل تتردَّدُ بينه وبين النَّاصِر، وأَحْدَثَ الوَزيرُ الأَسْعَدُ هِبَةُ الله الفَائِزي مَظالِمَ لم تُعْهَد بمصر قبله. فوَرَدَ الخَبَرُ في سنة خمسين بحَرَكَة التَّتَر على بَغْداد، فقَطَعَ المُعِزُّ من الخُطْبَة اسْم الأَشْرَف وانْفَرَدَ بالسَّلْطَنَة، وقَبَضَ على الأَشْرَف وسَجَنَه، وكان الأَشْرَفُ مُوسَىٰ آخِرَ مُلُوك بني أَيُّوب بمصر.

ثم إنَّ المُعِزَّ جَمَعَ الأَمْوالَ، فأَحْدَث الوَزيرُ مُكوسًا كثيرةً سمَّاها «الحُقُوق السُّلْطانية»[1]. وعادَ المُعِزُّ إلى قَلْعَة الجَبَل في سنة إحدى وخمسين، وأَوْقَعَ بعَرَبِ الصَّعيد وقَبَضَ على الشَّريف حِصْن الدِّين ثَعْلَب بن ثَعْلَب، وأَذَلَّ سائِرَ عَرَبِ الوَجْهَيْنِ القِبْليّ والبَحْريّ، وأَفْناهم قَتْلًا وأَسْرًا وسَبْيًا، وزادَ في القَطيعَة/ على من بقِيَ منهم حتى ذَلُّوا وقَلُّوا، ثم قَتَلَ الفارِس آقْطاي ففَرَّ منهم مُعْظَمُ البَحْرِيَّة: بَيْبَرْس وقَلاوون في عَدَدٍ كثيرٍ منهم إلى الشَّام وغيرها[2].

ولم يَزَلْ إلى أن قَتَلَتْه شَجَرُ الدُّرِّ في الحَمَّام ليلة الأربعاء رابع عشرين رَبيع الأَوَّلِ سنة خمسٍ وخمسين وستّ مائة، فكانت مُدَّتُه سبع سنين تنقص ثلاثة وثلاثين يومًا. وكان ظَلُومًا غَشومًا، سَفَّاكًا للدِّماء، أَفْنَى عَوالِمَ كثيرة بغيرِ ذَنْب.

وقامَ من بَعْدِه ابنُه «السُّلْطانُ الملكُ المَنْصور نُورُ الدِّين عليّ بن المُعِزّ أَيْبَك» في يوم الخَميس خامِس عشرين رَبيع الأَوَّل وعمره خمس عشرة سنة؛ فدَبَّرَ أَمْرَه نائِبُ أبيه الأميرُ سَيْفُ الدِّين قُطُز، ثم خَلَعَه في يوم السبت رابع عشرين ذي القِعْدَة سنة سبعٍ وخمسين وستّ مائة. فكانت مُدَّتُه سنتين وثمانية أشهر وثلاثة أيَّام[3].

---

[1] راجع عن المكوس التي أَحْدَثها الوزير الفائزي فيما تقدم ١:٢٨٣- ٢٨٤، وهذا المجلد ٤٠٩، ٥٩٨.

[2] فيما تقدم ٢:٢٨١- ٢٨٢، ويضاف إليه، بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ١٢- ١٣؛ المقريزي: السلوك ١:٣٩١- ٣٩٣؛ العيني: عقد الجمان ١:٨٧- ٨٩.

[3] راجع أخبار السُّلْطان المنصور نُور الدِّين علي عند النويري: نهاية الأرب ٢٩:٤٥٩- ٤٦٨؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٨:٣٣- ٣٨؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ٢٤- ٢٥؛ المقريزي: السلوك ١:٤٠٥- ٤١٧؛ العيني: عقد الجمان ١:١٤٣- ٢١٩؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٧:٤١- ٧١.

وقامَ من بَعْدِه «السُّلْطانُ الملكُ المُظَفَّرُ سَيْفُ الدِّين قُطُز» في يومِ السبت، وأَخْرَجَ المَنْصور ابن المُعِزِّ مَنْفيًّا هو وأمُّه إلى بلاد الأشْكُري، وقَبَضَ على عِدَّةٍ من الأُمَرَاء [١].

وسارَ فأَوْقَعَ بجَمْع هُولاكُو على «عَيْنُ جالُوت» [٢]. وهَزَمَهُم في يوم الجُمُعَة خامس عشرين رَمَضان سنة ثمانٍ وخمسين، وقَتَلَ منهم وأَسَرَ كثيرًا بعدما مَلَكُوا بَغْداد، وقَتَلُوا الخَليفَةَ المُسْتَعْصِم بالله عبد الله، وأزالُوا دَوْلَة بني العَبَّاس، وخَرَّبُوا بَغْدادَ وديارَ بَكْرٍ وحَلَب، ونازَلوا دِمَشْق فمَلَكوها. فكانت هذه الوَقْعَةُ أَوَّلَ هَزيمَةٍ عُرِفَت للتَّتَر منذ قامُوا.

ودَخَلَ المُظَفَّرُ قُطُز إلى دِمَشق وعادَ منها يُريدُ مصر؛ فقتَلَه الأميرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري، قَريبًا من المَنْزِلَة الصَّالِحِيَّة، في يوم السبت نِصْف ذي القِعْدَة منها، فكانت مُدَّتُه سنةً تنقُص ثلاثة عشر يومًا.

وقامَ من بَعْدِه «السُّلْطانُ الملكُ الظَّاهِرُ رُكْنُ الدِّين أبو الفَتْح بَيْبَرْس البُنْدُقْداري الصَّالِحِي» التركي الجِنْس، أَحَدُ المماليك البَحْرِيَّة، وجَلَسَ على تَخْت السَّلْطَنَة بقَلْعَة الجَبَل في [a]يَوْم [a] سابع عشر ذي القِعْدَة سنة ثمانٍ وخمسين، فلم يَزَلْ حتى ماتَ بدِمَشْق في يوم الخَميس سابع عشرين المحرَّم سنة ستٍّ وسبعين وستّ مائة. فكانت مُدَّتُه سَبْع عشرة سنة وشهرين واثني عشر يومًا [٣].

---

a-a) ساقطة من بولاق: والبياض في آياصوفيا.

---

[١] راجع أخبار السُّلْطان الشَّهيد المُظَفَّر سَيْف الدِّين قُطُز عند، ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٦٣– ٦٨، ٩٣– ١٩٦؛ النويري: نهاية الأرب ٤٦٩:٢٩– ٤٨٦؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٣٩:٨– ٦٤؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ٤٦– ٥٥؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٥١:٢٤– ٢٥٣؛ المقريزي: السلوك ٤١٧:١– ٤٣٥؛ العيني: عقد الجمان ٢٢٠:١– ٢٦٠؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٧٢:٧– ٩٣، المنهل الصافي ٧٤:٩– ٧٧؛ Little D. P., EI [2] art. Kuṭuz V, pp. 575-76؛ ولقاسم عبده قاسم: السُّلْطان المُظَفَّر سَيْف الدِّين قُطُز بطل معركة عَيْن جالوت، دمشق- دار القلم ١٩٩٨.

[٢] انظر تفاصيل مُوْقِعَة عَيْن جالوت – وهي بُلَيْدَة بين بَيْسان ونابُلُس بفلسطين (ياقوت: معجم البلدان ١٧٧:٤) – في المصادر المذكورة في الهامش السابق، وأضف إليها عبد المنعم ماجد: «أضواءٌ جديدة على موقعة عين جالوت»، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، الموسم الثقافي ١٩٧٦– ١٩٧٧، القاهرة ١٩٧٨، ١٥١– ١٦٨؛ Lewis, B., EI [2] art. ʿAyn Djâlut I, pp. 810-11; Thorau, P., «The Battle of ʿAyn Jâlut: A Re-examination» in Edbury, P. W., (ed.), *Crusade and Settlement*, Cardiff 1985, pp. 236-41.

[٣] ستَرِد أخبارُ السُّلْطان الظَّاهر بَيْبَرْس، المُؤَسِّس الحقيقي لدَوْلَة المماليك البَحْرِيَّة، فيما يلي ٣٠٠:٢ عند ذكر جامِع الظَّاهر بَيْبَرْس.

وقامَ من بَعْدِه ابنُه «السُّلْطان الملكُ السَّعيد ناصِرُ الدِّين أبو المعالي محمد بَرَكَه قان» وهو يومئذٍ بقَلْعة الجَبَلِ يَنُوبُ عن أبيه، وقد عَهِدَ إليه بالسَّلْطَنَة، وزَوَّجَه بابنة الأمير سَيْف الدِّين قَلاوون الألْفي. فجَلَسَ على التَّخْت في يوم الخميس سادس عشرين صَفَرَ سنة ستٍّ وسبعين، إلى أن خَلَعَه الأُمَرَاءُ في سابع رَبيع الآخِر سنة ثمانٍ وسبعين. وكانت مُدَّتُه سنتين وشهرين وثمانية أيَّام لم يُحْسِن فيها تَدْبير مُلْكِه، وأَوْحَش ما بينه وبين الأُمَرَاء[1].

فأُقيم بَعْدَه أخُوه «السُّلْطانُ الملكُ العادِلُ بَدْرُ الدِّين سَلامِش بن الظَّاهِر بَيْبَرْس» وعمره سبع سنين وأشهر، وقامَ بتَدْبيره الأمير قَلاوون أتابَك العَساكِر، ثم خَلَعَه بعد مائة يوم، وبَعَثَ به إلى الكَرَك فسُجِنَ مع أخيه بَرَكَة بها[2].

وقامَ من بَعْدِه «السُّلْطانُ الملكُ المَنْصور سَيْفُ الدِّين أبو [a] قَلاوون الألْفي العَلائي الصَّالِحي» أَحَدُ المماليك الأتْراك البَحْرِيَّة. كان قَبْجاقِيَّ الجِنْس من قَبيلَة بُرْج أُغْلي، فجُلِبَ صَغيرًا واشْتَراه الأميرُ عَلاءُ الدِّين آقْ سُنْقُر السَّاقي العادِلي بألف دينار، وصارَ بعد مَوْته إلى الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب في سنة سبع وأربعين وستّ مائة، فجَعَلَه من جملة البَحْرِيَّة. فتنقَّلَت به الأحْوالُ حتى صارَ أتابَكَ العَساكِر في الأيَّام العادِلِيَّة سَلامِش، وذُكِرَ اسْمُه مع العادِل على المَنابِر. ثم جَلَسَ على التَّخْت بقَلْعَة الجَبَلِ في يوم الأحد العشرين من شهر رَجَب سنة ثمانٍ وسبعين، وتلقَّب بـ«الملك المَنْصُور»، وأَبْطَلَ عِدَّةَ مُكُوسٍ[3]. فثارَ عليه الأميرُ شَمْسُ الدِّين سُنْقُر الأشْقَر بدِمَشْق،

[a] أبو، ساقطة من بولاق والبياض في آياصوفيا.

[1] انظر أخبار السُّلطان السعيد بَرَكة خان عند، النويري: نهاية الأرب ٣٦٩:٣٠- ٤٠٠؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٢١٩:٨- ٢٢٧؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ٨٩- ٩٢، ١٦٢- ١٧٢؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٩٢:٧- ١٤٧؛ المقريزي: السلوك ٦٤١:١- ٦٥٦؛ العيني: عقد الجمان ١٨٥:٢- ٢٢٢؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٢٥٩:٧- ٢٨٥.

[2] انظر أخبار السُّلطان العادل سَلامِش عند، النويري: نهاية الأرب ٣٩٨:٣٠- ٤٠٠؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٢٢٧:٨- ٢٣١؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ١٧٣- ١٧٤؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ١٤٨:٧- ١٥١؛ المقريزي: السلوك ٦٥٦:١- ٦٥٨؛ العيني: عقد الجمان ٢٢٣:٢- ٢٢٤؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٢٨٦:٧- ٢٩١، المنهل الصافي ١٣:٦- ١٤.

[3] السُّلْطانُ الملكُ المَنْصور سَيْفُ الدِّين قَلاوون الألْفي (٦٧٨-٦٨٩هـ/ ١٢٧٩-١٢٩٠م)، المؤسِّس الثَّاني لدَوْلَة المماليك البَحْرِيَّة وهو السُّلْطان الوحيد بين سلاطين المماليك الذي أسَّسَ أُسْرَةً حاكمة، حيث تولَّى وَلداه الأشْرف خَليل والنَّاصِر محمد السَّلْطَنَة ثم اثني عشر من أولاد النَّاصِر محمد حتى تمكَّن الأمير بَرْقُوق بن آنَص من خَلْع آخرهم السُّلْطان الملك الصَّالح حاجي سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٣م، وأنشأ دَوْلَة =

وتَسَلْطَن ولَقَّبَ نفسه بالملك الكامِل في يوم الجمعة رابع عشرين ذي الحِجَّة ؛ فبَعَثَ إليه وهَزَمَه ، واسْتَعَادَ دِمَشْق .

ثم قَدِمَت التَّتَرُ إلى بِلاد حَلَب وعاثُوا بها ، فَتَوَجَّه إليهم السُّلطانُ بعَساكِره ، وأوْقَعَ بهم على حِمْص في يوم الخميس رابع عشرين رَجَبَ سنة ثمانين وستّ مائة ، وهَزَمَهُم بعد مَقْتَلَةٍ عَظيمَةٍ ، وعادَ إلى قَلْعَة الجبَلِ .

وتَوَجَّه في سنة أربعٍ وثمانين حتى نازَل حِصْنِ المَرْقَبِ ثمانية وثلاثين يومًا ، وأَخَذَه عَنْوَةً من الفِرِنْج ، وعادَ إلى القَلْعَة . ثم بَعَثَ العَسْكَرَ فغَزا بلاد النُّوبَة في سنة سبعٍ وثمانين وعادَ بغَنائِمَ كثيرة .

ثم سارَ في سنة ثمانٍ وثمانين لغَزْو الفِرِنْجِ بطَرابُلُس [1] ، فنازَلَها أربعةً وثلاثين يومًا حتى فَتَحَها عَنْوَةً في رابِع رَبِيع الآخر ، وهَدَمَها جَميعَها ، وأنشأ قَريبًا منها مَدينَة طَرابُلُس الموجودة الآن ، وعادَ إلى قَلْعَة الجبَل . وبَعَثَ لغَزْو النُّوبَة ثانِيًا عَسْكرًا ، فقَتَلُوا وأَسَروا وعادُوا .

= المماليك الشَّراكِسَة (البُرْجِيَّة) . (راجع ، ابن عبد الظَّاهر : تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، القاهرة ١٩٦١ ؛ شافع بن علي : الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ـ المكتبة العصرية ١٩٩٧؛ النويري : نهاية الأرب ٣١:٧- ١٧٦؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٨: ٢٣١- ٣٠٣؛ بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ١٧٤- ٢٧٢؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٤: ٢٦٦- ٢٧١؛ اليوسفي : نزهة الناظر في دولتي المنصور والنَّاصر (وهو كتاب اعتمد عليه كثيرًا العيني : عقد الجمان ٣ : ٢٩ ، ووصل إلينا منه قِسمٌ عنوانه «نزهة النَّاظر في سيرة الملك النَّاصر (انظر المقدمة) ، ابن حبيب : تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ١: ٤٨- ١٣٥؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٧: ١٥٢- ٢٨٠، ٨: ١- ٩٨؛ المقريزي : السلوك ١: ٦٦٣- ٧٥٧؛ العيني : عقد الجمان ٢: ٢٢٥- ٣٩١، ٣: ٩- ٢٢؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٧: ٢٩٢- ٣٤٣، المنهل الصافي ٩: ٩١-٩٧ .

وراجع كذلك الدراسات التالية ، محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر ، القاهرة – دار الفكر العربي ١٩٤٧؛ محمد حمزة الحداد : السلطان المنصور قلاوون (تاريخ ـ أحوال مصر في عهده ـ منشآته المعمارية) ، القاهرة ـ مكتبة مدبولي ١٩٩٣، ١٩٩٨؛ Rabie, H., *EI*[2] art. *Kalâwûn* IV, pp. 505-7; Northrup, L.S., *From Slave to Sultan. The Career of al-Mansûr Qalâwûn and the Consolidation of Mamluk Rule in Egypt and Syria (676-689 A.H./ 1279-1290 A.D.)*, Stuttgart 1998.

[1] حول مَدينَة طرابُلُس ـ الواقعة الآن في شمال لبنان الحالية ـ وتاريخها والإنشاءات التي أقامها بها السُّلْطانُ المنصور قلاوون ، راجع السيد عبد العزيز سالم : «طَرابُلُس الشَّام ، تاريخها وآثارها في العصر الإسلامي» ، مجلة كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية ١٦ (١٩٦٢) ، ـ ؛ نفسه : طَرابُلُس الشَّام في التاريخ الإسلامي ، الإسكندرية ١٩٦٧؛ عمر عبد السلام تدمري : تاريخ طرابُلُس السياسي والحضاري عبر العصور ، ١- ٢، بيروت ١٩٧٤، ١٩٨١؛ نفسه : تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابُلُس في عصر المماليك ،=

ثم خَرَجَ لغَزْو الفِرنْج بعَكَّا وهو مَريض، فماتَ خارج القاهِرَة ليلة السبت سادِس ذي القِعْدَة سنة تسع وثمانين وست مائة. فكانت مُدَّتُه إحدى عشرة سنة وشهرين وأربعة وعشرين يومًا.

وقامَ من بَعْدِه ابنهُ «السُّلْطانُ الملكُ الأَشْرَفُ صَلاحُ الدِّين خَليل» في يوم الأحد سابع ذي القِعْدَة المذكور[1]، وسارَ لفَتْح عَكَّا في ثالِث ربيع الأَوَّل سنة تسعين وستّ مائة، ونَصَبَ عليها اثنين وتسعين مَنْجَنيقًا، وقاتَلَ مَنْ بها من الفِرنْج أربعةً وأربعين يومًا حتى فَتَحَها عَنْوةً في يوم الجمعة سابع عشر جُمادَى الأولى، وهَدَمَها/ كلَّها بمَا فيها وحَرَّقَها، وأَخَذَ صُور وحِيفًا وعَثْليث وأَنْطَرسوس وصَيْدا وهَدَمَها، وأجْلَى الفِرنْجَ من السَّاحِل، فلم يَبْقَ منهم أَحَدٌ ولله الحَمْد. ٢٣٩:٢

١٠ وتَوَجَّه إلى دِمَشْق، وعادَ إلى مِصْر، فدَخَلَ قَلْعَةَ الجَبَل يوم الاثنين تاسع شَعْبان، ثم خَرَجَ في ثامن رَبيع الآخر سنة إحدى وتسعين وستّ مائة، بعدما نادَى بالنَّفير للجِهَاد، فدَخَلَ دِمَشْق وعَرَضَ العَساكِرَ، ومَضَى منها فمَرَّ على حَلَب، ونازَلَ قَلْعَةَ الرُّوم، ونَصَبَ عليها عشرين مَنْجنيقًا حتى فَتَحَها بعد ثلاثةٍ وثلاثين يومًا عَنْوةً، وقَتَلَ من بها من النَّصارىٰ الأَرْمَن، وسَبَى نِساءَهم وأوْلادَهم، وسَمَّاها «قَلْعَة المُسْلمين»، فعُرِفَت بذلك.

١٥ وعادَ إلى مصر فدَخَلَ قَلْعَةَ الجَبَل في يوم الأربعاء ثاني ذي القِعْدَة، وسارَ في رابع المحرَّم سنة اثنتين وتسعين حتى بَلَغَ مَدينَة قُوص من صَعيد مصر، ونادَى فيها بالتَّجَهُّز لغَزْو اليَمَن وعاد.

= بيروت ١٩٧٤؛ نفسه: الحياة الثقافية في طرابُلُس الشام خلال العصور الوسطى، بيروت ١٩٧٣؛ Irwin, R., «The Mamluk Conquest of the Country of Tripoli», in P.W. Edbury (ed.), *Crusadc and Seltlement*, Cardiff 1985.

[1] أهَمّ مَصْدَرٍ لفترة سَلْطَنَة الأَشْرَف خَليل كِتابُ «الأَلْطاف الخَفِيَّة من السِّيرَة الشَّريفة السُّلْطانية الأَشْرَفِيَّة» لمحيي الدِّين بن عبد الظاهر، ولم يصل إلينا من هذا الكتاب إلَّا قسمٌ يتناول الحوادث من سنة ٦٩٠ إلى ٢٧ محرم سنة ٦٩١هـ، نَشَرَه موبرج بعنوان Moberg, M., *Ur ʿAbd Allâh B. ʿAbd ez-Zâhiris biografi over Sultanen el-Melik el-Ashraf Ḫalîl*, Lundberg 1902؛ وراجع كذلك، مجهول: تاريخ سلاطين المماليك ٨-٢٥؛ النويري: نهاية الأرب ٣١:١٧٧-٢٦٣؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٨:٣٠٣-٣٥٢؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ٢٧٢-٢٩٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٣:٣٩٩-٤١٠؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ١:١٣٦-١٦٨؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٨:٩٨-١٦٩؛ المقريزي: السلوك ١:٧٥٦-٧٩٣؛ العيني: عقد الجمان ٣:٢٣-٢١٢ (وهو ينقل عن نزهة الناظر وزبدة الفكرة)؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٨:٣-٤٠، المنهل الصافي ٥:٢٧٠-٢٨٠؛ Haarmann, U., *EI*[2] art. *Khalîl* IV, pp. 996-98.

ثم سارَ مُخِفًّا على الهُجْن في البَرِّيَّة إلى الكَرَكِ ، ومَضَى إلى دِمَشْق ، فقَدِمَها في تاسِع جُمادَى الآخرة ، وقَصَدَ غَزْو بَهَسْنا[a] وأَخَذَها من الأَرْمَن ، فقَدِموا إليه وسَلَّموها من تِلْقاء أنفسهم ، وسَلَّموا أيضًا مَرْعَش وتَلّ حَمْدون .

ومَضَى من دِمَشْق في ثاني رَجَب ، وعَبَرَ من حِمْص إلى سَلَمِيَّة ، وهَجَمَ على الأمير مُهَنّا بن عيسىٰ وقَبَضَه وإخْوَتَه ، وحَمَلَهم في الحَديد إلى قَلْعَة الجَبَل ، ورَجَعَ إلى دِمَشْق .

وعادَ[b] إلى مصر ، فَقَدِمَ قَلْعَة الجَبَل في ثامن عشرين رَجَب ، ثم تَوَجَّه للصَّيْد فبَلَغَ الطَّرَّانَة [1] ، وانْفَرَدَ في نَفَرٍ يَسير لِيَصْطاد . فاقْتَحَمَ عليه الأمير بَيْدَرا في عِدَّةٍ معه [2] وقَتَلُوه في يوم السبت ثاني عشر المحرَّم سنة ثلاثٍ وتسعين وستّ مائة . فكانت مُدَّتُه ثلاث سنين وشهرين وأربعة أيَّام . ثم حُمِلَ ودُفِن بمَدْرَسَتِه الأَشْرَفِيَّة [3] .

---

a) بولاق : بهنسا . b) بولاق : وعاد إلى دمشق ثم رجع .

---

[1] الطَّرَّانَة . قريةٌ صغيرةٌ تقع على الشاطئ الغربي لفرع النيل الغربي (فَرْع رَشيد) ضمن قرى مركز كوم حمادَة بمحافظة الغربية جنوبي كفر الدَّوّار بثلاثة كيلومترات . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ٢/ ٢: ٣٣١) .

[2] الأمير بَدْرُ الدِّين بَيْدَرا المَنْصوري ، نائِب السَّلْطَنَة بالدِّيار المصرية في الدَّوْلة الأَشْرَفِيَّة خليل بن قَلاوون . كان أصلُه من مماليك المنصور قَلاوون وأعَزّ أمَرائه ، ثم تولَّى نيابَة السَّلْطَنَة في عَهْد ولده الأَشْرَف خليل . وكان السُّلْطانُ الأَشْرَفُ خليل قد غَضِبَ عليه لأمورٍ بَدَرَت من نُوّابِه الذين استولوا على المتاجِر بالإسكندرية ، واستدعاه إلى القَلْعَة وتَهَدَّدَه . فتآمَرَ بَيْدَرا مع حُسَام الدِّين لاجين المنصوري على قَتْل السُّلْطان . ولمَّا تَمَّ لهم ذلك سَلْطَنَه أصحابُه ولَقَّبوه بـ«الملك الرحيم» وقيل بـ«الملك القاهِر» وقيل أيضًا بـ«الملك الأَمْجَد» ، ولكن المماليك الأَشْرَفية لم يمهلوه وقتلوه في اليوم التالي ودخلوا برأسه على رُمْحٍ إلى القاهرة في ١٣ محرم سنة ٦٩٣هـ . (انظر مصادر ترجمة الأشرف خليل وأضف إليها ، مجهول : تاريخ سلاطين المماليك ٢٩- ٣٢؛ النويري : نهاية الأرب ٣١: ٢٦٣- ٢٧٣، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٨: ١٨٨؛ العيني : عقد الجمان ٣: ٢١٣- ٢٢١؛ أبا المحاسن : المنهل الصافي ٣: ٤٩٣-٤٩٥) .

[3] تقع المدرسة الأَشْرَفية والتُّرْبَة الملحقة بها بالقرب من المشهد النَّفيسي ، وهي من إنشاء السُّلْطان الأَشْرَف خليل الذي رَتَّب بها دُروسًا للفُقَهاء ومُقْرِئين وخَدَمًا للتُّرْبَة . (ابن دقماق : الانتصار ٤: ١٢٤) .

وما زالت القُبَّةُ المشتملة على قَبْر المنشئ قائمةً بشارع الأَشْرَف إلى الشَّمال من المَشْهَد النَّفيسي وتعرف باسم «قُبَّة الأَشْرَف» أو «تُرْبَة الأَشْرَف» ومسجلة بالآثار برقم ٢٧٥، وعليها كِتابةٌ تاريخيةٌ تُفيدُ بأنَّ الأَشْرَف خليل أمَرَ بإنشائها في شهور سنة سبع وثمانين وستّ مائة ، وهو ما زال وليّ عَهْد أبيه ، ثم أتَمَّ عمارتها وزخرفتها بعد أن تَسَلْطَن وسَجَّلَ بأعلى حوائطها الخارجية جميعَ ألقابِه الملكية . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٨: ٢٠هـ [1] ؛ Wiet, G., *RCEA* XIII, pp. 65-66, n°4895) .

وأُقيمَ من بَعْدِه أخوه «السُّلْطانُ المَلَكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون» وعُمْره سَبْع سنين، وقامَ الأميرُ زَيْنُ الدِّين كَتْبُغا بتَدْبيره، ثم خَلَعَه بعد سنة تَنْقُص ثلاثة أيَّام[١].

وقامَ من بعده «السُّلْطانُ الملكُ العادِلُ زَيْنُ الدِّين كَتْبُغا المَنْصُوري» أَحَدُ مَماليك الملك المَنْصور قَلاوون، وجَلَسَ على التَّخْت بقَلْعة الجَبَل في يوم الأربعاء حادي عشر المحرَّم سنة أربع وتسعين، وتلقَّب بـ«الملك العادِل»[٢]. فكانت أيَّامُه شَرَّ أيَّام لما فيها من قُصُورِ مَدّ النِّيل وغَلاء الأسْعَار، وكَثْرَة الوَباء في النَّاس، وقُدُوم الأُويْرَاتية. فقامَ عليه نائِبُه الأميرُ حُسَامُ الدِّين لاجين، وهو عائِدٌ من دِمَشْق بمَنْزِلَة العَوْجاء، في يوم الاثنين ثامن عشرين المحرَّم سنة ستّ وتسعين ففَرَّ إلى دِمَشْق، واسْتَوْلَى لاجين على الأَمْر، فكانَت مُدَّتُه سنتين وسبعة عشر يومًا. وقَدِمَ لاجين بالعَسْكَر إلى مصر.

١٠ وقامَ في السَّلْطَنَة «السُّلْطَانُ الملكُ المَنْصورُ حُسامُ الدِّين لاجِين المَنْصُوري»، أَحَدُ مماليك المَنْصور قَلاوون، وجَلَسَ على التَّخْت بقَلْعَة الجَبَل، وتلقَّب بـ«الملك المَنْصور» في يوم الاثنين ثامن عشرين المحرَّم المذكور[٣]، واسْتَناب مَمْلوكه مَنْكوتَمُر. فَنَفَرَت القُلوبُ عنه، حتى قُتِلَ في ليلة الجمعة حادي عشر رَبيع الآخر سنة ثمانٍ وتسعين وستّ مائة. فكانت مُدَّتُه سنتين وشهرين وثلاثة عشر يومًا.

---

[١] انظر فيما يلي ٢:٣٠٤-٣٠٦.

[٢] راجع حول سَلْطَنَة العادِل زَيْن الدِّين كَتْبُغا، مجهول: تاريخ سلاطين المماليك ٣٣-٤١؛ النويري: نهاية الأرب ٣١:٢٨٢-٣١٣؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٨:٣٥٧-٣٦٦؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ٣٠٥-٣١٢؛ الصفدي: أعيان العصر ٤:١٤٤-١٤٦، الوافي بالوفيات ٢٤:٣١٨-٣١٩؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ١:١٧٥-١٩٣؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٨:١٩٢-٢٢١؛ المقريزي: السلوك ١:٨٠٦-٨٢٠؛ العيني: عقد الجمان ٣:٢٦٧-٣٤٣؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٨:٥٥-٨٤، المنهل الصافي ٩:١١٥-١١٨.

[٣] راجع حول سَلْطَنَة المنصور لاجين، مجهول: تاريخ سلاطين المماليك ٤١-٥٣؛ النويري: نهاية الأرب ٣١:٣١٣-٣٦٣؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٨:٣٦٦-٣٨٣؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ٣١٣-٣٢٥؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٤:٢٨٥-٣٨٩؛ أعيان العصر ٤:١٦٥-١٧٦؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ١:١٩٤-٢١٢؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٨:٢٢٢-٢٣٣؛ المقريزي: السلوك ١:٨٢٠-٨٧٢؛ العيني: عقد الجمان ٣:٣٤٥-٤٣٦؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٨:٨٥-١١٤، المنهل الصافي ٩:١٦٦-١٧٣؛ وانظر كذلك Holt, P. M., «The Sultanate of Mansur Lachin (696-8 / 1296-9)», *BSOAS* XXXVI (1973), pp. 521-32; Elham, Shah Morad, *Kitbuga und Lâgin : Studen sur Mamluken - Geschichte mach Baibars al-Mansûri und al-Nuwairi,* «Islamkundliche Untersuchungen», Band 46, Freiburg - Klaus Schwarz 1977.

وَدَبَّرَ الأُمَرَاءُ بعده أُمُورَ الدَّوْلَة ، حتى قَدِمَ من الكَرَك «السُّلْطَانُ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون» ، وأُعِيدَ إلى السَّلْطَنَة مَرَّةً ثانيةً في يوم الاثنين سادس جُمادَى الأولى ، وقامَ بتَدْبير الأمُور الأميران سَلار نائِب السَّلْطَنَة ، وبَيْبَرْس الجاشَنْكير أُسْتادَّار حتى سارَ كأنَّه يُريدُ الحَجّ ، فمَضَى إلى الكَرَك ، وانْخَلَعَ من السَّلْطَنَة . فكانت مُدَّتُه تِسع سنين وستة أشهر وثلاثة عشر يومًا .

فقامَ من بَعْدِه «السُّلْطانُ الملكُ المُظَفَّرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس الجاشَنْكير» أحَدُ مَماليك المَنْصُور قَلاوون ، في يوم السبت ثالِث عشرين ذي الحِجَّة سنة ثمانٍ وسبع مائة ، حتى فَرَّ من قَلْعَةِ الجَبَل في يوم الثلاثاء سادِس عَشَرَ رَمَضَان سنة تسعٍ وسبع مائة ، فكانَت مُدَّتُه عشرة أشهر وأربعة وعشرين يومًا [1] .

ثم قَدِمَ من الشَّام في العَساكِر «السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون» ، وأُعيدَ إلى السَّلْطَنَة مَرَّةً ثالِثَةً في يوم الخميس ثاني شَوَّال منها ، فاسْتَبَدَّ بالأمْر حتى ماتَ في ليلة الخَميس حادي عشرين ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبع مائة . وكانت مُدَّتُه الثَّالِثَة اثنتين وثلاثين سنة وشهرين وخمسة وعشرين يومًا ، ودُفِنَ بالقُبَّة المَنْصورية على أبيه [2] .

وأُقيم بَعْدَه ابنُه «السُّلْطان الملك المَنْصور سَيْف الدِّين أبو بَكْر» بعَهْدِ أبيه ، في يوم الخميس حادي عشرين ذي الحِجَّة ، وقامَ الأميرُ قَوْصون بتَدْبير الدَّوْلَة ، ثم خَلَعَه بعد تسعة وخمسين يومًا في يوم الأحد لعشرين من صَفَرَ سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة [3] .

وأقامَ بَعْدَه أخاه «السُّلْطانُ الملكُ الأَشْرَفُ عَلاءُ الدِّين كُجُك بن النَّاصِرِ محمد بن قَلاوون» ولم يَكْمُل له من العمر ثمان سنين . فتَنَكَّرَت قُلوبُ الأُمَرَاء على قَوْصون ، وحارَبوه وقَبَضُوا عليه كما ذُكِرَ في ترجمته ، وخَلَعوا الأَشْرَف في يوم الخميس أَوَّل شَعْبان . فكانت مُدَّتُه خمسة أشهر وعشرة أيَّام [4] .

---

[1] ستَرِد ترجمةٌ مُفَصَّلَةٌ للسُّلْطان المُظَفَّر ركن الدِّين بَيْبَرْس ، السُّلْطان الشَّرْكَسي الوحيد في دَوْلَة المماليك البَحْرية (الأتراك) فيما يلي ٢: ٤١٧- ٤١٨.

[2] ستَرِد ترجمةٌ مُفَصَّلَةٌ للسُّلْطان النَّاصِر محمد بن قَلاوون فيما يلي ٢: ٣٠٤- ٣٠٦.

[3] راجع ، ابن حبيب : تذكرة النبيه ٣: ١٧، ٢٤- ٢٥؛ المقريزي : السلوك ٢: ٥٥١- ٥٧٠؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ٣- ٢٠.

[4] راجع ، ابن حبيب : تذكرة النبيه ٣: ٢٦؛ الصفدي : أعيان العصر ٤: ١٤٨- ١٤٩؛ الوافي بالوفيات ٢٤: ٣٣٠- ٣٣١؛ المقريزي : السلوك ٢: ٥٧١- ٥٩٣؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٣: ٣٥١- ٣٥٢؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ٢١- ٤٩؛ المنهل الصافي ٩: ١٢٠-١٢٢ ، وفيما يلي ٢: ٣٠٧.

وقامَ الأميرُ أَيْدَغْمُش بأَمْر الدَّوْلَة ، وبَعَثَ يَسْتَدْعي من بِلاد الكَرَك «السُّلْطانَ الملكَ النَّاصِر شِهاب الدِّين أَحْمَدَ بن النَّاصِر محمـد بن قَلاوون» ـ وكان مُقيمًا بقَلْعَة الكَرَك من أيَّام أبيه ـ فقَدِمَ على البَرِّيَّة(a) في عشرة من أهْل الكَرَك ليلة الخميس ثامن عشرين شهر رَمَضان ، وعَبَرَ الدُّور من قَلْعَة/ الجَبَل بمن قَدِمَ معه ، واحْتَجَبَ عن الأُمَرَاء ، ولم يَخْرُج لصَلاة العيد ، ولا حَضَر ٢٤٠:٢ السِّماط على العادَة إلى أن لَبِسَ شِعَار السَّلْطَنَة وجَلَسَ على التَّخْت في يوم الاثنين عاشر شَوَّال ، ٥ وقُلوبُ الأُمَرَاء نافِرَة منه لإعْراضِه عنهم ، فساءَت سيرتُه .

ثم خَرَجَ إلى الكَرَك في يوم الأربعاء ثاني ذي القِعْدَة ، واسْتَخْلَف الأمير آقْ سُنْقُر السَّلاري نائِب الغَيْبَة [1] . فلمَّا وَصَلَ قُبَّة النَّصْر نَزَلَ عن فَرَسِه ، ولَبِسَ ثِيابَ العَرَبِ ، ومَضَى مع خَواصِّه أهل الكَرَك على البَرِّيَّة(a) ، وتَرَكَ الأَطْلابَ فسارَت على البَرّ حتى وافَتْه بالكَرَك ، فرَدَّ العَسْكَر إلى بَلَد الخَليل ، وأقامَ بقَلْعَة الكَرَك وتَصَرَّف أَقْبَحَ تَصَرُّف . فخَلَعَه الأُمَرَاءُ في يوم الأربعاء حادي عشرين ١٠ المحرَّم سنة ثَلاثٍ وأربعين . فكانت مُدَّتُه ثلاثة أشهر وثلاثة عشر يومًا [2] .

وأقامُوا بَعْدَه أخاه «السُّلْطانَ الملكَ الصَّالِحَ عِمادَ الدِّين إسماعيل» في يوم الخميس ثاني عشرين المحرَّم المذكور ، وقامَ الأميرُ أَرْغونُ زَوْج أمِّه بتَدْبير المملكة مع مُشارَكَة عِدَّةٍ من الأُمَرَاء ، وسارَت الأُمَرَاءُ والعَساكِرُ لقِتالِ النَّاصِر أحمد في الكَرَك حتى أُخِذَ وقُتِلَ . فلمَّا أُحْضِرَت رأسُه إلى السُّلْطان الصَّالِح ورآها فَزِعَ ولم يَزَلْ يَعْتاده المَرَضُ حتى ماتَ ليلة الخميس رابع ١٥ عشر رَبيع الآخر سنة ستٍّ وأربعين وسبع مائة . فكانت مُدَّتُه ثلاث سنين وشهرين وأحد عشر يومًا [3] .

---

a) بولاق : البريد .

---

[1] انظر عن نائِب الغَيْبَة ، فيما تقدم ٦٩٨.

[2] راجع ، ابن حبيب : تذكرة النبيه ٣:٢٧- ٣٩؛ الصفدي : أعيان العصر ١:٣٧٠- ٣٧٥، الوافي بالوفيات ٨:٨٦- ١٩٠؛ المقريزي : السلوك ٢:٥٩٣- ٦١٩، المقفى الكبير ١:٦٢٧-٦٣٦ (ترجمة هامة)؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ١: ٣١٤؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠:٥٠- ٧٧، المنهل الصافي ٢:١٥٨- ١٦٤.

[3] راجع ، ابن حبيب : تذكرة النبيه ٣:٤٠- ٧٩؛ الصفدي : أعيان العصر ١:٥٢٤- ٥٢٥، الوافي بالوفيات ٩:٢١٩- ٢٢٠؛ المقريزي : السلوك ٢:٦١٩- ٦٨٠، المقفى الكبير ٢:٦٦- ٦٩؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ١:٤٠٦؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠:٧٨- ١١٥، المنهل الصافي ٢:٤٢٥- ٤٢٧.

وقامَ بعده أخوهُ «السُّلْطانُ الملكُ الكامِلُ سَيْفُ الدِّين شَعْبان» بعَهْدِ أخيه، وجَلَسَ على التَّخْت من غَد. فأوْحَشَ ما بينه وبين الأُمَرَاء حتى رَكِبُوا عليه، فرَكِبَ لقِتالِهم فلم يَثْبُت مَنْ معه، وعادَ إلى القَلْعَة مُنْهَزِمًا، فتَبِعه الأُمَرَاءُ وخَلَعُوه، وذلك في يوم الاثنين مستهلّ جُمادَى الآخرة سنة سبعٍ وأربعين وسبع مائة. فكانت مُدَّتُه سنة وثمانية وخمسين يومًا [1].

فأُقيمَ بعده أخُوهُ «السُّلْطانُ الملكُ المُظَفَّرُ زَيْنُ الدِّين حَاجي» من يومه فساءَت سيرتُه، وانْهَمَكَ في اللَّعِب. فرَكِبَ الأُمَرَاءُ عليه، فرَكِبَ إليهم وحارَبَهم، فخانَه مَنْ معه وتَرَكوه حتى أُخِذَ وذُبِحَ في يوم الأحد ثاني عشر رَمَضَان سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مائة. وكانت مُدَّتُه سنة وثلاثة أشهر واثني عشر يومًا [2].

وأُقيمَ من بَعْدِه أخُوهُ «السُّـلْطانُ المَلِكُ النَّاصِرُ بَدْرُ الدِّين أبو المعالي حَسَن بن محمد» في يوم الثلاثاء رابع عشره، وعمره إحدى عشرة سنة، فلم يكُن له من الأَمْر شَيءٌ، والقائِمُ بالأَمْر الأمير شَيْخُو العُمَري. فلمَّا أخَذَ في الاسْتِبْداد بالتَّصَرُّف خُلِعَ وسُجِنَ في يوم الاثنين ثامن عشرين جُمادَى الآخرة سنة اثنتين وخمسين. فكانت مُدَّتُه أرْبَع سنين تَنْقُص خمسة عشر يومًا، منها تحت الحَجْر ثلاث سنين ونيف، ومُدَّةُ اسْتِبْداده نحو من تسعة أشهر [3].

وأُقيمَ من بَعْدِه أخُوهُ «السُّلْطانُ الملكُ الصَّالِحُ صَلاحُ الدِّين صَالِح» في يوم الاثنين المذكور، فكَثُر لَهْوُه وخَرَجَ عن الحدّ في التَّبَذُّل واللَّعب. فثارَ عليه الأميران شَيْخُو وطَاز وقَبَضَا عليه وسَجَنَاه بالقَلْعَة في يوم الاثنين ثاني شَوَّال سنة خمسٍ وخمسين وسبع مائة. فكانت مُدَّتُه ثلاثَ سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيَّام [4].

---

[1] راجع، ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣:٨٠- ٩٠؛ الصفدي: أعيان العصر ٢:٥٢١- ٥٢٤، الوافي بالوفيات ١٦:١٥٣- ١٥٥؛ المقريزي: السلوك ٢:٦٨٠- ٧١٣؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٢٨٩؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠:١١٦- ١٤٧، المنهل الصافي ٦:٢٥٠- ٢٥٣.

[2] راجع، ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣:٩١- ١٠١؛ الصفدي: أعيان العصر ٢:١٧٦- ١٨٠، الوافي بالوفيات ١١:٢٣٧- ٢٤٠؛ المقريزي: السلوك ٢:٧١٣- ٧٤٤، المقفى الكبير ٣:١٢١- ١٢٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢:٨٣- ٨٥؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠:١٤٨- ١٨٦، المنهل الصافي ٥:٥٠- ٥٥.

[3] انظر ترجمةً مفصَّلَةً للسُّلْطان النَّاصِر حسن، فيما يلي ٢:٣١٧ عند ذكر جامع ومدرسة السُّلْطان حسن.

[4] راجع، ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣:١٤٨- ١٧٥؛ المقريزي: السلوك ٢:٨٤٣- ٩٣٠؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢:٣٠٢- ٣٠٣؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠:٢٥٤- ٣٠١، المنهل الصافي ٦:٣٣٠- ٣٣٣.

وأُعيدَ «السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ حَسَن بن مُحَمَّد بن قَلاوون» في يوم الاثنين المذكور، فأقام حتَّى قامَ عليه مَملوكُه الأمير يَلْبُغا الخاصَّكي وقَتَلَه في ليلة الأربعاء تاسِع جُمادى الأولى سنة اثنتين وستين. فكانت مُدَّتُه هذه ستَّ سنين وسبعة أشهر وسبعة أيَّام [١].

وأُقيمَ من بَعْده ابن أخيه «السُّلْطانُ المَلِكُ المَنْصور صَلاحُ الدِّين محمد بن المُظَفَّر حاجي ابن محمد بن قَلاوون» وعمره أربع عشرة سنة في يوم الأربعاء المذكور. وقام بالأَمْر الأمير يَلْبُغا، ثم خَلَعَه وسَجَنَه بالقَلْعَة في يوم الاثنين رابع عشر شَعْبان سنة أربعٍ وستين وسبع مائة [٢].

وأَقامَ بَعْدَه «السُّلْطانَ المَلكَ الأَشْرَفَ زَيْن الدِّين أبا المعالي شَعْبان بن حُسَيْن بن النَّاصِر محمد بن المَنْصُور قَلاوون» وعمره عشر سنين، في يوم الثلاثاء خامِس عشر شَعْبان المذكور، ولم يَلِ من بني قَلاوون مَنْ أبوه لم يَتَسَلْطَن سِواه. فأَقامَ تَحْت حَجْر يَلْبُغا حتَّى قُتِلَ يَلْبُغا [٣] في ليلة الأربعاء عاشِر رَبيع الآخر سنة ثمانٍ وستين وسبع مائة. فأَخَذَ يستبدُّ بمُلْكه حتى انْفَرَدَ بتَدْبيره إلى أن قُتِلَ في يوم الثلاثاء سادس ذي القِعْدَة سنة ثمانٍ وسبعين وسبع مائة، بعدما أُقيمَ بَدَلَه ابنُه في السَّلْطَنَة. فكانت مُدَّتُه أربع عشرة سنة وشهرين وخمسة عشر يومًا [٤].

وصَارَ بَعْدَه[a] ابنُه «السُّلْطانُ الملكُ المَنْصورُ عَلاءُ الدِّين عليّ بن شَعْبان بن حُسَيْن» وعمره سبع سنين في يوم السبت ثالِث ذي القِعْدَة المذكور، وأبوه حَيّ. فلم يكن حَظُّه من السَّلْطَنَة سوى الاسْم، حتى ماتَ في يوم الأَحَد ثالِث عشرين صَفَر سنة ثلاثٍ وثمانين وسبع مائة. فكانت مُدَّتُه خَمْس سنين وثلاثة أشهر وعشرين يومًا [٥].

---

a) بولاق: فقام بالأمر.

---

[١] انظر فيما يلي ٢:٣١٧.

[٢] راجع، ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣:٢٤٠- ٢٥٨؛ المقريزي: السلوك ٣:٦٤- ٨٢، درر العقود الفريدة ١: - ؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١١:٣- ٢٣، الدليل الشافي ٢: ٦١١؛ السخاوي: الضوء اللامع ٧: ٢١٦.

[٣] الأميرُ سَيْفُ الدِّين يَلْبُغا العمري الحسني النَّاصِري الخاصَّكي الأَتابكي، المتوفى سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٧م. (ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ٣٠٠؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١:٣٦- ٤٠؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٥:٢١٣).

[٤] راجع، ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣:٢٥٩-٣٣٧ (حتى حوادث سنة ٧٧٠هـ)؛ المقريزي: السلوك ٣:٨٣- ٢٨٣؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٢٨٨؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١١:٢٤- ١٤٧، المنهل الصافي ٦:٢٣٣- ٢٤٨؛ Holt P. T., *EI*[2] art. *Sha'bân* IX, p. 160.

[٥] راجع، المقريزي: السلوك ٣:٢٨٤- ٤١٢؛ ابن حجر: إنباء الغمر ١: ٢٣٢؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١١:١٤٨- ٢٠٥، المنهل الصافي ٨:٨٢- ٨٤.

فأُقيمَ بَعْدَه أخوه «السُّلْطانُ الملكُ الصَّالِحُ زَيْنَ الدِّين حاجِي» في يوم الاثنين رابع عشرين صَفَرَ المذكور. فقامَ بأمْر المُلْك وتَدْبير الأمُور الأميرُ الكبيرُ بَرْقُوق، حتى خَلَعَه في يوم الأربعاء تاسِع شهر رَمَضَان سنة أربعٍ وثمانين وسبع مائة. وكانَت مُدَّتُه سنة وشهرين يَنْقُصان أربعة أيام [١].

وبه انْقَضَت «دَوْلَةُ المماليك البَحْرِيَّة: الأَتْراك وأَوْلادهم»، ومُدَّتُهم مائة وستّ وثلاثون سنة وسبعة أشهر وتسعة أيَّام: أوَّلها يوم الخميس عاشر صَفَرَ سنة ثمانٍ وأربعين وستّ مائة، وآخرها يوم الثلاثاء/ ثامن عشر شَهر رَمَضَان سنة أربعٍ وثمانين وسبع مائة. وعِدَّتُهم أربعة وعشرون ذكرًا ما بين رَجُلٍ وصَبِيٍ، وامْرَأةٌ واحِدة، وأوَّلهم امْرَأة، وآخِرُهم صَبي [٢].

[a]ولمَّا أُقيمَ النَّاصِرُ حَسَن بعد أخيه المُظَفَّر حاجي، طَلَبَت[b] المماليكُ الجَراكِسَة، الذين قَرَّبَهم المُظَفَّر، لسِفارَة الأمير أُغْرُلو، فإنَّه كان يَدَّعي أنَّه جَرْكَسِيّ الجِنْس، وجَلَبَهم من أماكِن حتى ظَهروا في الدَّوْلَة، وكَثُرَت عَمائِمُهُم وكَلُّوتاتُهم، فأُخْرِجوا مَنْفيين أنْحَس خُروج، فقَدِموا على البلاد الشَّامية[a].

ذِكْرُ دَوْلَةِ المماليكِ الجَراكِسَة [٣]

[c]الجَراكِسَة جِنْسٌ[c] وهم والآص[d] والرُّوس في مَدائِنَ عامِرَة، وجِبالٍ ذات أشْجارٍ، ولهم أغْنَامٌ وزُروعٌ، وكلُّهم في مَمْلكة صاحِب مَدينَة سَراي قاعِدَة خُوارَزْم. ومُلُوكُ هذه الطَّوائف لملك

a-a) هذه الفقرة في نسخة آياصوفيا، والنسخ المنقولة من خط المؤلِّف موجودة في الهامش وكتب الناسخ بجوارها: يحرر محله! b) بولاق: طلب. c-c) ساقطة من بولاق. d) بولاق: اللاض.

[١] راجع، ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٩: ٩٤-١٨٥؛ المقريزي: السلوك ٣: ٤٣٩-٤٧٥، ٦٢٠-٧٠٣؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٢: ٤٨٩؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٢٠٦-٢٩٣؛ المنهل الصافي ٥: ٤٨-٥٠؛ الصيرفي: نزهة النفوس ١: ٢١٤-٢٨٦؛ Levanoni, A. *EI*² art. al-*Ṣâlih Haddji* VII, pp. 1021-22.

[٢] ذكر المقريزي في أكثر من موضع من «الخِطَط» أنَّ السُّلْطانَ المُعِزُّ أَيْبَك التُّرْكُماني هو «أوَّل من ملك من المماليك سَلْطَنَة الدِّيار المصرية» (فيما تقدم ٢: ٢٨١) أو أنَّه «أوَّل من ملك من ملوك التُّرك بمصر» (فيما تقدم ٢: ٤٩٧، وهذا المجلد ٥٨٦، ٦٤٧)؛ فيكون حديثُه هنا عن أنَّ أوَّل سلاطين المماليك هي شَجَر الدُّرّ مُناقِضًا لما حَرِص على تأكيده من قبل.

[٣] راجع عن تاريخ دَوْلَة سلاطين المماليك الشَّراكِسَة (الجَراكِسَة) أو البُرْجِيَّة، محمد مصطفى زيادة: «نهاية سلاطين المماليك في مصر»، المجلة التاريخية المصرية ٤ (١٩٥١)، ١٩٧-٢٢٨؛ إبراهيم علي طرخان: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، القاهرة ١٩٦٠؛ حكيم =

سَراي كالرَّعِيَّة ، فإنْ داروه وهادوه كَفَّ عنهم ، وإلّا غَزاهُم وحَصَرَهُم ، وكم مَرَّةٍ قَتَلَت عَساكِرُه منهم خَلائِقَ ، وسَبَت نِساءَهم وأوْلادَهم ، وجَلَبَتْهم رَقيقًا إلى الأقْطار . فأكْثر المَنْصُور قَلاوون من شِرائِهم ، وجَعَلَهم وطائِفَة الآص[a] جَميعًا في أبْراج القَلْعَة ، وسَمَّاهم «البُرْجِيَّة» ، فبَلَغَت عِدَّتُهم ثلاثة آلاف وسبع مائة ، وعَمِلَ منهم أوشاقِيَّة وجَمَقْدارِيَّة وجاشْنَكيرِيَّة وسِلاحْدارِيَّة .

٥ وأوَّلُهم «السُّلْطانُ الملكُ الظَّاهِرُ أبو سَعيد بَرْقوق بن آنَصّ» ، أُخِذَ من بِلاد الجَرْكس ، وأُبِيعَ ببلاد القِرْم ، فجَلَبَه خَواجا فَخْرُ الدِّين عُثْمان بن مُسافِر[١] إلى القاهِرَة ، فاشْتَراه منه الأميرُ الكبير يَلْبُغا الخاصَّكي وأعْتَقَه ، وجَعَلَه من جملة مَماليكِه الأجْلاب ، فعُرِفَ ببَرْقوق العُثْماني .

فلمَّا قُتِلَ يَلْبُغا أخْرَجَ الملكُ الأشْرَفُ الأجْلابَ من مصر ، فسارَ منهم بَرْقُوق إلى الكَرَك فأقامَ في عِدَّةٍ منهم مَسْجُونًا بها عِدَّة سنين ، ثم أُفْرِجَ عنه وعمَّن كان معه فمَضَوا إلى دِمَشْق وخَدَمُوا

١٠ عند الأمير مَنْجَك نائِب الشَّام ، حتى طَلَبَ الأشْرفُ اليَلْبُغاوية ، فَقَدِمَ بَرْقُوق في جملتهم ، واستقرَّ في خِدْمَة وَلَدَيِ السُّلْطان عليّ وحاجي مع من اسْتَقَرَّ من خُشْداشَيْته ، فعُرِفُوا باليَلْبُغاوِيَّة إلى أن خَرَجَ السُّلْطانُ إلى الحَجّ . فثارُوا بعد سَفَرِه ، وسَلْطَنُوا ابنه عليًّا .

---

a) بولاق : اللاص .

= أمين عبد السيد : قيام دولة المماليك الثانية ، القاهرة ١٩٦٧؛ دراسات سعيد عبد الفتاح عاشور وعبد المنعم ماجد المذكورة فيما تقدم ٧٦٦هـ[١]؛ Wiet, G., *L'Égypte arabe*, pp. 511-636; Ziyada, M. M., «The Fall of the Mamluks 1516-1517», *BEA - Cairo University* VI (May 1942), pp. 1-40; Ayalon, D., «The Circassians in the Mamluk Kingdom», *JAOS* 69 (1949), pp. 135-47; id., *EI* [2] art. *Burdjiyya* I, pp. 1365-66, id., «Bahri Mamluks, Burji Mamluks Inadequete Names for the Two Reigns of the Mamluk Sultanate», *Târîh* I (1990), pp. 3-53; id., «The End of the Mamlûk Sultanate», *SI* 65 (1984), pp. 55-76; Popper, W., *Egypt and Syria under the Circassian Sultans*, Berkeley 1955-57; Martel - Thoumian, B., *Les civiles et l'administration dans l'État militaire mamlûk (IXe/XVe siècle)*, Damas - IFEAD 1992; Petry, C., *The Civilian Elite of Cairo in the Later Middle Age*, Princeton 1981; id., *Twilight of Majesty: The Reigns of the Mamlûk Sultans al-Ashraf Qâytbây and Qânsûh al-Ghawrî in Egypt*, Seattle 1993; id., *Protectors or Practorians? The Last Mamlûk Sultans of Egypt's Waning as a Great Power*, Albany 1994; Garcin, J.- Cl., «The Reign of the Circassian Mamluks», *The Cambridge History of Egypt*, I, pp. 318-38.

[١] خَواجا فَخْر الدِّين عُثْمان بن محمد بن أيُّوب بن مُسافِر الأسْعَرْدي جالِب الأتابك بَرْقوق من بلاده ثم جالب أبيه وإخوته إلى الدِّيار المصرية بالقاهرة . كان بَرْقُوق إذا رآه قام له من بُعْد وأكرمه وقَبِلَ شفاعته وأعطاه ما طَلَب . توفي في ١٦ رجب سنة ٧٨٣هـ/١٣٨٢م وهو من أعْيان المملكة . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ : ٢٢٠؛ ابن حجر : إنباء الغمر ١ : ٢٤٧؛ ابن قاضي شهبة : تاريخ ٣ :٧٣) .

وحَكَمَ في الدَّوْلَة منهم الأمير قَرَطاي الشِّهابي . فثارَ عليه خُشْداشُه أَيْنِبك البَدْري ، وأَخْرَجَه إلى الشَّام ، وقامَ بعده بتَدْبير الدَّوْلَة ، وخَرَجَ إلى الشَّام ، فثارَت عليه اليَلْبُغاوِيَّة - وفيهم بَرْقُوق ، وقد صارَ من جملة الأُمَرَاء - فعادَ قبل وُصُوله بِلْبِيْس ، ثم قُبِضَ عليه . وقامَ بتَدْبير الدَّوْلَة غيرُ واحِدٍ في أيَّام يَسيرَة .

فرَكِبَ بَرْقُوق في يوم الأحَد ثالث عشرين رَبيع الآخر سنة تسع وسبعين وسبع مائة وَقْت الظُّهيرَة في طائِفَة من خُشْداشِيَّته ، وهَجَمَ على باب السِّلْسِلَة ، وقَبَضَ على الأمير يَلْبُغا النَّاصِريُّ - وهو القائِم بتَدْبير الدَّوْلَة - ومَلَكَ الإسْطَبْل ، وما زالَ به حتى خُلِعَ الصَّالِحُ حاجي [1] .

وتَسَلْطَن في يوم الأربعاء تاسع عشر رَمَضان سنة أربع وثمانين وسبع مائة ، وَقْتَ الظُّهْر ، فَغَيَّرَ العَوائِدَ وأَفْنَى رِجالَ الدَّوْلَة واسْتَكْثَرَ من جَلْب الجَراكِسَة إلى أن ثارَ عليه الأميرُ يَلْبُغا النَّاصِري - وهو يومئذٍ نائِبُ حَلَب - وسارَ إليه . ففَرَّ من قَلْعَة الجَبَل في ليلة الثلاثاء خامِس جُمادَى الأولى سنة إحدى وتسعين ومَلَكَ النَّاصِري القَلْعَة ، وأعادَ الصَّالِحَ حاجي ولَقَّبه بـ«الملك المَنْصُور» ، وقَبَضَ على بَرْقُوق ، وبَعَثَه إلى الكَرَك فسَجَنَه بها .

فثارَ الأميرُ مِنْطاشُ بالنَّاصِري [a] ، وقَبَضَ عليه وسَجَنَه بالإسْكَنْدَرية . وخَرَجَ يُريدُ مُحارَبَة بَرْقُوق - وقد خَرَجَ من سِجْن الكَرَك ، وسارَ إلى دِمَشْق في عَسْكَرٍ - فحارَبَه بَرْقُوق على شَقْحَب ظاهِر دِمَشْق ، ومَلَكَ ما معه من الخَزائِن ، وأَخَذَ الخَليفَةَ والسُّلْطان حاجي والقُضاة وسارَ إلى مصر ، فقَدِمَها في يوم الثلاثاء رابع عشر صَفَر سنة اثنتين وتسعين ، واسْتَبَدَّ بالسَّلْطَنَة حتى ماتَ ليلة الجمعة للنِّصْف من شَوَّال سنة إحدى وثمان مائة . فكانت مُدَّتُه أتابَكًا وسُلْطانًا إحدى وعشرين سنةً وعشرة أشهر وستة عشر يومًا ، خُلِعَ فيها ثمانية أشهر وتسعة أيَّام .

---

a) بولاق : علي الناصري .

---

[1] عندما ذكر المقريزي المدرسة الظَّاهرية الجديدة في مُسَوَّدَة الخِطَط - وهي غير موجودة في المُبَيَّضَة - كَتَبَ مَدْخَلًا ليترجم لبَرْقُوق ولكنه لم يتمه . وراجع عن بَرْقُوق ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، الجزء التاسع؛ المقريزي : السلوك ٣:٤٧٦- ٦١٩، ٧٠٤- ٩٤٧، درر العقود الفريدة ١: - ؛ ابن حجر : ذيل الدرر الكامنة ٦٩، إنباء الغمر ٢:٦٦- ٦٩؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١١:٢٢١- ٣١٨، ١٢:١- ١٦٧، المنهل الصافي ٣:٢٨٥- ٣٤٢ (ترجمة حافلة)؛ الصيرفي : نزهة النفوس ١:٣٣- ٥٦، ٢١٠- ٢١٤، ٢٨٦- ٥٠٤؛ السخاوي : الضوء اللامع ٣:١٠- ١٢؛ Wiet, G., *EI*[2] art. *Barkûk*, pp. 1082-83.

وقامَ من بَعْدِه ابنُه «السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ زَيْنُ الدِّين أبو السَّعادات فَرَج» في يوم الجمعة المذكور، وعمره نحوه العشر سنين، فدَبَّر أَمْرَ الدَّوْلَة الأمير الكبير أَيْتَمُش، ثم ثارَ به الأُمير يَشْبَك وغيره، ففَرَّ إلى الشَّام، وقُتِلَ بها.

ولم تَزَلْ أيَّامُ النَّاصِر كلُّها كثيرَة الفِتَن والشُّرور والغَلاء والوَبَاء، وطَرَقَ بِلادَ الشَّام فيها الأمير تَيْمورلَنْك فخَرَّبها كلَّها وحَرَّقها، وعَمَّها بالقَتْل والنَّهْب والسَّبْي[a] والأَسْر، حتى فُقِدَ منها جَميعُ أَنْواع الحَيَوانات، وتَمَزَّق أَهْلُها في جَميع أَقْطار الأرْض. ثم دَهَمَها بعد رَحيله عنها جَرَادٌ لم يَتْرُك بها خَضْراء، فاشتدَّ بها الغَلاءُ على من تَراجَعَ إليها من أَهْلها، وشَنُع مَوْتُهم.

واستمرَّت بها مع ذلك الفِتَنُ، وقَصُرَ مَدُّ النِّيل بمصر حتى شَرُقَت الأراضي إلَّا قليلًا، وعَظُمَ الغَلاءُ والفَنَاءُ. فباعَ أَهْلُ الصَّعيد أَوْلادَهم من الجُوع، وصارُوا أَرِقَّاء مَمْلوكين وشَمِلَ الخَرَابُ الشَّنيع عامَّة أرض مصر وبِلاد الشَّام، من حيث يَصُبّ النِّيل من الجَنادِل، إلى حيث مَجْرى الفُرات.

وابْتُلِيَ مع ذلك بكَثْرَة فِتَن الأميرين نَوْرُوز الحافِظي وشَيْخ المَحْمودي، وخُروجهما ببِلاد/ الشَّام عن طاعَتِه، فتَرَدَّد لمحارَبَتهما مِرارًا حتى هَزَماه، ثم قَتَلاه بِدِمَشْق في ليلة السبت سادِس عشر صَفَر سنة خمس عشرة وثمان مائة. فكانت مُدَّتُه - منذ ماتَ أبوه إلى أن فَرَّ في يوم الأحد خامِس عشرين ربيع الأوَّل سنة ثمانٍ وثمان مائة واخْتَفَى، وأُقِيمَ بعده أخوه عبدُ العَزيز، ولُقِّب «المَلِكُ المَنْصور» - ستّ سنين وخمسة أشهر وأَحَدَ عشر يومًا.

وأقامَ النَّاصِرُ في الاخْتِفَاء سبعين يومًا، ثم ظَهَرَ في يوم السبت خامِس عشر جُمادَى الآخرة، واستولى على قَلْعَة الجَبَل، واسْتَبَدَّ بمُلْكِه أَقْبَحَ اسْتِبْداد إلى أن تَوَجَّه لحَرْب نَوْروز وشَيْخ، وقاتَلهما على اللَّجُّون في يوم الاثنين ثالث عشر المحرَّم سنة خمس عشرة، فانْهَزَمَ إلى دِمَشْق وهما في أثره - وقد صارَ الخَلِيفَةُ المُسْتَعينُ بالله في قَبْضَتهما ومعه مُباشِرو الدَّوْلَة - فنَزَلا[b] على دِمَشْق وحَصَراه، ثم أَلْزَما الخَليفَة بخَلْعِه من السَّلْطَنَة، فلم يجد بُدًّا من ذلك، وخَلَعَه في يوم السبت خامس عشرينه، ونُودي بذلك في النَّاس، فكانت مُدَّتُه الثانية ستّ سنين وعشرة أشهر سَواء[1].

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: فنزل.

[1] راجع أخبار النَّاصِر فَرَج الذي عَدَّه المَقْريزي «أَشْأَم مُلُوك الإسلام» (السلوك ٤: ٢٢٥) عند، المقريزي: السلوك ٣: ٩٥٩- ١١٧٨، ٤: ٨- ٢١٤، درر العقود الفريدة ٢: - ؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٢: ٥٣٠- ٥٣١؛ أبي المحاسن: =

[الخُـلَفاءُ العَبّاسِـيُّون بمصر][1] - وأُقيمَ من بَعْده «الخَليفَةُ أمير المُؤْمنين المُسْتَعيـنُ بالله أبو الفَضْل العَبَّاس بن محمد العبّاسي»[2].

وأَصْلُ هؤلاء الخُـلَفَاء بمصر أنَّ أميرَ المؤمنين المُسْتَعْصم بالله عبد الله، آخِر خُلَفَاء بني العَبَّاس، لَمَّا قَتَلَه هُولاكو بن تولي بن جَنْكِزْ خان في صَفَر سنة ستٍّ وخمسين وستّ مائة ببَغْداد، وخَلَت الدُّنْيا من خَليفَةٍ، وصارَ النَّاسُ بغير إمامٍ قُرَشيٍّ إلى سنة تسعٍ وخمسين. فقَدِمَ الأميرُ أبو القاسِم أحمد ابن الخَليفَة الظَّاهِر أبي نَصْر محمد ابن الخَليفَة النَّاصِر العبّاسي، من بَغْداد إلى مصر في يوم الخميس تاسع رَجَب منها. فرَكِبَ السُّلْطانُ الملكُ الظَّاهِر بَيْبَرْس إلى لِقائِه وصَعِدَ به قَلْعَةَ الجَبَل وقامَ بما يَجِب من حَقِّه، وبايَعَه بالخِلافَة وبايَعه النَّاسُ، وتلقَّب بـ«المُسْتَنْصِر». ثم تَوَجَّه لقِتال التَّتَر ببَغْداد، فقُتِلَ في مُحارَبَتهم لأيَّام خَلَت من المحرَّم سنة ستين وستّ مائة. فكانت خِلافَتُه قَريبًا من سنة.

ثم قَدِمَ من بَعْده الأميرُ أبو العَبَّاس أحمد بن أبي عليّ الحَسَن بن أبي بكر، من ذُرِّيَّة الخَليفَة الرَّاشِد بالله أبي جَعْفَر مَنْصور بن المُسْتَرْشِد، في سابع عشرين رَبيع الأوَّل، فأَنْزَلَه السُّلْطانُ في بُرْجٍ بقَلْعَةِ الجَبَلِ، وأجرَى عليه ما يَحْتاجُ إليه، ثم بايَعَهُ في يوم الخميس ثامن المحرَّم سنة إحدى وستين، بعد ما أَثْبَت نَسَبَه على قاضي القُضَاة تاج الدِّين عبد الوَهَّاب بن بنت الأَعَزّ، ولَقَّبه بـ«الحـاكِم بأمْر الله»، وبايَعَه النَّاسُ كافَّة.

= النجوم الزاهرة ١٢:١٦٨– ٣٣١، ١٣:٣– ٤٠، ٤٨– ١٨٨، المنهل الصافي ٨:٣٧٩– ٤٠٢؛ الصيرفي: نزهة النفوس ٢:٥– ٣١٦؛ السخاوي: الضوء اللامع ٦:١٦٨– ١٦٩؛ Wansbrough J., *EI*[2] art. *Faradj* II, pp. 800-1، وانظر رأي المقريزي في سلطنته في السلوك ٤:٢٢٤– ٢٢٨.

وتتخَلَّل هذه الحوادِثَ الفترة التي تَسَلْطَنَ فيها السُّلطان الملك المنصور عبد العزيز.

[1] يتناوَل المقريزي هنا، بمناسبة تَوَلِّي الخَليفَة العبّاسي المستعين بالله السَّلْطَنَة، انتقال الخِلافَة العبّاسية إلى مصر في زَمَن سَلْطَنَة الظَّاهِر بَيْبَرْس البُنْدُقْداري بعد سُقُوط بَغْداد، راجع حَوْل هذا الموضوع ودَوْر هذه المُؤسَّسة بعد انتقالها إلى مصر، القلقشندي: صبح الأعشى ٣:٢٦٠– ٢٦٥؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء ٧٥٧– ٨٢٩؛ Ayalon, D., «Studies on the Transfer of the ʿAbbasid Caliphate from Bagdâd to Cairo», *Arabica* VII (1960), pp. 41-59; Chapoutot - Remadi, M., «Une institution mal connue : le Khalifat Abbasid du Caire», *CT* 20 (1972), pp. 11-23; Holt, P. M., «Some Observations on the Abbasid Caliphate of Cairo», *BSOAS* 47 (1984), pp. 501-7؛ محمد عبد العال أحمد: أضواء جديدة على إحياء الخلافة العبّاسية ـ أسبابها ومواقف حكام بعض الأقطار الإسلامية منها، القاهرة ١٩٨٧؛ Amitai - Preiss, R., «The Fall and Rise of the Abbasid Caliphate», *JAOS* 116 (1996), pp. 487-94.

[2] راجع، المقريزي: السلوك ٤:٢١٤– ٢٤٢؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٣:١٨٩– ٢٠٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣:٢٦٣، ٢٧٥– ٢٧٦.

ثم خَطَبَ من الغَد وصلَّى بالنَّاس الجُمُعَة في جامع القَلْعَة، ودُعِيَ له من يومئذٍ على مَنابِر أراضي مصر كلِّها قبل الدُّعَاء للسُّلْطان، ثم خُطِبَ له على مَنابِر الشَّام، واستمرَّ الحالُ على الدُّعاء له ولمن جاءَ من بعده من الخُلَفاء. وما زالَ بالبُرْج إلى أن مَنَعَه السُّلطانُ من الاجْتِماع بالنَّاس في المحرَّم سنة ثلاثٍ وستين، فاحْتَجَبَ وصارَ كالمسجون زيادةً على سبعٍ وعشرين سنة بقيَّةَ أيَّام الظَّاهِر بَيْبَرْس وأيَّام وَلَدَيْه محمد بَرَكَة وسَلامِش وأيَّام قَلاوون.

فلمَّا صارَت السَّلْطَنَةُ إلى الأَشْرَف خَليل بن قَلاوون، أَخْرَجَه من سِجْنِه مُكَرَّمًا في يوم الجُمُعَة العشرين من شهر رَمَضان سنة تِسعين وستّ مائة، وأمَّرَه. فصَعِدَ مِنْبَر الجامع بالقَلْعة وخَطَبَ وعليه سَوادُه، وقد تَقَلَّدَ سَيْفًا مُحَلًّى، ثم نَزَلَ فصَلَّى بالنَّاس صَلاةَ الجُمُعَة قاضي القُضَاة بَدْرُ الدِّين بن جَماعَة، وخَطَبَ أيضًا خُطْبَةً ثالِثَةً في يوم الجُمُعَة تاسع عشرين ربيع الأوَّل سنة إحدى وتسعين، وحَجَّ سنة أربعٍ وتسعين.

ثم مُنِعَ من الاجْتِماعَ بالنَّاس فامْتَنَعَ حتى أَفْرَجَ عنه المَنْصور لاجين في سنة ستٍّ وتسعين، وأسْكَنَه بمَناظِرَ الكَبْش [1]، وأَنْعَم عليه بكُسْوَةٍ له ولعياله، وأجْرَى عليه ما يقوم به. وخَطَبَ بجامع القَلْعَة خُطْبَةً رابِعَةً، وصَلَّى بالنَّاس الجُمُعَة، ثم حَجَّ سنة سبعٍ وتسعين، وتوفِّي ليلة الجمعة ثامن عشر جُمادَى الأولى سنة إحدى وسبع مائة. فكانت خِلافَتُه مُدَّةَ أربعين سنة ليس له فيها أَمْرٌ ولا نَهْيٌ، إنَّما حَظُّه أن يُقالُ «أميرُ المؤْمنين».

وكان قد عَهِدَ إلى ابنه الأمير أبي عبد الله محمد المُسْتَمْسِك، ثم من بعده لأخيه أبي الرَّبيع سُلَيْمان المُسْتَكْفي. فماتَ المُسْتَمْسِكُ في حَياتِه، واشْتَدَّ جَزَعُه عليه، فعَهِدَ لابنه إبراهيم بن محمد المُسْتَمْسِك. فلمَّا ماتَ الحاكِمُ أُقيمَ من بعده ابنه «المُسْتَكْفي بالله» أبو الرَّبيع سُلَيْمان بعَهْده له، فشَهِدَ وَقْعَةَ شَقْحَب مع الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون وعليه سَوادُه، وقد أَرْخَى له عَذَبَةً طَويلَةً، وتقلَّدَ سَيْفًا عَرَبيًّا مُحَلًّى.

ثم تنكَّرَ عليه، وسَجَنَه في بُرْجٍ بالقَلْعَة نحو خمسة أشهر، وأَفْرَجَ عنه وأنزلَه إلى دارِه قَريبًا من المَشْهَد النَّفيسي بتُرْبَة شَجَرَ الدُّرّ [2]، فأقامَ نحو ستةَ أشهر، وأخْرَجَه إلى قُوص في سنة سبعٍ وثلاثين

---

[1] فيما تقدم ٤٤٤.

[2] ما تزالُ تُرْبَةُ شَجَر الدُّرّ ـ التي أنشأتها سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م قبل وفاتها ـ موجودةً تحت قُبَّة داخِل مسجدٍ صغير أصْلُه مَدْرسةٌ أنشأتها شَجَرُ الدُّرّ بجوار تُربتها بشارع الخَليفة أمام مَشْهَد السيدة رُقَيَّة ومسجلة بالآثار برقم ١٦٩. Herz, M., «Le tombeau de la Sultane Chagarat el-Dorr», *CR du comité*, exersice 1900, pp. 112-119; Creswell, K.A.C., *MAE* II, pp. 136-39 ؛ أبو=

وسبع مائة ، وقَطَعَ راتِبَه ، وأجْرَى له بقُوص ما يَتَقَوَّت به . فماتَ بها في خامِس شَعْبان سنة أربعين .

وعَهِدَ إلى وَلَدِه ، فلم يُمْضِ الملكُ النّاصِرُ محمد عَهْدَه ، وبُويِعَ ابن أخيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المُسْتَمْسِك بن أحمد الحاكِم بَيْعَةً خَفِيَّةً لم تَظْهَر ، في يوم الاثنين خامس عشرين شَعْبان المذكور ، وأقامَ الخُطباءُ أربعة أشهر لا يذكرون في خُطَبِهم الخَليفَة ، ثم خُطِبَ له في يوم الجُمُعَة ٥ سابع ذي القِعْدَة منها ، ولُقِّبَ بـ«الـوَاثِق بالله» .

فلمّا ماتَ النّاصِرُ محمد وأُقيمَ بعده ابنُه المَنْصور أبو بكر ، استدعي أبو القاسِم أحمد بن/ أبي ٢٤٣:٢ الرَّبيع سُلَيْمان وأُقيمَ في الخِلافَة ، ولُقِّب بـ«الحـاكِم» بعدما كان يلقَّب بالمُسْتَنْصِر ، وكُنِّيَ بأبي العَبّاس في يوم السبت سَلْخ ذي الحجَّة سنة إحدى وأربعين وسبع مائة . فاسْتَمَرَّ حتى ماتَ في يوم الجمعة رابع شَعْبان سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مائة . ١٠

فأُقيمَ بَعْدَه أخوه «المُعْتَضِـد بالله» أبو بَكْر ، وكُنْيَتُه أبو الفَتْح بن أبي الرَّبيع سليمان في يوم الخميس سابع عشره ، واستقرَّ مع ذلك في نَظَرِ مَشْهَدِ السَّيِّدَة نَفيسَة ليَسْتَعين بما يَرِد إلى ضَريحها من نَذْرِ العامَّة على قِيام أَوَدِه ـ فإنَّ مُرَتَّبَ الخُلَفاء كان على مَكْسِ الصَّاغَة ، وحَسْبُه أن يقوم بما لابد منه في قُوتِهم ، فكانوا أبَدًا في عَيْشٍ غير مُوَسَّع ـ فحَسُنَت حالُ المُعْتَضِد بما يَبيعُه من الشَّمْع المَحْمُول إلى المَشْهَد النَّفيسي ونحوه ، إلى أن توفِّي يوم الثلاثاء عاشِر جُمادَى الأولى سنة ثلاثٍ ١٥ وستين . وكان يَلْثَغ بالكاف ، وحَجَّ مَرَّتين : إحداهما سنة أربع وخمسين ، والثانية سنة ستين .

فأُقيم بَعْدَه ابنُه «المُتَوَكِّل على الله» أبو عبد الله محمد بعَهْده إليه ، في يوم الخميس ثاني عشره ، وخُلِعَ عليه بين يدي السُّلْطان الملك المَنْصور محمد ابن الملك المُظَفَّر حاجي ، وفُوِّضَ إليه نَظَرُ المَشْهَد ، ونَزَلَ إلى دارِه . فلم يَزَلْ حتى تَنَكَّرَ له الأميرُ أَيْنَبك في أوَّل ذي القعدة سنة ثمانٍ وسبعين ، بعد قَتْل الملك الأَشْرَف شَعْبان بن حُسَيْن ، وأَخْرَجَه ليَسيرَ إلى ٢٠ قُوص ، وأقامَ عِوَضَه في الخِلافَة ابن عمِّه زَكَريا بن إبراهيم بن محمد ، في ثالث عشرين صَفَرَ سنة تسع وسبعين .

= المحاسن : النجوم الزاهرة ٦:٣٧٨هـ[1] ؛ - Behrens Abouseif D., «The Lost Minaret of Shajarat al-Durr at the Complex in the Cemetry of Sayyida Nafisa», *MDAIK* XXXIX (1983), pp. 3-20 ؛ أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ٢ : ٤٠ ؛ وفيما تقدم ٥٦-٥٧هـ[2]) .

وكان قد أَمَرَ بردِّ المُتَوَكِّل من نَفْيه، فرُدَّ إلى منزله من يومه، فأقامَ به حتى رَضِيَ عنه أَيْنبك، وأعادَه في العشرين من رَبيع الأوَّل منها إلى خِلافَته. ثم سَخِطَ عليه الظَّاهِرُ بَرْقُوق، وسَجَنَه مُقَيَّدًا في يوم الاثنين أوَّل رَجَبَ سنة خمس وثمانين، وقد وُشِيَ به أنَّه يُريد الثَّوْرَة وأَخْذ المُلْك.

وأقام عِوَضَه[a] في الخِلافَة «الواثِـقُ بالله» أبو حَفْص عُمَر بن المُعْتَصِم أبي إسحاق إبراهيم بن محمد ابن الحاكِم في يوم الاثنين المذكور. فما زالَ خَليفَةً حتى ماتَ يوم السبت تاسِع شَوَّال سنة ثمانٍ وثمانين. فأقامَ الظَّاهِرُ بعده في الخِلافَة أخاه زَكَرِيَّا بن إبراهيم في يوم الخميس ثامِن عشرينه، ولُقِّبَ بـ«المُسْـتَعْصِم»، ورَكِبَ بالخِلْعَة وبين يده القُضَاةُ من القَلْعَة إلى منزله.

فلمَّا أَشْرَفَ الظَّاهِرُ بَرْقوق على زَوَال مُلْكِه، وقَرُبَ الأميرُ يَلْبُغا النَّاصِرِيّ نائِب حَلَب بالعَساكِر، اسْتَدْعَى المُتَوَكِّلَ على الله من مَحْبَسِه وأعادَه إلى الخِلافَة، وخَلَعَ عليه في يوم الأربعاء أوَّل جُمادَى الأولى سنة إحدى وتسعين، وبالَغَ في تَعْظيمه وأَنْعَمَ عليه. فلم يَزَلْ على خِلافَتِه حتى توفِّيَ ليلة الثلاثاء ثامن عشرين رَجَب سنة ثمانٍ وثمان مائة. وهو أوَّلُ من اتَّسَعَت أحوالُه من الخُلَفَاء (b أَهْل بَيْتِه b) بمصر، وصارَ له إقْطاعاتٌ ومالٌ.

فأُقيمَ بَعْدَه في الخِلافَة ابنُه «المُسْتَعينُ بالله» أبو الفَضْل العَبَّاس، وخُلِعَ عليه في يوم الاثنين رابع شَعْبان بالقَلْعَة بين يدي النَّاصِر فَرَج[c]، ونَزَلَ إلى دارِه، ثم سارَ مع النَّاصِر إلى الشَّام، وحَضَرَ معه وَقْعَة اللَّجُّون حتى انْهَزَم. فدَعاه الأميران شَيْخ ونَوْروز، فمَضَى من مَوْقِفِه إليهما ومعه مُباشِرو الدَّوْلَة، فأنْزَلاه ووَكَّلا به، وسارا به لحِصَار النَّاصِر، ثم أَلْزَماه حتى خَلَعَه من السَّلْطَنَة وإقامَة شَيْخ في السَّلْطَنَة، وبايَعَه ومن معه في يوم السبت خامِس عشرين المحرَّم سنة خمس عشرة وثمان مائة، وبَعَثَ إلى نَوْروز وهو بشمالي دِمَشْق حتى بايَعَه.

فنالُوا بإقامَته أغْراضَهم من قَتْل النَّاصِر وانْتِظام أَمْرِهم، ثم سارَ به شَيْخٌ إلى مصر، وأقامَ نَوْروز بدِمَشْق. فلمَّا قَدِمَ به أَسْكَنَه القَلْعَة، ونَزَلَ هو بالحَرَّاقَة من باب السِّلْسِلَة[1]، وقامَ بجميع الأُمُور، وتَرَكَ الخَليفَة في غاية الحَصْر حتى استبدَّ بالسَّلْطَنَة. فكانَت مُدَّةُ الخَليفَة منذ أقامُوه سُلْطانًا سبعة

---

a) بولاق: وأقيم بعده. b-b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: بن برقوق.

---

[1] الحَرَّاقة من باب السِّلْسِلَة. مَقْعَدٌ بالإسْطَبْلات السُّلْطانية. (القلقشندي: صبح ٣: ٢٧٧؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٢٢١).

أشهر وخمسة أيّام. ونُقِلَ الخَليفَةُ إلى بعض دُور القَلْعَة، ووُكِّلَ به من يَحْفَظُه وأهْله.

وقامَ من بَعْده بالسَّلْطَنَة «السُّلْطانُ الملكُ المُؤَيَّدُ أبو النَّصْر شَيْخ المَحْمُودي»، أحَدُ مَماليك الظَّاهِر بَرْقوق، في يوم الاثنين أوّل شَعْبان سنة خمس عشرة وثمان مائة. فسَجَنَ الخَليفَةَ في بُرْج بالقَلْعَة، ثم حَمَلَه إلى الإسْكَنْدَرية فسَجَنَه بها. ولم يَزَلْ سُلْطانًا حتى ماتَ في يوم الاثنين ثامِن المحَرَّم سنة أربع وعشرين، فكانت مُدَّتُه ثمانِ سنين وخمسة أشهر وستة أيّام [1]. ٥

فأُقيمَ بَعْدَه ابنُه «السُّلْطانُ الملكُ المُظَفَّرُ شِهابُ الدِّين أبو السَّعادَات أحمد» وعمره سنةٌ واحِدَةٌ ونِصْف. فقامَ بأمْرِه الأَميرُ طَطَر، وفَرَّقَ ما جَمَعَه المُؤَيَّدُ من الأموال، وخَرَجَ بالمُظَفَّر يُريدُ محارَبَةَ الأُمَرَاء بالشَّام، فظَفِرَ بهم وخَلَعَ المُظَفَّر، وكانت مُدَّتُه ثمانية أشهر تنقص سبعة أيّام [2].

وقامَ بعده «السُّلْطانُ الملكُ الظَّاهِرُ أبو الفَتْح طَطَر»، أحَدُ مَماليك الظَّاهِر بَرْقوق، وجَلَسَ على التَّخْت بقَلْعَة دِمَشْق في يوم الجُمُعَة تاسع عشرين شَعْبان سنة أربع وعشرين. وقَدِمَ إلى قَلْعَة الجَبَل، وهو مَوْعُوكُ البَدَن، في يوم الخميس رابع شَوّال، فثَقُلَ في مَرَضِه من يوم الاثنين ثاني عشرينه حتى ماتَ في يوم الأحد رابع[a] ذي الحِجَّة، فكانت مُدَّتُه ثلاثة أشهر ويومين [3]. ١٠

فأُقيمَ بعدَه ابنُه «السُّلْطانُ الملكُ الصَّالِحُ ناصِرُ الدِّين محمد» وعمره نحو عشر سنين،

---

a) بولاق: رابع عشرين.

---

[1] راجع، العيني: السَّيف المُهَنَّد في سيرة الملك المُؤَيَّد، حققه وقدّم له فهيم محمد شلتوت، القاهرة ١٩٦٧، عقد الجمان، تحقيق عبد الرزاق القرموط، القاهرة ١٩٨٩، ٨٥–١١٦؛ المقريزي: السلوك ٢٤٣:٤– ٥٥١؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٢٥٦:٣– ٢٥٧؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١:١٤– ١٦٦، المنهل الصافي ٢٦٣:٦–٣١٢ (ترجمة مفيدة)؛ الصيرفي: نزهة النفوس ٣١٧:٢– ٤٩٤؛ السخاوي: الضوء اللامع ٣٠٨:٣– ٣١١؛ Holt, P. M., *EI* [2] art. *al-Mu'ayyad Shaykh* VII, pp. 273-74.

[2] راجع، المقريزي: السلوك ٥٦٣:٤– ٥٨١؛ العيني: عقد الجمان (تحقيق القرموط) ١١٧– ١٤٤؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٣: ٢٤٤١؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٦٧:١٤– ١٩٧، المنهل الصافي ٣١٤:١– ٣١٧؛ الصيرفي: نزهة النفوس ٣: ٢٠٧؛ السخاوي: الضوء اللامع ٣١٣:١– ٣١٤.

[3] راجع، المقريزي: السلوك ٥٨٢:٤– ٥٨٩؛ العيني: عقد الجمان (تحقيق القرموط) ١٤٤– ١٥٨، وكتب العيني رسالةً في سيرته عنوانها: «الروض الزاهر في سيرة الملك الظَّاهِر «طَطَر»»، نشرها هانس إرنست في القاهرة ـ دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٢؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٢٥٧:٣– ٢٥٨؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٩٨:١٤– ٢١٠، المنهل الصافي ٣٩٧:٦– ٤٠٥؛ الصيرفي: نزهة النفوس ٢: ٥١٣؛ السخاوي: الضوء اللامع ٧:٤– ٨.

فقامَ بأَمْره الأَمير بَرْسْباي الدُّقْماقي ، ثم خَلَعَه بعد أربعة أشهر/ وأربعة أيّام [١] . ٢٤٤:٢

وقامَ من بعده «السُّلْطانُ الملكُ الأَشْرَفُ سَيْفُ الدِّين أبو النَّصْر بَرْسباي» ، أَحَدُ مَماليك الظَّاهِر بَرْقوق ، وجَلَسَ على تَخْت المُلْك في يوم الأربعاء ثامِن شهر رَبيع الآخَر سنة خمسٍ وعشرين وثمان مائة[a] [٢] .

٥

*

* *

انْتَهى ما وَجَدتُه في هذا الجُزْء المبارَك بخَطِّ مُؤَلِّفِه تغَمَّدَهُ الله بالرَّحْمَة والرِّضوان .
ووَافَقَ الفَراغُ من مَشْقِه في اليوم المبارك الموافِق لثاني شهر جُمادَى الآخرة
سنة ثمانٍ وسبعين وثمان مائة على يد فَقير رَحْمَةِ ربِّه الغَنيّ
أبي الحَسَن عليّ بن الحَسَن بن عليّ بن أحمد الأَزْهَري الشَّافِعِي ١٠
الخَطيب المعروف بالسّرْوي ، غَفَرَ الله له ولوالديه
ولإخوانه ولكُلِّ المسلمين أجمعين آمين .
أنهاهُ كاتِبُه داعيًا لمُؤَلِّفه ومالِكِه
ولمن كان السَّبَبَ في كِتابته ، وأَصْلَح ما وَجَدَه فيه ، ١٥
والحمدُ لله وَحْدَه ، وحَسْبُنا الله
ونِعْمَ الوَكيل .
كُتِبَ هذا الجُزْءُ من أَوَّله إلى آخِره من خَطِّ المُؤَلِّف غَفَرَ الله عَنِّي
وعن والِده والحمد لله وَحْدَه .

---

a) في هامش آياصوفيا : بياض نحو صفحة .

---

[١] راجع ، المقريزي : ٥٩٠- ٦٠٦؛ العيني : عقد الجمان (تحقيق القرموط) ١٥٨- ١٧٩؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٣: ٤٥٠؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٤: ٢١١- ٢٣٤، وحَكَم في هذه السنة (٨٢٤هـ) أربعة سلاطين : المُؤَيَّد شَيخ ، والمُظَفَّر أحمد ، والظَّاهِر طَطَر ، والصَّالح محمد (نفسه ١٤: ٢٣٥-٢٤١) ؛ الصيرفي : نزهة النفوس ٣: ٢٠٩؛ السخاوي : الضوء اللامع ٧: ٢٧٤؛ Levanoni, A., *EI*[2] art. *al-Ṣâlih Muhammad*, VIII, p. 1022.

[٢] راجع ، المقريزي : السلوك ٤: ٦٠٧- ١٠٥١؛ العيني : عقد الجمان (تحقيق القرموط) ١٨٠- ٣٠٢٥؛ ابن حجر : إنباء الغمر ٤: ٧٨- ٨٠؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٤: ٢٤٢- ٣٧٣، ١٥: ٧- ٢٢١، المنهل الصافي ٣: ٢٥٥- ٢٧٦؛ الصيرفي : نزهة النفوس ٣: ٥- ٤٢١؛ السخاوي : الضوء اللامع ٣: ٨- ١٠؛ Darrag, A., *L'Égypte sous le règne de Barsbay 825-841/ 1422-1438*, Damas - IFD 1961; Wiet, G., *EI*[2] art. *Barsbay* I, pp. 1085-86.

[٣] حَرْدُ مَتْن (Colophon) نُسْخَة الأَصْل .